العمارة الإسلامية في مصر

المجلد الأول

الأخشيديون والفاطميون
(٩٣٩ - ١١٧١م)

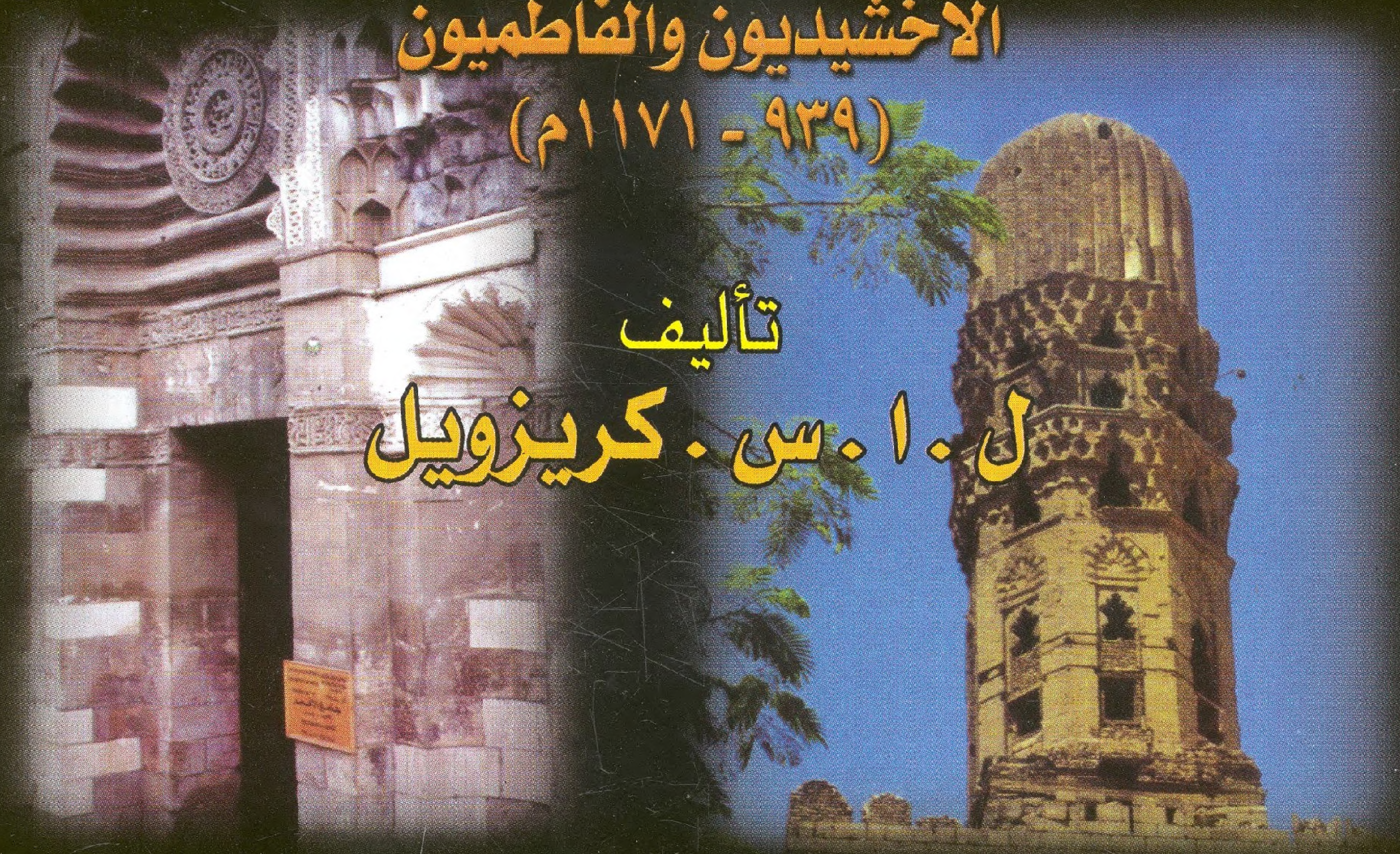

تأليف

ل . ا . س . كريزويل

ترجمة

د/ عبد الوهاب علوب

أستاذ الدراسات الشرقية المساعد

كلية الآداب - جامعة القاهرة

راجعه واستخرج نصوصه وقدم له وعلق عليه

د/ محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية

كلية الآثار - جامعة القاهرة

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد

ت: ٣٩٢٩١٩٢ موبايل: ٠١٢٣١٧٧٥١٠

دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد القاهرة

ت: ٣٩٢٩١٩٢

العمارة الإسلامية فى مصر

المجلد الاول

الأخشيديون والفاطميون

(٩٣٩ - ١١٧١م)

تاليف

ك . ا. س. كريزويل

ترجمة

د. عبدالوهاب علوب

أستاذ الدراسات الشرقية المساعد

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

راجعه وإستخرج نصوصه وقدم له وعلق عليه

د. محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية

كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة

تليفون: ٣٩٢٩١٩٢

الناشر

دار القاهرة

١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة

تليفون: ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتــاب	:	**العمارة الإسلامية فى مصر**
		المجلد الأول :ـ الإخشيديون والفاطميون
اسم المؤلـف	:	**ك. أ. س. كريزول**
اسم المتـرجم	:	**د/ عبد الوهاب علوب**
(اسم المراجع والمقـدم له والمستخرج نصوصه والمعلق عليـه)	:	**أ. د. محمد حمزة الحداد**
رقم الطبعـة	:	الأولى
السـنـة	:	٢٠٠٤
رقم الإيداع	:	٢٠٠٥١
الترقيم الدولى	:	I. S. B. N. 977 - 314 - 227 - 2
اسم الناشـر	:	مكتبة زهراء الشرق ودار القاهرة
العنـوان	:	١١٦ شارع محمد فريد
البـلـد	:	جمهورية مصر العربية
المحافظة	:	القاهرة
التليفون	:	٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
فاكس	:	٠٠٢٠٢٣٩٣٣٩٠٩
المحمول	:	٠١٢٣١٧٧٥١٠

هذه ترجمة كاملة للمجلد الأول من كتاب

The Muslim Architecture of Egypt

by

K. A. C. Creswell

Cairo, 1952

المحتوى

الموضوع	الصفحة
تقديم	**ن ـ ق**
مقدمة المؤلف	**١ ـ ٢**
الفصل الأول : ظهور الفاطميين وبناء المهدية	**٣ ـ ١١**
ظهور الفاطميين ، عبيد الله أول الخلفاء الفاطميين ، بناء المهدية ، الأسوار والبوابات ، وصف مارمول ، تدمير المهدية ، الميناء ، الأعمدة المستخدمة كأربطة [ميد].	
مسجد المهدية الجامع : وصفه ، الجامع من الداخل ، الحرم ، كيف كان الشكل الأصلى للحرم ، الفترة الزمنية	
الأصول المعمارية : المدخل التذكارى ، تأثيره على الجوامع اللاحقة ، عبيد الله وتجريد حملتين على مصر، وفاة المهدى	
ـ هوامش	**١٢ ـ ١٣**
ـ المصادر والمراجع	**١٣ ـ ١٤**
الفصل الثانى : الاخشيديون	**١٥ ـ ٢٢**
ـ تاريخ الأسرة الإخشيدية	
ـ مشهد الشريف طباطبا : وصفه ، تعريف ، التاريخ	
ـ محراب عتيق : وصفه ، التاريخ	
الفصل الثالث : بناء القاهرة	**٢٣ ـ ٤٠**
ـ ولاية المعز ، الأسباب الفلكية للهجوم على مصر ، فتح مصر وسقوط الفسطاط	
ـ بناء القاهرة : لحظة مناسبة حددوها المنجمون ، السمات الاسطورية للقصة	
ـ الأسوار والبوابات : باب القراطين أو باب المحروق ، باب القنطرة ، باب زويلة الأول ، باب الفتوح الأول ، باب النصر الأول ، باب القراطين الأول ، باب القنطرة الأول ، باب البرقية الأول والثانى ، باب الخوخة وباب سعادة ، باب سعادة الثانى ، باب سعادة الأول ، باب الفرج الثانى ، تخطيط النصف الشرقى من السور الجنوبى لبدر الجمالى ، مواد البناء ، بوابة حديدية منقولة من الفسطاط ، الخندق ، القصر الشرقى أو القصر الفاطمى الكبير .	
ـ المصادر والمراجع	**٤٠ ـ ٤١**
الفصل الرابع : الجامع الأزهر	**٤٣ ـ ٧٢**
ـ تاريخ الجامع : بناؤه ، تحول الجامع إلى مدرسة ، الحاكم يحظر الخطبة ، أعمال المستنصر والحافظ والآمر ، أعمال صلاح الدين ، تاريخ الجامع فى عهد المماليك البحرية ، تاريخ الجامع فى عهد المماليك الجراكسة ، أعمال السلطان قايتباى والسلطان الغورى ، أعمال عثمان كتخدا وعبد الرحمن كتخدا ، عمارة رواق الشرقاوية ، تاريخ الجامع منذ عام ١٨٠٠م .	
ـ وصف وتحليل : الواجهة الرئيسية [الشمالية الغربية] لمجمع المبانى ، الواجهة الجنوبية الغربية ، المدخل	

الرئيسى (باب قايتباى)، الصحن، الرواقان الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى ، الحرم ، السقف ، زيادة عبد الرحمن كتخدا ، الجدار الشمالى الغربى ، الجدار الجنوبى الغربى ، الجدار الشمالى الشرقى ، الجدار الجنوبى الشرقى ، مادة البناء ، البائكة الخارجية للحرم ، هل كانت العقود السابقة التى كانت قائمة على الدعامات أصلية ؟

- زخرفة الأسطح : أ ـ جوانب المجاز القاطع ب ـ الطرف الشمالى الغربى من المجاز القاطع جـ ـ زخرفة المحراب ، الحشوات الزخرفية بجدار القبلة د ـ زخرفة الجدار الشمالى الشرقى
- إعادة بناء الجامع الأصلى : الحرم ، الواجهة المطلة على الصحن ، الأروقة الجانبية ، الزيادة .
- الأصول المعمارية : قباب الأركان الخلفية للحرم ، المجاز القاطع .
- المصادر والمراجع . ... ٧٢ ـ ٧٦

الفصل الخامس : جامع الحاكم .... ٧٧ ـ ١١٦

- تاريخ الجامع
- تاريخه اللاحق
- الترتيب والأبعاد الأساسية ، عشوائية التصميم ، الجدران وبناؤها ، المدخل التذكارى ، المدخل الصغرى فى الواجهة الشمالية الغربية ، كيف كانت هذه المجازات ؟
- الجامع من الداخل ، المداخل الباقية ، الحرم ، المجاز القاطع ، الدعامات ، العقود ، السقف ، أساس القبة التى تتقدم المحراب ، القبة التى تتقدم المحراب ، قباب الأركان الخلفية للحرم ، النوافذ ، المحراب ، زخرفة الحرم ، الشرافات ، النتوءات الكبرى [الأركان]، البروز [النتوء أو الركن] الغربى ، البروز [النتوء أو الركن] الشمالى ، وضع المآذن بالنسبة للأركان المثالية للجامع ، هل ترجع المكعبات إلى نفس تاريخ الجامع ؟. البروز الشمالى ، آخر الأدلة ، نتائج البحث ، المئذنة الشمالية ، المئذنة الغربية ، مقارنة بين زخرفة المئذنة الغربية وزخرفة المدخل التذكارى .
- الأصول المعمارية : التخطيط ، المدخل التذكارى ، المداخل المحورية الثلاثة ، الشرافات ، الدعامات ، وضع المآذن ، المئذنة الغربية ، النجمة الخماسية (خاتم سليمان).
- المصادر والمراجع .... ١١٦ ـ ١١٨

الفصل السادس : النصف الأول من القرن الحادى عشر [ق ٥هـ] .... ١١٩ ـ ١٣٠

- جامع المقس : رواية المقريزى ، أهميته الطبوغرافية
- اضرحة السبع بنات ، الوصف ، كل ضريح يقع فى حوش ، تاريخ بناء الأضرحة ، الأصول المعمارية، المقابر الكانونية .
- مسجد لؤلؤة : وصف المسجد ، مادة البناء ، تاريخ البناء .
- مدخل زيادة جامع الحاكم : وصفه ، الهوية والتاريخ ، الأصول المعمارية .
- القاهرة فى أواسط القرن الحادى عشر[ق ٥هـ] .

الفصل السابع : بيوت الفسطاط .... ١٣١ ـ ١٣٩

- تاريخها وفترة بنائها

- طبيعة الركام
- منزل رقم ١ ، منزل رقم ٢ ، منزل رقم ٣ ، منزل رقم ٥ ، منزل رقم ٦ ، منزل رقم ٧ .
- السمات العامة للمنازل
- الأصول المعمارية
- قطع من الأعمال الخشبية المحفورة من القصر الصغير أو القصر الغربي الفاطمي .

الفصل الثامن : أضرحة جبانة أسوان .... ١٤١ ـ ١٥٥
- وصف جبانة أسوان ـ كارثة أثرية
- المقابر
١ ـ مقابر تتكون من مساحة مسورة مستطيلة وصغيرة .
٢ ـ مقابر ذات حشوات جانبية .
٣ ـ مقابر مقبية .
- الأضرحة : النمط الرابع ـ النمط المستطيل ـ كيف تطورت هذه الأنماط ، نظرية مونيريه ،
- الأضرحة ذات القباب : مناطق الانتقال ، رقاب القباب ، مادة البناء ، مشكلة تاريخ بناء المقابر والأضرحة ، وصف لبعض النماذج ، تصنيف الأضرحة .
- ضريح [مشهد] السبعة وسبعين وليا : وصف سومرز كلارك ، تاريخ البناء .

الفصل التاسع : أعمال بدر الجمالي .... ١٥٧ ـ ١٦٨
- مئذنة أسنا : وصف المئذنة ، السلم ، تاريخ بناء المئذنة .
- مئذنة المشهد البحرى أو الباب قرب الشلال : وصف المئذنة ، تاريخ بناء المئذنة .
- مئذنة المشهد القبلى أو بلال قرب الشلال ، وصف المئذنة ، المئذنة من الداخل ، تاريخ بناء المئذنة .
- المسجد : وصف بينيديت ، إعادة تصور التخطيط ، مادة البناء ، تاريخ بناء المسجد .
- مئذنة أسوان [الطابية] : وصف المئذنة ، المئذنة من الداخل ، تاريخ بناء المئذنة .
- مئذنة أبي الحجاج بالأقصر : وصف المئذنة ، المئذنة من الداخل .
- التاريخ المرّجح للمجموعة [المآذن الخمس].
- مسجد [مشهد] الجيوشى : وصف المسجد ، المسجد من الداخل ، المحراب ، الشرافات ، المئذنة ، مادة البناء ، تاريخ بناء المسجد [المشهد].

الفصل العاشر : التحصينات الفاطمية لبدر الجمالي .... ١٦٩ ـ ٢٠٥
- الظروف التاريخية ـ رواية المقريزى .
- تاريخ البوابات ، انطباعات الرحالة .
- باب النصر : وصفه ، الأبراج وبناؤها ، الملاط ، البوابة ، المجاز ، برج السلم ، المنصة الرئيسية ، التجاويف الثلاثة الغامضة ، الجزء العلوى من البرجين .
- باب الفتوح : وصفه ، الأبراج ، البوابة ، المجاز ، المنصة الرئيسية ، المنصة العليا ،

- أسوار بدر الجمالى : أى جزء من أسوار القاهرة ينسب إلى بدر ، وصف السور الشمالى ، طول الجزء (أ) إلى جنوب باب النصر ، القطاع ب ، درج السلم المكتشف ، البرج الأول ، القطاع (جـ) والبرج الثانى ، القطاع (د) والبروز الكبير ، القطاع (هـ) ، الشرفة الداخلية ، برج السلم الكبير ، القطاع (و) ، البرج ذو الواجهة المستديرة ، القطاع (ز)

الفصل الحادى عشر : التحصينات الفاطمية لبدر الجمالى (تابع) .... **٢٠٧ ـ ٢٢٥**

- باب زويلة : وصفه ، كيفية بناؤه ، الأبراج ، البوابة ، المجاز ، المنصة الرئيسية ، المنصة العليا ، هل كان هذان البرجان أعلى مما هما عليه الآن ؟، استخدام باب زويلة كبرج طبلة ، أصل تسمية باب زويلة بباب المتولى .
- السور الجنوبى : وصفه
- الأصول المعمارية : البرجان الجانبيان المربعان ، المثلثات الكروية ، استخدام الأعمدة كأربطة [ميد] ، العقد نصف الدائرى ، الاعتاب المقوسة ، العقود المنحوتة فى نقطة التقاء مدماكين ، حنايا على هيئة أنصاف قباب بصنجات مروحية ، حنايا على هيئة أنصاف قباب صغيرة للغرض الزخرفى ، أعتاب ذات كتل عاتقة على شكل اسفين ، حليات متصلة ، الصنج المعشقة ، تقاطع الأقبية الأسطوانية المرتفعة ، المخدات المتلاصقة فى باب الفتوح ، الدروع الواقية على باب النصر ، العنصر الزخرفى المستخدم فى الدروع المستديرة ، زخرفة العقد الأمامى بباب الفتوح ، الحشوات ذات العقود المروحية الشكل بباب زويلة .
- ملخص
- المصادر والمراجع .... ٢٢٥ ـ ٢٢٧
- جامع بدر الجمالى بجزيرة الروضة .... ٢٢٨ ـ ٢٢٩
- ملحوظة : رؤوس الثيران على كوابيل باب الفتوح ٢٢٩

الفصل الثانى عشر : وزارة الأفضل شاهنشاه .... **٢٣١ ـ ٢٣٧**

- وفاة بدر الجمالى وتولى ابنه الأفضل خلفا له .
- محراب الأفضل بجامع ابن طولون ، وصفه ، تاريخ المحراب ، الأصول المعمارية .
- المشهد فى أسوان : وصفه ، المبنى الملحق به ، التحليل ، تاريخ البناء .
- خضرة الشريفة (= مسجد الشريفة ؟) : وصفه ، مادة البناء ، هوية البناء وتاريخه .

الفصل الثالث عشر : ستة أضرحة فاطمية متأخرة .... **٢٣٩ ـ ٢٥٠**

- الضريح القديم المواجه لخانقاه بيبرس الجاشنكير [القبة الفاطمية بالجمالية] : وصفه ، المقرنصات
- ضريحا محمد الجعفرى والسيدة عاتكة : ضريح محمد الجعفرى ، ضريح السيدة عاتكة ، المحراب ، تاريخ الضريحين ، تطور المقرنصات : الحلقة المفقودة فى القاهرة القديمة [حى مصر القديمة جنوب القاهرة].
- ضريح الشيخ يونس : وصفه ، منطقة الانتقال ، تاريخ البناء .

- ضريح أخوة يوسف : وصفه ، المحراب الثلاثى ، تاريخ البناء .
- الضريح الفاطمى بقوص : أساس القبة ، منطقة الانتقال ، الرقبة والقبة [الخوذة] ، تاريخ البناء .
الفصل الرابع عشر : أعمال المأمون البطائحى .... ٢٥١ ـ ٢٥٧
- مشهد أم كلثوم : وصفه ، تاريخه ، الأصول المعمارية .
- جامع الأقمر : وصفه ، الواجهة ، زخرفة الواجهة ، الجامع من الداخل ، تسقيف الأروقة الجانبية ، تاريخ الجامع ومراحل بنائه .
- المصادر والمراجع .... ٢٥٨ ـ ٢٦٠
الفصل الخامس عشر : مشهد السيدة رقية .... ٢٦١ ـ ٢٦٧
- وصفه ، المشهد من الداخل ، منطقة الانتقال ، الرقبة ونوافذها ، القبة [الخوذة]، المحراب الرئيسى ، المحاريب الأصغر ، كيف كان الشكل الأصلى للمشهد ؟، تاريخ البناء ، التابوت ، تطور ما يعرف بالدلاية المقرنصة ، ليس هناك أثر يدل على التأثير الشامى والعراقى أو الفارسى .
الفصل السادس عشر : أعمال الخليفة الحافظ لدين الله .... ٢٦٩ ـ ٢٧٨
- فى الجامع الأزهر : أروقة الصحن : وصفها ، زخرفة الواجهة .
- : القبة بمقدمة المجاز القاطع [قبة البهو] : وصفها ، زخارفها ، الزخرفة الشبكية المفرغة للنوافذ ، أقدم نموذج باقٍ للنوافذ ذات الزجاج الملون بمصر ، زخرفة القبة من الداخل ، تاريخ بناء القبة وأروقة الصحن ، الأصول المعمارية : القبة الكائنة فى النهاية الشمالية للمجازالقاطع]قبة البهو]، البيشتاق .
- الأعمال الخشبية المحفورة من ضريح السيدة نفيسة : الباب ، السطح السفلى لعبرة الباب ، المحراب .
- ضريح محمد الحصواتى : وصفه ، الضريح من الداخل ، تاريخ البناء ، الأصول المعمارية .
الفصل السابع عشر : القاعة الفاطمية .... ٢٧٩ ـ ٢٨١
- قاعة الدردير : وصفها ، تاريخ البناء ، الأهمية المعمارية للقاعة .
الفصل الثامن عشر : ضريحا [مشهدا] يحيى الشبيه والقاسم أبى الطيب .... ٢٨٣ ـ ٢٨٩
- ضريح [مشهد] يحيى الشبيه : وصفه ، الحجرة ذات القبة ، المجاز المسقوف ، المحراب ، المبنى الملحق ، التحليل وإعادة تصور الشكل الأصلى للضريح ، تاريخ البناء ، الأصول المعمارية .
- ضريح [مشهد] القاسم أبو الطيب ، وصفه ، مادة البناء ، إعادة تصور الشكل الأصلى للضريح .
- إعادة تصور الشكل الأصلى لضريح [المشهد] أم كلثوم .
الفصل التاسع عشر : بقايا مشهد سيدنا الحسين .... ٢٩١ ـ ٢٩٥
- تاريخ المشهد الحسينى ، وصفه ، الباب الأخضر ، الشرفة ، هوية مبنى الباب الأخضر وتاريخ بنائه .
- مئذنة أبو الغضنفر : تاريخ الجامع والضريح ، وصف الضريح ، المئذنة ، تاريخ المئذنة .
الفصل العشرون : جامع الصالح طلائع .... ٢٩٧ ـ ٣٠٩
- مقدمة تاريخية ، تاريخ الجامع ، تاريخه اللاحق ، إعادة بناء الجامع بأكمله باستثناء الحرم [مقدم

الجامع] ، تقدم البحث ، الواجهة الشمالية الغربية ، الحجرات الركنية والسقيفة الخارجية ، الواجهة الشمالية الشرقية ، الواجهة الجنوبية الغربية ، النصف الأيسر من الواجهة الشمالية الشرقية ، الواجهة الخلفية ، مادة البناء ، الشرافات ، الجامع من الداخل ، هل كان هناك رواق شمالى غربى أصلا ؟ الحرم [مقدم الجامع]، المحراب ، المنبر ، الملقف ، النوافذ ، تاريخ بناء الجامع ، تأثيره على الجوامع اللاحقة ، ملحوظة .

ـ المصادر والمراجع .... ٣١١ ـ ٣١٢

ـ الخاتمة .... ٣١٣ ـ ٣١٥

ـ قائمة بالآثار التى ورد وصفها بهذا المجلد .... ٣١٧ ـ ٣١٩

ـ التعليقات (أ. د. محمد حمزة الحداد). .... ٣٢١ ـ ٤٠٥

ـ ثبت الأشكال واللوحات .... ٤٠٦ ـ ٤٣٥

ـ الأشكال .... ٤٠٩ ـ ٤١٥

ـ اللوحات .... ٤١٦ ـ ٤٣٥

تقديم

كانت العمارة الإسلامية ولا تزال تحتل مكانة مرموقة بين طرز العمارة التى عرفتها الحضارة الإنسانية ، فقد إستطاعت العمارة الإسلامية التى إنتشرت فى أقطار عديدة أن تحقق لنفسها طرازاً فريداً بين تلك الطرز ، حيث أضافت العمارة الإسلامية إلى التراث المعمارى العالمى نظماً تخطيطية لم تكن معروفة من قبل كالجوامع والمدارس والخانقاوات وغير ذلك ، كما أدخلت على نظم العمارة المدنية والحربية أنظمة جديدة جعلت لها طابعا فريدا مميزا .

وإبتكرت العمارة الإسلامية كذلك عناصر معمارية وزخرفية عديدة إتسمت بالمهارة والتنوع والدقة البالغة وبقيمتها الجمالية التى لا تخطئها العين .

وليس أدل على مكانة هذا الطراز وعلو شأنه من أنه قد أثر تأثيراً واضحًا فى العمارة والفنون الأوروبية كما هو معروف .

ومن الحقائق المعروفة فى تاريخ العمارة والفنون أن الطرز المختلفة تكاد تتشابه كلها فى مراحل تطورها من حيث الخضوع لعدد من العوامل العامة التى يتأثر بها كل طراز بطريقته الخاصة فتوجهه وتؤثر عليه عند نشأته وفى أثناء خطوات تطوره وتساعد على خلق شخصيته وطابعه وملامحه .

وقد ساهمت فى نشأة وتطور طراز العمارة الإسلامية عدة عوامل دينية وسياسية واقتصادية وبيئية ، ويمكن القول بأن هذه العوامل تكاد تكون متشابهة فى معظم أقطار العالم الإسلامى مما زاد من الروابط التى تربطها ببعضها توثيقا وهو الأمر الذى أضفى على الطراز الإسلامى طابعه العام الذى يتسم به وهو طابع الوحدة الظاهرة التى لا مجال لانكارها أو التشكك فيها على الرغم من إحتفاظ كل قطر من الأقطار الإسلامية بطابع محلى مميز لها خاص بها .

وفى ضوء ما تقدم يتضح أنه قد تفرع عن ذلك الطراز الإسلامى العام عدة طرز فرعية أو محلية ، إذ أن كل قطر من الأقطار الإسلامية قد أخذ يتخذ لنفسه سمات خاصة وشخصية مستقلة يتميز بها فى قليل أو كثير عن بقية الأقطار الأخرى متأثراً فى ذلك بعوامل البيئة المحلية وغيرها من العوامل السابق الإشارة إليها ، وهو الأمر الذى أنتج عدة مدارس أو طرز فرعية محلية فى كل منها لها سماتها ومميزاتها بالإضافة إلى الطابع الإسلامى العام الذى لا يمكن أن تخطئة العين والذى كانت لها تنضوى تحت لوائه .

ويهمنا من بين تلك الطرز الفرعية المحلية الطراز المصرى ، ذلك الطراز الذى ظهر على أرض مصر وتطور بها وتميز بسمات خاصة ، ولكن دون أن يفقد صلته بالطراز الإسلامى العام الذى هو فرع منه أو بغيره من الطرز الإسلامية المحلية المعاصرة له فى الشرق والغرب والتى أثرت فيه أو أثر هو فيها .

هذا وتحتفظ مصر بسلسلة طويلة متصلة الحلقات تنتظم فيها مجموعة كبيرة من العمائر المتنوعة والمتعددة ، وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه أن نتتبع فى يسر وسهولة نشأة هذا الطراز وتطوره والتأثيرات المختلفة التى وقعت عليه سواء من شرق العالم الإسلامى أو من غربه .

وإذا كان هذا الطراز قد إرتبط فى نشأته وتطوره بعوامل البيئة المحلية المصرية من حيث الموقع الجغرافى المتميز وظروف المناخ وتوفر المواد الخام اللازمة للبناء كالحجر والآجر ، فإنه من جهة ثانية قد إرتبط بالدول

الإسلامية التى حكمت مصر وما تعتنقه هذه الدول من مذاهب دينية فضلا عن إستقرار الأحوال السياسية والاقتصادية فى عهد كل دولة من هذه الدول وما كان يصاحب هذا وذاك من إستقرار الأوضاع الاجتماعية وتحسن العلاقات الخارجية التى كان لها أثرها البالغ فى تبادل التأثيرات المعمارية والفنية .

وإذا كان هذا الطراز قد ظهر بشكل واضح مميز خلال العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ ـ ١١٧١م) ، إلا أن ذلك لا يعنى أنه قد ظهر كاملا فى ذلك العصر فإن بذور هذا الطراز كانت قد غرست ونبتت قبل ذلك العصر كما يستدل من الشواهد الأثرية القليلة الباقية (الحداد ، الطراز المصرى ، ص٢ ـ ٧).

هذا وقد وقعت على العمارة المصرية الإسلامية خلال العصر الفاطمى عدة تأثيرات من شرق وغرب العالم الإسلامى إلا أنها كانت تأثيرات جزئية لم تستطع أن تغير جوهر هذا الطراز أو تفقده شخصيته المستقلة المميزة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن هذه التأثيرات سواء أكانت عناصر معمارية أو زخرفية سرعان ما تطورت وتمصرت أى إكتسبت طابعا مصريا خالصا ظل ينمو ويواصل تطوره خلال العصرين الأيوبى والمملوكى ، بل واستمرت إبان العصر العثمانى . (الحداد ، الطراز المصرى ، ص٧ ـ ٢٤) .

والكتاب الذى نقدمه اليوم للناطقين بلغة الضاد ، سواء من المتخصصين أو من القراء الأعزاء ، يعد عصب دراسة العمارة والآثار الإسلامية فى مصر ، ولا تأتى الأهمية البالغة لهذا الكتاب من أن مؤلفه أحد الرواد من المستشرقين والعلماء الأجانب الذين حملوا منذ أواخر القرن ١٩م والنصف الأول من القرن ٢٠ المنصرم عبء دراسة العمارة والآثار الإسلامية فى مصر فحسب وإنما تكمن هذه الأهمية فى أن هذا الكتاب يعد أول دراسة علمية متخصصة أرست اللبنات الأولى الرئيسة لكل من يتصدى لدراسة العمارة الإسلامية ومراحل تطورها فى مصر .

وليس آدل على ذلك من إستعراض الدراسات والبحوث التى سبقت ظهور هذا الكتاب ، فللوهلة الأولى يلاحظ فى هذه الدراسات السابقة أنها كانت دراسات عامة أى تتناول العمارة والفنون فى مصر الفاطمية ضمن دراسات العمارة والفنون الإسلامية بصفة عامة كما هو الحال فى دراسات كل من : سلادين ، الفن الإسلامى (١) العمارة (١٩٠٧م)، وفاجو الفن العربى (١٩٠٩م)، وريفويرا العمارة الإسلامية (١٩١٤م)، وريشموند ، العمارة الإسلامية (١٩٢٦م)، وجورج مارسيه، فن الإسلام ، (١٩٤٧م) وغير ذلك .

أو ضمن الدراسات المتعلقة ببعض الأقطار والمدن الإسلامية كما هو الحال فى دراسات كل من : مارجليوث ، القاهرة ، القدس ، دمشق (١٩٠٧م)، بريجز ، العمارة المحمدية فى مصر وفلسطين (١٩٢٤م) وغير ذلك .

أو ضمن الدراسات المتعلقة بالآثار الإسلامية فى مصر عامة والقاهرة خاصة كما هو الحال فى دراسات كل من : فرانز ، القاهرة (١٩٠٣م) ، ريشموند ، أهمية القاهرة (١٩١٣م)، ودراسات ديفونشير عن آثار القاهرة (١٩١٧م) و (١٩٢٥م) و (١٩٢٦م)، ودراسة تارشى عن العمارة والفن الإسلامى فى مصر (١٩٢٣م) ودراسة محمود أحمد دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة (١٩٣٩م).

أو ضمن الدراسات المتعلقة بدراسة المساجد المصرية عامة ومساجد القاهرة خاصة ومن أهمها دراسة كل من هوتكير وفيت عن : مساجد القاهرة (١٩٣٢م) . ودراسة محمد عبد العزيز مرزوق عن : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك (١٩٤٢م)، ودراسة حسن عبد الوهاب عن تاريخ المساجد الأثرية (١٩٤٦م).

كذلك اتجهت دراسات أخرى إلى موضوعات محددة مثل نشر النقوش الكتابية أو دراسة الوحدات أو العناصر المعمارية والزخرفية والتأثيرات الفنية أو دراسة الفنون الزخرفية فى العمارة والفنون الإسلامية فى مصر عامة أو خلال العصر الفاطمى خاصة كما هو الحال فى دراسات كل من : فان برشم (الكوربس ، مصر(١) ١٨٩٤م) ، وفيت (الكوربس ، مصر (٢) ١٩٢٩م) وفيت ورفاقه الريبورتوار ١٩٣٥م)، ودراسة فلورى عن زخارف جامع الحاكم والأزهر (١٩١٢م)، ودراسات بوتى : اسهام فى دراسة المقرنصات (١٩٢٩م)، وسائل التحصين فى مدينة القاهرة القديمة (١٩٣١م)، تطور شكل التاء فى المساجد (١٩٣٢م)، ودراسة جورج مارسيه عن التأثيرات الفنية فى مصر (١٩٣٥م) ودراسة لام عن الأخشاب الفاطمية (١٩٣٦م)، وفيت : نقوش فاطمية جديدة (١٩٤٢م)، وحسن الهوارى ، ثلاث مآذن فاطمية (١٩٣٥م)، ومونيريه دى فيليار : جبانة أسوان الإسلامية (١٩٣٠م) وغير ذلك .

ومما له دلالته أن كريزول لم يشذ عن هذه القاعدة كما يتضح من إستعراض بحوثه ودراساته ، التى سنشير إليها فيما بعد ، قبل صدور الجزء الأول من كتابه العمارة الإسلامية فى مصر .

وعلى ضوء ما تقدم تتجلى أهمية كتاب كريزول وقيمته بالنسبة للدراسات التى سبقته ، ونضيف على ذلك فنقول أن هذه الأهمية قد إزدادت حتى بعد صدور هذا الكتاب ١٩٥٢م لأن غالبية الدراسات العربية التى نشرت عقب التاريخ المذكور قد خرجت من عباءة هذا الكتاب المهم ولم تحيد عنه إلا فى القليل النادر كما هو الحال فى دراسات وآراء كل من المرحومين ـ بإذن الله ـ أحمد فكرى وفريد شافعى كما سنشير فيما بعد.

وهنا لا بد لنا من وقفة قصيرة نقدم فيها ـ أولاً ـ ترجمة موجزة لمؤلف هذا الكتاب وأهم مآثره العلمية ـ وثانياً ـ لمترجم هذا الكتاب وأهم مآثره العلمية .

والبروفيسور كريزول هو الكابتن كيبل ارشيلد كميرون ، ولد فى عام ١٨٧٩م بلندن وتوفي في عام ١٩٧٤م، وقضي ما يقرب من نصف قرن مقيمًا بالقاهرة. وقد أخذت شهرة كريزول في الانتشار عبر أوربا وأمريكا؛ فقدرته الجامعات والمعاهد العلمية علي اختلافها وتسابقت الي دعوته لإلقاء المحاضرات بها. وفي عام ١٩٤٦م، منحته جامعة أكسفورد درجة الدكتوراه في الآداب. وفي العام التالي، إنتخب عضواً في الأكاديمية البريطانية؛ ومنحته جامعة برينستون درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب. كما حصل علي العضوية الفخرية في العديد من الجمعيات العلمية في العالم، منها جمعية آثار الهند، معهد الآثار الألماني، الجمعية الشرقية الألمانية، المجمع العلمي المصري، المركز الأمريكي للدراسات الأثرية بمصر، الجمعية الملكية لآسيا الوسطي، وغيرها. كما أنعم علي الكابتن كريزول بالعديد من الأنواط الفخرية، وكان يدعي للمشاركة في لجان الاشراف علي معارض الفنون الإسلامية حول العالم.

ويرجع الفضل إلى الأستاذ كريزويل في إنشاء معهد الآثار الإسلامية فيما بين الأعوام ١٩٣٣م و١٩٥٤م. وكان أول أستاذ للعمارة الإسلامية بجامعة القاهرة فيما بين الأعوام ١٩٣٣ و١٩٥١ . ثم شغل فيما بين الأعوام ١٩٥٦ و١٩٧٤ منصب الأستاذ الفخري للعمارة والفنون الإسلامية بمعهد الدراسات الشرقية الملحق بالجامعة الأميريكية بالقاهرة. وقد بلغ درجة عالية من الشهرة في مجال الآثار والعمارة الإسلامية، وقل أن نجد مؤلفا أو بحثا يخلو من اشارة الي أعماله وأبحاثه المتعددة في هذا المجال. ويكفيه فخرا ذلك الفهرس البيليوجرافي الذي ضمنه جميع ما كتب عن الآثار الإسلامية من أبحاث ودراسات، والذي أكمله من بعده بعض تلامذته المعروفين (بيرسون وماينكه وسكانلون) .

ولا شك أن كتاب العمارة الإسلامية في مصر يعد أحد أشهر مؤلفات كريزول؛ وقد ضمنه خلاصة أبحاثه ودراساته عن العمارة المصرية الإسلامية التي بدأها منذ سنة ١٩١٩م ببحثه الموجز الذي نشرته مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة تحت عنوان «ثبت تاريخي موجز للآثار الإسلامية في مصر حتي عام ١٥١٧م.». ومنذ هذا التاريخ -أي سنة ١٩١٩م- توالت البحوث والدراسات الفردية عن العمارة الإسلامية، مثل بوابات القاهرة، تأسيس القاهرة، جامع عمرو ومشروع إعادة بنائه في أزهي عصوره، الأسوار الضخمة في جامع الحاكم، قلعة الجبل، أصول التخطيط المتعامد في مدارس القاهرة، تطور المئذنة، الفن الإسلامي في مصر، الزخارف الطولونية المكتشفة حديثًا، اكتشافات أثرية حديثة في الفسطاط، الفن الفاطمي (العمارة)، وغير ذلك.

صدر الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية في مصر» في سنة ١٩٥٢م عن مطبعة كلارندن بأكسفورد. وهو يغطي الفترة التاريخية الممتدة فيما بين ٩٣٩ و ١١٧١م.، أي العصرين الأخشيدي والفاطمي. أما الجزء الثاني فنشر في سنة ١٩٥٩م بنفس المطبعة، ويغطي الفترة الممتدة فيما بين الأعوام ١١٧١ و١٣٢٦م.، أي العصر الأيوبي بأكمله وأوائل عصر المماليك البحرية. ويعد الكتاب بجزئيه أهم مصادر العمارة المصرية الإسلامية حتي سنة ١٣٢٦م، ولا غني لأي باحث عنه؛ فهو يمتاز بالجمع بين الجانبين الوصفي والتحليلي في الدراسة. فلم يقتصر الأستاذ كريزول علي وصف العمائر المختلفة؛ وانما كان يعتمد أيضًا علي دراسة العناصر المعمارية والزخرفية وتحليلها لمعرفة الأصول والبدايات الأولي لكل عنصر منها، مع ابراز التأثيرات الوافدة، مشرقية كانت أم مغربية؛ فضلا عن إستخلاص الابتكارات والإضافات المصرية في مجال العمارة الإسلامية.

وعلي الرغم من أهمية هذا الكتاب وغيره من أعمال الأستاذ كريزول العديدة، إلا أنه لم يُنقل منها الي العربية سوى كتاب واحد موجز عن الآثار الإسلامية المبكرة وبعض البحوث القصيرة نشرت بمجلة المقتطف، وبحث قلعة الجبل نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب في سنة ١٩٧٤م. وكان القصد من ترجمته إضافة عمل قيم للمكتبة العربية يخدم دارسي العمارة الإسلامية عامة والعمارة المصرية الإسلامية خاصة.

وهنا لا بد لى ـ ثانية ـ من أن أشيد بالمجهود الفائق والمتميز ، الذى بذله أخى وصديقى الجليل الدكتور / عبد الوهاب علوب أستاذ الدراسات الشرقية المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة فى نقل هذا الكتاب المهم وترجمته إلى اللغة العربية ، وليس هذا بجديد على الدكتور علوب فهو صاحب باع طويل وشهرة واسعة فى حقل التعريب والترجمة خلال العقد الأخير من القرن العشرين المنصرم ، وحتى الآن ، وحسبنا أن نشير ، على سبيل المثال وليس الحصر ، إلى بعض أعماله المترجمة (سواء عن الإنجليزية أو الفارسية) ومنها تاريخ الجزيرة العربية والإسلام (١٩٩٣م) ، أثينة السوداء (الجذور الأفرو أسيوية للحضارة الكلاسيكية) (١٩٩٧م) ، ديانة الساميين (١٩٩٧م) ، مصادر دراسة التاريخ الإسلامى (مع د. الحلوجى) (١٩٩٨م) ، والإسلام فى البلقان وتاريخ المغول وغير ذلك (سواء ما نشر أو لا يزال قيد النشر) .

وها هو الدكتور علوب يضيف جانبا مهما إلى رصيده المتميز وهو جانب العمارة والآثار الإسلامية ، وسوف تشهد الأعوام القليلة المقبلة ـ بمشيئة الله تعالى ـ مزيداً من التعاون المثمر بيننا من أجل إخراج المكتبة الآثارية الإسلامية المعرّبة ؛ وهو المجال الذى تفتقر إليه كثيراً المكتبة العربية .

هذا ولا يقف نشاط الدكتور علوب المتميز عند حد الترجمة فحسب ؛ فإن له العديد من البحوث والدراسات والمؤلفات المنشورة ؛ فضلا عن المعاجم وننوه فى هذا المقام بمعجمه الشهير المرسوم بـ « معجم الآثار والأديان (إنجليزى ـ عربى ـ فارسى) دار الأمين ، القاهرة ١٩٩٦م» .

وأتمنى للدكتور علوب المزيد من التقدم وأسأل الله العلى القدير أن يوفقه إلى ما فيه خيرٌ للعلم وأهله.

هذا وقد روعى فى الترجمة أن تكون مطابقة للأصل ومحققة لكلا المنهجين (الوصفى والتحليلى) ولجميع المعانى التى ضمنها المؤلف فقرات كتابه فقرة فقرة ؛ ومن ثم تم التقيد بتعبيرات المؤلف وتركيب عباراته قدر الإمكان والمحافظة على الروح العامة للكتاب ؛ ولكن دون الاخلال بسياق العبارة العربية .

أما عن المصطلحات فنتمنى أن تكون هذه الترجمة بداية موفقة نحو ضرورة توحيد المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية حيث أنه لا يوجد إتفاق ـ حتى الآن ـ حول دلالة المصطلحات الفنية سواء المصطلحات العربية أو الفارسية أو التركية أو المقابل العربى للعديد من المصطلحات الواردة فى البحوث والدراسات الأجنبية وهو الأمر الذى سبق أن أشرنا إليه من قبل (الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، دراسة تحليلية لبعض المصطلحات الأجنبية المترجمة فى العمارة الإسلامية ...) ويسرنى أن أنتهز هذه الفرصة كى أدعو كافة الباحثين إلى عقد ندوة أو أكثر حول المصطلحات الفنية وضرورة توحيدها حتى يعم النفع وتزداد الفائدة .

وفى ترتيبنا للهوامش التى أدرجها المؤلف أسفل كل صفحة من النص الأصلى ، فضلنا ادراجها داخل المتن (باستثناء هوامش الفصل الأول التى أوردناها بنهاية الفصل) حتى يسهل على القارئ التعرف إليها ؛ إضافة إلى ذلك فقد أبقينا على قائمة المصادر والمراجع التى أوردها المؤلف بنهاية كل فصل كما هى وبنفس ترتيبها زيادة فى الفائدة .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب لم أكتف بمراجعة الترجمة فحسب بل تعاملت مع هذا الكتاب كنص تاريخى مهم بحاجة إلى التحقيق العلمى ؛ وقد إقتضى ذلك أولاً ـ الرجوع إلى جميع النصوص التاريخية فى مصادرها الأصلية ؛ ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن المؤلف كان فى بعض الأحيان يقتطف من النص العربى العبارة أو الكلمة التى يريد الاستدلال بها ، وهذه الطريقة تزيد من المتاعب فى تفهم النص ؛ بل تجعل ترجمة ما إقتطفه المؤلف من النص العربى غير واضحة ، ولذلك فإنه من الأفضل والأنسب إستخراج النص الأصلى وإثباته كاملاً بعد تحقيقه فى مظانه الأصلية ثم وضعه فى موضعه بالمتن المترجم وإذا كان المؤلف قد أضاف إلى النص العربى الأصلى ما لم يرد به أصلا ففى هذه الحالة كان يتم التنبيه فى الحاشية مع التعليق على هذا الموضوع .

وقمت ـ ثانياً ـ بتزويد الكتاب بالعديد والعديد من التعليقات والتحقيقات العلمية (٣٩٥ حاشية ومنها الكثير من الحواشى المطولة) وذلك إعتماداً على المصادر الأصلية والدراسات الحديثة (عربية كانت أم أجنبية) التى نشرت عقب صدور هذا المجلد الذى بين أيدينا عام ١٩٥٢م؛ ولذلك فإن هذه التعليقات تكاد أن تكون وحدها كتابا مستقلا يحوى خلاصة الدراسات الجادة التى نشرت عقب صدور هذا المجلد الأول الذى بين أيدينا عام ١٩٥٢م بكل ما تتضمنه من اضافات وأراء جديدة وهو ما يثرى هذه الترجمة ثراءاً كبيراً بمشيئة الله تعالى .

والحق أن الدافع الرئيس الذى كان وراء حرصى على تزويد هذه الترجمة بمثل هذه التعليقات وتلك التحقيقات بهذا الشكل الذى يجعل منها جزءاً متمما للكتاب الأصلى هو ظهور العديد من الدراسات العربية المنشورة فى العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين المنصرم يغلب عليها الجانب الوصفى البحت وبالتالى لم

تضف فى الجانب التحليلى أى جديد على ما أشار إليه كريزول عن العمارة المصرية الإسلامية فى العصرين الإخشيدى والفاطمى ويستثنى من ذلك دراسات كل من العالمين المرحومين (بإذن الله) فريد شافعى وأحمد فكرى .

ومما زاد الطين بلة إستمرار هذه الظاهرة بل وظهور نوعية جديدة من الدراسات العربية المنشورة فى السنوات العشر الأخيرة والتى لا يصدق عليها سوى مقولة إنها « جامع لمتفرق » أو « قص ولصق » أو « مجرد سدخانة » أى أنها كتب محاضرات للطلبة أو كتب سياحية وبالتالى فإنه لا يشترط ـ فى عرف أصحابها ـ أن تضيف أى جديد ؛ فضلا عن عدم الأمانة العلمية (سرقة أو إنتحال ؛ ويبرر أمثال هؤلاء ذلك بالقول « وقد حتمت علىّ السرعة فى اخراج هذا الكتاب عدم وضع هوامش فى هذه الطبعة ...)؛ وكثرة الأخطاء بل وعدم الإلمام بكافة أدوات ومفردات البحث العلمى الرصين والمنهج العلمى السليم .

ولعل أولى خطوات ذلك المنهج وأبسط قواعده هو الإلمام ـ على الأقل ـ بما إنتهت إليه الدراسات الأجنبية الحديثة التى نشرت عقب صدور هذا المجلد الأول الذى بين أيدينا عام ١٩٥٢م، وهو ما تفتقر إليه غالبية الدراسات العربية المزعومة وعلى الأخص ما نشر منها إبان العقد الأخير كما لا يخفى على الكثيرين من المتخصصين ؛ وهو الأمر الذى يحتاج إلى وقفة طويلة لاحقة بمشيئة الله تعالى .

وعلى ضوء ما تقدم نتمنى ، من الله العلى القدير ، بترجمة هذا الكتاب القيم إلى العربية وما يزدان به من تعليقات وتحقيقات علمية أن يعم النفع وتزداد الفائدة ؛ وأن يكون ذلك حافزاً قويا على نشر البحوث والدراسات الجادة الرصينة وتنشيط الحركة العلمية فى هذا المجال . وهذا هو الغرض الذى نرمى إليه وننشده . فالباحث المدقق نهم لا يشبع لا يمل ولا يكل من طول البحث وعنائه لأنه راغب دائماً فى الوصول إلى لب الحقيقة وكبدها .

وبعد ؛ فأرجو أن أكون قد أسهمت بنصيب فى مراجعة هذا الكتاب المهم ، وفى إستخراج نصوصه التاريخية الأصلية ووضعها فى موضعها بالمتن المترجم ؛ وأن أكون قد وفقت ـ بفضل الله تعالى وتوفيقه وعونه ـ كذلك فى التعليق عليه والتقديم له .

والحمد لله أولاً وآخراً .

أ. د. محمد حمزة إسماعيل الحداد
أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية
كلية الآثار ـ جامعة القاهرة
مصر الجديدة فى
٢٠٠٤/١/١

مقدمة المؤلف

فى كتابنا بعنوان Early Muslim Architecture(١) (العمارة الإسلامية المبكرة) قمنا بتغطية القرون الثلاثة الأولى من الإسلام فى كل الدول ومنها مصر (جامع عمرو ومقياس النيل و جامع ابن طولون)، فهذه أفضل طريقة لدراسة أصول العمارة الإسلامية وتطورها فى عصورها المبكرة. أما هذا الكتاب الذى بين أيدينا، فيقتصر على دولة واحدة هى مصر بدءاً من النقطة التى توقفنا عندها فى الكتاب الأول.

إن أقدم أثر فى مصر بعد جامع ابن طولون هو ضريح الشريف طباطبا الذى شيد فى عهد الأخشيديين[٢]. وخلف هذه الأسرة فى حكم مصر الفاطميون (٣٥٩-٥٦٦هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م)[٣] وتستغرق عمارة عصرهم هذا المجلد بأكمله. ولكن لما كانت هذه الأسرة قد نشأت فى المهدية بتونس حيث شيدت أول جامع فاطمى فى عام ٣٠٨ هـ (٩٢٠م)، فقد رأينا ضرورة البدء من هذه النقطة، فلاتزال هناك بعض الأجزاء الأصلية من هذا الجامع الذى يحظى بأهمية فائقة نظراً لتأثيره على العمارة الإسلامية فى مصر. فمدخله التذكارى الذى يعد الأول من نوعه فى التاريخ الإسلامى والنتوءان الكبيران (قاعدتا مئذنتيه؟) على طرف واجهته الرئيسة، كلها تفسر السمات الرئيسة لجامع الحاكم. إلا أن هذا العمل ماكان ليرى النور لولا اهتمام صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بالفنون والآثار ولولا عطاءه الجزيل إسهاماً فى تكاليف طباعة هذا المجلد.

سنلاحظ فى دراسة العمارة الفاطمية وأصولها أن نظرية التأثير الفارسى التى شاعت فى وقت من الأوقات لم تعد تجد مبرراً لوجودها، وأن التأثير الخارجى فى تلك الحقبة كان آتيًا - كالأسرة نفسها - من شمال أفريقيا، فيما عدا حصون الوزير الأرمنى بدر الجمالى[٤] بماتتميز به من سمات سورية شمالية وأرمينية.

تعتبر هذه الحصون -البوابات الثلاث والسور الشمالي- التى بدأ تشييدها قبل مغادرة الحملة الصليبية الأولى[٥] أرض أوربا بعشر سنوات، أهم آثار ذلك العصر، ولو أنها ظلت غير منشورة ولا تحظى بما تستحقه من اهتمام بسبب احتجابها وراء مبان لا قيمة لها. ولكن تمت الآن ازالة هذه المبانى الرديئة لمسافة ٤٥٠م وبعمق ٤٥م. فكانت النتيجة مشهداً بديعاً يبدأ من باب النصر ويمتد غرباً لمسافة ٢٢٠ متراً بعد باب الفتوح.

كما يتضمن هذا المجلد وصفًا كاملاً وتحليلاً للجامع الأزهر ويحوى أول تخطيط واسع النطاق ينشر له، إضافة الى عدد كبير من الصور الفوتوغرافية للزخارف الجصية التقطت من فوق سلم خشبى ارتفاعه حوالى ١٢ قدما سمحت لى السلطات باستخدامه. كما يتناول تطور الضريح الإسلامى فى علاقته بالسبع بنات وأضرحة القرن الحادى عشر بأسوان.

ومن السمات الأخرى لهذا المجلد احتواءه على مجموعة من الصور الفوتوغرافية المرتبة ترتيبًا زمنيًا وتصور تطور القبة ودلاياتها فى ذلك العصر، بالإضافة الى مجموعة أخرى للمحاريب والمآذن. وأضيفت الى هذه المجموعة الأخيرة مساقط رأسية واسعة النطاق لمئذنتى جامع الحاكم وأخرى لجوامع إسنا والشلال وأبى الحجاج بالأقصر.

الببليوجرافيا: كما فعلت فى كتابى الأول بعنوان *Early Muslim Architecture* (العمارة الإسلامية المبكرة) حاولت فى هذا الكتاب أن أقدم أكمل قائمة بالمصادر والمراجع عن كل أثر من الآثار المعنية، مع إيضاح تاريخ كل مرجع مما يمكن الدارسين، خاصة من لا دراية لهم بالآثار الشرقية، من العثور على المصادر والمراجع المعاصرة لما يدرسونه من آثار. وحين تكون هذه المصادر والمراجع قصيرة نسبياً، فان القارئ يجدها متضمنة فى

النص؛ أما حين تطول، فانه يجدها مرتبة فى نهاية كل باب.

الصور الفوتوغرافية : هناك دائما من يسألنى عن نوعية آلات التصوير والعدسات التى استعنت بها. وقد استعنت فى عملى بآلتى تصوير: (١) آلة تصوير Contessa Nettel (Stuttgart) ١٣ × ١٨ سم ومعها جزء إضافى يتيح تعديلاً بؤرياً قدره ١٥,٥ و ١٣,٥سم حين الضرورة، (٢) آلة تصوير سينكلير Sinclair من خشب الماهوجنى ١٨ × ٢٤ سم.

ك . أ. كريزويل

القاهرة فى يونيو ١٩٥١

الفصل الأول

ظهور الفاطميين وبناء المهدية

سقطت الأسرة الطولونية فى ٢٩ صفر ٢٩٢ (١٠ يناير ٩٠٥م) بعد أن استمرت سبعة وثلاثين عامًا[٦]، وأصبحت مصر ولاية تحت حكم الولاة (ومعظمهم من الأتراك) المعينون من قبل الخليفة العباسي[٧]. إلا أنـــه كانت ثمة قوة جديدة ناهضة فى الغرب وهم الفاطميون الذين تمكنوا من القضاء على أغالبة القيروان فى جمادى الأخرة من سنة ٢٩٦ (فبراير/ مارس ٩٠٩م)[٨]، وكان من المقدر لهم أن يفتحوا مصر فيما بعد وأن يحكموها لمدة تربو على المئتى عام. ونبدأ الآن فى دراسة قيام هذه الأسرة[٩].

ظهور الفاطميين[١٠]

كان الفاطميون [1] يدّعون النسب الى عبيدالله[١١] المهدى الذى زعموا أنه كان أخا الإمام الثانى[١٢] عشر الذى اختفى فى ظروف غامضة بسامراء. إلا أن هناك روايات أخري[2] ترى أنه كان ابن أحد الأئمة المختفين الذين اتبعوا نهج الطائفة بعد وفاة الإمام السابع[١٣]. ولكن على الرغم من الدراسة القيمة التى قام بها دى غويه[3] إلا أن هناك اتفاقًا بين بيكر ورايتماير[4] على أن أصل الفاطميين لايزال أمرًا يلفه الغموض. ويعزو خصوم الفاطميين[١٤] أصل أسرتهم الى ميمون القداح[١٥]، ذلك الكحّال الذى أسس إحدى فرق الشيعة المغالية[5] وتوفى فى عام ٢٦٢[١٦] (٨٧٥م)، فواصل ابنه عبدالله طريقه من بعده، واشترط المرور بسبع مراحل للانضمام الى طائفـــتـــه[١٧]، وادعى لنفسه إمامة آل بيت النبى باعتباره حفيد جعفر الصادق، ونال شهرة واسعة فى الأهـــواز[١٨] لكنه فى النهاية اضطر الى الفرار الى البصرة ومنها الى سَلَمْية[١٩] حيث ولد له ولد أسمـــاه أحمدًا[٢٠].

وبعد وفاته خلفه ولده أحمد الذى أوفد داعيًا [6] الى العراق[٢١] حيث التقى بحمدان بن الأشعث[٢٢] المعروف باسم «قرمط» والذى أعلن خروجه وأسس فرقة القرامطة[٢٣]، وكان هؤلاء هم أسلاف الفاطميين[٢٤]. وكان لأحمد ولدان هما حسين ومحمد المعروف باسم «أبى الشلغلغ»[٢٥]. وخلف حسين أبيه، وحين وافته المنية لم يخلفه ولده سعيد، بل خلفه أخوه أبو الشلغلغ الذى أوفد داعيين من طرفه الى مراكش[٢٦]، وهمـا أبو عبدالله[٢٧] وأخوه أبو العباس[٢٨]. فأقاما بين البربر وحظيا بمكانة رفيعة بينهم، وسرعان ما جمعا حولهما عددًا كبيرًا من الرجال المسلحين وقاما بطرد زيادة الله[٢٩] آخر أمراء الأغالبة من البلاد فى جمادى الأخرة من عام ٢٩٦هـ (فبراير/مارس ٩٠٩م)[7].

عبيدالله أول الخلفاء الفاطميين[٣٠]

كان لحسين ولد تربى فى كنف عمه أبى الشلغلغ وحظى بصيت واسع فى سَلَمية (على بعد ١٥ ميلاً من مدينة حماة) بعد وفاة عمه. لكنه اضطر فيما بعد الى الفرار الى مراكش[٣١] عن طريق مصر حيث تمكن من

تفادى محاولة القبض عليه(٣٢) ليلقى نفس المصير فى سجلماسة؛(8) وتم إنقاذه على يد أبى عبدالله المنتصر الذى أعلن خضوعه وأثنى عليه باعتباره «المهدى المنتظر» فى ربيع الثانى من عام ٢٩٧هـ (ديسمبر ٩٠٩م/ يناير٩١٠م)، وألقيت الخطبة باسمه فى المسجد الجامع بالقيروان بلقب الإمام عبيدالله المهدى أمير المؤمنين.(9) وبعد أربعين يومًا، رحل عبيدالله الى رقادة(٣٣) التى اتخذها عاصمة له الى أن تم إنشاء المهدية (البكري، ص٢٧).

وسرعان ما وجد أبو عبدالله نفسه موضع تجاهل، فداخلته الغيرة فبدأ فى التشكيك فى أصل المهدى وأنه ينبغى أن يظهر كراماته ويبدى دلائل بعثته. فقضى المهدى على الخطر قبل استفحاله بقتله. ونتيجة للمشكلات التى ترتبت على هذا الحادث قرر إنشاء مدينة حصينة لتأمين مستقبل أسرته.(10)

بناء المهدية (٣٤)

بدأ المهدى فى سنة ٣٠٠هـ (٩١٣/٩١٢م)(11) فى الطواف بالسواحل حيث زار تونس وقرطاجة بحثًا عن موقع مناسب لبناء عاصمته الجديدة. وبعد طول تردد، استقر رأيه على شبه جزيرة حمة (أو «جمة») بين سوسة وصفاقس، والتى تبلغ الميل طولاً ولاتتصل بالأرض إلا بعنق لا يزيد عرضه عن ٤٠٠م. يقول ابن حماد(٣٥): «كان له بصر بعلم النجوم فاختطها بطالع الأسد لأنه برج ثابت» (ص ٤١)(12) وهناك إجماع بين معظم المؤرخين على أن عملية الإنشاء بدأت فى الخامس من ذى القعدة سنة ٣٠٣هـ (١١ مايو ٩١٦م).(13) فيذكر التيجانى(٣٦) نقلاً عن كاتب يدعى ابن الرقيق(٣٧) (ص ٣٥٨) أن السور (البري) الغربى الذى كان يضم البوابات أنشئ أولاً؛ أما الأسوار التى يذكر ياقوت أنه كان يمكن أن يمر فوقها فارسان جنبًا الى جنب (معجم البلدان، جـ٤، ص٦٩٤)، فقد تم بناؤها فى سنة ٣٠٥هـ (٩١٨/٩١٧م) حسب قول البكرى (ص٣٠)، أو فى ربيع الأول من سنة ٣٠٤ هـ (سبتمبر/ أكتوبر٩١٦م) طبقا لرواية ابن عذارى (جـ١، ص١٧٦).

هناك جزء من المدينة ردم تحت الماء، وهو الجزء الذى بنى فوقه الجامع الأعظم ودار المحاسبات وعدة منشآت أخرى(٣٨). ويضيف البكرى قائلاً إن المسجد كان يضم تسع بلاطات وإن بناءه كان على درجة كبيرة من الروعة والاتقان.(14)كما بنى عبيد الله قصراً لنفسه، وكان مدخله جهة الغرب؛ وفى مواجهته على الجانب الآخر من الميدان كان قصر ابنه أبى القاسم. وكان مدخله من الشرق(15) ويذكر ابن حماد (ص١٠) أن كلا هذين القصرين و«دار الصناعة» كانوا لايزالون قائمين حين دون كتابه (أى فى سنة ١٢٢٠م). ويرى مارسيه أن قصر عبيدالله كان يحتل النتوء الأرضى الذى يشغله الآن الحصن التركى «برج الرأس» وتتجه واجهته نحو الغرب ويمتد أمامه فضاء بلا أى بناء حديث فوقه سوى صفوف من الأسوار يعتقد أنها بقايا قصر أبى القاسم، ويبدى أسفه على أن الحفائر لم تبدأ بعد بهذا المكان.

وهناك ٣٦٠ صهريجًا وقناة مغطاة تسحب الماء من الخارج(٣٩). يقول البكرى إن «دار الصناعة» التى كانت تقع شرق القصر كانت « تتسع أكثر من مائتى مركب وفيها قبوان كبيران طويلان لألات المراكب وعددها لئلا تصلها شمس ولا مطر »، ومينائها (المرسى) كان منقور فى حجر صلد يسع ثلاثين مركبا، على طرفى المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفى السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت بعد ذلك تحصينا لئلا تطرقها مراكب الروم »(٤٠). وهناك إجماع بين المؤرخين عدا الدمشقى (ص٢٣٤) وابن خلدون(16) على أن عبيدالله غادر رقادة الى حاضرته الجديدة فى سنة ٣٠٨هـ (٩٢١/٩٢٠م) (بينما يرى ابن خلدون أنه غادر اليها فى سنة ٣٠٦هـ(٩١٩/٩١٨م). أما ياقوت وابن خلكان

وابن عذارى فيحددون اليوم بأنه ٨ شوال ٣٠٨ هـ (١٩فبراير ٩٢١م)؛ ويحدد المقريزى الشهر بأنه صفر من عام ٣٠٨هـ. (يوليه/ أغسطس ٩٢٠م) وقد ظلت حاضرة حتى عام ٣٣٤ هـ (٩٤٥/٩٤٦م) حيث استبدلت بها صبرة(٤١).

الأسوار والبوابات

كانت أسوار المهدية فى زمن البكرى تضم « ستة عشر برجًا؛ ثمانية منها فى السور الأول وثمانية فى الزيادة»(٤٢). ويقول ابن حوقل(٤٣) « ولها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبيه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرافقة (أى الرقة) وعلى مثالهما عملا ومثل شكلهما إتخذا »(٤٤) وهو مالا يتفق والمدخل الحالى للمهدية والذى يحتوى على جانبيه على برجين عاليين نصف مثمنين يبلغ ارتفاع كل منهما ما يقرب من ٢٠م؛ وينفتح كل منهما على دهليز مقبى طوله ٤٤م ويسمى «السقيفة الكحلة» [أى المظلمة أو المعتمة]، وبه١٢ دخلة ضحلة ذات مصاطب ليجلس عليها الحراس (مارسيه، جـ١، ص١٣٢-١٣٤).

وينبغى التأكيد على هذا الاختلاف فى ضوء ما ذهب اليه مارسيه حيث يرى أن هذا البناء هو الذى وصفه كل من المقريزى ومارمول.(17) ولانرى من جانبنا أن البناء الحالى يمكن أن يعود الى القرن العاشر. فنرى من جانبنا أن الأبراج المتعددة الأضلاع التى تقع على جانبى البوابة الحالية بناها الأتراك، وتشبه برجين متماثلين آخرين يقعان على جانبى باب القلة(٤٥) بقلعة القاهرة. وبالإضافة الى هذه الاعتراضات، فليس على المرء إلا أن يقرأ قول مارمول كُرْفَجَال(٤٦) بأن المدخل الوحيد على الجانب البرى (فهناك بالطبع باب مائي) كان يقع فى البرج الثانى (ولم يكن بين برجين كما هو الحال الآن). والمبرر الفنى فى نظره يرجع للقصف المتواصل الذى تعرضت له تحصينات المهدية على يد قوات شارل الخامس فى سنة ١٥٥٣، مما يجعله مقتنعًا بأنه كان من المستحيل أن يبقى منها سوى بضع بقايا شائهة.

ويجب أن نأخذ إشارة ابن حوقل الى وجود بوابتين على أنها تعنى مصراعى باب حديدى لبوابة واحدة. ويتضح ذلك من قول البكرى بأن المدينة كان يحاصرها البحر من كل اتجاه عدا من ناحية الغرب حيث تم العثور على المدخل. ثم نجده يواصل حديثه ليحدثنا عن بوابتى المدينة الجديدة وأنهما صنعتا من الحديد ودون استخدام أى نوع من الخشب، وأن كلا منهما كانت تزن «ألف قنطار» (وهو رقم مبالغ فيه لأنه يوازى حوالى ٥٠ طنا، ولعله التبس عليه مع الرقم «مئة قنطار»، وقد نقله بالطبع عن ابن الأثير(٤٧)، جـ٨، ص٧٠)، « وطوله ثلاثون شبرًا فى كل مسمار من مساميرها ستة أرطال » (ص٢٩). ويذكر كل من الإدريسى (ص ١٠٨) والتيجانى والعمرى أنهما كانتا تتكونان من صفائح من الحديد مركبة بعضها فوق بعض. ولايزال المقريزى يعد أكثرهم وضوحًا حيث يقول إنه كانت هناك ثلاث طبقات شدت الى بعضها البعض بمسامير ضخمة. ويذكر كل من التيجانى والمقريزى أنه بسبب وزنهما الهائل، قرر المهدى أن تكون محاورهما زجاجية بحيث يمكن أن يقوم رجل واحد بفتحهما وإغلاقهما. وسنجد أن نفس هذه الحكاية تنطبق على بوابات القاهرة الفاطمية. ويشير البكرى (ص ٢٩) وكتاب الاستبصار (ص ٨) أن هناك عدداً من الحيوانات (الأبراج الفلكية) تم تصويرها على هاتين البوابتين. ويقول مارمول الذى رآهما بنفسه فى سنة ١٥٥٣ إن «كلا منهما كان عليها صورة أسد يواجهه أسد آخر»(٤٨) (مارمول، جـ٢، ص٢٧٠).

وصف مارمول

يصف مارمول كرفجال أسوار المهدية بالحالة التى كانت عليها قبل أن يدمرها شارل الخامس فى سنة ١٥٥٣ بقوله(٤٩):

«... كانت الأبراج الأربعة للجزء الأوسط مربعة؛ أما البرجان الآخران اللذان شيدا على البحر فكانا مستديرين ومرتفعين؛ وكان لها جميعًا أبواب صغيرة تغطيها صفائح من حديد وتتسم بالانخفاض الشديد حتى أن المرء لا يدخلها إلا منحنيًا. وكان كل برج بمثابة حصن مستقل.

وفي البرج المربع الآخر الذى كان بجهة الشرق، كان يقع المدخل الرئيسي. ولم يكن هناك أى مدخل آخر من جهة البر. وكان يحتوى على قبو ضخم مظلم تحت البرج نفسه وست بوابات على مستوى واحد تكسوها صفائح سميكة من الحديد. وكانت البوابة الثانية من الخارج قد صنعت من صفائح سميكة من الحديد بعضها فى بعض بدون أى خشب. وكان على كل منها أسد برونزى فى حالة استرخاء يواجهه أسد آخر. ولم تكن هذه البوابات مسطحة مستوية، بل كانت منحنية الى الخارج. وكانت بكل منها شعرية حديدية تشبه بوابات الصمامات التى كانت تسقط من أعلى البرج. وعلى بعد ثمانى خطوات خارج هذا السور -أو القلعة- كان هناك سور منخفض آخر يبلغ سُمك بنائه ١٢ قدمًا؛ وتسعة أبراج تفصل بينها مساحات واسعة بحيث كان هناك فى المساحة الفاصلة بين كل برجين من أبراج القلعة ثلاثة أبراج صغري. وفى البرج الأوسط، كانت هناك بوابة تميل نحو الشرق. وكانت مساحة المدينة ٥٣٠٠ خطوة على شكل محيط دائرة. وكان تضم أبراجًا فى كل ٣٠ خطوة».

.(*Description generale* , II, fols. 269b-270a)

تدمير المهدية

وفيما يلى نورد وصف نفس الكاتب لعملية التدمير المنظمة التى تعرضت لها التحصينات على يد قوات شارل الخامس فى سنة ١٥٥٣ :

«... كان هناك اثنا وعشرون(٥٠) لغمًا تحت الأسوار والأبراج الرئيسة؛ وكان كل منها يضم عدة تفريعات تجرى تحت المنشآت. ولكى يتم تفجيرها جميعًا فى وقت واحد ، اتخذت الترتيبات التالية: كانوا يعينون جنديًا عند كل من هذه الألغام ومعه فتيل طوله ذراع وذو سُمك موحد. وصدرت الأوامر لهم بإشعال الفتيل لدى سماع دوى مدفع يتم إطلاقه باتجاه البحر. وعند إطلاق ثانى طلقة، كان عليهم أن ينزلوها فى وقت واحد ويضعوها فى ماسورة ضخمة أعدت لهذا الغرض؛ ثم يضعونها فى مداخل الأنفاق بحيث يظل شبران من الفتيل فى البارود. أما بقية الفتيل - شاملا طرفه القابل للاشتعال - فكان يجب أن يبقى فى الخارج حتى يتسنى إشعالها جميعا فى لحظة واحدة ولكى يمكن للنار التى تصل الى البارود أن تفجر الألغام كلها فى نفس اللحظة. وصدرت الأوامر لكل من الجنود بأن يذهب بعد إعداد الفتيل للاطلاع على ما فعله زميله. وكان الضابط المكلف ملزمًا بتنفيذ كل شئ بسرعة كبيرة؛ لأنه إذا انفجر أحدها قبل الأخرى لما تحقق الهدف المطلوب مما كان سيؤدى الى ترك المدينة فى حالة يصعب إعادة تحصينها من جديد ... فكانت الألغام الأولى التى يتم تفجيرها هى تلك التى تقع على الجانب الغربي. وانفجرت كل الأبراج القائمة على الجانب البرى باتجاه الشرق، وهى الأبراج التى كان المهدى قد شيدها بمهارة بالغة وبتكاليف باهظة حتى أن المؤرخين العرب والأفارقة يقولون إنها ما كانت لتصبح أقوى من ذلك إلا إذا صنعت من فولاذ. وأخيرًا كان حجم الدمار على كل جانب فى كل مرة هائلاً لدرجة تجعل الأمر يبدو وكأن كل عناصر الجيش قد خرجت للقتال مرة واحدة. وتغيرت المدينة بأسرها لدرجة تجعل من الصعب أن يتعرف عليها حتى سكانها أنفسهم. وكان هناك لغم واحد من كل تلك الألغام على البوابة البرية لم ينفجر. ونزل «دون هرناندو» بنفسه وفجره فيما بعد لينفجر معه البرجان المشيدان على مدخل الميناء ليكشفا عن أعمدة ضخمة من الرخام تحتهما (انظر لوحة ٢ء) خوفا من تآكل الأساسات بمرور الوقت بفعل أمواج البحر» (II, fol. 283b - 284a) .

في ضوء ما ذكر، لم أندهش حين لم أعثر بين كل هذه الأسوار إلا على جزء صغير يتضح في اللوحة ٢جـ. ويمثل هذا الجزء بقايا برج كان قائمًا على حافة البحر على الجانب الجنوبي من شبه الجزيرة الصغيرة. وكانت هناك فتحة طويلة يغطيها عقد مدبب وتوصل الى الداخل؛ وكانت مبنية من الحجر المصقول. وكانت الكتل صغيرة لدرجة غير عادية وهو ما يذكرنا بنظيراتها في مئذنة القيروان وبعض المباني الفاطمية بالقاهرة، وخاصة مايعرف منها باسم «خضراء الشريفة». ولاتزال هناك بقايا أخرى من السور بالقرب من بوابة المهدية الحالية الى أن تم تدميرها في سنة ١٨٩٩ (مارسيه، جـ١، ص١٣٣).

الميناء

لايزال الميناء قائمًا. وهو عبارة عن حوض مستطيل منحوت في الصخر مساحته حوالى ١٢٦ × ٥٧م. ويرى البعض أن هذا الميناء كان ميناء فينيقيًا قديمًا أعيد إحياؤه على يد الفاطميين.(18) إلا أن كلاً من التيجاني (ص٣٦١) والمقريزي يذكران صراحةً أنه من بناء الفاطميين وحدهم. ويتصل بالبحر بقناة عرضها حوالى ١٥م. ولاتزال آثار البرجين اللذين كانا على جانبي المدخل باقية على حالها كما وصفها مارمول في أعقاب التفجير الذي سبق ذكره. ويمكن رؤية أطراف سبعة أعمدة متراصة على قاعدة البرج الغربي (لوحة ٢ أ)، وهي تعمل كرباط يربط بين الكتل الخارجية والأجزاء الداخلية المبنية من الدبش. ويبدو أن هذين البرجين كانا فوق قبو كان على السفن أن تمر من تحته، إذ لايزال يمكن رؤية بقايا متساقطة في المجاز المائي.

الأعمدة المستخدمة كأربطة [ميد]

تعد هذه الأعمدة على حد علمي أقدم نموذج قائم من هذه التقنية؛ ولا نجده في عمارة الشام قبل الإسلام. إلا أن هناك ما يدل على وجود نموذج إسلامي قديم له. ويذكر المقدسي أن جده (الفلسطيني) استعان به في عكا بين عامي ٢٦٤ و٢٧٠هـ (٨٧٨ و٨٨٣م)، وسنعود الى هذه النقطة فيما بعد.

مسجد المهدية الجامع

وصفه

يحتل المسجد الجامع (لوحتان ١، ٢ب) مساحة عرضها حوالى ٦٠م وعمقها ٨٢م. ويتاخم قبلته إفريز ضيق عرضه حوالى متر واحد. والجانب الشمالي منه تخفيه البيوت. ويتم الدخول الى جانبه الشمالي الغربي عن طريق ثلاثة أبواب تفتح على زيادة تحتوي على مئذنة حديثة ومرحاض وحديقة صغيرة مسوّرة. والمداخل تبدو حديثة، وكذلك السور. وأعتقد أن الزيادة كلها حديثة البناء. وعلى الجانب البعيد، يلاحظ وجود مدخل تذكاري متميز مكون من بروز مستطيل مساحته ٨,٥٥ × ٢,٩٨م وارتفاعه ٨,٧٠م، ويخترقه من الوسط عقد على هيئة حدوة فرس مستدير اتساعه ٤م (لوحة ١ب)، وهو بمثابة الطرف الخارجي لمجاز مقبي بقبو اسطواني يقع خلفه مدخل يغطيه عتب وعقد عاتق ويفتح على المسجد. وعلى جانبي المدخل دخلتان ضحلتان معقودتان على شكل حدوة فرس في أسفله. وعلى جانبي العقد من أعلاه عقدان ضيقان ولكنهما عميقان ونصف دائريين من حيث التخطيط. وهناك حشوات موضوعة بعضها فوق بعض تزين الجوانب الخارجية. وعقود المحاريب العلوية جميعًا تشكل الحواف الخارجية وتقوم على حلية مبسطة تتألف من شبكة وربع دائرة. وتدور أيضًا حول مجاز المدخل على مستوى بروز العقد. وعلى كل من جانبي المجاز وتحت القبو نجد دخلة ضحلة كدخلات الجزء الخارجي.

ويتوج واجهات البروز الثلاث إفريز على شكل سطح بسيط قائم على أعمدة قوامه إفريز مستوٍ بين حليتين ربع دائريتين. وكل ما عدا ذلك مستوٍ تماما وخالٍ من الزخارف سوى قرص ربما كان مزخرفًا فيما مضى بحلية وردية الشكل في الكوشة اليمنى لعقد المدخل.

وفي وسط السور، الى يمين المدخل التذكاري ويساره، هناك مدخلان آخران (B و C)، أولهما، أو على الأقل إطاره المحيط به، يعد مستحدثًا. ويلاحظ خلفه الى اليمين وجود بروز ضخم (لوحة ١ جـ) ناتئ بحوالى ٢,٩٧م (أى ما يوازى نتوء المدخل الرئيسي). وواجهته الشمالية مساحتها حوالى ٧,٣٢م وواجهته الغربية ٧,٨٨م. ولاشك أنه الجزء الأدنى من مئذنة (وسنرى أن مئذنتى مسجد الحاكم اللتين تشكلان بروزين مماثلين تزيد مساحتهما عن ٧,٥م٢). وإذا نظرنا الى الطرف الآخر من الصحن، يتبين وجود بروز مماثل على الطرف؛ ولايعد حرًا منه إلا جانب واحد فقط؛ أما بقية جوانبه (المشوهة جزئيًا) فهي مطمورة في أحد البيوت، ويمكن النظر اليها وفحصها من سطحه.

الجامع من الداخل

إذا اجتزنا المدخل الرئيسى نصل الى سقيفة مقبية تحملها دعامات توازى الضلع المجاور للصحن. وتتفاوت تلك الظلة من حيث العمق، وتتكون من ثلاثة عشر عقدًا يوازى أحدها المدخل الرئيسي، وستة منها الى اليمين ومثلها الى اليسار (لوحة ١ء). والبائكات الثلاث عشرة بين تلك الأعمدة مسقوفة بطريقة واحدة. وينبت من ظهر كل دعامة عقد، وترتكز على هذه العقود أقبية متقاطعة (لوحة ٢ أ). والعقود الستة فى شرق المركز تنخفض قليلاً عن السبعة الأخرى (ويبلغ ارتفاع الواجهة ٤,٠٥م)، إلا أن واجهتها تتراجع بمقدار ٩٦سم. كما أن نقاط ارتكاز القوس لا تزيد عن ٣٩سم فى ارتفاعها بدلاً من ٦٣. لذا فمن المستبعد أن ترجع بقية الأجزاء الى نفس التاريخ. أما بالنسبة لما تبقي، فهناك شكوك فيما إذا كان أصليًا. وكل أشكال العقود تؤيد تلك الشكوك؛ فهى ليست عقودًا مستديرة أو مدببة على شكل حدوة فرس؛ بل هى عقود مدببة قائمة على ركائز بانحناء طفيف. ويقل ارتفاع جزئى السقيفة بمقدار ٧م عن السور الخارجي الذى بنيت بمواجهته، وهذه نقطة محسومة؛ ففى الواجهة الخارجية للسور الغربى الساتر وارتفاعه ٦,٧٠م هناك أخدود صغير يهدف الى استيعاب ماسورة لصرف السطح (كما هو الحال بسامراء). ويجرى هذا الأخدود حتى قمة الواجهة، فى حين أن سطح الرواق وراءه أكثر انخفاضاً بمقدار مترين. من ثم فلابد أن سطح الرواق الأصلى كان أعلى بحوالى مترين.

وفى الطرف الشرقى من السقيفة، هناك غرفة لابد أنها كانت تسد طرف السقيفة الشمالية الشرقية ولم يبق منها شئ حاليًا. ويبلغ عرض الصحن نفسه ٤٩,٠٩م وعمقه ٣٤,٣١م. ويتكون جانبه الشرقى من جدار تام الاستواء وراءه بيوت. وعلى الجانب المقابل، نجد سقيفة تبدو حديثة العهد تمامًا (لوحة ٢ب الى اليمين). وعلى الجانب الأقصي، نجد بائكة بخمسة عشر عقدًا ترتكز على أعمدة (لوحة ٢ب). والعقد الأخير غربًا تقطعه السقيفة الغربية، مما يؤكد حداثة عهده نسبيًا.

الحرم(٥١) [مقدم الجامع]

ويبلغ عرضه ٣٠م وعمقه ٢٣م؛ ولا يحتل سوى الجزء الذى يقع وراء العقود المركزية التسعة للظلة. وخلف الجدار ووراء العقود الثلاثة على كلا الطرفين هناك صحنان مفتوحان مجردان شبيهان بطراز مسجد حسان(٥٢) بالرباط.(19) وتحمل واجهة الحرم تاريخ ١٣٢٣هـ (١٩٠٥/١٩٠٦م). ويتكون الجزء الداخلى من تسع بلاطات

[أروقة] مكونة من ثماني بائكات ذات سبعة عقود يرتكز كل منها على أعمدة، وبالتالى فهناك ٤٨ عموداً، ١٨ منها من الرخام شبه الشفاف بتيجان تمثل مزيجاً غريباً من عناصر كلاسيكية شتي، وعلى كل منها هلالان. وعلمت من محمد بن زينب مفتى المهدية أن هذه الأعمدة من نوع صنع بإيطاليا للتسويق فى المنطقة. وصنعت هذه الأعمدة بعينها خصيصاً ليوسف صاحب طبا الذى كان يشيد مسجداً بتونس فى سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٩/١٧٩٨م)، وأنه لم يقتنع بهم فقرر الاستعانة بها فى إعادة بناء بائكات مسجد المهدية الجامع. وهناك شك فى أن جزءاً كبيراً من هذه البائكات لم يكن قد بنى فى ذلك العهد.

وهناك نقش كتابى فوق المحراب فى الخلف وعليه تاريخ ١٣٣٤هـ (١٩١٦/١٩١٥م)، إلا أن وراءه محراب متميز يمكن إلقاء نظرة عليه من خلال ثقوب صغيرة فى ظهر المحراب الجديد الذى بنى على مسافة متر واحد أمامه. وبفضل الضوء الآتى عبر لوح زجاجى سميك أقيم بحذى السطح المنبسط للمسجد يمكن رؤية تكوينه من خلال فجوة منحنية بأخاديد رأسية مزينة برؤوس محززة.

قام جورج مارسيه قبل عدة سنوات بالنزول الى هذا المكان الذى يضم هذا اللوح الزجاجى الآن، ثم قام برسم صورة إيضاحية للمحراب، وهى الصورة التى سمح لى بعرضها فى هذا الكتاب. ويتضح أن المحراب يتكون من حنية نصف دائرية عرضها ٢سم وعمقها ١,١٠سم تزينها تسع حنايا ممتدة لأعلى ، ضحلة ومستطيلة الشكل يتوج كلاً منها طاقية محارية الشكل. وهذه الطاقية ذات حجمين وتضم خمسة وعشرة أخاديد على التوالي، منها أربع من النوع الأول وخمس من الآخر رتبت بشكل تبادلي. وهناك فجوة لجذع زاوية فى الزاويتين الخارجيتين للمحراب. أما بالنسبة لنصف قبته [طاقية المحراب] فهناك بقايا قبو إلا أن سطحه اختفى تماماً. وفى أول يوليو ١٩٤٨، دخلت مسجد صفاقس الجامع ووجدت أن المحراب يحمل ما يدل على إعادة بناء محراب المهدية لأنه يضم جزءاً محاريا منخفضاً، ولاتزال بعض التجاويف تحتفظ بطواقى متماثلة. ثم يلى ذلك شريط عرضه حوالى ٨٠سم ويتكون من أربعة أسطر بالخط الكوفى يليه نصف قبة (غير مدببة). وبالتالى فقد استنتجت من جانبى أن الجزء المحزز من محرابنا هذا لابد أن نعتبره وزرة وأن نصف القبة كان يفصلها عنه شريط (به نقوش كتابية أو زخرفية) عرضه بين ٨٠سم ومتر واحد. وبدونه كان المحراب سيزداد انخفاضاً وعرضاً.

كيف كان الشكل الأصلى للحرم؟ يخرج مارسيه بعدد من الاستنتاجات فى هذا الصدد (*Manuel*, I, p. 107) من عبارتين لسلادين نوردهما هاهنا للاستشهاد :

١. «... يستنتج من تخطيط هرتز بك (للجامع الأزهر) أن الدكة الحقيقية تشير الى وجود بلاطة وسطى [رواق أوسط] يحيط بها صف مزدوج من الأعمدة، وهو نسق شديد القدم وربما كان مستورداً من تونس (حيث نجده فى المساجد الجامعة بصفاقس وتونس والقيروان والمهدية وبجاية وقفصة وغيرها)» .(20)

٢. فيما يتعلق بتخطيط جامع تونس الكبير الذى يتخذ شكل حرف T ويضم قبة على كل من طرفى البلاطة الوسطى (والقبة الموجودة على الطرف الشمالى مستحدثة) يقول:

«إن هذا التخطيط مطبق فى كل الجوامع التونسية قبل القرن الحادى عشر. فنجده فى مدن تونس وسوسة وصفاقس والقيروان والمهدية وقفصة وبجاية كما سبق أن ذكرنا فى تخطيط جامع ابن طولون» (*Manuel* , I, p. 215).

وهاتان العبارتان غير صحيحتين؛ فالبلاطة الوسطى لمسجد تونس الجامع لا يحيط بها صف مزدوج من الأعمدة (انظر اللوحتين ٩١جـ ، ٩٢أ). والمسجد الجامع فى سوسة ليست به قبة فى كل من طرفى البلاطة

الوسطى ولا أى تخطيط على شكل حرف T. كما أن هذا الجامع لا يشبه جامع ابن طولون من أية ناحية؛ ذلك أن مارسيه يستنتج منها أن «البلاطة الوسطى –حسب قول سلادين– أوسع من البلاطات الأخرى ومن البلاطة العرضية الموازية لجدار القبلة. وهناك قبة على كل من طرفى البلاطة الوسطى وهو نسق يتفق مع الطراز الأغلبي. وترتكز العقود على أعمدة وعلى تيجان أعمدة قديمة. وتحيط بالصحن الرئيسى سقائف [ظلات] ترتكز عقودها المهشمة على دعامات من بناء متين لأعمدة صغيرة» (*Manuel*, I, p. 107).

ويمكن ملاحظة عدم الدقة فى الجزء الأخير من اللوحة (١ء). ويجب الحذر التام فى التعامل مع بقية الأجزاء حيث أنها تقوم على تسليم الكاتب بالأحكام العامة التى أصدرها سلادين. وبالطبع لم يتمكن سلادين من دخول جامع تونس الكبير، فاكتفى بما عرضه من أوصاف شفهية أدلى بها أصدقاؤه التونسيون. وتوضح اللوحة (٩١جـ) أن وصفهم لم يكن دقيقًا تمامًا. وينطبق ذلك أيضًا على مسجد سوسة الجامع الذى لايشبه المجموعة التى صنفه سلادين ضمنها. وقد ينطبق نفس الشئ على مسجد المهدية الجامع أيضًا. ولم تطأه –على حد علمي– قدم أوربى قبل زيارتى له فى سنة ١٩٢٨. وكل ما يمكن أن نتأكد منه بشأن حرمه الأصلى هو أنه كان هناك تسعة بلاطات [أروقة] (متعامدة على الجدار الخلفي) ومن المحتمل أن البلاطة الوسطى منها كانت أكثر اتساعًا من بقية البلاطات وأنه كان به محراب محارى متميز(٥٣).

الفترة الزمنية

نخرج من تحليلنا بالنتائج التالية؛ إن الواجهة الشمالية بأكملها بما فى ذلك المدخل التذكارى والبروز الغربى وما تبقى من البروز الشرقى كلها تعد أصلية، وكذلك المحراب القديم أو ما تبقى منه. يلى ذلك من حيث الترتيب الزمنى ما يحيط بالباب الكائن بالجدار الغربى الساتر؛ يليه الحرم الذى يرجع الى بدايات القرن التاسع عشر؛ ثم واجهته الشمالية التى تعود الى عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥/١٩٠٦م). ويأتى الرواق الغربى بعدها بفترة قصيرة. ويلى ذلك المحراب الحالى الذى يعود الى عام ١٣٣٤هـ (١٩١٥/١٩١٦م).

الأصول المعمارية: المدخل التذكارى

يعد هذا المدخل أقدم مدخل تذكارى معروف حتى الآن. وقبل بداية القرن الرابع (العاشر الميلادي)، كانت مداخل المسجد خالية من الزخارف ومستطيلة بشكل عام وعبارة عن فتحات بحذى الجدار، كما هو الحال فى قصر الحلابات (لوحة ٥٣ب، جـ) وحران (لوحة ٨١) وجامع عمرو لعام ٢١٢هـ (٨٢٧م) وقرطبة (لوحة ٢٨جـ، ٢٩ب) وسوسة (لوحة ٥٩، ٦٠) والقيروان (لوحة ٤٧أ، ب) وسامراء (لوحات ٦٣–٦٥) وأبى دلف وجامع ابن طولون (اللوحتان ٩٧، ٩٨) والتى تخلو مداخلها من أى نوع من المعالجات التذكارية. ثم نأتى الى النموذج الذى وصفناها لتونا ويليه جامع الحاكم المستوحى منه والمداخل التذكارية الثلاثة لجامع بيبرس الأول (٦٦٥–٦٦٧هـ/١٢٦٦–١٢٦٩م). وهى تشبه فى شكلها العام أقواس النصر الرومانية(٥٤) كما يشير مارسيه (*Manuel*, I, p. 109)، وهى أقواس كأقواس تيمجاد أو جميلة (الجم) حيث تقوم الحنايا على جانبى الفاصل بين العمودين.

تأثيره على الجوامع اللاحقة

إن مسجد المهدية الجامع ذو أهمية خاصة لا لكونه أول أثر فاطمى فحسب، بل لتأثيره على الجوامع اللاحقة

أيضاً. فقد شُيد على غراره المدخل التذكارى لجامع الحاكم ومدخل زيادة جامع الحاكم ومدخل جامع بيبرس الأول بصورة مباشرة ، ووضع المئذنتين فى الركنين ، وهو أول نموذج لهذا الطراز ، قد إتبع فى جامع الحاكم .

عبيد الله وتجريد حملتين على مصر

ظل عبيد الله فى الحكم لمدة خمس وعشرين سنة وامتد سلطانه من فاس الى حدود مصر التى جرد اليها حملتين تحت قيادة ابنه أبى القاسم. وفى الحملة الأولي، تمكن الجيش الفاطمى من احتلال الاسكندرية فى الثامن من محرم ٣٠٢هـ (٣ أغسطس ٩١٤م) دون مقاومة، وتقدمت حتى بلغت الفيوم بالطريق الصحراوي. وفى النهاية، أمكن صدها فى ٢٢ جمادى الأخرى ٣٠٢ (١٢ يناير ٩١٥م) وتم طردها بفضل الإمدادات التى وصلت من بغداد. وفى عام ٣٠٦هـ (٩١٨/٩١٩م)، جرد جيشاً آخر على مصر، وتم إخلاء الاسكندرية مرة أخرى دون قتال فى ٨ صفر ٣٠٧هـ (١٠ يوليو ٩١٩م) ليتقدم الجيش الفاطمى الى الفيوم ويستولى على صعيد مصر. ومرة أخرى وصلت قوات من العراق وتم تحرير الفيوم فى ١٨ صفر ٣٠٩هـ (٢٨ يونيو ٩٢١م). وتم إجلاء الغزاة تماماً فى نفس العام (الكندي، ٢٧٨ ؛ وابن عذاري، جـ١ ، ص١٩٠). ولقى معظم جنود جيشه حتفهم عطشاً فى طريق العودة. وعلى الرغم من هذا الانتصار، ظلت الأوضاع فى مصر فى حالة فوضى لسنوات عديدة تالية(٥٥).

وفاة المهدى

توفى عبيد الله بالمهدية فى ١٤ ربيع الأول ٣٢٢هـ (٤ مارس ٩٣٤م) (ابن حماد، ص١٥). وخلفه ابنه أبو القاسم الذى اتخذ لقب القائم. وتلقى القائم دعوة لإرسال جيش الى مصر من جانب حاكم مصر أحمد بن كيغلغ لدى سماعه نبأ خلعه وتنصيب محمد بن طغج حاكماً على مصر فى ٢٣ رمضان ٣٢٣هـ (٢٦ أغسطس ٩٣٥م) (الكندي، ص٢٨٥). فاستجاب القائم لدعوته ودخل الاسكندرية فى ربيع الثانى ٣٢٤هـ (فبراير ٩٣٦م) إلا أن جيشه انهزم وطُرد بعد تكبد خسائر فادحة على يد حسن أخى الأخشيد فى الخامس من جمادى الأخرة ٣٢٤هـ (٣٠ أبريل ٩٣٦م) (الكندي، ٢٨٧-٢٨٨ ؛ ابن الأثير، جـ٨، ص٢١٣ ؛ ابن عذارى ، البيان، جـ١ ، ص٢١٦ _ ٢١٧ ؛ المقريزى ؛ الخطط ، جـ٢ ، ص٣٥١) .

هوامش

1 تعود التسمية فى رأى «جامع التواريخ» الى قيام سلطتهم الروحية والدنيوية على نبل محتدهم الذى يرجع الى فاطمة بنت النبي.

2Quatremere, "Memoires historique sur la dynastie des Khalifes Fatimides", *Journal Asiatique* 3me sér., t. II, pp. 97 ff.; Fournel, *Les Berbers*, II, pp. 30 ff.

3De Goeje, *Mémoires sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides*, Leide, 1886.

4Becker, *Beitrage zur Geschichte Egyptens unter dem Islam*, I, p. 2; Reitemeyer, *Die Städtegrundungen der Araber im Islam*, p. 112.

5 منهم عبدالعزيز بن شداد الحميرى لدى ابن الأثير، جـ٨، ص٢٠، والرواية التالية مأخوذة عن المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٤٨.

6 كان هذا اللقب هو الخامس فى قائمة كبار زعماء الطائفة، انظر مقالة Da'i, Carra de Vaux, in the Encyclopaedia of Islam, I. p. 895.

7 انظر ابن حماد، ط فوندرهايدن، ص٨، وابن الأثير، جـ٨، ص٣٠-٣٦.

8 تقع سجلماسة على أطراف الصحراء الكبرى حوالى مئتى ميل جنوب شرق فاس، وكانت منزلاً للقوافل المتجهة الى بلاد السود، وكانت آخر مرة يرد اسمها فى التاريخ فى النصف الأول من القرن ١٧م، وزار أطلالها الرحالة رولفس عام ١٨٦٤.

9 الجدول التالى يوضح نسبه : [حسب رواية المنكرين والطاعنين فى صحة النسب]

ميمون القداح

عبدالله

أحمد

حسين   محمد (أبو الشلعلع)

سعيد (عبيدالله المهدي) أول الخلفاء

الفاطميين (٩٠٩-٩٣٤م)

10 وكان قتلته يسخرون من احتجاجاته قائلين: «إن من أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك»، عريب بن سعد القرطبي، ابن الأثير، جـ٨، ص٤١.

11 عريب بن سعد القرطبي، ترجمة نيكلسن، ص١٣٦؛ البكري، ص٣٠؛ ويقدم ابن الأثير (جـ٨، ص٧٠) التاريخ على أنه عام ٣٠٣هـ (٩١٥/٩١٦م)؛ ياقوت، معجم، جـ٤، ص٦٩٤؛ ابن عذاري، جـ١، ص١٦٩.

12 ويقول إن هذا هو ماجعل المدينة تحتمل ماحاق بها من نوازل.

13 ابن الأثير، جـ٨، ص٧٠؛ ابن خلكان، وفيات، جـ١، ص٣٨٦؛ ياقوت، معجم، جـ٤، ص٦٩٥؛ أبو الفداء، تقويم، ص١٤٥؛ ابن خلدون، جـ٤، ص٣٨.

14 ويشير مارسيه *Manuel*, i. p. 107 الى أن النص الذى يقرأ «سبعة» يجب تصحيحه الى «تسعة»، والفارق فى العربية فى وضع النقطة.

15 ويشير مارسيه *Manuel*, i, p. 107 الى المصادفة الغريبة فى وضع هذين القصرين كلاً فى مواجهة الآخر شرقًا وغربًا من ميدان،

مما يشبه وضع القصرين الكبير والصغير اللذين بنيا بالقاهرة الفاطمية فيما بعد.

16 ويحدد التاريخ بأنه عام ٣٠٦هـ (٩١٨م).

17 *Description generale de Africa*, II, fols. 269-70.

18 Guérin, *Voyage archéologique*, I, p. 141.

19 Dieulafoy, *La misquée d'Hassân*, XLII, fig. 1.

20 *Manuel d'Art musulman: L'architecture*, I, p. 94.

المصادر والمراجع

٩٧٧/٩٧٦ (وفاة عريب بن سعد القرطبي)

٩٧٨/٩٧٧ ابن حوقل، ص ٤٧-٤٨

١٠٦٨ البكرى، ص٢٩-٣١

١١٥٤ الإدريسي، ص١٠٨-١٠٩

١١٩١ كتاب الاستبصار

١٢٢٠ ابن حماد

١٢٢٥ ياقوت الحموي، معجم، جـ٤، ص٦٩٣-٦٩٦

١٢٠٤ المكين

١٢٣٣ ابن الأثير، جـ٨، ص٧٠

١٢٧٤/١٢٥٦ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط بولاق، ١٢٧٥، جـ١، ص٣٨٦، جـ٢، ص١-٣

١٣٠٠ الدمشقي، ص٢٣٤

١٣٠٦ ابن عذارى، بيان، جـ١، ص١٦٩-١٧٠، ١٧٦، ١٨٧-١٨٨، ٢١٤-٢١٥

١٣٠٦ التيجاني، رحلة

١٣١٨ (وفاة) يحيى الأنصارى، مناهج الفكر

١٣٢١ أبو الفداء، تقويم، ص١٤٥

١٣٢٩ أبو الفداء، تأريخ

١٣٤٠ مستوفى، نزهة القلوب

١٣٤٥/١٣٤٤ ابن فضل الله العمرى، مسالك الأبصار

١٤٠٥ عبدالرشيد البكوى

١٤٠٦ ابن خلدون، العبر (ط بولاق، ١٢٨٤هـ)، جـ٤، ص ٣٨؛ جـ٢، ص ١٨-٢٦

١٤٢٤ المقريزى، الخطط، جـ١، ص٣٥١؛ جـ٢، ص١٢-١٥

1553 Marmol Caravajal, Description generale d'Africa (Granada, 1573), II, fols. 269a and 283b.

النصف الثاني من القرن السادس عشر، أحمد بن على المحلى، تحفة الملوك

1670 Ogilby (John), Africa, p. 269.

١٦٨١ القيرواني، ص٥٤

1862 Guérin (V.), Voyage archéologique dans la Régence de Tunis, I, pp. 132-8 and 140-43.

1881 Wüstenfeld (F.), Geschichte der Fatimiden-Chalifen, pp. 48-9.

1885 Cagnat (R.) and H. Saladin, Voyage en Tunisie. Le tour du monde, XLIX, pp. 294-6.

1907 Saladin (H.), Manuel d'art musulman, I: L'architecture, I, pp. 94 and 215.

1912 Reitemeyer (Else), Die Städtegrundungen der Araber im Islam, pp. 137-41.

1913 De Smet (J. J.), Mahdia (Africa). Tunis, 1913.

1926 Marçais (G.), Manuel d'art musulman: L'architecture, I, pp. 107-9.

1926 Marçais (G.), art. al-Mahdiya, in: the Encyclopaedia of Islam, III, pp. 121-2.

1938 Aziz Suriyal Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages, pp. 411-13.

1947 Marçais (G.), L'art de l'Islam, p. 68.

الفصل الثاني

الأخشيديون

تاريخ الأسرة الأخشيدية

كان محمد بن طغج حاكم مصر الجديد من أصل تركى ، وكان تاريخ أسرته يشبه تاريخ أسرة أحمد بن طولون؛ فكان جده[٥٦] ، كطولون، مجلوبا من فرغانة[٥٧] للخليفة المعتصم[٥٨] أقطعه اقطاعًا بسامراء. وتوفى فى سنة ٢٤٧هـ (٨٦١م) وذهب أحد بنيه واسمه طغج[٥٩] الى مصر والتحق بخدمة ابن طولون[٦٠] . ثم انتقل فيما بعد الى خدمة خمارويه[٦١] . وبعد سقوط الأسرة[٦٢] ، مضى الى بغداد بصحبة محمد بن سليمان[٦٣] . وفى النهاية، زج به الخليفة المكتفى[٦٤] بالله فى السجن مع ابنه محمد (ابن سعيد المغربي، كتاب المغرب، طبعة تالكفيست، ص٥-٧) . وتوفى فى سجنه. أما ابنه، فقد أطلق سراحه وتولى حكم الرملة[٦٥] وتم تنصيبه حاكمًا على دمشق فى سنة ٣١٨هـ[٦٦] (٩٣٠م) . وفى السابع من رمضان ٣٢١هـ (٣١ أغسطس ٩٣٣م) تم تنصيبه حاكمًا على مصر، إلا أن قرار تنصيبه ألغى بعد اثنين وثلاثين يومًا وأسند الى أحمد بن كغلغ بدلاً منه (الكندي، ص٢٨١) .

وتم تنصيب محمد بن طغج حاكمًا على مصر مرة أخرى عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) مما أدى الى ثورة حاكمها الفعلى ابن كغلغ كما رأينا فى الباب السابق (الكندي، ص٢٨٥؛ ابن سعيد المغربي، ص١١-١٢) . وفى رمضان ٣٢٧هـ[٦٧] (يوليو ٩٣٩م) ، منحه الخليفة الراضى لقب الأخشيد[٦٨] لأنه كان ينحدر من نسل حكام فرغانة الذين كانوا يحملون ذلك اللقب الذى يعنى -حسب قول الكندى وابن خلكان- «ملك الملوك» (الكندي، ص٢٨٨، جـ٢، ص١٦-١٧؛ ابن خلكان، جـ٢، ص٦٠) . وكان حاكمًا قويًا ونشطًا. وفى فترة الأحد عشر عامًا التى قضاها فى الحكم، لا نسمع عن وقوع حركات اضطراب أو تمرد. وتوفى فى ٢١ ذى الحجة ٣٣٤هـ (٢٤ يوليو ٩٤٦م) عن ولدين أحدهما فى الرابعة عشر من عمره، وهو أبو القاسم أونوجور، والآخر هو أبو الحسن علي. وخلفاه فى الحكم على التوالى (الكندي، ص٢٩٣-٢٩٦؛ ابن سعيد، ص٤٣) . وعاش الأول حتى ذى القعدة ٣٤٩هـ (٩٦٠م) ، والآخر حتى محرم ٣٥٥هـ (٩٦٦م) . إلا أن كلاً منهما كان فى الحقيقة خاضعًا لسيطرة عبد خصى يقال له كافور كان الأخشيد قد اشتراه عام ٣١٢هـ (٩٢٤م) . ونال كافور الحظوة حتى تم تنصيبه أتابكًا أو وصيًا على الولدين. وبموت الأخشيد، أصبح كافور وصيًا على العرش[٦٩] ونودى بلقب «أستاذ» (ابن خلكان، ص٦١٤) .

وبعد وفاة أبى الحسن علي، رفض كافور إعلان ابنه أبى الفوارس أحمد حاكمًا، وكان صبيًا فى الحادية عشرة من عمره. وتولى حكم مصر إسميًا الى أن وافته المنية فى جمادى الأولى ٣٥٧هـ (٩٦٨م) . ثم تلى ذلك إعلان أبى الفوارس أحمد حاكما لكنه لاذ بالفرار بعد سنة واحدة لدى وصول الجيش الفاطمى بقيادة جوهر. ولدينا من هذه الحقبة[٧٠] (٣٢٣-٣٥٧هـ/٩٣٥-٩٦٨م) أثران هما[٧١] :

١ . مشهد الشريف طباطبا: ٣٣٤هـ (٩٤٣م)

٢ . محراب قديم يتقدم ضريح [مشهد] يحيى الشبيه.

مشهد الشريف طباطبا
(٣٣٤هـ/٩٤٣م)

وصفه : على بعد ٥٠٠م غرب ضريح الإمام الشافعي، وعلى مسافة ٢٣٠م شمال حمامات عين الصيرة الكبريتية، هناك مساحة يحيط بها سور غير منتظم الشكل مساحتها ٢٠ ×٣٠م تقريبًا بطرفها الجنوبى قبتان. وإذا دخلنا من باب يقع على الطرف الشمالى الشرقي، نجد فى الوسط بناءً حديث العهد الى اليسار، ويتكون من فسحة مربعة فى الوسط تغطيها قبة على حنايا ركنية ، وفسحة مستطيلة الى اليمين واليسار تتقدمها قاعة ذات قبو اسطوانى مستعرض عرضها ٢,٤٥م وطولها ١٠م تقريبًا. والجزء الذى تعد هذه القاعة دركاهاً له يلتف حول هذه الدركاه من طرفها الشمالى الشرقي. وهناك عدد من التراكيب متفرقة فى المكان. ومن الغريب أنه لا يحتوى على محراب. وأضيفت الى الركن الشرقى حجرة مربعة مساحتها ٤,٢٥م تغطيها قبة على حنايا ركنية غير متقنة.

كل هذه الأشياء لا تهمنا فى شئ؛ أما إذا طفنا بالمكان، نلاحظ وجود بقايا من بناء مربع من الآجر شديد القدم (لوحة ٣أ) مساحته حوالى ١٨م وتخطيطه واضح. ويتراوح ارتفاع هذه البقايا بين ٦٠ و١٠٥سم ويبلغ ارتفاع جدار القبلة ٦٥سم (ولا يوازى هذا الجدار واجهة المبنى الحديث الذى ذكرناه منذ قليل، مما يرجع الى أن من شيد هذا البناء كان يظن أن القبلة غير دقيقة فأراد أن يصححها بالانحراف بالمحور بمقدار ٣,٥° الى اليمين (جنوبًا، والحقيقة أنه كان ينبغى أن ينحرف به بمقدار ٧° الى اليسار بحيث يصبح ٤٥° جنوب شرق). وفى الوسط، هناك محراب عرضه ١,٥٢م وعمقه ١,١٥م مما يحدث بروزاً خارجياً عرضه ٢,٦٥م.

وهناك أساسات أربع دعامات متعامدة من الآجر لاتزال قائمة ويبلغ ارتفاع إحداها ١,٠٥م. وتتكون جميعًا من جزء مربع مركزى مساحته ٨٥سم أدمج بكل ضلع منه عمود على هيئة ثلاثة أرباع دائرة من الآجر يرتكز على قاعدة ذات حلية قالبية متميزة الشكل (لوحة ٣ب). وأقيمت هذه الأعمدة لتقسيم الداخل الى تسعة مربعات تقسيمًا دقيقًا للغاية. ولا تتفاوت أضلاع هذه المربعات إلا من ٤,٩٣ الى ٥,٠٤ م فقط. ولابد أن هناك اثنى عشر عقداً نتجت عنها؛ إذ هناك عمودان مستطيلان على شكل ثلاثة أرباع دائرة ناتئان من جدار القبلة نرى بقايا أحدهما على الجدار الجنوبى الغربي، ودعامة على شكل حرف T مطمورة فى الجدار الشمالى الغربى بقى منها جزء يبلغ ارتفاعه ٣م تقريباً.

ويشكل العمود الأخير مشكلة؛ فلو لم يكن هناك إلا عمود مدمج واحد كتلك الأعمدة المدمجة التى نراها على جدار القبلة فى هذا الموضع لكنا استنتجنا أن المبنى كان يضم تسع فسحات بين أعمدة تحيط بها أربعة جدران مع وجود باب يواجه المحراب. ولو كانت كالأعمدة الأربعة الكائنة بالوسط، لكانت النتيجة الحتمية أن يتجه عقد آخر باتجاه الشمال الغربى ليساعد على تكوين ما لا يقل عن صف آخر من الفسحات المربعة، مما يجعلها ٤ × ٣ = ١٢ بدلاً من ٩ فقط. ولكن بما أن هذه الدعامة تضم ثلاثة أعمدة مدمجة فقط (بقى منها اثنان بالارتفاع الكامل للدعامة، فى حين لم يبق من الثالث إلا قاعدته المستطيلة) بدلاً من أربعة، فالنتيجة الوحيدة التى نخرج بها أن البناء كان يفتح الى الشمال الغربى من خلال ثلاثة عقود، مما يوحى بوجود صحن يحيط به سور.

مما يؤسف له استحالة البحث عن أية بقايا خارج الجدار الشمالى الغربي؛ فالأرضية منحوتة بعمق يزيد عن

المتر لتكشف عن عدد من القبور المنحوتة فى الصخر وممتلئة بالرمل الى منتصفها.

بعد أن وصفنا الشكل المتميز لهذا البناء الذى يشبه مسجد أسوان الذى قام بنشره سومرز كلارك، ويشبه مسجداً آخر بجوار مئذنة بلال بالقرب من الشلال(٧٢)، عرضت على لجنة حفظ الآثار العربية ضرورة إزالة بقايا الحجارة التى تحجبه لكشف الجدار الشمالى الشرقى ودعاماته وكذلك الدعامة الثانية التى تتخذ شكل حرف T على الجانب الشمالى الغربي. وتمت الموافقة على هذا المطلب وتم تنفيذ المهمة بدقة، وتبين أن المبنى كان أهم مما كنا نتصور. فكشفت عملية الإزالة عن عدم وجود أية جدران خارجية؛ فلم يكن البناء الآجرى الذى يقع وراء دعامات الجدار يشكل جزءاً من جدار خارجى متصل، بل مجرد قطعة صغيرة؛ أى أن دعامات الجدار المفترضة كانت فى الحقيقة دعامات على شكل حرف T. كما تبين أنه حتى جدار القبلة لم يكن متصلاً. إذ وجد أن ركنيه الجنوبى والشرقى دعامتان على شكل حرف L أذرعهما أطول قليلاً من أذرع الدعامات التى تتخذ شكل حرف T لكى تقاوم ضغط العقود بصورة أفضل. وكان الجزء الوحيد من الجدار الخارجى هو ذلك الذى يشكل جانب القبلة من الفسحة التى فيها المحراب بين عمودين.

هكذا يمكن القول إن مسجد أو مشهد طباطبا يعد مقبرة كانوبية مثل السبع بنات، إلا أنه ذو تسع قباب بدلاً من قبة واحدة. وأعتقد أنه بناء فريد فى العمارة الإسلامية(٧٣). أما بالنسبة لوجود المقابر الكانوبية فسنناقشها بصورة أكثر تفصيلاً فيما بعد.

تعريف

ترك ابن الزيات وصفًا لهذه الجبانة [القرافة] بالصورة التى كانت عليها فى سنة ١٤٠١م. فيذكر ضريح القاضى بكار(٧٤) الى الجنوب من باب القرافة(٧٥) بعد عين الصيرة بمسافة قصيرة (الكواكب السيارة، ص٤٨). وهذا هو موضع البقايا الموجودة حاليًا، وهى على بعد ٧٥م الى الجنوب من قبر القاضى بكار وعلى بعد ٢٣٠م الى الشمال من حوض عين الصيرة. كما يقدم قائمة بأفراد أسرة طباطبا المدفونين بمشهد الشريف(٧٦) وهم:

- على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا المتوفى فى سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م)
- أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا
- عبدالله بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا المتوفى ٣٤٨هـ (٩٥٩-٩٦٠م. انظر ابن خلكان، وفيات، جـ١ ، ص٣٦٧-٣٦٩)
- خديجة ابنة محمد بن اسماعيل بن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا المتوفاة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) (الكواكب السيارة، ص٦١)
- أبو الحسن على بن الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا (الكواكب السيارة، ٦٢)
- أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا المتوفى ٣٥٤هـ (٩٦٥م) ووالدته وابنه (الكواكب، ص٦٢)
- نفيسة ابنة على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا
- الشريف طباطبا الأصغر شقيق عبدالله بن أحمد المتوفى فى جمادى الأولى ٣٣٤هـ (ديسمبر ٩٤٣م)

أمينة بن الحسن بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا، وهى والدة على الأزرق .

الحسين بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن (إبراهيم) طباطبا وولده

نفيسة ابنة على الأزرق.

واذا أدرجنا الترتيب الزمنى لمقابر الأشخاص الذين ذكر ابن الزيات أنهم مدفونون بمشهد الشريف طباطبا نخرج بما يلي:

الجيل الثالث	على	توفى ٢٥٥هـ (٨٦٩م)
الجيل الرابع	أحمد	؟
الجيل الرابع	نفيسة	؟
الجيل الخامس	خديجة	توفيت ٣٢٠هـ (٩٣٢م)
الجيل الخامس	طباطبا الأصغر	توفى ٣٣٤هـ (٩٤٣م)
الجيل الخامس	عبدالله	توفى ٣٤٨هـ (٩٥٩-٩٦٠م)
الجيل السادس	الحسن	توفى ٣٥٤هـ (٩٦٥م)
الجيل السابع	على	؟
الجيل السابع	أمينة	؟
الجيل السابع	الحسين	؟
الجيل التاسع	نفيسة	؟

وتتفق أربعة من هذه الأسماء مع الأسماء المدونة على بطاقات معلقة على الجدار أعلى التراكيب بالمبنى الجديد؛ ومن ثم يتضح ماحدث. فقد تعرض المشهد القديم للشريف طباطبا للدمار التام ولابد أن إدارة الأوقاف قررت إقامة مبنى جديد الى الجنوب مباشرة بين ١٨٦٠ و١٨٧٠م ونقلت اليه بعضا من القبور، إن لم يكن جميعها. وفيما بعد، أقيم سور خارجي حول مكان المشهد القديم وبنى الجدار على الجزء الخارجي من الدعامات الكائنة على الجوانب الجنوبية الغربية والشمالية الغربية. أما على الجانب الشمالى الشرقي، فتم بناء الجدار على بعد أمتار قلائل. ولابد أن الزيادة التى تشمل قبة الركن الشرقى تمت إضافتها بعد أن تم بناء المشهد الجديد، ولكن لابد أن ذلك تم قبل سنة ١٩١٢م إذ يتضح تخطيطه غير المنتظم على خريطة للقاهرة روجعت فى ذلك العام.

التاريخ [الفترة الزمنية]

نظرًا لتفرد البناء الذى ندرسه فى القاهرة، ونظرا لأن واحداً من المبانى الأربعة الأخرى بمصر والتى تشبهه بصورة ما يعود الى القرن الحادى عشر وآخر الى القرن العاشر، فإن هناك ما يبرر لنا أن نستنتج أن تاريخ بنائه التقريبى هو عام ٣٣٤هـ (٩٤٣م) وهو تاريخ وفاة الشريف طباطبا الأصغر.

محراب عتيق

وصفه

يلاحظ غرب ضريح [مشهد] يحيى الشبيه وبحذى جداره الخلفي وجود طاقية محارية لمحراب صغير بقيته تحت سطح الأرض. وكان هذا المحراب في حالة مختلفة تماماً حين رآه فرانز قبل ٥٠ عاماً. فيقول في حديثه عن ضريح يحيى الشبيه: «يلاحظ على أحد الجدران المجاورة وجود بقايا محراب جصي بزخارف طولونية» (*Kairo*, p. 134). واختفت كل هذه الزخارف الطولونية الا أن قالباً منها تم نقله لحسن الطالع في سنة ١٩٠٣م، ولايزال محفوظاً بمتحف الفن العربي(٧٧) (لوحتان ٣جـ و١١٤جـ). ومن الواضح كما يشير فلورى (ص١٠٦) الى أن الطاقية المحارية لا يمكن أن تعود الى نفس الحقبة المبكرة التى تعود اليها الزخرفة الجصية. فعلى الرغم من ظهور الطواقي المحارية الشكل في فترة مبكرة جداً من تاريخ الإسلام (ومنها المحراب الرخامي بمتحف بغداد وهو ربما ينتمي الى جامع المنصور) إلا أنها لا تظهر بالقاهرة إلا بعد ذلك بفترة طويلة كما يتضح من الاطلاع على ترتيب المحاريب (لوحات ١١٤ -١٢١). ونلاحظ هنا أن أقدم محراب ذو طاقية محارية هو محراب أم كلثوم (لوحتان ١١٨ب و٨٢ب) ويرجع الى عام ٥١٦هـ (١١٢٢م) وتليه محاريب مشهد السيدة رقية التى ترجع الى عام ٥٢٧هـ (١١٣٣م).

ويتضح من اللوحة (٣جـ) أن المحارة ذات الحافة المزدوجة التسنين تعد دخيلة على الأسلوب المتبع. وكان هناك محراب غير مزخرف أصلاً تتوجه عقود مدببة متحدة المركز والعقد الداخلي منها في تجويف. وكان على جانبي التجويف زوجان من الأعمدة الجصية المدمجة الرفيعة لايزال زوج منهما باقياً. وتتكون الزخرفة من شريط من الأرابسك يمشي على طول القمة وشريط بالخط الكوفي منقوش على الإطار المعقود وحشو كوشات العقد والقطعتان الباقيتان على جانبي التجويف (لوحة ١١٤جـ، ولم يتم وضع قوالب هاتين القطعتين في مستواها الصحيح، حيث كانت الزخارف الأصلية على مستوى أعلى من ذلك).

كانت المقارنة بين الشريط الكوفي وبين نقوش ابن طولون والأزهر ستقدم أساساً آمناً تماماً لأغراض التاريخ. إلا أن النصف السفلي منها تعرض للأضرار على أثر استحداث المحارة مؤخراً لدرجة أن شخصية الحروف لم يعد من الممكن التحقق منها، ولابد لأية محاولة تهدف الى تحديد التاريخ أن تعتمد على تحليل الأرابسك، وهي مهمة قام بها فلورى بإتقان بالغ. حيث يقول:

> «يتكون الشريط الأفقي على القمة (لوحة ٣جـ) من تتابع منتظم لبراعم عريضة وأنصاف مراوح نخيلية وضعت في أزواج مع وجود براعم صغيرة فيما بينها. ونجد كلا العنصرين الزخرفيين متكررين في «الطراز التخطيطي» بسامراء وابن طولون. ومن ناحية أخرى، هناك سمة غير مألوفة، وهي العنصر الزخرفي الثلاثي الوريقات ذو الثقب في الوسط والذى يحمل أنصاف مراوح نخيلية ويربط بين كل برعمة الى الأخرى. وكان هذا العنصر يرتبط أصلاً بالعنصر الثلاثي الوريقات بسامراء والذى يحتوى على ثلاثة ثقوب في الزوايا. وإذا كانت الوريقات الثلاثية للأسطح السفلية لعقود مسجد ابن طولون تتخذ الهيئة التى نراها بسامراء، فإن محرابنا هذا لا يرتبط بالفن الطولوني القديم. ونجد نفس هذه الوريقات الثلاثية المبسطة وقد تكررت في النصف الثاني من القرن العاشر بالجامع الأزهر» (لوحة ٧أ).
>
> ولم يبق من الأشرطة الزخرفية الرأسية على جوانب المحراب إلا حشوتان مستطيلتان صغيرتان (لوحة ١١٤جـ) إلا أنهما يمكن إكمالهما بسهولة من أعلى ومن أسفل. ومن الزخارف، يمكن الحكم بأن هذه الأشرطة لايبدو أنها كانت لها أية

صلة عضوية بكوشات العقود أعلاها، بل كان يفصلها عنها الشريط المنقوش وكانت تدور بزوايا يمنى عند قاعدة العقد وتستمر أفقياً.

وعندما يتم مد نموذج الشريط الرأسى يميناً ويساراً فإنه يتحول الى شريط مميز ذى زخرفة مسطحة. وفى هذا النموذج الأخير، لاتعجز العين حتى غير المدربة فى إدراك العناصر الزخرفية الرئيسية، أى أزواج من أنصاف المراوح النخيلية تتناوب مع البراعم العريضة. وتتصل أشرطة الزخرفة المتوازية ببعضها البعض اتصالاً وثيقاً فى طراز الأرابسك حتى أن أزواج أنصاف المراوح النخيلية والبراعم بالصف العلوى تنبثق عن براعم الصف الذى يقع تحته. وينبغى أن نلاحظ عملية تحول أزواج أنصاف المراوح النخيلية؛ فهى تلتف لولبياً الى أسفل بحيث تقطع البراعم التالية لها، وبهذه الصورة، تتكون برعمة ثانوية بدون شكل حلزونى (وليس لهذه البرعمة الثانوية نصيب فى تحديد تاريخ زخرفة محرابنا هذا، لأنها متوفرة بالفعل بسامراء). وللخطوط الطرفية الانسيابية التى تثرى أنصاف المراوح النخيلية أهمية خاصة؛ فهى تجسم سطحها وتضفى عليها سمة أشد تميزاً. ويزيد وضوح التناقض بين العناصر الزخرفية النباتية فاتحة اللون وأنصاف المراوح النخيلية الفاتحة اللون فى نمط الشريط الممتد. وليس هناك نمط شريطى ممتد بهذا التناغم الإيقاعى بين الضوء والظل بين نماذج سامراء وابن طولون التخطيطية. لذا فهذا الجزء من زخرفة المحراب يعد شاهداً على مرحلة لاحقة من التطور.

وهناك خاصية فنية لابد من ذكرها فى هذا الصدد. فالأشكال النباتية للأشرطة الأفقية والرأسية، باستثناء الورقة النباتية الثلاثية المتصلة، مستمدة من الأسلوب التخطيطى القديم، إلا أنها لاتنتمى الى ذلك الأسلوب كما ينبغى لها، لأن حوافها ليست مستديرة بل متعرجة. وفى هذه الزخارف التى تميل الى البساطة لايتضح التلاعب الدقيق بالضوء والظل، وهو ما يميز الأسلوب التخطيطى فى كل من سامراء وابن طولون؛ بل يقترب من أسلوب الشطف المائل (steep cut) والذى يبدو الضوء والظل فيه فى تناقض تام. ولو كان لدينا الأصل بدلاً من القالب، لزاد وضوح هذا التميز النوعى القائم على منهج العمل. وإذا سألنا عن أصله فإن كوشات العقد الكبيرة تقدم لنا إجابة قاطعة.

تمثل كوشات العقد هذه اتحاداً مفاجئاً بين عناصر شتى من الزخارف، وهى سمة دخيلة على الفن العباسى القديم. ونجد أفضل مادة تصلح للمقارنة فى محرابين مسطحين بجامع ابن طولون. فالزخرفة الموحدة بكل منهما تمثل تناقضاً حاداً مع هذا المزيج من الأساليب الذى نراه بمحرابنا هذا.

ولنلق الآن نظرة على كوشة العقد (فيما عدا زخارف نصفى البرعمة، فإن كوشات العقد تتناسب إحداها مع الأخرى فى كل النواحى بحيث يمكن إكمال الكوشة اليمنى التى تعرضت للدمار من نظيرتها اليسري). فبالإضافة الى أنصاف المراوح النخيلية المعروفة والتى ينشأ أحدها عن عنصر متدلٍ drop motive به ثقوب مثلثة وخط منحوت، يمكن ملاحظة وجود عنصر زخرفى نصف برعمى متقن بالجزء العلوى الى اليمين، وهو مستعار من أسلوب الشطف المائل «التصويرى». وبدلاً من نموذج الشبكة المبسط والذى كان هو القاعدة فى الفن القديم، تم إحلال شريط زخرفى أكثر إتقاناً هاهنا. فكان الفنان الفاطمى المتأخر يفضل الاستعانة بمثل هذه النماذج فى سبيل التمييز زخرفياً بين عناصره الزخرفية الورقية والزهرية (وأفضل مثال على ذلك زخارف محراب جامع الجيوشي، لوحة ٤٨ جـ).

تعد هذه المعالجة الزخرفية للأسطح المستوية سمة ظاهرة للزخارف الجصية القاهرية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر. ولكن لاأهمية لها فيما يتعلق بتطورها. فما كان لها أن تؤثر بأية صورة على إيقاع التصميم التخطيطى (قارن بينه وبين محراب مقام على نهر الفرات). ونقطة التحول الحاسمة هى دخول نمط ساق النبات المتطور على عناصر زخرفية باقية من القرن التاسع . وسبق أن أوضحنا أن هناك أسلوباً جديداً نجم عن دمج الزخرفة التخطيطية بورقة العنب العباسية فى

القرن العاشر (Flury, *Das Schriftband an der Türe des Mahmud von Ghazna Der Islam* , VIII, p. 226f.) ويعد محرابنا هذا أقدم أثر فى مصر، مما يدل على مدى أهميته التاريخية.

تختلف ورقة العنب المعروفة عن أوراق العنب التى نجدها فى الفن العباسى فى سطحها الخالى من أية زخارف. وسنرى أن الشكل البيضاوى المدبب فى الوسط مخوش (مخيّش) وليس مجسمًا ببروز. وكما هو الحال فى أسلوب ورقة العنب بسامراء والقاهرة ودير السريان ونايين، فإن ورقة العنب هنا تحيط بها ساق نبات يطوقها (*Syria* , II, p. 308). كما أن الساق لا ترى فى صورتها النحيفة القديمة، بل كعنصر زخرفى أكثر ثراءً وتطورًا فى تصميمه. فيلاحظ أولاً أن الساق مزدوج، ولانجد لهذه المعاملة غير الطبيعية أثرًا فى الزخرفة الجصية القاهرية بالقرن التاسع. ومن ناحية أخري، يبدى الفن الفاطمى منذ بدايته ميلاً للسيقان النباتية المزدوجة بهدف إبراز الإيقاع التخطيطى للزخرفة. وكما تتضاعف خطوط الزخارف المتشابكة بجامع ابن طولون فى أغلبها، فربما كانت مضاعفة الساق النباتية مستعارة من الزخرفة الهندسية لهذا الجامع (فإذا كان الفن القبطى قد ترك أثارًا حاسمة على تطور الفن الطولوني، فربما كانت الساق النباتية المزدوجة تستخدم فى حقبة زمنية أقدم فى القاهرة؛ فهى تعد سمة للآثار القبطية المصرية لفترة زمنية ممتدة)، حيث ظهر الميل الى إضفاء صبغة هندسية على الزخارف النباتية فى فن القاهرة.

كما نلاحظ تشعيب السيقان وإثراءها بوريقات تملأ الزوايا أو بخطوط مستعرضة تربط بين كل ساقين. ولاتزال التفريعات النحيفة لأسلوب ورقة العنب بسامراء ودير السريان ونايين بدون زخرفة على الإطلاق؛.

التاريخ [الفترة الزمنية]: بعد أن قارنا بين مختلف العناصر الزخرفية للأشرطة وكوشات العقد وبين ما يقابلها قبل ذلك وبعده بالقاهرة، لاينبغى أن نجد صعوبة فى تحديد تاريخ المحراب بصورة أدق من ذلك. فمن الواضح أنه لايعود الى الفن الطولونى فى القرن التاسع. فلانجد فى أى أثر من آثار تلك الحقبة مثل هذا الخليط العجيب من الأساليب الثلاثة الأقدم زمنًا. كما أن زخرفة دير السريان الذى ينتمى الى عام ٩٠٠م تقريبًا (والتاريخ الفعلى هو ١٢٢٥ بتقويم الإغريق، أى ٩١٣-٩١٤م طبقا لما ورد بالنقش السريانى على عتب المدخل الى الهيكل) تمثل مرحلة مبكرة من التطور (*Die Gipsornamente des Dêr es-Sûrjani* , *Der Islam* , VI, Abb. 1-6) وقد يمكن إرجاع المحراب الى القرن العاشر بكل يقين؛ أما ما بقى أن نحدده فهو ما إذا كان يعود الى أصل فاطمى مبكر أم ينتمى الى النصف الأول من القرن العاشر(٧٨). فورقة العنب القديمة التى لا نجدها فى زخارف الجامع الأزهر التى تتميز بدرجة فائقة من الثراء وكذلك أنصاف المراوح النخيلية غير المزخرفة وغياب التداخل بين السيقان النباتية وتزاحم الزخارف، كلها شواهد على أن محرابنا هذا أقدم من بناء الجامع الأزهر، وقد يرجع الى أواسط القرن. ولا أجد ما يبرر إرجاعه الى تاريخ أقدم من ذلك؛ فالشريط المنقوش الضيق فى لوحة (٣جـ) ينم عن نمط متطور من كتابة الحروف الكوفية. ويبين ذلك الجزء من الشريط والذى نجده على الجانب الأيسر من العقد الأوراق النباتية الثنائية والثلاثية الخارجة من الحروف.

ومن المفيد أن نعرف ما إذا كان عمال الجص المصريون هم الذين قاموا دون تأثير خارجي بتعديل شكل سيقان العنب النحيفة فى الفن الطولونى وربطوها بعناصر الأسلوب التخطيطى. فكان هذا الابتكار ذا أهمية بالغة فيما يتعلق ببداية الفن الفاطمي.

هناك على حد علمى أثر جصى واحد يقارب أثرنا هذا زمنيًا. ويتضح فيه مزج مماثل بين العناصر الزخرفية للأسلوب التخطيطى وأسلوب الشطف المائل الزخرفى وزخرفة وريقات العنب. وهو المحراب الجصى لجامع خرجرد(٧٩) الخرب. ويتضح فى هذا المحراب وجود سيقان مزدوجة متطورة مرتبطة بأنصاف مراوح نخيلية ووريقات عنب (E. Diez,

(*Churasandische Baundenkmäler* , Taf. 30). ويميل (ديز) الى إرجاع تاريخ هذا الأثر الى القرن التاسع ويركز بصورة خاصة على الزخرفة ذات الشريط المزدوج القديمة مما لم يكن يتفق والذوق الفارسى اللاحق. ولكنى أرى شيئًا من الخطر فى محاولة إرجاع عمر الأثر الى فترة أسبق بناءً على ندرة بقايا زخرفة المحراب حيث لم يتبق منها شيء، وفى محاولة تحديد علاقته بنايين والذوق الفارسى فى تلك الحقبة (E. Diez, *Persien* , pp. 124-5). وعلينا أن نقنع بالتوصل الى حقيقة أن الأساليب المختلفة الثلاثة الخاصة بسامراء تمتزج معًا فى خرجرد وأن زخارف الساق النباتية تبرز بصورة أوضح فى بلاد فارس فى القرن العاشر منها فى الفن العباسى الأقدم زمنًا. ولا يمكن لنا الآن أن نجيب على السؤال عما إذا كان محرابنا هذا يعد إبداعًا مصريًا أم محاكاة لنموذج أجنبي. على أى الأحوال، يمكن القول إن زخرفته بصورة عامة وعناصره الزخرفية المتباينة تمثل نموذجًا لأهم المحاريب الجصية القاهرية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر.

ونصادف الأشرطة الزخرفية الأفقية ذات البراعم العريضة فى سلسلة من آثار الفن الفاطمى المتأخر، إلا أنها تحتوى دائمًا على عناصر دينارية diaper. كما أن محاريب السيدة رقية (لوحات ١١٩جـ، ء، ١٢٠أ) والتى أشرنا اليها فى البداية، وكذلك المحراب المسطح الخاص بالوزير الأفضل بجامع ابن طولون (لوحة ٧٧) والمحراب الثلاثى بضريح إخوة يوسف يجب أن تذكر فى هذا السياق. ويتضح من الحد الأفقى الأعلى للمحراب الجانبى (لوحة ١١٨أ) من هذا الأثر وجود تناغم متميز بينه وبين عناصر أنصاف المراوح النخيلية الزخرفية.

لعبت الساق المتطورة ومنذ البداية دورًا بارزًا فى الفن الفاطمى لدرجة تجعل الاستشهاد بأمثلة بعينها أمرًا لا ضرورة له. فنصادفها فى أقصى درجات تطورها فى زخرفة محراب جامع الجيوشى فى أواخر القرن الخامس (١١م، لوحة ٤٧)، مما يوضح أن دخول الساق النباتية فى الزخرفة العباسية يعد خطوة محددة الى الأمام؛ فهى تضفى حيوية متجددة وحركة إيقاعية حرة على الكتلة الزخرفية الجامدة للأسلوبين التخطيطى والشطف المائل. ويلاحظ أن الساق النباتية ليست هى الشيء المهم فى التطور الذى حدث بمصر، بل صفتها الإيقاعية المتميزة.

إن الزخارف النباتية ذات السيقان التخطيطية فى الموصل تعطى بتتابع خطوطها المضطرب وتداخلها غير الفعال انطباعًا بالزحام والهمجية إذا ماقورنت بالبنية الرقيقة لمحراب الجيوشي. فالسعى الى إيجاد تدفق إيقاعى واضح فى الخطوط يعد من خصائص الفن الفاطمى منذ بداياته الأولى. وبناء على ذلك، كانت مصر أرضًا غير خصبة للزخارف النباتية اللولبية ذات السيقان القصيرة والخاصة بالأسلوب التخطيطى المبكر، ولو أنها عاشت لفترة طويلة بالأقاليم الشرقية من الدولة الإسلامية.

الفصل الثالث

بناء القاهرة

ولاية المعز

نعود الآن الى الأسرة الفاطمية. توفى الحاكم الثانى [الخليفة القائم بالله] أبو القاسم فى ١٣ شوال ٣٣٤هـ (١٨ مايو ٩٤٦م) بعد حكم دام اثنى عشر عامًا، وخلفه ابنه اسماعيل المنصور الذى أنشأ مدينة صبرة التى عرفت فيما بعد بالمنصورية فى سنة ٣٣٤هـ(٨٠)(٩٤٥/٩٤٦م)(ابن حماد، ص٢٣) أو ٣٣٧هـ (٩٤٨/٩٤٩م) (البكري، ص٢٥)، وكانت رابع مدينة ملكية يتم بناؤها بجوار القيروان. وكان لها خمس بوابات، الباب القبلى والباب الشرقى وباب زويلة وباب كتامة وباب الفتوح (البكري، ص٢٥). وظل فى الحكم الى أن توفى فى شوال ٣٤١هـ (فبراير٩٥٣م) وخلفه ولده المعز وكان آنذاك فى الرابعة والعشرين من عمره، وكان ذا ثقافة رفيعة وكان حاكمًا نشطًا، فتمكن بمعاونة رئيس وزرائه وقائده جوهر(٨١)، وهو من أصل يونانى بيزنطى [رومى]، من إقرار النظام والاستقرار فى ربوع دولته. وكان ذلك تمهيدًا لفتح مصر، وهى مهمة جمع لإنجازها ما يعادل ٢٤ مليون دينار، وقضى عامين فى حفر الآبار وإنشاء منازل القوافل على الطريق الى الاسكندرية (انظر المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٥١-٣٥٢).

الأسباب الفلكية للهجوم على مصر

يرى دى غويه أن المعز فكر فى شن الهجوم على مصر بناء على اتحاد المشترى وزحل فى برج الجدى فى سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م). وفى دعمه لهذا الرأي، يعرض أمثلة عديدة تدلل على أهمية دور الفلك والتنجيم فى الحياة اليومية للشرق فى العصور الوسطي، وخاصة لدى الفاطميين. ويذكر كتب النجوم والسحر التى سرقت من عبيدالله (المهدى فيما بعد) قرب الطاحونة عندما كان هاربًا بأفريقيا. وتمت استعادة هذه الكتب على يد القائم إبان حملته الفاشلة على مصر. ويقال إنها كانت تحوى نبوءة بانتهاء حكم العرب فى المغرب فى أواخر القرن الثالث الهجرى (وهى نبوءة تشبه نبوءة القاهرة لدى المقريزى (الخطط، جـ١، ص٣٧٢-٣٧٣) وقوله بانتشار المجاعة بمصر حين يدخل زحل مدار الجوزاء وحلول الكوارث بها حين يتحد زحل مع المريخ فى برج السرطان. ووردت نبوءة القاهرة لدى ابن خلدون أيضًا). وكانت هذه النبوءة مرتبطة، فى رأى دى غويه، باتحاد زحل بالمشترى فى برج الجدي، وهو ما حدث عام ٢٩٦هـ (٩٠٨م) وهو العام الذى شهد سقوط دولة الأغالبة وعلو نجم الفاطميين وحكمهم للقيروان. ومن المعروف أن الفاطميين كانوا يتوقعون بدء حقبة جديدة وهى حقبة «الدين الحق» مع بدء دولة السماء عام ٣١٦هـ (٩٢٨م). ويرى دى غويه أن المعز الذى عرف ببراعته فى التنجيم علا نجمه باتحاد نجمى مماثل عام ٣٥٦هـ (٩٦٧م) ببداية إعداد حملته الضخمة على مصر (*Memoires sur les Carmathes du Bahraïn*, 1886, pp. 115-28). ويذكرنا أن هولاكو خان لم يجرؤ فى سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وهو فى أوج قوته على مهاجمة بغداد إلا حين طمأنه منجمه الشهير الطوسى (*Memoires*, p. 128).

قد يكون لهذه الاعتبارات أثر على المعز، إلا أننا نعتقد أن يعقوب بن كلس(٨٢) لعب دورًا مهمًا، بل أهم دور فى ذلك طبقًا لقول أبى المحاسن.

فتح مصر وسقوط الفسطاط

كانت مصر فى حالة ضعف أمام أى غزو، نتيجة لما ألم بها من اضطرابات داخلية ومجاعة أدى اليها هبوط منسوب النيل وتفشى الطاعون. وتلقى المعز تقريراً مفصلاً عن الأوضاع فيها من يعقوب بن كلس اليهودى المرتد الهارب. كان يعقوب يهودياً عراقياً ولد ببغداد فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م)، وهاجر الى فلسطين بصحبة أبيه وبدأ تجارة فى الرملة. يذكر ابن خلكان عن ابن عساكر أنه كان يهودياً فاسداً «كسر» أموال التجار، وفى اللحظة المناسبة، فر هارباً من دائنيه. وبعد فترة وفى سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م)، ظهر بمصر فى هيئة تاجر ثرى يتعامل مع حاكمها كافور. وظل نجمه يعلو ويرتقى لديه حتى بلغه يوماً أن كافور قال «لولا أنه يهودى لكان الأولى بالوزارة». فأدرك أن الإسلام هو الدين الحق الأوحد. يقول المقريزى إنه كان يشتاق لتولى منصب الوزارة. لذا فقد تحول الى الإسلام عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، (الخطط، جـ٢، ص٢٩، ٣٠). إلا أن الوزير الفعلى فى ذلك الوقت، وهو ابن الفرات، أدرك صلاحية يعقوب للمنصب بعد إسلامه. وفى العام التالي، حين توفى كافور، ألقاه ابن الفرات فى السجن، إلا أنه تمكن من الهرب بالرشوة، ثم فر هارباً الى بلاط حاكم شمال أفريقيا الفاطمي. ورغم تحوله الى الإسلام، إلا أننا نعلم أنه حين كان بالمهدية انضم الى اليهود تماماً (ابن القلانسي، ص ٣٢، جـ٢، ص٩-١١)، لكنه ظل يتطلع الى الانتقام من مصر، فاتبع خطة بسيطة مفادها حث البلاد التى لجأ اليها هارباً على غزو البلاد التى فر منها. يقول أبو المحاسن (جـ٢، ص٣٩٦، جـ٢، ص٥-٦) إنه كان واحداً من أهم العوامل فى دفع المعز الى تجريد حملة بقيادة جوهر على مصر من خلال الدعاية المناسبة(٨٣).وكان قد أساء استغلال الأزمة المالية وهبوط منسوب النيل وضياع المحاصيل وتفشى الأوبئة وضعف الحكومة المصرية. لكنه لم يرافق جوهر فى حملته على مصر خوفاً من التعرض للهلاك، وفضل العودة اليها بعد استقرار الحملة وذهاب المعز الى مملكته الجديدة بعد ثلاث سنوات ونصف السنة. وما أن حل بها حتى بدأ سياسة مالية شاملة بإدخال دينار جديد، مما أدى الى سقوط قيمة الدينار الراضى الى الثلث، وما ترتب على ذلك من خسائر هائلة بين الأهالى(٨٤) (المقريزي، جـ٢، ص٦). وبعد فترة وجيزة، تولى الوزارة. وحدث أن قام أحد الشعراء بهجائه هو والخليفة فى مناسبتين؛ فزج به الخليفة فى السجن. وبعد فترة، أرسل فى طلبه وعزم على العفو عنه. وحين سمع يعقوب بما عزم عليه الخليفة، تآمر على الشاعر وقتله (ابن الأثير، جـ٩، ص٨٢).

وتم استدعاء القبائل العربية وزحف جوهر على رأس مئة ألف رجل وكمية هائلة من البضائع على ظهور الدواب من القيروان فى ١٤ ربيع الأول ٣٥٨هـ (٥ فبراير ٩٦٩م)، (ابن خلكان، جـ١، ص١٦٦)، ووصل الى الجيزة فى ١٧ شعبان ٣٥٨هـ / ٦ يوليو ٩٦٩م، (ابن حماد، ط فوندرهايدن، ص٤٠)، ثم عبر النهر بقواته وهاجم الجيش الذى احتشد لمواجهته على الضفة الشرقية وأنزل به هزيمة ساحقة، واستسلمت المدينة على أثر تلك الهزيمة(٨٥)، وزحف الجيش الى الفسطاط منتصراً وعسكر بالسهل الرملى العظيم الى الشمال وكان يحده من الشرق المقطم، ومن الغرب الخليج وهو ترعة متفرعة من النيل تسير شمال الفسطاط وتمر بهليوبوليس القديمة وتنتهى عند السويس. وكان هذا السهل الرملى خاليا من المبانى إلا ما كان يخص حديقة كافور [البستان الكافورى] وديراً قبطياً يسمى «دير العظام» (وهو الموقع الذى حل محله فيما بعد جامع الأقمر) وقصر صغير يسمى «قصر الشوك»(٨٦) وهو اسم لايزال باقياً كاسم لأحد الأحياء.

بناء القاهرة

فى نفس تلك الليلة «اختط» جوهر موقع القصر الذى تم إعداده لاستقبال المعز. وحين أتى كبار رجال الفسطاط فى صباح اليوم التالى لتهنئته، وجدوا الأساسات حُفرت بالفعل (*L'Histoire sur la topographie du Caire*, p. 415) . وشيد سوراً مساحته ١٢٠٠م٢ من الطوب اللبن (ابن دقماق، جـ٥، ص٣٦) . يذكر المقريزى أن جزءاً كبيراً من هذا السور كان لايزال قائمًا فى عصره «على مسافة ٥٠ ذراعًا وراء السور الحالي» أى سور صلاح الدين بين باب البرقية ودرب بطوط الى أن تهدم فى سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠م) . ويبدى دهشته من ضخامة حجم الطوب الذى بنى به هذا السور والذى يصفه بأنه يبلغ الذراع طولاً وثلثى الذراع عرضًا. ومن الغريب أن ياقوت يستخدم نفس تعبير المقريزى فى وصفه لسمك جدار قصر المهدية أولى العواصم الفاطمية، وهو أنه كان يكفى لعبور فارسين من فوقه (يقول فان برشم إن الذراع الذى قصده المقريزى هو الذراع البلدى الذى كان أساس وحدات القياس المصرية وطوله ٥٨٢٦م، مما يعنى أن حجم الطوب المقصود هنا هو ٣٨,٥×٥٨سم) .

والسبب في تشييد هذه الأسوار الدفاعية العريضة هو تمكين المدافعين عن السور من التعبئة السريعة عند أية نقطة تتعرض للتهديد عن طريق التسلق وما الى ذلك. وكانت عادة المحاصرين منذ عصر الرومان أن يقيموا أبراجًا خشبية متحركة كبيرة وارتفاعها أعلى من الأسوار المستهدف مهاجمتها. وكانت هذه الأبراج حين توضع عند الأسوار تسيطر على الأسوار الدفاعية وتسمح بإنزال قوات وراءها عن طريق الجسور المتحركة. وما لم تكن الأسوار الدفاعية عريضة بما فيه الكفاية، ما كان يمكن للقوات المحاصرة أن تصد القوات المهاجمة (Violett-de-Duc, *Military Architecture*, transl., pp. 24-5) .

كان المفترض فى ذلك السور أن يكون حصنًا يضم قصرا للخليفة (يعرف «بالقصر الشرقي» أو «القصر الكبير») وإدارات حكومية وأحياء للحاميات. وكانت هناك منشآت أخرى كالخزانة ودار سك العملة [دار الضرب] والمكتبة والضريح الملكى [التربة المعزية أو تربة الزعفران] ودار الصناعة والاسطبلات وما الى ذلك. وتبدو نوايا جوهر صريحة لدى ابن دقماق الذى يذكر أنه بنى القصور لسيده بحيث يبقى عليه وعلى رفاقه وجيشه بمعزل عن عامة الناس كما جرت العادة فيما بعد بالنسبة للملوك من أبناء عبدالمؤمن [الدولة الموحدية] الذين فعلوا ذلك فى مراكش وتلمسان وأماكن أخرى .

وسمى القصر فى البداية «المنصورية» (ابن دقماق، جـ٥، ص٣٥) على اسم قصر المنصورية الذى بناه المنصور بالله والد المعز خارج القيروان. وكان هذا التطابق في الأسماء مثار دهشة الباحث كاى ("Al-Kahira and its Gates," *J.R.A.S.*, 1882, p. 233) الذى يعلق قائلاً ان تشييد مدينة حصينة ومنعزلة كان يتفق على ما يبدو وعادة البلاط الفاطمى (والأغلبى من قبله)، وإن المنصورية كانت دون شك النموذج الذى بنيت القاهرة على غراره ولو أنها لم تكن نواة لمدينة جديدة ولم تتفوق على القيروان وهى العاصمة القديمة. ومن الواضح كما يشير رايتماير (*Städtegründungen*, p. 114) أن جوهر كان مكلفًا ببناء مدينة حول قصر بما يشبه العلاقة بالفسطاط كما هى العلاقة بين المنصورية والقيروان. وفى هذا الصدد، يذكر أن بوابتين من بوابات المنصورية سميتا باب زويلة وباب الفتوح (البكري، ص٢٥) وهما اسمان سنرى أنهما اختيرا لبوابتين من بوابات القاهرة، وهو ما يذكرنا بما تم فى المدينة الصينية بكين، تلك المدينة التترية أو «البوابة المحرمة» كما اختطها قبلاى خان بعد ذلك بثلاثة قرون. وكما يشير كاي، ليس هناك ما يدل على أن جوهر أو سيده كان يهدف الى بناء مدينة

جديدة بالمعنى المعتاد للكلمة أو كان يتنبأ بما حدث فيما بعد وهو تحرك سكان المدن الثلاث الفسطاط والعسكر والقطائع وسكناهم بجوار الحصن الملكى وتدفقهم بعد أن قضى صلاح الدين على هذه الأسرة فى سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) الى داخل السور وبناء المساجد والمبانى الخاصة على أنقاض قصورها التى سارع إليها الخراب . ولم يكن يسمح لأحد حتى ذلك الوقت باجتياز أسوار القاهرة إلا لجنود الحامية وكبار رجال الدولة (*J.R.A.S.*, p. 231) . أما بالنسبة لموقعها فيذكر المقريزى فى خططه (جـ١ ، ص٣٦١) « وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هى اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر (أى الفسطاط) ليقاتلهم من دونها » .

لحظة مناسبة حددها المنجمون

كانت القرارات الهامة كبناء مدينة تحت حكم أسرة كالفاطميين الذين كانوا رمزاً للزهد لايتم البت فيها إلا بعد استشارة المنجمين (وهو ما حدث كذلك بالنسبة لبناء بغداد) . فأمر جوهر باستدعائهم وأمرهم باختيار اللحظة المناسبة لبناء مدينة لايطرد الفاطميون منها أبداً . وأقيمت الأعمدة على طول الخنادق التى تم حفرها لوضع أساسات السور؛ وتم ربط الأعمدة بحبال تتدلى منها أجراس بحيث يمكن للمنجمين حين تحين اللحظة المناسبة أن يرسلوا إشارة على طول خط الخنادق. وأمروا الفعلة والبنائين بالاستعداد لإلقاء الحجارة وكل ما تصل اليه أيديهم فى الحفر. ولكن قبل حلول الساعة المناسبة، حط غراب على الحبال فرنت الأجراس وبدأ الفعلة فى العمل ظناً منهم أن إشارة البدء صدرت من جانب المنجمين. وفى تلك الساعة، كان كوكب المريخ فى صعود، وكان هذا الكوكب يسمى عندهم «قاهر الفلك»، مما اعتبروه نذير شؤم (المقريزي، جـ١ ، ص٣٧٧) . ويتضح من رواية المقريزى مع افتقارها الى التماسك أن المدينة الجديدة سميت فى البداية **بالمنصورية على اسم مدينة القصر**(٨٧) التى بنيت خارج القيروان بأمر من **المنصور بالله ثالث**(٨٨) الخلفاء الفاطميين، وأن اسم «القاهرة» لم يتم اختياره لها إلا عندما جاء المعز الى مصر، أى بعد أربعة أعوام، حيث رأى من قراءته لخريطة البروج أن هذا الاسم فأل حسن(٨٩) . ويذكر المقريزى أن الأسوار كانت تشيد بالطوب اللبن وأن المدينة ظلت تسمى بالمنصورية الى أن أمر المعز حين جاء اليها بعد أربع سنوات (٧ رمضان ٣٦٢هـ/١١ يونيو ٩٧٣م) بتغيير اسمها الى «القاهرة» مع أنه بعد ذلك بسبعة أسطر فقط يحكى قصة المنجمين بطريقة توحى للقارئ بأن اسم «القاهرة» تم اختياره فى تلك اللحظة، فى حين أن ابن دقماق كان واضحاً تماماً فى هذه المسألة. وكان كل من لين (*Cairo Fifty Years Ago*, pp. 24-6) رافيس (*Essai*, I, p. 420) هما اللذان أوضحا هذه النقطة الأخيرة عند المقريزي، وهى نقطة يبدو أنها فاتت على لين پول (*History of Egypt*, p. 103) . أما بيكر فيتبع رأى رافيس فى مقالته عن القاهرة بدائرة المعارف الإسلامية.

السمات الأسطورية للقصة

كانت قصة المنجمين والغراب من الوضوح بحيث أن الكتّاب الذين تناولوا بناء القاهرة لم يفكروا فى الارتياب فى مصداقيتها. ويبدو أنه فاتهم أن المسعودى روى بدوره حكاية مشابهة فى روايته التى يبدو الجانب الخرافى واضحاً فيها عن بناء الاسكندرية على يد الاسكندر الأكبر. فيقول إن العمال وقفوا متراصين بأمر من الاسكندر على طول خط تم تحديده للمدينة الجديدة، ونصبت العصى على طول هذا الخط وربطت فيها الحبال، وكان أحدها مشدوداً الى دعامة رخامية وضعت على باب خيمة الملك. وعلقت الأجراس على الحبال

وظل الفعلة ينتظرون إشارة البدء التى كان عليهم أن ينطلقوا لدى سماعها وفى لحظة واحدة الى العمل فى القاء الأساس. وكان الاسكندر يأمل بذلك أن يضمن لبدء بناء مدينته أن يتم فى «ساعة سعد». ولكن حين حل اليوم الموعود وحانت اللحظة المختارة، ثقلت جفونه وغلبه النوم، فحط غراب على الحبال فى لحظة ورنت الأجراس وبدأ العمال فى العمل. واستيقظ الاسكندر، وحين أدرك ما حدث قال «كنت أتمنى شيئاً ولكن الله أراد شيئاً آخر» (المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٤٢٣ - ٤٢٥).

هكذا يتضح أن القصة التى رواها المقريزى كانت متداولة قبل بناء القاهرة بست وعشرين سنة، مما يلقى ضوءاً جديداً تماماً على القضية. فلم يعد من الممكن تقبل رواية المقريزى إلا بتحفظ شديد. بل أعتقد أن ما سبق ييسر لنا أن نعتبرها خرافة.

الأسوار والبوابات

يمكن تتبع تخطيط سور القاهرة فى الجزء الأكبر منه من خلال المعلومات التى يقدمها المقريزى فيما عدا الجزء الكائن بين باب النصر وباب البرقية فليست بين أيدينا أية تفاصيل عنه. ونظراً لإتمام العمل المبدئى ليلاً وفى عجلة شديدة، لوحظ فى صباح اليوم التالى وجود ازورارات فى تخطيط القصر حيث لم تكن الخطوط مستقيمة (ابن خلكان، جـ١، ص١٦٨). ولاشك أن ذلك ينطبق أيضاً على جدران السور الخارجى الرئيسي. ومع ذلك كان مستطيلاً مساحته ١١٠٠م تقريباً من الشرق الى الغرب، و١١٥٠م تقريباً من الشمال الى الجنوب. وكان السور الجنوبى يواجه الفسطاط والسور الشرقى يواجه المقطم وكان السور الشمالى مفتوحاً على الريف والغربى يحاذى الترعة (الخليج). وعلى مسافة غير بعيدة منه بنى قصر اللؤلؤة(٩٠). وفيما بعد بنيت دار الذهب(٩١) على المساحة الفاصلة (المقريزي، جـ١، ص٤٦٧). وظلت الترعة قائمة الى حوالى عام ١٩٠٠ حيث تم ردمها وأجرى خط للترام فوقها وتسمى اليوم شارع **الخليج المصري**(٩٢)، ويوازيه شارع بين السورين. ويذكر المقريزى أنه كان فى عهده صفان من المبانى يطل أحدهما على الخليج والآخر على الطريق الذى يصل بين باب القنطرة وباب سعادة ويسمى بين السورين (المقريزي، جـ٢، ص٢٤).

أما السور الذى أقيم فيما بعد، وهو سور صلاح الدين، فكان فى المنطقة الفاصلة بين هذا الشارع وبين الخليج، مكان صف البيوت التى كانت شرفاتها تطل يوماً على الخليج وأبوابها تفتح على شارع بين السورين، أى أن أبوابها كانت مغلقة على الخليج. إذ لم تكن المسافة الفاصلة بين الخليج والشارع تزيد عن ١٥م. ولابد أن السور الخارجى (السابق) كان يقع على الجانب الآخر من هذا الشارع، بينه وبين درب سعادة، أى وراء السور اللاحق بمسافة تتراوح بين ٣٠ و٥٠م.

كان هناك حسب رواية المقريزى ثمانى بوابات هى كالتالي: باب زويلة ذو القوسين فى السور الجنوبي؛ باب الفرج فى السور الغربى (وسنرى أن هذه البوابات لابد أن كانت تقع فى الجانب الجنوبي)؛ وباب سعادة وباب القنطرة أيضاً فى السور الغربي؛ وباب الفتوح وباب النصر فى السور الشمالي؛ وباب البرقية وباب القراطين فى السور الشرقى (تغير اسم الأخير ليصبح «باب المحروق»). وكانت هناك بوابة أخرى هى باب الخوخة وبنيت حسب رواية المقريزى بعد عصر جوهر (المقريزي، جـ١، ص٣٦١ ـ ٣٦٢). ولم يعد لأى من هذه البوابات وجود اليوم، حيث حلت محلها جميعاً بوابات لاحقة حين اتسع نطاق القاهرة وتم بعض هذا الإحلال على يد بدر الجمالى وبعضه الآخر على يد صلاح الدين. ولاتزال ثلاث من هذه البوابات اللاحقة قائمة ومعروفة، وهى

باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر، وكلها تنسب الى بدر الجمالي. وهناك بوابة رابعة جزء منها مدفون والجزء الآخر ظاهر وتعرف بباب القراطين أو باب المحروق.

باب القراطين أو «باب المحروق»

يقول القلقشندى (صبح الأعشي، جـ٣، ص٣٥٣) إن سوق الغنم كان يقع داخل باب المحروق، وكان من الطبيعى أن يستقر القراطون (تجار البرسيم) فى هذا المكان وأن تستمد البوابة اسمها منهم. وتغير اسمها فيما بعد ليصبح «باب المحروق». وسميت بذلك الاسم بسبب ما فعله ٧٠٠ من المماليك الفارين من القاهرة لدى علمهم بإعدام الأمير أقطاى فى ٢١ شعبان ٦٥٢هـ (٦ أكتوبر ١٢٥٤م)، المقريزي، (جـ١، ص٣٨٣). فحين غادروا ديارهم ليلاً وتقدموا باتجاه هذه البوابة وجدوها مغلقة. وجرت العادة فى ذلك الزمان بإغلاق كل بوابات القاهرة فى أثناء الليل. فأضرموا النار فى الباب الضخم وفروا من الثغرة التى فتحتها النيران. لذا، سميت البوابة «باب المحروق». ولكن أين كانت بوابة المحروق هذه؟ تحدد البعثة الفرنسية شارعًا صغيراً بالقرب من السور الشرقى يسمى «درب المحروق» وتحدد برجًا ضخماً مستديراً عند نهايته مع وجود فتحة صغيرة فى جدار السور على جانبه الجنوبى عليها اسم «باب درب المحروق». وفى حديثه عن عام ١٨٨٨، يذكر على مبارك أن من بين الشعاب المختلفة لذلك الدرب (أى شارع الباطلية) عطفة الشرابة التى تؤدى الى **قرافة المجاورين**(٩٣). وهذه الفتحة هى موقع باب المحروق، وهو أحد بوابات القاهرة (الخطط الجديدة، ص٥٤٤). ويسلم كازانوفا بهذا الرأى.

كانت الفتحة الصغيرة التى تضمها خريطة البعثة الفرنسية مدفونة بالفعل تحت الركام عندما جئت الى القاهرة لأول مرة فى سنة ١٩١٦. الا أنى تقبلت الأمر بناء على اسم الشارع. وافترضت أن البرج المستدير الضخم (برج رقم ١٧ على خريطة القاهرة بمقياس ١ : ٥٠٠٠) كان هو البرج الجنوبى على أحد جانبى بوابة ضخمة، وافترضت أن هناك برجًا ضخمًا آخر يخفيه الركام ويقع بالقرب من الأول على الجانب الشمالي. وبناء على طلب مني، وافق أحمد بك السيد الذى كان يتولى فى ذلك الوقت إدارة شعبة الآثار العربية على إجراء حفريات فى هذا الموضع. وتم الكشف عن البرج المستدير الضخم حتى قاعدته، فانكشفت بوابتان جانبيتان صغيرتان بعرض ١,٢٦م على جانبى البرج وتفتحان فى داخل الخندق. وكانت أولاهما هى الفتحة التى تظهر على الخريطة والتى يشير اليها على مبارك. وهاتان البوابتان لم تكونا للمرور، حيث لايزيد عرض الواحدة منهما عن المتر كثيراً، بل كانتا بغرض دفاعى كتلك التى أقامها فيلو البيزنطى (١٥٠-١٠٠ ق.م) وقال «على المرء أن يهيئ أبوابًا جانبية وخلفية عديدة على جوانب الأبراج لتسهيل عملية الفرار وتكون بحيث لايتمكن الجند إذا ما هزموا من التقهقر فيتركوا ميامنهم مكشوفة دون حماية. فالجندى الذى يهرب من باب خلفى يعود فيدخل من باب خلفى آخر» (جـ١، ص٢٥).

وهكذا يتضح أن هذا البرج المستدير الضخم ليس أحد برجين على جانبى مجاز كبير، وكان لابد من البحث عن باب المحروق فى مكان آخر. وعلى بعد ٢٧٥م الى الجنوب، كان هناك برجان (برقمى ١٣ و١٤ على خريطة القاهرة بمقياس ١ : ٥٠٠٠) وضع أحدهما بالقرب من الآخر، كما هو الحال دائماً حين يتحتم الدفاع عن مجاز بوابة ما كتلك التى تقع على بعد ١٥٠م الى الجنوب من البرج الركنى من برج الظفر وفى بوابتى القلعة اللتين قمت بالحفر بحثًا عنهما عامى ١٩٢٣ و١٩٢٤ (Creswell, *Archeological Research at the Citadel of Cairo*, XXIII, pp. 147-56)، ومن ثم، اقتنعت بأن هذين البرجين كانا يمثلان باب المحروق الحقيقي،

وهو ما أكدته عمليات الحفر التجريبية التى قامت بها اللجنة والتى كشفت عن أن هذه كانت بالفعل بوابة للمدينة، أى باب المحروق. وبالنظر فى الخريطة، نلاحظ انقسام درب الأحمر(٩٤) الى ثلاثة أفرع عند **جامع قجماس الإسحاقى**(٩٥) يمر الفرع الأوسط منها، وهو شارع أبو كلبة، من أمام جامع **أصلم البهائى**(٩٦)؛ ولو كان امتد مسافة ٦٠م أخرى، لمر عبر محور هذه البوابة تماما. وكان الجزء الأخير منها قد بنى فى عهد البعثة الفرنسية وتم تجاوزه بعد تسوير البوابة بقليل.

واكتشف پاتريكولو بقايا قاعدة البرج الشمالى لبوابة خامسة فى سنة ١٩٢٠؛ وقد يكون مجرد جزء من باب القنطرة.

باب القنطرة

اتخذت هذه البوابة اسمها من القنطرة التى بناها جوهر على الخليج الأعظم لربط المدينة بميناء المقس إبان زحف القرامطة فى شوال ٣٦٠هـ (أغسطس ٩٧١م، المقريزي، جـ١، ص٣٨٢). ويتضح من النبذة المدونة أسفل البوابة أن اسمها الأصلى كان «باب الرماحين». ونضيف أن القنطرة كانت قائمة فى ذلك المكان الى أن تم ردم الخليج فى أواخر القرن التاسع عشر. وكان كازانوفا أيضاً هو الذى قام بجمع الفقرات التى تشير لدى المقريزى الى هذه البوابة (*Citadelle*, pp. 528-9). وقمنا بتغيير ترتيبها لإيضاح تتابعها المنطقى ومحتواها.

١ـ خط باب القنطرة

كان هذا الخط يعرف باسم «حارة المرتاحية» ثم «حارة الفرحية» ثم «الرماحين». وفيما بين الرماحين، الذى يعرف اليوم باسم «باب القوس» داخل باب القنطرة، وبين الخليج كانت هناك أرض فضاء لا عمارة فيها تمتد من باب الرماحين الى باب الخوخة وباب سعادة وباب الفرج (المقريزي، جـ٢، ص٢٤). والفرحية حسب رواية المقريزى هى نفسها **سويقة أمير الجيوش**(٩٧).

٢ـ يقع خط باب القنطرة بين حارة بهاء الدين وسويقة أمير الجيوش، وينتهى من قبليه إلى خط بين السورين (جـ٢، ص٢٤).

٣ ـ تؤدى سويقة أمير الجيوش الى باب القنطرة (جـ٢، ص١٠١). ويذكر أبو المحاسن أن اسم أمير الجيوش تم اختصاره الى «مرجوش» (طبعة جوينبول، جـ٢، ص٤٢٠). ونخلص من ذلك بالتالى الى أن باب القنطرة كان يقع عند المنطقة التى يمر عندها هذا الشارع الذى لايزال موجوداً تحت الاسم الاخير بالخليج.

٤ ـ وبالقرب من باب الفتوح، هناك طريق يؤدى الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة (المقريزي، جـ١، ص٧-٨). وتقع هذه الحارة حسب رواية المقريزى (جـ٢، ص٢) بين باب الفتوح القديم والجديد، وبالتالى فهو يقع بين السور القديم والجديد. والحقيقة أن هناك شارعًا يسمى بين السيارج يتجه غرباً من الركن الغربى من جامع الحاكم حيث حددنا موقع باب الفتوح الأول وينعطف بزاوية يمنى عند طرفه الغربى ليلتقى بسويقة مرجوش عند النقطة التى اقترحناها كموقع لباب القنطرة.

وجد پاتريكولو فى عمليات الحفر التى قام بها فى سنة ١٩٢٠ قاعدة البرج الشمالى لإحدى البوابات ولها واجهة نصف دائرية تشبه البرجين القائمين على جانبى باب الفتوح وباب زويلة. وعثر عليها عند الجانب الشمالى من نقطة التقاء الطريق بالخليج. ويتضح من تخطيط تلك البوابة أن الجزء الأمامى المنحنى كان مزخرفاً بحشوة غائرة. وهناك جزء سفلى من درج حلزونى يمكن رؤيته بالجزء الخلفى من البرج، والى الشمال منه،

على بعد حوالى ١,٥ م أسفل المستوى الحالى للأرضية، كان الجزء السفلى من جدار حجرى يتجه شمالاً بحذى شارع الخليج المصري، أى مسار الخليج القديم. ودار الجدل فى ذلك الوقت حول ما إذا كانت بقايا هذا الأثر تنتمى الى باب القنطرة الأول أو الثاني، إلا أن الخلاف يحسمه وجودها بين بين السورين والخليج، مما يعنى أنها كانت على مسار سور صلاح الدين، وبالتالي، فهى تمثل جزءا من باب القنطرة الثاني، فى حين أن باب القنطرة الأول كان يقع على الجانب الآخر من بين السورين على الأرجح.

ويبدو أن باب القنطرة الأول ظل قائما حتى عام ١٨٧٨، إذ يذكر على مبارك أن بداية هذا الشارع (رأس الشارع) أمام باب القنطرة كانت معقودة، وكانت تعرف باسم «باب القوس». وأمر قاسم باشا والى القاهرة بإزالتها فى سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) لأنها كانت آيلة للسقوط مع أنها كانت فى حالة جيدة. وكانت تضم نقشًا كوفيًا عليها (الخطط الجديدة، جـ٣، ص٢٣). من ثم يمكن القول إن موقع خمس من البوابات اللاحقة تحددها البقايا التى تخلفت منها. ونحاول فيما يلى تحديد مواقع البوابات الخمس التى حلت هذه البوابات اللاحقة محلها.

باب زويلة الأول(٩٨)

إن موقع باب زويلة الأول يحدده ما يذكره كل من **القلقشندى والمقريزى**(٩٩) من أن هناك بعض الأجزاء الباقية منه كانت لاتزال قائمة قرب جامع سام بن نوح. يقول المقريزي:

> «كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من أحدهما وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الألسنة أن من مر به لا تُقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم» (الخطط، جـ١، ص٣٨٠)

ويورد القلقشندى رواية مماثلة (جـ٣، ص٣٥٣). ويبدو أن القوسين كان المقصود منهما أن يخصص أحدهما للدخول والآخر للخروج.

ومن يدخل باب زويلة الحالى ويتقدم تاركا **جامع المؤيد**(١٠٠) على يساره، يصل الى **سبيل تركى متأخر**(١٠١) (يسمى «مدرسة العقادين»). وعند أقرب ركن لباب زويلة، هناك باب صغير يؤدى الى مسجد سام بن نوح (وكان يعرف قبل ذلك باسم «جامع ابن البنا»، وكان قبل ذلك ديرًا يسمى دير سام بن نوح، وقام الخليفة الحاكم بتحويله الى **مسجد**(١٠٢) (المقريزي، جـ١، ص٣٧٣؛ جـ٢، ص٣٢-٣٣). إلا أن البناء الحالى يعد حديث العهد)، مما يدلنا على النقطة المحددة. لكننا نلاحظ سمة أخري. فبحذى شارع المناخلية المؤدى الى الجامع، هناك شارع آخر يسمى شارع المنجدين، ويفصله عن الشارع الأول صف نحيل من الدكاكين بطول ٤٠م تقريبًا ولا يزيد عرضه عن ٦م. والأرجح أن هذين الشارعين المتوازيين المتجاورين كانا يمثلان محورى عقدى باب زويلة الأول. ويبدو أن هناك مربطين نشأ بين اتجاهى المرور وتحولا فيما بعد شيئًا فشيئًا الى منشأتين دائمتين، وتحولت الأرض الى ملكية خاصة منزوعة من الشارع، وهو مايحدث منذ قرون فى كل أنحاء القاهرة. لذا، يمكننى أن أحدد موقع باب زويلة الأول على الطرفين الشماليين من هذين الشارعين ويلامسان الركن الجنوبى الغربى من مسجد سام بن نوح.

وتبلغ المسافة الفاصلة بين الجانب الجنوبى من هذا الجامع وباب زويلة الحالى حوالى ١٣٠م. بناء على ذلك فالأرجح أن الجدار الجنوبى الأصلى كان على بعد حوالى ١٣٠م داخل السور الحالي. واتخذ باب زويلة اسمه عن قبيلة من البربر كانت تحتل حياً من أحياء المهدية. وكانت هذه القبيلة بمثابة فرقة بجيش جوهر؛ وحين تم بناء المدينة، تم تخصيص أحد أحيائها **قرب هذه البوابة لسكناهم**(١٠٣).

باب الفتوح الأول

يقول المقريزى : « ... وبقى منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه أسطر من الكتابة بالكوفى وهو برأس حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكمى »(١٠٤) (جـ١ ، ص٣٨١) .

وتم افتتاح هذا الجامع فى رمضان ٣٨٠هـ (٩٩٠م) . وكان يقع خارج أسوار ذلك العصر؛ وبالتالي، فلابد أن السور الأول كان يجرى الى الجنوب منه، ولابدأن باب الفتوح الأول كان يقع قريبًا من ركنه الغربى على ناصيتى شارع باب الفتوح الحالي.

باب النصر الأول

كانت هذه البوابة أيضا تحتل موقعاً داخل باب النصر تماماً. يقول المقريزي:

١ . « ... أحدهما باب النصر وموضعه بأول الرحبة التى قدام الجامع الحاكمى الآن وأدركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربى من **المدرسة القاصدية** وما بين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد فى مقدار القاهرة بعد جوهر ...» (جـ١ ، ص٣٦١)؛

(ولم يعد لهذه المدرسة وجود إلا أن هناك جامعًا يسمى جامع الشيخ قاصد يظهر فى تخطيط نابليون لعام ١٧٩٨م. ولايزال هناك ضريح صغير **للشيخ قاصد**(١٠٥) يقع حاليًا على الجانب الشرقى من شارع باب النصر. ويبدو أنه كل ما تبقى من تلك المدرسة).

٢ . **وفى وصفه لأحد المتنزهات**(١٠٦) يسير شمالاً على طول ما يسمى حاليًا بشارع الجمالية، يقول المقريزي: «ويجد على يسرته **وكالة الأمير قوصون**(١٠٧) ثم يسلك من باب الوكالة ... وبعدها باب النصر القديم وأدركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى وقد زال ويسلك منه الى رحبة الجامع الحاكمى فيجد على يمنته المدرسة القاصدية وعلى يسرته بابى الجامع الحاكمى وتجاه أحدهما الشارع المسلوك فيه الى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك» (جـ١ ، ص٣٧٧) . ويذكر القلقشندى تلك القطعة المتبقية من باب النصر القديم (أى الأول) والتى يحدد موقعها «بالقرب من وكالة قوصون» (جـ٣ ، ص٣٥٣) .

٣ . « ... وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة» (جـ١ ، ص٣٨١) .

ويحدد هذا الوصف موقعه. فهذه الوكالة لايفصلها عن الركن الجنوبى لجامع الحاكم إلا ٣٥م. لذا، فلابد أن السور القديم كان يمر عبر هذه الفجوة وواجهته الأمامية تقع على مسافة من ١٢٥ الى ١٤٠م من الواجهة الحالية.

باب القرّاطين الأول

عرفنا حتى الآن أن بوابات جوهر كانت أقرب من البوابات اللاحقة عليها ولكنها تدور على نفس المحاور،

أى أن البوابات اللاحقة كانت تفتح على نفس الطريق ولكنها أبعد منها. ومع ذلك، فإن هذا لا ينطبق على باب القراطين الأول، لأن سور جوهر لم يكن يمتد الى الجنوب الى هذا الحد. كما أن المقريزى يشير صراحةً الى أن هذه البوابات لم تكن « على ما هيعليه الآن ولا فيمكانها عندماوضعها جوهر » . (جـ١ ، ص٣٨٠). والآن اذا رسمنا خطا الى الشرق من جامع سام بن نوح بزوايا يمنى الى الشارع الذى يمر خلال باب زويلة، فقد نقترب من خط سور جوهر. ويلاحظ أن هذ الخط يمكن رسمه بين نواصى عدد من الطرق المسدودة التى تنتهى عند أى من طرفيه. ولايعبره سوى شارع متعرج واحد هو شارع حيضان الموصلى حيث يقع جامع **سودون القصروي**(١٠٨). وكان هذا الشارع يصل الى السور الشرقى الحالى (سور صلاح الدين) على مقربة من البرج المستدير الضخم ذى الباب السرى على كل من جانبيه. والسؤال التالي: ما هى حدود سور جوهر الشرقى داخل السور الحالي؟ وسنرى أن المسافة بينهما كانت ٥٠ ذراعًا (أى ٢٥م) الى الداخل. وإذا رسمنا خطا يوازى السور الشرقى الحالى على مسافة ٢٥م الى الداخل، فإن النقطة التى يتصل عندها هذا الخط بالخط القادم من جامع سام بن نوح يعطينا ركن سور جوهر. وأعتقد أن باب القراطين الأول يقع بالقرب من الركن. كما سنرى أن باب سعادة لابد أنه كان يقع قريبا جداً من الركن الآخر المواجه له.

باب القنطرة الأول

من المرجح أن هذه البوابة سانت تفتح على **سويقة مرجوش**؛ ولكن على مسافة الى الداخل قبل النقطة التى يعبره عندها شارع بين الصورين. فقد رأينا فيما سبق أن هذا الشارع كان يمر بين سور جوهر وسور صلاح الدين. وينبغى الآن أن نناقش بقية البوابات، أى باب البرقية وباب سعادة وباب الفرج.

باب البرقية الأول والثانى

يصعب تحديد موقع باب البرقية من كتابات المقريزي، لأن الفصل الذى يخصصه هذا المؤرخ لبوابات القاهرة يتوقف بعد العنوان الجانبى «باب البرقية» بقليل. ويضيف كازانوفا أن هذه الفقرة ظلت مجهولة فى كل مخطوطات المقريزى التى اطلع عليها بباريس، وأن عنوان «باب البرقية» مفقود فى بعضها أيضًا (ترجمة كازانوفا الانجليزية، جـ٤ ، ص٩٧). إلا أن لدينا إشارة اليها فى أوائل كتابه(١٠٩) حيث يقول: « وكان فى الجهة الشرقية من القاهرة [وهى الجهة التى يسلك منها إلى الجبل] بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهما دون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود إلى الآن (أى فى عصره) أسكفته (اعتابه) ... »(١١٠). ولعله كان يقصد أن يقول إن الجزء السفلى كان مدفونًا تحت أكداس من الركام. وليست هناك بوابة بهذا الاسم حاليًا. بل لم يرد لها ذكر على الخريطة التى رسمتها البعثة الفرنسية عام ١٧٩٨ لأن اسمها كان تغير. ويذكر الجبرتى أن الفرنسيين حاصروا باب البرقية المعروف بباب الغريّب فى ١٩ ذى القعدة ١٢١٥هـ (ابريل ١٨٠١م، عجائب، جـ٣، ص١٥٤). ويذكر أيضا أنهم سدوا باب البرقية المعروف بباب الغريّب فى ٤ شوال ١٢١٨هـ (يناير ١٨٠٤م) وأنهم بدأوا فى سد هذه البوابة، الا أنهم توقفوا عن العمل وتركوها كما كانت، لأن المواكب والجنازات كانت تمر خلالها (جـ٣، ص٢٧١). ويذكر فى موضع آخر أن عبدالرحمن كتخدا(١١١) بنى مسجداً قرب باب البرقية المعروف بباب الغريّب وأضاف إليه صهريجًا وحوضاً وسقايا ومكتبا ورتب فيه تدريسًا (جـ٢، ص٦).

إذن، كان باب البرقية يعرف بباب الغريّب. وإذا عدنا الى خريطة البعثة الفرنسية، نجد هذا الاسم. وبالقرب منه جامع عبدالرحمن كتخدا الذى لايزال قائمًا على الجانب الأيسر من حارة يسمى «حارة الغريّب». وتمر هذه الحارة بجبانة بنفس الاسم وتستمر حتى تصل الى طريق يؤدى الى **مقابر الخلفاء**(١١٢) على الحافة الخارجية للمنحنى الأيمن الذى يخترق به أكواما ضخمة من الركام.

وقبل حوالى ربع قرن، قام المرحوم على بك بهجت بعملية تنقيب محدودة على حافة الركام عند هذه النقطة، وعثر على قمة برج يحتمل أنه كان أحد برجين على جانبى هذه البوابة. ولكن بعد فترة وجيزة، انهارت واجهة المنحدر الذى تكون نتيجة لهذه الحفرية، فغطت قمة البرج وتوقف العمل للأسف. واستأنفت لجنة حفظ الآثار العربية عمليات التنقيب بناء على طلب منى فى هذه المنطقة فى شتاء ٤٢-١٩٤٣. وتم الكشف عن قمة البرج مرة أخرى وتم تنظيف الجزء الداخلى الذى كان يمكن الدخول اليه عن طريق درج من المجاز الدفاعي. ثم تم الكشف عن قمة طول جدار على كلا جانبيه بغرض معرفة ما إذا كان يجاوره برج آخر كما هو الحال فى كل بوابات بدر الجمالى وصلاح الدين (فيما عدا الباب المدرج فى القلعة)؛ إلا أنه لم يتم العثور على مثل هذا البرج.

يتضح من كل هذا ومن البناء الداخلى للبرج أن البرج الذى تم الكشف عنه كان على أحد جانبين فقط، ولم يكن جزءاً من بوابة. وتم استئناف الحفر على الجانب الآخر من الطريق. وتم الكشف عن امتداد الجدار الواصل بين البرجين. ولكن لم يكن من الممكن الاستمرار لأكثر من عدة أمتار حيث يبدأ عند هذه النقطة كوم مرتفع من الركام، وكانت تكاليف عملية التطهير اللازمة باهظة. ومع ذلك، فإذا أخذنا فى اعتبارنا مكان جامع سيدى الغريّب، يتأكد لنا أن طول هذا الجدار الواصل بين البرجين (ويحتمل أن يبلغ من ٧٠ الى ٨٠م) لابد أنه كان ينتهى فى البوابة التى تم التنقيب عنها.

وبنظرة الى الخريطة يتضح أن هذا البرج يقع على خط مستقيم من الجدار الممتد من البرج المستدير الضخم عند نهاية درب باب المحروق (البرج رقم ١٦ على خريطة القاهرة بمقياس ١ : ٥٠٠٠) وبرج الظفر؛ وبالتالي، فهو ينتمى الى أعمال صلاح الدين. ولكن الى أى حد كان باب البرقية الأول يتراجع الى الوراء؟ ينبئنا المقريزى أنه حتى عام ٨٠٣هـ (١٤٠٠م)، كانت هناك قطعة ضخمة من سور جوهر المشيد من الطوب اللبن بين باب البرقية ودرب بطوط، وأن هذا السور كان يبعد ٥٠ ذراعًا (٢٥م) عن سور صلاح الدين (جـ١، ص٣٧٧). وهنا يبرز السؤال: أين كان يقع درب بطوط؟ ولانجد إجابة واضحة على هذا السؤال عند المقريزي. ولكن بعد أن أوشكت على التخلى عن المشكلة يأسًا منها، توصلت الى الإجابة. فقام أكسل موبرج بنشر صك وقفية لمدرسة ضريح السلطان قلاوون محفوظ بميونيخ عام ١٩١٨ (*Zweiägyptische Waqf-Urkunden*, Le Monde Oriental, Uppsala, XII, p. 41) وتضم حدود الملكيات المختلفة التى تشكل جزءا من الوقف. وبإحدى هذه الحجج، يُذكر درب بطوط فى سياق الحديث عن سوق الغنم وباب المحروق. وهذا يكفي. فالأرجح أن ذلك الجزء من السور الذى رآه المقريزى كان يقع جنوب باب البرقية، أى بينه وبين الركن الجنوبى الشرقى من سور جوهر. وإذا رسمنا خطًا نقطيًا موازيًا لسور صلاح الدين، وعلى مسافة ٢٥م وراءه، ووضعنا باب البرقية عليه، فالأرجح أن موقع باب البرقية الثانى كان على نفس مستوى الموقع الذى حددناه.

باب الخوخة وباب سعادة

نورد فيما يلي الفقرات التى يشير فيها المقريزى الى كل من باب سعادة وباب الخوخة:

١ . «... وكان في الجهة الغربية من القاهرة وهي المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر» (جـ١ ، ص٣٦٢)؛

٢ . «وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لابنيان فيه» جـ١ ، ص٣٦٤)؛

٣ . ويذكر كذلك أنه كان يمكن الوصول اليه من الشارع الرئيسى المتجه من الشمال الى الجنوب عن طريق سوق الحريريين وبئر زويلة والبندقانيين وسويقة الصاحب وحارة الوزيرية وباب سعادة (جـ١ ، ص٣٧٤)؛

٤ . «... ومن جهتها الغربية ثلاثة أبواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة» (جـ١ ، ص ٣٨٠)؛

٥ . وفى حديثه عن الجهة الغربية من القاهرة، يقول: «... فإنها من سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة» (جـ٢ ، ص ١٠٩)؛

٦ . جامع الفخرى (يعرف حاليا باسم **جامع البنات**)(١١٣) «بجوار دار الذهب التى عرفت بدار بهادر الأعسر المجاورة لقبو الذهب من خط بين السورين فيما بين الخوخة وباب سعادة» (جـ٢ ، ص٣٢٨)؛

٧ . «دار الذهب : هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة» (جـ٢ ، ص٦٣)؛

٨ . دار الذهب : وكان بجوار [منظرة] الغزالة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفى مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الأعسر وبقى منها عقد بجوار دار الأعسر يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين» (جـ١ ، ص٤٧٠)؛

٩ . «باب الخوخة: يسلك اليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودي» (جـ٢ ، ص٤٥)؛

١٠ . «(بستان العدة) هذا المكان من جملة الأحكار التى فى غربى الخليج وهو بجوار قنطرة الخرق وبجوار حكر النوبى قريب من باب اللوق تجاه الدور المطلة على الخليج من شرقيه المقابلة لباب سعادة وحارة الوزيرية» (جـ٢ ، ص ١١٩)؛

١١ . «سويقة الصاحب يسلك اليها من خط البندقانيين ومن باب الخوخة» (جـ٢ ، ص١٠٤)؛

١٢ . ويذكر السخاوى أن سوق القرب يقع داخل باب سعادة بالقرب من حارة الوزيرية (الضوء اللامع، جـ٦ ، ص١٧٦).

كنت أظن أنه يمكن العثور على مزيد من المعلومات فى صكوك وقفيات جامع الفخرى المعروف حاليًا باسم جامع البنات، وفى وقف **جامع القاضى يحيى زين الدين**(١١٤)، وكلاهما يقع فى الجزء الجنوبى من شارع بين السورين. فطلبت من حسن أفندى عبدالوهاب بلجنة الآثار العربية أن يبحث عنها فى المحكمة الشرعية. ووفق الرجل فى العثور على الصكوك الأخيرة تحت رقم ١١٠ ، ملف رقم ١٧ ، وتحدد فيها حدود الجامع كما يلي: (أ) «تشمل حدوده الشمالية (أى الشمالية الغربية) السبيل والكتّاب الذى يعلو باب الخوخة. وتنص الحجة على أن السبيل والكتّاب كان يقع على الطرف الجنوبى القبلي؛ (ب) حده الغربى (أى الجنوبى الغربي) هو الطريق الذى يخترق باب الخوخة.

من ثم فإن باب الخوخة كان يلامس الجانب الجنوبى الغربى من جامع القاضى يحيي. وبتحديد الموقع

الدقيق لباب الخوخة، يتضح بالتالى أن باب سعادة الثانى كان فى مكان ما بين جامع البنات ونهاية السور الغربي.

باب سعادة الثانى

رأينا فيما سبق أن الفقرة (١٠) تتعلق ببستان العدة باعتباره يقع بالقرب من قنطرة الخرق[١١٥]. ويتضح الجسر وهو يعبر الخليج (وتم ردمه فى سنة ١٩٠٠ تقريبًا) على خريطة البعثة الفرنسية عند النقطة التى يعبره عندها غيط العدة ويتحول بعد ذلك الى شارع تحت الربع ويستمر حتى باب زويلة. ولعل «غيط العدة» يستمد اسمه من بستان العدة الذى يقع أمام باب سعادة حسب ما ورد بالفقرة. إذن لابد أن باب سعادة كان قريباً جداً من القنطرة، أى بالقرب من **قصر منصور باشا**[١١٦] **والى القاهرة** فى ذلك الوقت. ويؤكد ذلك على مبارك بقوله : «وفى الجهة الغربية باب سعادة ومحله بجوار الحد القبلى لسراى الأمير منصور باشا بقرب **جامع اسكندر**[١١٧] الذى هدم وصار محله الميدان الكائن أمام منزل الباشا المذكور وكان هذا الباب على رأس زقاق هدم ضمن ماهدم من الأبنية فى إنشاء الميدان المذكور. وكان هذا الزقاق من درب سعادة» (الخطط الجديدة، جـ١ ، ص٦).

وإذا نظرنا الى خريطة ١٧٩٨ ، نلاحظ أن درب سعادة لم يكن يستمر حتى شارع تحت الربع؛ بل كان ينحرف بحدة غرباً على خط يتفق مع الواجهة الحالية لقصر منصور باشا ليلتقى بشارع بين السورين عند نقطة تبعد حوالى ٣٠م من الخليج.

ويذكر على مبارك فيما بعد أن باب درب سعاده القديم كان يقع على جانب من قبر «ست سعادة» ، وأنه كان معقوداً بالحجارة وكان باباً ضخمًا يضم فى داخله حماماً يسمى «حمّام درب سعادة» ، وفى مواجهته سبيل. واندثرت كل هذه المبانى مع تكية الوزير اسكندر باشا وجامعه وسبيله وما الى ذلك ، وانه تم إنشاؤه فى سنة ٩٦٣ (١٥٥٥م) حين تم تخطيط الميدان (الخطط الجديدة، جـ١ ، ص٦). وأعتقد أن هذا هو موقع باب سعادة الثاني. وفى غرفة تحتل ركنًا من القصر ليس له سوى باب واحد يفتح على الشارع مباشرة، نجد قبراً يقال له «ست سعادة» وعادة ما نجد بجواره امرأة أو امرأتين تؤديان الصلاة.

وهكذا، فالأرجح أن السور الجنوبى الثانى كان يستمر حتى هذه النقطة ثم ينحرف شرقًا ليمر بين شارع تحت الربع وحارة الجداوى. وهذا هو السبب فى رأيى فى عدم وجود فتحة واحدة على الجانب الشمالى للشارع أو على الجانب الجنوبى من الحارة.

باب سعادة الأول

أما باب سعادة الأول ، فإن كازانوفا[١١٨] يحددموقعه بالقرب من الطرف الجنوبى للسور الغربى الأول بناء على رواية المقريزى (جـ١ ، ص٣٨٣) بأنه اتخذ اسمه من سعادة بن حيان الذى جاء من بلاد المغرب بعد أن بنى جوهر القاهرة وأقام بالجيزة وذهب جوهر للقائه. ونتيجة لهذا اللقاء، دخل القاهرة عبر هذه البوابة فى رجب ٣٦٠ (مايو ٩٧١م). ويستنتج كازانوفا أنه لابد وقد عبر الى الفسطاط على جسر القوارب ثم اتخذ طريقه الى القاهرة من الجنوب ودخل من خلال باب سعادة الذى نعرف أنه كان فى الناحية الغربية. ويخلص من ذلك أنه كان قريباً جداً من الطرف الجنوبى لتلك **الناحية**.

وعلينا الآن أن نحدد موقع هذه الزاوية من سور جوهر. فإذا تخيلنا خطاً وهميًا يتجه غربا من باب زويلة الأول بمحاذاة مسجد سام بن نوح، نجد الى الشمال من هذا الخط الوهمى عدداً لا حصر له من الشوارع الضيقة ينتهى كل منها بزقاق مسدود. فلماذا كانت هذه الأزقة الملتوية كلها مسدودة بهذه الصورة؟ أعتقد أنها كانت تنتهى عند سور جوهر الذى كان يمر الى جنوبها مباشرة، وأن تخطيط الشارع ظل باقيًا الى يومنا هذا. والى الجنوب مباشرة من هذا الخط الوهمي، نجد شارعًا يسمى الجزء الغربى منه «سكة النبوية»(١١٩) والجزء الشرقى «**شارع الأشرقية**». ولانجد فتحة واحدة على الجانب الشمالى من هذا الشارع، مما قد يعزى الى أن سور جوهر كان قريبًا منه. وإن صح تصورى هذا فلابد أن السور الجنوبى الأول كان يتصل بالسور الغربى الذى كان يجرى شرقًا من بين السورين قرب الجانب الشمالى من المحكمة المصرية الحالية؛ وبالتالي، فإنى أحدد مكان باب سعادة الأول فى هذا الموضع.

باب الفرج الثانى

رأينا أن هذه البوابة ورد ذكرها فى الفقرات ١، ٢، ٤ التى سبق الاستشهاد بها. ونضيف اليها ما يلي:

١. «ربع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج ويعرف ذلك الخط اليوم به فيعرف خط تحت الربع»(١٢٠) (جـ٢، ص٣٧٩). ولايزال شارع **تحت الربع**(١٢١) موجوداً حتى الآن؛

٢. «وفى نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليبنى جامعه فوجد عرض السور فى الأماكن نحو العشرة أذرع» (جـ١، ص٣٧٩).

كان باب الفرج حسب رواية المقريزى يقع على الجانب الغربى فى مواجهة الخليج؛ إلا أن على مبارك (جـ٥، ص١٢٥) قام بنشر وثيقة هى صك وقفية حمّام السلطان المؤيد عام ٨٢٣-٨٢٤هـ (١٤٢١-١٤٢٢م)، ثم جامعه الذى حدد حدوده بما يلي:

قبلى (= جنوب شرق) بئر الساقية الخاص بالجامع.

شرقى (= شمال شرق) على الطريق (أى شارع الأشرقية) المؤدى الى باب الفرج وفيه الباب (أى باب الحمّام وهو فسحة بين عمودين ولها طاقية مقرنصة بزاوية داخلة من الشارع) وثلاثة دكاكين وحوض ماء.

بحرى (= شمال غرب) باب الفرج.

غربى (= جنوب غرب) ربع الظاهر (أى ربع السلطان بيبرس الأول)

وهو ما يتناقض تماما مع ما يذكره المقريزي، إلا أن هذه وثيقة قانونية لامجال لتكذيبها. وحين نمعن النظر فى الموقع نجد أن زاوية الشيخ فرج تقع على مسافة ١٦م غرب الحمّام. كما أننا إذا تفحصنا القطعة الصغيرة من الجدار الساتر والتى لاتزال نائتة [بارزة] من الناحية الغربية من باب زويلة، نجد أنها توازى الواجهة الجنوبية الغربية لجامع المؤيد وعلى بعد ٨,٥ م خلفها. وإذا مددنا خطًا موازيًا للواجهة الجنوبية الغربية والى الخلف منها بمسافة ٨,٥م، نجد أنها تستمر حتى تصل الى الزاوية الصغيرة. والنتيجة المحتومة هى أن باب الفرج يحتل تقريباً موقع الزاوية. ولما كانت بوابات المدن فى الشرق غالباً ما تضم أولياء مغمورين تحتها، فإنى أعتقد أن باب الفرج كان تحته أحد الأولياء، وأن البوابة حين تمت إزالتها بقى الولى وأعيد بناء مثواه فيما بعد وربما لعدة مرات.

تخطيط النصف الشرقى من السور الجنوبى لبدر الجمالى

من المرجح أن باب الفرج الثانى كان من أعمال صلاح الدين وليس بدر الجمالى. فنحن نعلم صراحة أن

كـلاً من المعماريين المسيحيين(١٢٢) الثلاثة الذين قدموا من الرها قام ببناء بوابة، أى باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة. أما باب الفرج، فلم يرد ذكره بينها، وبالتالى يجب أن نستنتج أن سور بدر الذى يمتد غرباً من باب زويلة كان ينحرف بزاوية حادة نحو الشمال ليصل الى الموضع الذى احتله فيما بعد باب الفرج الثانى ويتصل بسور جوهر الى الشرق من باب الفرج الأول. بعبارة أخري، إن الامتداد الذى نفذه بدر على الجانب الجنوبى من القاهرة لم يكن يمثل إضافة متحدة الشكل بعمق ١٣٠م من طرف الى الطرف الآخر. لكن الأُرجح أنه كان يشكل بروزاً يمتد لجزء واحد من الجانب الجنوبي، تماما كما هو الحال بالنسبة للامتداد على الجانب الشمالي.

ولكن كيف كان امتداد هذه القطعة المتبقية من سوره والتى تبلغ ٧٥م والكائنة خلف البيوت على الجانب الشمالى من درب الأحمر؟ من واقع تجربتنا مع النصف الغربى من السورين الجنوبيين، قمنا برسم خط وهمى بين شارع حيضان الموصلى وشبكة من الأزقة المسدودة قرب كنيسة مار مرقص. ولايمر هذا الصف بأى شارع غير حارة الروم. وفى هذه النقطة، يبدو أنه كانت هناك بوابة خلفية، إذ يذكر المقريزى (جـ١ ، ص٣٧٣) خوخة حارة الروم البرانية(١٢٣) (أى خارج سور جوهر).

مواد البناء

يذكر المقريزى أن بعض قطع سور جوهر كانت لاتزال قائمة فى عصره، ويضيف أن آخر قطعة بقيت تعرضت للدمار عام ٨٠٣هـ (١٤٠٠/١٤٠١م). وكانت مبنية من الطوب اللبن، وحجم كل طوبة ١½ ذراع × ذراع (جـ١ ، ص٣٧٧).

رأينا أن المقريزى شاهد بضع سطور من النقوش الكوفية على العضادة اليسرى (الغربية) من باب الفتوح الأول، وأن على مبارك يقول إنه كانت هناك نقوش كوفية ظاهرة على باب القنطرة الأول (باب القوس) قبل هدمه فى سنة ١٨٧٨ (ويتضح بالتالى أن البوابات لايمكن أن تكون من طوب لبن كالأسوار. وماكان من الممكن لها إلا أن تكون من الطوب الأحمر أو الحجارة. والمرجح أن تكون من حجارة لأن بعضا من بوابات القصر كانت كذلك). ثم يذكر المقريزى تحت عنوان جانبى «السور الثاني» أن بدر الجمالى شيد الأسوار من الطوب اللبن والبوابات من الحجارة وأنه بدءاً من منتصف جمادى الثانية ٨١٨هـ (١٤١٤م) بدأ هدم السور الحجرى (سور بدر) بين باب زويلة الكبيروباب الفرج (جـ١ ، ص٣٧٩). ولاتنطبق عبارته الأولى على سور بدر الذى بنى من حجارة كما سنرى (الباب العاشر). كما أنها تتناقض مع نص العبارة التالية لها مباشرة. وأعتقد أنها تشير الى سور جوهر وأن العبارة نقلت مصادفة عن مصدر آخر بما عرف عن المقريزى من أساليب «القص واللصق» فى كتاباته.

بوابة حديدية منقولة من الفسطاط

يرى رايتماير أن العرب بعد أن بنوا مدناً جديدة فى العراق كانوا مولعين بنقل بوابات المدن القديمة اليها. فنقلوا على سبيل المثال بوابة مدينة زنداورد الفارسية القديمة الى مدينة واسط؛ ثم نقلوها فيما بعد من واسط الى بغداد بعد بنائها بفترة وجيزة (الطبري، جـ٣، ص٣٢١). وحين بنى جوهر القاهرة، نقل اليها بوابة حديدية من دار الامارة بالفسطاط. إلا أننا لانعلم أين أقامها على وجه اليقين. ويقتصر القلقشندى (جـ٣،

ص٣٣٦) على ذكر أنه نقلها الى القصر. ويفترض أن هذه البوابة هي التى أشار اليها مجير الدين بقوله ان السلطان بيبرس أنشأ خانًا بالقدس فى سنة ٦٦٢ (١٢٦٣م) ونقل اليها بوابة قصر الخلفاء الفاطميين بالقاهرة(١٢٤) (ص٤٣٤). ولعله كان يهدف الى محاكاة المهدية التى كان لها بوابتان مصنوعتان من حديد كما يقول البكري. ولعل أوضح مثال على هذا العرف أن عمورية حين فتحها الخليفة المعتصم فى سنة ٢٢٣هـ (٨٣٨م) بعد حصار دام ٥٥ يومًا تعرضت للدمار ونقلت بوابتها الى سامراء. وبعد الجلاء عن سامراء، تم نقلها الى الرقة (ابن الشحنة، طبعة سركيس، ص٤٠). ولكن فى عام ٣٥٣هـ (٩٦٤م)، تم ترميمه لباب نقلها الى القرامطة على يد سيف الدولة بغرض الوفاء بحاجتهم الى الحديد (ابن الشحنة، ص٤١). ثم نعلم أنه تم استخدامها من جانب الملك الناصر يوسف عام ٦٥٤هـ (١٢٥٦م) فى حلب فى ترميمه لباب قنسرين. وعندما استولى المغول على حلب عام ١٢٥٨م، كانت أول ما تم تدميره. ولكن حين استعاد بيبرس المدينة من أيديهم، قام بإزالة الصفائح الحديدية منها ونقلها بمساميرها الكبيرة الى دمشق ثم الى مصر (ابن الشحنة، ص٤١).

الخندق

رأينا أن موقع القاهرة تم اختياره بهدف صريح هو تغطية مداخل المدن الثلاث الفسطاط والعسكر والقطائع وحمايتها من غارات القرامطة الذين كانوا يهددون الفسطاط. ومن بنود هذه الخطة –أى حماية المدن– أمر جوهر بحفر خندق واسع عمقه عشرة أذرع وكذلك عرضه. وكان الخندق يتجه غربا من المقطم الى منية الأصبغ(١٢٥). وتم البدء فى حفره فى شعبان ٣٦٠هـ (يونية٩٧١م) وانتهى العمل فيه على وجه السرعة (Kay, p. 230). ويسجل التاريخ غارتين بعد ذلك بقليل؛ الأولى فى ربيع الأول ٣٦١ هـ (ديسمبر٩٧١م) والأخرى فى سنة ٣٦٣هـ (٩٧٤م). وتم عبور الخندق فى المرة الثانية، إلا أن القاهرة ظلت صامدة أمامهم (Quatremere, *Vie du Khalife Moëz*, III, pp. 88, 177-80).

القصر الشرقى أو القصر الفاطمى الكبير(١٢٦)

يعود الفضل الى الأبحاث الطبوغرافية الشاقة التى قام رافيس على ضوء خطط المقريزى فى الوقوف على حدود القصر الشرقى وتخطيط واجهاته الرئيسية. وليس من المحتمل تعديل هذه المعلومات فى أية دراسة جديدة. وتظهر نتيجة أبحاث رافيس باللون الأحمر على خريطة آثار القاهرة لعام ١٩٢٥.

ومع أن بعضًا من البوابات التى كانت لاتزال قائمة فى بدايات القرن الخامس عشر شاهدها المقريزي، إلا أنه لم يتم العثور على أى جزء من أجزاء القصر فى العصور الحديثة. وحتى رافيس يبدو وقد تخلى عن إعادة تصور بنائه وهو ما كان يزمع القيام به. ولا غرابة فى ذلك، حيث لا نجد أية معلومات معمارية عنه لدى المقريزى أو لدى غيره من المؤرخين. وكل ما نعرفه هو أن القصر كان قائمًا فى وسط السور المحيط بالقاهرة وحوله الخلاء ولا تتصل به المبانى حسب قول **ناصر خسرو**(١٢٧):

«حين ينظر المرء من خارج المدينة، يرى قصر السلطان (أى الخليفة) قائمًا كالطود فى عدد منشآته وارتفاعها. أما من داخل المدينة فلا يمكن رؤية أى جزء منه بسبب علو أسواره واستحكاماته»(١٢٨) (سفرنامه، ط شيفر، ص٤٣).

ويقول ناصر خسرو فى موضع آخر:

«يتكون هذا القصر من اثنى عشر جناحًا وتضم أسواره عشر بوابات. وعددت فيما يلى تلك التى كانت على مستوى الأرض منها واستبعدت تلك التى كانت تحت مستوى سطح الأرض، وهى باب الذهب، باب البحر، باب السيرج، باب الزهومة، باب السلام، باب الزبرجد، باب العيد، باب الفتوح، باب الزلاقة، باب السرية ... وشيدت أسوار هذه الأجنحة من الحجر المنحوت، وحجارتها شديدة التلاصق لدرجة يتصور المرء معها أنها قدت من صخرة واحدة ... وتحت مستوى سطح الأرض نجد بابًا يخرج السلطان منه على ظهر جواده»(١٢٩) (سفرنامه، ٤٤).

ويقول فى موضع آخر:

«وبنى قصر آخر خارج المدينة (لعله القصر الغربى أو القصر الصغير الذى بناه الخليفة العزيز، كريزويل) يؤدى اليه هذا المجاز. وتتميز مبانيه وأواوينه بالارتفاع الشاهق من خارجها. وتضم فى دهاليزها الدكاكين (١٣٠)(؟).

وفى موضع آخر، يقدم ناصر خسرو مزيداً من التفاصيل عن القصر الشرقى **فيقول:**

«... كان يضم اثنى عشر قصراً أحدها يجاور الآخر، وجميعها متماثلة فى شكلها. كان كل قصر دخلته أجمل من سابقه. وكل منها يفترش مساحة مئة ذراع مربع، فيما عدا آخرها وكان يقع على ستين ذراعاً فقط. وكان هذا القصر الأخير يحتوى على عرش يشغل عرض القاعة بالكامل. وتقع مطابخ السلطان خارج القصر ويقوم عليها خمسون خادمًا يعملون ليل نهار. وهناك مجاز تحت مستوى سطح الأرض يؤدى من القصور الى المطابخ»(١٣١) (سفرنامه، ٥٤).

وبعد ١٢٠ سنة، استقبل الخليفة الفاطمى العاضد رسولين من **قبل الصليبيين عام ١١٦٧م**، إلا أن كل ما نعرفه منهما عن هذا القصر هو أنهما سلكا عدة أفنية الى أن وصلا الى حجرة العرش حيث كان الخليفة جالسًا وراء ستار ثقيل. وعندما أزيح الستار، ظهر الخليفة جالسًا على عرش من ذهب(١٣٢) (لم يرد ذكره لدى ناصر خسرو)(١٣٣) ، إلا أن المقريزى ولحسن الطالع يقدم لنا معلومات معمارية موجزة عن أربع من **بوابات القصر**، اثنتان منها (باب الريح وباب العيد) كانتا لاتزالان قائمتين (١٣٤) فى عصره؛ والأخريان (باب الذهب وباب البحر) يبدو أنه وجد معلومات عنهما فى بعض المصادر **التى لم يذكرها**(١٣٤) .وهذه هى معلومات المقريزى:

«... **باب الذهب** الذى موضعه الآن محراب **المدرسة الظاهرية** التى أنشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وكان يعلو عقد باب الذهب منظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات فى أوقات معروفة»(١٣٥) (الخطط، جـ١، ص٣٦٢).

«... باب الريح وقد أدركنا منه عضادتيه وأسكفته وعليها أسطر بالقلم الكوفى وجميع ذلك مبنى بالحجر الى أن هدمه الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الأستادار»(١٣٦) (الخطط، جـ١، ص ٣٦٢، وتمت هذه الإزالة عام ٨١١هـ/١٤٠٨م).

ويذكر فى موضع آخر أن الدهليز كان طويلاً وبالتالى كان معتماً تماماً:

«... باب العيد وهو عقد محكم البناء ويعلوه قبة قد عملت مسجدا»(١٣٧) (جـ١، ص٤٣٥).

أما باب البحر(١٣٨) الذى كان يدعمه صف من الأعمدة، فسمى **«دهليز العمود»**(١٣٩) (الخطط، جـ١، ص٣٨٦). وتم بناؤه فى عهد الحاكم (٩٦٦-١٠٢١م).

نستنتج من ذلك أن: (أ) واحدة على الأقل من هذه البوابات (وهي باب الريح) كانت بنيت كلها من الحجارة (وسبق أن استنتجنا أن جوهر كان بنى بعضًا من بوابات المدينة بالحجارة) مع أن أسوار المدينة كانت مشيدة بالطوب اللبن، والجامع الأزهر بالطوب المحروق؛ (ب) إحدى البوابات كانت لها قبة أو ربما حجرة معقودة تعلوها على غرار بوابات بغداد التي أنشأها المنصور في سنة ١٤٧هـ (٧٦٥م)؛ (جـ) بوابة أخرى من هذه البوابات (هي باب الذهب) كانت بها حجرة (يطلق عليها المقريزي اسم «منظرة» تعلوها، وكان الخليفة يطل منها في مناسبات خاصة؛ (ء) إحدى البوابات (باب البحر) كانت تحتوي على دهليز معقود يرتكز على أعمدة؛ (هـ) إحدى البوابات كانت تشتمل على ممر عرضه عشرة أذرع (٥م تقريبًا) لكنه شديد الطول (٣٥م؟) [نحو ٣٢م]، وبالتالي، كان شديد العتمة، مما يذكرنا بالسقيفة الكحلة [المظلة أو المعتمة] بالمهدية؛ (و) إحدى هذه البوابات (باب الريح) كانت عليها نقوش كوفية.

المصادر والمراجع

١٠٤٥ ناصر خسرو، ط شيفر، ص٤٢-٤٤

١٢٠٤ (مولده) المكين، ط ايرينيوس، ص٢٢٧

١٢٢٠ ابن حماد، ط فوندرهايدن، ص٤٠-٤٦

١٢٢٥ ياقوت، معجم البلدان، جـ٤، ص ٤٤٢

١٢٧٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١، ص١٦٦-١٦٩؛ جـ٢، ص١٤٩-١٥١

١٣٠٠ (تقريبًا) الدمشقي، ص٢٣٠

١٣٠٦ ابن عذاري، جـ١، ص٢٢٩

١٣٢١ أبو الفدا، التقويم، ص١٠٨

١٣٢٩ أبو الفدا، تاريخ، ط رايسكه، جـ٢، ص٤٩٨-٥٠١

قبل ١٣٩٩ ابن دقماق، جـ٥، ص٣٥-٣٧

١٤٠٥ الدميري، حياة الحيوان

١٤١٢ المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٥٩-٣٦٤

1457 ANON. Gotha Ms. 1628-9

١٤٦٩ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ط جوينبولز، جـ٢، ص٣٦٣

١٥٢٢ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٥

1672 VANSLEB (F), Nouvelle relations d'un voyage fait en Égypte, pp. 117-19.

1730 TOURTECHOT DE GRANGER, Relations du voyage fait en Égypte, p. 135.

1747-51 FOURMONT, Description des plaines d'Heliopolis et de Memphis, p. 16.

1837 QUATREMERE, Vie du Khalife Fatimite Moëzz. Journal Asiatique, 3me Sér., t. III, pp. 44-50.

1843 WILKINSON (Sir Gardner), Modern Egypt and Thebes, I, pp. 224-5.

1848 MARCEL, Égypte, pp. 98-101.

1849 CURZON (Robert), Visits to Monasteries in the Levant, pp. 24-5.

1851 POOLE, (Mrs. S.), The English woman in Egypt, I, p. 135.

1858 DE MARLÉS, Firmin, ou le jeune voaygeur en Égypte, pp. 231-2.

1880 BOZONNET, Égypte, Souvenirs de voyage, pp. 70-1.

----- CHARMES (G), Cinq mois au Caire, pp. 54-6.

1882 KAY, (H. C.), Al-Kahira and its Gates, J.R.A.S., 1882, pp. 229-45.

1883 VAUJANY (H. de), Le Caire, pp. 97-102.

1887-90 RAVAISSE (Paul), Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire. M.M.A.F.C., I, p. 412.

٨٨-١٨٨٩ علي مبارك، الخطط الجديدة، جـ١ ، ص٥؛ جـ٢، ص٩٧.

1891 ABBATE (W.), Les Origines du Caire. B.I.É., 3me Sér., No. 1, pp. 16-18.

------ BERCHEM (M. van), Notes d'archeologie arabe. Hournal Asiatique, 8me Sér., t. XVII, pp. 443-5.

1894 CASANOVA (P.), Histoire et description de la Citadelle du Caire. M.I.F.A.O., VI, pp. 525-34.

1896 LANE (E.W.), Cairo Fifty Years Ago, pp. 22-9.

1898 LANE-POOLE (S.), Saladin, pp. 112-15.

1901 LANE-POOLE (S.), A History of Egypt in the Middle Ages, pp. 101-3.

1902 LANE-POOLE (S.), The Story of Cairo (Medieval Towns Series), pp. 117-32.

1912 REITMEYER (E.), Berschreibung Ägyptens im Mittelalter, pp. 185-93.

1912 REITMEYER (E.), Die Städtegrundungen der Araber im Islam, pp. 112-15.

------ BECKER (C. H.), art. Cairo, in the Encyclopedia of Islam, I, pp. 821-3.

1913 AHMED ZEKY PASHA, Les nouveaux égouts du Caire et les passages souterrain des Khalifes Fatimites. B.I.É., 5me Sér., t. VI, pp. 1-10.

------ TODD (J.A.), in E. du Cane, Banks of the Nile, pp. 55-6.

1922 HASWELL (C.J.R.), Cairo: Origin and Development. Bull. de la Soc. Roy. de Géographie, XI, pp. 171-6.

1923 O'LEARY (de Lacy), A Short History of the Fatimid Khalifate, pp. 102-5.

1926 RICHMOND (E.T.), Moslem Architecture, pp. 76-7.

1927 MIGEON (G.), Manuel d'Art musulman. II.

1933 CRESWELL (K.A.S.), The Foundation of Cairo. Bulletin of the Faculty of Letters (Egyptian University), I, pp. 258-81.

١٩٣٤ محمود أحمد. تأسيس القاهرة، الهندسة. ص١٤، ٣٢٢-٣٣٥.

الفصل الرابع

الجامع الأزهر

اشـتق اسم الأزهر(١٤٠) من «الزهراء» وهو لقب فاطمة بنت النبى والتى يدعى الخلفاء الفاطميون أنهم ينحدرون من نسلها، مما حدى بالبعض الى افتراض أن اسم الجامع تم اختياره إكرامًا لها(١٤١). إلا أن هـذا الاحتمال الذى يفنده رافيس (Essai, M.M.A.D.C., III, p. 86) ويؤيده فولرز (art. Al-Azhar, *Encyclopedia of Islam*, I, p. 532) لا نجد له ما يؤيده فى أى مصدر عربى.

تاريخ الجامع(١٤٢)

بناؤه

يقول مفضل بن أبى الفضائل(١٤٣) (١٣٥٨م) ان الجامع الأزهر كان أول جامع يتم انشاؤه لأهالى القاهرة وإن جوهر القائد بناه عندما إختط القاهرة وانتهى من بنائها؛ ويذكر أن صلاة الجمعة أقيمت لأول مرة به فى رمضان ٣٦١هـ (١٦ يونيو-١٥ يوليو ٩٧٢م). وكان جوهر بنا القاهرة فى سنة ٣٥٨هـ. إلا أن رواية المقريزى التى ترجع الى تاريخ لاحق على هذه الرواية بسبعين عامًا، فتعد أكثر اكتمالاً، حيث يقول:

«هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذى أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الإمام أبى تميم معد الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وشرع فى بناء هذا الجامع فى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلثمائة وجمع فيه وكتب بدائر القبة ... مما أمر ببنائه عبدالله ووليه أبو تميم ... على يد عبده جوهر الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة. وأول جمعة جمعت فيه فى شهر رمضان لسبع خلون منه سنة إحدى وستين وثلثمائة» (الخطط، جـ٢، ص٢٧٣).

معنى ذلك أنه كانت هناك قبة فى الركن الأيمن الخلفى من حرم الجامع وقبة أخرى بالطبع فى الركن الأيسر الخلفى كذلك بغرض التماثل، كما هو الحال فى جامع الحاكم. يقول المقريزى إنه كانت هناك منطقة من فضة فى صدر الجامع فى محرابه(١٤٤)، كما هو الحال فى محراب جامع عمرو، وكانت تزن خمسة آلاف درهم نقرة. (الخطط، جـ٢، ص٢٧٥).

تحول الجامع الى مدرسة

يقول مفضل بن أبى الفضائل إنه فى عام ٣٧٨هـ (٢١ ابريل ٩٨٨ - ١٠ ابريل ٩٨٩م) ناقش الوزير أبو الفرج الذى كان يسمى يعقوب بن كلس مع الخليفة (العزيز) مسألة إجراء رواتب منتظمة لبعض الفقهاء، فأمر الخليفة لكل منهم بمبلغ يكفى لسد حاجته وانه ابتاع لهم دارًا بجوار الجامع، وكانوا يحضرون فى يوم الجمعة ويعقدون حلقات للدرس به، وكان كبيرهم يسمى أبى يعقوب (طبعة بلوشيه، جـ١٢، ص٥٠٠؛ ويضيف المقريزي، جـ٢، ص ٢٧٣ أنهم كانوا خمسة وثلاثين فقيهًا).

ويفترض البعض أن هذا كان معناه إدخال تعديلات معمارية ومنهم فلورى Flury, *Die Ornamente* وريتشموند Richmond, *Moslem Architecture*, 81 وغيرهما. ولكن لاحاجة الى مثل هذه الافتراضات؛ لأن

حلقات الدرس كانت تعقد بالجامع، وخاصة فى الحرم حيث يحتمى الطلاب والمعلمون من الشمس والمطر تمامًا، كما هو الحال اليوم بالأزهر، الى أن تم بناء مبنى خاص حيث يجلس كل شيخ الى جوار عمود أو على دكة أمام عمود ويحاضر لحلقة من الطلاب. ونجد وصفًا كاملاً لهذا المشهد لدى ابن خلدون حيث يخبرنا أن طالبين من طلاب الامام الشافعي وهما محمد بن عبدالحكم والبويطى تنازعا حول شرف خلافته فى الأستاذية **بجامع عمرو**[١٤٥]. ويذكر أن محمد بن عبدالحكم غضب وغادر المكان الذى اعتاد الشافعى على التدريس به، واتخذ لنفسه موضعًا تحت الطاق الذى كان يعقد فيه حلقات الدرس (ابن خلدون، جـ٢، ص ٥١٦). كما يذكر المفضل بن أبى الفضائل أن العزيز أجرى بعض التجديدات فى الجامع وقام بترميم بعض أجزائه (طبعة بلوشيه، جـ١٢، ص٥٠٠) وأن الجامع كان قد بنى **منخفضًا وتم رفع سقفه مسافة ذراع**[١٤٦] (جـ١٢، ص٥٠١).

الحاكم يحظر الخطبة[١٤٧]

يقول مفضل إن خطبة الجمعة كانت تلقى بالأزهر الى أن تم بناء جامع الحاكم فى سنة ٤٠٣هـ ثم بدأت الترتيبات الجديدة. **ويقول إنه رأى فى سيرة الحاكم**[١٤٨] كيف أقيمت صلاة الجمعة بمسجد الحاكم الجديد فى يوم الجمعة التاسع من رمضان ٣٩٩هـ (٧ مايو ١٠٠٩م) وإن الخليفة اعتاد بعد ذلك على إلقاء خطبة الجمعة فيه مرة وفى الجامع الأزهر مرة، وفى جامع ابن طولون مرة ثالثة وفى جامع مصر (أى جامع عمرو) مرة رابعة، ثم تم حظر إلقاء الخطبة بالجامع الأزهر فيما بعد (ص٥٠١، ٥٠٢، وانظر القلقشندي، جـ٣، ص٣٦٤). كما أمد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) الجامع بباب خشبى محفور من خشب الصنوبر التركى فى سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠م)، وهو محفوظ حاليًا **بمتحف الفن العربى**[١٤٩] (لوحة ١١٨ جـ).

أعمال المستنصر والحافظ والآمر

يقول المقريزي:

«ثم إن المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) جدد هذا الجامع أيضًا وجدده الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة» (جـ٢، ص٢٧٥)

وفى عام ٥١٩هـ (١١٢٥-١١٢٦م)، أهدى الخليفة الآمر محرابًا خشبيًا للجامع وهو محفوظ حاليًا بمتحف الفن العربى[١٥٠](لوحة ١١٨ جـ).

أعمال صلاح الدين

يسجل التاريخ عدة أحداث وقعت فى عهد صلاح الدين منها:

١ . إزالة الشريط الفضى من فوق المحراب فى **٢ ربيع الأول ٥٦٩هـ**[١٥١] (١١ أكتوبر ١١٧٣م) (المقريزي، جـ١، ص١٣)؛

٢ . تعلية مئذنة الجامع (مفضل بن أبى الفضائل، جـ١٢، ص٥٠٠)؛

٣ . وقف إقامة صلاة الجمعة قرابة قرن نتيجة لرد الفعل السنى (المقريزي، جـ٢، ص٢٧٦).

تاريخ الجامع فى عهد المماليك البحرية :

يذكر مفضل بن أبى الفضائل أن السلطان بيبرس البندقدارى فكر فى سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٦م) فى إقامة صلاة الجمعة بالجامع الأزهر، وأن صلاة الجمعة لم تقم به قبل ذلك منذ عهد الخليفة الحاكم العبيدي(١٥٢)، وأن هذا الحال استمر منذ أن بنى الحاكم الجامع المعروف باسمه (وهو ما يذكره القلقشندي، جـ٣، ص٣٦٤) وأن الجامع صار فى حالة سيئة للغاية منذ ذلك الحين، وأن الأمير عز الدين أيدمر الحلى حين شيد داره بالقرب من الجامع، قام بترميم الأجزاء المخربة فيه مما أدى الى إعادة القاء الخطبة فيه من جديد، ورغم اعتراض بعض الفقهاء بدءا من ١٨ ربيع الثانى ٦٦٥ (يناير ١٢٦٦م، جـ١٢، ص٤٩٨-٤٩٩). ووردت تفاصيل هذا الخلاف بين الفقهاء لدى المقريزى فى «السلوك»، طبعة بلوشيه، جـ١، ص٥٥٦).

ويروى المقريزى مزيداً من التفاصيل فى هذا الشأن، حيث يقول:

«ثم إنه جدد فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقداري. قال القاضى محيى الدين بن عبدالظاهر فى كتاب سيرة الملك الظاهر(١٥٣) لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر فتبرع الأمير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال ... وشرع فى عمارته فعمر الواهى من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه حتى عاد حرما فى وسط المدينة واستجد به مقصورة حسنة» (الخطط، جـ٢، ص٢٧٥)

ويتضح من نقش مدون على حشوة خشبية مساحتها ١٠٥ × ٢٥سم كانت محفوظة ضمن مجموعة شيفر أن المنبر(١٥٤) الذى كان بيبرس أقامه بالجامع تم العمل فيه فى ١٣ ربيع الأول من نفس العام (١٢ ديسمبر ١٢٦٦م) (Van Berchem, C.I.A. *Egypte*, I, 189-90) أى قبل خمسة أيام من إعادة إلقاء الخطبة فيه.

يقول المقريزي:

«ثم لما كانت الزلزلة بديار مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الأزهر والجامع الحاكمى وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فتولى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمى وتولى الأمير سلار عمارة الجامع الأزهر» (جـ٢، ص٢٧٦)

وفى عام ٧٠٩هـ (١٣١٠م) بنيت المدرسة الطيبرسية(١٥٥) أمام النصف الأيمن من واجهة الجامع الشمالية الغربية (المقريزي، جـ٢، ص٣٨٣) وبذلك تم قطع جدار الجامع.

يذكر المقريزى أن الجامع تم ترميمه على يد القاضى نجم الدين محمد الأسعردى (نسبة الى أسعرد بأرمينيا) فى سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥م الخطط، جـ٢، ص٢٧٦). ونرى أن الزخرفة الجصية المحيطة بعقد المحراب ربما كانت جزءاً من الأعمال التى تمت بأمر منه. وفى عام ٧٣٤هـ (١٣٣٣م) أقيمت مدرسة الأمير آقبغا على النصف الأيسر من الواجهة الشمالية الغربية وفصل جدار الجامع كما كان بالنسبة للمدرسة الطيبرسية قبل ذلك بأربعة وعشرين عامًا. وبنيت هذه المدرسة التى تم الانتهاء منها فى سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٩م) مكان ميضأة الجامع الأزهر. يقول المقريزي:

«ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عندما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الآقبغاوية الى أن بنى الأمير آقبغا عبدالواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الآقبغاوية»(١٥٦) (الخطط، جـ٢، ص٢٧٦)

«ثم جددت عمارته فى سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الأمير بشير الجمدار (وهو الأمير الذى أخذ على عاتقه إتمام ضريح مدرسة السلطان حسن) فى دار الأمير فخر الدين ... فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك

المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالإصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ... وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لتسبيل الماء العذب فى كل يوم وعمل فوقه مكتب سبيل لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ...» (جـ٢، ص٢٧٦)

تاريخ الجامع فى عهد المماليك الجراكسة [أو البرجية]

يقول المقريزى:

«وفى سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نقرة وكملت فى ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها الى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع... فلم تزل هذه المئذنة الى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت لميل ظهر فيها وعمل بدلها منارة من حجر على باب الجامع البحرى بعدما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقده وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك **الأشرف خليل** التى كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين التاج الشوبكى والى القاهرة ومحتسبها الى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت فى صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفى شوال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذى يتوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء ... وتم بناؤه فى ربيع الأول وعمل بأعلاه مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء ... ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عندما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الآقبغاوية الى أن بنى الأمير آقبغا عبدالواحد مدرسته المعروفة بالمدرسة الآقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن فان الأمير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الآقبغاوية» (الخطط، جـ٢، ص٢٧٦)

وفى أواسط القرن الخامس عشر بنى ضريح مدرسة جوهر القنقبائى (١٥٧)الصغير أمام الجانب الشمالى الشرقى مع وجود نافذة تفتح على آخر أروقة الحرم. وليس بها نقش بتاريخ البناء، ولم يذكر تاريخه لدى أى مؤرخ. ولكن بما أن جوهر توفى فى أول شعبان من عام ٨٤٤هـ (٢٦ ديسمبر ١٤٤٠م)، فالأرجح أنه بنى قبل هذا التاريخ وبعد عام ٨٣١هـ (١٤٢٩م) عندما ظهر البنّاء لأول مرة فى التاريخ كخازن للسلطان برسباى (أبو المحاسن، طبعة بوبر، جـ٦، ص٦٣٦).

ويبدو أن هناك العديد من التعديلات أجريت فى سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م)؛ حيث يذكر السخاوى أنه فى يوم الأحد الثالث من ربيع الثانى تم نفى الأمير سودون الى حلب وكان يقوم بالإشراف على «عمارة» الجامع الأزهر وفى وقت كان العمال منشغلين فيه بطلاء المحراب وصقل الأعمدة (التبر المسبوك، ص٩١).

أعمال السلطان قايتباى والسلطان الغورى

قام السلطان قايتباى بزخرفة الجامع. وكان أول أعماله اقامة البوابة فى نهاية المجاز الكائن بين المدرسة الآقبغاوية والمدرسة الطيبرسية. ويرجع تاريخ هذا المجاز الى رجب ٨٧٣هـ (يناير ١٤٦٩م) طبقا لما ورد فى نقش يدور عبره بارتفاع يقرب من المترين عن الأرض (Mehren, *Kerâfat*, II, p. 59).

وبعد ثمانى سنوات، قام بانجاز آخر. يقول ابن اياس انه فى ذى الحجة من عام ٨٨١هـ (١٤٧٧م) قام بزيارة للجامع وأمر بترميم الأجزاء المهدمة به وخصص لهذا الغرض عشرة آلاف دينار (ابن اياس، تاريخ، جـ٢،

ص١٦٩) . فماذا كان هذا الإنجاز؟ لعله كان المئذنة القائمة على يمين مجاز بوابته؛ فهى تحمل اسمه، ولو أنها غير مؤرخة (Van Berchem, 47-8) ومجاز بوابة ذا عقد مدبب تحت الرواق الشمالى الشرقى ويؤدى الى مجاز معقود يؤدى بدوره الى صحن الميضأة الكبير حيث نجد **خرطوشًا**(١٥٨) يحمل اسم قايتباى فى كل ركن علوى (Van Berchem, pp. 45-6) .

وضمن أحداث فى سنة ٩٠٠هـ، يقول ابن إياس انه فى محرم (أكتوبر ١٤٩٤م)، تمت أعمال ترميم الأزهر تحت إشراف خواجه مصطفى بن محمود بن رستم الرومى وان السلطان قايتباى أنفق خمسة عشر ألف دينار على هذه الأعمال (جـ٢، ص٢٨٥) . وكما يشير فان بيرشم فإن اسم والده يفسر سبب اختيار السلطان له ليتولى الإشراف على العملية، إذ كان محمود بن رستم هو النخاس الذى أتى بقايتباى فى صباه الى مصر عام ٨٣٩ هـ وباعه للسلطان برسباى وظل يسمى بالمحمودى الى أن تولى العرش (C.I.A., *Égypte*, I, p. 675) .

ويبدو أن هذه العملية استمرت؛ إذ نجد نقشًا على حشوة خشبية كانت تحت الرواق الجنوبى الغربى تحمل أمرًا لخواجه مصطفى ابن خواجه محمود بن رستم بإقامة مقصورة بالجامع فى شعبان ٩٠٠ (١٤٩٥م Van Berchem, 46-7) . وهناك ثلاث حشوات خشبية محفوظة حاليًا بمتحف **الفن العربى**(١٥٩) (تحت أرقام ٧٤ الى ٧٦ بالكتالوج القديم وأرقامها الحالية ٦١٩، ٦٩٣، ٤١٢ على التوالي) تسجل قيام نفس هذا الرجل بمزيد من الترميمات فى الجامع، إذ تنص الحشوة رقم ٧٤ على اسمه (Herz, 2me éd., 97-8) وتسجل الحشوة رقم ٧٥ اسمه وتاريخ رجب ٩٠١هـ (مارس ١٤٩٦م)، وتحتوى الحشوة رقم ٧٦ على اسمه ومسقط رأسه فى بورصة، ولكن بدون أى تاريخ (Herz, 98) .

كما أضاف السلطان الغورى مئذنة ثانية على الجانب الشمالى الغربى من الصحن الى جوار المدخل الشمالى الغربى الصغير وتحمل نقشًا باسمه ولكن بدون تاريخ (Van Berchem, *Égypte*, II, 48-9) . وظل السلطان الغورى فى الحكم من ٩٠٦ الى ٩٢٢هـ (١٥٠١-١٥١٦م) . ولعله من الممكن أن ننسب الى هذا السلطان بناء القبة الكائنة أمام المحراب استنادًا الى مقرنصات. ولا نجد مثالاً واحدًا يشابه هذه المقرنصات طوال العصر المملوكى كله الى أن نأتى الى تلك المقرنصات التى تحمل قبة ضريح الإمام الليث(١٦٠)، وهى تمثل جزءًا من جامع يرجع تاريخ مدخله الى الأول من رجب ٩١١هـ (١٥٠٥م، وانظر Creswell, *Brief Chronology*, 16, p. 154) . والتشابه هاهنا كبير لدرجة لاتبقى لديّ على أى شك فى نسبتها اليه. ويذكر ابن أبى السرور عملية ترميم للجامع حوالى عام ١٥٩٥م على يد **سيد محمد باشا والى مصر**(١٦١).

أعمال عثمان كتخدا وعبد الرحمن كتخدا

يقول الجبرتى (ط بولاق، جـ١، ص١٦٨) إن الأمير **عثمان كتخدا**(١٦٢) (المتوفى ١١٤٨ هـ/١٧٣٥م) أقام زاوية للعميان ورواق الأتراك والرحبة الملحقة به ورواق السليمانية(١٦٣). إلا أن أكبر إضافات تمت بالجامع كانت إضافات عبدالرحمن كتخدا، ويعددها الجبرتى قائلاً : وأنشأ وزاد فى مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولا وعرضا ، يشتمل على خمسين عمودا من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها بالخشب النقى وبنى به محرابا جديدًا ومنبرا ، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه مكتبابقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن وبداخله رحبة متسعة وصهريج عظيم وسقايا لشرب العطاش المارين وعمل لنفسه مدفنا

بتلك الرحبة وعليه قبة معقودة وتركيبة من رخام بديعة الصنعة(شاهد قبر) وبها أيضاً رواق مخصوص بمجاورين الصعايدة المنقطعين لطلب العلم ، ويسلك من تلك الرحبة بدرج يصعد منه إلى الرواق وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب وبنى بجانب ذلك الباب منارة وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع وعليه منارة أيضًا ، وبنى المدرسة الطيبرسية وأنشأها نشوءاً جديداً ، وجعلهامع مدرسة الأقبغاروية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذى أنشأه خارجها جهة القبو الموصل للمشهد الحسينى وخان الجراكسة وهو عبارة عن بابين عظيمين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة وفوقه مكتب أيضاً ، وبداخله على يمين السالك بظاهر الطيبرسية ميضأة، وأنشأ لها ساقية لخصوص إجراء الماء إليها وبداخل باب الميضأة درج يصعد منه للمنارة ورواق البغداديين والهنود فجاء هذا الباب وما بداخله من الطيبرسية والأقبغاوية والأروقة من أحسن المبانى فى العظم والوجاهة والفخامة »(١٦٤). (الجبرتي، ط بولاق، جـ٢، ص٥).

وأرخ بعضهم ذلك بحساب الجمل: «بعبد رحمن باب الأزهر انفتحا» (١٦٥)وضع فى النهاية وقيمته الرقمية ١١٦٥هـ (١٧٥١م). وكل هذه الزيادات المذكورة لاتزال قائمة فيما عدا المئذنة القائمة على المدخل الشمالى الشرقي.

عمارة رواق الشرقاوية

يذكر الجبرتى (ط بولاق، جـ٤، ص١٦١) أن طلاب مديرية الشرقية كانوا يقيمون بالمدرسة الطيبرسية وأن الشيخ الشرقاوى أقنع ابراهيم بك والى القاهرة ببناء مكان خاص لهم. فقام إبراهيم بك بتخصيص منزل بحذى الجامع، قرب المدرسة الجوهرية دون أن يدفع ثمنه وألحق به قطعة أرض وبنى رواق الشرقاوية مستعينا بالحجارة وبعمود ضخم (لعله العمود الذى نراه هناك حاليًا) من جامع بيبرس على الطريق الى العباسية. ويبدو أن الباب الذى يصله بالرواق الشمالى الشرقى كان قائمًا قبل هذا، إذ تحمل عتبته زخارف من طراز عصر قايتباي. كان إبراهيم فى البداية ضابطاً فى عام ١١٩٢هـ (١٧٧٨م)؛ وبعد فترة وجيزة أصبح واليًا على القاهرة، وقتل بمعركة الأهرام فى السابع من صفر ١٢١٣هـ (يوليو ١٧٩٨م.) وبالتالى فقد يرجع هذا الرواق الى الفترة من ١٧٧٨ الى ١٧٩٨.

وفى ٢٨ رجب ١٢٠٣هـ (١٧٨٩م) بدأ والى مصر فى طلاء جدران الجامع الأزهر بالجير والمغرة. وفى ١١ جمادى الأولى ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) قام الفرنسيون بقصف القاهرة بالمدافع من القلعة ومن فوق الروابى الممتدة على طول الجانب الشرقى من المدينة، وذلك لقمع حركة التمرد الكبري. ويذكر الجبرتى أن نيران مدافعهم كانت موجهة الى الأزهر والمنطقة المحيطة به (الجبرتي، جـ٣، ص٢٦).

تاريخ الجامع منذ عام ١٨٠٠م

يسجل الجبرتى فى يومياته أنه فى يوم الاثنين التاسع من رجب ١٢٢٩هـ (٢٧ يونية ١٨١٤م)، وقع زلزال لحظة أذان العشاء، مما أدى بالمؤذنين الى الهبوط من أعلى المآذن بسرعة، والى سقوط شرافة من شرافات الجامع الأزهر (جـ٤، ص٢١١).

وضع باسكال كوست أول رسم لتحطيط الجامع فى حوالى عام ١٨٢٠م. وكان محمد على طلب منه القيام بوضع تخطيط لجامعين. وأجاب كوست بأنه قبل أداء تلك المهمة لابد من التعرف على الجوامع الكبرى بالقاهرة من الداخل. فصدرالفرمان له بذلك. إلا أنه أمر بعدم دخول الأزهر. ونظراً لرغبته فى أداء ما

كُلف به، ذهب يوما للقاء المسؤول عن الأزهر، فرحب به. وأخبره كوست بأمر الوالى له برفع تقرير عن حالة أرضية مختلف أجزاء الجامع التى تحتاج الى إصلاح وترميم؛ وبذلك تمكن من أخذ عدد من القياسات يكفى لوضع تخطيط تقريبى للتصميم العام للجامع وألقى نظرة عامة عليه من الداخل، ورسم بعض التفاصيل، وخاصة تفاصيل مدخل عبدالرحمن كتخدا الشمالى الغربى ذى العقدين [باب المزينين] (انظر كتابه *Architecture Arabe, ou Monuments du Caire* اللوحات ٧، ٨، ٣٧). وفى عام ١٨٥٥، نشر جيرو دى براجى تخطيطاً آخر للجامع من الداخل وصورة للصحن الغربى (*Monuments et paysages de l'Orient*، لوحة ١٢).

وفى عام ١٢٩٠ (١٨٧٣-١٨٧٤م)، أعيد بناء بعض البائكات فى النصف الأيمن من الحرم (تاريخ جامع الأزهر، يوسف أحمد، ص٥٧). وفى عام ١٨٨٣م، كان الجامع فى حالة خطيرة كما يتضح من الفقرة التالية من تقارير لجنة حفظ الآثارالعربية : «وتم القيام بأعمال كبرى فى هذا المسجد، إلا أنها مرت دون ذكر. والأجزاء الرئيسية من هذا البناء تحتاج الى ترميم كامل» (Comité de Conservation, *Exercice 1882-83*, 2me éd., p. 34). وبعد ذلك بفترة وجيزة، كتب على مبارك قائلاً إن وزارة الأوقاف كانت قد أمرت بإزالة المدرسة الآقبغاوية والتى ظلت قائمة الى ذلك الحين وبدأت فى إعادة بنائها. وكانت هذه المنشأة تتكون من واجهتين إحداهما شمالية شرقية والأخرى شمالية غربية ومن أربع دعامات وثمانية أعمدة يرتكز عليها السقف (الخطط الجديدة، جـ٢، ص٩١). وقد ذكرنا هذه المعلومة فى هذا الموضع لأننا سنرى أن واجهتها الشمالية الغربية الجديدة كانت تتحكم فى تخطيط بقية الواجهة الشمالية الغربية لمجموعة منشآت الأزهر.

وفى عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٨-١٨٨٩م)، قام الخديوى توفيق بتجديد معظم المقصورات الخشبية التى يرجع تاريخها الى عام ٩٠٠هـ فى عهد السلطان قايتباي، وكانت تفصل الحرم عن الظلة. [الرواق القبلى للصحن من أعمال الحافظ] وكانت المقصورات الجديدة نسخة من الأخرى القديمة. وتم نقل بعض أجزاء من المقصورات القديمة الى متحف **الفن العربى** (يوسف أحمد، ص٥٧). كما قام بإعادة بناء جزء من الحرم كان أضافه عبدالرحمن كتخدا. ويتأكد ذلك من نقش مدون أعلى الباب الجنوبى الغربى لذلك الجزء (باب الصعايدة). وإذا أمعنا النظر فى الجزء المطل على حارة كتامة ومقارنته بالتخطيطات القديمة، يتضح أنه قام بإعادة بناء الواجهة برمتها من أقصاها الى أقصاها، وربما بعض الجدران الفاصلة وراءها أيضا. وفى عام ١٨٩٠م تم إبلاغ اللجنة ببدء مشروع لإعادة بناء البائكات القائمة على دعامات خلف ظلات الصحن؛ فنجد الدعامات تميل باتجاه الصحن بمقدار يزيد عن ٢٠سم على ستة أمتار فى بعض المواضع.

كما تم إبلاغ اللجنة بأن أعمال التنقيب أوضحت أن «أبدان الأعمدة تميل قليلاً فوق قواعدها بسبب سلسلة من عمليات الترميم». ومن ثم، فقد اقترح ما يلي: (١) إعادة بناء البائكات بقواعدها كاملة؛ (٢) النسخ الدقيق للزخارف الجصية القديمة التى تزين الواجهات الداخلية للعقود (القائمة على أعمدة) لواجهات الصحن الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية؛ (٣) صيانة القبة الصغيرة الكائنة فى وسط الجانب الشرقى مع إعادة بناء بقية الواجهة. ووافق أعضاء اللجنة على هدم كل البائكات التى تشكل واجهات الصحن الشمالية الشرقية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية. إلا أنهم أصروا على ضرورة صيانة القبة الكائنة فى مركز الواجهة الجنوبية الشرقية مهما بلغت التكاليف. أما بالنسبة للبائكة القائمة على دعامات وراءها، فقد رأوا ضرورة تدعيمها وتجديد قواعدها وترميم الجزء العلوى منها وجعله رأسيا ان أمكن. وكانت الزخرفة الجصية على واجهتها الجنوبية الشرقية سليمة لم تصب بسوء (Comité du Conservation, *Exercice 1890*, pp. 104-5).

وفى ابريل ١٨٩١ ، تم إبلاغ اللجنة بأن المقاول لم يتمكن من إنجاز المهمة الموكلة اليه على الوجه المطلوب؛ وبالتالي، تم تفويض مهندس اللجنة تفويضًا كاملاً (*Exercice 1890*, p. 48) . وسنناقش ما تم تفصيليا حين نأتى الى وصف الجامع وتحليله.

وفى جمادى الأولى ١٣١٠هـ (نوفمبر ١٨٩٢م) ، قام الخديوى عباس الثانى بزيارة الجامع ، وكان لايزال العمل جاريًا فى البائكات الأربع التى تكوّن ظلات الصحن وفى الحشوات الجصية التى تشكل زخرفتها. وتم تجديد معظم الإفريز الحجرى للزخارف المفرغة تحت الشرافة (يوسف أحمد، ص٥٧-٥٨) . أما بالنسبة لما تم عمله فى حالة البائكة القائمة على دعامات والتى تفصل الحرم عن الصحن، فسنناقشها فيما بعد.

رأينا أن المدرستين الطيبرسية والآقبغاوية ومئذنة السلطان الغورى كانت جميعًا قد بنيت خارج الجدار الشمالى الغربى للجامع وأن عبدالرحمن كتخدا ربط بين هاتين المدرستين بظلة ذات عقد مزدوج وبمئذنة الى يمينها. وفى القرن التاسع عشر، تكدست منشآت أخرى عديدة من دكاكين ومراحيض عامة ومخازن وسلالم الى الدور العلوى على الجانب الشمالى الغربى الى يمين المدخل ذى العقد المزدوج وعلى طول الجانب الجنوبى الغربى وحتى المدخل الثانى ذى العقد المزدوج والذى ينتسب الى عبدالرحمن كتخدا. ولتوسيع الطريق وإضافة واجهة للجامع لم تكن له من قبل، تقرر إزالة هذه المنشآت (تضم كل الطبعات القديمة من كتاب بايديكر تخطيطا للأزهر تظهر فيه هذه المنشآت، فى حين تظهر الطبعات الأحدث الواجهة الشمالية الغربية بالرواق العباسي، وكذلك الواجهة الجنوبية الغربية. والأرجح أنه حصل على كل هذه التخطيطات من وزارة الأوقاف. وعلى الرغم مما بذلت من جهد فى فحص وثائق الأزهر، إلا أنى لم أوفق فى العثور على الأصول فيما عدا أصل واحد تظهر فيه الواجهتان الجديدتان فى حالة مكتملة. لكننى عثرت على تخطيطين تبدو فى أحدهما الواجهة الشمالية الغربية قبل التعديلات (شكل ١٢) وفى آخر الواجهة الجنوبية الغربية (شكل ١٣) . وعلى الرغم من افتقار التخطيط الأول للدقة فى الجزء الأيسر الذى تبدو فيه المدرسة الآقبغاوية) ، إلا أنى أقدمه هاهنا لا لشئ إلا لعدم وجود ما هو أفضل منه) .

وفى عام ١٨٩٤ ، ظهر هذا الاقتراح لأول مرة وانتهى بإضافة الجزء الأكبر للواجهتين الشمالية الغربية والجنوبية الغربية. وفى الاجتماع التالي، تم إبلاغ اللجنة بأن الخديوى كان يرغب فى بناء الرواق العباسى وفى الوقت نفسه فى توسيع الشارع على الجانب الشمالى الغربى للجامع. ووافقت اللجنة على ذلك بشرط وضع تخطيطات وصور للمئذنة (Comité de Conservation, *Exercice 1894*, 2me éd., 48) . ولم أتمكن من العثور على أى من هذه التخطيطات والصور؛ إلا أن الجزء السفلى من المئذنة ورد لدى كوست فى كتابه بعنوان *Architecture Arabe* (لوحة ٨) ولدى هاى فى كتابه بعنوان *Illustrations of Cairo* (لوحة ٢٩) ، وتم تسليم تصميمات هذا المشروع الى اللجنة فى ١٢ ديسمبر ١٨٩٤ وتم تفنيد التفاصيل (*Exercice 1894*, pp. 130-31) .

وفى الثانى من يناير ١٨٩٦ ، أبلغ مدير الأوقاف اللجنة ببدء إزالة المنشآت الطفيلية غرب باب المزينين. فقررت اللجنة ضرورة إزالة الكتّاب الكائن بأعلى هذه البوابة والذى نجده مصوراً لدى كوست فى لوحة رقم (٨) ، مما أدى الى ترك قمة مجاز البوابة على نفس مستوى واجهة الآقبغاوية. وقررت اللجنة ضرورة الإبقاء عليها عند هذا المستوي. وتم وضع حجر أساس العمل الجديد فى ١٢ شوال ١٣١٣هـ (مارس ١٨٩٦م) (Exercice 1897, pp. 117) . وفى أبريل ١٨٩٧ ، أبلغت اللجنة مهندسها، ويدعى هرتز، بضرورة إزالة الترابيع ذات

الطلاء الأحمر والذى كان يشوه بوابة قايتباى (Exercice 1897, pp. 117). وفى عـــام ١٣١٧هـ (١٩٠٠م) أضيفت الصنابير للميضأة الحالية (سليمان رشاد، كنز الجوهر، ص٥٨). ويبدو أنه تم الانتهاء من الواجهة الجديدة والرواق العباسى – وكلاهما ارتفاعه ثلاثة طوابق– ومدخل جديد للجامع فى سنة ١٩٠١، لأن اللجنة اتجهت لمعاينة الإضافات الجديدة فى ١٩ يناير من ذلك العام (Exercice 1901, p. 26). وكان قد تم إبلاغها قبل ذلك بثلاثة أيام باقتراح بإزالة كل المنشآت الكائنة على الجانب الجنوبى الغربى من الجامع وإضافة واجهة جديدة بنفس طراز وارتفاع تلك الواجهة التى أضيفت حديثًا الى الجانب الشمالى الغربى وبناء حجرات للادارة والمحاضرين والطلاب بينها وبين الجدار الخارجى للجامع. ولما كان جزء من غرف الطابق العلوى يتداخل مع الجزء القديم من الحرم بمسافة ٤,٥م، تقرر إحلال جزء من الصلب له تاج من الصلب محل العمود المستقل القديم وطلاء الأجزاء الجديدة بما يشبه الرخام.

وصف وتحليل(١٦٦)

يتكون الجامع الأزهر بزياداته العديدة حاليًا من مجمع مبانى مساحته حوالى ١٢٠م عرضًا و١٣٠ عمقًا (شكل ٢٠). ويشكل الجامع الأصلى مستطيلاً عرضه حوالى ٨٥م وعمقه ٧٠م فى منتصف هذا المجمع وتحيط به من كل جوانبه منشآت أكثر ارتفاعًا وأحدث عهدًا (إذ نجد على الجوانب الشمالى الغربى والجنوبى الغربى والجنوبى الشرقى أن هذه المنشآت جميعا من ثلاثة طوابق) بحيث لم تعد واجهته ظاهرة من أى جانب.

الواجهة الرئيسية لمجمع المبانى

يبلغ طول هذه الواجهة ـ الشمالية الغربية ـ حوالى ٩١م ويتخللها مدخلان؛ فالى اليسار، نجد المدخل ذا العقد المزدوج [باب المزينين] وينتمى الى عبدالرحمن كتخدا؛ والى اليمين مدخلا أقامه الخديوى عباس الثانى فى سنة ١٩٠١. وتخطيط هذه الواجهة ليس خطًا مستقيمًا تمامًا؛ فالجزء الذى ينتمى الى عبدالرحمن كتخدا يبدو منحرفًا، كما يتضح من التخطيط (شكل ٢٠). وعلى يسار هذا الجزء، نجد الواجهة الحديثة للمدرسة الآقبغاوية التى ترجع الى ثمانينيات القرن التاسع عشر. ومر بنا أنه عندما تم بناء الرواق العباسى والغرف التى تقع بينه وبين المدخل الرئيسى، تم تحديد تخطيطه بخط يمتد من واجهة الآقبغاوية ويتكون هذا الجزء من ثلاثة طوابق على الطراز شبه المملوكى.

الواجهة الجنوبية الغربية

ترجع هذه الواجهة فيما عدا الجزء الذى ينتمى الى الرواق العباسى الى تاريخ أحدث من الجزء الأيمن من الواجهة الشمالية الغربية، فقد سبق أن رأينا أنها بدأت من عام ١٩٠١، وتستمر حتى مدخل عبدالرحمن كتخدا الثانى (باب الصعايدة)، وتبلغ مساحتها (شاملة الرواق العباسى) ما يزيد قليلا عن ١٠٥م. وتشتمل على واجهة ارتفاعها ثلاثة طوابق تخفى وراءها الجدار الأصلى الخارجى للجامع ولكنها لاتوازيه. فأحد أطرافها يبعد عنه بمسافة ٤,٦٧م، فى حين تبلغ المسافة الفاصلة بينهما عند النقطة التى تمر عندها من الركن الجنوبى للجامع الأصلى حوالى ١,٤٢م فقط. وبهذا تكونت سلسلة من ثلاثة طوابق من الغرف الصغيرة. وتضم هذه الواجهة مدخلين كما يتبين فى شكل (٢٠).

وهناك فسحة بين عمودية عرضها ١٠,٤٣م، على جانبيها مئذنة، وتمثل مجازًا يؤدى الى مدخل

عبدالرحمن كتخدا الثانى المزدوج العقد والمعروف بباب الصعايدة. ثم نأتى الى حارة كتامة وفى نهايتها وعلى بعد ٦٠م تقريبًا، نجد ثالث مداخل عبدالرحمن كتخدا والمعروف بباب الشوربة وعلى جانبيه مئذنة أيضًا، ثم تنحرف الحارة بعد ذلك جهة اليمين.

المدخل الرئيسى (باب قايتباى)

نعود الآن الى المدخل الرئيسى ذى العقد المزدوج على الواجهة الشمالية الغربية [باب المزينين]. فإذا مررنا منه نجد أمامنا مجازًا عرضه حوالى ٥,٥م مكشوف السطح وعلى جانبيه واجهة ذات قيمة رفيعة، والى يساره مباشرة نجد المدخل المقرنص العظيم بالمدرسة الآقبغاوية فى فسحة عميقة. وبقية الجانب الأيسر من المجاز تمثله واجهة هذه المدرسة التى تضم نافذتين مركبتين فى دخلات ضحلة طويلة. والى يميننا نجد الواجهة المتعددة الألوان والخاصة بالمدرسة الطيبرسية (وهى مصورة لدى تاركى فى كتابه *L'architettura e l'arte Musulmana*, tav. 28) والتى تنتمى الى عبدالرحمن كتخدا فى عام ١١٦٥هـ (١٦٧)(١٧٥١م). ونجد أمامنا البوابة الرئيسية الجميلة المصورة فى كتاب فرانتز *Die Baukunst des Islam*, Fig. 101، وهى أحد الأعمال المبكرة للسلطان قايتباي. ونرى مئذنته الرائعة تعلو شامخة الى يمينها. ونجد أرضية المجاز مبلطة ببلاطات مصقولة من نوع من الرخام يتميز بالصلابة الشديدة وبه علامات يميل لونها الى الحمرة. وتمثل هذه الأرضية مجازًا فخيمًا بمعنى الكلمة يؤدى الى الجامع.

الصحن

وإذا مررنا تحت بوابة قايتباي، نجد أنفسنا تحت الظلة الشمالية الغربية للصحن. وعرض هذه الظلة ٤٨م وعمقها ٣٨,٥م. وهناك أحد عشر عقدًا على الجانبين الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى وتسعة عقود على الجانبين الآخرين. وهكذا فالظلات التى تكونت تتفاوت من ٤ الى ٥م فى العمق. والعقود جميعًا من النوع الشديد الانكسار، وترتكز على أعمدة رخامية، وتبرز عند ارتفاع ٣,٧٦م وترتفع الى ٥,٨٢م. ويبلغ ارتفاع الواجهة شاملة الشرافة ١٠,٧٥م. والجزء الأوسط من الواجهة الجنوبية الشرقية أعلى من بقية الأجزاء بمقدار متر واحد تقريبًا وبطول ٦م؛ وبالتالي، فهو يشكل **بشتاقًا** (انظر كتاب كريزول *Early Muslim Architecture*، جـ٢، ص ٦٦) يلفت النظر الى العقد الأوسط (لوحة ٨٩ب). ووراء البشتاق قبة على مقرنصات الى الأمام مباشرة من المدخل المؤدى الى المجاز القاطع. وقد رأينا أن جميع ظلات الصحن، فيما عدا الجزء المعقود الذى أشرنا اليه لتونا، أعيد بناؤه فى عامى ١٨٩١-١٨٩٢، وهى العملية التى أزيلت فيها الظلات التى كانت قائمة، ولكنها لم تعد كما كانت. وسنرى فيما بعد أن هذه الظلات ربما كانت تنسب الى الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م).

وإذا مررنا تحت هذه الظلات، نلاحظ أن السطح الخشبى المسطح لايزيد ارتفاعه عن ٦,٨٧م عن بلاط الأرضية؛ أى أقل من ارتفاع الواجهة بمقدار ٣,٨٨م. وإذا مررنا عبر الحرم (لوحة ٤أ)، نجد أن أسطح السقائف الجانبية منخفضة كذلك ولايزيد ارتفاعها عن ٦,٩٢م عن الأرضية. بعبارة أخرى، فإن الجزء العلوى من واجهات الصحن يعد فى الحقيقة جدارًا بنى بغرض إخفاء انخفاض الجامع ويضفى على الصحن مزيدًا من الجلال عما كان لو لم يكن ارتفاع واجهته الرئيسية سوى ٧م فقط.

الرواقان(١٦٨) الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى

هناك خلف الظلة على جميع الجوانب فيما عدا الجانب الشمالى الغربى بائكات على دعامات بمتوسط

١,٦٠ × ١,١٣م. والعقود هنا أيضًا هى عقود منكسرة من النوع الصريح. والدعامات التى تخص البائكات الى يمين الصحن ويساره تتخذ شكل حرف T فى تخطيطها. وتبرز من واجهاتها الخلفية بائكات بكل منها ثلاثة عقود وتنتهى أمام الجدران الخارجية للجامع تمامًا. وتتكون الدعامات الوسطى لهذه البائكات من أزواج من الأعمدة كما يتضح فى الشكل ٢٠ فيما عدا فى الرواق الجنوبى الغربي(١٦٩)، حيث تم استبدال دعامات ببعضها وجدران بالفواصل.

وفى البلاطات الثالثة والسادسة والعاشرة من الرواق الأخير، هناك درج يؤدى الى أبواب عليا. وتفتح البلاطة السادسة الى داخل دركاه الباب الأول فى الواجهةالجنوبية الغربية. ومن هذه الدركاه، يمكن الوصول أيضًا الى السلم المؤدى الى الطابقين العلويين الخاصين بالزيادة التى بنيت فى سنة ١٩٠١. وتؤدى الأبواب فى البلاطتين الثالثة والعاشرة الى ثلاث حجرات وأربع حجرات على التوالى فى الزيادة نفسها.

وفى البلاطة السادسة للرواق الشمالى الشرقي، هناك مجاز باب حجرى معقود وأنيق مزخرف بحواشى زخرفية وزوج من خراطيش [رنوك كتابية] السلطان قايتباي. ويفتح الى داخل دهليز معقود يزيد طوله عن ٥م بقليل ويؤدى الى الميضأة الرئيسية. وهناك باب فى البلاطة الرابعة يؤدى الى رواق الحنفية. وهناك باب آخر فى البلاطة الحادية عشر يؤدى الى غرفتين كانتا مخصصتين لوزير الأوقاف حين كان يزور الجامع.

الحـرم [مقدم الجامع]

(لوحة ٤أ): يتكون الحرم من مستطيل ضخم عرضه حوالى ٨٥م ويزيد عمقه عن ٢٤م بقليل وينقسم الى خمسة أروقة [بلاطات] بأربع بائكات على أعمدة رخامية تسير موازية لجدار القبلة. ويتخلل هذه البائكات من الوسط مجاز، مما يكوّن منها بائكتين كل منهما من خمسة عقود تسير من الصحن الى المحراب. وتتوقف البائكات الثلاث الأولى أمام جوانب المجاز، مما يجعلها تنقسم الى بائكات بكل منها تسعة عقود. إلا أن البائكة الرابعة تسير عبر المجاز بهدف دعم القبة التى تعلو مربعة المحراب، مع وجود زوج اضافى من الأعمدة بهدف حمل العقد الأوسط وفى الوقت نفسه خفض المسافة بين دعامتيه، كما يتضح فى اللوحة (٤أ). ومن الواضح أن القبة الحالية ودلاياتها ترجع الى تاريخ أحدث كثيرًا. ورأينا من قبل أنها ترجع الى عهد السلطان الغورى. وتبرز عقود المجاز بمقدار ٣,٢٠م وترتفع الى ٦,١٦م.

وهناك باب فى البلاطة الثالثة بالحرم الى اليمين يؤدى الى دركاه به غرفة طويلة وضيقة الى اليسار وسلم الى اليمين. وعلى الجانب الأقصي، هناك باب على الشارع. ويفتح الباب الأيسر الكائن بالبلاطة الرابعة بالحرم الى داخل الرواق المخصص لطلاب مديرية الشرقية. وسبق أن رأينا من قبل أن هذا الرواق يرجع الى الفترة من ١٧٧٨ الى ١٧٩٨م. أما الباب، فالأرجح أنه أقدم كثيرًا؛ فأعتابه منحوتة بزخرفة من طراز قايتباى (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م). وفى البلاطة الخامسة، يضم الجدار الأيسر نافذة تنتمى الى الإيوان الجنوبى الغربى من مدرسة ضريح جوهر القنقبائى (المدرسة الجوهرية) (١٧٠)(لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة، انظر الخطط الجديدة، على مبارك، جـ٢، ص ٩١).

السقف

يماثل السقف سقف الظلة فى شدة انخفاضه بالنسبة لمساحة الحرم، وارتفاعه ٦,٩٢م فقط من مستوى الأرضية. ويزيد ارتفاع سقف المجاز عنه بمقدار ١,٧٧م، أى المسافة الى الجانب السفلى من الدعامات الأفقية.

وتزداد الإضاءة في الحرم بعدد من الفتحات التي تشبه الأبواب السرية والمقصود بها استقبال ريح الشمال والسماح لها بالنفاذ الى داخل الجامع (وتعرف هذه الفتحات باسم الملاقف). ولعل تاريخ السقف بأكمله لا يزيد عن خمسين عاماً.

زيادة عبدالرحمن كتخدا (١٧١)

يلاحظ حاليًا أن جزءاً كبيراً من الجانب الخلفى من الحرم يفتح الى داخل زيادة عمقها أربع بلاطات، ويتم الصعود اليها بثلاث درجات سلم. وهي بالطبع زيادة عبدالرحمن كتخدا التى أمر الخديوى توفيق ببناء بائكاتها فى سنة ١٨٨٨، إلا أن جزءاً من الجدار الخلفى من الحرم القديم لايزال باقيًا (أ) قطعة فى الوسط طولها ٧م تقريبا، وفيها أقيم المحراب القديم وبروزه فى الخلف؛ (ب) الى اليمين، حيث نجد ١٠م مضمونة بحشوتين من الزخارف الجصية الجميلة، والنصف الأيمن من حشوة ثالثة ونافذتين.

تعد زيادة عبدالرحمن كتخدا أضيق من الجزء القديم من الحرم (حوالى ٦٩م بدلاً من ٨٥). ونظراً لكونها تسير بحذى الجانب الشمالى الشرقى من الجزء القديم، فإننا نجد محور محرابها يتجه يساراً (حوالى ٩,٤٠م شرقًا). والى يمين محرابه الرئيسي، هناك محرابان أصغر حجمًا كما يتضح من الشكل (٢٠). وفى الطرف الأيسر بالبلاطة الأولي، هناك المدخل المؤدى الى المدرسة الجوهرية. وهناك باب آخر بالطرف المواجه من نفس البلاطة يفتح الى داخل غرفة كبيرة خلف جدار الحرم القديم مباشرة وبطوله. وينتمى السلم والمجاز الذى يضم على جانبيه ثلاث غرف بين هذه الغرفة والشارع الى أعمال فى سنة ١٩٠١، كما يتضح من مقارنة التخطيط الراهن بالشكل (١٣). وفى البلاطة الأخيرة والى اليمين، هناك ممر بوابة واسع يؤدى الى الصحن الكائن خلف المدخل الثانى ذى العقد المزدوج لعبدالرحمن كتخدا والذى يعرف بباب الصعايدة، وعلى جانبيه مئذنة (رقم ٣). وعلى جانبى هذا الصحن وعلى الجانب الشمالى الغربي، هناك ضريح عبد الرحمن كتخدا؛ وعلى الجانب المقابل غرفة معقودة طويلة تحتوى على سبيل. وفى المساحة بين هذا السبيل وبين شارع كتامة، هناك صف طويل من الحجرات معظمها دكاكين. ويسير هذا الصف وراء الجدار الخلفى للحرم وحتى باب الشوربة والمئذنة القائمة على جانبيه (رقم ٤) وكلها من أعمال عبدالرحمن. وفوق هذه الدكاكين، هناك طابقان من الحجرات للطلاب يتم الصعود اليهما بسلمين بكل منهما باب يفتح الى داخل الجامع (تم تسويرها حديثًا) وباب آخر يفتح على الشارع.

وفى الجزء الخلفى من الحرم والذى يسير من ركنه الشرقى الى باب الشوربة، هناك مجاز طويل يرتفع ٧٠سم عن أرضية الحرم ويفصله عنه حاجز ارتفاعه حوالى ١,٢٠م، وكان يستخدم قديمًا فى توزيع الجراية على الطلاب الذين كانوا يقفون فى الجزء السفلي. وهناك باب على الطرف الشرقى من هذا المجاز يفتح على ضريح خالى من الزخرفة ويضم قبة على مقرنصات ويعرف اليوم خطأ باسم «ضريح الست نفيسة» (يقع ضريح الست نفيسة بجوار ضريح الخلفاء العباسيين بالطرف الجنوبى من شارع الأشرف. وتركناه على التخطيط بدون تحديد تاريخ له، إلا أنه يرجع الى تاريخ سابق على **١١٦٥هـ**(١٧٢) (**١٧٥١م**). فالجامع لم يكن يمتد ليصل الى بابه الحالى قبل ذلك التاريخ.

الجدار الشمالى الغربى

نبدأ الآن فى دراسة الجدار الشمالى الغربى للجامع كما يتضح فى التخطيط (شكل ٢٠). وبدءاً من

اليسار، نلاحظ أن حوالى ٣٣م منه تتكون من سور حجرى سمكه متران تقريبًا ويمثل جدار قبلة المدرسة الآقبغاوية. وبه نافذتان مستطيلتان ينتميان الى ضريح الأمير. ويتضح من تخطيطه أن المعمار كان يظن أن اتجاه الأزهر ليس دقيقًا، فاختار اتجاهًا ينحرف قليلاً الى الشرق. ثم يلى ذلك زحمة من الأبنية بطول ٧م وتتكون من بوابة قايتباى ومئذنة تنتمى أيضًا الى السلطان قايتباي. وتليها قطعة أخرى من سور بنى أيضًا من الحجر طوله يزيد قليلاً عن ١٢م ويشكل جدار المدرسة الطيبرسية، ويضم مستطيلين. وهنا أيضا انحرف المعمار عن اتجاه الأزهر ولكن باتجاه الغرب بدلاً من الشرق. وهناك سلم ضيق منحوت من الجدار الجنوبى الغربى للمدرسة. ثم يلى ذلك كتلة ضخمة من البناء تتكون من الجزء الصلب السفلى من مئذنة الغورى وسلمها الملحق بها (ويصعد الى مستوى السقف فقط، وهو أمر مألوف فى مآذن القاهرة التى شيدت بعد الزلزال المدمر الذى وقع فى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م). والطول الإجمالى لهذه الكتلة ٩,٦٣م. وأضيف الى جانبها الأقصى مجاز المدخل الغربى ولم يكن لها وجود قبل الرواق العباسى كما يتضح فى الشكل (١٢).

وهناك قطعة أخرى من جدار يزيد طولها قليلا عن ١٣م بها ثلاث دخلات معقودة؛ وهى تؤدى بنا الى الركن الغربى من داخل المبنى. ويوضح الشكل (١٢) أن أولى هذه الدخلات وأعمقها لم يكن لها وجود قبل بناء الرواق العباسي.

وهكذا يتضح أن الجدار الشمالى الغربى من الجامع تم تقطيعه فى تواريخ متعددة باستثناء الثمانية أمتار الأخيرة. وحتى هذا الجزء لايمكن قبوله لعدة أسباب. فإذا قارنا الأطراف الشمالية الغربية للبائكتين القائمتين على دعامات، نجد أن العقد الأخير يضم مسافة ٢,٣٨م بين دعامتيه، ويرتكز على دعامة ناتئة [بارزة] بمقدار ٦٣سم عن الجدار الشمالى الغربي، فى حين أن نظيره على الجانب المقابل له بين دعامتيه مسافة قدرها ٢,٦٩م ويخرج من الجدار مباشرة. وهكذا فإن الدعامة الأخيرة من البائكة الأولى مساحتها ٢,٣٨ × ٠,٦٣ = ١,٣م من الجدار الشمالى الغربي، فى حين تبلغ مساحة نظيرتها المقابلة لها لاتزيد عن ٢,٦٩م ، بفارق ٣٢سم. ونستنتج من ذلك أن الركن الغربى الأصلى كان يزيد بمقدار ٣٢سم تقريبًا الى الشمال عما هو الآن، وأن الجدار الحالى تم الخروج به لهذه المسافة؛ مما يعنى أن الخط المستقيم للجدار الشمالى الغربى الأصلى كان يسير مسافة ٣٠سم خلف واجهة الثمانية أمتار الأخيرة من الجدار الحالى ومسافة ٢٠سم أمام الواجهة الخلفية للفجوتين المعقودتين. إضافة الى ذلك، فان الجانب الشمالى الغربى لهذا الجدار ينتمى الى الرواق العباسي. وبهذا، فمن المستبعد أن يكون أى جزء من أجزائه أصليًا.

الجدار الجنوبى الغربى

وتتخلله أبواب عرضها جميعًا حوالى مترين فى الفسحات الثالثة والسادسة والعاشرة والرابعة عشر بين الأعمدة واتجاهها من الشمال الى الجنوب. ويتضح من الشكل (١٣) أنه كانت هناك أبواب فى نفس هذه الفسحات بين الأعمدة قبل أربعين عامًا، وأنها جميعًا عدا الأخير كانت أصغر كثيرًا من الأبواب الحالية. لذا فمن الواضح أن ثلاثة من مجازات الأبواب هذه أعيد بناؤها كما كان هناك باب صغير فى كل من الفسحتين الأخيرتين اللتين اختفيتا منذ ذلك الحين. والجدار كله مغطى بالجص على جانبيه، مما يجعل من الصعب فحصه فحصًا دقيقًا. إلا أنه أصلى ولو فى جزء منه، مما يتضح من بقايا زخرفة جصية فى الفسحة الثالثة عشر شبيهة بالزخرفة التى نراها على الجدار الشمالى الغربى ولاتزال موجودة على طول المكان الذى كانت به نافذة

فيما مضى (والجزء الأدنى من الجدار القائم فى هذه الفسحة، وكذلك كل الأجزاء الموجودة فى الطرف القريب من الحرم، تمت إعادة بنائها بالحجر، ويمكن التعرف على التعشيقات فيما بينها من خلال الملاط) ومن فجوتين معقودتين باستدارة عمقها ٦٠سم تقريباً وعرضها ١,٦٢م وارتفاعها ٢,٠٥م فى وسط الفجوتين الرابعة والخامسة. ومن الواضح أنهما فتحتان من فتحات النوافذ الأصلية التى سدت بجدران. ودليل ذلك شكلهما المعقود باستدارة.

يبلغ سمك هذا الجدار حسب قياسه من خلال مجازات الأبواب ما بين ١,٢٠ و ١,٢٥م باستثناء حالة المجاز الأول (بالفسحة الثالثة) حيث يبلغ سمكه ١,٤٥م. ويأخذ الجدار فى الضيق تدريجيًا بدءاً من هذه النقطة. لذا، فربما أعيد بناؤه وتدعيمه جزئيًا من الخارج. وسبق أن رأينا منذ قليل أن النقطة التى يصطدم عندها بالجدار الشمالى الغربى الحالى ربما تقع الى الشمال بقليل من الركن الأصلى هنا.

الجدار الشمالى الشرقى

وهو يمثل أكثر المشكلات الغازاً بسبب تخطيطه الناقص. فالجزء الذى ينتمى الى الفسحات الست الأخيرة (الى أقصى الجنوب، وتحتفظ خمسة منها بزخارفها القديمة -اللوحات ٩، ١٠، ١١ أ) يتميز بالاستقامة. ولكن الى الشمال مباشرة من هذا الجزء، نجد أن الجدار ينحرف بمقدار ٨٨سم. وبعدها يفقد الاستقامة تمامًا (الشكل ٢٠). ولامجال لافتراض أن مثل هذه الحالة كانت قائمة فى الجامع الأصلي. فقد تم بناؤه على أرض مفتوحة رحبة عند بناء القاهرة، ولم يكن هناك مبانى أخرى تؤثر على تخطيطه. إلا أن الاستقامة الحالية لهذا الجزء تعود على الأقل الى عصر السلطان قايتباي، حيث أن مجاز الباب بالفسحة السادسة من ناحية الشمال والتى تؤدى الى الميضأة كان من إنشائه. وينحرف جدار الفسحات الخمس الى الشمال من هذا المجاز باتجاه الشرق. ولكن مع ذلك، لا يمكن أن يتوافق الركن الشمالى الحالى فى وضعه مع الركن الأصلي. فلو كان الجزء المستقيم ممتداً، لمر الى الشرق منه بحوالى ٥٠سم.

ونلاحظ مع ذلك أن الأجزاء الأمامية نصف الدائرية لهذه الدعامات الجدارية تقع كلها تقريبًا على خط مستقيم مع الجزء الأمامى الذى ينتمى الى واجهة الحرم، وأن العقود بدلاً من أن تكون على شكل عقد منكسر بنيت كالعقود الثلاثة الأولى تمامًا (وترتكز أيضا على أزواج من الأعمدة) على كل من طرفى نفس الواجهة، مما يغرى بالظن بأنها تنتمى الى الجامع الأصلى كالأخيرة وأن هذا الجزء من الجدار الشمالى الشرقى أعيد بناؤه فى تاريخ لاحق (ولكن قبل عصر قايتباي) وتم إبرازه على خط مستقيم جديد يستوى تقريبًا مع الجزء نصف الدائرى من الدعامات. ولكن إذا تفحصنا بناء هذه الدعامات الجدارية فى المناطق القليلة للغاية التى سقط عنها ملاطها، نكتشف حقيقة غير متوقعة، وهى أنها تتكون من أجزاء تبادلية من الطوب والحجر. وينطبق ذلك أيضا على دعامات واجهة الحرم التى بنيت فى ٩١-١٨٩٢، ولو أن العقود أعلاها تنتمى فى هذه الحالة الى شكل العقود المنكسرة.

وهكذا فبدلاً من استنتاج أن الباثكات الداخلية لهذا الرواق (والرواق المقابل له) أصلية، اضطررت الى عرضها فى التخطيط على أنها غير محددة التاريخ.

وفيما يتعلق بمجازات الأبواب، فإن المجازات الكائنة فى الفسحات الرابعة والحادية عشر صغيرة وخالية من أية مميزات معمارية. ويبدو أنها جميعاً تم نحتها فى تاريخ قريب نسبياً؛ فى حين أن المجاز الكائن بالفسحة الرابعة

عشر أعتاب أسكفة مزخرفة بإتقان، وربما كانت من أعمال قايتباي. ولعل من الحقائق المثيرة التى تخرج بها من فحص هذا الجدار هذين البروزين بعرض مترين تقريباً وبعمق متر واحد فى رواق الشراقوة. ونظراً لقيامهما على محورى البائكتين الأولى والثالثة بالحرم (باتجاه من الشمال الى الجنوب)، فإننا نميل الى استنتاج أن كل بائكات الحرم كانت مدعمة عند كل من طرفيها. ولكن ينبغى لنا أن نقاوم هذا الميل؛ لأن هذا الجدار يميل الى الخارج لدرجة ملحوظة. ولو كانت كل بائكة مدعمة بدرجة كبيرة فى الأصل، لماكان من المحتمل أن تتزحزح الى الخلف لهذه الدرجة. والاحتمال الأقوى هو أن الجدار اكتسب ميلا فى البداية بسبب الرغبة فى التدعيم وأن هذين الكتفين أقيما هناك لحمايته. وليس هناك أى أثر لأى كتف على الجانب المقابل من الحرم اليوم. كما لم يكن هناك شئ من هذا القبيل قبل أربعين عاما (الشكل ١٣). فلا أجد لهما أى وجود فى تخطيط قديم بدءا من حوالى عام ١٨٩٠ ضمن مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية. إلا أن الكتف الجنوبى نجده فى تخطيط لوزارة الأوقاف بتاريخ ١٨٩٤. ومن ثم، فلعله يرجع الى الخديوى توفيق والآخر الى الخديوى عباس الثانى.

الجدار الجنوبى الشرقى

تمت إزالة الجدار الجنوبى الشرقى بأكمله فيما عدا طولين أحدهما طوله حوالى ٧م ويضم المحراب والآخر طوله حوالى ١٠م، وهو أصلى بالتأكيد نظرا لزخرفته بحشوتين عظيمتين من الزخارف الجصية (اللوحة ٧ أ، ٨). والجدار الذى يمتد من هنا الى الركن الجنوبى بنى من الحجر وينتمى الى أعمال عبدالرحمن كتخدا.

مادة البناء

الطول الأول فى الجدار والذى أشرنا اليه لتونا مغطى بأكمله بالملاط؛ إلا أن الواجهة الخلفية للطول الثانى يمكن فحصها من الحجرة الكائنة خلفه. والمادة التى استخدمت والتى تبدو مكشوفة بصورة واضحة هى الطوب، وهو طوب شبيه بنظيره المستخدم فى بناء جامع ابن طولون.

البائكة الخارجية للحرم

نعود الآن الى الحرم. تمثل البائكة المجاورة للصحن مشكلة فيما عدا عقدها الأوسط. وسبقت الإشارة الى أن العقود الستة الأولى الى اليمين واليسار كانت مائلة لدرجة شديدة (٢٠سم على ٦م) فى عام ١٨٩٠ لدرجة تقرر معها ضرورة تدعيمها وتجديد الأساس. ولكن تقرر أيضا ضرورة الحفاظ على الجزء العلوى وتعديله الى الوضع الرأسى إن أمكن. وظلت الزخرفة الجصية على واجهته الجنوبية الشرقية سليمة. وفى ١٣ ابريل ١٨٩١، تم إبلاغ اللجنة بأن المقاول لم يتمكن من تنفيذ العملية على الوجه المطلوب. من ثم تم تفويض المهندس المعمارى التابع للجنة، فماذا فعل؟ لا نجد أية معلومات عن ذلك فى الوثائق؛ ومن الصعب أن نحقق فى مأساة أثرية بعد خمسين عاما من وقوعها. ولكن هناك شيئًا واحداً مؤكداً، وهو أن الدعامات فيما عدا الدعامتين الوسطيين وراء القبة تمت إزالتها تماما على الأرجح؛ لأن الدعامات الحالية وواجهات العقود التى تعلوها تعد اليوم رأسية تماما. وهل تم تصوير الزخرفة الجصية أو رسمها؟ وليس هناك من المسؤولين عن الأعمال الجصية الجديدة على قيد الحياة سوى يوسف أفندى أحمد. فأخبرنى أنه كان مسؤولا عن النقوش

الكتابية وأن يوسف علي ومساعده أمين الشافعي كانا مسؤولين عن الزخارف، وتوفي كلاهما. ويجد يوسف أفندي صعوبة بالطبع في أن يتذكر ما حدث بدقة بعد مرور خمسين عاما. إلا أنه يعتقد أن هناك رسما كروكيا وُضع للزخارف قبل إزالتها. وربما تم الإبقاء على بعض الجص القديم وأعيد استخدامه. لكنه ليس على يقين من ذلك. وقمت من جانبي بمراجعة كل رسومات الأزهر المحفوظة بسجلات وزارة الأوقاف ولجنة حفظ الآثار العربية على الآثار دون أن أعثر على مثل هذه الرسومات أو الصور.

وهل يمكن قبول الزخرفة الجصية الحالية على أنها أصلية في جزء منها والجزء الآخر على أنه نسخة طبق الأصل من الأعمال القديمة؟ ان مجرد القاء نظرة عليها يكفي لإثارة شكوك جادة في الأذهان. بداية، فإن المراوح النخيلية ذات الأطراف المسننة الطويلة والتي تملأ الفراغات الضيقة المتروكة بين أطراف العقود المنكسرة والأشرطة نصف الدائرية للنقش الذى يحيط بها (اللوحتان ١١ب، ١٣) لا تتفق مع تحديد القرن العاشر تاريخا لها. وما علينا إلا أن نلقي نظرة سريعة على زخرفة عقود المجاز القاطع (اللوحتان ٤ب، ٦ب) لكى ندرك مدى اختلاف المراوح النخيلية الفاطمية المبكرة. فلاوجود لأى شئ شبيه بالمراوح النخيلية المسننة الطويلة في الباكة المعاد بناؤها حتى نهاية القرن الثالث عشر كأطر النوافذ بجامع السلطان بيبرس الذى انتهى العمل فيه عام ٦٦٧هـ (١٢٦٩م) وضريح السلطان قلاوون الذى انتهى العمل فيه في سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٤م) وجامع الأمير حسين (٧١٩هـ/١٣١٩م، انظر كريزويل *The Year Book of Oriental Art* ص٣٨-٣٩، واللوحتين ٢٦ب، ء)، وبالتالي يجب رفض هذا الجزء من الزخرفة.

هذا ما توصلت اليه عندما قامت مدام فلورى في سنة ١٩٣٦ بنشر دراسة قصيرة (Ledécor épigraphique des monuments Fatimides du Caire, Syria, xvii, pp. 365-76) كانت قد عثرت عليها بين أوراق زوجها عقب وفاته. وفي هذه المقالة، توصل فلورى الى استنتاج مايلي: (أ) جوانب العقود على جانبيها نقوش تنتمى الى طراز متأخر، وكثيرا ما يجد المرء سلسلة من عبارة «الملك لله» بحروف لايمكن أن تنتمى الى فترة سابقة على نهاية القرن السادس (١٢م)؛ (ب) النقوش الكائنة على قاعدة الحشوات المعقودة الدائرية تتألف من حروف كوفية حديثة تماما؛ (جـ) أن بقية النقوش المحيطة بالحشوات المعقودة الدائرية والعقد نصف الدائرى أعلى الفتحة العقدية المنكسرة تضم حروفا تنتمى الى أعمال العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م). ويتضح الفارق بين هذه العصور بصورة واضحة في رسمه الجميل (شكل ١٤).

لكننا قد نذهب الى ما هو أبعد من ذلك. فقد سنحت لفلورى بالصدفة في سنة ١٩١٠ فرصة شراء صورة سالبة تضم عقدا كان بهذه الواجهة قبل إزالتها (وأعيد وضع تصور لها هنا في اللوحة ١٢ب). ويمكن تحديد تاريخ هذه الصورة بما يبدو في خلفيتها من ظلات جديدة للصحن؛ إلا أنها لاتزال تفتقر الى شرافتها وزخارفها الجصية. وبناء على ذلك، فهي تعود الى ما قبل زيارة الخديوى عباس الثاني في سنة ١٨٩٢، حيث كانت الأعمال الجصية في ذلك الوقت لاتزال جارية. ومن الغريب أن فلورى نفسه يبدو انه تجاهل هذه الوثيقة الشديدة الأهمية في دراسته المشار اليها. ويتضح من بروز العقد الى اليسار أننا أمام أول عقد الى شرق المجاز القاطع حيث وضعت الدكة اليوم. ويتضح منها أن التكوين الإجمالي للجزء الأوسط تم تغييره، فليس هناك شريط دائرى يحيط بالعقد المنكسر والمراوح النخيلية المسننة التى أثارت شكوكي ليست موجودة. وتسير النقوش على طول الجزء العلوى المستقيم للعقد المنكسر حيث لا وجود لأى نقش اليوم. بعبارة أخرى،

فاطار العقد الدائرى مستحدث. والمراوح النخيلية المسننة المنسوخة عن نماذج من أواخر القرن الثالث عشر حلت محل النقش. إضافة الى ذلك، فأشرطة النقوش الضيقة التى تتصاعد اليوم على الجوانب الرأسية للعقد المنكسر مستحدثة كذلك، لأنه لم تكن هناك نقوش قبل ذلك. وحتى السرة الكائنة بكوشة العقد اليمنى لا تحمل أى شبه بالسرة الحالية؛ فهى تتكون من عناصر مشعة، فى حين أن السرة الحالية تتألف من دوائر متداخلة. أما بالنسبة لكوشة العقد اليسرى فليست بها سرة اليوم. ومن ثم، يمكن لنا أن نرفض هذه الزخرفة بأكملها.

تنطبق نفس الملحوظة على الإفريز الممتد أسفل السقف (وهو لا يظهر فى رسم فلوري، انظر اللوحتين ١٢-١٣). فهو نسخة من نظيره بأعلى العقود الثلاثة على الأعمدة على طرفى كل منها. ويتكون من مراوح نخيلية (لوحة ١٤)، فى حين أن الإفريز الذى نراه فى الصورة (لوحة ١٢ب) يتكون جزئيا من عناصر كمثرية الشكل، وهو صورة طبق الأصل من نظيره الكائن بأعلى الحشوات الموجودة على جدار القبلة وكذلك على الجدار الشمالي الشرقي (اللوحات ٧أ، ٨، ٩، ١٠، ١١أ). وهكذا يجب رفض كل شئ عدا الجزء الداخلى من الحشوات المستديرة الرأس بأعلى الدعامات. وقمت بالصعود الى أعلى الدكة بالصورة القديمة وتفحصتها بعدسة مكبرة وقارنت تفاصيلها بالزخارف الكائنة الى يمين العقد ويساره. ووجدت أن الزخرفة الجصية تشبه نظيرتها التى تظهر بالصورة. وحتى الكلمات المنقوشة حول عقد الحشوة اليمنى مختلفة؛ وبالتالي، فإن فلورى ضلل يوسف أفندى أحمد الذى أخذ حروف كلماته من نقوش أصلية بمكان آخر بالجامع. وسألت يوسف أفندى عما إذا كانت النقوش القديمة منسوخة بحيث يمكن إعادتها من جديد على الدعامة التى تنتمى اليها، وكانت إجابته بالنفي.

أما حين نأتى الى دراسة بقية الحشوات، نجد ما يلي: (أ) أن بعض أجزاء الزخرفة الجصية تعد أدكن لونا من غيرها، مما يوحى بأن أجزاء الحشوات القديمة تمت صيانتها ثم أعيد استخدامها وتم إكمال البقية من ابتكار العامل الذى قام بالمهمة؛ (ب) أن بعض التصميمات، وخاصة الشجيرات ذات الثمار المتدلية وإحداها ذات جذع مكون جذرين يلتوى أحدهما على الآخر (اللوحتان ١٣ب، ج، والشكل ١٥) تشبه نظيرتها على قبة الصخرة وعلى منبر القيروان، وإنه لمن الصعب أن نصدق أن مثل هذه التصميمات أمكن ابتكارها فى نهاية القرن التاسع عشر، إذ لانجد مثيلا لذلك فى أى مكان آخر بمصر. لذا، فاننا مضطرون الى الاعتقاد بأن هذه الشجيرات بعضها تكوينات أصلية تم تنفيذها فى العصر الفاطمى وتم الاحتفاظ بها إبان إزالة الدعامات وبعضها الآخر تكوينات قائمة على ما كان موجودا قبل هذه الإزالة. فتنتمى الشجيرات الداكنة اللون الى النوعية الأولي، وتنتمى الأخرى ذات اللون الأفتح والتى تبدو أحدث عهدا الى النوعية الأخري. أى أن الجزء الوحيد من زخرفة هذه العقود الاثنى عشر الذى يمكن اعتباره بأى حال من الأحوال وثيقة أثرية هو زخرفة الحشوات الكائنة أعلى الدعامات والى حد ما أيضا. وإنه لمن المؤسف أن هذه البائكات تمت إزالتها دون أن يتم تسجيلها أو تسجيل الزخارف الجصية المبكرة التى كانت تزينها، ومن المؤسف أن يحدث ذلك بعد تسع سنوات من إنشاء لجنة حفظ الآثار العربية وبعد مايقرب من خمسة وأربعين عاما من اختراع **التصوير الفوتوغرافى**(١٧٣).

هل كانت العقود السابقة التى كانت قائمة على الدعامات أصلية؟

يتخذ فلورى من شكل العقد المنكسر دليلا على ذلك، ويستشهد بفان برشم (ترجع كتاباته الى ١٨٩١)

فيما يلي:

«في كل الجوامع الفاطمية، نجد أن الصور الجانبية لعقود الحرم والظلات من النوعية التي يطلق عليها اسم **«العقد الفارسي»**(١٧٤) l'arc persan، بمعنى أنها ناشئة عن عقد منحنى ينتهي عند كل من طرفيه بخط تماس دائرة. وهذه الصورة الجانبية المألوفة في العمارة الاسلامية في فارس والبلاد المجاورة لها لا وجود لها في مصر الا في العصر الفاطمي، مما يمكن تعليله بمظاهر المؤثرات الفارسية في وادي النيل في ظل حكم أسرة لها أصول فارسية من خلال أصولها الإسماعيلية وعقائدها الشيعية. ويتضح هذا التأثير الفارسي من خلال التفاصيل المعمارية. الا أن العقود الأقدم زمنا بالأزهر والتي تمثل هي الأخرى الصورة الجانبية التي تميز العقد الفارسي تشير بكل تأكيد الى أصلها الفاطمي» (*Notes d'archéologie Arabe, Journal Asiatique* , 8me sér., t. xvii, pp. 428-9).

ونرى من جانبنا أن الزعم بتأثر الفاطميين بفارس بناء على جذورهم الاسماعيلية وعقائدهم الشيعية يعد **أمرا مشكوكا فيه**(١٧٥)، رغم أن الغالبية يتقبلونه بتسليم مطلق. فاستمر العصر الفاطمي في مصر من ٩٦٩م الى ١١٧١م، أي لمدة تزيد عن مئتي عام. إلا أن هناك أسرة سنّية متشددة أسسها طغرل بك التركي السلجوقي وتولت زمام الحكم بفارس في سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٨م) بحيث أنه طوال فترة المئتي عام التي حكم الفاطميون فيها مصر، **ظلت فارس تحت حكم سني لمدة ١٣٣ عاما**(١٧٦)، أو ما يعادل نسبة ٦٧ بالمئة من الحقبة الفاطمية. ويؤمن سلادين بنفس الرأى حيث يقول :

«ان بائكات الأزهر التي ترتكز على أعمدة تنتمي الى شكل حاد شديد التميز مثل عقود المحاريب المتداخلة بينها، وهو شكل العقد المبنى من الطوب، وبصورة عامة العقد المستخدم في بلاد فارس. وكانت الأسرة الفاطمية شيعية كالفرس، مما يفسر وجود علاقات وطيدة مع فارس، وربما يفسر تأثير العمارة الفارسية أيضا» (*Manuel* , 95-6).

ويشير ڤان برشم مرة أخرى الى نفس المسألة في سنة ١٩٠٩، حيث يذكر أن الفن الإسلامي بمصر الفاطمية كان يستوحى الأنماط الفارسية بصورة مباشرة، مما يرجع الى الانتماءات الدينية والسياسية (Une inscription du sultan mongol Uldjaitu, *Mélanges Derenbourg* , p. 377). وبعد ذلك بثلاثة وعشرين عاما، كتب هوتكير قائلا:

«... وسبب قوة العلاقات مع فارس يرجع الى الانتماء الى العقيدة الشيعية التي اعتنقها الفاطميون» (*Les mosquées du Caire* , 218).

وهو رأى أيده مارسيه بعد مراجعته لكتاب هوتكير، حيث قال:

«يتضح الأصل التونسي للخلفاء الفاطميين في تخطيط الأزهر. وصحبت علاقاتهم بفارس أنماط من العقود ظلت البلاد تتجاهلها حتى الآن» (*Revue Africaine* , xxiv, p. 29).

ويثير هذا الجدل الدائر حول العقود العديد من الشكوك، وهو يقوم على حقيقة أن العقد المنكسر كان سائدا في العمارة الفارسية كما هو شائع في ذلك الوقت (١٨٩١). هذا كلام معقول، ولكن في ذلك الوقت كان أقدم أثر معروف من العمارة الفارسية عدا المآذن والمدافن البرجية هو ضريح السلطان سنجر(١٧٧) (توفي **٥٥٢هـ/١١٥٧م**) **بمرو القديمة** . فأى دليل لدينا على أنه كان معروفا في فارس حين تم بناء الأزهر؟ ورغم الزيادة الهائلة في عدد الآثار الفارسية التي عرفت ونشرت، إلا أن أيا منها لا يكاد يرجع الى تاريخ أسبق من تاريخ الأزهر حتى وإن كان ذلك يشمل آسيا الوسطى (بخارى) باعتبارها جزءاً من مجال العمارة الفارسية.

وفيما يلى قائمة بها:

١ . دمغان: تاريخانه(١٧٨)، عقود من الطراز الساسانى الإهليلجى فيما عدا بعض منها تدل على ميل الى القمة المدببة (Briggs, in Burlington Magazine lxii, p. 184)؛

٢ . بخارى : ضريح إسماعيل السامانى(١٧٩) قبل عام ٢٩٦ (٩٠٧م)، عقود مدببة من الطراز ذى المركزين، والفاصل بين المركزين ربع شبر (Cohen-Weiner, Turan, pp. 12-13, 33)؛

٣ . نايين(١٨٠): جامع ، وهذه العقود التى ترجع بزخارفها الجصية الى أواخر القرن العاشر (أى نفس عصر إنشاء الأزهر) تنتمى الى الطراز ذى المراكز الأربعة؛

٤ . اصفهان (١٨١) : مسجد جامع ، وتنتمى عقود أقدم أجزائه ويرجع الى عهد ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م) أى بعد بناء الأزهر بمئة سنة الى الطراز الرباعى المراكز. ولكن يستحيل إدراجها ضمن العقود المنكسرة.

أما بالنسبة للطراز الرباعى المراكز من العقود، فأقدم نموذج معروف له هو بوابة بغداد بالرقة(١٨٢) (١٥٥هـ/٧٧٢م) . وتقع هذه البوابة على بعد مئات الأميال من أقرب نقطة من أراضى فارس، فى حين لايفصلها عن الشام سوى مسافة توازى عرض الفرات. ومن ثم يمكن القول إن الطراز الإهليلجى من العقود الفارسية فى العصر الإسلامى والموروثة عن العصر الساسانى ظهر أولا وصحبه ميل نحو القمة المدببة. ثم تلاه العقد المدبب الثنائى المركز (بخارى) والذى كان معروفا بالشام قبل ذلك بقرون عديدة. ثم تبعه الطراز الرباعى المحور (اصفهان) والذى عرف بالرقة قبل ذلك بقرون. وسرعان مااتخذ هذا الطراز شكل عقداً منكسرا، ولكن كان ذلك فى أواسط القرن الثانى عشر من قبيل ضريح جلال الدين حسين بأوزكند ويرجع الى الرابع من ربيع الثانى ٥٤٧هـ (١١٥٢م Cohen-Weiner, Turan, p. 35 & taf. xii-xiii) . وهكذا فالحقائق تنكر تلك الأفكار الشائعة التى دامت طوال الخمسين عاما الماضية.

ولا نجد للعقد المنكسر أثرا بمصر قبل ١١٠٠م. فعقود جامع الحاكم (٣٨٠-٤٠٣هـ/ ٩٩٠-١٠١٣م) وجامع الجيوشى (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) لا تنتمى الى هذا الطراز. ومع ذلك، فإن عقد المحراب باخوة يوسف (١١٠٤-١١٢٥م، لوحة ١١٨ أ) ينتمى الى الطراز المنكسر الحقيقي. فنصفاه العلويان مستقيمان تماما، كما هو الحال فى عقد الأزهر الموضح فى الصورة التى اشتراها فلوري. وتنتمى الى هذا الطراز أيضا العقود التى تدعم القبة أمام المدخل المؤدى الى المجاز القاطع بالأزهر. وربما كانت تعود تاريخيا الى عهد الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٣٠-١١٤٩م).

وهكذا يصبح من المستحيل أن ترجع العقود المنكسرة التى تمت إزالتها فى سنة ١٨٩١ (وأحدها موضح باللوحة ١٢ب) الى عصر بناء الجامع. وكنت دائم الشك فى هذه الدعامات؛ فكنت أستبعد أن يقوم أحد ببناء بائكة من ١٩ عقدا كلها ذات مسافة واحدة بين دعامتيها وأن يدعم الثلاثة الأوائل عند كل طرف بأزواج من الأعمدة والباقى على دعامات. أليس من المحتمل أن تكون البائكة كلها كانت فيما مضى ترتكز على أزواج من الأعمدة فيماعدا العقد الأوسط الذى يغلق المجاز القاطع؟ وهناك دليل آخر يؤيد هذا الرأي. فباستقراء مختلف الملحوظات القصيرة التى دونت عن الأزهر بصورة متفرقة فى تقارير اللجنة اكتشفت أن الأعضاء أبلغوا فى عام ١٨٩٠ بأن أعمال التنقيب أوضحت أنه «على أثر سلسلة عمليات الترميم أصبح ثقل الأعمدة يزيد

على الأساسات التى تعد أقل من البناء الرأسي» (Comité de Conservation, *Exercice 1890*, p. 104) .

وهذه الأساسات بلاشك متواصلة كما فى جامع عمرو (انظر كتابنا *Early Muslim Architecture* المجلد الثاني، ص١٩٠ والشكل ١٦٨) . والعادة أن تكون أعرض من الدعامات بحوالى متر. ومتوسط حجم الدعامات ١,١٣ ×١,٦٠م، وبالتالي، ينبغى أن يكون عرض الأساسات حوالي مترين . ومن ناحية أخري، فلو كانت الأساسات أصغر حجمًا قليلا من الدعامات الحالية أى بعرض ١,٢٥م مثلا لكانت مناسبة تماما لأزواج من الأعمدة كتلك التى نجدها فى بقية البائكة. فالأساسات المتواصلة فى بائكات جامع عمرو تتفاوت فى العرض بين ١م و ١,٥م (انظر E. M. A.، الشكل ١٦٨) . أى أنه من المحتمل أن البائكة بأكملها فى الجامع الأصلى كانت ترتكز على أزواج من الأعمدة أقيمت طوليًا مثل العقود الثلاثة الأخيرة عند كل طرف كما نراها حاليا.

زخرفة الأسطح

يمكن تقسيم زخرفة الأسطح الجصية بالجامع الأزهر الى ست مجموعات على النحو التالي:

أ) و (ب) زخرفة المجاز القاطع (الجوانب والطرف الشمالى الغربي) .

جـ) زخرفة المحراب.

ء) الحشوات الكائنة على ما تبقى من جدار القبلة الأصلي.

هـ) الزخارف الكائنة على الجدار الشمالى الشرقى بالحرم وجزء باقٍ على الجدار المقابل فى الفسحة الرابعة من جدار القبلة.

و) زخرفة كوشات العقد بالعقود الثلاثة الأخيرة عند كل من أطراف البائكة المجاورة للصحن.

ز) زخرفة الجزء الذى يرتكز على دعامات فى نفس البائكة.

أ. جوانب المجاز القاطع (١٨٣) [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودى] (اللوحتان ٤ب، ٦ أ)

ينبغى أن نشير فيما يتعلق بهذه الزخرفة الى الزخارف الكائنة فى بعض كوشات عقد آيا صوفيا التى أشار اليها أوين جونز باعتبارها أساسا لبعض طرز الزخرفة السطحية الإسلامية. فيقول فيما يتعلق بكوشات عقد آيا صوفيا «نجد عليها نسقًا زخرفيًا يختلف كل الاختلاف عن السمات الإغريقية الرومانية لهذه الأبنية ولا يستبعد أن يكون محصلة لبعض التأثيرات الآسيوية» (وأعتقد أنه على حق، وأن هذا التأثير لم يكن آسيويا بصورة عامة، بل شاميًا. فاذا تفحصنا هذه الزخارف على كوشات العقد (الشكل ١٦) ، نرى أنها تتكون من حليات متماوجة على شكل نبات شوكة اليهود، وتكاد تشكل ثنايا حلزونية من نبات شوكة اليهود. وكان هذا الشكل شائعا فى الشام باختلاف أننا نجد فى كل حالة حلية مفردة من نبات شوكة اليهود تشكل صفا مفردا من ثنايا النبات الحلزونية، فى حين أننا نجد فى آيا صوفيا (٥٣٢-٥٣٧م) العديد من الصفوف المتوازية من حليات نبات شوكة اليهود التى تميل الى الشكل الحلزونى الناقص وضعت جنبا الى جنب بحيث تملأ كوشة العقد بأكملها) . ويواصل أوين جونز قائلا:

«مهما كان الأمر، فهذه الكوشة نفسها أساس الزخرفة السطحية للعرب والمورو(١٨٤) . ويلاحظ أن أوراق النبات المحيطة بالمركز هى بقايا ورقة نبات شوكة اليهود. ومع ذلك فهى أول محاولة للخلاص من مبدأ أوراق النبات التى

تخرج احداها من الأخرى، أى تواصل الحلية دون فواصل. ونجد النمط موزعا على الكوشة كلها بحيث يفرز مسحة لونية متساوية، وهو ما يعد هدفا ثابتا للعرب والمور ... الا أنه كان ثم اختلاف، وهو أن الزهور أو أوراق النبات عند الإغريق لا تشكل جزءا من الحلية، بل تنبت منها، فى حين أن الحلية عند العرب تتحول الى ورقة نبات وسيطة ... ويبدو أن الزخرفة (شكل ١٦) التى نوردها هاهنا من آيا صوفيا تعد واحدة من أقدم نماذج هذا التغيير» (*Grammar of Ornament*, p. 3 of Chapter on Arabian Ornament).

ويؤكد فرانز باشا بعد ذلك بسنوات عديدة على أن زخارف عقد آيا صوفيا بترتيب خطوطها تشبه نظيرتها بكوشات الأزهر، وأن أوراق الأخيرة تحاول أن تتحرر من الأنماط البيزنطية (*Kairo*, p. 25). يقول فلوري:

«... لذا فقد يكون من المفيد أن نؤكد على وجود الاختلافات. ففى زخارف الأزهر، نرى السيقان أقل ازدحاما بالأوراق وبالتالى فهى أطول أيضا. وفى الوقت نفسه، نجد الاستدارة واضحة لدرجة أن شخصيتها المتماوجة تنمحى أحيانا. وفى هذه النقطة، فان كوشات العقود بالأزهر تشبه بعض الأنماط فى المشتى. ولا يزال التنوع فى أشكال الأوراق مذهلا. ففى كنيسة آيا صوفيا، نجد أن نمط نبات شوكة اليهود سائدا. أما أوراق الأزهر، فعلى النقيض من ذلك تكاد تنطق بسمة المراوح النخيلية. وماله أهمية خاصة هو أن التوريق اللولبى ذا السيقان القصيرة الذى احتفظ بشكله البدائى العتيق فى الشام وبين النهرين وحتى القرنين السادس والسابع اتخذ هنا صورة المراوح النخيلية. وفى أعمال المحاليق المتماثلة، نجد قدرا من التشابه والشكل (١٧) الذى يوضح قمة العقد الثانى من المدخل الى اليمين لابد من الاستشهاد به فى هذا الموضع باعتباره عينة متميزة من أقدم أسلوب فى الأزهر. وتتضح الرغبة فى التماثل فى الزخرفة الخطية وتزداد وضوحا فى كوشتى العقد اللتين ترتبط محاليقهما معا فى قمة العقد وتنتهى بورقة نباتية على شكل حرف T عادية»

«... وحيثما تكشفت حشوات العقد عن حشو غير متماثل (وهو ما نجده فى كوشة العقد بأعلى العمود الأول الى اليسار) فلابد أن نفترض أن هناك ترميمات لاحقة تمت فيها. ونرى هذه الحالة ماثلة فى كوشة العقد الضخمة باللوحة (١٠، انظر لوحتى رقم ٤ب). ولاتنتمى المراوح النخيلية المتعددة الفصوص والتى ركبت مع فتحات على شكل حرف (و) والتى تختلف فى أسلوبها وتكنيكها تمام الاختلاف عن أعمال المحاليق المحيطة بها الى الزخرفة الأصلية، وهو ما نراه لا فى هذا الموضع وحسب، بل بصورة متكررة على الجدار المقابل. وتكشف هذه العناصر عن أصلها الأجنبى حيثما وجدت من خلال التنوع والأسلوب الذى تشيعه على السطح ... أما حداثة زخرفة العقد الدائرى (فى الطرف الشمالى الغربى من المجاز القاطع، لوحة ٦ب) وزخرفة كوشة العقد فهى أمر مؤكد» (Flury, *Die Ornamente*, p. 32-3).

(ب) الطرف الشمالى الغربى من المجاز القاطع (اللوحة ٦ب)

لدينا هنا مخطط زخرفى كبير نسبيا. وعلى إطار الجزء الأعلى من العقد المدبب والقائم على ركائز، نجد شريطا بالخط الكوفى يدور بزوايا يمنى بأعلى المنبت بحيث يشكل حشوة على كل جانب. والترتيب يجعل كوشات العقد تبدو أصغر مما لو كانت بدأت من حيث كان متوقعا لها أن تبدأ، أى عند منبت العقد أو عند قاع الجزء القائم على ركائز. والنتيجة ليست مرضية تماما. فزخرفة البلاطات السفلية التى تكونت بذلك تبدو وكأنها ترجع الى عملية ترميم حديثة. أما زخرفة كوشات العقد فتعد نصف أصلية. وتشبه زخرفة المجاز القاطع الى حد كبير. وهى مرتبة بطريقة متماثلة هنا أيضا حول محور مركزى فيما عدا أن الحليات الاضافية على الجانب المجاور للعقد أضيفت لملء الجزء المستدق الطرف. والحافة العلوية من زخرفة كوشة العقد تمشى على

خط واحد مع الحافة العلوية من الزخرفة الجصية للبائكات الجانبية (لوحة ٥أ).

وفوق هذه الحافة العلوية الشديدة التميز، نجد أربع حشوات معقودة ومستديرة مرتبة فى أزواج على كل من جوانب مستطيل وإطار مركزى أطول قليلا. ويسير إفريز من أنصاف المراوح النخيلية بأعلى الحشوات المعقودة المستديرة، ثم ينحرف بزوايا يمنى ويغوص ماراً تحت الإطار المستطيل فى الوسط. ويلفتنا فلورى (*Die Ornamente*) الى الطريقة التى وضع هذا الإفريز حول الاستدارات الأربع ذات الزوايا اليمنى عن طريق خمس مراوح نخيلية مفصصة، وهو عكس ما نجده بجامع ابن طولون حيث نجد أشرطة الزخارف التى تسير حول العقود عادة ما تتوقف كل أمام الآخر عند المنحنيات إلا فى ثمانى حالات (راجع كتابنا .E.M.A، جـ٢، ص٣٤٥ واللوحات ١٠١ب، ١٠٢ب، جـ). وكان هذا الإطار المستطيل يضم فيما مضى نافذة جصية ذات زخارف هندسية. وانكسرت ولم يبق منها إلا بضع أجزاء حول الحافة. وفى المكان الذى كانت تشغله، نجد نافذة جصية أخرى بزجاج أخضر وأصفر وتنتمى الى منطقة انتقال المقصورة القبابية الصغيرة التى سبقت الإشارة اليها.

(جـ) زخرفة المحراب

يتكون المحراب من حنية مستديرة تغطيها نصف قبة [الطاقية]مفرغة وضعت فى إطار معقود مستدير يرتكز على أعمدة رخامية ذات تيجان على شكل ساعة (ويصور جابيه فى كتابه بعنوان *L'art Arabe* (شكل ١٨) تاجا لمحراب الأزهر يبدو وكأنه مصنوع من جص. ولم أتمكن من العثور عليه لافى الأزهر ولافى غيره). والجزء شبه الدائرى من الحنية محشو بخطوط رأسية من الرخام الأبيض والملون تبادليا. ولا يمكن أن يرجع هذا التصميم الى ما قبل عملية الترميم التى أمر بيبرس بتنفيذها فى سنة ٦٦٥ (١٢٦٦م)؛ إذ أن هذه الخطوط الرخامية يندر وجودها بالقاهرة قبل نهاية العصر الأيوبى. وكان كل من نصف القبة والإطار المعقود مغطى ببطانة من الخشب المطلى حتى عام ١٩٣٣ (ونجده مصورا لدى كل من هوتكير وفيت، المرجع السابق، لوحة ٩١). وفوق هذا، هناك إطار جصى ممتد عبر عرض المجاز القاطع كله. وتشغل الجزء الذى يعلو المحراب تماما بائكة صماء ذات خمسة عقود ثلاثية ترتكز على أعمدة صغيرة ذات تيجان على شكل ساعة، ثلاثة منها محشوة بتصميمات هندسية كما لو كان القصد منها أن تكون نوافذ؛ واثنان بهما أنماط متماثلة ومتقنة من التوريق. وهى تشبه (أ) البائكات الصماء الصغيرة فى المحراب على الجدار الشمالى بجامع عمرو والتى قد تعود الى الأمير سلار فى سنة ٧٠٣ (١٣٠٤م). وهناك بائكات صماء مشابهة فى (ب) جامع الأمير حسين الذى يرجع الى ٧١٩هـ (١٣٢٠م)؛ (جـ) فى الجامع العمرى بقوص، وتشبه أنماط التوريق المتماثلة نظائرها على الحشوات الخشبية التى تعلو مدخل جامع ألماس (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) شبها قريبا. أما الجامة الكائنة الى اليسار، فهى الأخرى تشبه الجامة التى نجدها بجامع الأمير حسين. وهكذا، فربما تمت كل هذه الأعمال بين عامى ٧٠٠ و٧٣٠هـ وفى النصف الثانى من هذه الفترة، لا النصف الأول منها. وإذا اتجهنا الى مسألة تاريخ الجامع، نجد أنه تم ترميمه على يد القاضى نجم الدين الأسعردى فى سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥م). ولسنتنتج من ذلك أنه كان جزءا من هذه الأعمال (وينسبها محمود باشا جميعا الى الأمير عز الدين آيدمر الحلى فى سنة ٦٦٣ (١٢٦٦م (Comité de Conservation, *Exercices 1933-5*, p. 57).

تم اكتشاف الزخرفة الجصية الأصلية للعقد ونصف القبة [طاقية المحراب] على يد محمود باشا أحمد فى

ســـــنــــة ١٩٣٣ (Concise Guide, p.25, Fig.7) حين قام برفع الكسوة الخشبية المطلية التى كانت تخفيها وراءها[١٨٥]. وتتألف زخرفة نصف القبة [الطاقية] من سيقان محززة متماوجة ذات مراوح نخيلية بفصين وثلاثة فصوص تلتف بصورة متماثلة حول محور مركزى قوامه مروحة نخيلية مدببة ذات خمسة فصوص وكأس حلزونى الشكل أو «مروحة نخيلية على شكل كأس». وفى الجزء الأدنى يمينا ويسارا، نجد نصف مروحة نخيلية ذات ورقة نبات بها خمسة فصوص ترتفع فى الوسط. وهناك أيضا مراوح نخيلية مماثلة، ولو أنها فى حالة أقل جودة، فى الوسط بالمجاز القاطع، إحداها أعلى العمود الثانى الى اليمين (لوحة ٥ب) وأخرى بكوشة العقد الى اليمين بجوار الجدار الشمالى الغربى وثالثة مماثلة تماما فى جدار القبلة على قمة البلاطة اليسرى (لوحة ٨أ). إضافة الى هذا، فالنقش المحيط ينصف القبة يشبه نظيره الذى يجرى حول الحشوات على الجدار الخلفي. وبهذا فلا مجال للشك فى أن زخرفة طاقية المحراب والمجاز القاطع وما تبقى من جدار القبلة الأصلى تنتمى جميعا الى حقبة زمنية واحدة. أما فى النقش الذى نراه على الواجهة الخارجية من الإطار المعقود، فإن الفراغات البيضاء المتروكة بين قوائم الحروف فيملأها عدد من العناصر الزخرفية الصغيرة، مما يوحى بأنها نتاج عملية ترميم تمت فى تاريخ لاحق نوعا ما. كما أن هناك ميزة أخرى لانجدها فى أى جزء آخر من الجامع. فهذا النقش الخارجى ليس مسطحا إلا فى جوانبه. ومن النقطة التى يبدأ فيها المنبت تبدأ حوافه العلوية فى الالتفاف لولبيا بدرجة طفيفة بحيث تصحح تأثير قصر الخطوط كما هو الحال فى مسجد سوسة الجامع (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م، E.M.A., II, p. 249). وسنجد نفس هذه الخاصية فى بعض نقوش جامع الحاكم.

الحشوات الزخرفية بجدار القبلة

كان الجدار الخلفي، كما هو واضح من الأمتار العشرة الباقية منه، تتخلله نوافذ معقودة مستديرة بعتبات تعلو ٣,٦٧م فوق الأرضية وضعت على محور كل عقد بالبائكات. وفيما بين كل نافذة، هناك حشوة زخارف معقودة مستديرة تتفق مع النوافذ فى حجمها وشكلها تماما (لوحة ٧أ). وترتبط ببعضها البعض بشريط متصل من النقوش يصعد على جانب نافذة ويهبط تحت أخرى وينحرف بزاوية يمنى ليجرى أفقيا لمسافة قصيرة ثم ينعطف مرة أخرى ليدور حول الحشوة. وزخرفة هذا النقش فى غاية البساطة. فتتكون من عدد قليل من الأقراص المنقوطة فى الفراغات العارية كما هو الحال بجامع ابن طولون. وينبت عدد قليل من ورقات النبات ذات الفصين من الحروف بصورة متفرقة (ويقارنها فلورى بنقوش موجودة ببعض الأعمال الأسبانية [الأندلسية] من قبيل علب العاج[١٨٦] الخاصة بالمغيرة وترجع الى عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م والمحفوظة بمتحف اللوفر). وهناك إفريز يتكون من شريط من الزخرفة النباتية يمتد ويكاد يلامس قمة كل عقد. وبهذا تتكون كوشات عقد عادية. وإذا ألقينا نظرة على الجدار الشمالى الشرقى (لوحات ٩-١١)، يزول أى شك فى أن هذا التخطيط تم بشريطين آخرين إضافيين، العلوى من الأرابسك والسفلى بالكوفي، وكانا يمتدان تحت مستوى عتب النافذة مباشرة.

لم يبق من الحشوات إلا اثنتان (اللوحتان ٧أ، ٨) وجزء من حشوة ثالثة وجميعها فى حالة جيدة ومكسوة بزخرفة نباتية ومحور كل منها يشطر الزخرفة الى جزئين متماثلين. وتشبه السيقان المحززة نظيراتها فى زخرفة المجاز القاطع. ونجد مبدأ التراكم التصاعدى الدائرى سائدا هنا أيضا؛ إلا أن الزخرفة تمتاز عن نظيرتها بالمجاز القاطع بوجود عدد من العناصر الكمثرية الشكل أو البراعم المشقوقة من الوسط وحتى المركز، وهى بلاشك مشتقة من ثمرة فاكهة ما. ولهذا النمط شهرته نظرا لاستدارته، لأن كل عناصر الوريقات النباتية

ظلت مسطحة. و«تبرز السمة المخالفة للطبيعة في الزخرفة كلها في إضافة العناصر الوتدية الشكل (أو الكمثرية). وتقوم الأوتاد في جزء منها على السويقات لكنها تنبت كذلك على شكل توريق من أنصاف المراوح النخيلية أو تعامل كعناصر حشو حر. ومعظم الأوتاد والسويقات النباتية والمراوح النخيلية تبدو وقد تحققت بطريقة عشوائية. فاستخدم الفنان عنصر الوتد المرن لكي يحصل على حشو مكثف بصورة موحدة متماثلة. ومع ذلك فهناك قدر من الارتباط العضوى بين الأوتاد والأوراق، مما لايعود فى أصله الى الظروف العرضية للفراغات. وقد نرى مثالا على هذا النوع فى المتن المعقود الأيمن بالجزء السفلى الى اليسار (لوحة ٨ب)، إذ ينمو الوتد هنا مع كأس حلزونى الشكل» (فلوري، ص٣٤).

وتتميز معظم الأوراق النباتية فى الأزهر بسمة المراوح النخيلية. ومايضفى قدرا من الجاذبية فى ذلك هو الحالة التى تتضح أمام أعيننا أى أصل الأشكال الورقية الجديدة. فمن التقسيم المدهش لأنصاف المراوح النخيلية التقليدية وتحللها تخرج سلسلة من الأوراق النباتية ذات الفصين والثلاثة فصوص، وهو ما يتكرر بجامع الحاكم باختيارات محددة وتنويعات جديدة» (نفس المصدر، ص ٣٥).

وأحيانا ترتبط فصوص الأوراق النباتية على شكل أنصاف مراوح نخيلية يتصل أحدها بالآخر بخط حدودى رقيق كما هو الحال فى المحاريب الجصية المجاورة للدكة بجامع ابن طولون (انظر كتابنا .E.M.A، جـ٢، لوحة ١٢٣أ، ب). وفى حالات أخرى تتأكد حواف الفصوص بحاشية مزدوجة. وهى فى هذه الخاصية تختلف عن نظيراتها بجامع الحاكم.

يوجه فلورى النظر الى سمة أسلوبية مهمة وغير مألوفة بالنسبة للأعمال الأسبق وهى ظهور الخلفية. «... فالزخرفة الطولونية القصيرة الساق نجدها فى سطح مستوى واحد. أما فى الأزهر فتتحرك الزخرفة بحرية واضحة على خلفية مرئية بوضوح» (فلوري، ص ٣٦). وعلى هذه الخلفية، لايزال من الممكن رؤية بقايا اللون الأزرق إذا تفحصناها عن كثب من فوق سلم. وهناك فارق جوهرى آخر يبرزه فلورى وهو أن أشرطة النقوش فى كل هذه الزخارف ترتبط بصورة أوثق كثيرا بالتزيين عنها بجامع ابن طولون الذى يرجع الى تاريخ أسبق منه بمئات السنين.

وبين الأوراق النباتية ذات الفصين والثلاثة فصوص، هناك أشكال متنوعة. ففى وسط الحشوة اليمنى وبين عنصرين على شكل كمثري، هناك ورقتان نباتيتان لايمكن أن تكونا قد تطورتا لعنصر المروحة نخيلية. وبإمعان النظر، يتضح أنهما نصفا ورقتين نباتيتين يكسوهما الزغب وتتجهان نحو الداخل على جانبى خط منحني. ونجد أوراقا مماثلة على الجدار الشمالى الشرقى بالفسحة الأخيرة (لوحة ٩أ) حيث تضم عنصرين كمثرى الشكل وضعا متجاورين. وهناك شكل زخرفى آخر مؤثر للغاية عند منبت عقد الحشوة اليسري.

كما استخدمت النقط التى صنعت بمثقاب فى كل من هاتين الحشوتين أحيانا بصورة مفردة وأحيانا فى مجموعات من ست نقاط تتوافق مع أركان شكل مسدس، ونقطة سابعة مركزية، كما هو الحال فى المحراب الجصى الى يمين الدكة [دكة المبلغ] بجامع ابن طولون (انظر كتابى .E.M.A، جـ٢، لوحة ١٢٣أ).

والجزء السفلى الضيق من كل كوشة عقد مزخرف بسويقة متماوجة وأنصاف مراوح نخيلية. وتنتهى فى أعلاها بمروحة نخيلية ذات خمسة فصوص. وفى الجزء العلوى من كل كوشة عقد، هناك سرة ناتئة مسطحة. وتتكون كل منهما من أربعة أشكال كمثرية وضعت بصورة مشعة تشبه الحليات الزهرية الصغيرة بالمشتى. وفى

منتصف الأخريين صليب معقوف [المفروكة] ذو أطراف ملتوية حولها ثلاثة أنصاف مراوح نخيلية تملأ الفراغ المتروك.

يتكون الإفريز من سلسلة من العناصر الكمثرية الشكل ووريقات نبات ثلاثية وضعت كل منها فوق الأخرى بفواصل منتظمة بينها. والوريقة الثلاثية هي العليا في احداها والعنصر الكمثرى الشكل في الأخرى والفراغ بينهما تملأه عناصر مروحية نخيلية مسطحة.

ء. زخرفة الجدار الشمالي الشرقي

وتنقسم الى خمسة أجزاء بالبائكات التي تنتهي في مواجهتها. وتشغل مركز كل فسحة تكونت من ذلك نافذة معقودة مستديرة يحيط بها إطار عبارة عن شريط كوفي يبدأ أفقيا ويتصاعد ليدور حول النافذة ثم يسير بحذى أفقي مرة أخرى (لوحات ٩-١١). وتحتها مباشرة، هناك شريطان آخران يسيران على خط مستقيم. ويتكون الشريط العلوى الأعرض من الأرابسك، بينما يتكون الشريط السفلى من الكوفي، وهو بنفس عرض الشريط الأول تقريبا. ولم يبق هذا الشريط الكوفى السفلى إلا في فسحتين فقط (الأولى والرابعة من جدار القبلة). وهناك شريط رابع يسير تحت السقف مباشرة فيلامس طرفه الأدنى قمة العقد بالكاد. والكوشات المكونة من ذلك تملأها زخرفة كثيفة تشبه ما نراه على جدار القبلة ولو أنها في حالة أقل جودة منها بكثير.

قام فلورى بدراسة هذه الأشرطة الكوفية دراسة وافية (*Syria*, pp. 374-68, Figs. 2-5) توصل فيها الى أن الأشرطة التي نراها في الفسحة الرابعة من جدار القبلة (لوحة ٢٠، شكل ١٨) ترجع في تاريخها الى تاريخ بناء الجامع أي عام ٣٦١هـ (٩٧٢م)، إلا أنه يرى فروقا طفيفة بين الأحرف المستخدمة في هذه الفسحة وبين تلك المستخدمة بالفسحة الثالثة (لوحة ١٠، شكل ١٩). ويخلص من ذلك الى أن الأخيرة قد تكون من أعمال العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، فيرى -وهو رأى خطأ في اعتقادنا- أنه قام بترميم أجزاء من الجامع. وهناك جزء باق مزخرفة على الجدار الجنوبي الغربي بالفسحة الرابعة من القبلة يوضح أن الأسلوب هنا هو نفسه الذى نراه على الجدار المقابل. وأعتقد أن الزخارف الهندسية على النوافذ في هذا الموضع تنتمى الى تواريخ أحدث إلا ما ظهر منها في اللوحة ٩ أ.

إعادة بناء الجامع الأصلي

نحن الآن في وضع يسمح لنا بمحاولة وصف بناء الجامع الأصلي، وهو أمر غير هين في عدة جوانب منه. فمن الواضح أن الحرم الأصلي كان قاصرا على الأروقة (البلاطات) الخمسة الأولى من البناء الحالي. إذ أن هذه المساحة تحدها الجدران الجانبية الحالية من اليمين واليسار بصورة واضحة. ولاتزال الزخارف الجصية الأصلية محفوظة على هذه الجدران عند الطرف الشمالي الشرقي من كل راق (لوحات ٩-١١) وجزء باق عند الطرف الجنوبي الغربي من الرواق الأول. ويحدها باتجاه القبلة حوالى ١٠م من جدار بمواجهة العقدين الثالث والرابع من جهة اليمين حيث نجد زخارف مشابهة وفي حالة جيدة؛ ويحدها في الوسط حوالى ٧م من جدار يقع المحراب الأصلي في وسطه. كما أن الطرف الشمالي من المجاز القاطع وكذلك العقود الأربعة الأولى الى اليمين واليسار والمتجهة صوب القبلة مضمونة بزخارفها الجصية. أما العقد الأخير (الخامس) الى اليمين واليسار فيخلو من الزخرفة. وقد ترجع القبة التي يدعمونها وبناء على وصف مقرنصاتها الى السلطان الغوري.

وهكذا يتم تحديد الركنين الخلفيين للجامع. أما الركنان الأماميان، فسبق أن رأينا أن الركن الشمالي ربما

كان يبعد حوالى ٥٠ سم جهة الشمال الشرقي، والجنوبى بحوالى ٣٢ سم جهة الشمال الغربى من وضعهما الحالي. من ثم، فالأرجح أن الجامع الأصلى كان مستطيلا بالقياسات الداخلية التالية:

شمال غرب ٨٤,٧٥ شمال شرق ٦٩,٠٠ جنوب غرب ٦٨,١٥

الحرم [مقدم الجامع]

وكان يتكون من خمسة أروقة (بلاطات) تسير موازية لجدار القبلة ويقطعه فى الوسط مجاز قاطع بحيث تترك تسعة عقود من كل بائكة الى اليمين واليسار. وكانت هذه البائكات ترتكز على أعمدة رخامية أخذت من مبانى ضخمة أخري. وعند نهاية كل بائكة، كان هناك عمود جداري. وكانت عقود المجاز القاطع ترتكز على أعمدتها الخاصة بحيث كان المجاز القاطع يحتوى على جانبيه على أزواج من الأعمدة. من ثم كان هناك ٢٢ عمودا لكل صف يسير من جانب الى الجانب الآخر إلا فى الصف المجاور لجدار القبلة حيث علينا أن نضيف اثنين آخرين للعقد الحامل للقبة والذى يمر بالمجاز القاطع. وعلينا كذلك أن نضيف زوجين آخرين من الأعمدة لانحناءة العقود الجانبية الحاملة للقبة. ومحصلة ذلك ٢٢+ ٢٢+ ٢٢+٢٢+٢+٤=٩٤ عمودا غير البائكة المجاورة للصحن.

لكننا نسينا أنه كانت هناك قبة على يمين الركن الخلفى من الحرم وبلاشك كانت هناك قبة أخرى(١٨٧) **على يسار الحرم الخلفي أيضا بغرض التماثل**،كما هو الحال بجامع الحاكم. والأرجح أنه كانت هناك حاجة فى ذلك الوقت الى أعمدة إضافية. فربما دعت الحاجة الى إقامة عمودين فى كل من الحالتين، كما يتضح فى الشكل (٢١)، مما يجعل العدد الإجمالى ٩٨ عمودا. ونظرا لقصر الأعمدة، لم يكن السقف يزيد فى ارتفاعه عن ٦,٩٢م. إلا أن ذلك تمت معالجته فيما بعد فى حالة المجاز القاطع برفعه بمقدار ١,٧٧م فى فترة مبكرة بحيث يتكون منور بالسقف، وهو مايحتمل القيام به عقب الانتهاء من بناء الجامع مباشرة، إذ من المرجح أن تكون الحشوات الخمس التى تشكل قمة التخطيط الزخرفى الجصى عند طرفه الشمالى الغربى فوق مستوى سطح البلاطات الجانبية معاصرة لبقية الأجزاء من الناحية العملية. وكانت الحشوة الوسطى من هذه الحشوات الخمس مستطيلة. وكانت تحيط بنافذة مزودة بزخارف هندسية جصية لم يبق منها سوى الحافة المكسورة. ولانستطيع أن نحدد ما إذا كانت هناك نوافذ فى المنور السماوى أم لا. وربما تعود النوافذ المعقودة المنكسرة الصغيرة الى القرن الثالث عشر الميلادى (مقارنة بنوافذ ضريح شجرة الدر ٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ونوافذ الخانقاة البندقدارية ٦٨٣هـ/١٢٨٣م) عندما أعيد بناء جدران المنور السماوى وربما بصورة شاملة.

الواجهة المطلة على الصحن

رأينا فيما سبق أن هذه الواجهة كانت تتكون من ١٩ عقدا ترتكز على أزواج من الأعمدة وضعت طوليا كما هو الحال بالنسبة للعقود الثلاثة فى كل طرف من البائكات الحالية. وكانت هذه البائكة تنبت من دعامات جدارية عند أى من الطرفين. ويرتكز العقد الأوسط الذى لايزال باقيا (بناء على زخرفته) على دعامات أيضا. ومحصلة ذلك ١٦ نقطة للتدعيم مؤلفة من أزواج من الأعمدة، أى ٣٢ عمودا، وإذا أضيفت الى الـ ٩٨ عمودا التى سبق حصرها، يصبح المجموع ١٣٠ عمودا للحرم الأصلى إضافة الى دعامتين للعقد الأوسط.

الأروقة الجانبية

فى ضوء مانعرفه اليوم عن مساجد قرطبة والقيروان وتونس الجامعة، وهو أنها لم يكن بها فى الأصل

بائكات على ثلاثة جوانب من الصحن(١٨٨) (انظر كتابى .E.M.A، جـ٢، ص ١٥٤-١٥٥، ٣٢٤ والشكلين ١٤٦-١٤٧)، فلاسبيل للتأكد من أن الجامع الأزهر كانت به بائكات فى الأصل، خاصة وأنه بنى على يد أسرة أتت من المغرب. ولكن لو كانت به أروقة جانبية، لما كان هناك ما يدعو لأن تكون مختلفة عن نظيراتها الحالية إلا فيما يتعلق بالبائكات المجاورة للصحن والتى لم يكن من الممكن أن تكون ذات عقود منكسرة فى تلك الحقبة. ولو كانت بالجامع الأصلى أروقة جانبية، فربما كانت البائكات المجاورة للصحن ترتكز على أزواج من الأعمدة أقيمت طوليا. ولم يكن هناك رواق على الجانب الشمالى الغربي.

الزيادة (١٨٩)

رأينا أن مسجدى سامراء وأبى دلف الجامعين انظر كتابى .E.M.A، جـ٢، ص ٢٥٩، واللوحة ٦٣) كانت بهما زيادات، وكذلك جامعا عمرو وابن طولون انظر كتابى .E.M.A، جـ٢، ص ١٧١ والشكل ٢٥٧). وفى حالة الجامع الأخير، كانت الميضأة فى الزيادة الشمالية الغربية؛ وفى جامع عمرو، تحتل الميضأة الحالية مساحة كانت ذات يوم جزءا من الزيادة الشمالية الغربية.

إن تخطيط العديد من شوارع القاهرة لم يطرأ عليها أى تعديل منذ عدة قرون (سوى تحول العديد منها الى الضيق بالتعدى على الطريق العام. فعلى سبيل المثال، بنيت المحال والحجرات فوقها على واجهة جامع الأقمر فى سنة ٧٩٩هـ (١٣٩٧م) وظلت واجهة جامع الصالح طلائع مختفية بنفس الصورة حتى حوالى عام ١٩٢٢ (لوحة ٩٧أ). ونفس الشئ نجده فى حالة مدرسة ضريح السلطان قلاوون وجامع المؤيد الى أن تمت إزالة المنشآت التجارية بتوصية اللجنة قبل أربعين أو خمسين عاما. ولازالت هذه التعديات قائمة فى كل أرجاء القاهرة بصورة بطيئة، ولايبدو أن هناك من يهمه الأمر). لذا، جال بخاطرى أن هذا قد يكون هو الحال بالنسبة للتخطيط الحالى للشارع على الجانب الشمالى الغربى من الجامع الأزهر، وأن المساحة التى تبلغ حوالي٢٠م بينه وبين الجامع كانت تشغلها يوما زيادة ما. وحين عرفت بعد عدة سنوات أن المدرسة الآقبغاوية التى تحتل النصف الشرقى من هذه المساحة كانت شيدت عام ٧٣٦ (١٣٣٦م) فى مكان ميضأة الأزهر، كان ذلك تأكيدا لما ذهب اليه ظني.

وأعتقد أن زيادة الأزهر كانت عبارة عن صحن طويل يسير على طول الجانب الشمالى الغربى من الجامع وأن جدارها الخارجي يتفق تقريبا مع التخطيط الراهن للشارع، وأن المدرسة الطيبرسية شيدت فى سنة ٧٠٩ (١٣٠٩م) على الجزء الخالى الى يمين مدخل الجامع مباشرة، وأن الأمير آقبغا قام بإخلاء النصف الآخر بازالة الميضأة قبل بناء مدرسته مكانها فى سنة ٧٣٦ (١٣٣٦م). ومنذ ذلك الحين لم يعد للزيادة وجود.

الأصول المعمارية

قباب الأركان الخلفية للحرم

نظرا لأن الأسرة الفاطمية جاءت من شمال أفريقيا، فمن المتوقع أن هذه السمة الجديدة التى لم تعرف فى الشام أو العراق أو بلاد فارس جاءت من المغرب أيضا. ولكن حين نمعن النظر فى تخطيطات هذه الجوامع والتى نشرت (ولايزال من الصعب دخول جوامع المغرب)(١٩٠)، فإننا نعجز عن العثور على أى مثال لهذه السمة قبل منتصف القرن السادس الهجرى (١٢م). ولا ينبغى أن يعزى السبب فى ذلك الى عدم وجود جوامع قديمة، إذ لايزال هناك عدد كبير منها محفوظا، مثل مساجد القيروان الجامعة ـ ٢٢١هـ/٨٣٦م)

و(٢٤٨هـ/٨٦٢م) و (٢٣٦هـ/٨٥٠م انظر .E.M.A، جـ٢، ص ٢٤٨-٢٥٣ والأشكال ١٩٧ -٢٠١) وتونس (٢٥٠هـ/٨٦٤م) والجامع المقام بقلعة بنى حماد (٣٩٨هـ/١٠٠٧م، انظر Blanchet, in the Nouvelles archives des Missions, xvii, pp.3-10) وجامع القرويين بفاس (٣٤٥هـ/٩٥٦م، انظر روض القرطاس، طبعة تورنبرج، ص ٣١-٣٤) وجامع تلمسان الجامع (٥٣٠هـ/١١٣٦م، انظر Brosselard, "Les inscriptions Arabe de Tlemcen," *Revue Africaine*, III, 1858, pp. 86-92).

وظهرت السمة التى نبحث عنها الآن لأول مرة خارج مصر. وفيما يلى قائمة بكل الأمثلة التى نعرفها(١٩١):

١. تنمل: جامع عبدالمؤمن(١٩٢) (انظر Doutté, C.R. de L'Arabe, des Inscriptions et Belles Lettres, 1901, p.335). قبة أمام المحراب وقبة فى كل من ركنى الحرم الخلفيين. وتعلو كل منهما أسطح هرمية وتكسوها تربيعات خضراء. وتم بناؤه عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م (روض القرطاس، ص ١٢٦)؛

٢. مراكش: جامع الكتبية (انظر Doutté ١٩٢٣، ص ٢٤٩-٢٥٢). قبة أمام المحراب وقبة فى كل من ركنى الحرم الخلفيين وقبة فى منتصف المسافة بينهما وبين المحراب. ويقال إن عبدالمؤمن لدى دخوله مراكش فى سنة ٥٤١هـ (١١٤٦م) قام ببناء جامع بعد تدمير جامع المرابطين (الحلل الموشية، طبعة ألوش، ص ١١٩). ونجد مزيدا من التفاصيل فى كتاب الاستبصار حيث ورد به أن (عبدالمؤمن) « بنى فيها جامعا عظيما، ثم زاد فيه مثله أو أكثر فى قبلته ، كان قصراً ورفع بينهما المنار العظيم الذى لم يشيد فى الإسلام مثله ...». مما يفسر سبب وجود مئذنة كبيرة بين هذين المبنيين (Ms Bibl Nat. No. 2225, Fol. 80) واستشهد بها باسيه وتيراس (ص ٢٠٠-٢٠١) ويشيران الى أن هذه الفقرة لم ترد فى **النص المطبوع**(١٩٣). وكل هذا مما لا يتفق مع الموقف تماما. وبناء عليه بدأت الكتبية الأولى التى كانت بقاياها لاتزال موجودة فى سنة ٥٤١هـ (١١٤٦م). والأرجح أن الجامع الآخر الكائن جنوب هذه البقايا بدأ قبل ٥٥٨هـ (١١٦٣م)(١٩٤) وهو العام الذى توفى فيه عبدالمؤمن؛

٣. أشبيلية: جامع(١٩٥) تعرض حرمه للتدمير فى السنوات الأولى من القرن الخامس عشر حين بنيت الكاتدرائية الحالية (Terrace, *La Grand Mosquée almohade de Sérville*; Henri Basset, II, pp. 249-66, Fig. I, & pls. I-VI). وبدأ بناؤه فى سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) على يد أبى يعقوب يوسف وتم افتتاحه بعد ذلك بأحد عشر شهرا (روض القرطاس، ص ١٣٨). ويتأكد مما تبقى منه ومما قاله ألونزو مورجادو الذى رأى الجامع فى أواخر القرن السادس عشر (Alonso Morgado, *Historia de Servilla*, Servilla, 1587, Fol. 95b) أنه كان هناك ١٧ بلاطا [رواقا]. ونظرا لاتساع الصحن الأوسط والصحنين الخارجيين بالمقارنة ببقية الصحون، وهو نفس ما نراه فى تينمل وفى الكتبية بمراكش. فمن المؤكد تقريبا أنه كان هناك ثلاث قباب فى البلاطة المستعرضة خلف الحرم. ويرى تيراس أنه كان هناك قبتان أخريان **كما هو الحال فى مراكش**(١٩٦) (ص ٢٦٢، شكل ١)، وهذا بالطبع محتمل ولكنه ليس مؤكدا من الناحية العملية كما هو الحال فى الثلاث الأخر؛

٤. مراكش: جامع القصبة. قبة أمام المحراب وقبة فى كل من الركنين الخلفيين من الحرم(١٩٧) (Basset & Terrace, p. 210 & Fig. 99) وبدأ عام ٥٩١هـ/١١٩٥م (روض القرطاس، ص ١٥١).

٥. تازه: مسجد جامع أسسه عبدالمؤمن (١١٥٢-١١٦٣م) وقام بتوسيعه أبو يعقوب (١٢٨٦- ١٣٠٦م) الذى ينسب اليه البناء الحالي. ويضم قبة أمام المحراب ولكن بدلا من وجود قبة فى كل من الركنين الخلفيين من

الحرم، نجد الفسحتين المعنيتين يغطيهما سقف خشبي به أربعة جوانب منحدرة وجزء مسطح في الوسط (Pauty, p. 117. Fig. 21) . ورغم عدم وجود قباب على هاتين الفسحتين(١٩٨)، إلا أنهما تتميزان بسقف يختلف عنه في بقية الجامع. لذا فقد أدرجناهما بهذه القائمة.

٦ . مراكش: جامع موسن (Basset & Terrace) . وبه قبة أمام المحراب وقبة في الركنين الخلفيين من الحرم (Basset & Terrace, p. 308 & Fig. 163) وبناه مولاى عبدالله السعدى في الفترة من ٩٦٤ الى ٩٨١هـ (١١٥٦-١١٧٣م)؛

٧ . مراكش: جامع باب دكالة؛ وبه قبة أمام المحراب وقبة في الركنين الخلفيين من الحرم. وبنى في سنة ١٥٥٧م (Pauty, p. 123, Fig. 29) .

وهكذا، يمكننا أن نقول عن هذه السمة إنها لم تظهر بشمال أفريقيا إلا في منتصف القرن السادس الهجرى (١٢م) تحت حكم عبدالمؤمن. ولكن هل كان هناك تأثير في الاتجاه المضاد؟ واذا وجد مثل هذا التأثير فمن الصعب تفسير عدم وجود مثل هذه الأنماط في تونس أو الجزائر، بل لا وجود لمثلها الا في أبعد أقاليم شمال افريقيا عن مصر.

إضافة الى ذلك فالأروقة [البلاطات] في مصر تتساوى في عرضها وتسير من الشرق الى الغرب. في حين أن البلاطات [الأروقة] بالمغرب تسير عمودية على جدار القبلة، إلا أنها لاتبلغه، إذ هناك بلاطة مستعرضة هنا أعرض من البلاطات الأخرى فيماعدا البلاطة الوسطى والبلاطتين الجانبيتين وهي أعرض كذلك. أي أن القباب تساعد على إبراز أطراف البلاطات الأعرض. ولما كانت هناك قباب وسيطة (كما هو الحال في الكتبية)، تم إنشاء البلاطات الموجودة بها بصورة أعرض أيضا.

من ثم، فنتيجة دراستنا تعد سلبية في بعض جوانبها، ومن المحتمل ألا تكون هناك صلة بين مصر وشمال أفريقيا في هذا الجانب خاصة(١٩٩) .

المجاز القاطع [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودى]

نجد هذه الخاصية في جامعين شديدى القدم(٢٠٠) هما مسجد دمشق الجامع (٨٧-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م، انظر كتابى .E.M.A، جـ١، ص ١١١-١١٤ والشكلين ٥٧، ٦٦) ومسجد قصر الحير [الشرقى] (١١٠هـ/٧٢٩م، انظر .E.M.A، جـ١، ص ٣٣٧ والشكلين ٤١١-٤١٢ واللوحتين ٥٦ ج، ء). وبعدهما لاعلم لى بأى نموذج آخر في العالم الإسلامى إلا النموذج الذى نحن بصدده ها هنا باستثناء واحد بشمال أفريقيا.

نظرا لأن كل جوامع شمال أفريقيا باستثناء واحد تضم بلاطات [أروقة] تسير متعامدة على جدار القبلة، يتضح أنه لا مجال للتساؤل عن إمكانية وجود مجاز قاطع من النوع الذى نحن بصدده ولو أن بعضها يضم بلاطة وسطى أعرض من غيرها. والاستثناء الوحيد هو جامع القرويين بفاس(٢٠١)، وفيه تجرى البلاطات موازية لجدار القبلة على عكس ما هو سائد تماما في شمال أفريقيا. ومما يؤسف له استحالة دخول غير المسلمين الى داخل هذا الجامع. لكن بوتى قام بنشر تخطيط له في Le Plan de l'Université Qarawiyin á Fez ، الجزء ٣، ص٥١٥-٥٢٣) دون أن يطلعنا على هوية من قام بذلك أو عن كيفية حصوله عليه. وقام مارسيه بنشر منظر عام (الشكل ٢٢) تم رسمه من مبنى قريب له (*Manuel*, I, Fig. 169) ويظهر في الشكل سطح جمالونى يسير

الى منتصف الحرم باتجاه المحراب ويرتفع فوق أسطح البلاطات المستعرضة. أى أن لدينا هاهنا نفس تلك السمة المميزة التى نبحث عنها على قدر ما يمكن لنا أن نحكم من الخارج.

وحين ننظر الى التخطيط الذى نشره بوتى، نلاحظ أن بائكتين تسيران من الصحن باتجاه المحراب عند نفس هذه النقطة، كما هو الحال بالأزهر. ولكن تظهر البائكات المستعرضة وهى تعبر هذا الجزء المركزى بدلا من التوقف على أى من جانبيه، مما يعد خطأ فى التخطيط. ولو كانت الحال كذلك، لما كان هناك مايبرر وجود البائكتين المذكورتين والسطح الجمالونى ذى الزوايا اليمني. وهكذا يبدو من المحتمل أن يكون لدينا هاهنا مثال على مجاز قاطع شبيه بنظيره بالأزهر ويرجع الى تاريخ أقدم.

بنى جامع القرويين فى سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م، روض القرطاس، ٢٩-٣٠)، وكان يضم أربع بلاطات [أروقة] بكل منها ١٢ عقدا (قوس) تسير موازية لجدار القبلة. وتم توسيعه عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م، روض القرطاس، ٣١-٣٢)، أى قبل ١٤ عاما من البدء فى إنشاء الأزهر.

يبقى لنا أن نؤكد على أن البائكات التى تظهر فى تخطيط بوتى لاتعبر البائكتين المتوازيتين اللتين تسيران باتجاه المحراب وأن الجزء الوسيط بسطحه الجمالونى يرجع فى تاريخه الى عام ٣٤٥هـ. والى أن يصبح ذلك مؤكدا، فإن الزعم بأن هذا الجامع يقدم تفسيرا للمجاز القاطع بالجامع الأزهر يظل مؤقتا. وإذا اتضح أن البائكات المستعرضة تعبر الجزء الأوسط بالفعل أو أن هذا الجزء الأوسط ذا السطح الجمالونى العالى لا يرجع فى تاريخه الى عام ٣٤٥هـ، فعلينا أن نتوقف عن البحث عن مجاز قاطع بشمال أفريقيا.

المصادر والمراجع

١٢٥٦-١٢٧٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان (ط بولاق، ١٢٧٥هـ، جـ١، ص١٦٦)

١٣٥٨ مفضل بن أبى الفضائل، النهج السديد

١٣٦٢ القلقشندي، جـ٣، ص٣٦٤

١٤٢٤ المقريزي، الخطط، جـ٢، ص٢٧٣-٢٧٧

١٤٤١ المقريزي، السلوك، ط زيادة، جـ٢، ص٥٥٦

١٤٥٨ أبو المحاسن، ط جوينبول، جـ٢، ص٤٠٩

١٤٩٧ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة (بولاق، ١٢٩٩هـ) جـ٢، ص١٨٣

١٥٢٢ ابن إياس، تأريخ، جـ١، ص٤٦؛ جـ٢، ص١٦٩

١٦٢٢ الإسحاقي، كتاب أخبار الأول (القاهرة، ١٣٠٣هـ)، ص١٢٤

١٦٤٦ ابن أبى السرور

1692 - C. 1708 Maillet, Description de l'Égypte. PP. 197 - 9.
1747-51 Fourmont, Description historique et gégraphique des plaines d'Héliopolis et de Momphis, PP. 47 - 53 .
1811 - Jomard, in the Description de L'Égypte, Etat moderne, II, PP. 665 and 667 - 8; Parckoucke's ed., XVIII, PP. 303 - 4, 308 - 9, and 314 .
1814 Au Bey El Abbassi (Badia Y Lebleish), Voyages, II, PP. 240 - 42 .
1821 A;-Gabarti, Aga'ib al-Athar, I, P. 168, last line-P. 169, 1, I, and P. 398, 11 - I - 3; II, P. 5, 1. 24-P. 6, 1. 14; P. 178, 11, 2-3; III, P. 26, II. 7-8; IV, P. 161, 28, 162, 1.4 and p. 211, II. 4-7; Bulaq transl., II, PP. 61-2; III, PP. 191 and 239-41; V,P. 66; VI, P. 56; VIII, PP. 364-5; and Ix, P. 96 .
1822 Scholz (J. M. A.), Reise, P. 119 .
1834 St. John (J. A.), Egypt and Mohammed Ali, II, PP. 335 - 7 .
1835 Michaud and Poujoulat Correspondance d'Orient, VI, PP. 4 - 7 .
------ Wilkinson (J. G.), Topogeaphy of Thebes, PP. 298 - 9 .
1837 Quatremère, Vie du Khalife fatemite Moezz. Jaurnal Asiatique, 3^{me} sér., t. III, PP. 75-6 .
1839 Coste (Pascal), Architrcture arabe, ou Monuments du Kaire, PP. 33-4 and pls. VII-VIII and XXXVII.
------ Schurert (G. H. von), Reise in das Morgenland, II, PP. 85-8.
1840 Clot (A. B.), Aperçu général sur l'Égypte, II, pp. 547-50 .
------ Hay (Robert), Illustrations of Cairo, pl. XXIX and relative text.
1842 Hessemer (F. M.), Arabische und alt-italienische Bau Verzierungen, PP. 38-9, 40, and 43, and 1, Taf, 8, 22, 42, and 43 .
1844 S'Estourmel (Joseph), Journal d'un Voyage en Orient, II, PP. 268-70.
------ Wilkinson (Sir Gardner), Modern Egypt and Thebesm I, P. 233 .
1845 St. John (J. A.), Egypt and Nubia, PP. 245 - 8.
------ Poole (Sophia), The Englishwoman in Egypt, I, PP. 160-64 .
1848 Marcel (J. J.), Egypte, I, PP. 101-2 and pl. 3.
1851 - 5 Girault De Prangey, Monuments et Paysages de l'Orient, pl. 12 .
1855 Seetzen (U. J.), Reisen durch Syrien, III, PP. 379-81 .
1857 Laorty, Égypte, pp. 243 - 5.
1859 Fornt (Giuseppe), Viaggio nell' Egitto, I, PP. 147 - 8.
1860 Batissier, Histoire de l'art monumental (2mo éd.), P. 423 .
------ Lane (E. W.), Modern Egyptians, pp. 210-12 and 588.
1861 Wilkinson (Sir Gardner) On Saracenic Architecture. Papers rend at the R. I. B. A., XI, P. 224 .
1862 Anon., Darstellung mehrerer Minarets. Allgemeine Bauzeitung, XXVII, P. 348 and Blatt 537_2.
1863 Couffon (A. de.), Les Mosquées du Cair, Reuue Contemporaint, XXXV, P. 593 .
------ Paton (A. A.), A History of the Egyptian Revolution, II, PP. 323-5 .
------ Sepp (B.), Jerusalem und das heilige Land, II, pp. 611-16; 2te Aufl., pp. 713-17 .
1865 Stacquez (H. J. T.), L'Égypte, la Basse Nubie etle Sinai, P. 85 .
1868 Ampère (J. J.), Voyage en Égypte et en Nubie, PP. 224 = 5; 1881 ed., pp. 223 - 5 .
------ Saint-Aionan (Laurent de), La Terre Sainte, Syrie, Égypte, PP. 157-8 .
1869 Mehirey (A. F.), Tableau général des monuments religieux du Caire. Mélanges Asiatigues, VI, pp. 335-7.

1870 Meuren (A. E.), Câhirab og Kerâfat, II, pp. 58-61 .

1871 Lacour (Raoul), L'Égypte, d' Alexamdrie à la seconde Cataracte, pp. 160-62 .

1872 Dor (V.E.), L'Instruction publique en Égypte, pp. 139-74 and 185-76 .

1872 Anon,m The Mosque of Cairo, The Architect, VIII, p. 47 .

------ Lenoir (Pa.l), La Fayoum, le Sinai et Pétra, pp. 169-71.

1873 Savigny Dr Menocorps, Journal d'un Voyage en Orient, pp. 53-4 .

1876 Blanc (Charles), Voyage de la Haute Égypte, pp. 70-71 .

1817 Prisse S'Avennes, l'Art arabe, Texte, pp. 95-7, 141, and 250, and pl. VII (From Coste, without acknowledgement); Atlas, pl. IV.

1878 Coste (Pascal) Notes et souvenirs de voyages, I, pp. 30 - 31 .

------ Isanbert (Émile), Itinéraire ... de L'Orient, deuxième partie, 2^{mo} éd., pp. 318-21, with plan (from Coste).

1880 Cuarnes (Gabriel), Cinq mois au Caire., pp. 343-56.

------ Rogers (E. T.), and Miss F. Rogers, The Mosques of Cairo. The Art Journal , New Series, XIX, P.77.

1883 Cuilde (Mme I,ce), Un Hiver au Caire, pp. 297-301.

------ Huconnet (Léon), En Égypte, pp. 210-12.

------ Vaujany (II. de), Le Caire t ses environs, pp. 154-66 .

1887 Adany (Rudolf), Architektonik des muhammedanischen und romanischen Stils, pp. 22-5, with plan.

1887-8 Ali Pasha Murarak, al - Khitat al-Cadida, II, pp. 90 - 91 and Iv, pp. 10-44 .

1889 Ravaisse (Paul) Essai sur l'histoire et sur la topographie CaCaire d'après Makrizi. M. M. A. F C., III, pp.86-8.

------ Ravaisse (P.), Sur trois mibrâbs en bois sculpté. M. I. E., II, pp. 628-37 and pl. I.

1889 Cuesnet (Eugène) Plaies d'Égypte, pp. 130-32 .

1891 Berciien (M. van), Notes d'archéologue arabe. Journal Asiatique, 8^{me} sér., t. XVII, pp. 424-9.

------ H ... (Th.), Eine Orientreise, pp. 71-3 .

1892 Montbard (G.), En Égypte, pp. 332-4 and illus.on p. 331 .

1893 Gaver (Al.), L'Art arabe, pp. 75-6 and figs. 18, 24-5, and 28.

1894 Berciiem (M. van), Corpus Inscriptionum Araicarum Égypte, I, pp. 43-50, 630, 632-3, and 674-6, pls. XXII, and XIIV.

------ Herz (Max), Comité de Conservation, Exercice 1894 (2^{me} éd.), pp. 47-8.

------ Herz (Max), in the B. I. É., 3^{me} sér., No. 4, p. 53 .

------ J. Allemand (Ch.), Le Caire, pp. 62-6, with 3 illus.

1895 Alis (Harry), Promenade en Égypte, P. 238.

------ Herz (Max), Catalogue ... musée national de l'art arabe, pp. xxviii, 38, 112 - 13, 123, 125, 126, 172-3, and 179; 2^{mo} éd., pp. xxxiv-xxxv, 69, 77-9, 93-4, 98, 101 - 2, 112, 126, 132, 245, and figs. 18 and 21.

1896 Franz (Julius), Die Baukunst des Islam, 2^{te} Aufl., Figs. 90 and 101 .

------ J,Ane (E. W.), Cairo liifty Years Ago, pp. 78-83 .

------ Tomascuki (Paul), Ernstes und Heiteres aus einer Orient-Reise, pp. 109-11 .

1897 Reynolds - Ball(E. A.), The City of the Caliphs, pp. 144-5 .

------ Scuroeder, La Vie et les paysages en Égypte, i plate (unnumbered)..

------ Smith (James), A Pilgrimage to Egypt, pp. 71-3, with plate.
------ Yüsuf Auilad, Ta'rikh al-Cami al-Azhar, al-Agial, June 19th and 26 th, and July, 3rd and 1oth, 1897.
1898 Dovas (G. C.), Souvenir of Egypt, pls. 15 and 25.
1899 Penfield (F. C.), Present-Day Egypt, pp. 59-66, with 1 illus.
------ Worsfoid (W. B.), The Redemption of Egypt, pp. 101 - 3, with 1 illi. s.
1900 Miceon (G.), Les Mosquées et tombeaux du Caire. Reuue de l' Art anciell et moderne, VII, pp. 140-42, with I illus.
1902 Gurlitt (C.), Geschichte der Kunst, p. 284.
------ Lane-Poole (Stanley), The Story of Cairo (Medieval Towrs Seriet), pp. 123-5 .
------ Sulayman Rasad Al-Hanafi, Kanz al-Gawhar fi Ta'rikh al-Azhar (Cairo, 1320 I I.), pp. 22 lf.
1903 Franz (Julius), Kairo, pp. 21-6, with 3 illus.
------ Reltemeyer (Elsc), Beschrcibung Agyptens im Mittelalter, pp. 209-10 and 217 .
1904 Borrmanxn (Richard), Geschichte der Baukunst, 1, p. 333 .
1907 Arminjon (Pierre), L'Enseignement, la doctrinc ct la vic dans les universités musulmancs d'Égypte, pp. 55-60.
------ Marcolioutr (D. S.), Cairo, Jerusalem & Damascus, pp. 40-46, with 1 col. platc.
------ Saladin(H.), Manuel d'Art musulman, I : J. Architecture, pp. 93-7 and figs. 51-4.
1909 Abbnte (O.), Egyptiaca, pp. 598-600 .
------ Faco (V.), Arte araba, pp. 91-2 and tav. VII-VIII and x (wrongly numbcred as XI).
------ Gayer (Al.), Trois étapes d'art, pp. 278-80 .
------ Miceon (G.), Le Caire, pp. 49-54, with 3 illus.
------ Tuierscu (I I.), Pharos, Antike, Islam und Occident, p. 117 and Abb. 125 .
1910 Berciiem (Max van) and J. Strzycowski, Amida, pp. 319-20 and Abb. 266 .
------ Riioné (Arthur), L'Égypte à petites journées (2me éd.), pp. 347-50, with I illus, (also reproducod in the G. B. A., 2me pér., t. XXIV, p. 42 .
1911 Slauen (Douglas), Oriental Cairo, pp. 185-92 .
------ Vollers (K.), art. Azhar, in the Encyclopaedia of Islam, I, pp. 532-9 .
1912 Flury (S.), Die Ornamente der Hakim - und Ashar Moschce, pp. 27-42, Abb. 6-8 and Taf. VIII-XIV and XXI .
1913 Abbate (O.), R®rparation d'un oubli historique. B. I. E., 5me sér., t. VI, pp. 11-14 .
1914 Rivoira (G. T.), Architcttura musulmana, pp. 160 ff. and figs. 131-3 ; English transl., pp. 163-8 .
1915 Balian (Caro), I, Égypte et l'architecture arabc, pp. 71- 6, eith 3 illus . {in Armenian} .
------ Diez (E.), Die Kunst der islamischen Völker, pp. 54-5 .
1961 Prost (C.), Les Revêtcments céramiques dans les monumepts musulmans de l'Égypte. M. I. F. A. O., XL, p. 25 .
1971 Devonsuire (Mrs. R. L.), Rambles in Cairo, pp. 8-16, with 3 illus.; 2nd ed., pp. 7013 and pls. V-Ix

1919 Creswell (K. A. C.), A Brief Chronology of the Muhammadan Monuments of Egypt, B. I. F. A. O., XVI, pp. 49-51 and pl. II A.
1920 Woermann (Karl), Geschichte der Kunst (2te Aufl.), P. 391 and Abb. 327 .
1923 Tarchi (Ugo), L'Architettura e l'Arte musulmana, p. 9, tav. 22-8, and 4 figs. on p. 7 .
1924 Bricgs (M. S.), Muhammadan Architecture in Efypt and Palestine, pp. 67-9, 128, and 198, and Figs, 2708, 36, and 105 .
1925 Devonshire (Mrs, R. L.), Quatre-vingts Mosquées, P. II and pl. VI.

------ Quibell (A. A.), A Wayfarer in Egypt, pp. 84-5 .
1926 Devonshire Mrs. R. L.), L'Égypte musulmane, p. 34 and pl. V.
------ Migeon (G.), Les Arts musulmans, p. 12 and pl. IX.
------ Richmond (E. T.), Moslem Architectuee, pp. 79-83 and figs. 21 - 2 .
1929, Devonshire (Mrs. R. L.), Le Décor en stuc des Mosquées du Caire. L'Égyptienne, 5^me année, no. 52, p. 31 and fig . 3.
------ Munthe (Gustaf), Islams Konst, p. 70, with I illus .
------ Wiet (G.), Corpus Inscriptioum Arabicarum, -- Égypte, II, pp. 103 - 25 .
1930 Diez (E.), art, Masdjid; in the Encyclopaedia of Islam, III, p. 382 .
1931 Creswell (K. A. C.), in Ross (E. Denison), The Art of Egypt through the Ages pp. 61 - 2 and pl. 267.
------ Grousset (R.) The Civilizations of the East, I, pp. 216 - 17 and figs. 127 - 8 .
1932 Hautecceur (L.), and G. Wiet, Les Mosquées du Caire, pp. 216024, fig. 3 and pls. 9-15, 91, 206, and236.
------ Pauty (E.), L'Evolution du dispositif en T dans les mosquées à portiques, Bulletin des Études orientales, II, P. 107 and fig . 9.
1933 Combe (E.), Précis de l'histoire d'Égypte, III, pp. 111-12 .
1934 Wiet (G.), Répertoire choronologique d'pigraphie arabe, V,p. 95; VI, pp. 73-4; VIII, pp. 149-50 .
1936 David- Weill (Jean), Bois à épigraphes (Catalogue général du Musée Arale du Caire), II, pp. 9-10, 24-5, and 37-8, and pls. XXIX and XXXII .
------ Elury (Samuel), Le Décor épigraphigue des monuents fatimides du Caire. Syria, XVII, pp. 36076, with 7 figs.
------ Lamb (C. J.), Fatimd Woodwork , its style and chronology . B. I. E., XVIII, pp. 68-9 and pl. III ; pp. 80-81 and pl. IX .
1939 Maiinud Aumad, Concise Guide to the principal Arabic Monuments in Cairo, pp. 47-52 and Figs, 6-7.
1942 Muhammad ' Abd Al- Aziz, Masagid al-Qahira, qabl asr al-Mamalik , pp. 55-6, fig. 7 and 2 plates .
1944 Davis (R. H. C.), The Mosques of Cairo, P. 22 and figs. 16 and 24 .
1947 Marçais (Georges), L'Art de l'Islam, pp. 70 and 84 and pl. XVIII .

الفصل الخامس

جامع الحاكم

تاريخ الجامع

يقول المقريزى :

«هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الأنور. قال الأمير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى فى تاريخ مصر وفيه يعنى شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلى باب الفتوح من خارجه وبدئ بالبناء فيه وتحلق فيه الفقهاء ... وقال فى حوادث سنة احدى وثمانين وثلثمائة لأربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله فى جامعه صلاة الجمعة وخطب وكان فى مسيره بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبيده القضيب وفى رجله الحذاء ...» (جـ٢، ص ٢٧٧)

ويقول ضمن أحداث سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢م):

«أمر الحاكم بأمر الله أن يتم بناء الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ فى بنيانه عند باب الفتوح فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار فابتدئ فى العمل فيه وفى صفر سنة احدى وأربعمائة زيد فى منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفى سنة ثلاث وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان تكسير ما ذرع للحصر ستة وثلاثين ألف ذراع فبلغت النفقة على خمسة آلاف دينار» (جـ٢، ص٢٧٧)

ويقول أيضاً:

«وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور دبيقية عملت له وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة وفرش جميعه بالحصر التى عملت له ونصب فيه المنبر وتكامل فرشه وتعليقه وأذن فى ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات فى الجامع الأزهر أن يمضوا اليه فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كل واحد من الجامعين الى الآخر بغير مانع لهم ولااعتراض من أحد من عسس القصر ولا أصحاب الطوف الى الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه» (جـ٢، ص٢٧٧)

وينقل عن ابن عبدالظاهر (متوفى ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) قوله(٢٠٢):

«وعلى باب الجامع الحاكمى مكتوب أنه أمر بعمله الحاكم أبو على المنصور فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة(٢٠٣) وعلى منبره مكتوب أنه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمى المنشأ بظاهر باب الفتوح فى سنة ثلاث وأربعمائة» (جـ٢، ص ٢٧٧)

ونلخص فيما يلى ما بلغنا عن فترة بنائه. أولاً، تم وضع كل أساساته وبدأ البناء فى شهر رمضان ٣٨٠هـ (نوفمبر ٩٩٠م). ويبدو أن الأعمال الرئيسة فيه إنتهت بعد ذلك بعام واحد، حيث أدى العزيز صلاة الجمعة

لأول مرة به في ٤ رمضان ٣٨١هـ (١٤ نوفمبر ٩٩١م). وفى عام ٣٩٣هـ (١٠٠٢م)، أى بعد ذلك باثنتى عشرة سنة، أتم الحاكم بناء الجامع بتكاليف بلغت أربعين ألف دينار، وسنرى أن المدخل الرئيسى والمئذنتين كانت عليها نقوش ترجع الى رجب من نفس العام (مايو ١٠٠٣م). وفى صفر ٤٠١هـ، أضيفت الى المئذنتين أركان(٢٠٤) طولها مئة ذراع. وسنرى أن هذه الأركان كانت تشكل نتوءاً كبيراً. وفى عام ٤٠٣هـ (١٠١٣م)، تمت إضافة الستائر والحصر والمصابيح والمقاعد ومنبر جديد (والأرجح أنه كان هناك منبر سابق، لأن العزيز بالله كان ألقى أول خطبة من فوقه فى ٤ رمضان ٣٨١هـ) وأقيمت أول صلاة جمعة به بعد إتمامه فى يوم الجمعة السادس من رمضان (٢١ مايو ١٠١٣م).

ونعود الى المقريزى حيث لايزال ينقل عن ابن عبدالظاهر قوله(٢٠٥):

«وعلى البدنة التى تجاور باب الفتوح وبعض البرج مكتوب أن ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة(٢٠٦) فى زمن المستنصر بالله ... فيكون بينهما سبع وثمانون سنة. قال والفسقية وسط الجامع بناها الصاحب عبدالله بن على بن شكر وأجرى الماء اليها .. والزيادة التى الى جانبه قيل انها بناء ولده الظاهر على ولم يكملها وكان قد حبس فيها الفرنج فعملوا فيها كنائس هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب عليها وبنيت اصطبلات ...»

«فلما كان فى الأيام الصالحية ... ثبت عند الحاكم انها [أى الاصطبلات]من الجامع وأن بها محرابا فانتزعت ... وبنى فيها ما هو الآن فى الأيام المعزية(٢٠٧) على يد الركن الصيرفى ولم يسقف» (جـ٢، ص ٢٧٨)

وطبقا لقول القلقشندي، أقيمت صلاة الجمعة مرة أخرى فى الجامع الأزهر بدلاً من جامع الحاكم بأمر من بيبرس فى سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٦م).

«ثم جدد هذا الجامع فى سنة ثلاث وسبعمائة وذلك أنه لما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة تزلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالهما ورجف كل ما عليهما واهتز وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف قرقعة ومارت الأرض بما عليها وخرجت عن مكانها وتخيل الناس أن السماء قد انطبقت على الأرض فهربوا من أماكنهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت النساء حاسرات وكثر الصراخ والعويل وانتشرت الخلائق فلم يقدر أحد على السكون والقرار لكثرة ما سقط من الحيطان وخر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الأبنية وفاض ماء النيل فيضا غير المعتاد وألقى ما كان عليه من المراكب التى بالساحل قدر رمية سهم وانحسر عنها فصارت على الأرض بغير ماء واجتمع العالم فى الصحراء خارج القاهرة وباتوا ظاهر باب البحر بحرمهم وأولادهم فى الخيم وخلت المدينة وتشعثت جميع البيوت حتى لم يسلم ولا بيت من سقوط أو تسقط أو ميل ... فكان مما تهدم فى هذه الزلزلة الجامع الحاكمى فانه سقط كثير من البدنات التى فيه وخرب أعالى المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه فانتدب لذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ونزل اليه ومعه القضاة والأمراء فكشفه بنفسه وأمر برم ما تهدم منه وإعادة ما سقط من البدنات فأعيدت وفى كل بدنة منها طاق وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديدا ... ورتب فيه دروسا أربعة لاقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ... وحفر فيه صهريجا بصحن الجامع ليملأ كل سنة من ماء النيل ... فكان ما أنفق عليه زيادة على أربعين ألف دينار» (جـ٢، ص٢٧٨)

(وتم العثور على ذراع محنطة فى البناء فى أثناء عملية الترميم بجوار باب الفتوح):

«ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى ولايته الثانية ... فى سنة ستين وسبعمائة ... (٢٨٠)» والجامع الآن متهدم وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشئ بعد الشئ

فلايعاد وكانت ميضأة هذا الجامع صغيرة بجوار ميضأته الآن فيما بينها وبين باب الجامع وموضعها الآن مخزن ت المراحلي علوه طبقة عمرها شخص من الباعة ... وهذه الميضأة الموجودة الآن أحدثت وأنشأ الفسقية التي فيها ابن كرسون في أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وبيض مئذنتي الجامع واستجد المئذنة التي بأعلى الباب المجاور للمنبر رجل من الباعة وكملت في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح الى الدكة التي يكبرون فوقها وراء الأمام» (جـ٢ ، ص٢٨٠) .

تاريخه اللاحق

تحول الجامع في فترة الاحتلال الفرنسي الى حصن واستخدمت مآذنه كأبراج للمراقبة (Mehren, *Mélanges asiatique*, VI, p. 298) . ويذكر على مبارك أنه في عام ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م) «أضاف اليه نقيب الأشراف السيد عمر مكرم أربع بائكات في مؤخره( ) وكان يشكل جامعاً بمنبر وخطبة وميضأة ومراحيض» (الخطط الجديدة، جـ٤ ، ص٨١) . ويذكر ويلكنس في سنة ١٨٤٢ أنه كان ثم طريق عام في زمنه من منتصف الجانب الشمالي الغربي الى الجانب الجنوبي الشرقي من المبنى (Modern *Egypt and Thebes*, I, p. 234) . ويذكر على مبارك أنه في الجزء الأول من القرن التاسع عشر استخدمه بعض الشوام من صناع المصابيح الزجاجية ونسّاجي الحرير وما الى ذلك، وأنه لم يكن مفتوحا من أبوابه سوى بابين (جـ٢ ، ص٦٦) . ويذكر روجرز الذى كتب في سنة ١٨٨٠ أن الصحن «ظل يستخدم كمصنع للحبال حتى وقت قريب (*Art Journal*, New Series, XIX, p. 77) . وتمت **إقامة المتحف العربى** في بنائه الأول في سنة ١٨٨٠ في هذا المكان فيما تبقى من الحرم. وفي عام ١٨٨٣ ، وضعت الأشياء التي تم جمعها في مبنى أقيم في الصحن(٢٠٨) وظلت في مكانها هذا الى أن تم بناء المتحف الحالي **حوالى عام ١٨٩٦**(٢٠٩) (Lane-Poole, *Social Life in Egypt*, p. 96) .

الترتيب والأبعاد الأساسية (٢١٠)

يتكون جامع الحاكم من مستطيل ضخم مساحته ١٢٠,٧٨م (على الجانب الجنوبي الشرقي) × ١١٣,٠١م (على الجانب الشمالي الغربي) من الداخل، مع وجود نتوء أجوف بركنيه الغربي والشمالي (شكل ٣٢) . وتقوم مآذنه المتميزة في هذين النتوءين. وفي منتصف الواجهة الشمالية الغربية، وبين هذين النتوءين، نجد بوابة أثرية عرضها حوالي ١٥,٥٠م مما يؤدى الى بروز ٦,١٦م عن الواجهة. وفي كل من جدارى البرجين، بين البوابة الأثرية والنتوءين، نجد مجازين بإطارين مستطيلين. وتم تنظيم البائكات حول الصحن على النحو التالي: كانت هناك خمس بائكات على الجانب الجنوبي الشرقي، واثنتان على الجانب الشمالي الغربي، تضم كل **منها ١٧ عقدا**. وكان هناك بحذى الجدارين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي ثلاث بائكات تحتوى كل منها على ٩ عقود، وكانت في مواجهة البائكات الخارجية الى الشمال الغربي والجنوب الشرقي. وبناء على هذا، كان الصحن يحده ١١ عقدا على الجانبين الجنوبي الشرقي والشمال الغربي، و ٩ عقود فقط على الجانبين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي، والأرجح أن عرضه كان ٧٨,٣٠م (على الجانب الجنوبي الشرقي) وعمقه ٦٧,٥٥م (على الجانب الشمال الشرقي) ويبلغ عرض الدعامات حوالى ٢,٥٨م والعقود ٤,٤٣م بين كل عقدين بنسبة تقرب من ٤ : ٧. ومن السمات المهمة للحرم، المجاز الذى يزيد عرضه عن ٦م بقليل ويجرى من الصحن الى المحراب. وكانت كل هذه البلاطات مغطاة في الأصل بسقف خشبي مسطح ذى ارتفاع موحد عدا ما فوق المجاز وكان ارتفاعه ٢,٥٠م تقريبا (شكل ٢٧).

عشوائية التصميم

من السمات المميزة لهذا الجامع العشوائية الواضحة فى التصميم. فالمساحة المحوطة بجدران ليست مستطيلة تماما. والجوانب المتقابلة غير متساوية الأطوال والواجهة الشمالية الغربية لاتسير فى خط مستقيم؛ وكذلك واجهة الحرم. أما الجانب الشمالى الشرقى الممتد من النتوء وحتى الحرم فمساحته ١٠٨,٥٣م، فى حين تبلغ مساحة الجانب المقابل له ١٠٧,٣٥م فقط، بفارق ١,١٨ م. ويبلغ عرض المنطقة من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى من أمام الحرم ١٢٠,٧٠م، ومن أمام النتوءات ١٢١,٢٨م، بفارق ٥٨ سم. وتتقوس واجهة الحرم الى الأمام بمقدار ٦٠سم فى الوسط حتى لو قيست بالقرب من الأرضية. ومع أن الجدار الشمالى الغربى موازٍ لخط يمتد بزوايا يمنى الى الجدار الشمالى الشرقى بمسافة ثلاثة أرباع طوله عند بلوغه نقطة وسطاً بين المدخل الرئيسى ونتوء المئذنة الشمالية، إلا أنه ينحنى بصورة واضحة.

الجدران وبناؤها

من غير الممكن قياس أو فحص الجزء الخارجى من الجدار الشمالى الشرقي؛ لأن سور بدر الجمالى بنى ملاصقا له؛ وكذلك الجزء الخارجى من الجدار الجنوبى الشرقي، لأن وكالة السلطان قايتباى [باب النصر] بنيت ملاصقة لجزء كبير منه فى سنة ٨٨٥ (١٤٨٠م.، Van Berchem, *Égypte*, I, pp. 493-9). ويبدو أن جزءا كبيرا من بقيته أعيد بناؤه أو ربما تم ترقيعه (ويعود تاريخ بعض الأجزاء المعاد بناؤها الى مابعد زلزال ٧٠٢هـ (١٣٠٣م) الكبير كما يتضح من رواية المقريزي) كالبوابة (لوحة ١٦ جـ) والجزء السفلى قرب النتوء الشمالى (لوحة ٢٣ب). وبنى هذا الجدار بين البرجين من كتل صغيرة مكسوة بطريقة عشوائية وتسمى «تلاتات»، وهو أسلوب بناء نصادفه مرة أخرى فى السبع بنات وجامع لؤلؤة وجامع الجيوشي، ونشاهده فى أكمل صوره بمشهد [خضرة] الشريفة لعام ٥٠١هـ (١١٠٧م) حيث نجد السطح الخارجى مكسواً بصورة متقنة. ويشبه وهو فى أكمل صوره بناء قصر الشمع شبها كبيرا (شكل ٢٣) اذا ما استبعدنا الأجزاء الآجرية، مما يؤدى بنا الى استنتاج أنه يعد نوعا محليا ناتجا عن ظروف اقتلاع الحجارة المحلية وأساليبه. ويتميز الجدار الشمالى الشرقى بأسلوب بناء مشابه، ولو بطريقة أكثر عشوائية قليلا. وهو أحد دعامات الجدران التى بنى طرف البائكات فيها من حجارة أيضا. والأرجح أن كل هذه الجدران كانت مكسوة بالجص الذى بقيت منه أجزاء على الجدار الفاصل الى يسار المدخل الرئيسي. وما كان من الممكن الكشف عن أسلوب البناء إلا حيث يكون كساؤه جيدا؛ ومثل هذا الأسلوب من البناء لم يكن مستخدما إلا فى المدخل الأثرى (لوحة ١٧) وفى أطر المداخل الأقل شأنا (لوحة ١٥ء) والمآذن والنتوءات الكبري. ويتكون الجدار الجنوبى الغربى من قطع دبش مصفوفة أو من آجر ذى حشو مطرز، ويعد فى جزء كبير منه حديث البناء. وفى صورة التقطها بيتو ضمن المجموعة التى أقتنيها هناك منظر للمئذنة الغربية من الصحن (لوحة ٢٧ أ) وتتضح بها فجوة كبيرة فى هذا الجدار. وينبغى الإشارة الى أنه لم يبق سوى بقايا نافذة واحدة فى المساحة الممتدة بين هذه المئذنة وبين البائكة الخارجية من الحرم بأكملها. وتنتمى هذه النافذة الى جزء باقٍ من الجدار الأصلى الممتد من مسافة ٢٧م من الحرم الى مسافة ١٧,٥٠م منه. وعند حافته الأخيرة، نجد منبت عقد نافذة أخرى يليه جدار – أسفله من الآجر وأعلاه ومن الدبش (ويتراجع جزء منه الى الوراء بمسافة ٢٥ سم) – يمتد حوالى ١١م حتى البقايا التالية من الجدار الأصلي. ويلتقى به الجدار الأخير عند مسافة ٦,٦٠م من واجهة الحرم، ويستمر عبر

البلاطتين الخارجيتين ثم يتحول الى جدار حديث يتراجع بمقدار ٨٥ سم (حيث أعيد بناؤه بصورة محاذية). ويمتد عبر البلاطتين الثالثة والرابعة، أى الجدار الأصلى الذى يظهر مرة أخرى بالفجوة الأخيرة. والجدار الجنوبى الشرقى من نوعية الحشو المطرز كذلك. والجزء الذى يقع الى يمين المجاز لم يبن فى خط مستقيم، فى حين أن الجزء الى اليسار والذى يعد أقل سمكا من العمل الأصلى يتراجع الى الخلف بحوالى نصف المتر. والأجزاء الأصلية الوحيدة هى أطراف المجاز والفجوتان الى الشمال الشرقى منه وقطعة صغيرة عند الطرف الجنوبى الغربى بين الركن ودعامة الجدار الأولى.

كانت الجدران المحيطة تتوجها شرافة من الآجر مكونة من شريط غائر يحتوى على سلسلة من ست حليات وردية ذات فصوص تتناوب مع تعبير زخرفى كنقطة التقاء طرفى سهم كان بأعلاها صف من العرائس مساحته حوالى ١,٧٣م من المنتصف الى المنتصف وارتفاعه ١,٥٠م وسمكه ٢٤سم. وفى منتصف كل منها فتحة معقودة مدببة ارتفاعها ٥٨ سم وعرضها ٣٠سم. ولاتزال أجزاء من هذه الشرافة موجودة على الجدار الفاصل الى يسار البوابة الأثرية (شكل ٣١) وعلى قمة الأخيرة على جانبها الشمالى الشرقى. وأعيد بناء الأجزاء المفقودة عام ١٩٤٢، وأعيد بناء الشرافة الكائنة فوق الجدار الفاصل الى يمين المدخل فى عام ١٩٤٥. وارتفاع الجدار الفاصل من أسكفة البوابة الثانية ١١,٧٤م، ومساحة الشريط حوالى ٦٥ سم، والعرائس ١,٥٠م، فيصبح ارتفاعه الإجمالى ١٣,٨٩م فى مقابل ارتفاع جامع ابن طولون الذى يبلغ ١٤,٤٩م (الواجهة الشمالية الشرقية). وسنناقش تاريخ بناء هذه العرائس فيما بعد.

المدخل التذكارى

تتكون هذه البوابة الجميلة من برج عرضه ١٥,٥٠م ويبرز عن الجانب الشمالى الغربى من الجامع بمقدار ٦,١٦م. ويتخلله فى وسطه مجاز ذو قبو اسطوانى عرضه ٣,٤٨م وطوله ٥,٥٠م. وإذا تركنا مجالا للارتفاع عن الأرضية، يكون ارتفاعه ١١م تقريبا، إلا أن الجزء الأكبر من الواجهة الأمامية لهذا المدخل التذكارى لايظهر للعيان حاليا. ومن أجل الوصول اليه، ينبغى ترك الشارع الرئيسى والدخول فى حارة طولها ٢٠م تقريبا على يسارها بعض البيوت المتواضعة (تمت إزالتها حاليا) يليها ما يسمى **«ضريح بدر الجمالى»**(٢١١) (وهو القائد الأرمنى الشهير للخليفة المستنصر الفاطمى وسنتحدث عن أعماله فى البابين التاسع والحادى عشر)، وعلى يمينها جانب الوكالة (وهى الوكالة التى تمت إزالتها فى يونيو ١٩٤٧) والذى يخفى وراءه الجزء الأكبر من الجدار الفاصل بين هذه البوابة وبين النتوء الغربى ويتداخل مع البوابة نفسها (شكل ٣٢). وكل مانراه من هذه الحارة هو القبو الاسطوانى حيث تختفى بقية البوابة (لوحة ١٦ب). والمجاز المقبى مبنى من الحجارة حتى مستوى منبت القبو. وعند كل ركن خارجى هناك عمود مدمج مصقول بتاج شمعى مورق على قمته؛ والعمود الأيسر فى حالة جيدة؛ أما الآخر الى اليمين، فهو ملبس بالجص. وهذان العمودان لا يستويان من حيث الارتفاع، حيث يبلغ ارتفاع العمود الأيسر ٢,٥٠م، بينما يبلغ ارتفاع العمود الأيمن ٢,٩٢م إذا قيس من مستوى الأرضية الحالى الى قمة التاج. وتجرى العوارض الخشبية الى الخلف داخل الجدار أعلى هذين التاجين.

وهناك لوح حجرى طويل عليه نقوش بالنسخ فوق قنطرة العقد (لوحة ١٦ب) يسجل ترميم الجامع على يد الأمير بيبرس الجاشنكير (الذى أصبح السلطان بيبرس الثانى فيما بعد) فى عام ٧٠٣هـ (١٣٠٤م)، أى بعد

الزلزال الكبير بعام واحد. وينص النقش على أن الترميم تم فى ذى الحجة ٧٠٣هـ. واحتل هذا اللوح مكان الشرافة التى فقدت الغرض من وجودها. وخلف هذا المجاز المعقود، هناك باب عرضه ٢,٢١م يمتد فوقه عقد حجرى مسطح فوقه عقد عاتق من الآجر. ولم يعد البناء فوق المجاز منتظم الشكل، بل يتحول الى دبش مصفوف. وبما أن العقد المسطح شديد النحافة من الخلف الى الأمام، فالجدار من فوقه نحيف أيضا. وهناك فجوة طويلة ضيقة بعمق ١,٣٥م وعرضها ٢,٥٤م تجرى بطول ارتفاع الجدار المحيط تركت على الجانب الداخلى من المجاز. وهذه الفجوة مسقوفة على مستويين حاليا: (أ) على مستوى العتبة؛ (ب) عند القمة يتكون السقف فى كل حالة من قوائم سقالات وألواح خشبية.

وأمام المجاز وعلى الجانب الأيمن منه هناك قطعة زخرفية غير عادية (لوحة ١٦ جـ، ب). فهى مشغولة بالأرابسك داخل هيكل من سطح كلاسيكى قائم على أعمدة ومقاسها ١,٦٠ من حافتها العليا الى حافتها السفلية وطولها يزيد قليلا عن ١,٥م. ويرجع السطح الرئيسى لهذا الشريط مسافة ١٣سم من سطح الجدار الحالي، إلا أن حافتيه العلوية والسفلية بهما نتوء قدره ١٣سم، وبالتالى فإن هاتين الحافتين تستويان تماما مع الجدار. واذا درنا حول الضريح الى اليسار، يمكننا أن نرى الجانب الشمالى الشرقى لهذا المدخل التذكارى ونلاحظ أنه ناتئ عن الجدار الفاصل بما لايقل عن ٦,١٦م.

وتزين جانبى البوابة (لوحة ١٧) حشوتان معقودتان بعمق ٣١سم يجرى عبرها شريط من الزخارف يتبع النتوء بأكمله والزوايا الداخلة ويتطابق تماما مع الشقة الكائنة على الجانب الأيمن من مجاز المدخل من حيث العرض (١,٦٠م) ومن حيث تفاصيل الزخرفة (نشرت هذه الزخرفة للمرة الأولى فى نشرة لجنة حفظ الآثار العربية، ١٩٠٧، ص١٣٢-١٣٤). وتتكون الحلية المعمارية التى تشكل حافته السفلية من شريط مجدول يحفه من أعلاه ومن أسفله صف من القضبان القصيرة، وفوقه بحوالى ١,٥م وتحت منبت الطواقى المعقودة مباشرة، نجد حلية معمارية بنفس الحجم ولكن تختلف فى تكوينها، ويجرى تحتها صف من أنصاف المراوح النخيلية، ويجرى بينهما شريط جميل من الزخارف حدوده الخارجية تشبه حدود نافذة فى المئذنة الغربية (لوحة ٣٢ أ). ويتكون الشريط نفسه من إطار هندسى قوامه صف من الأشكال السداسية المستطيلة، يدعم كل زوج منها ورقة نباتية ثلاثية تحيط بورقة نبات ذات ثلاثة فصوص، وترتبط من أسفلها بأنصاف مراوح نخيلية موضوعة بين الحليات النباتية الثلاثية الوريقات (شكل ٢٤).

ترتكز الحشوات على طبلية وحافتها مزخرفة بحلية بسيطة (شكل ٢٤ب) وتنتهى فى أعلاها بطواقى معقودة مدببة ضحلة غير مسطحة تماما، بل تنحرف الى الأمام قليلا عند الحواف وتحملها عبر أركان الفجوة كوابيل أفقية كما هو الحال فى قصر الأخيضر وفوق أساس قبة مسجد القيروان الجامع (E.M.A. ، جـ٢، ص٣١٦، شكل ٢٣٥، لوحة ٨٤ب). وللطاقية اليسرى حافة مزدوجة إلا أن الحافة اليمنى فقدت كل هذا الجزء. وكلا الطاقيتين محفورتان بزخارف بارزة جريئة. وفى الجزء العلوى من الطاقية اليمني، هناك مروحة نخيلية تشبه بعض مثيلاتها فى مسجد قرطبة الجامع فى العمل المنسوب الى الحكم الثانى فى سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م. Marçais, *Manuel*, I, Fig. 157). والأرجح أن الطاقيتين المعقودتين وضعتا فى إطار مستطيل قوامه نقش كوفى غير مزخرف (سورة آل عمران، آية ١٩٩) وبه حافة خارجية مزدوجة من قضبان زخرفية قصيرة. ولم يبق من هذا الإطار سوى الجزء الهابط الى اليسار. وبعد هبوطه، يدور بزوايا يمنى ويجرى أفقيا فوق عمود

مستطيل ناتئ قليلا؛ ووضع هذا الجزء مقلوبا (ربما أعيد الى مكانه مقلوبا بطريق الخطأ). والعمود المستطيل الأيمن يدعم بداية هذا النقش. ولكن ماهى وظيفة العمود المستطيل الأوسط الذى تتساوى واجهته مع السطح المستوى الرأسى للعمودين المستطيلين الخارجيين؟ قد يفترض أن النقش الهابط فى الوسط كان يجرى أفقيا ويصعد مرة أخرى ليحيط بالطاقية الثانية فيشكل بذلك إطارين مستطيلين. وقد تسمح المساحة بذلك، إلا أنها لاتسمح للحافة المزدوجة للقضبان الزخرفية القصيرة أيضا. لذا، فربما كانت الأخيرة تستمر أفقيا عند القمة بحيث تشكل إطارا خارجيا واحدا للجميع (كنت أتمنى أن يتم العثور على الواجهة الأخرى فى حالة جيدة حيث تمت إزالة الوكالة التى بنيت ملاصقة للنصف الأيمن من الواجهة عام ١٩٤٧ لكى تجيب على هذه التساؤلات. ولكن للأسف وجدت فى حالة يرثى لها). واختفت زخرفة كوشات العقد تماما عدا بقية منها على الجزء السفلى الى يسار العقد الأيسر وتحاذى سطح حافة القضبان القصيرة.

وفى الحشوات أسفل الشريط، نجد مربعين وضعا على شكل معين. وبالمربع الأيسر نجمة ذات ثمانية أطراف مكونة من مربعين متقاطعين. ويربط بين الأطراف المتناوبة حلقات بأربع دوائر تلامس المربع المطوق بالكاد (شكل ٢٥). كما تربط بين هذه الدوائر الأربع حلقات بها دائرة مركزية أصغر حجما، خارجها عنصر ذو أربعة فصوص. وتمر الأشرطة المحززة التى تشكل كل هذه العناصر من تحت ومن فوق بعضها البعض بصورة تبادلية. وتشبه زخرفة الحد الخارجى زخرفة السطح الأدنى للطاقية اليسري. والحشوة اليمنى بتصميم قائم على نجمة ذات ثمانية أطراف فى وسطه.

وهناك خط فاصل يجرى مائلا من اليمين الى اليسار عبر المربع الداخلى للحشوة اليسرى فيقسمه الى نصفين متساويين، مما يرجح أن هذين اللوحين تم نحتهما أولا ثم تم تركيبهما فى الجدار. كما تتكون الحافة الخارجية من عدة قطع لاعلاقة لفواصلها بكتل البناء. وفوق الحشوات، يستمر سطح الجدار فى الصعود الى أعلى فى حالة سيئة. ولايزال من الممكن رؤية بقايا الشرافة ذات النقش المخرم على طول القمة. وفى الوسط، أسفل الافريز قليلا، نجد فتحة مستطيلة تبدو كنافذة، وسنعود اليها فيما بعد.

ونتجه الآن الى فحص جدران المجاز المعقود محاولة تخيل بنائه. تم مؤخرا ترميم الجانب الأيسر الى ارتفاع مترين تقريبا. أما الجانب الأيمن، فلم تتم إعادة بنائه وحسب، بل تم الخروج به الى الأمام بمسافة ١٣ سم كما سبقت الإشارة بحيث يحاذى الآن الحليات العلوية والسفلية لشريط الزخرفة. وتفصل المداميك الأربعة الأولى تحت الجانب الأخير بين الوصلة وبين المداميك الكائنة الى يمينها. وتحتها يتكون الجدار من الطوب الأحمر (حلت محله الحجارة فى عملية ترميم تمت عام ١٩٤٣ أو ١٩٤٤) مع قليل من قوالب الحجارة. على هذا، يمكن القول إن الجدار الأيمن ولمسافة ٤م من واجهة البوابة ليس أصليا. فماذا حل محله؟ إن تطابق كتلة الزخرفة الى اليمين تطابقا تاما من حيث التفاصيل ومن حيث القياسات مع نظيرتها الجانبية يؤكد أن هذه الزخرفة كانت تجرى بصورة متصلة حول الجانبين وعلى الواجهة. وربما كانت هناك حشوات فى الواجهة أيضا. من المؤكد أنه كانت هناك حشوة على كل من جانبى المجاز المعقود؛ فيستدل من فحصه على أن الشريط يمتد مسافة ١,٥٢م من الجدار القاطع وأن الحليات المعمارية العلوية والسفلية تتحول الى الجدار بزوايا يمني، وقد تستمر الى داخل المفصل لعدة سنتيمترات. ومن الواضح أنه كانت هناك حشوة مفرغة ها هنا. واذا تفحصنا الطرف الداخلى لهذه الكتلة، نجد أن النمط ليس مكتملا تماما. ومن الممكن أن نستنتج من

تماثل الزخارف على الجانبين أنها كانت متصلة الى مسافة أطول، لأن شريط الزخرفة الأوسط فى الحالة الأخيرة ربما كان مكتملا. وشريط الزخرفة الذى يجرى على طول حافته العلوية والسفلية يدور حول الطرف بحيث يحيط به تماما. ويستدل من الفحص على أن هذه الزخرفة تمتد فى الحقيقة الى مسافة أبعد، وقد تمتد الى داخل المفصل المفتوح بينه وبين عضادات الباب لعدة سنتيمترات. علينا إذن أن نخرج من ذلك بأن هناك عمليات تغيير مكثفة حدثت فى الطرف الداخلى من مجاز المدخل، وأن المجاز الحالى والجدار الذى يعلوه يشغلان تخطيطا سابقا على التخطيط الأصلي. كما شاهد جاردنر ويلكنسن فى سنة ١٨٣١ نقشا كوفيا للحاكم على المجاز خلف مجاز المدخل المذكور (*Topography of Thebes*, pp. 299-300) مما يعنى أن هذه التغييرات حدثت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. أما النقش، فقد أرسل جاردنر ويلكنسن صورة منه لفون هامر الذى قام بنشرها فى سنة ١٨٣٨ (*Journal Asiatique*, 3me sér., t. V, pp. 388-91) وتتفق محتوياتها مع رواية المقريزى التى أوردناها من قبل، ولكن بصورة غير حرفية. إذ يشير ڤان برشم (*Égypte*, pp. 50-51) الـــــى أن المقريزى لم يهدف الى تقديم نسخة حرفية، بل يقول: «يروى أن ...». وكان هذا النقش لايزال باقيا على حالته الأصلية حين رآه فريث (Frith) فى سنة ١٨٦٠ (*Lower Egypt, Thebes and the Pyramids*). وتتحدث مس روجرز فى سنة ١٨٨٠ عن المصير الذى آل اليه فتقول: «منذ سنوات قلائل، انهارت الأحجار التى تحمل هذا السجل التاريخى ومعها كم كبير من البناء والدبش. ولدى سماع نبأ هذا الحادث، قام ا. ت. روجرز بتصريح من نوبار باشا بجمع البقايا ونقلها الى وزارة الخارجية. إلا أن وزارة الأوقاف لم توافق على استبدال الحجارة المنهارة أو إزالة الأحجار الباقية» (E. T. Rogers & Miss Rogers, "The Mosques of Cairo," *the Art Journal*, New Series, XIX, p. 77). ويضيف الباحثان: «والمداخل الرئيسية للجامع كلها مغلقة بالبناء حاليا ... وهناك مدخل واحد من داخل مقهى ومدخل آخر من داخل مصنع للبيرة ... ومدخل ثالث من داخل مصنع زجاج». وفى عام ١٨٨٨، وهو العام الذى زار فيه ڤان برشم القاهرة لأول مرة، كانت كل بقايا النقش اختفت (*Notes*, XVII, p. 433).

وبإتمام العنصر الزخرفى الذى كان مختفيا فى جزء منه وراء عضادة الباب، وبإضافة الإطار وكتلة من جدار غير مزخرف، نجد أن كل ذلك يبلغ ٤٣ سم، وهو مايصل مجموعه اذا أضفنا الطول الحالى للمجاز المعقود الى ٥,٩٣م بدلا من ٥,٥٠م. وعلى فرض أن سطح الجدار كان متساويا فى العرض على كل من جانبى هذه الحشوة، تكون النتيجة ٥,٩٣ -٢ × (١,٥٢ + ٠,٤٣) = ٢,٠٣م وهو عرض الحشوة الغائرة. ويتفق ذلك مع الحشوتين الكائنتين على الجانبين ومساحتهما ١,٩٤ و٢,٠٦م على التوالى.

أما بالنسبة لواجهة كل من جانبى قنطرة العقد، فهناك مجال لحشوتين معقودتين فى كل حالة، لأن عرض كل واجهة (٥,٩٦م) يساوى تقريبا عرض الجانب (٦,١٦م). الا أنى أعتقد أنه لم تكن هناك الا حشوة واحدة بفسحة قدرها ٢م تقريبا على كل من جانبيها (كما هو الحال فى المجاز)، لأن هذا يعطينا الواجهة الثلاثية العقود والتى اشتهرت فى العمارة الإسلامية المبكرة ومن أمثلتها قاعة العرش فى المشتى (*E.M.A.*, I, pp. 356-7, Fig. 439) وبيوت الأخيضر وباب العامة (بيت الخليفة) بسامراء وباب الميدان بقصر ابن طولون؛ ومن النماذج الأحدث زمنا واجهة حرم اللؤلؤة والجيوشى وخضرة الشريفة ورقية والعديد من المدارس الشامية والجزء الأوسط من واجهة حرم مسجد القيروان الجامع (ربما عصر الحفصين ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م) الذى لفت مارسيه نظرنا اليه (*Remarques sur l'esthetique Musulmane, Annales des l'Institut d'Études Orientales*, IV, pp.

62-4) . وبهذا يصل المجموع الى ثماني حشوات.

واذا تسلقنا قمة الجدار الفاصل ومشينا على طول البوابة التذكارية، نلاحظ أن الجوانب مجوفة وأن النصف الشمالي الشرقي به دعامة مستطيلة مساحتها ٣ ×١م تقريبا وتقوم في الوسط كقائم الدرابزين في أسفل السلم. ونظرا لكثافة الأطلال التي تملأ الجزء الداخلي الى النصف، فلا سبيل لمعرفة ما اذا كان هذا هو الحال أم لا. الا أن الفتحة التي تبدو كنافذة على أحد جانبي البوابة تعزز هذا الاحتمال. ولما كان جانبا مجاز المدخل يشغلهما جزئيا شريط زخرفي جميل سبق وصفه، فمن المحتمل أن المدخل المؤدى الى هذا السلم كان من الواجهة الداخلية للبوابة. إلا أن الجدار هناك أعيد بناؤه برمته منذ عام ١٨٨٠ (شكل ٣٢).

من سطح الوكالة الذى يتداخل مع النصف الأيمن من البوابة يمكن ملاحظة وجود نافذتين مستطيلتين فى كوشات قنطرة العقد ولايمكن رؤيتهما من الشارع. وبالصعود الى قمة البوابة والنظر الى داخل النصف الجنوبى الغربي، نلاحظ أنه ليس هناك بدن، وأن الصورة الداخلية ظاهرة حتى مسافة كبيرة الى أسفل. ويمكن رؤية العديد من جذوع النخيل مدمجة فى البناء. وعلى الجانب الجنوبى الغربي، يمكن رؤية الصورة الداخلية من نافذة وهو يتطابق نظير له سبق وصفه فوق زخرفة الجانب الآخر؛ فيصبح المجموع الكلى أربعة نوافذ. ويغطيه من الخارج جدار من الطوب سمكه نصف متر تقريبا بنى فى مواجهته دون سبب واضح إلا أن يكون بمثابة جانب من بيت اختفى مع مرور الزمن. واذا تمت إزالته من القمة حتى القاع، فإن حشو الجزء السفلى والمطابق لنظيره الذى يرى على الجانب الآخر يصبح مكشوفا (وتمت إزالته بالفعل فى يونيو ١٩٤٧).

وتم إخلاء الصورة الداخلية من هذا النصف من المدخل التذكارى فى سنة١٩٤٣؛ وانكشف قائم الدرابزين المستطيل ودورتان ونصف دورة من السلم. وكانت الدورة السفلية تجرى باتجاه القبلة على الجانب المجاور لمجاز المدخل. إذن فمن المرجح أنه كان هناك باب على الواجهة الداخلية بجوار المدخل الرئيسي، وباب آخر يقابله ويؤدى الى السلم فى النصف الآخر من البرج، إلا أن كل أعمال البناء هنا أعيد بناؤها من جديد.

المداخل الصغرى فى الواجهة الشمالية الغربية

سبقت الإشارة الى مجاز مسور (لوحة ١٥جـ، شكل ٢٦) فى الجدار الفاصل الى يسار البوابة الرئيسية. ومحوره ١٥,٤٨م من الجانب الى البوابة المذكورة وتحت النافذة الثالثة فى هذا الجدار الفاصل تماما. أما الفتحة التى يمتد فوقها عقد أفقى وضع فى إطار مستطيل تشكله حلية معمارية مفلطحة فعرضها ١,٩٧م وارتفاعها ٣,٩٤م بنسبة ١ : ٢ تماما. ويرتكز العقد على عضادات بنيت بفواصل دقيقة وكسيت بطريقة سلسة فى صفوف بمتوسط ارتفاع ٢٢سم، ويتوجها صفان آخران من البناء ويحيط بالجميع إطار خارجى يتكون بدوره من حلية معمارية مفلطحة غير منحوتة على بناء العضادات بل مكونة من كتل منفصلة وضعت رأسيا وتعود عند مستوى الأرضية وحتى فتحة الباب التى كشفت عتبتها الجرانيتية مؤخرا (أواخر ١٩٤٣). ويفترض أنها كانت تعود الى الصعود لأعلى لتجرى على طول الجزء العلوى من الصفين اللذين يتوجان العقد (أو ربما فوق صف ثالث اختفى ولم يعد له وجود). بالتالي، فإن مساحة الجميع تصبح ٣,٨٩ × ٥,١٢م. والبناء المصقول ليس موصولا ببناء مدماك التلاتات الذى يحيط به. وبالقرب من النتوء الغربي، هناك مجاز مماثل تعرض إطاره المنحوت لمزيد من الأضرار. ويمكن رؤية جانبه الداخلى فى اللوحة (٢٧ أ)، إلا أنه يختفى حاليا وراء مبان حديثة، كما انكشف جانبه الخارجى فى أوائل عام ١٩٤٤ حين تم الكشف عن هذا النتوء. ولابد

من وجود مجاز آخر مماثل بجوار النتوء الآخر، فعلى الجانب الداخلى من الجدار، وفى إحدى السقائف المبنية فى مواجهته وبالقرب من النتوء نفسه نجد بقايا عارض وعقد عاتق تحت النافذة السابعة من الوسط مباشرة. ولا يمكن رؤية العقد والنافذة إلا من الجانب الداخلى (حيث يختبئ الباب حاليا وراء سقيفة، ولكن يمكن التعرف على صورته فى اللوحة ٢٤جـ)، بينما يغطيهما على الجانب الخارجى بروز ضخم من سور بدر الجمالى الذى يدور حول الجانبين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى لمكعب يحيط بالمئذنة وكذلك حول الجانب الجنوبى الغربى الى أن يتوقف فى مواجهة الجدار الفاصل للجامع (انظر الشكل ٣٢).

اذا حدث واكتشفنا مدخلين صغيرين آخرين فى الجدار الفاصل الى يسار المدخل، فمن المتوقع بالطبع أن نعثر على مدخلين مماثلين فى النصف الآخر. ويمكن رؤية المدخل المجاور للنتوء الجنوبى كما رأينا من قبل. أما بقية الجدار، فهى مختفية على الجانبين (وحين تمت إزالة الوكالة فى سنة ١٩٤٧ لم يتم العثور على أثر لهذا المدخل، حيث أعيد بناء الجدار الفاصل عند هذه النقطة). لكننا اذا عدنا الى وصف المقريزى للشريان الرئيسى للقاهرة فى العصور الوسطى [القصبة] والذى يصحب القارئ فيه فى جولة تخيلية من باب زويلة الى باب الفتوح (الخطط، جـ١ ،ص٣٧٧) نجده يتحدث عن «إحدى بوابات الجامع الحاكمي» و«الى اليمين نجد بوابة أخرى للجامع الحاكمي» و«الى اليمين نجد المدخل الكبير للجامع الحاكمي». إذن فلا جدال فى وجود مدخل تذكارى فى وسط الواجهة الشمالية الغربية وزوج من المداخل الثانوية بالجدار الفاصل على كل من جانبيه.

كيف كانت هذه المجازات؟

سنرى فيما بعد أن المئذنة الشمالية، أو بالأحرى ذلك الجزء منها الذى يشكل نتوءا على الواجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية قبل بناء النتوءات الكبرى يجرى أسفل مستوى الأرضية الأصلية للمسجد بما لا يقل عن ١,٧٥م. ولا يعنى هذا سوى أن مستوى الأرضية الأصلى خارج الواجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية كان أدنى كثيرا من مستوى الأرضية الأصلية للمسجد فى الداخل، ويؤيد هذا الرأى حقيقة أن العتبة الجرانيتية لباب الفتوح تنخفض عن المستوى الحالى للشارع بمقدار ٢,٤٠م بينما لا يزيد انخفاض عتبة المجاز الذى نتحدث عنه عن ٤٠سم، أى أنها ترتفع عن مستوى الشارع فى عام ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) بمقدار مترين. والنتيجة الواضحة هى أن مجازات أبواب الجامع كان يتم الوصول اليها عن طريق سلالم يرجح أنها كانت نصف دائرية (شكل ٢٤) كما هو الحال بجامع ابن طولون قبل ذلك بما يقرب من ١٢٥ سنة (الخطط، جـ١ ، ص٣٧٧).

الجامع من الداخل

واذا دلفنا عبر المجاز الكبير الى داخل الجامع، نجد صورة واضحة للدمار الرهيب. فبدلاً من أن نجد صحنا تحيط به بائكات مهيبة، نرى رحبة واسعة مفتوحة يحف بها الى اليسار خشب من كل صنف. ويشغل الجانب الأيمن منها مبانى حديثة بشعة **تنتمى الى مدرسة السلحدار**[٢١٢] (لوحة ١٨ أ، ب). وتبلغ المساحة الداخلية ١٢٠,٧٠م (الجانب الجنوبى الشرقي) × ١١٣,٠١م (الجانب الشمالى الشرقي). فلم يبق من الجامع إلا القليل (لوحة ٣٢). فاختفى الرواق الشمالى الغربى برمته عدا العقد الأول من البائكة الداخلية عند الطرف الشمالى الشرقى ومنبت العقد الثانى ودعامة جدار العقد الأول من البائكة الخارجية (لوحة ٢٣ب).

وعلى الطرف الجنوبى الغربي، لم يبق إلا بقايا من العقدين الأخيرين من البائكة الداخلية المتصلة بالواجهة الجنوبية الشرقية للنتوء الكبير (لوحة ٢٧ أ). ولم يبق من البائكات الشمالية الشرقية سوى خمسة عقود من الصف الداخلي (لوحة ١٨ أ). ويتضح من المقاسات أن هناك مكانا لما لا يزيد عن تسعة عقود بين البائكة الخارجية للحرم والبائكة الخارجية للرواق الشمالي الشرقي.

وعند منبت أحد العقود على الدعامتين الثانية والثالثة بالحرم (لوحة ١٩ أ)، يمكن رؤية أن هذا الرواق الجانبي كان بعمق ثلاث بلاطات (أعيد بناء الدعامة الرابعة حديثا. أما صورة الدعامة الأصلية (لوحة ١٩ أ) فتدل على أن واجهتها كانت مصقولة بحيث لا يمكن أن تكون هناك بائكة تم انتزاعها منها). ومن البائكات الجنوبية الغربية، لم يبق حاليًا إلا أعقاب دعامتين من البائكة الداخلية، ولو أن هناك أربعة عقود ظلت قائمة حتى عام ١٨٧٥ (Rhoné, *L'Égypte á petite journées*, 2me éd., p. 359). أما الحرم الذى كان يتكون من خمس بائكات تجرى بحذى جدار القبلة، فعانى دمارا هائلا أيضا ولم يبق منه إلا المجاز وبائكتان على يساره. وتداعت ثلاثة عقود من الواجهة، إلا أن قواعد الدعامات لاتزال باقية (عدا واحدة) بحيث يمكن أن نرى أنه كان هناك ١٧ عقداً من اليمين الى اليسار،، وبقى ١١ عقداً فى مواجهة الصحن.

بعبارة أخري، كان التصميم الداخلي على النحو التالي: كانت هناك خمس بائكات على الجانب الجنوبى الشرقى واثنتان على الجانب الشمالى الغربى بكل منها ٩ عقود. وكانت هذه البائكات تقف فى مواجهة البائكات الخارجية الى الشمال الغربى والجنوب الشرقي، مما نتج عنه صحن يحده ١١ عقداً الى الشمال والشرق و٩ عقود الى الشرق والغرب بعرض ٧٨,٠٣م وعمق ٦٧,٥٥م.

المداخل الباقية

قبل الدخول فى الوصف التفصيلى للحرم، ينبغى فى البداية أن نحسم مسألة المداخل المتبقية. فإضافة الى المداخل الخمسة بالواجهة الشمالية الغربية، هناك مدخل مسدود على الجانب الشمالى الشرقى بمواجهة العقد الأوسط من ذلك الجانب من الصحن، ويتكون من عقد مدبب من الحجر المنحوت، يعلوه عارض خشبى طويل مطمور فى البناء، يعلوه عقد عاتق من الحجر غير المصقول (لوحة ١٩هـ). واذا دخلنا الشرفة الخارجية التى تدخل فى سور القاهرة الشمالى عند هذه النقطة، نجد كتفين عرضهما ٢,٣٢ و٢,٣٧م يفصل بينهما ٣م ويبرزان داخل الشرفة الخارجية على الجانب المجاور للجامع. ويتميزان بالبناء غير المصقول الشبيه ببناء سور الجامع على هذا الجانب. ويتضح من المقاييس أنهما أقيما بصورة سيمترية على كل من جانبى خط يمر بوسط مجاز الباب. ولما كان هذا الجزء من سور القاهرة قد بناه بدر الجمالى فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م)، فإن هذا المجاز لا يمكن أن يرجع الى تاريخ أحدث.

واذا اتجهنا الآن الى الجدار القائم على الجانب الآخر من الجامع، نجد أن جزءا كبيرا منه يبدو حديث العهد. ولكن ليس هناك دليل على وجود مجاز بوابة على واجهته الخارجية. ويمكن فحصه من النتوء الكبير بواجهة الحرم ولكن فى طولين منفصلين، أولهما من داخل مقهى والآخر بالهبوط الى **شارع الضببية** وعبور مجاز المدخل الكبير لبيت تركى حديث العهد ثم الدوران يسارا والمرور ببعض النحاسين والدخول الى ساحة مفتوحة واسعة، ويقع سور الجامع على جانب منها. وهو مبنى بطريقة ركيكة ويبدو أنه حديث البناء، ولكن فى مواجهته هناك دعامتان بنيتا بناء جيدا وعرضهما ٢,٠٨ و٢,١٣م على التوالى بنتوء قدره ١,٥٥م (لوحة

١٩ء)، ويفصل بينهما ٢,٥١م. وترتفع الأرضية ها هنا ارتفاعا ملحوظا. إلا أن هناك عارضًا يمكن رؤيته مطمورا فى الجزء الأدنى من السور. ويتضح من المقاسات أن الدعامة اليسرى مساحتها ٣٦,٢٣م من النتوءات. وبإضافة ٢,٠٨م (دعامة) و ١,٢٥م (نصف المسافة بينهما) تكون النتيجة ٣٩,٥٦م، وهى المسافة من خط وسط مجاز الباب من واجهة النتوء. وتتطابق المسافة بين الدعامتين تقريبا مع وضع العقود الوسطى للبائكات الجنوبية الغربية الثلاث. من ثم، فمن المفترض أن كان هناك مدخل فى هذا الموضع يتطابق تقريبا مع المدخل المسور على الجانب المقابل.

ونعود الآن الى المدخل الأخير. ففى عام ١٩٤٠، قامت اللجنة بناء على طلب منى بإزالة حشو هذا المجاز. واتضح أن العقد كان طرفا لقبو اسطوانى ارتفاعه ٣,٨٠م تقريبا ويمتد لمسافة ٢,٨٢م، أى أنه يمتد الى نقطة تتطابق مع الواجهات الخارجية للدعامتين الكائنتين بالشرفة الخارجية، وبالتالي، فالأرجح أن هذا هو العمق الإجمالى للمدخل. إلا أن سور الجامع يبلغ سمكه ١,٥٥م. لذا فمن المرجح أن مجاز البوابة كان يبرز بمقدار ٢,٨٢ - ١,٥٥ = ١,٢٧م من واجهة الجامع. وينتهى القبو عند هذه النقطة حيث نجد وراءه وعلى مستوى أعلى قليلا سقفا من الدبش غير متساوٍ، ونرى فيه الجانب السفلى من أحد الأعمدة المستخدمة كمدماك فى سور بدر الجمالى (شكل ٩١). ويمتد هذا الجزء لحوالى ١,٣٠م؛ ثم نجد عقدا مدببا ارتفاعه ٣,٣٠م وعرضه ١,٦١م وعمقه ٨٤سم، وكان مختفيا حتى وقت قريب من الخارج حيث تنخفض أسكفته عن مستوى الأرضية بما يزيد عن ٤م (وتم كشفه حاليا، لوحة ٥٩ب). ولكن لاينبغى أن نستنتج أن بدر الجمالى كان يجل هذا المدخل، لأن العقد الخارجي يبدو مستحدثا وليس من المحتمل أنه ترك السقف الدبش غير المستوي. واستنتج من جانبى أن هذا المدخل كان مختفيا فى البداية وراء السور وأن عملية نحت أجريت على السور فى تاريخ لاحق وتمت إضافة العقد الخارجي. ولكن هناك سمة أخرى غير متوقعة؛ فصفوف البناء فى الجدران الجانبية تحت القبو بدلا من أن تتوقف عند نقطة تبعد ٢,٨٢م من الطرف الداخلى عند نقطة تبدأ فيها أعمال بدر الجمالي، نجد أنها تجرى الى اليمين نحو عضادات قنطرة العقد. إضافة الى ذلك، فالبناء لا يبدو أنه ينتمى الى هذه الفترة. ويجب أن نستنتج من ذلك أنه أعيد تخطيطه أو بناؤه فى وقت لاحق، ربما فى نفس الوقت الذى استحدث فيه العقد الخارجي. وتمت معاملة الطول البالغ ٤,١٢م على أنه طول واحد.

واذا اتجهنا الآن الى العقود الخمسة بالبائكة الداخلية للرواق الشمالى الشرقي، نجد أن العقد الخامس الذى كان يمثل العقد الأوسط يأتى بمواجهة هذا الباب المسدود (شكل ٣٢). ومع أن مساحة هذا العقد (٤,٦٠م) هى نفس مساحة بقية البائكة، إلا أن الدعامات الكائنة على كل من جانبيها أعرض من البقية بمقدار ١,٢٠م. كما أن العمود المستطيل الناتئ من جدار والقائم بالواجهتين الأمامية والخلفية لهاتين الدعامتين ليس قائما فى الوسط. ويتضح من فحص البناء الآجرى الذى فقد جزءا كبيرا من كسوته الجصية أن هناك فاصل رأسى بالمدماك. ولايمتد هذا الفاصل الى أعلى بأكثر من مترين (ومما يؤسف له أن البناء الآجرى هنا تم تجديده على يد اللجنة بحيث لم يعد لهذه القطعة الأثرية المهمة وجود. إلا أنى أوضحتها فى التخطيط). وأجدنى مضطرا لافتراض أن هذه الدعامات تم توسيعها وقت بناء الجامع، وأن هذا العقد تم تضييقه الى مساحته الحالية. ولو كان الحال كذلك، فالأرجح أن العقد الأصلى كان قد جعل العقد الأوسط أعرض من بقية العقود. وتبلغ المساحة الحالية للعقد ٤,٦٥م، والعرض الحالى لإحدى الدعامات ٤,٠٣ والخارجية ٣,٩٢م.

ولكن لو كانت سيمترية مع أعمدتها المستطيلة، لكان عرضها ٣,٢٨م بتخفيض ٧٥ و ٧٤سم على التوالي. واذا أضيف ذلك الى المساحة الحالية للعقد، تكون النتيجة ٦,١٤م كما كان العقد الأصلي، أى ما يساوى مساحة المجاز (٦,٣٢م).

وهناك مدخلان مسوران آخران فى هذا السور عرض أحدهما ٢,٦٨م عند طرف البلاطة الخارجية للرواق الشمالى الغربي، الى يمين الداخل الى نتوء المئذنة الكبير؛ وعرض الآخر ٢,٤٩م تقريبا عند طرف البلاطة الثالثة (الوسطى) للحرم (شكل ٣٢). وليست هناك أبواب ظاهرة فى السور الجنوبى الشرقى اليوم (أو بالأحرى لم تكن هناك أبواب حين تم عمل التخطيط الخاص بى لأول مرة. إلا أن هناك اليوم بابا صغيرا بالجزء الجنوبى الغربى تم عمله من جانب اللجنة حين تم تدعيم هذا السور)، اذ تمت إعادة معظمه تقريبا. إلا أن المقريزى يسعفنا فى هذا الشأن كذلك فيقول فى وصفه للطريق المؤدى الى باب النصر (الخطط، جـ١، ص٣٧٧) أنه كان هناك الى اليمين مدرسة القاصد، والى اليسار بابان لجامع الحاكم وأن أحدهما كان فى مواجهة الشارع المؤدى الى حارة العبدانية وحارة العطوفية. ولايزال هناك شارع بالاسم الأخير يؤدى الى خارج الشارع الرئيسى على خط واحد تقريبا مع محراب الجامع. وفى موضع آخر (الخطط، جـ١، ص٣٨١) يكرر هذه العبارة. فكان أحد هذين البابين مجاور للمنبر. اذ يتحدث المقريزى عن بناء مئذنة «فوق الباب المجاور للمنبر» فى سنة ٨٢٧هـ (١٤٢٤م). وربما كان الباب الآخر على الجانب الآخر من المحراب.

إن الجزء الأعظم من السور الجنوبى الغربى حديث البناء، ولم يكن من الممكن حتى وقت قريب القول بأنه كان هناك ثلاثة مداخل أصلا، كما هو الحال فى الجدار المقابل والذى يعد الوحيد فيهما الذى يمكن التأكيد على أن المدخل التذكارى فيه هو المدخل الأوسط (وفى تمييز هذا الجزء الذى يمثل الطرف الجنوبى الغربى من الحرم قامت اللجنة بعمل مدخل صغير لايزيد عرضه عن ١,٢٤م عند نهاية البلاطة الخلفية من الحرم). ولكن بعد نزع ملكية عدد من الدكاكين الصغيرة وإخلاء النتوء الغربى فى سنة ٤٣/ ١٩٤٤، كشفت اللجنة عن عضادات مدخل أقل شأنا بالقرب من الجانب الشمالى الشرقى من هذا البروز. وتنتمى العضادة اليسرى الى نفس نوعية عضادات المداخل الأقل شأنا فى الواجهة الشمالية الغربية؛ اذ تحدها حلية معمارية مفلطحة الوجه؛ والعرض الكلى للعضادة والحلية يبلغ ٩٧سم. وتبلغ مساحة جانب الفتحة من البروز ٢,٨٩م. وعرض مجاز الباب ١,٩٤م. ونظرا للتطابق التام بين المدخلين الكائنين فى السور الجنوبى الغربى وبين مدخليه فى السور المقابل، فلاشك أنه كان هناك مدخل ثالث بالبلاطة الثالثة من الحرم يتطابق مع المدخل المقابل. وهكذا كان هناك ١٣ مدخلا أصليا على النحو التالي:

١ بوابة تذكارية فى الواجهة الشمالية الغربية

٤ مداخل أصغر فى نفس الواجهة

٣ مداخل فى الواجهة الشمالية الشرقية (منها مدخل تذكاري)

٣ مدخل فى الواجهة الجنوبية الغربية (منها مدخل تذكاري)

٢ بالجزء الخلفى من الحرم

١٣

الحرم [مقدم الجامع]

وعرضه ١٢٠,٧٨م وعمقه ٣٢سم، ويتكون من خمسة أروقة]بلاطات] عرضها ٥م تقريبا تجرى بموازاة جدار القبلة. والعقد الأوسط من الواجهة والذى بني، على عكس العقود الأخري، من حجر تم تسويره عند منبته وتم استحداث مجاز باب عادى به مصاطب على يد عمر مكرم فى سنة ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م). ويقع الفاصل الرأسى بين التجديدات وبين الأطراف القديمة فوقها فى جزء متدلٍ بمقدار ٧٠سم تقريبا، مما يحدو بنا الى افتراض أنه كان هناك عقدان مدمجان فى هذا الموضع (لوحة ١٩ جـ). واذا تفحصناه من الداخل، يتأكد لنا ذلك؛ لأن جدار الحشو رقيق السمك والجزء المتدلى به نتوء واضح ويمكن أن نرى أن الجانب السفلى منه يرتكز على ثلاثة ألواح خشبية كانت فيما مضى تشكل كتلة ارتكاز قوس العقد والتى تعلوها حلية معمارية تماثل نظيرتها فوق زوج من الأعمدة فوق القبة (تمت إزالة هذا الحشو فى سنة ١٩٤٣ وإحلال الأعمدة ١٩٤٧. لوحة ١٩ جـ).

المجاز القاطع [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودى]

لدى دخولنا، نلتقى لثانى مرة فى مصر برواق أو مجاز قاطع يزيد عرضه عن ٦م بقليل (بين ٦,٣٢ و ٦,٠٢م) ويؤدى الى المحراب مباشرة (لوحة ٢٠ أ، شكل ٢٧). وتنتهى البائكات المستعرضة على كل من طرفيها بدعامات على شكل حرف T. وليست هناك عقود تعبر هذا المجاز القاطع عدا عقد واحد ينتمى الى الصف المجاور لجدار القبلة، اذ كان من المحتم أن تكون فى هذا الموضع قاعدة مربعة للقبة أمام المحراب.

الدعامات

كل الدعامات باستثناء الدعامتين اللتين ذكرناهما لتونا بنيت من الطوب الأحمر الداكن وترتكز على أساسات متصلة (وأدين بهذه المعلومات ليوسف أفندى أحمد، إلا أن هناك تحفظا واحدا فى ذلك. فعندما أعيد بناء بعض دعامات البائكة المجاورة لجدار القبلة فى سنة ١٩٤٥، وجد أنها ترتكز على أساسات متصلة، والأساسات المتصلة غالبا ما تستخدم فى دعامات الكاتدرائيات الانجليزية). والطوب الذى يتميز بالخشونة وعدم الانتظام يشبه نظيره المستخدم بجامع ابن طولون. وهناك أربعة أنواع من الدعامات على النحو التالي:

أ. الدعامات الخارجية التى تشكل واجهة الصحن، وهناك مستطيلات مزخرفة بها عمود مستطيل على جانبه الداخلى فقط، وعرضها حوالى ٢,٦٧م وسمكها ١,٥٠م ويفصل بينها ٤,٤١م.

ب. دعامات البائكات الداخلية، وتشبه نظيرتها بجامع ابن طولون من حيث النوع، إلا أنها أقل جودة فى التنفيذ. وتختلف مقاييسها لدرجة كبيرة؛ فالأعمدة المدمجة المبنية من الآجر فى الزوايا تعد أسمك بكثير وتفتقر الى التيجان **على شكل كأسى** ليحل محلها لوح مسطح بسيط مكون من لوحين أو ثلاثة ألواح خشبية (لوحتان ١٨ أ، ١٩ أ) مما يذكرنا بالطريقة التى عولجت بها الأعمدة الكائنة على واجهة طاق كسرى وفى القصر فى عمان ولكن من حيث الشكل فقط (Saladin, *Manual*, 98).

جـ. دعامات المجاز القاطع التى تتخذ شكل حرف T فى التخطيط. ويلاحظ أن الدعامات اليسرى تختلف الى حد ما عن نظيرتها اليمنى (شكل ٣٢).

ء. الدعامتان على جانبى العقد الأوسط من الواجهة تتخذ شكل حرف L كالأخريين الحاملتين للقبة. ويلحق بكل من الدعامتين الأخريين زوجان من الأعمدة المدمجة (تمت إزالة أحد الزوجين بالعقد الأيمن ليحل محله البناء) بتيجان على شكل **كأسى (أو زهرة لوتس)** وتحمل العقود التى تدعم القبة. وهناك زوجان

من الأعمدة المماثلة وضعا أمام جدار القبلة ويحملان انحناءة العقود الجانبية. كانت هناك إذن ستة أزواج من الأعمدة تحت القبة. ويجب أن يضاف اليها زوجان من الأعمدة على جانبي المدخل المؤدى الى المجاز القاطع؛ فتكون المحصلة ثمانية أزواج.

واذا استبعدنا دعامات الجدار يصبح العدد الإجمالي للدعامات ١٦٠ لم يتبق منها إلا ٦٦ دعامة في عام ١٩٢٠ حين بدأ عمل التخطيط الملحق. وأعيد بناء العديد منها منذ ذلك الحين، الى جانب عقودها. وكل دعامة مشبوكة بجارتها بنظام من الأربطة الخشبية. وتتكون الدعامات الكائنة تحت القبة من جذع نخلة تخفيه ثلاثة ألواح خشبية مثبتة فيه على الجوانب ومن أسفل (لوحة ٢٠). ووضعت هذه الأربطة الخشبية أسفل منبت العقود مباشرة لتحمل شدة ضغطها؛ بينما هناك مجموعة أخرى بزوايا يمنى منها لتحفظ البائكات مشبوكة على مسافات صحيحة فيما بينها. ويذكر ريڤويرا أن «هذا الأسلوب يعزى الى بيبرس نظرا لطبيعة الدعامات نفسها» (*Moslem Architecture*, 158). ولاتحمل الأربطة الخشبية البسيطة أية إشارة الى التاريخ، إلا أن الأربطة المركبة تحت القبة مزخرفة بزخارف فاطمية (لوحتان ٢٠ أ، ب) والأرجح بالتالى أن تكون أصلية. وعند النقطة التى طمرت فيها العوارض المستعرضة فى الدعامات، نجد أعمدة ضحلة مستطيلة تتراوح فى عرضها بين ٧٠ و٩٠سم وتمثل دعما صوريا، وهى معالجة لا نجدها بجامع ابن طولون. وهذه الأعمدة المستطيلة لاوظيفة لها تقريبا ولايمكن وصف تأثيرها بأنه إيجابي.

يذكر المقريزى ضمن حديثه عن الزلزال الكبير لعام ٧٠٢ (١٣٠٣م) أن عددا كبيرا من بدناته فى الداخل انهارت وتم ترميمها بطاق فى كل بدنة. ولكن ماذا تعنى «بدنة»؟ قام كاترمير فى ترجمته لرشيد الدين بجمع عدد من الفقرات التى ورد فيها هذا اللفظ (*Histoire des Mongols de la Perse*, 252). ففى الفقرة السادسة المأخوذة عن ابن الأثير لا يمكن للفظ أن يعنى سوى «جدار بين برجين». ويستخدم المقريزى هذا اللفظ بهذا المعنى أيضا حين يصف نقش بدر المجاور لباب الفتوح بأنه يقوم «على بدنة وجزء من برج». وهنا نجد لفظ «بدنة» يقابل لفظ «برج». ويجرى النقش المذكور على طول جدار بين برجين، ثم على طول جانبى برج كبير. إذن فاللفظ هنا أيضا لايعنى إلا «جدار بين برجين». وفى وصفه للقلعة، يقول انها تحيط بها أسوار حجرية بأبراج وبدنات؛ وهنا أيضا نجد لفظ «برج» يقابله لفظ «بدنة» (الخطط، جـ٢، ص٢٠٤). لكن المقريزى نفسه يذكر فى موضع آخر ضمن وصفه لباب زويلة أن السلطان المؤيد بنى «مئذنة على كل بدنة». وترتكز هاتان المئذنتان على برجي باب زويلة. إذن فلفظ «بدنة» فى هذه الفقرة لايعنى سوى «برج». وهكذا فهو يعنى إما «جدار بين برجين» أو «برج» (وهى النتيجة التى توصل اليها ڤان برشم قبل سنوات عديدة فى Notes, *Journal Asiatique*, 8me Sér., t. XVII, p. 431). والأرجح أنه يعنى «جدار بين برجين» على مايبدو. ولكن فى العبارة التى وردت فى بداية هذه الفقرة، نجد أن عبارة «طاق فى كل بدنة» تعنى الفتحة المعقودة فوق كل دعامة وتساعد على إضاءة البناء كما هو الحال فى كل الدعامات بجامع ابن طولون. ولكن من الغريب أن نلاحظ أنه لايُرى اليوم منها إلا أربع فتحات فقط (اثنتان منها مصمتتان، لوحة ١٨). ولكن رأينا فيما سبق أن هناك ٩٤ دعامة لم يعد لها وجود؛ وربما أعيد بناء معظمها كل بطاق فى عام ٧٠٣هـ وانهارت منذ ذلك الحين. ويؤكد على ذلك رسم تم عمله فى سنة ١٨٠٠ (شكل ٢٨). ويبين الركن الشمالى للصحن مع خمسة عقود من البائكة الخارجية للرواق الشمالى الغربى وثلاثة من الصف الخارجى للرواق الشمالى الشرقى

لاتزال قائمة. فى الحالة الأولي، نجد أن أربعا من الدعامات الخمس فوقها طاق؛ وفى الحالة الأخيرة، نجد طاقا فوق الدعامات الثلاث كلها. وهناك تخطيط قديم آخر محفوظ بمتحف «ڤيكتوريا وألبرت» (E.2843-1918). ويبين هذا التخطيط المئذنة الغربية وجزءا من الرواق الجنوبى الغربى الذى لاتزال أربعة عقود من بائكته الداخلية قائمة. ويتوج الدعامة الشمالية الأخيرة طاق. على أية حال، فالعقود الثلاثة المرتكزة تماما على الدعامات القائمة ذات الطاق والعقدين النابتين جزئيا منها من المرجح أن تكون تداعت وأعيد بناؤها فى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م). ومما يؤكد ذلك شريط الكتابة (على واجهتها الداخلية لأن البائكات المجاورة للصحن ليست بها أفاريز كتابية على واجهتها الخارجية) رغم أنه مدون بالخط الكوفي، إلا أنه يدل على اختلاف واضح اذا قورن بالنقوش التى تجرى حول قمة المربع تحت القبة وعلى طول جوانب المجاز القاطع (عدا تلك النقوش التى تعلو العقد الأول الى يمين الداخل ويساره. Flury, *Die Ornamente der Hakim- und Ashar Moschee*, pp. 13-18). وفى العقد الرابع من الواجهة الى يمين الوسط، هناك شرخ كبير يجرى الى اليمين فى البناء الآجري. وعند هذه النقطة، يتغير النقش بصورة مفاجئة (Flury, p. 14). وهذا لامعنى له إلا أن الدعامات الأربع التى تتوجها طيقان وبالتالى العقود التى ترتكز عليها تماما أو تنبت جزئيا منها ترجع الى ترميمات ٧٠٣هـ.

العقود

ينبغى أيضا أن نذكر أن الدعامات التى تدعم العقد الأوسط بنيت من الحجر (لوحات ١٨أ، جـ، ١٩جـ) وكذلك حشو أقرب كوشة عقد الى اليمين واليسار. أما العقد القائم الى يمين ويسار الداخل الى المجاز القاطع، فكلاهما من الطوب الآجر كما هو الحال فى بقية الجامع. إلا أن كوشة العقد المجاورة للصحن حشيت بمداميك من حجر فى كل حالة منها (تساقط الجص الذى يعلو العقد الى اليمين وكشف عن هذه الحقيقة، ولم يسقط فى حالة العقد الأيسر. إلا أننا نفترض من جانبنا أن الحالة تحته هى نفس حالة العقد الأيمن). كما تدل الأشرطة التى تعلو كل عقد (على كلا الواجهتين) على اختلافات واضحة حين تقارن بنظيراتها الموجودة تحت القبة وفى بقية المجاز القاطع.

ولكن يلاحظ أن العقود التى أعيد بناؤها لها نفس الشكل المدبب وبدون أى التواء عند المنبت لتلك التى ثبت انتماؤها الى البناء الأصلى بناء على أسلوب الإفريز الكوفى الذى يعلوها. ومع ذلك فهناك نوع آخر من العقود يمكن ملاحظته فى الحرم، وهو عقد بنى بصورة عشوائية بقمة مستديرة ومسافة الدعامتين تزيد فى حدها الأقصى عن المسافة بين الدعامتين اللتين ينبت منهما وعددها ثلاث ويمكن رؤيتها جميعا فى اللوحة (١٨أ)؛ الأول من اليمين بالبائكة المجاورة للصحن؛ والثالث والرابع بالصف الخلفي، وهو ما يؤدى الى افتراض حدوث عملية ترميم أخري. فبالعودة الى تاريخ الجامع نعرف أنه تم ترميمه وتبليطه بأكمله فى زمن الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى فترة ولايته الثانية فى سنة ٧٦٠هـ (١٣٥٩م).

ولكن كيف يتسنى لنا أن ننسب هذه العقود التى تتخذ شكل حدوة الفرس الى تلك الحقبة فى حين أننا نعرف أن عقد حدوة الفرس المستدير ظهر لأول مرة فى مصر فى أواخر القرن الثالث عشر؟ (وهذا ماسنناقشه بالمجلد الثاني). نظرا للتشابه بين شكلها وشكل عقود النافذة بالسور الشمالى لجامع عمرو، مما لايمكن أن يعود الى تاريخ أقدم من عام ٦٦٦هـ (١٢٦٨م) وخمسة بالسور الجنوبى الغربى ربما ترجع فى تاريخها الى عام ٧٠٣هـ، فإننا نميل الى إرجاعها الى عملية الترميم التى تمت فى نفس ذلك العام، فى حين يمكن إرجاع

العقود التى تحدثنا عنها منذ قليل الى فترة أخرى غير محددة. لكن هناك طاقا ببعض الدعامات التى ترتكز عليها وليس هناك طيقان فى تلك الدعامات التى تدعم عقود حدوة الفرس، مما يدعونا الى إرجاع الأولى الى الأعمال التى تمت فى سنة ٧٠٣هـ حيث تمت إعادة بناء الدعامات المنهارة بطاق فى ذلك العام. فاذا افترضنا أن عقود حدوة الفرس الثلاثة أعيد بناؤها فى سنة ٧٠٣هـ دون إلحاق أضرار بالدعامات، إذن بم نفسر اختلاف شكلها عن العقود الستة التى تحدثنا عنها فى البداية؟ هذه مشكلة أستطيع تحديدها دون حلها. لكنها لحسن الطالع لاتؤثر على شكل الجامع بأى شكل؛ اذ من الواضح أن تخطيطه لم يتغير عبر القرون.

السقف

يعد السقف الحالى الذى لا يغطى سوى المجاز القاطع وبائكتين الى اليسار حديثا تماما. وارتفاع الأول ١٣,٩٢م والأخير ١١,٤٢م.

أساس القبة التى تتقدم المحراب

كان سطح المجاز القاطع حتى عام ١٩٣١ على نفس مستوى البقية وكان يعلوه فى اتجاه الجنوب الشرقى أساس القبة ورقبتها أمام المحراب (لوحة ٢٢ أ). فعلى الجزء المقابل لمنطقة الانتقال، نرى ثلاث حشوات معقودة مدببة وقمم ثلاث حشوات أخرى ترتفع وراءها (Pauty, *L'Evolution du dispositifs en T dans les mosquées à portique d'Études Orientale*, II, 91). والحشوات الثلاث الأخيرة تحاذى سطح الأساس وواضح أنها تنتمى اليه، فى حين تعد الثلاث الأولى جزءا من زيادة جصية متقنة وضعت أمامها ومتصلة بها. وتشبه أنصاف المراوح النخيلية المسننة الطويلة بالحشوة الخارجية بقايا أنصاف مراوح نخيلية مماثلة لاتزال باقية حول أطراف بعض النوافذ بجامع بيبرس الأول الذى تم فى عام ٦٦٧هـ (١٢٦٩م)، وفى المحراب الجصى لما يعرف بضريح مصطفى باشا [رباط ازدمر الصالحى] الذى تم بناؤه فى الفترة ٦٦٦-٦٧٢هـ (١٢٦٧-١٢٧٣م)، وفى بقية من زخرفة جصية على منبت عقد على الجانب الشمالى الغربى لضريح فاطمة خاتون الذى تم فى ربيع الأول ٦٨٣هـ (مايو ١٢٨٤م)، وفى زخارف نافذة جصية تنتمى الى مدرسة الأمير قره سنقر الذى بنى فى سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م). وفى هذه المدرسة، نجد أيضا إطارا بسيطا ذا فصوص وسط أنصاف المراوح النخيلية، كما هو الحال بحشوة الحاكم. ولم يعد هناك شك فى انتماء حشوة الحاكم الى الأعمال التى قام بها بيبرس الثانى فى أعقاب زلزال ٧٠٢هـ الكبير. ويمكن إرجاع زخرفة النافذة المكسورة فى الوسط والتى يمكن أن نلحظ فى بقاياها نجمة ذات ثمانية أطراف الى نفس الفترة.

ولم يبق من الحشوة اليسرى سوى بقايا معدودة حول الحافة إلا أنها تتطابق مع الحشوة الأخرى. لكن ضياع الجزء الأكبر من هذه الحشوة كشف عن الحشوة الفاطمية الواضحة القوية وراءها (لوحتان ٢٢ أ، جـ). وسنتحدث عن هذه الحشوة فيما بعد.

ويستمر الغلاف الجصى يمينا ويسارا الى أن يتوقف فى خط رأسى مستقيم يتطابق تماما مع الواجهات الداخلية لجدران المجاز القاطع، فى حين يستمر الأساس الآجرى الى أن يحاذى الواجهات الخارجية لنفس الجدران. ومن الواضح أن جدران المجاز القاطع كانت فيما مضى تستمر الى أعلى بما يكفى لتمكين السطح المرتكز عليها من إظهار قمم الحشوات القديمة. وقامت اللجنة فى سنة ١٩٣١ بإزالة سطح المجاز القاطع ورفع الجدران الجانبية وأقامت سطحا جديدا على المستوى المذكور. ومما لاشك فيه أن هذا المنور فى السقف كانت

به نوافذ، إلا أننا لايمكن أن نجزم بعددها. وأقامت اللجنة ثلاث نوافذ، كل فوق الأخري، ليصبح المجموع ١٢ على كل جانب. ويرتفع مستوى السطح الجديد عن أسكفات النوافذ بحوالى ٢,٤٧ م (من الأسكفات الى الأربطة ٢,٤٧ م، والى السقف بينهما ٢,٦٩ م).

القبة التى تتقدم المحراب

تتحول البائكة أمام المحراب الى مثمن بأربع حنايا ركنية، إلا أن الشكل المربع محمول خارجيا. وهناك نافذة فى الجدار بين كل حنية ركنية **وبقايا شبيكة** هندسية حول الحافة الداخلية لكل منها. وتعلوها رقبة مثمنة، ويبرز البناء الآجرى الى الأمام مرتين عند نقطة الالتقاء. وهناك نافذة فى كل واجهة بها بقايا شبيكات هندسية حول الحافة الداخلية فى كل حالة. وتم الحفاظ على الشبيكة بأكملها على الجانب الشمالى الغربى وتصعد القبة على أركان الرقبة كما يتضح فى اللوحة (٢٢ب).

ويرى ريڤويرا أن هذه القبة ربما لم تكن أصلية. وقد يرجع ذلك الى (أ) الشكل المستدير لتاجها، (ب) الخطوط الباهتة الظاهرة بالصورة الفوتوغرافية (لوحة ١٠٩ ب) والممتدة الى أسفل لحوالى ثلثى الارتفاع الكلى وتدل على إطار خشبي. وأكبر احتمال أن الجزء العلوى لهذه القبة معاد بناؤه (ولو أنه ليس هناك دليل على ذلك بتقارير اللجنة). أما القمة المنحدرة التى أضيفت الى الرقبة المثمنة ربما بغرض إسقاط ماء المطر، فهى حديثة بالتأكيد؛ فلانجد مثل هذه السمة بأى مكان آخر فى آثار القاهرة. ولاشك أنها أنشئت حين تمت إضافة التكسية الأسمنتية الفاتحة اللون الى الرقبة لتدعيمها فى سنة ١٩١٥ أو ١٩١٦.

قباب الأركان الخلفية للحرم

إن أكثر السمات الداخلية تميزا بهذا الجامع وجود بقايا قبة على حنيات ركنية بركنى الحرم الخلفيين. وبقايا القبة الموجودة بالركن الشرقى محفوظة فى حالة أفضل، ويمكن أن نرى فيها حنية ركنية وبقايا نافذة شبكية الى اليمين، وفى جزء من جانب آخر من رقبة مثمنة الشكل بنافذة شبكية فى حالة ممتازة (لوحات ١٨ أ، جـ، ١٠٩ء). ووراءها نجد أحد الأبراج المربعة لسور القاهرة الشمالى الثانى الذى بدأ بدر الجمالى فى تشييده فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) كما سنرى فيما بعد. ويتناسب الركن الشرقى من الجامع مع هذا البرج الذى بنى بزاوية داخلية معكوسة تفى بالغرض. إلا أن القسم العلوى من هذا البرج ينحنى ليتبع ويتناسب مع السطح المنحنى الذى كان للقبة. وفى الركن الجنوبى من الحرم، هناك حنية ركنية مماثلة وفى حالتها الكاملة وبقايا الجزء السفلى من حنية ركنية أخرى (لوحة ١٠٩جـ). وكل هذه الحنايا الركنية على نفس مستوى حنايا القبة التى تعلو المحراب، وترتكز على شريط كوفى متقن محفوظ بعناية فائقة أسفل الحنية الجنوبية. وحين نهبط الى مستوى الأرض، نجد دليلا آخر؛ ففى الركن الشرقي، نلحظ أن الدعامة التى أعيد بناؤها للمساعدة على تدعيم القبة بها عمود جصى مستطيل ناتئ بمقدار ٥٤سم على الجانب الجنوبى الشرقى منها (شكل ٣٢). والأرجح أن يكون هناك عمود مستطيل آخر ناتئ من جدار القبلة. إلا أن جدار القبلة للأسف أعيد بناؤه بدبش حديث غير متقن. وعلى الطرف الآخر وبجوار الركن الجنوبي، تحت القبة الأخري، نرى جزءا من الجدار الأصلى لايزال قائمًا. ونلاحظ ها هنا عمودا مستطيلا ناتئا من جدار (يبرز بمقدار ٧٧سم على أحد جانبيه، وبمقدار ٦٤سم على جانبه الآخر. ويرجع الفارق الى تقديم ذلك الجزء من جدار القبلة الذى يرجع الى تاريخ أحدث الى الأمام) ويحمل منبت العقد (شكل ٣٢). والأرجح أن هذا العقد المستعرض كان يشكل

جزءا من المربع تحت قبة تقوم بالتالى فى الركنين الداخليين من الحرم. ورأينا أن الجامع الأزهر كانت به قبة بأحد ركنيه الخلفيين وربما فى كل منهما.

النوافذ

وجدنا فى جامع ابن طولون أن النوافذ أقيمت دون إشارة الى العقود؛ إلا أن بعض التقدم حدث هنا. فالنوافذ، كما هو الحال بالأزهر، أقيمت على محور كل عقد. وبالتالى فمن المرجح أنه كان هناك ١٦ نافذة فى كلا الجدارين الجانبيين و١٧ بجدار الحرم والواجهة الشمالية الغربية؛ فيصبح العدد الإجمالى ٦٦. ولاتسد المآذن أطراف البائكة الداخلية الشمالية الغربية. وهكذا فإن هذا العدد لم يخفض، ولكن بسبب نفس هذه المآذن والبوابة التذكارية، انخفض عدد النوافذ فى الواجهة الشمالية الغربية الى ١٤. وكانت هناك ١٦ نافذة عادية ونافذتان صغيرتان بجدار الحرم لأن النافذة التى تعلو المحراب تم حذفها وثقبت نافذتان معقودتان مستديرتان صغيرتان فى كوشات العقد بدلا منها. فيكون لدينا ١٦+١٦+١٤+١٦= ٦٢+ نافذتين صغيرتين = ٦٤ نافذة.

ومما يؤسف له أنه لم يبق من جدار الحرم الأصلى سوى أقل القليل؛ إلا أن هناك نافذتين الى يسار المجاز القاطع فى حالة جيدة (لوحتان ٢١ أ، ب). ومساحة النافذة اليسرى ١,٦٠ × ١,٢٤م، ومساحة اليمنى ١,٦٦ × ١,٢٧م، وحوافهما السفلية ٦,٦٧م من مستوى سطح الأرضية القديم. وهما فتحتان معقودتان مستديرتان فى إطار من شريط كوفى كما هو الحال بالأزهر، غير أنهما لايتصلان كل بالآخر، لأن هذا الشريط لايدور بزوايا يمنى ويجرى أفقيا الى أن يلتقى بالنافذة التالية. ويوضح فلورى (ص٢٠، ٢١) أن النقوش التى تمثل الإطار كانت ترجع تاريخيا الى أقدم فترات الجامع وأن الحروف الطويلة الرفيعة للنقش (الملك لله) والتى تشكل الزخارف الهندسية للنافذة اليمنى من نتاج الفن المغربى فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر (المجلد الثاني). وهو ماينقلنا الى فترة ترميمات بيبرس الثاني [الجاشنكير] فى أعقاب زلزال ٧٠٢هـ الكبير، ويعزى اليه هذا الحشو بالتالي.

ومع ذلك فحشو النافذة الأخرى له أهمية كبرى رغم الأضرار التى لحقت به. واذا تفحصناه عن كثب، نجده يتحلل الى إطار هندسى مكون من أشرطة متداخلة تشكل نجمة ثمانية الأطراف تتداخل أطرافها تبادليا كما يتضح فى الشكل (٢٩) وتتشكل فيما بينها صلبان، وهو ماكان يمثل ترتيبا مفضلا فى تربيعات الزخرفة الفارسية بالبريق المعدنى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر. يقول فلوري:

«يتبين تقدم الفن الإسلامى الأقدم زمنا بامتزاج الأشكال النباتية بالتراكيب الهندسية المتداخلة. وتتضح العلاقة بالزخرفة السطحية الفاطمية الأولى من الوريقات ذات البتلتين والتى تتطابق تماما مع أشكال الوريقات التى نجدها على إفريز النقش الكبير. وتعد تراكيب الوريقات الزخرفية ذات الفصين والتى تستخدم كحشو للمساحة العلوية الى اليمين على درجة من التميز. وليست لديّ فكرة عن وجود نماذج إسلامية قديمة تتطابق تماما مع هذه النماذج. ويمكن مقارنتها بحشو العقود الكبيرة بجامع ابن طولون (*E.M.A.*, II, pp. 343-5). وهناك أيضا نجد أن السطح مغطى بأكمله بتصميم هندسى متداخل، الا أن حشو المقصورات المنفردة يختلف اختلافا جوهريا عن حشو هذا العقد المستدير. وهناك نجد زحمة من العناصر الزخرفية البسيطة التى تنفصل كل منها عن الأخرى بالشرائط المتداخلة، بينما نجد توريقا نباتيا ذا بتلتين يقطع الإطار الهندسى ويربط بين مختلف المقصورات. وينبغى أن نركز على التقاطع

باعتباره دليلا مدهشا على تطور التوريق النباتي الى هذه الدرجة ... ويجب أن نقر بأن النافذة المفقودة المستديرة التى سبقت الإشارة اليها لها أهمية كبرى من الناحية التطورية. فهى بلاشك أقدم الزخارف الجصية بالقاهرة. وتدلنا على الطريق الى التوريق النباتى الكلاسيكي» (Flury, 22).

وهناك نافذتان بهما بقايا من شبكات شعرية حول الحواف. ولاتزالا باقيتين بالسور الجنوبى الغربى بالبلاطتين الأولى والثانية من الحرم. وهناك بقايا نافذة ثالثة فى مواجهة العقد الثالث من الصحن باتجاه الشمال. وتم تسوير كل النوافذ (عدا واحدة) فى الجانب الشمالى الشرقى بالحجارة، وهو ماقد يعود الى فترة بناء السور الشمالي. وتم سد واحدة منها بالواجهة الشمالية الغربية بإضافات بدر الجمالي، كما سنرى حين مناقشة التنوعين الكبيرين اللذين يحيطان بالمآذن. وتحتفظ أربع منها بالشبكات الشعرية الهندسية ولازالت محفوظة. ومع أن الجدران المحيطة بنيت من حجر، إلا أن العقود التى تعلو كل هذه النوافذ بنيت بالآجر.

المحراب

كان المحراب حتى سنة ١٩٣١ مصفوفا بحشوات رخامية مؤرخة بعام ١٢٢٣هـ (١٨٠٨ ـ ١٨٠٩م) أضافها السيد عمر مكرم . ثم تمت إزالتها لينكشف المحراب الأصلى الأكبر حجما، إلا أنه لم يبق من زخارفه أى أثر (لوحة ١١٥ب). وكان المحراب الذى تمت إزالته يقع على بعد ٧٠سم تقريبا الى يسار محور المجاز القاطع؛ بينما وضع المحراب الذى تم الكشف عنه فى الوسط، وطمرت فى البناء الآجرى لنصف القبة [الطاقية] سدادات خشبية لعلها وضعت بغرض إضافة كسوة خشبية. ولا غرو فى ذلك، فهناك عدد من المحاريب مكسوة بالخشب وأقدمها موجود بمسجد القيروان الجامع حيث نجد بمحراب أبى ابراهيم أحمد نصف قبة [طاقية] مكسوة بالخشب بزخرفة عنقودية مطلية (انظر .E.M.A، جـ٢، ص٣٠٨، لوحة ٨٦ جـ). وفى قلعة حلب، نجد أن المسجد الصغير المسمى بمقام إبراهيم والذى أنشأه نور الدين فى سنة ٥٦٣هـ (١١٦٧م) به محراب مبطن بأعمال خشبية تشبه جوانب المنبر وعليه نقوش نصها «عمل معالى ابن سالم» ولكنه بدون تاريخ. وكان سوبرنهايم يظن أنه معاصر للمسجد (ص٢٠٤)، إلا أنى أؤكد أن البطانة الخشبية كانت لاتزال قائمة حين جلت القوات البريطانية عن حلب فى أكتوبر ١٩١٩، لكنها اختفت منذ ذلك الحين. وفى حلب أيضا وفى المدرسة الحلاوية التى كانت كنيسة وتم تحويلها الى مدرسة فى سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م. ابن الشحنة، ط بيروت، ص١١٥) نجد محرابا مكسوا بالخشب تمت إضافته فى سنة ٦٤٣هـ (١٢٤٥م). ويجب أن نضيف الى ذلك النماذج التالية بالقاهرة: المحراب الخشبى الذى أهدى الى الجامع الأزهر من قبل الخليفة الآمر (لوحة ١١٨ جـ) والمحراب الخشبى لجامع السيدة نفيسة والذى ربما صنع فى سنة ٥٤١هـ (١١٤٥ـ ١١٤٦م) والمحفوظ الآن بمتحف الفن العربى (لوحة ١٢٠ جـ). وفى ضريح السلطان الأشرف خليل الذى أنشئ فى سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م)، نرى فى المحراب الخالى تقريبا من الزخارف سدادات خشبية ولاتزال بقايا من كسوته الخشبية ملتصقة بالجزء العلوي.

وهناك محراب آخر ينبغى ذكره، وهو محراب صغير ملبس بالجص بصورة عشوائية، ولم يعد له وجود. وحين قمت بتصويره فى سنة ١٩٢٠، كان على السطح مع أساس القبة (لوحة ١١٥ أ). وكان على ما أذكر قائما بذاته دون سنادة على الجانب الشمالى الشرقى منه. وعندما رأى فلورى هذه الصورة بعد عدة سنوات فوجئ، لأنه لم يكن قد رأى الأصل. ونظرا لوجود شوائب فى الصورة، فقد صعدتُ الى السطح لإعادة تصويره لأفاجأ

باختفائه. وكما نري، فإن الحد الذى يحيط بالعقد يستمر أفقيا يمينا ويسارا (كما هو الحال بمحاريب الأفضل (لوحة ٧٧) والشيخ يونس (لوحة ١١٧ جـ) وإخوة يوسف (لوحة ١١٨ أ) والمحاريب الجانبية الداخلية بالسيدة رقية (لوحتان ١١٩ جـ، ء)) ويدعمه جذعان جصيان كبيران بصورة غير متناسبة بتاجين وقاعدتين على شكل كأسى. والجذع الأيمن محطم. وكل كوشة عقد محشوة تقريبا بمروحة نخيلية؛ ويتوج الجميع نقش كوفى خلفيته غير مقوسة.

زخرفة الحرم [مقدم الجامع]

الزخرفة الرئسية للحرم (وزخرفة الأروقة الأخرى حين كانت قائمة بالطبع) عبارة عن شريط جميل من الكتابة الكوفية المزخرفة يجرى فوق البائكات وعبر الجدران التي تقع تحت السقف مباشرة. وهناك شرائط مماثلة تزين المجاز القاطع أسفل النوافذ مباشرة، إلا أنها على مستوى أعلى قليلا من الأخرى (٢٥سم تقريبا). إضافة الى ذلك، فنظرا لوجود السدادات الحائطية أعلى الحشوات الكائنة فوق أساس القبة (لوحة ٢٢أ) فمن المحتمل أنه كان هناك إفريز خشبي ربما نحت بنقش كوفى كما هو الحال بجامع ابن طولون، وكان يجرى حول قمة المربع تحت القبة وأسفل الحنايا الركنية مباشرة (لوحة ١٠٩ أ). لكنه يتميز عن البقية بسمة جديدة على مصر؛ اذ ينحنى الجزء العلوى الى الأمام قليلا، تماما كما هو الحال بمسجد سوسة الجامع الذى بنى فى سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠ ـ ٨٥١م). *E.M.A.*، جـ٢، ص ٢٤٩، شكل ١٩٨). وتنطبق نفس هذه الملحوظة على طولى النقش الذى لايزال باقيا أسفل الحنية الركنية بالركن الخلفى الأيمن للحرم (لوحة ١٠٩ جـ). ولايمكن تحديد ما اذا كانت الأسطح السفلية لقناطر العقود كانت تضم زخرفة كتلك التى نراها بجامع ابن طولون وجامع نايين.

والأربطة الخشبية بالعقود الثلاثة الحاملة للقبة مركبة وتتكون كل منها من جذع نخلة مغلف من أسفله وعلى جوانبه بثلاثة ألواح خشبية. والألواح الخشبية الجانبية مزخرفة بزخارف سامراء ، الطراز الثالث ، (لوحتان ٢٠ب، جـ). والحلزونات المزدوجة قريبة الشبه بشكل البلطة الحربية التى تراها على مصراعى الباب (لوحة ٣٣) الذى أهداه الخليفة الحاكم للجامع الأزهر في سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م) وهو محفوظ حاليا بمتحف الفن العربي. وهذه الأربطة موضوعة داخل الدعائم أسفل المنبت مباشرة وتستمر زخارفها على حشوات خشبية أضيفت الى الأوجه الثلاثة لهذه الدعائم وعلى نفس مستواها (لوحتان ٢٠، ٢١ أ).

يتبقى لدينا حشوتان من الزخارف الجصية على أساس القبة احداهما، وهى الحشوة اليمني، تختفى تماما تقريبا وراء الحشوة المقابلة لها، فى حين أن الحشوة اليسرى مكشوفة بأكملها بسبب انهيار الحشوة المقابلة لها فى سنة ٧٠٣هـ. ويبلغ ارتفاع هذه الحشوة الكبيرة ١,٨٠م وعرضها ٩٠سم (لوحة ٢٢ جـ، شكل ٣٠).

لدينا هنا تركيب سيمترى يتكون من نوع من شجرة نخيلية بها حزوز طولية مستقيمة. «وفى منتصف المسافة الى أعلى تنقسم وتكون شكلا بيضاويا مدببا يحيط به عنصر زخرفى من ورقة نباتية ذات ثلاث وريقات مزدوجة؛ ثم تتوحد مرة أخرى وتتوجها ورقة نبات صغيرة جدا بها ثلاث وريقات. وتستحق السويقات التى تتفرع من الجذر فى أفرع مزدوجة اهتماما خاصا. فهى بانسيابيتها المتميزة تذكرنا بأشكال بين النهرين. ونرى فى تنفيذها الدقيق تطورا باتجاه الزخرفة الطولونية وفن الأزهر. ونظرا للدقة الفنية فى هذا العمل، يمكن لنا أن نفترض توسعا كبيرا فى هذه الزخرفة الجصية» (Flury, 25). وتنتمى الوريقات النباتية إلى النمط الحاكمى ذى البتلتين والثلاث بتلات.

الشرافات

بقيت أجزاء من الشرافات فى أربعة أماكن: (أ) على الجدار بين البرجين القائم على يسار المدخل الرئيسى (لوحتان ١٥أ، ٢٣ب. واختفت الشرافة على الجوانب الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية تماما)؛ (ب) على قمة المدخل التذكارى وعلى جانبه الشمالى الشرقى (لوحة ١٥ب)؛ (جـ) على قمة الطابق السفلى من النتوء الذى يحيط بالمئذنة الغربية (لوحة ٢٧ جـ)؛ (ء) على واجهة الحرم (لوحة ١٨ب). وتتكون الشرافة فى كل الحالات من منطقتين. فتتطابق المناطق السفلية فى (أ) و (ب) حيث تتكون كل منهما من شق عرضه ٦٥سم مخرم بست حليات معمارية وردية الشكل ذات ستة فصوص تسير تبادليا مع تعبير زخرفى يشبه رأسى حربة يلتقى طرفاهما. وتعتبر المنطقة السفلية من (ء) مختلفة تماما (لوحة ١٨ب). وتعد (جـ) شبيهة لكنها لا تتطابق تماما. وتتطابق المناطق العلوية من (أ) و (ب)؛ وتتكون من سلسلة من العرائس المتدرجة والمبتورة القاعدة بمسافة ١,٧٣م من المركز الى المركز وبارتفاع ١,٥٠م وبسمك ٢٤سم. وفى وسط كل منها فتحة معقودة مدببة ارتفاعها ٥٨ سم وعرضها ٣٠سم (شكل ٣١). وتختلف المنطقة العلوية من (جـ) اختلافا تاما عن (أ) و (ب). ولكن يبدو من الأجزاء الباقية أن (ء) كانت شبيهة بها. ولكن أيها أقدم؟ لعل هناك مايدعو الى استنتاج أن الباقى منها على البروز الغربى كانت هى الأقدم زمنا بناء على الصلة بينها وبين نظيراتها بجامع ابن طولون، وأن الباقى منها على الجدار بين البرجين يجب أن يعزى الى ترميمات بيبرس الثاني. وسبق أن رأينا أن عقود واجهة الحرم التى حفظت البقايا فوقها من المرجح أن تكون سقطت ثم أعيد بناؤها بأمر من هذا السلطان. من ثم، فالشرفات التى ترتكز عليها لا يمكن أن ترجع زمنيا الى ما قبل عام ٧٠٣هـ (١٣٠٤م). إذن علينا أن ننسب المنطقة العلوية من الشرافة (جـ) الى نفس الفترة وأن نعتبر كلا من (أ) و (ب) بقايا من الأعمال الأصلية (كان الجزء العلوى الهش من الشرافة التى تتوج هذا البروز لحقت بها أضرار بالغة فى أثناء بناء المكعب العلوي. أما الشرافة على البروز الآخر، فربما اختفت فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) حين بنى بدر الجمالى سوره حولها).

ولايزال هناك نمط آخر على قمة الجزء العلوى من البروز الغربى (لوحة ٢٧أ). ولا يتكون هذا النمط من زخارف مفرغة؛ بل وضع على الحافة العلوية من البروز بدلا من الوقوف فوقها مستقلا. كما يختلف فى تصميمه عن كل من (أ) و (ب) و (جـ) و (ء). وسنرى أن الأجزاء العلوية من كل من هذين البروزين بناها بيبرس الثاني. لذا، ينبغى أن ينسب العمل اليه.

النتوءات الكبرى [الأركان]

تعد القبتان القائمتان بالركنين الخلفيين من الحرم سمة فريدة. ونأتى الآن الى سمة أخرى لاتقل عنها تميزا؛ أى النتوءين المربعين على طرفى الواجهة الشمالية الغربية واللذين تنبت منهما المئذنتان (شكل ٣٢). وسنبدأ بتناول هذين النتوءين والمشكلات الناجمة عنها قبل أن نقدم وصفا تفصيليا للمآذن. يتكون كل بروز من مكعبين وضع العلوى منهما مؤخرا عن السفلى بحوالى ٧٥سم فى حالة النتوء الغربى (وهو نفس مقدار ارتفاع السور المحيط بالجامع) ولكن يزيد هذا المقدار كثيرا فى حالة المكعب الشمالى الذى يدل بناؤه على فوارق واضحة. فجدران المكعبين الغربيين العلوى والسفلى مثلا تنحدر الى الخلف قليلا، مما يشكل هرما مبتورا وضعت قمته المثالية على ارتفاع كبير (لوحة ٢٧ أ)، فى حين أن جدران المكعب السفلى فى حالة المكعبات

الشمالية (لوحة ٢٣ جـ). وترى فى الصورة من خلال فجوة بالجدار) تقف رأسية، ولاينحدر الى الخلف سوى جدران المكعب العلوى فقط. ومن قمة كل منهما، تخرج مئذنة ثمانية الأضلاع تعلوها ثلاثة صفوف من المقرنصات وطاقية [قبيبة] مضلعة. ويخترق النتوءين باب فى واجهتيهما الجنوبية الشرقية نلاحظ لدى دخولنا عبره أن المكعبات جوفاء وتشكل حفرا لاتزال المآذن الحجرية الأصلية للجامع محفوظة بها. وتساعد العقود الداعمة على قمة المكعبات العلوية على بقاء كل مئذنة فى مكانها. وعند هذه النقطة، تبدأ الأجزاء الآجرية العليا التى ترى وحدها من الخارج. والمكعب الشمالى من الداخل دائرى وبه تجاويف كبيرة فى نصفه العلوي. والمكعب الغربى مربع وبدون تجاويف. ونصعد الى الداخل فى كل منهما بسلالم حديدية تجرى حول الواجهة الداخلية للمكعبين، ولكن بعد الوصول الى مستوى موازٍ لقمة المكعب السفلي، نصعد على درجات حجرية.

ويتضح من وصف كل من فاوجانى (Vaujany, *Le Caire*, I, p. 171) وفان بيرشم ("Notes d'archéologie Arabe," *Journal Asiatique*, 8me Sér., t. XVII, p. 435) الذى زار هذا الجامع فى سنة ١٨٨٨ أن النطاق الداخلى فى ذلك الوقت كان مقيدا بدرجة أكبر مما هو عليه الآن، حيث كان الصعود يتم بمنحدر حلزونى كانت حافته الداخلية ترتكز على واجهة المئذنة. وتمت إزالة معظم هذا المنحدر (فى حالة المئذنة الشمالية، هناك جزء لايزال باقيا أسفل النافذتين الجنوبية والشرقية بالشريط السابع) تحت إدارة هرتز باشا (وردت الإشارة اليه فى معظم تقارير اللجنة) ليحل محله السلم الحديدى الحالى ونتج عن ذلك إضفاء حرية على المآذن أكبر مما كانت عليه فى عصر فان برشم. ويجب أن يعزى الى هذا المنحدر الحلزونى جزء كبير من الأضرار التى لحقت بهذين الأثرين.

بنيت المئذنتان من كتل صغيرة من الحجر الجيرى أتقن كساؤها وبفواصل محكمة الصنع (وهناك حقيقة لفت لين پول النظر اليها وهى أن المقريزى لم ير الجزء المخبأ وراء النتوءات، فيشير الى إنه لم تبن بالقاهرة مآذن حجرية إلا فى عصر السلطان قلاوون. Lane-Poole, *The Story of Cairo*, p. 139). والمئذنة الشمالية بدن دائرى يرتكز على قاعدة مربعة؛ أما المئذنة الغربية فبها بدن مربع الى ارتفاع ١٣,٩٠م تتحول بعده الى شكل ثمانى الأضلاع فى سلسلة من خمسة طوابق تتراجع مع ارتفاعها. وعند بلوغ نقطة توازى قمة المكعبات العلوية المتصلة بها كل من المئذنتين بدعامتين طائرتين (كانت المئذنة الغربية تتصل بالمكعب بثمانى دعامات طائرة أزيلت منها الدعامتان بالركن الشرقي، فى حين أن المئذنة الشمالية تتصل بها بدعامتين فقط) تتحول مادة البناء الى الآجر. ويدعم منطقة الانتقال عدد من جذوع النخيل بنيت بالآجر. ويتكون الجزء الآجرى من بدن ثمانى الأضلاع بفتحات فى كل واجهة وتتوّجه قبة مضلعة. وتتميز المنطقة الانتقالية من البدن الى القبة بصفوف من المقرنصات (لوحتان ٢٣ جـ، ٢٧أ). والتناقض واضح بين البناء المتقن للجزء السفلي بزخارفه الجميلة المنحوتة بإتقان وبين البناء الآجرى العشوائى للجزء العلوى بزخرفته الجصية الخشنة، وهو تناقض يدل بوضوح على اختلاف تاريخ البناء. وتعد أقدم مئذنة لها قمة مزخرفة تشبه هذه القمم شبها طفيفا تلك المئذنة التى تقع على جانب ضريح أبى الغضنفر (لوحة ١٢٣ء) وبنيت فى سنة ٥٥٢ (١١٥٧م). إلا أن هذه المئذنة ليست سوى النموذج الأصلي. ويجب أن ننزل الى مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب التى بنيت فى ٦٣٩-٦٤١هـ (١٢٤٢-١٢٤٤م) قبل أن نجد مايشبهها من حيث التطور. ونجد هنا صفين من المقرنصات فقط، وهو الحال أيضا بالنسبة لمبخرة زاوية الهنود التى بنيت فى سنة ١٢٥٠م (وهى منشورة بالمجلد الثاني).

ومن ناحية أخري، تقدم مئذنة مدرسة ضريح الأمير سنقر سعدى [حسن صدقه] التى بنيت فى سنة ٧١٥هـ (١٣١٥م . Van Berchem, *Égypte*, I, pp. 733-6) مثالا مطابقا، ولو أنه أكثر ثراء.

أما الجزء السفلى الحجرى من المئذنتين فهو مؤرخ فيهما بنقوش رائعة باسم الحاكم بخط فاطمى مبكر نحت ببروز واضح. وتمثل أشرطة زخرفية أحدها على المئذنة الشمالية وآخران على المئذنة الغربية. وبالتالى فأجزاؤهما السفلية تندرج حتما ضمن أعمال الحاكم، فى حين أن القمم يجب أن تعزى الى فترة ما بين منتصف القرن السابع (١٣م) وبين عام ٧١٥هـ (١٣١٥م).

يقول المقريزى إن هذا الجامع تم ترميمه فى سنة ٧٠٣هـ لأنه فى يوم الخميس ٢٣ ذى الحجة ٧٠٢هـ (٨ أغسطس ١٣٠٣م) وقع زلزال «بمصر والقاهرة» والمناطق الأخرى المحيطة واهتز كل شئ، وإنه من بين الأبنية التى سقطت جامع الحاكم وإن الجزءين العلويين من المئذنتين سقطا، ثم تم إيفاد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ليعنى بالأمر. لذا فالأجزاء العلوية الحالية تعزى الى عام ٧٠٢هـ (١٣٠٣م)، ويمكن أن نزعم أنها تعزى الى ترميمات بيبرس الثانى فى سنة ٧٠٣هـ. ويؤيد رواية المقريزى نقش عليه تاريخ ذى الحجة ٧٠٣هـ (يوليو ١٣٠٤م)، ويحتل مكان الشرافة فوق قبو المدخل الرئيسي.

يستنتج ڤان برشم بعد تحليله المماثل لما ورد منذ قليل أن المعمارى الخاص الذى كلفه بيبرس الثانى بالمهمة فى رفع قممه الآجرية المزخرفة على ماتبقى من المآذن القديمة حاول أن يشبك البناء بأكمله بمكعب بنائى خارجي. ويضيف قائلا: «وربما كان لهذه الكتل المركزية الضخمة غرض عسكرى فى عهد المماليك البحرية حيث كان نفس هذا الجامع يؤدى مهمة الحصن. على أية حال لايسع المرء إلا أن يقر مع پريس دافين بأن المكعبات من عمل بدر الجمالي. ولمزيد من الإقناع يكفى أن نعقد مقارنة بين تكسية المكعب بالمئذنة الشمالية وبين نظيره فى النتوء الكبير بسور بدر الذى يرتكز عليه» (*Notes*, pp. 440-41). ويقول معلقا فى حاشية:

> «إن تكسية النتوء تتطابق مع تكسية سور بدر التى سندرسها بمزيد من التفاصيل فيما بعد. فهناك كتل ضخمة مكسوة بإتقان شديد وبدون تكسية جصية. ويتكون المكعب الذى يقوم أعلاها من أحجار أصغر كثيرا ومنحوتة بصورة أكثر خشونة وبمفاصل هاون أكثر سمكا. إنه مجرد بناء شديد البساطة تغطيه تكسية من الجص تم حفظها فى أماكنها وتنتهى فى أعلاها بإفريز من النقوش القرآنية من طراز الأسرة المملوكية المبكرة ... أما المزاغل التى تتوج المكعب، فهى حديثة (وتنسب الى الحملة الفرنسية) كنظيراتها بالجدران بين الأبراج والنتوءات التى تنسب لبدر».

وينهى حديثه بقوله:

> «على أية حال، فهذا الفحص يسمح بتحديد النقطتين التاليتين: ١. إن المئذنتين (القمتين المزخرفتين) المشيدتين من الآجر من أعمال بيبرس الثاني؛ ٢. إن مكعبات القاعدة، بصرف النظر عن تاريخها الدقيق، لا ترجع الى تاريخ البناء الأصلى لأنها تخفى المآذن القديمة. وربما كانت معاصرة للمآذن الآجرية مثلها فى ذلك مثل المنحدر الحلزونى الذى يمر عبر الواجهات الأربع للمآذن البدائية دون أدنى أعتبار لعمارتها».

ونتفق معه فى النقطة الأولى تماما؛ إلا أن مشكلة المكعبات أكثر تعقيدا مما يتصور كل من پريس دافين وڤان برشم؛ إذ يختلف المكعبان السفليان الشمالى والغربى من حيث الحجم وأسلوب الانشاء وفى تكسية البناء.

البروز [النتوء أو الركن] الغربي

تم تنفيذ المكعب السفلي للبروز الغربي بأسلوب بناء مختلف تمام الاختلاف؛ فالكتل أصغر كثيرا والأسطح مكسوة بصورة عشوائية والمفاصل سميكة للغاية، ولاأثر للأعمدة التى تعمل كمدماك أو وصلة. وهو شبيه ببناء المكعب الشمالى العلوي، إلا أنه لا يتطابق معه. ويتطابق أسلوب بناء كل من المكعبين العلويين بصورة واضحة.

يزين الواجهات البارزة للمكعب السفلي وحتى منتصفه نقش كوفى جميل (لوحة ٢٧أ) نحت على كتل رخامية وعرضه ٤٣سم يبدأ بجوار نقطة بدء سور الجنوبي الغربي للجامع، ويجرى حوله ليتوقف في مواجهة الواجهة الشمالية الغربية. وطوله الكلى ٥٠,٥م (كانت بعض أجزاء هذا النقش ظاهرة في فترة ما، إلا أن كل المباني المحيطة بقاعدة هذا البروز أزيلت فى سنة ١٩٤٣). وكان فلورى الذى قمت بتسليمه الصور الفوتوغرافية بهذا النقش ينسبه لبدر الجمالي على أساس التشابه بين حروفه وبين حروف نقش بدر بجوار باب الفتوح (لوحة ٦٢ب).

إلا أن النقش لايعنى أن هذا البروز ينسب له؛ فهو آية قرآنية (سورة الروم، آية ٥٦). ولاتذكر المصادر التى ترجع الفضل فيه لكل من العزيز والحاكم وبيبرس الثانى وغيرهم شيئا عن الإضافات التى تنسب لبدر. من ناحية أخرى، سنرى أن هناك فقرة لدى المقريزى تلقى الضوء على تاريخه الدقيق.

البروز [النتوء أو الركن] الشمالي

ويعد أكبر كثيرا وواجهاته الخارجية رأسية، في حين أن الواجهات الخارجية للبروز الغربي تميل الى الوراء، مما يعد اختلافا جوهريا، كما أنه ليس مربعا كاملا، بل يتكون من مربع داخلي سنطلق عليه اسم «وهمي» مؤقتا أضيفت حوله زيادة (شكل ٣٢). وتبدأ هذه الزيادة عند النقطة التى يلامس عندها سور القاهرة المربع الداخلي وتمر حول واجهتيه الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، وينتهى أمام الجدارالشمالي الغربي بين برجى الجامع تاركا زاوية المربع الداخلي تبرز في داخل هذا الجدار.

وهذا النتوء الداخلى في نفس حجم النتوء الداخلي للمكعب الغربي. ولا مجال لإنكار نسبة بناء المكعب الشمالي السفلى لبدر الجمالي، وهو ماذهب اليه كل من پريس دافين وڤان برشم . فهو من بناء نفس الأيدى التى بنت السور الشمالي ويحمل كل بصمات بدر الجمالى وعمارته الحربية التى تتمثل فى الكتل المصقولة ذات الحواف المشطوفة والحجارة المعالجة بإتقان ملحوظ. وفى الأجزاء السفلية دوائر حجرية كبيرة هى نهايات أعمدة وضعت كمدماك بين الواجهة المتقنة التكسية وبين القلب المكون من الدبش، وهى مجموعة سمات لاوجود لها في أى مكان آخر في مصر.

وتفسير ذلك أن بدر الجمالى قام فى عام ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) ببناء سور القاهرة متصلا بالسور الشمالي الشرقي لجامع الحاكم. وحين التقى بالنتوء القائم عند الركن الشمالي من الجامع، اضطر الى الدوران الى الخارج بزوايا يمنى كما يتضح فى الشكل (٣٢). فيدور السور حول نصف البروز ثم يستمر فى نفس الاتجاه الذى يسبق البروز ولكن على خط مستقيم يزيد بحوالى ٣م الى الجنوب الغربي. ويؤكد ذلك نقش باسمه يبدأ عند الزاوية الكارة بجوار باب الفتوح ويجرى على طول الجدار بين برجين (١٩,٦٠م) ويستمر على طول الجانبين الشمالي الغربي والشمالي الشرقي للبروز.

إلا أن بدراً استمر فى عمله حول البروز الأصلى للجامع (فى صورة ذراع على شكل حرف L) الـــى أن التقى بالواجهة الشمالية الغربية للجامع حيث تمتد مسافة ٤,٥٧ م بعيدا الى الجنوب الغربى عن البروز الداخلي، مما أدى الى سد النافذة السابعة والباب الذى يقع تحتها (لوحة ٢٣ب، شكل ٣٢) ولايزال من الممكن رؤية كل منهما من الداخل. ويجب أن أؤكد مرة أخرى على أن هذا البروز الضخم تحدد سواء من حيث الحجم أو الوضع ببروز سابق عليه يتطابق فى حجمه مع نظيره فى الركن الغربى من الجامع. من ثم، فالمكعب يتفق فى حجمه مع نظيره الجنوبي والمكعب الخارجي الناقص. وتتميز أجزاء كلا البروزين اللذين يبرزان داخل الجامع بواجهات رأسية، مما قد يعزى الى الدعامات المتصلة بهما.

وهذه نقطة مهمة لدرجة أن قررت إدارة الوثائق العربية إجراء اختبار لها فى عام ١٩٤٣. وتم نزع شقفة من أرضية سطح زيادة بدر الجمالى على الجانب الجنوبى الغربي بجوار واجهة البروز العلوي. وسرعان ماتم التوصل الى حافة بروز الحاكم على عمق ١٥-٢٠سم. وفى الوقت نفسه تم الكشف عن حقيقة مؤكدة. فلوحظ أن جانب بروز بدر الجمالى لايوازى جانب المكعب العلوي؛ فهناك فارق يبلغ ٤٧سم بين المسافة (٤,٧٠م) بجوار شرافة الجامع والمسافة (٥,١٧م) من الركن. وتبين أن نفس هذه الملحوظة تنطبق على الحافة المكشوفة للبروز الداخلي؛ فهى تبعد بمقدار ٦٧سم عن قاعدة المكعب العلوى على أحد طرفيها وبمقدار ١,٠٧م على الطرف الآخر بفارق ٤٠سم. أى أن بدر جعل الواجهة الجنوبية الغربية من بروزه موازية تماما للبروز الداخلي، بينما أقام بيبرس الثانى مكعبه منحرفا. ووجد أن جزءا من الشريط السفلى من الشرافة لايزال سليما عند الركن الشمالي (لوحة ٢٧ب).

وحين ثبت لإدارة الوثائق العربية صحة رأيي، سعت الى التأكد مما إذا كان هذا البروز مزخرفا بشريط من الكتابة الكوفية كنظيره الغربى أم لا. لذا، استمرت الإدارة فى عملها وقامت بإزالة حشو الدبش من أعمال بدر بطول المترين تقريبا وبعمق بين ٥ و ٦م. ولدى بلوغ مستوى يساوى الشريط الآخر، تبين أن هناك كما كبيرا من البناء تمت إزالته. وعلى هذا، فلاشك أن كلا من بروزى الحاكم كان مزخرفا فى الأصل وحتى المنتصف بشريط كوفى على كتل من الرخام.

نرى من جانبنا أن بدر الجمالى حين قام بتكسية بروز الحاكم فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م)، أزال هذا النقش ليحصل على الرخام ليعكسه ويعيد استخدامه فى نقشه له على الجانب الآخر من البروز (لوحتان ٦١أ، ٦٢)، وتم حفره أيضا على كتل من الرخام بطول ٥٩م. والأرجح أن النقش الذى أزاله كان طوله حوالي٤٩,٥٠م؛ أى أنه لم يمثل الا ١٠م تقريبا من الرخام المطلوب. أما العرض فلايمثل صعوبة، لأن كتل النقش على بروز الحاكم عرضها ٤٣سم (وتتكون الحلية المعمارية أعلى النقش وأسفله من قطع منفصلة من الرخام عرض كل منها ٤سم تقريبا، بمجموع ٥١سم لها جميعا)، فى حين أن كتل نقش بدر لاتزيد على ٣٦سم لا يظهر منها إلا ٣٠سم، منها ٣سم أعلى وأسفل يغطيها تداخل الصفوف المتجاورة. (شكل ٨٨).

وضع المآذن بالنسبة للأركان المثالية للجامع

يتضح من القياسات الدقيقة أن الواجهتين الجنوبيتين الشرقيتين للمئذنتين الحجريتين كلاهما على خط تام مع الواجهة الداخلية لواجهة الجامع الشمالية الغربية (شكل ٣٢) وأن كل مئذنة تشكل فى الوقت نفسه بروزا على واجهتين.

هل ترجع المكعبات الى نفس تاريخ الجامع؟

هذه مسألة شديدة الأهمية. فلو لم يكن لها وجود أصلا لجرت جدران الجامع داخل المئذنتين، مما يجعلنا نتوقع أن نجد علامات على المئذنتين عند النقاط التى كانت جوانب الجامع تتلامس معها لو امتدت. والأرجح أن تكون هناك أربع نقاط اختبار من هذا النوع، اثنتان على كل مئذنة. ويتضح من التخطيط أن المئذنة الغربية لايمكن الوصول اليها عند النقطة التى كانت الواجهة الشمالية الشرقية ستلامسها. ولكن بفضل السقالات التى لم أدركها فى سنة ١٩٢٣ تمكنت من فحص واجهتها الجنوبية الشرقية، فارتفاعها الكلى من الأرضية الى قمة الجزء المربع. ويقف كل شريط زخرفى على مسافة ١,٢٥م من الركن الجنوبى والى يمينه مساحة عرضها ١,٦٠م تقريبا حيث تحطم جدار موصول بالمئذنة. ولايزال من الممكن أن نرى عارضا بارزا من المئذنة (لوحة ٣١أ) والأرجح أنه أقيم داخل هذا الجدار قرب قمته. والنتيجة الوحيدة الممكنة هى أن جدار الجامع الجنوبى الغربى كان ينتهى أمام المئذنة وكان موصولا بها، وهو أمر تأكد الآن. إذ قامت اللجنة بناء على طلب منى بتبليط أسفل هذه الواجهة المحطمة فى أوائل عام ١٩٤٤، وسرعان ماتوصلت لقاعدة هذا الجدار والتى كانت بسمك ١,٥٧م وتجرى داخل المئذنة عند نقطة ١,٢٥م من الركن الجنوبى.

ولما كان سمك السور الشمالى الغربى ١,٦٠م وواجهته الداخلية على خط واحد مع الواجهة الجنوبية الشرقية للمئذنة، فإننا نتوقع من الأشرطة الزخرفية أن تتوقف عند هذه المسافة من الركن الشرقى. ومما يؤسف له أن واجهتها الشمالية الشرقية يكسوها حشو من الدبش بارتفاعها كاملا. إلا أن شريط النقش العلوى ترك مكشوفا، ويتوقف كما هو متوقع على مسافة ١,٦٠م من الركن. من ثم، فمن المؤكد أن سور الجامع الشمالى الغربى كان مرتبطا بالمئذنة، مما يتحتم أن ينتج عنه نتوء قدره ٧,٥٦ − ١,٦٠ = ٥,٩٦م على هذا الجانب و١,٢٥م على الجانب الجنوبى الغربى.

البروز الشمالى

يلاحظ لدى دخولنا أن الحليتين المعماريتين بالطبلية المربعة للمئذنة لا تجرى باستدارة كاملة؛ بل تعود (كما يتضح باللوحة ٢٤جـ) على الجانبين الجنوبى الغربى والجنوبى الشرقى؛ فى الحالة الأولى على مسافة ١,٥٤م من الركن الجنوبى، وفى الحالة الأخيرة على مسافة ١,٥٧م من ناحية إطار باب المدخل الى السلم. يفترض من ذلك أن أسوار الجامع كانت تبدأ من هاتين النقطتين. ويتضح من التخطيط (شكل ٣٢) أن هذه هى النقطة التى كانت الأسوار ستلامس المئذنة عندها لو امتدت.

ولكن هل كانت الجدران تنطلق من هاتين النقطتين تماما؟ تم عمل ثقب (على يد هرتز؟) داخل السور المجاور للركن الجنوبى من المئذنة حتى يمكن المرور منه. إلا أننا هنا فوق مستوى الأرضية الأصلى إذ تجرى الطبلية لمسافة تزيد عن ١,٢٥م الى أسفل. ويتضح من عملية حفر قامت بها اللجنة عند النقطة (ب) بناء على طلب منى أن سور التلاتات الذى يزيد سمكه عن ١,٥م، أى السور الشمالى الغربى للجامع، تجرى داخل الطبلية عند هذه النقطة، مما يفسر السبب فى ارتداد حلية الطبلية عند نقطة تبعد ١,٥٤م عن الركن. لكن هناك حقيقة غريبة هنا. فحشو الدبش فوق رؤوسنا (بين النتوء والمئذنة) والذى تمت ازالته جزئيا عند هذه النقطة (ب) يوضح أن خط الوصل الرأسى على الجزء المستدير من المئذنة لا يقع رأسيا فوق الخط الذى يتصل السور عنده بالطبلية، بل يتراجع عنه بحوالى ٥٠ سم. ولاشك فى ذلك على الإطلاق، لأن الخط محدد تماما.

وكل صفوف البناء المكسوة بإتقان بالمئذنة تتوقف عنده تماما، وكذلك الحلية المحدبة الأولى والثانية. لذا فقد انخفض سمك سور الجامع من مستوى قمة الطبلية فصاعدا. لكن السور الشمالى الغربى له نفس السمك (أى ١,٥٧م) بالنسبة لارتفاعه كاملا. وعلى هذا، فالتغيير لابد أن يحدث فى مكان ما بين النقطة التى يغطيه فيها بروز والنقطة التى يعود الى الظهور فيها قرب المئذنة. أما بالنسبة للغرض من هذا الخفض الذى يبلغ ٥٠سم فلا أملك إلا أن أفترض أنه يرمى الى كشف المزيد من الواجهة المستديرة للمئذنة.

آخر الأدلة

ظهر مؤخرا دليل جديد على عدم أصالة هذين التنويعين حين تخلص البروز الغربى من المنشآت الرديئة المحيطة به. وأدى ذلك الى الكشف عن أحد المداخل الفرعية بالواجهة الشمالية الغربية يشبه نظيره المصور فى اللوحة ١٥ جـ. واتضح أن (أ) جدار البروز لا يتصل بواجهة الجامع؛ (ب) وأنه يتداخل مع الحلية المعمارية المفلطحة الوجه بعضادة الباب اليمنى (تم تجديد هذه العضادة فى البناء الجديد وأضيفت اليها عضادة جديدة مفلطحة الوجه ولا يغطيها البروز. وهكذا تم تدمير دليل أثري).

نتائج البحث

هكذا، نجد لدينا أربع مراحل متتالية فى تطور البروز الشمالي:

١. المئذنة وحدها (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) وجدران الجامع التى تجرى بداخلها؛

٢. البروز الداخلى المحيط بالمئذنة وبنفس ارتفاعات جدران الجامع، وسنرى أن هذا البروز الداخلى أضيف فى سنة ٤٠١هـ[٢١٣] (١٠١٠م)، إلا أن الركن الذى يبرز داخل الجامع يعد فى اعتقادى من أعمال بيبرس الذى يبدو أنه احتاج اليه فى بناء المكعب العلوي[٢١٤]؛

٣. أعمال بدر الجمالى الذى قام ببناء السور الشمالى ودار به حول الجزء الشمالى الشرقى من مكعب الحاكم فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م) فكوّن بروزا كبيرا فى السور نفسه استمر حول المكعب الى أن التقى بالجدار الشمالى الغربى بين برجى الجامع ليسد نافذة وبابا فى العملية؛

٤. أعمال بيبرس الثانى الذى قام فى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) بخفض المساحة الخالية داخل البروز وجعله مستديرا فى التخطيط من الداخل عن طريق تبطينه ببناء خشن وملأ الجزء الأدنى من الفراغ الذى بقى حتى الآن بمنحدر حلزونى (أزيل منذ ذلك الوقت)، وفى الوقت نفسه، أضاف الركن الذى يبرز فى داخل الجامع، ثم بنى المكعب العلوى الذى وصله بالمئذنة عن طريق عقدين على جانبيه الشمالى الشرقى والجنوبى الغربي.

ولننظر الآن ما اذا كان المقريزى لديه ما يؤيد هذه النتائج التى تم التوصل اليها. يذكر المقريزى أن المسيحى (ربما المسبحي) فى كتابه تاريخ مصر يروى ضمن حديثه عن أحداث عام ٣٩٣هـ (١٠٠٢م) أن الخليفة الحاكم أمر بإتمام الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ بناءه عند باب الفتوح وقدرت التكاليف بأربعين ألف دينار وبدأ العمل فيه، وفى صفر ٤٠١هـ (سبتمبر ١٠١٠م)، أضيفت زيادة الى المآذن تتكون من أركان طول كل منها مئة ذراع. والتبس الأمر على ڤان برشم فى ترجمته للفظ «أركان» فى هذا السياق؛ فترجمه الى لفظ «arêtes»، ووضع بجواره أداة استفهام ويقول فى حاشية: «الركن هو الزاوية. وأرى أن

هذا اللفظ يدل فى هذا السياق على الزوايا البارزة الأربع les quatre arêtes التى تحد واجهات مئذنة تقوم على قاعدة مربعة. وهذه هى المعلومة الوحيدة التى يمكن إدراكها من المئذنة. لكن هذا التفسير غير كاف، لأن المآذن القديمة لهذا الجامع كانت اسطوانية فى الجزء العلوى منها ... وربما تحتاج الى جدران للأساس». وأرجو ألا تكون جدران نفس هذين البروزين، إذ يستدل من السياق أنه يشير الى شئ فى علاقته بالمآذن.

اكتشفنا أن الذراع المستخدم فى قياس هذا الجامع كان ذراعا غير الذى نعرف، ونتحدث هنا عن الذراع الذى يرد عادة لدى المقريزي، وهو ذراع العمل ومقداره ٦٥٦ ملليمترا (Mahmoud Bey, "Le systeme métrique actuel d'Égypte," *Journal Asiatique*, 7me Sér., t. I, pp. 100-101) وبالتالى فإن ١٠٠ ذراع من هذا النوع تساوى ٦٥,٦م. ولما كانت مساحة كل جانب من البروز الجنوبى ١٧م، فإن مساحته الكلية تصبح ٦٨م، وهو ما يؤكد افتراضى بأن الأركان التى يبلغ طولها ١٠٠ ذراع هى الجدران الأربعة الخاصة بالمكعبات المحيطة بالمآذن. ويسلم فيت (Wiet) بالنتائج التى توصلت اليها حين كتب بعد أن تم نشر نظريتى بثمانية أعوام. ومما يؤكد صدق ذلك إجابة إدوارد براون عن سؤال عن المعانى المحتملة للفظ «ركن» حيث قال إنها تعنى «منحدرا كجانب الهرم أو البرج ولو أنها عادة ماترد بمعنى «دعامة» أو «زاوية». وصدرت عنه هذه الإجابة دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن موضوع السؤال أو النظرية المذكورة.

المئذنة الشمالية

وتتكون من برج اسطوانى يبلغ قطره ٧,٤٣ الى ٦,٥٠م وترتكز على طبلية [قاعدة سفلية بارزة] ارتفاعها ٣,٦٥م ومربعها ٧,٦٨م. وينقسم البدن الى ثمانية أشرطة أو طوابق ارتفاعها ١,١٣، ١,٤٧، ٢,٢٦، ١,٧١، ٢,٧٥، ١,٤٩، ٣,٧٦، ١,٦٢م على التوالى غير الحلية المعمارية المحدبة (الطارة) التى تفصل بينها. وكل طابق أصغر قليلا من نظيره الذى تحته. ويمكن تشبيهها بتلسكوب قائم على طرفه (شكل ٣٦).

وأول هذه الأشرطة خال من الزخارف؛ وثانيها مزخرف بثلاث جامات كبيرة؛ وثالثها مزخرف بثلاث نوافذ صماء؛ ورابعها بنقش كوفى رائع؛ وخامسها بثلاث نوافذ؛ وسادسها بشريط رائع من الأرابسك؛ وسابعها بثلاث نوافذ؛ وثامنها بشريط من الجامات. ويبدأ فوقها الطابق التاسع، وهو جذع اسطوانى خال من الزخارف ارتفاعه ٢,٥١م ويبدأ فوقه البناء الآجرى لعام ٧٠٣هـ (١٣٠٤م). ومساحة الجزء الباقى منها ٣,٦٥م (طبلية) بالإضافة الى ٢٠,٠٤م (جذع) مساحته ٢٣,٧٠م.

يقع المدخل المؤدى الى السلم فى الجانب الجنوبى الشرقى الى اليسار قليلا من المركز. وأضيف الى هذا الجزء من الجذع وجها مسطحا يبرز قليلا عرضه ٣,٠٢م وارتفاعه ٣,٨٩م. ويحيط بهذا الوجه المسطح حلية صغيرة مفلطحة الوجه فى نفس السطح المستوى مع الحلية العليا للطبلية التى أقيم فيها المدخل (شكل ٣٣، لوحة ٢٣ء). وعتبة الباب على بعد ١,٠٩م أسفل قمة الطبلية و٢٠سم فوق البلاط. لكن هذا البلاط يعلو بمقدار ٥٧سم فوق الأرضية الأصلية للجامع بحيث كان لابد من صعود درجتين أو ثلاث درجات للوصول اليها. ويصعد المرء حاليا ١١ درجة الى يمين هذا البلاط للدوران حول الطبلية وهو مالم يكن ممكنا إلا بقطع السور الشمالى الشرقى للجامع عند النقطة التى يجرى عندها فى داخل المئذنة.

وعرض المجاز ١,١٠م وارتفاعه ٢,١٩م بنسبة ١ : ٢ بالضبط، وهو ما ينطبق على المداخل الأصغر للجامع. وتم وضعه فى تجويف ضحل، وترتكز عتبته على زوج من الأعمدة المستطيلة الناتئة من جدار بتاجين لهما

واجهة مفلطحة، مما يضفي عليهما مظهرا إغريقيا أصيلا. ويحيط بالعتبة من ثلاثة جوانب حاشية مفلطحة الوجه مزينة بالأرابسك. ويلفتنا فلورى الى «الإيقاع الجميل للمحاليق المتداخلة ... وتتميز الحاشية ذات الوريقة الثلاثية في الوسط وفي الركنين بأهمية خاصة بالنسبة لتاريخ الزخرفة. وتأتي السويقة بعد حاشية الوريقة النباتية وتتخذ شكل العقد المدبب الذى تضيع معه السمة النباتية» (ص٤٤). ويمكن تمييز الطلاء الأزرق في تجاويف الزخرفة. ويعلو ذلك حلية ربع دائرية تنحرف الى الأمام الى أن تحاذى وجه الجدار. ويعلوها نقش كوفي جميل (لوحة ٢٣أ) في حشوة غائرة تحيط بها حلية مفلطحة الوجه. واذا صعدنا صفا واحدا فوقها، نجد حلية مفلطحة الوجه صغيرة، مما يشكل جزءا من الحاشية المستطيلة الخارجية.

وتستمر الواجهة المسطحة السابقة الذكر الى أعلى فوق الحلية المفلطحة الوجه الى ارتفاع ٨,٨٠م فوق البلاط أمام المدخل؛ أى على قمة الشريط الرابع المزخرف بنقش كوفي رائع ينتهي قبل الوصول اليها. ويتقدم الجزء السفلي على الجزء العلوى بعدة سنتيمترات. وفي هذه الواجهة العلوية، فوق المدخل مباشرة، نجد نافذة مساحتها ١م × ٥٣ سم وضعت في إطار مشطوف حافته السفلية تعلو عن البلاط بمسافة ٦,٣٢م، وتزخرفه سويقة متماوجة جميلة في وسطها نصف مروحة نخيلية تشبه نظيرتها على عتبة الباب. ونحتت جوانب كل عنصر نحتا عميقا باللون الأزرق بخلفية حمراء.

تبدأ الطبلية (لوحة ٢٤جـ) [القاعدة السفلية البارزة] بجزء خالٍ من الزخرفة ارتفاعه ١,٥م ومساحة مربعه ٧,٦٨م تقطعه حلية واحدة فقط كما يتبين من الشكل ٣٦. وفوق هذا الجزء نجد الجزء المنمق بارتفاع يزيد عن المترين، وهو مزخرف بشقتين طوليتين بعرض ٢٢سم بهما أشرطة متداخلة مما يشكل أوراقا نباتية رباعية ونجيمات رباعية الأطراف. وهناك جامة قطرها ٤٢ سم وضعت في منتصف كل جانب في الفراغ الذى ترك بعرض ٥٥سم بين هاتين الشقتين الطوليتين. وتتكون الشقة الشمالية الشرقية من نجيمة ذات عشرة أطراف تتكون من شكلين خماسيين متداخلين تتصل جوانب أحدهما بفصوص صغيرة بالدائرة الوسطى التي تحتوى على لفظ الجلالة «الله» (شكل ٣٤). وتكاد الجامة الموجودة على الجانب الشمالي الغربي أن تندثر. أما الجامة الجنوبية الغربية، فلاتزال باقية وفي حالة جيدة، وتتكون من مزيج من خمس دوائر ونجيمة خماسية مدببة (شكل ٣٥)، وتنتمى الى نفس المدرسة التصميمية التي ينتمى اليها المربع في الحشوة اليسرى للمدخل التذكارى (شكل ٢٥).

وينتهي الجزء المزخرف من الطبلية على الجانب الجنوبي الشرقي على مسافة ١,٥٧م من الجانب الأيمن من الإطار المحيط بالمدخل. وتعود الحليات بزوايا يمنى لتشكل حاشية طرف (لوحة ٢٤جـ). وتنتهي على الجانب الجنوبي الغربي على مسافة ١,٥٤م قبل الوصول الى حذى الجانب الجنوبي الشرقي (اختفى الركن ومعه ما يقرب من متر مكعب من البناء). ثم تعود الحليات كما سبق. ولكن لماذا تتوقف زخرفة الطبلية عند هاتين النقطتين بدلا من الالتفاف الكامل؟ لأن هذا المكان الذى تجرى فيه جدران الجامع بسمك ١,٥م داخل جوانب المئذنة كما سبقت الإشارة.

ولنبدأ الآن في وصف أسلوب المعالجة الخارجية للأشرطة التسعة التي ينقسم اليها البدن الدائرى للمئذنة بحليات جريئة معظمها حليات محدبة. ويخلو الشريط الأول من الزخرفة تماما. وتزين الشريط الثاني جامتان رائعتان في الجانبين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي. وتتكون الأولى من جزء مركزى غائر قليلا قطره ٧٥سم ويضم نجيمة ثمانية مكونة من مربعين متقاطعين ويربط بين أركانها وبين المحيط حلقات. وفي المنتصف نجد

سطرين من الكوفى البسيط. ووضع كل ذلك فى شريط خارجى من الكوفى بقطر إجمالى قدره ١,٢٢ م (لوحة ٢٤ء). ولحقت أضرار بالغة بالجزء الأوسط من الشريط الشمالى الغربي. والأرجح أن كانت هناك جامة تواجه الجنوب الغربي، إلا أن هذا الجزء يخفيه حشو من الدبش ولايزال موجودا عند هذه النقطة.

والشريط الثالث مزخرف بثلاث نوافذ صماء كلها على مستوى واحد تواجه الشرق والشمال والغرب وهى متشابهة من حيث الحجم والتكوين ولكن ليس من حيث الزخارف. ويحيط بالنافذة الصماء الأولى ومساحتها ١,١٣ × ٠,٤٧م إطار مشطوف تليه حاشية خطوط تدور حول الأركان بصورة متميزة بنصف مروحة نخيلية؛ وهى سمة مشتركة فى النوافذ الثلاث جميعا. وتم وضع هذا الجزء فى إطار مكون من خطوط متداخلة تحيط به حلية ربع دائرية. وبالنافذة الصماء فجوة مساحتها ٢٧,٥ سم ولاتزال أجزاء من زخارفها الهندسية محفوظة. ولم يبق من هذه الواجهة سوى الجزء السفلي. أما الجزء العلوي، فيبدو أنه كان يشبه نظيره بالنافذة التالية. وتبلغ المساحة الكلية ٢,١٧ × ١,٦٢م.

تشبه النافذة الثانية (الشمالية) النافذة الأخيرة غير أن حاشية الخطوط المتداخلة حل محلها الأرابسك. وهنا ولحسن الطالع بقيت الزخارف الهندسية المكونة من ثلاثة ألواح سليمة (لوحة ٢٤ أ). والحلقة التى تتوسط هذه النافذة والتى تحفظ السيقان معا نجدها مرة أخرى فى حاشية الأرابسك بالنافذة الشمالية فى الشريط السابع. وتشبه النافذة الثالثة (الغربية) النافذة الأخيرة من حيث التكوين، ولايزال الجزء الأعظم من زخارفها الهندسية باقيا (لوحة ٢٤ب).

والشريط الرابع مزخرف بنقش كوفى رائع ارتفاعه ٦٨سم وضع بين حاشيتين من الوريقات النباتية التى تنبت من سويقة متماوجة (لوحة ٢٥ء). ويعتبر فلورى هذا الشريط «واحدا من أجمل الأشرطة التى أبدعها الفن الإسلامى فى هذا المجال، أى زخرفة النقوش». ويضيف قائلا:

«إن المزيج المتناغم من الكتابة والمحاليق وثبات حشو الفراغ الذى يصاحبه يبرر الاستنتاج بأن هناك سلسلة طويلة من المحاولات أجريت على هذا الشريط الكتابي» (ص٤٥-٤٦). وتنحدر واجهته الى الخارج قليلا.

ويحتوى النقش الكتابى على اسم الخليفة الحاكم وألقابه وينتهى بعبارة «فى رجب من سنة ...» (Wiet, C.I.A. *Égypte*, II, p. 127). ومما يؤسف له أن السنة محيت منه (لوحة ٢٥جـ). ويتوقف النقش حاليا على بعد ٨٠سم من الجزء المسطح فوق المدخل المؤدى الى السلم. وأعيد بناؤه بصورة عشوائية). لكننا رأينا أن النقش فوق المدخل الرئيسي- قام بنشره فون هامر- مؤرخ بتاريخ نفس الشهر من عام ٣٩٣هـ. وسنرى أن المئذنة الجنوبية مؤرخة بشهر رجب ٣٩٣هـ أيضا، مما يؤكد أن السنة المفقودة هى ٣٩٣هـ. وفى هذه الحالة، فالأرجح أن تكون هذه المئذنة قد انتهت فى مايو أو يونيو ١٠٠٣م.

ويحتوى الشريط الخامس على ثلاث نوافذ أصغر من النوافذ الأخرى، إذ لاتزيد مساحتها عن ١,٤٥ × ١م فى مجملها (ويبدو أن هذه النوافذ لم ينتبه اليها فلورى حيث لا يرد ذكرها لديه). وتتجه هذه النوافذ نحو الشمال الشرقى والشمال الغربي. إلا أن النافذة الأخيرة التى تم حشوها جزئيا بالدبش، لا ترى إلا من السلم الداخلي. إذ يخفيها من الخارج حشو الدبش الخاص بالبروز والذى لم تتم إزالته عند هذه النقطة. وتم وضع كل منها فى إطار مشطوف مزخرف بالأرابسك، واحتفظت الأولى ببقايا من الزخارف الهندسية وكذلك بالطلاء الأزرق الذى يملأ خلفية الأرابسك.

والشريط السادس مزخرف بشريط رائع من الأرابسك عرضه ٥٣ سم (لوحة ٢٥ب). ويتضح الأسلوب الفنى الإسلامى الجميل للمعالجة فى التخطيط القديم لصف من أنصاف المراوح النخيلية تربط بينها خطوط معقودة. ويضفى المزيج العضوى من العناصر النباتية والهندسية والحركة الإيقاعية والتباين المتناسق للأشكال الفردية على الإفريز سمة كلاسيكية. ومع أن لدينا نموذجين صغيرين فقط، إلا أنهما يوضحان مدى الدقة التى اتبعها الصناع فى الحرص على التفاصيل» (Flury, p. 46) .

ويخترق الجزء المواجه للجنوب من الشريط الجزء السفلى من نافذة؛ وهى أول نافذة نراها حين ندخل هذا البروز من قمة سور القاهرة. وفتحة النافذة مساحتها ١,٣٥م × ٠,٥٨م. ولحقت بإطارها الخارجى المزخرف أضرار جسيمة. وكما هو الحال فى النافذة التالية الى اليمين، كانت هناك حاشية عريضة من الأرابسك لم يبق منها إلا شقفة صغيرة بالجزء السفلى الى اليمين واليسار. ويحيط بالنصف العلوى إطار فى حلية محدبة محطمة ليست سوى جزء من الحلية المحدبة التى تجرى دائريا وتفصل الشريط السادس عن السابع. ولدى لمس جانب هذه النافذة، تدور بزوايا يمنى وتحيط بنصفها العلوى ثم تهبط وتستمر على نفس المستوى (وهكذا فليست هناك حلية حول النصف السفلى من هذه النافذة التى تتطابق أسكفتها مع الحافة السفلية للإفريز الأرابسك الكبير).

ويحتوى الشريط السابع على ثلاث نوافذ أخرى تواجه الشرق والشمال والجنوب، وكل منها على مستوى أعلى من سابقتها. وهذه النوافذ، كنظيراتها بالشريط الخامس، ليست بها حواشٍ كوفية. وحلت محلها أفاريز أنصاف مراوح نخيلية عريضة «تحتوى على ثلاثة أنواع من الوريقات النباتية الموجودة فى الزخرفة الحجرية الفاطمية. وتم تنفيذ المزيج المكون من العناصر الهندسية والنباتية هنا بأسلوب شديد الاتقان. وتستحق معالجة الأركان على اختلافها اهتماما خاصا» (Flury, p. 45). وفتحة النوع الأول مساحتها ١,٣٦ × ٠,٥٨ م، ولها حاشية خالية من الزخرفة يحيط بها شريط من الأرابسك وراءه حلية محدبة مهشمة، ومساحتها الإجمالية ٢,٣٤ × ١,٤٩م (لوحة ٢٥ أ).

والنافذتان الأخريان مسورتان (وتم إخلاؤهما فى أواخر ١٩٤٣)، ولإطاريهما نفس التكوين (لوحتان ٢٦ء، هـ). ولكن هناك سمة جديدة تظهر هنا؛ وهى الدرابزين المخرم (أو ألواح الإغلاق) بحيث يتمكن المؤذن من الآذان من فتحة النافذة دون التعرض لخطر السقوط. ويبدو أن فلورى تصور أنها بقايا نافذة ذات زخارف هندسية كانت تملأ الفتحة كلها، وهو تصور خاطىء، لأن حوافها العليا تشكل خطا مستقيما تماما إلا فى طرف من نصف مروحة نخيلية على كل طرف من طرفيها. ويجب أن نؤكد فى هذا الصدد أن هذه النوافذ الثلاث لم تكن مختفية حتى عام ٧٠٣هـ (١٣٠٤م)، لأنها فوق قمة النتوء. ومن ثم، كانت أول ما أمكن استخدامه للآذان؛ فى حين أن نظيراتها فى الشريط الخامس كانت منخفضة للغاية. ولوح الإغلاق الخاص بالنافذة الشمالية يخترقه تصميم متداخل قاعدته نجيمة خماسية مقلوبة أو شكل خماسى مقلوب (خاتم سليمان) بنصف مروحة نخيلية فى وسطها. واذا عدنا الآن الى النافذة الأولى، يتضح من الحافة المكسورة الناتئة قليلا الى أسفل يمينا ويسارا أنه كان هناك لوح إغلاق هنا أيضا.

ويتكون الشريط الثامن من صف من الجامات قطرها ٥٣سم وتفصل كل منها عن الأخرى مسافة ٢٣سم، وتحتوى إحداها على نجيمة خماسية مقلوبة (لوحة ٢٦ أ)، وتحتوى جامة أخرى على نجيمة ثمانية بمربعين

متقاطعين كالعادة (لوحة ٢٦ب)، وتحتوى ثالثة على حلية معمارية وردية ذات سبعة فصوص مكونة من شريط متداخل متصل (لوحة ٢٦جـ) تشبه الحلية الوردية ذات الفصوص الستة والتى نراها على باب النصر(لوحة ٥١ب). وتحولت الجامة المواجهة للجنوب الشرقى الى نافذة صغيرة. وهى لاتأتى فوق النافذة السفلية مباشرة كما رأينا فيما سبق؛ إذ تواجه الأخيرة جنوب جنوب شرق وليس جنوب شرق.

والشريط التاسع ناقص، فليس به سوى ١١ صفا من الحجارة المكسوة بارتفاع ٢,٥١م، ويحيط به متران من الدبش يليهما البناء الآجرى الذى تم فى سنة ٧٠٣هـ. والجزء الأكبر من هذا السطح الحجرى لهذا الشريط مكسو بالجص الا عند الجزء الشمالى الشرقي. ولكن اذا تفحصناه من الداخل، يمكن أن نرى نافذة صغيرة عرضها ٤٥ سم وارتفاعها ٩٢سم وتواجه الشمال الغربي، وتتفق أسكفتها مع قمة الصف الثانى من هذا الشريط، وتمتد عبر أربعة صفوف. كما نكتشف أن قائم الدرابزين المربع وبير السلم المستدير كلاهما يتوقف عند هذه النقطة؛ أى بمسافة ٣,٢٧م فوق الحافة السفلية للصف الذى يجرى فوق إفريز الجامات مباشرة. من ثم، فإن هذه النقطة تتطابق من الخارج مع الحافة العليا للصف الحادى عشر.

السلم

سبق أن قدمنا وصفا للمدخل المؤدى الى السلم. ولدى عبورنا منه نجد أنفسنا فى دركاه به تجويف على جانبه الأقصى (شكل ٣٣). والمسافة بين هذه الفجوة وبين المدخل يغطيها الجانب السفلى من الكتل بطول ٨٠سم، مما يشكل درجات السلم، وترتكز على الحليات المعمارية المتقنة. وبير السلم دائرى وقطره فى الجزء السفلى ٣,٩٥م. ويقل قطره قليلا كلما صعدنا الى أن يصل الى ٣,١م فقط حيث ينتهى العمل الأصلي. أما قائم الدرابزين، فهو مربع ومساحته ١,٨م على كل جانب وتبرز منه حليات مفلطحة الوجه كفواصل؛ وبقى قائما الى نفس مستوى البناء الخارجى للمئذنة. ويبدأ السلم على الجانب الأيمن من الدركاه ويرتفع باتجاه عكس عقارب الساعة. ومتوسط ارتفاع درجات السلم ١٧سم. ونلاحظ أن أسكفات فجوات النافذة وحتى فى الحالات التى أضيفت اليها دربزينات فى الشريط السابع، فهى تعلو كثيرا عن أقرب درجات السلم (بمتر أو يزيد)، مما يتطلب جهدا للوصول اليها.

المئذنة الغربية

وهى تختلف كلية عن نظيرتها الشمالية. وتتكون من بدن مربع ارتفاعه ١٣,٩٠م تعلوه خمسة طوابق مثمنة يتراجع كل منها عن الذى تحته (شكل ٤٠) وارتفاعها ٢,٨٦، ٢,٥٥، ٢,٦٣، ٠,٥٧م على التوالي. وبناء على هذا فالارتفاع الباقى على حاله هو ٢٤,٢٦م فى مقابل ٢٣,٧٠م بالنسبة للمئذنة الأخري. لذا فربما انهارت قمتهما عند نفس المستوى تماما فى زلزال ٧٠٢هـ.

ومساحة الجزء المربع يزيد قليلا عن ٧,٥٠م على كل جانب. وجانبه الجنوبى الغربى مكشوف تماما، وكذلك معظم جانبه الشمالى الغربى فيما عدا الأربعة أمتار الأولي. إلا أن واجهته الشمالية الشرقية مخبأة تماما وراء حشو الدبش الخاص بالنتوأ فيما عدا الشريط الكبير عند القمة. وسنقوم فى البداية بوصف الواجهة الجنوبية الغربية (شكل ٤٠). ينقسم البدن الى ١١ حلية وطوقا حجريا منقوشا فى ١١ شريطا تتفاوت فى عرضها، أربعة منها بدون زخارف، وأربعة مزينة بالأرابسك، واثنان بالنقوش الكوفية، وواحد بثلاثة مربعات وضعت على شكل معينات. وهناك شريطان (الخامس والتاسع) بكل منهما نافذة. وعدا ذلك، فهما خاليان من

أية زخارف. وتعامل الأمتار الثلاثة الأولى كطبلية يخلو نصفها السفلى من الزخرفة، وبقيتها مزدانة بثلاثة أشرطة من الأرابسك، أحدهما عريض والآخر ضيق وتحيط بحافتهما أربع حليات. وتتكون الأشرطة الضيقة من سويقة متماوجة ووريقة نباتية أعلاها وأسفلها تبادليا. وينبت الشريط الأوسط العريض من الأرابسك المتقن من صف من النجيمات السداسية بكل منها وريقة نباتية ذات خمسة فصوص (لوحة ٢٨جـ، شكل ٣٧).

ويخلو الشريط الخامس من الزخرفة فيما عدا نافذة ضيقة وطويلة لايزيد عرضها عن ٣٣سم برأس تشبه نظيرتها بالفجوة التى نراها أسفل سلم المئذنة الشمالية. ويحيط بالشريط السادس من أعلى ومن أسفل طوق حجرى منقوش ومزدان بنفس الزخرفة التى نجدها على الحافة السفلية لسطح المدخل الرئيسى القائم على أعمدة (لوحة ١٧). وكل منها محشو بتصميم متداخل متقن داخل حافة بسيطة من المحاليق المتماوجة. وبقى المربعان الخارجيان فى حالة جيدة (لوحة ٢٨ أ، شكل ٣٩). أما المربع الأوسط، فلحقت به أضرار فادحة بحيث لانميز منه الا بقايا أربع دوائر، دائرة بكل ركن، مما يجعله شبيها بتكوين يزين أحد المعينات التى نجدها على الجانب الشمالى الشرقى للمدخل الرئيسى (شكل ٢٥).

ويخلو الشريط السابع من الزخرفة، إلا أنه يعلوه شريط رائع من الدانتيل وضع بصورة غير منتظمة (شكل ٣٧)، مما يشكل الحافة السفلية لشريط كبير من الكوفى المبسط (لوحة ٢٩أ) باسم الخليفة الحاكم (Van Berchem, *Notes*, XI, p. 427). لكننا لانرى تاريخا عليه، لأن الجانب الشمالى الشرقى من المئذنة حيث ينتهى هذا الشريط يختبئ بأكمله وراء حشو الدبش حتى ارتفاع هذا الشريط ومن فوقه. ويحف به من أعلى صف آخر من الدانتيل يشبه نظيره الأول، ولو أن ارتفاعهما غير متطابق.

ويخلو الشريط التاسع من الزخارف إلا بنافذة تشبه نظيرتها الموجودة فى الشريط الخامس ولو أنها أقل فى العرض (لاتزيد عن ٢٥سم). ويتكون الشريط العاشر من إفريز من الأرابسك وضع فى سلسلة من الأطر الثلاثية الوريقات بحافة عريضة خالية من الزخرفة فى أعلاها وأدناها (لوحتان ٣٠ أ، جـ، شكلان ٣٧، ٣٨). وتفتقر الحليات التى تقسم هذا الشريط الى الدانتيل. ويزدان الشريط الحادى عشر بنقش كوفى عظيم ارتفاعه متر تقريبا، ويعد أكثر اتقانا من الشريط الكائن أسفله (لوحتان ٣٠أ، ب)؛ ويحتوى على اسم الحاكم وألقابه (Wiet, *Égypte*, II, p. 127)، الا أن الجزء الأخير منه يختبئ وراء بقايا حجارة الى أن طلبت من اللجنة ازالتها لاقتناعنا بوجود تاريخ عليه. وهكذا، تمت إزالة الحجارة فى ابريل ١٩٤٣، وقام بقراءة الجزء الذى تم كشفه السيد جاستون فيت. ينتهى النقش بعبارة «... فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة» (مايو ١٠٠٣م. *Répertoire*, XIII, p. 271). ويؤكد توافق الشهور على أن التاريخ المفقود على المئذنة الأخرى هو ٣٩٣هـ أيضا. وفوق هذا النقش، نجد حلية مشطوفة تبرز قليلا عن البقية يليها ٦٠سم من البناء. ويزدان النصف العلوى بنوع من الزخرفة المشجرة الصماء.

نحن الآن على ارتفاع ١٣.٥٣م فوق الأرضية، وهناك صف آخر من البناء مربع فى تخطيطه إلا أنه يتراجع قليلا الى الوراء، يليه طابق مثمن. ويميل المرء الى اعتبار هذا الصف الرابع والأخير نوعا من القواعد المربعة التى تنتمى الى الجزء المثمن. ويرجع الفضل الى السقالات التى تفضلت اللجنة بوضعها تحت تصرفى بغرض تصوير كل هذه الزخارف فى قيامى بمزيد من الاكتشافات. فعلى قمة الجانب الجنوبى الغربي، والى جوار العقد الأيسر، لاتزال هناك شقفة صغيرة باقية من الشرافة ارتفاعها ١,١٠م (لوحة ٣٢جـ). يتضح الآن أن

الزخرفة المشجرة الصماء التى أشرنا اليها منذ قليل والتى بقى جزء منها على الجانب الجنوبى الغربى (شكل ٤١) ما هى إلا الحافة السفلية من شرافة متقنة ذات زخارف مفرغة يمكن ترميمها الآن وبارتفاع ١,١٠م (شكل ٣٨)، إلا أن قمتها اندثرت الى الأبد.

ينطبق الوصف الأخير (للواجهة الجنوبية الغربية) على الواجهة الشمالية الغربية أيضا، عدا أن النافذة الثانية وضعت بالشريط السابع بدلا من التاسع وأن قمتها عولجت بصورة مختلفة نظرا لوضع السلم (لوحة ٢٩جـ، وتحتاج قمم هذه النوافذ الى عناية خاصة لأنها النماذج المؤرخة الوحيدة من نوعها. ومن اليسير أن ندرك أن خطوطها العامة قد تكون الحافز لتطوير الحشوات التى نراها على أبراج باب زويلة -اللوحتان ٧٢جـ، ء- ونماذج أخرى فى هذا المجال). ويفترض أن هذا الوصف ينطبق أيضا على الجانب الشمالى الشرقي، غير أن النافذة السفلية كانت إما صماء أو تم حذفها كلية؛ إذ لانجد لها أثرا يمكن رؤيته من السلم. هذا فى حين أن النافذة العليا (التى يمكن رؤيتها من السلم) تم وضعها فى الشريط التاسع.

تدور زخرفة الواجهة الجنوبية الغربية حول الركن وعلى طول الواجهة الجنوبية الشرقية وبطول ١,٢٥م؛ أى الى النقطة التى يبدأ منها السور الجنوبى الغربى للجامع قبل بناء النتوءات. والبناء الذى نراه الى يمين هذه النقطة خشن ومكسور. ويتوقع المرء أن أشرطة الزخرفة ستبدأ -ككل الحليات- من الزاوية الكارة التى تكونت من ذلك، إلا أنه لايبدأ من هناك إلا أشرطة الأرابسك الثلاثة الأولي، ولا يبدأ شريطا النقش من الزاوية الكارة؛ بل من الحافة اليمنى للجانب الجنوبى الغربي. والجزء الذى يدور حول الركن محشو بالزخارف. وفى حالة الشريط الثامن، هناك حشوتان ونصف حشوة مكونة من قطعة زخرفة جريئة رائعة ومكررة مرتين ونصف المرة (لوحة ٢٩ب). ونلاحظ نفس الشئ فى الشريط الحادى عشر. وهنا أيضا، يبدأ النقش الكبير عند الحافة اليمنى من الواجهة الجنوبية الغربية. والجزء الذى يدور حول الركن محشو بقطعة من الأرابسك مختبأة تماما وراء عقد مشبكى حاليا (لوحة ٣١أ). أما الشريط العاشر الذى يعد الأرابسك الخاص به مركبا، فلا يدور حول الركن، وهو ما يعد تصميما مختلفا تم استخدامه هنا (لوحة ٣١ أ، الجزء السفلي).

وعلى الجانب الجنوبى الشرقي، فوق المدخل المؤدى الى السلم، نجد فتحتين معقودتين من الآجر، أولاهما مساحتها ٢,٧٥ × ١م، والثانية ٢,٥ × ٠,٨٤م، وأسكفة الأولى تعلو عن الحلية الرابعة بصف واحد.

الجزء المثمن

أربعة جوانب منه حرة تماما. إلا أن الجوانب المواجهة للأركان الخارجية الثلاثة من الجزء المربع مختبأة وراء ثلاثة أزواج من العقود المشبكية التى تصل بين المئذنة وبين قمة النتوء العلوى (من المرجح أنه كان هناك فيما مضى زوج من العقود المشبكية فى الركن الشرقى أيضا، إذ هناك بقايا منهما يمكن رؤيتهما بوضوح على جدران البروز. ويبدو أنهما أزيلا على يد هيرتز). ويبلغ ارتفاع الطابق المثمن الأول ٢,٨٦م، ويختلف عن بقية الطوابق بوجود دعامة نصف دائرية عرضها ١,٥٢م (لوحة ٣٢ء) فى منتصف كل جانب من الجوانب المواجهة لأركان المربع. والحافة العليا لهذا الطابق مزخرفة بشريط بارز قليلا مكون من أنصاف مراوح نخيلية ذات ثلاثة فصوص، ويدور أيضا حول قمم الدعامات (شكل ٤٠). كما يتميز هذا الطابق بوجود مصلى صغير نوعا على الجانب الجنوبى الشرقى ويفتح على السلم بعقد منكسر ويفتح على الخارج بعقد مدبب وضع فى إطار مستطيل بارز (لوحة ٣١ب، شكل ٤١) مع وجود بقايا من شرافة تشبه التصميم الذى نراه على الطابق

المستطيل الرابع (لوحة ٣٢ب). والجزء السفلى من هذا الإطار يحاذى الحافة السفلية للشرافة عند قمة الطابق الرابع. ويبلغ عمق المصلى الصغير ١,٢٦م وعرضه ١,١٠م وارتفاعه ٢,٥٤م، والى اليمين واليسار، نجد حنايا معقودة تشبه المحاريب عرضها ٦٢سم وعمقها ٢٤سم بفجوات للجذوع الركنية، وفى كل كوشة، هناك نجيمة خماسية (لوحة ٣١ء، شكلان ٤١، ٤٢). ويرتكز السطح الحجرى المسطح والمزخرف بزخارف رائعة على طنف مفلطح الوجه.

بنى هذا المصلى الصغير بحيث يشكل بروزا بمقدار ٤٧سم على الواجهة الجنوبية الشرقية للطابق المثمن الأول. أى أن الشكل المثمن على هذا الجانب يرجع الى الوراء مسافة ٤٧سم عن واجهة الشرفة. ولكن على الجانب المقابل لا ترجع واجهة هذا الطابق إلا بمسافة ١٢,٥سم. والنتيجة أن المحور الحقيقى للطوابق المثمنة مزحزح بمقدار ١٧سم الى شمال غرب محور الجزء المربع. ولكن لما كانت جوانب الشكل المثمن غير متساوية فيما بينها -حيث أن الجانب الغربى أطول من نظيره الجنوبي- فالنتيجة أن مركز الجانب الغربى ونوافذه ظل قريبا جدا من محور الجزء السفلى كما يتضح فى شكل (٤٠).

ويبلغ ارتفاع المثمن الثانى ٢,٥٥م، وحافته العلوية تزدان بطوق حجرى منقوش بارز قليلا ومزخرف كما يتضح بالشكل ٣٨، حلية ١٣. وبالطابق الثالث وارتفاعه ٢,٦٣م طنف مماثل نوعا (الشكل ٤٠). ولا يزيد ارتفاع الطابق الرابع عن ١,٧٥م. والصف الثانى مزين بتصميم وردت صورته فى الشكل (٤٠، الشريط ١٥)؛ والجزء الذى يعلو الصف الثالث بشكل بائكى أصم يشبه الشرفة (لوحة ٣٢ب، شكل ٤٠، شريط ١٦). ويأتى فوق هذا الطابق المثمن الخامس الذى لم يتبق منه إلا صفان ارتفاعهما الإجمالى ٥٧ سم؛ وقطره ٦,٢٨م وتم قياسه مباشرة عبر القمة من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقي.

أما نوافذ الطوابق المثمنة، ففى المثمن الأول نجد نافذة خالية من الزخارف وطويلة وضيقة على الجانبين الجنوبى الغربى والشمالى الغربى (ومساحة الأولى ٢٨ × ٨٠سم والأخيرة ٠,٤٣ × ١,٩٢م) ولكن ليس على الجانب الشمال الشرقي. وعلى الضلع الجنوبى الشرقي، هناك المصلى الذى سبقت الإشارة اليه. وفى الطابق الثاني، هناك نافذة مستطيلة على كل من الأضلاع الشمالى الشرقى (لوحة ٣٢أ) والشمالى الغربى والجنوب الغربى والجنوب الشرقي. وتبلغ مساحة الأولى ٠,٦٩ × ١,١٢م، والثانية ٠,٦٢ × ١,١٩م، وكل من الثالثة والرابعة صماء. ولكل من هذه النوافذ حواشٍ مسطحة ومزخرفة بالأرابسك. وفى الطابق الثالث، نجد نافذة مستطيلة على الجانب الجنوب الغربى (٠,٤١ × ١,٣٢م)؛ وعلى الجانبين الشرقى والشمالي، أى الجانبين المواجهين لأركان المربع، نجد نافذتين مستطيلتين أولاهما (٣٩ × ١٠٠ سم) يمكن رؤيتها من الخارج، والأخرى لا ترى إلا من السلم، لأن الجزء الخارجى منها مختف وراء العقود المشبكية التى ترجع لعام ٧٠٣هـ والتى سبق ذكرها. كما يختبئ الضلعان الجنوبى والغربى من الخارج، ولكن ليست هناك دلائل على وجود نافذة يمكن رؤيتها من الداخل.

المدخل المؤدى الى السلم (شكل ٤٣)

ويتصل بالمداخل الصغيرة للجامع منه الى سائر مداخل المئذنة الأخري. ومما يؤسف له أن بناءها أصابه التآكل لدرجة كبيرة. وتبلغ مساحة الفتحة ٠,٩٩ × ٢,١١م -أى بنسبة ١ : ٢ تماما تقريبا كما هو الحال بالنسبة للمداخل الأخري. ويحيط بعضادات الباب (٣٢سم عرضا) اطار فى حاشية مفلطحة الوجه ومزخرفة

بشريط ضيق من الأرابسك، ويدور لأعلى ليشكل تاج عمود، والى أسفل ليكون قاعدة. والفتحة تتخللها أسكفة خالية من الزخارف تحيط بها حاشية مفلطحة الوجه مزخرفة بنفس طريقة زخرفة عضادات الباب. وتبلغ المساحة الكلية ١,٨١ × ٢,٤٢م، أى بنسبة ٣ : ٤. ورغم خلو الواجهة الخارجية للأسكفة من الزخارف، إلا أن واجهتها الداخلية مزخرفة بثلاث حشوات صغيرة وجميلة من الأرابسك لم توضع فى المركز تماما (شكل ٤٣). ومن الواضح أنها نسخت من باب خشبي، لأن مفصلات إطار باب منقور تم تزييفها على الحجر.

وللسلم درابزين دائرى من الحجر، لكنه مغطى بقبو اسطوانى مرتفع من الآجر. وهو معتم تماما بسبب النتوء المحيط به. إلا أنه يبدو أنه أقيم قبل بناء النتوء، لأن النوافذ صغيرة جدا وضيقة، وخاصة فى الجزء المربع منها.

مقارنة بين زخرفة المئذنة الغربية وزخرفة المدخل التذكاري

بكل مئذنة حجر ذو كسوة جميلة، وتتخللهما عند الفواصل نافذتان كانتا تسمحان بنفاذ الضوء الى السلم الحلزونى بالداخل. ولكن يفاجأ المرء بالاختلاف الجوهرى بين الاثنتين فى كل من الشكل والزخرفة. فمع أن المئذنة الشمالية بها شريطان جميلان، أحدهما كتابي والآخر من الأرابسك. إلا أن زخرفتها تتركز على أطر النوافذ العديدة بحواشى كتابية منحوتة نحتا رقيقا، وعلى الدرابزينات الجميلة بها والتى لايزال العديد منها باقيا. فى حين أن المئذنة الغربية نوافذها صغيرة وضيقة وعارية تماما. وتتركز الزخرفة على أربعة أشرطة زخرفية عظيمة، اثنان منها كتابيان، والآخران من الأرابسك. إضافة الى ذلك، تم إحلال حليات محدبة ذات زخارف زاخرة محل الحليات المحدبة الخالية من الزخرفة.

ولا يجد المرء بدا من استنتاج أننا أمام عملين لمعمارين مختلفين. ولكن على الرغم من اختلاف التخطيط الزخرفى للمئذنة الشمالية عن نظيره فى المئذنة الأخري، إلا أن هناك صلة وثيقة بينه وبين نظيره على المدخل التذكاري. فالجزء السفلى من حشوات هذا المدخل مزخرف بمربعات من الزخرفة وضعت على هيئة معينات، وهو نفس ما نراه فى التخطيط المتبع فى الجزء الأدنى من المئذنة. والجزء الوسيط من شريط الأرابسك ينتمى الى الشريط التاسع للمئذنة (لوحتان ٣٠ أ، جـ) وتتطابق حافته الخارجية مع شريط النافذة فى الطابق المثمن الثانى (لوحة ٣٢أ). وتنتمى الحليات أعلاه وأسفله الى نفس الفئة التى تنتمى اليها حليات المئذنة. والشريط الذى يجرى أسفل القبيبات [قمة المئذنة] يشبه الشريط الذى يجرى على طول طنف الطابق المثمن الثانى الى حد ما. وبالتالي، فالأرجح أن كلا من المئذنة الغربية والمدخل التذكارى من عمل معمار، والمئذنة الشمالية من عمل معمار آخر.

الأصول المعمارية

التخطيط

إن تخطيط جامع الحاكم يشبه بصورة عامة تخطيط جامع ابن طولون، بفارق رئيسى فى المجاز القاطع والقبتين بالركنين الخلفيين. وسبق أن التقينا بهاتين السمتين بالجامع الأزهر. ولكن بدلا من الأروقة المكونة من ٢/٢/٢/٥ بائكات، نجد أن التركيب هنا هو ٢/٣/٣/٥. وعدد البائكات من اليسار الى اليمين ١٧ فى الحالتين؛ إلا أن هناك عدداً أقل من العقود فى البائكات الجانبية – أى ٩ فقط بدلا من ١٣ عقدا.

المدخل التذكارى

يعد البروز العظيم الذى يضم المدخل وحشوتين على كل من جانبيه -واحدة على كل جانب أسفل القبو وربما واحدة على كل نصف من نصفى الواجهة الخارجية- تطورا لأول مدخل تذكارى فى تاريخ الإسلام، أى مدخل مسجد المهدية، أول عاصمة للفاطميين (لوحة ١ ب). ويبرز الأخير بمسافة ٢,٩٨م وعرضه ٨,٥٥م، وهى مقاييس تتضاعف تقريبا بجامع الحاكم (٦,١٦ × ١٥,٥٠ بدلا من ٥,٩٦ × ١٧,١٠م).

المداخل المحورية الثلاثة

كان أول جامع يضم ثلاثة مداخل محورية هو مسجد دمشق الجامع لأنه بنى فى داخل معبد سرياني. وكان يضم أربعة مداخل محورية كان الجنوبى منها مسورا بينما بقيت الثلاثة الأخرى للاستخدام. ومن المؤكد أن جامع قصر الحير (١١٠هـ/٧٢٩م) ومسجد حران الجامع (أواخر العصر الأموي) كان كل منهما يضم ثلاثة مداخل محورية. ويليهما الجامع الأزهر إن صحت استنتاجاتي. ثم يأتى بعدهم جامع البقلى (أواخر القرن الثالث عشر، واختفى الجامع تقريبا، الا أن مدخلين منه لايزالان باقيين من السور المحيط به حين رأيته لأول مرة فى سنة ١٩١٧) وجامع الماردانى (٧٣٩هـ/١٣٣٩م. انظر تقرير لجنة حفظ الآثار العربية لعام ١٩٠٥، لوحة ١) وجامع زين الدين ببولاق (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م، تقرير اللجنة ١٥-١٩١٩) وجامع أزبك (٨٨٠هـ/١٤٧٥م، تقرير اللجنة فى ١٨٩٤، وتمت إزالته فى سنة ١٨٦٩).

الشرافات

سبق أن تناولنا أصول الشرافات المدرجة والمقطوعة القاعدة فيما يتصل بسامراء (*E.M.A.*، جـ٢، ص٢٤٣). ويمكن أن نضيف الى السلسلة التى وردت به نموذجين أمويين، أحدهما من قصر الوليد الأول بالمنية على بحيرة طبرية والآخر من قصر هشام بخربة المفجر على بعد ٤ أميال شمال أريحا (Baramki, "Excavations at Khirbet el Mefjir," *Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine*, X, pp. 155-6 & Plate XXXII, 6).

الدعامات

وهى على ما يبدو نسخة مشوهة من دعامات جامع ابن طولون كما يلاحظ عامة.

وضع المآذن

بالنسبة لوضع المآذن التى أقيمت بحيث تشكل بروزات على طرفى الواجهة، مما يعد سمة لا نجدها فى أى جامع آخر بمصر، فالأرجح أنه مستمد من مسجد المهدية الجامع حيث يعد البروزان (لوحة ١ جـ، شكل ١) بمثابة الجزء السفلى من زوج من المآذن المربعة (وهو الشكل السائد بغرب العالم الإسلامي) أو كانا يدعماهما على الأقل. ولم يتبع هذا الترتيب فى مصر من بعد.

المئذنة الغربية

ليس هناك فى العالم الإسلامى سوى ست مآذن فقط أقدم زمنا من مآذن جامع الحاكم، وهي:

١. مئذنة مسجد القيروان الجامع (١٠٥-١٠٩هـ/ ٧٢٤-٧٢٨م)؛

٢. مئذنة قصر الحير (١١٠هـ/ ٧٢٩م)؛

٣. مئذنة مسجد سامراء الجامع (٢٣٤-٢٣٧هـ/ ٨٤٨-٨٥٢م)؛
٤. منارة سوسة (٢١٥)(ومع أنها فنار، إلا أنها تنتمي معماريا لسلسلة مآذن شمال افريقيا ٢٤٥هـ/٨٥٩م)؛
٥. مئذنة أبي دلف (٢٤٥-٢٤٧هـ/ ٨٦٠-٨٦١م)؛
٦. المئذنة الثانية لمسجد قرطبة الجامع (٣٤٠هـ/٩٥١م) والمحفوظة الآن داخل البرج الحالي.

وهكذا فالمادة التي تصلح للمقارنة نادرة للغاية. على أي، قام مارسيه بنشر مئذنة مسجد صفاقس الجامع المتميزة (*Manuel d'art musulman: l'architecture*, I, pp. 162-5 & Fig. 91) والتي قد تكون أقدم زمنا إذا صح رأيه بإرجاعها الى عصر الصنهاجيين والى الفرع الزيرى من البربر الذين حكموا القيروان. فإن أمكن إرجاع هذه المئذنة الى الثلاثين عاما الأولى من هذه الأسرة، فهي بذلك تسبق مآذن الحاكم زمنيا.

تتكون هذه المئذنة من ثلاث طوابق كلها مربعة. والطابق السفلى منها ضخم جدا وينقسم الى أشرطة بينها حليات أفقية بسيطة. وتشبه النوافذ نظيراتها بالمئذنة الغربية لجامع الحاكم؛ فهي صغيرة وضيقة ومقفلة بأعلاها بنفس الطريقة (شكل ٤٥). وعلى قمة هذا الطابق، هناك حلية نابية؛ يليها شريط خالٍ من الزخرفة يليه إفريزان يتكون أولهما من سرر ضحلة، والثاني من نقش كوفي، وتتوج الجميع شرفة مخرمة. وفوق ذلك، نجد طابقا مربعا ثانيا أقل كثيرا في ارتفاعه يتوجه إفريز مماثل وشرفة. ويعلو كل ذلك تنور مربع بقبة مضلعة وعقد مفتوح في كل واجهة. ويشبه شكل العقد أيضا النوافذ الموجودة بالطابق السفلى من المئذنة المعنية. صحيح أنه ليس هناك طابق مثمن، إلا أن من ينظر الى تخطيط مارسيه، يندهش للشبه الكبير بينه وبين هذه المئذنة.

ومما يؤسف له أننا لانعلم تاريخها على وجه الدقة، ولو أنه من المحتمل أن كلا من الإفريزين الكوفيين أو أحدهما على الأقل يحتوى على تاريخ المنشئ واسمه؛ وهذه مسألة يجب بحثها بأسرع وقت. وإن ثبت أنها تسبق المئذنة الغربية لجامع الحاكم، فلا يكاد يكون هناك شك في أن الأخيرة مستوحاة منها.

النجمة الخماسية (خاتم سليمان)

وهى عنصر يظهر مرتين على المئذنة الشمالية (لوحة ٢٦ أ، ء). وفي الدركاه الصغير على قمة الجزء الرابع من المئذنة الغربية (لوحة ٣١ء)؛ ويظهر هنا لأول مرة في الفن الإسلامي. فهل وظيفته سحرية أم زخرفية؟ يظهر هذا التساؤل لأن هذا الرمز استخدم بكثرة لأغراض سحرية وطلسمية. فنجده مكررا بالمخطوطات الوسيطة للطقوس السحرية. ويتأكد أصله اليهودى التقليدى بوجود أقدم نموذج له في العتبة المنهارة بمعبد يهودى ينتمى الى القرن الثانى (شكل ٤٦).

وللنجمة الخماسية دلالة خير أو شر تبعا لاتجاه أطرافها طبقا للإيمان بالقوى الخفية. فإذا كان أحد أطرافها الى أعلى يكون أثرها خيرا؛ واذا وضعت مقلوبة، أى اثنان من أطرافها الى أعلي، فهى ترمز الى الشر. ومع أن الأربع نجيمات الخماسية التى نجدها في الدركاه الصغير بالمئذنة الغربية وضعت الى أعلي، نجد العكس في النماذج الموجودة بالمئذنة الشمالية. ومن المعروف أن الفاطميين كانوا يولون أهمية خاصة للتنجيم والسحر، وخاصة الخليفة الحاكم. ومن الواضح أنه كان يمارس السحر، إذ دخل عليه أحد قادته -ويسمى فضل- ذات يوم على حين غرة ووجده ومعه جثة طفل كان قد اشتراها، وكان قد قطع الرقبة لتوه وكان منهمكا في استخراج الكبد والأمعاء حين فوجئ بدخوله؛ فلم يتمكن القائد من إخفاء هلعه ومضى الى داره وهو على يقين من دنو أجله، لأنه عرف ما لا ينبغى له أن يعرف. ولم يلبث حتى اقتيد الى ساحة الإعدام (Lane-Poole,

. (History of Egypt, 129; O'Leary, Fatimid Khalifate, 153

تذكرنا هذه الحكاية بالسحر الأسود الذى كان يمارسه السحرة فى العصور الوسطى فى أوربا. ومنه ذلك الاحتفال الذى أقيم فى سنة ١٥٧٤ بغرفة شارل التاسع ملك فرنسا حين كان طريح الفراش. كان شارل يحتضر وكانت معه أمه كاترين دى ميدتشى حيث ضربت عنق طفل على المذبح بعد تناوله العشاء الأخير. تم وضعت رأسه على شيء أسود فوق منضدة؛ ثم بدأت الطقوس وتلاوة الرقى والتعاويذ الى أن صدر صوت واهن ارتعد الملك شارل على أثره وظل يصرخ قائلا «ابعدوا الرأس! ابعدوا الرأس!» الى أن وافته المنية (Eliphas Levi, 395) . كما اعترف جيل دى ريتز قبل قرن من الزمان عندما كان يحاكم فى سنة ١٤٤٠ أنه هو وشريكيه فى الجريمة قتلا العديد من الأطفال بنفس هذه الطريقة.

المصادر والمراجع

١٢٧٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٨٧

١٣٥٨ مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد

١٤١٢ القلقشندي، جـ٣، ص٣٦٤

١٤٤١ المقريزي، السلوك، ط زيادة، جـ١، ص٩٤٥

١٤٩٧ السيوطي، ص٥١١

١٥٢٢ ابن إياس، التاريخ، جـ١، ص٥١

١٦٢٢ الإسحاقى، كتاب أخبار الأول (القاهرة، ١٣٠٣هـ)، ص١٣٠ .

1800? LANGLOIS, painting in the Musée Langlois at Caen .
------ MARILHAT-- painting preserved in the Musée du Louvre .
1811 JOMARD, in the Description de ,lÉgypte, Etat moderne, II, P. 668, and Planches, I, pl. 28; Panckoucke's ed., XVIII, pp. 309-10 .
1835 WILKINSON (J. G.), Topography of Thebes, pp. 299-300 .
1838 HAMMER _ PURGSTALL (J.), Inscription coufique de la mosquée de Hakim bi-Emrillab. Journal , 3me sér., t. V, pp. 388-91, with I figure .
1839 TAVLOR (Baron), and L. Reybaud, p. 255, with plate .
1842 HESSEMER (F. M.), Arabische und alt-italienische Bau-Verzirungen, I, P. 39 and Taf. 14 and 31 .
1844 WILXINSON (Sir Cardner), Modern Egypt and Thebes, I, pp. 231-2 and 233-4 .
1848 MARCEL (J. J.), Egypte, I, pl. 7.
1849 RORERTS (David), Egypt & Nubia, III, Ist plate (nerthern minaret) .
1851 POOLE (Mrs. S.), The Englishwoman in Egypt, I, pp. 164-5 .
1852 DU CAMP (Maxime), Egypte, pl. 4 .
------ PATTERSON (J. L.), Journal of a Tour in Egypt, p. 175 .
1857 LAORTY, L'Egypte, PP. 242-3 .
1860 FRITH (F.), Cairo, Sinai, Jerusalem, 15th and 22nd plates and rekative text .
1861 WILKINSON (Sir Cardner), on Saracenic Architecture. Papers read at the R. I. B. A., XI, p. 224 .
1862? FRITH (F.), Lower Egypt, Thebes, and the Pyamids, 5th plate and telative text.
1863 COUFFON (A. de), Les Mosquées du Caire. Reuue Contemporaine, XXXV, P. 590 .
------ PATON (A. A.), A History of the Rgyptian Revolution, II, P. 329 .
------ SEPP (B.), Jerusalem und das heilige Land, II, P. 624 ; 2te Aufl., II, p. 725.
1869 MEHREN (A. F.), Tableau général des monuments religieux du Caire . Mélanges Asiatiques, VI, pp. 297-8.
1970 CRACE (J. D.), Arabic Architecture in l'gypt and Spain. Sssional Papers of the R. J. B. A., XX, p. 72 and Figs. 1 and 2.
------ MEHREN (A. F.), Câhirah og Kerâfat, II, p. 2.
1871 CASTELLAZZI (G.), Ricordi di architettura orientale, tav. I and relative text.
1872 LENOIR (Paul), Le Fayoum, le Sinai et Pétra, pp. 168-9.
1873 BOURGOIN (Jules), Les Arts arabes, pls. 81-2 and 86-7.
1875 COUSINIER, Drawing reroducel by Rhoné, q. U., P. 359 .
1877 HUGONNET (L.), L'Architecture arabe du Caire. L'Art, VII. PP. 229-30 .
------ PRISSE D'AVENNES, L'Art arabe, Texte, pp. 98-9 .
1878 ISAMBERT (Emile), Itinéraire ... de l'Orient, deuxième partie, 2me éd, pp. 321-2 .
1880 ROCERS (E. T.)and Miss E. ROGERS, The Mosques of Cairo. The Art Journal New Series, XIX, P. 77.
1881 SCHEFER (C.), Nassiri Khosrau, p. 135n .
1882 RHONÉ (Arthur) in the G. B. A., 2me, t. XXV, p. 67 .
1883 FOURNEL (Victor), Au Pays du Soleil, p. 446 .
------ Hugonnet (Léon), En Egypte, pp. 226 - 7.
------ VAUJANY (H, de), Caire, pp. 166 - 71 .
1884 LANE_POOLE (Stanley), Social Life in Egypt, pp. 96-8 and illus. on p. 90 .
1887 BÉCHARD (E.), and PALMIERI, L'Égypte et la Nubie, pl. XII .
1887-8 'ALI PASHA MUBARAK, al-Khital al Gadidida, II, P. 66, 11. 7-19 and IV, p. 79, 1. 33-p. 81, 1. 7 .
1889 RAVAISSE (Paul), Essai. M. M. A. F. C., III, p. 104 .
1891 BERCHEM (Max Van), Notes d'archéologie arabe. Journal Asiatique, 8me dér., t. XVII, pp. 429-42 and plate.
1893 GAYET (Al.), L'Art arabe, pp. 76 and 129, and figs. 19-20 and 37-8.
------ LANE-POOLE (Stanley), Cairo : : Sketches of uts History, Monuments, and Social Life, pp. 48-50, with Iillus .
1894 BERCHEM (Max van), Corpus Inscriptionum Arabicarum.
------ ÉGYPTE, I, pp. 50-54 and 629-30, and pls XII, XVI, and XX .
1805 GIROFF (Florence), Guide du Caire et environs, pp. 40-41 .

------ I IERZ (Max). Catalogue ... Musée nationalde l'Art arabe, pp. ii-v and xxiii-xxix; 2[me] éd. (1906), pp. viii-ix and xxxiv - xxxvi .
1896 LANE (E. W.), Cairo Eifty Years Ago, pp. 86-7.
1898 Dovas (G. C.), Souvenir of Egypt, Plate 26 .
------ REVNOLDS - BALL (E. A.), The City of the Caliphs, p. 147 .
1899 WORSFORD (W. B.), The Redemption of Egypt, pp. 117 - 18, with I illus.
1902 COmité de Couseroation, Exercice 1902, p. 44 ; 1996, pp. 98 and 101-2 ; 1907, pp. 90-91 .
------ GURLITT (C.), Geschichte der Kunst, p. 385 .
------ LANE-POOLE (S.), The of Cairo, pp. 137-9
1903 FRANZ (Julius), Kairo, pp. 26-9, with 2 illus.
1904 STRZYCOWSKI (J.), Mschatta Jabrbuch der kgl. Preuszischen Kuhslsimmluugeu, XXV, p. 333 and Abb. 100 .
1907 MARCOLIOUTII (D. S.), Cairo, Jerusalem & Damascus, pp. 46-7 .
------ SALADIN (II.), Nanuel d'Art musulman, I. - L'Architecture, pp. 97-9 and 120-21, and figs. 55-6 and 77.
1908 Comité de Cousersntion , Exerrice 1907, pp. 133-4 and pls. II-III; 1910, p. 35; 1911, pp. 16 and 43 .
1909 FACO (Vincenzo), Araba, pp. 93-5 and tav. XI.,
------ STRZYGOWSKI (J.), in the Neue Jabrbilcher fiir das klassische Alterum, XXIII, pp. 358-9 and Abb.6-7 .
TUIERSCII (H.), Pharos, Antike, Islam und Occident, pp. 113 - 16 and Abb, 112 .
1910 RUONÉ (Arthur), L, Égypte à petites journécs (2[me] éd.), pp. 356 - 60, with illus.
------ STRZYCOWSKI (L.), in van BERCHEN and STRZYCOWSKI, Amidd, pp. 206-7 and Abb. 126 .
1911 STADEN (Douglas), Oriental Cairo, pp. 175-6 .
1912 FLURY (S.), Die Ornamente der Hakim- und Asharmoschec, PP. 9-26 and 43-50, Abb. 1-5, and Taf. I-VII and XIX-XXXIV .
1913 RICHMOND (E. T.), The Significance of Cairo. J. R. A. S., 1913, p. 32 .
1914 RIVOIRA (G. T.), Architettura musulmana, pp.160-80 and figs. 134-7 ; English transl., pp. i58-77 .
1915 DIEZ (Ernst(, Die Kunst er islamischen Völker, pp. 45 , 55 - 6 and Abb. 72 - 6 .
1916 BERCHEN (Max van), in the Cunité de Couseruntion , C. R. de L'Fxervirc, 1911, pp. 93 - 4 .
1917 DEVONSHIRE (Mes, R. L.) Ramblesin Cairo, pp. 18 - 20; 2nd ed., pp. 15-17 and pl. X.
1919 GRESWELL (K. A. C.), Brief Chronology . B. I. F. A. O., XVI, pp. 51 - 2 .
1920 WOERMAXN (K.), Geschichte der Kunst (2[te] Aufl.), II, pp. 391-2 .
1923 CRESWELL (K. A. C.), The Grent Salients of the Mosque of al-Hakim J. R. A. S., 1923-84, Plates VII-XI and bigs, 1-2 .
------ TARCHI (Ugo), UArchitettura e l'arte musulmana, in Egitto, p. 9 and tav. 29-30 .
1924 BRIGGS (M. S.), Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine pp. 69-71 and Ligs. 29 - 31 .
1925 DEVONSHIRE (Mrs. R. I.), Quatre-vingts Mosquées, pp. 11 - 21 and pl. VII .
------ GLÜCK (H.), and E. DIEZ., Die Kunst des Islam, pp. 28 - 9, 534-5, Abb. 10 and Tef. 155-6.
------ QULRELL (A. A..), A Wayfarer in Egypt, pp. 85 - 6 .
1926 DEVONSHURE (Mrs. R. L.), L'Égypte musulmane, p. 37 and pl. VI .
------ RICHMOND (E. T.), Moslem Architecture, pp. 93-6 and Fig. 23 .
1929 DUE (E.), art Manara, in the Encyclopaedia of Islam, III, p. 229, with illus .
------ MONTUE (Gustal), Islams Konst, pp. 70 - 71, with I illus.
------ WIET (G.), Corpus Inscriptionum : Arabicarum - Égypte, II, pp. 125-9 .
1931 GROUSSET (R.), The Civilizations of the East, pp. 217-18 .
1932 PAUTY (E.), La défense du l'ancienne vills du Caire. B. I. F. A. O., XXXI, pp. 152-3 and pl. 1 .
1932 HAUTECOFUR (L.), and G. Wiet, les Mosquées du Caire, pp. 134, 137, 159 and 220 - 26, and pls, 16-23 .
------ PAUTY (E.), L'Evolution du dispositif n T dans les mosquées à portiques. Bulletin d' Émdes orientales, II, pp. 91-3, 110-12, fig. 12 and pls. XXIII-XXV.
1935 MARCAIS (Georges), Les Échanges artistiques entre l'Egypte et les pays musulmans occidentaux. Hespér-it, XIX, pp. 97, 100-101, 104-6 and figs. 1 and 9.
------ WIET (G.), Répertioire chronologique d'Épigraphic arabe, VI, pp. 44-7, and XIII, PP. 242 and 271 .
1936 LAMM (C. J.), Fatimid Woodwork, its style and CI logy. B. I. E., XVIII, P. 68 .
------ PAUTY (E.), in the Comité de Conseruation, Exercice , 1932, pp. 125 - 7 .
1939 MAIIMÜD AHMAD, Concise Guide to the principal, Monuments in Cairo, pp. 59-62 and Figs. 9-10 .
1942 MUNAMMAD AND AL-AZIZ, Masagid al-Qahira qa al-Mamalik, pp. 67-81, with 4 figs. and 4 plates .
1947 MARÇAIS (Georges), L'Art de l'Islam. pp. 70-71, 8 84, and pl. XXII .

الفصل السادس

النصف الأول من القرن الحادى عشر [ق ٥ هـ]

جامع المقس

رواية المقريزى

من المعروف أن جامع المقس بنى بأمر من الحاكم فى سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢م). وفيما يلى ما ورد لدى المقريزى بشأن هذا الجامع:

«هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس لأن المقس كان خطة كبيرة وهى بلد قديم من قبل الفتح كما تقدم ذكر ذلك فى هذا الكتاب [أى كتاب الخطط للمقريزى] وقال فى الكتاب الذى تضمن وقف الحاكم بأمر الله الأماكن بمصر على الجوامع كما ذكر فى خبر الأزهر مانصه ويكون جميع ما بقى مما تصدق به على هذه المواضع يصرف فى جميع مايحتاج اليه فى جامع المقس المذكور من عمارته ومن ثمن الحصر العبدانية والمظفورة وثمن العود للبخور وغيره على ما شرح من الوظائف فى الذى تقدم وكان لهذا الجامع نخل كثير فى الدولة الفاطمية ويركب الخليفة الى منظرة كانت بجانبه عند عرض الأسطول فيجلس بها لمشاهدة ذلك كما ذكر فى موضعه من هذا الكتاب عند ذكر المناظر وفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة انشقت زريبة من هذا الجامع فى شهر رمضان لكثرة زيادة ماء النيل وخيف على الجامع السقوط فأمر بعمارتها. ولما بنى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب هذا السور الذى على القاهرة وأراد أن يوصله بسور مصر من خارج باب البحر الى الكوم الأحمر حيث منشأة المهرانى اليوم وكان المتولى لعمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى أنشأ بجوار جامع المقس برجا كبيرا عرف بقلعة المقس فى مكان المنظرة التى كانت للخلفاء» (جـ٢، ص٢٨٣)؛ وفى سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٨ـ١٣٦٩م) قام الصاحب شمس الدين المقسى وزير الأشرف شعبان بن حسين بهدم هذا البرج وأدخله فى حقوق الجامع المذكور [أى جامع المقس] حين جدد بناءه. (القلقشندى، صبح، جـ٣، ص٣٥٠).

« فلما أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بادارة السور على مصر والقاهرة تولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش، وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقسم، وبنى برجا مشرفا على النيل وبنى مسجدا جامعا واتصلت العمارة منه إلى البلد وجامعه تقام فيه الجمعة والجماعات» (المقريزى، الخطط، ٣، ص٤١٠).

أهميته الطبوغرافية

إن قول ابن إياس بأن ابن الشيخ محمد بن عنان عاش فيه وإشارة الجبرتى الى أن «جامع المقس الذى يعرف اليوم بأولاد عنان على الخليج الناصرى فى باب البحر» تمت إزالته فى سنة ١٢١٣ (١٧٩٨م) يكفى لإثبات أن جامع أولاد عنان الحديث بشارع نوبار يحتل موقعه(٢١٦)، وبالتالى فمع أننا ليست بين أيدينا معلومات معمارية عنه، إلا أنه يتميز بأهمية طبوغرافية خاصة إذ يمكننا من تحديد موضع أحد أطراف سور صلاح الدين [أى نهايته من هذه الجهة].

أضرحة السبع بنات(٢١٧) (٤٠٠هـ/١٠١٠م)

الوصف

فى المنطقة الخالية التى تقع جنوب أطلال الفسطاط هناك أربعة أضرحة صغيرة جميعها فقدت قبابها

وبعضها فقد جدرانه السفلية كذلك (الشكلان ٤٧، ٤٨، لوحة ٣٤ وسقط ركن فى كل حالة منها فيما عدا الثالث. إلا أن الأول كان سليما قبل أربعين عاما كما نرى فى الصورة الطبوغرافية التى رسمتها اللجنة فى سنة ١٩١٢. وتم ترميم الأركان منذ ذلك الحين) والأضرحة الثلاثة الأولى على خط واحد تقريبا، وهو خط يجرى من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربي. أقيم الضريح الأول الى أقصى الغرب على بعد أمتار قلائل الى الجنوب. ويبعد الرابع بمسافة ١٢,٢٧م عن الثالث؛ ويبعد الثالث بمسافة ٢٠,١٥ عن الثاني؛ ويبعد الثانى عن الأول بمسافة ١٣,٩٥م. وهى جميعا متشابهة فى تصميمها. كما تكاد الأضرحة الأول والثالث والرابع أن تتطابق من حيث الحجم بمتوسط ٦,٤٠م[٢] من الخارج، و٤,٢٧م من الداخل. أما الثانى فهو أكبر من الآخرين ويضم محرابين صغيرين. وتتكون جميعها من ثلاثة طوابق، طابق سفلى مربع بعقد مفتوح فى وسط كل واجهة، ومنطقة انتقالية بينها نافذة فى وسط كل واجهة، ورقبة مثمنة بها نافذة فى وسط كل واجهة. ويتراجع كل من الطابقين العلويين من الخارج، وهو تأثير ناتج عن نقص تصاعدى فى سمك الجدران. وتفصل بين هذه الطوابق من الداخل والخارج حليات مستطيلة صغيرة. وفيما يلى أبعادها الرئيسية:

	الأول	الثانى	الثالث	الرابع
القاعدة من الخارج	٦,٤٣	٧,١٠	٦,٤٤	٦,٣٠
القاعدة من الداخل	٤,٢٩	٤,٨٤	٤,٢٩	٤,٢٤
ارتفاع الطابق الأول×	٣,٨٠	٤,٥٠	٣,٧٠	٣,٥٥
ارتفاع الطابق الثانى	١,٦٣	١,٩٥	١,٧٩	١,٧٧
ارتفاع الطابق الثالث	–	١,٦٤	١,٦٦	١,٥٧
تراجع الطابق الثانى	٠,٣٣	٠,٣١	٠,٤٩	٠,٤٦
تراجع الطابق الثالث	٠,٣٢	٠,٣٤	٠,١٦	٠,٢٠

× من مستوى الأرضية الحالي

تتكون مادة بناء الطابق السفلى من حجر التلاتات أو كتل مكسوة بطريقة غير مستوية وصغيرة الحجم من أحجار المقطم الجيرية وتشبه الكتل الموجودة بأسوار جامع الحاكم وخضرة الشريفة وجامع الجيوشي. وحجم البناء كما يلي:

الأول : ٥,٧٥ مدماك بكل متر ٣٤ – ٣٩ × ١٣ – ١٨سم

الثانى : ٦,٥٠ مدماك بكل متر ٣٢ – ٤١ × ١٥ – ١٨سم

الثالث : ٦,٠٠ مدماك بكل متر ٣٣ – ٤٢ × ١٧ – ٢٠سم

الرابع : ٦,٥٠ مدماك بكل متر ٣٠ – ٤٢ × ١٥ – ٢٤سم

وتآكلت بعض الترقيعات الضخمة فى بعض المواضع وقامت اللجنة بترميمها (وفى حالة الضريح الثاني، تمت الاستعانة بمزيج من الآجر والحجارة). وفى الطابق السفلي، يتوسط كل جانب منه فتحة ذات عقد مدبب من النوع ذى المراكز الأربعة. وتتكون صنجات عقود الأول والثالث من لبنات وأحجار مجانبة تبادليا؛ وتتكون فى كل من الثانى والرابع من أحجار مجانبة فقط (وعمق الصنجات ٢٧، ٤٠، ٣٥، ٤٠سم على التوالي). وهناك حلية مستطيلة تجرى دائريا فى الداخل والخارج فوق تيجان هذه العقود مباشرة. وتتكون الحلية

فى الأول من لبنات بارزة من الآجر وضعت مسطحة وغطيت بطبقة سميكة من الملاط. ويبدو أن ذلك ينطبق كذلك على الرابع، إلا أنه عانى أضرارا بالغة وتم ترميمه. وفى الثاني، تتكون نفس الحلية من الملاط فقط، ولعل ذلك من عمل اللجنة.

تأتى المنطقة الانتقالية فوق ذلك مباشرة. ويقل من الداخل ليصبح مثمنا بأربع حنايا ركنية بين كل منها والأخرى نافذة معقودة مدببة بنفس الحجم والتخطيط الخاص بالحنايا (لوحة ٣٤). وتتراجع عقود كل من الحنايا والنوافذ الى الوراء وترتكز على الحلية المستطيلة التى تحدثنا عنها لتونا. إلا أن الشكل المربع خارجيا تم الاحتفاظ به، أما واجهاته الأربع فتتراجع الى الوراء لأن الجدران أقل سمكا هنا.

بنى هذا الطابق والرقبة المثمنة التى تعلوه من الطوب الأحمر الداكن الصغير الحجم. وتتألف عقود النوافذ من لبنات وأحجار مجانبة تبادليا بحلقة من الآجر ككسوة وضعت مسطحة فيما عدا فى الثالث حيث نجد أحجارا مجانبة فقط، والثانى حيث لا نجد حلقة كاسية. وهناك حلية مستطيلة من اللبنات الآجرية المكسوة بالملاط تجرى حول قمة هذا الطابق من الداخل والخارج.

وتقوم المنطقة الانتقالية بدعم رقبة مثمنة ذات حلية مستطيلة على القمة ونافذة في مركز كل واجهة. وتتميز هذه النوافذ بالشكل الغريب لعقودها (لوحة ٣٤هـ، وتم ترميم النوافذ فى الثالث والرابع، أما ما بقى منها فى الثانى فهو سليم. واختفت الرقبة فى الأول تماما)؛ وهى تشبه من هذه الناحية نظيراتها بمنشأة صغيرة بنيت بعد قرن تقريبا بمدافن أسوان (لوحة ٧٨). ومما يؤسف له أن القبة التى ترتكز على هذه الرقبة المثمنة دمرت تماما فى كل حالة. ويحتفظ كل ضريح ببقايا مهمة من الجص الذى يكسو الجزء الداخلى والى درجة أقل على الجزء الخارجى من الطوابق الثلاثة جميعا.

كل ضريح يقع فى حوش

ظهر فى عام ١٩٤٤ اكتشاف مهم، حيث قررت اللجنة القيام بعمليات تنقيب للبحث عن أية بقايا من الأضرحة الثلاثة. ويكسو سطح الصخرة هنا حوالى نصف المتر من الحصى وبقايا الحجارة. وسرعان ماكشف التنقيب عن القواعد المربعة لضريحين آخرين، مما أدى الى مد الصف باتجاه شمال شرق على نفس الخط تقريبا؛ إلا أن أعمال الحفر على كلا الطرفين فشلت فى كشف أى أثر للسابع.

وتم اكتشاف آخر غير متوقع، حيث وجد أن كل ضريح يقوم فى حوش خاص به عبارة عن مساحة مربعة تشبه الضريح بمدخل فى وسط الجانب الشمالى الغربى (شكل ٤٨). وتم العثور على الأسكفات سليمة والجدران -التى تتفاوت فى سمكها من ٧٣سم الى ١م ولاتزال تحتفظ بغطاء من الجص- قائمة الى ارتفاع ٥٠سم تقريبا وتتساوى حوافها العليا تقريبا فى مستواها مع المستوى الحالى للأرضية. وتتباعد الأضرحة الأربعة التى لاتزال قائمة بمسافات قليلة فيما بينها (تتفاوت الأبعاد من ١٠,٨٠ الى ٢٠,١٥ سم). ولكن باضافة أحواشها، يصبح الفاصل بينها ٤م فيماعدا فى حالتى الثانى والثالث حيث تبلغ المسافة ١٠,٦٠م.

تاريخ بناء الأضرحة

هذه الأضرحة الأربعة التى كان عددها فى الأصل سبعة كما يتضح من اسمها كانت تعرف باسم «القباب السبع» بآخر القرافة الكبرى كما يذكر المقريزى (جـ٢، ص٤٥٩) الذى يستشهد بابن سعيد المغربى فى قوله انها مشاهد سبعة أشخاص من أسرة المغربى (انظر المقريزي، جـ١، ص١٥٧-١٥٨) قتلوا بأمر من

الخليفة الحاكم أخذا بالثأر بعد فرار الوزير أبي القاسم الحسين ابن علي المغربي الى مكة (وكان وزيرا لنصر الدولة أبي النصر أحمد الحاكم المرواني الى ميافارقين في سنة ٤١١هـ). ووقعت هذه المذبحة حسب رواية ابن خلكان في سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م، جـ١، ص٢٢١). لذا، نعتقد أن هذه الأضرحة تنتمي لعام ٤٠٠هـ(٢١٨) (١٠١٠م).

الأصول المعمارية

كان مجرد كوم من الحجارة كافيا للإشارة الى موقع مدفن في الجزيرة العربية قبل الهجرة(٢١٩). واستمر ذلك في الفترة الأولى من ظهور الإسلام، وحتى قبر فاطمة بنت محمد كان مجهولا (Lammens, *Fatima et les filles de Mahomet*, 119). ثم تحول الأمر الى سنّة، حيث تنص الأحاديث النبوية الأولى على أن النبي نفسه كان يحظر إقامة أي بناء فوق القبور (٢٢٠) (أحمد بن حنبل، المسند، القاهرة، ١٣١٣هـ، جـ٣، ص٣٣٩). من هنا جاء هدم الوهابيين لعدد من المقابر والأضرحة بالمدينة [بالبقيع] في سنة ١٨٠٣ وقيام ابن سعود بهدم ما يقرب من ٢٥ ضريحا أقيمت بدلا منها.

ولإثبات صحة هذه الأحاديث، لانحتاج إلا للاستشهاد بالنقش الموجود على قبر ذي النون المصري مؤسس التصوف في مصر والذي توفي في سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م) ودفن بالقاهرة بجبانة سيدي عقبة جنوب شرق ضريح الإمام الشافعي. ويحتوي النقش على مايلي: «طلب بمحض إرادته الصادقة ألا يقيم أحد شاهدا على قبره ولايبني قبة عليه» (Massignon, "Seconde note sur l'état d'advancement des études archeologique Arabe en Égypte," *B.I.F.A.O.*, IX, 91-4).

أما الخلفاء العباسيون الأوائل، فلم يشاءوا أن يُستدل على مكان قبورهم(٢٢١). فعندما توفي المنصور مثلا، تم حفر مايزيد على مئة قبر للتمويه (ابن الأثير، جـ٤، ص١٣). وحدث أول انتهاك لهذه السنة التي تقضي بعدم إقامة أبنية فوق الأضرحة في أواسط القرن الثالث الهجري(٢٢٢)، إذ يقال ان الخليفة المنتصر حين توفي في ربيع الثاني ٢٤٨هـ (٨٦٢م)، حصلت أمه اليونانية (زوجة الخليفة المتوكل) على إذن باقامة ضريح له يعرف «بقبة الصليبية» (الطبري، جـ٣، ص١٤٩٨). ويتكون من غرفة مربعة (مثمنة من الخارج) تغطيها قبة على مقرنسات، ويحيط بها رواق مسقوف مثمن الشكل. وهناك باب في وسط كل جانب من جوانب الغرفة المربعة والرواق المثمن. ولاتحتوي هذه الأبواب حاليا على أية أطر للمداخل، مما يجعلنا نستنتج أنها لم تكن مغلقة بأبواب. أي أن الضريح كان مفتوحا على الدوام للشمس والريح والمطر. فكان قبرا كانوبيا في حقيقة الأمر. وما أن بدأت مخالفة الأحاديث النبوية، حتى استمرأها الناس؛ فتم دفن الخليفتين التاليين المعتز والمهتدي تحت أرضية نفس هذا الضريح (الطبري، جـ٣، ص ١٤٩٨).

والضريح الثاني من الناحية التاريخية هو ضريح اسماعيل الساماني ببخارى (توفي ٢٩٥هـ/٩٠٧م)، وهو مكعب مغطى بقبة وبه باب في كل واجهة. وهو بلا أطر للمداخل أيضا، مما يدل فرضا على أنه كان مفتوحا دائما؛ أي أنه كان قبرا كانوبيا أيضا.

وفي نفس هذا التاريخ تقريبا، نعلم أن أبا الهيجاء عبدالله الحمداني الذي توفي في سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) بنى قبة كبيرة على أربعة جوانب ولها باب في كل جانب (أي أنه مجرد مكعب له قبة ومفتوح الجوانب) وقبة أخرى ذات أربعة جوانب مفتوحة فوق قبر الإمام علي بالنجف (ابن حوقل، ص١٦٣). وتلي ذلك القبة التي بنيت في قم في سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) فوق قبر محمد بن موسى الذي توفي في ٢٢ ربيع الأول ٢٩٦هـ (١٩ ديسمبر٩٠٨م). ثم أعقب ذلك بناء أربعة قبور كانوبية صغيرة جنوب الفسطاط وسبق وصفها.

ولكن من أين جاء هذا النوع «الكانوبى»(٢٢٣) من الأضرحة؟ نبدأ أولا بتقديم صورة موجزة عن مختلف أنماط الأضرحة المعروفة فى الشرق قبل الإسلام بما فيها تلك المنحوتة فى الصخر.

مع أن القبة هى الغطاء السائد للأضرحة فى العالم الإسلامي، إلا أنها لم تكن القاعدة السائدة فى الشرق القديم -فى مصر مثلا- حيث كانت المصطبة والهرم هى الأشكال المعمارية السائدة. وفى بلاد فارس، هناك ثلاثة أضرحة معروفة، هى قبر قورش فى بزارجاد والقبر البرجي المسمى قبر زردشت فى نقش رستم. والثالث مماثل له فى بزارجاد ولكنه فى حالة سيئة للغاية. ويتكون الأول (قبر قورش) من حجرة صغيرة بنيت من كتل ضخمة من الحجر على قمة قاعدة مدرجة ويعلوه سقف جمالونى من الحجر. ويقوم فى فناء تحيط به صفوف من الأعمدة لم يبق منها سوى عمود أو اثنان. وفى الشام وفلسطين وما وراء نهر الأردن -عدا المقابر المنحوتة فى الصخر- نجد ستة أنواع من الأضرحة على النحو التالي:

١ . آثار ثنائية الأعمدة وفيها يعلو القبر عمودان يربط بينهما سطح قائم على أعمدة. ولم يدم هذا النمط الى مابعد القرن الثانى الميلادي؛

٢ . المقابر البرجية وتشتهر بصورة خاصة فى پالميره [تدمر] حيث نجد برجا من عدة طوابق ومزخرف بالنمط الكلاسيكى يعلو مدفنا تحت الأرض (انظر Wood, Robert, *The Ruins of Palmyra*, 49-50) . وهناك أيضا مقابر برجية مستديرة اثنان منها فى بصرى .

٣ . قاعدة مربعة مكعبة الشكل تحتوى فى الغالب على غرفة دفن وضع عليها ناووسان فى العراء (وأمثلتها فى الجوانية وتلتيته وكفر مارس وخربة فارس) . يقول بتلر: «عادة ما تحتوى مدافن نواويس جبل ريحة المرتفعة غرفة دفن داخل القاعدة أسفل الناووس ... وتضم غرفة الدفن عقودا زخرفية على ثلاثة من جوانبها، ويحتوى الجانب الرابع على مدخل باب» (Butler, *Architecture*, 108) ؛

٤ . مقابر كانوبية وسيلى شرحها فيما بعد؛

٥ . غرفة مكعبة يعلوها هرم مدرج (وأمثلتها فى ربيعة وتلتيلة والبارة ومعراتة) وفى حالات نادرة تعلوها قبة؛

٦ . أضرحة على شكل معبد صغير (وأمثلتها فى خربة حاس وسرجيلة ورويحا) .

المقابر الكانوبية

نعود الآن الى المقابر الكانوبية. يقول بتلر: «هناك ثلاثة أنواع من المقابر الكانوبية، ١ . نوع محمول على أعمدة وعوارض؛ ٢ . نوع يرتكز على عقود؛ ٣ . المزج بين المقبرة الكانوبية والنواويس المرتفعة من النوع الكلاسيكى الذى أشرنا اليه فى رقم (٣) منذ قليل» (Butler, 108) . ومن النماذج الرائعة للنمط الأول مانجده فى دانا؛ ويتكون من قاعدة مربعة على أركانها أربعة أعمدة تحمل سقفا هرميا منخفضا. وينسبه بتلر تاريخيا الى القرن الثالث الميلادى (Butler, 73-74) . وهناك نموذج رائع آخر قام بنشره كومونت ويقع بالقرب من قرية أسر (*Études Syriennes*, p. 210 ، الشكلان ٧٨، ٧٩) بالمنطقة التى تقع الى الشمال من Araban chai قبل أن تسقط فى الفرات فوق «روم قلعه» (وكانت هذه المنطقة جزءا من كوماجين القديمة، ويمكن الوصول اليها من حلب عن طريق عين تاب ومرعش) . وهناك منصة عالية مجوفة بأربع دعامات ركنية مزخرفة بأزواج من الأعمدة المستطيلة الكورنثية. وترتكز على هذه الدعامات عوارض تحمل سقفا هرميا مجوفا إطاره الخارجى مقوس ومقعر (شكل ٤٩) . وهناك قريتان هما حسن أوغلو (Alif.) بنفس المنطقة وبهما نماذج رائعة من النمطين ٢ و ٣.

ويتكون ضريح حسن أوغلو (شكل ٥٠) من أربعة عقود مفتوحة ترتكز على منصة مربعة ارتفاعها ٢,٥٠م تقريبا بطنف بارز. وينبت كل عقد من عمود مستطيل مضلع بتاج كورنثي. وهناك أعمدة مستطيلة أطول فى الأركان الخارجية تحمل السطح الذى يعلو العقد (Cumont, p. 204). واختفى السقف الذى كانت تحمله هذه العقود الأربعة. ولكن يفترض أنه كان هرميا أجوف كما هو الحال فى الأضرحة الموجودة فى أسر و (Alif). وكانت المنصة الجوفاء العالية تحتوى على غرفة للنواويس. وضريح Alif شبيه بذلك بيد أننا هنا لا نجد سوى ثلاثة جوانب مفتوحة، والرابع مغلق بجدار به باب صغير (Cumont, p. 208). وتحمل العقود والسطح أعمدة كورنثية مستطيلة؛ والصف السفلى من السطح فقط هو الذى لايزال قائما فى مكانه، إلا أن هناك بقايا محفورة بثراء متناثرة على الأرض. ولحسن الطالع أن السقف ظل سليما فى جزء منه –وهو قبو متقاطع – وكان بلاشك يحمل سقفا هرميا أجوف. والأرجح أن هذين الضريحين ينتميان الى نفس الفترة بحكم تشابه حلياتهما وتاجيهما. ومما يؤسف له أن أيا منهما لايحمل تاريخا، إلا أن هناك سمات نقش يونانى لاتزال محفوظة جزئيا على الأول، مما حدى بكومونت الى افتراض أنه يرجع الى أوائل القرن الثانى الميلادى (Cumont, p. 204).

وهناك ضريح آخر شبيه فى نمطه بالضريحين اللذين سبق وصفهما فى براد بجبل سمعان على بعد ٢٥ ميلا تقريبا شمال غرب حلب، ومساحته ٦م^{2} تقريبا، ويتكون من نفس العناصر التى يتكون منها ضريح حسن أوغلو وضريح Alif فيما بيد أنه يفتقر الى الأعمدة الكورنثية والسطح القائم على أعمدة. ودعاماته الركنية منخفضة للغاية. وتحمل العقود الأربعة سقفا هرميا أجوف لحجر تاجى متناغم. وبداخل المنصة المرتفعة، نجد غرفة بها فجوتين معقودتين (شكل ٥١). ويعتقد بتلر أن الناووسين الكبيرين الراقدين على الأرض حاليا كانا فى الأصل موضوعين تحت الظلة. ويعتقد كومونت أيضا أن هناك ناووسا كان موضوعا على منصة الضريح القائم فى ألف ويقول: «ليس من المستغرب أن نجد بالشام نواويس مكشوفة فى العراء أو تحت ظلة بسيطة من الحجر بدلا من أن تكون مغلقة فى قبو. وتحفظها متانة جوانبها وثقل أغطيتها من التدنيس» (Cumont, p. 209). ويذكر الضريحين الغربيين فى كوكنايا (de Vogüé, *Syrie centrale*, p. 119) حيث وضع ناووسان جنبا الى جنب تحت سقف هرمى أجوف من الحجر يرتكز على ثمانى دعامات متماثلة تحمل جزءاً مستطيلاً (شكل ٥٢). وتتضمن احدى هاتين المقبرتين الكانوبيتين تاريخا يوازى سنة ٣٨٤م.

وهناك مقبرة تماثل مقبرة براد بالجوانية، وعلياه تاريخ يوازى عام ٣٩٨م (Butler, p. 109). وهناك نموذجان فاطميان آخران لنموذج السبع بنات (بأرقام ١٧ و٣٣ لدى مونيريه *La Necropoli musulmana di Aswan*, Fig. 5). ونجدهما بجبانة أسوان المتميزة (انظر اللوحتان ٤٠أ، ب). وهناك ضريحان آخران بالقاهرة من القرنين الرابع عشر والخامس عشر : ضريح الأمير تنكزبغا (٢٢٤) (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) بالجبانة الشمالية [منشية ناصر شرق القاهرة] عند سفح المقطم (Mehren, *Cahirah og Kerafat*, I, p. 65) وضريح (لم ينشر) فى حوش الأسرة، وينتمى الى ضريح السلطان برسباي. وبني الأخير فى سنة ٨٣٥هـ (١٤٣٢م)(٢٢٥).

وأعتقد أن نمط السقيفة [المظلة] اتبع فى الأضرحة الأولى للتوفيق بين مقتضيات الأحاديث النبوية وبين الرغبة فى بناء مقابر تذكارية. وربما كان هناك احساس بأن الضريح تحت ظلة مفتوحا تحت الشمس والريح والمطر لا يخالف الأحاديث النبوية لدرجة كبيرة. كما أن المقابر الكانوبية كانت موجودة بالفعل بالشام فى العصر الهيلنستي. ومسألة بناء والدة أحد الخلفاء، وهى يونانية، لأول ضريح فى العالم الإسلامى تمثل حلقة

الوصل بين الأضرحة الهيلنستية والعالم الإسلامي(٢٢٦).

ولكن سرعان ما برزت الحاجة الى وجود محراب. وفى أحد أضرحة السبع بنات، نجد محرابا صغيرا جدا (لوحة ٣٤ء) محشورا على كل من جانبى العقد القبلى. ولم يكن ذلك كافيا. وكانت الخطوة التالية اغلاق جانب القبلة لتوفير مساحة للمحراب كانت الأضرحة السابقة تفتقر اليها. ولدينا نموذج على هذا النمط بالقاهرة فى ضريح محمد الحصواتي، وسبعة نماذج بأسوان (بأرقام ١٠، ١٢، ٢٠، ٢٣، ٤٢، ٤٧، ٥٠ لدى مونيريه). وكانت الخطوة التالية والأخيرة تتمثل فى اغلاق الجوانب الأربعة جميعا مع ترك مدخل واحد فقط تجاه المحراب.

مسجد لؤلؤة(٢٢٧) (٤٠٦هـ / ١٠١٥ـ ١٠١٦م)

وصف المسجد

إن الجزء المتبقى حاليا من بناء يعرف بقبر لؤلؤة بنت المقوقس لا يقل تميزا عن اسمه الذى يحتفظ بذكرى غامضة للمقوقس زعيم القبط الذى يرى بتلر أنه هو نفسه سيروس بطريرك الاسكندرية فى زمن الفتح، وهى وجهة نظر يسلم بها لين بول (*History of Egypt in the Middle Ages*, 5). ويقع بالقرب من المقطم الى الشرق قليلا من جامع اخوة سيدنا يوسف على مايعد الآن قمة صخرة نظرا لعملية التحجير التى تنفذ من حوله (انظر Frith, *Lower Egypt, Thebes and the Pyramids*) إلا فى شق ضيق يتم الوصول اليه عبره من ناحية الغرب (لوحة ٣٥، شكل ٥٣). وتتكون البقايا من حجرة سفلية معقودة بقبو برميلى عرضها ٤,٨٢م وعمقها ٣,٢٣م وارتفاعها ٦م تقريبا وبواجهة ثلاثية العقود. والعقد الأوسط أعلى من العقود الجانبية. وكانت تعلوها حجرة معقودة بنفس الطريقة وبنافذة مستطيلة فى الجانب الشمالى الغربي، إلا أن الواجهة الأمامية بأكملها ومعها القبو إنهارا على أثر هطول أمطار رعدية غزيرة فى ربيع ١٩١٩. ويمكن أن نرى فوق هذه الحجرة بقايا حجرة ثالثة أو حجرتين(٢٢٨). ويبدو أن هناك جدارا فاصلا فى الوسط. وبالحجرة اليمنى نافذة تفتح على الجنوب الشرقي. واختفى الجدار الخلفى للحجرة الأخرى تماما تقريبا، وربما كان قائما بنفس الطريقة.

وفى الحجرة السفلية محراب ضيق طويل بلا إطار وخال من أية زخارف وعرض فجوتها ٩٠سم وعمقها ٧٢سم وارتفاعها ٣,٥م (لوحة ١١٥ جـ). ومن السمات الغريبة التى تميز الحجرة السفلية أنها نحتت فى الصخر جزئيا، وهو الجزء السفلى فى الشمال الشرقي. والجزء الآخر بالجدار الجنوبى الشرقى بين الزاوية الشرقية والمحراب من الصخر. ويبدو أنها حين بنيت، كانت تلامس قاع منحدر المقطم كما هو الحال فى ضريح إخوة يوسف. وبالحجرة العليا محراب خال من الزخارف أيضا وبحافة مجوفة مستديرة. ولم يكن هناك بالتالى جذع ركنى لأى من المحرابين. ويجرى نتوء المحراب المستطيل على الواجهة الخلفية بارتفاع المبنى بأكمله. وعلى كل من جانبى المحراب العلوي، نجد نافذتين صغيرتين وضعتا بأعلى الجدار. وتنحدر الحواف السفلية الى أسفل بزاوية مقدارها ٦٠ْ تقريبا، مما يعد خاصية غير مألوفة فى مصر (والنماذج الأخرى التى أذكرها فى برج السلم بجوار باب الفتوح وفى تربة أبى منصور إسماعيل ٦١٣هـ/١٢١٦م).

ويمكن دخول الحجرة السفلية من باب مكسور على الجانب الجنوبى الغربي. لكن الأرجح أنه كان يتم الدخول اليها فى الأصل بعقد ثلاثى موجود حاليا على حافة واجهة أفقية لصخرة. وفوق المدخل الحالي، هناك نافذة مستطيلة وأخرى صغيرة جدا فوقها. ويبدو أن الجدار كان يستمر حتى النقطة (أ). أما عند النقطة

(ب)، فكان يتوقف على بعد ١,١٨م من الواجهة الخارجية للحرم. وتبدأ عند هذه النقطة قطعة من جدار سمكها ٥٠سم تقريبا وبزاوية. ويبدو أن عقدا صغيرا كان يعلوها.

وقبل انهيار الواجهة والسقف بالحجرة العليا كان يمكن الصعود اليها من ثقب بالقبو السفلى فى الزاوية الى يمين المحراب؛ إلا أن جزءا كبيرا من الجزء المنهار انحشر فى مكان حرج على جانب من هذا الثقب، مما يجعل أية محاولة للصعود محفوفة بالمخاطر. وهناك محراب (لوحة ١١٥ء) بهذه الحجرة أيضا. ونرى على الواجهات الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية أسطحا مصقولة ناعمة بلافاصل بنائي. ويتضح أنها كانت هى حدود المبني. ويصعب القول بأن عملية ترميم أجريت على الجانب الشمالى الغربى من المبني؛ كما يصعب تخمين المكان الذى كان السلم يقع فيه والذى كان يستخدم فى الصعود الى الطابق العلوي.

مادة البناء

استخدمت فى بناء الطابق الأول كتل مكسوة بطريقة عشوائية (تلاتات) من الحجر الجيرى المستخرج من المقطم والقلب من الدبش بأحجام متوسطة. ويتراوح حجم اللبنات بين ١٥ و٢٠سم، والأحجار الجانبة بين ٤٢ و٥٠سم، والصفوف الستة = ١,١٠م. وتتميز حشوات الأسمنت بالسمك المميز. ووضعت الأحجار بصورة دقيقة وكسيت بنفس الدقة على واجهتها الخارجية، إلا أنها وضعت وكسيت بطريقة شديدة العشوائية من الداخل. فالبناء إذن يعد أقل جودة اذا قورن ببناء جامع الجيوشى أو جامع خضرة الشريفة. وكان القصد من التشطيب العشوائى للجزء الداخلى أن يكون مختفيا وراء كسوة من الجص. وهناك الآن طبقتان أو ثلاث فى بعض المواضع ولكن ليس هناك أثر لأى نوع من الزخرفة. وكل الأقبية والجدران التى تعلو الطابق الأول من الطوب الأحمر القاني، ويميل بعضه الى السواد. ونرى تغير المواد بوضوح من الخارج. وتحول الكسوة الجصية دون رؤية الطريقة التى تم بها رص طوب القباء.

يتكون العقد الأوسط من الواجهة -والذى يخلو تماما من الجص- من الخارج من حلقة من لبنات الطوب وضعت مستوية مع حلقة خارجية من الصنج الحجرية وضعت على هيئة مشعة، وهو عكس التكوين المألوف فى تلك الحقبة. والمنحنى الداخلى والواجهة الداخلية من الآجر. وبهذا يكون لدينا حالتان من الخروج على المألوف: وضع الحلقات وخلط مواد البناء. والعقود الجانبية على قدر ما تسمح به الرؤية بنيت من الطوب أيضا، وعقد المحراب السفلى من الحجر، ويشبه فى تخطيطه عقد الواجهة الأوسط.

تاريخ البناء

يقول ابن الزيات إن جامع اللؤلؤة كان منهارا وأن الحاكم حين عرف فضائله قام بترميمه فى سنة ٤٠٦ هـ وسماه «اللؤلؤة»، وأن الجامع يقع بالقرب من مقام الياس أخى شيبان الراعى (الكواكب السيارة، ص١٤). ويقول المقريزي: «(اللؤلؤة): هذا المكان مسجد فى سفح الجبل باق الى يومنا هذا كان مسجدا خرابا فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة قيل كان بناؤه فى سنة ست وأربعمائة وهو بناء حسن» (جـ٢، ص٤٥٦).

مدخل زيادة جامع الحاكم

(٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦م)

كان باتريكولو أول من لفت الانتباه فى عام ١٩١٩ الى هذا البناء الغريب المستتر على الجانب الشرقى من شارع باب الفتوح الى الجنوب من جامع الحاكم بحوالى ٦٠م. وأشار (فى معرض حديث خاص مع

المؤلف) الى إن المنشأة التى تعرف اليوم بزاوية أبى الخير الكليباتى(٢٢٩) ربما كـانت من أصل فـاطمى بناء على شكل عقوده ذات المراكز الأربعة.

كان بناؤه فى ذلك الوقت فى حالة متدهورة، ولم يكن جانبه الجنوبى الغربى تم كشفه بعد. وبالإضافة الى ذلك كانت أرضيته تعلو الأرضية الحالية بحوالى مترين. ومنذ ذلك الحين، أنفقت ٨٠٠ جنيه استرلينى على إزالة الأنقاض وتخليص الجانب الجنوبى الغربى وتجديد بنائه الذى تم فى بعض المواضع وبلغ منابت العقود.

وصفه: هناك مدخل منخفض بمصاطب على اليمين واليسار، ويغلف الجميع فسحة ثلاثية معقودة ويفـتح على سلم حديث يهبط مسـافة ٢,٣٠م . ونجد أمامنا الواجهـة الشمـالية الغربية للمبنى التى نبحث عنهـا، والفارق بينها وبين حذى الشارع ١٢° تقريبا (شكل ٥٤، لوحة ٣٦). وعلى الرغم من دخول جانبه الشمـالى الشرقى ضمن بيت من أربعة طوابق، إلا أنه من السهل أن نرى أننا أمام كتلة مستطيلة عرضها ١٢م وعمقهـا ٨,٥م تقريبا. وتخترق كلا من واجهتيه عقود ذات تجاويف مزدوجة على جانبيها حشوتان. ويبلغ عمق الصنج الموجودة على العقد الخارجى ٥٠سم، وتحيط بهـا حلية عرضـها ١٧سم، مما يجعل العمق الاجمـالى ٦٧سم. وتقع قمة هذه الحلية الخارجية على ارتفاع ٨,١٥م من الأرضية، وتدور هذه الحلية ثم تسير أفقيا عند النقطة التى يبدأ عندها ذلك الجزء من العقد القائم على ركائز. وتعلو حافتها السفلية عن الأرضية بستة أمتار، وتحتها إفريز خشبى يسير دائريا مع حافتها السفلية على ارتفاع ٤,٥م من الأرضية. بعبارة أخرى، فإن البناء يبدو وكأنه بناء كلاسيكى رباعى البوابات، ولو أنه ليس هناك ما يوصف بالكلاسيكية فى شكل عقوده؛ فـهى من الطراز الفاطمى المبكر ذى المراكز الأربعة قبل أن تتخذ **شكل العقد المنكسر الصارم**(٢٣٠). والدعـامات التى تدعم هذه العقود مزخرفة بحشوات صماء على واجهاتها الخارجية، مما يذكرنا بجانبى المدخل التذكارى للجامع.

ويختلف العقد الجنوبى الشرقى عن بقية العقود؛ فهو مجوف مرتين. وهناك عقد داخلى يعلو أسكفة كبيرة. ووراء ذلك نجد قبوا اسطوانيا طوله ٦م تقريبا ويتميز بالميل نحو محور البناء الرئيسى بسبب القبلة. ومن الواضح تماما أن هذا الجزء المائل الذى يمثل مصلى صغيرا ويحتوى على نصب للكليباتى كان مضافا؛ فهناك فاصل ظاهر عند النقطة (أ) بين بناء العقد وبناء القبو من ورائه. ويستمر هذا الفاصل الى أسفل لمسافة ٦٠سم تحت منبت العقد ثم يتوقف. ولاشك أنه كان فيـما مضى يستمر حتى مستوى الأرضية، إلا أن البناء بأكمله تم تجديده هنا بحيث أن الجزء الذى ينبت منه العقد يتحد مع الجزء الذى يدعم القبو. وبجدار القبلة ثلاث نوافذ عالية، مما يمكننا من قياس سمكه (٧٥سم).

وهناك حلية عرضـها ٢٤سم تسير دائريا حول الدعامات بارتفـاع ٧٠سم من الأرضيـة. ويتدلى البناء على قمة الدعامات أسفل منبت العقود مباشرة. ويبلغ الجزء المتدلى ٥٠سم تقريبا بحيث نضطر الى افتراض أنه كان يدعمه فى كل حالة عمود أو زوج من الأعمدة كما هو الحال تحت قبة جامع الحاكم (لوحة ٢٠أ) ولو أنه لم يتم العثور على بقـايا منها بين الركام على عمق مترين تقريبـا. وتمت إزالته للهبـوط الى مستوى الأرضية الأصلي. كمـا أنه من المفاجئ أيضا أن الحلية المذكورة منذ قليل كان يجب نحتها، فالأرجح أنها كانت تـسير وراء كل هذه الأعـمدة المفترضـة. وعلى الجزء السفلى من هذا الجزء المتدلى كانت هناك بقايا إفريز خشبى عرضه نصف المتر تقريبا، والحافة السفلية منه على ارتفـاع ٤,٥م تقريبا من الأرضية. وتم ترميم هذه الأجزاء كـما هو موضح باللوحة (٣٦)؛ إلا أن اللجنة قـامت بمده حول الجزء الداخلى من البناء بأكمله، بل حول

الخارج أيضا. ويساورنى الشعور بأن كل ذلك خطأ، ولو أنه لم يعد من الممكن مساءلة من قاموا بالعمل.

وسنرى فى التخطيط أن هناك بين العقود الأربعة فسحة وسطى مساحتها ٣,٥٠ × ٦م بقيت دون تسقيف. ولاشك أنها ناتجة عن قبو اسطوانى مستعرض. ولكن فى تاريخ لاحق انخفضت هذه الفسحة الى مربع مساحته ٣,٥م على كل ضلع عن طريق إضافة عقد من الآجر عرضه ٧٠سم الى اليمين واليسار وينبت من كوابيل حجرية؛ وبالتالى فالمربع الناتج تغطيه قبة ضحلة على مثلثات كروية لها نفس نصف القطر.

ننتقل الآن الى فحص الجناح الجنوبى الغربي. ونلاحظ هنا حشوتين (p2, p3) وتشبهان الحشوة (p1) من حيث العمق ولكنهما أضيق. ولم نتمكن من تحديد الارتفاع الأصلى لهذه الحشوات. وتم ترميمها من حيث البناء وحتى مستوى الإفريز الخشبى الذى يعد البناء فوقه فى حالة من الدمار تجعل من العسير أن نخرج بمعلومات منه عدا بالنسبة للحشوة (p2). والمكان معتم تماما هنا، ولكن باستخدام السلم، يمكن التعرف على المداميك المنحوتة الثلاثة بالجزء السفلى من النصف الأيسر لشبه قبة ضحلة زال نصفها الأيمن. وتتوافق الحافة السفلية من المدماك السفلى مع الحافة العليا للإفريز الخشبي.

وعند النقطة (ب) كان هناك جدار من الدبش يبلغ ارتفاعه ٤م تقريبا وسمكه ٨٥سم. وتمت إزالته حاليا. ووراءه وعند النقطة (جـ) نجد جدارا آخر من البناء الجيد. والمداميك السفلية الخمسة به تتوافق تماما مع نظيراتها فى البوابة الرباعية. وفوق ذلك، هناك دبش، إلا أن البناء الجيد يبدو مرة أخرى فى الأجزاء الأعلي، ولو أن هذه المداميك الظاهرة لاتتفق تماما مع نظيراتها بالبروز. ويتضح كل شئ الآن؛ فالبناء الذى نتحدث عنه هو مدخل تذكارى ناتئ بمسافة ٨,٥م من منشأة كل ما تبقى منها جدارها الخارجي (جـ).

الهوية والتاريخ

أمكن التعرف على هوية هذا المبنى بفضل المقريزي، جـ١، ص٣٧٥) الذى يصحب القارئ فى جولة تخيلية عبر الشريان الرئيسى [القصبة] للقاهرة فى العصور الوسطى من باب زويلة وحتى باب الفتوح ويذكر كل أثر يمر به. فيذكر جامع الأقمر والحارة التى تقع الى الشمال منه وتؤدى الى خانقاه بيبرس الجاشنكير بالجمالية؛ ثم الى اليسار مدخل الى حارة برجوان (التى يقع بجوارها جامع السلحدار)؛ ثم سوق المتعيشين التى كانت تسمى سوق أمير الجيوش. وعلى الجانب الأقصى من هذه السوق الى اليمين، كانت هناك حارة سد (لاتزال موجودة). والى اليسار طريق يؤدى الى سويقة أمير الجيوش (سوق مرجوش حاليا) وتؤدى بدورها الى باب القنطرة (انظر شكل ٨). واذا واصلنا شمالا، نجد جمالون ابن صيرم (من الواضح أنه سوق ذات سقف جمالوني). وتقوم هناك المدرسة الصيرمية (بنيت فى سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، انظر المقريزي، جـ٢، ص٣٧٨). وعلى طرف الجمالون، الى اليمين، كان المدخل الى زيادة جامع الحاكم، وتليه إحدى بوابات جامع الحاكم. بدأت هذه الزيادة على يد الخليفة الظاهر الذى حكم من ٤١١ الى ٤٢٧هـ (١٠٢١-١٠٣٦م)، إلا أنها ظلت غير مكتملة الى أن قام بإكمالها السلطانان الصالح نجم الدين (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) والمعز أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ /١٢٥٠-١٢٥٧م)[٢٣١]، القلقشندي، جـ٣، ص٣٦٤). وهذا الوصف يساعدنا تماما، لأن شكل العقود وتناوب الصنج لكتلة وكتلتين تبادليا يتوافق تماما مع كونه ينتمى الى القرن الحادى عشر كالسبع بنات وجامع الجيوشى وخضرة الشريفة.

وتتحول الأسكفة عند النقطة (أ) الى عتبة للباب داخل الزيادة. والجزء المستقيم وراءها والذى يمتد مسافة

٢,٢٩م يصبح فتحة بسمك الجدار (جـ) الذى تنثنى فى داخله الأبواب كما يتبين فى الشكل (٥٤). لكن عمقه يزيد الى حد ما بالنسبة لواجهته الخلفية التى لاتتوافق مع الواجهة الخلفية للجدار (جـ)، إلا اذا كانت الأخيرة بسمك ١,٨٠م، وهو أمر مستبعد. واذا افترضنا أن (جـ) كان بسمك يتراوح بين ١,٥٠ و١,٦٠م كجدران الجامع، نستنتج أنه كان هناك إطار ناتئ حول الواجهة الداخلية لمدخل الباب. واذا مددنا الجدار (جـ) الى الشمال، فإنه يمس الجدار الجنوبى الغربى للجامع عند نقطة تبعد حوالى ١٧م من المكان الذى يتصل عنده البروز الغربى (أجريت هذه الحسبة بناء على خريطة للقاهرة بمقياس ١:١٠٠٠).

والأرجح أن الزيادة تعرضت لتعديات فى تاريخ لاحق (بعد عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، فنسى الغرض الأصلى من هذا المدخل التذكارى وتحول الى ضريح لأحد الأولياء وهو أبو الخير الكليباتي. وألحق به بناء إضافى على شكل قبو اسطواني. ويرجع ميله الى الرغبة فى التوجه صوب مكة بصورة أدق من اتجاه المدخل التذكاري. والجزء الناتئ من هذا المدخل التذكارى وكذلك جدران الزيادة التى يذكر القلقشندى (جـ٣، ص٣٦٥) أنها لم تكن مسقوفة ربما كانت متوجة بشرافة كتلك التى نراها بالجامع، مما يجعل الارتفاع الكلى ٨,١٥ + ٢,١٥م، أى ١٠,٣٠م.

الأصول المعمارية

كل ما سبق ذكره عن الأصول المعمارية للمدخل الرئيسى لجامع الحاكم ينطبق هنا. ويجب إضافة هذه البوابة الى سلسلة المداخل التذكارية التالية:

جامع المهدية الكبير	..... ٣٠٨هـ (٩٢١م)
جامع الحاكم	..... ٣٨٠-٤٠٣هـ (٩٩٠-١٠١٣م)
مدخل زيادة جامع الحاكم	..... ٤١١-٤٢٧هـ (١٠٢١-١٠٣٦م)
جامع بيبرس الأول	..... ٦٦٥-٦٦٧هـ (١٢٦٦-١٢٦٩م)

وتتميز هذه البوابة بأنها الوحيدة فى السلسلة التى تضم على جانبيها عقودا مفتوحة؛ وهى السمة التى تربط بينها وبين قوس النصر لكراكللا فى تيبسا بعد دمجها بسور المدينة الذى شيده سولمون والى أفريقيا من قبل جوستنيان فى سنة ٥٣٥م (انظر Csell, *Les monuments antique de l'Algérie*, I, p. 180, Fig. 60).

القاهرة فى أواسط القرن الحادي عشر [ق ٥ هـ]

بدأ الخليفة المستنصر بالله حكمه فى سنة ٤٢٧هـ (١٠٣٦م) وظل فى الحكم قرابة ستين عاما (توفى فى ذى الحجة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م). وفى عام ١٠٤٧م، زار مصر الرحالة الفارسى الشهير ناصر خسرو(٢٣٢) الذى وجد البلاد فى حالة من الرخاء والاستقرار. وربما كان وصفه مناسبا لنا فى هذا المقام نظرا لما يلقيه من ضوء على العمارة وفنونها والحياة اليومية للشعب فى تلك الحقبة.

وصل ناصر خسرو الى مصر فى ٧ صفر ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) ووجد القاهرة مدينة عظيمة لاتقارن بها إلا مدن قلائل. ويقدر أنها كانت تضم ما لايقل عن ٢٠ ألف دكان للبيع فى الأسواق ؛ وجميعها من ممتلكات الخليفة وكانت تؤجر فى الغالب مقابل عشرة دنانير فى الشهر لكل وحدة. وكانت الأسواق تضم أعدادا هائلة من الوكالات والحمامات وغيرها من المنشآت، وكلها ملك للخليفة أيضا. وكان قصر الخليفة يقف وحده فى

وسط المدينة. وفى كل ليلة، كان يصعد اليه ألف حارس. وكان القصر الذى يمكن رؤيته من خارج المدينة يبدو كجبل نظرا لضخامته وعلو المبانى التى يتألف منها. لكنه لم يكن يرى من داخل المدينة بسبب ارتفاع أسواره المحيطة به. وكانت منشآت القصر مبنية بناء عظيما وكأنها مشيدة من كتلة واحدة من الحجر(٢٣٣). ويذكر ناصر خسرو بوابات المدينة الخمس، وهى باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب زويلة وباب الخليج؛ إلا أنه يذكر أن المدينة لم يكن يحيط بها سور حصين، حيث اختفى سور جوهر الآجرى فى خلال السنوات الثمانين منذ أن تم بناؤه. وكانت البيوت من خمسة طوابق أو ست، وكانت تبدو كالقلاع وتفصل بينها حدائق ورياض(٢٣٤). وكانت مشيدة بعناية وفخامة وكأنها شيدت من أحجار كريمة لا من جص وآجر وأحجار عادية(٢٣٥).

وكان يفصل «مدينة مصر» (الفسطاط) عن القاهرة مساحة تبلغ حوالى الميل تفترشها الحدائق، إلا أنها كان يغمرها الماء فى فترة الفيضان بحيث كانت **تبدو كبحيرة**(٢٣٦). وهذه هى «بركة الحبش» المعروفة. وكانت «مدينة مصر» مشيدة على أرض مرتفعة لتحاشى الفيضان، وكانت تبدو كالجبل من بعيد. كانت البيوت ترتفع بها من ٧ الى ١٤ طابقا ومساحتها حوالى ٣٠ ذراعا. وكل منها يسع حوالى ٣٥٠ فردا. وكانت بعض الأسواق والشوارع لاتستقبل ضوء النهار نظرا لأنها كانت مغطاة وتضيئها المصابيح بصورة دائمة(٢٣٧). وكانت «مصر» تمتد على طول ضفاف النيل، وكانت هناك عدة جواسق مطلة على النهر، ويمكن للمرء أن يدلى بدلو فيه ويسحب الماء. وكان يربط بين مصر والروضة جسر من ٣٦ قاربا. وكان التجار والفلاحون والصناع والأدباء يمتطون الحمير التى كانت تقف للإيجار على كل ناصية شارع. ويقال إنه كان هناك حوالى ٥٠ ألفا منها. ولم يكن يركب الخيل إلا **رجال الجيش**(٢٣٨).

وفى فترة زيارة ناصر خسرو لمصر، وجدها على درجة عالية من الرفاهية. وعندما كان فيها، ولد للخليفة ولد وأمر الناس بإقامة الأفراح، **فأقيمت** ولائم ومآدب لامثيل لها فى **الفخامة والأبهة**(٢٣٩). ولم يكن الأقباط يتعرضون لأى اضطهاد وكان بعضهم على **درجة كبيرة من الثراء**(٢٤٠). وحضر ناصر خسرو احتفال قطع السد ورأى الخليفة الذى كان فى التاسعة عشرة من عمره وهو متجه فى موكبه الى الحفل. وكان حليقا نظيفا مرحا ويرتدى عباءة بيضاء وفوقها سترة طويلة فضفاضة، وعلى رأسه عمامة بيضاء ويمتطى بغلا يكسوه سرج فى غاية البساطة وبلا زينات من ذهب أو فضة. وكان يتقدم ركبه ٣٠٠ رجل من الديالمة على أقدامهم يرتدون عباءات من القماش الموشى وزنار بأكمام طويلة «على الطراز المصري». والى جوار الخليفة كان يركب حامل المظلة ويرتدى عمامة موشاة بالذهب ومرصعة بالجواهر. وكانت المظلة نفسها على درجة عالية من الفخامة ومرصعة بالأحجار الكريمة واللآلئ. وعلى يمينه ويساره كان الخصيان يحرقون البخور. وكان الناس يسجدون حين يمر الخليفة، وكانوا يدعون له. ويتبعه الوزير وقاضى القضاة وكبار المسئولين. وكانت هناك حامية تمثل فيها كل قوات الخليفة من بربر وترك وفرس وغيرهم. وكانت الحاشية تضم الأدباء والعلماء والشعراء والأمراء الذين كانوا **فى زيارة البلاط**(٢٤١). (ناصر خسرو، طبعة شيفر، ص٣٨-٥٧).

الفصل السابع

بيوت الفسطاط

تاريخها وفترة بنائها

رأينا أن الفسطاط أنشئت على يد عمرو بن العاص فى سنة ٢١هـ (شتاء٦٤١ ـ ٦٤٢م) بعد عودته من حصار الاسكندرية وأنها اتسعت حول جامع عمرو الى الشمال قليلا من حصن قصر الشمع الروماني. وعندما أطاح العباسيون بالأسرة الأموية، قام صالح بن على الوالى العباسى على مصر بإنشاء ثكنة عسكرية الى الشمال منها فى سنة ١٣٣هـ (٧٥٠م). وحين استقل ابن طولون بمصر فى سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م)، وجد أن الفسطاط والعسكر ضاقت به وبأتباعه بعد أن استكثر من العبيد والرجال . لذا فقد أمر ببناء القطائع شمالى العسكر، وكانت حدودها على النحو التالي: الى الشرق موقع القلعة الحالي، والى الشمال شارع الصليبة، والى الغرب قلعة الكبش (قرب مدرسة قايتباي)، والى الجنوب خط رسم شرقا وغربا يخترق جامع زين العابدين الذى يقع الى الشمال قليلا من **مجرى العيون**(٢٤٢).

ظلت الفسطاط زاهرة الى أن وقعت المجاعة الكبرى فى سنة ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) وما تلاها من انتشار الأوبئة (المقريزي، جـ١ ، ص٣٣٥). يقول المقريزى إن المجاعة ازدادت سوءا وانتشر الطاعون فى «مصر» (الفسطاط) والقاهرة وما يحيط بهما من أحياء الى عام ٤٥٤هـ (١٠٦٢م) حين نشبت الثورة الكبرى واجتاحت البلاد. ويذكر المقريزى أيضا أن قحطا عظيما ألم بالبلاد تحت حكم المستنصر فى سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٥م) واستمر حتى عام ٤٦٤هـ (١٠٧١م). ومع الندرة والقحط، عم الطاعون واستمر مدة سبع سنوات ارتفع منسوب النيل فيها وانخفض، ولكن أحدا لم يستزرع الأرض (جـ١ ، ص٣٣٧). ونتيجة لهذه المجاعة –حسب قول المقريزي– خربت الفسطاط وخلت العسكر والقطائع والمنطقة التالية «لمصر» (الفسطاط) ابتداء من الجزء المجاور للقرافة وحتى بركة الحبش من الأهالي(٢٤٣).

وهكذا أخليت الفسطاط جزئيا وتكون «الخراب» أو المنطقة الصحراوية. ويذكر المقريزى أن الوزير بدر الجمالى سمح « أباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة أن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت أهلها فأخذ الناس فى هدم المساكن ونحوها بمصر ووعمرا بها فى القاهرة وكان هذا أول وقت إختط الناس فيه بالقاهرة ». (جـ١ ، ص٥). ويذكر فى موضع آخر أن موقعى القطائع والعسكر تعرضا للنهب وسرقت المواد حتى أن جزءا كبيرا من المنطقة سوى بالأرض وأصبح يبابا، وأن البيوت التى كانت بين القاهرة و«مصر» تهدمت ولم يبق بها «إلا بعض البساتين» (جـ١ ، ص٣٠٥). وحين ساد الخراب فى أعقاب هذه الكارثة الكبرى صدر الأمر ببناء سور لإخفاء الخراب عن عين الخليفة فى طريقه من القاهرة الى مصر فى المنطقة الواقعة بين العسكر والقطائع وببناء سور آخر بجوار جامع ابن طولون. وعندما تولى الآمر الخلافة (٤٩٥هـ/١١٠١م)، أعلن وزيره المأمون البطائحى فى القاهرة ولمدة ثلاثة أيام أن « من كان له دار فى الخراب أو مكان أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق » . (جـ١ ، ص٣٠٥).

ووقع الدمار الأخير بعد ذلك بست وسبعين سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) حين تقدم عمورى [الأول] ملك

[بيت المقدس] بعد استيلائه على بلبيس للزحف باتجاه العاصمة. فوجد شاور أنه قد يعسكر فى الفسطاط التى خلت من أية دفاعات. فأصدر أمرا بإخلاء المدينة وإحراقها. وفى وصفه لعملية الإخلاء يذكر المقريزى: «وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم إلى المحشر لا يعبأ والد بولده ولا يلتفت أخ إلى أخيه وبلغ كراء الدابة من مصر إلى القاهرة بضعة عشر ديناراً وكراء الحمل إلى ثلاثين ديناراً ... وبعث شاور بعشرين ألف قـــارورة(٢٤٤) نفط فإستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهاية (اللصوص) من العبيد ورجال الأسطول وغيرهم بهذه المنازل فى طلب الخبايا (الكنوز) ...». ومنذ ذلك الحين، ساد الخراب الفسطاط وبقى منه اليوم **«كيمان مصر»** (٢٤٥) (جـ١، ص٣٣٩).

ويذكر القلقشندى أن «الخراب» ازداد اتساعا بعد احتراق الفسطاط وزادت الفجوة اتساعا. وبعد انقضاء عهد بيبرس الأول، بدأ الناس فى نهب الأحياء المهجورة للحصول على مواد البناء واستعانوا بها فى بناء المساكن الجديدة على ضفتى النيل بكل من الفسطاط والقاهرة. وزاد حجم الدمار واستمر حتى زمن المؤرخ (القلقشندي) حتى لم يبق من المبانى سوى تلك التى تقع على حافة النيل بالمنطقة المجاورة لجامع عمرو (جـ٣، ص٣٣٨).

وعندما تولى صلاح الدين حكم مصر فى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م)، قرر بناء سور يحيط بالقاهرة والفسطاط والقلعة (جـ٢، ص٢٣٣). وكان جزءاً من هذه الخطة يشمل بناء سور يجرى من جنوب غرب القلعة وحتى النيل؛ والى الجنوب من قصر الشمع. وتم الكشف عن جزء من هذا السور فى عمليات التنقيب. وهناك سبعة أطوال موجودة على خط يسير **باتجاه الشمال الشرقى نحو القلعة**(٢٤٦). إلا أن جزءا كبيرا منه تم تقطيعه فى عمليات التحجير. ويخترق الجزء الذى تم الكشف عنه بقايا البيوت بحيث يمكن العثور على جزء من بيت وجزء من الصرف الصحى على جانب من السور وجزء آخر على الجانب الآخر منه. وأحيانا نجد شقفا تم دمجها فى السور نفسه (شكل ٥٥). وأحيانا نجد الأسوار الآجرية (جـ، ء) وقد تم تقطيعها لعدة سنتيمترات بجوار الجدار بين البرجين. و«لاسبيل الى تفسير هذه التفاصيل إلا بالصورة التالية: عندما وضع أساس السور، كانت المنطقة التى يقطعها قد أخليت بالفعل؛ فتم حفر خنادق فى كتل من الركام لإنشاء الجدار بين البرجين فيها. وفى عرض هذه الخنادق، تم رفع ماوجد من بناء آجرى (*Fouilles d'al-Foustat*, 119-20)»(٢٤٧).

طبيعة الركام

بدأ حفر الموقع على يد على بك بهجت فى سنة ١٩١٢. ولا سبيل الى مقارنة ركام الفسطاط بموقع مثل كنوسوس أوديلوس أو تيرينس أو برين أو أولمبيا أو بين النهرين أو غيرها، حيث يرتفع السطح بصورة مستمرة من خلال أطلال البيوت المهدمة أو الأجزاء التى لا يمكن إعادة استخدامها. فانتشرت فوق الأرض وبنيت البيوت الجديدة على المستوى الأعلى قليلا والذى تكون نتيجة لذلك. ومن الواضح أن ألفين أو ثلاثة آلاف عام من الاحتلال المتواصل لموقع كان فى الأصل مسطحا يحوله الى تل على ارتفاع غير قليل، وتتراكم الطبقات المتوالية عليه فوق بعضها البعض فى ترتيب زمنى بحيث تتفاوت حقبة الحفريات بصورة مباشرة حسب تفاوت العمق الذى توجد فيه.

لا وجود لمثل هذه الظروف فى الفسطاط، فقد دلت عمليات التنقيب على أن كل دار قد بنيت فوق سطح

الصخرة التى تقع تحت الموقع كله، ولم يحدث أن تم العثور على حالة لدار بنيت على ركام دار أخري. واتضحت هذه الحقيقة فى نقاش دار بين سايس وسومرز كلارك وفارنال فى سنة ١٩٢٠ بصحيفة *إجيشيان جازيت* نشرت ترجمة فرنسية له من جانب اللجنة (*Exercices*, 279-300). وثبت أن هذا الركام لم يكن بقايا الفسطاط، بل يتكون من بقايا حجارة من القاهرة (شقف من الآجر ودبش وبقايا بناء وبقايا أوانى فخارية وقلل وسجاجيد وحصر وغير ذلك) ألقيت على الفسطاط أو بعبارة أدق على الجزء الشرقى منها والذى أخلى منذ مدة طويلة. وتبين أن هذه البلدة كانت تتكون من شوارع ضيقة غير منتظمة لا يزيد عرض أى منها عن ٦م، بينما لا يزيد معظمها عن ١,٥ م (*Fouilles d'al-Foustat*, 32). ولا يبدو أن الشوارع كانت ممهدة، حيث لم يتم العثور على أية أحجار لتعبيد الطرقات من أى نوع (*Fouilles*, 34). وفى بعض البيوت التى تم الكشف عنها، وجد أن الجدران كانت قائمة بارتفاع متر أو مترين بينما لم يتبق فى أماكن أخرى سوى خط باهت يستدل عليه من بعض الشقف الآجرية وبعض بقايا ملاط. ويمكن للمرء حسب قول من تولوا عمليات التنقيب أن يدرك صعوبة الاستدلال على صورة التخطيط فى ظروف كهذه وصعوبة تحديد عدد البيوت المستقلة وتحديد حدودها» (*Fouilles*, 31-39).

منزل رقم ١ (٢٤٨)

وتبلغ مساحته الإجمالية حوالى ١٨ × ١٠م. وكانت به جدران تعد فى حالة أفضل من سائر الجدران، حيث ظلت قائمة فى بعض المواضع بارتفاع ٥ م. ويتكون المنزل من جزءين متميزين يصل بينهما باب واحد («ء» فى الشكل ٥٦). ونصفه فقط يؤدى الى الشارع. وكان كل جزء يدور حول فناء مستطيل بحوض فى الوسط. ويحيط بالفناء A ثلاث فتحات الى الشمال والجنوب، وربما أمكن لنا أن نستنتج أنها كانت معقودة وتعد بمثابة واجهة ثلاثية معقودة. والفتحة الوسطى عرضها ضعف عرض الفتحتين الجانبيتين تقريبا. ويذكرنا التخطيط الذى نجده خلف (أ) مباشرة بالتخطيط على شكل حرف T فى البيوت القائمة بكل من الأخيضر وسامراء والعسكر. وهناك غرفة الى اليمين وأخرى الى اليسار (c, d) وكلاهما تفتحان على سقيفة مستعرضة تضم ثلاث فتحات بجوار الصحن. ورغم وجود أربع فتحات فى الواجهتين الشرقية والغربية. ويلاحظ أن الفتحات الثلاث الأولى تشكل مجموعة مكونة من فتحة وسطى أعرض، على جانبيها فتحات أضيق، وجميعها تفتح على غرفة واحدة؛ فى حين أن الفتحة الرابعة تنتمى الى جزء منفصل من البيت، وعلى الجانب الشرقى تفتح على غرفة مستطيلة، وتؤدى على الجانب الغربى الى عدة درجات (b) تؤدى الى أعلى الى المدخل الوحيد للنصف الآخر من البيت.

والحوض الموجود بالفناء (A) من النوع المألوف المربع فى أعلاه والمثمن فى أسفله. ويحيط به على جوانبه الثلاثة نوع من الخنادق ربما كان المقصود به أن يكون حوض زهور، اذ كان لايزال مملوءا بالخضر المتحجرة حين تم حفره. وكان الحوض يستمد ماءه من صهريج مثلث الشكل. وكان المكان يضم بئرا لمد الصهريج بالماء.

والباب الذى يؤدى اليه السلم (f) يفتح مباشرة على الصحن (b) الذى نجد فى وسطه حوضا آخر تمتد اليه قناة (k) من الصهريج المثلث الذى سبق ذكره. وهنا أيضا نجد واجهتين ثلاثيتى العقود على الجوانب المقابلة للصحن وفجوة (q) عرضها حوالى مترين وعمقها حوالى متر على الجانب الشمالى وحشوة عريضة لكنها ضحلة

للغاية فى المواجهة. والواجهة الثلاثية العقود على الجانب الغربى تفتح على مجموعة ليوان [جناح] على شكل حرف T تشبه نظيرتها على الجانب الجنوبى من الصحن (A). وهناك مرحاض عمومى خلف الفجوة (q). ومن (o) يمكن الدخول الى صحن صغير (X) به حوض صغير على الجانب الجنوبى وحجرة صغيرة جدا (y) الى الشمال. وفى الصحن (b) والحجرات المحيطة به وأيضا فى الصحن (v) نجد قطعة كبيرة من البلاط (من الحجر على شكل عظمة سمكة) لاتزال محفوظة.

ويشير المنقبون الى أن الصحن الكبير (A) الذى يقع بالقرب من مدخل الشارع كان بمثابة وسط السلاملك فى حين أن الجزء الأعلى الذى لايحتوى على مدخل من الشارع يرجح أنه كان هو الحريم. والباب (2d) قرب السلم (f) والذى يفتح على نهاية حارة سد كان يمثل مدخلا خاصا للنساء (*Fouilles d'al-Foustat*, p. 43).

منزل رقم ٢

مع أن أجزاء مهمة من هذا المنزل لاتزال محفوظة وتصل فى بعض المواضع الى ارتفاع ٢,٥م، إلا أن حدوده الدقيقة نحو الشرق والجنوب لايمكن تحديدها، حيث لم يبق أى أثر من هذا الجزء. ويتكون مثل هذا المنزل المشار اليه من جزءين منفصلين كل به صحنه الخاص به (B, A) ولكن بدون حوض (شكل ٥٧). ويبدو أن المدخل من الشارع كان يقع عند النقطة (E) التى كان يواجهها باب يؤدى الى الجزء الآخر من المنزل والذى يفترض أنه كان للحريم حول الصحن (B). وطبقا للشكل (١١) المقتبس عن جابرييل، كان يمكن الوصول الى المدخل من الشارع عبر بابين قرب النقطة (G)؛ إلا أن ذلك موضع شك اذا نظرنا الى الشكل (١٠) المقتبس عنه كذلك.

وعلى الجانب الجنوبى الغربى من كل صحن مجموعة ليوان [جناح] على شكل حرف T (a, b, c, d)، وتعد مجموعة الصحن (B) أشد إتقانا لأن حجرة المدخل متصلة بالحجرات الجانبية؛ بل تمت إضافة دهليز مستعرض أيضا فى الخلف بحيث يمكن الطواف حول b. وأضيفت الى كل من الحجرتين الجانبيتين (c, d) بليوان الصحن الذى يتخذ شكل حرف T ثلاثة طيقان (طاقچه) للجرار والقلل وما الى ذلك (لوحة ٣٧ب). ويبدو فى الجوانب الثلاثة المتبقية من كل صحن تقسيما ثلاثيا داخل حشوات أو فتحات أوسطها أعرض من الأخريين. ولكن اذا كنا نجد بالصحن (A) أبوابا وحشوات ضحلة فقط، فإننا نجد فى الصحن (B) فجوة (ونرجح تسميتها «فجوة» بدلا من «ليوان» التى يستخدمها كل من بهجت وجابرييل) فى وسط كل جانب وعرضها ١,٥م وعمقها من ١,٥ الى ٢م.

وهناك ثلاث درجات عند النقطة (m) منحوتة فى الصخر تهبط الى فوهة بئر مستطيل مغطاة بقبو. وكان مستوى الماء فيه حوالى ١١م تحت مستوى الصحن. وكان لكل من نصفى المنزل مرحاضه الخاص، أحدهما عند النقطة (x) والآخر وراء النقطة (j). وكان هناك سلم عند النقطة (G) يؤدى الى السطح أو ربما الى طابق علوى فى هذا المنزل بالذات.

منزل رقم ٣

يبدو أن المدخل من الشارع كان يقع عند النقطة (x)، ولكن يحتمل أن الدهليز (s, s, w) كان يؤدى الى

مدخل آخر. وعلى عكس المنزلين السابقين، نجد أن هذا المنزل لا ينقسم الى قسمين مستقلين؛ فليس به سوى صحن واحد مساحته ٧م٢؛ إلا أن واجهتى هذا الصحن صممتا ببائكات ثلاثية، الوسطى منها كالعادة أعرض من الأخريين (انظر شكل ٥٨). وتحتل الجانب الغربى مجموعة ليوان [جناح] على شكل حرف T ‏(a, b, c, d) فى مواجهتها حجرة مساحتها ٣ × ٢,٥م على جانبى فتحتها (المعقودة؟) حشوتان ضحلتان. ويشغلها حوض (k) يتصل بالحوض الموجود بالصحن عبر قناة (m). وخلف (k) هناك دخلة وماسورة [أنبوبة أو قصبة] (a2) تنتهى رأسيا فى الجدار القائم خلفها. وتفسير كل هذا التخطيط سهل؛ فكان المقصود بالدخلة أن تتخذ شادروانا رخاميا مائلا بسطح مضلع (لعله سلسلة من أسنان المنشار) يجرى الماء من تحته فى غشاء رقيق ويبرد الهواء بالتبخير الخفيف، ثم يجرى داخل (k)، وفى النهاية، من خلال القناة تحت الأرضية (m) داخل (J). وكان هذا **التخطيط يسمى «سلسبيل»** ونراه فى العديد من البيوت القديمة والأسبلة بالقاهرة. إلا أن أقدم نموذج سليم لايزال باقيا هو الذى نجده بقصر زيزة (عزيزة) بباليرمو (شكل ٥٩) الذى بدأه وليام الأول فى سنة ١١٦٦ وأتمه وليام الثانى (Herz, *Catalogue*, p. 22). ويليه فى القدم النموذج الذى نراه على الجانب الغربى من مدرسة نور الدين بدمشق وشيد فى سنة ٥٦٧هـ (١١٧٢م).

منزل رقم ٥

لم يبق من هذا المنزل سوى بقايا ضئيلة، إلا أن الصحنين A, B يمكن تمييزهما بسهولة. والطول الكلى للمنزل حوالى ٣٠م. ويحد الصحن (A) الى الشمال الغربى والجنوب الشرقى واجهة من ثلاث بائكات. والفتحة الوسطى أعرض من الفتحتين الجانبيتين (شكل ٦٠). وخلف الواجهة الجنوبية الشرقية، نجد التخطيط المعتاد على شكل حرف T ويتكون من سقيفة مستعرضة (a) وثلاث حجرات مستطيلة (c, b, d). وهناك سمة جديدة، وهى أن هذه السقيفة المستعرضة تنتهى بحشوات مفرغة كما هو الحال بالمنزل رقم ٨ (شكل ٦٢)، وأن الحجرات الثلاث التى تفتح على الصحن لاتتصل إحداها بالأخرى. ويمتد بلاط الحجرة الوسطى الى أعلى وحتى الحوض الموجود بالصحن، فيشكل منصة مستطيلة (f) ترتفع مسافة ١٠م فوق بلاط الصحن المكون من ألواح مساحتها ٢٥ ×٦٠سم وضعت على شكل هيكل سمكة.

وعلى جوانب الصحن الأخرى، دخلات متماثلة سيمترية ضحلة (h, g) وضعت قريبة من (a). والحوض مربع فى أعلاه ومثمن فى أسفله. وهناك أنبوبتان برونزيتان صغيرتان قطر كل منهما ٢سم ووضعت كل منهما على أحد الركنين، ربما بقصد أن تكون متنفسا. وربما كان القصد من الحوضين المملوءين بالخضر المتحجرة على جانبى حوض الماء أن يكونا مكانا للزهور.

والصحن (B) ليس به حوض، ويبدو أن جانبه الجنوبى الغربى كانت به مجموعة على شكل حرف T ‏(p, o)، إلا أن الترميم ليس مؤكدا لأن كل الجدران اختفت. وفى مواجهتها، كانت هناك حشوة ضحلة (n)، وعلى الجانبين الآخرين دخلتان (m, d). ويبدو أن المدخل من الشارع كان عند النقطة (r) وربما كان هناك مدخل آخر عند (q) أيضا. وهنا أيضا نجد منزلا مكونا من قسمين منفصلين: سلاملك وحرملك.

منزل رقم ٦

وهذا هو أهم هذه المنازل. وطوله ٤٠م تقريبا، ويحتوى على أكبر عدد من النافورات التى تم العثور عليها حتى الآن. ويتجه الحوض (A) ومساحته ١٤,٥ × ٩م (بنسبة ٣:٢) نحو أربع نقاط أصلية، مما يعد مناقضا للقاعدة المتبعة فى مواضع أخرى (شكل ٦١). ونحده من الشمال والجنوب واجهة بثلاث بائكات خلفها المجموعة المعتادة التى تتخذ شكل T (a', b', c', d' و a, b, c, d). وخلف النقطة (b') نجد حوضا مربعا فى أعلاه وبكل من جوانبه فجوة شبه دائرية ومثمن من أسفله. ومن المرجح أن الدخلة التى تقع خلفه كان المقصود بها اتخاذ شادروان يقوم عليه الصهريج (h). وهناك قناة (J) وطولها ١١م تقريبا به شاذروان (o) عند أحد طرفيها تؤدى منه الى الحوض الغائر (f) بالصحن، ولوح رأسى عند النقطة التى تنطلق منها هذه القناة من الليوان ليشكل خزانا وشلالا صغيرا. ولعل القناة (p) على الجانب الجنوبى من الحوض المائى كان الهدف منها أن تكون مزهرية، اذ وجدت بها قوالب متحجرة من الخضر. وهناك حوض آخر لعله كان خاصا بشجرة.

وعلى الجانبين الشرقي والغربى من الصحن، نجد عددا من الحجرات (e, e, e و é, é, é) وتتفاوت فى أحجامها وأحيانا نجدها تتخذ شكلا غير منتظم. ومن الركن الجنوبى الشرقي، هناك ممر شديد الضيق ربما كان مرحاضا. ولعل النقطة (k) كانت حماما. ويبدو أن الماء كان يأتى من صهريج (r) بثلاث أنابيب. وكانت تأتى من النقطة (y) الى النقطة (h) ومنها كانت تنساب على شادروان الى داخل الحوض، ومن (a) الى داخل الحوض (f) بالصحن، ومن خلال (B) الى داخل المرحاض (m).

وكالعادة، نجد بهذا المنزل صحنا آخر (غير موضح) غير معلوم الشكل كوضع المدخلين (q والآخر غير موضح). وتم العثور على عدة شقف من نوعية خاصة من الزخارف بهذا المنزل. وتتكون من أنماط هندسية كانت خطوطها من الآجر البارز بمسافة ١سم من سطح كتلة الجص طمرت فيها بصورة متعامدة (لوحة ٣٧). ولا وجود لهذا التقنية فى أى أثر آخر بمصر؛ إلا أنه يستخدم كثيرا فى العمارة السلجوقية. وربما نرى نموذجا جيداً منه بضريح يوسف بن قصيّر بنخجوان الذى يرجع إلى شوال ٥٥٧هـ (سبتمبر١١٦٢م). انظر Khanikoff, "Les inscriptions musulmanes du Caucase," *Journal Asiatique*, 5me Sér., t. XX, p. 120). وهناك نموذج آخر غريب منه تحتل فيه قطع الحجارة مكان الآجر، ونجده فى «سه گنبد» بأرومية ويرجع الى عام ٥٨٠ (١١٨٤ـ١١٨٥م). انظر Godard, Notes complementaire sur les Tombeaux de Maragha, Athar-é Iran, I, 156-60). وهناك شكل متطور منه فى «گنبد سرخ» [المقبرة القرمزية] فى مراغه ويرجع الى شوال ٥٤٢هـ (٤مارس ١١٤٨م). وفيه أضيفت الى الآجر الأحمر بضع نقاط من الميناء الزرقاء واللوالب النباتية التى زخرفت بها الأرضية الجصية تحمل آثار الطلاء الأزرق (Godard, 3-6). وثم تطور آخر له نجده بالقرب من «گنبد سرخ» فى ضريح اسطوانى يرجع الى رجب ٥٦٣هـ (ابريل ـ مايو ١١٦٨م)، لأن النقوش الكوفية المتقنة موجودة فى الآجر المزخرف بالميناء باللون الأزرق التركوازى (Godard, 6-7). ويبلغ هذا الأسلوب ذروته بضريح مؤمنة خاتون الجميل بنخجوان ويرجع الى عام ٥٨٢هـ (١١٨٦م) واستخدم فيه الآجر المزجج بألوان مختلفة مما أضفى تأثيراً رائعًا للألوان المتعددة (Khanikoff, 113-115). وفى «گنبد كابود» [المقبرة الزرقاء] بمراغه (وتعد فى نظر أهالى المنطقة ضريح والدة هولاكو) والتى ترجع الى عام ٥٩٣هـ (١١٩٦م)(٢٤٩).

كما تم العثور على بقايا لوح من الحجر الجيرى يمثل جزءا من إطار معقود (لوحة ٣٧ء) بهذا المنزل. ومن الواضح أنه ينحدر من أصل القشور الكلسية فى فسيفساء قبة الصخرة وجامع دمشق الكبير.

منزل رقم ٨

يضم هذا المنزل صحنا واحدا، إلا أن المعمار نجح هنا فى جعل الصورة الداخلية متماثلة ومستطيلة (شكل ٦٢). ويبدو أن المدخل كان عند النقطة (g)، وكان يشكل مع الدركاه (p) المدخل المنكسر. وبالقرب منه، هناك دكة مثلثة (r) لاتزال بمكانها. وعلى كل من جوانب الصحن الذى تبلغ مساحته ٤,٥ × ٦م، نجد واجهة من ثلاث بائكات. وعلى الجانب الجنوبى الشرقي، نجد المجموعة المعتادة على شكل حرف T (a, b, c, d) وتنتــهى السقيفة المستعرضة بحشوات مفرغة، كما هو الحال فى المنزل رقم ٥ (شكل ٦٠). وفى وسط كل من الجوانب الأخري، هناك دخلة أصغر من أن نطلق عليها اسم ليوان؛ اذ لا يزيد عرض أكبرها عن مترين. ويحتل الحوض بشكله المعتاد –مربع فى أعلاه ومثمن فى أسفله– وسط الصحن. وهناك انبوبتان خزفيتان (B, a) على الحــائط تهبطان من صهريج لم يعد موجودا ويمران أسفل الصحن. وتنتهى إحداهما بمنفس برونزى بمنتصف الحوض. وتسير الأخرى حوله وربما كانت تساعد المنافس الموجودة بالأركان كما هو الحال بالمنزل رقم٥.

السمات العامة للمنازل

إذا وضعنا التخطيطات التى رسمت بنفس المقياس للجزء الرئيسى لكل منزل أحدها الى جانب الآخر (شكل ٦٣)، نجد درجة مذهلة من التشابه ولأول وهلة. ونجد فى كل حالة صحنا مستطيلا ذا أبعاد متفاوتة. وعلى أحد جوانب هذا الصحن، هناك خطة ثلاثية العقود، العقد الأوسط منها أعرض من العقدين الجانبيين. وترتكز العقود على دعامات مستطيلة من الآجر. وتشكل هذه العقود الثلاثة سقيفة وراءها حجرة عمقها أكبر من عرضها، وتتفق مع العقد الأوسط مع وجود حجرة أصغر حجما الى اليمين واليسار، وتفتح على السقيفة، ولكن بدون اتصال مباشر بالحجرات الجانبية. وعلى الجوانب الثلاثة الأخري، هناك حجرة أو حشوة موضوعة على محور مركزى بمدخل أو فتحة الى اليمين واليسار. ويجرى المحور الرئيس بصورة عامة من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربي. وهناك مجاز بدوران ذى زاوية يمنى [الباشورة أو المدخل المنكسر] يؤدى بصورة عامة من المدخل الى إحدى الفسحات الجانبية بحيث لا يمكن رؤية الصحن من الشارع. أما الوحدة المستخدمة فى العمل، فيوضح جابرييل (ص٥٨ و ٧٨) أن ذراع العمل البالغ ٦٤سم هو الذى يبدو أنه كان مستخدما .

الأصول المعمارية

إن مزيج الظلة [السقيفة] المستعرضة ثلاثية العقود ووراءها ثلاث حجرات متوازية تفتح إحداها (الوسطي) على الظلة بكامل إتساعها ـ وهو النظام الذى يطلق عليه هرتزفلد نمط الصالة على هيئة حرف T المقلوب ـ نجده هنا كما وجدناه بقصر شيرين وسامراء والعسكر شمال الفسطاط ولكن مع وجود إختلاف يتمثل فى أن هذا التجميع تكرر بقصر شيرين والأخيضر على الجانبين الشمالى والجنوبى ليشكل جانبا صيفيا وآخر شتويا، وهو ما لا نجده بالفسطاط.

رأينا أن التخطيط الشامى كما نراه بقسطل وقصر حرانه والمشتى والطوبة كان يختلف اختلافا تاما؛ وبالتالى يمكن القول إن التخطيط الذى نراه بالفسطاط انتقل من العراق ربما فى العصر الطولوني(٢٥٠). أما عن نمط البيوت التى ظهرت بمصر الإسلامية قبل ذلك العهد، فليست لدينا معلومات عنها (ومما يؤسف له أن سومرز كلارك لم يضع تخطيطا للبيت الذى نقب عنه فى سنة ١٩٠٠ بقرية المدينة بصعيد مصر بين المنيا ومنفلوط).

قطع من الأعمال الخشبية المحفورة من القصر الصغير أو القصر الغربى الفاطمى
(٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

ليس بين أيدينا كثير من المعلومات المعمارية المفصلة عن القصر الغربى الفاطمى [القصر الصغير] الذى بدأه العزيز وأكمله المستنصر فى سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م)؛ إلا أن هناك بعض الأفاريز الخشبية المتقنة اكتشفها هرتز فى سنة ١٩١١ فى أثناء عمليات الترميم التى نفذت فى مدرسة ضريح السلطان الناصر محمد بسوق النحاسين بجوار ضريح السلطان قلاوون. وكان أصدر أمره بإعادة تركيب أحد الألواح الخشبية بالإفريز المنحوت الذى يدور حول الجدران الأربعة أسفل منطقة الانتقال. وظهر حينذاك أن هذا اللوح الخشبى المحفور كان ينقسم الى مناطق مستطيلة محشوة بصور لبشر وحيوانات؛ ويفصل بين كل منها والأخرى منطقة على شكل نجيمة محشوة بالأرابسك. فأمر هرتز على الفور بإنزال الألواح الخشبية المتبقية ووجد أن سبعة منها كان بها حفر مماثل على الظهر (Herz, *Boiseries Fatimites* , IIIm p. 170) . ثم تم نقلها فيما بعد الى متحف الفن العربى (لوحة ٣٨). وهى محفورة بأنواع عديدة من الأشكال، منها على سبيل المثال شخص يقود جملا أو بغلا محملا، أو موسيقيون يعزفون على العود أو القيثارة، أو رجل مسلح يهاجم أسدا برمح طويل، أو رجل يحارب بسيفه ودرعه المستدير، أو رجال على ظهور الجياد والصقور على سواعدهم، ومشاهد شراب وغير ذلك. وتحتوى الحشوات التى تتخذ شكل نجيمات على موضوع واحد بصورة عامة، فهو اما طائر أو أرنب **أو ما شابه**(٢٥١).

سارع هرتز على أثر ذلك الى المتحف لإعادة فحص أجزاء عديدة فى القاعتين الرابعة والسادسة. وكانت هذه الأجزاء تشبه الأجزاء التى اكتشفها الى درجة مذهلة، وهى باب مزدوج بالقاعة الرابعة انخفض ارتفاعه الأصلى الى ٣,٨٢م بإزالة قطعة من قمته (لوحتان ٣٩أ، ب). والزخرفة فيه منحوتة بعمق وتتكون من أشكال لبشر فى حالة تشبه الرقص وآخرين يعزفون على القيثارة أو يمسكون بكؤوس فى أيديهم. وبقية المساحة محشوة بالأرابسك وطيور الحجل وغير ذلك. وهناك حشوة خشبية أخرى بالقاعة السادسة وطولها ٦٠سم تقريبا، وبها عناصر زخرفية مشابهة، أى صور لرجال يشربون وحيوانات (لوحة ٣٩جـ). ونظرا للترتيب المتماثل للأشكال والصور على كل من نصفى الحشوة، يتبين أنها كانت تشكل جزءا من سقف أو سطح سفلى من قنطرة مجاز.

ثم اكتشف هرتز أن سجل المتحف المدون قبل ذلك بثلاثين عاما كان ينص على أن الباب المزدوج والحشوة كانا قد تم نقلهما من جامع السلطان قلاوون، وهى عبارة غير محددة لأنها تشمل ضريح السلطان ومدرسته ومارستانه، وجميعها تشكل مجمعا كبيرا من المنشآت. ثم أثبت أن الباب المقطوع القمة كان يتوافق مع المجاز تماما عند نهاية الدهليز الكبير بين الضريح والمدرسة ويفتح على داخل المارستان. أما السطح السفلى للقنطرة، فوجدت مكانها إحدى الفجوات التى نراها فى العارض (اختفى منذ ذلك الوقت) الذى كان فوق بائكة نفس المجاز. فقرر حينئذ أن يرى ما إذا كانت أية شقف أخرى من المارستان يمكن تتبعها بسجلات المتحف. ووجد أن جزءا من باب (اللوحة ٣٩هـ الى اليسار) بحشوة أخرى تم تثبيته على الوجه الآخر.

يشير هرتز الى أن قطع الجزء الباقى من الباب والأفاريز الخشبية ذات الواجهة المنحوتة والمقلوبة ناحية الجدار والواجهة الخارجية المنحوتة بزخارف مختلفة تماما توحى جميعا بأنها صنعت من مواد مأخوذة من مبنى آخر ثم أعيد استخدامها. فأى مبنى كان هذا؟ طبقا لما ورد لدى المقريزي، كان مارستان قلاوون يحتل مكان قصر ست الملك ابنة الخليفة العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م). وكان قصر ست الملك هو القصر الغربى الفاطمى

الذى بناه العزيز وقام بتجديده بصورة شاملة الخليفة المستنصر الذى أنفق مليونى دينار عليه فى سنة ٤٥٠هـ بحيث يكون سجنا للخليفة العباسى القائم [٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ] الذى أجبر على التنازل عن العرش على يد **البساسيرى**(٢٥٢). واشتراه السلطان قلاوون فى ٢٨ ربيع الأول ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) من احدى حفيدات السلطان الأيوبى العادل وأعطاها قصرا آخر بدلا منه، ثم بدأ فى إنشاء مجمعه الضخم. وتم العمل بسرعة كبيرة من جانب الأمير سنجر الشجاعى الذى استخدم كل ما يمكن إعادة استخدامه من مواد، كالباب **الكبير مثلا**(٢٥٣).

وكل من رأى الرسوم المميزة على السقف الخشبى الذى تم إكماله بين ١١٤٣ و١١٤٩ ورأى كنيسة بالاتين بباليرمو، يدرك على الفور أهمية المنحوتات الخشبية بالنسبة لأية محاولة لتفسير طرازها وتاريخ تطورها. كما أنها على درجة من الأهمية فى تحديد تاريخ الحشوات العاجية المنحوتة بمجموعة **كرّان** فى فلورنسا، والتى يقال عادة إنها ترجع الى القرن الثالث عشر، إلا أنها يجب أن تدرج الآن ضمن أعمال القرن الثانى عشر على الأكثر(٢٥٤).

الفصل الثامن

أضرحة جبانة أسوان

سهل جنوب القاهرة

فيما بين عين الصيرة الى الشرق وموضع الفسطاط الى الغرب، كانت هناك جبانة مليئة بالأضرحة والمشاهد وما الى ذلك. ويصف ابن الزيات هذه الجبانة **كما كانت في سنة ١٤٠١م**؛(٢٥٥) واختفى كل شئ اليوم. فلا ترى العين إلا صحراء شاسعة ملؤها الحفر والمحاجر المهجورة وبقايا تقطيع الصخور. وفيما عدا السبع بنات ومسجد الشريفة وضريح [مشهد] طباطبا **ومقبرة القاضي بكار**(٢٥٦)، لا نعرف أيا من المباني التي كانت **قائمة في هذا الموضع**(٢٥٧).

وصف جبانة أسوان

ربما أمكن لنا أن نرسم صورة لما كانت عليه هذه الجبانة العظيمة بأسوان حيث تقع جبانة شاسعة تضم آثارا ترجع الى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ولاتزال قائمة. وتقع فى الصحراء شرقى الجبانة الحديثة، وتبدأ عند الطرف الشمالي من حى قتانية وتستمر على جانبي طريق الشلال وحتى نقطة تبعد حوالى ٦٠٠م شمال جبانة الانجليز. ويبلغ طولها الإجمالي حوالى ١٨٠٠م وأقصى عرض لها حوالى ٥٠٠م(٢٥٨). ونرى المقابر منتشرة فى المكان دون نظام أو ترتيب، مما يرجع الى طبيعة الأرض حيث تقطعها وديان عميقة وتتخللها كتل ضخمة من الجرانيت، ونادرا ما نرى فيها مسطحات مستوية. ومع أن ذكرها ورد فى أعمال نوردن ويومار وويلكنسن وغيرهم من الرحالة، إلا أن الفضل فى توجيه الانتباه اليها يعزى الى مونيريه دى فيليار. ولكن ينبغى أن نشير الى أن بعضا من انتقاداته الحادة لمن ألقى عليهم مسؤولية الكارثة التى محت عنها تاريخها لامبرر له؛ فهناك صورة فوتوغرافية التقطها تينار فى سنة ١٨٥١ نرى فيها المكان وقد امتلأ بكومة من النقوش؛ وبالتالي، بدأ رفع هذه النقوش التى كانت تحمل **تواريخ الأضرحة قبل قرن من الزمان**(٢٥٩). ولكن اذا كان مونيريه يبالغ قليلا فى قوله بأن كل مقبرة كانت لاتزال تحتفظ حتى كارثة ١٨٨٧ بشاهدها وعليه اسم المتوفى وتاريخ وفاته، مما يعنى أن كل مقبرة كانت مؤرخة، فلابد لنا أن نقر بأن معظم المقابر كانت لاتزال تحتفظ بنقوشها حتى ذلك الحادث (انظر رسالة محمد بن بيرم فى لجنة حفظ الآثار، ١٨٩٦، ص٨٣).

كارثة أثرية

يقدم لنا بدج تفاصيل هذا الحادث حيث كان فى أسوان فى ذلك الوقت فى ديسمبر ١٨٨٧. فيصف لنا حدثا وقع بأسوان ولم يدر عنه أحد شيئا. فقد انهمرت سيول من المطر أغرقت المدينة وبلغت أسطح المكان وأخرجت عددا كبيرا من الرفات بالجبانة الحديثة. ويواصل قائلا:

> «وفى الجبانة العربية القديمة التى تقع قرب أحد المحاجر القديمة فى التلال، التقينا باثنين من أعيان المدينة ينعيان ما ألم بالمدينة من أضرار. وكان بعض المقابر هاهنا يمثل أقدم الأضرحة الاسلامية المعروفة بصعيد مصر وتنتمى الى القرون الهجرية الأولى ... وكانت كلها مشيدة من الطين وكان ببعضها دعامات وأفاريز، مما يوحى بأنها كانت نسخا من أصول بيزنطية كانت مشيدة من الطين أيضا. وكانت القباب الصغيرة لاتزال تحتفظ برونقها وطلائها الأبيض وتضفى على كآبة المكان شيئا من الإشراق. وعلى قمة كل مقبرة لأحد الأعيان، كانت هناك شواهد

مستطيلة من الحجر الرملي حفرت عليها بالخط الكوفي حروف باسم المتوفى وبعض الآيات القرآنية وتاريخ الوفاة. ولما كانت كثرة من هذه الشواهد التذكارية ترجع في تاريخها الى القرنين الثالث والرابع الهجريين، فإن أهميتها التاريخية والجغرافية واضحة. وحين وصلنا الى الرجلين، أشارا لنا الى الأضرار الجسيمة التى ألمت بالمقابر من جراء السيول. فقد انهارت القباب والدعامات والطين والجص والزخارف الجصية وأجزاء من الآجر الطينى التى كانت تدعم الألواح المستطيلة المنقوشة. وكانت هذه الألواح غارقة في طين سائل. وكان من المستحيل إعادة بناء هذه المقابر. وقال الرجلان إن الحفاظ على الألواح المنقوشة كان مستحيلا، وكذلك الإبقاء عليها فى أماكنها فوق المقابر فكانت بكل تأكيد ستتعرض للسرقة أو يعاد استخدامها فى أغراض انشائية أخري. وفي ذلك الوقت، لم يكن هناك سوى نموذجين للشواهد الكوفية بالمتحف البريطاني. وكنت حريصا على الحصول على مجموعة منها. وكان الرجلان على أتم استعداد لأن آخذ منها أى عدد أشاء شريطة أن أخرج بها من مصر الى مكان يمكن الحفاظ عليها فيه. فاخترت أربعة عشر نموذجا من أقدمها وأفضلها حالا دون تردد ... وعندما جاء المأمور لزيارتى بعد ذلك مباشرة، أخبرنى بأنه يقدم شكره للانجليز على أخذ الشواهد، لأنه ما كان ليستطيع حمايتها تماما. ثم عرض عليّ أن أبتاع منه ستة شواهد كوفية أخرى كان يخفيها قرب داره. وكان السعر معتدلا، فاشتريتها منه. فقام أمين متحف بولاق بابلاغ رئيسه بالقاهرة بما بدر منى ومن المأمور، وجاءته الأوامر باستعادة الشواهد التى يعثر عليها فى أسوان. فما كان منه إلا أن اتجه الى الجبانة وأخذ ينزع الشواهد عن القبور التى كان أهالى أصحابها لايزالون يزورونها. وكانت نتيجة ذلك اشاعة السخط بالمدينة. ولم يعبأ الأمين بما حوله؛ بل استمر فى شحن الشواهد فى القارب» . (*Nile and Tigris*, p. 97)

ويذكر مونيريه أن بعضا من هذه النقوش «أودع بمتحف صغير بأسوان دون سبب معروف، إلا أنها تم نقلها جميعا الى **متحف الفن العربى [الإسلامى] بالقاهرة**، بينما وجد بعضها الآخر طريقه الى مجموعات خاصة. وكان يمكن للعلاج أن يؤتى ثماره لو تم تنفيذه بأمانة وبمنهج علمى سليم، أى لو كان جريبوه فى عام ١٨٨٨ ودى مورجان فى سنة ١٨٩٦ حرصا على الحفاظ على النقوش وعلى تاريخ الجبانة أيضا. فازالة بلاطات الشواهد أمر سهل وبسيط؛ أما قصر التفكير على الحفاظ على النقوش دون الحرص على الآثار التى وضعت عليها فقد نتج عنه تدمير البيانات التاريخية والأثرية الشديدة الأهمية. وحتى لو لم يريدا القيام بدراسة علمية للجبانة، كان من الممكن وضع رقم مسلسل على كل بلاطة شاهد وتكراره على المقبرة التى يتم نزعها عنها حتى يمكن الركون الى هذا التاريخ فى دراستنا العلمية. ولم يكن ذلك بالأمر العسير. إلا أن حظ الشواهد العسر جعلها تنتمى الى التاريخ الإسلامى لا الى التاريخ الفرعوني. فلم يعد من الممكن أن نكتب اليوم تاريخ العمارة الإسلامية فى أسوان وتاريخ واحدة من أقدم الجبانات الإسلامية وأهمها على أساس سليم» .

إن نزع هذه النقوش التاريخية كان **بمثابة كارثة أثرية**. ولم ينته سوء طالع الجبانة بنزع بلاطات الشواهد؛ بل أضيفت اليه إقامة خط حديدى (وهو مهجور حاليا) وشق طريق من أسوان الى الشلال، وكلاهما يمر عبرها. ونجم عن ذلك بالطبع تدمير عدد من الأضرحة. وفى ١٩٠١، تمت إزالة ضريح بمسجد كان قائما فوق التل المواجه لفندق كاتاراكت لإنشاء خزان (مونيريه، ص٣-٤).

المقابر(٢٦٠)

يقسم مونيريه المقابر الى ثلاث مجموعات:

١ . مقابر تتكون من مساحة مسورة مستطيلة وصغيرة

وهى تزيد قليلا عن الحجم الذى يستوعب التابوت. وتدفن الجثة فى الأرض وحولها أربعة جدران تشكل

مساحة مسورة صغيرة تبلغ ٣ × ٤م. ولايزيد ارتفاع الجدران عن مترين. ويدعم هذه الجدران من الداخل اكتاف جصية مستطيلة فى الأركان وأحيانا فى وسط الوجه الداخلى للجدران الطولية. وليس هناك مدخل؛ بل فتحات هلالية الشكل تترك أحيانا بالجزء العلوى من الجدار. ويمكن أن ينظر الى الداخل من خلالها. وفى بعض الحالات، نجد محرابا نصف دائريا صغيراً فى الجانب الداخلى للجدار الجنوبى (انظر مونيريه، الشكلان ٢٨، ٢٩). وهناك حشوة غائرة بالواجهة الخارجية من الجدار الجنوبى وضع فيها النقش التذكاري. والمساحات المسورة التى بنيت لتضم مقبرتين زودت بحنيتان ؛ بينما زودت المساحات المعدة لثلاث مقابر بثلاث حنايا . أما الجزء الخارجى فهو خالٍ تماما بصورة عامة، وسمته الوحيدة المميزة هى وجود الحشوة الغائرة الخاصة بالنقش التذكاري؛

٢. مقابر ذات حشوات جانبية

ويتكون هذا النمط كسابقه من أربعة جدران. ولكن بدلا من أن تكون خالية تماما من الزخارف، نجدها مزخرفة بحشوات مستطيلة عريضة وضيقة بالتبادل مع وجود ست نجيمات مدببة أعلاها (شكل٦٤). والحشوة الوسطى بالجدار الجنوبى والتى تعمل كنقش تذكارى نزخرفها أحيانا أسنان مثلثة تشير الى الداخل. والمكان من الداخل بصورة عامة ملئ بالتراب حتى قمة الجدار. لكن هناك أحيانا غرفة مقبية اسطوانية لدفن الجثمان، وكتف العقد ملئ بالتراب حتى مستوى الأرض. وهذا هو الحال بالنسبة لمقبرة وحيدة فى الجبانة كلها احتفظت بنقشها التذكارى المؤرخ بشوال ٤١١هـ (يناير ـ فبراير١٠٢١م)؛

٣. مقابر مقبية

ويتكون هذا النمط الثالث من قبو اسطوانى صغير مغلق عند كل من طرفيه. وعلى جدار الطرف الشمالي، نجد فتحة معقودة كان يتم إدخال الجثمان منها، وكان العقد يتم سده بعد الدفن. وعلى جدار الطرف الجنوبى من الخارج، هناك حشوة غائرة للنقش التذكاري. وتتنوع معالجة الجوانب؛ ففى بعض الحالات، يتم ترك منحنى القبو ظاهراً ؛ وفى حالات أخري، يتم بناؤه مستويا بالآجر بحيث يشكل كتلة منشورية تشبه المصطبة. وفى هذا النوع من المقابر، نجد أن البناء بأكمله مشيد بالطوب اللبن فيما عدا عقد المدخل حيث تم بناؤه بالطوب الأحمر [الآجر].

الأضرحة

يصنف مونيريه (ص٢٣-٢٤) الأضرحة الى نمطين رئيسين : مربع ومستطيل. وبكل من النمطين ثلاثة أنواع فرعية (شكل ٦٥). يتكون النمط المربع من حجرة مربعة تغطيها قبة. ولهذا النمط ثلاثة أنواع فرعية نظرا للتنوع بالجزء السفلى منه:

أ) يتكون الجزء السفلى من أربعة عقود تنبت من دعامات ركنية على شكل حرف L

بـ) الجانب الجنوبى مغلق ويتوسطه محراب وتركت عقوده الثلاثة الباقية مفتوحة.

جـ) الجوانب الأربعة جميعا مغلقة بجدار. وهناك محراب يتوسط الجانب الجنوبى وباب يتوسط الجدار المقابل للمحراب .

ويتكون النمط المستطيل من حجرة مستطيلة يتوسطها مربع تعلوه قبة ثم غطى كل من الجزءين الباقيين على جانبى المربع من الشرق والغرب بقبو اسطوانى قصير . وينقسم هذا النمط فى رأى مونيريه الى ثلاث مجموعات فرعية هى :

أ) باب في منتصف كل جانب
بـ) نفس الشيء عدا أنه حل محل الباب فى الجانب القبلى محراب .
جـ) نفس الشيء مثل (ب) عدا أن له بابا واحدا فقط (يواجه المحراب) وتمت إضافة فناء أمامى على الجانب الشمالى . وهذا النمط شديد الندرة وليس هناك منه إلا نموذجان.

كما أن هناك ثلاثة متغيرات فرعية ضمن هذا النوع الأخير. ففى النوع الأول، نجد أن عرض القبو الاسطوانى هو نفس عرض القبة، ويقل فى النوع الثاني. وفى النوع الأخير، نجد حشوة غائرة الى الشمال والجنوب أيضا.

كيف تطورت هذه الأنماط؟

هناك عدة أمثلة بنى فيها ضريح من نوع ما فى مقابل ضريح من نوع آخر مختلف وسابق، مما يمكننا من تحديد تتابعهما التاريخى والإجابة على السؤال المذكور. فعلى سبيل المثال، لدينا ضريح من النوع المستطيل بقبة ترتكز على أربع حنايا ركنية بينها نوافذ على شكل حرف (V) فيما بينها وتبرز الى الخارج. وتم بناؤه فى تاريخ لاحق فى مقابل رقم ٢٣ (حسب ترتيب مونيريه) وهو مربع بسيط تعلوه قبة على أربع حنايا ركنية (شكل ٦٨). من ثم، يمكن أن نستنتج أن النوع «المربع ذا القبة» كان سابقا على النوع المستطيل، لولا المجموعة التى تشكلها الأضرحة أرقام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ (شكل ٦٦). ولدينا هاهنا تتابع معكوس؛ فتم تشييد رقم ١٩ أولا؛ وفى النهاية، تم تشييد رقم ١٨ فى مواجهته. وجعل الجانب المتصل أقل سمكا من الجانب المواجه له. وفى فترة لاحقة تم بناء رقم ١٧ ، وهو مربع ذو قبة بسيطة وعقود مفتوحة ويجاور رقم ١٨ ويقع على نفس محوره. وهنا أيضا تم بناء الجانب الموصل بينهما بحيث يكون أقل سمكا من البقية لنفس السبب. وتفسير ذلك أنه بعد أن تطور النوعان، فإن النوع الأسبق زمنا (أيا كان) لم يختف؛ بل ظل موجودا جنبا الى جنب مع أنواع تطورت فيما بعد، مما يجعل الدليل على التتابع الزمنى المذكور يبدو متناقضا وغير مكتمل.

نظرية مونيريه

يدرج مونيريه (ص٢٤) النوع المستطيل الذى تغطيه قبة وسطى وقبوان اسطوانيان قصيران ضمن مرحلة أسبق من المربع ذى القبة قائلا إن النوع الأول كان مشتقا من المقبرة ذات القبو الاسطوانى المستطيل من خلال إحلال قبة محل الجزء الأوسط من القبو الاسطوانى وإن النوع «المربع ذا القبة» جاء فيما بعد. ولا نظن من جانبنا أن هذا هو المسار الطبيعى للتطور المعماري. فإقامة قبة على مربع كانت مشكلة صعبة لم يستطع حتى الرومان حلها. وبعد أن تم حل هذه المشكلة، أمكن ظهور مسألة مد جانبين أو أكثر من جوانب المربع عن طريق الأقبية الاسطوانية.

أما بالنسبة لمناطق الانتقال، فكان التطور يتجه من البساطة الى التعقيد. ومادام الأمر كذلك، ينبغى أن نستنتج أن أشد مناطق الانتقال بساطة جاءت أولا ثم تلتها الأنواع الأكثر تعقيدا والمكونة من أربع حنايا ركنية بينها أربع نوافذ على شكل حرف V تبرز الى الخارج (أرقام ٥، ٧، ١١، ١٥، ١٩). والنماذج الستة من هذا النوع والتى لاتزال محفوظة بأسوان لم توجد أبدا فوق مربعات ذات قباب بسيطة؛ بل إنها جميعا فوق أضرحة من النوع المستطيل ذى القبو الاسطوانى فى جزء منه. وهكذا يبدو أن المسار الحقيقى للتطور كان على النحو التالي:

الثانى (أ) قبة على أربعة عقود مفتوحة
الثانى (ب) قبة على ثلاثة عقود مفتوحة والجانب القبلى مغلق وبه محراب
الثانى (جـ) قبة على حجرة مربعة، والمحراب فى الجانب القبلى وتجاهه باب .

النوع الثالث

(أ) ضريح مستطيل بقبة فى الوسط وقبو اسطوانى الى اليمين واليسار وباب يتوسط كل ضلع.

(ب) ضريح مستطيل بقبة فى الوسط وقبو اسطوانى الى اليمين واليسار ولكن بثلاثة أبواب فقط ومحراب يتوسط الجانب الجنوبي.

(جـ) ضريح مستطيل بقبة فى الوسط وقبو اسطوانى الى اليمين واليسار ولكن بباب واحد فقط فى تجاه المحراب وفناء أمامى أمام المدخل.

من ثم، أجدنى أميل الى قلب الترتيب الذى اتبعه مونيريه، فتصبح المجموعة الثالثة عنده المجموعة الثانية عندي، وتتحول المجموعة الثانية عنده الى المجموعة الثالثة عندي.

النوع الثانى (أ)

هناك نموذجان فى حالة جيدة من هذا النوع، وهما رقما ٣٣ و١٧ (لوحة ٤٠أ، ب). وكلاهما فقد قبته، وفقد الأخير رقبته أيضا، والنموذج رقم ٣٣ صغير جدا فى الحقيقة حيث لاتزيد مساحته عن ١,٥م٢ من الداخل و٢,٤٠م من الخارج (شكل ٦٦). وهناك أربعة ألواح حجرية [بلاطات أفقية مثلثة مستقيمة الحافة] وضعت عبر الأركان وتمثل دعما لرقبة ثمانية ملتوية الى الداخل. وأركانها العلوية تنحرف الى الأمام كالقرون كما هو الحال فى كل الرقاب بالجبانة والتى لاتزال محفوظة فى حالة جيدة. والنموذج رقم ١٧ أكبر حجما حيث لاتزيد مساحته عن ٣م٢ من الداخل وأقل من ٤م من الخارج (شكل ٦٦). ومنطقة الانتقال منفذة بأربع حنايا ركنية شيدت كتلك التى نراها بفيروزاباد. وهو نمط مستخدم أيضا فى ضريحين آخرين هما رقما ٥٤ و٥٥. وفى كل من هذين الضريحين، عولجت منطقة الانتقال كجزء من القاعدة المكعبة وليست بها أية نوافذ.

النوع الثانى (ب)

هناك ما لا يقل عن أحد عشر نموذجا من هذا النوع، وهى أرقام ١٠، ٤٧، ١٣، ١٤، ٢٠، ١٢، ٢٣، ٣١، ٢٦، ٥٠، ٤٢. وفى كل من هذه الحالات، نجد فى الجدار الجنوبى محراب خال من الزخرفة. وفى كل من هذه الحالات تم تنفيذ الانتقال بعقد مدبب وحنايا ركنية على هيئة نصف قبة، عدا الحالة الأخيرة حيث يغطيها قبو قبابي[٢٦١] انهار الجزء الأكبر منه (لوحة ٤٢ب). وأضرحة هذا النوع أكبر قليلا من أضرحة المجموعة السابقة، اذ يبلغ متوسط مساحة كل منها ٢,٥م٢. وهناك أربع نوافذ تظهر حاليا فى منطقة الانتقال بين الحنايا الركنية عدا رقمى ١٠ و٤٧ حيث لا نجد أية نافذة، وفى أرقام ١٣ و١٢ و٢٣ حيث لانجد إلا ثلاث نوافذ فقط وعولجت الرابعة من الخارج كمحراب أصم ليحمل النقش التذكارى للمتوفي. ومن الواضح أن الرقاب كلها تنتمى الى هذا النوع، بثمانى نوافذ وأضلاع ملتوية الى الداخل و«قرون» فيما عدا الرقاب التى تدهور حالها الى درجة كبيرة. وفقدت النماذج أرقام ١٣ و٢٣ قبابها تماما، فلا يبقى سوى تسع قباب جميعها مدببة عدا رقم ٤٧ الذى أصبح تاجه مسطحا. وتوحى البقايا التى نجدها عند أركان القاعدة المكعبة فى النماذج أرقام ١٠، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٣١ أنه كان هنا نوع ما من قواعد التماثيل.

النوع الثانى (جـ)

هناك ستة نماذج من هذا النوع، وهى أرقام ٥٤، ٣٩، ٤٦، ٥١، ٣ ونموذج غير مرقم **بحصن هارون**. وفى رقم ٥٤، تم تنفيذ الانتقال عن طريق نوع مماثل لما نراه من الحنايا [حنايا مخروطية مستوية السطح] فى فيروزاباد (لوحة ٤٢ و)؛ وفى أرقام ٣٩، ٤٦، ٥١ والنموذج الموجود **بحصن هارون**، عن طريق حنايا ركنية معقودة مدببة أو على هيئة نصف قبة؛ وفى النموذج ٣ بمثلثات كروية. وفقد النموذج الأخير قبته. وجميعها بها نوافذ بين المثلثات، والرقاب بثمانى نوافذ وأضلاع ملتوية الى الداخل و«قرون».

الأضرحة ذات القباب

مناطق الانتقال

أقيمت قباب هذه الأضرحة على المربعات بخمسة طرق مختلفة كالتالي:

١. بعتب حجرى وضع عبر كل ركن فيتحول المربع بذلك الى مثمن، وهو أسلوب لايستخدم بأمان إلا مع القباب الصغيرة جدا كتلك التى تنتمى الى النماذج ٦، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٣٣، ٤٨، ٥٥.

٢. بمنحدر مثلث من الحجر، والنموذج الوحيد على ذلك الأسلوب نجده فى رقم ٤٩.

٣. بمثلثات كروية، ونجد هذا الأسلوب فى أرقام ٣، ٨، ١٨، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧.

٤. بحنايا مخروطية بصورة تشبه نصف مخروط وضع على جانبه ويشبه فى بنائه بناء فيروزآباد. ولايتبع هذا الأسلوب إلا فى أرقام ١٧، ٥٤، ٥٥.

٥. بحنايا ركنية عادية، أى بأنصاف اسطوانات على هيئة نصف قبة. ونجد هذا النمط مستخدما بما لا يقل عن عشرين مرة فى أرقام ٢، ٤، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١ وفى ضريح حصن هارون؛

٦. وهذا الأسلوب مشتق من الأسلوب السابق، حيث تم تنفيذ منطقة الانتقال من الحنايا الركنية. أما الفراغ بينها، فتشغله نوافذ على شكل حرف V ومحراب على هيئة نصف قبة فوق كل منها. وتمتد هذه المحاريب الى أعلى بين النوافذ الموضوعة الحنايا الركنية. والحنايا الركنية والنوافذ على شكل حرف V والمحاريب التى على هيئ نصف قبة كلها ناتئة الى الخارج، وأشكالها المستديرة تعطى تأثيرا غريبا للغاية. وقد يوصف هذا النمط بأكمله بأنه تطوير غير ذى معنى ولا جدوى، من النوع الخامس، وهو يقتصر تماما على الأضرحة القبابية المستطيلة المستخدمة فى أرقام ٥، ٧، ١١، ١٥، ١٩، ٣٢.

رقاب القباب

هناك دائما رقبة بين منطقة الانتقال والقبة. وتتفاوت هذه الرقاب (عدا فى النموذجين ٢٨ و٤٨ وهما مربعان من الداخل) من منشور مثمن بسيط الى الشكل الغريب الذى نراه فى النوع السادس السابق الذكر. ولانجد المنشور المثمن البسيط المسطح الجوانب إلا فى النماذج ٤، ٢٨، ٣٩ حيث تتميز الرقبة بجوانبها المقعرة كما هو الحال فى النماذج ٧، ٣٠، ٥٠ حيث تميل الأركان العلوية الى الانحناء الى الأمام قليلا، وهو مالايزال ملحوظا فى النماذج ٢٠، ٤٧، ٥١، ٥٢؛ ويتخذ شكلا مطلقا فى النماذج ١٢، ١٤، ٣١، ٤٩ حيث تبرز الأركان كالقرون. وتم تنفيذ ذلك عن طريق إبراز الآجر. ويعد هذا النوع من الرقاب خاصية تميز صعيد مصر ونراه فى الشلال وإسنا وقوص وسوهاج (انظر مونيريه)؛ إلا أنه غير معروف فى القاهرة. ونجد الرقاب المثمنة ذات الجوانب المسطحة (بدون «قرون») فى مسجد القيروان الجامع فى القبة المشيدة أمام المحراب (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) وفى مسجد سوسة الجامع فى القبة المشيدة أمام المحراب (٢٣٦هـ/٨٥٠م)؛ وبالتالي، فهذه الرقاب الاسطوانية قد تكون تطورا لنمط تونسى أقدم كان له تأثيره على صعيد مصر [أى جنوب مصر] لا شمالها على ما يبدو.

وتتميز النوافذ فى هذه الرقاب عامة بأنها فتحات مبسطة معقودة ومستديرة عدا بالنموذجين ٢٤ و٢٥ اللذين يشبهان النوافذ الموجودة برقبة مشهد السيدة رقية (لوحات ٨٦ جـ، ١١٣ أ، ب).

مادة البناء

شيدت الأضرحة بصفة عامة بأبسط المواد المتاحة –أى بالطوب اللبن– فيما عدا العقود وأحيانا القباب حيث

استخدم الطوب الأحمر [الآجر] بمقاس ٢٥ × ١٢ × ٣,٥سم عادة. والجدران مكسوة بصورة عامة بطبقة من الجص سقطت منها أجزاء كبيرة وأحيانا تكسوها ألواح حجرية.

مشكلة تاريخ بناء المقابر والأضرحة

سبق أن ذكرنا المأساة التى تعرضت لها كل هذه الأضرحة والمقابر -عدا واحدة- ففقدت نقوشها التى تحمل التواريخ. وقام مونيريه (نفس المصدر) بتصنيف النقوش الستمائة التى تم رفعها من أسوان تحت **التواريخ التالية**(٢٦٢):

القرن الثانى الهجرى (٨م)	....	١٢
القرن الثالث الهجرى (٩م)	....	٤٩٦
القرن الرابع الهجرى (١٠م)	....	٥١
القرن الخامس الهجرى (١١م)	....	٣٨
القرن السادس الهجرى (١٢م)	....	٣
		٦٠٠

وهكذا فإن ما يقرب من خمسة أسداس هذا العدد (٤٩٦ من ٦٠٠) ينتمى الى القرن الثالث الهجري، ومعظمه بين الأعوام ٢٤٤ و٢٦٦هـ (٨٥٥-٨٧٩م) بمعدل سنوى عشرة تقريبا. فى حين كان هناك ٢٠٠ فى الأربعين عاما السابقة بمعدل خمسة كل عام. وفى الثلاثين عاما التالية، كان هناك ٣٥ فقط. وهكذا كان أقصى معدل للنشاط من سنة ٢٠٠ الى ٢٦٦هـ (٨١٥-٨٧٩م)، أى فى أوائل العصر العباسى وتحت حكم أحمد بن طولون [ت ٢٧٠هـ]. ويخرج مونيريه بالنتائج التالية:

١. المقابر من النوعين أ، ب هى الأقدم لأنها تقليد لنموذج مصرى كان منتشرا إبان الدولة الحديثة ولايزال مستخدما فى الحقبتين البيزنطية والقبطية.

٢. تعد المقابر ذات الأقبية (النوع جـ) أحدث زمنا من المقابر السابقة، وترجع إحداها الى شوال ٤١١هـ (يناير ـ فبراير ١٠٢١م).

٣. الأضرحة من النوع الثالث (أى النوع الثانى فى ترتيبنا) مشتقة من النماذج الكلاسيكية التى كانت منتشرة فى الامبراطورية البيزنطية ومصر القبطية (واحة الخارجة)

٤. تعد أضرحة النوع الثانى (أى النوع الثالث فى ترتيبنا) تطورا للمقبرة المستطيلة ذات القبو الاسطوانى ولا سابقة لها، لا كلاسيكية ولا قبطية.

ثم يضيف مونيريه قائلا إن «محاولة تحديد التواريخ على مثل هذا الأساس الواهى تعد أمرا غير جاد علميا ولا يؤدى بنا إلا الى الخطأ الى أن يزيد التعمق فى دراسة العمارة الإسلامية بصعيد مصر. وأعتقد أن كل الأضرحة بجبانة أسوان تعد متأخرة نسبيا، أى تنتمى الى القرون من الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادي. وأعتقد أن أغلب النقوش الشاهدية جاءت من مقابر بسيطة. لكن هذا رأيى الشخصى ولا وثائق لديّ لكى أدلل بها عليه».

إن استنتاجاته تبدو سليمة، لكنى أعتقد أن هناك دلائل أكبر تؤيدها أكثر مما ظن هو نفسه. وسأحاول أن أثبت أن تواريخ هذه الأضرحة يمكن تضييقها من الجانبين. ولنبدأ بالبناء المعروف حاليا بالمشهد (رقم ١ عند مونيريه). وسنرى أن بناؤه تم فى أواخر القرن الحادى عشر الى أوائل الثانى عشر الميلادى على الأرجح، وأنه كان أحدث الأضرحة القائمة بناء على منطقة انتقاله التى تمثل مرحلة متأخرة من التطور عن أى من المنشآت الأخرى الموجودة بالجبانة. كما رأينا أن هناك ما لايزيد عن ثلاثة نقوش من مجموع ٦٠٠ ترجع فى تاريخها الى ما بعد

عام ٥٠٠هـ (١١٠٦م) لذا يمكن لنا أن نستنتج أن أضرحتنا لا تنتمى الى فترة أحدث من القرن الحادى عشر.

ولنبدأ الآن من الجانب الآخر. رأينا أن إقامة الأبنية فوق القبور كان محرما فى فجر الإسلام وأن أول ضريح تمت إقامته فوق قبر خليفة كان قبة الصليبية بسامراء والتى أقيمت فوق قبر المنتصر على يد والدته اليونانية التى حصلت على إذن خاص بذلك لدى وفاته فى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م). وكان الضريح التالى هو ضريح إسماعيل السامانى (توفى ٢٩٦هـ/ ٩٠٧م) فى بخارا. وهو مكعب فوقه قبة بجوانب مفتوحة (فيما مضي). ثم يلى ذلك «القبة الضخمة القائمة على أربعة أضلاع بباب على كل ضلع» (أى مكعب آخر فوقه قبة وبجوانب مفتوحة) بنيت فوق قبر الإمام على بالنجف على يد أبي الهيجاء عبدالله الحمدانى الذى توفى فى سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م)؛ ثم القبة التى بنيت بقم فى سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) فوق قبر محمد بن موسي؛ ثم السبع بنات بالفسطاط (٤٠٠هـ/١٠١٠م). ونستنتج أن المقبرة الكانوبية [ذات السقيفة] -أى المكعب ذى القبة والجوانب المفتوحة- كان أول نوع حتى مطلع القرن الحادى عشر(٢٦٣). ورأينا أنه من بين الخمسين ضريحا بأسوان لا ينتمى الى هذا النمط سوى أربعة فقط (هى أرقام ١٧، ٣٣ واثنان غير مرقمين). ولا يحتمل بالتالى أن يرجع أى من هذه الأضرحة الى تاريخ أسبق من عام ١٠٠٠م وأن مونيريه كان محقا تماما حين ظن أن الجزء الأكبر من النقوش الشاهدية (وأعتقد أنها كل النقوش التى ترجع الى ما قبل عام ٤٠٠هـ) جاء من المقابر البسيطة.

وصف لبعض النماذج

يعد النموذج رقم ٣٣ (لوحة ٤٠ أ، شكل ٦٦) أحد أصغر النماذج فى الجبانة كلها؛ فلا تزيد مساحته عن ١,٥٧م مربع من الداخل وما لا يزيد عن ٢,٥م من الخارج. وبنى بأكمله من الطوب اللبن، مساحة كل طوبة ٢٤ × ١٦ × ٧ سم، ويفتح على كل الجوانب الأربعة بعقود يتكون كل منها من حلقتين من الطوب اللبن تقل عن متر فى مساحتها. والألواح الحجرية المسطحة الموضوعة عبر الأركان بارتفاع ١,٧٨م عن الأرضية تمثل دور المقرنصات، وترتكز عليها رقبة القبة المثمنة وارتفاعها ٩٠سم وبها نوافذ مساحتها ٤٠ × ٢٥سم وهى مسطحة من الخارج وأركانها العلوية بارزة بحيث تمثل «قرونا» عادية، وهو مايميز الجبانة كلها. ولم يبق من القبة سوى بعض الصفوف هنا وهناك. وكل ذلك موضوع على قاعدة مربعة يبلغ ارتفاعها نصف المتر تقريبا، وتبرز حوالى ١٦سم على الجانبين الشمالى والجنوبى فقط. والمساحة من قمة الجدران الخارجية وحتى مستوى الأرضية حوالى ٢,٥م بحيث يمثل الجزء السفلى (ذى القاعدة المربعة) مكعبا تاما مساحته ٢,٥م على كل جانب.

وهناك ضريح آخر (غير مرقم) الى الجنوب ومفتوح أيضا على الجوانب الأربعة جميعا وبه قاعدة مربعة عريضة تبرز بمسافة متر شمإلا وجنوبا، وقاعدة مربعة أخرى على بعد ٤م تقريبا الى الشرق بدون قبة أو رقبة؛ إلا أن حناياه الركنية [المخروطية] الدقيقة لاتزال باقية.

رقم ٧ (لوحة ٤٠ ب، ٤٤ جـ، شكل ٦٦): بنى هذا الضريح الذى فقد رقبته وقبته أمام الجانب الغربى من رقم ١٨ والجانب الملاصق أقل سمكا من البقية ومساحته أقل من ٣م٢ من الداخل. وعلى كل ركن حنيه [ذات سطح مخروطى مستو] من الطوب الأحمر بنيت كمثيلتها فى فيروزاباد. وسطح الجدار بينها منحن. ويلاحظ أن الحنايا وضعت بين الجزء العلوى من العقود بدلا من وضعها فى منطقة انتقالية مستقلة فوقها.

رقم ١٠ (لوحة ٤٠ جـ، شكل ٦٦): يعد هذا الضريح الذى بنى بكامله من الطوب اللبن فى حالة سيئة للغاية. ومن الغريب أنه ليس مربعا، بل مستطيلا الى حد ما؛ اذ تزيد مساحته بمقدار ٣٥سم من الشمال الى الجنوب عنها من الشرق الى الغرب. ويبلغ سمك الجدران حوالى ٧٠سم. وعلى قمة الجانب الجنوبي، هناك حشوتان غائرتان مستطيلتان وضعتا على ما يبدو بهدف وضع اللوحة التذكارية. وتعد الحنايا الركنية فيه فقيرة،

وليس بينها نوافذ. وتعلو حافاتها السفلية عن الأرضية بمسافة ٢,٠٨م ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٨٢سم. ورقبة القبة مثمنة من الداخل ومقعرة من الخارج وبها ثماني نوافذ. ومع أن الجزء الأكبر من القبة انهار، إلا أنه من الواضح أنه تم رفعه على الأركان الثمانية عن طريق ألواح حجرية صغيرة.

رقم ٤٧ (لوحة ٤٠ ء، شكل ٦٦): بنى هذا الضريح الذى تبلغ مساحته ٢م٢ من الداخل و٣,١٠م٢ من الخارج من الطوب المحروق بأكمله. ويضم محرابا ذا عقد منكسر بالضلع الجنوبي، ويرتكز على قاعدة مربعة من الطوب بكسوة أسمنتية عرضها يقل عن متر واحد. والحنايا الركنية فقيرة كما هو الحال في النموذج رقم ١٠. وترتفع حوافها السفلية عن ٢م فوق الأرضية. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقاد ٩٤سم. وقرون رقبة القبة ليست بالقدر المعتاد من النتوء؛ وتميل قمة القبة الى الاستواء قليلا.

رقم ١٣ (لوحة ٤٠ هـ، شكل ٦٧): تبلغ مساحته حوالى ٣م على كل ضلع من الداخل و٤,٢٠م تقريبا من الخارج. وتم بناء الجزء السفلى منه بأكمله من الطوب اللبن بما فى ذلك العقود الرئيسية بيد أن عددا قليلا من قوالب الطوب المحروق تم استخدامها على قمة هذه العقود الرئيسية كما نرى فى اللوحة، وهى خاصية سنجدها مرة أخرى في النموذج ١٤. وتنحدر الجدران الخارجية الى الخلف قليلا ويتوجها صف مستقيم من الألواح الحجرية البارزة قليلا. وبنيت الحنايا الركنية المعقودة التى وضعت بحوافها السفلية فوق الأرضية بمسافة ٢,١٠م من الطوب المحروق. وعقود النوافذ فيما بينها أصغر قليلا. وتم سد العقد الجنوبى (كما هو الحال بالنسبة للنماذج أرقام ١٤، ١٢، ٢٠، ٢٣) وبقيت حشوة ضحلة على الضلع الداخلى وتشغل مكانها من الخارج حشوة غائرة مستطيلة ضيقة. وكانت تشغلها على الأرجح فيما مضى لوحة تذكارية. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,١٠م وتمثل مثمنا محددا واضح المعالم، وفوقه رقبة مثمنة بنفس الارتفاع تقريبا ومقعرة من الخارج وبها ثمانى نوافذ، و«القرون» هاهنا ليست بارزة تماما، كما هو الحال فى النموذج ٤٧. وتم وضع الرقبة على منطقة الانتقاد بصف مستقيم من الألواح الحجرية الناتئة. وانهارت القبة إلا بضع صفوف شيدت من الطوب المحروق. وتحت القبة، هناك قاعدة مربعة ارتفاعها ٢٠سم ومساحتها ٢,٥ × ٢م.

رقــم ١٤ (لوحة ٤١ أ، ب، شكل ٦٧): وهو يشبه النموذج السابق الى درجة كبيرة؛ فهو بنفس الحجم تقريبا وبنى بكامله من الطوب اللبن وبنفس الاستثناءات المذكورة فى النموذج السابق. وتبدأ منطقة الانتقال على ارتفاع ٢,٣٥م من الأرضية وارتفاعها ١,٧م. وترتفع قمة القبة عن الأرضية بمسافة ٦,٤٥م. وهنا أيضا نجد حشوة ضحلة تحتل مكان النافذة الجنوبية. ويحتل مكانها من الخارج إطار معقود غائر. وتنحدر الجدران الخارجية الى الخلف قليلا ويتوجها صف مستقيم من الألواح الحجرية. وبالنظر الى ماتبقى بالركن الشمالى الغربي، يبدو أنه كانت هناك قاعدة تمثال مبسطة من نوع ما. وتبرز القبة المثمنة من الداخل والمقعرة من الخارج فوق منطقة الانتقال وفوقها قبة من الطوب المحروق. وتحت القبة قاعدة مربعة متميزة من الطوب المكسو بالجص وارتفاعها ٤٣ سم. والجزء الأوسط غائر بمسافة ١١سم.

رقم ١٢ (لوحة ٤١ ء، شكل ٦٧): ويقل حجمه قليلا عن سابقه، حيث تبلغ مساحته ٢,٧٠م٢ من الداخل و٤,٢٠م٢ تقريبا من الخارج. وتميل سائر جدرانه الى الانحدار قليلا الى الداخل. وهو مبنى من الطوب اللبن بنفس الاستثناءات التى تنطبق على سابقه. فرغم وجود كسوة محفوظة فى حالة جيدة تماما من الجص، إلا أن هناك بعضا من الطوب اللبن مكشوفا عند المحراب. وتبدأ منطقة الانتقال على ارتفاع ٢,٣٠م عن الأرضية ويبلغ ارتفاعها ٩٨ سم. وهنا أيضا نجد أن النافذة الجنوبية قد سدت (كما هو الحال فى النموذجين ١٣، ١٤) مما نتج عنه حشوة ضحلة فى الداخل والخارج. وكانت الحشوة الغائرة الخارجية بالطبع مخصصة للوحة التذكارية. والرقبة

المثمنة من الداخل والتى تحتوى على «قرون» من الخارج بها ثمانى نوافذ معقودة مستديرة. ويبلغ ارتفاع قمة القبة عن الأرضية ٦,٢٥م. وترتفع الأرضية عن الأرض بمسافة ٣٠سم ومبلطة بالطوب الأحمر. وتحت القبة قبر أجوف كما نرى فى اللوحة.

رقــم ٢٠ (لوحة ٤١ ء، شكل ٦٧) : وحجمه تقريبا هو نفس حجم النموذج السابق. وتم بناؤه من الطوب اللبن. ويلاحظ أن الضلع الجنوبى أطول من نظيره الشمالى بمقدار ٣٣سم. وحين نمعن النظر، يتبين أن ذلك يرجع الى زيادة سمك الضلع الغربى من الجنوب الى الشمال مع أن منطقة الانتقال تتبع الخط (أ). وتفسير ذلك كما يلي، عند نقطة الاتصال بالضريح (ب) يمكن أن نرى أن الضلع الشرقى من الضريح مكسو بالجص، فى حين أن الضلع الغربى للنموذج (٢٠) المتصل به ليس مكسوا بالجص؛ وبالتالي، فالأرجح أن (ب) هو الذى بنى أولا، لأن ضلعه الشرقى ماكان يمكن أن تضاف اليه كسوة جصية مالم يكن قائما بمفرده ومستقلا حين تم بناؤه. وعندما تم بناء النموذج (٢٥) ظهرت الرغبة فى تعديل القبلة بتحويلها الى اليسار قليلا. وفى سبيل تحاشى ظهور فجوة، تم بناء جداره الغربى كما يتبين باللوحة. وتم ترك محراب فى الوسط بدلا من عقد مفتوح. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,٢٢م وترتفع عن الأرضية بمقدار ٢,٥٠م. وتبرز الحنايا الركنية أكثر من المعتاد وترتكز على ألواح حجرية. وهناك نافذة بين كل اثنين عدا على الضلع الجنوبى حيث نجده يعامل بنفس الطريقة التى عوملت بها النماذج ١٢، ١٣، ١٤، ١٠، ٢٣ القريبة منه. ورقبة القبة مثمنة من الداخل إلا أنها مقعرة من الخارج. والقبة محمولة عبر أركان الرقبة على ألواح حجرية طائرة. وتحت القبة التى تعلو قمتها بارتفاع ٦,٦٠م عن الأرضية قاعدة مربعة من الطوب المحروق مساحتها ٢,٤٤ × ٢,١٧م.

رقــم ٢٣ (لوحة ٤١ هــ، شكل ٦٨) : وحجمه يساوى حجم النموذج السابق وبنى من نفس المزيج من المواد الخام الموزعة بنفس الطريقة. فهو مغلق على ضلعه الشمالي. ولم يترك به سوى حشوة . ويبدو أن الجزء السفلى من هذه الحشوة كان مغلقا دائما، فتجرى الصفوف فى داخلها، فى حين من المحتمل أن كانت فوقها كوة هلالية الشكل. إذ نرى الإطار المعقود وهو يمر مباشرة ويمكن رؤيته من الخارج وربما لم يتم تسويره إلا لاحقا، لأن الوصلة مختلفة تماما وتتكون من صف واحد من اللبنات وضع مسطحا بصورة تبادلية مع صف آخر وضع على حافته. ويتكون الحشو – على خلاف الجدار من تحته – من صف من الطوب اللبن وضع رأسيا؛ يليه صف وضع أفقيا، وهكذا بالتناوب. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,٠٦م، والحواف السفلية للحنايا الركنية تعلو الأرضية بمسافة ٢,٣٩م. وارتفاع الرقبة التى تبرز الى الأمام قليلا هو تقريبا نفس ارتفاع منطقة الانتقال. وانهارت القبة، أما الأرضية التى تعلو عن مستوى سطح الأرض بحوالى قدم واحد، فتمتد جنوبا بقاعدة مربعة عرضها ١,١٠م، وطرفها الشرقى مغلق بجدار يزيد ارتفاعه عن المتر بقليل وبه محراب صغير.

رقــم٣١ (لوحة ٤٢ أ) : انهار نصفه ولم يبق سوى الضلعين الشرقى والجنوبى بمساحات ٣,٣٣ و٣,٤٦م على التوالى وجزء من القبة. وهو مشيد من الطوب فيما عدا كل العقود والرقبة بأكملها والقبة، حيث بنيت من الآجر المحروق. ولا يزيد سمك القبة عن سمك طوبة واحدة. وهناك أربع نوافذ بين الحنايا الركنية، فلم يتم سد النافذة الجنوبية منها بحيث يترك مكان بها من الخارج للوحة التذكارية. وعوضا عن ذلك، تمت معاملة العقد الرئيسى أسفل كل حشوة معقودة من الداخل والخارج على السواء. وتهشم هذا الجزء، إلا أن جزءا من الكسوة الجصية لايزال باقيا وتمتد تحته المداميك محاذية. ويمثل الجزء المعقود من الحشوة حشوة غائرة ثانية عمقها ١٩ سم بغرض أن تتسع للوحة التذكارية على مايبدو. ولاتزال هناك منصة ربع دائرية باقية على ركنين.

رقــم٤٢ (لوحة ٤٢ب) : تميزه سمتان، أولاهما أن المحراب يقع على الضلع الشمالي، والأخرى أنها مغطاة

بقبو قبابي(٢٦٤)، وهى ميزة لانراها حسب علمى فى أى مكان آخر بأسوان عدا فى المشهد. وفوق المحراب حشوة غائرة مستطيلة كانت بالضرورة تحوى لوحة تذكارية ذات يوم.

رقم٤٦ (لوحة ٤٢ جـ، ء، شكل ٦٨): تبلغ مساحته من الداخل ٢,١٥م وبنى بكامله من الطوب اللبن عدا العقود. وللمحراب ذى العقد المنكسر ظهر مسطح. وترتفع الحنايا الركنية عن الأرضية بمسافة ٢,٠٧م، ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٥٨سم والرقبة ٨٠سم. وعلى خلاف الحال فى النموذج السابق، نراه يضم نوافذ بين المقرنسات.

رقم٥٣ (لوحة ٤٢ هـ، شكل ٦٨): بنى بأكمله من الطوب اللبن باستثناء القبة والحنايا الركنية. وهو أكبر قليلا من النماذج التى وصفناها حتى الآن. فتبلغ مساحته من الداخل ٣,٢٠م، ومن الخارج ٥م. والجدران خالية من الزخارف من الداخل وليس بها محراب؛ إلا أنها تبرز الى الخارج بحشوات معقودة عرضها ١,٧٠م وعمقها من ٢٤ الى ٣٠سم. وبالحشوة الجنوبية حشوة غائرة ثانية عرضها ٩٠سم كانت بالضرورة بغرض أن تسع لوحة تذكارية. أما المدخل فيمثل مشكلة؛ فيتم الدخول اليه من خلال فتحة ضيقة وطويلة فى الحشوة الشرقية عرضها نصف المتر تقريبا وحوافها مهشمة. وتحتها مباشرة شريحتان من عقد تهشمت قمته. فهل كان هذا هو المدخل الأصلى للضريح، أم القبو الكائن أسفله؟ ومما يؤسف له أن مستوى الأرضية لايمكن تحديده بسبب تراكم الرمال. وتنتمى الحنايا الركنية المبنية بالآجر المحروق الى النمط الفيروزآبادي، [ذات سطح مخروطى مستو] وكذلك شكل السطح بينها، حيث ينحرف باتجاه أضلاع النوافذ. ويبلغ ارتفاع المنطقة الانتقالية ٨٠سم. وتعد الرقبة المستديرة من الداخل أطول قليلا من المعتاد وأضلاعها الداخلية مقعرة وبها «قرون» فى حالة سيئة وترتكز عليها قبة من الآجر المحروق. وعلى الجانب الجنوبى هناك مصلى صغير تمت إضافته وبه محراب.

رقم٥٤ (لوحة ٤٢ هـ، شكل ٦٨): وهو أكبر قليلا من الداخل عن سابقه، حيث تبلغ مساحته ما يزيد عن ٣,٥م٢، إلا أن جدرانه أقل سمكا، مما يجعله يبدو بحجم مماثل تماما من الخارج. وكما هو الحال فى النموذج السابق، بنى هذا النموذج كله من الطوب اللبن عدا الحنايا الركنية والقبة. والجدران بارزة من الخارج بحشوات ذات فجوات مضاعفة، إلا أن الجدران من الداخل خالية من الزخارف عدا عقود الحشوات التى تستمر كما هو الحال فى النموذج ٥٢ (لوحة ٤٣ أ) باستثناء العضادات. وليس به محراب. وبه مدخل واحد وضع فى حشوة الضلع الشرقي. ولامجال لتحديد مستوى الأرضية نظرا لتراكم الرمال. وتنتمى الحنايا الركنية الى النمط الفيروزابادى كما هو الحال فى النموذج ٥٣. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٨٠سم وارتفاع الرقبة ١,٢٥م. وهناك شريط غائر غريب الشكل يدور حول القبة من الخارج بسبب غياب أربعة مداميك من الطوب. وليس هناك تفسير لانتظامه الدقيق.

رقم٢٤ (لوحة ٤٣ جـ، ء، شكل ٦٩): بنى بأكمله من الطوب اللبن بما فى ذلك العقود. والاستثناء الوحيد هو القبة التى بنيت من الطوب المحروق. ونأتى الآن الى أول الأضرحة المستطيلة، حيث يبلغ الفارق بين الطول والعرض ٧٠سم تقريبا. وعلى جانبى المدخل على الضلع الجنوبى أعمدة صغيرة من الطوب اللبن، وهى سمة لانجدها إلا فى النموذج ٢٥ القريب منه. وتعلوه حشوة معقودة على ظهرها حشوة أخرى أصغر حجما كانت بالضرورة بغرض أن تسع اللوحة التذكارية. وعلى الجانب المقابل هناك عقد مفتوح، لكن هناك حشوة معقودة تتجه شرقا وغربا فقط.

يتحول الجزء الداخلى المستطيل الى مايشبه المربع بقبوين اسطوانيين قصيرين فوقهما منطقة الانتقال بارتفاع ٦٠ سم وبارتفاع ٢,٠٥م عن الأرضية. وهناك أربع حنايا ركنية من النمط العادي، ولكن بدلا من وجود النوافذ

بينها، نجد أربع حنايا تأخذ هيئة نصف قبة أصغر قليلا من الحنايا الركنية. وأشد السمات تميزا نجدها فى الرقبة، فهى شديدة الارتفاع (١,٤٤م) وتخترقها أغرب أشكال النوافذ. ووضع فى كل من الزوايا **الكارة الثمانى** عمود صغير ذو قاعدة عشوائية وتاج غير متقن. أما من الخارج فتتسم الرقبة بقدر أكبر من الإتقان مما نراه فى أى نموذج آخر حتى الآن. وتمثل القبة نمطا جديدا، فقد شيدت بثمانية فصوص مقعرة من الداخل، محدبة من الخارج. ويفصل بين كل منها والآخر ضلع بارز. وترتفع قمتها عن الأرضية بمسافة ٦,٠٥م، وفى ركنين من أركان الجدران الخارجية نجد كومتين من الطوب من الواضح أنها بقايا منصة بدائية.

رقم٢٥ (لوحة ٤٣ ب، شكل ٧٠): وهو نسخة طبق الأصل تقريبا من النموذج ٢٤ غير أنه أصغر قليلا من حيث الحجم (٢,٠٤ × ٢,٦٤م من الداخل) وأكثر إتقانا من حيث البناء، فتم بناء عقود المدخل والحنايا الركنية وعقود النافذة والرقبة والقبة من الآجر المحروق. والجدران الخارجية تتوجها كسوة من الألواح الحجرية. ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ٥٨سم وترتفع عن الأرضية ٢,١٣م. ويبلغ ارتفاع الرقبة ١,٤٠م تقريبا. والفارق الوحيد فى القبة، فلا يفصل بين الفصوص الثمانية ضلع بارز. وترتفع قمة القبة عن الأرضية بمسافة ٥,٣٦م.

رقـــم٢٨ (لوحة ٤٣ هـ): وهو أحد أصغر الأضرحة فى الجبانة، فلاتزيد مساحته عن ٢ × ١,٣٠م من الداخل و ٢,٩١ × ٢,١٥م من الخارج. وفى منتصف كل ضلع نجد حشوة ذات فجوة يشكل الجزء المعقود منها كوة هلالية الشكل. والى اليمين واليسار، نجد أخاديد رأسية ضيقة لاتزال تحتفظ بكسوتها الجصية وليس هناك دليل على وجود مدخل، ولو أنه يمكن الدخول عبر حشوة مكسورة. وتم تخفيف الجزء الداخلى المستطيل الى مربع بقبوين اسطوانيين طولهما ٣٦ و٤٠سم الى الشمال والجنوب. وتم وضع القبة على المربع الذى تم تصميمه بما يبدو وكأنه مثلثات كروية، إلا أنها صغيرة ومكسوة بطبقة سميكة من الجص لدرجة تثير الشك الى حد ما. وهناك رقبة مستديرة من الداخل ومثمنة من الخارج بأضلاع مسطحة وليس بها سوى أربع نوافذ لاترتفع أعتابها عن الأرضية إلا بمسافة ١,٧٨م. ويبلغ ارتفاع قمة القبة ٣,٢٤م. ولم يبن من الطوب المحروق إلا الرقبة والقبة، حيث بنيت بقية البناء من الطوب اللبن عدا أربعة مداميك وضعت أسفل منبت العقود مباشرة. ونرى بقايا مدماكين آخرين تم الاحتفاظ بهما هنا وهناك على قمة الجدران الخارجية.

ولكن هل يمكن أن تنتمى هذه المقبرة الى النوع (ب) أو (جـ) بنيت فوقه رقبة وقبة؟ مما لاشك فيه أن الرقبة المثمنة لا تنتمى الى النمط الغريب ذى الأضلاع المقعرة والقرون، والذى يميز الجبانة كلها.

رقـم٥ (لوحة ٤٤ أ، شكل ٧٠): مساحته ٢,٧٥ × ١,٩٢م من الداخل و ٤,٠٣ × ٣,١٩م من الخارج. وبه حشوة غائرة بها عقد مسنن فى وسط كل واجهة. وكانت هناك كوة هلالية الشكل على ظهر الواجهتين الشرقية والشمالية. ويبدو أن الجزء أسفلها كان مسدودا فى الأصل. كما يبدو أن المدخل كان على الجانب الغربي. والحشوة المعقودة على ظهر الفجوة الجنوبية حتى مستوى التسنين الثانى من العقد (يرى مونيريه فى هذا الجزء السفلى حشوا لاحقا ربما لأنه يمتد حتى التسنين الثانى من العقد)، وهناك كوة هلالية الشكل باقية؛ وفى الجزء السفلي، هناك حشوة غائرة مستطيلة ضحلة ربما كانت خاصة باللوحة التذكارية. ويؤدى القبوان الاسطوانيان -وطول كل منهما ٤٣ سم على كلا الطرفين- الى خفض المستطيل وتحويله الى مايشبه المربع. ويقل هذا المربع فى حجمه أكثر وأكثر نظرا لوجود أربعة عقود ضيقة على مستوى أعلى قليلا. ويتحول المربع الى مثمن بأربع حنايا ركنية بارتفاع ٢,٧٥م عن الأرضية، إلا أن مكان النافذة المعتادة بين كل حنيه وأخرى يشغله محراب عميق على شكل حرف V تتوجه نصف قبة ترتفع عن الحنايا وتخترق الرقبة بحيث لايبقى مكان فى

الأخيرة إلا لأربع نوافذ (وضعت فوق الحنايا مباشرة) بدلا من ثماني. وتتوج هذه المحاريب الأربعة التى لا تؤدى أى غرض على الاطلاق أنصاف قباب صغيرة. والحنايا الركنية مكشوفة تماما من الخارج، وكذلك المحاريب على شكل حـرف V، وهذا على خلاف ما وصفناه من نماذج حتى الآن. ولم تبذل أية محاولة لوضع منطقة انتقال بين أشكالها المثلثة التى تبرز كالأسافين وبين منحنى تيجانها التى على هيئة أنصاف قباب. والرقبة مقعرة من الخارج وبها «قرون» أقل بروزا من المعتاد. وأركانها محمولة حتى مستوى السطح بين الحنايا والمحاريب، أى أن منطقة الانتقال والرقبة عولجت من الخارج ككيان واحد. ويبدو الشكل برمته فى غاية الغرابة ولا مثيل له فى أى مكان إلا فى النماذج الخمسة الأخرى المجاورة (أرقام ٧، ١١، ١٥، ١٩، ٣٢). وترتفع قمة القبة بمسافة ٤٠ ,٥م عن الأرضية. وفى الجنوب، هناك مصلى صغير يتكون من محراب صغير يسبقه رصيف مرتفع عرضه ٢٠ ,١م وعمقه ٦٣ ,٢م؛ وعلى الطرف الجنوبى من الضلع الشرقي، هناك رحبة مسورة صغيرة مهشمة بها حفرتان مستديرتان فى أرضيتها. ويرى مونيريه (ص١٢) أنها سبيل.

تصنيف الأضرحة

نموذج	مونيريه	كريزويل	أسلوب الانتقال
		نمط ٢ أ ألواح حجرية مسطحة	مثل الأعتاب
رقم ٣٣	شكل ٥٥	شكل ٦٦ لوحة ٤٠ أ	مثل فيروزآباد
رقم ١٧	شكل ٥ لوحة ١٣ أ، ب	شكل ٦٦ لوحة ٤٠ ب	
		نمط ٢ ب	
رقم ١٠		شكل ٦٦ لوحة ٤٠ جـ	
رقم ١٢	شكل ٥٦ لوحة ١٥ أ	شكل ٦٧ لوحة ٤١ ء	حنايا ركنية
رقم ١٣	شكل ٥٧ لوحة ١٥ جـ	شكل ٦٧ لوحة ٤٠هـ، و	حنايا ركنية
رقم ١٤	لوحة ١٥ جـ	شكل ٦٧ لوحة ٤١ أ، ب	حنايا ركنية
رقم ٢٠	شكل ٥٨ لوحة ١٦جـ، ١٨ أ	شكل ٦٧ لوحة ٤١ جـ	حنايا ركنية
رقم ٢٣	شكل ٤، ٥٩، ٧٠	شكل ٦٨ لوحة ٤١هـ، و	حنايا ركنية
رقم ٢٦	شكل ٦٩		حنايا ركنية
رقم ٤٢	شكل ١٢ لوحة ٢٠ جـ	لوحة ٤٢ ب	قبو قبابى
رقم ٤٦		شكل ٦٨ لوحة ٤٢جـ، ء	حنايا ركنية
رقم ٤٧	شكل ٦٠ لوحة ٢٠ب	شكل ٦٦ لوحة ٤٢ جـ	حنايا ركنية
رقم ٥٠	شكل ٥٨		حنايا ركنية
		نمط ٢ جـ	
رقم ٣٩			حنايا ركنية
رقم ٥١	لوحة ٢١ ب	لوحة ٤٢ جـ	
رقم ٥٣		شكل ٦٨ لوحة ٤٢هـ، ٤٣أ	مثل فيروزآباد

رقم ٥٤		شكل ٦٨ لوحة ٤٢هـ، ٤٣أ	مثل فيروزآباد
حصن هارون	شكل ٢		
رقم ٣	شكل ١٠	مثلث كروي؟ قبة مفقودة	رقم ٣١ شكل ٦١، ٦٨
	مقرنسة		

نمط ٣ أ مستطيلات

رقم ٥٢	لوحة ٢١جـ	لوحة ٤٣ أ	منحدر مثلث
رقم ٢٤	شكل ٤٧ لوحة ٢٢أ، ب	شكل ٦٩ لوحة ٤٣ جـ، ء	حنايا ركنية
رقم ٢٥	لوحة ١٧جـ، ء	شكل ٧٠ لوحة ٤٣ أ	حنايا ركنية
رقم ٣٦			حنايا ركنية
رقم ٣٨			حنايا ركنية
رقم ٤٠			حنايا ركنية
رقم ٨	شكل ٤٢، ٦٦ لوحة ١٤أ	لوحة ٤٣ و	مثلث كروى
رقم ١٨	شكل ٥ لوحة ١٦أ	شكل ٦٦	مثلث كروي
رقم ٢٨	شكل ٤٨ لوحة ١٨جـ		مثلث كروي
رقم ٣٠	شكل ٤٩ لوحة ١٩ أ		مثلث كروي
رقم ٣١	شكل ٦٧		مثلث كروي
رقم ٣٤	شكل ٥١		مثلث كروي
رقم ٣٧	شكل ٥٢		مثلث كروي
رقم ٩	شكل ٤٣ لوحة ١٤ ب		٨ شواهد كوفية كبيرة
رقم ٤٨	شكل ٥٣ لوحة ٢٠ ب		وضعت على كابولى أفقى
رقم ٤٩	شكل ٥٤، ٦٥ لوحة ٢١ أ		منحدر
رقم ٥٥			؟
رقم ٥	شكل ١١ لوحة ١١ب، جـ، ١٢ب	شكل ٧٠ لوحة ٤٤أ، ب	حنايا ركنية فيما بينها حنايا على شكل ٧
رقم ٧	شكل ٢٠ لوحة ١٣	لوحة ٤٤جـ، ء	«
رقم ١١	شكل ٤٤ لوحة ١٥جـ		«
رقم ١٥	شكل ٤٥ لوحة ١٥ب		«
رقم ١٩	شكل ٥ لوحة ١٦ أ	شكل ٦٦ لوحة ٤٤هـ، و	«
رقم ٣٢	لوحة ١٩		«

نمط ٣ ب

رقم ١٦		؟
رقم ٢١	شكل ٤٦، ٦٤	عتب
رقم ٢٢		عتب
رقم ٢٧		عتب

نمط ٣ جـ

رقم ٢	شكل ٩ لوحة ١١ أ	حنايا ركنية
رقم ٤	شكل ٤١ لوحة ١٢ أ	حنايا ركنية (القبة مفقودة)

ضريح [مشهد] السبعة وسبعين وليا

تعرض هذا الأثر الذى كان يشغل مكان الخزان فوق التل المواجه لفندق كاتاراكت بأسوان للدمار فى أواخر عام ١٩٠١م.

وصف سومرز كلارك

يرجع السجل الوحيد الذى بين أيدينا عن هذا البناء إلى سومرز كلارك ، حيث يقول :

تعرضت قطعة فنية رائعة فى فترة متأخرة لأحد أعمال التخريب . وفى جنوب أسوان ، هناك جبانة ضخمة تتميز بوجود أعداد كبيرة من المقابر ذات القباب . وعلى النقاط البارزة من الضلع الجرانيتى نرى مقابر متميزة تضفى على المنظر تفردا وتميزا . وآخر المقابر الكبرى إلى الشمال وتعرف بمقبرة السبعة والسبعين واليا تعد مبنى على جانب كبير من الأهمية ، إلا أنه تعرض للتخريب والإهمال . ومع ذلك ، فهو لا يزال يمثل أهمية كقطعة فنية من العمارة العربية . فلماذا تعرض هذا المكان للدمار ؟ لأنه تم تنفيذ مشروع ضخم فى أسوان لإمداد المدينة بالمياه . وقام أحد المهندسين بإقناع مدير المدينة بالموافقة على اتخاذ موقع الجبانة المشار إليها كأفضل موقع للصهاريج العالية . وسرعان ما تم تدمير الجبانة ليحل محلها بناء يشبه الصندوق المربع . وحول الصهريج ، هناك أربعة أعمدة جرانيتية حمراء ملقاة وقطعة من تاج عمود بيزنطى مزخرف بنبات شوكة اليهود [الأكانتس] وأجزاء من الأثر المدمر الذى كانت تتوجه القباب . وتمكنت بمعاونة من الأستاذ سترزيجوفسكى من إرسال تخطيط (شكل ٧١) للأثر الذى تعرض للتدمير بلا داع . وكانت قد أضيفت إليه مئذنة . وللمبنى أهمية أكبر كجامع منه كمقبرة ».

يتضح من التخطيط أن المبنى كان مربعا تبلغ مساحته الكلية ١٢م وكان مسقوفا بتسع قباب رتبت فى ثلاثات، وجعل له مدخلان محوريان ومحراب . وتبين ازدواجية سمك الجدار أن المصلى الكائن على الضلع الشمالى بعد إضافة زيدت عليه فيما بعد . وقد تنطبق نفس هذه الملحوظة على المئذنة والمنشآت الأخرى بالجزء الجنوبى ، إلا أننا ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار أن مئذنة المشهد القبلى قرب الشلال بنيت خارج المسجد ولكنها متصلة به وتبدو معاصرة له .

تاريخ البناء

كان هنا اذن أثر شبيه بمشهد الشريف طباطبا ولو أنه أصغر منه حجما، عدا أن الدعامات المتعامدة حلت محلها أعمدة جرانيتية. ويمثل المحراب بروزا مستديرا بدلا من كونه بروزا مستطيلا. والجوانب ليست مفتوحة. لذا، فهناك ما يبرر لنا إدراجه تاريخيا ضمن أعمال أواخر القرن العاشر. ولكن لو صدقت نظريتى **بأن الضريح الكانوبى [ذو السقيفة] كان بمثابة النوع الوحيد المعروف فى ذلك الوقت**(٢٦٥)، إذن فقد بنى كمسجد على الرغم من تسميته بمقبرة بحكم انسداد جوانبه. ولكن اذا أخذنا فى اعتبارنا أن تاريخ المبنى الرئيسى بجبانة أسوان يرجع الى القرن الحادى عشر وأن قاعة المصلين بالمشهد القبلى تعد نسخة معدلة منه، فمن الأجدى لنا أن نرجعه الى ذلك القرن، لا الى القرن العاشر.

الفصل التاسع

أعمال بدر الجمالى

مئذنة إسنا ٤٧٤هـ/١٠٨١-١٠٨٢م)

وصف المئذنة

إن البناء الراهن للجامع العمرى أو الجامع العتيق بإسنا لا **يرجع الى تاريخ قديم**(٢٦٦)، بل هناك فى ركنه الغربى مئذنة من الآجر تتصل بالجامع بمدماك. وهو أثر يستحق كل اهتمام من جانبنا (الشكل٧٢، لوحة ١٢٣ب). تتكون المئذنة من طابق سفلى مربع يبلغ ارتفاعه ١٠,٧٨م تتناقص جوانبه من ٤,٧٤م الى ٤,٥٥م. وأقيم فوقه طابق اسطوانى يبلغ ارتفاعه ٨,٠٥م يتناقص تدريجيا من ٤,٥٥ الى ٤م. وهناك شرفة خارجية خشبية بدرابزين بارتفاع متر واحد يلتف حول هذا الطابق بارتفاع ١٥,٧٦م من الأرضية. ويعلو الطابق الاسطوانى طابق مثمن لا يزيد ارتفاعه عن ١,٥٥م وأضلاعه مقعرة وأركان هذه الأضلاع تنحنى فى أعلاها الى الخارج كالقرون، وهى سمة غريبة لاحظنا وجودها من قبل فى جبانة أسوان التى ترجع الى القرن الحادى عشر. وفى منتصف كل جانب هناك نافذة إذا نظرنا من داخلها نرى لها قمة ذات ثلاثة فصوص، إلا أن الفصوص الجانبية تم حشوها وكسيت من الخارج بالجص، ووظيفتها تدعيم جوسق سداسى [قمة المئذنة] صغير تخترق كلا من جوانبه نافذة ذات عقد مدبب، ويبلغ ارتفاعها الإجمالى ٣,٤١م (مساحة الرقبة والقبة من الداخل ٣,٣١م، وبإضافة ١٠سم هى سمك القبة يصبح المجموع ٣,٤١م)؛ وبالتالى فالأرجح أن يبلغ الارتفاع الإجمالى للمئذنة ٢٣,٧٩م.

بنى الطابق السفلى من الآجر، وتم دمج الخشب بين كل ثمانية صفوف أو تسعة. والآجر مطلى بألوان متعددة. أما الجزء الاسطوانى والقبة التى تعلوه فقد طليت بطلاء أبيض كثيف.

السلم

يمكن الدخول اليه عبر باب منخفض فى الجانب القبلى. وبير السلم مربع وتتدرج درجاته على مسافات ضيقة حول قائم درابزين مربع. وهناك أولا ثلاث درجات على الجانب الشمالى الشرقى تليها بسطة، ثم تليها بقية درجات السلم مقسمة الى أربعات (٤/٤/٤/٤/٣/٤/٤) وبين كل أربع درجات بسطة. وكل درجاته من الآجر على حافتها قطعة من الخشب. وعند هذه النقطة نجد بابا يفتح على صحن صغير يقل ارتفاعه عن مستوى السقف بمتر واحد تقريبا. وبعد ثلاث قلبات بكل منها أربع درجات نصل الى قمة الجزء المربع. وبعد قلبتين بكل منهما أربع درجات يتحول بير السلم الى الشكل المثمن، ونجدعوارض قصيرة وضعت على الأركان. وبعد سبع قلبات بكل منها أربع درجات نصل الى مستوى الشرفة الخشبية التى تفتح الى الشرق، وهنا يتحول بير السلم الى الشكل الدائري. وإذا صعدنا خمس قلبات تتكون من ٤/٤/٢/٤/٢ درجات على التوالي، نصل الى قمة الطابق الاسطواني، يليها سلم مستقيم من الآجر يصعد منه الى الأرضية الخشبية للجوسق السداسى .

يضاء سلم الجزء المربع بزوجين من النوافذ، وضعت نافذتا كل زوج منهما على مستوى واحد، أى دون اعتبار لوضع درجات السلم. وتم وضع نافذة خامسة فى المنتصف على كل جانب فوق قمة الطابق المربع (وتم اختزال النافذة الشمالية الشرقية من الداخل نظرا لأن السلم يقطعها). وفى الطابق الاسطوانى نجد ثمانى نوافذ صغيرة جدا وضعت على مستويات متفاوتة لتتناسب مع السلم.

تاريخ بناء المئذنة

رأينا أن الجوسق على قمة هذه المئذنة ينتمى بصورة وثيقة الى القباب الصغيرة التى ترجع الى القرن الحادى عشر بجبانة أسوان نظرا لما تتميز به من «قرون». والبدن الذى يتناقص تدريجيا والذى يشكل الطابق الثانى منها لا مثيل له فى مصر إلا الأبدان الأربعة الأخرى التى سيرد وصفها فى هذا الباب والتى لايمكن أن يرجع تاريخ بناء أى منها الى ما بعد العصر الفاطمي؛ ذلك أنها تضم نقشا كوفيا ذا مضمون تاريخى نفذ بالآجر ونقشا آخر على بعد حوالى ميل واحد من المرجح أن يكون قد بنى قبل عام ٥٣٤هـ (١١٣٩م) نظرا لوجود تاريخ ذلك العام محفورا بصورة عشوائية على الجزء الداخلى من جوسقه. لذا فلدينا ما يبرر إرجاع هذه المئذنة الى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر. ونصل بذلك الى نقش كوفى تم حفره على لوح مذبح رخامى مطمور بجدار القبلة بالحرم الى جوار نقش كوفى آخر يشير الى تاريخ إنشاء الجامع. يحتوى النقش الأول على عبارة: «هذه المئذنة بناها ... أبو منصور سارتكين(٢٦٧) ... فى شهور سنة ٤٧٤» (١٠٨٢م). ونظرا لوجود البدن المربع الذى تتوجه اسطوانة تتناقص تدريجيا، ونظرا للرقبة المقعرة المثمنة ذات القرون والتى لا وجود لها سوى فى القرن الحادى عشر، ينتفى الشك فى أن المئذنة المشار اليها هى المئذنة الحالية. فقد كان أبو منصور سارتكين أحد رجال الدولة الفاطمية قام بترميم جامع قوص فى عام ٤٧٣هـ (١٠٨١م) وتوفى تحت أسوار عسقلان فى سنة ٤٩٤ (١١٠١م (Wiet, *Égypte*, II, 32-5).

مئذنة «المشهد البحرى» أو «الباب» قرب الشلال

وصف المئذنة

يتدفق نيل أسوان فى وادٍ يضم تلالا صخرية تكسوها كتل صخرية جرانيتية ترتفع تدريجيا على حوافها فى انحدار شديد. وعند السفح والمنحدرات الدنيا لهذه التلال، هناك عدد من القرى النوبية التى بنيت إبان التعلية الثانية لسد أسوان؛ فالماء يغمرها تماما حين يمتلى السد. والقريتان الأوليان على الضفة الشرقية حين يتجه المرء جنوبا من الشلال تسمى إحداهما على الخريطة «المشهد البحري» أو «الباب» والأخرى «المشهد القبلي» أو «بلال» (وقد قلب بوتى هذين المسميين، فسميت القرية الشمالية عنده «بلال» — وهو ما نجده عند مونيريه أيضا — والجنوبية «الباب») وبكل منهما مآذن متميزة ذات صلة وثيقة بمآذن إسنا.

تتكون مئذنة المشهد البحرى من قاعدة مربعة منحدرة قليلا مساحتها ٤,١٥م على كل من أضلاعها (فى المتوسط) ويبلغ ارتفاعها ٤,٥٨م يعلوها بدن اسطوانى منحدر بارتفاع ٤,٤٣م ويضم ثلاث نوافذ صغيرة جدا ومعقودة بغرض إضاءة بير السلم (لوحة ١٢٢ب). والنافذة الأخيرة تتوجها منصة بارزة قليلا من الألواح الحجرية ترتكز على دعامات خشبية ذات مقطع عرضى متفاوت (فبعضها مربع وبعضها مستدير وبعضها الآخر مستطيل) وضعت بطريقة مشعة داخل البناء الآجري. وأقيم فوقها جوسق صغير مساحته ٢,٥٠م٢ بنافذة معقودة فى كل واجهة منه و«منصة» بسيطة للغاية عند الأركان. أما القبة التى تعلوه فتتخللها فتحات على شكل نجمى فهى محمولة عبر أركان المربع بأعتاب حجرية. وأركان هذا الجوسق الأربعة تلامس حافة المنصة المستديرة مما يضطرنا الى الشك فى أصالته. والاحتمال الأرجح هو أنه استبدل به جوسق مثمن مفتوح يشبه جوسق مآذن إسنا أو المشهد القبلى (اللوحتان ١٢٣ب و١٢٢جـ).

بنى الجزء السفلى من الطابق الأول من كتل جرانيتية هناك منها ثمانية صفوف، وشيد البناء الذى يعلوه من الطوب الآجر. ونتيجة للتعلية الثانية لسد أسوان، يتعرض الجزء السفلى من هذه المئذنة بكامله للغمر تحت

الماء معظم شهور السنة. وحين زرتها للمرة الثانية (أكتوبر ١٩٤٤) فى وقت كان منسوب الماء فيه منخفضا وجدت أن مصلحة الأشغال العامة كانت قد أحاطت كل الفتحات فى الطابقين السفليين بجدران بما فى ذلك المدخل فى أثناء ترميم الجزء السفلى عام ١٩٣٣. لذا لم أتمكن من الصعود لرفع القياسات. أما هذه القياسات التى أوردناها هنا فقد اقتبستها من مذكرات حسن الهوارى. ومما يؤسف له أن الارتفاعات (١,٢٩ و١,٦١م) التى أوردها عن الجوسق والقبة لا تبدو متناسبة كما يتبين من الصورة الضوئية، والأرجح أن ارتفاعاتهما الحقيقية كانت حوالى ١,٩٠م و٨٠سم على التوالى وأن إجمالى ارتفاع المئذنة كان حوالى ١١,٧٠م.

تاريخ بناء المئذنة

هناك سطران كوفيان تم تشكيلهما تماما بقوالب الآجر التى وضعت رأسية بطريقة مائلة أو أفقية حسب الحاجة، يجريان حول البدن الاسطوانى أسفل الشرفة بحوالى متر واحد؛ وقد تم نشرهما على يد كل من حسن الهوارى وفيت. ينص السطر الأول على أن المئذنة شيدت بأمر من عبيد بن محمد بن أحمد بن سلمة طلبا لثواب الله ورحمته ورضوانه؛ وينص السطر الثانى على أنها من عمل حاتم البنا وولده(٢٦٨).

قدم فان برشم منذ أكثر من خمسين عاما وصفا لكيفية شيوع استخدام خط النسخ فى النقوش التاريخية بالشام فى أواسط القرن السادس (١٢م)، وبعد ذلك بقليل فى مصر فى أعقاب تأسيس صلاح الدين للأسرة الأيوبية ("Notes d'Archéologie Arabe," *Journal Asiatique*, XVIII, 74). وبعد زوال دولة الفاطميين لم يستخدم الخط الكوفى فى النقوش التاريخية أبدا، رغم استمرار استخدامه فى الأفاريز الزخرفية المكونة من آيات قرآنية. لذا فهذا النقش الذى بين أيدينا وبناء على محتواه التاريخى ينبغى أن يدرج ضمن الفترة السابقة على سقوط الأسرة الفاطمية، ولنا عودة الى هذه النقطة فنحاول أن نحدد تاريخه تحديدا أدق.

مئذنة «المشهد القبلى» أو «بلال» قرب الشلال

وصف المئذنة

تتكون هذه المئذنة من قاعدة مكعبة، الجزء السفلى منها من الحجر الرملى ونصفها العلوى من الآجر ومساحتها ٤,٤٣م على كل ضلع بارتفاع ٥,٥٠م (أخذت القياسات من أسكفة المدخل) ينهض بموازاتها بدن اسطوانى مائل بارتفاع ٦,٨٣م تتوجه حلية ربع دائرية (الشكل ٧٣، لوحة ١٢٢ جـ). والأركان الأربعة التى تركت خالية بين القاعدة المربع وقاعدة الاسطوانة تحتلها أربعة أعمدة صغيرة من الآجر بارتفاع ٦٩سم. ويقل قطر الاسطوانة من ٤,٤٣م الى ٣,٦٦م. ووضع فوقها جوسق مثمن تستدق طوابقه الثلاثة جميعا بنفس القدر كما هو الحال فى الجزء الاسطواني. ويبلغ ارتفاع طابقه الأول ٢,١٤م وبه فتحة طويلة وضيقة على كل من واجهاته. وارتفاع الطابق الثانى الذى يرتد عن الأول لايزيد عن ٦٩سم؛ وجوانبه مقعرة وأركانه العليا بارزة الى الخارج كالقرون، مما يشبه الحال بمئذنة إسنا (لوحة ١٢٣ ب) والأضرحة بأسوان. ونجد هنا أيضا فتحة معقودة بكل واجهة، وارتفاع الطابق الثالث هو نفس ارتفاع الثاني، إلا أن جوانبه مسطحة وأركانه العليا لا تبرز كالقرون؛ وعلى خلاف الفتحات السفلية نجد الفتحات هنا مستطيلة بعرض ٢٦سم وارتفاع ٦٥سم، وتتوج هذا الطابق قبة.

المئذنة من الداخل

هناك مدخل دائرى العقد على مستوى الأرضية يؤدى الى بير السلم بعرض ٨٧ ـ ٨٨سم يجرى حول درابزين مربع باتجاه عكس عقارب الساعة؛ وبكل قلبة من أربع الى خمس درجات (وترتيبها كالتالى

٥/٥/٤/٥/٤/٤/٤/٥/٤/٥) وكلها من الآجر ولكن بحواف من الحجر. وبالسقف أطوال قصيرة للغاية لقبو اسطوانى مدرج، وتضيئه نافذة مفلطحة عند كل قلبة. وبعد أربع قلبات نصل الى فتحة أخرى ذات عقد دائرى من الحجر المنحوت كانت على ما يبدو تؤدى غرض الدخول الى سطح الجامع المهدم المجاور. والفراغ بين بير السلم وإطار هذا المجاز ومساحته ١,٠٥ × ٠,٦٧ م تغطيه نصف قبة من الآجر. ثم يدور بير السلم قلبتين كاملتين حول الدرابزين المربع؛ وتضيئه عند كل ركن فتحة ضيقة تشبه المزغل. وبذلك نصل الى أرضية الجوسق المثمن الذى نراه الآن مفتوحا تماما على قمة القبة. وطابقه الأول مثمن من الداخل، ويستدق مثل الخارجى (من ٢,٢٤ الى ٢,٠٨م)؛ ويبلغ سمكه إذا قيس من خلال الطاقات ٢٢سم. ويتوج صفان بارزان من الآجر يتحول الجزء فوقهما الى دائرى بقطر داخلى مقداره ١,٨٩ م. ويستدق هذا الجزء الدائرى الى أعلى دون أية حلية تميز نقطة التقاء الطابق الثانى بالثالث ويلتحم بالقبة. وعلى قمة هذه القبة ثقب صغير ربما كان تجويفا تخلف عن قمة برونزية مزخرفة.

تاريخ بناء المئذنة

تنتمى هذه المئذنة الى المجموعة التى نتناولها هنا بناء على السمات التالية:

أ. الجزء السفلى المربع

ب. الأعمدة الآجرية الصغيرة على الأركان العليا

جـ. الطابق الثانى الأسطوانى المستدق

د. رقبة الجوسق المثمنة بأركانها العليا الناتئة كالقرون .

من ثم فان لدينا مايرر اعتبارها فاطمية أيضا، وهو ما يؤكده نقشان بالجرافيت من تسعة وثمانية سطور على التوالى رآهما حسن الهوارى ضمن نقوش أخرى عديدة داخل الجوسق بالحبر الأسود والأحمر على يد حجاج أتقياء فى طريقهم الى الحجاز(٢٦٩). وتاريخ كل منهما صفر ٥٣٤ (أكتوبر١١٣٩م) وأتذكر أن هذه السطور كانت قد اختفت تحت طلاء أبيض حين زرت المكان فى سنة ١٩٤٤).

من المستحيل قراءة نقوش لوحة الهوارى، لأنها لا تتحمل التكبير نظرا لتشابك اللون النصفى فى التصوير. ولكن بفضل صورة ضوئية أصلية أعارنى إياها كامل باشا غالب، تمكن فيت من تحديد النقش الثانى (من ثمانية سطور) بأنه الكائن بين النوافذ العليا للجوسق فى الركن السفلى الأيمن من لوحة الهوارى. وهكذا نجد لدينا حدا أقصى ٣٢ عاما قبل نهاية العصر الفاطمى.

وكان المسجد الملحق محفوظا فى حالة جيدة قبل مئة سنة كما نرى فى الصورة الضوئية الخاصة بمكسيم دوكام وفرنسيس فريث (*Egypt and Palestine* ، جـ١ ، لوحة ٢٤؛ جـ٢ ، لوحة ٢٨)، ولا يبدو أن حالته تدهورت فى أواخر القرن التاسع حين نشر بينيديت وصفه؛ إلا أنه تدهور بسرعة بعد تعلية سد أسوان. وتبين صورة مونيريه الضوئية التى التقطت قبل ١٩٣٠ أن البلاطة الخلفية للحرم كانت فى حالة سيئة. وفى عام ١٩٣٤ ، وقت زيارة حسن الهوارى، لم يكن قد بقى سوى المحراب الأوسط وبقايا الأساس قرب النيل. ولايزال هذا الأساس باقيا، أما المحراب فقد اختفى.

وصف بينيديت

نشر هذا الوصف فى سنة ١٩٠٠ ، وهو وصف جيد يمكننا من فهم صور مكسيم دوكام وفرنسيس فريث ومن وضع تصور للمسجد بعون من بعض البقايا خطط له مونيريه وحسن الهوارى. وفيما يلى وصف بينيديت:

«يقف هذا البناء الذى يشترك مع البناء السابق فى طبيعته كقصر وجامع فى آن معا على منحدر صخرى ذى

شكل غير مألوف تماما بحيث يرتكز الجزء الخلفي على أساس يشكل دهليزا مفتوحا على الجانبين، ولكن بدون أى اتصال ببقية البناء. يتم دخول الجامع من خلال بير سلم جانبى على الجانب الشمالى الشرقي، ويوصل الى دهليز آخر يخدم غرفتين كبيرتين بنيتا فوق الدهليز الأول من ناحية، ويخدم الإيوان من ناحية أخرى (قاعة المصلي). وهناك دهليز ثالث فى نهايته نجد المدخل الى المئذنة. وينقسم الإيوان الذى تغطيه ست قباب كروية الى رواقين [بلاطتين] من الشمال الى الجنوب والى ثلاثة جدران بين أبراج من الغرب الى الشرق؛ ويضم ثلاثة محاريب» . (*Guide du l'Égypte*, 1900 ed., p. 579) .

إعادة تصور التخطيط

نبدأ الآن فى إعادة تصور التخطيط. يبلغ عرض الجامع من الداخل طبقا لتخطيط مونيريه (الشكل ٧٤) ١١,٧٨م؛ ومن الخارج ١٣,٥٢م، وهو ما نستنتج منه أن سمك الجدران يبلغ ٩٠سم. والجدران تعلوها قباب بين أبراج مساحتها ٣,٤٩م٢، ويبلغ عرض العقود المستعرضة التى تدعمها ٨٥سم، ولا يزيد عرض العقود الجانبية عن ٦٠سم. وكان عرض الدعامات مترين، والقباب التى يبدو أنها كانت نصف كروية كانت ترتكز على حنايا ركنية كما نرى فى صورة مونيريه الضوئية. وكان هناك أربع نوافذ بالجزء السفلى من كل قبة. وقد تم تخطيطها للأساس القريب من النهر والذى لايزال باقيا، فطوله ١٥,٠٣م وطرفه الجنوبى الغربى كما نرى فى الصورة (لوحة ٤٥أ) يحاذى جانب المئذنة، ومساحته ٤,٤٣م. ولا نجد تخطيطا دقيقا له فى تخطيط مونيريه؛ إذ أن هناك صورة ضوئية التقطتها مصلحة الأشغال العامة منذ حوالى عشرين عاما مضت وتبين أن جانب الجامع كان يمس المئذنة الى اليسار من مدخل هذه المئذنة عند حوالى ٩٠سم منه (شكل ٧٦)، وهو ماينتج عنه العرض الإجمالى للجامع ويبلغ حوالى ١٦,٥٣م. ،إذا طرحنا هذا العرض من طول الأساس الذى لايزال باقيا، نجد الفارق ١,٥٠م. ونستنتج من ذلك ارتفاع الارتداد الجدارى الذى يبدو واضحا على الجانب الشمالى الشرقى من الجامع فى اللوحة (٤٥جـ). وقد تخيلت بير السلم الجانبى فى هذا المكان ويؤدى الى الدهليز الذى يفصل قاعة المصلين عن الغرفتين الواسعتين اللتين بنيتا فوق الأساس؛ وكان يضم أربع نوافذ تطل على النهر. وطبقا لتخطيط مونيريه، كانت رواقا الجامع الباقيان فى عصره مساحتهما ٩,٦٤م. وإذا طرحناها من ٢٢,٦٠م وهو عمق البناء بأكمله حسب تخطيط الهوارى (جـ٢) يعطينا ١٢,٩٦م وهو العرض الإجمالى للدهليز والغرفتين المطلتين على النهر (شكل ٧٥). إلا أن هذا القياس يستحيل الحصول عليه بدقة بدون مزواة؛ حيث يبلغ انحدار الضفة حوالى ٤٥°. لذا فقد طلبت من يوسف سميكة بمصلحة الأشغال العامة مساعدتى فى هذا الأمر. فكتب الى مكتب مصلحة الرى بأسوان لكى يرسل مهندسا ومعه مزواة لأخذ هذه القياسات حين يكون منسوب الماء منخفضا نسبيا. وتم الأمر وتبين أن القياس الحقيقى ٢٢م فقط. وبذلك يتبقى ١٢,٣٦م بدلا من ١٢,٩٦م. أما وقد تبين الآن أن سمك الجدار الخارجي للأساس ١,٨٧م، يمكن أن نفترض نفس الشئ بالنسبة للجزء العلوى وبه فتحات النوافذ. وطبقا للصورة الضوئية، كان الدهليز والغرفتان على نفس العرض تقريبا. وتكون النتيجة كما يلي:

الجدار المطل على النهر	١,٧٨م	الجدار الفاصل	٨٥ سم
عرض الغرفة	٤,٨٦م	الدهليز	٤,٨٦م
		المجموع	١٢,٣٥م

وقد قمت برسم التخطيط على هذا الأساس (شكل ٧٦).

مادة البناء

بنى الأساس الذى لايزال قائما من الحجر، وكذلك الجزء السفلى من المئذنة؛ أما كل مايعلو عن مستوى أرضية الجامع فمن الآجر كما يتضح من الصور الضوئية. ونظرا لسرعة انهيار الجامع على أثر إقامة سد أسوان، فما من شك فى أنه كان مشيدا من الطوب اللبن كأضرحة جبانة أسوان. وربما كانت الحجارة المستخدمة (أحجار رملية) منهوبة من معابد فيلة؛ فقد اكتشف حسن الهوارى أن عددا من الأحجار المستخدمة كانت عليها نقوش بطلمية.

تاريخ بناء المسجد

من المؤكد أن المسجد لم يتم بناؤه قبل المئذنة؛ إذ أنه تم تخطيطه بحيث يضم دهليزا خاصا يفضى اليها. فهل بنى فى فترة لاحقة؟ هناك نقش على المحراب الأوسط قام بنشره فان برشم (Van Berchem, *Égypte*, I, 751-2) الذى يرى أنه ينتمى الى أواخر القرن الثانى عشر أو أوائل الثالث عشر؛ وبالتالى فالجامع ينبغى أن يكون قد بنى فى تاريخ سابق على ذلك. ومن ناحية أخري، فإن تخطيطه المتميز الذى يذكرنا بتخطيط مشهد الشريف طباطبا ييسر لنا إرجاع **تاريخه الى فترات أسبق**(٢٧٠). ويبدو أنه جزء من الأعمال التى قام بها بدر الجمالى على أثر حملة مظفرة فى الصعيد، أى فى نفس تاريخ المئذنة.

مئذنة أسوان [الطابية](٢٧١)

وصف المئذنة

فى أسوان، فوق تل يبلغ ارتفاعه حوالى النصف ميل الى جنوب فندق كاتاركت، هناك طابية مكونة من سور غير منتظم يضم أحياء سكنية (انظر حسن الهواري، ١٧، لوحة ١٥). وفى الركن الشمالى الشرقي، هناك برج من الآجر المحروق من الخارج ومن الطوب اللبن من الداخل. وهو يشبه مئذنة «الباب» التى سبق وصفها. تتكون هذه المئذنة من طابق سفلى مستطيل مستدق قليلا ارتفاعه ٢,٦٥م تقريبا (إذا قيس من أسكفة المدخل) ويعلوه بدن مستدق، مما يضيف ٦,٣٠م فيصبح الارتفاع الكلى حوالى ٩م (الشكل ٧٧ واللوحة ١٢٢أ). وهناك سلسلة من الأعمدة الصغيرة والكتل المستطيلة وضعت بشكل مشع أسفل القمة بقليل، والغرض منها على مايبدو أن تكون بمثابة كوابيل لشرفة ناتئة قليلا، كما هو الحال فى الشلال (وبعضها من الخشب ضمن عمليات ترميم أجريت لاحقا). واختفى الجوسق الذى كان يتوجها تماما. وبناؤها أبسط كثيرا من مثيلاتها التى سبق وصفها؛ إذ أن طابقها السفلى مستطيل بدلا من أن يكون مربعا، والضلعان الشرقى والغربى منه متوازيان على خلاف الضلعين الشمالى والجنوبي، إذ يبلغ طول الضلع الغربى ٥,٣٥م، والشرقى ٥م فقط (وبسبب المبانى المجاورة يستحيل قياس القاعدة على مستوى الأرضية، إلا أن قياسات قمة المكعب كما يلي: شمالا ٤,١٢م، جنوبا ٤,١٣م، شرقا ٤,٨٥م، غربا ٥,٢٧م). وبالتالى فإن البدن المستدق الطرف والذى يبدأ بمنحنى يوازى منتصف الأضلاع الأربعة للقاعدة ليس مستديرا، بل بيضاويا فى تخطيطه حتى فى قمته حيث يبلغ أقصى وأدنى قطر له ٣,٧٠م و٢,٩٣م على التوالي. كما أن الجزء السفلى ليس بيضاويا تماما، بل مستطيل بأركان مستديرة يتحول تدريجيا الى بيضاوى مع ارتفاعه، فى حين تزداد الأركان استدارة. وحتى حين نصل الى القمة نجد أنها ليست بيضاوية تماما فى الحقيقة؛ إذ لايزال ضلعاها الشرقى والغربى مفلطحين قليلا. إضافة الى ذلك، فإن المنحدر الداخلى على الجانب الشمالى يعد أكثر انحدارا منه على الجانب الجنوبي.

وقرب القمة نرى ثلاثة أسطر بالخط الكوفى تم تنفيذها بالآجر الذى وضع داخل البناء الآجرى نفسه، والحروف فيه تشبه نظيرتها على المئذنة الشمالية بالشلال. ومما يؤسف له أن جاستون فيت فشل بعد عدة محاولات فى قراءتها(٢٧٢)، وهو مقتنع بأن البناء الآجرى تعرض للعبث به فى أثناء عمليات ترميم أجريت عليه.

المئذنة من الداخل

يقع المدخل المؤدى الى بير السلم على الطرف الشرقى من الضلع الجنوبي. ويضم عضادات حجرية ارتفاعها ٨٤سم وتيجان مفلطحة الوجه تضيف ١٠سم. ويرتكز عليها عقد شبه دائرى قائم على ركائز ومكون من حلقة من الصنجات الحجرية تغطيها حلقة خارجية ناتئة من مداميك صغيرة وضعت أفقيا، كما هو الحال فى مئذنة المشهد القبلى بالشلال (الشكل ٧٣) والمشهد الكائن بأسوان (اللوحة ٧٨). ولدى دخولنا نجد أنفسنا تحت قبو اسطوانى يسير حتى الركن الجنوبى الغربي، يليه قبو آخر يجرى شمالا. وعلى الطرف الأقصى من القبو الأخير نجد فجوة صغيرة تحت البسطة الثانية من السلم، وتملأه الآن أحجار منقوشة بالحروف الهيروغليفية.

وأمام المدخل نجد القلبة الأولى من السلم وهى من سبع درجات تليها سبع قلبات أخرى من ٢/٥/٢/٩/٥ درجات على التوالي؛ وبعدها نجد أنفسنا على القمة. ويزيد عرض بير السلم عن المتر، وتضيئه ست نوافذ ضيقة مستطيلة، ويدور حول درابزين مستطيل (مساحته حوالى ٠,٧٥ × ١,٨٥م) من الطوب اللبن. ويظل مستطيلا حتى الجزء البيضاوى من المئذنة (وهى سمة نجدها فى المئذنة الشمالية بجامع الحاكم). وبالدرابزين فجوتان صغيرتان إحداهما (وعرضها ٤٨ × ٣٣سم) فى القلبة الأولى والأخرى فى الثالثة، وربما كانتا مخصصتين للمصابيح ليلا. والقلبة الأولى يغطيها قبو اسطوانى شديد الارتفاع. والقلبة الثانية يغطيها قبو آخر يرتكز على عقد على طرفه السفلي، ويرتكز عند طرفه الغربى على عقد يفتح على البسطة عند أسفل القلبة الثالثة. والركنان الشمالى الشرقى والشمالى الغربى من القلبة الثانية كلاهما مستدير، الأول فوق حنية صغيرة، والآخر عند أسفل البسطة. وهذه البسطة والقلبة الثانية يغطيهما قبو اسطوانى مرتفع قليلا على مستوى أعلى من القبو السابق بحيث يتم تحاشي الاختراق (وهو نسق يتناسب مع ماهو معروف عن تجنب التقاطع بين الأقبية الاسطوانية فى العمارة الإسلامية المبكرة، ومثال ذلك مئذنة مسجد القيروان الجامع). ونجد نفس هذا النسق متبعا فى تسقيف القلبتين الرابعة والخامسة. وهناك نافذة فى القلبة الرابعة تمكننا من قياس سمك الجدار الخارجى – ٤٢سم – من هذه النقطة. والقلبة السادسة غير مسقوفة لأنها على الأرجح كانت ناتئة تحت الجوسق المستدير أو المثمن الذى كان يتوج المئذنةعلى مايبدو. وتقع المنصة أسفل حافة القمة الحالية للمئذنة بمسافة ٥٠سم.

تاريخ بناء المئذنة

هذه المئذنة شديدة الشبه بنظيرتها التى وصفناها لتونا من حيث الشكل العام ومن حيث نقشها الكوفى المنفذ بالآجر. لذا فالأرجح أنها تنتمى الى نفس الفترة. وسنعود الى هذه المسألة فيما بعد.

مئذنة أبى الحجاج بالأقصر(٢٧٣)

لابد لكل زائر لمعبد الأقصر أن يلاحظ جامع أبى الحجاج، ولى الأقصر. بنى هذا الجامع على قمة رابية من الركام خلف البرج الشرقى مباشرة. وتمثل قمة هذه الرابية المستوى الأصلى للأرض فى المنطقة كلها بما فى ذلك المعبد والمنطقة المحيطة قبل إجراء عمليات الإخلاء من قبل هيئة الآثار. ولم يكن من الممكن بالطبع أن تمتد عمليات الإخلاء الى الجزء الذى يحتله الجامع وهو ما أسف له علماء المصريات. وإحدى مئذنتى الجامع قديمة وتنتمى الى نفس النوعية التى وصفناها منذ قليل.

وصف المئذنة

ترتفع المئذنة فوق سطح الأرض بارتفاع ٣,٨٥م (لوحة ١٢٣أ) على يسار الواجهة الشمالية للجامع؛ وتحت هذا السطح يبدو الجزء الأكبر منها وقد تمت إزالته، إلا أن هذا الانطباع خاطئ تماما؛ إذ لم يحدث أن كانت المئذنة تمتد الى أسفل لتصل الى مستوى الأرض. وهى ترتكز على جدار بين برجين فى المعبد القديم، ودعاماتها فى هذا الموضع مطمورة حتى تيجانها. وتبلغ مساحة مداميك العقد حوالى ١,٥م٢ وارتفاعها ٩١سم. والعتبات الجرانيتية الضخمة التى ترتكز عليها لها نفس العرض، وعمقها ١,٤٧م، والمسافة بين كل منهما ٢,٦٢ - ٢,٧٥م. وبنيت المئذنة التى تعتبر مربعة فى تخطيطها بحيث يحاذى ضلعها الشمالى الحافة الشمالية لعتبة اتجاهها من الشرق الى الغرب؛ وويتداخل ضلعاها الشرقى والغربى مع عتبتين تتجهان من الشمال الى الجنوب بحوالى ٢٥سم، كما يتضح من الشكل (٧٨). ولتدعيم ضلعها الجنوبى تم وضع عارضة ضخمة مساحتها حوالى ٥٥سم٢ محوريا عبر العتبتين المذكورتين. وهناك عارضة أخرى عرضها حوالى ٣٠سم وضعت بالقرب من العتبة الأولى وبينهما مسافة عرضها وطولها ٢,٧٠م. وهناك عارض ثالث يقسم هذه المسافة.

بنيت المئذنة من الطوب اللبن - ٢٢سم٢ - وتبلغ مساحة عشرين صفا منه ١,٢٤م. وتبدأ كبدن تزيد مساحة كل ضلع به عن ٣,٢٠م وترتفع الى ٦,٨٥م، وتدعمها عوارض خشبية وضعت فى كل ضلع على ثلاثة مستويات ومنقورة على الأركان كما يتضح فى الشكل (٧٨). ويضيق هذا الجزء تدريجيا من ٣,١٩م عند القاعدة الى ٢,٩٨م عند مستوى أسكفة النافذة الأولى. والجزء العلوى بدع اسطوانى يضيق تدريجيا الى حد ما بارتفاع حوالى ٧م، تحيط به قبة صغيرة، مما يضيف اليه حوالى ٨٥سم. وتحتل المسافات الأربع بين الدائرة والمربع أعمدة آجرية صغيرة تماما كما هو الحال فى الشلال وإسنا. وحين يبلغ هذا البدن الاسطوانى ارتفاع ٤,٢٠م، تخترقه ٧ فتحات معقودة صغيرة بارتفاع ١,٠٥م، وفوقها مباشرة نجد صفا آخر من النوافذ لاتتطابق محاورها مع هذه الفتحات، إذ لا يزيد عددها عن ست.

المئنة من الداخل

يتم دخول بير السلم من باب صغير على الجانب الشرقى بارتفاع لايزيد عن ١,٣٢م؛ وقد شيد عقده بالطوب المحروق. ونلاحظ لدى دخولنا أن هناك فتحة على الجانب الأيسر من الدركاه الصغير تمكننا من النظر داخل الفراغ الكائن بين العوارض الخشبية الثلاثة المذكورة آنفا. ويلاحظ أن الضلع الجنوبى من الدرابزين المربع يوازى الضلع الجنوبى من العارض الشمالي. ولا يزيد عرض بير السلم عن ٧٥سم، ويسير حول درابزين مربع، وبكل قلبة من ثلاث الى أربع درجات (وهى ٣/٤/٤/٣/٤/٣ -ثم يصبح **القفص** دائريا- ١٣/٤ = ٣٨ درجة). والحافة الأمامية من كل درجة صنعت من خشب شديد الصلابة، فكانت درجة تحملها أكبر من الأجزاء الآجرية التى تقع خلفها. **والقفص** المربع كذلك؛ ويبلغ سمك الأسوار ٥٥سم إذا قيست عبر النافذة، ولكن حين نصل الى النقطة التى يبدأ عندها البدن الاسطوانى، نجد أن الأركان الأربعة مقنطرة بقطع صغيرة من الخشب ويصبح القفص دائريا؛ ورغم ذلك يظل الدرابزين مربعا. وبير السلم ليس به قبو، إذ ترتكز درجاته على قطع مستعرضة من خشب جذوع النخيل. وحين نصل الى نقطة على بعد ٢٥سم أسفل أسكفات نوافذ الجوسق، يتوقف السلم ونجد أنفسنا فى جناح مقبب طويل يخترقه صفان من النوافذ، مما يشبه بلال فى الشلال، بيد أن نصف هذه النوافذ قد تم سده. ويبلغ ارتفاعه ٣,٤٥م إذا قيس من مستوى أسكفات النوافذ، إلا أن قطره لايزيد عن ١,٤٢م. ويبلغ سمك الجدران إذا قيست من خلال النوافذ ٤٢سم، مما يعطى البدن

قطرا يبلغ ٢,٢٦م عند هذه النقطة. وبالتالى فإن الارتفاع الإجمالى للمئذنة يبلغ ١١,٦ + ٣,٤٥ = ١٤,٥١م، بالإضافة الى سمك القبة، أى ١٤,٧٢م فى مجمله.

التاريخ المرجح للمجموعة [المآذن الخمس]

من هذه المآذن الخمس رأينا أن تاريخ إحداها يرجع الى عام ٤٧٤هـ (١٠٨١م)، وأن مئذنة أخرى منها بنيت قبل عام ٥٣٤هـ (١١٣٩م)، وأن مئذنة ثالثة منها لايمكن أن ترجع الى مابعد نهاية العصر الفاطمى بناء على نقشها الكوفى ذى المضمون التاريخي، وأن رابعة منها تشبهها الى حد كبير ولو أن نقشها الكوفى لم تتم قراءته بعد، وأن المئذنة الخامسة (بالأقصر) تنتمى الى نفس المجموعة. كما أن أشدها تطورا من الناحية المعمارية هى تلك المؤرخة بعام ٤٧٤هـ (١٠٨١م)، وهل يمكن تحديد تاريخ بنائها لأسباب تاريخية؟ هل يمكن أن تكون قد بنيت جميعا فى عصر بدر الجمالى كمئذنة إسنا؟ فنحن نعلم أنه قاد حملة مظفرة على النوبيين الذين قاموا بحركة تمرد خطيرة بأقاليم الصعيد(٢٧٤). فيذكر ابن الصيرفى (١١٠٠م) (الإشارة الى من نال الوزارة، ص٥٥) وابن ميسر (١٢٧٨) أسماء لواته (٢٧٥) وجهينة والثعالبة ويحدد العام ٤٦٩هـ ـ ١٠٧٧م. طبعة ماسيه ص٢٤، ٢٥). ويشير الأخير الى كنز الدولة باعتباره القائد ويقول إنه كان قد سيطر على أسوان والمناطق المحيطة بها قبل مقتله مع كثرة من أتباعه. وتم تأسيس جامع إسنا فى منتصف ذى الحجة ٤٦٩هـ (١٠ يوليو ١٠٧٧م). ويشير ڤان برشم الى أنه بعد الغزو المسلح كان من الضرورى إعادة إصلاح العقيدة الشيعية وهى الأساس الذى قامت عليه سلطة الفاطميين بعد أن أصيبت بهزة شديدة. وولى الخليفة بدرا قيادة الجيش وإدارة الشؤون المدنية والدينية. ولم يكن جامع إسنا سوى واحد من سلسلة من المنشآت الدينية. فما أن عاد الى القاهرة عام ٤٧٠ حتى قام بترميم جامع ابن طولون(٢٧٦)، وفى عام ٤٧٧هـ، قام ببناء (أو ترميم) جامع العطارين(٢٧٧) بالإسكندرية. وتشير النقوش التى تسجل هذين الحدثين الى إخماد حركة الهراطقة والى تكثيف نشر الدعوة(٢٧٨).

كانت أسوان فى ذلك الوقت حصنا حدوديا لمصر الإسلامية، ويبدو أن هذه المآذن والجوامع التى كانت تقوم عليها كانت قد شيدت تخليدا لذكرى حملة بدر الجمالى المظفرة. وإذا كان الحال كذلك، يمكن لنا أن نؤرخ لها بين عام ٤٦٩هـ (١٠٧٧م) وهو العام الذى بدأ فيه إنشاء جامع إسنا، وعام ٤٧٤هـ (١٠٨١م) وهو تاريخ إتمام مئذنته التى تعد أكثرها تطورا من الناحية المعمارية(٢٧٩). ونرى من جانبنا أن الترتيب الصحيح كما يلي: ١. أسوان، ٢. المشهد البحرى أو «الباب»، ٣. الأقصر، ٤. إسنا.

مسجد [مشهد] الجيوشى (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)

وصف المسجد

تقع هذه «الزاوية»(٢٨٠) (كما سميت فى النقش الذى يعلو مدخلها) على حافة المقطم جنوب شرق القلعة وفوق جامع إخوة سيدنا يوسف تماما تقريبا، وتطل على منظر رائع لقرافة الإمام الشافعى حيث ترى على البعد القاهرة [مصر] القديمة والحقول الخضراء [بساتين الوزير أو البساتين] والنيل جنوبا.

وكما نرى فى التخطيط (الشكل ٧٩) فهو مبنى شيد بصورة متماثلة رغم عدم انتظام الشكل الخارجى مما يعزى الى وجود ضريح صغير لأحد الأولياء على الجانب الشمالى الشرقى وبناؤه (مداميك من الآجر والدبش) يدل على أنه إضافة حديثة العهد(٢٨١). وإذا حذفنا هذا الضريح الصغير. نجد مستطيلا مساحته ١٨ × ١٥م (لوحة ٤٦). والمدخل فى منتصف الواجهة الشمالية الغربية تحت المئذنة تماما؛ وهناك مجاز صغير ذو عقد

مدبب (اللوحتان ٤٦ جـ و٤٧ جـ) يرتكز على كتلة من الجرانيت طولها ٣م وارتفاعها ٣٠سم ويؤدى الى دركاة ذى قبو اسطواني. وهناك دركاة ثانية تكونت داخل هذه الدركاة بإضافة بناء آجرى يتضح فى التخطيط؛ وهذه الدركاة الثانية تغطيها قبة صغيرة تم توفيق وضعها مع المربع دون مثلثات كروية وتبدو منطقة الانتقال وقد تم بمائها دون اهتمام كبير. والى اليسار هناك غرفة مربعة ذات قبو متقاطع وبها نافذة مفلطحة بأعلى الجانب الشمالى الشرقي. وتحتوى على صهريج. والى اليمين هناك غرفة مربعة أخرى كشف سماوى ويشغلها سلم من أربع قلبات ويؤدى الى سطح مسطح. وترتكز كل قلبة على كابولى مفلطح الوجه.

المسجد من الداخل

هناك عقد مدبب ارتفاعه ٣,٤٦م يؤدى الى دركاة داخل الصحن عرضه ٦,٤٥ وعمقه ٥,٦٠م. وعلى كلا الجانبين، هناك غرفة ذات قبو اسطوانى يتم دخولها أصلا من خلال فتحة ذات عقد مدبب بارتفاع ٢,٥٠م فى وسط الواجهة. وتم خفض حجم هذه المداخل (التى تم تطهيرها عام ١٩٤٧). ويمكن الآن رؤية الصنجة المفتاحية الى اليسار بسبب سقوط الكسوة الجصية. وتم عمل الفتحات الأخرى التى تتضح فى التخطيط بصورة عشوائية بغرض إضاءة الحجرات. ويقل حجم الحجرة الكائنة الى اليسار بجدار فاصل لكى يشكل مجازا الى الضريح الصغير، كما يشمل مجازا فى الواجهة الشمالية الشرقية من الصحن والجدار الخارجى للجامع (وتشمل الحجرة قبوا اسطوانيا يجرى من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقي، إلا أن قبو المجاز يجرى باتجاه من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقي). ووضع الجدار الفاصل والضريح خطأ على أنهما عمل أصلى فى تخطيط لجنة حفظ الآثار العربية ونشره فان برشم (Une Mosque du temps des Fatimites, in the *B.I.É*, II, pl. v).

وعلى الجانب الشرقى من الصحن، هناك الواجهة الثلاثية العقود الخاصة بالحرم، وتتكون من عقد مدبب عريض وعقدين آخرين صغيرين (لوحة ٤٧ب). وترتكز العقود على زوجين من الأعمدة الرخامية ذات الأقطار المختلفة وتيجان على شكل كأسى، وثلاثة منها لها قواعد تعد نسخا مطابقة معكوسة من تيجانها؛ أما الرابع — وهو الداخلى على الجانب الأيسر —فله قاعدة من الحجر الجيرى العشوائى الشكل. ولم يكن كل من هذا العمود وهذه القاعدة فى مكانهما حين قام فان برشم بزيارته فى سنة ١٨٨٨ (المصدر نفسه، لوحة ٣)، ولكن رغم أن هذا العمود أكثر سمكا من الأعمدة الأخري، إلا أن تاجه يماثل تيجان الأعمدة الأخري. ونرى من جانبنا أنها قد تنتمى الى الجامع الأصلي؛ أما القاعدة فتعد حديثة تماما. وكل زوج من الأعمدة يحمل مدماكا مقوسا من الحجر تنبت منه العقود.

وهذه الواجهة الثلاثية العقود تفتح على رواق طويل ذى قبو متقاطع؛ ويفتح هذا الرواق أيضا بعقوده الثلاثة على داخل مربع ذو قبة أمام المحراب والجناحين ذوا القبو المتقاطع الى اليمين واليسار. ويضم الجدار بين البرجين الى اليسار مقبرة لأحد الأولياء يطلق الناس عليه اسم سيدى الجيوشى الذى يلتبس اسمه مع مؤسس الجامع.

المحراب

ومساحته ٣ × ٥م، ويعد نموذجا هاما للزخرفة الجصية بعد نموذج الأزهر (٣٦١هـ/ ٩٧٢م)، أى تفصل بينهما فجوة زمنية تبلغ ١١٣ عاما. والزخرفة الوحيدة التى بقيت طوال هذه الحقبة هى النقش الحجرى الكائن على المدخل التذكارى لجامع الحاكم ومئذنته (٣٨٩هـ/١٠٠٣م).

ويتكون المحرب من حنية متوجة بنصف قبة [طاقية] مدببة العقد كان على جانبيها عمودان فيما مضي.

وبالحنية حشوة مزدوجة تتكون الحشوة الداخلية منها من شريط رفيع من **الزخرفة الغربية**. أما الحشوة الخارجية التى يصل عرضها الى ضعف عرض الحشوة الداخلية فتتكون من شريط رائع من الكوفى المزخرف. ويتكون الإطار الخارجي المستطيل من نفس الشريطين بفارق أن الترتيب معكوس. وينحنى قليلا على القمة ليحمل حشوة مستعرضة تحتوى على نمط مجدول متداخل ومخرّم اندثر تماما. وتتميز زخرفة كوشات العقد بالثراء الملحوظ. ويصفها فلورى بأنها «أرقى درجات تطور الزخرفة السطحية» (ص٤٠-٤١). وبالمحراب بروز من الخارج بمقدار متر واحد، وقمته مشطوفة.

وهناك شريط رائع من النقش الكوفى المزخرف بعمق ٥٥سم، ويحتوى على بداية سورة الفتح (فان برشم، ص٦١٨) يجرى حول قمة المربع أسفل القبة. وعلى قمة هذه القبة نقشت الآية ٣٩ من سورة فاطر دونت فى دائرة؛ وفى المنتصف نقشا أسماء محمد وعلى تبادليا ومتكررة ثلاث مرات. وبهذا الشكل نجمة ذات ستة ذيول (فان برشم، وهذه هى أقدم قبة فى مصر عليها زخارف جصية على قمتها). وكانت جدران الحرم والمحراب مغطاة فى القرن الثامن عشر بطبقة سميكة من الجص رسمت عليها تصميمات جيدة تشبه التصميمات التى نراها على تربيعات الخزف المزخرف ويغلب عليها اللون الأخضر الزاهي. وتحمل هذه الكسوة بقايا نقش عليه تاريخ ١١٤٤هـ /١٧٣١م،(٢٨٢) (المصدر نفسه، ص٦١٨). وترتكز القبة (لوحة ١١٠ب) على رقبة مثمنة بنافذة على كل واجهة عدا النافذة الجنوبية الشرقية، فهى صماء. وتم تنفيذ منطقة الانتقال من المربع الى المثمن بأربع حنايا ركنية (لوحة ١١٠أ)؛ والحنايا الركنية والرقبة والقبة كلها من الآجر. كما شيدت عدة حجرات على السطح، وخاصة فى مواجهة الجانب الجنوبى الغربى من القبة، لكن أكثر من نصفها اندثر ولم يبق منها سوى جدران مهدمة.

وفى عام ١٩٤٧، بدأت اللجنة بناء على توصية منى فى إزالة بقايا هذه الجدران؛ وتحقق اكتشاف شيق للغاية؛ ففى أثناء إزالة الجدار الذى يجرى على الجانب الجنوبى الغربي، تم العثور على مبنيين صغيرين مطمورين، جزء فى هذا الجدار وجزء آخر يعلو الكتفين الثانى والثالث بارتفاع ٢,٩٠م بمدخل على الجانب الشمالى الشرقي، ومحراب على جانب القبلة، ونافذة صغيرة فى مواجهة المدخل (لوحات ٤٧جـ، ء؛ ٤٨أ). ولايزيد ارتفاع هذا المدخل عن ١,٣٠م وهناك نافذة على كل جانب. وربما كانت كل الأكتاف متوجة فيما مضي.

الشرافات

هناك ثلاث قطع من شرافة من نوع غير مألوف تماما يمكن رؤيتها مطمورة فى حاجز الشرافة المصنوع من الدبش على الجانب الشمالى الشرقى من الصحن. وتقرر إخراجها وإعادة بناء القطع المفقودة (لوحتان ٤٨أ، ب).

المئذنة

(لوحتان ٤٦ و١٢٣جـ) وهى بدن مربع طويل يرتفع فى منتصف الواجهة الشمالية الغربية بارتفاع ١٤,١٨م. وعلى قمة هذا الجزء، هناك طنف من طبقتين من مقرنصات آجرية وجصية؛ ويتراجع بمسافة ٧٠سم عن حافة هذا الطنف مكعب آجرى صغير مشطوف قليلا عند الزوايا، مع وجود فتحة معقودة على كل واجهة. وفوق هذا المكعب وضعت رقبة مثمنة وأيضا بفتحة معقودة على كل واجهة. وهذه العقود تؤدى أربعة منها وظيفة المقرنصات من حيث أنها تدعم القبة الآجرية الصغيرة [القمة] عبر أركان المربع. والارتفاع الكلى للمئذنة الى قمة القبة ٢٠م. وبالمئذنة طابقان من الداخل، أحدهما على نفس مستوى السقف، والآخر يرتكز

على قبو اسطواني ومحوره شمال شرق/جنوب غرب بمسافة ٢٠سم أسفل طنف المقرنصة. وهناك بير سلم من خمس قلبات يصعد من الطابق الأول الى الطابق الثاني. ولم تعد هناك شرفة حول المئذنة. ولكن ربما كان الطنف المقرنص بنتوئه البالغ ٧٠سم ـ يعود ما يقرب من نصف هذا النتوء الى تراجع هذا الطابق الى الخلف) فيما مضى يدعم شرفة خشبية.

هذا هو أقدم نموذج باقي للكورنيش المقرنص في مصر. إلا أن هناك نموذجا أقدم قليلا في إيران (مئذنة Sangbast المنسوبة الى أرسلان جاذب في أوائل القرن ١١م في رأى ديز وشرودر أما فان برشم فلم يوافق على هذا الرأى نظراً لأن النقش مهشم تماما) – وهو كورنيش الضريح المثمن في ابركوه المعروف بگنبد على ويرجع الى عام ٤٤٨هـ (١٠٥٦م). والنموذج التالى من حيث تاريخ الإنشاء هو مئذنة «آني» بأرمينيا والتى شيدت عام ٤٦٥هـ (١٠٧٣م). ثم تأتي مئذنة الجيوشي، يليها نموذج موجود بسور القاهرة بجوار باب الفتوح، يليه مسجد الأقمر. ولما كان النموذجان الأولان الموجودان بمصر ينسبان للوزير الأرمنى بدر الجمالي، يليهما النموذج الموجود بأرمينيا، فيبدو أن الأرمن كانوا الوسطاء الذين انتقل من خلالهم هذا العنصر الفنى الفارسى الى مصر.

وتم قطع الجانب الشمالى الشرقى من المئذنة عند مستوى السقف بعرضها كله بارتفاع حوالى المترين لكى يتم عمل فتحة بحجرة بنيت فى المواجهة على السطح، وتم سد الفجوة الناجمة عن ذلك بجدار من مداميك صغيرة من الحجر والآجر بسمك يقل عن الأصل (٥٠ بدلا من ٨٠سم). وبهذا الجزء الحديث الإنشاء باب يؤدى الى داخل الحجرة، مما يتسبب فى إفساد تماثل الواجهة تماما. ومن المرجح أن المئذنة كانت فى الأصل تقوم بذاتها من الواجهة وتم تحديد قمتها بخط أفقى رسم على مستوى الحافة السفلية للنافذة بأعلى المدخل، أى على مستوى السقف.

مادة البناء

شيدت جدران هذا الجامع وحتى مستوى السقف من مداميك عشوائية الشكل من الحجر (تلاتات) بارتفاع من ١٧ الى ١٨سم وبطول يتراوح بين ٢٥ و٣٠سم وضعت بحشوة سميكة من الملاط ورقعت الجدران بالآجر فى بعض مواضعها، وخاصة عند قاعدة الواجهة الشمالية الغربية. وكل الأقبية والقبة والرقبة والحنايا الركنية من الطوب الأحمر الداكن، وكذلك الجزء الذى يعلو مستوى السقف. وتم وصل الجزء الأخير عند الفواصل بعوارض من خشب جذوع النخيل، وهناك ثلاثة جذوع تجرى من جانب الى آخر بأعلى قبو طابقها العلوي. ولا نرى الخشب فى أى مكان آخر بالمبني. ويبدو أن السقف تم تبليطه بألواح حجرية بنفس الصورة التى تم بها تبليط أرضية الجامع.

تاريخ بناء المسجد [المشهد]

هناك نقش كوفى من خمسة أسطر نقش على لوح من الرخام وضع فى الجدار أعلى المدخل (لوحة ٤٧) ويحتوى على تاريخ كان أول من قرأه هو ڤان برشم ونصه «محرم ٤٩٨» (أى أكتوبر ١١٠٤م، *Une Mosque du temps des Fatimites*, pp. 606-11). وينص متن النقش على أن «هذه الزاوية(٢٨٣) بناها عبدالله الإمام المستنصر بالله قائد الجيوش(٢٨٤)». إلا أن المستنصر بالله توفى فى ١٨ ذى الحجة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) ولم يأت من بعده خليفة له مثل هذه الألقاب المذكورة فى النقش؛ كما أن ألقاب من قبيل «قائد الجيوش» و «عبد الله» وما الى ذلك تخص بدرا الذى توفى فى ربيع الأول ٤٨٧هـ (مارس ١٠٩٤م) ولا تخص الأفضل؛ لذا فقد توصل الى نتيجة محددة فحواها أن التاريخ ينبغى أن يقرأ على أنه محرم ٤٧٨هـ (ابريل ـ مايو ١٠٨٥م).

الفصل العاشر

التحصينات الفاطمية لبدر الجمالى

الظروف التاريخية

تميزت أواسط فترة حكم الخليفة المستنصر بظهور مشكلات انتهت بكارثة كاملة ودمار شامل بدأ بالإجراءات الاقتصادية التى طبقها الوزير اليازورى (١٠٥٠-١٠٥٨م) بحسن نية. فقد أعقبها انخفاض فى منسوب مياه النيل ومجاعة ووباء. ولم تنجح المساعى التى بذلت فى سنة ١٠٥٥م لشراء أربعمائة ألف أردب من الغلال من القسطنطينية(٢٨٥). وبعد أن ساءت الظروف وتفاقمت الأزمة وانتهى الصراع بين القوات السودانية والأتراك بانتصار الأتراك، انطلق الترك دون قيد أو رادع يعملون السلب والنهب فى القصر، فاستولوا على الخزائن وعاملوا الخليفة بكل ازدراء. ثم عاد منسوب مياه النيل الى الانخفاض من جديد فى سنة ١٠٦٥م ووقعت المجاعة واستمرت حتى ١٠٧٢م، وعانى سكان مصر بؤسا شديدا.

وفى عام ١٠٧٣م جاء المحصول جيدا ليضع حدا للمجاعة. وفى الوقت نفسه أرسل الخليفة فى طلب بدر الجمالي، وهو مملوك أرمنى تدرج فى المناصب فى حروب الشام وأبلى بلاء حسنا فى قتال الترك حتى صار أشهر قائد عسكرى فى الشام. وكان فى ذلك الوقت واليا على عكا ولم يقبل دعوة المستنصر إلا بشرط السماح له بإحضار قواته الشامية معه. ودخل القاهرة فى جمادى الأولى ٤٦٥هـ (فبراير ١٠٧٣م) وقتل عددا كبيرا من أمراء الترك فى ليلة واحدة بنفس الطريقة التى اتبعها محمد على فيما بعد. فتم تنصيبه أميرا للجيوش؛ ثم أسند الخليفة اليه كل المناصب المدنية بالدولة (انظر المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٨١-٣٨٢). وفى عام ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) قام بإخماد حركات التمرد التى نشبت فى الدلتا (ابن ميسر، ط ماسيه، ص٢٤). ثم اتجه الى الصعيد واستعاد سلطة الخليفة حتى أسوان. وفى عام ٤٧٧هـ (١٠٨٤م)، ثار عليه ابنه بالاسكندرية؛ فضرب حوله حصارا قرابة شهر. وفى النهاية ألقى القبض عليه (ابن ميسر، ص٢٦). وبنى جامع العطارين بتبرعات إجبارية للاحتفال بانتصاره، **واكتمل بناء الجامع فى ربيع الأول ٤٧٩هـ**(٢٨٦) (يوليو ١٠٨٦م، المقريزي، جـ١، ص٣٨٢).

وكان أقل حظا فى الشام حيث سقطت دمشق فى أيدى الأتراك السلاجقة فى أواخر عام ٤٦٨هـ (١٠٧٦م). وفى العام التالى ظهر أتسز على أبواب القاهرة. وعلى الرغم من طرده إلا أن الخطر السلجوقى ظل ماثلا، حيث جدد أتسز هجماته فى الأعوام ٤٧١ و٤٧٨ و٤٨٢هـ(٢٨٧). فكان هذا بالإضافة الى تجاوز المدينة الى خارج أسوار جوهر هما السببان الرئيسان اللذان دفعا ببدر الجمالى الى التعجيل ببناء حصون جديدة(٢٨٨) (اللوحتان ٤٩ و٧٦).

رواية المقريزى

يقول المقريزى عن تقدم خطط بدر الجمالى شمالا وجنوبا مايلي:

«(السور الثاني) بناه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات فيما بين بابى زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذى عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب

النصر أيضا جميع الرحبة التى تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر وجعل السور من لبن وأقام الأبواب من حجارة» (جـ١، ص٣٧٩).

ثم يضيف قائلا:

«وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة ونقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها الى أن احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه» (جـ١، ٣٨١).

ويشير المؤرخ الى بوابة جديدة تسمى باب الفتوح بنيت فى ذلك الوقت، وأنه كانت هناك باشورة [المدخل المنكسر] أمامها ولم تكن ظاهرة فى عصره بسبب المبانى التى شيدت حول البوابة من الخارج (جـ١، ص٣٨١). وتعد رواية المقريزى عن باب زويلة الجديد أكثر كمالا فى هذا الصدد. فيطلعنا على أن بدر الجمالى شيده عام ٤٨٥هـ (١٠٩٢م):

«ولم يعمل له باشورة كما هى عادة أبواب الحصون من أن يكون فى كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لاتثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى أيام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فاتفق مروره من هناك فاختل فرسه وزلق به وأحسبه سقط عنه فأمر بنقضها فنقضت وبقى منها شئ يسير ظاهر فلما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة [زاوية الدهيشة] باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفره الصهريج الذى بنى به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لاتعمل فيها العدة الماضية وأشكالها فى غاية الكبر ... فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئا والى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة ويذكر أن ثلاثة أخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى بابا وأن باب زويلة هذا بنى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأن باب الفتوح بنى فى سنة ثمانين وأربعمائة× وقد ذكر ابن عبدالظاهر فى كتابه خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناء العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش ... وسمعت غير واحد يذكر أن فردتيه يدوران فى سكرجتين من زجاج ... ومن تأمل الأسطر التى قد كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاهما الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين» (الخطط، جـ١، ص٣٨١).

ويذكر أبو صالح الأرمنى الذى دون كتابا بعنوان «الكنائس والأديرة فى مصر» فى أوائل القرن الثالث عشر فى وصفه لكنيسة القديس يوحنا المعمدان قائلا:

«وبالقرب من هذه الكنيسة مقبرة يوحنا الراهب الذى هندس سور القاهرة وأبوابها فى خلافة المستنصر وفى وزارة أمير الجيوش بدر» (*The Churches and Monasteries of Egypt*, p. 65)

ويعلق بتلر على ذلك بقوله:

«هذه معلومة مهمة للغاية، فهى دليل جديد على أن الأقباط هم المهندسون الذين شيدوا القاهرة لا المسلمين، كما كنت أرى دائما».

ونرى من جانبنا أن هذا استنتاج متعجل؛ حيث أن الكاتب يسلم جدلا بالجنسية المصرية للراهب المذكور.

ويتعجل لين پول ويقفـز الى نفس الاستنتـاج دون روية؛ ولكن نظرا لرغبتـه في التسليم برواية المقريزى نجده يفترض وجود أربعة معمـاريين (History of Egypt, pp. 152-3). وينبئنا المقريزى أن البوابات بنيت على يد ثلاثة **معماريين مسيحيين من الرها**. ومن المحتمل أن يكون يوحنا أحدهم، لأن الرهبنة لم تكن حكرا على مصر؛ والحقيقة أنه ليس ثم تناقض بالضرورة بين الروايتين. على أية حال فإن رواية المقريزى تتفق والدليل المعماري؛ وسنرى أن البوابات تخالف أصلها الشامي الشمالى فى كل سماتها تقريبا. والأرجح أن يكون المعماريون المسيحيون الثلاثة قد غادروا الرها فى ذلك الوقت متجهين الى القاهرة، إذ كانت الرها قد انتزعت من امبراطور الروم فى العام السابق على ذلك (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) على يد ملكشاه السلجوقى (ابن الأثير، جـ١٠، ص٩٧)، وكانت الظروف قد ساءت بالنسبة للمسيحيين، بينما كان الفاطميون يبدون تسامحا كبيرا تجاه **المسيحيين واليهود**(٢٨٩).

ويبدو أن المعماريين فى الشرق والغرب على السواء كانوا دائمى الترحال (Voyagae en Syrie, I, 221) وقد سجلت حالات لذلك على اللوحات التأسيسية للمبانى الوسيطة ومنها الأمثلة التالية:

١. تم إنشاء مقياس النيل بالقاهرة عام ٢٤٧هـ (٨٦١م) على يد معمار من **فرغانة**(٢٩٠).

٢. أعيد بناء قبة المسجد الأقصى بالقدس عام ٤٢٦هـ (١٠٣٥م) على يد مزوق من القاهرة بعد أن أصيبت بأضرار جسيمة على أثر زلزال عام ٤٢٥هـ (١٠٣٣م، على الهروي(٢٩١)، **كتاب الزيارات**، ص٢١).

٣. بنيت مئذنة المسجد الجامع فى حلب فى الفترة من ٤٨٣ الى ٤٨٨هـ (١٠٩٠- ١٠٩٥م) على يد معمار من **سرمين**.

٤. تم إنشاء جزء من مسجد ديار بكر الجامع فى سنة ٥٥٠هـ (١١٥٥-١١٥٦م) على يد **معمار من جرجان**(٢٩٢) (بالركن الجنوبى الشرقى من بحر قزوين).

٥. بنى فى ديفرجى جامع أمير شاهنشاه (جامع القلعة) بالقلعة فى سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠-١١٨١م) على يد **معمار من مراغة**(٢٩٣).

٦. بنى جامع علاء الدين بقونية فى سنة ٦١٦-٦١٧هـ (١٢١٩-١٢٢١م) على يد **معمار دمشقي**(٢٩٤).

٧. بنيت المدرسة المنسوبة الى الأرتقى سوكمن الثانى بديار بكر فى سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٨م) على يد معمار من حلب(٢٩٥).

٨. بنى جامع أحمد شاه فى ديفرجى فى سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨-١٢٢٩م) على يد معمار من خلاط أو أخلاط.

٩. بنى أحد الأبراج الدائرية بالواجهة الشمالية للسور بديار بكر أيضا فى سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦-١٢٣٧م) على يد معمار من حلب.

١٠. بنيت مدرسة صرجالى بقونية فى سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢-١٢٤٣م) على يد معمار من طوس(٢٩٦).

١١. أرسل أحد النحاتين من القاهرة من قبل السلطان قلاوون فى سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) لنحت اسم السلطان على جامع كان يتم **بناؤه على يد بركة خان بالقرم**(٢٩٧).

١٢. بنى المسجد الجامع بطرابلس فى سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٤م) على يد معمار من صهيون(٢٩٨).

١٣ . بنيت القبة بصحن المسجد الجامع فى الباب (على بعد ٢٥ ميلا شرقى حلب) فى سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٥م) على يد معمارين من صفد.

١٤ . بنيت مئذنتا جامع الأمير قوصون بالقاهرة فى سنة ٧٣٠هـ (١٣٢٩ـ ١٣٣٠م) على يد معمار من تبريز.

١٥ . بنى قصر الأمير يشبك بالقاهرة فى سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧م) على يد معمار من الشام.

١٦ . أعيد بناء الجسر فوق نهر كلب ببيروت فى سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م) على يد معمار من بعلبك كان يعيش بطرابلس.

١٧ . بنى المسجد الجامع بأفسوس فى سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٥م) على يد معمار دمشقي.

١٨ . بنى ضريح تيمور بسمرقند فى سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤ـ ١٤٠٥م) على يد معمار اصفهاني.

١٩ . بنيت تربة سيدى محيى الدين بآق شهر فى سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩ـ١٤١٠م) على يد معمار من الموصل.

٢٠ . بنى ضريح أحمد شاه بهمانى (توفى ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م) ببيدار على يد معمار من قزوين.

٢١ . بنى مسجد شاه بمشهد فى سنة ٨٥٥هـ (١٤٥١م) على يد معمار من تبريز.

تاريخ البوابات

بالنسبة لتواريخ هذه البوابات نجد أن باب النصر يحمل نقشا كوفيا رائعا أسفل الطنف الذى يجرى من الخارج على قمة الطابق الثانى بعد الزوايا البارزة المقلوبة، ويبدأ على البرج الغربي ويمر أعلى البوابة لينتهى عند البروز الشرقي؛ من ثم فهو يشكل شريطا طويلا مكسورا الى خمسة أقسام بأربع زوايا يمني. وينص على أن هذه البوابة التى تسمى «باب العز» بدلا من «باب النصر» كما تعرف اليوم بنيت على يد بدر؛ وينتهى بعبارة «تم البدء فى هذا العمل فى محرم ٤٨٠» (١٠٨٧م).

يذكر المقريزى أن تشييد بدر الجمالى لباب الفتوح فى سنة ٤٨٠هـ يتأكد من نقش يبدأ فى الزاوية الكارة بين البرج الشرقى والجدار بين البرجين ويجرى على طول الجدار الأخير، ثم يستمر فوق واجهتين من واجهات البروز المربع الضخم الذى بنى حول المئذنة الشمالية لجامع الحاكم، ولكن بتاريخ ٤٣٠هـ (جـ٢، ص٢٧٨) وهو ماينبغى قراءته على أنه ٤٨٠هـ كما يبين ڤان برشم (*Notes , xvii*)، وهو ماأكده المفضل بن أبى الفضائل (١٣٥٨، ص٥٠٢) والقلقشندى (جـ٣، ص٣٦٤).

وظل جزء كبير من هذا النقش مختفيا حتى وقت قريب وراء بيوت شيدت بمواجهة جدار البرج مباشرة، ثم تمت إزالة هذه العوائق فى شتاء ١٩٤١/١٩٤٢، فظهر النقش كاملا. ويتكون من سطر واحد طوله ٥٣,٤٧م وهو تكرار لنفس النص الذى نجده على باب النصر بفروق طفيفة. إلا أن الجزء المتعلق بالتاريخ فقد تكرر دون تغيير، حيث يقول «وبدى بعمله فى محرم ٤٨٠». ولكن هنا أيضا نرى أن اسم البوابة كما ورد به يختلف عن الاسم الذى تعرف به اليوم، فتسمى «باب الإقبال». وكان ناصر خسرو فى زيارته للقاهرة من عام ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) الى ذى الحجة ٤٤١هـ (ابريل ١٠٥٠م) قد رأى بوابات جوهر ويشير الى كل من باب النصر وباب الفتوح على أنهما بوابتا جوهر. لذا يبدو أن بدر الجمالى أو سيده الخليفة المستنصر أراد للبوابات فى سوره أن يكون لها أسماء جديدة، إلا أن الناس أصروا على استخدام الأسماء القديمة فى الإشارة الى البوابات الجديدة.

ورأينا أن المقريزى يحدد فى موضع من كتابه تاريخ بناء باب زويلة بأنه عام ٤٨٥هـ (جـ١، ص٣٧٩)، وبعد أسطر قلائل يحدده بأنه عام ٤٨٤هـ. ويحدد كل من القلقشندى (جـ٣، ص٣٦٤) وحسن الطولونى

(مخطوط باريس، ١٨١٤) والإسحاقى (ص١٢٠) هذا التاريخ بأنه عام ٤٨٥هـ؛ فى حين يرى كل من فان برشم (Égypte, I, 62) ومرجوليوث (Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 20) وريتشموند (Muslim Architecture, 95) وهوتكير (Les Mosquées du Caire, 232) أن تاريخ البناء هو عام ٤٨٤هـ. ونرى من جانبنا أن هذه المسألة حسمت مؤخرا بنشر كتاب ابن ميسر(٢٩٩) (الذى يسبق كتاب المقريزى بقرن ونصف قرن) حيث أرجع تاريخ البناء الى عام ٤٨٥هـ (أخبار مصر، ط ماسيه، ص٢٩). ولايسعفنا علم النقوش فى هذا الصدد، مع أن هذه البوابة كانت فيما مضى تحمل نقشين أحدهما يجرى حول الطنف أعلى قنطرة العقد الضخمة، والآخر على الطبلة. والمستطيل الغائر الذى كان يحتوى فيما مضى على اللوح الذى يحمل النقش الأخير لايزال باقيا ولو أن اللوح اختفي. وظهر النقش الأول فى عام ١٨٩٧ بعد إزالة طبقة سميكة من الجص. ويتفق وضع هذين النقشين مع وضع باب النصر؛ وبالتالى فربما كان «النقش الكائن بأعلى البوابة من الخارج» هو الذى يشير اليه المقريزى (جـ١ ، ص٣٨١) لأنه يحتوى على أسماء أمير الجيوش (بدر الجمالي) والخليفة بالإضافة الى التاريخ. وهو فى حالة متردية ولم يبق منه إلا إيمان طائفة الشيعة به، مما يعد كافيا للدلالة على أصله الفاطمى (Comité du Conservation, Exercice 1897, p. x-xi).

انطباعات الرحالة

تعد بوابات القاهرة الثلاث -باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة- والجزء المعاصر لها من السور ضمن روائع العمارة العسكرية الإسلامية. فهى بوابات لا مثيل لها؛ والسور بأبراجه لا يفوقه فى العالم الإسلامى إلا نظيره بديار بكر (انظر Neibuhr, Voyage en Arabie, 1780, ii)(٣٠٠). وقد بلغ بناء المجموعة كلها درجة من الكمال لم تتكرر فى مصر. فحظيت البوابات باعجاب رحالة القرن الثامن عشر ممن نشأوا على تقاليد الكلاسيكية. فيقول ميليه(٣٠١) عن باب الفتوح: «لم أر بوابة على هذه الدرجة من الروعة المعمارية والقدم التاريخى والكمال الفني». كما يشير الى باب النصر أيضا لكنه يقول إنه «لا يقارن بباب الفتوح» (Description de l'Égypte, 210). ويبدى الرحالة دهشته من بنائه بهذه القوة «بلا أعمدة ولا دعامات». كما يبدى موريسن إعجابه «بسماته الطبيعية وجمال أبراجه وزخارفه وبساطته ورقته» (Relation historique d'un voyage á Jerusalem, 134). أما جومار(٣٠٢) فيرجح باب النصر (٣٠٣) (Description de l'Égypte, État moderne, ii, 663). وكذلك كان رأى كل من كوست(٣٠٤) وبريس دافين(٣٠٥). ولم تكن شهرة هذه البوابات فى الشرق فى عصوره الوسطى تقل عن شهرتها فى العصور الحديثة؛ إذ يحدثنا المقريزى فيقول : « وقد أخبرنى من طاف البلاد وراى مدن المشرق أنه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين على جنتبيه » . (الخطط، جـ١ ، ص٣٨١).

ولهذه التحصينات أهمية بالغة باعتبارها من النماذج النادرة على العمارة العسكرية الإسلامية قبل الحروب الصليبية (والنماذج الأخرى هى قصر الحير ١١٠هـ؛ والرقة ١٥٥هـ؛ والأخيضر(٣٠٦) ١٥٩ هـ؛ ورباط سوسة ٢٠٦هـ؛ والقصبة بمدريد ٢٢٠هـ؛ وأسوار سوسة ٢٤٥هـ). لذا فلا ينبغى لهذه «المنشآت الرائعة التى تحتل المكانة الأولى فى عمارة القاهرة» (Van Berchem, Notes, xvii. p. 464) أن تظل غير منشورة وبلا تخطيط حتى الآن.

ومما يؤسف له أن الطابع العام لباب النصر وباب الفتوح وأبراجهما وبعض الأسوار فيما بينهما قد تشوه تماما بسبب كثافة المبانى الرديئة التى بنيت حولها حتى أنه أضحى من العسير على المرء أن يلقى عليها نظرة وافية. ولاشك أن هذه العوائق ترجع فى تاريخها الى القرن الثالث عشر مع نشأة حى الحسينية(٣٠٧)؛ إلا أننا نعرف

مـــن الجبرتي أن هذه المنطقة برمتها تم تدميرها وتسويتها بالأرض بأمر من نابليون في سنة ١٨٠٠ . فيذكر تحت تاريخ «جمادى الأولى ١٢١٥» أنهم بدأوا بتدمير شوارع الحسينية والشوارع خارج باب الفتوح وباب النصر بما في ذلك من بيوت وحمامات ومشاجد وأضرحة تهاوت تحت ضربات المعاول (عجائب الآثار، جـ٣، ص١٣٦ و١٥٩). وكانت هذه المنطقة في عصر هيى (حوالي عام ١٨٢٩) لاتزال خالية نسبيا (Hay, Robert. *Illustrations of Cairo*, pl. xv) ؛ وفي عصر روبرتس (حوالي ١٨٣٩) كانت قد ازدحمت قليلا (Roberts, David. *Egypt and Nubia*, iii. pl. 3) ؛ أما بحلول عام ١٩٤٣ فكانت قد ازدحمت بالأحواش وورش الغزل والمخابز ومصنع للصابون والحوانيت والأكشاك. ولكن بمناقشة الأمر مع وزارة الأشغال العمومية نجحت في إثارة اهتمام خيرى بك وكيل وزارة الخارجية وحصلت على تأييده في هذا الصدد. ويعود اليه والى مصطفى بك فهمي مدير إدارة تنظيم القاهرة ومساعده فخرى بك في إزالة العديد من المنشآت المحيطة بباب الفتوح عن اليمين واليسار بتكاليف بلغت أربعين ألف جنيه وبطول ٤٢٠م (اللوحات ٥٧-٥٩).

باب النصر

(رقم ٧ في التخطيط)

وصفه

تقع هذه البوابة (اللوحات ٤٩-٥٦ والأشكال ٨١-٨٣) على الركن الشمالي الشرقي من سور القاهرة الفاطمية، وتتكون بعد توسيعها قليلا على يد بدر الجمالي من برجين مربعين كبيرين مصمتين حتى ثلثي ارتفاعيهما؛ ويحتويان فيما بينهما على بوابة معقودة جميلة (اللوحات ٤٩-٥١) تتراجع بمقدار ٤,٥٤م عن واجهتيهما الأماميتين. ووراء هذه البوابة دركاة ضخمة طولها ١٠,٧٧م وعرضها ٨,١٧م يغطيها قبو، مما يشكل مجازا مغطى بين البرجين (اللوحتان ٥٢، ٥٣)؛ وينتهي هذا القبو بحذى الواجهة الخلفية للبرجين. ويبلغ عرض البناء بأكمله ٢٤,٢٢م وعمقه ٢٠,٤٧م وارتفاعه ٢٠,٨٩م (من أسكفة البوابة الضخمة). وخلف البرج الشرقي وبالتوازى معه نجد برجا مستطيلا ضخما (اللوحتان ٥٣أ، ٥٤أ) ويحتوى على بير سلم حلزوني جميل عرضه ١,٦٥م، وربما كان أجمل مابنى من سلالم لأغراض عسكرية (اللوحة ٥٤جـ)، ويؤدى الى منصة فوق المجاز المعقود.

وبفضل موقعه فإن هذا البرج لا يبدو كبرج؛ وجانبه الغربي يحاذى الجانب المقابل لبرج البوابة الشرقي. ومن ناحية أخرى نجد أن جانبه الشرقي على الرغم من بروزه بمقدار ٨,٧٠م خلف الواجهة المقابلة للبرج المذكور، يعطى انطباعا بأنه مجرد زاوية كارة في السور، إذ يستمر السور باتجاهه الجنوبي الغربي بخط موازٍ له. ويقع المدخل الأصلي لبير السلم بالواجهة الجنوبية من هذا البرج (لوحة٥٤ب)، إلا أنه قد سُد بجدار (ضمن عملية الإزالة في ديسمبر ١٩٣٩)، ويتم الوصول الى بير السلم حاليا بباب على الجانب الغربي من المجاز المعقود (اللوحة ٥٣جـ). وحين نصل الى المنصة العليا التي ترتفع عن الأسكفة بمقدار ١٣,٥٤م، نلاحظ أن السمات الأساسية عند هذا المستوى هي الأجزاء العليا من برجي البوابة على ارتفاع ٧,٦٥م (لوحتان ٥٤أ، ٥٥ب)، وخمس فتحات في الأرضية بينهما تطل على الواجهة الخارجية من البوابة (شكل ٨٣). وهناك متراس لحماية القوات التي تعمل خلفه، ومنصة حجرية ضخمة تشكلها قمة البائكة المعقودة والجوانب الضخمة التي تمثل مرتكزا لها.

والمتراس الذى تتخلله خمسة مزاغل غير أصلي؛ إذ يتبين من الصورة التى وردت فى وصف مصر (Description de l'Égypte, État moderne , ii, 46) والتى نقلناها فى الشكل ٨٢ أنه كانت هناك فى الأصل خمس شرافات فى هذا الموضع تمت إزالتها مع المدماك الذى كان تحتها على يد الحملة الفرنسية (١٨٠٠-١٨٠١) وتم إحلال المتراس الحالى محلها.

الأبراج وبناؤها

بنى برجا البوابة المربعان فى ثلاثة طوابق؛ والطابقان السفليان منها مصمتان. ويبلغ ارتفاع الطابق السفلى ٦،٦١م إذا قيس من الحلية نصف الدائرية عند قاعدته (تسير هذه الحلية حول البرجين وتتوقف عند الزاوية الكارة التى تشكلها عضادات البوابة). ويزيد الارتفاع بمقدار ٣٧سم إذا قيس من أسكفة المدخل. وبحفر جزء صغير يتضح أن البناء الحجرى ينخفض بمقدار ١.٢٠م أسفل الحلية؛ ثم نجد طبقة من الأساس بسمك ٤٠سم مكونة من مداميك عشوائية ضخمة، مما يشكل وزرة تمتد بما لايقل عن ١،٥م خلف البرجين؛ وتحتها رمال صفراء، كما هو الحال ببرج الظفر.

يتكون الطابق السفلى (أعلى الحلية) من ١٦ صفا من البناء المتقن المكسو بطبقة ناعمة؛ وتتفاوت طول الأحجار المجانبة من ١.١٥م الى ١.٧٥م، وتتراوح اللبنات بين ٤٠ و٦٠سم. ويتميز الصف السابع بسلسلة من الدوائر الحجرية وضعت كل منها على بعد ١،٨٥م تقريبا عن الأخري، وتجرى حول الواجهات الخارجية كلها (اللوحة ٤٩ب) وحول جانبى المجاز المعقود وبرج بير السلم، بل حول سور المدينة أيضا. وتعد هذه الدوائر أطراف سلسلة من الأعمدة وضعت داخل الجدار كشريط بين القلب المملوء بالدبش والواجهات الخارجية المبنية من الحجارة المكسوة. ويرى البعض أن هذا الأسلوب المتبع فى أسوار الاسكندرية كانت له وظيفة عملية تتمثل فى دعم الجزء العلوى من الجدران والحيلولة دون سقوطه إذا ضربت الأجزاء السفلية بالمدافع أو بأية أداة حربية أخرى (Description de l'Égypte, État moderne , xviii, 477) أو بالحجارة التى كان يجرها العمال كما نضيف من جانبنا. ومما يؤكد صحة هذا الرأى إشارة المقريزى الصريحة حيث يقول عن قيسارية بفلسطين (الشكل ١٠٦) أن «الفرنجة» قاموا بنقل الأعمدة الجرانيتية الى هذا الموضع حيث وضعوها بصورة مستعرضة فى الجدران حتى لاتصاب إذا انهار المبنى (السلوك، ط زيادة، جـ١ ، ص٥٢٦).

والدوائر الحجرية تعد على جانبى البرجين أعلى بمدماك منها على واجهاتها الأمامية، وهذا ضرورى لأن الأعمدة المستعرضة توضع على قمة الأخري. والنقش الموجود على الواجهة الداخلية للبرج الغربى عبارة عن قائمة تحدد الرسوم المفروضة على الإبل المارة من البوابة (على مبارك، الخطط الجديدة، جـ٤ ، ص٨١). ويبلغ ارتفاع الطابق الثانى ٦،٧٧م حتى قمة السطح المائل، وقد بنى بحيث يتراجع عن الطابق الأول قليلا، ويتكون من عشرة مداميك كلها من أحجار مجانبة يتراوح طولها بين ٩٥سم و١،٢٥م. وهناك سطح مائل قليلا عرضه حوالى ١سم على حافة كل قالب؛ وفيما عدا ذلك فان البناء ناعم الكسوة ويتحمل العوامل الجوية بصورة ملحوظة. ونجد هنا زخرفة متميزة على شكل ثلاثة دروع على واجهة كل برج، ودرع على كل من الجوانب المجاورة لقنطرة العقد. ونصف الدروع دائرية ونصفها الآخر مستدير فى أعلاه ومدبب فى أسفله على غرار الدروع النورمندية (The Bayeux Tapestry). وفى المنتصف نرى سرة تحيط بها ست أو سبع عقد مرتبة فى دائرة حولها. وهى تذكرنا بالدروع المستديرة فى الهند فى العصور الوسطي. ولانجد تاريخ النقش إلا على قمة هذا

الطابق وعلى الواجهات الأمامية والداخلية، وهو عبارة عن شريط كوفي رائع، وفوقه طنف غريب الشكل مشطوف من أعلاه تدعمه من أسفله سلسلة من المساند [الموديلون] الكلاسيكية الشكل. وتم نحت كل كابولي صغير على جانبه السفلي بورقة كثيفة من نبات شوكة اليهود [الأكانتس]، إلا أن الأحقاق [القصع] فيما بينها مزينة بعدد من العناصر التعبيرية الصغيرة. وهكذا فإن الحافة السفلية من الطنف والمدعمة بهذه الصورة تزدان بشريط زخرفي بسيط مما يذكرنا بعنصر البيضة والقرص [السبحة والخرزة أو العقد] . وفوق هذا الجزء نجد واجهة رأسية خالية من الزخرفة بارتفاع ٢٠سم. ثم تشطف بمقدار ٥٠ْ الى أن تلتقى بواجهة الطابق الثالث والتى تقع على نفس المستوى الرأسى للواجهة الثانية (اللوحة ٥١أ). وعلى خلاف نقش التاريخ نجد أن هذا الطنف يستمر حول الأجنحة الخارجية للأبراج فيما عدا أنه لايستمر فى حالة البرج الغربى إلا الى منطقة انطلاق الجدار بين البرجين.

ويبلغ ارتفاع الطابق الثالث ٧,٦٥م ويتكون من ١٨ مدماكا حتى الحافة السفلية من المزاغل والكوات. وكل مايعلو ذلك هو من عمل نابليون الذى حصن القاهرة عام ١٨٠٠-١٨٠١ وترك أسماء معاونيه (كوربن، جوليان ، ملحود ، ليسكال ، بيرالت وجانو) على العديد من أبراج السور الشمالي. ويحتوى كل من باب الفتوح وباب زويلة والسور الشمالي على شرافات من نفس النوعية بقمم شبه دائرية، ولكن لا وجود لها فى باب النصر لنفس السبب المذكور سابقا بلاشك. ويتأكد هذا الرأى من صورة وردت فى كتاب وصف مصر (*Description de l'Égypte, État moderne*, pl. 46 ونقلناها فى هذا الكتاب فى شكل ٨٢) حيث يبدو البرج الغربى كاملا بشرافاته (وهو تطور عظيم)، فى حين أزيلت بعض شرافات البرج الشرقى حتى يمكن إنشاء مسكن على المنصة. وقد تعرضت ثلاثة من المزاغل للتشوه؛ فالأرجح أن يكون الفرنسيون قد حولوها الى كوات للمدافع بعد فترة وجيزة من رسم الزخارف تحتها.

وفى هذا الطابق وضعت اللبنات والأحجار المجانبة تبادليا بالطريقة المعتادة ويتراوح طول اللبنات بين ٠,٥٥ و١,٠٥م، ويتراوح طول الأحجار المجانبة بين ٢٢ و٣٩سم، وحواف المداميك مشطوفة.

الملاط

تمكنت فى أثناء عملى بباب النصر فى صيف ١٩٤١ من الحصول على بعض بقايا من الملاط من قلب البناء. وبعد أن قام السيد لوكاس بفحصه بناء على طلب منى قال «إنه ملاط جيرى عادى يحتوى على نسبة ضئيلة من الرمل والحطب المحروق جزئيا، ربما كان قشا أو سيقان نبات ما؛ وهو بالمعايير الحديثة من نوعية رديئة».

ويرى هوتكير أن الطابق العلوى من كل برج من الأعمال التى تمت فيما بعد؛ ويضيف أن «هناك تفاصيل تؤكد هذا الرأي، إذ نجد فوق ثلاثة كوابيل فتحة صغيرة داخل النتوء؛ والكوابيل التى تؤرخ النقوش تنتمى جميعا الى القرن الثالث عشر. ونراها بقلاع دمشق والقدس وحلب. وإذا كانت كوابيل باب النصر معاصرة للبناء، إذن فهى سابقة على الكوابيل المذكورة بأكثر من مئة عام» (Hautecœr & Wiet, p. 236). إلا أن معطياته فى هذا الصدد تعتبر خاطئة تماما لأن هذا الأسلوب ظل يستخدم بالشام لأغراض عسكرية منذ ٥٥١م فى دارقيطا كما نجده فى التحصينات الإسلامية منذ عام ١١٠هـ (٧٢٩م) فى قصر الحير حيث نجد واحدا منها «بالساحة الصغرى» وأربعة «بالساحة الكبرى».

على أية حال هناك أسباب أخرى لاعتبار هذه السقاطات إضافات لاحقة. فإذا عدنا الى التصاوير الأقدم لباب

النصر لدى بوكـوك Pococke ولويجى مـاير Luigi Mayer نجد أنها لا تحتوى على أية سقاطات، بل ما هى إلا صور زائفة رائعة لكنها لا تقوم دليلا. إلا أن الثالثة من حيث التاريخ والتى نشرت فى وصف مصر تعد عملا جيدا بحق إذا قورنت فى الشكل ٨٢ باللوحة ٤٩ب. فنرى الفتحتين الجانبيتين واضحتين ولكن بدون أية سقاطات. وفى الصورتين ٤ و٥ لدى كوست (*Architecture Arabe*, pl. L7) واللتين التقطتا بين عامى ١٨١٨ و١٨٢٦ ولدى هاى (*Illustrations of Cairo*, 15) واللتين التقطتا بين عامى ١٨٢٦ و١٨٣٨ نجد السقاطات تظهر لأول مرة.

وإذا تفحصنا السقاطات نفسها نجد ما يلى: (١) الكوابيل وحدها من الحجر فى حين أن الحشو بينها ومن خلفها من الآجر، مع أن الآجر لايظهر فى أى مكان آخر بحصون بدر عدا فى المناطق التى تبدو الحشوات فيها حديثة بصورة واضحة؛ (٢) تضم هذه الأفاريز حليات وزخارف ضعيفة المستوى كما هو الحال فى بيوت القرن الثامن عشر، وأحدها ليست به أية حلية؛ (٣) ما فوق الكوابيل من الآجر أيضا؛ (٤) ليس هناك ما يدل على وجود اتصال بينه وبين البناء على جانبى النوافذ. وهكذا فإننا نخرج من ذلك بأن هاتين السقاطتين جزء من عمل طويل الأجل قام به الفرنسيون فى سنة ١٨٠٠-١٨٠١، وأن الجزء السفلى من كل فتحة لم يكن يغلق قبل ذلك إلا بلوح حجرى يعمل كمتراس ، كما هو الحال فى الفتحتين المتقابلتين بباب الفتوح (لوحة ٦٢أ).

البوابة

تتراجع البوابة بمقدار ٤,٥٤م الى الخلف (تبلغ مسافة التراجع على الجانب الغربى ٤,٥٧م وعلى الجانب الشرقى ٤,٥٣م) بين البرجين. ويرتكز العقد الخارجى الكبير المكون من نصف دائرة قائمة على ركائز على حلية ناتئة تجرى خلال المجاز المعقود ويترك آثارا على طول واجهته الخلفية الغربية، لكنه لا يستمر حول برج السلم. وتقع الحافة العليا أسفل النقطة التى تقطع بين الطابقين الأول والثانى من كل برج. ويحتوى العقد على حلية محدبة مزخرفة بحلية على شكل شارة تتراجع قليلا عن حافتها الداخلية؛ وقد وضعت فى إطار مستطيل بحاشية بسيطة لكنها مؤثرة؛ وكوشات العقد مزخرفة بدرع دائرى خلفه سيف رومانى وضع بشكل مائل (لوحة ٥١ب). والدرع مزخرف بتعبير هندسى مكون من ستة أشباه دوائر متداخلة وضعت حول شكل سداسى صغير وفى وسطه زهرة ذات ستة بتلات.

ويجرى الشريط الكوفى الذى يحمل التاريخ وكذلك الطنف الكائن على قمة الطابق الثانى من الأبراج فوق الإطار المستطيل الخاص بالعقد الكبير. وفوقه مباشرة نجد عقدا ناتئا مسطحا من إحدى عشر صنجة، والصنجة المفتاحية أعرض من بقية الصنج وتتميز بوجود مركز ناتئ وحواف مستدقة الطرف. وفوقها نجد حاجز شرفة من ثلاثة مداميك تخترقها خمسة مزاغل وتتوجها كسوة مشطوفة محاذية للواجهة. وكان هناك فى الأصل مدماك واحد فوق العقد الناتئ المسطح ترتكز عليه خمس شرافات كما نرى بالشكل (٨٢). ولاشك أن التغيرات قد تمت فى سنة ١٨٠٠/١٨٠١.

وضعت البوابة الأصلية بداخل العقد نصف دائرى الضخم القائم على ركائز، وعرضها ٤,٧٦م وارتفاعها ٦,٤٧م إذا قيست من الأسكفة الجرانيتية الضخمة، وتمت تغطيتها تدريجيا فى السنوات الأخيرة، وحولها عقد أفقى فى أعلاه وكذلك فى أدناه على مايبدو، ويتكون من خمس عشرة صنجة معشقة. وفوقها وبعيدا عنها بعدة سنتيمترات نجد أول عقد عاتق أفقى فى أعلاه وأدناه، ويتكون من سبع عشرة صنجة، التسع الوسطى منها

معشقة بصورة متقنة، فى حين تركت الأخريات ملساء؛ وفوقها نجد عقدا عاتقا ثانيا يتكون من إحدى عشر صنجة أفقية فى أعلاها، لكنها منحنية في أسفلها؛ والطبلة محشوة بكتلتين طويلتين من الحجارة. وأفضل موضع يمكن رؤية التفاصيل منه هو المفصل من الداخل. والطبلة فى أعلاها محشوة بحشوة تضم خمسة نقوش كوفية رائعة من ثلاثة أسطر، وسطر رابع منحوت على العقد العاتق العلوى نفسه (**ويضم عبارة شيعية**) [لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما]. وعلى الجزء الخلفى من العقد الخارجى الكبير هناك فتحة رأسية عرضها ٥,١٧م وعمقها ٣٥سم، وتصعد الى أعلى وتخرج خلف حاجز الشرفة مباشرة (لوحة٥٢)، والمسافة الإجمالية من قمة العقد الى المنصة ٢,٥٥م. لكن هذه الفتحة لاتستمر الى أعلى الى أكثر من متر واحد، لأن الجزء المتبقى ينقسم الى خمس فتحات بأربعة جدران مستعرضة كل مداميكها تتطابق مع مداميك البناء المجاور. وبالتالى لايمكن أن يكون هناك باب منزلق فى هذا المكان كما أشار هوتكير (ص٢٣٥)، لأن الجزء الذى يسمح عرضه بأن يضم مثل هذا الباب يمتد الى أعلى لمسافة متر واحد. والغرض من الفتحات الخمس التى تسيطر على مدخل البوابة إتاحة الفرصة للمحاصرين باطلاق القذائف على القوات التى تحاول أن تخترق البوابة.

وفى الزاوية الكارة الى جوار الركن العلوى الأيمن من إطار الباب يمكن ملاحظة وجود كرة حديدية مثبتة على طرف قضيب حديدى طوله حوالى متر واحد. وهناك مايشبه ذلك على البرج الغربى من باب زويلة (وفوق بوابة خربوط بديار بكر) تصحبه هراوة هندية ودمبل (كرتان حديديتان بينهما قضيب) طويل جدا وثقيل. وقد ورد ذكر عادة تعليق القضبان الشائكة والبلط وما الى ذلك على بوابات المدن والقلاع لدى عدد من الكتّاب (القلقشندي، جـ٣، ص٣٧٨؛ شيفر *Le voyage d'outremer*, 183؛ الجبرتي، جـ٣، ص٢٠)، إلا أن هذه الأدوات المذكورة ليست أسلحة، بل أدوات رياضية ضخمة كتلك التى يستخدمها الرياضيون. وفى هذا الصدد، فإن الفقرة التي وردت لدى تافرنيه ذات أهمية كبري. ففى وصفه لحمامات **سيراجليو**[٣٠٨] باسطنبول، يتحدث عن الأعمال الفذة التى قام بها البعض، كرفع قضبان شديدة الثقل بذراع واحدة. ويقول:

«هناك ثلاثة منها معلقة بخطاطيف ضخمة على بوابة الحمامات. والقضيب الأوسط حسب رواية البعض يزن مئة أقة وهو مايعادل ٣٥٠ رطلا فرنسيا. وكان السنيور الأكبر قد تمنى فيما مضى أن يحظى بمتعة محاولة رفع أحد هذه القضبان الثقيلة وإدارتها بيد واحدة، وقد تمكن من ذلك، مما أثار دهشة الأمير» (*Nouvelle relation de l'intérieur du Surrail du Grand Seigneur,* Paris, 1675, p. 117).

وتعادل الأقة ٢,٧١٣ رطلا، وبالتالى فإن مئة منها تعادل ما يزيد على ٢٧١ رطلا، وهو وزن يقل عما يستطيع كثير من رافعى الأثقال المحدثين رفعه بيد واحدة.

وتتكون البوابة بمصراعيها من طبقتين من العوارض الخشبية سمك كل منهما ١٢,٥سم، ووضعت الطبقة الخارجية رأسيا، والداخلية أفقيا؛ والجانب الخارجي مغطى بشرائط أفقية من الحديد يتراوح عرضها بين ٨ و٩سم مثبتة بالخشب عن طريق البراشيم وتسير من الواجهة الى الخلف. وقد أصيبت الحافة السفلية من هذه البوابة بأضرار بالغة؛ أما الجزء العلوى فهو محفوظ وفى حالة جيدة. وركائزها العلوية مثبتة بعارض مركب ضخم وملفوف بأشرطة من الحديد مبرشمة فيها. وتسير على مستوى واحد مع الحافة السفلية من عقد البوابة المسطحة. وترتكز أطراف هذا العارض فى تجاويف حجمها ضعف مقطعها العرضي. وليس من المؤكد ما إذا كان مصراعا هذه البوابة هما المصراعان الأصليان أم لا، لأن هناك بوابتين حديثتين نسبيا بالقلعة هما **باب العزب** الذى أعاد بناءه رضوان كتخدا (توفى ١١٦٨هـ/١٧٥٤_ ١٧٥٥م) **والبوابة الوسطى** التى بناها محمد على وركبت فيهما أبواب بنفس الطريقة.

المجاز

خلف البوابة مباشرة نجد قبوا اسطوانيا نصف دائريا خاليا من الزخارف طوله ٢,٩٤م ويتكون من ١٨ صنجة وصنجة مفتاحية مزدوجة العمق. وخلفه نجد القبو المتقاطع الكبير وطوله ١٠,٧٧م وعرضه ٨,١٧م وينبت من الكورنيش [الطنف] الذى أشرنا اليه منذ قليل، ويسير حتى الواجهة الخلفية للبوابة (لوحة ٥٢). وعلى اليسار واليمين خلف القبو وبدءا من بعد مدماكين أعلى الكورنيش نرى حنية مستطيلة ضيقة وطويلة برأس على هيئة نصف قبة [طاقية]. والجزء الخلفى من نصف القبة والذى يرتكز على مثلثين كرويين صغيرين مزخرف بمحارة. وفى منتصف القبو المتقاطع نجد زهرة ذات ١٢ بتلة أو قرص الشمس بقطر حوالى ٣٠سم، وفيما عدا ذلك يخلو **المجاز المعقود** من الزخارف تماما. ويختلف البناء أعلى الكورنيش عنه فى أسفله؛ فيتكون فى الحالة الأخيرة من لبنات وأحجار مجانبة بدون حواف مشطوفة كالبناء الذى نجده فى الطابق السفلى من البرجين والذى يتطابق معه ولو على نطاق أضيق قليلا؛ أما فى أعلاه حيث يتطابق البناء مع الطابق الثانى من البرجين فيتكون مثله من أحجار مجانبة فى معظمه، وكل الصفوف لها حواف مشطوفة قليلا.

وينتهى القبو المتقاطع بعقد **نصف دائرى** كبير مكون من ٢٧ صنجة معشقة عمقها متر واحد، إلا أنها تتفاوت من حيث العرض. وتبدأ بزاوية كما يتبين فى اللوحة (٥٣جـ) حيث تميل المداميك لتتلقاها. والواجهة السفلية اليمنى من العقد مغطاة جزئيا ببناء برج السلم. وعلى الواجهة الخلفية للبوابة وأعلى قمة العقد بمدماك واحد، نجد حلية ربع دائرية ضخمة (تستمر حول الواجهة الغربية لمسافة ٧٠سم تقريبا)؛ وتستمر على طول الواجهتين الغربية والجنوبية من برج السلم وعلى طول الواجهة الداخلية للسور المتجه جنوبا. وعلى الركن الأيسر العلوى من الواجهة الخلفية للبوابة ووراء الحلية مباشرة نجد مدماكا ضخما منقوشا بحروف هيروغليفية، مما يدل على أن بدر الجمالى قام بسرقة آثار تنتمى للدولة القديمة.

برج السلم

وكان يتم دخوله أصلا كما سبقت الإشارة من خلال باب بواجهته الجنوبية بالقرب من سور المدينة المتجه جنوبا. وكان يتم الوصول اليه بقلبة سلم بها ما بين ٩ و١٠ درجات عرضها ٢,٧٧م ولم يتبق منها سوى أطلال؛ وتم ترميمها مؤخرا (لوحة ٥٤ب). **والمجاز** الذى يبلغ عرضه ١,٥٥م وارتفاعه ٢,٤٦م يغطيه عقدان أفقيان كبيران ارتفاع كل منهما ٧٥سم، ويتكون العقد العلوى من خمس صنجات، والسفلى من ثلاث صنجات. وكان مسورا فيما مضي. وهناك فتحة حلقية ضيقة وطويلة باقية فى وسط السور مما قد يكون جزءا من أعمال الفرنسيين فى سنة ١٨٠٠ و١٨٠١ (انظر الجبرتي، جـ٣، ص ١٣٦، ١٥٩، ١٨١، ١٨٧). ووراء هذا المدخل الذى تم إخلاؤه حديثا نجد دركاها ذا **قبو اسطوانى** يؤدى الى سلم حلزونى رائع لا يقل عرضه عن ١,٦٥م وهو مسقوف **بقبو اسطوانى** مرتفع نصف دائرى فى مقطعه، ويتكون من تسع صنجات تبرز الى الأمام قليلا عند المنبت؛ وارتفاعه حوالى ٣م (لوحة ٥٤جـ). وبه قلبة سلم من سبع درجات تنتهى عند بسطة ترتفع عن أسكفة المجاز بحوالى ١,٣٠م يستمر السلم الحلزونى بعدها لمسافة ٢٤ درجة الى أعلي. وعند الدرجة الرابعة عشر وكذلك التاسعة العشر نمر بنافذة ذات **عتب مقوس** (لوحة ٥٤ب)؛ وكلا النافذتين غير مفلطحتين (تم حشو هاتين النافذتين ربما فى عام ١٨٠٠/١٨٠١ بحيث تشكلان كوتين، وتمت إزالة الحشو فى ديسمبر ١٩٣٩). وعلى البسطة نجد بابين يؤدى كل منهما الى أحد ذراعى شرفة على شكل

حرف L عرضها ١,٤٥م وارتفاعها ٢,٤٤م ومسقوفة بألواح مسطحة ترتكز على حلية ربع دائرية ضخمة تحتل الزاوية الشمالية الشرقية من البرج (لوحة ٥٦ أ). ويبلغ عرض الذراعين ٨,٥١م وطولهما ٥,٠٦م (تم فصل ذراعى هذه الشرفة بجدار بنى بناء عشوائياً للغاية ربما فى عامى ١٨٠٠/١٨٠١، وتمت إزالته فى ديسمبر ١٩٣٩). وبكل منهما فتحتان مفلطحتان للسهام تفتح على الواجهتين الشرقية والشمالية على التوالي؛ ويحجب هاتين الفتحتين المبنى الذى يحتل الكارة هنا. ويبلغ سمك السور الخارجى على الجانب الشرقى ١,٤٤م. وعلى الجانب الجنوبى الغربى من الذراع الشرقية نجد فتحة مفلطحة أخرى تفتح على الداخل بالزاوية الكارة التى تكونت من برج السلم والسور المتجه جنوبا (الشكل ٨٣ واللوحات ٥٣أ، ٥٤أ، ب).

وبعد البسطة نجد خمس درجات أخرى لتكمل الجزء الحلزونى من السلم والذى ينتهى بعقد نصف دائرى مكون من خمس صنجات وقالبين مشطوفين هما نقطتا ارتكاز العقد. ونجد عند هذه النقطة بسطة بنافذة على الجانب الجنوبى تغطيه عتبة مقوسة منقوشة بحروف هيروغليفية. وكانت هذه الفتحة محشوة جزئيا بحيث يستدق طرفها باتجاه الخارج؛ وتمت إزالة الحشو فى ديسمبر ١٩٣٩. وهناك قلبة سلم من خمس درجات أخرى بزاوية يمنى الى الجزء الحلزونى ويغطيها قبو اسطوانى نصف دائرى فى مقطعه ويتكون من سبع صنجات وتؤدى الى بسطة تغطيها جزئيا ثلاثة ألواح حجرية مسطحة. وهناك قلبة سلم من عشر درجات وبزاوية يمنى أيضا ومفتوحة الى السماء تقودنا الى المنصة (الشكل ٨٣).

والى أن تمت تخلية المدخل الأصلى لهذا السلم فى ديسمبر ١٩٣٩، كان على من يريد الصعود أن يدخل من باب على قمة قلبة سلم مكونة من ست درجات وتفتح فى منتصف الجانب الشرقى من المجاز المقبى (لوحة ٥٣جـ). ويغطى الباب عقد مسطح من ثلاث صنجات أوسطها مكون من حجرين مرتبطين أفقيا. ولايمكن أن يكون عملا أصليا، لأن مداميك إطاره تختلف على كلا الجانبين عن مداميك البناء الرئيسي. وفوق هذا المدخل نجد سقاطة لايمكن الوصول اليها من الداخل إلا بسلم. وعند الدخول نجد قلبة سلم تؤدى الى نافذة معقودة دائريا تفتح على خارج المدينة المسورة بارتفاع لا يزيد عن ٣,٠٨م من الأرضية. ونرى هنا أيضا أن بناء إطار النافذة يختلف عن البناء الأصلي. ويبر السلم مسقوف على مستوى يحاذى قمة الكوة بسقف مسطح من الدبش يدعمه عارض مستعرض من الخشب. وقد كسيت جميعا بالأسمنت، إلا أن هناك ترقيعات سقطت منه وكشفت عن البناء. وينكشف البناء المبطن للمجاز عن كسوة تركية. وإذا استدرنا يمينا ولدى وصولنا الى البسطة أمام النافذة ندلف الى مدخل آخر بعقد نصف دائرى من سبع صنجات بمنحنيات خارجية متدرجة، ثم نرتقى درجتين لنجد أنفسنا فى دركاه صغير بسقف مسطح مغطى بالأسمنت. ثم نستدير يسارا ونرتقى درجتين فنمر خلال مجاز بعقد نصف دائرى ضخم مكون من سبع صنجات مفلطحة من الخارج، ونجد أنفسنا على بسطة أخرى مفتوحة الى السماء، وعلى الجزء الخارجى من جناح البوابة (الشكل ٨١). وإذا صعدنا خمس درجات أخرى نصل الى داخل سبيل وكتّاب يرجع للقرن التاسع عشر بنى فى الزاوية الكارة من البوابة. وإذا مررنا يمينا نجد أنفسنا فى مواجهة الواجهة الشمالية من برج السلم. وإذا نظرنا الى أعلى نرى مزغلا بشرافة على شكل حرف L، ونجد أمامنا فتحة مستطيلة يمتد فوقها ضلع ضخم من الخشب. ونرى على البناء الى يسار هذه الفتحة وكذلك المدماك الذى يعلوها مباشرة كسوة تركية وهى أصغر من تلك التى نراها على بقية الواجهة. ويسير خط الالتقاء بصورة غير منتظمة لمسافة ١,٥م تقريبا الى يسار الفتحة. ومن

الواضح أن البرج قد تم ترقيعه عند هذه النقطة. وإذا اجتزنا الجدار الذى يحتل الزاوية الكارة الذى يبلغ سمكه ١,٢٥م نجد أنفسنا فى شرفة قصيرة لا يزيد طولها عن ٢,٥٩م تجرى شرقا وغربا، وسقف من الألواح الحجرية المسطحة التى ترتكز على كابولى ربع دائرى كما هو الحال فى الشرفة التى تتخذ شكل حرف L أعـلاها. وإذا نظرنا الى الخلف نرى أن الجـانب الغـربى من المدخل على الجـانب الداخلى يخـتلف بناؤه عنه فى الكتلة الرئيسية، وأن هناك فاصلا رأسيا كاملا بالمدماك على مسافة ٥٠سم تقريبا من الحافة الغربية للمـدخل. وعلى الجانب الجنوبى من هذه الشرفة الصغيرة نجد مدخلا آخر مستطيلا ومسقوفا بالخشب المكثف يفتح على البسطة الأولى من السلم. ويتكون البناء حول هذا المدخل بأكمله من كتل مكثفة. ومن الواضح أن البناء هنا أصلي، وكذلك فى الشرفة الصغيرة التى ربما كانت تعمل كمزغل فى المكان الذى يحتله المدخل حاليا. والفتحة العليا تحاذى الحافة الغربية من هذا المدخل، مما يوحى بأن هذا المكان كان موضع الفتحة السفلية.

ويبدو أن المدخل الأول والسلم كانا مفتوحين على الجانب الشرقى **من المجاز** بغرض السماح بالدخول الى **مسجد جانبلاط الذى كان لايزال باقيا** (انظر خريطة القاهرة بكتاب وصف مصر (الدولة الحديثة، الأطلس، جـ١، لوحة ٢٦) الى أن تمت إزالته على يد الفرنسيين عام ١٨٠٠ (الجبرتي، جـ٣، ص١٥٩). والجوانب محاذية للبناء فى حين تم ترك الدبش لتكوين سقف مسطح بمساعدة عارض لتدعيمه. وحتى لو لم يكن العمل كله يحتوى على أدلة على إجراء تعديلات متأخرة فإن تدنى وضع النافذة الأولى (٣م) يعد نقطة ضعف من الناحية العسكرية تجعلنا نؤكد أنها فتحت فى فترة لم يعد للبوابة الحصينة فيها جدوي. أما بقية العمل، أى إحداث فتحة بالواجهة الشمالية من برج السلم، فربما ترجع الى تاريخ لاحق للأسباب التالية. بنى باب النصر للدفاع عن أهالى المدينة من القوى المعادية من خارجها. لذا فالمدخل الأصلى الى برج السلم كان خطوة سليمة، إلا أن نابليون كان عليه أن يتحصن بالحصون فى مواجهة سكان المدينة من داخلها وفى مواجهة الجيشين الانجليزى والتركى اللذين كانا يتقدمان من الاسكندرية والعريش على التوالي. لذا فقد بنى سورا عبر الواجهة الخلفية من هذه البوابة (نستند فى هذا الرأى الى صورتين رسمتا لهذه البوابة فى أواخر عام ١٨٩٩، وتم الاحتفاظ بهما بوثائق لجنة حفظ الآثار، ويتضح بهما وجود سور سمكه ١,٨٠م وارتفاعه ٧م تم بناؤه عبر الطرف الداخلى من المجاز ويضم حصنا دفاعيا به فتحات على قمته. وبوسطه مدخل عرضه ١,٦٠م) بحيث يتحول المجاز المعقود فى حالة إغلاق البوابات الخارجية الى غرفة حراسة ضخمة. ولكن كيف كان يتم الوصول **الى المنصة** دون أن ينكشف المتجه الى المدخل على الجانب الجنوبى من برج السلم؟ نرى من جانبنا أن الفتحة المؤدية الى السلم الحلزونى الكبير كانت مفتوحة فى ذلك الوقت، وكان المدخل القديم مسورا وتحول كل ذلك الى حصن داخلي.

المنصة الرئيسة

عند الوصول الى الى قمة السلم نجد أمامنا **منصة ضخمة** يحدها من الشمال العلوى من برجين وبينهما المتراس (لوحات ٥٣أ، ٥٤أ، ٥٥أ، ب، شكل٨٣) ومن الشرق سور من الدبش به فتحات حلقية وينسب بناؤه الى الفرنسيين فى عام ١٨٠٠/١٨٠١ (فقد تم إحلال شرافات من الحجر المنحوت محله، لوحة ٥٢). وهو مفتوح تماما على الضلع الجنوبى وكذلك على ضلعه الغربى فيما عدا امتداد خافٍ صغير للبرج الغربى يضم سلما يهبط حتى المجاز الدفاعي. وفوق كتفنا الأيمن نرى قمة برج السلم، ويبدأ السور المتجه جنوبا من ركنه

الشرقي. وضلعاه الشمالي والشرقي يحدهما امتداد للسور الدبش ذى الفتحات الحلقية، وعلى جزء من ضلعه الجنوبي ملاحظ التاج البسيط للجزء الأخير من قبو السلم يرتفع لمسافة متر تقريبا فوق البلاط وتم صقله على ضلعه الجنوبي بأربعة مداميك من البناء. ومن المفترض أن الضلع الشمالي لهذا القبو كان مصقولا بنفس الطريقة فيما مضي. أما **المنصة الرئيسية** فينحدر سطحها المبلط باتجاه الجنوب، وينحدر الضلع الجنوبي باتجاه ميزاب حجري. وعند هذه النقطة وتحت قمة الحلية ربع الدائرية الضخمة التى ترتفع ٤٠سم والتى تتوج الجزء الخلفي من البوابة تجرى حول برج السلم وتمتد على طول الحافة العليا الداخلية من السور المتجه جنوبا.

التجاويف الثلاثة الغامضة

عندما تم إخلاء هذه **المنصة** تبين أن ذلك الجزء من التبليط الأصلي بالقوالب الضخمة كان لايزال باقيا، وتم ترميمه بألواح صغيرة رفيعة على يد البعثة الفرنسية (ولم يقتصر الأمر على ترميم قمة السور المتجه جنوبا، بل أعيد تبليطه بألواح مشابهة تماما ولم يمتد التبليط الى الحافة الداخلية من السور، بل توقف أمام الجدار ذى الفتحات الحلقية الذى تمت إزالته). وقد أزيلت كل هذه الألواح ووضعت قوالب جديدة تلائم القوالب الأصلية. وفى أثناء هذه العملية تم اكتشاف ثلاثة تجاويف (أشكال ٨٣أ، ب، جـ). وسنرى أنها تشكل زوايا مثلث يتفق محوره مع محور البوابة تقريبا. كما تتفاوت هذه التجاويف من حيث الشكل والحجم والعمق فلا يزيد عمق (أ) عن ٢,٤٤م، و (ب) ١,٦٥م و (جـ) ٦٧سم. فهل كان الغرض من هذه التجاويف المساعدة على تثبيت منجنيق ضخم أم صنعت للدائرة الاستوائية الخاصة بالأفضل؟ الاحتمال الأخير غير مرجح، لأن جوانبها وقاعها من البناء المكسو، لذا فمن المحتمل أن تكون أصلية، وفى هذه الحالة يصبح احتمال المنجنيق هو الأرجح. كما تم الكشف عن تجويفين آخرين على قمة برج السلم الكبير قرب باب الفتوح (شكل ٨٦).

الجزء العلوى من البرجين

كلا البرجين أجوف عند هذا المستوى ومربع تماما، ويحتوى كل منهما على حجرة مربعة بأضلاع مفرغة تغطيها قبة قطرها ٣,٨٠م على مثلثات كروية (اللوحة ٥٦ب). ونظرا لأن تقوس القبة يساوى تقوس المثلثات، لذا فإن القبة شديدة الضحالة. ويبلغ سمك الجدران هنا ١,٢٣م عدا الضلع المجاور للبوابة حيث يبلغ سمكه ١,٥٨م.

يتم دخول حجرة البرج الشرقى عبر **مجاز مستطيل** مساحته ١,٠٥×١٠,٢م تغطيه أسكفتان [عتبان] إحداهما وراء الأخري؛ وقد نقشت على الأسكفة الخارجية كلمتان (TOUR CORBIN)، وهى من حجر أقصر على شكل إسفين، وأجوف على واجهته السفلية بحيث يؤدى وظيفة عقد عاتق. والأسكفة الأخرى تبرز لمسافة ٣٠سم من الداخل، وهناك تجويف عند كل من الطرفين، مما يؤكد أنها كانت تحتوى على محور دوران الباب المزدوج فيما مضي. ويتم دخول حجرة البرج الغربى أيضا من خلال مجاز مستطيل تغطيه أسكفة مكونة من ثلاثة أحجار وضعت متجاورة. والطرف الغربى من الحجر الأوسط لايرتكز على شئ، إذ أنه يصل من فوق مدخل السلم تماما الى السقف؛ لذا فقد جعلت جوانبه على شكل إسفين؛ وهكذا فالأحجار الثلاثة تشكل عقدا مسطحا فى العرض. أما على الضلع الداخلى فلانجد أسكفة ناتئة بتجاويف كما هو الحال فى البرج الآخر. ونظرا لأن البرج الشرقى يقع فى ركن من سور المدينة فى حين أن البرج الغربى من خط السور الشمالى يبرز بسقاطة (اعتبرناها من عمل الفرنسيين) تطل على الفراغ المواجه للبوابة، إلا أن هذه الفتحات

ليست مفلطحة، إذ لاتزيد عن ٧,٨٧م من البرج المقابل، وبالتالى فلاتتعرض لحريق مباشر. وبكل حجرة فتحتان تطلان شمالا؛ إلا أن الحجرة الشرقية بها فتحتان تطلان شرقا أيضا، فى حين أن الحجرة الغربية ليست بها سوى فتحة واحدة تطل غربا وناحية السور. والفتحة الجنوبية بالضلع الشرقى من البرج الشرقى هى مزغل طويل مفلطح تماما من الداخل؛ إلا أن الفتحات الأخرى بهذه الحجرة عدا المطلة منها على البوابة تتميز بصغر الحجم ومفلطحة من أسفلها ومن أعلاها؛ فهى فى الحقيقة كوات مدافع (كانت مدافع نابليون لاتزال منصوبة فى مكانها حين دوّن بريس دافين كتابه (Prisse d'Avvennes, *L'Art Arabe*, Texte. p. 163) عام ١٨٧٧). وإذا تفحصنا البناء يتضح أن الفتحات الأصلية كانت على الأرجح مطابقة للفتحة التى بدأنا بوصفها؛ وقد حشيت هذه الفتحات جزئيا من الداخل ونزعت من الخارج. ومن المرجح أن جزءا من هذا التشوه يرجع تاريخه الى عام ١٨٠٠/١٨٠١، إلا أننا سبق أن رأينا (الشكل ٨٢) أن المزاغل كانت مشوهة بالفعل من قبل.

وفى البرج الغربى ترك المزغل المطل على البوابة كما هو، إلا أن المزغل الشرقى من المزغلين المطلين شمالا تم تحويله الى كوة مدفع تشبه الكوات التى نراها فى البرج الشرقي، فى حين تم خفض حجم المزغل الغربى قليلا. أما المزغل الموجود على الضلع الغربى والذى ترمى السهام منه على سور المدينة فقد تم خفضها قليلا على الجوانب، إلا أنها حشيت فى أسفلها بمقدار نصف المتر.

تمت تكسية المزغل الذى يخدم السقاطات الشرقية بنفس الطريقة التى كسيت بها الأبواب المؤدية الى الأبراج والتى سبق وصفها، أما بالنسبة للسقاطات الغربية والمزاغل فتجرى صفوف البناء فوقها بصورة متصلة. والكسوة الجصية للجزء الداخلى تحول دون رؤية الطريقة التى تمت بها تكسية هذه السقاطات المذكورة من الداخل حيث يفترض أن يكون الفراغ المكسو أكبر كثيرا منه من الخارج.

وعلى الركن الجنوبى الغربى من كل من حجرتى البرج نجد سلما عرضه ٨٧سم ويؤدى الى السطح. والمدخل المؤدى الى السلم الخاص بالبرج الشرقى قريب عند واجهتها الغربية من الركن (شكل٨٣). وهناك خمس قلبات سلم قصيرة مكونة من ٧، ٥، ٣، ٥، ٧ درجات على التوالي، وكل انحناءة بزاوية يمني. وكسيت القلبتان الأوليان بقبو اسطوانى مرتفع من البناء الرائع بقطعة على شكل حرف L من قبو اسطوانى أفقى متقاطع فوق البسطتين الأولى والثانية. وتم تسقيف القلبتين الثانية والثالثة بألواح مسطحة ترتفع فى درجات وترتكز على الجدران دون كوابيل؛ أما القلبة الأخيرة فهى مفتوحة الى السماء. وعند البسطة الأولى نجد نافذة تطل جنوبا ويكسوها عقد شبه دائرى مقطوع عند نقطة التقاء المدماكين الكبيرين. وبالبسطة الثالثة فتحة صغيرة تطل شمالا ومفلطحة من الداخل. ولا يزيد سمك الجدار هنا عن ٣٥سم.

ويفتح سلم البرج الغربى فى سمك الجدار على الضلع الغربى من المدخل المؤدى الى حجرة البرج. وهناك فى البداية قلبة سلم مستقيمة مكونة من ثمانى درجات يغطيها سقف من ألواح حجرية؛ والجزء الذى يعلو الدرجات الخمس الأولى أفقى يرتفع بعدها مع الدرجات. ويتحول السلم عند هذه النقطة الى سلم حلزونى ليتم دورة كاملة من ١٥ درجة يغطيها قبو اسطوانى شبه دائرى مرتفع من خمسة صفوف من الصنج. وعلى قمة هذا الجزء ينطلق السلم بزاوية يمني، وهناك ثلاث درجات تكسوها ألواح حجرية ترتفع قليلا مع الدرجات، إلا أنها تنحدر من جانب لآخر عند ٢٥° تقريبا. ونجد بعد ذلك بسطة مربعة مفتوحة الى السماء تليها درجتان بزاوية يمنى تؤديان الى البسطة الأخيرة وبعدهما نجد مستوى السقف. وعند الدرجة الرابعة من الجزء الحلزونى

نجد فتحة صغيرة (تم سدها حاليا ولو أن الحشو تمت إزالته فى يوليو ١٩٤٠) تغطيها أسكفة صغيرة بمدماك عاتق على شكل إسفين فوقها وتتحكم فى المجاز الدفاعى المتجه غربا. وعند الدرجة التاسعة من الجزء الحلزونى نجد فتحة صغيرة أخرى تغطيها أسكفة مقوسة تبرز قليلا عند المنبت. فاذا عبرناها وهبطنا حوالى ٤٥سم نجد أنفسنا فى جوسق صغير بفتحة مستطيلة كبيرة الى الشرق والجنوب (اللوحة ٥٥ب) تتحكم فى منصة مجاز البوابة والشارع بمواجهة وكالة السلطان قايتباي. والفتحة الأولى تغطيها أسكفة فقط، أما الأخرى فتغطيها أسكفة بمدماك عاتق على شكل إسفين فوقها. وعلى الضلع الغربى من البسطة العليا هناك فتحة مفلطحة صغيرة تتحكم فى استحكامات السور؛ وعلى الضلع الشمالى هناك فتحة أخرى بنفس الحجم تقريبا تتحكم فى الجانب الغربى من برج مجاز البوابة. وأسفل الفتحة الأولى نرى ثقبا يسمح بالهرب من ماء المطر؛ وتنتهى من الخارج بالفتح الصغيرة الموضحة فى اللوحة (٥٦جـ).

وعلى الركن الجنوبى الغربى من المنصة هناك برج صغير يعد استمرارا لقفص السلم، وهو مشطوف على ضلعه الداخلى (الشمالى الشرقي). ويتم التوصل الى القمة بست درجات، ونطل منها على منظر لقمة البرجين اللذين تتحكم فيهما. ومن الواضح أن حاجز الشرفة أعيد بناؤه فى عهد البعثة الفرنسية.

ونعود الآن الى المنصة الرئيسية، فنجد الى يسار المدخل المؤدى الى حجرة البرج الغربية درجا آخر يتكون من ثلاث قلبات تهبط الى المجاز الدفاعى الذى ينخفض عن مستوى منصة مجاز البوابة بمقدار ٣,١١م. وعلى العتبة التى تعلو المدخل المؤدى الى هذا الدرج نقشت كلمتان (TOUR JULIEN). والقلبة الأولى المكونة من ثمانى درجات يغطيها سقف هابط من الألواح الحجرية يرتكز على مدماك كابولى مشطوف وينتهى بعقد نصف دائرى فوق الدرجة الثامنة. والبسطة مغطاة بقبو اسطوانى متقاطع على شكل حرف L لمقطع نصف دائرى يبدأ تحت مستوى الطرف السفلى من سقف الألواح الحجرية. وعلى الجانب الغربى من هذه البسطة نجد نافذة دائرية قطرها ٦٠سم (تم سدها مؤخرا). والقلبة الثانية المكونة من خمس درجات يغطيها قبو اسطوانى هابط من ثمانية صفوف من الصنج يلتقى بالقبو المتقاطع على شكل حرف L والأفقى عند البسطة الثانية. وهناك مجاز مستطيل فوقه أسكفة كبيرة بعقد عاتق من خمس صنجات مقطوع أفقيا من أعلى ومن أسفل ويفتح على المجازات الدفاعية التى يمكن الهبوط اليها بثلاث درجات مكشوفة (لوحة ٥٦جـ).

يتبين من التجاويف الموجودة على الجانب الداخلى من هذا المجاز أنها كانت مفتوحة على الداخل، وبالتالى كان يمكن إغلاقها فى وجه المغيرين ممن كانوا يتسلقون الجدار بين البرجين، ومن ثم يمكن الحيلولة بينهم وبين الوصول الى المنصة الكبيرة. وتنطبق نفس هذه الملحوظة على البرج الأول المتجه غربا وعلى منصة باب الفتوح والبرج الكبير ذا الواجهة المستديرة والتى كانت جميعا تحتوى على أبواب كان يمكن إغلاقها أمام المجاز الدفاعى بالسور.

باب الفتوح

وصفه

تتكون هذه البوابة (رقم ٦ على الخريطة) كباب النصر من برجين كبيرين مصمتين حتى ثلثى ارتفاعهما للدفاع عن قنطرة عقد ضخمة وضعت بينهما. إلا أن المجاز الكائن خلف هذا العقد بدلا من أن يكون مسقوفا بقبو متقاطع تمت تغطيته بقبة من صنجات حجرية ترتكز على مثلثات كروية بنفس التقوس. إضافة الى ذلك

فالبرجين مستطيلان بواجهتين مستديرتين ولاينقسمان من الخارج الى طوابق (لوحات ٦٢-٦٩، الأشكال ٨٤-٨٨). ويبلغ إجمالى عرضه ٢٢,٨٥م، وعمقه ٢٥,٢٢م، وارتفاعه ٢٢,٣٣م من الأرضية الأصلية حتى قمة العرائس. ويتم الوصول الى المنصة بأعلى القبة الضحلة بدرج يجرى الى أعلى بجوار الواجهة الداخلية من الجدار بين البرجين نحو شرق البوابة (لوحة ٦٨أ). صحيح أن هناك درجا عظيما فى البرج المربع الكبير الى الغرب، إلا أنه ينتمى الى سور المدينة وسنتطرق الى وصفه فيما بعد.

يبلغ عرض البرجين ٧,٥٨م؛ وتبرز الجوانب المستقيمة منه بمقدار ٧,٥١م عن واجهة السور، ويبلغ أقصى بروز من حافة الواجهة المستديرة المكونة من جزء من دائرة بدلا من أن تكون نصف دائرية فى تخطيطها ٩,٢٦م. وقد وجد منذ عدة سنوات أن كل برج يرتكز عند المستوى الأصلى للأرضية على قاعدة مستطيلة بارتفاع ٧٠سم تقريبا تعلوها حلية تضيف ٣٤سم. والمساحة بين الواجهتين المستديرتين وأركان القاعدتين يغطيها منحدر ذو انحدار مضاعف كما يتضح فى الشكل (٨٤).

ومتوسط ارتفاع مداميك البناء ٥٢سم (المداميك الأربعة الأولى فوق مستوى الأرضية الحالى مقاييسها ٦٨، ٥١، ٥١، ٤٠سم على التوالي)؛ ويتراوح طول الأحجار الجانبة بين ٨٠سم و١,٣٠م، واللبنات بين ٢٣ و٧٠سم. وفى المدماك السادس من مستوى الأرضية الحالى نلاحظ نفس الخاصية الغريبة التى نجدها بباب النصر، ألا وهى وجود صف من الدوائر الحجرية يجرى حول البرج، وفى هذه الحالة نجده على نفس المستوى على كل من الواجهة والجوانب. وهى كما رأينا بمثابة أطراف أعمدة وضعت فى شريط بين القلب المكون من الدبش والواجهة. وكل مدماك حجرى فى هذه البوابة به شطفة طفيفة لاتزيد عن ١سم حول حافته كما هو الحال بباب النصر أيضا، إلا أن البناء أكثر تماثلا فى حجمه ولو أن بناء الثلث العلوى يعد أصغر قليلا من البقية.

والجزء السفلى (الأصم) من كل برج مزخرف بثلاث حشوات معقودة ضخمة، واحدة على كل من الجانبين، وواحدة فى الواجهة، وتنحنى الثالثة فى التخطيط وهى أعلى من الآخرين. والحشوات على الجوانب الخارجية وواجهة البرجين غفل تماما وتخلو من أية حلية. أما الحشوة على جانب كل برج بجوار البوابة فهى مزخرفة بحلقة داخلية من المخدات المتلاصقة. والجزء السفلى من هذه الفجوة (والذى يحاذى المستوى الحالى للأرضية) محشو بمدماك مشطوف (لوحات٦٤، ٦٥، ٦٧). ولا ينطبق ذلك على الحشوات الكائنة على الجانبين الخارجيين، حيث تمتد حتى حلية القاعدة. ومما يذكر أن صنج العقود الستة المحيطة بهذه الحشوات ليست معشقة. والجزء العلوى من كل برج غفل تماما على الأجنحة الخارجية، ويخترق السطح الأملس مزغل وحيد (لوحة ٦٩أ). إلا أن كلا من الواجهتين الأماميتين مثقوبة بثلاثة مزاغل وضع كل منها فى فجوة ضحلة برأس معقودة نصف دائرية، ويحيط بها جميعا إطار منحوت مستطيل كبير. وبالجوانب المجاورة للبوابة فتحتان مستطيلتان بمساحة ١,٩٤ ×٠,٧٠م قطعتا بحذى الواجهة ، ولكن تحيط بها أطر منحوتة تشبه الأطر التى ذكرناها منذ قليل. ويحيط بهذه الأطر نفسها وعلى ثلاثة جوانب منها شريط زخرفى يبدأ بجوار الجدار بين البرجين، ويجرى على جانب البرج عند القمة، ثم يغوص الى أسفل عند نقطة التقاء القمة بالواجهة المستديرة، ويدور عند الركن أفقيا، ثم يصعد مرة أخرى ليجرى حول الجوانب الثلاثة للإطار المنحوت الذى يضم المزاغل الثلاثة، ويهبط عند الزاوية ثم يصعد مرة ثالثة ليجرى على قمة الإطار المنحوت من الداخل، ثم يعبر قمة حاجز الشرفة أعلى البوابة ويمر بمراحل مماثلة حول البرج الآخر.

البوابة

هناك عقد نصف دائرى مفلطح ضخم أقيم بين البرجين الى الخلف بمسافة ٧,٧٠م. ويزين الجزء المفلطح جزء شبكى مستطيل يتكون من مربعات مشوهة قليلا تم حشو كل منها بعناصر زخرفية منحوتة جيداً (عباد الشمس ، زهرة الاقحوان ، الأشكال الخماسية والأشكال الشبيهة بالنجمة السداسية وأشكال النجوم والأشكال المتقاطعة والدوائر والأشكال المفرغة وغير ذلك ـ ودوائر وزخارف هندسية وما الى ذلك، ووضعت كل هذه الأشياء فى حاشية [إطار] بسيطة مكونة من دائرة ومعين بالتبادل (لوحة ٦٥أ). ووضعت الى الوراء بمسافة ١,٤٩م داخل هذا العقد نصف الدائرى البوابة وعرضها ٤,٨٥م وارتفاعها ٦,٤٩م يمتد فوقها **عقدان أفقيان**. ويتكون العقد السفلى من هذين العقدين، والذى يتميز بعمق غير عادى وبأنه أفقى فى أعلاه وفى أسفله، من ١٢ صنجة كبيرة بكل منها تعشيقتان بارزتان وصنجة مفتاحية من ثلاثة مداميك، أحدها بأسفله والآخران بأعلاه. وبكل المداميك التى يتكون منها هذا العقد جزء مستدق الطرف غائر حول الحواف (لوحة ٦٤ب). ويعلو هذا العقد عقد آخر أخف كثيرا ومقوس فى أسفله لكنه أفقى فى أعلاه، ويتكون من ١١ صنجة بكل منها حافة مشطوفة بدرجة ضئيلة جدا كبقية البناء. والمساحة بين تقوس هذا العقد وبين القمة الأفقية للعقد الكائن أسفله مفتوحة من الخلف ولو أنها محشوة من الأمام؛ ويبدو من الحشو أنه إضافة لاحقة. وهناك ثلاثة مداميك من بناء صغير فوق العقد العلوى تكمل الطبلية والتى يحيط بها عقد نصف دائرى قائم على ركائز وبحافة داخلية متقنة؛ ويتكون من ١٩ صنجة. والصنجة المفتاحية مزخرفة بشكل لولبي. وبين هذا العقد والعقد المفلطح الخارجى نجد فتحة مساحتها ٤,٢٨ × ٠,٣٣م لتمكين الجنود المدافعين من رمى القذائف على من يهاجمون البوابة.

وهنا أيضا كما هو الحال بباب النصر يؤكد هوتكير أنه كان هناك متراس، لكن ذلك مستحيل تماما، لأن عرض البوابة من أسفل ٤,٨٥م كما سبق الذكر، فى حين أن الفتحة بأعلى تقل عن ذلك بمقدار ٥٧سم. فلو كان هناك متراس فى هذا الموضع فلابد من السماح بما لايقل عن ٥سم فسحة على كل جانب بحيث لايتبقى لأقصى عرضها سوى ٤,١٨م، أى ٦٧سم أقل من الفتحة، أى لكان قد تم ترك ٣٣سم مفتوحة على أى من الجانبين، وهو أمر غير وارد.

وفى الصفين العلويين من الصفوف الثلاثة أعلى العقد المفلطح وضعت ستة كوابيل تقوم مع كابولى آخر طويل بكل زاوية كارة بدعم رف حجرى يجرى على طول المسافة بين البرجين (الشكل ٨٥). وحواف الكوابيل مزخرفة بزخرفة فاطمية جميلة متميزة، وعلى قمة الكابوليين الخارجيين رأس ثور (لوحة ٦٦ب، الكابولى الشرقى الأخير أعادت اللجنة بناءه فى سنة ١٩٣٦ تقريبا). وبين كل كابوليين هناك زخرفة أحقاق [القصع] ومجموعها سبع. وتنقسم زخرفة الاثنان الخارجيان على كل من الجانبين الى أربع أحقاق صغيرة (لوحة ٦٥جـ). وكانت زخارف الأحقاق الثلاث الوسطى مزخرفة بمربعين وضعا بشكل مائل أحدهما داخل الآخر، إلا أن المربع الأوسط فقط لايزال فى حالة جيدة.

وفوق الكابولى وبمحاذاة حافته الأمامية نجد **عقدا ضحلا** يتكون من ٢١ صنجة بكل منها تعشيقة بارزة، وفوقه فى حاجز الشرفة نجد خمس فتحات بأعتاب مقوسة، وقد وضعت جميعا فى إطار غفل تماما إلا فى حافته العلوية. والشريط الزخرفى المتصل الذى يجرى حول البرجين يمر عبر حاجز الشرفة فوق هذا الإطار مباشرة. وفوق الشريط المتصل نرى إفريزا تدعمه ٢١ مقرنسة صغيرة، مما يذكرنا بإفريز باب النصر ولو على نطاق

أصغر كثيرا (لوحة ٦٥ب). وقمة هذا الجدار وكذلك البرجين، وهي جميعا على مستوى واحد، متوجة بسلسلة من الشرافات ذات قمم نصف دائرية، ونحتت الأسكفة بين كل اثنتين منها بأخدود على شكل حرف V ينحدر الى الخارج بحيث يسمح بإطلاق النار؛ ولاشك أن هذا الأخدود ينسب للبعثة الفرنسية.

المجاز

خلف **الطبلية** الضخمة للبوابة هناك قبو اسطواني طوله ٢,٩٦م على شكل نصف دائرة قائمة على ركائز في مقطعه، ووراءه قبة قطرها ٧,٥٧م ولها نفس تقوس المثلثات الكروية التى ترتكز عليها (لوحتان ٦٦جـ و٦٧). والى اليمين واليسار هناك فجوة عمقها ٢,٧٤م يغطيها قبو ثلاثي الأضلاع. وعلى الطرف الداخلي من المجاز هناك عقد كبير يتكون من ٢٧ صنجة، ٢٥ منها معشقة. ونظرا لأن عرضه ١,٨٤م فإنه يمثل كتفا يدعم هذا الضلع من القبة. وقبو المدخل وكذلك أقبية الفجوات الكبيرة وعقد المخرج تنبث جميعا من حلية بارزة رائعة تستمر على طول الواجهة الخلفية للمشى وتنتهى عند مسافة ٢٠سم حول الجناح الشرقي، و٦٠سم حول الغرب. وعلى قمة الواجهة الخلفية وعلى مستوى محاذٍ **للمنصة** نجد حلية رائعة أخرى حول الجناحين (لوحة٦٨أ).

المنصة الرئيسة (لوحة٦٨، شكل٨٦)

لدى صعودنا الدرج الذى سبق وصفه نصل الى المجاز الدفاعي بمواجهة المدخل الشرقى المؤدى الى **المنصة الكبيرة** فوق المجاز المغطى بقبة. ثم نمر من مجاز الباب ومساحته ١,١٥ × ٢,١١م ووضع فى جدار سمكه ٢,٠٥م ويجرى الى الوراء بمالا يزيد عن ٤,١٠م على طول ضلع **المنصة**، ثم يتوقف فى خط رأسى (لوحة ٦٨أ). ويتم دخول المنصة على الضلع الغربى من **المجاز الدفاعي** بنفس الصورة تماما، ومساحة **مجاز الباب** ٠,٩٨ × ٢,٣٠م وسمك الجدار ١,٨٧م. ويمتد الى الوراء لمسافة ٤,١٠م ليتوقف فى خط رأسي. وتنحدر قمته الى أسفل من برج البوابة بدرجة ٢٠° تقريبا. ويمكن ملاحظة أن الجدار الآخر على الضلع الشرقى كان فيما مضى يقوم بنفس مهمة تخطيطه الأصلى على الرغم من ضياع الجزء العلوى منه. وعن طريق هذين الجدارين الفاصلين اللذين يحولان دون الدخول **الى المنصة تماما** كان من الممكن الاحتفاظ **بالمنصة** حتى بعد أن يكون العدو قد استولى على الجدار بين البرجين. ومن كل من هذين الجدارين ينبت عمود مستطيل ويجرى الى أعلى على الحافة الخارجية الخلفية لكل من البرجين؛ وتدور الحلية الكائنة على هذا العمود حوله ثم تتوقف تماما (لوحة ٦٨ب).

والمنصة عرضها ٢٣,٧٨م وعمقها ١٢,٣٣م تحدها على الضلع الشمالى الواجهة الخلفية للجزء العلوى من البوابة، وهى تمثل واجهة مكونة من ثلاث باتكات تشل الباتكتان الخارجيتان منها نتوءين من ٢,٠٦م (الشكل ٨٦). ويخترق كلا من هذه الباتكات عقد ضخم ولايضم أى منها صنجا معشقة. ويضم العقد الغربى من العقدين الخارجيين ١٤ صنجة، ويحتوى العقد الشرقى على ١٣ صنجة تتفاوت فى حجمها؛ ويفتحان بعرض حجرتى البرج ويؤديان اليهما.

يختلف العقد الأوسط عن العقود الأخرى فى أن صنجاته الثلاث والعشرين تصل الى الإطار المستطيل الذى يتكون من إفريز الى أعلى وبرجين على الجانبين الى اليمين واليسار. وهذا العقد ليس إلا واجهة خارجية **لقبو ضحل** عرضه ٦م إلا أن عمقه لا يزيد عن ٢,٤٥م وكان يقوم بحماية الجنود الذين يؤدون عملهم من

الفتحات الخمس بحاجز الشرفة الذى يتحكم فى الواجهة الخارجية للبوابة؛ وفى الوقت نفسه، يمثل جسرا بين قمتى البرجين اللذين لايحتوى على درج إلا أحدهما فقط لا كلاهما كما هو الحال بباب النصر. ولا يزيد عرض فتحة إطلاق النار الكبيرة التى تغطى البوابة عن ٣٣سم وطولها ٤,٢٨م؛ وتنقسم الفتحة العلوية الى خمس فتحات بأسكفات محملة عليها كما هو الحال بباب النصر، وهى على خط واحد مع الواجهة الجنوبية لهذا القبو الاسطوانى (لوحة ٦٧).

ولدى دخولنا حجرة البرج الشرقى نلاحظ أن كلا من المزاغل الأربعة مفلطحة تماما من الداخل وتغطيه أسكفة ترتفع نحو الداخل-وتنحدر فى حالة المزاغل الثلاثة فى مواجهة البرج ولكن بدرجة أقل فى حالة المزغل الكائن على الجناح الخارجى (لوحة ٦٨جـ، شكل ٨٧). والفتحتان المجاورتان للبوابة فوقهما أسكفتان لكنهما غير مفلطحتين كما هو الحال بأسكفات باب النصر التى تحتل مكانا مماثلا. ومن المرجح أن الحشو الذى يشغل الجزء السفلى من معظم هذه الفتحات وكذلك فى فتحات البرج الغربى من الأعمال التى تمت لاحقا فى عامى ١٨٠٠/١٨٠١؛ وهو من الطوب والأسمنت. وحجرة البرج الغربى تشبه نظيرتها الشرقية عدا أن هناك مزغلا إضافيا بجناحه الغربى يتحكم فى واجهة السور (وقد تعرض هذا المزغل للتشوه الشديد وتم سد طرفه الخارجى بالآجر). ونتيجة لذلك فالمزغل الآخر قد رحّل قليلا الى الشمال. وكل من حجرتى البرج مسقوفة بقبو اسطوانى نصف دائرى ينتهى بقبو متقاطع يحتل ثلثه الأوسط. وعلى الطرف الشمالى من الحجرة الغربية هناك قطعة مثلثة من عقد تنحنى لتلتقى بطرف القبو الاسطوانى. والزخرفة الوحيدة فى هاتين الحجرتين المعقودتين نجدها بوسط القبو المتقاطع؛ والصنجة المفتاحية الدائرية الكبيرة بالقبو الشرقى مزخرفة بجامة وتضم نجمة ذات ستة إشعاعات تتكون من ستة معينات؛ وبالقبو الغربى نجد دائرة مغلقة بمربعين وضعا بميل وبصورة متداخلة، والكل داخل مثمن مكون من اتصال نقاط المربعات.

المنصة العليا

يتم الوصول الى المنصة الكائنة على قمة البرجين بدرج عرضه ٨٨سم ويفتح بالضلع الشرقى من حجرة البرج الشرقى بالقرب من واجهتها الخلفية. والباب وتبلغ مساحته ٠,٨٨ ×١,٩٥م فوقه أسكفة بدون عقد عاتق. وهناك درج مكون من ١٧ درجة فوقه سقف مرفوع من ألواح حجرية بدون صف من الكوابيل. ومن خلاله نصل الى أول بسطة ولها سقف حجرى مسطح. وندور الى اليمين ونصعد درجة واحدة لنجد أنفسنا فى الهواء الطلق؛ والى اليمين مرة أخرى نجد مدرجا حجريا رقيقا طوله ٣,٦٩م وعلى طرفه درجتان أخريان تؤديان الى المنصة. ونلاحظ هنا أن ماكان يبدو وكأنه جدار الى شرق البوابة (لوحة ٦٢) هو قفص السلم الذى ارتقيناه منذ قليل. وعلى الواجهة الشرقية من هذا القفص نجد كلمتى TOUR LESCALE. ولاتزال الشرافات الأصلية محفوظة على الجوانب الخارجية من البرجين والجسر الواصل بينهما إلا على الركنين الخارجيين وواجهة كل برج، حيث تم إحلال كوات للمدافع محلها. والواجهة الخلفية **للمنصة العليا** مفتوحة تماما فيماعدا أن الحلية البارزة الرائعة (M فى الشكل ٨٧) والتى تجرى على طول الواجهة الخلفية ترتفع لعدة سنتيمترات فوق البلاط.

وعلى قمة البرج الغربى، وعلى الضلع الغربى وتحت مستوى الأرضية جزئيا، نجد فتحة صغيرة ذات طاقية نصف دائرية نحتت من كتلة واحدة من الحجر، وهى مخرج لتصريف مياه المطر؛ وعلى السطح الخارجى نجد

ميزابا مسطحا كبيرا بأخدود أسفل الوسط ويبرز بمقدار ٥٧سم من الجدار. وعلى الضلع المقابل وعلى قمة البرج الشرقى هناك فتحة مماثلة وضعت اللجنة فيها ميزابا جديدا.

لعل أبرز مايميز هذه البوابة شرفتها، ويبلغ عرضها ١,٥٦م وارتفاعها بين ٢,٤٢ و٢,٥٠م، وتجرى داخل جزء من سور المدينة الشمالى وتمتد بين الضلعين. ويسير جزء من هذه الشرفة يقع الى الشرق من باب الفتوح على مستوى أدنى من مستوى القبو الاسطوانى وراء العقد المسطح للبوابة التى يتحتم أن تمر بها؛ وهكذا فعند اقتراب الشرفة من البوابة ترتفع عشر نصف (= ٢,١٢م) وتمتد عبر البوابة وراء الفتحة الطويلة الضيقة الخاصة بإطلاق النار مباشرة، بين العقد نصف الدائرى الخالى من الزخارف والعقد الآخر المستدق الطرف القائم على ركائز والمحيط بالطبلية (لوحة ٦٧، شكل ٨٨). وهناك ثلاث فتحات مستطيلة يبلغ عرضها ٧٠سم وارتفاعها ٩٣سم نحتت بالضلع الشمالى من المجاز وتطل على فتحة إطلاق النار بحيث يمكن إسقاط القذائف من هذه الشرفة أو من المنصة التى تعلوها. كما تؤدى هذه الفتحات دورا فى إضاءة الشرفة؛ فمع وجود واجهة عمودية من الآجر على مسافة ٣٣سم منها، إلا أن الضوء ينتشر من أعلى ومن أسفل. وهناك ثقبان مساحة كل منهما ٣٢ســـم٢ نحتا فى الأرضية على الضلع المقابل لهذه النوافذ ويطلان على المجاز المعقود فوق العارض المركب الكبير الذى نحتت فيه تجاويف البوابة العليا. ويبدو أن هذين الثقبين كانا يؤديان نفس الغرض الذى يؤديه الترتيب الغريب لثلاثة من بوابات الأخيضر فى أوقات الحرب، ألا وهو تمكين الحراس من التحقق من شخصية من يشتبه فيه من الخارج من خلال إحدى الفتحات الثلاث التى ذكرناها منذ قليل، ثم نقل نتيجة التحقق الى الحارس فى الداخل. وهناك فجوتان ضحلتان طويلتان بجدار الشرفة بحذى هذين الثقبين، إلا أن الغرض منهما غير واضح.

تم نحت فتحتين مربعتين من المنصة الرئيسية فى سطح هذه الشرفة، إحداهما على الركن الجنوبى الغربى من القبو الأوسط، والأخرى على الركن الجنوبى الغربى من حجرة البرج الغربي. وتحتوى كل منهما على كل المظاهر التى تدل على حداثة عهده، وربما تم نحتهما بسبب عدم كفاية الضوء الذى تسمح به الفتحات المستطيلة الثلاث السابقة الذكر.

ويمكن الوصول الى المنصة الرئيسية من هذه الشرفة من خلال باب عرضه ٩٧سم وارتفاعه ١,٧٠م فوقه أسكفة ومدماك عاتق مجوف قليلا فى أسفله ويفتح على الدرج الذى يجرى على طول الواجهة الخلفية من السور شرق البوابة مباشرة. وبعد ٢٠ درجة نصل الى المجاز الدفاعى أمام المجاز المذكور.

أسوار بدر الجمالى

أى أجزاء سور القاهرة ينسب الى بدر الجمالي؟ قبل أن نبدأ فى وصف سور بدر الجمالى لابد من تحديد الجزء الذى ينسب اليه من السور الحالي. حسب رواية المقريزى (الخطط، ١، ص٣٧٧) تمت إضافة أسوار الى القاهرة ثلاث مرات. فتم بناء السور الأول كما رأينا بأمر من جوهر الذى كان القائد العسكرى للخليفة المعز الفاطمى لدى بناء المدينة عام ٣٥٨هـ (٩٦٩م)؛ وينسب السور الثانى الى بدر الجمالى قائد جيوش الخليفة المستنصر؛ والسور الثالث الى الأمير بهاء الدين قراقوش فى عهد صلاح الدين الأيوبي. وكان السور

الأول من الطوب اللبن ومن المرجح أنه كان فى حالة متدهورة إبان زيارة ناصر خسرو فى عام ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) لأنه **يذكر أن المدينة لم يكن لها سور حصين**[٣٠٩] (ط شيفر، ص٤٤). ومع ذلك فإن المقريزى يزعم أنه رأى قطاعا طويلا منه على الضلع الشرقى من المدينة بين باب البرقية ودرب بطوط قبل تدميره فى سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م). ويقول إن هذا القطاع الذى يقع على بعد ٥٠ ذراعا خلف سور صلاح الدين هو آخر ماتبقى منه.

وبنى السور الثانى على يد بدر الجمالى فى سنة ٤٨٠هـ (١٠٨٧م)، وشيد الجزء المواجه للشمال على تخطيط جديد يجرى على طول الواجهة الشمالية من جامع الحاكم الذى كان يقع خارج الأسوار حتى ذلك الوقت. أما بالنسبة للسور الثالث فيقول ابن أبى طي[٣١٠]: «فى ذلك العام (٥٦٦هـ/١١٧٠م) بدأ السلطان -أى صلاح الدين- فى بناء سور القاهرة لأن الجزء الأعظم منه تم تدميره وأصبح طريقا مفتوحا لايمنع الداخلين والخارجين» (عن أبى شامة، كتاب الروضتين، جـ١، ص١٩٢). ويحدد المقريزى نفس هذا التاريخ أيضا بدون توثيق المصدر الذى استقاه منه، إلا أنه فى موضع آخر يحدد له تاريخا مختلفاً بقوله: «دخل صلاح الدين القاهرة فى ١٦ ربيع الأول ٥٧٢هـ (٢٢ سبتمبر ١١٧٦م) ...» وأنه أمر ببناء سور يحيط بالقاهرة ومصر (أى الفسطاط) والقلعة وأنه عهد بالإشراف عليه الى الأمير قراقوش الذى شرع فى تشييد القلعة والسور والخندق المحيطين بها. ولعله استقى معلوماته هذه من فقرة لعماد الدين، كاتب صلاح الدين، يذكر فيها «وكان السلطان لما تملك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منهما سور لا يمنعهما فقال: إن أفردت كل واحدة بسور إحتاجت إلى جيش مفرد يحميها وإنى أرى أن أدير عليهما سوراً واحداً من الشاطئ إلى الشاطئ وأمر ببناء قلعة فى الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم ...». وكان ذلك فى عام ٥٧٢هـ (١١٧٦م) لدى عودته من حملته على الشام. وكان كازانوفا هو الذى جذب الاهتمام الى هاتين المرحلتين من أعمال صلاح الدين، أى ترميم سور محيط كان قد تعرض للانهيار، وهو عمل يتفق ومنصب الوزير الذى شغله صلاح الدين عام ٥٦٦هـ؛ وعملية واسعة النطاق تستمر لمدة طويلة ولا يقوم بها إلا رجل ذو سلطات **بلا حدود أو حاكم مطلق مثله فى عام ٥٧٢هـ**[٣١١].

وإذا صدقت استنتاجات كازانوفا، وهذا ما أظنه، فلابد من وجود أربع مراحل لبناء سور القاهرة: (١) سور جوهر (٢) سور بدر الجمالى (٣) المرحلة الأولى من أعمال صلاح الدين (٤) المرحلة الثانية. ولاشأن لنا بالمرحلة الأولى حيث أنها اختفت منذ مدة طويلة. وتبقى لدينا ثلاث مراحل. ويبرز أمامنا سؤال: هل يمكن تعقب آثار ثلاثة طرز أو أنماط من الأسوار الحصينة؟ يحدد فان برشم مرحلتين ينسب إحداهما لبدر والأخرى لصلاح الدين. ويرى كازانوفا أيضا أنهما مرحلتان ولكن نظرا لمراجعه الأدبية فقد اضطر الى نسبتهما للمرحلتين الأولى والثانية من أعمال صلاح الدين. ومن خلال فحوصى الأثرية التى استعرضت فيها إجمالى طول سور القاهرة وصعدت كل برج فيه وكنت أحيانا أدخل بيوتا لهذا الغرض، تكشفت لى ثلاث مراحل مستقلة من العمل. وأعتقد أن بعض الأجزاء من أعمال بدر الجمالى لاتزال قائمة، وكذلك بعض أعمال صلاح الدين. ويرفض كازانوفا احتمال أن تكون أعمال بدر الجمالى لايزال لها وجود حاليا لأن المقريزى يصرح فى أحد مواضع كتابه (الخطط، ١، ص٣٧٩) أنه كان من الآجر. إلا أن كازانوفا يشير فى كتابه مرارا وتكرارا الى **التناقضات الواردة برواية المقريزي**[٣١٢]؛ بل إنه يذكر أنه فى منتصف جمادى الثانية ٨١٨هـ

(أغسطس ١٤١٥م) تم الشروع فى إزالة السور الحجرى بين باب زويلة وباب الفرج حيث كان السلطان المؤيد يقوم باخلاء موقع لبناء مسجده الجامع.

لذا فالأرجح أن جزءا من أعمال بدر كانت من الحجر، إلا أن هناك دليلا أقوى من هذا. إذ يذكر المقريزى فى وصفه لجامع الحاكم (جـ٢، ص٢٧٨) أن هناك نقشا على «البدنة» وجزءا من برج بجوار باب الفتوح ينص على أن هذه الأعمال تمت عام ٤٣٠هـ (الأرجح أنها ٤٨٠) فى عهد المستنصر وفى وزارة أمير الجيوش. وقد سبق أن تحدثنا بالفعل عن هذا النقش. وهكذا فهذا النوع من الأسوار والأبراج لاينسب لصلاح الدين، بل لبدر. ويمكن إيجاز السمات الرئيسية لهذا العمل فيما يلي: الأبراج مربعة أو مستطيلة فى تخطيطها مع وجود بروز كبير على السور من الداخل؛ الفتحات فوقها أعتاب أو عقد أفقى أو نصف دائرى؛ يتكون البناء من قلب من الدبش وواجهة بصفوف ضخمة مكسوة بكسوة ناعمة والحواف مشطوفة بمقدار سنتيمتر أو نحو ذلك (والأجزاء التالية هى الاستثناء فى ذلك: (أ) الجدار بين البرجين بين باب النصر والبرج الأول حيث نجد أن الصفوف غير مشطوفة ولو أن أطراف الأعمدة ظاهرة؛ (ب) الجزء السفلى من البرج الأول حيث لاتبدأ الصفوف المشطوفة إلا فى الصف الذى يعلو الأعمدة)؛ واحتفظت الأحجار المستخدمة بسطحها الأملس تماما. وأخيرا هناك صف من الدوائر الحجرية بفواصل عادية بارتفاع ٣م تقريبا من الأرضية؛ وهذه هى أطراف الأعمدة المطمورة فى الجدار؛ وكان الهدف منها كما سبق أن ذكرنا هو أن تكون بمثابة رباط بين القلب الدبش والأحجار ذات السطح الأملس. وإذا أخذنا هذه السمات كمعيار لنا، فإن الأجزاء التالية من سور القاهرة لابد أن تنسب لبدر الجمالي: كل السور الكائن بين باب الفتوح وباب النصر وجزء رائع من السور يجرى جنوبيا خلف باب النصر لمسافة تقرب من ٣٠م، والى الغرب من باب الفتوح لتشمل برج الدرج الرائع المجاور له– ولكن الى أى مدي؟ هذا سؤال يحسن بنا أن نتركه الى أن نفرغ من وصف الجزء المعنى نفسه.

وصف السور الشمالى

بعد أن حددنا الأجزاء الفاطمية من السور الشمالي، من الأفضل أن نقسم هذه الأجزاء الى أقسام على النحو التالي:

	الطول	الارتفاع	السمك
أ. طول الجزء جنوب باب النصر	٣٠,٦٠	١٢,٤٨ (أ)	٣,٢٣–٣,٦٣
(بـ) ١١,٥٥ ٣,٩٨–٤,٠٩			
ب. الجدار الساتر من باب النصر الى البرج الأول	٢٨,٩١	١٠,٦٩	٣,٣٩
البرج الأول		٨,٠٦	
جـ. الجدارالساتر من البرج الأول الى البرج الثانى	٤٩ ,٠٦	١٠,٨٢	٣,٣٨
البرج الثانى		٥,٠٠	
ء. الجدار الساتر من البرج الثانى الى البروز الكبير	٤٩ ,١٣	١٠,٩٦	٣,٣٨
البروز الكبير		٢٤,٨٠	
هـ. الجدار الساتر من البروز الكبير الى باب الفتوح	٢٤ ,٩٥	١١,٢٠	٣,٧٩
باب الفتوح		٢٢,٨٥	
و. الجدار الساتر من باب الفتوح الى برج السلم	٢٤,٧٣	١١,٣٥	٤,٦٣–٤,٨٢

برج السلم			٢٦,٣٥	١١,٣٥
ز. الجدار الساتر من برج السلم الى البرج ذو الواجهة المستديرة	٥٢,٤٤	٩,٣٧	٣,٨٥	
البرج ذو الواجهة المستديرة		١١,٦٣		
ح. السور بعدها		٨٩,٠٤	٨,٦٢	٤,٠٥

إجمالى المسافة من باب النصر (الضلع الغربي)

الى البرج ذو الواجهة المستديرة (الضلع الغربي) ٣١٦,٢٩م

طول الجزء (أ) الى جنوب باب النصر

هناك قلبة سلم مكونة من خمس درجات بالركن الجنوبى الشرقى من برج الدرج (شكل ٨٣) تؤدى الى المجازات الدفاعية المتجهة جنوبا من السور والذى ينتهى بواجهة رأسية على بعد ٣٠,٦٠م جنوب هذه المجازات (لوحة ٥٥أ). ويمكن فحص هذا الطرف عن طريق صعود حارة العطوف والدخول فى أول منعطف الى اليسار. ومن هنا يلاحظ أن بقية هذا القطاع مع أنه يتميز بنفس أسلوب البناء الذى يتميز به القطاع الكائن بين باب النصر وباب الفتوح إلا أن الأمتار الأربعة الأخيرة تعد بناء عشوائيا يمتزج فيه الطوب والحجارة؛ وتم بناء الزاوية فقط من كتل الأحجار، وحتى هذه الكتل تتميز بشكلها غير المنتظم. وإذا عدنا الى البوابة وتفحصنا السور من الداخل نجد أن الأمتار الثلاثة الأخيرة بنيت بصورة عشوائية كمثيلتها الداخلية، إلا أن خط الانتقال عند هذا الموضع منحن الى الأمام (لوحة ٥٥جـ).

أما الإفريز **ربع الدائرى** الذى يتوج قمة البوابة من الداخل والجانبين الداخليين من برج الدرج فيسير حتى يصل الى نقطة تقابل الموضع الذى يهبط عنده المجاز الدفاعى أربع درجات، ثم يسقط لمسافة ١,٥م تقريبا، ثم يجرى على خط مستقيم مرة أخرى الى أن يصل الى نقطة وسط تقريبا بين هذه السقطة وبين طرف السور، ثم يسقط مرة أخرى لثلاث درجات كل منها بارتفاع الحلية. ثم يستمر فى حالة شديدة التدهور الى حوالى ٤م من النهاية حيث يختفى تماما.

ولإطلاق النار على الجانبين بدون برج نجد أن سمك السور يبدأ بـ ٣,٦٣م ويضيق تدريجيا حتى يصل الى ٣,٢٣م، ثم يتسع فجأة بمقدار ٨٦سم عند نقطة تبعد ١٦,٣٢م من الدرجة العليا من قلبة السلم السابقة الذكر. وينتج عن هذه الزيادة بروز الواجهة الخارجية من السور فجأة وبنفس المقدار، وتم إيجاد فتحة حلقية فى المكان الذى تم فيه فرض خط الشرافات فى اتباع الحافة الخارجية من السور لاتخاذ انحنائتين بزاويتين يمنيين. ولاتزال الشرافات الأصلية التى يبلغ سمكها ٤٢سم محفوظة فى برج الدرج وحتى هذه النقطة، وبعدها تم إحلال جدار من الطوب والدبش وبه فتحة حلقية. وينتهى المجاز الدفاعى بكوة ترتكز على خمسة كوابيل مزدوجة (لوحة ٥٥جـ). ورأينا أن جدار السور الفاطمى الأول كان يمر جنوب جامع الحاكم والذى كان فى الأصل خارج الأسوار. وبما أن الطرف الحالى من القطاع المذكور من السور يقصر عن التخطيط الشمالى لجوهر، فالأرجح أنه كان يمتد فيما مضى لمسافة من ٦٥ الى ٧٠ مترا أخرى الى الجنوب ليتصل به ثم انهار وتمت إزالته تماما فى فترة لاحقة وبالطريقة التى سبق وصفها. وينبغى أن نذكر أن هذه النقطة تقع الى جنوب النقطة التى نعتقد أن سور صلاح الدين كان ينطلق منها بعد توسعته (ولايصل سور صلاح الدين الشمالى الى تماما، حيث أنه إما انهار أو تم تدميره عمدا).

وبملاحظة أن الدلاية الأولى من الحلية الربع دائرية تقابل قلبة السلم، فقد خطر على مخيلتى أن الدلاية الثانية ربما كانت تقابل قلبة سلم أخري، ولو أن المجاز الدفاعى كان يستمر بعدها دون تغير فى المستوي. وقامت اللجنة ببحث هذه المسألة بناء على اقتراح من جانبي، وتبين أنه كان هناك انخفاض قدره متر واحد تقريبا فى مستوى المجاز الدفاعي، مع أن قلبة السلم كانت قد اختفت أو كادت (لوحة ٥٥أ). وكل ذلك كان مختفيا وراء حشو من بقايا الحجارة بعمق متر واحد، وظل فى موضعه هذا بسبب الجدار ذى الفتحات الحلقية الذى يبلغ ارتفاعه ٢,٥٠م من الآجر والدبش، وكان قد بنى على طول الحافة الداخلية من السور على يد الفرنسيين بالطبع فى سنة ١٨٠١. ونظرا لتعرض أحجار الأرضية بالجزء الأول أو الجزء ذى المستوى الأعلى لأضرار بالغة، فقد أعيد تبليطه بألواح صغيرة جدا (ولا يمكن أن يعود هذا التبليط الجديد الى تاريخ أسبق من الجدار ذى الفتحة الحلقية على الحافة الداخلية لأنه يتوقف عنده ولا يمر من تحته)، وظل التبليط على نفس المستوى فوق حشو بقايا الأحجار، مما أدى الى رفع الجزء السفلى الى مستوى الجزء الأول. وتمت إزالة كل ذلك من قبل اللجنة منذ ذلك الحين، وكذلك الجدار ذى الفتحة الحلقية على الحافة الداخلية من الجزء الأدني. واتضح وجود صفين من حواجز الشرفة الأصلية تحت هذا الجزء الأخير، ولو أنهما لم تكن متوجة بشرافات. على أية حال تم العثور على ثلاثة من الأحجار التاجية المستديرة التى تنتمى الى هذين الصفين.

يتكون السور فيما بين باب النصر وباب الفتوح (لوحات ٥٧-٦١) من أربعة أطوال غير متساوية من الجدار بين البرجين يفصل بينها: (١) برج منفرج الساقين عبر الأسوار، وبه درج سلم يؤدى الى منصته العليا؛ (٢) برج ناتئ بمقدار ٤,٧٣م الى الخارج، لكنه محاذٍ من الداخل بسبب جامع الحاكم، ولايرتفع فوق قمة السور إلا بقدر ضئيل؛ (٣) برج مربع ضخم تنهض من وسطه المئذنة الشمالية للجامع المذكور. وهذا البرج الذى سبق ذكره باعتباره يحمل جزءا من نقش لبدر الجمالى على واجهتيه الغربية والشمالية (لوحة ٦١أ).

القطاع ب

يبلغ الطول الأول للجدار بين البرجين ٢٨,٩١م من الواجهة الغربية لباب النصر وحتى الواجهة الشرقية للبرج الأول، ويعلو المجاز الدفاعى بمقدار ١٠,٦٩م فوق أسكفة البوابة، أى مستوى الأرضية القديم الذى ارتفع كثيرا بين البوابتين الشماليتين الكبيرتين.

ويبلغ عرض المجاز الدفاعى ٣,١٤م، والجانب الخارجى منه مزود بحاجز شرفة يبلغ سمكه ٤٨سم (شكل ٨٣). وهناك ثلاثة صفوف من البناء تحت مستوى الفتحات، اثنان الشرافات وصف آخر مفترض للقمة المقوسة التى اختفت بكل أسف (وتم ترميمها حديثا على يد اللجنة).

تم حشو الفتحات فيما بين الشرافات بطوب غير مصقول، وتركت فتحة على شكل حرف v فى الوسط. وينحدر الجزء المستدق الطرف من الأسكفة والذى ترك مكشوفا بالفتحة الحلقية الى أسفل ٣٠° تقريبا بغرض السماح بإطلاق النار الى أسفل. ولما كان الجزء المستقطع يناظر الفتحات الحلقية الخاصة لسنة ١٨٠٠/١٨٠١ تماما، ونظرا للشك فيما إذا كان قد تم التعامل مع أية شرفة ذات فتحات أخرى من العصور الوسطى فى الشرق الأوسط بهذا الأسلوب، فقد اقترح هاملتون الذى تولى إدارة شؤون آثار فلسطين لمدة طويلة أن هذه الاستقطاعات المنحدرة تمت على يد الفرنسيين. وزاد اقتناعى بصحة رأيه حين قمت بمعاينة أخري. فمتوسط عرض الشرافات عند الطرف الغربى للجدار الفاصل بين باب الفتوح وبرج السلم الكبير يبلغ ٧٤سم

والمسافة بينهما تبلغ ٥٤سم . وهناك الشرافتان فى هذا المكان (أ، جـ)، إلا أن الفجوة بينهما تبلغ ١,٨٦م لأن هناك شرافة (ب) قد اختفت (شكل ٨٩) . وكانت هناك فتحتان حلقيتان بالجزء المبنى بالآجر بينهما مع وجود أسكفات منحدرة نحتت فى الحجر. فإذا أعدنا مدماكا بعرض ٧٤سم (مع ترك مسافة ٥٤سم على كل من الجانبين) فإنه يتداخل جزئيا مع هذه الاستقطاعات كما هو مبين؛ أى أنه لم يكن يمكن استقطاعها حين كانت الشرافة (ب) لاتزال فى مكانها، لذا فلايمكن أن تكون من أعمال بدر الجمالي. ويمكن أن ننسبها بكل ثقة الى من قاموا بالحشو ذى الفتحة الحلقية، أى الفرنسيين فى ١٨٠٠/١٨٠١.

الى جانب ذلك تم بناء جدار **ذى حلقية** ارتفاعه حوالى ٢,٥٠م من الآجر والدبش على الحافة الداخلية. وحين أزيلت كل هذه الأجزاء عام ١٩٤١ تم العثور على حجرين يشكلان القمة المنحوتة لإحدى الشرافات بينها. وفى منتصف الضلع الخارجى من الجدار بين البرجين هناك مرحاض (لا يمكن أن نعتبره سقاطة لأنه لم يبن فوق البوابة) يرتكز على خمسة كوابيل مزخرفة (لوحة ٥٧جـ) . وهناك أربع فتحات فى الأرضية، وثلاث بالواجهة الأمامية وواحدة بكل ضلع للسماح بإطلاق النار على الجانبين على طول واجهة السور. والحافة الداخلية من السور متوجة بحلية مفلطحة الوجه كبيرة تجرى بحذى المجاز الدفاعى بداية من قمة الدرج عند نقطة ٢,٠٥م من باب النصر وتجرى حول نتوء الدرج بالبرج الأول. ومن الحقائق الغريبة أن بناء البرج يرتفع بحذى الحافة الخارجية للواجهة المفلطحة، فى حين كان من المتوقع أن يتراجع الى الخلف فى نفس السطح المستوى كالجزء الذى يقع أسفل الحلية.

درج السلم المكتشف

تمت إزالة طاحونة القمح التى كانت تحتل المساحة بين طول الجدار بين البرجين وبين وكالة السلطان قايتباى فى سنة ١٩٤٤ . وكان سطحها يرتكز جهة الشمال على جدار من الآجر بنى بالتماس مع الجدار بين البرجين؛ وحين تمت إزالة هذا الجدار تكشفت آثار واضحة لدرج سلم كان يجرى أعلى الجدار بين البرجين من الغرب الى الشرق وينتهى عند النقطة التى ينطلق منها الجدار المذكور من باب النصر. وبالتالى انكشفت المداميك السفلية الخمسة الخاصة بالدرج والدرجات الخمس الأولى عن طريق الحفر والتنقيب. وتقرر إعادة بناء هذا السلم حيث كان تجويف كل درجة لايزال موجودا فى الجدار الساتر، مما يدل على وجود ٢٣ درجة سلم تجرى على مستوى أعلى من مستوى الأرضية القديم الى بسطة طولها ١,٤٦م تليها ١٩ درجة أخرى تؤدى الى المجاز الدفاعي؛ وتعود الحلية المفلطحة الوجه لتتوقف على مسافة ٢,٠٥م من الضلع الغربى من باب النصر (شكل ٨٣، لوحتان ٥٤أ، ٥٥أ). وكان عرض كل درجة ٤٥سم وارتفاعها ٢٥سم. وتبين أن ارتفاع المجاز الدفاعى كان يبلغ ١١,٥٩م كما تبين من شقفة من البلاط القديم تم العثور عليها بجوار القاع.

البرج الأول

ينتقل المجاز الدفاعى الى البرج الأول فوق مجاز مقبى نهبط اليه بست درجات. ويبلغ عرض هذا البرج ٨,٠٧م وبه بروز يبلغ ٤,٧٣م على جانبه الشرقي، لكنه لا يزيد عن ٢,٦٧م على جانبه المقابل. وكان الجدار قد بنى على تخطيطه السابق بسبب ضلع جامع الحاكم والذى يبدأ عند هذه النقطة (لوحة ٥٧ب، شكل ٨٣). ويبدو أن هذا كان قد نجم عن سوء حساب طفيف، إذ لم يكن هناك مايمنع بناء باب النصر والجدار الساتر الأول بحذى الجدار الساتر الثاني. ويتم دخول المجاز الذى يؤدى اليه من باب عرضه ١,٢١م وارتفاعه ٢,٢٢م فوقه أسكفة. وعلى الواجهة السفلية من هذه الأسكفة هناك تجاويف باب فوقه أسكفة عاتقة أقصر

ومجوفة قليلا على سطحها السفلى وأطرافها مشطوفة كالصنجة. والمجاز لا يغطيه قبو، بل تغطيه سلسلة حليات بارزة رائعة يبلغ إجمالى ارتفاعها مترا واحدا (لوحة ٥٨أ، شكل ٨٣).

وعلى الضلع الشمالى من المجاز هناك حجرة عمقها ٣,٠٣م يتم دخولها من باب مساحته ١,٣٨ ×٢,٤٥م ويمتد بنفس طريقة امتداد الباب الخارجي. وهناك ثلاثة مزاغل مفلطحة بالواجهة الأمامية لهذه الحجرة، ومزغل على كل من طرفيها حول السور (لوحة ٥٨ب). وتم تعديل اثنين من هذه المزاغل بالواجهة الأمامية لتناسب المدافع، وربما تم هذا التعديل لايزيد ١٨٠١، وكذلك على الجناح الغربي. ويتكون المزغل الذى ظل سليما من فتحة على شكل حرف V ارتفاعها ١,١٩م وعرضها ٨٥سم (يضيق حتى يصل الى ١٠سم) وأسكفتها ترتفع عن الأرضية بمقدار ٤٨سم. وتمتد فوقه أسكفة مشطوفة على حافتها الداخلية كما هو موضح بالشكل (٩٠). وتم اقتطاع قدر منها بمدماك على شكل اسفين فى الصف الذى يعلوها. ولم يعد من العسير إدراك أن المزاغل الثلاثة المشوهة كانت تشبه هذا المزغل؛ لذا فقد تم ترميمها وإعادتها الى شكلها الأصلى لايزيد ١٩٤٥. ووضع المزغل الكائن عند الطرف الشرقى فى فجوة نصف دائرية وعلى هيئة نصف قبة مما يعطيه حرية أكبر فى الحركة، إلا أنه الوحيد الذى عومل بهذه الصورة، وبما أنه يتجه نحو الجنوب الشرقى فربما كان الهدف منه أن يكون محرابا أيضا. وهذه الحجرة مسقوفة بقبو اسطوانى نصف دائرى ذات أجزاء مثلثة تملأ أطرافه.

وعلى الضلع الأيسر من المجاز هناك فتحة عرضها ٨٧سم للدرج المؤدى للسطح. وهناك ثلاث درجات وبسطة تليها ١٧ درجة من الطراز الحلزونى وبها نافذتان، الأولى على الضلع الجنوبى عند الدرجة الخامسة، وتم سدها ولم يتم إخلاؤها إلا فى صيف ١٩٤٠؛ والأخرى على الضلع الشرقى عند الدرجة التاسعة. وتغطى النافذة الأولى أسكفة مقوسة، والثانية تغطيها أسكفة خالية من الزخارف. ويتحول الدرج الحلزونى الى مدرج مستقيم طوله ١,٤٠م وانحداره طفيف للغاية، وينتهى ببسطة تخرج من جانبها درجتان تؤديان الى السطح. ودرج السلم بأكمله مسقوف بألواح مسطحة ترتكز على الجدران الجانبية بلا صف من الكوابيل. ويشكل الدرج برجا صغيرا ملحقا بداخل البرج الرئيسي؛ وهو الجزء الوحيد الذى يشكل بروزا من الداخل. وقد سبق تناول الأسلوب الذى يحتضن به ركنه الجنوبى الغربى مايشكل القبة الشرقية لجامع الحاكم، وذلك فى الباب الخاص بذلك الجامع. وأعيد بناء حاجز شرفة المنصة-عدا الصفوف السفلية منها-بأمر من نابليون بحيث تمثل ست كوات للمدافع وتسع فتحات للبنادق. وتقع هذه الكوات الست أسفل هذه الفتحات التسع بصف واحد من البناء؛ وفوق كل منهما عقد أفقى بثلاث صنجات، فى حين أن المزاغل التى تتخذ شكل حرف V فوقها أسكفات. ويستمر قفص السلم الى أعلى على شكل برج صغير؛ وقمته التى تتحكم فى المنصة الرئيسية يتم الوصول اليها بصعود تسع درجات أخري. وهنا أيضا لا يساورنا أى شك فى أن حاجز شرفة المنصة من عمل نابليون أيضا، ويتكون من مداميك عشوائية من الحجر المخلوط بالآجر. أما الواجهة الشمالية الخارجية فربما كانت أصلية، ولو أن ضلعها الداخلى تم تبطينه بالطوب. وإذا عدنا الى المجاز المعقود، نغادر البرج بباب يشبه نظيره الذى دخلنا منه ونرتقى خمس درجات (=٧٢سم) الى المجاز الدفاعى الذى يبرز الى الأمام بمقدار ٢,٠٤م تقريبا عند هذه النقطة، وفى الوقت نفسه يغير اتجاهه قليلا نحو الغرب.

القطاع (جـ) والبرج الثاني (لوحة ٥٩)

اختفت الشرافات في الـ ٩,٧٠م الأولى ليحل محلها جدار غير مصقول من الدبش، إلا أنها أعيدت حديثا الى مكانها على يد اللجنة؛ وبدءا من هذه النقطة ومابعدها نجدها محفوظة فى حالة جيدة ولو أنها تختلف فى جوانب عديدة عن نظيراتها بالقرب من باب النصر. فالبناء صغير نسبيا، وهناك أربعة صفوف بسمك ٥٩سم أسفل الأسكفات تم شطفها من أسفل من الخارج والداخل. وتم وضع الشرافات التي يبلغ سمكها ٤٩سم بحذى الواجهة الخارجية للسور. وتتكون فى كلتا الحالتين تقريبا من ثلاثة صفوف من البناء بالإضافة الى تاج حجرى نصف دائرى يتم صنعه عادة من صفيه بمفصل رأسي. ويستمر هذا النمط حتى باب الفتوح، ولايزال معظمه فى حالة ممتازة. ،مع ذلك هناك اختلاف واحد ينبغى إدراكه، ألا وهو أن أسكفات العرائس بالبرج الثانى وما وراءه مشطوفة من الخارج فقط.

ويبعد البرج الثانى عن الأول بمسافة ٤٩,٠٦م؛ ويبلغ عرضه ٥م ويبرز بمسافة ٤,٧٠م. وهو أكثر انخفاضا من الأول بدرجة ملحوظة، ولاتزيد منصته العليا عن ست درجات سلم فوق المجاز الدفاعى (لوحتان ٦٠أ، ب). والعرائس فيه تشبه نظيراتها الأخيرة ولاتزال بحالةجيدة إلا حيثما استبدلت بها كوتان للمدافع تمت إضافتهما بجوار الركن الشمالى الشرقي. وليس به نتوء على الضلع الداخلى من السور، وهو أمر مرجعه أن هذا الضلع شيد قبالة الجدار الشمالى من جامع الحاكم. ولانرى الواجهة الداخلية للسور من البرج الأول وحتى بروز المئذنة الضخمة، أى على طول الشريط الذى يجرى بحذى الجامع، إذ أنه لايعلو عن سور الجامع، وبالتالى فهو مختف خلفه تماما. وفى ظل هذه الظروف لم يكن هناك شك فى تتويجه بحلية مفلطحة الوجه تتوقف بالتالى عند البرج الأول، ولايبدأ من جديد إلا بعد البروز الكبير. أما البرج الثانى وهو أصغر كثيرا من الأول فبه حجرة داخلية يبلغ عرضها ٢,٣٠م وعمقها ٣,٦٨م، ومسقوفة بقبو اسطوانى بمقطع نصف دائرى يجرى من الشمال الى الجنوب (شكل ٩١). وفى كل واجهة هناك مزغل مفلطح ويبلغ سمك الجدران ١,٣٥م. ويتم دخول هذه الحجرة من شرفة تجرى على طول الجزء الداخلى من السور من هذه النقطة وحتى الدرج الكبير خلف باب الفتوح. ونهبط اليه بدرج سلم يفتح على جانب من درجات السلم الست يرتفع حتى منصة هذا البرج. وهناك ٩ درجات تؤدى الى البسطة الأخيرة ندخل بعدها الى اليمين ونهبط درجة واحدة، ثم ننحنى يسارا؛ وبعد درجتين أخريين نصل الى الشرفة. أما الدرج نفسه فهو مسقوف بألواح حجرية مسطحة بدون صف من الكوابيل.

وفى أسفله قلبة السلم الأولي، يمكن أن نرى نقطة التقاء سور بدر مع السور الشمالى الشرقى لجامع الحاكم. وقد حدث انفصال بينهما حاليا، مما قد يعزى الى ميل طفيف طرأ على السور الشمالى الشرقى لجامع الحاكم. كما يمكن لنا أن ننظر فى داخل صدع منفرج يخترقه الضوء من أعلي. ويبلغ سمك الجدار ٢,٧٨ +٦٠سم (شرافات) = ٣,٣٨م. ولما كان إجمالى المجموعة إذا قيست من خلال مجاز الباب الكائن فى وسط هذا الجانب من الجامع ٤,٩٦م، إذن فمن المرجح أن يكون سمك جدار الأخير ٤,٩٦ -٣,٣٨ =١,٥٨م مع افتراض أن كلاهما على اتصال وثيق من أسفل. وحاجز الشرفة العشوائى البناء والمكون من الآجر والحجر من داخل المجاز الدفاعى لايرتكز على سور بدر، بل على سور جامع الحاكم، ويحتل مكان شرفته. ومن هنا نتج الصدع الذى نراه على طول المجاز الدفاعى بين الأرضية وحاجز الشرفة الداخلي، وهو صدع يمكن للمرء أن يدفع فى داخله عصا طولها قدمان أو ثلاثة أقدام.

ويبلغ عرض الشرفة ١,٥٥م وارتفاعها ٢,٤٥م وحتى تاج سقفه ذى القبو الاسطوانى الحجرى (شكل ٩١). وهذا الأخير نصف دائرى فى مقطعه وليس به التواء.

وهناك مزغل على بعد ٨,٦٧م من منتصف البرج يمكننا من رؤية الجدار الخارجي لهذه الشرفة ويبلغ سمكه ١,٠٨م. وهناك ثلاثة آخرون قبل أن نصل الى البرج التالي، إضافة الى سبعة ثقوب مستطيلة للضوء يبلغ ارتفاعها ٤٤سم وعرضها ٣٠سم على الضلع الخارجي عند منبت القبو (تم سد خمسة منها حتى أوائل ١٩٤٠)، وأسكفاتها على خط واحد مع قمم المزاغل (لوحة ٦٠جـ). وكانت الشرفة تتلقى الضوء فى الأصل من هذه الثقوب والمزاغل، حيث أن الثقوب التى نراها بالسقف تبدو حديثة العهد. وكانت هناك ثلاثة ثقوب منها بتاج القبو، وجميعها تبدو وكأنها قريبة العهد. وتم نحت هذه الفتحات المربعة الثلاث من المجاز الدفاعي، وكان هناك درابزين من الحديد يحيط بكل منها. وقد تم إلغاؤها مؤخرا وأعيد ترميم القبو. وسبق أن رأينا أن الدعامات الثلاث الناتئة داخل هذه الشرافة تنتمى لجامع الحاكم.

القطاع (ء) والبروز الكبير (لوحة ٦١)

نعود الآن الى المجاز الدفاعي ونتجه نحو البرج المربع الكبير الذى يقع على بعد ٤٩,١٣م من البرج الذى أشرنا اليه منذ قليل. ويتبين من التخطيط (شكل ٩١، ٣٢) أنه ليس برجا بالمعنى المتعارف عليه، حيث أنه تكوّن لظروف عارضة وبالمصادفة. فتكوّن هيكله من البروز الشمالى لجامع الحاكم والذى تخرج منه مئذنة. وحين وصل سور بدر الذى شيد على اتصال بالسور الشمالى للجامع الى هذا البروز كان لابد من أن ينحرف بسببه الى اليمين مسافة ٦,٩١م، ثم الى اليسار ليجرى على طول واجهته، ثم الى اليسار مرة أخري، ثم الى اليمين ليستمر غربا كما كان، ولكن على خط مستقيم يبعد جنوبا بمسافة ٣م أخري. لكن هذه ليست نهاية المطاف، حيث قام المعمار بإحاطة البروز القائم مسبقا بقدر الإمكان بإضافة قطعة على شكل حرف L تتوقف فى مواجهة الجدار الشمالى للجامع. إلا أن هذا الجزء مصمت، فى حين أن الجزء الآخر أجوف لأن الشرافة فى الجدار الساتر تمر عبره. ويبرز البرج المكون بهذه الطريقة لمسافة ٦,٩١م على الجانب الشرقي، ومسافة ٩,٧٦م على الجانب الغربي، ومساحته ٢٤,٨٠م عبر الواجهة. والشرافات فى حالة سليمة نسبيا، إلا عند الركنين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى حيث تمت إزالتها لإفساح المجال لكوات المدافع وهو ما تم فى سنة ١٨٠١ دون شك. ولكى نطوف حول المكان نترك المجاز الدفاعى وننعطف يمينا ونرتقى درجتى سلم، ثم نهبط درجتين أخريين لدى بلوغنا الطول التالى من الجدار الساتر، ونهبط درجتين أخريين لندور حول الجزء وهو على شكل حرف L. وكانت الأرضية على قمة هذا البرج منحدرة الى الخارج للصرف، وبالتالى فهناك ثلاث حنايا تلتقى عندها الأسطح.

والحلية المفلطحة الوجه التى تتوج الحافة الداخلية للسور وحتى البرج الأول بعد باب النصر تبدأ من جديد عند **الزاوية الكارة** التى يشكلها الجزء الذى يتخذ شكل حرف L مع سور جامع الحاكم وتتوج واجهتيه الجنوبية والغربية وترتفع لمسافة ٤٨سم بجوار درجتى السلم اللتين أشرنا اليهما منذ قليل ويقعان على خط واحد مع الحافة الداخلية للجدار الساتر، ثم تستمر على طول هذا الجدار (كان هناك سور ذو فتحة حلقية من الآجر والدبش بارتفاع يناهز الثلاثة أمتار يرتفع فوق هذا الإفريز الى أن تمت إزالته بأوائل ١٩٤٢).

أما النقش الكبير الذى يحمل التاريخ والذى يبدأ عند **الزاوية الكارة** التى تكونت عند الجانب الشرقى من

باب الفتوح، فيجرى على طول الجدار الساتر ثم يستمر على طول الواجهتين الغربية والشمالية من هذا البرج الكبير، ويبلغ طوله الكلى ٥٩م (اللوحتان ٦١أ، ٦٢ب). وتبرز الحروف الكوفية الكبيرة المستديرة في مقطعها بما لايقل عن ٢ سم، والمساحة التى تم نقشه عليها وعرضها ٣٠سم غائرة بمقدار ٣سم كما يتبين من الشكل (٨٨). وقد نقشت هذه الحروف على صف من المداميك الرخامية البيضاء زال عنه لونه بفعل الزمن وارتفاعه ٣٦سم. على أية حال فالجزء المكشوف منه لا يزيد عن ٣٠سم إذ يحجبه بروز أو شفة مشطوفة بسمك ٤سم وعمق ٣سم تركت على مداميك الصف التالى من أسفل ومن أعلي. ولم يعتبر ذلك كافيا لسبب أو لآخر، فتمت إضافة تأمين آخر عبارة عن ٤٢ مسمارا برونزيا قطر كل منها ٢,٥سم وطوله ٥١سم وبرؤوس مستديرة كبيرة تغوص فى المداميك الرخامية وفى داخل البناء الذى يقع خلفها. وتم العثور على اثنين من هذه المسامير فى موضعهما الأصلى بعد إزالة البيوت التى كانت تحجب هذا النقش تماما فى سنة ١٩٤٢. وكانت الثقوب الأربعون بحوافها المستديرة والتى اختفت منها المسامير تبدو وكأن الهدف منها إبراز الفراغات الخالية من الزخارف فى خلفية النقش؛ إلا أن اكتشاف المسمارين لايزال يقدم التفسير الحقيقي. ولدينا مايرر افتراض أن رؤوسها المستديرة الكبيرة كانت مذهبة. وحسب علمى فإن هذا هو النموذج الوحيد الذى احتفظ بالمداميك التى نقشت عليها نقوش.

القطاع (هـ)

عندما نترك منصة باب الفتوح، نجد مسافة قصيرة من الجدار الساتر (يبدأ هذا الجدار بسمك ٤,٨٢م لكنه يضيق الى أن يبلغ سمكه ٤,٦٣م عند وصوله الى البرج التالي) تميل لعدة درجات أخرى تجاه الجنوب يؤدى بنا الى برج مربع ضخم بدرج سلم متقن البناء بالركن الجنوبى الشرقي. وحافته الداخلية متوجة بحلية ربع دائرية تشكل فى الوقت نفسه حاجز شرفة ارتفاعه ٣٨سم. والشرافات على الحافة الخارجية تختلف عن نظيراتها التى مررنا بها لتونا، حيث ليس هناك إلا مدماكين ونصف مدماك تحت الأسكفات، والشرافات نفسها بما لها من قمم نصف دائرية تحاذى واجهتى الجزء السفلى وجميعها تقريبا تشكل وحدة واحدة. ويجرى هذا النوع حول الأضلاع الخارجية للبرج المربع الكبير إلا بعد أن تم صنع كوات المدافع. وكانت كلها مسدودة بالآجر العشوائى الى أن تم إخلاؤها قبل ١٥ عاما.

الشرفة الداخلية

ونعود الآن الى الشرفة الداخلية التى سبق وصفها وحتى بروز المئذنة الكبير (شكل ٩١). ونظرا لأن هذا البروز لايعد برجا، بل مجرد حلقة بنى على حافتها الداخلية المكعب العلوى لبروز جامع الحاكم، فليس هناك حجرات مقبية داخله كما هو الحال فى البرج الذى يقع خلف باب الفتوح. وتنعطف الشرفة يمينا وتهبط ثلاث درجات ثم درجتين أخريين (لوحة ٦١ب) تنعطف بعدهما يسارا لتجرى على طول الواجهة الشمالية للبرج؛ ثم تنعطف يسارا مرة أخرى وتجرى على طول واجهتها الغربية الى أن تلتقى بالطرف الشرقى من شرفة الجدار الساتر بين هذا البرج وبين باب الفتوح. وتحتوى أولى المسافات التى ذكرناها لتونا على مزغل يتحكم فى الجدار الساتر، وتحتوى الثانية على ثلاث فجوات عرضها ١,٦٥م وعمق ١,٢١م يغطيها قبو فصى (لوحة ٦١جـ)، ولاتحتوى الثالثة إلا على فجوة؛ وبكل فجوة مزغل (وهنا يبرز السؤال: لماذا يتغير نوع المزغل؟ فقد ظل حتى الآن عبارة عن فتحة عميقة على شكل حرف V لا تسبقها إلا فجوة، لكنها تحتل سمك الجدار

كاملا). وكل مسافة من مسافات التقبية تلتقى بالأخرى فى حنية مائلة بسيطة إلا حين تنعطف أولا الى اليمين حيث نجد ظاهرة شديدة الغرابة، فالصنجات على الركن الخارجى تنتشر على شكل مروحى فى الأركان الأربعة الى أن يلتقى بها مثلث كروى يرتفع من الركن المقابل. ويتغير مستوى القبو عند الطرف الشمالى من المسافة الأولى فوق قلبة السلم الثانية مباشرة، ويستمر على مستوى جديد يقل بمقدار ١,٥ م، ويبدأ القبو السفلى فى عقد شبه دائرى مكثف من تسع صنجات بلا التواء (لوحة ٦١ب). وهناك ثقب تم شقه بصورة عشوائية بسقف الثانية يمكننا من رؤية البناء الذى يعلوه ويبلغ سمكه حوالى ٢,٨٠ م، وهناك ثقب مماثل عند بداية المسافة التى تجرى الى باب الفتوح (وربما تم إحداث هذه الفتحات على يد هرتز لإضاءة الشرفة حيث لم يكن هناك ضوء يصل اليها من خلال المزاغل بسبب وجود البيوت المشيدة أمامها مباشرة. وحين أزيلت هذه البيوت تم سد هذه الفتحات لأن الضوء أصبح يدخلها حاليا من المزاغل كما نرى فى اللوحتين (٦١ب، جـ). وهنا نصبح خارج نطاق جامع الحاكم، ومن هذه النقطة ومابعدها تتحسن الإضاءة فى الشرفة من الداخل مما يمكننا من مشاهدة الحالة الجيدة التى لايزال عليها هذا العمل المتقن. ومن الخارج هناك ثلاث فجوات واسعة يتراوح عرضها بين ١,٦٢ و١,٦٤ م وعمقها ٨٥سم تعمل كمزاغل، ومن الداخل نجد (١) نافذتين بعرض ٤٣سم وارتفاع ١,٠٣ م برؤوس شبه دائرية منحوتة من مدماك واحد، (٢) بابا يؤدى الى الدرج الخارجي، (٣) نافذة كبيرة (G) مساحتها ١,٢٦ × ٢,١٧ م. وتفتح النافذة الأخيرة على فجوة ضحلة برأس مستطيل يحيط بحطتين من المقرنصات، وهو ثانى أقدم النماذج من هذا النوع فى مصر. ويبلغ سمك السور خارج الشرفة ١,٢٣ م ومن داخلها ١م إلا عند النافذة الثالثة حيث يبلغ سمكه ٢,٩٢ م بسبب الدرج الخارجى الذى يمر فوقه. ونظرا لأن عرض الشرفة ١,٥٦ م، كان لابد للسمك الكلى للسور عند هذه النقطة أن يبلغ ٣,٧٩ م.

وبعد صعود عشر درجات (=٢,١٢ م) تمر الشرفة فوق باب الفتوح بالطريقة التى سبق وصفها. وعندما يكتمل مجازها تنحرف الى اليسار (الجنوب) قليلا، ثم تستمر فى خط مستقيم حتى برج الدرج الكبير (لوحات ٦٩-٧١). وعلى الضلع الآخر من هذه المسافة هناك ثلاثة مزاغل مفلطحة تماما، المزغلان الأولان مقبيان والثالث مسقوف بلوح كبير عليه حروف هيروغليفية. وعلى الضلع الداخلى هناك ثلاث نوافذ عرض كل منها بين ٨٠ و٨٥سم، وارتفاعها ١,٧٨ م ولها رؤوس شبه دائرية. ويبلغ سمك السور الخارجى ١,٢٣ والداخلى ١,٨٥ م، وعرض الشرفة ١,٥٧ م؛ والإجمالى ٤,٦٥ م. وإذا انعطفنا يمينا وهبطنا درجتين نصل الى البسطة السادسة ببرج الدرج الكبير. ويتوقف القبو الاسطوانى عند هذا المنعطف الأيمن ويشغل مكانه سقف حجرى مسطح على كوابيل ويهبط درجتين كالأرضية.

برج السلم الكبير (لوحات ٦٩-٧١، شكل٨٥)

يبلغ عرض هذا البرج المربع الكبير الذى يوازى السور فى ارتفاعه ٢٦,٣٥ م وعمقه ٢٢,١٧ م. وبه بروز خارجى لمسافة ٨,٨٨ م (شرق) و٨,٣٦ (غرب) وبروز لمسافة ٨,٥٠ م (شرق) و٩,٨٩ م (غرب). ويضم درج سلم مربعا رائعا بركنه الجنوبى الشرقي، ويحتل الجانب الشرقى من البروز الداخلى بأكمله، ويصله الضوء من نافذتين كبيرتين تطلان شرقا وتواجهان جناح باب الفتوح. ووصفنا لهذا السلم يبدأ من أسفل الى أعلي. يقع المدخل فى الواجهة الشرقية من البروز الداخلي، بجوار **الزاوية الكارة** المكونة من الجدار الساتر والبرج. ويبلغ

عرض الباب ١,٨٧م وارتفاعه ٢,٩٠م، وتمر من فوقه أسكفة جرانيتية ضخمة عليها صورة آدمية وحروف هيروغليفية (لوحة ٧١أ، شكل ٩٤). وقد عانى البناء فوقه أضرارا بالغة وأعيد ترميمه جزئيا، ولكن من المرجح أن كانت هناك كوة هلالية الشكل فى هذا الموضع أصلا حيث لانزال نرى صنجة كبيرة الى اليمين منحوتة من أسفل وأفقية من أعلي. وتتكون العتبة من كتلة حجرية من الجرانيت عليها هى الأخرى صورة آدمية وحروف هيروغليفية؛ وهى تنخفض عن المستوى الحالى للشارع بثلاثة أمتار، وتحت خط الأعمدة بأحد عشر صفا وضعت فى داخل السور الفاطمى كما سبقت الإشارة وبكامل طولها كأربطة [ميد]. والدركاه فى الداخل يقع أسفل هذه العتبة بمقدار ٧سم. وإذا كشطنا الأرضية فى الخارج سرعان مانجد أرضية حجرية تنخفض عنها بمقدار ١٦سم (وهذه الأرضية التى تقع حاليا أسفل المستوى الحالى للشارع بثلاثة أمتار هى الأرضية الأصلية بلاشك. وتبلغ المساحة من هذه الأرضية القديمة وحتى حاجز الشرفة على ظهر هذا البرج ١٥,٦٠م، وارتفاع حاجز الشرفة ٣٧سم، وبالتالى فإن مستوى السطح يبلغ ١٥,٢٣م). أما الدرج الذى يبلغ عرضه ٢,٣٠م وارتفاعه ٣,٦٢م فهو محمول حول جزء مركزى مستطيل مساحته ٣,٩٠م من الشرق الى الغرب و١,١٨م من الشمال الى الجنوب، ويغطيه قبو اسطوانى من ١١ صفا من الصنجات نصف الدائرية فى مقطعها تبدأ أفقيا ثم ترتفع بعد كل استدارات السلم بخط تقاطع مائل عند كل انعطافة. ويلتوى هذا القبو عند المنبت، والتواء الجزء الأفقى قرب المدخل أكبر منه فى أى موضع آخر. تتكون قلبة السلم الأولى من ١١ درجة تؤدى الى أول بسطة فوق الدركاه بمسافة ٢,٣٢م. وحين نصل اليها نرى مجازى باب أحدهما الى اليمين والأخرى أمامنا؛ وفوقهما عقود أفقية مكثفة مكونة من خمس صنجات بعمق ٨٧سم، ويخدمان حجرتين مقبيتين كبيرتين نبدأ فى وصفهما الآن. وبعد أربع درجات أخرى نجد فجوة عمقها ١,٤٠م تعمل كنافذة تطل جنوبا. وهناك ١١ درجة تؤدى الى بسطة حيث نجد نافذة تطل شرقا وفوقها أسكفة من الداخل ولو أنها وضعت من الخارج فى بائكة عمقها ٣٩سم وعرضها ١,٣٦م وبرأس شبه دائرية. ثم هناك أربع درجات أخرى تؤدى الى بسطة أخرى حيث نافذة مماثلة تطل شرقا أيضا. وبعد صعود ١١ درجة أخرى نصل الى البسطة الخامسة التى تحتل عرض الضلع الغربى بأكمله. وهناك فجوة بنافذة صغيرة عند طرفها الجنوبى مما يمكننا من رؤية سمك السور عند هذه النقطة والذى يبلغ ٢,١٩م. وهناك ١٠ درجات تؤدى الى البسطة السادسة التى تحتل كسابقتها عرض بئر السلم بأكمله؛ وبها نافذتان تطلان شرقا، ويتضح من أسكفاتها أن السور على هذا الضلع لا يزيد سمكه عن ٩٢سم. وعند الطرف الشمالى من هذه البسطة، نجد بابا عرضه ١,٧٦م وهو مخرج الشرفة الداخلية للسور والتى تنتهى عند هذا الموضع. وإذا صعدنا عشر درجات أخرى نصل الى البسطة السابعة. وهذه الدرجات العشر مفتوحة الى السماء حيث ينتهى القبو الاسطوانى بعقد نصف دائرى ضخم مكون من ١١ صنجة. ومن هذه البسطة التى تحتل المسافة الكاملة لجانب من بئر السلم نصل الى منصة البرج بعد ٦ درجات أخرى.

نعود الآن الى الحجرتين اللتين يتم دخولهما من البسطة الأولى (كانت مداخل هاتين الحجرتين حتى عشرين عاما مضت مسدودة بمنحدر من النفايات التى يحتمل أن تكون بقايا بناء ألقيت فى الحجرتين. ومن المرجح أن الدخول كان من خلال فتحتين إحداهما فى تاج كل قبو، ومن الواضح أنهما نحتتا عمدا وتمت تغطيتهما فيما بعد بسقف خشبي. والأرجح أن النفايات جاءت من البيوت الملتصقة بجانبى السور المتجه

غربا). والحجرة الخارجية عبارة عن قاعة بقبو اسطوانى ضخم طوله ١٨,٥٥م وعرضه ٨,٢٣م (لوحة ٧١جـ، شكل ٩٢، ٩٣)، والداخلية تشبهها لكنها أصغر ومساحتها ١٢,٦٣ × ٥,٩٣م؛ ويتم التواصل بينهما بعقدين عرضهما ٢,٨٣م وتم ثقبهما فى الجدار الفاصل بينهما. وهناك حلية مفلطحة الوجه يبلغ ارتفاعها ٣٨سم تجرى حول جدرانهما على ارتفاع ٥,٥٥م بالحجرة الكبيرة، وعلى ارتفاع ٦,٥٠م فى الحجرة الأصغر، ويرتفع فوقها قبو اسطوانى شبه دائرى يجرى شرقا وغربا. وتنبت هذه الأقبية من ظهر الحلية المفلطحة الوجه لا من حافتها الأمامية. وفى الحجرة الخارجية عند كل طرف تحت القبو نجد فتحة مستطيلة للضوء بأسكفة منحدرة، وفى الحجرة الداخلية ليس هناك سوى فتحة واحدة على الطرف الغربي.

تضم الحجرة الخارجية خمس فجوات تخدم خمسة مزاغل، ثلاث بالواجهة الخارجية وواحدة بكل من الجناحين. ونظرا للسمك الكبير الذى تتميز به الجدران (حوالى ٤م) فإن هذه الفجوات شديدة العمق (٢,٦٢م)؛ وفوقها قبو اسطوانى مرتفع، المزغل فى الخلف (بعمق ١,٣٠م) يتم الوصول اليه بعدة درجات (شكل ٩٢). وهناك صف يجرى من أطراف الأعمدة حول هذه الحجرة فى الصف الثانى أسفل الإفريز ويرى بعضها على الضلع الجنوبى من الحجرة الأصغر أيضا. وليس بالحجرة الداخلية مزاغل، إلا أن هناك ثلاث فجوات عميقة بأسكفات مرتفعة وأسقف عالية؛ وهى تخدم فتحات ضيقة تهدف الى السماح للضوء بالنفاذ. وتم سد اثنتين منها بالدبش، لكن إحداها مسدودة من الخارج ببيت (تمت إزالته حاليا). وهاتان القاعتان مظلمتان للغاية حاليا، ولكن يمكن إضاءتهما تماما لو تم إخلاء كل النوافذ والمزاغل مما يسدها (وقد تم فتحها جميعها حاليا).

ونعود الآن الى المنصة؛ فيضم الجزء الأمامى شرافات سبق وصفها، فى حين أن الجزء الخلفى به حاجز شرفة بحلية ربع دائرية مما يعد استمرارا للحلية التى نراها على المسافة الأخيرة من الجدار الساتر.

القطاع (و)

للاستمرار غربا مع السور يجب أن ندخل دركاة صغيرة مساحتها ٣,٤٠ × ١,٤٥م من الداخل (شكل ٨٦)، وتتكون من جدران جانبية يزيد سمكها عن المتر، بينها قلبة سلم من ٦ درجات وبسطة طولها ١,٤٤م بباب على آخر الأضلاع. وهذه البسطة وكذلك الدرجة السفلية فوقهما سقف مسطح يتكون من مداميك حجرية (لو تفحصنا قمة هذا السقف نلاحظ أن جزءا منه لا يتكون إلا من دبش، وهو مايوحى بأن هناك صفا آخر من المداميك الجيدة التكسية تمتد الى الشرق وتغطى درجات السلم الباقية). ولدى مرورنا من خلال الباب نجد بسطة أخرى طولها ٣,٠٨م وقلبة سلم من ثلاث درجات تهبط بنا الى المجاز الدفاعى الذى يقع أسفل منصة البرج بمسافة ٢,١٦م (تهبط قلبة السلم الأولى مسافة ١,٣٢م وتنحدر البسطة الثانية بمقدار ٦م). ويحمى هذا الجزء من الخارج جدار ساتر عال يخترقه مزغلان وتتوجه أحجار تاجية جمالونية الشكل. والحلية الربع دائرية التى تجرى حول الجانب الخلفى من الدرج تنعطف يمينا لدى تماسها مع ضلع الدركاه، ثم تهبط مسافة ١,١٣م ثم تستمر أفقيا؛ ولعلها تهبط مرة أخرى بعد قليل الى مستوى المجاز الدفاعي، لكن هذا الجزء يختفى وراء منزل مشيد.

وبعد الجدار الساتر نصل الى شريط طويل من الشرافات فى حالة جيدة، إلا أنه مسدود بالطوب ليشكل فتحات حلقية لإطلاق النار (تمت تخليتها مؤخرا). وتتوج الحافة الداخلية من السور حلية ربع دائرية محاذية

للأرضية وينبغى أن تكون مفتوحة تماما، إلا أن هناك جدارا ذا فتحات حلقية من الآجر والدبش بنته فى هذا الموضع الحملة الفرنسية. وتنحدر الأرضية نحو حافتها الداخلية لأعراض الصرف.

البرج ذو الواجهة المستديرة

على مسافة ٥٢,٤٤م من البرج الأخير نصل الى برج آخر يختلف تماما من حيث الشكل عن أى برج صادفناه (لوحتان ١٢٤، ١٢٥، شكل ٩٥)، لأن به جزءا خلفيا مستطيلا تقريبا يبلغ عرضه ١١,٦٢م وجزءا على شكل ثلاثة أرباع دائرة يصل قطره فى أقصاه الي٩,٣٠م، وتم تنفيذ المنطقة الانتقالية كما هو مبين. فمساحته ١٥,٨٤م من الجزء الخلفى الى الأمامي، وتم وضعه بحيث يبرز بمقدار ٣م تقريبا عن الواجهة الخلفية للسور. ويبلغ ارتفاعه من أسكفة المدخل المؤدى الى الدرج وحتى قمة حاجز الشرفة ١٧,٢٩م، ويرتفع على المجاز الدفاعى بمسافة ٨,٤٨م. وتجرى الحلية الربع دائرية التى تتوج الواجهة الخلفية للجدار الساتر بين البرجين حول النتوء الداخلى لهذا البرج وتستمر على طول الجدار الساتر التالي. وفيماعدا الدرج الذى وصفناه لتونا والذى يجرى الى أعلى من داخله من الخلف، فهو مصمت حتى مستوى المجاز الدفاعي، أو بالأحرى حتى نقطة تعلوه بمسافة ٢٢سم لأن أرضيته شديدة الارتفاع.

وندخل المجاز الدفاعى من خلال مجاز به قبو اسطوانى نصف دائري، وليس هناك مايدل على وجود باب سوى إطار خشبى حديث نسبيا، ثم نجد أنفسنا فى قاعة **مقبية بقبو اسطوانى** يبلغ عرضها ٥,٦٩م وطولها ١١,١٦م وارتفاعها ٥,٤٥م بطرف أمامى نصف دائرى (لوحة ١٢٤ب، شكل ٩٥). وهناك خمس **فجوات مقبية بقبو اسطوانى** تعمل كمزاغل تم تحويرها جميعا لتشكل كوات لمدافع نابليون الميدانية؛ وكل هذه **الفجوات** تفتح من الجزء المستدير وكلها تعلو عن الأرض بمسافة ٢٧سم، وفى حالات ثلاث نجد أن القبو الاسطوانى مدبب قليلا. وخلف هذه الحجرة نجد فجوة صغيرة فوقها قبو بالتواء ٥سم عند المنبت، وتضيئه نافذة عرضها ٤٧سم وارتفاعها ٨٢سم تطل جنوبا. وهناك درج عرضه ١,٢٢م يفتح على اليمين فى الخلف.

ونهبط ١٤ درجة الى بسطة تضيئها نافذة مساحتها ٢٦ × ٦٩سم بأسكفة مقوسة تطل جنوبا، ونافذتان مماثلتان (مسورتان) تطلان غربا، وبعدها يتضاعف الدرج ويجرى الى أسفل نحو الشارع (وهناك ٢٤ درجة فى هذه القلبة الثانية لم تتم تخلية الجزء السفلى منها من بقايا الحجارة إلا حديثا) حيث نجد بابا مغلقا أمام الجدار بين البرجين (وأسكفة هذا الباب على مستوى موازٍ للأرض ولكن بارتفاع مستوى الأرضية بمالايقل عن ٣م، فمن المرجح أن كانت هناك قلبة سلم على الجدار بين البرجين وتصعد اليه، كما هو الحال بباب النصر). ويبلغ ارتفاع البرج من أسكفة هذا الباب وحتى قمة حاجز الشرفة ١٧,٢٩م.

ونعود الآن الى القاعة المقبية الكبيرة. وهناك مجاز **مقبى بقبو اسطوانى** يشبه نظيره الذى دخلنا منه ويؤدى الى المسافة التالية من المجاز. ويفتح الدرج المؤدى الى السطح من الضلع الأيسر من هذا المجاز، ويفسر وجوده السبب فى زيادة سمك هذا البرج عن الآخر. ويتميز هذا المجاز بقدر من الانحراف، مما يؤدى الى وجود شذوذ آخر.

للوصول الى **المنصة العليا** نصعد خمس درجات الى بسطة تضيئها نافذة تطل جنوبا وتبلغ مساحتها ٣٦ × ٨٤سم. وهناك قلبة سلم أخرى تتكون من ١٩ درجة بزاوية يمنى بالنسبة للأولى تأخذنا الى قمة البرج. ولاتزال الأرضية الأصلية المكونة من مداميك ضخمة فى حالة ممتازة، إلا أن كل الشرافات الأصلية تمت إزالتها فى ١٨٠٠/١٨٠١ على الأرجح ليحل محلها حاجز شرفة ارتفاعه ١,٨٦م بكوات مفلطحة للمدافع.

القطاع (ز)

إذا تركنا هذا البرج وواصلنا باتجاه الغرب نجد بسطة طولها ٢,٣٨م تليها ثلاث درجات الى أسفل، وفوقها جميعا جدار فاصل يخترقه مزغلان وتتوجه أحجار تاجية جمالونية. ويبلغ سمك هذا الجدار ٤,٠٥م ويسير مستقيما تماما، وتبلغ المسافة من برج الى آخر ٨٩,٠٤م؛ وفى منتصف المسافة تماما نجد **مرحاضا [سقاطة] بـــارزا** عرضه ٤,٨٠م ويرتكز على خمسة كوابيل كنظيره بجوار باب النصر، عدا أن الكوابيل أشد خلوا من الزخارف (لوحة ١٢٥ ب).

وصفنا حتى الآن مسافتين بالجدار بين البرجين وبرجا دون أن نقدم ما يبرر اعتبارنا إياها ضمن أعمال بدر الجمالي. فقد قررنا أن نقدم وصفها أولا ثم نناقش تاريخ إنشائها بعد ذلك بناء على ما طرأ على تكسية بنائها من تغيرات.

تم تشييد السور الكائن الى الغرب من برج السلم ببناء أملس فى البداية، لكنه سرعان ما تم تحويله الى مداميك مسنمة بحواف مستدقة الطرف وعريضة. ويبدأ خط نقطة الالتقاء على بعد متر واحد غرب الجدار الفاصل الخاص بالدرج المؤدى الى أسفل نحو المجاز الدفاعي، وينحدر من الشرق الى الغرب، ثم يبدو على السور مايلي: صفان علويان أملسان وخمسة صفوف مسنمة والثلاثة أخماس ارتفاع السور الباقية ملساء. ثم يختفى السور وراء المنازل (تمت إزالتها مؤخرا)، لكنه سرعان ما يعاود الظهور ويستمر بنفس تكوينه السابق الذكر وحتى البرج النصف دائرى حيث يستمر التسنيم على نفس المستوى وأعلاه وحتى أسكفات كوات المدافع التى صنعها نابليون على قمة البرج. وينطبق نفس هذا الوصف على ظهر البرج، عدا أن هناك حلية تفصل الجزء العلوى المسنم عن الجزء السفلى الأملس. ويمكن رؤية أطراف الأعمدة المستخدمة كأربطة [ميد] حول سفح هذا البرج. ويمر من فوق كل الفتحات (عدا ثلاثة من فجوات المزاغل) عقود نصف دائرية، والقبو الاسطوانى الكبير بالداخل يعد من هذا القطاع أيضا. والى الغرب من هذا البرج نجد أن الصفوف الثلاثة الأولى أسفل الشرافات ملساء؛ ويستمر الجزء المسنم على نفس المستوى لمسافة ٩ أو ١٠م، ثم يسير بسرعة هابطا نحو الأرض، لكن أطراف الأعمدة لاتزال مرئية عند الفواصل الى أن نصبح على بعد ١٣-١٤م غرب **المرحاض [السقاطة] البارز** الذى يقع فى منتصف هذا الجدار تقريبا. وعند هذه النقطة تتوقف ونرى تغيرا ملحوظا فى أسلوب البناء، فحتى الأحجار طرأ عليها تغيير واضح بسبب الجو. والصفوف أكثر ضحالة ولا تتفق من حيث المستوى مع نظيراتها بالقسم السابق. ونلاحظ نفس الفاصل المميز على الضلع الداخلى للسور عند نفس النقطة بفارق أن البناء يتوقف ويتسنم ويتكون من مداميك صغيرة مكسوة وملساء كالواجهة الداخلية لبرج الظفر (لوحة ١٢٤ جـ). وأقبية البرج الخماسى المائل نحو الجنوب الغربى مدببة فى مقطعها، وبالتالى فإن هناك تغيرين متميزين فى أسلوب البناء، أحدهما بعد البرج المربع الكبير، والآخر على بعد حوالى ٢٨-٣٠م الى الشرق من البرج الخماسى الكبير بالزاوية الشمالية الغربية. وفى التغير الأخير لانلاحظ تغيرا وحسب، بل تبديلا تاما فى أسلوب البناء. فإلى أى حقبة ننسبها؟ أما السور بعد التغيير الثانى فالأرجح أنه ينسب لصلاح الدين نظرا لوجود الأقبية المدببة بالبرج الخماسى وأسلوب البناء نفسه حيث أنه مسنم من الخارج ويتكون من مداميك ملساء صغيرة من الداخل كبرج الظفر. من ثم أجدنى أميل الى نسبته للمرحلة الثانية من أعمال صلاح الدين، حيث يذكر المقريزى أنه قام بمد سور بدر من الجزء الذى يسير من باب القنطرة الى باب الشعرية وماوراءه الى

باب البحر حيث كان ينتهى ببروز كبير يرتكز على النيل، برج المقس (الخطط، جـ١ ، ص٣٧٩) الذى كان فى مكان جامع أولاد عنان قرب المكان الذى ينتهى عنده شارعا نوبار باشا [شارع الجمهورية] وكلوت بك فى مواجهة محطة مصر [ميدان رمسيس]. فهل علينا أن ننسب الجزء الأول الى بدر بناء على العقود نصف الدائرية وقبو البرج نصف الدائرى الكبير والأعمدة المرصوصة كأربطة [ميد]، أم الى المرحلة الأولى من أعمال صلاح الدين على الرغم من تسنيم السور على كلا جانبيه بما يخالف أى جزء آخر من أعماله؟

هذا تساؤل يمكن الرد عليه بسهولة. فالمداميك بها استدقاق فى الطرف بعرض ٨سم حول الحواف ولا يزيد بروز الجزء المسنم عن نصف سنتيمتر تقريبا، وهو مايختلف عن كل ماتم العثور عليه من أعمال صلاح الدين سواء بالجزء الخاص به فى السور أو القلعة. لكن هذا ليس كل شئ؛ فهو ليس مسألة تكسية عادية تم تنفيذها بصورة عامة، بل بمواد مستعارة، لأن الأحجار لاتعامل بهذه الطريقة؛ فهى مختلطة بمداميك ملساء التكسية. فنجد مثلا مداميك مسنمة غريبة فى الممر الصغير الذى غادرنا عبره برج السلم، أحدها على الضلع الجنوبى وثلاثة أخر على الضلع الشمالي. ومرة أخرى إذا نظرنا الى جانب البرج ذو الواجهة المستديرة من المجاز الدفاعى نلاحظ نفس المزيج (لوحة ١٢٤أ). وإذا دخلناه نلاحظ وجود نفس المزيج فى بناء الجدران حيث يمتزج عدد كبير من المداميك الملساء بغيرها وهو ما يمكن رؤيته فى المقطع (شكل ٩٥). ويمكن رؤية عدد قليل من المداميك غير المشذبة بالفجوات وتنعدم فى القبو الحجرى المنحوت. وإذا ارتقينا السلم الى السطح لانكاد نرى أى مدماك مسنم فى قلبة السلم الثانية الطويلة.

سبق أن رأينا فى الجزء السابق من السور عددا من المداميك تظهر عليها حروف هيروغليفية منها: (أ) على الدرج الحلزونى المؤدى الى منصة باب النصر فوق النافذة الأخيرة؛ (ب) على قمة الحلية الربع دائرية عند الركن الجنوبى من بروز الدرج؛ (جـ) على اللوح المستخدم فى تغطية المزغل الأخير فى الشرفة بين باب الفتوح وبرج الدرج؛ (ء-هـ) على الأسكفة الجرانيتية وعتبة المدخل المؤدى الى الدرج بنفس البرج؛ (و-ز) على ثلاثة مداميك أحدها على البسطة السادسة أسفل النافذة اليسري، واثنان على قلبة السلم الأخيرة؛ (حـ) على مدماك بالأرضية على قمة نفس البرج بالقرب من الركن الجنوبى الشرقي؛ (ط) على مدماك ضخم يشكل جزءا من الدرجة الثانية بعد مغادرة برج الدرج والتقدم غربا.

وقام السيد إدواردز من المتحف البريطاني بفحص هذه المداميك بناء على طلب مني، وأخبرنى أن رقم ٩ يتضمن الجزء الأسفل من خرطوش الملك رمسيس الثانى من الأسرة التاسعة عشر ويحتوى على إهداء لبتاح إله الخليقة عند قدماء المصريين. ويضم رقم (٣) أيضا أجزاء من أربعة خراطيش تحوى اسم نفس هذا الملك. ويمكن إرجاع (١) و (٢) الى نفس الحقبة ولو أنها لا تحتوى على أسماء ملكية. ورقما (٤) و (٥) أجزاء من دعامة جرانيتية وردية منشورة من نصفها أسفل المحور الأطول، وكانت كل قطعة منها تضم فى الأصل مشهدا منحوتا نحتا بارزا للملك يقدم القرابين للآلهة. وعلى (٥) من الخارج صورة للإله آمون رع وخرطوش تحتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشر، ومن الداخل صورة فى حالة جيدة لهذا الملك. وعلى (٤) نجد الجزء الأسفل من صورة للإله بتاح يتلقى القرابين من أمنحتب الثالث ولو أن اسمه ممسوح تماما فى الخرطوش بالنقش التذكاري. أما (٦) فهى عبارة عن مدماك صغير يضم صورة لفرس النهر منحوتة نحتا بارزا، وقد يرجع للأسرة الثامنة عشر. والرقمان (٧) و (٨) ينتميان لنفس الحقبة وبهما الجزء الأسفل من صورة لأحد

الملوك وضعت مقلوبة، ومشهدا مقسما الى ثلاث خانات لثيران سمينة ولحاملى القرابين وهم يقتربون من مقبرة صاحبهم (تم نشر المدماكين «٦ و ٨» و «حـ» على يد *Drower* فى المجلد التاسع من *Antiquity* (١٩٣٥) ص٣٥٠-٣٥١، وهو ينسبهما الى الدولة القديمة).

أما أصل هذه المداميك فهو مسألة تخمين، إلا أن وجود الإله بتاح على أكثر من واحد منها يوحى بأن بعضها أتى من منف حيث كان لبتاح قدسية خاصة، ولكن من نافلة القول أنها جميعا ترجع الى مصدر واحد.

يتضح من ثم أن بدر الجمالى كان يستمد مواد البناء بحرية من موقع أثرى عتيق يحتمل أن يكون منف وربما الجيزة أو هليوبوليس؛ كذلك فمن المرجح أنه استمد مادته فى تشييد المبنى غرب برج السلم من مصدر آخر أيضا، ومزج كل ما استمده ثم بدأ فى استخدامه حتى ما وراء البرج ذى الواجهة المستديرة ولم يستخدمه فى المداميك الثلاثة العلوية أسفل الشرافات.

إذن فالتغير فى البناء فى هذه الحالة لا يعنى تغييرا فى التاريخ، ولا يساورنى أدنى شك فى نسبة القطاع (ز) بأكمله والبرج ذو الواجهة المستديرة والخمسين أو الستين مترا الأولى من القطاع (جـ) الى بدر الجمالي.

الفصل الحادى عشر

حصون بدر الجمالى الفاطمية (تابع)

باب زويلة

وصفه

يتكون باب زويلة (رقم ١٩٩ على الخريطة) كنظيره الوثيق الصلة به باب الفتوح، من **مجاز** معقود ضخم يبلغ عرضه ٤,٨٤م يدافع عنه برجان مستطيلان مستديرا الواجهة مصمتان لمسافة ثلثى ارتفاعهما (ويرتفع مستوى الأرضية فيهما عن المستوى القديم للشارع بـ ١٦م، وكان إجمالى ارتفاعهما ٢٣,٧٠م)، ويفصل بينهما ٩,١٧م (لوحات ٧٢ –٧٦، أشكال ٩٦–٩٩). وخلف **قنطرة العقد** هناك **مجاز** تغطيه قبة ضحلة على مثلثات كروية تدعم **المنصة الكبيرة** التى تمتد وراء الواجهة الخلفية العليا لكل من البرجين. **وهذه المنصة** مفتوحة على كل أضلاعها عدا الجنوبي، وتمر فوقها ثلاثة عقود؛ العقدان الخارجيان منها يؤديان الى حجرات فى الأجزاء العليا من البرجين، ويؤدى العقد الأوسط الى المنظرة المقببة فوق البوابة. وفى أعلى الحجرتين والمنظرة المقببة نجد منصة ثانية تتوجها الشرافات ويقوم عليها سلم فى الركن الشمالى الشرقى منها. ويبلغ عرض البناء كله ٢٥,٧٢م من الخلف الى الأمام، وارتفاعه ٢٠,١٠م من مستوى الطريق الحالى وحتى قمة الشرافات، أو ٢٣,٧٠م من مستوى الطريق الأصلى (انظر اللوحتان ٧٢، ٧٣).

كيفية بناؤه

وطراز بنائه مميز حيث يبلغ ارتفاع مداميك البناء حوالى ٥٤سم والأحجار الجانبية بين ٩٠سم و١,٢٠م، واللبنات بين ٢٨ و٣٥سم. ونرى مرة أخرى سلسلة الدوائر وقد–وضعت أطراف الأعمدة فى قلب الدبش كرباط– تجرى حول البرجين ومجاز البوابة عند الصف السابع من مستوى الأرضية. ولاشئ يمكن رؤيته على الواجهة الخلفية حيث يختفى النصف الشرقى وراء بعض البيوت، وأصيب النصف الغربى بأضرار وتعرض للتشوه بسبب الدكاكين التى أنشئت فيه. وهناك فارق غير متوقع بين بناء مجاز البوابة هذا وبين المجازين الآخرين، وهو أن حواف المداميك غير مشطوفة. وقد صمد البناء للعوامل الجوية لدرجة متميزة على الواجهتين البرجين الأماميتين وأجنحتهما الداخلية والمجاز والقبة والواجهة الخلفية. أما الجناح الخارجى للبرج الغربى فلم يصمد لعوامل الجو تماما، بينما عانى إفريز **المنصة الخلفية** الكبرى على الجانب الشرقى والواجهة الخلفية للبرج الشرقى أضرارا بالغة فى بعض أجزائهما.

الأبراج

ذات واجهات مستديرة ولكنها ليست نصف دائرية فى تخطيطها، بل تتكون من جزء من دائرة فقط. ولما اكتشفت أن برجى باب الفتوح المستديرى الواجهة يرتكزان على قاعدتين مستطيلتين بحليات جميلة زاد شغفى للتعرف على مالإذا كانت نفس السمة تنطبق على باب زويلة. ووافق خيرى بك الذى كان مديرا لإدارة التنظيمات بالقاهرة آنذاك على عمل التنقيب اللازم فى فبراير ١٩٣٨، ووقع الاختيار على الضلع الغربى من البرج الغربي. وتم اكتشاف ما يلي؛ كان مستوى الشارع القديم ٣,٩٦م أسفل الصف الأول الظاهر فوق الأرضية (تم اتخاذه

معيارا أوليا) أو ٣,١٠م تقريبا تحت المستوى الحالى للطريق (وهو مايمثل ارتفاعا يبلغ ٣٦سم تقريبا، ويبلغ مستوى الطريق الأصلى أمام جامع الصالح طلائع القريب ٣,٠٥م تحت المستوى الحالي). وبناء على هذا فإن الارتفاع الحقيقى **لمجاز البوابة** ٢٣,٧٠م، وترتكز واجهة البرج المستديرة على قاعدة مستطيلة يبلغ ارتفاعها الكلى ١,١٩م، وهى غفل من أية حلية. ويبدأ الجزء نصف الدائرى فجأة وبلا أى منحدر على الأركان، إلا أن قاعدتها تحيط بها حلية رائعة عرضها ٤٦سم (لوحة ٧٥). فهل لنا أن نستنتج من مستوى الشارع القديم أن فتحة **مجاز البوابة** كانت أعلى من نظيرتها الحالية بثلاثة أمتار؟ هذا أمر غير ممكن، لأن معناه تغيير النسب الراهنة بصورة جذرية بمعدل ٣:٢ تقريبا. كما أننا سبق أن رأينا من قبل أن المقريزى يشير صراحة الى **منحدر جوانيتى** كان يؤدى الى **مجاز البوابة**، وبالتالى فمن المحتمل أن أسكفته الأصلية لم تكن أدنى من السطح الحالى للشارع بكثير.

والجناحان الخارجيان لهذين البرجين يحجبهما من الغرب جامع المؤيد، ومن الشرق صف من البيوت تمثل واجهاتها صورة رائعة بما فيها من مشربيات. أما الجانب الغربى فعلى الرغم من احتجابه عن النظر من الشارع إلا أنه يمكن رؤيته بعبور حرم الجامع والدخول فى بئر السلم المربع الكبير والحديث الذى يؤدى الى قمة **مجاز البوابة**. وهنا نلاحظ خلوه التام من الزخارف فيماعدا حشوة ضخمة ضحلة بقمة معقودة ومدببة أو تكاد، وهو مايذكرنا بنظيره بباب الفتوح، ولكن بمعدل أكبر وأكثر خلوا من الزخارف. ويمكن أن نلاحظ هنا الحافة المكسورة من سور المدينة الذى كان يبدأ من هذه النقطة (شكل ٩٧)؛ وهذه الحافة المكسورة ناجمة بالطبع عن إزالة مسافة كبيرة من السور على يد السلطان المؤيد فى سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م) حين كان يقوم بتخلية موقع لجامعه الضخم. والأرجح أن **الجناح الخارجى** للبرج الشرقى كان شبيها بذلك، حيث يمكن رؤية قمة حشوة ترتفع فوق السطح المسطح للبيت المجاور له.

والأجنحة الداخلية للبرجين مزخرفة بحشوتين معقودتين ضحلتين مماثلتين، إحداهما داخل الأخرى (لوحتان ٧٢ جـ، ء). وبداخلهما حشوة أصغر كثيرا تتكون من عقد مدبب ينبت على ضلعى عقد نصف دائرى يقف على طرفه على كابولى ربع دائرة يمتزج بالعقد. ويتكون العقد العلوى من تسع صنج، ويتكون العقدان الجانبيان من خمسة صنج. ويتميز العقد العلوى بحافته المروحية الشكل، فى حين أن العقدين الجانبيين يفتقران الى هذه السمة، لكن صنج العقود الثلاثة جميعا تتميز بحافتها ذات الطرف المستدق المزدوج. والصنجة المفتاحية بالعقد العلوى مزخرفة بجامة بسيطة لكنها مؤثرة -فتتكون نجمة من ثمانية صفوف على أثر تداخل الدوائر الثمانى الدائرية. وهى تشبه الجامات التى نراها على تروس باب النصر والتى تتكون من ستة فصوص فقط. وفى الحشوة تحت قمة هذا العقد مباشرة نجد جامة عظيمة لاتزال على نفس حدتها وجدّتها التى كانت عليها يوم أن تم حفرها. وأساسها نجمة ثمانية متداخلة مع زهرة عباد شمس فى الوسط؛ وتتصل الذيول الثمانية التبادلية فيما بينها بأشباه دوائر، وهكذا يلعب الفرجار دورا مهما هنا أيضا. وتم إدخال حد النجمة الثانية بين النجمة الرئيسية والفصوص. وهذه الحشوة الوسطى ونظيرتها الأكبر المحيطة بها تنتهى من أسفل، كما هو الحال بباب الفتوح، بشطفة بارزة، وترتفع حافتها السفلية عن الأرضية حاليا بحوالى ٨٠سم.

وهناك شريط جصى ضيق عرضه ٢٣سم يجرى الى أعلى على كل من **ضلعى الزاوية الكارة** المكونة من البرجين ومجاز البوابة. ولاتزال هذه الأشرطة الأربعة تحتفظ فى معظم الحالات بزخارف واضحة وبنوع من أنواع الجدائل (لوحة ٧٢ب)، إلا أن هذه الزخارف لاتستمر بأى منها الى درجة أعلى من ٢,٢٥م عن الأرضية؛ وفى ثلاثة أو أربعة مواضع نجد أنها تصل الى هذه النقطة ثم تتوقف تماما. فهل هى زخارف لم تكتمل؟

وفى الجزء العلوى من كل برج وفوق الحشوة المعقودة الكبيرة، هناك فتحة نافذة عادية مما كان يعد فيما مضى

حجرة البرج، وفوقها عقد معشق ومسطح والجزء الأمامي منه نصف دائرى فى تخطيطه، ويساعد على تدعيم نصف قبة تشع صنجها على شكل مروحي من مدماك حامل صغير في الخلف (لوحة ٧٥). وتحتوى الشرافات التى تجرى حول كلا البرجين وعبر قمة مجاز البوابة على قمم نصف دائرية تبدو أحدث من بقية البناء (فهى من عمل اللجنة، إذ أن لديّ صورة فوتوغرافية التقطت فى ثمانينيات القرن التاسع عشر تبدو فيها قمة البرجين والجسر الموصل بينهما خالية من الشرافات. ولايبدو أى منها تحت القبو حيث كان يشغل مكانه منزل آنذاك).

ويحيط بالواجهة المنحنية لكل من البرجين إطار مستطيل بدون حلية يرتكز على زوج من الكوابيل وحوافه العليا على نفس مستوى قمة الحشوات الخارجية المعقودة على الجناحين. والجزء الأول من هذا العقد بدون حلية؛ ويرتفع خلال تسعة صفوف ثم ينعطف بزاوية يمنى ويجرى طول الصف العاشر، هذا الجزء وسائر الأجزاء كلها مزخرفة. ثم ينعطف مرتين أخريين بزوايا يمنى ليشكل إطارا معقودا مدببا كما يتضح فى اللوحتين (٧٢-٧٣). ولايزال من الممكن تمييز ثلاثة مزاغل بالجزء العلوى من الواجهة المنحنية لكل برج.

البوابـــة

فيما بين البرجين اللذين يفصل بينهما ٩,١٧م، نجد العقد **المدبب قليلا والضخم** الذى يعمل كإطار للعتب ذو الصنجات المعشقة الشبيه بعقد **البوابة** نفسها (لوحة ٧٤أ). وتتجه الصنج الخمس الأولى على كل من الجانبين الى الإطار الذى يشكله البرجان، ويتكون كل منها من مدماكين؛ وبنيت بقية العقد فى حلقتين متحدتى المركز بصنجات غير معشقة وبصنجة مفتاحية. وهناك مزغـل لإطـلاق النار عرضـه ٣٠سم منحوت فى الجزء الخلفى من هذا العقد، وينقسم الجزء العلوى منها الى خمس فتحات مستقلة بينها جدران متقاطعة ضخمة كما هو الحال فى باب الفتوح (وهنا يؤكد هوتكير على وجود متراس فيما مضي، لكن هذا ليس صحيحا، لأن المزغل شديد الضيق ولايسهل قياس عرضه من أعلى لأن الفتحتين الخارجيتين مسدودتان بحاجز الشرفة؛ ولكن إذا وقفنا تحته يمكن إدراك أنه أضيق من فتحة مجاز البوابة بحوالى ١٥سم). وتمت إقامة **مجاز البوابة** نفسه داخل هذا الإطار المعقود على مسافة ١,٢٥م الى الوراء. وعرض **مجاز البوابة** ٤,٨٤م (وهو متطابق مع باب الفتوح تماما)، وفوقه عقد من ١٥ صنجة، بكل منها تعشيقة بارزة (عدا الصنجة الخارجية على كل من الجانبين) أفقية من أعلاها ومنحوتة لتتحول الى منحنى بنصف قطر كبير من أسفلها، ووضعت فى داخل إطار ضحل تكوّن بعقد مدبب قليلا ومكون من ١٨ صنجة إحداها صنجة مفتاحية (وهى سمة لم تلاحظ إلا بعد إعادة رسم التخطيط وتظليله باللوحة ٧٣). وهذه مجرد حالة واحـدة من عدة حالات نجدها بمجـاز البـوابة هذا، حيث نجد عددا مختلفا من الصنج فى نصفى عقد، مما يرجع الى تفاوت عرض كل منهما. وتتكون الطبلية الكائنة بين هذا الإطار وبـين **العقـد الأفقى** من ثلاثة صفوف من بناء صغير؛ والصفان السفليان يحتل الجزء الأكبر منهما إطار فارغ غائر.

وفوق العقد الخارجي الكبير نجد خمسة مداميك من البناء. وفى هذا الموضع كان هرتز قد عثر على بقايا سطرى النقش الكوفى مختـفيـا تحت طبـقـات من الجص فى أثناء تنظيف الواجهـة عام ١٨٩٧. ولايزال نصف السطر الأول وأجزاء من السطر الثانى باقية. وكان البناء فى حالة سيئة لدرجة تحتم معها نقله قطعة قطعة وإعادة تركيبه. ويحتوى النقش على عبارة الشهادة الشيعية تليها عدة كلمات من آية الكرسى (لجنة حفظ الآثار، ١٨٩٧ ملحق ص xii-xi مع لوحة تم وضعها قبل إعادة وضع الأحجار). ومما يلاحظ أن هذا النقش مع افتقاره الى إطار يحيط به فقد حماه بروز الجزء العلوى من النصف العلوي، وهو بذلك يؤدى دور حجر الإفريز. ولانجد فى هذين

السطرين أثرا لألقاب المستنصر ولا بدر الجمالي ولا تاريخ البناء الذى رآه المقريزى فوق البوابة من الخارج، وليس به مكان لها كما أشار ڤان برشم . ولكن يبقى الإطار الذى ربما كان يحتوى على النقش المشار اليه.

وفى الوسط، فوق المدماك الخامس، هناك فتحة معقودة نصف دائرية يمكن أن ندرك أنها بنفس عرض الحجرة ذات القبو المتقاطع والتى تقع وراءها وعلى نفس ارتفاعها. وتتميز صنج هذا العقد بتباين أطوالها، والمنحنيات الخارجية أفقية فى أعلاها ومتدرجة على جوانبها (لوحة ٧٤أ) . وعلى واجهة هذه الفتحة هناك خمس شرافات بقمم مدببة قليلا.

المجاز (لوحة ٧٤-٧٥)

لدى مرورنا تحت **مجاز البوابة** نلاحظ أول قطعة من **التقبية الاسطوانية** بطول ٣,١٠م وهو مايكفى لكى ينثنى بداخلها نصفا البوابة، ثم نرى قبة جيدة البناء من صنج حجرية جيدة النحت يبلغ قطرها ٧,٥٥م (وبالتالى فهى تطابق قبة باب الفتوح وقطرها ٧,٥٨م) ترتكز على مثلثات كروية بنفس درجة انحناء القبة، وبالتالى فهى شديدة الضحالة. وفى وسطها نجد صنجة مفتاحية تحيط بها ١٣ صنجة نحتت حلزونيا. وينتهى المجاز بعقد نصف دائرى كبير تبلغ المسافة بين دعامتيه ٧,٥٨م، وعرضه ١,٨٢م ويمد الضلع الشمالى للقبة بدعامة. ويتكون من ٢٧ صنجة بكل منها تعشيقة بارزة واحدة (لوحة ٧٤جـ) . وهناك حلية رائعة بها ميزابان (شكل ٩٨) تجرى عبره.

وعلى الجانب الشرقي، وتحت القبة، نجد **فجوة** مستطيلة عرضها ٤,٦٢م وعمقها ٢,٥٠م. وتمر من فوق أركانها حنايا ركنية تدعم نصف قبة من الصنج الحجرية (لوحة ١١٠جـ، شكل ٩٩) . وهناك حلية بارزة جميلة تشبه نظيرتها **بمجاز** باب النصر، وتجرى على طول كل من جانبى **المجاز** تبعا لأضلاع الفجوة وتستمر على طول الواجهة الخلفية **لمجاز البوابة**، ولو أنها لم يبق منها إلا أثر طفيف لمسافة طويلة. وتجرى هذه الحلية على مستوى يوازى قمة المقرنصات التى تقطعها قليلا. ومن اليسير أن ندرك ضرورة وجود فجوة مماثلة على الضلع الغربى أيضا فيما مضي، إلا أن هناك تغييرات غير هينة تم إدخالها هنا عندما كان جامع المؤيد فى طور الإنشاء؛ ونتيجة لذلك أصبح الضلع الغربى للمجاز بأكمله محاذيا للدعامات الحاملة للعقود التى تدعم القبة. وتختفى الحلية المشار اليها داخل جدار الحشو عند نقطة توازى أول انحناء له على الجانب المقابل من المجاز. وفى وسط هذا الحشو نجد نافذة تمر من فوقها أسكفتان معشقتان، وقد وضعت الى الخلف داخل فجوة مسطحة برأس مقرنصة. ووراءه قبو اسطوانى مدبب طوله ٧,٥٩م يجرى حتى جناح **مجاز البوابة** (شكل ٩٧، اعتاد حكام مصر على الجلوس تحت هذا القبو لمشاهدة خروج المحمل وعودته من خلال النافذة (Margoliouth, *Jerusalem and Damascus* , Cairo, 21) .

ويضيق عرضه من ٤,٤٤م على الشارع الى ٣,٣٢م، وتم رفع أرضيته بحوالى ٢,٥٠م فوق البلاط، وبهذا توفر المكان لباتكتين تحته. وعلى كل من جانبى **الحجرة المقبية اسطوانيا** نجد فجوتين بعرض ١,١٢م وارتفاع ١,٥٠م وعمق ٦٠سم تركتا فى جدار التبطين على بعد ١,٣٥م من المجاز. وخلف كل منهما يمكن ملاحظة البناء الأصلى لباب زويلة من خلال ارتفاع الصفوف (وثلاثة منها تساوى خمسة من البناء المضاف) وبدائرة حجرية -طرف عمود- ظاهرة فى كل من القطعتين المكشوفتين. ويفصل بين هذين السطحين ٤,٦١م، وهو عرض الباتكة على هيئة نصف القبة المقابلة تماما. وتبعد الحواف الغربية لهاتين **الفجوتين** عن المجاز بمسافة ٢,٤٦م؛ لذا فإننا نفترض من جانبنا أن ظهر الباتكة على هيئة نصف القبة التى كانت هنا فيما مضى كان فى الأصل على بعد ٢,٥٠ - ٢,٤٦م = ٤سم غرب هذه النقطة قبل أن يتم نحتها لتشكل الحجرة الحالية. ومع أن القبو الاسطوانى نفسه بنى من حجر داكن ويبدو قديما، إلا أنه من المرجح أن ٢,٤٦م منه كانت منذ تاريخ هذا التغيير ترتكز على البناء المضاف الذى تبلغ واجهته ٦٠سم أمام البناء الأصلى (وقد أخطأ مرجوليوث خطأ بينا فى

ذلك (ص٢١) حيث يقول إنه كانت هناك «حجرتان» تحت القبو لاتزال الغربية منهما باقية وتتصل بجامع المؤيد. ومن الواضح أنه لم تكن هناك أية حجرات، بل مجرد **فجوتين**، كما هو الحال بباب الفتوح).

على أية حال فان هذا الجانب من باب زويلة لايزال موضع جدل واسع. وعلى الضلع الشمالى من نفس هذه **الحجرة المقبية اسطوانيا** وعلى بعد ٣م من المجاز هناك **فجوة** عميقة تمتد حتى الواجهة الخارجية. ومنذ ذلك الحين تم غلق طرفه الخارجي بجدار رفيع تركت فيه نافذة صغيرة (لوحة ٧٤جـ). وقد كسيت جوانب **الفجوة** بكسوة جصية، إلا أن الترقيعات المجردة توضح أن البناء تحته يعد بطانة ويشبه نظيره بالحجرة الطويلة التى يفتح منها. ويرتكز السقف الخشبى المسطح على حلية ربع دائرية عليها نقش على طراز أواسط القرن التاسع عشر، وهو مايجعله يبدو وكأنه ينتمى الى فترة أفضل كثيرا.

وإذا تفحصنا جناح **مجاز البوابة** من الصحن الصغير الذى يقع بينه وبين جامع المؤيد، نلاحظ أن مخرج **الحجرة المقبية اسطوانيا** والتى تحدثنا باستفاضة عنها تتميز بطوق من البناء أصغر من نظيره فى البناء باستثناء المداميك الأربعة السفلية على الضلع الأيسر. كما نرى من بقايا نقطة انطلاق الجدار أن الواجهة الشمالية للبناء الأصلى كانت لاتبعد عن الضلع الجنوبى من نفس هذا المخرج إلا ٩٠سم فقط.

المنصة الرئيسية

يمثل مجاز البوابة الذى يمكن رؤيته من **المنصة**، كما هو الحال بباب الفتوح، واجهة من ثلاث فتحات معقودة (لوحة ٧٦، شكل ٩٦). تحتوى الوسطى منها التى تبرز بمسافة ٣٩سم على عقد **نصف دائرى** ضخم فوقه **جمالون حجرى** (وهذا دليل آخر على أن المعمار كان أجنبيا من دولة مطيرة، فالمعمار المصرى لايفكر فى سمة كهذه)؛ وتحتوى كل من الفتحتين الجانبيتين على فجوة نصف دائرية فوقها نصف قبة صنجاتها مكشوفة فى حلقات متحدة المركز فى الخلف وأفقيا فى المقدمة (لوحة ٢٦هـ) لتفادى الاقتحام دون شك (انظر Choisy, *L'art de Bâtir chez les Byzantins* , 72- 78). ويعد العقد الأوسط هو العرض الكامل (٤,٩٠م) وارتفاع المنظرة المفتوحة التى يغطيها قبو متقاطع فوق **المنصة**، كما هو الحال فى العقد المناظر له أعلى **مجاز البوابة**. وفى هذه الأرضية، وخلف الشرافات، هناك ثلاث فتحات خاصة بمزغل إطلاق النار، وطولها ٢,٦٨م وعرضها ٣٠ سم وسبقت الإشارة اليها.

وخلف كل من الفجوتين نجد عقدا نصف دائرى يتكون من سبع صنج تؤدى الى حجرات البرج. وفوق كل منها قبو اسطوانى نصف دائرى فى مقطعه، وتخترقها على الضلع المجاور للبوابة قطعة مقبية من نفس المقطع المتقاطع. ولم يعد من الممكن إجراء فحص كامل لحجرات البرج، لأن الجزء الأوسط من القبو تعرض للقطع بأمر من السلطان المؤيد حين قرر الاستعانة ببرجى باب زويلة كقاعدتين لمئذنتى مسجده (المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٨١). ولم يتمكن بالطبع من بنائهما على قمة كل من البرجين نظرا لوجود الحجرة المقبية أسفلها؛ لذا فقد تم قطع القبو وملئ مايقرب من ثلثى حجرة البرج بمكعب ضخم البناء يمثل قاعدة المئذنة. ولدى دخولها تواجهنا هذه الكتلة التى تكاد تلامس الجدار الخارجي لكل حجرة؛ إلا أن هناك فراغا كافيا ترك على الضلع الداخلى يسمح بالدخول الى النافذة المطلة على الفراغ بين البرجين. ولكن كانت هناك ثلاثة مزاغل بواجهة كل حجرة من حجرات البرج نراها من الخارج، ومزغل واحد على الجناح الخارجي.

وهناك امتداد صغير **للمنصة** الى يسار حجرة البرج الشرقية، وفى آخره نجد جدارا بباب عرضه ١,١٢م فوقه أسكفة والجزء العاتق غير المناسب الذى يتضح فى اللوحة (٧٦ أ). ويفتح على دركاة صغيرة مساحته ١,٤٠× ١,٤٥م بسقف حجرى مسطح، وعلى الضلع المقابل منه هناك باب مماثل وراءه قلبة سلم طويلة تجرى الى أسفل

بين كتلة البيوت. وعلى الضلع الجنوبى من الدركاة هناك قلبة سلم من ثمانى درجات ترتفع الى بسطة مربعة صغيرة حيث نجد مزغلا صغيرا يطل على جناح البرج الشرقي. والى اليمين، نجد ١١ درجة أخرى تؤدى الى بسطة ثانية. وبالبسطة الأولى سقف مسطح، لكن قلبتى السلم فوقهما سقف منحدر من ألواح حجرية ضخمة ترتكز على الجدران الجانبية دون صف من الكوابيل؛ أما البسطة الثانية فتفتح على السماء، وهناك ست درجات أخرى تؤدى الى السطح. ويشكل بير السلم مايشبه برجا صغيرا ملحقا بالجزء الخلفى من جناح البرج الشرقي، مما يذكرنا بما نراه على الضلع الشرقى من باب الفتوح. وبانتهاء الدرج على الحافة الشرقية من هذا البرج الصغير يتضح أن السقف المنحدر بقلبة السلم الثانية كان يليه بالضرورة سقف مسطح فوق البسطة الثانية لكى يتكون جسر من قمة الدرج وحتى قمة منصة **مجاز البوابة**. وبالضلع الشرقى من هذا البرج الصغير واجهة مصقولة الى نقطة كانت تحاذى مستوى **المنصة الرئيسية** بالضرورة، ولكن أسفل هذه النقطة نجد حافتها مكسورة حتى الأرضية. ومن الواضح أنها النقطة التى كان السور ينطلق منها قديما (وهناك فجوة مساحتها حوالى ٢٠م نصل بعدها الى القطعة الوحيدة الباقية من السور الجنوبى الذى يجرى خلف بيوت الدرب الأحمر لمسافة ٧٥م، شكل ١٠٢)، وكان سمك السور ٦,١٠م بما فى ذلك الدرج -وهو عرض برج الدرج الصغير أو مايقرب من ٤م بدون الدرج. وعلى هذا يمكن لنا أن نؤكد بكل ثقة أن الدرج الطويل الذى يهبط من الباب الشرقى للدركاه الصغير يتخذ على الرغم من حداثته الجزئية وضع سلم قديم يجرى الى أعلى الواجهة الخلفية لسور المدينة ويؤدى الى المنصة الرئيسية كما هو الحال بباب الفتوح الذى يشتمل على كثير من السمات المشتركة مع هذه البوابة. ونظرا لأن هذا الدرج لم يعد يمكن دخوله، فليس أمام من يرغب فى فحص الجزء العلوى من باب زويلة إلا أن يمر عبر حرم جامع المؤيد الى بئر السلم، ثم يصعد السلم الحديث الذى يوصل الى قمة **مجاز البوابة**، ثم يهبط الى **المنصة الكبيرة**.

المنصة العليا

لدى بلوغنا المنصة **العليا** عبر الدرج المذكور نلاحظ أن الجزء الناتئ وحده الذى يحتوى على شرافات. والبناء على الجزء الداخلى من حاجز الشرفة ولمسافة نصف المتر أسفل عتبات هذه شرافات مصقول؛ والمداميك أسفله غير محفورة. أما الأرضية أو ماتبقى منها فتترك مابين ٢٥ و٣٠سم من هذا الجزء العشوائى مكشوفا. ومن ناحية أخرى فإن قمة الصف الذى يتوج الواجهة الداخلية (الشمالية) من هذا الجزء توازى فى مستواها الحافة العليا لهذا البناء العشوائي. من الواضح إذن أن هذا هو مستوى الأرضية الأصلي. ولعل الأرضية كانت تتكون من مداميك ضخمة كما هو الحال بالجزء الشمالى من هذه الحصون؛ والأرجح أن هذه المداميك أزيلت فى فترة أو أخرى، وربما تم استغلالها فى بناء البيت الذى كان يحتل المنصة الرئيسية، وتخلف عن إزالتها سطح عشوائى لا يزيد عن ٤٠سم تحت المستوى الأصلي؛ وانخفض هذا الفارق الى مابين ٢٥ و٣٠سم بسبب الأرضية الحالية المكونة من مداميك صغيرة نحيفة.

هل كان هذان البرجان أعلى مما هما عليه الآن؟

رأينا فيما سبق أن المقريزى يذكر أن هذين البرجين كانا فيما مضى أعلى منهما الآن وأن (السلطان) المؤيد قام بازالة الجزء العلوى منهما حين بدأ فى تشييد مئذنة على كل منهما. ومع أن المقريزى عاصر الحدث المذكور إلا أن هذا الجزء من كتابه غير مؤكد. **فالمنصة العليا** فى باب النصر وباب الفتوح تعلو المنصة الرئيسية بستة أمتار؛ وتزيد بحوالى نصف المتر فى باب زويلة. ونظرا لتساوى هذه البوابات الثلاث جميعا من حيث الحجم فإن المقاييس العامة لباب زويلة لاتتناسب لو كان هذا الجزء أعلى بهذه الدرجة. ولكن لايزال هناك رأى أشد حسما فى هذا

الصدد. فقد رأينا أن قمة القبو فوق المنظرة المفتوحة يؤدى دور جسر بين قمتى البرجين، فالبرج الشرقى وحده هو الذى يحتوى على درج من أسفل. ولو كان البرجان أكثر ارتفاعا لكان معنى ذلك رفع مستوى الجسر. أما القبو فيرجع تاريخه الى العصر الفاطمى بما تتميز به صنجته المفتاحية من زخارف رائعة (لوحة ٧٦ء). من ثم فمستواه لم يطرأ عليه أى تغيير، ولايمكن لنا أن نفترض أن سطحه العلوى كان أعلى مما هو عليه الآن، لأن ذلك معناه تحميل كتلة من البناء على القبو، وبالتالى فلامجال لقبول رواية المقريزي.

استخدام باب زويلة كبرج طبلة

يقول المقريزى فى وصفه لباب زويلة:

«... وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون (٣١٣) أن فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب ايدكين والى القاهرة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاون على باب زويلة خليلية تضرب كل ليلة بعد العصر ...» (الخطط، جـ١، ص٣٨١)

ويرى فان برشم أن لفظ «خليلية» يعد تحريفا للفظ «طبلة»، وهو تحريف يرى أنه يحدث كثيرا فى كل المخطوطات المدونة بالعربية (*Notes*, xix. pp. 403, 406-7)، إلا أن لفظ «خليلية» ورد فى كل مخطوطات المقريزى (*Notes* , 407). كما ورد اللفظ لدى ابن إياس الذى يذكر أنها آلة من نوع الطبول التى كانوا يقرعونها بالقلعة فى أوقات النوبة (Casanova, *Citadelle* , 604). ومع عدم إمكانية قبول الاقتراض القائل بأن لفظ «خليلية» تحريف للفظ «طبلة» بناء على السببين المذكورين، يمكن القول إن هناك فرقة من النقارية تم وضعها على باب زويلة بما يشبه نظيرتها على باب المدرج بالقلعة. ويختتم فان برشم ملحوظته بقوله بأن مآذن مسجد المؤيد لم تكن قد بنيت بعد فى ذلك الوقت على الشرفة التى تتوج باب زويلة؛ وبالتالى كانت تتسع لفرقة موسيقية كبيرة (*Notes* , 406-7). ونرى من جانبنا أن هذه الفرقة ربما كانت تحتل البائكة المقبية فوق الدركاة، حيث تمثل شرفة موسيقية ممتازة تناسب الغرض.

وسواء أكانت هناك صلة بين لفظى «خليلية» و«نوبة» الخليل (إبراهيم) التى يتحدث عنها مجير الدين العبدرى(٣١٤) حسب قول جولدتسيهر(٣١٥) ("Das Patriarchengrab in Hebron nach Al- 'Abdari," in *ZDPV*, pp. 119)، أو بينها وبين اللقب الرسمى لشجرة الدر (أم خليل) حسب رأى كازانوفا(٣١٦) (*Citadelle* , 604)، فلست مستعدا لإبداء رأى قاطع فى هذا الصدد، لكنى سأحاول أن أتتبع اللفظ فى مصدره وأن أتحرى عن وجود فرقة موسيقية أو فرقة نقارية فى الاحتفالات الرسمية للملكية الشرقية. قام كاترمير بجمع شواهد عديدة للاستعانة بهذه الفرق فى التاريخ الإسلامي، مما يستتبع أنها كانت حقا واجبا للخليفة يلى الخطبة وحق سك النقود، وكان السلاطين البويهيون (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥ م) هم أول من حصلوا على هذا الحق من الخليفة (المقريزي، السلوك، ط زيادة، جـ١، ص٢٨)، ولكن فى حين كان له الحق فى أن تعزف له الفرقة خمس مرات فى اليوم (أى بعد كل صلاة)، كان عليهم أن يقنعوا بثلاث مرات فقط.

وفى مصر ظهر هذا التقليد فى العصر الفاطمي، وفى العصر المملوكى نرى أمراء يتميزون بلقب «أمير الطبلخاناة» ويحظون بهذه الميزة. وفى عصر خليل الظاهرى (بعد عام ١٤٣٨م)، كان هناك ثمانية وأربعون أميرا يقود كل منهم مئة مملوك وألف جندى ويتمتع كل منهم بالحق فى ثمانى طبول وطبالين ومزمارين وأربعة دفوف. ثم ألغى هذا التقليد بأمر من السلطان سليم بعد فتح مصر، ولكن يبدو أنه أقر من جديد فى عهد السلطان سليمان الذى أمر بإقامة طبلخانة بأربعة وعشرين بك (Quatremere, *Sultans Mamlouks* , I, 173-4).

من المرجح أن هذا التقليد ككثير غيره فى التراث الإسلامى يجب تتبعه فى بلاد فارس حيث كان متبعا حتى عهد قريب، حيث كانت هناك فرقة من النقارية تقرع الطبول مع شروق شمس كل يوم وعند الغروب من برج أو مجاز بوابة بكل مدينة فى وجود أحد الحكام أو الأمراء (وطبقا لقول فريد ريتشاردز فى كتابه *A Perisan Journey*

ص٣٨، لايزال هذا التقليد متبعا فى مشهد دون غيرها حتى الآن)، مما يذكرنا ببيت الشعر المعاصر له تقريبا (النصف الأول من القرن ١٣) والذى نظمه سعدى الشيرازي:

الى أن تسمع قرع الطبول فى الصباح الباكر   من المسجد الجامع أو من باب قصر الأتابك

(غزليات سعدي، ط تهران، ١٩٣٩، ص١٧٣)

وهناك «نقّاره خانه» أو أبراج للنقارية بكل من إصفهان وتهران ومشهد وكرمانشاه وغيرها (Curzon, *Persia*). وفى إصفهان نجد ظلة جميلة تفتح من الميدان على سوق المدينة وتعمل كبرج للنقارية تقرع به الطبول وتنفخ الأبواق كل مساء. وفى عصر شاردان (١٦٦٥ –١٦٧٧) كانت الطبول تقرع مع شروق الشمس وفى منتصف الليل، وفى عصر سانسون (١٦٨٣) فى الظهيرة وعند الغروب وبعد منتصف الليل بساعتين.

يقول بروفيسور جاكسن فى إشارة الى النقاره خانه بأرومية حيث كان يتم نفخ بوق طوله ستة أقدام وتقرع الطبول أن الأهالى كانوا يعتقدون أن هذا التقليد كان من بقايا ديانة لعبادة الشمس فى العصور القديمة (*Persia, Past and Present*, 104). وهو يرفض هذا الرأى ويرى أنه لا يزيد عن مجرد مدفع يطلق عند غروب الشمس أو ناقوس يضرب إيذانا ببدء حظر التجول؛ ولكن لو كان الأمر كذلك إذن لماذا اقتصر على المدن التى كانت مقارا للعروش؟ كما أنها كانت تقرع أيضا عند شروق الشمس. على أية حال، نرى من جانبنا أن لدينا الدليل على أن هذا التقليد كان متبعا قبل الفتح الإسلامي. فهو مصور على طبق ساسانى من الفضة محفوظ فى الهرميتاج بسان بطرسبرج (شكل ١٠١، مصور فى *Meisterwerke Muhammedanischer Kunst*, ii. pl. 122). ونرى فيه قصرا مسورا بواجهة مخددة مثل فيروزاباد، ومجازا فى الوسط وفوقه شرفة طويلة يقف فيها سبعة رجال ينفخون أبواقا ضخمة. والمهم أن هذه الفرقة من نافخى الأبواق كانت حيث توقعنا أن تكون، أى أعلى مجاز البوابة، وبما أننا وجدنا هذا التقليد متبعا فى فارس، فمن الطبيعى أن نتوقع وجود مثله فى الهند أيضا حيث تلقت معظم تراثها الإسلامى عبر فارس. ففى **حصن أجرا**(٣١٧) الذى بدأ تشييده بأمر من أكبر فى سنة ١٥٦٦، نجد «بوابة الفيل» وتضم «نوبه خانه» حيث كانت تقرع الطبول (Havel, *Agra and the Taj*, 2nd ed., pp. 40-2). وكذلك فى **حصن دلهى**(٣١٨) الذى بدأ بناؤه بأمر من شاه جهان فى سنة ١٦٣٨ واكتمل بعد ذلك بحوالى عشر سنوات، حيث نجد قاعة مدخل مقبى طويل يؤدى الى صحن كبير كانت هناك على جانبه الأقصى «نقّاره خانه» أو «نوبه خانه» ومجاز بوابة ثلاثية العقود كانت تمثل المدخل الى مبانى القصر، تعلوها شرفة موسيقية بطول مئة قدم وعرض سبعين قدما. ويذكر برنيير (١٦٦٠–١٦٦٥) أن الفرقة الموسيقية كانت تتكون من مزامير وصناجات وكانت تسمع خمس مرات فى اليوم بعد مواقيت الصلاة.

أصل تسمية «باب زويلة بباب المتولي»

يعرف باب زويلة باسم «بوابة المتولي» حتى أن قلة من سائقى سيارات الأجرة القاهريين من يعرفون له اسما آخر غير هذا. وحسب التفسير الذى يقدمه المرحوم آرتين باشا ("Bab Zoueylah et la mosquée d'el-Moeyed," *Bull. de l'Institut Égyptien*, 1883, pp. 148-50) والذى يفتقر الى الدقة فى بعض تفاصيله التاريخية، فإن طومان باى الذى شنق على هذه البوابة بعد الهزيمة التى خضعت مصر على أثرها للعثمانيين[٩٢٣هـ/١٥١٧م]، كان يعرف لدى العامة باسم المتولى (الحاكم)، وهو آخر منصب شغله قبل أن يعترف به كسلطان. وبعد شنقه فى هذا المكان يقال إن كل من كان يمر تحت هذه البوابة كان يقرأ الفاتحة ترحما عليه، فاتخذت البوابة اسمها الشعبى الحالي. وفيما بعد حين طوى النسيان هذه الحادثة ارتبطت التسمية بشيخ يدعى «القطب المتولى» يقال إنه كان

قادرا على الاختفاء وإنه كان يتمتع بقوى خارقة. أما الفاتحة التى اعتاد الناس قراءتها لدى عبورهم **تحت مجاز العقد**، **فيقال إنها أصبحت** تقرأ حيث كان الشيخ المذكور يتخذ من المكان مقرا له، وكانت قطع من ثياب المرضى تعلق على مسامير البوابة المزدوجة **الكبيرة أملا فى شفائهم** (انظر Lane-Poole, *Social Life in Egypt* , pp. 8-9).

وهناك ماهو أكثر من ذلك كما نرى من جانبنا؛ فربما كان هناك إيمان خفى بأن الدركاوات نفسها تعتبر بصورة من الصور موضعا له قداسته؛ لأن كلا من باب النصر وباب الفتوح يضم أولياء مغمورين تحت قبوه الكبير(٣١٩)، وهو اعتقاد غير قاصر على مصر؛ فقد أدهشنى أن أجد نفس المفهوم فى حلب حيث تضم بوابتاها الكبيرتان -باب أنطاكية وباب قنسرين- أولياء مغمورين أيضا.

السور الجنوبى

وصفه

لاتزال هناك حاليا مسافة واحدة أخرى من السور الفاطمي، وهى قطعة من السور الجنوبى تحتجب وراء بيوت الدرب الأحمر (شكل ١٠٢). وعلى الرغم من الإشارة اليه منذ عام ١٨٩١ لدى فان برشم إلا أنه لم يسبق وصفه أو تخطيطه، بل لم يتم وضعه على خريطة القاهرة التى وضعت عام ١٩١٢ بمقياس ١:٥٠٠٠، كما أنه لم يظهر على خريطة نابليون، ولو أن السور الشمالى مبين بصورة أكمل مما يمكن بيانه اليوم. لذا فإنى استنتج أنه فى خلال السنوات المئة والخمسين الماضية كان محتجبا تماما وراء البيوت كما هو الحال اليوم. وعلى الرغم من إمكانية رؤيته من سطح جامع الصالح طلائع، فإنه من المستحيل رؤية أى جزء من أجزائه من الشارع (حتى عام ١٩٤٧ حين بدأ تنكيس بعض هذه البيوت وتمت إزالتها بأمر من إدارة تنظيمات القاهرة)، وكان عليّ أن أدخل أربعة بيوت أو خمسة لكى أتمكن من عمل التخطيط والواجهة المرفقين. ومن داخل أحد البيوت الكبيرة على الجانب الشمالى من السور، بالقرب من باب زويلة، يمكن التأكد من أنه كان هناك فسحة كاملة يبلغ طولها ٢٠م بين جناح باب زويلة وبدء إنشاء هذه القطعة من السور. وتهبط الحافة المكسورة من هذه الفسحة رأسيا الى الأرض، من الواجهة الغربية السفلية للبرج الصغير الذى يضم الدرج المؤدى من **المنصة الرئيسية** لباب زويلة الى قمة البرج الشرقي. ولمشاهدة منظر عام لجزء مما تبقى منها لابد من دخول أحد بيوت الدرب الأحمر يحاذى السور الجنوبى الشرقى من جامع الصالح طلائع. ومن سطحه نلاحظ وجود برج صغير (B) لايزال فى حالة جيدة وشرافاته كاملة، وكذلك الجدار بين البرجين. أما البرج (A) فقد عانى أضرارا جسيمة، ولو أن واجهته الأمامية لاتزال سليمة عدا الشرافات التى اختفت تماما تقريبا، وكذلك **منصته العليا**. والمساحة من هذه **المنصة** العليا الى مستوى الأرضية الحالى تبلغ ١٣,٦٢م. من ثم فمن المرجح أن المجاز الدفاعى كان يمر منها كما هو الحال فى البرج المجاور لباب النصر، ولايزال الحد المدبب قليلا لقبو حجرة البرج التى كان يتم دخولها من خلال الممر المقبى باقيا. ويمكن أن نرى أن حجرة البرج كان عرضها ٤,٤٨م وأن جدرانها الجانبية كان سمكها ١,٨٧م. واختفى كل شئ خلف الواجهة الأمامية لحجرة البرج المذكورة، وليس من الممكن أن نحدد كيف كان يتم الوصول الى منصتها العليا، وما إذا كان هناك درج داخل بروز صغير فى الداخل كما نرى فى البرج المجاور لباب النصر. وهناك سطح جدار مستمر من الآجر يرتفع من شرافات الجدار بين البرجين والبرج (B) ويشكل الواجهة الخلفية للبيوت التى يتم دخولها من الجانب الشمالى للسور. ولاتزال بعض الشرافات على الواجهة الأمامية للبرج (B) مفتوحة، وتشكل نوافذ حجرة تحتل قمتها. ولايعلو هذا البرج عن المجاز الدفاعى إلا بـ ٧٥سم. وعند النقطة

(C) يختفى السور وراء أحد البيوت ولايزال كاملا بشرافاته. وبدخول البيت الكبير الثانى على الجانب الشمالى من السور يمكن المرور عبر صحن والوصول الى النقطة (D) وهى نفق مظلم منحوت فى السور ويبلغ سمكه ٤م. وبالدوران الى اليسار يمكن رؤية جانب البرج على بعد ٨,٩٠م من الفسحة. وبالقرب منها، وعلى بعد نصف المتر من الأرضية، نجد طرف عمود مطمور فى السور الذى يبدو فى حالة سيئة فى هذا الموضع. وبسبب الطلاء والجص والبيوت المبنية على السور لم أتمكن من العثور على أية أعمدة أخرى على واجهته الأمامية، إلا أن ثلاثة منها تظهر على واجهته الخلفية قرب النقطة (D) على مسافة ٢,١٥م من مستوى الأرضية الحالي، أى فوق الصف الرابع مباشرة. وينبغى إضافة ٣م تقريبا الى الارتفاعات المذكورة، حيث ارتفع مستوى الأرضية هذه المسافة كما نرى من عمليات الحفر حول جامع الصالح طلائع، وهو ما يفسر السبب فى انخفاض طرف العمود المذكور منذ قليل.

ويلاحظ أن معماريى بدر الجمالى من الواضح أنهم كانوا يشتركون فى مسألة وضع برج كبير بجوار **مجازات** البوابات، إذ نجد هذا مطبقا على السور الشمالى بنفس الصورة التى نجدها هنا تماما؛ أى أن هناك برجا كبيرا الى الغرب من باب النصر يتحكم فى **المجاز** الدفاعى الذى يجرى خلاله، ثم برج صغير يشبه نظيره (B)، ثم البرج الكبير وفى وسطه إحدى مآذن جامع الحاكم، ثم باب الفتوح، وفى النهاية برج مربع ضخم به درج رائع. ويستنتج من ذلك أن البرج الصغير فى السور الشمالى لم يبن بسبب الضلع الشمالى الشرقى لجامع الحاكم كما يعتقد البعض، بل كجزء من مجموعة محددة من القواعد كان المعماريون يتبعونها.

وهناك برج صغير آخر شرق البرج (B) على بعد ١٩م ويبلغ عرضه ٤,١٩م ويبرز لمسافة ٣,٣٨م ولا يزيد ارتفاعه عن نصف المتر عن الجدار بين البرجين والذى يستمر شرقا لمسافة ١٣,٣٢م ثم يختفى داخل أحد البيوت. ويمكن العودة الى الشارع عند هذه النقطة من خلال الدرج رقم ٢٧ بالدرب الأحمر والذى يجرى الى أسفل بزوايا يمنى الى السور. والبيت التالى (رقم ٢٥) كبير وبه صحن واسع فى خط موازٍ للسور مباشرة؛ لذا فالسور ينتهى عند النقطة التى يختفى فيها عن العين مباشرة. ويبدو أن هذه المسافة التى يبلغ طولها ٧٥م كلها مستقيمة.

الأصول المعمارية

البرجان الجانبيان المربعان

ليس هناك جديد فى هذه البوابات الثلاث والسور الفاطمى باعتبارها من العمارة العسكرية. ولا نلاحظ تقدما يذكر حتى القرن التالى فى أعمال صلاح الدين، أى **مجاز المدخل** ذو الدوران أو الدورانات اليمني. وكانت الأبراج الجانبية، مربعة كانت أو مستديرة، معروفة لعدة آلاف من السنين، وكذلك مجازات الأبواب فيما بينها. أما الأبراج المربعة فكانت تمثل المرحلة السابقة على الأبراج المتعددة الأضلاع ونصف الدائرية، وهو مايمثل تقدما من وجهة النظر الاستراتيجية، حيث تم الابتعاد عن الزوايا الميتة.

وهناك حصن يحيط به سور بأبراج مستطيلة وضعت على أبعاد قصيرة جدا يتضح على لوح فى الشكل (١٠٣) ويرجع الى الفترة من أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد. والحقيقة أن أعمال التنقيب كشفت عن وجود مثل هذه الأبراج فى التحصينات القديمة بآشور (قبل ١٥٠٠ ق.م.) وفى الجزء الأخير المؤرخ بالربع الأول من الألف الأولى قبل الميلاد (وهى أبراج يبلغ عرضها ٨م) وفى **خورساباد**؛ أما الأبراج المستديرة فلاوجود لها.

وكانت مصر متأخرة فى هذا المجال؛ إذ تفتقر أسوار مدن عين شمس وسايس وتنيس والكاب الى التحصينات الجانبية، وحتى التحصينات التى نجدها بالكوم الأحمر وشونة الزبيب والتى ترجع حسب رأى ماسپيرو الى

الأسرتين السادسة والثانية عشر (حوالى ٢٦٢٥-١٧٨٨ ق.م.). لذا فمن الصعب أن نصدق أن حصن **سمنا الغرب** الذى يضم برجين مربعين متقاربين يمكن أن يرجع الى الأسرة الثانية عشر كما يزعم البعض (Perrot & Chipiez, *History of Art in Ancient Egypt*, 42-50)؛ ويبدو أن الاحتمال الأكبر أنه يرجع الى الأسرة الثامنة عشر (١٦٠٠-١٤٠٠ ق.م.).

ويبدو أن الانتقال من الأبراج المستطيلة الى المستديرة حدث فى امبراطورية الحيثيين فى سنجرلى (وكذلك أسوار بوغاز كوي) حيث نرى أسوار الحصن الخارجى الذى شيد عام ٩٠٠ ق.م. تقريبا وبها أبراج نصف دائرية ببروز ٣,٥م. وبعد ثلاثة قرون ظهر نموذج مزعوم فى الحصون الأكمينية بسوسة؛ ولو صدق هذا الزعم، فقد يرجع الى تأثير الحيثيين المباشر، إذ يتضح أن القصر الأكمينى كان تطورا **للقصر الخيلانى** بجنوب بلاد الحيثيين. وتم العثور على أحدها بالسور الخارجى من **«هاترا»** [الحضر] البارثية، وتحت حكم الساسانيين (٢٢٤-٦٣٢م) أصبح هو النمط المألوف.

يقول فتروفيوس عن الأبراج المستديرة:

«الأبراج نفسها يجب أن تكون إما مستديرة أو متعددة الأضلاع. أما الأبراج المربعة فسرعان ماتدمرها الآلات الحربية، فالمجانيق تدمر زواياها تدميرا؛ والأبراج المستديرة لاتضيرها مثل هذه الضربات، لأنها مدمجة» (BK, i. Transl. by Morgan, p. 23).

وقد بدأ المعماريون الرومان فى الاستعانة بها بصورة منتظمة بعد عصر أغسطس (٢٧-١٤ ق.م.)، وتظهر تقنية الأبراج الجانبية فى العمارة العسكرية الرومانية بالأقاليم الشرقية من الامبراطورية قبل ظهوره فى الغرب. وفى الأقاليم الشرقية ومنذ عصر هادريان (٩٨-١١٧م)، كانت المعسكرات الرومانية الثابتة الكبيرة التى كانت تشكل خطا من الحصون الصغيرة يمتد من خليج العقبة وحتى دمشق، ومن دمشق الى بالميرا [تدمر]، كلها تضم أبراجا جانبية ناتئة؛ وكانت هذه الأبراج مستديرة فى كل الحالات تقريبا، ومنها لجون وأذرح (حوالى ١٠٦م)، والضمير (١٦٢م)، وقسطل (حوالى القرن السادس) وغيرها. ويمكن أن نضيف الى هذه النماذج أسوار ساماريا [الضفة الغربية لنهر الأردن] والتى قام رايزنر بالتنقيب عنها. أما التخطيط العام لباب زويلة وباب الفتوح، فلدينا مثال أقرب يتمثل فى البوابة الرومانية لقصر الشمع بمصر القديمة الذى قام هادريان بتشييد جزء منه (Butler, *Ancient Coptic Churches*, I, 178) وكانت لاتزال مستخدمة بصفة يومية حين دون ابن دقماق كتابه بأواخر القرن الرابع عشر.

ويقال إن هذه البوابات الثلاث بناها ثلاثة معماريين من الرها (أورفا الحديثة)، لذا فمن المتوقع أن نجد العديد من التفاصيل المعمارية التى تميز العمارة بشمال الشام وشمال الرافدين (كديار بكر التى تبعد مئة ميل تقريبا عن الرها)، وهو ما كان بالفعل كما سنرى فيما بعد. ونظرا لندرة ما تبقى من العمارة العسكرية الإسلامية قبل الغزو الصليبي، فنرى من جانبنا ضرورة دراسة المسألة تفصيليا بتحليل كل سمة على حدة.

المثلثات الكروية

ظلت المثلثات الكروية بآيا صوفيا (٥٣٧م) أقدم نموذج معروف، وبالتالى كان المفترض أن هذا الأسلوب يعد ابتكارا رومانيا، إلا أن هذا الرأى لم يعد مقبولا. فقد أشرنا الى وجود ثلاثة أمثلة على هذه السمة يرجع تاريخها الى القرنين الثانى والثالث، أى فى ضريح بعمّان يعرف باسم «قصر النويجس» (*E. M. A.* I, pp. 313-14)، وفى حمامات جرش (شكل ١٠٤)، وفى ضريح بساماريا [الضفة الغربية لنهر الأردن] قام رايزنر بالتنقيب عنه. ويجب أن نضيف اليها الآن نموذجا أقدم منها فوق حجرة مربعة مساحتها ٤,٦٠م بحمامات البتراء التى ترجع الى الجزء

الأول من القرن الثانى على أقصى تقدير. وفى كل هذه النماذج نجد سمة غريبة، فالصف العلوى من الدلاية ناقص بدرجة تجعل السطحين العلوى والسفلى غير متوازيين، بل يزداد عرض كل منهما عند الأطراف كما يتضح فى الشكل ١٠٤). ولنتذكر هذه السمة الخاصة.

ظهر المثلث الكروى فى العمارة الإسلامية فى تاريخ مبكر بالشام، أى فى «قُصير عمرة» (٧١٢م تقريبا) و«حمّام الصرح» (٧٢٥م تقريبا). أما بعدذلك فلانجد له أثرا لمدة ثلاثة قرون أو يزيد. إلا أنه ازداد شهرة فى أرمينيا حيث بدأ تنفيذه بالحجر المنحوت فى القرن السابع، ولايزال هناك مثال جيد عليه بكاتدرائية تاليش التى شيدت فى سنة ٦٦٨م. وهناك سلسلة متصلة من الأمثلة لاتزال موجودة، ومنها كاتدرائية التلين التى بنيت قبل ٧٨٣، وكنيسة سان جريجورى فى خشاونك والتى بنيت عام ٩٨٥، وكاتدرائية آنى التى اكتمل بناؤها فى سنة ١٠١٠، وأطلال مبنى يمثل جزءا من مجموعة قوامها ثلاثة أجزاء فى مرمشن يرى ستروجوفسكى أنها ترجع الى سنة ١٠٠٠م (Strzygowski, p. 343)، وكنيسة سان جريجورى بكتشاروش والتى شيدت عام ١٠٣٣، وكنيسة شوغاكات فى خشاونك والتى يعتقد أنها ترجع الى عام ١٠٣٨، وغيرها كثير.

ونأتى الآن الى المثال الأول منها فى مصر الإسلامية، ألا وهو البوابات الفاطمية الثلاث بالقاهرة، حيث تمت الاستعانة به كما رأينا فى حمل القبة التى تغطى دركاة باب الفتوح، والقبة التى تغطى دركاة باب زويلة، والحجرة التى تحتل الجزء العلوى من كل من برجى باب النصر. وكلها قباب ضحلة ولها نفس درجة تقوس المثلثات، وكلها من أحجار منحوتة نحتا متقنا كبقية عناصر البوابات. وكل قبة منها مغلقة فى الوسط بصنجة مفتاحية وحيدة؛ إلا أن مايميز قبة باب الفتوح وباب زويلة هو أن المثلثات الكروية لها نفس الخاصية التى أشرنا اليها لتونا بالمثلثات الكروية الأولى بالشام، أى زيادة عرض الصف العلوى من الدلاية باتجاه الأطراف. ويمكن ملاحظة وصول هذه التقنية الغريبة إلى أرمينيا حيث تحتوى المثلثات الكروية فى كتشاروش على هذه الخاصية (شكل ١٠٥). وهذه السمة الدقيقة على درجة من التميز تجعلنى على يقين من استعانة بدر الجمالى الأرمنى الأصل ببعض البنائين الأرمن فى تشييد هذه التحصينات الضخمة. ولكن من المحتمل ألا يكونوا بالضرورة مجلوبين؛ فقد رأينا أن الرها كانت قد سقطت فى يد الأتراك السلاجقة فى سنة ١٠٨٦، أى فى العام السابق على البدء فى تشييد أسوار القاهرة وبواباتها وأن المعماريين المسيحيين الثلاثة الذين شيدوها كانوا قد أتوا من هذه المدينة كلاجئين بالطبع. وربما لم يكونوا المسيحيين الوحيدين الذين فروا من اديسا بحثا عن ملاذ لهم فى ظل تسامح الحكم الفاطمي. ولو كان الأمر كذلك فربما وجدوا بنائين أرمن موجودين بالفعل، وبالتالى يكونوا قد وفروا عليهم عناء جلبهم.

ولا نعثر على مثلثات كروية أخرى بمصر وحتى العصر التركى إلا فى مواضع قليلة على النحو التالي؛ مسجد الأقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م)، برج الظفر (٥٧٢-٥٨٩هـ/١١٧٦- ١١٩٣م)، والبرج المجاور له الى الشمال، والقلعة (باب المدرج، ٥٧٩/١١٨٣م)، جامع بيبرس الأول (بدركاة المدخل الشمالى الغربى (٦٦٥-٦٦٨ هـ/٦٧-١٢٧٠م)، وبوابة قصر منجك السلحدار (٧٤٧-٧٤٨ هـ/١٣٤٦-١٣٤٧م)، وجامع/ضريح السلطان برقوق وفرج (٨٠٣-٨١٣هـ/١٤٠٠-١٤١٠م)، ومدرسة ضريح قانى باى أمير آخور (٩٠٨هـ/١٥٠٣م)، وجامع الغورى بالمنشية (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١ -١٥١٦م)(٣٢٠). وفى كل من هذه الحالات نجد القبة لها نفس درجة التقوس التى نجدها بالمثلثات الكروية التى تحملها، وكلها من الحجر المنحوت عدا فى حالتى جامعى الأقمر وبرقوق. ولعل القباب الصغيرة بجامع الأقمر ترجع تاريخيا الى ترميم برقوق. وبعد الغزو التركى نصادف كثيرا من

المثلثات الكروية؛ أما القباب المقامة عليها فعادة ماترتفع بتقوس أكبر.

استخدام الأعمدة كأربطة [ميد]

إن أقدم الأمثلة على هذه التقنية على حد علمي نجده لدى المقدسي الذى يذكر أن جده أبا بكر المعمار استخدمه فى بناء بعض المنشآت لابن طولون بعكا، وتعود تاريخيا الى عام ٤-٢٦٥هـ/٨-٨٧٩م أو ٢٦٩-٢٧٠هـ/٢-٨٨٣م (E. M. A. II, pp. 359-60). وأقدم مثال على هذه التقنية نجده فى جزء من أسوار الميناء بالمهدية (لوحة ٢ء) التى بناها أول الخلفاء الفاطميين وهو المهدي، واكتمل بناؤها فى سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م).

ولا وجود لهذه التقنية فى العمارة الإسلامية بالشام، أو على الأقل ليس هناك نموذج له فى أعمال فوكيه أو بتلر، ولم أر مثله فى أسفارى الطويلة الى الشام. لكنه كان شائعا بأرجاء الشام فى حقبة الغزو الصليبى وما تلاها؛ فنجده بعسقلان وسلَمية وشيزر وجبيل والبصرة ودمشق وطرابلس (برج الأسود) وصيدا وبيروت. كما نجده مستخدما بحلب بجامع **قيقان** وفى مئذنة الجامع الأبيض بالرملة والذى يعود تاريخيا الى ٧١٨هـ/١٣١٨م) وفى أسوار القدس (ق١٦). ويذكر سلادين أنه كان مستخدما فى تحصينات هرقله دون أن يذكر تاريخا لذلك. وقد وجدت مثالا غير مسجل على مايدو، وهو البوابة الوحيدة الباقية بحمص، الباب المسدود ويرجع تاريخه الى عام ٦٤١هـ (١٢٤٤م). كما نراه مستخدما بديار بكر فى برج يعود الى عام ٦٣٤هـ (١٢٣٦م).

وفى جبيل يرى رينان (*Missions en Phénicie*, pp. 159-61) أن هذا الأسلوب ينتمى للصليبيين؛ أما فان برشم فيشكك فى أن يكون الصليبيون قد عرفوه مشيرا الى عدم وجوده فى الحصون التى ليس هناك أدنى شك فى أصلها (*Voyage en Syrie*, 106-7). ويبدو هذا الاستنتاج فى نظرى قابلا للشك، لأن الحروب الصليبية استمرت قرابة مئتى عام كان **لكل من الطرفين خلالها تأثير على الآخر فى شتى النواحي**، وليس من المحتمل أن يظل أى طراز معمارى لأى من الطرفين بمنأى عن تأثير الآخر تماما، خاصة فى هذا الطراز الذى أدى الى دعم الأسوار والأبراج ضد المجانيق. وتأييدا للرأى المضاد، يمكن الاستشهاد بحصن فى قيسرية يعتبر أشد الحالات غلوا فى استخدام الأعمدة كأربطة (شكل ١٠٦). ولايمكن أن يكون هذا من عمل هيرود، لأننا نعلم من جوزيف أن حصنه بنى من أحجار بطول ٥٠ قدما وعرض ١٨ قدما وعمق ٩ أقدام (*Survey of Western Palestine*, 13)، كما ينسبه المقريزى (السلوك، ط زيادة، جـ١، ص٥٢٦) الى الصليبيين فى قوله أن بيبرس اتجه الى قيسرية، فلاذ الأهالى بالقلعة التى كانت تسمى «الخضراء»، وكانت من أروع حصون الشام وأشدها استحكاما. ويضيف أن الفرنجة نقلوا أعمدة جرانيتية الى هذا المكان ووضعوها مستعرضة فى الأسوار بحيث لا يخشوا عليها من الانهيار. وهنا نجد إشارة محددة للصليبيين فى الاستعانة بهذا الأسلوب.

ولا نجده بعد ذلك فى مصر إلا بجامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م) وجامع بيبرس (٥-٦٦٨هـ/٦٧-١٢٧٠م)، ولكن كما رأينا، يمكن ملاحظة استخدامه بصورة أكبر فى أسوار الاسكندرية قبل تدميرها.

العقد نصف الدائرى

يعد هذا الشكل من العقود بالإضافة الى العقد الأفقى الذى يستخدم بغرض استبعاد العقد المدبب تماما، أشد حالات الخروج على القاعدة فى القاهرة الفاطمية، حيث لم يكن معروفا قبلها باستثناء جامعى الأزهر والحاكم. وعلى الرغم من شيوعه فى الشام قبل الإسلام كما نرى لدى كل من فوكيه وبتلر اللذين سبقت الإشارة اليهما، إلا أنه لم يستخدم بعده، لأن الشكل المدبب كان قد ظهر لتوه قبل ذلك فى قصر ابن وردان (١-٥٦٤هـ). وفى

العصر الإسلامي تم استخدام العقد المدبب في مسجد دمشق الجامع (٨٨-٩٦هـ /٧٠٥-٧١٥م) وفي قُصير عمرة (٩٣-٩٦هـ /٧١٢- ٧١٥م) وفي حمّام الصرخ (٧٢٥-٧٣٠م) وفي قصر الحير (١١٠هـ/٧٢٨م) وفي المشتى وقصر الطوبة (١٢٥-١٢٦هـ /٧٤٣-٧٤٤م) وفي صهريج الرملة (١٧٢هـ/٧٨٩م). ثم مضت فترة زمنية بلغت ٢٥٠ عاما قبل ظهور العقود المدبية قليلا والحاملة للقباب بالمسجد الأقصي، والعقد الشمالي منها يحمل نقشا تذكاريا بتاريخ ٤٢٦ (١٠٣٥م). إلا أن العقد نصف الدائرى كان هو القاعدة في أرمينيا الى أن جاء عصر هذه الحصون؛ ونراه حاليا حتى في الآثار الإسلامية المعاصرة كجامع آنى الذى يؤرخ بذى القعدة ٤٦٥ (يوليو ١٠٧٣). لذا فاستخدامه في هذه الحصون يعد دليلا آخر على التأثير الأرمني.

الأعتاب المقوسة

أو العقود المنحوتة من مدماك واحد، وقد شاع استخدامها في هذه الحصون وتعد من أبرز سمات العمارة المسيحية بشمال الشام. ويقدم بتلر في *Architecture and Other Arts* أمثلة على منشآت تنتمى الى القرن الرابع فى ربيمة، وفى منشآت تعود الى القرن الخامس فى **مشبك وسرجبلة وكفير وسرير وبانقفور وبنقوسة ودير سايتا**، وفى أعمال القرن السادس **بخربة حسن وبحيو وديحس وبامقة وباقرحا ودارقيطا وكوكنايا والخربيات وخربة تيزين وبابسقا وحاس**. ولدينا من القرن السابع مثال فى كنيسة سان سيرجيوس فى بابسقا وترجع الى عام ٦٠٩/٦١٠م (Butler, *Ancient Architecture in Syria* , Part 1: *Northern Syria*).

العقود المنحوتة في نقطة التقاء مدماكين

يبدو أن هذا النمط من العقود نادر نسبيا، فلم أتمكن من العثور على نماذج له سوى ما أورده بتلر فى خربة الخطيب ببيت للتعميد يرجع الى عام ٥٣٢م (ص٢٠١-٢٠٢).

عقود بمنحنيات خارجية بعضها أفقي وبعضها مدرج

ونجد نموذجا لها في القرن الخامس بالكنيسة الشرقية ببابسقا وترجع الى عام ٤٠١م؛ أما القرن السادس فنرى مثالا لها بالكنيسة الغربية في باقرحا وترجع الى عام ٥٠١م، وكنيسة سان سيرجيوس بدارقيطا وترجع الى عام ٥٣٧م.

حنايا على هيئة أنصاف قباب بصنجات مروحية

كان الغرض من هذه التقنية كما يشير تشيوسى هو الحيلولة دون التعدى على العقد الأمامى للحنية. ويقدم تشويسى أمثلة فى الشام وهى القصر الملكى فى مسميا بليجا، والقصر الملكى فى سنمين بحوران، وهناك مزيج من النسقين -الأفقى والمروحي- فى سبالاتو (*L'Art de bâtîr chez les Byzantins* , 74-5).

حنايا على هيئة أنصاف قباب صغيرة للغرض الزخرفي

وهى سمة ثابتة فى العمارة الرومانية سواء فى الأقاليم الشرقية أو الغربية ولاحاجة بنا لإيراد نماذج عليها. ونجدها فى العمارة الإسلامية في وقت مبكر فى عام ١١٠ (٧٢٩م) بقصر الحير.

أعتاب ذات كتل عاتقة على شكل إسفين

هناك مثال عليها ربما يرجع الى القرن الرابع فى بانقفور (Butler, 78-79)، ومثال آخر فى بابسقا بكنيسة سان

سيرجيوس ويرجع الى عام ٦٠٩/٦١٠ م (ص٢٦١-٢١٨).

حليات متصلة

تعتبر الحليات التى تنعطف بصورة متكررة بزوايا يمنى سمة من سمات العمارة فى شمال الشام قبل الإسلام.

الصنج المعشقة

على الرغم من ندرة استخدامها إلا أنها عرفت فى أرجاء الامبراطورية الرومانية من قرطبة وحتى حدودها على الفرات.

تقاطع الأقبية الاسطوانية المرتفعة

نجد هذه السمة فى برج الدرج الكبير المؤدى الى منصة باب النصر وفى برج الدرج الصغير المؤدى الى أسفل من نفس المنصة الى المجاز الدفاعي. كما نجده فى الشرفة التى تعبر باب الفتوح (شكل ٨٨). ويبدو أن هذا الأسلوب تم اقتباسه عن الشام فى بيزنطة بالقرن السادس حيث ظهر فى قصر ابن وردان باعتباره سمة جديدة تماما ولم تكن معروفة قبل ذلك فى تلك البقاع. يقول بتلر عن برج درج الكنيسة (٥٦١-٥٦٤م):

«ببرج الدرج نسق من الأقبية شديد التعقيد. فقد تمت تغطية كل قلبة سلم باسطوانة بسيطة تحمل قلبة السلم فوقها. وعند كل بسطتين كان هناك قبو متقاطع يستقبل أطراف الاسطوانات المتحدرة؛ أما البسطات التبادلية فلم تكن بها أقبية متقاطعة، وفيها تم الجمع بين قبوين اسطوانيين متحدرين متقاطعين لا عن طريق إسقاط أحدهما تحت الآخر، بل الاثنين معا بشكل شديد التعقيد» (Butler, *Ancient Architecture,* p. 33)

أما عدم قدرتى على الاستشهاد بمثال وسيط فى الشام على هذا الأسلوب المعمارى بين هذا النموذج وبين بوابات القاهرة فلاأهمية له نظرا لندرة الآثار بين ٧٥٠م ومطلع القرن الحادى عشر.

المخدات المتلاصقة(٣٢١) فى باب الفتوح

وهى تمثل مشكلة؛ فمع أنها أقدم النماذج المعروفة إلا أنها موجودة بمصر؛ فى حين أن النماذج الخمسة التالية تاريخيا نجدها بالشام. ولانجد هذه السمة مرة أخرى بمصر لمدة مئتى عام تقريبا، ثم نجد النماذج الأربعة التالية حين زاد التأثير الشامى كما سنرى فيما بعد.

فى ظل هذه الظروف، أجدنى أميل الى الاعتقاد بأن المخدات المتلاصقة بباب الفتوح ونظيراتها فى كنيسة الضريح المقدس (وهى أقدم النماذج الموجودة بالشام) مقتبسة عن أصل شامي. ولاتصبح هناك أهمية لعدم وجود نماذج فى الشام أقدم زمنا من باب الفتوح كما رأينا من حيث الفجوة الكبيرة التى تناهز ثلاثة قرون فى مجموعة الآثار الشامية، وهى فجوة تبدأ بأواخر القرن الثامن وتستمر حتى النصف الأول من القرن الحادى عشر. والنماذج الشامية الخمسة المشار اليها هي:

١. كنيسة سانت آن بالقدس (شكل ١٠٧) والتى شيدت فى حوالى عام ١١٣٠ تقريبا (بعد أن انخرطت جوديث ابنة بالدوين الثانى فى سلك الرهبنة بالدير الملحق بها عام ١١٣٠)؛

٢. كنيسة الضريح المقدس-المدخل الرئيسى والمدخل الغربى (مصوران بكتاب فوكيه، ص٢٤٤)- والتى اكتمل بناؤها عام ١١٤٩؛

٣. معمدانية الكنيسة بجبيل، النصف الأول من القرن الثانى عشر (Vogüé, 374-5)؛

٤. مدخل سقاية الملك العادل أبى بكر [وهى المعروفة بالكأس] بالقدس، ٥٨٩هـ/١١٩٣م (Van Berchem,

(*Jerusalem*, 104-8 ؛
٥. المدخل المؤدى الى مسجد ضريح علاء الدين بقونية، ويرجع تاريخه الى عام ٦١٦هـ (١٢١٩م، والنقش موجود على الضريح لكنه ينطبق أيضا على المسجد).

والنماذج الشامية التالية من حيث الترتيب الزمنى هي:

٦. سقيفة مشهد أبى هريرة فى يبنا (٦٧٣هـ/١٢٧٤م *Survey of Western Palestine*, Memoirs, II, 442-3) ؛

٧. مئذنة الجامع الأبيض بالرملة (٧١٨هـ/١٣١٨م، Van Berchem, *Inscriptions Arabe,* III. pp. 479-80) ؛

٨. الممر الثلاثى الشرقى (موازين باب الحطة) على الضلع الشمالى من منصة الصخرة بالقدس وعليه نقش باسم السلطان الناصر محمد بتاريخ ٧٢٦هـ (١٣٢٦م، Van Berchem, *Jerusalem*, 120-3) ؛

٩. المكتبة الخالدية بالقدس.

والنماذج غير المؤرخة هي:

١٠. ممر يؤدى الى برج بصفورية؛

١١. مئذنة جامع الخضرة بنابلس، ونوافذ الطابق العلوي؛

١٢. ممر أضافه المسلمون بالطرف الشرقى من كنيسة الصليبيين بغزة؛

١٣. ممر مسجد صغير بخربة دير ألكسيس واثنان من القرن السادس عشر؛

١٤. بوابة صهيون؛

١٥. بوابة سان ستيفن بالقدس.

والنماذج الأربعة الأولى فى مصر بعد باب الفتوح هي:

١. المدخل الرئيسى لجامع بيبرس؛

٢. مئذنة ضريح السلطان قلاوون (٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، حنايا نوافذ الطابق العلوى عدا واحدة؛

٣. مئذنة مدرسة سلار وسنجر الجاولي، حنايا النوافذ؛

٤. خانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير (٦-٧٠٩هـ/٦-١٣٠٩م)، مدخل.

وقد بنيت كل هذه الأبنية فى وقت كان فيه النفوذ الشامى قويا. ويمكن أن تستمر السلسلة على النحو التالي:

٥. ضريح على بدر القرافى (٧٠٠-٧١٠هـ/١٣٠٠-١٣٠١م)، مدخل؛

٦. مسجد منجك اليوسفى (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)؛

٧. ضريح الأمير أنس [يونس الدوادار] (٧٨٣هـ/١٣٨٢م)، عقد الإيوان المهشم؛

٨. مارستان السلطان المؤيد (٨٢١-٨٢٣هـ/١٤١٨-١٤٢٠م)، عقد كبير على الطرف الشمالى من النفق.

الدروع الواقية على باب النصر

هذه الدروع كما رأينا فى نمطين مستدير وعلى شكل طائرة ورقية. وكلا النمطين كانا مستخدمين فى العصور الوسطي. وكان الدرع الأفرنكى مستديرا وشديد التحدب عادة، ولم يصبح على شكل طائرة ورقية إلا حين عم استخدام الخيل فى الحرب. وكانت قبائل الفايكنج تستعين بالدرع المستدير، وكذلك فعلت معظم الأجناس التيوتونية الأخري. ولم يبدأ استخدام شكل الطائرة الورقية إلا فى القرن العاشر، واستعان به الانجليز فيما بعد. وفى أوروبا الغربية، فى حوالى عام ١٠٥٠، كان الدرع ذو شكل الطائرة الورقية قد طغى على الدرع المستدير فى الفروسية، وظل الأخير قاصرا على المشاة. وكان آخر من استعان بالدرع المستدير هم الدنماركيون الذين يروى

أنهم كانوا لايزالون يستخدمونه حتى عام ١١٧١ فى دبلن. وكان الدرع ذو شكل الطائرة الورقية مازال حديثا لدى النورمان بالقرن الحادى عشر. واستعان البيزنطيون بكلا النمطين. ويتضح من صورة لتيودور بقيسرية ترجع لعام ١٠٦٦ ومحفوظة بالمتحف البريطاني وجود فارس مسلح برمح ودرع مستدير. وفى مخطوط لسكاليتزس محفوظ فى مدريد نجد لوحة من المنمنمات تصور حصار القسطنطينية، جنود الحامية على الأسوار وفى أيديهم دروع على شكل طائرة ورقية. لذا فان لدينا ما يبرر القول بأن الدروع التى نراها على باب النصر تمثل النمطين اللذين شاع استخدامهما لدى جيش الرومان.

العنصر الزخرفى المستخدم فى الدروع المستديرة

كان هذا العنصر التعبيرى موجودا فى عصر ما قبل الإسلام بالشام. وهناك نموذج مؤرخ فى فسيفساء أرضية بكنيسة سان كوزماس وسان دميان بجرش، وكانت قد صنعت فى فبراير ٥٣٣ (انظر Crowfoot, *Church at Jerash*)، وهناك نموذجان آخران غير مؤرخين هما: (١) على الباب الغربى من كنيسة حماة والتى تعرف باسم الكنيسة العظمى وتحولت الى مسجد فى سنة ١٥هـ (٦٣٦م)؛ (٢) فى سلَمية على تاج عمود عثرت عليه البعثة البلجيكية عام ١٩٣٧، وهو حاليا بالمتاحف الملكية للفنون والتاريخ ببروكسل. وتم اكتشاف نموذج رابع قرب القدس فى فسيفساء الأرضية التى بقيت من الكنيسة البيزنطية (شكل ١٠٩)، ويرى هاملتون أنها ترجع الى القرن السادس (Hamilton, Byzantine Church at Mukhmâs, *Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine* , I, 103-4).

وهناك نموذج خامس فيما يسمى «ببيت النحات» فى بطورسة بشمال الشام، والاختلاف الوحيد به هو أن الجامة تضم سبعة فصوص (شكل ١١٠) بدلا من ستة، وأن هذه الفصوص تكونت بشريط متصل كما هو الحال بمدينة البندقية. وينسب دى فوكيه هذا البيت الى الفترة بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين (*La Syrie Centrale*, p. 89 and pl. 43).

كما نجد هذا العنصر الزخرفى فى آسيا الصغرى على لوح إغلاق بكنيسة كويميسيس فى نيكايا. وينسب ولف هذا اللوح الى الفترة بين القرنين الخامس والسادس؛ وعلى تاج عمود من المغنيسيوم على الهيرموس؛ كما وجد طريقه الى تونس فى العصر الرومانى حيث نراه فى فسيفساء أرضية محفوظ حاليا بمتحف باردو (شكل ١١١) وفى أرضية من الفسيفساء وجدت فى بليبين.

وفى النصف الأول من القرن التاسع، ظهر هذا العنصر فى كنيسة سان مارك بالبندقية على ألواح إغلاق الشرفة (شكل ١١٢) وعلى تيجان أعمدة ركن الترتيل (شكل ١١٣)، وهى تشبه نظيراتها بباب النصر من حيث أنها نحتت على سطح منحني. وبنيت البازيليكا الحالية بسان مارك على يد دوج دومينيكو كونتاريني (١٠٤٣-١٠٧١م) الذى بدأ بناءها -حسب قول كاتانيو- عام ١٠٦٣، إلا أن كاتانيو أوضح أن هذه القطع من البازيليكا الأصلية والتى شيدها دوج جوستنيان پارتيسيپاتسيو عام ٨٢٩ بعد وصول جثمان سان مارك.

ثم يظهر هذا العنصر بعد ذلك على ألواح الإغلاق بالفاصل الأيقونى بكنيسة سان لوك الأكبر حجما بفوسيس (شكل ١١٤أ)، وعلى الفاصل الأيقونى بالكنيسة الأصغر بنفس الدير (شكل ١١٤ب). وقد شيد هذا الدير حسبما ورد بمخطوطين يرجعان الى القرن الثامن عشر على يد الامبراطور رومانوس الثانى وأتمه فى عام ٦٤٧٤ «بتاريخ خلق العالم»؛ أو ٩٧٤ ميلادية (الأرجح ٩٦٦)، أى بعد ثلاث سنوات من وفاة رومانوس. وهناك أخطاء أخرى تتعلق بالتقويم الزمنى بالمخطوطين. ويحدد ديل (Deihl) تاريخ هذا الدير بأوائل القرن الحادى عشر،

وهو ما استقر عليه رأى كل من شولتز وبارنسلى (*The Monastery of Saint Luke of Stiris in Phocis*, pp. 15-16) .

كما يظهر هذا العنصر كحلية لكوشة عقد على قطعة رخام بكنيسة سان سافيور بالقسطنطينية والتى شيدتها الامبراطورة ايرين (١١١٨-١١٤٣م). ونجده بباليرمو على شكل جامة بين عقدى منور الكنيسة بالكاتدرائية التى بنيت بين عامى ١٣٠٧ و١٣٨٠.

كما وجد هذا العنصر طريقه الى الفن الإسلامى بفضل معماريى الرها الثلاثة الذين استعانوا به فى زخرفة الدروع على باب النصر. وبعد سبعين عاما، نجده يعاود الظهور على واجهة جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م) على نافذة الغرفة التى تشغل الركن المجاور لباب زويلة. وقد تم استيعابه ودمجه تماما فى الفنون الإسلامية ويظهر على شكل ثمانى الفصوص على وعاء برونزى كان ضمن مجموعة مارتن، لكنه حاليا ضمن مجموعة سار، وقد وضع على خلفية غنية (شكل ١١٥). وتتكون هذه الفصوص من شريط متصل كما هو الحال فى النموذج الموجود فى بطورسة والذى سبق الحديث عنه. وبما أننا تقصينا هذا العنصر التعبيرى عبر تسعة قرون، يمكننا الآن أن نقول إنه كان فى الأصل شاميا وإنه وجد طريقه الى الفن البيزنطى ثم الى الفن الإسلامى من بعده.

زخرفة العقد الأمامي بباب الفتوح

والنموذج المماثل الأقرب الى هذه الزخرفة والذى تمكنت من العثور عليه موجود على تاج عمود بكنيسة العذراء بميافارقين (شكل ١١٦)، وترى جيرترود بيل أنه يرجع الى أواخر القرن السادس الميلادي.

الحشوات ذات العقود المروحية الشكل بباب زويلة

وهى مجرد نموذج من سلسلة طويلة تبدأ منذ ما قبل الإسلام.

١. طيسفون: [المدائن] تبدأ السلسلة بالطرف الخارجى من القبو الكبير لطاق كسرى الذى انهار لكنه كان مزخرفا بها إبان زيارة ديولافواى فى سنة ١٨٨١ (*L'art antique de la Perse*, v. pl. vi). وبعد إتمام القبو تم نحت الحافة الخارجية الآجرية لكى تشكل نوعا من الأوراق النباتية والقُرنة.

٢. أخيضر (٧٧٨م؟): عولجت مجازات أبواب جامع القصر بهذا الأسلوب من الداخل، وكذلك الحشوات المعقودة التى تكون الطابق الثانى على الجانب الشمالى من بهو الشرف.

٣. سامراء: عولجت نوافذ المسجد الجامع الذى تم بناؤه فى سنة ٢٣٧هـ (٨٥٢م) بهذا الأسلوب من الداخل.

٤. سامراء: قصر العاشق (٢٦٤-٢٦٩هـ/٨٧٨-٨٨٢م)، الحشوات المعقودة تزخرف الأسوار الخارجية.

٥. حلب: بعد النماذج المذكورة لاأعلم شيئا عن وجود نماذج أخرى الى أن نصل الى المئذنة الحجرية الرائعة بمسجد حلب الجامع؛ وتشغل الحشوات (شكل ١١٧) الطابق الثالث منها. وكانت بداية بناء المئذنة حسب قول ابن الشحنة فى عام ٤٨٢هـ (١٠٨٩م) وتمت فى عام ٤٨٣هـ (١٠٩٠م). ويؤكد على التاريخ الأخير نقش على قمة الطابق الرابع. لذا فهى معاصرة تقريبا لباب زويلة حيث كانت قد تم بناؤها قبل عامين من إنشائه.

ملخص

رأينا الآن أن هذه البوابات وذلك الجزء من السور الذى ينتمى اليها مرتبطة بدرجة وثيقة من حيث البناء

والزخرفة بعمارة شمال الشام وأرمينيا وبين الرافدين الشمالية. ويمكن تلخيص التشابه فيما يلي:

البناء

الأبراج المربعة

مثلث كروي

استخدام الأعمدة كأربطة [ميد]

العقود : نصف دائرية

- منحوتة من مدماك واحد (أعتاب مقوسة)
- منحوتة عند نقطة التقاء مدماكين
- بمنحنيات خارجية مدرجة
- بصنج معشقة

أعتاب ذات كتل عاتقة على شكل إسفين

أقبية اسطوانية مرتفعة متقاطعة (وهو أمر صعب بالنسبة للمعمار)

الزخرفة

مخدات متلاصقة

دروع على باب النصر

صنج محارية مروحية

عنصر تعبيرى يزين الدروع المستديرة

رؤوس ثيران على كوابيل باب الفتوح

وكل هذه السمات تمثل تأكيدا أثريا لرواية المقريزى بأن المعماريين الثلاثة كانوا من الرها (اورفا) وتنفى النظرية القبطية للدكتور بتلر والتى لم تجد من يؤيدها.

المصادر والمراجع

١٣٥٨ مفضل بن أبي الفضائل، النهج السديد

١٤١٢ القلقشندي، جـ٣، ص ٣٥٣-٣٥٥ و٣٦٤

١٤٢٤ المقريزي، الخطط، جـ١، ص ٣٧٧

١٤٥٨ أبو المحاسن، ط جوينبولز، جـ٢، ص٤١٣

١٦٢٢ الإسحاقي، تاريخ، ص١٢٠

c. 1208 ABU SALIH, *Churches and Monasteries of Egypt*, Evetts' text, p. 65; transl., pp. 151-2.

١٢٧٨ ابن ميسّر، ط ماسيه، ص٢٩

1657 THÊVENOT, *Relation historiqued'un Voyage* (Paris, 1665), p. 238.

1697 MORISON, *Relation historiqued'un Voyage a Jérusalem* (Toul, 1704, pp. 134-5

1692-c 1708 MAILLET, *Description de l'Égypte*, pp. 209-10.

1737 POCOCKE (Richard), *A Description of the East*, I, pp. 29-30 and plate XIII A.

1747-51 FOURMONT (E.), *Description des plaines d'Héliopolis et de Memphis*, pp. 181-3

1761 NEIBUHR (C.), *Voyage en Arabie.* (1776 ed), I, pp. 87-8 and Tab XIII.
1799 CASSAS, *Voyage Pittoresque de la Syrie*, III, pl. 76.
1801 MAYER (Luigi), *Views in Egypt*, p. 47 with plate.
[1801] GROBERT (J.), *Description des Pyramides de Ghizé*, p. 138.
1881 JOMARD, *in the Description de l'Égypte, État moderne*, II, pp. 668 and 771-3, and Planches, I, pls. 46-7; Panckoucke's ed., XVIII, pp. 299-301 and 523-8.
1814 ALI BEY EL AL ABBASI, *Voyage*, pl. LXIX.
--- BERTON DE LA MARTINIERE (J. B. J.), *L'Égupte et la Syrie*, III, pp. 78-9.
١٨٢١ الجبرتي، عجائب الآثار، جـ١، ص١٩٢، ١٣٦، ١٥٩، ١٨١، ١٨٧، ١٩٦.
1834 ST. JOHN (J. A.), *Egypt and Mohammed Ali*, II, p. 316.
1839 COSTE (Pascal), *Architecture arabe ou Monuments du Kaire*, p. 43 and pls. LV-LVII.
1839 MAYER (H. de), *Tableau de Genre*, pl. VII.
--- TAYLOR (Baron), and L. REYBAUD, La Syrie, E'gypte, & c., pp. 253-5 with 2 plates.
1840 HAY (Robert), *Illustrations of Cairo*, Plates XII and XV and relative text.
1841 BROCCHI (G. E.), *Viaggi in Egitto*, II, pp. 424-5.
1848 MARCEL (J. J.), *Égypte*, p. 206 and plate 18.
1849 ROBERTS (David), *Egypt and Nubia*, III, 1st, 3rd and 4th plates.
1851 POOLE (Mrs. S.), *The Englishwoman in Egypt*, I, pp. 137-8.
1852 BIDA (Alex), and E. BARBOT, *Souvenirs d'Égypte*, 15th plate (Bab an-Nasr).
1853 LAORTY, I, Égypte, pp. 255-6.
1857 LIBAY (Louis), *Aegypten, Reisebilder aus dem Orient*, Taf. 11.
1871 CASTELLAZZI, *Ricordi di architettura orientale*, tav. 31, and relative text.
--- LACOUR (Raoul), *L'Égypte, d'Alexandrie a la seconde Cataracte*, p. 136.
1872 LENOIR (Paul), *Le Fayoum*, pp. 26-7.
1877 PRISSE D'AVENNES, *A'Art arabe*, Texte, pp. 75-9, 161-4 and figs. 6-10, pl. III.
1882 KAY (H. C.), "Al-Kahirah and its Gates," *J.R.A.S.*, 1882, pp. 243-4.
--- RHONE (A.), in the *G.B.A.*, 2me pér., t. XXV, p. 148.
1883 GIRARD (B.), *Souvenirs s'une campagne dans le Levant*, pp. 243-4.
--- HUGONNET (Léon), *En Égypte*, pp. 227-9.
--- VAUJANY (H. de), *Le Caire*, pp. 222-5.
[1883] WILSON (Sir Chas.), *Picturesque Palestine*, IV, p. 140 and woodcut on p. 132.
1884 ARTIN (Yacoub), "Bab Zoueyleh et la mosquée d'el-Moéyed". *BI.E.*, 1883, pp. 128-32, 139-40, and 147-52.
--- LANE-POOLE (Stanley), *Social Life in Egypt*, pp. 8-9 and frontispiece.
1886 KAY (H. C.), "Inscriptions at Cairo and the Burju-z Zafar," *J.R.A.S.*, 1886, pp. 82-4.
1887 BÉchard (E) and PALMIERE (A.), *L'Égypte et la Nubie*, pl. XVI (reversed).
١٨٨٩/٨ على مبارك، الخطط الجديدة، ١، ص١٥.
1891 BERCHEM (M. van), "Notes d'archéologie arabe," *Journal Asiatique*, 8me sér., t. XVII, pp. 446-78.
1892 LANE-POOLE (Stanley), *Cairo: Sketches of its History, Monuments and Social Life*, p. 7 with 1 illus.
1893 KELLY (R. Talbot), *Egypt*, pp. 37-8 and pl. 13.
1894 BERCHEM (M. van), *Corpus Inscriptionum Arabicarum--Égypte*, I, pp. 56-62 and 707-8, and pls. XVII-XIX.
1894-7 CASANOVA (Paul), "Histoire et description de la Citadelle du Caire," *M.M.A.F.C.*, VI, pp. 524-53 and pl. 11.
1895 GROFF (Florence), *Guide du Caire et ses environs*, pp. 9-11.
1896 FRANZ (Julius), *Die Baukunst des Islam*, 2te Aufl., Fig. 93.

--- LANE (E. W.), *Cairo Fifty Years Ago*, pp. 29-30 and 38-43.
1898 HERZ (Max), in the *Comité de Conservation, Exercice, 1897,* pp. x-xii and pl. XII.
1899 WORDSFOLD (W. B.), *The Redemption of Egypt*, pp. 93-5, with 3 plates.
1901 LANE-POOLE (Stanley), *A History of Egypt in the Middle Ages*, pp. 152-3 and figs. 32-3.
1903 FRANZ (Julius), *Kairo*, pp. 19-21, with 3 illus.
1906 HERZ (Max), *Catalogue*, 2me éd., pp. xxxix-xl, 7, and 42.
1907 MARGOLIOUTH (D. S.), *Cairo, Jerusalem & Damascus*, pp. 20-21 and 22.
--- SALADIN (H.), *Manuel d'Art Musulman, I, L'Architecture*, pp. 104-7 and figs. 60-62
--- TYNDALE (Walter), *Below the Cataracts*, pp. 39-42 and 92.
1909 LAMPLOUGH (A. O.), and R. FRANCIS, *Cairo and its environs*, pp. 10 and 14-20.
1910 BERCHEM (M. van) and J. STRZYGOWSKI, Amida, pp. 21-2, 306-8, and Abb. 257.
--- RHONÉ (Arthur), *L'Égypte a petites journées*, 2me éd., pp. 42-5 and 354-61, with 3 illus. and illus. on p. 46.
1913 TODD (J. A.), in E. du Cane, *Banks of the Nile,* pp. 58-9.
1914 RIVIORA (G. T.), *Architettura musulmana*, pp. 183-4 and figs. 153-5.
[1915] BALIAN (Garo), *L'Égypte et l'architecture arabe*, pp. 77-9, with 3 illus. [in Armenian].
1917 DEVONSHIRE (Mrs. R. L.), *Rambles in Cairo*, pp. 20-24 and 67, with 1 plate and 6 illus.; 2nd ed., pp. 17-18 and pls. X-XI.
1919 CRESWELL (K. A. C.), "Brief Chronology," *B.I.F.A.O.*, XVI, pp. 53-7 and fig. 1.
1922 PATRICOLO (A.) and U. MONNERET DE VILLARD, *The Church of Sitt Burbara*, p. 42 and figs. 23-5.
1923 HERZFELD (F.), *Die Ausgrabungen von Samarra: Der Wandschmuck*, p. 17, Abb. 9, and Taf. XXII.
--- TARCHI (Ugo), *L'Architettura e l'arte musulmana*, pp. 9-10, tav. 29 and 31-2, and 3 figs.
1924 BRIGGS (M. S.), *MUhammadan Architecture in Egypt and Palestine*, pp. 72-3, 187, and figs. 31-4.
1925 DEVONSHIRE (Mrs. R. L.), *Quatre-vingts Mosquées*, p. 12 and pls. VII-IX.
--- QUIBELL (A. A.), A Wayfarer in Egypt, pp. 86-7.
1926 RICHMOND (E. T.), *Moslem Architecture*, pp. 93-7 and figs. 28.
1931 CRESWELL (K. A. C.), in Ross (E. D.), *The Art of Egypt through the Ages,* p. 64, and pls. 268-71.
--- HAUTECOEUR (L.), "De la trompe au 'mukarnas," *G.B.A.*, 6me pér., t. VI, pp. 38-9 and fig. 8.
1932 HAUTECOEUR (L.) and G. WIET, *Les Mosquées du Caire*, pp. 232-9 and pls. 27-34.
1936 WIET (G.), *Répertoire chronologique d'Épigraphie arabe*, VII, pp. 237-9, and XI, pp. 264-5.
1939 MAHMUD AHMAD, *Concise Guide to the principal Arabic Monuments in Cairo*, pp. 71-2 and figs. 9-11.
1942 WIET (G.), "Nouvelles inscriptions fatimides," *B.I.É.*, XXIV, pp. 149-55 and pls. III-VII.
1943 HERZFELD (Ernst), "Damascus: Studies in Architecture," *Ars Islamica,* X, pp. 32-4 and figs. 47, 49 and 50.
[1947] MARÇAIS (Georges), *L'Art de l'Islam*, p. 74, and pl. XIX.

جامع بدر الجمالي بجزيرة الروضة

(٤٨٥هـ/١٠٩٢م)

لم يعد هذا الجامع قائما، لكنه كان لايزال موجودا وفي حالة جيدة إبان الحملة الفرنسية، وترك لنا مارسيل(٣٢٢) الوصف الواضح والدقيق التالي ومعه تخطيط له (شكل ١١٨):

«... لدى مغادرة المقياس، وصحنه نتجه يسارا مرة أخرى في الصحن الكبير ونجد الى الغرب من هذا البناء جامعا يحتل ركن الجزيرة بأكمله في مواجهة الجيزة. وقد بنى هذا الجامع بأمر من الخليفة المستنصر بالله ووزيره أبي نجم بدر الجمالي.

يقع مدخل الجامع المستقل عن المقياس والذي عرف باسمه في أقصى الطرف الجنوبي من الصحن الكبير لهذا الأثر، وهو الصحن المشترك بينه وبيم المنشآت الأخرى المحيطة به، وبه سلم مزدوج من ١٥ درجة عرض كل منها ٢٥سم وطولها متران، ويؤدى الى المدخل الرئيسي.

وفوق هذا الباب نجد لوحا حجريا عرضه ٦٧سم وارتفاعه ٩٠سم منقوشا عليه **نقش قرمطي ثان**. وعند دخولنا الجامع (شكل ١١٨) نجد أنفسنا في شرقة مربعة الزوايا تدعمها أعمدة وتحيط بالجامع على جوانبه الأربعة؛ وهذه الشرفة الداخلية مفردة على الجانبين الشمالي والجنوبي، ومزدوجة على الجانب الغربي، وثلاثية على الجانب الشرقي. ويبلغ عدد الأعمدة أو الدعامات التي تدعم سقف هذا الجامع ٣٨ عمودا، أربعة منها دعامات زاوية. والأعمدة المستطيلة والموازية للدعامات ناتئة من الجدران، وعددها ٣٢. ويبلغ سمك الدعامات ٨٠سم؛ وتبرز أنصاف الدعامات مسافة ٤٠سم عن واجهة الجدار. والمسافات بين الأعمدة وكذلك عرض الشرفة الشمالية ٢,٥٠م. ومن بين الشرفات القائمة على الجانب الغربي يبلغ عرض الشرفة المجاورة للسور ٢,٦٠م؛ أما الشرفات الداخلية على نفس الضلع وكذلك الشرفات على الضلع الشرقي فيبلغ عرضها ٥م، وعرض الشرفة الجنوبية ٢,٤٠م. والجدار الشرقي للجامع مشترك بينه وبين المقياس ويفصل بينهما. والصحن الكبير المشترك بين المقياس وملحقاته الأخرى يحد الجدار الشمالي. والجدار الجنوبي وجزء من الجدار الغربي يقعان على النهر، وتغسل المياه منحدر الجدار الذي تقوم أساساته عليه.

وعلى الضلع الجنوبي تقع الحنية التي تسمى قبلة [المحراب] والتي تحدد الاتجاه الى مكة حيث يتجه المسلمون حين يؤدون الصلاة. وقد وضعت هذه الحنية في **فجوة كبيرة يقصد بها أيضا** أن تضم المنبر الذي تلقى منه الخطبة؛ والى يمين الحنية وعلى نفس الواجهة هناك أربع فجوات أقل عمقا، ثلاث منها الى اليسار وواحدة فقط الى اليمين.وعلى نفس ضلع هذه الحنية هناك سبع نوافذ تنير الجامع؛ وضعت اثنتان منها الى اليمين وخمس الى اليسار؛ وهذه النوافذ مفتوحة على النهر. وهناك نوافذ أخرى بالجدار الغربي. وعلى الواجهة الخارجية من هذا الجدار -بمواجهة الجيزة- وضع **نقش قرمطي ثالث**. ويبلغ ارتفاع الجامع ٦م حتى السقف. وملحق به على الضلع الجنوبي مئذنة متوسطة يبلغ ارتفاعها ٢٤م.

وقطعة الأرض المثلثة بين جزء من الجدار الغربي من الجامع والنهر تشغله منشآت مختلفة يتصرف فيها خدام هذا الجامع. ويبلغ عرض المنشأة الرئيسية منها ٦م وطولها ١٠,٤٠م، وارتفاعها ٣,٥٠م. وعند مغادرة هذه القطعة من الأرض نجد الى اليسار بالصحن الكبير مدخلا معقودا يؤدى الى سلم به حوالي ١٨ درجة نهبط منها الى حافة الفرع الأيسر من النهر. ومن سلالم هذا الدرج والتي تغطيها المياه في موسم الفيضان، كان الناس فيما مضى يقيسون مناسيب النيل على اختلافها؛ ولايزالون يراقبون تقدم مراحل الفيضان منها لأن دخول المقياس محظور على الجمهور.

تم العثور على النبي موسى عند هذه السلالم طبقا لما ورد بالتراث الشعبي لأهل الشرق ...» (*Description de l'Égypte, État moderne*, II, 156-8)

ويمكن أن نضيف الى الوصف السابق أن السقف -طبقا لقول فسكاونت فالنسيا- كانت تدعمه أعمدة كورنثية من الرخام الإيطالي (جـ٣، ص٣٧٥). وانهار الجامع حوالي عام ١٨٣٠ على أثر انفجار بمصنع البارود الذي كان قد أقامه باسكال كوست بمحاذاته في سنة ١٨٢٠. وعندما شيد قصر المانسترلي(٣٢٣) في سنة ١٨٥١، كان الجزء الشرقي منه هو موقع الجامع. وحين تمت إزالة هذا الجزء منذ ما يقرب من ١٥ سنة وجدت المداميك السفلية للجامع سليمة، وبالتالي أمكن تدقيق تخطيط مارسيل.

ومما يؤسف له أن رواية المقريزي التي تنص على أن السلطان المؤيد قام بهدم هذا الجامع في رجب ٨٢٣ (يوليو ١٤٢٠) وقام بتوسعته بعد أن ضم اليه موقع بعض البيوت المجاورة إلا أنه توفي قبل إكماله (الخطط، جـ٢،

ص٢٩٧) تلقى بظلال من الشك على الجزء الفاطمى من الجامع الذى كان مارسيل قد رآه، ولو أن هناك ثلاثة نقوش لبدر الجمالى مسجلا عليها أنه بنى فى سنة ٤٨٥ (١٠٩٢م) وكانت لاتزال على جدرانه.

ملحوظة

رؤوس الثيران على كوابيل باب الفتوح

هناك رؤوس ثيران صغيرة تزين ستة مداميك ارتكازية، اثنان منها فى الغرب وأربعة بالرواق الشرقى بمسجد ديار بكر الجامع. والرأسان الأولان مؤرخان بتاريخ ٥ (١٠؟) و٥١٨هـ (١١٢٤م) والأربعة الآخرون بتاريخ ٥٥٩هـ (١١٦٣م). صحيح أن هذه التواريخ لاحقة على باب الفتوح ولكن بما أن الواجهتين المعنيتين تضمان مواد أعيد استخدامها ذات تاريخ أسبق، فقد رأيت أن أصور واحدة من رؤوس الثيران هنا (شكل ١٠٠).

وأنتهز هذه الفرصة لكى أؤكد على الجزء الوحيد الفاطمى فى هذه البوابات الثلاث هو الأرابسك الذى نجده على هذه الكوابيل وألواح السقوف بينها (لوحات ٦٥جـ، ء، ٦٦أ، ب) والجامات الأرابسك على قمم الحشوات على برجى باب زويلة (لوحة ٧٢ب)، والجامة على الصنجة المفتاحية بقبو المنظرة (لوحة ٧٦ب) أعلى الممر الكبير.

الفصل الثاني عشر

وزارة الأفضل شاهنشاه

وفاة بدر الجمالي وتولى ابنه الأفضل خلفاً له

توفي بدر الجمالي الوزير القوى للخليفة المستنصر فى ربيع ١٠٩٤م وخلفه ابنه الذى اتخذ الأفضل لقبا له. وتوفي المستنصر فى أواخر العام نفسه (١٨ ذى الحجة ٤٨٧هـ/٢٩ ديسمبر ١٠٩٤م)، ولما كان خليفته صبيا فى الثامنة عشر، فقد حظى الأفضل بنفس النفوذ الذى كان لأبيه.

محراب الأفضل بجامع ابن طولون (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)

وصفه

فى حرم جامع ابن طولون [أى مقدم الجامع]، نلاحظ أن الواجهة الخارجية للدعامة الكائنة الى يمين العقد الأوسط فى البائكة الثانية من الصحن مزينة بمحراب جصى شديد الإتقان ارتفاعه ٣,١٥م وعرضه ٢,١٨م (لوحتان ٧٧، ١١٦ب).

فى منتصف الجزء السفلي، نجد إطارا مكونا من عقد مدبب ويرتكز على زوج من الأعمدة الصغيرة بتيجان ناقوسية [كأسية] الشكل. ويتكون العقد من شريطين كوفيين متوازيين بينهما حلية محدبة؛ ويدور هذا التكوين الثلاثى بزوايا يمنى ثم يجرى من جانب الى آخر أفقيا لمسافة قصيرة الى أن يلتقى **بحاشية** مكونة من شريطين متداخلين يشكلان سلسلة على شكل الرقم (٨). وبين كل من العمودين وبين هذه **الحاشية** هناك حشوة بتصميم محورى مكون من أنصاف مراوح نخيلية. والمسافة بين الأعمدة الصغيرة تكاد تخلو حاليا من أية زخارف، لكن هناك شرفة صنعت فى أغسطس ١٩٠٣ وهى محفوظة حاليا **بالمتحف العربى** [الفن الإسلامى بالقاهرة] تنم عن أن هذه المساحة كان يشغلها ثلاثة أسطر من الحروف الكوفية الكبيرة وضعت فى اطار معقود يمكن رؤية آثار منه (لوحة ٣٦ب). وسنرى أن هذه نقطة فى غاية الأهمية.

ويحيط **بطبلة** العقد الرئيسى صف من اللآلئ ومحشو بتصميم متمركز على قمته هلال مقلوب وفوقه عنصر تعبيرى ذو ثلاث وريقات نباتية بمروحة نخيلية مسننة وطويلة تنبت من تحته يمينا ويسارا. وكوشات العقد محشوة بنمط بسيط من السهام العريضة المتشابكة فى وسطه رقعتان مستديرتان خاليتان من الزخارف وما تبقى من عقدتين مخروطيتين وهو ما نجده فى المحراب الرئيسى بجامع ابن طولون (٢٦٥هـ/٨٧٩م)، وفى ضريح السيدة عاتكة (اللوحة ٨٠ جـ)، وفى المحاريب الجانبية بإخوة يوسف (لوحة ١١٨أ)، وفى مشهد السيدة رقية (لوحتان ١١٩، ١٢٠أ)، وفى ضريح محمد الحصواتى (لوحة ٨٨ب).

وعلى قمة العقد هلال، وفوقه نقش كوفى رائع على أرضية مكونة من تداخل مثلثات متساوية الأضلاع تتجمع بحيث تشكل مسدسات ويحيط بها من أعلاها ومن أسفلها جزء من الحاشية على شكل سلسلة من الرقم (٨) والتى ذكرناها منذ قليل. يلى ذلك شريط عريض من الزخارف المتقنة، ثم الحافة العليا من الحاشية على شكل سلسلة من الرقم (٨). ويتوج هذا التكوين الذى وصفناه نقش كوفى منفذ على ضلع مسطح يبرز بمقدار ٥ سم من السطح. ويحيط بالتكوين كله على جوانبه الثلاثة نقش كوفى رائع خلفيته محشوة تماما بمحاليق وزهور تنبت من الحروف. ويفتقر النقش الكوفى الذى سبق ذكره من هذه السمة. وفى النهاية، هناك حاشية زخرفية ضيقة تجرى على طول الحافة الخارجية. أما النسب فيلاحظ: (أ) أن نسبة الارتفاع الى العرض

تبلغ ٣:٢ تماما، وهى نسبة شائعة فى العمارة العباسية، (ب) أن القمة الداخلية للعقد الرئيسى تكاد تكون فى منتصف التكوين كله تقريبا، (ج) أن نسب الجزء الذى تحيط به الحاشية الخطية الكبيرة تبلغ ٢ :١ ، وكذلك النسبة بين العمودين الصغيرين.

تاريخ المحراب

يحمل النقش الكبير الذى يشكل الحاشية الخارجية اسم الخليفة المستنصر؛ ولا يحمل تاريخا، الا أنه نظرا لذكر اسم الوزير الأفضل شاهنشاه، فمن المرجح أنه تم تنفيذه فى سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) لأنه خلف أباه بدر الجمالى فى النصف الأول من نفس السنة، كما توفى المستنصر بذى الحجة من نفس السنة. اذن علينا أن نعتبر تنفيذه قد تم فى أواسط ٤٨٧هـ (Van Berchem, *Notes* , 487). ويعد هذا المحراب الوحيد فى القاهرة الذى يحمل نقشا تاريخيا باستثناء محراب السلطان لاجين على الدعامة التالية الى اليسار.

الأصول المعمارية

يختلف تكوين هذا المحراب المكون من اطار معقود داخل عقد كبير (الشكل ١١٩) عن أى محراب آخر فى العصر الفاطمي، وهو مايسهل الاستدلال عليه بالرجوع الى اللوحات من ١١٤ الى ١٢١ التى تبين تتابع المحاريب. ونبدأ الآن فى دراسة المحاريب الفارسية.

يرجع الفضل الى الزيادات العديدة التى أضيفت فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة فى معرفتنا بالعمارة الفارسية، ويمكن الآن التعرف على تتابع تطور المحاريب الفارسية على النحو التالي:

١ . نايين. المسجد الجامع (الشكل ١٢٠)، النصف الثانى من القرن العاشر.
٢ . يزد. دوازده امام (الشكل ١٢١)، ٤٢٩هـ (١٠٣٧م).
٣ . بوزان. امام زاده شاهزاده كرار (الشكل ١٢٢)، ٥٢٨هـ (١١٣٤م).
٤ . قزوين. مسجد الحيدرية (الشكل ١٢٣)، النصف الأول من القرن الثانى عشر.
٥ . زواره. المسجد الجامع، ٥٥١هـ (١١٥٦م).
٦ . اردستان. المسجد الجامع، المحراب الرئيسى (الشكل ١٢٤)، ٥٥٥هـ (١١٦٠م).
٧ . ابركوه. ضريح پير حمزه سبزپوش (الشكل ١٢٥)، القرن الثانى عشر.
٨ . كاشان. جامع ميدان، ٦٢٣هـ (١٢٢٦م).
٩ . فرامين. إمام زاده يحيي، ٦٦٣هـ (١٢٦٤م).
١٠ . اصفهان. المسجد الجامع، ٧١٠هـ (١٣١٠م).
١١ . مرند. الضريح، ٧٣١هـ (١٣٣٠م).
١٢ . همدان. علويان، القرن الثانى عشر أو أوائل الرابع عشر.

من إجمالى المحاريب الاثنى عشر المذكورة هناك ما لا يقل عن تسعة محاريب مسطحة وتتكون من اطار معقود وضع داخل إطار معقود أكبر؛ من ثم، فهى جميعا تعد نماذج أصيلة على هذا النمط. والاستثناءان الوحيدان، وهما يزد وبوزان، يتكونان فى الأولى من فجوة معقودة مستطيلة وضعت فى فجوة معقودة خارجية أكثر ضحالة، وفى الأخرى من حشوة معقودة خلف فجوة معقودة مماثلة فوقها حشوة تضم ثلاثة أسطر من نقش، ووضعت جميعا فى إطار خطى خارجي.

من الواضح إذن أن تكوين محراب الأفضل متأثر جزئيا بالأسلوب الفارسي. وهو المحراب الوحيد بمصر

الذى يمكن وصفه بذلك، وهو ما يعد بمثابة ضربة أخرى تقوض دعائم النظرية الشائعة عن وقوع العمارة الفاطمية تحت سيطرة التأثير الفارسي.

المشهد فى أسوان

وصفه

يعتبر هذا المشهد الذى يتوج قمة تل فى مواجهة فندق كتراكت أهم أثر بجبانة أسوان نظرا لتميزه على غيره لا بسبب حجمه وبنائه المتقن، بل أيضا بسبب دلاياته ورقبته بأضلاعها المسطحة بدلا من أن تكون مقعرة، ولا تنحنى الى الخارج عند الأركان (شكل ١٢٦، لوحات ٧٨، ١١٠ء، هـ). وهو ينتمى كما يؤكد مونيريه (ص٣٦) الى العمارة المعاصرة للعاصمة [القاهرة] ولاصلة له بالمدرسة التقليدية المحلية. وتسبقه سقيفة ثلاثية العقود (A) من الآجر المحروق تواجه الغرب ومساحتها ٨,٥٧ × ٢,٢١م ويغطيها قبو اسطواني. ويمكن الدخول الى هذه السقيفة من الشمال أيضا، إلا أن الطرف الآخر مغلق بحجرتين إحداهما ذات قبو اسطوانى صغير (B) يكاد يكون مفتوحا تماما من ناحية الغرب، والأخرى (C) تقع خلفها ومدخلها من الخارج (ويقل ارتفاعه أقل من متر)، لكنه لايتصل ببقية المبني.

وهناك باب فى الوسط تحت السقيفة ويفتح على حجرة (D) مساحتها ٢,٥٠م مربع تقريبا ومغطاة بقبة. وهناك باب الى اليسار يؤدى الى حجرة ذات قبو اسطوانى (E) مساحتها ٢,٢٦ × ٢,٤٤م، ويؤدى الباب المواجه الى ما كان سيصبح حجرة بنفس المساحة لولا أن احتل مكانها درج السلم المؤدى الى السقف (وقد اختفت القلبة الأولى من هذا السلم). وهناك باب على البسطة الثانية يؤدى الى حجرة صغيرة بنيت فوق الغرفة المستطيلة (C).

واذا عدنا الى الحجرة المربعة (D) نلاحظ وجود باب ذى عقد منكسر ومسدود فى وسط الضلع الشرقي؛ وهو يؤدى الى صحن (F) مساحته ٧,٦٤ × ٨,٧٦م وبه شواهد على منصات مرتفعة قليلا، ولكن للوصول الى هذا الصحن حاليا لابد من المرور عبر الملحق (G) الذى يضم بابا يفتح عليه على الركن الشمالى الشرقي. ثم نجد أن جانبيه الشمالى والجنوبى تحدهما جدران بسيطة يبدو أنها بنيت من الآجر الطينى بشرافات بسيطة مستديرة، وأن جانبه الجنوبى مكون من واجهة المصلى الثلاثية العقود، وعقداه الجانبيان أصغر كثيرا من العقد الأوسط (لوحة ٧٨). والعقد الأوسط نصف دائرى وبصنج مفتاحية من الحجر المنحوت ويرتكز على عضادات من الحجر المنحوت، أما العقدان الجانبيان فهما مدببان ومن الآجر. ويتكون هذا الحرم الذى يرتفع عن الصحن بـ ٢٥سم من بائكة مركزية على جانبيها بائكتان مستطيلتان تفتحان عليه بعقود منكسرة. وهذه البائكات مسقوفة بأقبية اسطوانية مستديرة تقريبا من الآجر الطينى تجرى من الغرب الى الشرق ويصلها الضوء عبر نافذة ذات عقد مدبب على كل طرف تحت القبو مباشرة.

ترتكز القبة على منطقة انتقال مكونة من أربع مقرنصات (لوحة ١١٢ء) تشبه المقرنصات التى نجدها بالجعفرى وعاتكة والشيخ يونس والسيدة رقية، وبينها نافذة على شكل وريقة ثلاثية. وترتكز عليها رقبة مثمنة أضلاعها على خلاف كل ماعداها بالجبانة ليست مقعرة؛ وفى وسط كل ضلع هناك نافذة على شكل وريقة ثلاثية. وفوقها قبة مدببة من الآجر المحروق. والمحراب جهة القبلة تحت القبة شديد البساطة؛ فبه نتوء خارجى مستطيل مما يمكن التأكد منه بدخول البيت المبنى على الواجهة الخلفية. وأمام المحراب نجد بقايا شاهد مهم (لوحة ٧٨هـ) كان فى حالة سيئة حين رأيته آخر مرة (فبراير ١٩٤٨).

المبنى الملحق به

يتكون الملحق من دهليز أو مجاز طوله ٤,٧٠م وعرضه ٢,٤٢م يغطيه قبوان اسطوانيان قصيران جانبيان يتوسطهما قبة محمولة على حنايا ركنية. وجانبه الشرقي مكون من واجهة المصلى الثلاثية العقود أرضيته ترتفع حوالى ٦٠سم. ومساحة المصلى ٤,٧٣ × ٤٫٠٣م، والغرض منه يتبين من المحراب في وسط الضلع الشرقي. وعلى خلاف المجاز، فانه يغطيه قبو اسطواني يجرى من الشمال الى الجنوب بنافذة على الطرف الشمالي.

التحليل

نظرا للتكسية الجصية والملاط، يستحيل فحص البناء، ولكن يمكن رؤية أن بعض أطر الأبواب قد صنعت من الحجر المنحوت بعناية، وصنع بعضها الآخر من الآجر المحروق، وأن الآجر المحروق قد تم استخدامه في بناء القبة ورقبتها والمنطقة الانتقالية، وكذلك للأقبية الاسطوانية وأطر النوافذ أسفلها، لكن من المستحيل رؤية ما اذا كان هناك فاصل في المدماك الواصل بين الملحق والمبنى الرئيسي، أو بين المبنى الرئيسى والسقيفة ذات القبو الاسطواني والحجرتين الناتئتين، ولو أني مقتنع بأن هذا هو الحال.

تاريخ البناء

يستنتج مونيريه (ص٥٠-٥١) أنه يحتل مكانة وسطا بين الجيوشي والسيدة رقية، ثم يتحدث عن نقش من أسوان (متحف برلين، القسم الإسلامي) يشير الى جامع بنى هناك عام ٤٩١هـ (١٠٩٨م). وهذا النقش الذى نشره فيت (*Répertoire*, VIII, 38-9) باسم الأمير سيف الدولة أبي منصور **خطلة**. وظنا منى بأنه قد يتوافق مع الحشوة الغائرة التى تبلغ مساحتها ٦٢×٢٩سم فوق المدخل الشمالي الغربي، فقد كتبت الى الدكتور كونل في سنة ١٩٤٨ استأذنه في الحصول على مساحتها بدقة. فأبلغني أن مساحتها ٥٢×٣٠سم، وبذلك فانها لا يمكن أن تكون قد احتلت حشوتنا الفارغة.

على أى الأحوال، هناك عدة سمات تمثل أساسا للجدل:

أ. تشبه المقرنصات نظيراتها بالأضرحة الست التى سيرد وصفها في الباب التالى (عدا اخوة يوسف) ونظيراتها بالسيدة رقية والشبيه؛

ب. نوافذه لا تنقسم الى ثلاث، وهو ما يميزها عن النافذتين الأخريين. وهو أيضا ما ييسر لنا أن نعود به الى الفترة من ١١٠٠ الى ١١٢٥م؛

جـ. يشبه تخطيطه تخطيط خضرة الشريفة بدرجة تجعلنا نرجعه الى حوالى عام ١١٠٧م؛

ء. لكن القسمان الجانبيان مقبيان كما هو الحال بالجيوشي بدلا من أن تكون مغطاة بأسقف مسطحة كما هو الحال بالسيدة رقية، وهو مايسر لنا أيضا أن نعود به الى تاريخ قريب من تاريخ المقرنصات والنوافذ.

من ثم فاني اقترح الفترة من ١١٠٠ الى ١١١٠م تاريخا له.

وبهذا تكون لدينا سلسلة من المشاهد المتشابهة بصورة وثيقة من حيث الأسلوب ومن حيث أنها جميعا قد بنيت في فترة خمسين عاما: الجيوشي، ٤٧٨هـ (١٠٨٥م)؛ في أسوان، ١١٠٠ -١١١٠م [٤٩٤ - ٥٠٤]؛ خضرة الشريفة، ٥٠١هـ (١١٠٧م)؛ السيدة رقية، ٥٢٧هـ (١١٣٣م)(٣٢٤).

خضرة الشريفة (= مسجد الشريفة؟)

الوصـف

يمثل هذا الأثر (لوحات ٧٩، ١١٦ جـ، ء، شكل ١٢٧) بناء فريداً من نوعه يقع على بعد ثلث ميل جنوب شرق السبع بنات. ولا وجود له على أية خريطة ولم ترد إشارة اليه فى تقارير اللجنة. وهو مستطيل تبلغ مساحته تقريبيا ٣٠ × ٢٠م بكتف بالركن الجنوبى (لوحتان ٧٩أ، ب) بعرض ١,٤٠ و ١,٣٠م بنتوء يبلغ ٣٦سم على كل واجهة. لذا فإن أسلوب معالجة الركن تذكرنا بنظيره بجامعى ابن طولون والجيوشي. واختفت الأركان الأخرى للمبنى (لوحات ٧٩ ب، ء، هـ). والجدران محفوظة حتى ارتفاع يزيد قليلا عن ستة أمتار.

كان المدخل فى نتوء عرضه ٥,٥٠م على الطرف الشمالى الغربى من الواجهة الجنوبية الغربية؛ وهنا نجد بقايا عقد كبير (لوحة ٧٩ هـ) بنفس الارتفاع عند المنبت، وبنفس المقاييس على ما يبدو، كما هو الحال بالنسبة للمدخل الكبير المؤدى الى الصحن والعقد الذى يقع بينهما. ويبدو مما تبقى من عقد هذا المدخل أنه كان يتكون من حلقة رفيعة من الصنج التى وضعت مسطحة خارج الحلقة الداخلية من الصنج والتى وضعت على الحافة، وهو ما ينطبق أيضا على كل العقود الأخرى بالمبني. وكانت تضئ الدركاه (B) نافــــذة (C) وضعت مرتفعة وتطل على الصحن. وهناك دركاة آخرى (D) لم يكن بحاجة الى نافذة، وكان يفتح على الصحن بعقد ارتفاعه ٤م (لوحة ٧٩جـ، اذا قيس من مستوى الأرضية الحالية)، وعلى حجرة درج سلم (G) بعقد صغير. والأرجح أن درجات السلم كانت تبدأ عند النقطة (H)، لأن هناك كابولى عرضه ٩٧ سم – من المرجح أنه كان يدعم قمة البسطة الأولى – لايزال من الممكن رؤية الجزء السفلى منه من النقطة (J). وهناك كابولى ثانى وثالث على مستوى أعلى عند النقطتين (K) و (L). وهناك مجاز باب تحت البسطة الثانية من السلم يؤدى الى (E) التى كان بها قبو اسطوانى يجرى بالطول ولم يتبق منه شئ سوى الالتواء وتخطيط القبو على الجدار الجنوبى الشرقي. والالتواء يفسح المدخل من الحجرة (G) (لوحة ٧٩ء). وكان يتم دخول الحجرة التى تعلو هذا القبو من قمة البسطة الثانية لدرجات السلم عبر الباب (M). ولعل درج السلم كان مفتوحا الى السماء، وربما كان للحجرتين الأوليين أسقف مسطحة من الخشب، فليس هناك ما ينم عن وجود منبت قبو على جدرانهما. وهناك باب ثان بحجرة درج السلم؛ وكان يؤدى الى مايبدو وكأنه حجرة صغيرة يغطيها قبو (لوحة ٧٩ء) يجرى محوره من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربي، فهناك منبت قبو عال على الضلع الجنوبى الشرقي. ولعل هذه الحجرة كانت مرحاضا.

يبلغ ارتفاع جدران الصحن مابين ٥,٥٠ و٦م، لكن الزاوية الشرقية وجزءا من جدار على كل ضلع قد اختفيا تماما كما يتبين من اللوحة (٧٩ب، أعيد بناؤهما مؤخرا). ويبلغ عرضه ١٧,٣٥م وعمقه ٢٢,٨٠م حاليا، الا أن هناك فجوة عند النقطة (Z) تدل على أنه كان هناك جدار يجرى عند هذه النقطة، مما يخفض عمقه الى ١٥,٤٥م. وهناك فجوة مماثلة عند (O) تدل على أن الحرم كان يتكون من ثلاث بائكات أو حجرات (P, Q, R لوحة ٧٩و)، تعتبر الوسطى منها مربعا مساحته ٦,٤٠م أضيف اليها محراب مركزى كبير ومحراب آخر مسطح أصغر منه على كلا الجانبين، فى حين أن البائكتين الجانبيتين (أو الحجرتين) أضيف اليهما محراب واحد فقط. وبالمحراب المركزى نتوء خارجي بمقدار متر واحد، أما المحاريب الأخرى فليس بها أى نتوء. والى أن تمت إزالة بقايا الحجارة منذ خمس سنوات، لم يكن من الممكن تحديد ما اذا كانت البائكات الجانبية منفصلة تماما عن البائكة المركزية، أم أنها كانت متصلة بها بعقد. ولامجال لتحديد حجم الفتحات المؤدية من الحرم الى الصحن، ولا لتحديد وجود تخطيط ثلاثى العقود. ولكن حين تمت إزالة بقايا

الأحجار، وُجد أن الـ ٥٠-٨٠سم الأولى من هذه الجدران لاتزال باقية، وأمكن قياس عرض الفتحات. وكانت الغرفة ذات القبة تتصل بالصحن والحجرات الجانبية بفتحات عرضها ٢,٦٤م، وتتصل الحجرات الجانبية بالصحن بفتحات عرضها ٢,٣٠م. وبالاضافة الى ذلك، تم العثور على قبرين أحدهما عند النقطة (P) والآخر عند (Q)، وكانت بقايا الجزء السفلى من المحراب الأيسر للحجرة (Q) قد تركت مكشوفة ومحتفظة بجزء من زخرفتها الجصية (اللوحة ٧٩ ز).

وكانت حجرات الحرم الجانبية على ما يبدو أسقف خشبية مسطحة كما هو الحال بمشهد السيدة رقية، فليس هناك أى دليل على وجود قبو أو تخطيط لطرف قبو. وبما أن البائكة الجانبية بالحرم مربعة، فربما كانت عليها قبة، وذلك لتشابه تخطيطه مع تخطيط جامع الجيوشي ومشهد أسوان ومشهد السيدة رقية (الأشكال ٧٩، ١٢٦، ١٤٢).

مادة البناء

بنى هذا الجامع بتلاتات جيدة جدا من أحجار المقطم المحلية ذات اللون البنى المائل للاصفرار المبهج، لكن به خطا أبيض. وتتراوح الأحجار المجانبة بين ٢٢ و٣٢سم من الداخل، وتصل الى ٤٠سم من الخارج، وتتراوح اللبنات بين ١٥ و١٨سم. ومتوسط الصفوف ثمانية بكل متر، وضعت فى حشوة سميكة من الأسمنت. ويضفى صغر حجم المداميك المستخدمة على البناء مظهر البناء الآجري. ويتميز البناء الخارجى بالتكسية الجيدة ورقة طبقات الأسمنت، الا أن الواجهة الخارجية أكثر خشونة، عدا صنج العقود حيث يتميز سطحها بالنعومة والصقل. ولاشك أن البناء من الداخل كان مكسوا أصلا بالجص، وهناك آثار من تكسية غير محددة التاريخ عليه، ولكن ليس هناك أى منها على البناء من الخارج.

وليست هناك عقود منكسرة بهذا البناء، لأن العقود من نوع رباعى المركز قائم على ركائز (اللوحة ٧٩جـ)، وجميعها عدا المدخل الرئيسى الذى سبقت الإشارة اليه مكونة من حلقة من الصنج المرتبة فى لبنات وأحجار مجانبة تبادليا وتغطيها حلقة خارجية وضعت مسطحة. وفى المدخل المؤدى الى الصحن، نجد أن الحلقة الداخلية عمقها ٤٢سم والخارجية ٨سم؛ وفى المدخل المؤدى الى حجرة درج السلم نجد أن عمقهما ١٨ و٧سم؛ وفى المدخل المؤدى الى الحجرة الخلفية ٣٠ و٧سم على التوالي. أى أن البناء يشبه بناء جامع الجيوشى تماما.

هوية البناء وتاريخه

يرجع السبب الرئيسى لاعتقادى بأن هذا المبنى يعد أثرا فاطميا الى أن معالجة العقود تكشف عن طبقة من الآجر مع أنه بنى من الحجر. أى أن الصنج تم ترتيبها فى لبنات وأحجار مجانبة تبادليا بدلا من تنفيذها بصورة مباشرة، وتمت تغطيتها بحلقة خارجية وضعت مسطحة. ويعد هذا الأسلوب الغريب دليلا على وجود مرحلة انتقالية من البناء بالآجر الى البناء بالحجر، وهو ما لا وجود له الا فى الآثار الفاطمية المبكرة كالسبع بنات وجامعى لؤلؤة والجيوشي. وتذكرنا الزاوية الوحيدة الباقية فى حالة سليمة بأسلوب زوايا جامع ابن طولون فى حين أنها تختلف عن دعامات الجيوشي. واذا تناولنا المسألة من زاوية أخرى نشير الى ملحوظة كل من جيست وريتشموند ("Misr in the Fifteenth Century," *J.R.A.S.*, 1903, 811) بأن «كل المبانى التى ذكر المقريزى أنها كانت بالقرافة كانت تنتمى الى العصر الفاطمى مع وجود ما لا يزيد عن مبنيين أو ثلاثة بنيت بعد عام ١٣٠٠م وما لا يزيد عن سبعة أو ثمانية شيدت قبل عام ٩٠٠م. كما يلاحظ أن القرافة الكبرى لا يبدو أنها

كانت تضم مباني مهمة بنيت بها منذ ١١٦٨م، وهو تاريخ إحراق «مصر» على يد شاور لمنع وقوعها في أيدي الصليبيين بقيادة عموري. وكل هذا يؤيد الاستنتاج الذي تم التوصل اليه منذ قليل.

في كتابنا *Brief Chronology* أطلقت على هذا المبنى اسم «حوش أبو علي» بناء على تسمية ڤان برشم (*Mémoires de l'Institut Égyptien*, II, 615). وفي أثناء زيارتي بعد ذلك بثلاثين عاما، كان المبنى المعنى هو المنشأة الوحيدة الأخرى في الحي ويتطابق تماما مع وصف ڤان برشم بأنه «أربعة جدران محطمة». ورغم ذلك فلا يمكن أن يكون هو المبنى المسمى «جامع الأولياء» عند علي مبارك (الخطط الجديدة، جـ٤، ص٦٢)، لكنه قد يكون هو المشار اليه عنده باسم «الشريفة» والذي يذكر أنه كان يحتوى على محراب كبير تحيط به أربعة محاريب أصغر حجما، بينما لايشير الى المحاريب في معرض حديثه عن جامع الأولياء. كما نرى الآن أن هذا المبنى لايزال يعرف لدى أهالي البساتين باسم «الخضرة الشريفة»، وهذه التسمية هي الأرجح عندنا لأنها تعيننا على تحديد التواريخ، فقد أدرجت هذا الأثر في النصف الأول من القرن الحادى عشر لأسباب معمارية، في حين أن جامع القرافة كان قد بنى حسب رواية المقريزى (الخطط، جـ٢، ص٣١٨) عام ٣٦٦هـ[٣٢٥] (٩٧٦م).

ويتحدث المقريزى (جـ٢، ص٤٥٢) عن مسجد يسمى مسجد الشريفة بهذه المنطقة[٣٢٦]، ويحدد تاريخ بنائه بعام ٥٠١هـ (١١٠٧م). ويذكر ابن الزيات «الشريفة الخضراء» بعد السبع قباب مباشرة (الكواكب السيارة، ص١٧٨)، أي السبع بنات، وهو ما يناسب موقع أثرنا هذا الذى أجدنى أميل الى مطابقته على ما ورد لدى المقريزى باسم «مسجد الشريفة»، وهو رأى يزيد من تأكيد صحته تشطيب بناء الجدران والعقود والذى يفوق تشطيب السبع بنات وجامعى لؤلؤة والجيوشي.

وأغرب سمات هذا الأثر محرابه الثلاثي، وله نموذجان مؤكدان وآخران محتملان في مصر. والمحراب الثلاثى لا يكاد يعرف إلا في مصر. فالمسجد الجامع في ڤرامين والذى شيد في سنة ٧٢٢هـ (١٣٢٢م) لا يحتوى إلا على النموذج الفارسي الذى تم نشره (Sarre, *Denkmäler persischer Baukunst*, 59-64)، ولكن ربما عرف هذا النمط من المحاريب هناك في فترة سابقة، فهناك نموذج له بالهند (التى استقت معظم ثقافتها الإسلامية من الفرس)، وهو ضريح شمس الدين التمش الذى بنى قبل وفاته في سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م[٣٢٧] (Carr Stephen, *The Archeology and Monumental Remains of Delhi*, 103-4).

الفصل الثالث عشر

ستة أضرحة فاطمية متأخرة

الضريح القديم المواجه لخانقاة بيبرس الجاشنكير

وصفه

خلف إحدى ورش النجارة بشارع الجمالية وفى مواجهة خانقاه بيبرس الجاشنكير(٣٢٨)، نجد جزءا من قبة ومنطقة انتقال مثمنة خاصة بضريح صغير ناتئ فى الركن الجنوبي. وترتفع أعتاب نوافذ منطقة الانتقال عن أرضية الدكان بحوالى متر واحد. ويمكن دخول الدكان من خلال ثقب تكون نتيجة لإزالة البناء الآجرى لمسافة تقرب متر أسفل النافذة الشمالية الشرقية؛ واذا أضيف هذا الى النافذة نفسها، تكون النتيجة فتحة ارتفاعها متران تقريبا وعرضها متر. وليس من الممكن تحديد مستوى الأرضية الأصلية نظرا لتراكم بقايا الأحجار التى يبلغ عمقها مترا على الأقل.

يتكون هذا الضريح الصغير من ثلاثة أجزاء هي: القاعدة ومساحتها حوالى ٣م٢ من الداخل، لكن ارتفاعها لا يمكن تحديده؛ ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال ١,٤٩م؛ والقبة أكثر من ١,٥م بقليل. وقد بنى بالطوب الأحمر القاتم، مقاس كل طوبة منها ١٩-٢١×١٠×٥,٥ سم؛ ستة صفوف = ٣٨سم. وأعيد بناء معظم البناء الآجرى بالجزء السفلى من قبل اللجنة. وبنى عارض خشبى مساحته ١٠سم٢ على قمة الجدارين الجنوبى الشرقى والشمالى الغربى أسفل النوافذ والمقرنصات مباشرة. وحين رأيت هذا الضريح لأول مرة حوالى عام ١٩١٧، كان العارض الخشبى على قمة الجدار الجنوبى الغربى قد بدأ يميل فى ركن من الأركان؛ وأعيد الى مكانه منذ ذلك الحين.

وكان المدخل الأصلى الذى يبلغ عرضه مترا فى وسط الضلع الشمالى الغربي. وفى مواجهته كتلة متآكلة من البناء الآجرى وجزء من عقد مدمج فيها، وهو ما يعد دون شك قطعة من المحراب الأصلي. ويتكون العقد من حلقة داخلية وضعت على حافتها وحلقة غطائية من الآجر وضعت مسطحة، ويبلغ عمق إجمالى الحلقتين ٢٦سم. ونظرا لعدم وجود حلقة داخلية من الآجر توضع مسطحة، فانه يشبه عقود خضرة الشريفة (لوحة ٧٩). وتأتى قمته أسفل العارض الخشبى المذكور مباشرة.

المقرنصات (لوحة ١١١أ، شكل ١٢٨)

ثلاث من المقرنصات تشبه نظيراتها فى الجعفرى و السيدة عاتكة (عدا أن الحنية الوسطى السفلية بها حلقتان من الصنج بدلا من واحدة)، وكذلك النوافذ بينها عدا أن الحواف العليا من أنصاف العقود بالجزء السفلى قد ترتد الى الوراء قليلا بدلا من أن تكون رأسية كما هو مبين فى اللوحة (١١١)، وهى خاصية سبق أن لاحظناها فى السبع بنات (لوحة ٣٤هـ). ويبلغ سمك الجدار اذا قيس من النافذة الشمالية ٥٤سم. والمقرنصة الرابعة التى تقع فى الركن الجنوبى عبارة عن مقرنصة بسيطة تساوى فى ارتفاعها بقية المقرنصات ولو أنها تتكون من صفى حنية؛ وربما كانت ناتجة عن عملية ترميم. ويجب ملاحظة أن الحنية الوسطى السفلية فى كل مقرنصة ليست سوى حنية صغيرة تقل عن نصف المقاس المطلوب لتنفيذ الانتقال بها

وحدها. وعلى كل ضلع من أضلاعها حنية بنفس العرض والارتفاع بنيت بحيث تشكل قمتها كابولى صغيرا.

وهناك مقرنصة ثانية على الدعامات المتقدمة المكونة بهذه الصورة، وبامتداد الواجهة الأمامية لهذه المجموعة يتكون ضلع من مثمن الى أن يلتقى بالجدران الجانبية.

ونظرا لعدم وجود جص، يمكن رؤية الطريقة التى وضع بها الآجر. وتم اختيار النقطتين (A) و (B) (شكل ١٢٨) بحيث أن الخط الواصل بينهما يقطع الأركان عند النقطة المطلوبة لتحويل المربع الى مثمن. وتحتوى صفوف الجزء السفلى من أربع طوبات أحد أطرافها مشطوف؛ وهو أمر ضرورى للحنيات على الجانبين. وتتكون الحنية الوسطى من عقدين أحدهما داخل الآخر، وبما أن الطوب قد وضع على ٤٥°، فإن أركانها تبرز أيضا. هناك إذن ثمانى نقاط تبرز عندها أركان الآجر.

ووظيفة الطابق الثانى تغطية المثلث المفتوح عند قمة الصف الأول. وتم استخدام طوبتين بطرف مشطوف للحواف الخارجية للحنية العليا. وتبرز هذه الحواف المشطوفة كما هو موضح، ويرتفع فى الخلف ضلع ناتئ بنفس المسافة عند منبته، ويظل يتمدد الى أن يلتقى بقمة العقد مما يشكل ربع قبو متقاطع.

وفى حالة الضريح الذى ندرسه، فإن B-A تبلغ ١,٢٠م، C- D = ٥٥ سم، ولا يزيد مقاس الحنية العليا ٤١ سم. ويبلغ ارتفاع كل صف ٦٠ سم؛ بمجموع ١,٢٠م أى نفس عرض B-A. لذا فإن المزيج الكلى يشكل مربعا مساحته ١,٢٠م.

وكما هو الحال فى القباب السابقة، نجد أن الواجهات الثمانى لمثمن الانتقال تتكون من أربع مقرنصات تتناوب مع أربع نوافذ بأحجام وأشكال متقاربة، وفى هذا النمط الجديد من المقرنصات نلتقى بالمساحة الوسطى التى تحتلها نافذة على شكل وريقة نباتية ثلاثية بغرض التماثل والتوازن، وقد ورد تخطيطه من قبل. على أي، فهذه الفتحات تفتقر الى أى إطار أوسط يحولها الى نوافذ ثلاثية. وسرعان ماتم تلافى هذا القصور فى مشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ/ ١١٣٣م) حيث تم دعم النوافذ بإطار أوسط (لوحة ١١٣أ) وهو أسلوب تم تطبيقه بتنوع منذ ذلك الحين.

أما القبة المصقولة من الداخل والخارج، فبدلا من أن تكون مضلعة كنظيرتها بالسيدة عاتكة نجد أنها محمولة على أركان مثمن مكون من دلايات. وتحتفظ بجزء من تكسيتها الجصية التى اسودت حاليا من الدخان، وحول قاعدتها يجرى شريط كوفى يحيط به من أعلاه ومن أسفله صف من الحبيبات بين شريطين متوازيين (لوحة ١١١أ). وبدلا من أن تكون أرضية النقش محشوة بمحاليق تنبت من الحروف كما هو متوقع، نجد أنها مغطاة بصفوف من المثلثات الصغيرة.

ضريحا محمد الجعفرى والسيدة عاتكة
(١١٠٠ و١١٢٠م)

يقع هذان الضريحان الصغيران (رقم ٣٣٣ على الخريطة المرفقة) داخل أسوار نفس التكية كمشهد السيدة رقية. ويحتوى الضريحان على قبرى كل من محمد ابن الامام جعفر الصادق وعاتكة عمة النبى (لوحة ٨٠). وهما على درجة كبيرة من الأهمية لأنهما يشتملان على الخطوة الأولى من التطور من الحنية الركنية البسيطة الى الدلاية المقرنصة.

ضريح محمد الجعفري

وهو مكعب صغير من الآجر تزيد مساحته قليلا عن ٣,٨٠م من الداخل وارتفاعه ٣,٠٦م حتى منطقة الانتقال . ويبلغ سمك الجدران ٧٠سم وهى تدعم منطقة إنتقال مثمنة من الداخل ومدرجة من الخارج، ونافذة ثلاثية الفصوص فى كل من واجهتيه. ويبلغ ارتفاع هذه المنطقة الانتقالية ١,٧٦م وتتراجع الى الخلف بمسافة ٣١سم عن المكعب السفلي. وبين النوافذ نجد المقرنصات المكونة من ثلاث حنيات تعلوها حنية (لوحة ١١١ب) . ولهذه المقرنصات أهمية قصوي، لأنها تمثل النموذج الأصلى للمقرنصات المصرية. ونظرا لتكسيتها الجصية، فلا يمكن دراسة الوضع الحقيقى للآجر، سواء فى هذا الضريح أو فى ضريح السيدة عاتكة، كما هو الحال فى الضريح الصغير المواجه لخانقاه بيبرس الثانى حيث نجد مقرنصات مطابقة لهذه المقرنصات ونرى الآجر مكشوفا. وهذه المجموعات الأربع من الحنيات تدعم أضلاع المثمن وتقطع أركان المربع الذى نقشت فيه. وعلى المثمن وضعت قبة تقطع زواياه. والجزء الأعظم من هذه القبة معاد بناؤه، حيث انهار الجزء الأصلى فى فترة غير معلومة، ولم يتبق منه سوى جزء صغير على الضلع الشمالى الغربى لايتعدى نصف ارتفاعه. إلا أن باتريكولو (Comité de Conservation, *Exercices* 1915-19, p. 24) استطاع أن يظل على اقتناعه بأنها كانت تخلو من الضلوع سواء من الداخل أو من الخارج، على خلاف الحال بالسيدة عاتكة.

لم يتبق من الزخارف الأصلية الداخلية سوى بقايا من شريط من الكوفى المزخرف كان يجرى حول قمة الجدران تحت المقرنصات مباشرة. وبقي جزءان من هذا الشريط، أحدهما فى الركن الجنوبي، والآخر فى وسط الضلع الشمالى الغربي.

كان المدخل الأصلى فى مواجهة المحراب كما هو متوقع، إلا أن مجاز الباب لابد أنه كان مسدودا حين بنى الضريح المجاور، ولابد أنه كان مجاز الباب الآخر الذى لايزال مستخدما ومفتوحا بالضلع الشمالى الشرقى (شكل ١٢٩ ، وسنصادف حالة مشابهة حين نصل الى دراسة ضريح الصوابي) . ولايزال من الممكن رؤية أسكفة جذع النخلة بمجاز الباب الأول وهى مدمجة فى الجدار. وعلى جانبى المجاز الأخير هناك عدة قطع من الخشب تبدو حديثة العهد.

ضريح السيدة عاتكة (لوحات ١٨٠أ، ١٨١أ، جـ)

وعلى الضلع الشمالى الغربى هناك ضريح آخر هو ضريح السيدة عاتكة (رقم ٣٣٣ على الخريطة المرفقة) ، وهو يشبه الأول من كل النواحي عدا أنه ليس مربعا عاديا، حيث يتفاوت طول الأضلاع من ٣,٤٣ الى ٣,٩٠م، وبالتالى فالقبة بيضاوية، إلا أن المقرنصات متطابقة وكذلك الفتحات فيما بينها (لوحة ١١١ء) ، لكن القبة من الداخل تختلف، إذ تحتوى على ١٦ ضلعا (أى ضلعان فى كل جانب من المثمن) تتجمع فى دائرة مركزية مسطحة. كما تختلف من الخارج عن نظيرتها بضريح الجعفري، فهى مضلعة وتعد أقدم نموذج من نوعه فى مصر (لوحة ١١١هـ) باستثناء قباب أسوان. ويجب أن تعتبر هذه القبة ابتكارا فاطميا مجلوبا من شمال أفريقيا، لأن القبة التى تتقدم محراب جامع القيروان الذى ينسب الى أبى ابراهيم أحمد فى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) بنيت بنفس الصورة(٣٢٩)، وكذلك القبة التى تتقدم محراب مسجد تونس الجامع الذى يرجع الى عام ٢٥٠هـ (٨٦٤م).

احتفظ هذا الضريح بالجزء الأعظم من زخارفه الجصية التى تندرج تحت ثلاثة أنواع هي: ١ . شريط من الكوفى المزخرف يجرى سليما على قمة الجدران الأربعة تحت المقرنصات مباشرة؛ ٢ . الزخارف التى تشكل

إطارات النوافذ الثلاثية الفصوص؛ ٣. المحراب الجميل.

المحراب (لوحتان ٨٠ و١١٧ب)

وارتفاعه ٣,٠٤م وعرضه ١,٧٦م. ويحيط بعقده نقش كوفى رائع بحاشية من الحبيبات ويجرى على طول حافته الخارجية. ويحدد كل كوشة من كوشات العقد إطار مماثل، وتحتل وسط كل منها سرة بأخاديد ملتوية تحيط بها دائرة من الحبيبات، وقد حشيت الأرضية بساق متماوج ينبت منه عدد من أنصاف المراوح النخيلية وزوج من المراوح النخيلية الرائعة وضع كل منها فى حلقة مستديرة الى اليمين واليسار بجوار السرة. وتتوج الجميع شريط أفقى من الزخارف المتشابكة تكاد تلامس الحافة السفلية من الشريط الكتابى الكوفى الذى يجرى حول قمة الجدران. وفى الجزء العلوى من المحراب وفى إفريز النقش لاتزال تجاويف الزخارف تحتفظ بآثار الدهان الأزرق مما يجعل التصميم متميزا.

تاريخ الضريحين

نظرا لأن الزخارف السطحية الداخلية بضريح الجعفرى قد اختفت أو كادت، فانه من الصعب تحديد تاريخه لولا وجود بقايا من الشريط الكتابى الكوفى المزخرف ومقرنصاته غير المألوفة التى تدل على أنه ينتمى الى العصر الفاطمى المتأخر وهو مايستدل عليه من النموذج الآخر المؤرخ بدقة بمشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ/١١٣٣م) على بعد ١٧ متراً فقط من هذا الضريح. فيمكن الآن تحديد تاريخه بصورة أدق حيث تمت إزالة أجزاء من الملاط والجص من كلا الضريحين فى أثناء أعمال الترميم التى بدأتها اللجنة فى يوليو ١٩١٨. واتضح فى ذلك الوقت أن الجدران الأربعة لقاعدة ضريح الجعفرى كانت كاملة، الا أن ضريح السيدة عاتكة كان قد بنى ملاصقا له بحيث يشتركان معا فى جدار واحد، والرقبتان المثمنتان اللتان تكادا تتلامسان تشتركان فى سمك هذا الجدار الفاصل (٤٤ و٣١سم على التوالي). ولابد أن الباب الكائن فى الضلع الشمالى الغربى من ضريح الجعفرى كان مسدودا فى ذلك الوقت، وكان محراب عاتكة يحتل مكانه. كما تم اكتشاف نمط غريب من الشرفات على قمة الجدارين الجنوبى الغربى والشمالى الغربى لضريح السيدة عاتكة (لوحة ٨١ جـ) ولانصادفه مرة أخرى إلا مرتين فقط. ولابد أن هذين الجدارين كانا يكوّنان ضلعى حوش صغير كان يشغل ركنه ضريح الجعفري، وتمت الاستعانة بهما لتكوين ضلعى ضريح آخر بحيث لم يتبق إلا بناء جدار واحد آخر –هو الجدار الشمالى الشرقي– لتكوين قاعدة للقبة. وبهذا كان هناك داع لعدم انتظام شكل المربع. وحين رأيت هذين الضريحين لأول مرة فى سنة ١٩١٧، كان يمكن تمرير عصا من خلال نقطة الالتقاء عند النقطة A حيث لم يكن هناك مدماك من أى نوع وكان يمكن ملاحظة امتداد الجدار المصقول والمكسو بالجص. وبالتالى فالأرجح أنه بنى قبل ضريح السيدة عاتكة.

ومع أن الاحتمال الأكبر أن يكون بناء الضريح الأخير لاحقا على بناء ضريح الجعفرى للسبب المذكور، إلا أنى أعتقد أنه أقدم من مشهد السيدة رقية نظرا للأسلوب الفريد لفراغات النوافذ بين المقرنصات. ففى المبانى التى ترجع الى فترة أسبق، نجد أن الواجهات الثمانى لمثمن الانتقال تتكون من أربع مقرنصات تتناوب مع أربع نوافذ متشابهة فى الحجم والتخطيط (والأمثلة على ذلك جامعا الحاكم –لوحة ١٠٩– و الجيوشى –لوحة ١١٠أ– وضريح إخوة سيدنا يوسف –لوحة ١١٢جـ. وفى تاريخ لاحق نجد قبابا ترتكز على مكونة من ثلاث حنيات متوجة بحنية رابعة، والفراغ بينها تشغله نافذة ثلاثية تم وضع تخطيطها على غرار هيكل المقرنصات

لدواعي التماثل والتوازن (والأمثلة على ذلك ضريحا السيدة رقية ويحيى الشبيه) . وفي ضريحي الجعفري والسيدة عاتكة، نجد أسلوبا أقل تطورا، حيث نلاحظ أن الأضلاع الأربعة للمثمن والتي تتناوب مع المقرنصات تخترقها فتحات يتطابق تخطيطها مع تخطيط المقرنصات، لكنه يفتقر الى أي إطار على شكل حرف Y يحولها الى نوافذ ثلاثية (لوحتان ١١١ب، ء).

بقيت الحاشية المزخرفة التي تجري حول اطار النافذة في حالة جيدة على الضلعين الشمالي الغربي (لوحة ٨١ أ) والجنوبي الغربي لتبين أن النافذة كاملة وأنه لا يمكن أن يكون هناك أي إطار مركزي لها. وتبين اللوحة (١١١ء) الترتيب الذي يعد الأسلوب المتبع بمشهد السيدة رقية (لوحة ١١٣ أ) تطورا له لعلاج الخلل الواضح بالنمط الأقدم. وهناك صورة فوتوغرافية تم نشرها والتقطت من خارج ضريح عاتكة حيث وضعت آلة التصوير على أسكفة النافذة المطلة على الداخل الى النافذة المقابلة التي تقع فوق المحراب مباشرة والتي تتطابق مع نظيرتها بضريح الجعفري. كما يمكن رؤية قمة المحراب العاري من الزخارف بالضريح الأخير، والى يمينه شريط كوفي ونافذة تشبه في تخطيطها نظيرتها في مقدمة الصورة. ونظرا لأن مشهد السيدة رقية مؤرخ بعام ٥٢٧هـ (١١٣٣م.) فإننا نرى أن هذا الضريح يعود للفترة من ١١٠٠ الى ١١٢٠م وهو مايتفق وزخارف المحراب. أما ضريح الجعفري الذي بني ملاصقا له فلابد أن يؤرخ بتاريخ أسبق بقليل، وليكن بداية تلك الفترة.

ونجد هنا سمة أخرى مساعدة في هذا الصدد. فحين دونا كتابنا *Brief Chronology* في سنة ١٩١٩، لم نكن قد لاحظنا أن هناك شرافتين لاتزالان محفوظتين على الضلع الجنوبي الشرقي من صحن جامع الجيوشي (شكل ٧٩، لوحة ٤٨ب) . وهاتان الشرافتان صورة طبق الأصل من الشرافتين اللتين تتوجان الصحن الصغير أمام الجعفري الذي تم دمجه حاليا في ضريح عاتكة. من ثم فان عام ١١٠٠م. لا يصبح بعيدا بالنسبة للجعفري، ولعله أقدم الأضرحة الستة التي ورد ذكرها بهذا الباب.

تطور المقرنصات، الحلقة المفقودة في القاهرة القديمة [حي مصر القديمة جنوب القاهرة]

لكن هذه ليست هي المرحلة الانتقالية الوحيدة بين الحنية الركنية البسيطة وبين مايسمى «الدلاية المقرنصة». والمرحلة الأسبق يبدو أنها قد حفظت في كنيسة أبي سيفين بمصر القديمة حيث ترتكز القبة التي تقع فوق المذبح على النمط الموضح في الشكل (١٣٠، كان بوتي هو أول من لفت الانتباه الى هذه الحلقة المفقودة في سنة ١٩٣٠ في *Bois sculptés d'Églises coptes* ص٣٠-٣١). ونرى المقرنصة هنا وقد انكمشت في ركن وعلى جانبيها حنيتان متساويتا الأضلاع، ولكن بدون الطابق العلوي لإحدى الحنيتين. وتشكل كل مجموعة ضلعا من مثمن متساوي الأضلاع يتكون من أربع مجموعات بكل منها ثلاث حنايا وأربعة أطوال من الجدار الجانبي، ويشكل الجميع منطقة انتقالية. وفي الجدار الذي يقع بين المقرنصات هناك نافذة تتساوى في الحجم والشكل مع الحنية الوسطي.

أما بالنسبة للتاريخ فيقول صالح (طبعة إيفيت، ص٤٥) إن كنيسة أبي سيفين تم ترميمها على يد الأب افرايم الشامي في عهد خلافة الإمام العزيز بالله. ويذكر في موضع آخر أنها تعرضت لأضرار جسيمة في أعقاب حريق الفسطاط في سنة ١١٦٨م، حيث أضرم الغوغاء النار فيها فلم يتبق منها سوى الجدران وكنيسة صغيرة بداخلها نجت من الحريق، وهذه الزاوية كانت مهداة ليوحنا المعمدان، فتم ترميمها وإكمال الحرم واحلال سقف القباب الخشبية والعقود الآجرية (ص٤٧). ويضيف قائلا إن كنيسة ماري جرجس كانت في

الطابق العلوى من هذه الكنيسة وفوقها قبة عالية (شكل ١٣٠) «عمرها» الشيخ أبو الفضل يوحنا، وإن قبة هذه الكنيسة الصغيرة وهيكلها وجدرانها بقيت سليمة ولم تصب فى الحريق (ص٤٨).

نحن الآن فى حاجة الى تحديد تاريخ كل من الأب أفرايم والشيخ أبى الفضل يوحنا. احتل الأول بحر الاسكندرية حتى عام ٩٧٤م طبقا لقول أبى البركات، أو عام ٩٨٠م حسب رواية كل من المكين (طبعة اربينيوس، ص٢٤٦) والقلقشندى (جـ٥، ص٣١٨) والمقريزى (الخطط، جـ٢، ص٤٩٥). ويستنتج فيت الذى جمع كل هذه المراجع أنه طالما أن كل المصادر أجمعت على احتلال أفرايم للبحر لمدة ثلاث سنوات وذكرت بعض المصادر حدوث معجزة على يديه فى زمن المعز وفى مصادر أخرى فى زمن العزيز، فمن المحتمل أنه قد توج قبل وفاة الأخير (١٧ نوفمبر ٩٧٥) وأن بطريركيته استمرت حتى ٩٧٨ (Wiet in Pauty, p. 7).

أما الشيخ أبو الفضل يوحنا فكان كاتبا للأفضل شاهنشاه الذى تولى الوزارة من ١٠٩٤ الى ١١٢١م. وهكذا يمكن إرجاع مقرنصات زاوية مارى جرجس (شكل ١٣١) الى الفترة من ١٠٩٤ الى ١١٢١م حيث وضعت القبة على مقرنصات قريبة من مقرنصات كل من ضريحى الجعفرى وعاتكة، إلا أن الحنية العليا تعد أكثر عشوائية وربما سبقت النمط الإسلامي.

أما مقرنصات القبة التى تقع فوق المذبح، فأتفق مع بوتى على أن حريق ١١٦٨ قد أتى على السقف الجمالوني، لكنه لم يصب كنيسة مارى جرجس ولا القبة التى تعلو المذبح أو مقرنصاتها على الأقل (شكل ١٣٠) وهو ما قد يعزى الى أعمال الأعوام ٩٧٥–٩٧٨م. وهى على أية حال تمثل حلقة مفقودة بين المقرنصة وبين مقرنصات الأضرحة الصغيرة الستة التى ندرسها. واذا أخذنا كل هذه الحقائق فى الاعتبار، يصبح من المحتمل أن الأقباط خطوا **الخطوة الأولى فى تطور الدلاية المقرنصة المصرية**(٣٣٠).

ضريح الشيخ يونس

وصفه

على الجانب الشرقى من الطريق الذى يمتد شمال باب النصر عبر جبانة ممتدة هناك ضريح (رقم ٥١١ على الخريطة المرفقة) يعرف بضريح الشيخ يونس (لوحة ٨٢ أ، شكل ١٣٢) ويتميز بقبته التى تعلو على جدران الأحواش المحيطة بها. ونظرا لأسلوب مقرنصاته والنوافذ التى تتخلل المسافات فيما بينها، فمن المرجح أنه ينتمى الى نفس عصر الأضرحة التى تناولناها منذ قليل. إلا أنه أكبر من أى منها، وترتكز قبته على رقبة مثمنة وليس على مقرنصات مباشرة. ويتكون بالتالى من أربعة أجزاء بدلا من ثلاثة، أى من مستطيل يبلغ طول كل جانب من الجزء السفلى منه ٤,٤٢–٤,٤٨م وارتفاعه ٤,٠٥م، ومنطقة انتقال ارتفاعها ١,٦١م، ورقبة مثمنة ارتفاعها ١,٦١م، وقبة تضيف ٣,٥٦م الى الارتفاع الكلى للبناء ليصل الى ١٠,٨٣م.

ومادة البناء فيه هى الآجر المكسو بطبقة من الجص. ويبلغ سمك جدران الجزء السفلى ١,٢٠م، وسمك جدران منطقة الانتقال اذا قيست من النافذة ٦٨سم، وسمك جدران الرقبة المثمنة ٥٦ سم.

منطقة الانتقال

تعد المقرنصات والنوافذ نسخة طبق الأصل من نظيراتها بضريحى الجعفرى و عاتكة. والى جانب الرقبة، هناك سمتان جديدتان أخريان هما ١. زوايا الجزء السفلى مشطوفة، والشطف بمساحة متر واحد تقريبا؛ ٢. زوايا المنطقة الانتقالية مشطوفة أيضا وعلى قمة الشطف نقطة ناتئة مكونة من نصفى عقدين صغيرين يلتقيان

عند الزاوية وهو ما سنلاحظه فيما بعد بضريح محمد الحصواتي. ويعد الابتكار الثالث –أى النوافذ البيضاوية بالرقبة– سمة تميز العمل الاسطنبولى للنصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكن تبين أنه حشو جزئى للنوافذ الأصلية.

وبالداخل محراب بسيط، والزخرفة الوحيدة به عبارة عن نقش كوفى فى الجص يحيط بالعقد ويستمر الى اليمين واليسار حتى يصل الى أركان الحجرة. وهناك زوج من الفجوات الفارغة يوحى بأن هذا المحراب كان على جانبيه زوج من الأعمدة الرخامية الصغيرة. ويبرز هذا المحراب لمسافة ٨٠,١م من الخارج، وللجزء الناتئ قمة مدرجة منحدرة. وأغرب سمات هذا الضريح أسلوب معاملة الدخلات الثلاث التى لا يزيد عمق كل منها عن نصف متر وتحتل وسط الجوانب الثلاثة الأخري. وتغطيها عقود مدببة، الا أن الحافة الداخلية للعقد مدورة حين تلامس ظهر الدخلة، وهى محمولة عبر الأركان أسفلها بطريقة تذكرنا بالعديد من دخلات الأخيضر. ويمكن رؤية نماذج طبق الأصل من هذا الأسلوب فى قاعة الدردير وضريح يحيى الشبيه (لوحة ٩٥). وفتحت نافذة خلف الدخلة الشمالية الغربية وباب ثانوى فى الدخلة الشمالية الشرقية.

والدخلة الشمالية الغربية التى كان المدخل الرئيسى فيها على مايبدو تعرضت للتشوه. ومن الخارج هناك بائكة حديثة عمقها ٤١سم وعلى جانبيها مسطبتان ويغطيها عقد على شكل ورقة نباتية ثلاثية. ويفتح مجاز الباب الحقيقى الذى يبلغ عرضه ١,١٢م على الدخلة التى قطع ظهرها بصورة عشوائية بعمق نصف متر وارتفاع ٢,٧٠م. ولا يقع مجاز الباب على محور الفجوة تماما. كما أن الجدار الخارجى على هذا الضلع يبلغ سمكه ١,٦٥م، أى أنه أسمك من أى موضع آخر بمقدار ٤٥سم. ويستحيل فحص بنائه نظرا لوجود التكسية الجصية، ولكن يبدو أن هناك جدارا للدعم سمكه ٤٥سم بنى ملاصقا للضلع الشمالى الغربى الأصلى فى فترة ما فى القرن التاسع عشر بالنظر الى أسلوب بائكة المدخل، وربما حدث فى ذلك الوقت ما نشهده من ضرر لحق بظهر الدخلة لإيجاد مجاز باب أكثر اتساعا. ولعل النوافذ البيضاوية الثمانى المشار اليها منذ قليل قد تكونت فى نفس تلك الفترة.

تاريخ البناء

من الواضح أن هذا الضريح ينتمى الى نفس الفترة التى تنتمى اليها الأضرحة الثلاثة السابقة الذكر، أى فترة الربع الأول من القرن الثانى عشر، إلا أن هناك عدة ابتكارات منها الأركان المشطوفة بمنطقة الانتقال، كنظيراتها بضريح محمد الحصواتي، والرقبة المثمنة، مما يبرر لنا أن نضعه الأخير فى الترتيب.

يؤكد حسن أفندى عبدالوهاب(٣٣١) **بإدارة المتاحف العربية** أنه ضريح بدر الجمالى(٣٣٢) (توفى ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م) بناء على فقرة وردت لدى المقريزى (جـ١، ص٣٦٤) تنص على أنه أول من دفن بالجبانة الشمالية(٣٣٣). وبعد أن دفن فى هذه الجبانة الجديدة لاشك أن ضريحه تلاه العديد من الأضرحة. وينتمى ضريحنا هذا الى تلك الفترة بدون شك، ولكن لا يمكن القول بأن ضريح بدر هو الوحيد الذى بقى من بين كل الأضرحة التى بنيت فى هذا المكان بين ١٠٩٤ و ١١٢٥م مثلا. كل ما يمكن قوله هو أنه ينتمى الى تلك الفترة، وفى هذه الحالة يستحيل أن يكون أسبق من عام ١٠٩٤م، ولكن يبدو أنه ينتمى الى أواخر الفترة المعنية وليس الى أوائلها حسب النظرية المذكورة.

ضريح إخوة يوسف

وصفه

في الجبانة الجنوبية وعلى بعد ١٠٠م الى الشمال من بقايا جامع لؤلؤة، هناك منشأة غريبة تنتمي الى حقب عديدة تعرف باسم جامع إخوة يوسف (رقم ٣٠١ على الخريطة المرفقة). تتجه واجهة هذا الجامع نحو الجنوب الغربي، لكنه لا يقف وحده، فهناك حوش على الجانب الشمالي الغربي بمقابر تعود الى العصر العثماني وبقايا بيت أزيل نصفه على الجانب الجنوبي الشرقي.

لدى دخولنا من الباب A (شكل ١٣٣)، نجد أنفسنا في الحجرة B ومساحتها ٣,٧٤ × ٣,١٢م ويغطيها قبو متقاطع. والى يميننا نجد حجرة أوسع قليلا C ومقبية بنفس الطريقة وبها محراب ذو عقد منكسر بوسط جدار القبلة؛ وكل هذا الجزء من الآجر. ومن B يمكن لنا أن نعبر من خلال D الى جزء من المبنى بنى بصورة شاذة تماما، حيث نجد البائكتين F وG تغطيهما قبتان ضحلتان على مثلثات كروية، والبائكتين J وK يغطيهما قبوان اسطوانيان، والبائكة H يغطيها قبو متقاطع، والبائكة E يغطيها سقف خشبي. وجدران البائكتين J و K بنيت من الآجر وكذلك الدعامة M والعقود a وb وc والقبو الاسطواني، أما القبتان ومقرنصاتهما والعقدان d وe فبنيت من الحجر وكذلك الدعامة P والقبو الاسطواني H. كما أن الجدار الذى يحتوى على محرابين صغيرين والبائكة b-c متوازيان تماما، مما يوحى بأنهما جزء من نفس البناء، وكذلك القبو الاسطوانى الذى يرتكز عليهما، لكنه لايرجع الى نفس التاريخ الذى يرجع اليه الضريح، لأن الجدار الخلفى يمتد مائلا وراءه. وهناك سمة غريبة أخرى وهى أن الجدار الفاصل ما بين J وF من C وB متوازٍ تماما مع الضريح.

نستنتج من ذلك أن الجزءين J و K أقدم زمنا من غيرهما، لأن العقود a وb وc هى عقود منكسرة، فى حين أن d وe وf نصف دائرية وتشكل جزءا واحدا من القبتين الضحلتين اللتين وضعتا على مستوى أعلى من العقود المنكسرة بحيث تصنع الدلايات خطا شبه دائرى يتصل بسطح الجدار فوقها. ويبدو أن القبو الاسطوانى H يشكل جزءا من نفس البناء مثل F وG، مما يعطى انطباعا بأنه ينتمى الى العصر العثمانى، لأن المقرنصات تنبت من كوابيل مقرنصة، بينما قد تكون J وK فاطميتان. ومن J يمكن لنا أن نمر الى إضافتين لاحقتين هما Q وR وكلاهما بلا سقف حاليا.

وعلى الضلع الشمالى الشرقى من G هناك باب ذو عقد منكسر عرضه حوالى ١,٥م يفتح على الأثر الذى يهمنا فى هذا الموضع، ألا وهو ضريح إخوة يوسف الذى نمت بجواره تلك المبانى المحيرة التى وصفناها لتونا. وهو مربع ذو قبة يبلغ متوسط طول أضلاعه ٥,٧٣م. وارتفاع ٤,٦٤م من الأرضية تبرز الجدران بمسافة ٧سم، ويتم الانتقال على ٤٥ْ . وتنبت عند هذه النقطة المقرنصات نصف الاسطوانية ووعلى هيئة نصف قبة؛ وبين كل زوج من المقرنصات نجد نافذة ذات عقد منكسر ارتفاعها ١,٦٤م وعرضها ١,٤٤م (اللوحة ١١٢ جـ) . وهذه المنطقة الانتقالية التى يبلغ ارتفاعها ١,٩٧م مربعة من الخارج عدا أن الأركان العلوية مشطوفة حتى ارتفاع ١,٠٩م، وتظل الـ ٨٨ سم الأولى مربعة.

والرقبة المثمنة التى تتراجع عن الواجهة الخارجية للمنطقة الانتقالية بمسافة ٣٠ سم، يبلغ ارتفاعها ١,٣٥م وطول الأضلاع ٢,٦٠م. وبكل واجهة نافذة عرضها ٦٩ سم وارتفاعها ١,١٥م وليست ثلاثية الفصوص تماما، بل الجزء الأوسط من العقد مدرج كما هو الحال فى السبع بنات (لوحة ٣٤هـ)؛ وببعض

هذه النوافذ عقود من ثلاثة فصوص. ويبلغ سمك الأضلاع ٥٠سم اذا قيست من النوافذ، وتقوم القبة على هذه الرقبة المثمنة مباشرة.

واذا صعدنا الى الخارج لفحص الرقبة والمنطقة الانتقالية، نجد أن الأخيرة ترجع الى الخلف مسافة ٣٠ سم عن الواجهة الخارجية على ضلع القبلة، ومسافة ٥٦سم على الضلع الشمالى الشرقي. وعلى الجانب الشمالى الغربى يتقلص سمك الجدار من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربي، وهو ما يؤكد على ظاهرة غريبة ظهرت فى أثناء رسم التخطيط، وهى أن الضلع الجنوبى الغربى يبلغ سمكه ١,١٥م اذا قيس من مجاز الباب، بينما لا يزيد سمك ضلع القبلة عن ٩٠سم، وهى حقيقة تتأكد بقياسها من خلال النافذة التى تعلو المحراب. ويترتب على ذلك أيضا أن الضلع الشمالى الشرقى لابد أن يكون بنفس سمك نظيره الجنوبى الغربي.

وأغرب شذوذ عن القاعدة يتمثل فى المدخل، فهو على خلاف القاعدة المتعارف عليها لا يواجه المحراب، بل يقع على الضلع الجنوبى الغربي. ولابد أن ذلك يرجع الى بنائه فى مكان كان فيما مضى جبانة مزدحمة حيث لم يكن من الممكن الحصول على موقع يمكن الدخول اليه بحرية من كل الجوانب، أى أن الموقع المتاح لم يكن يسمح بالدخول اليه إلا من جانبه الجنوبى الغربي، كما هو الحال فى ضريح السيدة عاتكة. وهناك حقيقة أخرى غير متوقعة تكشفت بعد إزالة بقايا الأحجار عن جانبه الشمالى الشرقي. فقد وجد أن هذا الجانب الذى يبدأ عند نقطة تبعد بـ ٢,٦٠م من الركن الشرقى كان قد بنى ملاصقا تماما لواجهة قديمة من الجرف، ولو أن واجهة الجرف تبعد عنه حاليا بمسافة ٩٠م بسبب عدة قرون من قطع الحجارة.

المحراب الثلاثي (لوحة ١١٨أ)

هناك محراب ثلاثى رائع من الجص يشغل جدار القبلة بكامله ، يبلغ ارتفاع الأوسط منها ٤,٠٥م وعرضه ٢,١٥م، والمحراب الجانبى ٢,٨٥ × ١,٤٥م. وللمحراب الأوسط إطار خارجى عرضه ٣٠ سم ويتكون من نقش كوفى جميل به حرفى (لا) مجدولة بإتقان وإطار داخلى عرضه ٢٠سم من الكوفى الأقل زخرفة، أى ليست به أوراق نباتية أو مراوح نخيلية تنبت من الحروف المفروضة على نمط من الأرضيات يشبه النمط الذى يملأ كوشات العقد بمحراب الأفضل (لوحة ٧٧). وكوشات العقد مملوءة بأوراق نباتية ثلاثية ومراوح نخيلية طويلة وما الى ذلك مما يشبه زخرفة كوشات عقد المحراب تحت قبة أمام مجاز الأزهر (لوحة ٩٠ب)، إلا أنها أقل إتقانا. وتفصل الإطار الخارجى عن زخرفة كوشات العقد حاشية ضيقة تشبه الحاشية المحيطة بأحد محاريب خضرة الشريفة (لوحة ١١٦ جـ). ويتوج الجميع إفريز مجدول باتقان ينحنى الى الأمام قليلا. وتبين الفجوات الفارغة على كلا الجانبين أن العقد المنكسر كان ينبت فيما مضى من زوج من الأعمدة الرفيعة.

وبالمحرابين الجانبيين إطاران خارجيان من خلال امتداد شريط نقشى يحيط بالمحراب الأوسط. وبعد أن يؤطر هذا الشريط المحراب الأيمن يلتف مرتين بزوايا يمنى ثم يجرى حول المحراب الأوسط وفى النهاية حول المحراب الأيسر. ويفتقر المحرابان الجانبيان الى إطار خطى داخلي، وكوشات العقد بهما، وهى صغيرة جدا، عولجت بأسلوب مختلف، فتحتل كلا منها سرة بأخاديد ملتوية. وهناك عمود صغير بتاج على شكل ساعة وبدن مزخرف بحليات على شكل دالات صنع من الجص على كل من جانبى المحرابين الجانبيين.

تعد المحاريب الثلاثية شديدة الندرة (ونحن نفرق بين المحاريب الثلاثية والمحاريب المنفصلة الثلاثة التى نجد مثلها فى أضرحة أم كلثوم ورقية والشبيه ومدرسة السلطان الصالح)، اذ ليس هناك سوى نموذج واحد لها بمصر فيما يسمى بضريح مصطفى باشا [رباط أزدمر الصالحى] الذى بنى فى الفترة من ٦٦٦ الى ٦٧٢هـ

(١٢٦٧-١٢٧٣م) باستثناء خضرة الشريفة و ضريح الإمام الشافعي ويضم كل منهما ثلاثة محاريب متقاربة لدرجة أنها ربما كانت متصلة بعضها البعض بإطار كوفى لتشكل محرابا ثلاثيا قبل اختفاء زخرفتها الجصية.

تاريخ البناء

في الجدار المقابل للمحراب تم دمج شاهد قبر بثمانية أسطر من الكوفى تنتهى بعبارة: «هذا قبر ابراهيم بن اليسع بن العيس من ذرية ابراهيم». ويعود فيت بهذا النقش الى عام ٤٠٠هـ (١٠٠٩م، *Répertoire d'Épigraphie arabe*, VI, p. 73). وربما لم تكن له صلة بالضريح الحالى الذى ينتمى بكل تأكيد الى فترة لاحقة بقرن من الزمان. وهناك سمتان تمثلان أساسا لتحديد تاريخ القبة القائمة على رقبة ومقرنصات وزخارف المحراب. ونجد مقرنصات شبيهة بهذه فى جامع الحاكم (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) و السبع بنات (٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) و الجيوشى (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م) وتظهر بعدها المقرنصة المكونة من حنية على ثلاث. وبعد ذلك هناك نموذجان آخران على استخدام المقرنصات فى العصر الفاطمى -القبة الكائنة عند المدخل المؤدى الى مجاز الأزهر (لوحة ١١٣ جـ) وضريح محمد الحصواتى (لوحة ١١٣ هـ). لكن المقرنصات فى هذين الأثرين أطول كثيرا وليست بها رقبة، مما يحدو بنا الى ضم ضريحنا هذا الى مجموعة النماذج الثلاثة الأولى المذكورة لولا أن الأركان العليا للمنطقة الانتقالية مشطوفة. وتظهر هذه الخاصية لأول مرة باستخدام مقرنصات حنية واحدة على ثلاث (الجعفرى وعاتكة وغيرهما)، وهو ما يسرر لنا أن نرجع بتاريخ ضريحنا هذا الى ما بعد ١١٠٠م.

إن دراسة المحراب الجصى تقودنا فى نفس الاتجاه، فقد رأينا أن به خصائص تشبه العناصر الموجودة بمحراب الأفضل (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وبمحراب فيلخضرة الشريفة (٥٠١هـ /١١٠٧م) وكوشات عقد المحراب تحت القبة بمقدمة مجاز الأزهر الذى يحتمل أن ينتمى الى عهد الحافظ لدين الله (٥٢٤هـ/١١٣٠م). وإفريزه المجدول أكثر إتقانا من نظيره بمحراب السيدة عاتكة، لكنه يشبه أفاريز المحاريب الخارجية بالسيدة رقية (٥٢٧هـ /١١٣٣م). ومن ناحية أخرى، فهو يفتقر الى الحواف المحارية التى نراها بضريح أم كلثوم (٥١٦هـ/١١٢٢م) والمحاريب الخمسة التالية فى الترتيب الزمني، أى بأضرحة كل من السيدة رقية، الحصواتي، الشبيه، أبى منصور إسماعيل [تربة الثعالبة] و الخلفاء العباسيين (انظر *Brief Chronology*, XVI, 75-76). نستنتج من ذلك أن التاريخ المحتمل لضريحنا هذا هو أواخر الربع الأول من القرن الثانى عشر.

الضريح الفاطمى بقوص

بنى أحد أجمل أضرحة العصر الفاطمى ملاصقا للضلع الشمالى الشرقى من مسجد قوص الجامع وقريبا من ركنه الشرقي؛ ويكمن جماله فى قبته ومنطقة انتقالها ، ولأن الأساس له مظهر مشوه وغير مستقر (لوحة ٨٥، شكل ١٣٤).

أساس القبة

إن البناء من الداخل بعيد كل البعد عن الشكل المربع، اذ يتراوح طول الأضلع بين ٢,٨٠ و٣,٠١م (شكل ١٣٤). ويبلغ الارتفاع اذا قيس من الحافة السفلية من منطقة الانتقال ٤,٩٠م؛ وبالتالى فهو أقرب الى مكعب ونصف. والضلع الشمالى الشرقى مفتوح تماما تقريبا، ومنطقة الانتقال تدعمها ثلاثة عوارض خشبية

مستعرضة ومتوازية ترتكز على دعامات آجرية حديثة بمساحة تقرب من نصف متر مربع. والضلع الجنوبى الغربى لا يقل عشوائية، حيث ترتكز المنطقة الانتقالية هنا أيضا على عارض خشبى يشكل قمة دخلة عمقها ٢٤سم وعرضها ٢,٣٧م. ويتكون ظهر هذه الدخلة من جدار الجامع الذى يحتوى على نافذتين مستديرتى القمة فى الجزء العلوى منه. ويعتبر الضلع الشمالى الشرقى الجزء المصمت الوحيد فى الأساس، حيث يتكون من جدار سمكه ٧٠ سم به ثلاث نوافذ مستديرة القمة وعالية على نفس مستوى النافذتين المقابلتين. وبالضلع الجنوبى الشرقى الذى يبلغ سمكه ٩٢سم باب A فى الوسط عرضه ١,٣٥م، وقد وضع من الداخل فى دخلة مستطيلة تتكون قمتها من عارض خشبى وضع تحت الدخلة الزخرفية الوسطى مباشرة (اللوحة ٨٥ء). ويبلغ ارتفاع الجدار فوقه حوالى ١,٥ م وهو مزدان بثلاث دخلات ضحلة تتميز الدخلتان الجانبيتان منها بقمتهما ذات العقد الدائرى المحارى الشكل، فى حين أن الدخلة الوسطى أطول قليلا ويتوجها عقد على شكل ورقة نباتية ثلاثية، وتتبع فى تخطيطها نموذج النافذة الكائنة بالمنطقة الانتقالية أعلاها. ويزدان وسط كل من الدخلتين الجانبيتين بنجمة سداسية غائرة، أما وسط الدخلة الوسطى فيزينه اطار مفرغ يشبه فى شكله الأطر الكائنة على الجوانب الداخلية من برجي باب زويلة (لوحتان ٧٢جـ، ء). ويفتح الباب المذكور على الخارج عن طريق عقد مدبب (لوحة ٨٥ب) مكون من آجر حديث تماما على ما يبدو، ويمتد يمينا ويسارا لمسافة ٧٠سم تقريبا. وخلفه الى اليمين نجد ٦٥سم من بناء آجرى أقدم وضع الخشب فيه فى فواصل، وعدد صفوف البناء بين كل خشبيتين على النحو التالي: ٧ و١ و٩ و٧ و١ و٧ و١٢ من الأرضية فصاعدا. ويؤدى بنا هذا الى التكسية الجصية التى تحجب الـ٨٠سم الأخيرة.

يصعب تفسير الحالة الراهنة للأساس؛ والضريح بحالته هذه يمثل طريقا عاما. ويتلخص الموقف فيما يلي: يقع المدخل الرئيسى للجامع فى وسط الضلع الجنوبى الغربي، لكن هناك بابا من شارع على الضلع الجنوبى الشرقى يفتح على ساحة بها مراحيض وأماكن للوضوء. ويمكن للمصلين بعد أن يفرغوا من الوضوء أن يدخلوا الجامع من الجانب الشمالى الشرقى بهبوط أربع درجات سلم تؤدى الى المجاز C المغطى جزئيا والذى يجرى على طول هذا الجانب من الجامع خلف الضريح. وللخروج من الجامع، يمكن المرور من الضريح عبر الضلع الشمالى الغربى المفتوح تماما والعبور من مجاز الباب المعقود A، ثم من خلال الباب المذكور سابقا الى الشارع. ولابد أنه كان هناك فى الأصل محراب فى الضلع الجنوبى الشرقى من الضريح، وتمت إزالته حين أضيف مجاز الباب المعقود، وطبقا للقاعدة العامة، لابد أنه كان هناك مدخل فى وسط الضلع المقابل.

ونفترض من جانبنا وجود عارض خشبى أدمج فى البناء على قمة الضلع الشمالى الغربى (كمثيله على الضلع الجنوبى الغربي)، وهو ما سهّل إزالة كل البناء الآجرى تحته فى العصر الحديث، حيث تمت إضافة دعامتين جداريتين آجريتين لحفظ العارض الخشبى المركب. وقد تحول الضريح منذ تلك اللحظة الى الطريق العام الذى نراه اليوم.

منطقة الانتقال

يبلغ ارتفاعها ١,٤٥ م (لوحتان ١١٢هـ، و)؛ وهى تشبه النظام المتبع فى أضرحة الجعفرى وعاتكة والشيخ يونس وغيرها، عدا أنها زينت بحلية تؤطر الجزء العلوى من النوافذ وتجرى أفقيا من جانب لآخر، ثم تصعد مرة أخرى لتؤطر الحنيات العليا للمقرنصات. والى جانب هذا، هناك فتحة صغيرة جعلت الى اليمين عبر كوشات

العقد فى الأركان الثمانية. والمنطقة الانتقالية ليست مدرجة من الخارج كالمعتاد، بل تشكل مثمنا بارتفاعها كاملا، مع نتوء على هيئة أنصاف قباب من الواجهات المتناوبة؛ وماهذه بالطبع إلا المظهر الخارجى للحنايا الوسطى فى الخانة السفلية للمقرنصات، وهو أسلوب نراه فى أسوان، ولكن لا نراه فى القاهرة.

الرقبة والقبة [الخوذة]

على هذه المنطقة الانتقالية وضعت رقبة ارتفاعها ٨١سم وتتكون من الداخل من ثمانى نوافذ ذات عقود مدببة مساحتها ٣٠ × ٦٠سم وتفصل بينها حنيات بحجم المقرنصات الصغيرة التى يتحول بها الشكل المثمن الى شكل ذى ١٦ ضلعا. ومن الخارج هناك ستة عشر ضلعا كذلك، كلها مقعرة وكلها مبنية بحيث تميل أركانها العليا الى الأمام وتبرز كالقرون كما هو الحال بجبانة أسوان التى ينتمى الضريح الى مجال نفوذها وتأثيرها.

ونظرا لأن الرقبة بها ١٦ ضلعا من الخارج والداخل، فمن الغريب أن تتكون القبة من ثمانية أخاديد فقط تنبت نقاط التقائها من أعلى الحنيات الكائنة بين النوافذ وتتدلى (ليست هناك ضلوع كتلك التى نجدها بأضرحة عاتكة و رقية و يحيى الشبيه) . وكل فص به ثقب فى أسفله ونجمة ثمانية وثلاث فتحات صغيرة كمثرية الشكل. ولا يزيد سمكها عن ١٩سم اذا قيست من خلال هذه النجيمات.

تاريخ البناء

يتضح مما ورد بهذا الباب أن هذا الضريح ينتمى الى هذه المجموعة، ولكن نظرا لروعة زخارف منطقة انتقالية ورقبته (الثلاثة الأول ليست بها رقاب) فاننا نجد ما يبرر لنا أن نضعه الأخير فى الترتيب، أى فى الفترة من ١١٢٠ الى ١١٣٠م(٣٣٤).

الفصل الرابع عشر

أعمال المأمون البطائحي(٣٣٥)

مشهد أم كلثوم (٥١٦ هـ/١١٢٢م)

على بعد مئة ياردة تقريبا الى الجنوب من ضريح أبي منصور اسماعيل [تربة الثعالبة] (رقم ٢٨٢ على الخريطة المرفقة) نجد عطفة الى اليمين تسمى «شارع سيدى شبيه». وعلى الجانب الجنوبي بعد دخوله نجد زاوية صغيرة (رقم ٥١٦ على الخريطة المرفقة) ذات مظهر متواضع وحديث العهد (واسمه الشعبي «ست كلسون») ولها سقف مسطح تدعمه أربعة أعمدة. لكنها تحتوى على محراب رائع وقديم للغاية صنع من الجص على أرضية من الآجر (لوحتان ٨٢ب، ١١٨ب، شكل ١٣٥). وبنفس الجدار هناك محرابان آخران خاليان من الزخارف وضعا الى يمين المحراب المذكور ويساره وعلى بعد أمتار قليلة منه (شكل ١٦٥).

وصفه

يتكون المشهد من حنية نصف دائرية عادية عرضها ٦٩سم وعمقها ٥٠سم وارتفاعها ٢,٣٢م، ومن الواضح أنه كان على جانبيها زوج من الأعمدة الصغيرة. وتتوجها طاقية محارية محززة ذات شكل متميز، فالحزوز التي تشع من عقدة محززة لولبيا مستديرة بالتناوب وعلى شكل حرف v في مقطعها. والطاقية المحارية التي تعتبر الأقدم في مصر يحيط بها عقد مدبب كإطار تحيط به هو نفسه سلسلة من الفصوص المدببة الكبيرة تفصل بينها فصوص صغيرة جدا. ويتوقف نمو هذه العناصر المحيطة عند جوانب الفجوة الضيقة التي يبلغ عمقها ٢٠ سم والتي وضعت فيها كل هذه العناصر. ولاتزال بعض الزخارف باقية خلف هذه العناصر في الجزء العلوى والى اليسار.

أما الحنية السفلية فخمساها العلويان يزخرفهما شريط من الزخرفة الجصية عرضه ٦٧سم. ويتكون هذا النمط من أشرطة متداخلة تم تركيبها بحبيبات، وتجرى رأسيا وأفقيا وتدور ٤٥° عند الفواصل العادية بحيث تتقاطع مع بعضها البعض بزوايا يمني. ويتكون بذلك تشابك من صلبان رباعية ونجيمات ثمانية. وكل نجيمة ثمانية محشوة بدائرة تحوى طغراء كوفية. وتتوج هذا الشريط حلية على شكل حرف v وضعت في أخدود عميق ومزخرف بحلية على شكل دالات تفصل زخرفة الحنية عن الطاقية المحارية.

تاريخه

من الصعب تحديد تاريخ هذا المشهد، إذ أنه يختلف عن غيره من نواح عديدة، ويعد فريدا في مصر في السمتين التاليتين: ١ . الأخاديد مستديرة بالتناوب ومثلثة في مقطعها، وهو مايشكل نصف قبة ؛ ٢ . الحافة المحارية الشكل الخارجية في نتوء صغير، وتتكون من فصوص كبيرة تفصل بينها فصوص صغيرة. إلا أن به سمتين تساعدان على تحديد تاريخه. فأقدم المحاريب ذات الحواف المحارية هي تلك التي نجدها بضريح السيدة رقية، وآخر ثلاثة نماذج نجدها في أضرحة الأمير أبي منصور إسماعيل [تربة الثعالبة] و الخلفاء العباسيين وشجرة الدر (٦٤٨هـ/١٢٥٠م). إلا أن هذه السمة تبلغ ذروة الإتقان في ضريح الأمير أبي منصور إسماعيل

حيث يبلغ عمقها خمسة صفوف؛ أما محراب أم كلثوم فنظرا لتخطيط عقده الشبيه بتخطيط العقود المحارية الشكل بمسجد الأقمر (٥١٩هـ) فيصعب إدراجه فى هذه الفترة مع استخدام شكل يقارب العقد المنكسر. ويعد نمط الشريط الزخرفى العريض أسفل الطاقية المحارية فريدا فى مصر، والنموذج الوحيد الآخر نجده فى البرج الركنى الكبير ببرج الظفر (٥٧٢هـ /١١٧٦م) كزخرفة للقبو المنحدر لدرج السلم المؤدى الى باب السر على الجانب الأيمن من البرج. وبهذا ينحصر تاريخ هذه الزخرفة بين ٥١٩ و٥٧٢هـ. وبما أن الحافة المحارية لمحرابنا الصغير هذا ليست مزدوجة أو ثلاثية ونظرا لسيادة شكل العقد المنكسر من ٥٥٠هـ حتى نهاية العصر الأيوبي، فإن لدينا ما يبرر تحديد تاريخه بالفترة بين ٥٢٠هـ (١١٢٦م) و٥٥٠هـ (١١٥٥م).

دونت ذلك فى عـام ١٩١٩ (Brief Chronology, *B.I.FA.O.*, XVI, PP. 63-4). ومنذ ذلك الحين جـذبت السيدة ديفونشير انتباهي الى أن كلا من ابن ميسّر وابن دقماق ذكرا أن مشهد أم كلثوم تم ترميمه (أو أعيد بناؤه) على يد المأمون البطائحى منشئ جامع الأقمر، فى ربيع الأول من عام ٥١٦هـ (١٠ مايو ١١٢٢م)، وهو مايتفق مع ما سبق ذكره من أن هذا التاريخ لابد أن **يكون هو التاريخ الحقيقى للمحراب**(٣٣٦).

الأصول المعمارية

يعد هذا المحراب مثالا آخر على التأثير الشمال أفريقى فى العصر الفاطمي. فهناك حنيتان بطاقيتين محاريتين تتكونان من أخاديد، وكلاهما مستدير ومثلث فى مقطعه وتقعان على الواجهة الجنوبية الشرقية من مئذنة قلعة بنى حماد (الشكل ١٣٦). وربما تعود هذه المئذنة الى ما بعد عام ٣٩٨هـ (١٠٠٧م) بقليل.

أما الشريط الزخرفى العريض أسفل نصف القبة [الطاقية]، فقد قام دى بيليه (De Beylié, *La Kalaa*, figs. 51-3) بنشر قطعة من الجص تم العثور عليها بالقاعة الشمالية من المبنى الأوسط من قصر بنى حماد، وهى تتطابق معه من كل النواحى (شكل ١٣٧). وفى كلتا الحالتين نجد أزواجا من الأشرطة المتداخلة المزخرفة بحبيبات صغيرة تجرى بزوايا يمنى كل نحو الآخر بحيث تشكل حشوات لها تخطيط يتوافق مع نظيره الناتج عن وضع مربع فى شكل معين فوق مربع آخر بنفس الحجم، وهو نمط شاع فيما بعد فى وزرات التربيعات الفارسية.

وقد ترك هذا المحراب بدوره تأثيرا؛ فلاشك أن الشريط الزخرفى العريض كان مصدر إلهام لزخرفة قبو برج الظفر الذى سبقت الإشارة اليه. ونجد الأخاديد المستديرة والمثلثة بالتناوب كقبته وقد تكررت فيما يلي: ١. الزخارف المنحوتة على إطار باب مارستان نور الدين (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٣م) بحلب (شكل ١٣٨)؛ ٢. على العقد العاتق فوق عتب المدخل الأوسط لما يسمى بجامع صالح الدين فى ميافارقين الذى بناه ألبى الأرتقى الذى تولى الحكم من ٥٤٧ الى ٥٧٥هـ (١١٥٢-١١٧٩م)؛ ٣. حول أطر مداخل واجهة حرم جامع دنيصر ومحاريبه (الشكل ١٣٩، والاسم الحديث لهذا الجامع هو كوش حصار) والذى بدأ بناءه حسام الدين يولاق أرسلان الأرتقى وأتمه أبو الفتح ارتق بن إيلغازى فى سنة ٦٠١هـ (١٢٠٤م)؛ ٤. حول نافذة مئذنة جامع **الدبّاغة** العتيقة بحلب أيضا، والذى بنى فى رأى هرتزفلد بعد ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) بقليل؛ ٥. على قطعة حجر منحوتة (شكل ١٤٠) بمتحف القسطنطينية. وسنعود الى هذه الرواية بعد دراسة ضريحى يحيى الشبيه والقاسم أبى الطيب.

جامع الأقمر (٥١٩ هـ/١١٢٥م)

وصفه

لهذا الجامع الصغير أهمية كبيرة (رقم ٣٣ على الخريطة المرفقة) فهو أقدم مبنى يحدد تخطيطه خط الشارع [خط تنظيم الطريق] فى مصر. إلا أن أهميته الكبرى تكمن فى واجهته التى تعتبر أول واجهة فى مصر تظهر فيها خطة معمارية طموحة. ولكنه ليس أول مبنى تظهر فيه المقرنصات كما ذكر كل من فرانز وهرتز وورسفولد وسلادين وتارخي وبريجز؛ فقد لاحظنا وجود هذه السمة على قمة البدن المربع لمئذنة الجيوشى وفوق نافذة بالسور المجاور لباب الفتوح.

يتكون الجامع من صحن صغير مساحته ٩,٧٧ × ١٠,١٧م تحده على كل من جانبيه واجهة بثلاثة عقود. وهناك ثلاث بائكات عميقة جهة القبلة، وبائكة عميقة واحدة على الجوانب الأخرى. والواجهة بدلا من أن توازى الضلع الشمالى الغربى من الصحن، تشكل زاوية قدرها ٢١° معه تاركة فراغا لحجرتين ودرج سلم. ومجاز المدخل الذى وضع منحرفا يجرى من وسط الضلع الشمالى الغربى من الداخل الى وسط الواجهة (شكل ١٤١).

الواجهة

والنقطة الأخيرة لها أهميتها ومعرضة لأن تمر دون ملاحظة، فهناك جزء من الواجهة وُضع عاريا بحيث يعطى انطباعا بأنه غير متناسب. وتتكون الواجهة من مجاز باب على كل من جانبيه حنية، وعرض هذه القطعة بأكملها ٧,١٠م وتبرز الى الأمام لمسافة ٦٨سم. والجناح الى اليسار عرضه ٦,٤٢م وهو مزخرف بحشوة مفرغة واحدة (لوحة ٨٢ جـ). وبالقرب من الضلع الأيمن من بروز المدخل نجد جانب بيت بعد فاصل من الفراغ عرضه ٣٠سم، وخلفه بداية جناح شبيه بنظيره الكائن الى اليسار، ويقوم هذا الحكم بناء على أن الشريط الكوفى الذى يجرى عبر منتصف الواجهة يمتد عبر هذه القطعة المكشوفة وعلى نفس مستواها. والجزء الذى يعلو الشريط مباشرة تحجبه كتلة من الآجر والأسمنت بلاشكل محدد. وبالنظر الى التخطيط يتبين أن الصورة الداخلية للجامع تتطلب امتدادا للواجهة يساوى الجناح الأيسر. وبالتالى فالواجهة وعلى خلاف مظهرها الحالى كانت متماثلة ببروز عرضه ٧,١٠م فى المنتصف يحيط بمجاز الباب كإطار له.

زخرفة الواجهة

تم وضع المدخل الذى أضيفت اليه عتب من الجرانيت فى دخلة عرضها ٢,٠٤م وعمقها ٦٣سم، وتغطيه طاقية محارية جميلة (لوحتان ٨٣ جـ، ء)، وهو ثانى أقدم نموذج من نوعه فى مصر. ويتطابق تخطيط المقطع العرضى من الحزوز مع الحافة الزخرفية للعقد نصف الدائرى الداخلى الذى يؤطر مجاز بوابة باب الفتوح. وتجرى الحزوز الأربعة الأولى أفقيا من جانب الى آخر، أما البقية فتشع من الوسط بحيث تتطابق مع وسط الحلية التى تشغل ظهر الطاقية. وتتكون هذه الحلية الجميلة من أربع دوائر متحدة المركز؛ ومجال الدوائر الثلاث الداخلية مزخرف بثلاثة أسطر من الكوفى تنفذ حتى الجزء العلوى من مجاز المدخل. ثم يلى ذلك دائرة من الأرابسك، ثم حلقة من الكوفى تنفذ كسابقتها، ثم يليها فى النهاية شريط يساوى فى عرضه الشريط الأخير ومزخرف بحليات مدرجة متداخلة تؤطر الوريقات النباتية الخماسية الفاطمية الأصيلة. ويحيط بالتخطيط

ذى العقد المدبب شريط مجدول ضيق.

والباب نفسه يحيط به عقد مسطح كإطار، ويتكون من صنج تتصل كل منها بجارتها بتعشيقات مكونة من ثلاث من أنصاف الدوائر. وهناك شريط كوفى فوق العتب يجرى عبر الواجهة ويتبع بروزها وزواياها الكارة كلها. ويبلغ عرض الدخلات ٧٨سم وعمقها ٣٨سم على كل من جانبى المدخل، وتتوج كلا منها نصف قبة محارية صغيرة فى وسطها حلية على شكل قرص شمس ذى ثمانى بتلات، وهو عنصر زخرفى شامي، وحافة محارية شبيهة بحافة الحنية الكبيرة الى حد ما ولكن بحافة أكثر تعرجا. وضعت كل من هاتين الدخلتين فى دخلة أكبر عرضها ١,٢٧م وعمقها ٢٥سم يتوجها صدر مربع تقريبا محشو بأربعة صفوف من المقرنصات. وتمثل مقرنصات الصدر هذه فى اتقانها تطورا كبيرا للصفين المبسطين بمئذنة الجيوشي، وكذلك فى رقتها، حيث تم تنفيذها بالحجر بدلا من الآجر. ويحيط بهذه الحنية المقرنصة المستطيلة شريط مجدول أكثر إتقانا من الشريط الرئيسى بقليل.

وبما أن هذه الدخلات الجانبية لاترتفع الى مستوى قمة الدخلة الوسطي، فالحلية المحدبة التى تشكل إطارا مستطيلا حولها تهبط الى مستواها ثم تجرى من جانب لآخر أفقيا، ثم تهبط على الجانب الخارجى من الأطر المقرنصة، وتمتد أفقيا مرة أخرى (لوحة ٨٢ جـ). وترتفع عند التقائها بالحشوة المعقودة للجناح وتجرى حولها وتمتد أفقيا حتى طرف الواجهة. ويعد هذا النمط ثانى نموذج على التأثير الشامى فى هذه الواجهة. وكوشات عقد دخلة المدخل مزخرفة بأقراص شمس ذات خمس عشرة بتلة، والمستطيلات الناتجة عن هبوط الحليات المحدبة فى الأركان العليا من البروز محشوة بحنيات صغيرة مكونة من محارة مضلعة وترتكز على عمودين مدمجين بتيجان فارسية تشبه زهرة اللوتس. وأعمدة الطاقية اليسرى محززة بحزوز لولبية فى أجزائها العليا. وعلى ظهر هذه الدخلات الصغيرة هناك حنية أخرى شديدة الضحالة تتوجها هى الأخرى محارة محززة.

وعبر قمة الواجهة كلها يجرى نقش كوفى جميل بحروف أكبر كثيرا، وفوقه مباشرة نجد طنف حلية ربع دائرية حافته الأمامية مزخرفة بشريط من الأرابسك البسيط. ويستمر النقش حول الركن ويجرى لمسافة ١١م تقريبا على طول الواجهة الشمالية الشرقية، إلا أن النقش السفلى لا يمر إلا تحت كابولى الزاوية المقرنص ثم يتوقف. ويتضح من قطعة من الأعمال الجصية الخاصة بضلع المئذنة الحديثة أن الواجهة كانت متوجة فيما مضى بشرافة من الزخارف المفرغة.

ولا يبرز الجناح الكائن الى يسار بروز المدخل إلا بحشوة مفرغة (لوحة ٨٢ جـ). وهذه الحشوة التى تؤطر دخلة ضحلة مستطيلة الرأس تغطيها طاقية محززة شديدة الضحالة فى وسطها حلية. والحزان الأولان أفقيان، وتشع بقية الحزوز من مركز يقع أسفل مركز الحلية بقليل. ولا يتكون الأخير إلا من حلقة داخلية وخارجية، يحتل كلا منهما نقش كوفي. والفارق الرئيسى بين هذه الطاقية وبين الطاقية الأكبر يكمن فى حاشيتها وازدواجية الحلقات المحززة. وعلى كل من جانبى الجزء العلوى من المحارة المحززة هناك حشوة وضعت على شكل معين. والحشوة اليمنى مزخرفة بنمط متداخل جميل، وتحتوى اليسرى على تصميم بارز تحيط به حاشية مجدولة (لوحتان ٨٣ أ، ب). وفوق قمة الطاقية المحززة هناك فتحة دائرية تم حشوها حاليا بالآجر، لكنها ربما كانت تحتوى فيما مضى على حلية تشبه الحلية فوق المدخل. وفى هذه الحالة كانت ستفتح على قمة درج السلم الذى يصعد خلفها مباشرة.

وعلى كل من جانبى هذه الدائرة هناك حشوة زخرفية مستطيلة، وتتميز الحشوة اليسرى بجمال تكوينها المؤلف من عمودين مستطيلين صغيرين ناتئين من جدار ومحززين لولبيا تدعمان عقدا مدببا ويحيطان بنجمة متداخلة بسيطة ذات ستة ذيول. ويتدلى من قمة العقد مشكاة، وهو أقدم نموذج رأيته لهذا العنصر التعبيري. ويجرى عبر القمة سطر من الكوفي، وتحيط بالجميع حاشية بسيطة لاتجرى إلا حول القمة والجوانب. والحشوة الصغيرة اليمنى متآكلة للغاية، ولكن بقى منها مايكفى ليبين أنها كانت تختلف تمام الاختلاف عن جارتها. وتنقسم الى مستطيلين ضيقين يؤطرهما شريط من الأرابسك المبسط، والحشوتان مزدانتان بزخرفة شبيهة بزخرفة الحشوات التى لاتزال باقية على بابى حجرتى الخزين على الجانب الأيسر من الصحن (لوحات ٨٤ و، ز، حـ).

ويجرى شارع ضيق على طول الجانب الشمالى الشرقى من الجامع، وهذا هو السبب فى أن الركن مشطوف فى أسفله. أما الجزء العلوى الذى لايزال مستطيلا فيدعمه كابولى جميل ولعله الأجمل من نوعه فى القاهرة رغم أنه الأقدم (اللوحة ٨٤د)، ونلاحظ حلية جميلة أعلى هذا الجانب نفسه(٣٣٧) (اللوحة ٨٤ جـ).

الجامع من الداخل

اذا مررنا عبر المدخل ذى القبو الاسطواني، نلاحظ وجود حجرة صغيرة الى اليمين ودرج سلم الى اليسار، ونجد أنفسنا فى الرواق الشمالى الغربي. وبكل من أركان الصحن دعامة مستطيلة مساحتها ١,٣٥ × ١,٣٥م؛ وفيما عدا ذلك، فكل الدعامات عبارة عن أعمدة متوجة بتيجان كورنثية بعضها لا ينتمى الى أبدانها. وطولها ٢,٠٥م حتى قمة الطبلية الخشبية الأولي، ويبلغ ارتفاع الواجهة ٦,١٥م. وبكل عمود طبلية مكونة من قطعتين مسطحتين من الخشب وضعتا بزوايا يمنى على واجهة الصحن؛ وفوقهما اثنتان أخريان وضعتا مستعرضتين، وفوق هاتين الطبليتين الأخيرتين مباشرة نجد أربطة خشبية مكونة فى هذه الحالة من قطع مفردة من الخشب بدلا من جذوع النخيل العادية المدمجة بألواح خشبية. وتعتبر هذه الأربطة أو العوارض حديثة العهد تماما فى عدة حالات.

وتعد العقود أول خطوة حقيقية نحو نمط العقد المنكسر (لوحة ٨٤ أ) والذى نصادفه فى العمارة الفاطمية، ولو أن عقود دخلات الواجهة تتكون من خطوط منحنية بطولها كله. وكان هذا الشكل من العقود يعزى بطبيعة الحال الى وفر العمالة عن طريق وضع سلاسل من الآجر جنبا الى جنب بدون سحنها حتى تصل الى الشكل المستدق الطرف (كما هو الحال فى قرطبة)، أو عن طريق جعل الفواصل نفسها مستدقة الطرف. ونظرا لامكانية ملاحظة تطور العقد المنكسر من خلال التقويم التدريجى للجزء العلوى مرحلة بمرحلة فى القاهرة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر، فلا داعى للبحث عن أصله فى مكان آخر. ومع ذلك فإننا نصادف عبارات غير جادة فى عمل صدر فى سنة ١٩٣٢ من قبيل: «لاشك أن **العقد الفارسى أصله هندي**»(٣٣٨) (Hautecoeur, in Hautecoeur and Wiet, *Les Mosquées du Caire*, p. 218).

تتكون الزخرفة الوحيدة بواجهة الصحن من شريط جميل من الكوفى يجرى حول كل عقد، ويتحول الى أفقى حين يعبر الطبلية، ثم يصعد ويستمر حول العقد التالى (لوحة ٨٤ ب). وهذا الشريط المنفذ بالجص لم يتبق إلا على الضلع الشمالى الشرقى من الصحن، وحتى فى موضعه هذا لا نجده كاملا؛ ولكن من حسن

الحظ أنه بقى سليما حول العقد الأول، مما يعد ضمانا لمصداقية تخطيط الشريط الأخير. وكوشات العقد تخلو من الزخارف إلا من سرر ضحلة تتكون من أضلاع محززة تشع من عقدة وسطي. وكل من العقدة والحزوز والحافة مزخرفة بأرابسك مبسط. وقد بقيت أجزاء من هذه الزخارف محفوظة على الواجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية.

تعد الجدران الداخلية كلها، عدا جدار القبلة، مقطعة الى سلسلة من الحنايا المحشوة التى يتراوح عمقها بين ١٣ و٥٠ سم. وتنتهى فى أعلاها بإطار ذى عقد مدبب (يكاد يكون ذى عقد منكسر) منحن فى تخطيطه، وهو النموذج الأصلى للحنيات الخالية من الزخارف بواجهة جامع الصالح طلائع الذى بنى بعد ذلك بخمسة ثلاثين عاما. وعلى قمة كل حنية تقريبا هناك نافذة ذات زخارف شبكية جصية محشوة بزجاج ملون؛ إلا أنها جميعا تبدو فى مظهرها حديثة العهد نسبيا. ويدل وجود هذه النوافذ الشبكية على الجوانب التى أقيمت مبانى حديثة ملاصقة لها على أن الجامع كان يقف مستقلا تماما فيما مضي، وهو ما يبرر لنا أن نفترض متماثلة الطرف الغربى من الواجهة والمحتجب حاليا كان مشطوفا أيضا ومزخرفا بكابولى مقرنص، مما يجعلها تبدو سيمترية، وهى نقطة مهمة.

من الواضح أن المحراب بصورته الراهنة وأعمدته المدمجة وفسيفسائه الرخامية ليس المحراب الأصلي، إلا أن التخطيط الفاطمى لعقده يؤدى بنا الى افتراض أن الزخرفة الجصية الأصلية استبدلت بها الزخرفة الحالية من الأعمدة والفسيفساء فى عهد برقوق الذى يجرى نقشه فوقها مباشرة ويمتد بنفس عرض الإطار الفسيفسائى ويسد نافذة فى نفس الوقت.

الى يسار الرواق الخلفى للحرم الخلفية، هناك عقد مفتوح عريض يؤدى الى ضريح صغير يشكل نتوءا على هذا الركن. وحين رأيته لأول مرة، كان يحتله تابوت خشبى مساحته حوالى ٢م^{٢} وعليه غطاء من القماش، إلا أن هذه الحجرة خالية حاليا. وبجواره حجرتا خزين ضحلتان عرضهما ٢٫٦٠م لا أهمية لهما إلا من حيث وجود بضع حشوات من بابيهما الأصليين اللذين حفظتهما لجنة حفظ الآثار بوضعهما داخل البابين الحاليين (لوحة ٨٤ هـ).

تسقيف الأروقة الجانبية

لعل أغرب سمات هذا الجامع من الداخل سقف العديد من القباب، حيث غطيت كل بائكة بقبة ضحلة صغيرة على مثلثات كروية (لوحة ٨٥ أ)، فيما عدا الرواق الخلفى للحرم [المقدم] والحجرات الصغيرة التى غطيت بأسقف خشبية مسطحة، والبائكة الوسطى بالرواق الثانى بالحرم والتى غطيت بمنور فى السقف. وهناك عقود مستعرضة لها نفس شكل العقود الأخرى تجرى من واجهات الصحن الأربع حتى الجدران، عدا فى حالة الحرم حيث لاتمتد إلا الى الرواقين الأوليين فقط، ولا تصل الى جدار القبلة ولا وجود لأى أثر يدل على أنها كانت تصل اليه.

من الصعب أن نصدق أن هذه القباب تنتمى الى المبنى الأصلى رغم تأكيد فرانز على ذلك (*Kairo*, p. 30). صحيح أن القباب القائمة على مثلثات كروية وجدت فى الحصون الفاطمية، إلا أنها لا تظهر فى مصر مرة أخرى إلا بعد ذلك بثلاثة قرون، والمثال الأول منها نصادفه فى ضريح السلطانين برقوق وفرج الذى بنى فى

أعوام ٨٠٣-٨١٣هـ (١٤٠٠ - ١٤١١م). وتأكيدا لذلك يطلعنا النقش الموجود على المحراب أن هذا الجامع الصغير تم ترميمه في عهد برقوق. ولكن إذا عزونا القباب اليه، فلابد أن تعزى العقود المستعرضة اليه أيضا، إذ يصعب القول أنها بنيت لدعم سقف مسطح مساحته ٣م. وهي تشبه في تخطيطها عقود الصحن. فهل قام برقوق بنسخ هذه العقود الأخيرة؟ هذا أمر لا يمكن تقريره إلا بفحص المثلثات الكروية والدلايات عند منبتها، وهذا مستحيل حاليا بسبب التكسية الجصية. لكن وجود هذا النوع من الأسقف يعد شذوذا عن القاعدة في تلك الفترة حتى أنني لا أتردد في نسبته الى السلطان المملوكي الشهير.

تاريخ الجامع ومراحل بنائه

يستشهد المقريزي بابن عبدالظاهر فيقول:

«قال ابن عبدالظاهر كان مكانه علافون والحوض مكان المنظرة فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطايحي في انشائه جامعا فلم يترك قدام القصر دكانا وبنى تحت الجامع المذكور في أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح لامن صوب القصر وكمل الجامع المذكور في أيامه وذلك في سنة تسع عشرة وخمسمائة»(٣٣٩). (الخطط، جـ٢، ص٢٩٠)

ويؤكد على هذه العبارة نقشان شبيهان يجريان على طول الواجهة، أحدهما على القمة والآخر في منتصف المسافة الى أعلي. وفيما يتعلق بترميمه في عهد برقوق والذي ينسب اليه في رأيي سقف القباب الصغيرة **يقول المقريزي:**

«في رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة جدده الأمير الوزير المشير الأستادار يلبغا بن عبدالله السالمي أحد المماليك الظاهرية وأنشأ بظاهر بابه البحري حوانيت يعلوها طباق وجدد في صحن الجامع بركة لطيفة يصل اليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء الى من يتوضأ من بزابيز نحاس ونصب فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة ... وبنى على يمنة المحراب البحري مئذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب ... وجعل فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه ما كان أولا وذكر فيه تجديد لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه .....

ولم تزل مئذنته التي جددها السالمي والبركة الى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولي نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل الماء من البركة لإفساد الماء بمروره جدار الجامع القبلي والخطبة قائمة به الى الآن»(٣٤٠) (الخطط، جـ٢، ص٢٩٠)

ويترتب على ماسبق أن تكسية الواجهة ما هي إلا عملية تخريبية ترجع الى القرن الرابع عشر. وتتأكد عملية الترميم المذكورة وتاريخها بنقش موجود على اللوح الذي يسد النافذة فوق المحراب. وكما يشير ڤان برشم (*Notes*, p. 50)، فإن طبلات العقود على الواجهات الأربع للصحن تحمل آثار عملية ترميم ترجع الى العهد العثماني، وربما تنسب الى سليمان آغا السلحدار الذي قام -حسب قول الجبرتي (جـ٤، ص٣١٨)- بترميم الجامع وألقى خطبة فيه بهذه المناسبة في يوم الجمعة الثامن من شعبان عام ١٢٣٦هـ (١١ مايو ١٨٢١م).

1256 IBN KHALLIKAN, Wefayat al Ayan, Bülaq ed., II, P. 169, I. 16; de Slane's transl., III, p. 457 .
1278 IBN MUYASSAR, Massé's ed., p. 62, 1. 5 .
Before 1399 QALQASHANDI, III, p. 365; Wüstenfeld's transl, p. 78 .
1424 MAQRIZI, Khitat, II, p. 290 .
1497 AS-SUYÜti, Husn, II, p. 118, 1. 15 .
1522 IBN IYAS, Tarikh, 1, p. 63, 11. 20-21 .
1811 Description de l'Égypte, moderne, II, p. 668; Panckoucke's ed, XVIII, p. 310 .
1821 AL-GARARTI, Aga'ib al-Athar, IV, p. 318; Bülaq transl., IX, p. 331 .
1842 HESSEMER (F. M.), Arabische Bau - Verzierungen, I, p. 40 . and Taf, 22 .
1863 PATON (A.A.), A History of the Egyptian Revolution, II, pp. 340-41 .
1877 PRISSE D'AVENNES, L'Art arabe, Texte, p. 99 .
1887/8 ALI PASHA MUBARAK, al-Khitat al-Gadida, II, p. 12, and IV, p. 60 .
1887/90 RAVAISSE (P.), Essai. M.M. A. F. C., I, pp. 475, n. 3, and 477, and III, pp. 38-9 .
1889 Comité Conseruation, Exercice 1889, pp. 112-13 and pl. 2.
1891 BERCHEM (M. van), Notes d'archéologie arabe. Journal Asiatique, 8me sér., t. XVIII, pp. 46058; XIX, pp. 397-8, and pl. in t. XVII.
1894 BERCHEM (M. van), C. I. A. -- Égypte, I, pp. 67-71 and 757, and pls. XX-XXI .
1895 HERZ (Max), Catalogue ... Musée National de l'Art pp. 146-7 .
4 Op. cit., II, p. 290; 290; transl . by van Berchem, I otes, loc. cit., pp. 47-9 .
5 The Sndr is that part of an interior farthest from the entrance ; here, therectiore, the qibla wall; sce my E. M. A., II, p. 34 .
6 Published by vanBerchem, Notes, loc. cit., XVIII, pp. 51-2, and XIX, pp. 397-8, and in the C. I. A. -- Égypte, I, pp. 69-71 .
7 Notes, p. 50 .
8 IV, P. 318 ; Bülaq transl., IX, p. 331 .
arabe, pp. xxx-xxxi and 9-10; 2me éd. (1906), pp. xxxvi-xxxix 7-8, and 120 .
1899 WORSFOLD (B.), The Redemption of Egypt, pp. 118-22, with I illus .
1903 FRANZ (Juius), Kairo, pp. 29-31, wuth I illus .
1904 BORRNANN (Richard), Geschichte der Baukunst, I, p. 333 and Fig. 261 .
------ HERZ (Max), in the B. I. É., 4me sér., No. 5, pp. 27-8 with plate .
1906 LANE-POOLE (Stanley), The Story of Cairo, pp. 160-61 .
1907 DE BEYLIÉ (L..), Prome et Samara, p. 137 and fig. 98 .
------ MARGOLIOUTH (D. S.), Cairo, Jerusalem & Damascus, p. 48 .
------ SALADIN (H.), Manuel d'Art Musulman, L--l'Architecture, pp. 101-3 and fig. 59 .
1909 FAGO (V.), Arte araba, p. 95 and tav. XI.
1910 BERCHEM (M. van), and J. DTRZYCOWSKI, Amida, pp. 318 19 and Abb. 265 .
1913 RICHNOND (E. T.), The Significance of Cairo., J. R. A. S., 1913, p. 33 .
1914 RIVOIRA (G. T.), Architettura misilamana, pp. 180-87 and fig. 152 ; English transl , pp. 177-84 .
1915 DIEZ(E.), Die Kunst der Islamischen Vülker, pp. 57 and 63, and Abb. 77 .
1971 FLURY (S.), Islanische Ornamenye in einem griechischen Psalter von ca. 1090. Der Islam, VII, pp. 160-61 and Abb.3.
1919 CRESWELL (K. A. C.), Brief Chronology. B. I. F. A. O., XVI, p. 61 .
1920 WOERMANN (K.), Geschichte der Kunst (2te Aufl), p. 392.

1923 TARCHI (Ugo), L'Architettura e l'arte musulmana, pp. 4 and 9, tav. 33, and I fig .
1924 BEIGGS (M. S.), Muhammadan . Arcitecture in Egypt and Palestine, pp. 73-5, 187, and 190, and figs. 39 and 41 .
1925 GLÜVK (H.), and E. DIEZ, Die Kunst des Islam, pp. 29 and 535, and illus. on p. 158 .
1926 MIGEON (G.), Les Arts musulmans, pp. 13-14 .
------ RICHMOND (E. T.), Moslem Architecture, pp. 98-100 and fig. 29 .
1929 PAUTY (E.), Contribution à l'Étude des stalactites B. I. F. A. O., XXIX, pp. 136, 142, and 153, and pl. II .
1930 DIEZ (E.), art. Masdjid, in the Encyclopaedia of Islam, III, p. 382 .
1931 DIEZ (E.), art. Mibrab, ibid., p. 487 .
------ PAUTY (E.), Les Bois sculptés jusqu à l'epoque ayyoubide, pp. 62-7 and pl. LXXI .
1932 HAUTECŒUR (L.) and G. WIET, Les Mosquées du Caire, pp. 247-8 and pl. 43 .
------ PAUTY (E.), L'Évolution du dispositif. en T dans les mosquées à portiques . Bullein d;Études oriemtales, II, pp. 112-13 and fig. 13 .
------ WIET (G.), C. I. A. -- Égypte, II, pp. 170-71 and 186-9.
1936 LAMM (C. J.), Fatimid Woodwork, its style and chomology. B. I. E., XVIII, p. 80 and pl. XC.
1937 WIET (G.), Répertoire chronologique d'épigraphic arabe, VIII, pp. 146-8 .
1938 MARçAIS (G.), Remarques syr l'esthétique musulman. Amnales se l'Institut d'Études orientales, IV, pp. 56-8 and fig. 2 .
1942 MUHAMMAD ABD AL-AZIZ, Masagid al-Qahira qabl asr al-Mamalik, pp. 83 - 95, with 2 figs. and I plate .
1947 MARÇAIS (Georges), L'Art de l'Islam, pp. 71 and 76-7 .

الفصل الخامس عشر

مشهد السيدة رقية

(٥٢٧هـ/ ١١٣٣م)

وصفه

يقع هذا الضريح الصغير (رقم ٢٧٣ على الخريطة المرفقة) فى حوش نفس التكية التى تضم ضريحى الجعفرى والسيدة عاتكة (وترجع التكية الى عام ١١٧٠هـ طبقا لما ورد فى نقش على مدخلها). وبقيت السقيفة مسدودة بجدار ومنقسمة الى ثلاث حجرات ممتلئة بالنفايات حتى منتصفها الى أن تم إنقاذها من قبل لجنة حفظ الآثار فى سنة ١٩١٦. وعلى الجانب الآخر، ظل المبنى مدفونا بارتفاع ٤م تحت أكوام من النفايات. ويمكن دخوله حاليا من سقيفة ذات ثلاثة عقود (لوحة ٨٦أ). وهذه العقود أعيد بناؤها على يد اللجنة على أساس منبت عقد الى يمين الفتحة ويسارها وأمكن تمييزه عن الأعمال الآجرية الجديدة. ولاشك أن عملية إعادة البناء قد تأثرت جزئيا بالترتيب الذى وجد بجامع الجيوشي. والأعمدة المستخدمة هنا وفى داخل الضريح تم تقطيعها فى وقت واحد، فعلى الرغم من وجود أماكن فى الداخل كانت تشغلها أعمدة على ما يبدو، إلا أن كل الأعمدة اختفت مرة واحدة. ويبلغ عرض الفتحة التى تحتلها حاليا ثلاثة أعمدة ٨,٢٠م، ويبلغ طول السقيفة نفسها ١٢,٦٠م وعمقها ٢,٤٨م. ويشغل الوسط المدخل المؤدى الى الحرم، وسطح الجدار على كلا الجانبين يضم محرابا جصيا جميلا بطاقية محارية محززة تشع حزوزها من حلية فى حالة جيدة (اللوحتان ١١٩ أ، ب). ويبلغ عرض مجاز الباب المستطيل ١,٤٣م وارتفاعه ٢,٦٣م وتمر من فوقه عدة قطع من الخشب.

المشهد من الداخل

ينقسم المشهد من الداخل الى ثلاثة أقسام، يغطى القسم الأوسط منها قبة بينما يغطى كل من القسمين الجانبيين (الشكل ١٤٢)، سقف خشبى كالسقيفة (اللوحة ٨٦ب). لذا يجب علينا أن نعتبر هذا المبنى نموذجا على العمارة المصرية المتحررة من التأثير الشامى المهيمن على جامع الجيوشي، حيث تعد الأسقف الخشبية المسطحة من سمات العمارة المصرية لو لم تخضع لأى تأثير، فى حين أن الأقبية الآجرية أو الحجرية بأى حجم تقتصر على العهود التى اشتد فيها التأثير الشامي، كالعصر الأيوبى وما تلاه. وبذلك فلابد من إرجاع الأسقف المقببة لجامع الجيوشى والتى ينتمى اليها هذا المبنى الى التأثير الشامى الذى أدخله بدر الجمالى الذى بنى سور القاهرة الشمالى وبواباتها التى تحمل بصمات شامية واضحة.

تبلغ مساحة القسم الأوسط ٥م٢ أو تزيد قليلا، وكذلك يزيد عمق الأجنحة [الجانبان] عن ٥م بقليل، أما عرضها فلا يزيد عن ٢,٨٢م؛ ويفتح القسم الأوسط على الأجنحة بفتحات مستطيلة من نوع غريب. ويبلغ عرض هذه الفتحات على مستوى الأرضية ٣,٦٢م، إلا أن هذه المسافة تنخفض على ارتفاع ٣,١٢م لتصبح ٢,٢٠م، ويبرز الجدار الى الأمام ويدعمه زوج من الأعمدة على كل من جانبيه. ويبلغ الارتفاع الكلى للفتحة ٥,٥٢م، والتخطيط الناتج عن ذلك يتكرر على جدار القبلة ليشكل إطارا للمحراب وعلى الضلع المقابل ليؤطر مجاز الباب الأصغر كثيرا. ولكن فى هاتين الحالتين، هناك عمود واحد على كل ضلع بدلا من زوج من

الأعمدة، فليس هناك ما يحتاج الى دعم سوى إطار ضحل بدلا من السمك الكلى للجدار (٩٠سم). ويبطن هذه الأطر الأربعة فى الجزء العلوى الضيق منها ألواح خشبية غليظة. ويصدر كل من القسمين الجانبين [الجناحان] محراب (لوحتان ١١٩ جـ، ء).

منطقة الانتقال

ترتكز الرقبة على مقرنصات شبيهة بمقرنصات الجعفرى والسيدة عاتكة، إلا أن هناك فارقا مهما يمكن رؤيته فى أسلوب التعامل مع الفراغ بينها، فالنافذة الثلاثية التى تشغل هذا الفراغ يقسمها اطار أوسط على شكل حرف Y الى نافذة بثلاثة فتحات (لوحة ١١٣ أ) بغرض علاج نقاط الضعف التى كانت تشوب النمط الأقدم. وهذه النوافذ مسدودة حاليا؛ ويعبر باتريكولو (Comité de Conservation, *Exercices* 1915-1919, p. 37) عن اقتناعه بأنها سُدت فى وقت الترميم، فالعقد النحيف بالنافذة العليا لا يكفى فى رأيه لدعم ثقل العمود الناتئ الذى يعلوه مباشرة والذى يقسم زوج النوافذ بالرقبة. ومن الصعب الاتفاق مع هذا الرأى لأن نوافذ ضريحى الجعفرى والسيدة عاتكة مفتوحة رغم افتقارها الى إطار على شكل حرف Y يدعم نوافذ هذا المشهد (لوحتان ١١١ جـ، هـ)؛ أما النوافذ العليا بضريح يحيى الشبيه فتمثل نموذجا موازيا تماما (لوحة ١١٤أ). وهناك بقايا كثيرة من الزخارف الجصية الأصلية على أرابسك شديد الفعالية لاتزال محفوظة حول الجزء السفلى من النافذة الشمالية الشرقية (لوحتان ٨٦ب، ١١٣أ) وهناك بقايا ضئيلة تحت الحافة السفلية من النافذة المقابلة وعلى الضلع الشمالى الغربى بين النافذتين السفليتين، يستنتج من ذلك أن منطقة الانتقال بأكملها لم تكن عارية تماما كما هو الحال الآن.

الرقبة ونوافذها

بين المنطقة الانتقالية والقبة هناك رقبة مثمنة يخترق كل واجهة منها زوج من النوافذ ذات تخطيط متقن، ووضع كل زوج منها فى إطار مفرغ ثلاثيا (لوحتان ٨٦جـ، ١١٣ ب). والتخطيط الغريب المشار اليه والذى يشبه إحدى النوافذ الموجودة بالمئذنة الغربية بجامع الحاكم (لوحة ٢٩ جـ)، لم يستخدم فى النوافذ مرة أخرى فى مصر. وهو يشبه تخطيط الحشوات التى تزين الواجهة الداخلية لنتوءات باب زويلة (لوحتان ٧٢ جـ، ء)؛ ويمكن رؤيته أيضا فى الزخارف الجصية بداخل القبة الكائنة عند المدخل المؤدى الى مجاز الأزهر (لوحة ٩١أ)؛ وفى طبلة العقد تحت مئذنة سيدنا الحسين (لوحة ٩٦أ)؛ وفى جامع الصالح طلائع (شكل ١٦٧)؛ وفى البرج الركنى الكبير ببرج الظفر. ويمكن ملاحظته بعد إدخال تعديلات طفيفة عليه فى قمم المباخر المزخرفة بمآذن القرن الثالث عشر.

تعد هذه الرقبة قطعة فنية متميزة، اذ تنم عن تطور ملحوظ اذا ما قورنت برقبة قباب جامعى الحاكم (لوحة ١٠٩) و الجيوشى (لوحة ١١٠ب) وضريح إخوة سيدنا يوسف (لوحة ١١٢ء) وقبة مدخل مجاز الأزهر (لوحة ١١٣ء). ولكن كان لابد من توقف هذا التطور مؤقتا، حيث اقتصرت النوافذ عامة على الفراغ بين المقرنصات، كما هو الحال بضريحى يحيى الشبيه (لوحتان ١١٤أ، ب) والخلفاء العباسيين، وحين نجدها على مستوى أعلى من ذلك، فإنها لا تكون على الرقبة، بل تخترق أدنى أجزاء القبة، كما هو الحال بضريح السلطان الصالح وضريح الملكة شجرة الدر.

القبــة [الخوذة]

بالقبة ٢٤ ضلعا، إلا أنها أقل وضوحا من أمثالها بالسيدة عاتكة، وتلتقي في دائرة أصغر حجما (لوحة ٨٧أ). وتتميز الأطراف السفلية من هذه الأضلاع بأشرطة من الطلاء الأزرق والأخضر والأصفر والأحمر بالتناوب، وتتمثل ألوان البنفسجي والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر الطيفي بصورة مصغرة. ويتكرر هذا التناوب بانتظام ست مرات. وعليها من الخارج أربعة وعشرون ضلعها لا تقل وضوحا عن أمثالها بالسيدة عاتكة، وتتوج القمة حلية برونزية مزخرفة بثلاث كرات يتناقص حجمها وتعلوها حلقة.

المحراب الرئيس

أعظم مافي هذا المشهد محرابه الرئيس الذى يعد واحدا من أبدع الزخارف الجصية في مصر، وتبلغ مساحته ٥,٥٣ × ٢,٩٥م؛ وبالتالي فهو الأكبر حتى الآن. ويتكون من حنية عرضها ١,٢٠م وعمقها ١,١٠م تغطيها محارة تشع أضلاعها الستة عشر من حلية كما هو الحال ببائكة مدخل جامع الأقمر (لوحتان ٨٧ب،١٢٠أ). طاقية محارية الحلقة الداخلية بحجمين وتم ترتيبها بحيث تأتى الحزوز الأكبر والتى تتناوب مع الحزوز الأصغر في مواجهة الحزوز الخارجية الكبيرة تماما. وفي وسط هذه الحلية نجد اسم «علي» يحيط به إطار مكون من الاسم «محمد» مكررا سبع مرات (Comité de Conservation, *Exercices* 1915 -1919, p. 32). وتزدان الأضلاع بصف من **الحبيبات الصغيرة** وسلسلة منحوتة بالتناوب. والحافة المحززة تتضاعف بتسعة أزواج من الحنيات المسطحة تحيط بها هي نفسها تسعة أزواج أخرى أكبر حجما بكثير. ويحيط بالجميع إطار عبارة عن شريط زخرفي على شكل عقد رباعي المركز وليس عقدا منكسرا، وتزدان كل كوشة عقد بالأرابسك يحيط بدائرة عارية من المرجح أنها كانت تشغلها سرة ناتئة، كما هو الحال بمحراب السيدة عاتكة. وفي الركن السفلي من كل كوشة عقد هناك قطعة صغيرة من الزخرفة تشبه أحد العناصر التعبيرية الموجودة بمحراب السيدة عاتكة. وعبر قمة الإطار المستطيل يجرى شريط رائع من الكوفي المجدول على حلية ربع دائرية أشد ضحالة من المعتاد، وبالتالي فالسطح ينحني بحيث يتفادى تقصير الخطوط ويسمح بقراءة النقش بسهولة من أسفل، وهو أسلوب رأيناه من قبل بجامع الحاكم وبمحراب جامع الجيوشي ومن قبلهما في مسجد سوسة الجامع.

ثم يستمر السطح رأسيا من جديد، وهناك شريط بنفس عرض سابقه ويزدان بتصميم معقد يمكن فكه الى ثلاثة عناصر متداخلة متكررة تسع مرات (شكل ١٤٣). ويحيط بهذا الشريط وبالنقش الكائن تحته وبكوشات العقد جميعا شريط شبكي هندسي لا يزيد عن مجرد امتداد للشريط الذى يتكون منه إطار الحنية المعقود. وهناك شريط من الكوفي البسيط نسبيا يجرى عبر الحافة السفلية من المحارة، وتحته مباشرة شريط من الفسيفساء الرخامي يتكون من مربعات بيضاء وضعت على شكل معين بحشو مثلث بالألوان الأحمر المنقط والأبيض والأزرق الأردوازي. وتحته نجد الحنية مكسوة بالأسمنت الخشن وعليها علامات واضحة لنمط من الحلية ربع الدائرية يعزى الى الحشو الرخامي الذى اختفى تماما إلا من شريط ضيق على القمة سبق وصفه. ويمكن إرجاعه الى فترة لاحقة، فليس هناك محراب آخر أقدم من محراب ضريح الصالح نجم الدين أيوب (٧-٦٤٨هـ/٤٩-١٢٥٠م) يحمل أى أثر من الرخام، فالجص هو المادة الوحيدة المستخدمة. إلا أن المحاريب الرخامية موجودة بالشام منذ ٥٨٠هـ (١١٩٣م. بمدرسة الأمير شادبخت بحلب).

المحاريب الأصغر

بكل من القسمين الجانبيين [الجناحان] محراب جصي صغير (لوحتان ١١٩ جـ، ء) يتكون من حنية (بلافجوات للأعمدة الصغيرة) تتوجها طاقية محارية تشع أضلاعها من حلية وسطي. وقد وضعت فى إطار مستطيل يتكون من نقش كوفى يجرى فوقه شريط زخرفى بداخله عناصر تعبيرية على شكل مزهريات تشبه زخارف سامراء الجصية. وكوشات العقد محشوة بالأرابسك وتحيط بزوج من السرات الناتئة ذات الحزوز الملتوية.

كيف كان الشكل الأصلى للمشهد؟

يتضح من ملحقات الجدران الجانبية التى تبرز خلف الواجهة الشمالية الغربية أن المبنى بشكله الحالى ليس مكتملا. بل هناك دليل آخر يتمثل فى العمودين الناتئين الضيقين اللذين يبلغ عرضهما ٤٠ سم ويمكن رؤيتهما الى يمين الفتحة ذات العقد الثلاثي ويسارها. يقول باتريكولو عن هذه الالسقيفةظلة:

«طبقا للآثار الموجودة، فإن الجزء المعنى يشكل فى الأصل دركاه رواق. ولا يستبعد أن تكون هذه الدركاة أحد جوانب صحن مربع تحيط به ظلات بثلاث بائكات وكان يسبق المشهد وكانت البوابة تفتح على الشارع. وهذه ليست حالة فريدة؛ اذ نجده فى فترة لاحقة بضريح أحمد بن سليمان الرفاعي» (Comité de Conservation, Exercices 1915-19, p. 31).

ونشك من جانبنا فى صحة هذا التصور الافتراضي، ونقترح تخطيطا يقترب من التخطيط المتبع فى جامع الجيوشى للأسباب التالية :

١ . الجدران الجانبية المبينة لم يكن سمكها يزيد عن ٤٠سم وليس ٦٠سم كجدران السقيفة.

٢ . وجود الجدارين b و c، ويحمل الأول بقايا محراب مسطح.

٣ . لو كان الصحن محاطا فيما مضى على كل جانب ببائكة ذات عقد ثلاثى كما هو الحال بجامع الأقمر المعاصر له تقريبا، فإن علينا أن نتوقع أن تكون الجدران المحمولة على عقود ودعامات بنفس السمك على كل من جانبى الصحن كما هو الحال فى الجامع المذكور، لكن الحالة ليست كذلك. ولا نظن أن هذين الجدارين اللذين كان يمكن أن يقطعا أطراف البلاطتين الجانبيتين كان يمكن بناؤهما. وقد يعترض البعض بدعوى أنهما ضروريان ليشكلا دعامة لواجهة السقيفة ذات العقد ثلاثي، إلا أن هذه الحالة نراها بجامع الأقمر بعوارض خشبية، وهو أسلوب كان كافيا للبائكات الجانبية فى إعادة البناء التى افترضها باتريكولو. ومن ناحية أخرى، اذا اتبعنا التخطيط الموجود بالجيوشى وأعدنا بناء الغرف الجانبية الطويلة ذات الأسقف الخشبية المسطحة، فإن الجدران الواقعة على الطرف تكتسب على الفور مبررا لوجودها. ونقترح من جانبنا أن يكون المدخل الرئيسى على الضلع الشمالى الغربى بدركاه فى الوسط، ودرج سلم يؤدى الى السطح على أحد الجانبين، والى حجرة أو حجرتين على الجانب الآخر.

تاريخ البناء

تمت أول محاولة لتحديد تاريخ هذا البناء على يد رافيس فى سنة ١٨٨٩ (*Sur trois mihrâbs*, II, 645-9) فى تناوله للمحراب الخشبى الجميل بالسيدة رقية الذى يعد الآن أحد **كنوز متحف الفن العربي(٣٤١)**. فقد استشهد بفقرة وردت لدى المقريزى (الخطط، جـ٢، ص ٤٤٨) تنص على أن رجلا يدعى أبى تراب(٣٤٢) كان وكيلا **للأمير الذى بنى مسجد رقية**. و يستنتج أن مسجد رقية بنى قبل **وفاة هذا الرجل فى سنة**

(٥٢٨هـ/١١٣٤م)(٣٤٣). ولكن كما يشير ڤان برشم (Égypte, I, 636)، طبقا لما يذكره المقريزى هو أن الوكيل هو الذى بنى هذا المسجد، وبالتالى فتاريخ وفاته لا يعنينا فى شئ. ويواصل حديثه لإثبات أن المحراب الخشبى صنع بين ٥٥٠ و٥٥٥هـ (١١٥٥-١١٦٠م) بينما ظل تاريخ بناء الضريح مجهولا.

على أية حال، ففى أثناء تنظيف القبة من الداخل، تمت إزالة تكسية سميكة من الجص الحديث، وتم العثور على بقايا الزخارف الملونة القديمة للقبة سليمة تقريبا، ومعها نقشان قرآنيان بالكوفى المزخرف طليت بالأزرق الفاتح على أرضية بيضاء، يجرى أحدهما حول الحافة السفلية من الرقبة والتى تنبت منها الأضلاع، ويجرى الآخر حول قمة المربع الذى يقع أسفل الدلايات. وينتهى النقش الأول (لوحة ٨٦ جـ) بالتاريخ ونصه «فى شهر ذى القعدة من سنة سبع وعشرين وخمسمئة الحمد لله»(٣٤٤) (Comité de Conservation, Exercices 1915-19, p. 29).

التابوت

هناك تحت القبة تابوت [ضريح] رائع من الخشب مقاييسه ٢٫٨٥ × ١٫٧٥ × ٠٫٤٧م ويرتكز على أساس من الآجر؛ وقد تم إخراجه وتصويره فوتوغرافيا فى أثناء الأعمال الممتدة التى تمت فى سنة ١٩١٧ وما بعدها (لوحة ٨٨أ). وينقسم كل من جانبيه الى خمسة أشرطة أفقية وشريط رأسى من الأرابسك على كل طرف. والأشرطة الأول والثانى والثالث والخامس من أعلى تتكون من نقش كوفى مزخرف ومتقن، ووضع الثانى فى حشوة طويلة. ويتكون الشريط الرابع من ست حشوات مستطيلة من الأرابسك تتناوب مع سبع حشوات ضيقة، فى حين أن طرفى التابوت بها ثلاث وخمس حشوات على التوالي. وتركت ثلاثة أماكن بجوار كل ركن لتشغلها أقمطة من النحاس الأصفر. والجميع فى حالة جيدة جدا. وينص النقش على أنه بنى بأمر من أرملة الخليفة الآمر فى سنة ٥٣٣هـ (١١٣٩م، Comité de Conservation, *Exercices* 1915-19, p. 29)، أى بعد ثلاث سنوات من بناء المشهد.

تطور ما يعرف بالدلاية المقرنصة

بدأ تطور ما يعرف بالدلاية المقرنصة فى مصر فى أواخر القرن الحادى عشر أو أوائل القرن الثانى عشر، ووصل الى المرحلة التى درسناها؛ وعلينا الآن أن نسعى الى تحديد ما إذا كان ما رأيناه يعد تطورا محليا أم أنه كان يعزى لتأثير خارجي. وربما كان من الأفضل أن نؤجل هذه الدراسة حتى نصل الى أواخر القرن الثالث عشر، ولكن نظرا للآراء الشائعة عن التأثير الفارسى على الفن الفاطمي، فقد قررت أن أقسمها الى قسمين، يتناول أولهما الموضوع حتى عام ١١٧١م، وهو الذى سيضمه هذا المجلد، ويؤجل الآخر للمجلد الثاني.

ونظرا لتقدم البحث فى إيران خلال السنوات الخمس والعشرين سنة الماضية، فقد أصبحنا الآن فى وضع يسمح لنا بالقيام بما كنا لا نستطيع القيام به قبل ثلاثين عاما مضت، أى أن ندون قائمة بمختلف الأساليب المتبعة لإقامة قبة على قاعدة مربعة فى بلاد فارس قبل عام ١١٧١م، وهو نهاية الحقبة التى يتناولها هذا المجلد. فعلينا أن ندرس الأساليب المتبعة بكل من العراق والشام أيضا، إلا أننا سنبدأ بفارس حيث لم يتحقق التقدم فى البحث إلا فى الآونة الأخيرة حين بدأ السماح للأوربيين بدخول الأبنية الدينية.

(أ) بلاد فارس

نقدم فيما يلى قائمة بالنماذج الفارسية مرتبة ترتيبا زمنيا.

٤٢٩ هـ (١٠٣٧م.) يزد: دوازده امام (شكل ١٤٤)

هو نموذج فى غاية الأهمية، فهو يسبق فى تاريخه مقرنصات ملكشاه بمسجد اصفهان الجامع بحوالى خمسين عاما. وفى الجزء السفلي، نجد أن الكابولى الذى ينحنى الى الأمام يمينا ويسارا له سطح مسطح وليس سطحا ذا مركز أجوف كما هو الحال فى النماذج الفاطمية، وتحتل مكان الحنية الوسطى حشوتان مسطحتان تحيط كل منهما بفجوة معقودة كإطار. وتفتقر الحنية العليا الى ضلع أوسط. ولكن الأهم من كل شئ أن التركيبة كلها وضعت فى إطار خارجى معقود لا وجود له فى مصر ولايمكن إرجاعه إلا الى التاريخ الساسانى الطويل مع المقرنصات.

٤٨١ هـ (١٠٨٨م.) إصفهان: المسجد الجامع

حجرة القبة الصغيرة، حجرة القبة الكبيرة (شكل ١٤٥). ويؤرخهما نقشان يجريان حول قاعدة القبة يحتوى أولها على العام الفعلى وهو ٤٨١هـ (١٠٨٨م) ويحتوى الآخر على اسمى ملكشاه وحسن بن **علي بن اسحق المعروف بنظام الملك(٣٤٥)**. ونجد هنا أربع حنايا معقودة تشغل الخانة السفلية بأكملها، ورفع فوقها الكابولى الذى ينحنى الى الأمام جهة اليمين واليسار، بينما قل ارتفاع الحنية الوسطى بينهما. ووضع الجميع داخل عقد خارجى كما كان الحال قبل ذلك. وتحول المثمن الناتج عن ذلك الى شكل ذى ١٦ ضلعا بثمانى مقرنسصت ضحلة. والمنطقة الانتقالية تحت كل قبة هى نفسها تماما، عدا شكل العقود ذات الحشوات الغائرة.

٤٩٨-٥١٢هـ (١١٠٤-١١١٨م)

گلپايگان [جربادقان]: المسجد الجامع(٣٤٦) (شكل ١٤٦)

بنى فى عهد محمد بن ملكشاه حسب ماورد فى نقش يجرى حول قاعدة القبة. ونرى هنا أن هناك تغيرا كبيرا قد طرأ، حيث اختفت الحشوات المعقودة وهناك أربعة صفوف من الحنيات تضم من أسفل الى أعلى خمس حنيات وأربعا وثلاثا وحنية واحدة على التوالي، ووضع الجميع داخل عقد خارجى كما كان الحال من قبل.

٥٠٧ أو ٥٠٩هـ (١١١٣ أو ١١١٦م)

قزوين: المسجد الجامع(٣٤٧) (شكل ١٤٧)

بنى فى عام ٥٠٧ أو ٥٠٩ هـ. وبه أربع مقرنصات بسيطة وثمانى أخر بأعلاه.

٥٤٢هـ (١١٤٨م) مراغه: گمبد سرخ(٣٤٨) (الشكل ١٤٨)

وهو مؤرخ بالثانى من شوال ٥٤٢هـ (٤ مارس ١١٤٨م) حسب ما ورد بنقش فوق المدخل.

٥٥٣ هـ (١١٥٨م) أردستان: المسجد الجامع(٣٤٩) (شكل ١٤٩)

وهو مؤرخ بعام ٥٥٣هـ فى نقش يجرى حول قاعدة القبة. ومقرنصاته تطابق نظيراتها الموجودة بمسجد إصفهان الجامع.

ب. العراق

المادة اللازمة لهذه الدراسة هزيلة للغاية [أى وقت اعداد هذه الدراسة]. وقد رأينا المقرنصة البسيطة المستخدمة بسامراء فى قبة الصليبية ولاشئ بعدها حسب علمى حتى الإمام دور (الشكلان ١٥٠-١٥١) الذى تم تحديد

تاريخه أخيرا من جانب هرتزفلد بعد أن حل رموز نقشه وهو قبل عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) وربما قبل ٤٨٢هـ (١٠٨٩م. *Ars Islamica*, IX, 18-20). ونلتقى هنا وللمرة الأولى بنمط جديد من البناء يسميه هيرتزفلد **«القبة المقرنصة»**(٣٥٠) **والذى قام بدراسة جيدة عنه مؤخرا** (IX, pp. 7-30) .

ج. سوريا وفلسطين

وفيما يلى قائمة بالنماذج الوحيدة التى أعرفها مرتبة ترتيبا زمنيا. وعلينا أن نضع فى اعتبارنا أن هناك فراغا معماريا تاما مدته ٢٥٠ عاما فى الشام حيث ليس هناك شئ بعد صهريج الرملة (١٧٢هـ/ ٧٨٩م) الى أن نصل الى ترميمات المسجد الأقصى فى عهد الخليفة الفاطمى الظاهر.

٤٢٦ هـ (١٠٣٥م) القدس: المسجد الأقصى (شكل ١٥٢)

ولدينا هنا أسلوب غير عادى تماما، بل فريد من المثلثات الكروية التى يرتكز الجزء الأدنى منها فى كل حالة على مقرنصة. والعقود الكبيرة التى ترتكز عليها قبة الأقصى مزخرفة بفسيفساء زجاجية وعلى الواجهة الشمالية من العقد الشمالى نقش طوله ١١,٥٠م. ومنفذ بالفسيفساء باسم الخليفة الفاطمى الظاهر الذى تولى الحكم من ٤١١ الى ٤٢٧هـ (٢٠-١١٣٥م) والذى يعرف بأنه أعاد بناء جزء من المسجد فى سنة ٤٢٦هـ (١٠٣٥م) كان قد تقوض نتيجة لزلزال وقع فى ١٥ محرم ٤٢٥هـ (١٠ ديسمبر ١٠٣٣م).

٥٣٠ هـ (١١٣٦م) بصرى: مدرسة المبرك (شكل ١٥٣)

نظرا لأن سوريا تشتهر بجودة أحجار البناء، فهناك دائما ما يغرى بوضع مداميك من الحجارة كالعوارض عبر الأركان فى صفوف طائرة. وهذا ما حدث فى بصرة حيث نجد أربعة صفوف طائرة. ونحتت فيما بعد حنيات على المداميك بكل من حلب ودمشق.

٥٤٩ هـ (١١٥٤م) دمشق: مارستان نور الدين

فوق دركاه المدخل نجد قبة مقرنصة (الشكل ١٥٤) تظهر لأول مرة فى سوريا(٣٥١).

٥٦٣ هـ (١١٦٨م) حلب: مقام إبراهيم بالقلعة

دلاية مزدوجة الانحدار ربما كانت تطورا للدلاية الوحيدة الانحدار. وهو شكل شاع استخدامه فى سوريا.

٥٦٧ هـ (١١٧٢م) دمشق: مدرسة ضريح]تربة[نور الدين(٣٥٢)

ولدينا هنا ثانى أقدم قبة مقرنصة فى سوريا، ومما يؤسف له أنها تعرضت للتشوه والفساد بتكسيتها بالطلاء.

٥٨٩ هـ (١١٩٣م) حلب: مدرسة شادبخت(٣٥٣)

وتعد نموذجا جيدا للدلاية المزدوجة الانحدار (شكل ١٥٥).

وليس هناك أثر يدل على التأثير الشامي والعراقى أو الفارسي. يتضح الآن من بحثنا أنه ليس هناك مثال معاصر يشبه الدلاية المصرية المقرنصة من قريب أو من بعيد سواء فى الشام أو العراق، والنموذج الموجود بفارس حيث نجد الدلايات «المقرنصة» الآجرية نلاحظ أن تركيبه يختلف تمام **الاختلاف عما نجده فى مصر**(٣٥٤). وبالتالى فان النظرية القديمة عن التأثير الفارسى تتلقى هنا أيضا ضربة جديدة، ويمكن القول دون تردد إن **التطور الملحوظ فى مصر كان ابتكارا محليا صرفا**(٣٥٥).

الفصل السادس عشر

أعمال الخليفة الحافظ لدين الله

فى الجامع الأزهر

أروقة الصحن

يحيط بالصحن حاليا بائكات ذات عقود منكسرة من الآجر المكسو بالجص وهو ما يشكل أروقة عمقها ٤,٥م تقريبا؛ وهناك ١١ عقدا الى الشمال الغربي والجنوب الشرقي، و٩ الى اليمين واليسار. وكل هذه الأروقة حديثة حيث أعيد بناؤها عام ١٨٩٢ عدا القبة فى وسط الضلع الجنوبى حيث بقيت دون مساس. وكانت لجنة حفظ الآثار قد قررت أن الأروقة القديمة يجب نسخها، لكننا رأينا أن هذا القرار لم يتم تنفيذه. لذا فالبائكات الحالية تخرج عن نطاق اهتمامنا. ومن حسن الطالع أن هناك صورتين فوتوغرافيتين تم التقاطهما قبل إزالة الأروقة القديمة (لوحتان ٨٩أ، ب)، كما أن هناك رسما للواجهة الجنوبية الشرقية (شكل ١٥٦) تم وضعه فى تلك الآونة. من ثم فلدينا المادة اللازمة لوصف الأروقة السابقة.

وصفها

كانت البائكات ترتكز على أعمدة رخامية يبلغ ارتفاعها ٣,٧٣م بتيجانها؛ وكانت هناك **طبليات**(٣٥٦) سمكها ٢٠سم ترتكز على هذه التيجان. وكان ينبت من هذه **الطبليات** العقود المنكسرة القائمة على ركائز والتى كانت تحزمها أربطة خشبية خالية من الزخارف مساحتها ١٠سم^2 وضعت على قمة **الطبليات**. ونلاحظ أن العقد الأوسط تم بناؤه بعارضة خشبية (لوحة ٨٩ ب) كعقود النوافذ القديمة بجامع عمرو لعام ٢١٢هـ (٨٢٧ م).

زخرفة الواجهة

كانت هناك فوق كل عمود دخلة ضحلة ذات عقد منكسر بطاقية محارية ترتكز على أعمدة صغيرة (وفى بعض الحالات كانت الأخاديد تشع من حلية مدورة، وفى حالات أخرى تشع من حشوة ذات عقد منكسر؛ انظر لوحة ٨٩)، وبين كل دخلتين، فوق قمة العقد مباشرة، كانت هناك حلية مدورة غائرة بثمانية فصوص معينة الشكل وكمثرية الشكل بالتناوب. كما كانت هناك حليتان مدورتان متماثلتان تمران فوق العقد الأوسط. وكانت الحشوتان والحليات المدورة أبسط كثيرا من نظيراتها الحالية، وكانت تفتقر الى الأفاريز الخطية. وفوق العقد الأوسط، كانت هناك فجوة ربما تخص حشوة من خشب، كما هو الحال فى جامع الصالح طلائع (لوحة ١٠٤أ) وتذكرنا «اللوح الأخضر» بجامع عمرو (ابن دقماق، جـ٤، ص ٦٦؛ المقريزي، جـ٢، ص ٢٤٩، آخر سطر).

كانت مساحة الواجهة ٩,٣٥م حتى الشرفة التى كانت تضيف ٢,٠٨م؛ بإجمالى ١١,٤٣م، أو أكثر من خمس طولها (٥٠,٨٨م) بقليل. وكانت الشرفة شديدة الإتقان؛ وكانت تتكون من شريط سفلى عرضه متر

واحد تقريبا، وكانت تعمل كقاعدة للشرافات المدرجة. وكانت الأولى مزخرفة بتصميم نجمى ذى ثمانية ذيول متداخلة، وكان للشرافات تصميم مخرّم فى الوسط (ونرى من جانبنا أن أربعا من للشرافات الموضحة باللوحة ٨٩ب تعتبر ترميمات متأخرة بناء على ما تتسم به من فجاجة. أما الخامسة الى يمين البشتاق فتتفق ونظيراتها على الضلع الشمالى الغربى كما هو موضح باللوحة ٨٩أ).

وتمت معالجة منتصف الواجهة الجنوبية الشرقية الذى يحتله الجوسق ذو القبة صغير كبشتاق، وترتفع الشرفة لتشكل إطارا مستطيلا عاليا ترتفع وراءه القبة. وتحتل قمة الإطار المكون بهذا الشكل ثلاث فتحات معقودة صغيرة تذكرنا الفتحة الوسطى منها بالحشوات الداخلية لبرجى باب زويلة (لوحتان ٧٢ جـ/ء). الى جانب ذلك، هناك فتحتان مستطيلتان صغيرتان الى يمين ويسار الحشوتين الوسطيين ذاتى العقد المنكسر، وواضح أنهما تم عملهما فيما بعد، لأن إحداهما تقاطع الإطار المعقود. وتختلف شرافة البشتاق عن الباقى كما هو موضح؛ كما يمر من فوقها عند كل من طرفيها قائم مربع، وهو أول نموذج لدينا لأسلوب «الحشوة والقائم»، وهى سمة مميزة بشرافات ضريح الإمام الشافعى (٦٠٨هـ/١٢١١م). وكانت الشرافة تنتهى بقوائم مماثلة على الركنين الشرقى والجنوبى من الصحن (طبقا للرسم).

القبة بمقدمة المجاز القاطع [قبة البهو]

يعمل الجزء العلوى من هذه الواجهة كقناع لإخفاء انخفاض سقف الحرم، حيث لا يزيد ارتفاعه عن ٧م تقريبا. ولا يزيد ارتفاع سقف الرواق عن ذلك، وبدلا من التوافق مع قاعدة الشرافة، نجد أنه لا يزيد انخفاضه عنها إلا بمسافة ٢,٠٨م (انظر شكل ١٥ب بأقصى اليسار).

القبة بمقدمة المجاز القاطع

فى منتصف الواجهة الجنوبية الشرقية، أمام المدخل المؤدى الى المجاز، هناك قبة جميلة ترتكز على أعمدة ومزخرفة من الداخل بزخارف جصية متقنة. ومن الواضح أنها إضافة لاحقة الى الجامع لسببين. أولا، لأن واجهة الحرم تميل الى الأمام، فى حين أن الجوسق ذو القبة رأسى ويتوافق مع الواجهة المنحدرة للحرم. ثانيا، ينتمى العقد الأوسط من البائكة القائمة على دعائم، والذى يعمل كمدخل يؤدى الى المجاز، الى النوع المدبب المألوف، بينما تنتمى العقود الأربعة التى تدعم القبة الى أشهر أنواع النمط المنكسر. ويمكن ملاحظة التناقض فى أجلى صوره حيث يكون أحدها (الجنوبى الشرقي) متصلا بالعقد المفتوح على داخل المجاز (لوحة ٦ب).

وصفها

هناك عمودان ومجموعتان تتكون كل منهما من ثلاثة أعمدة تدعم العقود القائمة بذاتها والخاصة بالقبة؛ وبُنى العقد الرابع -الجنوبى الشرقي- متصلا بالعقد الأوسط للبائكة القائمة على دعائم وينبت من نفس زوج الدعامات. وعرض هذه الدعامات ١,١٣م منها ٣٥سم يشغلها العقد الذى يكوّن الطرف الشمالى من المجاز، و٧٢سم يحتلها عقد الجوسق ذو القبة- بإجمالى ١,٠٧م.

تنتمى العقود الأربعة جميعا الى النوع «المنكسر» الشهير، حيث تتكون أجزاؤها العليا بالتقاء خطين مستقيمين عند نقطة، ويحزمهما عارض خشبى (لوحة ٩٠). وفوقهما منطقة انتقال ارتفاعها ١,٠٧م ومكونة

من أربع مقرنصات طويلة جدا تتناوب مع نوافذ لها نفس الحجم والشكل (لوحتان ١١٣ جـ، ء). وليست هناك رقبة، وترتكز القبة الآجرية المدبية قليلا على هذه المنطقة الانتقالية.

زخارفها

تدل الأزواج الأربعة من كوشات العقود على تصميمين زخرفيين مختلفين، والزوجان المتقابلان متماثلان، إلا أن النقوش الكوفية المتقنة التى تجرى حول العقود وعلى طول قمة المربع أسفل المنطقة الانتقالية مباشرة لها سمة متميزة (وهذا حكم أصدره فلورى الذى قام بدراسة دقيقة عن فن الخط الفاطمي، *Die Ornamente*، ص٣٩). ولنبدأ بالضلعين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي. فنجد نمطا ملتويا بسيطا يجرى حول جميع الأضلاع الثلاثة لكوشة العقد. ومن الداخل، نجد أن التصميم بكامله مكون بصورة تماثلية على خط مرسوم من الركن الخارجي العلوى لكوشة العقد (لوحة ٩٠أ). ومن الورقة النباتية التى تخذ شكل قلب، وعلى حاشية العقد، تنبت السيقان التى تلتف يمينا ويسارا وتنتهى بنصف مروحة نخيلية طويلة؛ وتنقسم هذه بدورها الى نصفين، يتحول نصفهما الى الخارج، ويتبع الآخر الدائرة وينتهى بنصف مروحة نخيلية من أربعة فصوص، وهو مايملأ نصف الفص المكوّن من السيقان الملتفة. وعلى طول حافتها نجد صفا مزدوجا من الكرات المتراصة. وهناك عناصر تعبيرية تشبه أوراق السرخس تملأ أركان الكوشة المجاورة للعقد. ويملأ الركن الخارجي العلوى من كل كوشة نصفا مروحة نخيلية مع صف من الكرات على طول حافتيهما، ويرتفع بينهما تعبير نباتي على شكل قلب. يقول فلورى (ص٤٠): «وكلها تشكل تركيبا متماثلاً قويا ينم عن كل السمات المميزة للفن الإسلامى الناضج».

والزوجان الآخران من الكوشات يزينهما تصميم تكوّن متماثلاً على خط رُسم من قمة الركن الخارجي (لوحة ٩٠ب). ويبدأ ساقان من الركنين المقابلين ويلتفان الى اليسار والى اليمين بالتناوب بحيث يشكل كل منهما ثلاثة فصوص، ثم ينتهيان بنصف مروحة نخيلية بكرات على طول حافتها. ويقع أربعة من هذه الفصوص على طول حافة العقد، واثنان على قمة الركن الخارجي. وكل منهما تملؤه ورقة نباتية بثلاثة فصوص أو خمسة، وأضيف الى الأسطح لون أدكن بشبكة محززة (وتعد هذه الشبكة تداخلا مستطيلا عاديا فى أربع حالات؛ وفى الحالتين الأخريين، تتكون من نسيج سداسي)، عدا سطحا واحدا تم تزيينه بنمط يذكرنا بنمط السهام العريضة المعشقة بكوشات محراب الأفضل (لوحة ٧٧). ويحيط بكل كوشة حاشية ضيقة تختلف عن نظيرتها التى تحيط بزوجى الكوشات اللذين ورد وصفهما فى البداية.

الزخارف الشبكية المفرغة للنوافذ

هناك نافذة واحدة ذات زخرفة شبكية حديثة والأخريان تم إحلال نافذتين شبكيتين خشبيتين محلهما، إلا أن النافذة التى تقع جهة القبلة تستحق مزيدا من الملاحظة (وهى فى حالة ممتازة عدا فى الجزء السفلى منها حيث تم ترميمه بصورة عشوائية. لوحة ٩٠ب، وانظر ٦ب أيضا). وتتكون من شبكة مفرغة من المربعات يحيط كل منها بوريقة رباعية تم نقش مربع فى كل منها؛ وداخل هذا المربع مربع آخر وضع على شكل معين يحيط بدوره بوريقة رباعية أخرى وضعت على خلاف الكبرى على قطر المربع المائل (شكل ١٥٧). من ثم فهى مثال لنمط من ٤٥° يعد نادرا حتى تلك الفترة، حيث كان النمط ذو الـ ٦٠° هو السائد فى الفن

الإسلامي حتى ذلك الوقت. وكانت الوريقة الرباعية عنصرا شائعا للغاية في الزخرفة القوطية المبكرة. وتعد الوريقة الرباعية التي تحيط بمربع عنصرا تعبيريا تم استخدامه في زخرفة إحدى حشوات منبر القيروان الشهير (الضلع الشرقي، الصف الرابع، الحشوة الثانية من الأرض (انظر كتابنا العمارة الإسلامية المبكرة، جـ٢، لوحة ٨٩أ). ولا علم لي بوجود أية نافذة جصية أخرى بزخارف شبكية مفرغة تشبه هذه بمصر، ويبدو أنه من المؤكد أنها تنتمي الى نفس تاريخ الزخرفة المحيطة بها.

أقدم نموذج باقٍ للنوافذ ذات الزجاج الملون بمصر

كل فتحة من النوافذ ذات الزخارف الشبكية المفرغة تغطيها قطعة من الزجاج الأخضر أو الأصفر لاتنطبق على الفتحة، بل تتداخل معها، وقد تم تثبيتها بالجص على سطح النافذة؛ وهذا هو أول نموذج نقابله من نوعه. ويختلف اللون الأخضر أو الأصفر فيها عن مثيله في أي مكان آخر بالقاهرة سوى ضريح قلاوون (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، لذا فمن المحتمل أن زجاج نافذتنا هذه ينتمي الى نفس تاريخ الزخارف الشبكية؛ واذا كان الأمر كذلك، فهي أقدم نموذج موجود للنوافذ ذات الزجاج الملون (قمرية) في مصر.

زخرفة القبة من الداخل (لوحة ٩١أ)

تعد زخرفة القبة من الداخل فريدة من نوعها. وهي مكونة كلها من شريط كتابي كوفي بحاشية من الحبيبات على طول حافتها العلوية، ويلتوي ويعود ليشكل ستة عقود، ويذكرنا شكله بالحشوات الغريبة الكائنة على برجي باب زويلة (لوحتان ٧٢ جـ، ء). وبعد أن يشكل هذا الشريط النقشي عقدا، يهبط ويصبح مزدوجا، ثم يرتفع من جديد ليشكل أعمدة ناتئة من جدار ترتكز عليها العقود. وترتكز الأعمدة الناتئة ذاتها على شريط من الوريقات الثلاثية التي تحتوي كل منها على ثلاث وريقات تشكل حاشية حول قاعدة القبة. وتشكل العقود الستة بائكة تجري حول القبة، والمساحة فوقها محشوة بنجمة سداسية. وهناك وريقة يحيط بها إطار على شكل قلب تحشو الفراغات بين ذيول النجمة، ويحيط بالكل شريط دائري من النمط المفتاحي المثلث الذي يرتكز على ست نقاط من العقد.

تاريخ بناء القبة وأروقة الصحن

ونبدأ بالقبة. كان كل من فرانز (*Kairo*, 1903, p. 25; Saladin, *Manuel d'art musulman*, 1907, i) وسلادين يعتقد أن هذه القبة ترجع تاريخيا الى تاريخ إنشاء الجامع، إلا أن فلوري (ص٤١) يشير الى أننا لو قارننا بين نقوشها وبين النقوش التي نراها على الآثار الفاطمية التي ترجع الى القرنين الخامس والسادس الهجريين (١١ و١٢م)، فمن الممكن تحديد تاريخ بنائها بدقة. فيتضح من أشرطة النقوش الكائنة فوق قمم العقود الأربعة ومن شكل الوريقات ونمطها أن لها علاقة وثيقة بالنقوش الجصية الموجودة في صحن جامع الأقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م)؛ وتذكرنا النقوش التي تجري حول العقود بنقوش جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م). من ثم، فالأرجح أن يكون تاريخ الانتهاء بين الأعوام ٥١٩ –٥٥٥ هـ (١١٢٥ –١١٦٠م)؛ أما تاريخ البدء فهو زخرفة محراب جامع الجيوشي (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م). وهكذا فلابد أن نرجع بناء هذه القبة زمنيا الى النصف الأول من القرن السادس الهجري (١٢م). كما أن المقرنصات الطويلة تقودنا الى نفس الاستنتاج، فهي تشبه مقرنصات ضريح محمد الحصواتي (لوحة ١١٣هـ) والذي بني على الأرجح بين ١١٢٥ و١١٥٠م. وبعد

غياب الرقبة دليلا آخر على التشابه (كل القباب الفاطمية الأخرى التى تنتمى الى تاريخ أقدم وترتكز على مقرنصات تضم رقاب، انظر اللوحات ١٠٩-١١٣).

واذا أشرنا الى تاريخ الجامع، نجد أن الأعمال الوحيدة التى تنتمى الى هذه الفترة وسجلها المؤرخون هى أعمال الحافظ لدين الله الذى تولى الحكم من ٥٢٤ الى ٥٤٤هـ (١١٣٠- ١١٤٩م). لذا فنستنتج من جانبنا أن هذه القبة من أعمال الخليفة المذكور.

ونتجه الآن الى الأروقة. فنجد أن الحليات المدورة تشبه نظيراتها بصحن جامع الأقمر (لوحة ٨٤أ)، إلا أن الأخيرة ليست بها حشوات بعقد منكسر، ولا نجد أيا منها الى أن نأتى الى جامع الصالح طلائع. ففى هذا الجامع أيضا نجد أن العقود تشبه عقود أروقة الأزهر، بينما لاتزال الأجزاء العلوية من أروقة الأقمر منحنية قليلا بدلا من أن تتكون من خطين مستقيمين يلتقيان فى نقطة. وهكذا فإننا هنا أيضا نعود الى الفترة التى اخترناها للقبة، أى فترة الحافظ لدين الله -٥٢٤-٥٤٤هـ (١١٣٠-١١٤٩م).

الأصول المعمارية

القبة الكائنة فى النهاية الشمالية للمجاز القاطع [قبة البهو] :

تعود عملية إضافة جوسق مفتوح ذو قبة فى النهاية الشمالية للمجاز القاطع الى عصر الأغالبة بشمال أفريقيا. فهناك على سبيل المثال قبة تسمى «قبة باب البهو» تمت إضافتها الى الطرف الشمالى من مجاز جامع القيروان الكبير على يد إبراهيم الثانى ابن أحمد بن الأغلب الذى تولى الحكم من ٢٦١هـ (٨٧٥م) الى ٢٨٩هـ (٩٠٢م)؛ وهناك أيضا قبة شيدت بنفس الموضع فى جامع تونس الكبير(٣٥٧) فيما بين السنوات ٣٠١هـ (٩١٣م) و٣٩١هـ (١٠٠١م، انظر كتابنا *E.M.A., II, p. 326* واللوحة ٩١أ، ب). وهناك نموذج آخر نذكره. يقول الجزنائى إنه قد تمت إضافة قبة على الطرف الشمالى من البلاطة الوسطى لجامع القرويين بفاس فى عام ٣٨٨هـ (٩٩٨م). وهى سمة لا وجود لها فى أى من مساجد الشام أو العراق أو بلاد فارس أو الهند، لذا فالأرجح أنها ابتكار جلبه الفاطميون من شمال أفريقيا(٣٥٨).

البيشتاق

ظهرت هذه السمة التى تسمى بشتاق فى فارس لأول مرة فى العمارة الإسلامية فى «بهو الشرف» بالأخيضر (الربع الأخير من القرن الثامن الميلادى) حيث تم وضع عقد الايوان فى «صالة الاستقبال» فى إطار مستطيل يرتفع فوق بقية الواجهة (انظر كتابنا *E.M.A., II, p. 66* والشكل٤٥). وقد أصبحت سمة عامة فى العمارة التذكارية ببلاد فارس والهند حيث بدأ ظهورها فى عام ٥٩٤هـ (١١٩٩م) بواجهة حرم مسجد قوة الإسلام [قطب منار] بدلهى.

الأعمال الخشبية المحفورة من ضريح السيدة نفيسة

بنى ضريح السيدة نفيسة (المتوفاة فى رمضان ٢٠٨هـ/٨٢٤ م) حسب رواية المقريزي، فى عام ٤٨٢هـ (١٠٨٩م، الخطط، جـ٢، ص١٦-٢١). وتم ترميمه بأمر من الخليفة الحافظ لدين الله عام ٥٣٢هـ (١١٣٨م)؛ فتم إصلاح القبة وإضافة كسوة رخامية على المحراب (الخطط، جـ٢، ص٤٤٢). وربما تم تنفيذ

أعـمـال أخـرى على يد هذا الخليفـة فى سنة ٥٤١هـ (١١٤٧م) لو كـانت ثلاث قطع من النقـوش على الخشب باسم الحافظ وعليها تاريخ رجب ٥٤١ هـ (يناير ١١٤٧م) ومحفوظة حاليا **بمتحف الفن العربى** ومسجلة على أنها وردت من ضريح الخلفاء العباسيين (الذى يعد على صلة بمسجد السيدة نفيسة الذى لم يكن قد بنى بعد فى عام ٥٤١هـ) قد أُخذت من المسجد المجاور (Wiet, *Égypte*, II, 41, 226-7) . ويرى فيت أن هذا احتمال ولكنه ليس مؤكدا.

يعد مسجد وضريح السيدة نفيسة الحالى منشأة تمت إعادة بنائها فى فترة لاحقة، الا أن هناك العديد من القطع الخشبية المحفورة التى تنتمى الى أواخر العصر الفاطمى ظلت باقية ويمكن رؤيتها بمتحف الفن العربي، وهى باب وسطح سفلى لمعبرة أحد الأبواب ومحراب فخم. وكلها مسجلة فى الدفاتر على أنها قادمة من ضريح السيدة نفيسة، وفى ضوء ماتقدم، فلابد أن تعزى الى الخليفة الحافظ حوالى عام ٥٣٢هـ (١١٣٨م)(٣٥٩) .

الباب

ومساحته ٢,٢٤ × ١,٢٠ م، ويتكون من مصراعين بكل منهما أربع حشوات جيدة النحت (لوحة ٩٢أ، ب) وتتصل بنظيراتها بجامع الأقمر (لوحات ٨٤ و، ز، حـ) ولو أنها أشد إتقانا وبها كلمتان كوفيتان فى الوسط. وهذا الشبه الشديد بباب ينتمى الى عام ٥١٩هـ (١١٢٥م.) يعد تأكيدا آخر للتاريخ المقترح.

السطح السفلى لمعبرة الباب (لوحة٩٢ جـ)

ومساحته ١,٣٨ × ٠,٥٧م ويتكون من إطار بحشوتين محفورتين تزخرفهما أشرطة متداخلة تزينها اللآلئ، وسيقان أوراق عنب وأوراق عنب بثلاثة وخمسة فصوص.

المحراب (لوحة ١٢٠ جـ)

صنع بظهر غير مشذب ليوضع على جدار أو فى حنية ضحلة. لذا فمن الممكن اعتباره قطعة من الأشغال الخشبية المعمارية وبالتالى فهو يندرج هنا على خلاف **المحراب الخشبى لضريح السيدة رقية الذى كان يفترض أن يتم نقله الى الخارج ليوضع بالصحن فى أى وقت**، وظهره وواجهته وجوانبه مزخرفة بإتقان. وصنع فى رأى بوتى (ص٦٦) من خشب الأرز والساج، لكننا نرى من جانبنا أن الخشب الذى اعتبره خشب أرز ربما كان خشب دلب. ويتكون من حنية مدببة معقودة نصف دائرية وضعت فى إطار مستطيل مساحته ١,٩٢× ٠,٨٨ م. ويبلغ عرض الحنية من أسفلها ٤٤سم، إلا أنه قد تم خفضه الى ٣٣سم بارتفاع ١,٠٤م من الأرض. ومن الواضح أنه كان يمر من فوقه عمودان مدمجان من الخشب، ومما يؤكد ذلك، التراجع الى الوراء فى محراب الآمر (لوحة ١١٨ جـ) الذى ظل محتفظا بعمودين مدمجين صغيرين من الخشب. والإطار المستطيل مزخرف بتصميم هندسى يمكن تصنيفه على أنه من نمط ٦٠ درجة (انظر *E.M.A.*, I, pp. 139-41 واللوحتين ٨٩ و٩٠)، ولكن لم يتم العثور على مكان يتسع لعنصر سداسى بنجمة سداسية فى وسطه إلا فوق العقد. والشقوق التى نراها الى يمين الحنية ويسارها مزخرفة بعناصر نصف سداسية، أو بالأحرى كانت ستصبح سداسية لولا أن المساحة التى تركت للعمودين الصغيرين كانت تحتم حذف جزء منها إلا عند مستوى قمة العقد حيث نجد عنصرا سداسيا كاملا الى اليسار واليمين. وتتكون الأشرطة العريضة المستخدمة فى التصميم من شقوق خشبية محززة بينها حشوات مزخرفة بتصميمات أرابسك صغيرة؛ ومما يؤسف له أن سبعة من الحشوات الكبيرة وعددا من الحشوات الصغيرة قد فقدت. ويمكن ملاحظة مستويين من الأعمال، أحدهما

منفذ بدقة تامة ويتكون من سيقان أوراق عنب وأوراق عنب أضيفت اليها الثمار أحيانا؛ والآخر بسيط وردئ الصنع بحيث يمكن إرجاعه الى ترميمات لاحقة. ومعظم الأعمال التى تندرج تحت المستوى الأخير موجودة الى اليسار.

وعلى امتداد الحواف الداخلية والخارجية من هذا الإطار يجرى نقش كوفى قرآنى كله ولايحتوى على أسماء أو تواريخ. أما الحنية التى لا يزيد عمقها عن ١٥سم فهى فى حالة ممتازة ويمكن اعتبارها مثالا رائعا لأعمال الحفر الخشبية الفاطمية. ويتشكل إطارها الهندسى من أشرطة نحيفة مزخرفة باللآلئ، وتتكون من مثمنات بسيطة مرتبطة تبادليا ورأسيا وأفقيا بعناصر تنبت من مربعين متقاطعتين. إلا أن أشد السمات تميزا هو الشكل الذى ينتمى الى القرن الثالث من أوراق العنب وعناقيده والذى تمت إضافته اليه وربما تم أخذه مباشرة من منبر القيروان (انظر *E.M.A.*, II, pp. 317-19 واللوحتين ٨٩ و٩٠). وتنبت الأوراق من سيقان نحيفة تتدفق بحرية على السطح بأكمله تحت الإطار الهندسى ومن فوقه .

كما نلاحظ شيئا آخر باقيا، وهو عنصر زهرة الخزامى أو الرمانة الذى عُثر عليه لأول مرة فى قلعه كهنه ثم فى فسيفساء قبة الصخرة وعلى أعتاب قصر الطوبة (انظر *E.M.A.*, II, pp. 317-19). ومن ناحية أخري، نلاحظ البرعمة ذات اللسان الممتد والطرف المتموج والذى كان شائعا للغاية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر.

ضريح محمد الحصواتي (١١٢٥-١١٥٠)

وصفه

يقع هذا الضريح الصغير المجهول لدى الكثيرين (رقم ٣٥ على خريطة الجيب) على بعد ٦٠ ياردة تقريبا من ضريح الإمام الشافعي. ولايزال جانباه الشمالى الشرقي والشمالى الغربى خاليين من أى شئ حولهما، وكذلك ثلث جانبه الجنوبى الشرقي، إلا أن هناك جدارا بنى على الثلثين الآخرين لدعم شرفة أحد المنازل؛ ويشكل الجانب الجنوبى الغربى أحد طرفى صحن المنزل المذكور.

ويتكون كمعظم الأضرحة من قاعدة مكعبة طول كل من أضلاعها ٣,٤١م من الداخل (شكل ١٥٨)، ومنطقة إنتقال وقبة - بلا رقبة فى هذا النموذج (لوحتان ١١٣ هـ، و). والبناء بأكمله من الآجر المكسو بالجص، وسمك الجدران ٦٦سم. وهناك فتحة معقودة كبيرة تحتل منتصف كل واجهة، عدا جهة المحراب. وتبلغ مساحة العقود الثلاثة التى تنتمى الى النمط ذى الأربعة مراكز ١,٦٤ ، ٢,٠٥ ، ١,٧٠ م على التوالى -أى أن ضريحنا هذا **يعد جوسقا مفتوحا تغطيه قبة**(٣٦٠).

ونظرا لزيادة ارتفاع الأرضية لدرجة ملحوظة، فإن الجزء العلوى من الطابق السفلى فقط هو الذى يمكن رؤيته من الشارع (لوحة ١١٣و). والطابق السفلى منبسط وغير مكسور فيما عدا الفتحة المعقودة فى وسط كل واجهة؛ إلا أنها تتوجها حلية مستطيلة خالية من الزخارف. وتتراجع المنطقة الانتقالية فوقها الى الوراء لمسافة ٢٠سم تقريبا، أو ٢٥سم من حافة الحلية. ويبلغ ارتفاعها حوالى ١,٧٠م وبها نافذة ذات عقد منكسر بوسط كل واجهة تمر من فوقه على كلا الجانبين حشوة ذات عقد منكسر أكبر قليلا بطاقية ضحلة تشع أضلاعها من جامة صغيرة بطرة مستديرة بمنتصف وطرف إطار محزز (وأكثر الحشوات صيانة هى التى نجدها على الضلع الجنوبى الشرقي). والأركان الأربعة لهذه المنطقة الانتقالية مشطوفة فى معظم ارتفاعها، ولكن بقيت القمة مربعة، والأركان الناتئة مدعمة بكوابيل مقرنصة كما هو الحال فى الشيخ يونس. وليست هناك رقبة، وترتفع القبة الطويلة القائمة على ركائز من هذه المنصة المربعة مباشرة؛ ولابد أن ارتفاعها يبلغ ٣,٥م تقريبا.

ونظرا لأن العقدين الكائنين فى الجانبين الشمالى الشرقى والشمالى الغربى مسدودان، يتحتم علينا الآن أن ندخل صحن المنزل المذكور والمغطى جزئيا، فنجد الى اليسار الجانب الجنوبى الغربى من الضريح والمكسو بطبقة سميكة من الجص ومطلى بالملاط.

الضريح من الداخل

لدى دخولنا الضريح وإلقاء نظرة على المحراب (لوحة ٨٨ب)، يتضح أن الأرضية الحالية تعلو عن المستوى الأصلى بكثير. واذا أخذنا تناسب ارتفاع المحاريب بالنسبة لعرضها على أنه ٢ :١ ، يصبح الارتفاع الأصلى ٢,٤٨ × ٢ = ٤,٩٦ م، فى مقابل ارتفاعها الراهن الذى يبلغ ٢,٧٨م، وبالتالى فإننا نستنتج أن الأرضية الأصلية كانت منخفضة عن ذلك مسافة مترين تقريبا.

قامت لجنة حفظ الآثار بعمل تنقيبات هنا على أمل العثور على آثار مهمة من الزخارف أسفل الأرضية الحالية، ولكن دون جدوي؛ فالجدار الذى انكشف كان خاليا تماما من أية زخارف، وتتضح عليها علامات تدل على وجود ترميمات عشوائية فى العديد من المواضع (*Comptes Rendus des Exercices* 1915-19, p. 38). بل لم يتم العثور حتى على بقايا الأرضية الأصلية.

والنوافذ كلها مسدودة، عدا النافذتين الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية حيث ظل ثلث كل منهما مفتوحا ولاتزالان تحتفظان ببقايا نافذة شعرية حول حافتيهما الداخليتين. والقبة محمولة على أربع مقرنصات طويلة وضيقة كالنوافذ وتساويها من حيث الحجم. وحوافها السفلية تعلو عن مستوى الأرضية الحالى بمقدار ٢,٨٧م، ويبلغ ارتفاع المثمن الانتقالى المكون منها ١,٧٦م. والقبة محمولة عبر زوايا المثمن (لوحتان ١١٣هـ، و). وهى تشبه فى شكلها قبة جامع الجيوشى والقبة التى تغطى مقدمة مجاز الأزهر (لوحة١١٤ب) ولكنها تقوم على ركائز بدرجة أكبر قليلا.

المحراب (اللوحتان٨٨ب،١٢٠ب)

يعد المحراب على صلة وثيقة بمحراب السيدة رقية ولو أنه يفوقه من حيث الحجم والثراء فى الزخارف. ونجد هنا نفس الطاقية المحارية بجامة كبيرة فى وسطها، وحافة مروحية ثلاثية ونفس التخطيط ذى العقد المنكسر تقريبا ونفس بقايا الطرر فى الكوشات وشريط من نفس النوعية ذات الكتابة الكوفية المجدولة على الحلية الربع دائرية، بفارق أن الشريط يجرى أسفل الجوانب أيضا، ثم نجد شريطا من النمط المفتاحى الإغريقى المنحدر، يليه حز طويل خالٍ من الزخارف كان بلاشك يحمل شريطا رائعا من الأشغال المتشابكة. ولكن لم يبق من هذه الأشغال سوى حز صغير من الزخارف على كل من الطرفين يذكرنا بأسلوب محرابى الجيوشى وإخوة يوسف. ويرتكز الإطار المروحى الخارجى على كسوة من الجص بتيجان على شكل **كأسى**. وأضلاع المحارة مزخرفة بجديلة بسيطة وتوريق منساب بالتناوب، فيما عدا الضلع السفلى الذى يشكل هو الآخر الحافة العليا من الحنية (وعرضها ١,٠٦م وعمقها ٦٠سم)؛ وهو مزخرف بشريط من مثلثات معدولة ومقلوبة، وفى وسط المثلثات الرأسية هناك وريقة نباتية ثلاثية. ورغم الجدار المذكور الذى بنى على جزء من الواجهة الجنوبية الشرقية، لايزال من الممكن رؤية أن المحراب به نتوء مستطيل بقمة منحدرة.

وليست هناك زخارف أخرى بالداخل عدا الحواشى البسيطة للنوافذ؛ فاثنان منها مزخرفان بنمط مفتاحى اغريقى مائل يشبه نظيره الذى يجرى على امتداد الحافة العليا للمحراب، والحاشيتان التبادليتان بهما ما يشبه السلسلة (انظر الركن الأيسر العلوى باللوحة ١١٣هـ).

تاريخ البناء

تعد السمات التالية التى يتميز بها المحراب قاعدة لتحديد التاريخ الزمنى:

١. نمط مفتاحى اغريقى نجده كذلك فى قبة مقدمة مجاز الأزهر (النصف الأول من القرن الثانى عشر).

٢. طرر بكوشات عقد المحراب، وهو مانراه أيضا فى محراب الأفضل بجامع ابن طولون، ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) وفى محراب السيدة عاتكة وفى المحراب الرئيسى بالسيدة رقية، ٥٢٧هـ (١١٣٣م).

٣. حافة مروحية ثلاثية للمحراب وهو ما نجده أيضا فى السيدة رقية.

٤. جامة فى وسط المحارة التى تشع منها الأخاديد، وهى سمة نجدها كذلك فى بائكة مدخل جامع الأقمر، ٥١٩هـ (١١٢٥م)، وفى المحراب الرئيسى بالسيدة رقية، وفى ضريح يحيى الشبيه.

٥. قطعتان من الزخارف أعلى أركان المحراب، وهى سمة نجدها أيضا فى محاريب الجيوشى، ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) ، وإخوة يوسف والمحاريب الخارجية بالسيدة رقية.

هذه السمات بالإضافة الى النقوش الكوفية المجدولة وشكل عقد المحراب، تشير جميعا الى النصف الأول من

القرن الثاني عشر الميلادي. كما أني أرى أن السمتين (٣) و(٤) تبرران لنا أن نزيد في تحديد الفترة الزمنية لتصبح الربع الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي. أما بالنسبة للسمة (٤)، فأشير الى عدم العثور على أية جامة في وسط الحنيات المروحية العديدة التي نجدها في جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وفي المنشآت اللاحقة عليه، حيث شغلت الحيز بدلا منها حشوة معقودة مستقيمة الأضلاع، عدا في حالتين هما ضريح الخلفاء العباسيين، المحراب، وجامع الظاهر بيبرس، المدخل الرئيسي (٥-٦٦٧هـ/ ٦-١٢٦٩م).

الأصول المعمارية

نظرا لأن هذا الضريح يعد جوسقا مفتوحا تغطيه قبة، فهو ينتمي الى **الأضرحة المصرية المبكرة** -السبع بنات (لوحة ٣٤) لا من حيث وضع القبة وحسب، بل في أشد سماته تميزا، ألا وهي الفتحة المعقودة الكبيرة التي تحتل وسط كل واجهة عدا على جانب المحراب. وليس لهذا النوع من المنشآت الا **ثلاث سوابق**[٣٦١] في مصر، وهي:

١. ميضأة صحن جامع ابن طولون (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)؛

٢. ضريح الأمير تنكزبغا [منشية ناصر] (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)؛

٣. **الضريح الغفل من الأسماء**[٣٦٢] خلف ضريح السلطان برسباى (٨٣٥هـ/١٤٣٢م. لمزيد من المعلومات عن هذه التواريخ، انظر Brief Chronology, *B.I.F.A.O.*, xvi, pp. 84, 110-11 and 125-6).

الفصل السابع عشر

القاعة الفاطمية

قاعة الدردير(٣٦٣)

وصفها

اتجه اهتمام اللجنة الى هذه القاعة المتميزة التى تعرف بقاعة الدردير(٣٦٤) (رقم ٤٨٨ على خريطة الجيب) فى سنة ١٩٣٢. وتقع على الجانب الشمالى من شارع بنفس الاسم يجرى شرقا من الغورية، الى الجنوب قليلا من ضريح السلطان الغوري.

بعد المرور بعدد من الحجرات الحديثة نسبيا، نجد أنفسنا فى مجاز (A) يؤدى مباشرة الى داخل درقاعة أو الجزء الأوسط الغائر من القاعة (B) ومساحته أكبر من ٦م٢ بقليل. والى الشمال والجنوب نجد الايوانين الكبيرين (C, D) اللذين يفتحان على عرض الدرقاعة كاملا؛ ويبلغ عرض الايوانين ٥,٤١ وعمقهما ٥,١٠ م، والدرقاعة ٥,٥١ × ٦,٤٥م. ويكل منهما قبو اسطوانى من الآجر ينتهى بنصف قبة (لوحتان ٩٣، ٩٤، شكل١٥٩). ويرجع تميزهما الى علوهما الشديد –حوالى ١١,٥٠م– والى الأسلوب الذى رفعت به نصف القبة على امتداد الأركان. ولايحتل كل ركن مثلث كروي، بل مثلث متساوى الساقين ومسطح (أو منحدر مثلث) ركناه العلويان فى الايوان الجنوبى متوافقان مع نصف القبة بمقرنصات صغيرة ذات عقود منكسرة (لوحة ٩٤أ). والركن السفلى من كل مثلث ترتكز على مقرنصة أخرى أصغر قليلا من نظيراتها العلوية. وفى الايوان الشمالى تم حذف المقرنصتين العلويتين. وفى الايوان الجنوبي، هناك نافذة بين الدلايات محشوة بمقصورة مشربية. وبالصعود الى السطح بدرج سلم قريب، يمكن ملاحظة أن هذه النافذة وبالتالى الطرف الجنوبى من هذا الايوان تعلو عن الشارع بأربعة أمتار تقريبا.

والجدران من الحجر وحتى منبت الأقبية، إلا أن هذه الأقبية ودلاياتها بالشكل الذى نراه فى الايوان الشمالى حيث سقط بعض الجص الذى يكسوها قد صنعت من الآجر، وكذلك العقود الأمامية. وكل هذه المكونات تصنع قاعة تختلف عن أية قاعة أخرى فى القاهرة حيث أن لكل القاعات الأخرى أسقفا خشبية وإطارا مقرنصا خشبيا يعرف باسم كردى بدلا من العقد الأمامي.

تمت معالجة الضلعين الشرقى والغربى من الدرقاعة على النحو التالي. داخل إطار معقود ضحل له نفس ارتفاع الليوانات وعرضها وعمقه لايزيد عن ١٠سم، هناك دخلة طويلة وضيقة عرضها ٢,٤٥سم وعمقها ٥٤سم تجرى الى أعلى نحو قمة الإطار المعقود. وعلى جانبيه من أسفل هناك مجازان مستطيلان بعرض متر تقريبا وبارتفاع ٢,٨٥م تغطيهما أسكفات خشبية وعقود ناتئة مقطعية من الحجر تعلوها حنايا ضحلة لايزيد عرضها عن ٩٠سم إلا أن ارتفاعها يزيد عن خمسة أمتار وتنتهى فى أعلاها بعقود منكسرة لاتزيد مساحتها عن ٥٠سم، وواجهاتها العريضة ينحنى الى الخارج بحيث تحاذى منحنياتها الخارجية سطح الجدار الذى وضعت فيه (لوحة ٩٤ب). واذا نظرنا اليها من أسفل، نجدها محمولة عبر أركان الدخلة بطريقة أفقية حادة.

والأهم من ذلك أنه لايزال هناك إفريز خشبي عرضه حوالى ٣٥سم ومزخرف بنقش كوفي بين حافتين مزخرفتين زخرفة بسيطة وحلية خارجية مفلطحة الوجه، وهذا الإفريز مثبت فى جدار الحنية الوسطى على الضلع الشرقى من الدرقاعة على ارتفاع ٣,٥م من الأرضية (لوحتان٩٣ ا، ٩٤ جـ). ويجرى هذا الإفريز الكوفي بعرض الدخلة بأكمله (٢,٤٨م) ويستمر بزوايا يمنى عند كل طرف لمسافة حوالى ٣٥سم ثم ينفصل عنها بصورة مفاجئة.

ولابد أن الأضلع الأربعة للدرقاعة كانت تستمر الى أعلى فيما مضي، وكانت هناك ثلاث نوافذ فى كل واجهة، ولايزال الجزء السفلي للنوافذ الثلاث باقيا على الضلع الشرقى (شكل ١٥٩). ولاشك أن هذا الجزء كان يغطيه سقف خشبي مسطح، نظرا لنحافة الجدران.

وعلى أحد جانبي الايوان، هناك حجرة مظلمة تعد مخزنا (E)، وعمقها ١,٦١م وطولها ٤,٢٥م وبها صوانان عند كل طرف؛ وعلى الجانب الآخر هناك فتحة (F) تدور بزاوية يمنى وتؤدى الى جزء G مفتوح الآن الى السماء.

وعلى الجانب الغربي من الايوان الشمالي هناك حجرة بلا نوافذ وبها دخلات عميقة للصوانات؛ وعلى الجانب المقابل، هناك فتحة تؤدى الى مساحة محطمة تماما.

تاريخ البناء

تمثل السمتان التاليتان موضوعا للجدل:

(أ) الدلايات.

(ب) أسلوب معالجة الحنايا ذات العقود المنكسرة على الجدران الجانبية.

(أ) النماذج الوحيدة التى تشبه هذه الدلايات هى المثلثات الكروية بالمسجد الأقصي، وينتهى كل منها بحنية ركنية فى أسفله (شكل ١٥٢). والعقود الكبيرة التى ترتكز عليها قبة الأقصى مزخرفة بالفسيفساء، وهناك نقش أعلى العقد الشمالي على واجهته الشمالية طوله ١١,٥٠م وتم تصميمه من الفسيفساء وعليه اسم الخليفة الفاطمى الظاهر وهو الذى قام بترميم الجامع عام ٤٢٦هـ (١٠٣٥م) كما رأينا من قبل.

(ب) لا يظهر العقد المنكسر **بمصر حتى أواخر العصر الفاطمي**، ومن أمثلته العقود التى تدعم القبة عند المدخل المؤدى الى مجاز الجامع الأزهر (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) وضريح يحيى الشبيه (١١٥٠م) وجامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م). أن معالجة الأسلوب المقوس الخاص بواجهات العقود المنكسرة تذكرنا بأسلوب مماثل له نجده فى الشبيه، وخاصة فى حشوات جدران الصحن الأمامى (لوحتان٩٥، ٩٦أ). ومن ثم يمكن إرجاعه الى النصف الأول من القرن الثانى عشر.

الأهمية المعمارية للقاعة

إن هذه القاعة تثبت أن نمط البيوت الذى تم التعرف عليه من حفائر الفسطاط قد أخلى مكانه لنمط مختلف تماما فى القرن الثانى عشر. كما أنها تنم عن أصل المدرسة ذات الايوانين. وقد توصلت فى سنة

١٩٢٢ الى استنتاج بأن هذا النوع من المدارس كان مشتقا من قاعات بيوت القرن الثانى عشر (The origin of the Cruciform Plan of Cairene Madrasas, *B.I.F.A.O.*, XXI, p. 45) . وفى ذلك الوقت، لم يكن هناك بيت معروف فى القاهرة يرجع الى ما قبل القرن الرابع عشر، لكنى أضفت قائلا: «إذا افترضنا أن بيوت القرن الثانى عشر كانت كما يبدو تشبه بيوت القرن الرابع عشر، فالحل يصبح واضحا. فالقاعة بهو داخلى يتكون من ايوانين على جانبين متقابلين من مساحة مربعة يغطيها منور [ملقف أو باذاهنج] فى السقف. وتحت المنور، وبين الايوانين نجد نافورة. وهو نمط يناسب نمط المدرسة ذات الايوانين تماما، وإذا عدنا الى النصوص نجد أن العديد من المدارس الأقدم كانت بيوتا ثم تحولت الى مدارس لدى وفاة أصحابها» . وسنتحدث بتفصيل أكبر عن هذا الموضوع فى **المجلد الثانى حين نتناول التطور المعمارى للمدرسة**(٣٦٥) .

الفصل الثامن عشر

ضريحا [مشهدا] يحيى الشبيه والقاسم أبى الطيب(٣٦٦)

ضريح [مشهد] يحيى الشبيه

وصفـه

فى الجبانة الجنوبية، وعلى بعد ٢٥٠م تقريبا الى الجنوب من ضريح الإمام الشافعي، نجد بناء غريبا (رقم ٢٨٥ فى الخريطة المرفقة) يتكون من حجرة ذات قبة مساحتها تزيد عن ٧,٥م بقليل، ويحيط بها من ثلاثة جوانب مجاز مسقوف تتصل به عبر فتحة ذات عقد منكسر فى منتصف كل من الجانبين. والجانب الأيسر من المجاز المسقوف الشمالى الشرقى يفتح على ملحق سيرد وصفه فيما بعد. ويبلغ عرض البناء بأكمله ٢٦م وعمقه ١٣م -أى أنه مربع مزدوج (لوحتان٩٥، ٩٦أ، وشكل١٦٠).

والمدخل المستخدم حاليا (A) يقع فى الركن الغربى خلف دخلة ضحلة يغطيها على شكل ورقة نباتية ثلاثية لايبدو عليه أنه يرجع الى فترة أقدم من القرن التاسع عشر. ويشكل بناؤه كتلة واحدة مع واجهة حجرة (B)2 تمت إضافتها الى الضلع الجنوبى الغربى من ضريحنا هذا. وبالقرب منها عند النقطة (N) نجد المحراب القديم الذى سبق وصفه. وبما أن الأرضية ارتفعت، فلابد لنا من أن نهبط ثلاث درجات للوصول الى المدخل، ودرجتان أخريان بعد المرور فى داخله؛ فنجد أنفسنا فى المجاز المسقوف الجنوبى الغربى، وأرضيته تنخفض عن الأرضية فى الخارج بمقدار متر واحد. والى اليمين، نجد بابا فى داخل الحجرة التى ذكرناها لتونا؛ والى اليسار، نجد فتحة واسعة ذات عقد منكسر داخل الحجرة ذات القبة، وفى المقدمة نجد عقدا منكسرا عرضه ١,٥م ويفتح على البائكة الركنية بالمجاز المسقوف.

الحجرة ذات القبة

ينقسم الضلع الشمالى الغربى الى ثلاث دخلات ذات عقود منكسرة الوسطى منها أعرض من الأخريين؛ وبالأضلاع الأخرى فتحة ذات عقد منكسر فى الوسط بحنية ضحلة ذات عقد منكسر بعمق ٢٢سم الى اليمين واليسار. وتنبت العقود من أزواج من الأعمدة المدمجة كما يتضح فى الشكل (١٦٠) واللوحة (٩٥)، عدا العقد الجنوبى الغربى حيث هناك عمود واحد على كل من جانبيه. والجدار بارز فوق الأعمدة، وهو طبلية من لوحين غليظين يتوسطان بطريقة مستعرضة. وفوق هذه الطبليات مباشرة، نلاحظ وجود إفريز خشبى بسيط عرضه ٣١سم دائر تبعا لكل الزوايا البارزة والكارة، وحافته السفلية تعلو عن الأرضية مسافة ٤,١٠م. وكل من العقدين مشبوك برباط خشبى غليظ يلامس الحافة العليا من هذا الإفريز بالكاد. وهناك إفريز خشبى أضيق قليلا يتوج قمة الجدران الأربعة.

وفوقه مباشرة، وعلى ارتفاع ٥,٧٢م من الأرضية، تبدأ المنطقة الانتقالية وارتفاعها ٣,٢٦م، والمقرنصات والنوافذ ذات الثلاث فتحات للضوء فيما بينها تطابق نظيراتها بمشهد السيدة رقية. أما من الخارج فالمعالجة تختلف، إذ نجد أن المنطقة الانتقالية مدرجة (لوحة ١١٤ب) كما هو الحال بضريح جعفرى وعاتكة والشيخ يونس (لوحات١١١ جـ، هـ، ب) وليست هناك رقبة. والقبة أيضا تشبه نظيرتها فى السيدة رقية عدا أن أضلاعها الأربعة والعشرين تعد أكثر سمكا وليست بها حواف مستديرة؛ وكلها تضيق تدريجيا نحو الوسط حيث نجد حلية خطية صغيرة.

المجاز المسقوف

يضيق المجاز المسقوف عند أربع نقاط حيث تستمر الجدران الجانبية من المكعب في داخله وتحمله عبره أربعة عقود منكسرة (شكل ١٦٠)، وبالتالي فهي تناظر الدعامات الطائرة، لأنها تؤمن أركان المربع الأوسط ضد اندفاع العقود الرئيسية الثلاثة والقبة. من ثم فالمجاز المسقوف ينقسم الى خمسة أقسام مساحة القسمين الجانبيين منها ١,٩٠ × ٧,٣٠م (وقد انخفض طول القسم الجنوبي الغربي بسبب المدخل الذى فتح حديثا) ويغطيهما سقف خشبي مسطح. ومساحة البائكتين الركنيتين ٢,٧٠ × ٢,٤٠م وتغطيهما قباب ضحلة. ومساحة القسم الجنوبي الشرقي ٦,٨٥ × ٢,٤٠م؛ وبالتالي فهو أعرض من الأقسام الجانبية بمقدار متر واحد؛ وتغطي الجزء الأوسط منه قبة قطرها ٢,٤٠م ويطول قبو اسطواني نصف دائرى الى اليمين واليسار. وتشبه هذه القبة القبة الرئيسية في تخطيطها، لكنها مصقولة من الداخل والخارج (لوحة ١١٤ ب)؛ وترتكز على مقرنصات مماثلة مدرجة من الخارج، إلا أن النوافذ فيما بينها (وهي مسدودة حاليا) لا تنقسم الى ثلاث فتحات للضوء (ويمكن الاستدلال على أنها كانت مفتوحة فيما مضى من السقف حيث يمكن رؤية تخطيط الجزء الأدنى من النافذة الشمالية الشرقية بوضوح).

المحراب

هناك ثلاثة محاريب، محراب فى كل من طرفى المجاز الجنوبي الشرقي. والمحراب الأوسط (لوحة١٢١ جـ) مساحته ٤,٨٠ × ٢,٧٥م، وبالتالي فهو بنفس مساحة المحراب الرئيسي بالسيدة رقية، إلا أنه أقل إتقانا منه بكثير سواء من حيث التصميم أو التنفيذ. فليس به إطار خارجي، وليست هناك زخرفة على الأضلاع التى تشع من حلية وسطي، ولكن هناك أربعة صفوف متحدة المركز من الأخاديد حول الحواف بدلا من ثلاثة. ويبرز الى الخارج مما يكوّن نتوءا مساحته ٣,٣٨ × ٠,٨٩م بقمة مستديرة.

ومساحة المحاريب الجانبية ٣,٠٩ × ١,٢٨م (لوحة ١٢١ب). ومع أن بها صفين متحدى المركز من الأخاديد بدلا من صف واحد فقط كما هو الحال فى المحاريب الجانبية بالسيدة رقية، إلا أنها أقل منها بكثير من حيث القيمة وتفتقر الى إطار خارجي. ويشكل تخطيطها عقدا منكسرا كنظيره الخاص بالمحراب الرئيسي.

وهناك بأرضية القبة خمسة توابيت مجوفة وتابوتان صغيران وجميعها متراصة جنبا الى جنب؛ وتتكون هذه التوابيت من مستطيلات من الآجر المكسو بالجص، وبالتوابيت الثلاثة الأولى أعمدة خشبية على الأركان تربط بينها أربعة ألواح خشبية منحوتة منقورة فيها وتجرى على طول الحواف العليا. ويبلغ طول التوابيت الكبيرة (مرقمة من I الى V فى الشكل ١٦٠) حوالى ٢,٨٠م وعرضها ١,٥٠م وارتفاعها متر واحد. وفى طرفى التابوت الثانى هناك شواهد قبور باسم «عبدالله بن قاسم ... بن على بن أبى طالب» وبتاريخ «١٨ رمضان ٢٦١» (٢٦ يونيو ٨٧٥م، ڤان برشم، *Egypte*, I, pp. 23-25)؛ وهناك شاهدان آخران باسم «يحيى بن قاسم» (أخى عبدالله) بتاريخ «٢٨ رجب ٢٦٣» (١٦ ابريل ٨٧٧م) مدمجان فى التابوت الثالث (ڤان برشم، ص٢٥-٢٦). كان يحيى بن قاسم يلقب بالشبيه نظرا لشبهه المفترض بالنبي [صلى الله عليه وسلم]؛ ومن هنا أطلقت التسمية الشهيرة «ضريح سيدى الشبيه» على هذه المنشأة. وهناك شاهد آخر باسم ... الجارية أم ولد عبدالله بن قاسم مدمج فى أحد طرفى التابوت الخامس لكنه غير مؤرخ. وكان عبدالله ويحيى من نسل

على بن أبى طالب. وقد خُطت كل النقوش بالكوفى البسيط الذى ينتمى الى القرن الثالث الهجرى وتشبه الخط الكوفى المستخدم فى اللوحة التأسيسية لجامع ابن طولون المؤرخ ٢٦٥هـ. أما التابوتان الآخران –ربما يخصان الأولاد– فليست عليهما نقوش شاهدية .

المبنى الملحق

الجانب الخارجى من المجاز الشمالى الشرقى يشكله بائكة من ثلاثة عقود منكسرة ترتكز على عمودين كما يتضح فى الشكل (١٦٠) واللوحة (٩٦أ). وتفتح على مساحة مستطيلة تبلغ مساحتها ٧,٣٠ × ١٠م وتنقسم الى ثلاث مساحات ببائكتين أخريتين مساحتهما (ويبلغ عرض هذه الأروقة [البلاطات] من الغرب الى الشرق ٢,٤٦ ، ٢,٩٠ ، ٣,٧٧م على التوالي) . وأرضية هذا الجزء أعلى بمقدار ٣٨سم ونصعد اليها بدرجتى سلم؛ ويغطيها سقف خشبى مسطح بملقف فوق الجزء الأوسط الذى يؤدى وظيفة منور سقف أيضا.

ينقسم سطح الجدار على الجوانب الثلاثة جميعا الى ثلاث حنايا ضحلة ذات عقود منكسرة، عدا على الجانب الجنوبى الشرقى حيث نجد حنيتين فقط (والحنايا كلها عدا تلك التى تقع على الجانب الشمالى الشرقى على جانبيها فجوات بعرض ٣٠سم وبعمق ٢٠سم وكان المقصود منها أن تضم أعمدة ركنية اختفت حاليا) ، وقد احتل مكان الحنية الوسطى عقد منكسر يؤدى الى بائكة (C) مغطاة بقبة ضحلة. وتعلو أرضية هذه البائكة عن الجزء بين البائكات مسافة ٣٦سم. والى اليمين من هذه البائكة نجد بائكة أخرى (D) مغطاة أيضا بقبة ضحلة ويفصلها عن سابقتها عقد مستعرض بعرض البهو كله؛ وبه تابوت اسماعيل عاصم باشا، أحد كبار موظفى محمد علي. والى اليسار، هناك بائكة ثالثة مقبية (E) بنفس حجم سابقتها، إلا أنه يفصل بينها وبين البائكة (C) جدار بباب صغير عند الطرف الأقصي. وهناك ظهر محراب يبرز داخل هذه الحجرة. وتبرز القباب الضحلة الثلاثة قليلا فوق السطح المسطح للسقف.

وعلى الضلع الشمالى من الملحق نجد بابين (F وG) عند الطرف الشمالى من الرواقين الأول والثالث. يفتح الأول على الخارج، بينما يؤدى الآخر الى حجرة مستطيلة ذات قبو متقاطع (H) لها مدخل آخر على الضلع الشمالى الغربي.

التحليل وإعادة تصور الشكل الأصلى للضريح [للمشهد]

هناك سؤال يبرز الآن وهو أين كان المدخل الأصلى المؤدى الى الضريح؟ وهل تمت إضافة الملحق فى فترة لاحقة؟ وهل مر الملحق بعمليات تغيير؟ من الواضح أن الحجرة ذات القبة والمجازات المسقوفة كلها تشكل جزءا من بناء واحد، لأن المحراب الرئيسى ينتمى الى نفس الحقبة التى تنتمى اليها المقرنصات. فى البداية يجد المرء فى نفسه ميلا الى نسيان مدخل القرن التاسع عشر الحالى ويمد الضلعين الشمالى الغربى والجنوبى الغربى حتى يلتقيان. واذا تجاهلنا الملحق يصبح لدينا ضريح تحيط به على جوانبه الثلاثة مجازات مسقوفة، ويشكل الكل مستطيلا مساحته حوالى ١٣ × ١٤,٥٠م كما يتبين من الشكل (١٦١) . ويؤدى هذا الى افتراض أن البائكة على الضلع الشمالى الشرقى لم يتم فتحها إلا حين تمت إضافة الملحق. ومما يؤيد هذا الحل حقيقة أن الواجهة الشمالية الغربية ترجع الى الوراء بمسافة ٤٥سم عند النقطة (M) مما يتطابق تقريبا مع ماكان سيصبح الركن الشمالى لمثل هذا البناء. ولكن فى مقابل هذا نجد حقيقة أخرى وهى أنه نظرا لإزالة جزء من التكسية

الجصية، أمكن رؤية عدم وجود أي فاصل من أى نوع عند النقطة المقابلة فى الأعمال الآجرية فى الجدار الجنوبى الشرقي.

ولكن فى هذه الحالة، أين يقع المدخل؟ من غير المحتمل أن يكون عند أحد طرفى المجاز الجنوبى الغربى كما هو الحال حاليا، بل فى منتصف الضلع المقابل للمحراب. وعند هذه النقطة وبإزالة قدر ضئيل من الأعمال الآجرية عند النقطة (K)، تبين أن الواجهة النظيفة المكسوة بالجص تمتد الى الداخل على خط موازٍ لضلع الدخلة الوسطي. بعبارة أخري، فإن ما يعد حاليا حشوة صماء كان هو المدخل فيما مضي، تماما كما هو متوقع. ولكن لابد أن كانت هناك فتحة مستطيلة بطبلة فوقها، لأن الإفريز الخشبى يجرى عبر الحشوة، وتبين من استكشاف قامت به اللجنة بناء على طلب منى أن وراء هذا الإفريز أعتاب خشبية بواجهة سفلية مكسوة بالجص على ارتفاع ١٣ ,٣م من الأرضية. لذا فالأرجح أن مساحة الفجوة كانت ٢,٢٠ × ٣,١٣م نخصم منها حوالى ٧سم دائريا للعضادات لنحصل على الأبعاد الحقيقية لمجاز الباب – أى حوالى ٢,٠٦ × ٣م. ويبلغ سمك الجدار ١,٠٥م؛ ويمتد السطح المكسو بالجص لمسافة ٨٥سم فقط وخلفه أعيد بناء الجزء الخارجى من الجدار بالآجر والدبش بعمق ٢٠سم، وهو ما يبدو واضحا أنه تم فى عهود حديثة تماما. واختفت العضادات فى غمار هذه العملية.

وتبين من استكشاف آخر أن السطح المكسو بالجص يجرى من جانبى الفجوة بموازاة سطح الجدار، كما يتضح فى الشكل (١٦٠). فإلى أى مدى كان يصل؟ انه يجرى مسافة ٥٢سم، إذ أن هناك سطحا آخر مكسوا بالجص يجرى نحو الداخل لمسافة ٣٢سم عند نقطة تبعد عن جانب الحشوة بمسافة ٥٢سم. معنى هذا أنه كانت هناك أصلا فجوة هنا، فجوة كان المقصود منها أن تحتوى عمودا. بعبارة أخري، فمن المرجح أن الدخلة الوسطى كانت فيما مضى تضم على جانبيها أعمدة مدمجة تمت إزالتها فيما بعد وتم ملء مكانها لتحاذى الأعمال الآجرية. وكانت هذه الأعمدة تدعم عقد الدخلة الحالى الذى يبلغ عرضه ٢,٢٠م، وأدت فجواتها الى خفض عرض سطح الجدار على جانبى الحشوة الجانبية ليصبح ٤٢سم كما هو الحال فى غيره، وبالتالى اكتملت السيمترية المطلقة لحجرة القبة.

نعود الآن الى الملحق، فنلاحظ على الفور أن الحنيتين الأوليين (وخاصة الثانية) تقطعهما على الجانب الشمالى الغربى دعامات جدارية من القوسين الثانى والثالث. واذا استدرنا نلاحظ أن نفس الشئ قد حدث على الجانب المقابل. من ثم، فالبائكتان الثانية والثالثة تعتبرا إضافة لاحقة. ثم نلاحظ أن الأعمدة العشر بالحجرة ذات القبة والعمودين اللذين ينتميان الى البائكة الأولى جميعها متماثلة فى الارتفاع والقطر (عدا اثنين) وفى الأسلوب الكلاسيكى الجميل لتيجانها، فى حين أن الأعمدة الأربعة المستخدمة للبائكتين الثانية والثالثة بها تيجان بسيطة ناقوسية أو كأسية الشكل وتعطى مظهرا حديثا نسبيا (لوحة ٩٦أ). كما أن الحشوات الثمانية ذات العقود المنكسرة بالملحق تشبه نظيراتها بحجرة القبة. لذا فإن الاستنتاج الحتمى هو أن الملحق كان فى الأصل صحنا مفتوحا بجدران محشوة يفصلها عن المجاز المسقوف الشمالى الشرقى بائكة ثلاثية العقود.

وهناك نقطة تفصيلية أخري؛ فقد رأينا أن أرضية المجاز الشمالى الشرقى والملحق تعلو عن أرضية حجرة القبة بمقدار ٣٨سم. ترتكز الأعمدة الأربعة ذات التيجان والقواعد على **شكل ناقوسى (كاسى)** على هذه الأرضية، إلا أن العمودين الكلاسيكيين بالبائكة الأولى، وكذلك الأربعة التى تدعم العقد الشمالى الشرقى لحجرة القبة،

ليست لها قواعد، فى حين أن الأعمدة التى تدعم العقدين الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى لها قواعد. وأعتقد من جانبى أن أرضية الجزء الشمالى الشرقى تم رفعها فى فترة لاحقة نسبيا، وأن قواعد الأعمدة الستة اختفت فى هذه العملية، وأن بائكتى الملحق بنيتا بقواعد أعمدتهما المرتكزة على الأرضية الجديدة.

ونتجه الآن الى الحجرات الكائنة جهة القبلة بهذا الصحن. اذا وقفنا تحت البائكة الوسطى (C) أو فى البلاطة التى تقع أمامها، يمكن لنا أن نرى أن نصفى العقد المنكسر ليسا متماثلين، فالنصف الشرقى قد ملئ لمسافة ٢٠سم بالدعامة التى تتخذ التواء البائكة الأخيرة. ولولا هذا لكان هناك عقد منكسر عرضه حوالى ٢م يفتح على بهو مستعرض للصلاة عمقه حوالى ٣م وعرضه ١٠م (لولا وجود الجدار الفاصل) ويتكون من بائكة وسطى تحيط بها بائكة أعرض قليلا الى اليمين واليسار، وثلاثتها مغطاة بقباب ضحلة.

يؤدى بنا هذا الى سؤال: هل هذا الجدار الفاصل أصلي؟ يتبين من فحصه أن سمكه (٧٧ سم) يساوى عرض العقد المستعرض بين النقطتين (C) و (D). ومن غير المحتمل أن تكون هذه محض مصادفة؛ بل تعنى بكل تأكيد أن هناك عقدا مستعرضا آخر مثله بين النقطتين (C) و(D) هاهنا، وأنه تم سده فى وقت لاحق، ربما حين أصبحت هذه البائكة ضريح عاصم باشا.

تاريخ البناء

يرى فان برشم (ص٢٧) أن هذا الضريح يرجع الى القرن الثانى عشر. وبما أن مقرنصاته ونوافذه ذات الفتحات الثلاث فيما بينها تتطابق مع نظيراتها بمشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ/١١٣٣م)، فإننا نرى من جانبنا أنه يعود الى الربع الثانى من القرن الثانى عشر. لكن المحراب المتقن الصنع بحافته ذات المحارة المروحية الشكل الرباعية تدفعنا لإرجاعه الى نهاية تلك الحقبة، أى الى عام ١١٥٠م، وليس الى تاريخ لاحق على ذلك نظرا لحنية الدائرية فى الوسط، وهى سمة غالبة فى كل الحنيات المؤرخة المحارية الشكل منذ جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ/١١٦٠م) فصاعدا باستثناءين فقط (انظر أعمال الخليفة الحافظ لدين الله فى نفس هذا الكتاب).

وحتى ذلك الحين، هناك قليل من الشك فى أن هذه التوابيت كانت فى حوش مفتوح، فقد رأينا من قبل **أنه من المستبعد تماما أن تكون هناك أضرحة شيدت بمصر عام ٢٦١ أو ٢٦٣هـ**؛ كما أن دراسة جبانة أسوان تؤكد هذا الرأي. فالأطر الخشبية التى تضمها بعض التوابيت ربما كانت قد أضيفت لدى إتمام البناء، لأن الزخرفة المحفورة عليها تدل على أنها تنتمى الى الجزء الأخير من العصر الفاطمي.

أما بالنسبة للتاريخ الذى تم فيه إدخال البائكتين [الثانية والثالثة] فيما كان فى الأصل صحنا مفتوحا، فالمظهر الحديث نسبيا لأعمدته الأربعة وتيجانها على **شكل الساعة** وقواعدها، وترتكز القواعد على أرضية تمت تعليتها، مما يدفعنا الى الظن بأنها ترجع الى الفترة التى دفن فيها إسماعيل عاصم باشا فى النقطة E ولو أنى لا أذكر مثالا على عقد منكسر يرجع الى عصر محمد علي.

الأصول المعمارية

لفت هرتزفلد الانتباه عام ١٩٢٦ الى نوع جديد من معابد النار تم اكتشافه على يديه فى جيرة (شكل١٦٢) بين فيروزاباد وكازرون، ويعتقد أنه شيد على يدى مهرنارسه كبير وزراء يزدجرد وبهرام گور (أى بين ٣٩٩ و٤٢٨م). ولا أستطيع أن أصفه بما هو أفضل من وصف مونيريه:

«يتكون الجزء الأوسط فيه من حجرة مربعة فوقها قبة قائمة على حنايا ركنية ومحمولة على أربع دعامات متصالبة بينها أربعة عقود متسعة. وحول هذه الحجرة الوسطى يجرى دهليز، والقطاع الأوسط من كل منهما – وهو يتعامد مع جانب واحد من الحجرة– يغطيه قبو اسطواني، في حين أن الأطراف عند الأركان الأربعة من مربع البناء تغطيها أربعة قباب صغيرة. وتفصل بين مختلف أجزاء الدهليز عقود تنبت من الدعامات المتصالبة بالحجرة الوسطى الى الجدران الخارجية» (ص ١٧٦)

والشبه بين جزء الضريح من مشهدنا هذا وبين هذا البناء لايحتاج الى تأكيد؛ إلا أنه ليس هناك دهليز على الجانب الشمالي الغربي، وفيما عدا ذلك فإن الفروق طفيفة، أى أن الدهليز الجنوبي أعرض من البقية وبه قبة في منتصف قبوه الاسطواني، والأروقة الجانبية بها أسقف خشبية مسطحة بدلا من أقبية اسطوانية. وقد يدفعنا هذا الى الاعتقاد بأنه كان هناك في الأصل دهليز على هذا الجانب من مربع القبة، ولكن يجب رفض هذه الفكرة، لأننا رأينا أنه ليس هناك عقد مفتوح على هذا الجانب من مربع القبة. وكانت الحشوة المعقودة تحيط فقط بفتحة باب الدخول المستطيلة التي يعلوها عتب خشبي وطبلة آجرية. ولو كان هناك عقد مفتوح هنا فيما مضي، لكانت الأعمدة قد وضعت بحيث تدعم منبت العقد وليس في فجوات على الحافة الداخلية.

ومن الناحية المعمارية فإن مشهدنا هذا يعد نسخة مطورة من معبد النار بجيرة ولو أن أصل التشابه بينهما في التصميم يظل بمثابة لغز، اذ **يفصل بين الأثرين زمنيا سبعة قرون ومكانيا ١٤٠٠ ميل**(٣٦٧). كما أنه ليس المثال الوحيد من نوعه في مصر، فعلى بعد ٢٠م الى الجنوب منه نجد أطلال بناء من المرجح أنه كان شبيها بهذا وهو ضريح القاسم أبو الطيب.

ضريح [مشهد] القاسم أبو الطيب

وصفه

يتكون هذا الضريح (رقم ٢٨٤ بالخريطة المرفقة) من حجرة قبة مربعة متوسط طول كل ضلع من أضلاعها ٣,٧١م من الداخل، وأكثر من ٥م بقليل من الخارج، وبعقد مفتوح في وسط ضلعيها الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي، يمتد الأول مسافة ١,٦٤م والأخير ١,٣١م فقط. وربما نكون قد توقعنا أن نعثر على عقود مفتوحة في وسط الضلعين الآخرين، إلا أن هناك حنايا مستطيلة لا يزيد عمقها عن ٢٥سم وعرضها لايقل عن متر واحد، وبها أعتاب خشبية غير مصقولة؛ وربما كان القصد منها أن تعمل كصوانات (شكل ١٦٣).

تحول المربع الى مثمن عن طريق أربع حنايا ركنية ذات عقود منكسرة وضعت بحوافها السفلية على ارتفاع ٢,٧٠م من الأرضية الحالية. ويبلغ ارتفاع هذه المنطقة الانتقالية ١,٤٨م. وبين الحنايا الركنية هناك حشوات ذات عقود منكسرة عدا على الضلع الشمالي الغربي حيث نجد العقد مفتوحا ليشكل نافذة. وعلى المثمن المكون بهذا الشكل، ترتكز رقبة مثمنة ارتفاعها ١,٣٥م وهى التي تحولت الى دائرة عن طريق ثماني دلايات صغيرة؛ وأضلاعها التبادلية تخترقها نوافذ من ثلاث فتحات، وتتكون كل منها من فتحتين ضيقتين للغاية بهما عقود منكسرة تعلوها فتحة مستديرة. وتتوج هذا المثمن رقبة مستديرة ارتفاعها ١,١٣م بثماني نوافذ صغيرة ذات عقود دائرية؛ وبين كل نافذتين، نجد حلية جصية نصف ممحوة. والحافة العليا من هذه الرقبة مزينة

بشريط مفرغ من النقش الكوفى موضوع في حشوات مستديرة الأطراف وبينها حليات مستديرة ولكن بدون الخلفية المعتادة من الأوراق النباتية. وترتكز القبة على هذه الرقبة. ولاشك أن كل مايعلو منطقة المقرنصات، أى الرقبة المثمنة والرقبة المستديرة والقبة، لا ترجع الى ماقبل القرن الرابع عشر.

مادة البناء

بنى الضريح من الآجر بمساحة ٣٧ ×١٠م ويبدو أنه بنى من مزيج من الطين والرمل.

إعادة تصور الشكل الأصلى للضريح [للمشهد]

لم نعثر حتى الآن على ما يشير الى وجود تشابه بين هذا الضريح وبين ضريح الشبيه، ولكن اذا درنا حول الضلع القبلى [الجنوبى الشرقى]، يلاحظ وجود جدار به ثلاثة محاريب ويجرى بموازاته على بعد ٢,٦٠م. والمحراب الأوسط أكبر من الآخرين، وتم وضعه على المحور الشمالى الغربي–الجنوبى الغربى من الضريح؛ ووضع المحرابان الى اليمين واليسار بمحوريهما على بعد ٣,٤٢م و ٣,٣٥م منه على التوالي. ويدل ذلك على أن هذين المحرابين الجانبيين ربما كانا ينتميان الى الأروقة [البلاطات] المحيطة بحجرة القبة، كما هو الحال فى الشبيه. واذا تفحصنا الجدار مرة أخري، نجد أن هناك هوة عرضها ٦٥سم في السطح المكسو بالجص عند النقطة (A) حيث يبدو أنه كانت هناك دعامة جدارية لدعم عقد مستعرض موازٍ للضلع الشمالى الشرقى من الضريح، وهناك دعامة أخرى عند النقطة (E) (ولكن ليس هناك أثر لانعكاس هذين العقدين على الضريح، فقد تم إضفاء كسوة سميكة من الأسمنت عليه)؛ وعند النقطة (B) يمكن رؤية انحناء بقايا قبو اسطوانى الى الأمـــام. وعند النقطة (C)، نجد ما يبدو بوضوح أنه نقطة انطلاق الجدار الخارجي الجنوبى الغربى بسمك ٦٢سم، وعند النقطة (D)، نجد جزءا من نقطة انطلاق الجدار الشمالى الشرقى الذى يتداخل نصفه أو أكثر مع جدار حديث. والمسافة التى تفصل بين النقطتين (C) و (D) –٨,٤٩م– تعطينا طول الضلع الجنوبى الشرقى من البناء كله. واذا اقتطعنا الطول الخارجى من الضلع الجنوبى الشرقى من الضريح من هذا الرقم، تكون النتيجة ٨,٤٩ – ٥,١١ = ٣,٣٨م وهو إجمالى عرض الرواقين الجانبيين. وبفضل النقطتين (A) و (D)، يمكن لنا قياس عرض الضلع الشمالى الشرقي– ويبلغ ١,٦٥م؛ ويتبقى لدينا ١,٧٣م للآخر. وفى ضوء ضريح الشبيه، يمكن لنا أن نكمل الضريح كما هو موضح فى الشكل (١٦٤)، وهو مستطيل مساحته ٨,٤٩ × ٧,٦٥ (٥,٠٢ + ٢,٦٣م) من الداخل.

إعادة تصور الشكل الأصلى لضريح [المشهد] أم كلثوم

نعود الآن الى ضريح أم كلثوم. وهنا أيضا نجد ثلاثة محاريب فى جدار القبلة (شكل ١٦٥)، مما يدل على أن تخطيطه مشابه، اذ كلما صادفتنا ثلاثة محاريب عريضة (وهى تختلف عن المحراب الثلاثى بإخوة يوسف، لوحة ١١٨أ) فى مصر فهى تعزى الى ضرورتها للبائكات الثلاث المنفصلة، مثل خضرة الشريفة (شكل ١٢٧)، والمحاريب الثلاثة للسيدة رقية (شكل ١٤٢) والشبيه (شكل١٦٠) والقاسم أبى الطيب (شكل ١٦٣). ولا نصادف ثلاثة محاريب عريضة فى جزء داخلى غير منقسم. إذن، فلنبدأ فى إعادة بناء ضريح أم كلثوم على هذه الأسس (شكل ١٦٦).

الفصل التاسع عشر

بقايا مشهد سيدنا الحسين

(٥٤٩ هـ/١١٥٤م)

تاريخ المشهد الحسيني

يقول المقريزى :

«وكان حمل الرأس (رأس الحسين) الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور ... فقدم به الأستاذ مكنون فى **عشارى من عشاريات** الخدمة وأنزل به الى **الكافورى** ثم حمل فى السرداب الى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة ... وقال ابن عبدالظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن زريك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لايكون ذلك إلا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام اليه وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين **وخمسمائة**»(٣٦٨) . (الخطط، جـ١ ، ص٤٢٧)

أما ابن جبير الذى زار القاهرة بعد ذلك بثلاثين عاما (١١٨٤م) فيقول (طبعة دى غويه، ص ٤٥) ان الرأس كانت فى تابوت من فضة وفوقه بناء رائع **«كل جدرانه من الرخام**(٣٦٩) **(محشوة بالرخام؟)**. وقد تعرض المشهد حسب رواية المقريزى (جـ٢ ، ص٤٢٨) للحريق فى زمن السلطان الصالح نجم الدين فى أربعينيات القرن السابع. وفى كتابه السلوك (ط زيادة، جـ١ ، ص٣٣٢)، يحدد المقريزى تاريخ هذا الحريق فى عام ٦٤٦هـ (١٢٤٨م). ويذكر ابن أبى السرور أنه قد أعيد ترميمه على يد **السيد محمد باشا**(٣٧٠) (حكم مصر من ١٥٩٥ الى ١٦٠٣م).

وحسب رواية الجبرتي، تمت **توسعة المشهد على يد حسن كتخدا الجلفى**(٣٧١) المتوفى فى سنة ١١٢٤هـ (١٧١٢م). وفى تراجمه للوفيات، يقدم نفس المؤلف ضمن وفيات عام ١١٨٦هـ ترجمة **السيد على**(٣٧٢) . فيذكر أنه فى عام ١١٧٧هـ (١٧٦٣م) كان مدينا بدين كبير وزادت أحواله سوءا على أثر رغبة عبدالرحمن كتخدا فى هدم مشهد الحسين الذى كان الشيخ على يلقى فيه دروسه. ولما رأى نفسه معرضا لفقدان مصدر رزقه طوال مدة البناء ولضغوط دائنيه، رحل الى القسطنطينية ولم يعد إلا عام ١١٨٣هـ (١٧٦٩م). أما أعمال عبدالرحمن كتخدا، فيقدم الجبرتى رواية مفصلة عنها ضمن ترجمته لوفاة كتخدا فى سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م). فيذكر أنه « وبنى المشهد الحسينى على هذه الصفة وعمل به صهريجا وحنفية بفسحة ولواوين فى غاية الحسن...». (جـ٢ ، ص٧-٨).

وكل هذا يبدو واضحا تماما، عدا أنه يبدو أن الجبرتى فيما كتبه عن عام ١١٨٦هـ ضمن تسجيله لوفاة السيد على وأحداث حياته قد أغفل عاما أو عامين فى تاريخ رحيله الى القسطنطينية عام ١١٧٧هـ بسبب عزم عبدالرحمن كتخدا على إعادة بناء المسجد لأن سير جاردنر ويلكنسن يذكر فيما دونه عام ١٨٣١ أنه كان

يحمل اسم عبدالرحمن كتخدا وتاريخ ١٧٦٢ (= ٥ جمادى الأخرى ١١٧٥-١٥ جمادى الأخرة ١١٧٦ هـ *Topography of Thebes*, p. 299) وقد أكد على ذلك **الصبان**[٣٧٣] في كتاب انتهى من تدوينه بعد عشر سنوات فقط من هذا التاريخ، ويذكر فيه أن أعمال عبدالرحمن كتخدا تم تنفيذها في سنة ١١٧٥هـ (١٧٦١م، إسعاف الراغبين، ص١٦٥). ويذكر على باشا مبارك الذى لابد أنه رأى هذا المسجد أنه كانت له مئذنتان (الخطط الجديدة، جـ٤، ص٨٨). كما يذكر مبارك أن الخديوى عباس الأول كان قد بدأ إعادة بنائه حين وافته المنية (في يوليو ١٨٥٤)؛ فتوقف العمل فيه وظل الموقع أرضا فضاء (جـ٤، ص٨٨). وحين تولى اسماعيل الخديوية عام ١٢٧٩هـ (١٨٦٣)، أمر باستئناف العمل فيه (جـ٢، ص٧٧). وقد أعد على مبارك تصميما وبدأ العمل في ٢٥ محرم ١٢٨٢ (٢٠ يونيو ١٨٦٥) تاركا الضريح دون مساس (جـ٢، ص٧٧). وأدخل راتب باشا تعديلات كبيرة على تخطيط على باشا مبارك وجعله يتطابق مع التخطيط القديم، إلا أنه لم يمس الضريح (جـ٤، ص٨٩). وفي ٢٨ شعبان ١٢٩٠ (٢١ أكتوبر ١٨٧٣)، كان العمل قد انتهى فيما عدا المئذنة (جـ٢، ص٧٨) التي لم يتم بناؤها حتى عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨). وبلغت التكاليف ٧٨ ألف جنيه إضافة الى ما أسهم به الخديوى[٣٧٤] (جـ٢، ص٧٨).

وصفه

مع أن الأوربيين غير مسموح لهم بالدخول فقد سُمح لي بدخول المسجد والضريح في ١٧ ابريل ١٩٤٢. ولم أجد أى جزء يحمل أية إشارة الى تاريخ أقدم من أواسط القرن التاسع عشر عدا الضريح الذى تركه راتب باشا دون مساس. ويتكون من قبة وضعت على مربع عن طريق مقرنصات على هيئة أنصاف قباب ذات عقود مستديرة وكل المكونات مزخرفة بتصميمات مرسومة تشبه تصميمات ضريح الإمام الشافعي مما يعزى الى على بك الكبير. وفوق المحراب، هناك بعض الآيات باسم الخطاط بلخى المتوفى في سنة ١١٨٧هـ (١٧٧٣) أى بعد اثنى عشر عاما من أعمال عبدالرحمن كتخدا، وقبل ثلاثة أعوام من وفاته. ونجد نفس هذا التاريخ على إفريز يحيط بقاعدة القبة.

هل بقى هناك أى جزء من المسجد والمشهد أقدم من ذلك؟ نعم؛ فقد رأينا أن الضريح الذى أعيد بناؤه على يد عبدالرحمن كتخدا قد ظل دون مساس من جانب اسماعيل باشا.

الباب الأخضر

بالقرب من الركن الجنوبي من الضريح وبحذى ضلعه الجنوبي الغربي تقريبا نجد قطعة من جدار طولها ٤,٩٢م وارتفاعها ٥,٨٥م تخترقها بوابة (لوحة ٩٦ء) تعرف حاليا باسم «الباب الأخضر» وكانت فيما مضى تسمى «باب الحسنين» (خريطة الحملة الفرنسية، ٧، رقم٨٢).

والبوابة فتحة مستطيلة عرضها ١,٨٩م وارتفاعها ٢,٣٣م (وقد ارتفعت الأرضية بعض الشئ بالطبع) وتمتد فوقها عوارض ثقيلة تعلوها حنية مفرغة يحيط بها عقد (الصنج عمقها ٤٦سم)، يشبه في تصميمه عقود جامع الأقمر. وفي داخله حنية ضحلة ذات شكل خاص سيرد وصفه فيما بعد.

اذا تفحصنا الواجهة من أعلي، نجد أن الشرفة التى تضيف ٦١سم الى ارتفاع الواجهة تمتد حوالى المتر خلف المنزل الذى يرى الى يمين الواجهة بحيث يصبح من المحتم على الجدار أسفلها أن يمتد بنفس المسافة أيضا. ولابد أن الارتفاع الاجمالى للواجهة كان ٥,٨٢م + ٦١سم للشرفة + نصف متر على الأقل لارتفاع

مستوى الأرضية = ٦,٩٣م، أى حوالى ٧م، أى نفس ارتفاع واجهة جامع الأقمر.

وهناك حلية متقنة يبلغ قطرها مترا يخترقها جزء أوسط (لوحة ٩٦جـ) تحتل كوشة العقد الأيسر، وكانت كوشة العقد الأخرى مزينة بحلية أخرى بالتأكيد. ويتكون تصميم الجزء المفتوح الذى يبلغ قطره ٣٠سم من نجمة ذات ستة ذيول مكونة من مثلثين متقاطعين متساويى الأضلاع (أى مايسمى بنجمة داود)؛ واتخذت نقاط التقاطع كمراكز لست دوائر صغيرة ينسحب أحد الجانبين فى كل منها الى الخارج بحيث ترتبط بالحلقات الصغيرة المتصلة بالدائرة المحيطة. والمسافة بين هذا الجزء وبين حلية الطرة الخارجية تملؤه ست مراوح نخيلية تفصل بين كل منها والأخرى فتحات نصف دائرية مثقوبة طولها ١٤سم.

الشرفة

تتوج الواجهة حلية صغيرة مفلطحة الوجه تعلوها شرفة مثقوبة فى وسطها النقش الذى سبقت الإشارة اليه. وهذه الشرفة المزخرفة على واجهتيها الداخلية والخارجية ليست سوى حاشية سفلية لابد أن كانت فوقها سلسلة من العناصر ربما كانت مدرجة ومقطوعة القاعدة كنظيراتها بجامع الحاكم (لوحة ١٥أ) وبأروقة الأزهر القديمة (لوحة ٨٩) وبجامع الصالح طلائع (لوحة ١٠٠ جـ). والتصميم الكائن الى يمينها يختلف عن نظيره الى يسارها. فهل ينتمى نصفها الى الأعمال الأصلية التى نفذها الفائز وينتمى النصف الآخر الى أعمال عام ٦٣٤هـ ؟ ربما، لكنى لست متأكدا من ذلك.

هوية مبنى الباب الأخضر وتاريخ بنائه

ان الشكل المتميز للحنية المعقودة فوق العتب لتقدم أساسا طيبا للجدل، فهى تشبه فى شكلها الحنايا الكائنة على الواجهتين الداخليتين ببرجى باب زويلة (لوحتان ٧٢جـ، ء) ونوافذ رقبة مشهد السيدة رقية (لوحتان ٨٦ جـ، ١١٣ب)، وحشوات الزخرفة الجصية داخل القبة عند الطرف الخارجى من مجاز الأزهر (لوحة ٩١أ)، وفى البرج الكبير فى برج الظفر، مما يدل بالإضافة الى شكل العقد الرئيسى على تاريخ يناهز أواخر العصر الفاطمى ولكن قبل تاريخ جامع الصالح طلائع (٥٥٥هـ) نظرا للعقود المنكسرة بهذا الجامع.

لذا فهناك ما يبرر القول بأنه يعد قطعة ظلت باقية من البناء الأصلى الذى نفذه الفائز عام ٥٤٩هـ (١١٥٤م). وفوق البوابة مباشرة، نجد مئذنة (انظر المجلد الثاني) جزؤها السفلى ينتمى الى العصر الأيوبي، فهناك لوح مدمج فى الشرفة أمام قاعدته عليه نقش مدون عليه ما يلي: «بنيت هذه المئذنة المباركة فوق باب مشهد السيد الحسين ... تم بناء **المئذنة فى شوال ٦٣٤**»(٣٧٥) (يونيو ١٢٣٧، فان برشم، *Égypte*, I, pp. 100-101). من ثم فهذه البوابة كانت تمثل ذلك الجزء من مشهد الحسين الذى كان اسمه باب الحسنين والذى ظل شائعا حتى عصر الحملة الفرنسية. كما أنه يستحيل أن يعود الى تاريخ أقدم من ٦٣٤هـ (١٢٣٧) لأن هناك مئذنة بهذا التاريخ ترتكز عليه؛ أى أنه لابد أن يكون جزءا من بناء الخليفة الفائز لعام ٥٤٩هـ (١١٥٤) وهو جزء لم يتعرض للانهيار فى حريق ٦٤٦هـ (١٢٤٨م).

مئذنة أبو الغضنفر[376] (552هـ/1157م)

فى شارع الدراسة، وفى منطقة مسورة أحاطت بها أسوار جامع حديث بنيت بارتفاع ٤م ثم تركت دون اكتمال، نجد ضريحا صغيرا بمئذنة ملحقة به (رقم٣ على الخريطة المرفقة).

تاريخ الجامع والضريح

يذكر على باشا مبارك أن جامع سيدى معاذ كان فى الأصل مدرسة شيدت بالقرب من قبر سيد معاذ الذى توفى فى ربيع الأول عام ٢٩٥هـ (ديسمبر ٩٠٧م) حسب قول السخاوي[377]. وعلى باب الضريح نجد نقشا كوفيا ينص على أن الجامع بناه الأمير أبو الغضنفر أسد الفائزى الصالحى عام ٥٥٢هـ (١١٥٧م).

وصف الضريح

الضريح ليس مربعا، بل مستطيلا الى حد ما، وهو ما أدى الى مصاعب فى بناء القبة. وتم التغلب على هذه المصاعب جزئيا بوضع نافذة من ثلاث فتحات بين المقرنصات على الجوانب القصيرة، ونافذة من ست فتحات على الجوانب الطويلة. وتخترق النافذة الأخيرة الرقبة التى تحتوى على ١٤ نافذة ذات عقد منكسر فقط بدلا من ١٦ ، إضافة الى نافذتين علويتين من النوعية ذات الفتحات الست، فيكون العدد الإجمالى ست عشرة نافذة.

والنوافذ ذات الزخارف الهندسية الجصية يخترقها ما بين أربعة وثمانية سطور من النقوش النسخية وتتكون من آيات قرآنية وأحاديث نبوية عدا واحدا نتعرف منه على أن «هذه القبة بنيت فى سنة ٨٦٦» (١٤٦٢م، على مبارك، جـ٢، ص٨٣)، وإلا لكان من المستحيل أن نحدد التاريخ. من ثم فهو لا يدخل فى نطاق هذا المجلد، وسنقتصر هنا على ذكر المئذنة.

المئذنة

بنيت المئذنة بأكملها من الآجر، وتتكون من بدن مربع عرض كل ضلع من أضلاعه ٢,٥٠م وارتفاعه ١٢,٧٦م، وتنتهى لشرفة مثمنة للمؤذن وترتكز على أربعة عوارض وضعت بطريقة مستعرضة كما يتبين فى الشكل (١٢٣). وفوقها جوسق مثمن قطره ٢,٠٥م وارتفاعه ٢,٥٠م بفتحة ضيقة وطويلة فى وسط كل من واجهتيها. وترتكز عليه رقبة مثمنة ارتفاعها ٨٠سم بفتحة على شكل ورقة نباتية ثلاثية فى كل ضلع من أضلاعها، وترتكز عليها قبة مضلعة ذات عقود منكسرة فى تصميمها، مما يضيف حوالى ١,٥٠م، ليصبح الارتفاع الكلى ١٧,٥٠م.

والمدخل يقع على الضلع الجنوبى الغربي، ويجرى السلم المدرج والضيق حول الجوانب الداخلية، وليس به درابزين. وهناك نافذة واحدة صغيرة على الضلع الشمالى الشرقى ونافذة أخرى على الضلع الجنوبى الغربي. والزخرفة الوحيدة نراها على الضلع الشمالى الشرقى من البدن المربع حيث نجد دخلتين محرابيتين ذات عقد منكسر منفذتين فى الجص (لوحة ٩٦ب). وتشع الأخاديد من حشوة صغيرة ذات عقد منكسر.

تاريخ المئذنة

من الواضح أن مئذنتنا هذه قد تأسست على غرار مئذنة الجيوشى (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) مباشرة، عدا أن الطابق المربع أسفل الرقبة هنا قد أصبح مثمنا وأكثر طولا. كما أن القبة مضلعة وتتخذ تصميما ذا عقد منكسر. أى أنها تعد تطورا فى اتجاه مئذنة مدرسة السلطان الصالح التى تم بناؤها فى سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٢م)، وتنطبق نفس الملحوظة على بدنها المربع والمزخرف لأول مرة بحشوات زخرفية، ولكن بحشوتين اثنتين فقط بدلا من ثلاث كما هو الحال فى مئذنة السلطان الصالح. والعام ١١٦٣ وسط بين عامى ١٢٤٢ و١٠٨٥، لذا يمكن القول إن هذه المئذنة تنتمى إلى المبنى المشار إليه فى النقش الكوفى لعام ٥٥٢هـ(٣٧٨) (١١٥٧م).

الفصل العشرون

جامع الصالح طلائع

(٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م)

مقدمة تاريخية

توفى الخليفة الحافظ فى سنة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) وخلفه أصغر **أبنائه الظافر**(٣٧٩) الذى كان لا يزيد عمره عن ١٦ عاما. وكان وزيره ابن السلار(٣٨٠) الذى كان يكرهه وأمر بقتله رجلا يدعى نصر، وتولى الوزارة بدلا منه **عباس**(٣٨١) والد القاتل. ثم اقترح الخليفة على نصر أن يقتل أباه **ويتولى الوزارة بدلا منه**(٣٨٢)، إلا أن نصرا قرر أن يقتل الخليفة نفسه مما أدى الى ثورة فر على أثرها كل من نصر ووالده عباس الى الشام حيث قُتل عباس على يد الفرنجة، أما نصر فقد تم القبض عليه **وأعيد الى القاهرة حيث عُذب وصُلب فى عام ٥٤٩هـ (١١٥٤م)**.

ثم تولى **الفائز**(٣٨٣) **الخلافة** فى الأول من صفر ٥٤٩هـ (١٧ ابريل ١١٥٤م) وهو فى الرابعة من عمره، فقطع نساء القصر شعورهن وأرسلنها الى الأمير طلائع بن رزيك والى الأشمونين، فجاء الأخير الى القاهرة وأعاد الأمن بها. وبرزت الحاجة الى رجل قوي، وأثبت الأمير أنه هو ذلك الرجل. وسقطت **عسقلان**(٣٨٤) فى السنة السابقة، وبذلك سقط آخر معاقل الفاطميين فى فلسطين، وفشلت كل المحاولات الرامية الى كسب تعاون نور الدين ضد الصليبيين بسبب مبادئ السلطان الأصولية **ضد أى تحالف مع الفاطميين الشيعة**(٣٨٥) (Lane-Poole, *History of Egypt*, p. 171).

وسيظل اسم الصالح طلائع(٣٨٦) مرتبطا بالجامع الجميل الذى بناه خارج باب زويلة مباشرة.

تاريخ الجامع

يقول المقريزي:

«هذا الجامع من المواضع التى عمرت فى زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة قال ابن عبدالظاهر(٣٨٧) كان الصالح طلائع بن زريك لما خيف على مشهد الإمام الحسين رضى الله عنه اذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله قد بنى هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به وتم الجامع المذكور واستمر جلوس زين الدين الواعظ به وحضور الصالح اليه فيقال إن الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم فى جملة وصيته ما ندمت قط فى شئ عملته إلا فى ثلاثة الأول بناءى هذا الجامع على باب القاهرة فانه صار عونا لها والثانى توليتى لشاور الصعيد الأعلى والثالث خروجي الى بلبيس بالعساكر ...... وبنى فى الجامع المذكور صهريجا عظيما وجعل ساقية على الخليج قريب باب الخرق [باب الخلق] تملأ الصهريج المذكور أيام النيل وجعل المجارى اليه وأقيمت الجمعة فيه فى الأيام المعزية فى سنة بضع وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبدالله البادرانى ... وهى الى الآن ولما حدثت الزلزلة سنة اثنتين وسبعمائة تهدم فعمر على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار». (الخطط، جـ٢، ص٢٩٣)

تاريخه اللاحق

يذكر أبو المحاسن (طبعة بوبر، جـ٧، ص١١٨) أن الجامع تم ترميمه فى سنة ٨٤٤ (١٤٤٠م) على يد تاجر يدعى العيني. ويتحدث السخاوى (الضوء اللامع، القاهرة، ١٣٥٥، جـ١٠، ص٢٧٤) عن ترميم آخر قام به الأمير يشبك فى سنة ٨٨٢هـ (١٤٧٧). أما ابن إياس (جـ٢، ص١٧٧) فيتحدث بمزيد من التفصيل حيث يذكر أن يشبك قام بفك بوابات جامع الصالح وأخرج بعض الأعمدة الرخامية من تحت الأرض بعد أن أمر بتنظيفها. كما أمر بتكسية الدكاكين بطبقة من الجص. ويقدم البدر حسن الطولونى (نشر فى التحفة البهية، القسطنطينية، ١٣١٠، جـ١٠، ص٢٧٤) فى إشارة الى هذا الحدث تفاصيل أخرى حيث يذكر أن يشبك قام بإزالة المبانى التى كانت تحجب الواجهة وأخرج عشر درجات من السلم كانت مدفونة تحت الأرض. وتم هذا الترميم عام ٨٠٢هـ (خطأ مطبعى وصحتحه ٨٨٢). أى أن هذا الجامع كانت تحجبه مبان بلا قيمة فى أوائل القرن الخامس عشر تماما كما كان الحال فى أوائل القرن الحالي، وأنه على الرغم من العمل التطوعى العام الذى قام به يشبك، إلا أنه قُدر له أن يلقى نفس المصير مرة أخري. ولا يمكن تحديد تاريخ بدء هذه العملية، إلا أن بريس دافين وجد الجامع فى سبعينيات القرن التاسع عشر مختفيا بنفس الصورة التى وجد عليها فى سنة ١٩١٧ حين التقطت الصورة التى نراها فى لوحة (٩٧أ). ويتضح فيها الجامع مختفيا تماما وراء مبان بلا قيمة بنيت على واجهته فوق أرض مسروقة من الشارع دون أى تدخل من جانب الحكومة، ولم يترك سوى ممران ضيقان بين البيوت يؤديان الى المدخلين الشمالى الشرقى والشمالى الغربي. بل تم بناء الدكاكين فى الصحن نفسه فارتفع مستوى أرضيته لمسافة تزيد عن المتر.

إعادة بناء الجامع بأكمله باستثناء الحرم [مقدم الجامع]

تم تفكيك الجامع برمته (رقم ١١٦ فى الخطة المرفقة)، باستثناء الحرم، ثم أعيد بناؤه. فتم ترقيم المداميك التى كانت فى حالة جيدة حتى يتسنى إعادتها الى وضعها الأصلي. ولكن بعد إزالة البيوت التى كانت تحجبه، وجد أن بناء الستة أمتار الأولى كان فى حالة متأخرة من التحلل وكان لابد من الاستعانة بمواد بناء جديدة تماما فى اعادة بناء هذا الجزء المذكور. أما الستة الأمتار التالية فقد تمت اعادة بعض المواد الأصلية الى وضعها الأصلي، وهى البائكات الست الأولى على الجانب الشمالى الشرقى (لوحة ٩٩ب)، والحجرة الركنية الشمالية، والحشوة اليسرى خلف السقيفة، والضلعان الشمالى الغربى والجنوبى الغربى من الحجرة الركنية الأخري، والبائكة التالية لها على الجانب الجنوبى الغربى.

بما أنه لم يبق هناك شئ مدون عما تم بالفعل فى السنوات العشر التالية لنشر آخر تقارير باتريكولو فى أوائل ١٩٢٢، فقد رأيت من الضرورى لغرض الوصف أن أفرق بين الجزء المعاد بناؤه وهو ماتؤكد صحته الصور الفوتوغرافية القديمة (والتى التقط كثير منها فى أثناء العمل) والأوصاف المنشورة عنه، وبين الجزء الذى لايؤكده شئ. وبالنسبة للجزء الأخير، فقد استطعت لحسن الحظ أن استشير محمد نافع أفندى الذى كان مسئولا عن الأعمال فى عهد باتريكولو وبعده؛ فقضيت صباح يوم كامل برفقته فى الجامع فى ٣٠ يناير ١٩٤٤ ولمدة ثلاثة أسابيع من فبراير. وسأستشهد بما قاله من حين لآخر.

تقدم البحث

بعد الإزالة التدريجية لهذه المنشآت والتى بدأت فى حوالى عام ١٩١٩ وانتهت مؤخرا، كشفت إحدى عمليات التنقيب التجريبية فى الركن الشمالى عن أن الجامع كان يرتكز على طابق سفلى مكون من خلاوٍ ذات عقود اسطوانية تفتح على الشارع، وكانت فى الحقيقة سلسلة من الدكاكين [الحوانيت] (لوحة ٩٧ب، كانت هناك سبع خلاوٍ تحت الواجهة الشمالية الغربية، أربعة منها كانت وراء كل منها حجرة). من ثم فهى تعد أقدم نماذج **مايعرف باسم «الجوامع المعلقة»**(٣٨٨)، فكانت تضم طابقا تحتها. ويتوج هذا الجزء الذى يبلغ ارتفاعه ٣,٨٠م **طوق حجرى من الحليات ذات القضبان القصيرة**(٣٨٩) (لوحة ٩٧ جـ) التى تتطابق حافتها العليا مع مستوى أرضية الجامع، وهو مايفسر السبب فى كون أرضية الجامع لاتزال أعلى من مستوى الشارع بحوالى نصف متر. ويبلغ ارتفاع الواجهة بأكملها وبدون الشرافات ١٤,٧٥م.

وفى نفس هذه العملية التنقيبية، تم اكتشاف درج سلم فى وسط الواجهة الشمالية الغربية ومتعامد عليها، وهو على ما يبدو هو الذى أقيم مستقلا على يد الأمير يشبك. وكان سليما تقريبا وكان ينتهى بجسر صغير الى جوار الجامع بحيث يستطيع الناس أن يسيروا عليه أمام الدكاكين بدلا من أن يضطروا الى الدوران حوله (لوحة ٩٧ب). كان هذا الجسر يتكون من عقدين أفقيين معشقين لا يظل العقد الشمالى منهما سليما بينما أعادت اللجنة بناء العقد الجنوبى.

الواجهة الشمالية الغربية

مع تقدم عملية إزالة البيوت، أصبح واضحا أن طريقة التعامل مع الواجهة الشمالية الغربية كانت تختلف تماما عنها فى أى أثر آخر عرف حتى الآن فى مصر، فقد تبين أنها تنتهى عند كل طرف بحجرة ورغم أنهما تحاذيان واجهة الدكاكين أسفلهما، فإن واجهة الجامع بينهما ترجع الى الخلف بحوالى ٤,٢٠م، مما أدى الى تكوين **منصة** مساحتها ١٨,٣٥ x ٤,٢٠م (لوحتان ٩٧ب، ٩٩أ). ويجرى السلم الى أعلى حتى منتصف **هذه المنصة**.

وكل من الركنين الشمالى والغربى مشطوف ومسحوب الى الأمام بكوابيل؛ والركن الغربى الذى كان فى حالة جيدة يحتل أربعة صفوف تم الإبقاء عليها جميعا فى عملية إعادة البناء عدا الثانى من أسفل حيث بنى من جديد. وكان الكابولى على الركن الشمالى نسخة منه.

الحجرات الركنية والسقيفة الخارجية

تمت معالجة الحجرة الركنية اليسرى (الشمالية) من الخارج على النحو التالي: زخرفة كل من واجهتيها الشمالية الغربية والجنوبية الغربية بحشوة ضحلة ذات عقد منكسر عرضه ٢,٣٠م وتحتل ارتفاع الواجهة بأكمله. وتتوج الواجهة الشمالية الغربية طاقية محارية تجرى الأشرطة الأربعة الأولى منها من جانب الى آخر، فى حين تشع بقية الضلوع (وهى عشرون) من حلية مستديرة مزخرفة بنجمة متداخلة ذات اثنى عشر ذيلا وبها سرة فى وسطها (لوحتان ٩٨أ، ٩٩أ). وهناك شريط من الزخارف المجدولة يجرى حول الطاقية المحارية ويستمر أفقيا يمينا ويسارا. وكوشات العقد مزخرفة بحليتين، وهناك نسختين متقنتين منهما على تروس باب النصر (لوحة ٥١ب)، ولكل منهما حاشية خارجية.

أما الطاقية المحارية بالحشوة الأخري، فقد تمت معالجتها بطريقة أخري، فتشع الأخاديد من حشوة صماء ذات عقد منكسر، وهذا هو أول نموذج على هذا النظام ونصادفه مرة أخرى فى محراب أبى منصور إسماعيل (٦١٣هـ/١٢١٦م) كما يشير باتريكولو (ص٤٢). والشريط الزخرفى المحيط بالطاقية الأخيرة يرتفع ويجرى حول هذه الطاقية أيضا، وبحاشية الحشوة ذات العقد المنكسر فى الوسط، هناك شريط بنفس التصميم. وهناك نقش كوفى يتكون من آيات قرآنية يجرى من جانب الى آخر أسفل كل من هاتين الطاقيتين. وتحته نقش آخر يجرى من جانب الى آخر على طول الحشوتين؛ ويحتوى على التاريخ.

والجزء أسفل الطاقية فى كلتا الطاقيتين تحتله نافذة عرضها ١,٤٥ م وارتفاعها ٢,٧٤م يغطيه عقد أفقى بصنج معشقة وعقد عاتق فصى بصنج معشقة أقل إتقانا وحاشية خارجية مزخرفة. وهناك حلية ذات ستة فصوص على الصنجة المفتاحية بالعقد الأخير، تشبه نظيرتها على تروس باب النصر. وتخترق الطبلة بين العقدين فتحة صغيرة (شكل ١٦٧) تشبه فى تصميمها رؤوس نوافذ المئذنة الغربية بجامع الحاكم (لوحة ٢٩جـ).

أما بالنسبة للواجهة الكائنة وراء المنصة فقد وجد أنها تنقسم الى خمس حشوات ضحلة كانت الأولى منها، وهى المجاورة للحجرة الركنية الأولي، فى حالة سليمة تماما، ولو بالنسبة للطاقية المحارية على الأقل (لوحة ٩٨ب). وهى تشبه نظيرتها على الضلع الجنوبى الغربى من الحجرة الركنية وتقطعها نفس أشرطة النقوش، والفارق الوحيد هو عدم وجود نافذة فى الجزء السفلى.

وكان النصف السفلى من الحشوة التالية سليما وكذلك الأعمدة المستطيلة الناتئة من الجدار بالبائكة التالية (الوسطى) التى كان بينها العقد الأفقى المعشق للمدخل الشمالى الغربى (لوحة ٩٧ب)، ومساحة فتحته ٢,١٤ × ٤,١٠م (بنسبة ١ :٢ كما هو الحال فى المداخل الأقل شأنا بجامع الحاكم). وبالعقد العاتق الفصى فوقها حاشية مرتفعة مزخرفة بنقش كوفي. ويجرى فوقها مباشرة نقش كوفى أكبر قليلا من المرجح أنه كان يشكل جزءا من الشريط العلوى على واجهتى الحجرة الركنية، فهو يقع على نفس مستواها تماما. وبدلا من وجود طاقية محارية بهذه الحشوة نجد عقدا مدببا عاديا (أى أنها ليست ذات مركزين أو ذات عقد منكسر رباعى المراكز) ربما كان يرجع زمنيا الى الفترة التى بنيت فيها المئذنة الجديدة التى كانت ترتفع فوق مجاز المدخل المقببي، فلو أننا تفحصنا الواجهة الخلفية لهذا المدخل (لوحة ١٠١ب) نلاحظ أنه يبدو كما لو كان قد بنى من مواد معاد استخدامها. والجزء السفلى من الحشوة الرابعة كان سليما، أما الحشوة الخامسة فقد اختفت تماما.

يعتقد باتريكولو (ص٤١) أنه كان هناك محراب صغير فى العمود المستطيل الناتئ من جدار الى يمين المدخل ويساره، كما هو الحال بجامع الأقمر (لوحة ٨٢)، فقد استطاع أن يعيد بناء جزء من محراب ببعض قطع الحجارة منحوتة بزخارف ونقوش قرآنية، وكان قد تم العثور عليها فى عملية الهدم.

أما بالنسبة للحجرة الركنية اليمنى (الغربية)، فمن الصعب نحدد كمية ماتبقى منها، فقد كان باتريكولو قد ترك الخدمة فى هذا الوقت تقريبا (١٩٢٣)، ولم يتم نشر أشياء خاصة بالعمل الذى تم تنفيذه بعد رحيله حيث تعطل العمل لفترة طويلة قبل أن يستأنف من جديد، كما تبعثرت المداميك المرقمة التى كانت قد رتبت فى صفوف على أرضية الجامع ثم ضاعت (ولم يتم إعادة استخدام بعض من المداميك التى لم تفقد، ولايزال هناك العديد من الصنج ملقاة على الأرضية فى الحجرات الركنية والتى يرجع انتماؤها الى الحشوات

الكائنة خلف السقيفة وبعض المداميك التى تحمل جزءا من شريط كوفى لم تتم إعادتها الى مكانها الأصلي).
على أى الأحوال، فالضلع الشمالى الشرقى من هذه الحجرة المعاد بناؤها قد بنيت من الحجارة الجديدة من أعلاها الى أدناها، فى حين أن الثلث الأوسط من واجهتيها الشمالية الغربية والجنوبية الغربية بنى فى معظمه من المداميك القديمة، وبقيت أجزاء من الشريطين العلوى والسفلى من النقش (انظر Comité de conservation, *Exercices* 1920-1924, pl. IX).

وتم العثور على رباطين خشبيين مكسورين مدمجين فى العمودين المستطيلين الناتئين من جدار على جانبى بائكة المدخل (لوحتان ٩٧ب، ١٠١جـ). وليس معنى هذا إلا أن الواجهة اكتملت بخمسة عقود تتطابق مع الحشوات الخمس، وأن العمودين الأوسطين كانا مثبتين بهذين الرباطين؛ كما أن مستواها يدل على ارتفاع هذه الأعمدة (يرى محمود أحمد —Comité de conservation, *Exercices* 1930-1932, pp. 113-14— أن الأعمدة التى استخرجها الأمير يشبك من تحت الأرضية هى الأعمدة الأربعة الخاصة بالبائكة الأصلية، ونرى من جانبنا أن هذا صحيح). والإفريز الخشبى المحفور باتقان والمبين فى اللوحة (١٠١جـ، والذى اختفى منذ ذلك الوقت فى أثناء عملية إعادة البناء) والمدمج فى قمة العمود المستطيل الناتئ من جدار الى اليمين تحت شريط النقش مباشرة لم يكن إلا امتدادا للزخارف التى كانت تزين أضلاع هذه الأربطة، فهو يتطابق فى مستواه تماما مع الطرفين المكسورين المذكورين. أى أنه كان هناك نوع من السقائف يشبه النوع الذى نراه فى جامع بوفتاته بسوسة(٣٩٠) والذى بنى بين عامى ٢٢٣ و٢٢٦ (٨٣٨-٨٤١م).

الواجهة الشمالية الشرقية

يمكن الوصول الى المدخل الشمالى الشرقي-كنظيره الرئيسى - بجسر، ولابد أن كان هناك درج سلم مشابها ومتعامدا على الواجهة يؤدى اليه، ولو أنه لم تتم أية عمليا تنقيب لاستخراج بقايا منه. وقد وضع فى بروز عرضه ٤,٦٣م ويبرز لمسافة ٩٠سم من الواجهة. وحين تمت إزالة البيوت، تبين أن الفراغ الذى تبلغ مساحته ٢١,٧٣م بين هذا البروز وبين الركن الشمالى كانت هناك خمسة دكاكين مقبية تحتل الجزء السفلى منه، كما هو الحال فى واجهته الشمالية الغربية، على مستوى الأرضية القديم (لوحة ٩٩ب). وفى الدعامات الكائنة بين الدكاكين يمكن ملاحظة سمة مميزة للحصون الفاطمية، وهى وجود أطراف عمودين صغيرين يعملان كرباط [ميد]، وقد وضعت فى الصف الخامس أسفل الحلية المعمارية المكونة من سلسلة قضبان قصيرة. ثم يتلوها طوق حجرى من الحليات المعمارية المكونة من سلسلة قضبان قصيرة المزخرفة بعناصر تعبيرية من الأرابسك فى حالة سليمة فى موضعين (لوحة ٩٧جـ، وقد سبق أن صادفنا طوقا حجريا مماثلا على الحلية السابعة من المئذنة الغربية من جامع الحاكم)، وفوقه خمس حشوات معقودة ضحلة تنقسم الى أجزاء غير متساوية بسبب شريطى النقوش السابقى الذكر، وتقع الحشوة السفلية منها فوق العقود العاتقة للنوافذ السفلية مباشرة، والحشوة العليا تحت أعتاب النوافذ المعقودة مباشرة. والخانة السفلية من الحشوتين الأوليين من الركن تشغلها فى كل منهما نافذة بعقد أفقى معشق وعقد عاتق مجزء، وبالعقد الأخير حاشية زخرفية تختلف فى كل منهما. والحشوتان الثالثة والخامسة فارغتان، أما الرابعة فبها نافذة تشبه الأولى عدا أنها صماء. والخانة الثانية فارغة إلا فى حالة البائكة الثانية حيث نجد نافذة مستطيلة بحاشية زخرفية (لوحة ٩٧ء). وفى الخانة العليا، أى الجزء داخل الطواقى المعقودة، نجد إطار نافذة بحاشية زخرفية فى كل حالة،

وشريطا آخر بزخارف مماثلة تماما يجرى أفقيا من جانب لآخر عند منبت عقد الحشوة، ثم يرتفع ليجرى حولها، ثم يجرى مرة أخرى أفقيا ليستمر حول العقد التالى وهكذا الى أن يصل الى بروز المدخل حيث يجرى حول فجوة المدخل بنفس الطريقة. والنافذتان الأوليان اللتان تنتميان الى الحجرات الركنية مصمتتان وحشيت بقية النوافذ مؤقتا بالآجر. أما النافذة الجصية الجميلة ذات الزخارف الهندسية (لوحة ١٠٠أ) والمحفوظة حاليا بمتحف الفن العربي، فلابد أنها كانت آتية من احدى هاتين النافذتين، لأن مقاييسها (١,١٤ × ١,٥٢م) تتطابق معهما تماما. وكوشات العقد مزخرفة بخمس حليات رائعة يعلوها متران من جدار خال من الزخارف كان متوجا على مايبدو بشريط من النقش تعلوه حلية معمارية مستطيلة مزخرفة بالأرابسك.

يتكون المدخل الشمالى الشرقى الذى وضع فى فجوة معقودة عمقها ٤٢سم من فتحة مستطيلة مساحتها ٢,١٩ x ٤,٢٢م على جانبيها عقد أفقى معشق باتقان مع عقد عاتق ضحل تحيط به حاشية كوفية خارجية (لوحة ١١٠ب). وخلف الطاقية المعقودة، هناك نافذة بنفس الحجم والشكل وضعت على نفس مستوى النوافذ الكائنة فى الجزء العلوى من الواجهة.

الواجهة الجنوبية الغربية

نرى فى اللوحة (١٠٠هـ) صورة فوتوغرافية التقطت بعد إزالة عدد من المبانى الملتصقة بالجامع. ويمكن أن نرى الى اليسار قمة حشوة معقودة تشبه الحشوات الكائنة على الواجهة المقابلة. والى اليمين قليلا منها يرجع الجدار الى الخلف ثم يستمر على نفس المستوى لمسافة غير قصيرة، ومداميك الجزء البارز الى الأمام والآخر الذى يرجع الى الخلف تجرى بصورة متصلة دون فاصل. فهل معنى هذا أنه لم تكن هناك سوى حشوة واحدة فقط فى هذه الواجهة؟ يرى نافع أفندى أن هذه الواجهة انهارت فى زلزال عام ١٣٠٣ ويقول إنه يذكر أن الأسمنت فيها كان مختلفا عن الأسمنت المستخدم فى غيره. وكشفت عمليات التنقيب عن خلاوٍ بين الركن والمدخل، إلا أنها كانت فى حالة تستدعى إعادة بنائها بالكامل، كما كشفت عن الضلع الشمالى الغربى لنفس بروز المدخل القديم على مستوى الأرضية، لذا فيبدو أنه يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا الجزء بأكمله، عدا الحشوة الأولى، قد أعيد بناؤه فى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) وأن هذا الضلع كان فى الأصل يتطابق مع الضلع المقابل له. وتم بناء كل الخلاوى التى تقع الى يمين هذا المدخل من جانب اللجنة بصورة مخالفة تماما.

النصف الأيسر من الواجهة الشمالية الشرقية

نعود الآن الى الجانب الآخر من الجامع. نظرا لأن البيوت الملاصقة لهذا الجانب من الجامع لم تكن قد أزيلت كلها، فقد قام محمود أحمد بترميم بائكتين فقط الى يسار بروز المدخل. وحين تمت إزالة بقية البيوت فى سنة ١٩٤٥، رأيت الفرصة سانحة لتأكيد شكوكى أو نفيها فيما يتعلق بوجود دكاكين وحشوات مفرغة فى النصف الأيسر من الواجهة. وتبين من عمليات التنقيب أنه لم تكن هناك دكاكين مقبية غير الدكانين اللذين أعاد محمود أحمد بناءهما بصورة خطأ فى اعتقادى (وأكد نافع أفندى -١٩٤٤/٢/٢٠- أنه لم تكن هناك دكاكين مقبية فى هذا الموضع، ولم تكن هناك دلائل على وجود جدار ذى حشوات). وكان النصف الداخلى الآجرى من الجدار والمطابق للبائكات الأربع الأولى الى يسار المدخل قد أعيد بناؤه من جديد، إلا أن شيئا لم يبق من الجزء الحجرى الخارجى غير القطعة المبينة فى اللوحة (١٠١أ) الى يمين فجوة النافذة، لذا فمن المستحيل أن نثبت أو وجود حشوات أو ننفيه.

ومع ذلك فالجزء المطابق للرواقين الأول والثاني من الحرم كان فى حالة جيدة تماما. والجزء المطابق للرواق الثالث كان مسطحا، بل كانت هناك حشوة غائرة ضيقة قمتها مفقودة (اختفت فى عملية الترميم) تفتح عليها النافذة الوحيدة (لوحتان ١٠١أ، ١٠٥أ) فى هذا الجانب من الحرم؛ ورغم أن هذه النافذة قد وضعت على محور الرواق الثانى، إلا أنها لاتأتى فى وسط الحشوة التى وضعت خطأ باتجاه اليمين. وهناك قطعة بناء الى يمين هذه الحشوة، ولم يكن هناك شئ بعدها (فوق مستوى الأرضية الحالي) غير الأعمال الآجرية الجديدة الخاصة بالنصف الداخلى من الجدار والممتدة حتى البائكتين الجديدتين الى يسار المدخل الجانبي.

الواجهة الخلفية

وتتكون من جدارين مصقولين بلا حشوات مساحتهما ١١,٦٨ و١١,٧٠م على التوالي، يفصل بينهما بروز المحراب الذى يبلغ عرضه ٤,٢٧م بنتوء قدره ٧١ سم. وبهذا البروز أركان مشطوفة بكابوليين لطيفين يعد الأيسر منهما أصلي والأيمن نسخة منه. ولم يتم العثور على أى أثر لخلوات [دكاكين] فى هذه الواجهة (Comité de conservation, *Exercices* 1930-1932, p. 109) . ويعد النصف العلوى من الجناح الجنوبى الغربى أصليا، وكذلك عقود النوافذ وأطر النوافذ المستطيلة التى تعلوها. وفجوات النوافذ الثلاث بالنصف الشمالى مائلة وتصنع مع النافذة ذات الزخارف الهندسية زاوية مقدارها حوالى ٣٠° بدلا من أن تتعامد على سطح الجدار، مما قد يعزى الى الرغبة فى استقبال رياح الشمال. وهناك ميزابان للماء؛ أحدهما (ويشبه نظيره على باب زويلة ولو أنه أصغر منه حجما) يعد أصليا، والآخر نسخة منه.

مادة البناء

تبين فى أثناء عملية اعادة البناء أن النصف الداخلى من الجدران كان من الآجر مع أن النصف الخارجى منها كان من حجارة (باتريكولو، ص٤٠). أما البائكات فهى جميعا من الآجر فيما عدا الأعمدة التى تدعمها.

الشرافات

تم الحفاظ على بعض قطع من الشرافات القديمة التى تم العثور عليها فى أثناء العمل فى الحجرة الركنية الجنوبية. ومن الواضح أن كلا من الوحدتين مدرجة ومقطوعة القاعدة كما يتضح فى الشكل (١٦٨) واللوحتين (١٠٠ جـ، ء)، وأن الحافتين مؤكد عليهما بحاشية خالية من الزخارف عرضها ٢,٥سم، والجزء الغائر قليلا فى داخلهما مزخرف بمراوح نخيلية بارزة. وفى وسط كل منهما كان هناك مزغل عرضه ١٠,٥سم. وكان الارتفاع الإجمالى يبلغ ١,٠٤م وقد وضع بحاجز شرفة خال من الزخارف ارتفاعه حوالى متر واحد، مما يعطى ارتفاعا إجماليا فوق السقف يبلغ ٢,٠٥م.

الجامع من الداخل

تعبر الآن الجسر (A) وندخل السقيفة (B) التى تم ترميمها حاليا (لوحة ٩٩أ). واذا نظرنا الى أعلي، نلاحظ وجود قطع من السقف الحالى وقد وضعت فى أجزاء خشبية جديدة (شكل ١٧٣). ونجد أمامنا المدخل الرئيسى (لوحة ١٠١جـ) وعرضه ٢,١٤م وارتفاعه ٤,١٠م، وهو مغلق بباب حديث مطلى بالبرونز تم

صنعـه عـام ١٩٣٥ (Comité de conservation, *Exercices* 1933-1935, p. 270) محاكاة للباب الأصلى (لوحة ١٠٢) الذى تم نقله الى **متحف الفن العربى**(٣٩١) بين عامى ١٨٨٧ و١٨٩٩ بناء على توصية من اللجنة (*Exercice* 1887-1888, pp. 5-6) . ويتكون البـاب الأخـيـر من مصـراعين كـبيـرين بسـمك ١٧ سم، ويتكون كل منهما من قوائم وقطع مستعرضة يربط بينها لسان عاشق ومعشوق، وهو مايعمل كاطار لثلاث حشوات أفقية وأربع حشوات رأسية مرتبة على النحو المبين فى اللوحة (١٠٢) . وكل حشوة رأسية مزخرفة بأشرطة تتداخل بحيث تشكل ثلاثة مستطيلات محشوة بأرابسك دقيق الحجم، والحشوات الأفقية مزخرفة بشبكة مستقاة من نجمة ذات ستة ذيول. والواجهة الخارجية مزخرفة بطلاء برونزى هندسى تكمن أهميتها فى أنها تعد الأقدم من نوعها فى مصر الاسلامية (Prisse d'Avennes, *L'Arte arabe*, Atlas, II, pl. XCV) . ولكن لاينبـغى أن نظن أنها كانت ابتكارا جديدا، لأن الأبواب المطلية بالبرونز كانت معروفة تماما فى الشرق القديم، ومثالها بوابات الشهيرة التى ترجع الى عصر شلمنصر الثانى (٨٥٩-٨٢٥ ق.م.) وكان يغطيها الطلاء البرونزى ذو الزخارف البارزة التى تصور المدن المحصنة ومشاهد من الحياة اليومية.

واذا عبرنا خلال الباب، نجد أنفسنا فى **مجاز** ذى قبو اسطوانى (C) عرضه ٣,٢٨م وطوله ٤,٢٥م يخرج تحت الرواق الشمالى الغربى، وهو بناء حديث سنرى أنه لم يكن موجودا بالجامع الأصلى. وكانت المئذنة التى انهـارت فى أكتـوبر ١٩٢٣ (Comité de conservation, *Exercices* 1920-1924, pp. 285-6 ، لـوحـات ٩٧أ، ب، ١٠١ب) ترتفع فوق هذا المجاز. ولم تكن هذه المئذنة هى الأصلية بالطبع، فقد رأينا من قبل أنها انهارت فى زلزال ١٣٠٣ المدمر.

ويبلغ عمق الصحن حاليـا ٢٣,٤٣م ويستـدق طرفـاه قليـلا من الشـمـال والجنوب (من ١٨,٧٠ الى ١٨,٤م)؛ وتحته صهريج ضخم يفترض أنه الصهريج الذى يذكر المقريزى أنه كان يتم ملؤه بالمياه من الخليج. وعلى جانبيه رواقان بستة عقود الى **اليمين واليسار**، وتوجد جهة خمسة عقود (لوحة ١٠٤أ) الأوسط منها أعرض من البـاقين (٤,٦٢م من الوسط الى وسط الأعـمـدة، فى مـقـابل ٣,٥٣-٣,٦٣م) . ومن الواضح أن عقود واجهة القبلة التى يبلغ ارتفاعها ١٠,٥٣م فاطمية؛ وفوق قمة كل منها حلية وردية بأربعة عشر حزا، وبينها، وفوق الأعمدة مباشرة، هناك حنيات بطواقى محارية ذات عقود منكسرة على صفوف من الأعمدة الصغيرة. وفوق العقد الأوسط، نجد **حشوة خشبية بسيطة** تشبه «اللوح الأخضر» الغامض بجامع عمرو (انظر ابن دقماق، جـ٤ ، ص٦٦) . وكانت العقود الكائنة على كل طرف والتى تفتح على الأروقة الجانبية عقودا مقطعية قبيحة وضحلة مما يرجع الى عمليات ترميم؛ وتم إبدالها بعقود لها نفس شكل العقود الباقية. وكانت عقود الواجهة الجنوبية الغربية قبل ازالتها واعادة بنائها على يد اللجنة بهدف التنسيق بينها وبين واجهة الحرم تضم صنجا حجرية بحلية خارجية، وكانت بلاشك تنتمى الى عملية اعادة البناء التى تمت فى أعقاب زلزال ٧٠٢هـ، وكذلك الجدار الذى يقع خلفها.

أما الرواق الشمالى الشرقى فيقول محمود أحمد (ص١١٠) انه قد تمت إزالته فى سنة ١٩١٨، إلا أن ذلك ليس صحيحا تماما، فهناك صورة فوتوغرافية لواجهة الحرم التقطتها فى النصف الأول من عام ١٩١٧، وتبين أن عقد الرواق المجاور له كان لم يعد موجودا فى ذلك الوقت (لوحة ٩٧أ). ويؤكد ذلك رسم تخطيطى [اسكتش] قام **ورسفولد بنشره فى** عام ١٨٩٩ (*The Redemption of Egypt*, p. 122) . أما بالنسبة لبقية العقود،

فلا أذكر شيئا عنها إلا ماتجده فى الصور الفوتوغرافية المنشورة فى هذا الكتاب (لوحة ١٠٣)، ومن المحتمل أن العمودين الأخيرين باتجاه الشمال الغربى هما الوحيدين اللذين ظلا قائمين، ولايزال الشمالى منهما محتفظا بطبليته المنحوتة ورباطين خشبيين يشبكانه بالجدار الشمالى الشرقى والشمالى الغربي. وسنعود للإشارة اليهما مرة أخرى فيما بعد.

هل كان هناك رواق شمالى غربى أصلا؟

رأينا أن الرواق الشمالى الغربى -لو كان له وجود أصلا- قد اختفى منذ مدة طويلة تقرب من سبعينيات القرن التاسع عشر حين زار بريس دافين الجامع ووضع تخطيطه له (شكل ١٦٩) بالقدر الذى سمحت به المبانى التى كانت تتعدى عليه.

كان عدم وجود رواق شمالى غربى سينتج عنه صحن بسبعة عقود على كل جانب، والمداخل الجانبية تأتى فى مواجهة العقد الأوسط فى كل حالة. ولو كان هناك رواق شمالى غربى لنتج عنه صحن به ستة عقود على كل جانب، وتأتى المداخل فى مواجهة العقد الثالث من الشمال.

فى عام ١٩٣٠، وبعد أن أزيلت المبانى التى كانت تحتل الجزء الشمالى من الجامع، تم حفر خندق فى الموقع الذى كان سيصبح امتدادا للبائكة الشمالية الغربية لو كانت قد وجدت. وتم إخراج جدار أساس بإضافات على أربع نقاط فى مواجهة الأعمدة الأربعة الوسطى بواجهة الحرم. وبهذا لا يبقى هناك شك فى أن هناك رواقا شماليا غربيا كان موجودا فيما مضي. ولكن من المؤكد أن هذه البائكة كانت إضافة لاحقة، لأن جدران الأساس بالجامع القديم وكذلك جدران الأروقة الجانبية، كما يشير بوتى (ص٢٨٦-٢٨٧)، بنيت بحرص شديد من مداميك صغيرة بواجهة مكسوة، فى حين أن الأساسات التى ذكرناها لتونا قد بنيت من دبش غير مصقول بدون واجهة مكسوة. إضافة الى ذلك، وجد أنها تكسر الوصلة عند كل طرف كانت تلتقى عنده بجدران الأساسات العظيمة بالبائكات الجانبية. ويستنتج بوتى من ذلك أن الرواق الشمالى الغربى الذى «كان سيسئ للتوافق الرائع للبناء» لم يكن من الممكن أن يشكل جزءا من الجامع الأصلي.

وسرعان ما تعرض هذا الاستنتاج الأثرى السليم للتفنيد من جانب كل من محمود أحمد وسيد متولي. فيقول الأول: «اكتشفنا فى احدى الصور الفوتوغرافية التى التقطت قبل إنشاء الواجهة الشمالية (أى الشمالية الشرقية) بقايا عقد هذا الايوان متصلا بالواجهة المذكورة (أى الشمالية الشرقية) وعليها نقش كوفى أصلى يشبه النقوش التى تعلو العقود الأخري. هذه البقايا الباقية من العقد بالاضافة الى النقش الذى يحمله لا تؤكد على وجود الإيوان الغربى وحسب، بل يؤكد أيضا على أن هذا الايوان يرجع الى عهد الصالح طلائع نفسه» (ص١١٧).

والصورة التى يشير اليها هى تلك التى نشرها بوتى (اللوحة ٧، وقد أوردناها فى هذا الكتاب فى اللوحة ١٠١ء). وتبين النصف الشمالى من الضلع الشمالى الشرقي، والمدخل الشمالى الشرقى الى اليمين ومئذنة المؤيد على الحافة اليسري. والى اليسار، نجد آخر أعمدة الرواق الشمالى الشرقى بطبلية مزخرفة من الخشب، ويشبكها بالجدار الشمالى الغربى رباط خشبي، ولايزال جزء من زخرفته الفاطمية المنحوتة باقيا، يرتكز على الأول ويشبكه بالجدار الشمالى الشرقى حيث يجرى فى شريط كوفى من الجص ويرتكز على حامل خشبى مفلطح الوجه. ويستنتج محمود أحمد أن هذا الرباط الخشبى والأشرطة الكوفية الجصية تعد دليلا على وجود

بائكة شمالية غربية منذ البداية. ولو كان هذا الرباط الخشبي هو الوحيد الذى كان يعبر بالرواق الشمالى الشرقى لكان ذلك دليلا كافيا على أنه كان جزءا من البائكة الشمالية الغربية التى تجرى عبره، إلا أنه ليس الرباط الوحيد. وهناك صورة فوتوغرافية التقطتها اللجنة (لوحة ١٠٣ أ) تبين الطرف المكسور من رباط خشبى بارز من نفس الجدار على العمودين الأول والثانى الناتئين من جدار الى يسار المدخل الشمالى الشرقي، وتحت العمود الثانى حامل خشبى مفلطح الوجه. ويدل ذلك على أن كل أعمدة الرواق الجانبى كانت مشبوكة تقاطعيا بالجدار الشمالى الشرقي. وبالتالى فوجود رباط خشبى يجرى من العمود الأخير الى الجدار الشمالى الشرقى لايدل على أنه كانت هناك بائكة شمالية غربية. وحتى لو وُجد منبت عقد على الجدار الشمالى الشرقى عند النقطة المطلوبة (التى لا أستطيع تمييزها فى الصورة الأصلية)، فان وجود طبلية فاطمية على العمود المعنى لايدل على أن العقد المستعرض كان يرجع الى عام ٥٥٥ (١١٦٠م)، لأن هذا العمود وطبليته هما جزء من البائكة الشمالية الشرقية والأرجح أنهما كانا موجودين من البداية. ولو أراد أى شخص أن يبنى رواقا شماليا غربيا لكان عليه أن ينبت بائكته الجديدة من الحامل الكائن على الجدار الشمالى الشرقى ويحمله فوق نفس العمود والطبلية. أما الشريط الكوفى الهابط، فيجرى من جانب الى آخر أفقيا، ثم يجرى الى أعلى بموازاة الطول الأول، وعلى مسافة قريبة منه نجد نفس هذه السمة تعود من جديد فوق كل من الأربطة الخشبية التى تشبك أعمدة الرواق بالجدار الشمالى الشرقي.

ويذهب سيد متولى مذهبا آخر، حيث يذكر أن الرواق الشمالى الغربى كان ضروريا لأن غياب مثل هذا الرواق كان سيناقض تخطيط «أى جامع فى مصر أو فى بلد اسلامى آخر»، وأنه كان ضروريا «من وجهتى النظر الدينية والصحية لراحة المصلين» (Comité de conservation, *Exercices* 1930-1932, pp. 97-98). وهذا هراء بالطبع؛ لأن القرآن لايحدد شكل المساجد، ولا الحديث النبوي؛ ويمكن الرجوع الى الكتاب الذى وضعه فنسنك تحت عنوان *Handbook of Early Muhammadan Tradition* والذى قام فيه بفهرسة كل موضوع تمت مناقشته فى الأحاديث النبوية الأولي. وقد رأينا أن المسلمين الأوائل كانوا يتخذون من أى مكان مسجدا كالمصلى الذى اتُخذ فى قباء مثلا، وهو قطعة أرض يحيط بها جدار منخفض؛ وفى إيوان المدائن العظيم؛ وفى الدهليز على قمة درجات السلم المؤدية الى كنيسة الضريح المقدس بالقدس؛ وفى الحنية القبلية بكنيسة الميلاد ببيت لحم (القرن العاشر)؛ وفى الكنائس التى تحولت الى مساجد كنيسة العظمى بحماة؛ وفى العديد من أنواع المساجد، بعضها ببائكات توازى جدار القبلة، وبعضها الآخر ببائكات متعامدة عليه، وبعضها الثالث بلا أروقة حول الصحن إلا على جانب القبلة كما هو الحال فى المسجد الكائن داخل أسوار قصر الخليفة هشام بخربة المفجر (٤ أميال شمال أريحا) والذى تم التنقيب عنه فى السنوات الأخيرة من قبل ادارة فلسطين للآثار، وفى مسجد قرطبة الجامع كما كان فى سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م)، ومسجد تونس الجامع كما كان فى سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤م) وفى مسجد القيروان الجامع كما كان فى سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م). وبعد ظهور المدرسة ذات الايوانات، كان مايميزها من وجهة نظر الواعظ أنها قد تم اتباع نمطها دون تردد فى المساجد فى مصر فى أوائل القرن الرابع عشر، ولو أنها لم تحمل أدنى درجات الشبه بأى مسجد بنى حتى ذلك الوقت.

أما بالنسبة لعدم وجود جامع بلا رواق رابع فى تاريخ الإسلام، فهذا غير صحيح أيضا. فلا يحتوى مسجد الأخيضر إلا على ثلاثة أروقة فقط، وسبق أن رأينا أنه لم يكن هناك رواق شمالى غربى بالجامع الأزهر الى أن

قام الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤-٥٤٤هـ/ ١١٣٠- ١١٤٩م) ببناء الأروقة حول الصحن.

وأخيرا فبالنسبة لملحوظة بوتى بأن اتساق التصميم يتطلب مداخل جانبية على المحور المستعرض للصحن، فهذا هو التخطيط المتبع بجامع الحاكم (شكل ٣١) وجامع بيبرس بالعباسية [بالظاهر]. كما نجده أيضا فى الجامع الأزهر لو أن المدخل الحالى الى الميضأة والمدخل المقابل له (شكل ٢٠) يحتلان موقع المداخل التى ترجع الى عهد بناء الجامع، وهو احتمال كبير. ولم يتم التخلى عن هذا النهج حتى القرن الرابع عشر حين بنى السلطان الناصر **محمد مسجده بالقلعة فى سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م)**. ومما يؤسف له أن صرخات بوتى راحت أدراج الرياح، اذ قررت اللجنة فى اجتماع لها فى ٢٦ يناير ١٩٣٢ بناء رواق شمالى غربى(٣٩٢) (Comité de conservation, *Exercices* 1930-1932, pp. 96-98).

الحرم [مقدم الجامع] (لوحتان ١٠٤-١٠٥)

ويتكون من ثلاث بائكات من سبعة عقود تجرى كل منها موازية لجدار القبلة، ويتشكل الرواقان الأوليان بحيث يبلغ عرض كل منهما ٣,٤٥م فى مقابل ٥,٤٠م بالنسبة لعرض الرواق المجاور لجدار القبلة. والسقف الحالى حديث تماما. وتتكون البائكات بعقود منكسرة شديدة التكلف ترتكز على أعمدة رخامية بتيجان مختلفة الأشكال معظمها كورنثى (لوحة ١٠٤ب) عن طريق طبليات منحوتة بطريقة لطيفة مكونة من ثلاث طبقات من الخشب، الأولى مربعة وشديدة الضحالة، والثانية ضعفها فى السُمك وأطول منها قليلا، والثالثة تشكل نهاية مفلطحة الوجه؛ وكلها مزخرفة بخمس وريقات خماسية (لوحة ١٠٥جـ).

والبائكات مشبوكة طوليا بأربطة خشبية وضعت فى القسم الأوسط من الطبلية وبأربطة خشبية وضعت فوق قمة الطبلية. وحين نتفحص هذه الأربطة الخشبية من سلم، نجد أنها تتكون من جذع نخلة وضع فى مجرى مكون من ثلاثة ألواح، اثنان منها مثبتان بمسامير على جانبيه، والثالث تحته. والاثنان الأولان مزخرفان بصف من وريقات خماسية تشكل امتدادا للزخرفة التى نجدها على الجزء الأوسط من الطبلية. وعند النقطة التى تدخل الأربطة الخشبية الطولية فيها الى الجدار، يكتمل التخطيط بما يمكن وصفه بأنه جانب طبلية، حيث يبرز من الجدار بعدة سنتيمترات.

وجدنا تخطيطا مشابها للأربطة الخشبية والطبليات بجامع الأقمر، إلا أن هذا النموذج يعد أجمل النماذج وأفضلها حالا. وكل عقد مزخرف بشريط كوفى من الجص يجرى حول الحافة ثم يهبط ويدور بزوايا يمنى عند وصوله الى الطبلية، ثم يصعد ليجرى حول العقد التالى كما هو الحال فى جامع الأقمر. وفوق قمة كل عقد، هناك فتحة مربعة صغيرة تبدو كنافذة محشوة بزخرفتين هندسيتين جصيتين وضعتا بحذى واجهتى الجدار. إلا أن أشد أجزاء الزخرفة إتقانا هى السرر الزخرفية الجصية التى تحتل كوشات العقد (لوحتان ١٠٦-١٠٧). ونظرا لارتفاع مواضعها فان علينا أن ننظر اليها بزاوية تبلغ ٦٠°؛ ولتصحيح تأثير تقصير الخطوط فقد تم تصميمها بطريقة غريبة، أى أن الحلية الوسطى التى تشع منها الأخاديد وضعت تحت المركز الحقيقى مما يؤدى الى نتيجة ناجحة تماما، فهى تبدو عادية تماما حين ننظر اليها من أسفل، فى حين أنها لا تبدو كذلك فى الواقع حين ننظر الى السرر من الجنب. وهذا التصحيح يشبه «المصافى الإغريقية» فى البارثينون.

تمت معالجة الأطراف الحديثة للرواقين الأول والثانى على النحو التالى. يجرى الشريط الكوفى حول عقود البائكات، ويجرى بصورة مشابهة حول **الحشوات المعقودة** بين الأعمدة المستطيلة بالجدار الشمالى الشرقى،

وهناك شريط مماثل حول كل نافذة (لوحتان ١٠٤ب، ١٠٥ أ). ولابد أن **الحشوات المعقودة الضحلة** الست بالرواق الشمالى الشرقى قد عولجت بنفس الأسلوب كما هو موضح فى اللوحة (١٠٣). ونظرا لأن الجدران الكائنة خلف الرواقين الشمالى الغربى والشمالى الشرقى جديدان تماما، فقد خلت تماما من أية زخارف، إلا أن الرواقين الأخيرين كانا دون شك يطابقان الرواق المقابل.

المحراب

يبلغ عرض الجزء المجوف ١,٨٧سم وعمقه ١,٣٧سم، وقد فقد كل زخرفته إلا أعمدته المستطيلة على جانبيه والكسوة الخشبية المطلية لنصف القبة، وحتى هذه الأخيرة عانت أضرارا فادحة لدرجة يصعب معها إكمال التصميم. ويتحدث بريس دافين فى سنة ١٨٧٧ عن «فسيفساء رائع لم يبق منه الآن إلا قطعة رائعة من الجزء العلوى بزاوية يسرى من المحراب» (*L'Art Arabe,* Texte, pp. 100-101). وهذه القطعة من الفسيفساء الرخامى المتعدد الألوان التى تبلغ مساحتها ٤٠سم^{2} لاتزال باقية.

المنبر

يعتبر هذا المنبر أكثر المنابر إتقانا فى مصر بعد منبر قوص (انظر بريس دافين، ص٩٩). وطبقا لنقشين أحدهما فوق الباب والآخر خلف جلسة الخطيب، فقد صنعه سيف الدين بكتمر جوكندار قلاوون، وأمير جندار **الناصر محمد**(٣٩٣) فى جمادى الأخرى ٦٩٩هـ (فبراير ١٣٠٠م). ويشير ڤان برشم الى إمكانية قراءة النقش بطريقتين: أما ٦٧٩ أو ٦٩٩هـ، ولكن التاريخ الأخير هو الأقرب الى الصحة، لأن الناصر محمد لم يكن قد ولد بعد فى عام ٦٧٩هـ، فى حين أنه كان قد ارتقى العرش لتوه وللمرة الثانية فى عام ٦٩٩هـ. وقد رأينا أن نفس هذا الأمير هو الذى قام بترميم هذا الجامع بعد ذلك بثلاث سنوات فى أعقاب زلزال ٧٠٢هـ.

الملقف [الباذاهنج]

على الجدار الخلفى وراء المكان الذى يقف فيه الامام على المنبر مباشرة، نجد فتحة مستطيلة عرضها ٧١سم وارتفاعها ١,٨٢م يحيط بها إطار من الزخارف الجصية ومسدودة بزخارف هندسية برونزية (لوحة ١٠٥ء)، وتفتح على جذع رأسى مستطيل يقع قاعه بحذى قاع حافة الفتحة؛ وترتفع قاع حافة الفتحة عن الأرضية بمسافة ٤,٢٥م. والجذع الذى تبلغ مساحته حوالى نصف متر مربع يستمر الى أعلى بسمك الجدار الى أن يصل الى مستوى السقف. وعند هذه النقطة، من المرجح أن كان هناك غطاء منحدر يشبه الباب المسحور، وهو مسدود على جانبيه لكنه مفتوح باتجاه الشمال وهو اتجاه الريح، اذ يبدو واضحا من المنشآت المماثلة التى لاتزال مستخدمة -ومنها قصر المسافرخانة (أواخر القرن الثامن عشر)- أن هذا الجذع كان يعمل كملقف تدخل منه نسمات الشمال الى داخل الحرم. وهو ما يعد أقدم نموذج من نوعه فى القاهرة؛ وهناك جذوع مماثلة فى الايوانات الشمالية الغربية بالمدرسة الكاملية (٦٢٢هـ /١٢٢٥م) وبمدرسة الناصر محمد التى اكتمل بناؤها فى سنة ٧٠٣ (١٣٠٣م)، وخانقاة بيبرس الجاشنكير (٦-٧٠٩هـ /٦-١٣١٠م). وفى الصور الفوتوغرافية القديمة والتى تم التقاطها للقاهرة من القلعة، يمكن رؤية المئات من هذه الملاقف. وفى العراق، يسمى هذا الأسلوب «باجير».

النوافذ

هناك بجدار القبلة سبع نوافذ معقودة. وتختلف النافذة الوسطى التى تأتى فوق المحراب مباشرة عن بقية النوافذ، اذ وضعت على ثلاثة جوانب فى إطار مستطيل من الزخارف الجصية المكونة من أشرطة كوفية، والكوشات محشوة بالأرابسك (لوحة ١٠٨أ). وتضم النوافذ الأخرى حواشى كوفية أيضا، إلا أنها تتبع الشكل المعقود للنافذة. وترتفع الحواف السفلية لهذه الحواشى عن الأرضية بمسافة ٥.٣٦م. والنافذة التى تقع فى أقصى اليمين صماء وتحتل مكان الزخارف الهندسية فيها سبعة أسطر من النقش الذى يتميز بأن بعض الحروف فيه دونت بالنسخ (لوحة ١٠٨ جـ)، وهى خاصية نجدها من حين لآخر فى المنسوجات الفاطمية المتأخرة.

أما بالنسبة للزخارف الهندسية للنافذة (لوحة ١٠٠أ) والتى سبق ذكرها والمحفوظة بالمتحف العربي، فيشير مارسيه (Marçais, *Art musulman d'Algérie*, pls. VI-X) الى أن مراوحها النخيلية وكذلك مراوحها المجدولة مع الحواشى الكوفية فى أماكن أخرى من الجامع (شكل ١٧١) تحمل شبها وثيقا بمراوح الحشوات الجصية بمحراب جامع تلمسان الكبير الذى اكتمل بناؤه فى جمادى الأخرى ٥٣٠هـ (مارس ١١٣٦م). وسيلاحظ أن زخارف النوافذ الهندسية الأصلية رغم استبدال زخارف أحدث منها بها (لوحات ١٠٥ء، ١٠٨أ، ب) إلا أنها جميعا احتفظت بحواشيها من المراوح النخيلية بجوار إطارها الكوفى الخارجي، وأن هذه المراوح النخيلية تشبه نظيرتها بالنافذة التى ذكرناها لتونا. لدينا هنا إذن مثال آخر من التأثير الشمال أفريقى فى ظل الحكم الفاطمى.

كان الحرم فيما مضى معزولا عن الصحن بمقصورة رائعة من خشب الخرط ارتفاعه ٢,٧٠م (شكل ١٧٠) يقول عنه بريس دافين (١٨٧٧): «... من الخشب المحفور والملفوف بأسلوب غاية فى الإتقان، وتم إلحاقه بأعمدة الواجهة بحيث يتمم المقصورة» (أى الحرم). ولا نجد لهذا الفاصل أى ذكر لدى أى كاتب لاحق، ولايمكن تحديد ماجرى له. ومن الواضح أن المقصورة التى تغلق السقيفة ذات البائكات الخمس خارج المدخل الشمالى الغربى منسوخة عن الرسم التخطيطى الجميل لبريس دافين، أما السبب فى وضعها فى مكانها الحالى فيعرفه المرحوم محمود أحمد الذى وضعها فى هذا الموضع.

تاريخ بناء الجامع

لا نجد لدى المقريزى ذكرا عن تاريخ بناء هذا الأثر. ونجده على الشريط الأسفل من النقش والذى كان الجزء الأعظم منه محتجبا فى عصر ڤان برشم، لكنه تم الكشف عنه تماما بعد إزالة المبانى الطفيلية التى كانت تحجب الواجهة كلها (أما الشريط العلوى فكله من الآيات القرآنية). وهو باسم طلائع الفائزى وينص على انه «أمر بإنشاء هذا المسجد ... فى شهور سنة **٥٥٥هـ**»(٣٩٤) (**١١٦٠م**)، والتاريخ على الطرف الأيمن من الواجهة الشمالية الشرقية.

تأثيره على الجوامع اللاحقة

ان أهم ابتكار فى هذا الجامع هو واجهته ذات **الحشوات التى تضم كل حشوة منها نافذة**. وقد طبق هذا النموذج فيما بعد فى واجهة مدرسة السلطان الصالح (٦٣٩-٦٤١هـ/ ١٢٤٢-١٢٤٤م)، وفى ضريحه (٤٩-١٢٥٠م) وفى مدرسة السلطان بيبرس التى بنيت ملاصقة للضريح الأخير فى الأعوام ٦٠-٦٦٢ هـ (٦٢-١٢٦٣)، ثم عم استخدامه بعد ذلك.

ملحوظة

بإزالة مزيد من البيوت على الضلع الشمالي الشرقي، وجد أن جدار الجامع كان يمتد الى مسافة غير معلومة. وعلى مستوى الأرضية القديمة، كان هناك مجاز باب مستطيل عرضه حوالى ٢م وبه عتب ذو صنجات معشقة؛ وكانت عضادته اليمنى قريبة من ركن الجامع (شكل ١٧٢). والى يساره ولكن على مستوى أعلى نجد مايبدو أنه كان نافذة يغطيها عارض وعقد عاتق بحاشية كوفية وبقايا أرابسك فى طبلته. وعلى مستوى أعلى كان هناك شريط من النقش الكوفى يبدأ الجزء المتبقى منه بحذى ركن الجامع ويمتد الى النقطة التى ينتهى عندها الجدار بحافة مكسورة. والحافة السفلية من هذا النقش تقع فى صف فوق عتب النافذة بالرواق الثانى فى الحرم. نستنتج من ذلك أن هناك مبنى **(مجهول الغرض) كان ملحقا بالجامع**(٣٩٥).

1256-74 IBN KHALLIKAN, Wafayat al-Ayan, I, p. 339, i. 5; de Slane's transl., I, p. 660 .
1412 QALQASHANDI, III, p. 366; Eüstenfeld's transl., p. 79 .
1824 MAQRIZI, Khitat, II, p. 293 .
1441 MAQRIZI, Sulük, Ziada's ed., I, p. 944; Quatremère's transl., Sultans Mamlouks, II_2, p. 216 .
1458 ABU' L-MAHASIN , Popper's ed., VII, p. 115, II. 6-7 .
d.1497 As-SAKHAWI, ad-Dau al-Lami, (Cairo, 1355 H.), X, p. 274 .
1520 HASAN AT-TÜIÜNI, in at-Tuhiya (Constantinople, 1310 H.), P. 135, II. 9-11 .
1522 IBN IYAS, Ta'rikh, 1, p. 146, 11. 5-10; 11, p. 177, 11. 10-21 .
1811 Description de l'Égypte, État moderne, 11_2, p. 668; Panckoucke's ed., XVIII., p. 310 .
1869 MEHREN (A. F.), Tablau général des monuments religieux du Caire. Mélanges Asiatigues, VI, p. 309 .
------ MEHREN (A. E.), Câhirah og Kcrâtat, II, p. 21.
1877 PRISSE D'AVENNES, L'Art arabe, Texte, pp. 99-101, 269 , 271 and fig. 12; Atlas, pls. V. XC-XCII, and XCV.
1883 VAUJANY (H. de), Le Caire, pp. 202-3 .
1887 ADAMY (R.), Architektonik des muhammedanuschen und romanischen Srils, pp. 21-2 and 42, and Fig. 1 .
1888 ALI PASHA MUBARAK, al-KHitat al-Gadida, V, p. 38 .
1891 BERCHEM (M. van), Notes d'archéologie arabe. Journal Asiatiqaq, 8[me] sér., t. XVIII, pp. 60=86; XIX, p. 398 .
1893 RIECL (A.), Stilfragenm p. 331 and Fig. 186 .
1894 BENCHEN (M. van), Corppus Inscripticnum Arabicarum, 1 -- Égypte, (pp. 73-9 and pl. XXIII.
1895 HERZ (Max), Cataloguc ... Musée nat. de l'art arabe, pp. xxix-xxx 42, and 181 and pl. IX; 2[me] éd., pp. xxxix, xlvii, 59, 83, 120, 177-3, and 179-80 .
1899 WORSFOLD (W. B.), The Redemption of Egypt, pp. 122-3 , with I plate and I illus .
1903 FRANZ (Julius), Kairo, pp. 31-5, with 2 illus .
1904 BORRMANN (Richard), Geschichte der Baukunst, I, pp. 333-4 .
1907 MARGOUCUTH (D. S.), Cairo, Jerusalem & Damascus, p. 47 .
1907 SALADIN (H.), Manuel d'Art musulman, L--L'Architecture, pp. 99-100 and figs, 57-8 .
1909 FAGO (V.), Artc araba, p. 95 .
------ KUHN (P. A.), Geschichte der Baukunst, Fig. 605 .
1910 RHONÉ (Arthur), L'Égypte àpetites journées (2[me] éd.), pp. 430-32, with 2 illus .
1912 TYNDALE (W.), An Artist in Egypt, pp. 105-7 , with I Coloured plate .
1915 DIEZ (E.), Die Hunst der islamischen Völker, p. 57 .
1919 CRESWELL (K. A. C.), Brief Chronology. B. I. E. A. O., XVI, p. 66 .
1920 WOERMANN (K.), Geschichte der Kunst (2[te] Aufl.), II, p. 392 .
1921 DEVONSHIRE (Mrs. .), Some Cairo Mosques, pp. 6-10, with 3 plates .
1922 PATRICOLO (A.), in the Comité de Conseruation, C. R. des Exercices, 1915-1919, pp. 40-42 and pls. XXIII-XXVIII.

1923 TARCHI (Ugo), L'Architettura e l'arte musulmana, tav. 35 .
1924 BRICGS (M. S.), Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine, pp.75 and 122 and Fig. 40 .
`926 DEVONSHIRE (Mrs. R. L.), L'Égypte musulmane, pp. 45-6 and pl. x .
------ RICHNOND (E. T.), Moslem Architecture, pp. 102-3 and fig. 15 .
1930 DIEZ (E.) art. Masdjid, in the Encyclopaedia of Islam, III, p. 382 .
1931 PAUTY (E.), Le plan de la Mosquée d'as-Sâlih Talâyi . Bull. de la soc. Royale de Géographie d'Égypte, XVII, pp. 277-92, with I plan and 10 plates .
------ PAUTY (E.), La défense de l'ancienne ville du Caire . B. I. F. A. O., CCCI, p. 159 and pl. IVa .
1932 PAUTY (E.), L'Évolution du dispositif en T dans les mosquées à portiques Bailetin d'Études otentales, II, pp. 112-13 and fig. 14 .
------ PAUTY (E.), Les bois sculptés jusqu' à l'époque ayyoubide, pp. 69-70, and 74-5, and pls. LXXXIX - XCII and XCV - XCVI .
------ HAUTEŒUR (L.), and G. WIET, Les Mosquées du Caire, p. 241 and pls. III, 42, and 45-6 .
1935 MARÇAIS (G.), Les Échanges artistiques entre l'Égypte et ies pays musulman occidentaux. Hespéris, XIX, p. 101 and fig. 4 .
1936 LAMM (C. J.), Fatimid Woodwork, its style and chronology B. I. É., XVIII, pp. 86-7 .
------ MAHNÜD AHMAD , Proijet pour le complément de la Mosquée d'As-Salis Talayi. Comité de Consruation, Exercices 1930-1932, pp. 107-19. See also pp. 96-8 .
1937 WLET (G.), Répertoire chronologique d'Épgraphie arabe, IX, pp. 20-21, and XIII, pp. 190-91 .
1939 MAHNÜD AHMAD, Conciese Guide to the Principal Arabic Monuments in Cairo, pp. 75-7 and Figs. 12-13 .
1942 MUNAMMAD ABD AL-AZIZ, Masagid al-Qabira qabl asr al-Mamalik, pp. 96-104, with I fig and 2 plates.
1947 MARÇALS (G.), L'Art de l'Islam, p. 71 .

الخاتمــة

كان العصر الفاطمى زاخراً بالفنون والعمارة، إلا أنه تميز بدرجة خاصة فى مجال الزخرفة، فلا نجد قبابا عظيمة أو أقبية رائعة بنيت فيه. فيكمن ازدهاره فى زخارفه المبهرة بوضوحها وتنوع تصميماتها. وتتكون هذه الزخارف من كتابات زخرفية وأرابسك من نوعيات رفيعة المستوي، مشغولة أحيانا داخل إطار زخرفى وأحيانا بدون إطار. وكانت الزخرفة الهندسية فى ذلك العصر تلعب دورا ثانويا، فنمط النجمة المتداخلة الشائع الذى كان يحوى فيما بعد عشرة ذيول أو اثنى عشر أو ستة عشر أحيانا، لا نجده إلا فى أبسط أشكاله، وهو النجمة الثمانية. وعلى خلاف العصر الطولونى الذى سادت فيه تأثيرات ما بين النهرين، يتميز العصر الفاطمى بشيوع التأثيرات الواردة من شمال أفريقيا ثم من الشام؛ أما الفكرة القديمة التى تعزى الى سوء فهم تاريخى وترى أن العمارة الفاطمية كانت واقعة تحت تأثير العمارة الفارسية لدرجة بعيدة فتناقض الحقائق المشهودة ويجب دحضها.

عمارة المساجد

استمرت عمارة المساجد فى التطور، فاتخذت مداخل ذات ثلاثة محاور ولأول مرة فى مصر، واتخذت كذلك قبة أمام المحراب ومجازا يمتد من الصحن الى المحراب مباشرة. كما تظهر القباب فى ركنى الحرم الخلفيين (الأزهر والحاكم)، وهى سمة لا نراها فى مصر بعد ذلك. وهناك سمة أشد ندرة اقتبست عن مسجد المهدية الجامع، وهى المآذن التى توضع بحيث تشكل نتوءات على ركنى الجامع الأماميين. وهى سمة لم تستخدم بعد ذلك أيضا. وفى أواخر العصر تظهر قبة أمام المجاز [قبة البهو]. ومن السمات الأخرى لهذا العصر زيادة استخدام الحجر وهى سمة سادت فى العصر الأيوبى.

عمارة الضريح

كما شهد هذا العصر تطور عمارة الضريح من المقبرة الكانوبية [ذات السقيفة] ذات الجوانب المفتوحة الى الضريح ذى الثلاثة جوانب المفتوحة وبمحراب فى جدار القبلة، وأخيرا الى المكعب ذو القبة على الأضلاع الأربعة جميعا وبباب أمام المحراب.

ويبدو أن عمارة هذا العصر فى أسوان ومصرالعليا تطورت مستقلة عن عمارة العاصمة فى عدة نواحٍ:

١ . فيما يتعلق بالمآذن، لاتزال هناك خمس منها باقية بين إسنا والشلال، وتنتمى الى نمط متميز وترجع كلها الى أواخر القرن الحادى عشر؛

٢ . من الواضح أن هذه المنطقة استخدمت القبة المضلعة قبل القاهرة؛

٣ . كانت القباب تقام على رقاب مثمنة بأضلاع مقعرة و«قرون»؛

٤ . تطور نمط غريب من مناطق الانتقال لا وجود له فى أى مكان آخر.

كما ظهر عدد من الأنماط الجديدة من المبانى:

١ . الزاوية أو المشهد وبه ثلاثة أقسام الأوسط منها تعلوه قبة وهناك ثلاثة نماذج منها بنيت جميعا فى فترة خمسين سنة، ومنها الجيوشى و المشهد بأسوان و خضرة الشريفة. ومن المحتمل أن مشهد السيدة رقية ينتمى الى هذه المجموعة، إلا أن جزءا منه يعد مفقودا للأسف.

٢ . كانت الدواخل تبنى منحرفة بحيث تواجه القبلة بينما تتوافق الواجهة مع خط الشارع [خط تنظم الطريق] . ويظهر هذا التخطيط الغريب الذى تتميز به مصر لأول مرة في جامع الأقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م) ولو أنه يقتصر فى القرون التالية على عمارة المدرسة.

٣. المشاهد التي تضم مربعا ذو قبة مركزية ومجازاً مسقوفا من ثلاثة جوانب ، كالشبيه والقاسم أبو الطيب وأم كلثوم. ولايظهر هذا النمط بعد العصر الفاطمي.

٤ . المباني المسقوفة بتسع قباب (٣ × ٣) ولدينا مثالان لها –مشهد الشريف طباطبا[لا ينتمى للعصر الفاطمى] وضريح السبعة وسبعين وليا بأسوان– وبست قباب (٣ × ٢) –المشهد القبلى بالشلال.

٥. القاعة ذات الايوانين المتقابلين وبينهما مساحة مربعة يغطيها منور. ويعد هذا النمط الذى يختلف تمام الاختلاف عما نجده في بيوت الفسطاط الأصل الذى تولد عنه نمط المدرسة ذات الايوانين.

غياب التأثير الفارسى

من النتائج المهمة التي توصلت اليها هذه الدراسة عن العصر الفاطمى إثبات غياب التأثير الفارسى الذى أكد الكثير من الكتاب على سيطرته على العصر الفاطمي. ورأينا أن الدلاية المقرنصة المصرية تطورت بطريقة تختلف تماما عن نظيرتها الفارسية، وأن تكوين المحاريب الفاطمية يختلف تماما أيضا باستثناء محراب الأفضل بجامع ابن طولون والذى يمكن وصفه بأنه المحراب الوحيد الذى يُظهر تأثيرا فارسيا فى مصر.

التأثير الشمال أفريقى

وهو تأثير أكثر وضوحا وهو المتوقع تحت حكم أسرة جاءت من المهدية وأيضا بسبب أن قوافل حجاج شمال أفريقيا كانت تعبر مصر فى طريقها الى الحجاز (فى حين أن القوافل الشامية والفارسية لا تمر بها) . وفى القرن الثانى عشر، رآهم ابن جبير وقد عسكروا بجامع ابن طولون المهجور. والنماذج الرئيسة للتأثير الشمال أفريقى هي:

أ. المدخل التذكاري.

ب. المآذن التى أقيمت بحيث تشكل نتوءات على أطراف الواجهة الرئيسية.

جـ. القباب المضلعة من الخارج والداخل.

د. الرقاب المثمنة بأضلاع مقعرة.

هـ جوسق مقبب وضع أمام مدخل الحرم [مقدم الجامع] .

و. سقيفة خارجية أمام الحرم مفتوحة تماما على الصحن.

ز. افاريز نقشية منحنية الى الأمام (كحلية ربع دائرية) وذلك بغية إبراز الصورة للعين [أى عين الرائي] .

حـ. طواقى محارية بحزوز مستديرة بالتعاقب وعلى شكل حرف V فى مقطعها (أم كلثوم) .

التأثير الشامى

يعد المثال البارز على التأثير الشامى هو العمارة العسكرية لبدر الجمالى الذى استعان بثلاثة من المعماريين الأرمن الفارين من السلاجقة الأتراك بعد أن استولوا على مدينتهم الرها فى سنة ١٠٨٦ ، فى بناء البوابات

الثلاث الرائعة التي سبق وصفها، والسور المتصل بها. وتعتبر كل سمات هذه الحصون شامية شمالية فيما عدا الزخارف الموجودة على كوابيل باب الفتوح وألواح السقف فيما بينها، والجامات الأرابسك على قمة الحشوات الموجودة على برجي باب زويلة، والجامة الموجودة على الصنجة المفتاحية الخاصة بقبو المنظرة فوق قنطرة العقد الكبير.

ويمكن الاستشهاد بمثالين آخرين على التأثير الشامي:

(أ) المداخل المحورية الثلاثة لجامعي الحاكم والصالح طلائع (كما رأينا أن الجامع الأزهر ربما لم تكن له ثلاثة مداخل محورية الا عند تأسيسه)؛

(ب) الحليات المستمرة على واجهة جامع الأقمر.

الدلاية المقرنصة

يمكن أن نلاحظ خلال هذه الفترة أولى خطوات تطور ما يعرف باسم «الدلاية المقرنصة» والتي اتخذت على نسق يختلف تماما عن النمط المستخدم بفارس والعراق والشام.

قائمة بالآثار التى ورد وصفها بهذا المجلد

(تشير الأرقام بين الأقواس الى الترقيم على الخرائط المرفقة بهذا المجلد)

المهدية

الجدران والميناء، ٣٠٥هـ/٩١٧م.

المسجد الجامع، ٣٠٨هـ/٩٢١م.

القاهرة

مشهد الشريف طباطبا، ٣٣٤هـ/٩٤٣م. (٥٦٣)

المحراب العتيق المجاور لضريح يحيى الشبيه، ٩٥٠م.

القصر الفاطمى الكبير أو الشرقي، ٣٥٨-٣٦١هـ/٩٦٩-٩٧٢م.

الجامع الأزهر، ٣٥٩-٣٦١هـ/٩٧٠-٩٧٢م. (٩٧)

جامع الحاكم، ٣٨٠-٤٠٣هـ/٩٩٠-١٠١٣م. (١٥)

الفسطاط

السبع بنات ٤٠٠هـ/١٠١٠م.

القاهرة

جامع لؤلؤة ٤٠٦هـ/١٠١٥م. (515)

المدخل المؤدى الى زيادة جامع الحاكم، ١١-٤٢٧هـ/٢١-١٠٣٦م. (٤٧٧)

الفسطاط

بيوت القرن الحادى عشر

القاهرة :

الأبواب المحفورة من القصر الفاطمى الصغير أو الغربي، ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

اسوان

أضرحة القرن الحادى عشر

إسنا

مئذنة ٤٧٤هـ/٨١-١٠٨٢م.

الشلال

مئذنة المشهد البحرى ٤٦٩ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٨١م

مئذنة المشهد القبلى ٤٦٩ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٨١م

أسوان

مئذنة ٤٦٩ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٨١م

الأقصر

مئذنة أبي الحجاج ٤٦٩ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٨١م

القاهرة

مئذنة الجيوشى(٣٠٤)، ٤٧٨هـ/١٠٨٥م.

باب النصر (٧) ٤٨٠ـ٤٨٥هـ/ ١٠٨٧ ـ ١٠٩٢م

باب الفتوح (٦) ٤٨٠ـ٤٨٥هـ/ ١٠٨٧ ـ ١٠٩٢م

سور بدر (٣٥٢) ٤٨٠ـ٤٨٥هـ/ ١٠٨٧ ـ ١٠٩٢م

باب زويلة (١٩٩) ٤٨٠ـ٤٨٥هـ/ ١٠٨٧ ـ ١٠٩٢م

جامع المقياس، ٤٨٥هـ/١٠٩٢م.

محراب الأفضل بجامع ابن طولون٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

أسوان

المشهد ١١٠٠-١٠١٠م.

القاهرة

خضرة الشريفة (مسجد الشريفة)، ٥٠١هـ/١١٠٧م ـ ١١٠٨م.

الضريح العتيق أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير(٤٧٩)، ١١٠٠م.

ضريحا محمد الجعفرى والسيدة عاتكة(٣٣٣)، ١١٠٠-١١٢٠م.

ضريح الشيخ يونس(٥١١) بعد ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

ضريح اخوة يوسف(٣٠١) ١١٠٠-١١٢٥م.

قوص

الضريح الفاطمى ١١٢٠ -١١٣٠م.

القاهرة

مشهد أم كلثوم(٥١٦) ٥١٦هـ/١١٢٢م.

جامع الأقمر(٣٣) ٥١٩هـ/١١٢٥م.

مشهد السيدة رقية (٢٧٣) ٥٢٧هـ/١١٣٣م.

الجامع الأزهر، قبة فى النهاية الشمالية للمجاز القاطع، ٢٤-٥٤٤هـ/٣٠-١١٤٩م.

الأعمال الخشبية المحفورة من ضريح السيدة نفيسة، ٥٣٢هـ/١١٣٨م.

ضريح محمد الحصواتى(٣١٥) ١١٢٥-١١٥٠م.

قاعة الدردير(٤٦٦) النصف الأول من القرن الثانى عشر

ضريح [مشهد] يحيى الشبيه(٢٨٥) ١١٥٠م.
ضريح [مشهد] القاسم أبو الطيب (٢٨٤)
الباب الأخضر (بقايا مشهد سيدنا الحسين)(٢٨)، ٥٤٩هـ/١١٥٤ـ ١١٥٥م.
مئذنة أبى الغضنفر (٣) ٥٥٢هـ/١١٥٧م.
جامع الصالح طلائع(١١٦) ٥٥٥هـ/١١٦٠م.

التعليقات

(أ. د.محمد حمزة الحداد)

(١) صدر هذا الكتاب فى مجلدين : الأول فى عام ١٩٣٢م والثانى فى عام ١٩٤٠م عن مطبعة كلارندن بأكسفورد ، وهو أهم مرجع لدراسة العمارة الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، حيث يتناول العمائر الباقية من العصر الأموى والعصر العباسى المبكر والعهد الطولونى ، ومن تلك العمائر الباقية فى مصر كل من جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق) بمصر القديمة ، ومقياس النيل بجزيرة الروضة وجامع أحمد بن طولون ، ومما له دلالته فى هذا الصدد أن كريزول كان قد قام بنشر دراسته الأولى عن جامع عمرو بن العاص فى مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة (المجلد ٣٢ ـ ١٩٣١م ـ ص١٢١ ـ ١٦٦) وضمنها مشروعه الأول لتخطيط الجامع ؛ ثم عدل عنه وضمن المجلد الثانى من كتابه المشار إليه مشروعه الثانى لتخطيط الجامع .

(٢) حكمت الدولة الاخشيدية مصر نحو ٣٤ عامًا من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى أو على وجه التحديد بين عامى ٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ ـ ٩٦٩م ؛ وأهم مرجع لدراسة هذه الفترة هو كتاب الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف الموسوم بـ « مصر فى عصر الاخشيديين » الذى طبع لأول مرة فى عام ١٩٥٠م ثم أعيد طبعه ثانية فى عام ١٩٧٠م ، ثم طبع ثالثة فى سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م .

(٣) إن التاريخ الصحيح المضبوط للعصر الفاطمى فى مصر يبدأ يوم الثلاثاء ١٧ شعبان ٣٥٨هـ / يوليو ٩٦٩م واستمر منذ ذلك الحين حتى قطعت الخطبة للخليفة العاضد فى ٧ محرم ٥٦٧هـ/ ١٠ سبتمبر ١١٧١م ، ثم لم يلبث أن توفى العاضد فى ليلة عاشوراء ٥٦٧هـ/ ١٢ سبتمبر ١١٧١م ، وبذلك يكون العصر الفاطمى قد بلغ فى مصر نحو ٢٠٩ عاما هجريا ويقابلها ٢٠٢ عاما ميلاديا .

(٤) مملوك أرمنى من أصل مسيحى فى أغلب الظن ، كان مملوكا لجمال الدولة بن عمار فعرف لذلك ببدر الجمالى ، ولى دمشق وعكا ثم استقدمه الخليفة المستنصر (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) لاصلاح حال البلاد فدخلها فى عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م وكان بحق منقذاً للدولة الفاطمية وانفرد بالسلطة ؛ وبذلك بدأ عصر جديد فى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر ؛ وهو عصر نفوذ الوزراء ، وكانت وفاته فى جمادى الأولى ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م .

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، مج٢ ، ص٤٤٨ ـ ٤٥٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية فى مصر، تفسير جديد ، ط٢ ، (القاهرة ٢٠٠٠م) ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٩ .

(٥) ينحصر تاريخ الحملة الصليبية الأولى بين عامى ١٠٩٥ ـ ١٠٩٩م (٤٨٨ ـ ٤٩٣هـ) . انظر : ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ١ ، الحرب الأولى وقيام مملكة بيت المقدس ـ ترجمة السيد الباز العرينى ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م ؛ فوشيه الشارترى ، الوجود الصليبى فى الشرق العربى ، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم، الكويت ١٩٩٣م؛ علية الجنزورى ، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥٣، القاهرة ١٩٩٩م ، ص ص ٢٥٥ ـ ٢٦٤ .

(٦) حكمت الدولة الطولونية مصر فيما بين عامى ٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ـ٩٠٥م ، وأهم مرجع لدراسة هذه الفترة كتاب الدكتور زكى محمد حسن الموسوم بـ « الطولونيون » (بالفرنسية) الذى صدر فى باريس فى عام ١٩٣٣ (ولم يترجم بعد) وانظر أيضاً ، حسن أحمد محمود ، حضارة مصر الإسلامية : العصر الطولونى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ط٢ . د. ت ؛ محمود رزق محمود ، المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة (١٩٨٥م) . أما العمائر الباقية من هذا العصر وأهمها الجامع الطولونى وقناطر بن طولون بالبساتين فقد تناولتها العديد من الدراسات لكل من كوربت وكريزول ومحمود عكوش وزكى محمد حسن وحسن عبد الوهاب ومحمد عبد العزيز مرزوق وفريد شافعى وأحمد فكرى وحسن الباشا وسعاد ماهر محمد ومصطفى عبد الله شيحة وأحمد عبد الرازق أحمد وعبد القادر الريحاوى ومحمد حمزة الحداد وغيرهم .

(٧) من المعروف أن سقوط الدولة الطولونية كان على يدى القائد العباسى محمد بن سليمان الكاتب الذى بعثه الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٠٨م) لأداء هذه المهمة التى نجح فيها وكتب إلى الخليفة يبشره بفتح مصر ؛ وقد إختلف المؤرخون حول ولايته على مصر بعد أن أعادها إلى حظيرة الدولة العباسية من جديد فمنهم من لا يعده من الولاة بل يذكره بوصفه القائد العسكرى الذى أسقط الدولة الطولونية وأن الخليفة المكتفى بالله لم يوله عليها عندما بشره بفتحها وولى عليها عيسى النوشرى ولكن هناك من المؤرخين كالمقريزى وابن تغرى بردى ، من عده واليا عليها بحكم الفترة القصيرة التى صرف فيها أمورها حتى خرج منها فى مستهل رجب ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م ؛ ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فقد تولى حكم مصر منذ هذه الفترة ـ أى عقب خروج محمد بن سليمان فى التاريخ المذكور ـ وحتى أواخر رمضان ٣٢٣هـ/ أغسطس ٩٣٥م عدة ولاة ومنهم عيسى النوشرى ثم تكين ثم ذكا الرومى أو الأعور ثم تكين للمرة الثانية ثم أبو قابوس محمود بن حمل فى قول أو محمد بن حمك فى قول آخر ثم هلال بن بدر ثم أحمد بن كيغلغ ثم تكين للمرة الثالثة ثم محمد بن طغج بن جف للمرة الأولى لمدة شهر عام ٣٢١هـ/٩٣٣م ثم أحمد بن كيغلغ للمرة الثانية لتسع خلون من شوال ٣٢١هـ/ ٩٣٣م ، ثم محمد بن طغج للمرة الثانية ودخل الفسطاط لست بقين من رمضان ٣٢٣هـ/ أغسطس ٩٣٥م ومنذ ذلك الحين بدأ العصر الأخشيدى فى مصر .

الكندى ، الولاة ، ص ، المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٢٧ ـ ٣٢٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم، جـ٣ ، ص ، سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ص ١٧ ـ ٣٦ ، ٦٩ ـ ٧٥ ؛ محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط٢ ، القاهرة (١٩٩٥م) ، ص٤٩ ـ ٥٢ .

(٨) حكمت دولة الأغالبة أفريقية (تونس) فيما بين عامى ١٨٤ ـ ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م ؛ وكان لهذه الدولة أثر كبير فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ولا تزال آثارها الباقية فى تونس خير شاهد على ذلك .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، ط٢ ، د . ت ، ص ص ٢٨٦ ـ ٣٧٥ ؛ محمود إسماعيل ، الأغالبة ، القاهرة ، ط٣ (٢٠٠٠م) .

Talbi, M., L'Emirat Aghlabide 184 - 296/ 800 - 909, Histoire Politique , Paris, 1966.

(هذا وقد ترجم هذا الكتاب : المنجى الصيادى ، بيروت ١٩٨٥ ؛

Lezine, A., Architecture De L'ifriqiya, Recherches sur les Monuments Aghlabides, Libraire C. Klincksieck, (1966) .

(٩) اعتمد كريزويل فى دراسته حول نسب الفاطميين حتى قيام دولتهم فى افريقية (تونس) بخلافة عبد الله المهدى ٢٩٧هـ/ ٩١٠م على بعض المصادر التاريخية وبعض دراسات المستشرقين الأوائل مثل وستنفلد ودى خويه وبيكر ورايتماير وكاترمير ؛ وإذا كانت هذه الدراسات من الدراسات المعروفة والمتداولة وقت إعداد كريزول لهذا المجلد من كتابه ؛ إلا أنه أهمل أو أغفل بعض الدراسات الأخرى المعروفة والمنشورة فى نفس هذه الفترة ، وحسبنا أن نشير إلى كل من : دراسات برنارد لويس حول أصول الإسماعيلية (كمبردج ـ ١٩٤٠م) وفلاديمير ايفانوف عن ظهور الفاطميين لندن ـ كلكتا (١٩٤٢م) ؛ والمؤسس المزعوم (يقصد ميمون القداح) للإسماعيلية » بومبى ١٩٤٦م فضلا عن أنه قام بنشر رسالة النيسابورى المسماه « استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة فى الجزائر لطلبه » فى مقاله « مذكرات فى حركة المهدى الفاطمى » مجلة كلية الآداب ـ الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) ، المجلد ٤ (١٩٣٦م) ، ص ص ٩٣ ـ ١٠٧ ، وفى نفس هذا المجلد قام بنشر وتحقيق « سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سَلَمْية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقّاده » لمحمد بن محمد اليمانى ، ص ص ١٠٧ ـ ١٣٣ ؛ وكذلك دراسة الدكتور حسن إبراهيم حسن الموسومة بـ«الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص » ، القاهرة (١٩٣٢م) ، وكتابه هو (أى حسن إبراهيم حسن) وطه أحمد شرف عن «عبيد الله المهدى» القاهرة ١٩٤٧م .

وكان هذا الأخير ـ أى طه شرف ـ قد حصل على الدكتوراه فى موضوع « تاريخ الإسماعيلية السياسى حتى سقوط بغداد » ، ودراسات الدكتور محمد كامل حسين ومنها « المجالس المستنصرية للداعى ثقة الإمام » القاهرة (١٩٤٧م)، ورسالة الرشد والهداية لابن حوشب منصور اليمن فى مجلة Collectanea، المجلد الأول (١٩٤٧م) ، و « سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، القاهرة (١٩٤٩م) وغير ذلك .

أما الدراسات التى أعقبت صدور المجلد الأول من كتاب كريزول ـ وهو المجلد الذى بين أيدينا ـ عام ١٩٥٢م فقد بلغت من الكثرة الحد الذى يصعب معه ذكرها فى هذه العجالة ، وحسبنا أن نحيل القارئ إلى تلك الدراسة القيمة للدكتور أيمن فؤاد سيد حول « مصادر التاريخ الفاطمى والوضع الراهن للدراسات الفاطمية» والتى مهد بها لدراسته عن الدولة الفاطمية (ص ص ٢٩ ـ ٩٢) ، وكان أيمن فؤاد قد بدأ منذ أواخر السبعينات من القرن ٢٠م المنصرم فى نشر مصادر جديدة للتاريخ الفاطمى وإعادة نشر مصادر أخرى إعتماداً على مخطوطات كشفت حديثا أو مقابلتها على معلومات جديدة وصلت إلينا (مثل المسبحى وابن الصيرفى وابن المأمون وابن الطوير وابن ميسر وابن عبد الظاهر والمقريزى) ، ومنها

«أضواء جديدة على بعض مصادر التاريخ الفاطمى فى مصر (بالفرنسية)، مجلة حوليات إسلامية ـ المجلد ٣٣ ـ القاهرة (١٩٧٧م) ، ص ص ١ ـ ٤١ ؛ و « دراسات نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين فى مصر » ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداه إلى محمود محمد شاكر ، القاهرة (١٩٨٢م) ، ص ص ١٢٩ ـ ١٧٩ ؛ ولعله من الأهمية بمكان أن نضيف على ما أورده أيمن فؤاد سيد من مصادر ودراسات دراسات الدكتور عادل سالم العبد الجادر التى أطلق عليها اسم « سلسلة البحوث والدراسات الإسماعيلية » وصدر منها (حتى كتابة هذه الحاشية) مجلدان ، الأول عن : الإسماعيليون : الدعوة والدولة فى اليمن ، الكويت (٢٠٠٠م) ؛ والثانى عن : الإسماعيليون : كشف الأسرار ونقد الأفكار ، الكويت (٢٠٠٢م)، وفى هذا الكتاب عرض قيم لمصادر الدراسات الإسماعيلية قديمها وحديثها (ص ص ٢٣ ـ ١١٠) ، فضلا عن دراسة وتحليل لكتاب أبى القاسم البستى الموسوم بـ « من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم» ص ص ١١٣ ـ ٣٦٩ .

(١٠) إن أصل النسب الفاطمى كان ولا يزال من القضايا التاريخية المعقدة والشائكة التى لم يحسم القول فيها بعد بين المؤرخين القدامى والمحدثين على السواء ، فهناك فريق يؤيد صحة نسبهم ويؤكد على أنهم ينتمون حقا إلى آل البيت من نسل الحسين بن على بن أبى طالب والسيدة فاطمة الزهراء (رضى الله عنهم) ، وعلى النقيض من ذلك ينفى فريق آخر ذلك النسب بل ويؤكد على أنهم كانوا مجرد أدعياء مهرة إستتروا بالتشيع والإمامة ليكسبوا عطف المسلمين ويجذبوا المزيد من الأنصار والأتباع فى كل مكان من العالم الإسلامى .

ولما كان المقام لا يتسع لمناقشة الأدلة والقرائن والبراهين التى ساقها كل فريق لتأييد وجهة نظره ، ولذلك حسبنا أن نشير فقط إلى بعض الدراسات الحديثة التى تعرضت لمناقشة هذه القضية على ضوء ما ورد فى المصادر الشيعية والإسماعيلية المعروفة حتى الآن ؛ فضلا عن المصادر الأخرى مثل ابن النديم وابن تغرى بردى والصفدى وابن خلدون وابن عذارى والمقريزى وغيرهم .

ومن هذه الدراسات : أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٩٣ ـ ١٠٧ ؛ عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون : الدعوة والدولة فى اليمن ، ص١٥ ـ ٣٣ ؛ الإسماعيليون : كشف الأسرار ونقد الأفكار ، ص ٢٣ ـ ٦٥ ؛ التهامى نقره ، عبد الحليم عويس ، مقدمة تحقيق كتاب أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم لابن حماد ، القاهرة ، دار الصحوة ، (١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م) ، ص٧ ـ ٣٠ ؛ إبراهيم شعوط ، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، القاهرة (١٩٧٦م) ، ص ٣٤٨ ـ ٣٦٣ ؛ محمد عبد الله عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٨٣م) ، ص ٤٧ ـ ٧٥ ؛ سهيل زكار ، أخبار القرامطة فى الإحساء والشام والعراق واليمن ، الرياض (١٩٨٩م) ، ص ٥٣ ـ ٨١ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين فى شمال افريقية ومصر وبلاد الشام ، بيروت ، (٢٠٠١م) ص ٥٣ ـ ٦٢ ؛ سيمينوفا ، ل . أ ، تاريخ مصر الفاطمية ، ترجمة وتحقيق حسن بيومى، المشروع القومى للترجمة ، العدد ٢٥٣ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، (٢٠٠١م) ، ص ٢٩ ـ ٣١ .

ومن بين الدراسات الأجنبية حسبنا أن نشير إلى كل من :

Lewis, B., The Origins of Ismailism : Astudy of the Historical Background of the Fatimid Caliphate, Cambridge , (1940); Ivanow, W., Ismaili Tradition Concerning the rise of the Fatimids , London, (1942); The Alleged Founder of Ismailism . Bombay (1946); Hamdani, H. F., On the Genealogy of the Fatimid Caliphs, Cairo, (1958); Daftary, F., the Ismailis : Their History and Doctrines , Cambridge (1990) ; The Earliest Ismailis, Arabica , XXXVIII , (1991) , PP. 214 - 245 ., Ashort History of the Ismailis, Edinburgh (1998) .

(١١) نقش اسم ولقب أول الخلفاء الفاطميين بافريقية (تونس) على السكة بصيغة « الإمام عبد الله المهدى بالله أمير المؤمنين » وليس عبيد الله المهدى كما هو شائع ومعروف .

(١٢) هو محمد المنتظر بن الحسن العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم الذى ذهب فى غيبة حيث دخل سردابا فى سامراء عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م وأنه سوف يرجع ويظهر عندما يحين الوقت لأنه المهدى المنتظر الإمام الثانى عشر ولذلك تعرف هذه الفرقة الشيعية بالإمامية أو الاثنى عشرية .

الاربلى ، على بن عيسى بن أبى الفتح ، كشف الغمة فى معرفة الأئمة ، جـ٣ ، تحقيق جعفر السبحانى ، ط٢ ، بيروت ، (١٩٨٥م) ، ص١٩٦ ـ ١٩٧ ، ٢٢٦ ؛ زكار ، أخبار ، ص٥٧ ؛ سرور، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٢٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٩٤ ؛ ومما له دلالته أن بعض المصادر الإسماعيلية والسنية على السواء تكاد تجزم أن الإمام الحسن العسكرى ـ وهو الإمام الحادى عشر للإمامية أو الاثنى عشرية ـ توفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م دون أن ينجب ولداً يخلفه فى الإمامة .

عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون : الدعوة والدولة فى اليمن ، ص٢٧ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذه الفرقة انظر : أحمد محمود صبحى ، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، بيروت (١٩٩١م) ، هنرى كوربان ، الشيعة الاثنا عشرية ، ترجمة ذوقان قرقوط ، القاهرة، ط٢ (١٩٩٣م).

(١٣) الإمام السابع عند الإسماعيلية هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ؛ وقد اختلف فى تاريخ وفاته ففى قول أنه حوالى ١٧٩هـ/ ٧٩٦م وفى قول آخر أنه ١٩٣هـ/٨٠٨م ، ومن الملاحظ فى هذا المقام أن أتباع فرقة المباركية ـ وهى الفرقة التى إعترفت بإمامة محمد بن إسماعيل وإعتبرته صاحب الحق الشرعى فى خلافة إسماعيل وترى أن جعفر الصادق قد عينه بنفسه فى مكان أبيه بعد وفاته ـ قد إنقسمت إلى قسمين :

الأول : اعتقد بعدم وفاة محمد بن إسماعيل وأنه غاب واستتر عن عيون الأضداد وأن القيامة ستكون عند انتهاء تلك الغيبة وعلى ذلك فإن محمد بن إسماعيل فى نظرهم هو الإمام السابع والأخير ومن أتباع هذا الفريق القرامطة .

أما الفريق الثانى فقد اعترفوا بوفاة محمد بن إسماعيل وأن الإمامة فى ذريته ؛ وقد التزم الأئمة قبل ظهور عبد الله المهدى مبدأ التَّقيَّة فى دور الستر لحماية أنفسهم ؛ وهو الأمر الذى سبب ارباكا فى المصادر المختلفة ، بما فيها المصادر الإسماعيلية نفسها ، ولا سيما فيما يتعلق بأسماء الأئمة المستورين فى تلك الفترة حتى عن كبار دعاة الإسماعيلية .

أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٩٤ ـ ٩٨ ، ١٠٠ ؛ عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون ، الدعوة والدولة فى اليمن ، ص ص ١٩ ـ ٢٦ ؛

Daftary , A Major Schism in the Early Ismaili Movement , Studia Islamica , 77 , Paris , (1993), PP. 123 - 139 .

(١٤) تعد رواية أبو عبد الله محمد بن على بن رزام الطائى الكوفى ـ كان حيا قبل عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م ـ هى أقدم رواية عن قصة إنتماء الفاطميين إلى ميمون القداح ووصل بينه وبين القرامطة ، ورغم ضياع النص الأصلى لابن رزام إلا أنه لحسن الحظ حفظ فى النقولات المتأخرة وعلى الأخص عند ابن النديم والمقريزى ، كما أن رواية ابن رزام كانت مصدراً لأخى محسن المتوفى ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م كما صرح بذلك المقريزى ، ورغم ضياع النص الأصلى للشريف أخى محسن إلا أنه لحسن الحظ حفظ فى النقولات المتأخرة مثل النويرى وابن أيبك الدوادارى والمقريزى .

ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، ت نحو ٤١٢هـ/ ١٠٢١م ، الفهرست ، نشره رضا تجدد ، طهران (١٩٧١م) ، ص ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ؛ النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ٢٥ ، تحقيق محمد محمد الحينى وآخرون ، القاهرة (١٩٨٤م)، ص ص ١٨٩ ـ ٢٣٣ ، ٢٣٥ ـ ٢٤١ ، ٢٤٦ ـ ٣١١ ؛ ابن أيبك الدوادارى ، أبو بكر عبد الله ، ت بعد ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م ، الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية (وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر)، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة (١٩٦١م) ، ص٦ ـ ٢١ ؛ المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، جـ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة (١٩٦٧م) ، ص ٢٢ ـ ٢٩ .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، جـ١ ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٧م) ، ص ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ؛ المقفّى الكبير ، جـ٤ ، تحقيق محمد البعلاوى ، بيروت (١٩٩١م) ، ص ٥٤٤ ـ ٥٥١ ؛ كذلك قام سهيل زكار بدراسة وتحقيق كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك اليمانى ضمن كتابه الجامع لأخبار القرامطة السابق الإشارة إليه (ص ص ٣٤٩ ـ ٣٨٤) وفى هذا الكتاب مقاله فى أصل الدعوة وربطها بميمون القداح وعقبه من الفاطميين ص ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧ ؛ (ومما له دلالته أن هذا الكتاب الف فى زمن الخليفة المستنصر الفاطمى ٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦ ـ ١٠٩٤م) ، وهناك تحقيق آخر لهذا الكتاب لمحمد عثمان الخشت ، القاهرة (١٩٨٦م)، وتحقيق ثالث للأكوع) .

(١٥) اختلفت الآراء اختلافاً كبيراً حول حقيقة شخصية ميمون القداح ففى قول أنه كان فارسيا مجوسيا من الأهواز ثم لم يلبث أن تظاهر بالإسلام والتشيع والدعوة لآل البيت فقبض عليه وأودع سجن الكوفة فى أواخر عهد أبى جعفر المنصور وبعد خروجه من السجن إدعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إلى أن نجحت دعوته فى عهد أولاده الخلفاء الفاطميين ، زكار ، أخبار القرامطة ، ص ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص ص ٢٣ ـ ٢٤ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ . برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية ، ص ١٣٣ ـ ١٦٤ ؛

وفى قول آخر أن ميمونا وابنه عبد الله من بعده كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق . القرشى ، عماد الدين إدريس ، زهر المعانى ، تحقيق ، مصطفى غالب ، بيروت (١٩٩١م) ، ص ؛ وفى قول ثالث أن أولاد جعفر الصادق الأربعة : عبد الله وإسماعيل وموسى ومحمد قد تسموا بغير أسمائهم وأطلقوا على أنفسهم ، خوفا من اضطهاد العباسيين وبطشهم ، أسماء أخرى مثل مبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن فى هذه الأسماء وهو الأمر الذى يشير إلى أن لقب ميمون الذى أطلق على أحد أولاد جعفر الصادق هو الذى قاد إلى هذا الخلط كما يتضح من رسالة المهدى التى أرسلها إلى جهة اليمن .

أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

هذا وقد قام ايفانوف بمناقشة جميع الآراء والأقوال المتصلة بحقيقة شخصية ميمون القداح وابنه عبد الله ، وخلص منها إلى أنها ليست سوى أكذوبة باطلة وخرافة من نسج الخيال لا يؤيدها المنطق أو الأحداث التاريخية فضلا عن المصادر الإسماعيلية .

Ivanow , Ismaili Tradition, PP. 133, 153, 233, 236., The Alleged Founder of Ismailism , PP. 78 - 81 , 99 - 103 , 110 - 113 , 152 - 157, 170 - 174 .,

ومما له دلالته أن الأستاذ محمد عبد الله عنان قد أورد خلاصة لرأى ايفانوف ثم قام بالرد عليه .
انظر : الحاكم بأمر الله ، ص ٦٥ ـ ٧٥ .

(١٦) لا يعرف على وجه الدقة تاريخ وفاة ميمون القدّاح وابنه عبد الله ولكن الثابت فى ضوء ما ورد فى المصادر التاريخية المتوافرة أنهما من رجال القرن ٢هـ/ ٨م وليس القرن ٣هـ/ ٩م وبالتالى فإنه لا صحة مطلقا للتاريخ الذى أورده كريزول . لأن عبد الله بن ميمون توفى خلال النصف الثانى من القرن ٢هـ/ ٨م ، فكيف يكون والده قد توفى فى عام ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م .

(١٧) يقصد من ذلك الإشارة إلى مراتب الدعوة ، وكانت تسع دعوات أو مراتب وليس سبعًا كما ورد عند المقريزى ومن نقل عنه (اتعاظ ، جـ١ ، ص ٢٤ ؛ الخطط ، جـ١ ، ص ٣٤٨ ؛ (مع أن المقريزى تحدث عن هذه الدعوات التسع والعهد الذى يؤخذ على المدعو ، جـ٢ ، ص ٣٩١ ـ ٣٩٧) والراجح أن ذلك كان نتيجة لتحريف من قبل الناسخ بين رقمى ٧ و ٩ كما هو معروف فى العديد من المصادر التاريخية والنقوش الآثارية ، انظر دراستنا : النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية ، المبحث الأول، دراسات آثارية (٢) ، الرياض ، محرم ١٤٢١هـ/ ابريل ٢٠٠٠م ، ص ٦٨ ـ ٦٩) ؛

وعن هذه المراتب أو الدعوات التسع والعهد الذى كان يلحق بها انظر : زكار ، أخبار القرامطة ، ص٤٣٥ ـ ٤٥١ ؛ عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص ٢٦٥ ـ ٢٧٤ .

(١٨) تعرف أيضًا بعربستان وخوزستان فى جنوب إيران (وكانت كما يذكر ياقوت الحموى فى معجمه سبع كور بين البصرة وفارس) ويطلق اسم الأهواز الآن على مدينة الأهواز عاصمة خوزستان بجنوب إيران .

(١٩) سَلَمْيّة : بفتح أول وثانيه وسكون الميم وياء مثناه من تحت خفيفة : بلدة فى ناحية البرية من أعمال حماه بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ . وهى إلى الشرق من حماه وبينهما ٣٣ كم ، وكانت لهذه المدينة أهميتها فى تاريخ الإسماعيلية .

انظر: Hakm, H., Les Fatamides à Salamya , Revue des Études Islamiques , Liv, Paris (1986), PP. 133 - 144 .

وأيضا مادة سلمية فى الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية وقد كتبها فرهاد دفترى .

(٢٠) اعتمد كريزول هنا رأى الفريق المنكر لصحة النسب الفاطمى ، وهو الفريق الذى اعتمد بدوره على رواية ابن رزام والشريف أخى محسن المبسوطة فى النقولات المتأخرة كابن النديم والنويرى وابن أيبك والمقريزى كما سبق القول (حاشية رقم ١٤ من التعليقات).

(٢١) هذا الداعية هو الحسين الأهوازى .

المقريزى ، اتعاظ ، جـ١ ، ص٢٥ ، سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، ص٤٣٠ .

(٢٢) يثبت النص الذى نقله ابن النديم بلفظه عن ابن رزام اعتناق حمدان بن الأشعث للمذهب فى عهد عبد الله بن ميمون وليس ابنه أحمد كما لاحظ الشيال فى تحقيقه للجزء الأول من اتعاظ الحنفا للمقريزى (جـ١ ، ص٢٦ حاشية ١) ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٣٩ .

ومما له دلالته أن هناك اختلافًا فى صيغة رواية ابن رزام بين المؤرخين المتأخرين الذين نقلوها فى مؤلفاتهم ، مع أن أصل الرواية واحد ، ومن ذلك على سبيل المثال ، ما ذكر عن عبد الله بن ميمون عندما فرّ إلى البصرة فعند ابن النديم أنه نزل على قوم من أولاد عقيل بن أبى طالب ، وعند النويرى نقلا عن أخى محسن أنه نزل عند قبيلة باهلة من أتباع عقيل بن أبى طالب ، وعند المقريزى أنه ادعى أنه من ولد عقيل بن أبى طالب .

(٢٣) اختلفت الأراء حول تفسير هذا اللقب ففى قول أن حمدان بن الأشعث كان يقرمط فى سيره أى يقارب بين خطواته وقيل لأنه كان يقرمط فى خطه والقرمطة فى الخط هى دقة الكتابة وتدانى الحروف، وقيل لأنه كان أحمر البشرة تشبيها له بالقرميد وهو الآجر (الطوب الأحمر) .

ومن الآراء الأخرى أنهم سموا بالقرامطة لأن أول من أشير لهم بتلك الجهة ـ أى الكوفة ـ محمد الوراق المقرمط ، وقيل أن لهم رئيسا من السواد من الأنباط يلقب بقرمطوية فنسبت إليه وقيل أن قرمط كان غلاما لإسماعيل بن جعفر فنسبوا إليه لأنه أحدث لهم مقالاتهم ، وقيل إن بعض دعائهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى قرمط ابن الاشعث ثم أدخله فى مذهبه ، وقيل إن بعض

دعاتهم رجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ثم خفف الاسم فقيل قرمط ، وقيل إنها نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الإسلام ولو صح هذا الرأى تعود التسمية إلى ذلك المذهب الباطل وليس إلى رجل . وهناك من ربط بين هذه اللفظة وبين اللغة النبطية أو الأرامية على اعتبار أن الوسط الذى ظهر فيه القرامطة هو سواد الكوفة أى وسطا فلاحيا لغة أهله النبطية ذات الأصول الأرامية ، وعلى ذلك قيل إن أصل هذه اللفظة هى (قرمطونا) النبطية أو الأرامية أى المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال أو من (قرمطا) وهى التدليس أو الخبث أو المكر أو الاحتيال لما اشتهر عنهم من هذه الأمور ؛ أو من (قرم) الأرامية أو السريانية وهى تعنى أخفى وغطى وستر وبذلك تقابل كلمة باطنية وما تزال هذه الكلمة تعنى فى السورية الدارجة (جذر) ويقابلها فى سريانية معلولا (كرموتية).
المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص ٢٦ حاشية ١ ؛ سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، ص ١١٩ - ١٢١ ، ٣٨٨ - ٣٩٠ ؛ حسن الباشا ، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، القاهرة ، (١٩٧٥م)، ص٧١ ، ٨٥ .

Lewis, The Origins, P. 82 - 83 .

(٢٤) شغلت العلاقة بين الإسماعيليين والقرامطة حيزاً كبيراً من اهتمام المستشرقين والعلماء والباحثين ومنهم دى جويه وايفانوف وما دلوغ وشتيرين ودفترى وسهيل زكار والعبد الجادر وأيمن فؤاد سيد وغيرهم .
ونستطيع من خلال هذه الدراسات القول بأنه يصعب دراسة تاريخ الدعوة الإسماعيلية خلال القرن ٣هـ/ ٩م من غير التطرق لدراسة حركة القرامطة كدعوة إسماعيلية مبكرة فى العراق والبحرين ، وعلى ذلك فإن القرامطة لم يمثلوا فى هذه الفترة تنظيما قائما بذاته مستقلا تمام الاستقلال عن الإسماعيلية كما ذهب ايفانوف وإنما كانت جزءاً من الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م عندما حدث أول إنشقاق خطير فى تاريخ الدعوة وانقسامها إلى حزبين متنافسين هما اللذان أصبحا يعرفان فيما بعد بالإسماعيلية الفاطمية والقرامطة .
سهيل زكار ، أخبار القرامطة ، ص١٠٩ - ١١٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٩٧ - ٩٩؛ عادل سالم العبد الجادر ، الإسماعيليون : الدعوة والدولة فى اليمن ، ص ٢٧ - ٣٣ ؛ سيمينوفا ، تاريخ مصر الفاطمية ، ص٤٠ - ٤١ .

De Goeje, M. J., Mémoire sur les Carmates du Bahrain et les Fatimides , Mémoires d'histoire et de géogrophie Orientales n'i, Leiden - Brill (1886) ; Ivanow , Ismailis and Qarmatians Journal of the Bengal Branch of the Royal Asiatic Society, N. S. 16 , (1940), PP. 43 - 85., Madelung, W., Fatimiden und Bahrein - Qarmaten , Der Islam 34 (1959), PP. 34 - 88., Daftary, A Majior Schism, PP. 123 - 139.,

(٢٥) رسم هذا اللفظ إما بالغين المعجمة ، كما هو الحال فى النص الذى بين أيدينا ، وإما بالعين المجردة كما هو الحال فى بعض صيغ المصادر التى نقلت نص ابن رزام ومنهم المقريزى (اتعاظ ، جـ١ ، ص ٢٦) .
(٢٦) الصواب إلى المغرب كما ورد فى النص الأصلى .

(٢٧) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعانى المعروف بأبى عبد الله الشيعى داعى المغرب ، وكان له دور كبير متعدد المراحل متدرج الخطوات حتى نجحت الدعوة فى المغرب وتم القضاء على دولة الأغالبة وقامت الدولة الفاطمية ، ومع ذلك قتله الخليفة عبد الله المهدى فى عام ٢٩٨هـ/ ٩١١م .
ابن محمد ، القاضى النعمان ، ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م . رسالة افتتاح الدعوة (رسالة فى ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية) ، تحقيق وداد القاضى ، بيروت (١٩٧٠م) ، ص ص ٥٤ ـ ٢٤٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات ، مج١ ، ص١٧٨ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

(٢٨) هو أبو العباس المخطوم محمد بن أحمد بن محمد بن زكريا ، وهو الأخ الأكبر لأبى عبد الله الشيعى ، وقد قتل مع أخيه فى عام ٢٩٨هـ/ ٩١١م . المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

(٢٩) هو زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بزيادة الله الثالث وامتدت فترة حكمه من عام ٢٩٠هـ / ٩٠٣م إلى عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩ وبذلك كان أخر أمراء الأغالبة . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٣١٧ ـ ٣٢٠ .

(٣٠) انظر حاشية رقم (١١) من التعليقات حول صحة الاسم .

(٣١) الصواب إلى المغرب . وعن رحلة المهدى من سلمية إلى سجلماسة انظر : اليمانى ، محمد بن محمد، سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقاده ، تحقيق ايفانوف ، مجلة كلية الآداب ـ الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن)، مج٤ ، (١٩٣٦م) ، ص١٠٧ ـ ١٣٣ ؛ ابن محمد ، القاضى النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص ١٤٩ ـ ١٥٣ ، ٢٣١ ـ ٢٤٤ .

(٣٢) كان الوالى العباسى فى مصر آنذاك هو عيسى بن محمد النوشرى وقد ولى لمدة خمس سنوات وشهرين ونصفاً فيما بين ٢٩٢ ـ ٢٩٧هـ/ ٩٠٥ ـ ٩١٠م .
المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٢٧ ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص٢٧ ، ٦٠ ـ ٦١ .

(٣٣) ينسب بناء هذه المدينة إلى الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م ، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها العمائر المختلفة فظلت داراً لملك بن الأغلب حتى زال ملكهم وسكنها المهدى الفاطمى إلى أن انتقل منها إلى المهدية فى عام ٣٠٨هـ/٩٢٠م ، وكانت هذه المدينة تقع ظاهر مدينة القيروان وبينهما مسيرة أربعة أيام ، ولم يكن بافريقية (تونس) أطيب هواء ولا أعدل نسيما وأرق تربة منها ، ويقال إن من دخلها لا يزال مستبشراً من غير سبب . البكرى ، أبى عبيد ، ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م ؛ المسالك والممالك ، مج٢ ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى ، تونس (١٩٩٢م) ، ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠ ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٥٥ ـ ٥٦ ؛ عبد الجبار ناجى ، دراسات فى تاريخ المدن العربية الإسلامية ، بيروت (٢٠٠١م) ، ص٢٦٨ ـ ٢٧٠ .

(٣٤) المهدية بالفتح ثم السكون اسم لموضعين احداهما بافريقية (تونس) والأخرى اختطها عبد المؤمن بن على قرب سلا . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٢٩ ؛ ومدينة المهدية الموحدية هى

المعروفة برباط الفتح والرباط ؛ وهذا الاسم الأخير هو الذى تعرف به الآن وهى عاصمة المملكة المغربية منذ مستهل القرن العشرين المنصرم عند تتويج السلطان مولاى يوسف ابن السلطان الحسن الأول . انظر: عبد الله السويسى ، تاريخ رباط الفتح ، الرباط (١٩٧٩م) ؛ سحر السيد عبد العزيز سالم ، مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى (منذ إنشائها حتى نهاية عصر بنى مرين)، الاسكندرية ، (١٩٩٦م) ؛ عثمان عثمان إسماعيل ، ضريح محمد الخامس ، المجلد الأول ، الرباط ، (١٩٩٧م) ، ص١١٧ ـ ١٣٦ (تاريخ تأسيس مدينة رباط الفتح) ؛

Caillé, J., La ville de Rabat ju squ'au Protectorat Francais : Histoire et Archéologie, 3 vols, Vanoest, Paris, (1949).

أما مدينة المهدية الفاطمية (موضوع الدراسة) فقد نشرت عنها وعن عمائرها وفنونها الفاطمية عدة دراسات جديدة (عقب صدور المجلد الأول من كتاب كريزول (وهو المجلد الذى بين أيدينا) فى عام ١٩٥٢) ومن أهمها دراسة كل من سليمان مصطفى زبيس والكسندر ليزين كما ظهرت دراسة مهمة عن تاريخ الخلافة الفاطمية فى المغرب (٢٩٦ ـ ٣٦٢هـ/ ٩٠٩ ـ ٩٧٣م) لفرحات الدشراوى (بالفرنسية) تونس (١٩٨١م) ثم ترجمها حمادى الساحلى ، بيروت (١٩٩٤م) .

Zbiss, S. M., Mahdiya et Sabra Mansouria, Nouveaux documents d'art Fatimide d'occident, dans Journal Asiatique , Ccxliv (1956), PP. 79 - 93 , Lézine , Mahdiya , Recherches D'Archéologie Islamique, Libairie C. Klincksieck, Paris, (1965); Golvin , L., Mahdiya, ~a la Période Fatimide, Romm, XXVII, (1979), PP. 75 - 98 .

أما دراسة عبد الله كامل موسى عبده عن هذه المدينة وجامعها وربضها ضمن كتابه الموسوم بـ «الفاطميون وآثارهم المعمارية فى افريقية ومصر واليمن» ، القاهرة (٢٠٠١م) ، ص٣٨ ـ ٤٣ ؛ فهى لم تضف جديداً حيث أنه اعتمد فقط على ما أورده كريزول وبعض المصادر كالتيجانى ولم يشر أو يعتمد ـ على الدراسات الأجنبية التى صدرت عقب كريزول ، والسابق الإشارة إليها ،أو غيرها مما لم نشر إليه (خشية الاطالة) ؛ وهو مما يؤسف له بالنسبة للعديد من الدراسات والكتب حديثة النشر ـ أى خلال العقد الأخير ـ التى يغلب عليها مقولة جامع لمتفرق مع كثرة الأخطاء وعدم الإلمام بكافة أدوات ومراجع البحث العلمى كما سبق أن نوهنا فى تقديمنا لترجمة هذا الكتاب .

وعن البواعث التى كانت وراء إنشاء عبد الله المهدى لهذه المدينة انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص٥١٨ ـ ٥١٩ ؛ عبد الجبار ناجى ، دراسات فى تاريخ المدن العربية الإسلامية ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٦ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص٩١ ـ ٩٢ ؛ فرحات الدشراوى ، الخلافة الفاطمية فى المغرب ، ص .

(٣٥) هو أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى العلامة المحدث الأديب المؤرخ صاحب كتاب أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم وقام بتحقيقه ودراسته التهامى نقرة وعبد الحليم عويس ، دار الصحوة ـ القاهرة (١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م) وكانت وفاته ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م .

(٣٦) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجانى قام برحلته الشهيرة إلى تونس وطرابلس فيما بين عامى ٧٠٦ـ٧٠٨هـ/ ١٣٠٦ـ١٣٠٨م وهى الرحلة المعروفة برحلة التيجانى ، وقد نشرها وقدم لها العلامة التونسى حسن حسنى عبد الوهاب ، ليبيا ـ تونس (١٩٨١م) .

(٣٧) هو المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بابن الرقيق القيروانى ت بعد ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م، وقد قام عبد الله الزيدان وعز الدين عمر موسى بتحقيق قطعة من كتابه الموسوم بـ « تاريخ افريقية والمغرب» ، بيروت (١٩٩٠م) ؛ ومما له دلالته أنه تم نشر هذه القطعة اعتماداً على نسخة فريدة لها فى الخزانة العامة بالرباط وبها ثقوب وبياض وسقط واضطراب الأسلوب كما أن المخطوط مبتور الأول والآخر ، وهو يبدأ بخاتمة خبر إزالة مسلمة بن مخلدعن افريقية وإقراره على مصر وينتهى بخبر قدوم أبى العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب وتوليه الأمر بعد وفاة أبيه فى عام ١٩٦هـ/ ٨١١م ، ولذلك لم يرد فى هذه القطعة المحققة والمعروفة من الكتاب ، حتى الآن ، ذلك النص الذى نقله التيجانى عن ابن الرقيق.

(٣٨) ومن هذه المنشآت التى أشار إليها البكرى دار البحر وغير ذلك من المنازل . البكرى ، المسالك والممالك، مج٢ ، ص٦٨٣ .

(٣٩) النص الأصلى كما ورد عند البكرى على النحو التالى « وفى المهدية من المواجل العظام ثلاثمائة وستون غير ما يجرى إليها من القناة التى فيها ، والماء الجارى بالمهدية جلبة عبيد الله من قرية منانش وهى على مقربة من المهدية (وتقع على بعد ٦كم غرب المهدية) فى أقداس ويصب فى صهريج داخل المهدية عند جامعها ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب ، وكذلك يستقى أيضاً بقرية منانش من الآبار بالدواليب ويصب فى مجلس يجرى منه فى تلك القناة ». البكرى ، المسالك . ص٦٨٢ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، مراد الرماح ، ملاحظات حول تاريخ المنشآت المائية بافريقية فى العهد الإسلامى المبكر ، ص٣٤٦ ـ ٣٤٨ ؛

Lezinc , Mahdiya , PP. 95 - 96 .

(٤٠) البكرى ، المسالك ، ص ٦٨٣ .

(٤١) صبّرة ، بالفتح ثم السكون ثم راء بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية وقد بناها الخليفة الفاطمى الثالث المنصور إسماعيل بعد قضائه على ثورة صاحب الحمار عام ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م وليس عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥ كما ذكر كريزول . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ؛ البكرى ، المسالك ، ص٢٧٠ ـ ٢٧١ ، محمد حمزة الحداد، النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص١٧٤ ، أما ياقوت الحموى فقد ذكر أنها من بناء مناد بن بلكين وأنها سميت بالمنصور ابن يوسف بن زيرى بن مناد المتوفى فى عام ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مج٣ ، ص٣٩١ ـ ٣٩٢ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، عبد الجبار ناجى ، دراسات ، ص٢٧٠ ـ ٢٧٣ .

(٤٢) البكرى ، المسالك ، ص ٦٨٣ ، ويضيف البكرى فيذكر أسماء بعض هذه الأبراج ومنها برج أبى الوّزان النحوى وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدهان ونسبت إليهم لقرب مساكنهم منها . (ص٦٨٣).

(٤٣) كانت زيارة ابن حوقل للمدينة ووصفها فى عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م ، حيث يقول « أدركتها سنة ست

وثلاثين [وثلثماية] وملوكها كُماة وجيوشها حُماة وتجارها طراة وقد اختلت أحوالها ... وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها وبعدهم منها ، وكان أول نحس أظلها أبو يزيد مخلد بن كيداد [صاحب الحمار] وخروجه بالمغرب على أهلها وانثالت المناحس عليها إلى الآن وقد بقي بها بعض رمق ... ».
ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٧٣ .

(٤٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٧٣ .

(٤٥) باب القلة : عرف بذلك من أجل أنه كانت هناك قلة بناها الظاهر بيبرس وهدمها المنصور قلاوون فى رجب ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م وبنى مكانها قبة فرغت عمارتها في شوال من نفس العام ثم هدمها الناصر محمـد وجـدد باب القلة على ما هو عليه الآن (أى زمن المقريزى). الخطط ، جـ٢ ، ص ٢١٢ ؛ هذا ولا يزال هذا الباب موجوداً فى موضعه للآن تجاه جامع الناصر محمد بالقلعة من الجهة الشمالية الشرقية وقد جدده محمد على باشا ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م. محمد حمزة الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، القاهرة (١٩٩٣م)، ص ٨٢ ؛ عبد الرحمن زكى ، قلعة مصر ، القاهرة (١٩٥٠م) ، ص ٣٢ ، قلعة صلاح الدين وما حولها من آثار ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص٥٨ ؛ بول كازانوفا ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة أحمد دراج ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة (١٩٧٤م) ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ؛ كريزول ، وصف قلعة الجبل ، ترجمة جمال محرز ، مراجعة عبد الرحمن زكى ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص٩٧ .

(٤٦) هو مارمول كَرْفَجَالْ ولد فى غرناطة فى أوائل القرن ١٦م وخرج من مسقط رأسه وهو حديث السن فسار فى جيش الامبراطور شارل الخامس الذى غزا تونس ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م وشاهد احتلال هذه المدينة وما جرى فيها من أعمال السلب والنهب ، وبعد مغادرة الأسطول الامبراطورى لتونس بقى مارمول فى شمال افريقيا يقوم بمهمة كلفه بها الامبراطور وطال مقامه فى هذه البلاد نحو ٢٢ سنة أسر خلالها من قبل الاشراف السعديين نحو سبعة أعوام وثمانية أشهر وذلك فيما بين عامى ٩٥٩ ـ ٩٦٦هـ/ ١٥٥٢ ـ ١٥٥٩م تقديراً ويرى البعض أن المهمة التى كلفه بها الامبراطور كانت تتعلق بالتجسس والوقوف على أحوال شمال أفريقيا فى ذلك الوقت ، ومن أشهر كتبه كتاب افريقيا الذى ألفه وأتمه على الأصح بعد عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م بعد أن اطلع على كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان الفاسى المعروف بليون الافريقى ونسج على منواله ونقل منه فصولاً كثيرة حرفا بحرف ، ومع ذلك فلكتابه أهميته للباحثين فى جغرافية افريقيا وتاريخها فى القرن ١٠هـ/ ١٦م كذيل مكمل لكتاب الحسن الوزان متفرد بما سجل من أحداث ووصف من مواقع لم يقف عليها غيره ؛ ولحسن الحظ فقد ترجم هذا الكتاب عن الفرنسية كل من محمد حجى ومحمد زينبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وصدر فى ثلاثة أجزاء ـ الرباط (١٩٨٤م) ، انظر : تقديم المترجمين فى الجزء الأول ، ص٣ ـ ٧ ؛ ويشغل كل ما كتبه مارمول كرفجال عن مدينة المهدية التى كانت تعرف فى وقته بمدينة افريقية الفصل الثامن والعشرون من الكتاب السادس المتعلق بمملكة تونس ، (جـ٣ ، ص ص ٧٠ ـ ٩٣) .

(٤٧) كيف يكون البكرى قد نقل ذلك عن ابن الأثير وهو سابق عليه ، فالبكرى كانت وفاته على ما ذهب إليه أغلب الباحثين فى ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م فى حين رجّح الغنيم اعتماداً على ما ذكره الضبى فى بغية الملتمس أنه توفى ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م . عبد الله يوسف الغنيم ، مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى ، الكويت (١٩٩٦م) ، ص١٦ ؛ أما عز الدين أبو الحسن على بن محمد ابن الأثير صاحب كتاب «الكامل فى التاريخ» وغيره فمن الثابت أنه توفى ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م فكيف يكون البكرى إذن قد نقل عنه ؟ هذا وقد ورد فى بعض المصادر أن زنة كل مصراع مائة قنطار . التيجانى ، رحلة التيجانى ، ص٣٣٢ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص٧٠ .

(٤٨) النص الأصلى المترجم لمارمول كرفجال على النحو التالى « وعلى تلك الصفائح صُوِّرت بالبرونز الناتئ (البارز) أسود رابطة متقابلة اثنتين اثنتين » . مارمول كرفجال ، افريقيا ، جـ٣ ، ٧٠ .

(٤٩) مما له دلالته أنه يسبق هذا الجزء الذى أورده كريزول وصف مهم لم يضمنه كريزول كتابه وهو « ...وكانت تحيط بها أسوار من الجهة المتصلة بالبر ، وكان فى هذه الجهة حصن مبنى فى جدارها وهو سميك إلى حد الشريط الناتئ (البارز) الذى فى أعلاه سمكه أربعون قديما تحيط به ستة أبراج متباعدة بعضها عن بعض ، سميكة هى أيضاً ، بارزة خارج السور بأربعين قدما إلى حد مرمى السهام من الجزء المقوس وكان فى أعلى الحصن جداران ينظر أحدهما إلى المدينة وينظر الآخر إلى خارجها ، وبين هذين الجدارين وبين خواء الأبراج كانت غرف الحاكم وغرف الجنود ... » . مارمول كرفجال ، افريقيا ، جـ٣ ، ص٧٠ (ثم يبدأ بعد ذلك النص الذى أورده كريزول) .

(٥٠) يبلغ عدد الألغام الواردة فى النص الأصلى المترجم ٢٤ لغماً وليس ٢٢ كما ذكر كريزول . مارمول كرفجال ، افريقيا ، جـ٣ ، ص٩١ .

(٥١) أطلقت على هذا الجزء من المساجد الإسلامية عدة مصطلحات قديما وحديثا ومنها المغطى ، المسقف، المسقف القبلى ، القبلية ، ظلة القبلة ، رواق القبلة ، الحرم ، بيت الصلاة ، وقد سبق أن ناقشنا هذه المصطلحات ، وخلصنا إلى أنه يجب استبعاد هذه المصطلحات والاقتصار على مصطلح واحد وهو (مقدم المسجد أو المقدم) وهو مصطلح عربى إسلامى ظهر منذ فترة مبكرة للدلالة على هذا الجزء من المسجد؛ والذى يعد أكبر أجزاء المسجد وأكثرها أهمية حيث يشمل المحراب والمنبر ودكة المبلغ . محمد حمزة الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠١م) ، ص ٣٥ ـ ٣٨ .

(٥٢) يقع مسجد حسان شمال شرقى مدينة الرباط ، ويعد من أروع المساجد الموحدية ، وقد اختلفت الأراء حول تاريخ بنائه من جهة أو اكتمال البناء من عدمه من جهة ثانية أو سبب تسميته من جهة ثالثة . عبد الله السويسى ، تاريخ رباط الفتح ، ص١٢٥ ـ ١٣٢ ؛ سحر السيد عبد العزيز سالم ، مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى ، ص١٣٩ ـ ١٤٥ ؛ عثمان عثمان إسماعيل ، ضريح محمد الخامس ، المجلد الأول ، ص١٠٣ ـ ١١٦ ، ١٣٧ ـ ١٩٨؛ محمد محمد الكحلاوى ، عمائر الموحدين الدينية

بالمغرب ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٨٦م) ، ص٣٩٠ ـ ٤٠١ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جدة (١٩٩٠م) ص ٣٧٥ ، شكل ٢٧٥ .

Caillé , La Mosquée de Hassan à Rabat, Art et Métiers, Graphiques, Paris, (1954) PP. 172, With 48 Plates and 43 Figs.

Terrasse, H., L'art Hispano - Mouresque, Paris, (1932), P. 319, Fig 54.,

Hillenbrand , R., Islamic Architecture, Edinburgh, 1994, P. 90.

ومهما يكن من أمر فإن مسجد حسان بالرباط مع أن مقدمه يشتمل على صحنين جانبيين ، فضلا عن الصحن الأوسط ، إلا أن تخطيطه يختلف تماما عن تخطيط مسجد المهدية وغيره من المساجد الإسلامية الأخرى ، ولذلك وصف طراز تخطيطه بأنه غريب ولم يتكرر .

(٥٣) تعد الدراسة التى أنجزها الكسندر ليزين عن مدينة المهدية ومسجدها الجامع من أهم الدراسات الآثارية التى ظهرت عقب صدور المجلد الأول من كتاب كريزول (وهو المجلد الذى بين أيدينا) فى عام ١٩٥٢م ؛ وبالنسبة للمسجد الجامع فقد قام بدراسته من حيث وحداته وعناصره ومفرداته المختلفة وخلص إلى نتائج جديدة بالنسبة لتخطيطه فى عهد الخليفة المهدى وما جرى عليه بعد ذلك .

Lézine , Mahdiya, PP. 65 - 136, Figs, 30, 36, 39, 42, 47, 52 - 57 .

هذا ولم يعتمد على هذه الدراسة المهمة بل لم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد عبد الله كامل موسى عبده فى كتابه الفاطميون ، واعتمد فقط على دراسة كريزول ومسقطه. كما سبق القول (الحاشية رقم ٣٤ من التعليقات) الفاطميون ، ص ٣٩ ـ ٤١ . وانظر أيضاً ، Hillenbrand, Islamic, P. 80 .

(٥٤) من المعروف أنه تسلطت على العديد من المستشرقين والعلماء الأجانب نظرية الفراغ العربى وإنكار الابتكار للكثير من العناصر والمفردات المعمارية والفنية والتى تعد من وجهة نظرهم عناصر ومفردات مقتبسة من فترة ما قبل الإسلام مما دفع بعضهم إلى الانحراف كثيراً عن الأسلوب والمنهج العلمى الصحيح بالمغالاة أحياناً أو باتخاذ الاستثناء قاعدة عامة أحيانا أخرى ، ومن ذلك ما يتعلق بالمداخل التذكارية البارزة التى يرون أنها مقتبسة من أقواس النصر الرومانية ، فلو كان صحيحا فلماذا لم تظهر نماذج لهذا النوع من المداخل قبل مسجد المهدية ـ أى قبل القرن ٤هـ ١٠م ـ هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن وظيفة أقواس النصر تختلف تماما عن وظيفة هذه المداخل التذكارية البارزة فهل مجرد التشابه فى الأشكال دليلاً مؤكداً على الاقتباس ؟؟

ولمزيد من التفاصيل عن المآخذ التى وجهت لدراسات المستشرقين والعلماء الأجانب وبصفة خاصة الأوائل والرواد منهم ، انظر : أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة (١٩٦١م)، ص ص ٥ ـ ٢١ ؛ فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٩٤م) ، ص ص ٣٦ ـ ٧٨ ، ١٨٣ ـ ٢٢٧ ؛ عبد العزيز الدولاتلى ، مناهج المستشرقين فى دراسة الفنون الإسلامية ، ضمن كتاب مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ، جـ٢ ، ص ص ١٦٧ ـ ١٩٣ ؛ محمد حمزة الحداد ، المستشرقون ودراسة الآثار الإسلامية (قيد النشر) .

(٥٥) عن المحاولات المتكررة للفاطميين في عهدى المهدى والقائم لفتح مصر ، انظر ، أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص١٢٥ ـ ١٢٧ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص ص ١٠٤ ـ ١١٠ ، ١٢٧ ـ ١٣٠ ؛ فرحات الدشراوى ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ص ؛ سيمينوفا ، تاريخ مصر الفاطمية ، ص٣٧ ـ ٣٩ ؛ عمر السعيدى ، انتقال الفاطميين إلى مصر ، ملتقى القاضى النعمان للدراسات الفاطمية ، الدورة الثانية ، تونس (١٩٨١م) ، ص١٣٩ ـ ١٤٩ ؛ محمد بركات البيلى ، استيلاء الفاطميين على مصر ، ضمن كتاب بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق ، اتحاد المؤرخين العرب ـ القاهرة (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص١٠٠ ـ ١٠٧ .

Lev, Y., The Fatimid and Egypt 301 - 358/ 914 - 969, Arabica, XXX V, (1988), PP. 186 - 196 .

(٥٦) هو جف بن بلتكين ابن فورى بن خاقان وفى قول آخر بن بلتكين بن فوران بن فورى بن خاقان ، قدم مع نفر من فرسان فرغانة إلى الخليفة العباسى المعتصم بالله فاتخذهم عونا له وأقطعهم قطائع بسامراء وظلت قطائع جف تنسب إليه حتى زمن ابن خلكان المتوفى ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م ، وظل جف يخدم خلفاء المعتصم (الواثق والمتوكل) حتى توفى فى الليلة التى قتل فيها المتوكل فى عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، مج ٢ ، ص ٥٣ ؛ ابن سعيد الأندلسى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق زكى محمد حسن وآخرون ، القاهرة ط٢ (٢٠٠٣) ، ص١٤٩ .

(٥٧) فَرْغانة : بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون ، مدينة وكورة واسعة ببلاد وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك كثيرة الخير واسعة الرستاق بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ومن ولايتها خجنده . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٥٣ .

(٥٨) تولى الخليفة المعتصم بالله عرش الخلافة العباسية فيما بين عامى ٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٢م ويرجع إليه الفضل فى إنشاء مدينة سامرا ٢٢١هـ/ ٨٣٦م التى ظلت عاصمة للخلافة لمدة ٥٥ عاماً حتى غادرها الخليفة المعتمد على الله العباسى (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ ـ ٨٩٢م) عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ورجع مرة ثانية إلى بغداد .

(٥٩) ورد فى بعض المصادر أن طغج معناها عبد الرحمن وكانت وفاته فى عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م وهو فى سجنه مع ولديه محمد وعبيد الله ولم يكن معه فى السجن ولده محمد فقط كما ورد فى النص الذى اعتمد عليه كريزول .

(٦٠) كانت وفاة أحمد بن طولون فى عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م .

(٦١) خلف خمارويه والده فى الحكم فيما بين ٢٧٠ ـ ٢٨٢هـ/ ٨٨٣ ـ ٨٩٥م .

(٦٢) أى سقوط الدولة الطولونية فى عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م .

(٦٣) هو القائد العباسى محمد بن سليمان الكاتب الذى بعثه الخليفة العباسى المكتفى بالله للقضاء على الطولونيين (نظر حاشية ٧ من التعليقات) .

(٦٤) تولى الخليفة المكتفى بالله عرش الخلافة العباسية فيما بين عامى ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٠٨م.

(٦٥) لمزيد من التفاصيل عن سيرة محمد بن طغج منذ أن أطلق سراحه من السجن عقب وفاة والده فى عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م وحتى تعيينه واليا على الرملة فى عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م . انظر : سيدة إسماعيل كاشف، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٦٠ ـ ٦٣ .

(٦٦) كانت ولاية محمد بن طغج على دمشق عام ٣١٩هـ/ ٩٣١م فى رواية أخرى .

(٦٧) منح الخليفة العباسى الراضى محمد بن طغج لقب الاخشيد فى رواية أخرى فى عام ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م.

(٦٨) يذكر المستشرق الفرنسى هوار (Huart) أن لقب الاخشيد فارسى الأصل من (Khchaêta) بمعنى الذكى أو النابه Le Brillant . عن : سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص٥٦.

(٦٩) كافور الإخشيدى : اختلف المؤرخون ، القدامى منهم والمحدثون ، حول وضع كافور الأخشيدى بين الأمير والوصى على العرش ، وهل سجل اسمه على السكة أم لا ، والحق أن النقوش الآثارية وبخاصة نقوش السكة تثبت أن هذه الآراء بعيدة عن الصواب إلى حد كبير ولا سيما خلال فترة حكم الأمير على بن الاخشيد فيما بين ذى القعدة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م ومحرم ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م حيث عثر على فلس نحاسى محفوظ بمتحف الفن الإسلامى (قطعة رقم ٦٧٢٤/١) يتضمن على أحد وجهيه الأستاذ / كافور الأمير / أبو محمد ، وعلى الوجه الآخر الأمير أبو / الحسن على بن / الاخشيد ، مما يدل على أن كافور لم يكن وسطا بين الأمير والوصى على العرش وإنما كان أميراً من غير شك وشريكا رسميا فى الحكم ومع ذلك فقد احتفظ بلقب الأستاذ ، وبعد وفاة على بن الإخشيد استبد كافور بالأمور ولم يكن لأحمد بن على رسم ولا اسم ، وتؤكد نقوش السكة ورود كتاب الخليفة المطيع لله إليه بتقليده مصر والدعاء له بعد الخليفة على المنابر فى مصر والحجاز ومنها دينار ضرب بمكة المكرمة مؤرخ بعام ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م يتضمن « أمر به الأستاذ كافور/ الاخشيدى / الأمير » مما يعنى أنه أمسى الحاكم الشرعى دون شريك أو منازع .

محمد حمزة الحداد ، النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، ص ٧٩ ـ ٨٢.

(٧٠) عن العمائر التى أنشئت إبان العهد الاخشيدى الواردة والمبسوطة فى المصادر التاريخية والتى أصبحت أثراً بعد عين انظر : سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص٢٨٨ ـ ٢٩٣ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص ١٢٨ ـ ١٣٠ ؛ كذلك هناك بعض شواهد القبور وقطع النسيج والخشب ترجع إلى هذه الفترة . سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، ص٢٩٣ ـ ٢٩٩ ؛ محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص١٦٣ ـ ١٦٤ ، ١٩٢ ـ ١٩٨ ، ٢١٠ ـ ٢١١ ؛ كذلك بقيت بضعة أسطر من نقش إنشاء ووقف بئر الوطاويط (الذى حفظ لنا نصه المقريزى فى خططه) المؤرخ بعام ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م، ويتفق مضمون الأسطر الثلاثة الباقية مع مثيلتها فى الخطط : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٣٥ ـ ١٣٦ ؛ سيدة إسماعيل

كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين، ص٢٩٢ ـ ٢٩٣؛ محمد حمزة الحداد ، النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية ، (المبحث الأول) ، ص١٣٣ حاشية ٩ ؛

Combe, Repertoire , Tome 5, le Caire (1934), PP. 9 - 10, No. 1620., Wiet, Materiaux Pour un Corpus , Egypte, II, le Caire, (1930), PP. 91 - 94 .

(٧١) مما له دلالته فى هذا الصدد أن ما كتبه كريزول عن هذين الأثرين ، كان قد أطلع عليه الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف فضمنته كتابها (مصر فى عصر الإخشيديين) فى عام ١٩٥٠م وقت طباعة المجلد الأول من كتابه (وهو المجلد الذى بين أيدينا) والذى صدر فى عام ١٩٥٢م ، وعلى ذلك فإن ما ورد فى كتاب سيدة إسماعيل كاشف يعد أول ترجمة لخلاصة ما أورده كريزول عن هذين الأثرين .

سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨ .

(٧٢) يشير بذلك إلى كل من مشهد السبعة وسبعين وليا بأسوان ويؤرخ بالنصف الثانى من القرن ٥هـ/ ١١م والمشهد القبلى بجوار مئذنة بلال بالقرب من الشلال (مندرس) وقد قام بدراستهما كل من مونيريه دى فيلارد (الإيطالى) وكريزول (فى نفس المجلد الذى بين أيدينا) وسعاد ماهر محمد .

De villard, U. M, La necropoli Musulmana di Aswan, le Caire, (1930), PP. 4 - 44 .

سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ١ ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص١٦٣ ، ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٧٣) قمنا بدراسة هذا النمط من التخطيط وتأصيله وتتبع تطوره فى العمارة الإسلامية ؛ وهو التخطيط ذو الأروقة المتقاطعة دون الصحن أو الفناء الأوسط والذى عرف منذ أواخر العصر الأموى وغطيت أروقته بالأقبية واستمر كذلك خلال العصر العباسى بل ساد وانتشر فى العالم الإسلامى فى المشرق والمغرب على السواء ، وحسبنا أن نشير إلى النماذج التى تشبه مشهد آل طباطبا من حيث التغطية بالقباب التسع المتساوية ومنها مسجد بلخ بأفغانستان ويؤرخ بحوالى ٢٢٥ ـ ٢٥٠هـ/ ٨٣٩ ـ ٨٦٤م اعتماداً على زخارفه الجصية التى تجمع بين أسلوبى الطرازين الأول والثانى من طراز سامرا ثم مشهد آل طباطبا حوالى ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م ثم مسجد الباب المردوم بطليطلة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م (يعرف بكنيسة الكريستودى لالوث)، ومنذ القرن ٥هـ/ ١١م فصاعداً ساد هذا النمط المتعدد القباب وانتشر فى العالم الإسلامى كما سبق القول . محمد حمزة الحداد ، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٦٧ ـ ١٨٦ .

(٧٤) هو القاضى بكار بن قتيبة ولاه الخليفة العباسى المتوكل على الله القضاء فى مصر فى عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م وكانت وفاته فى عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م ، وكان قبره موجوداً حتى وقت قريب تجاه مشهد آل طباطبا على يسار الذاهب إلى الإمامين الليث والشافعى ، حيث أزيل عند فتح الشارع الجديد من عند سبيل الوسية ويدل على موضعه كوم فوقه نخلتان يعرف بقبر القاضى بكار .

محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ٤٧ .

(٧٥) باب القرافة (أثر رقم ٦١٨) : هو أحد أبواب مدينة القاهرة ، وقد عرف بذلك لخروج الناس منه لزيارة القرافة الصغرى ، ولا يجب أن نخلط بينه وبين باب القرافة بالقلعة ، وهو يقع قرب ميدان السيدة عائشة في نهاية سور صلاح الدين جنوب القلعة على بعد ٣٠م من باب قايتباى ، وكان مختفيا بين المنازل إلى أن اكتشفه المهندس عباس بدر فى أكتوبر ١٩٤٣م . محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ٢٢٢ ؛ أسامة طلعت عبد المنعم ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى امتداد القاهرة حتـى عصر المماليك ، ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٩٢م) ، ص٩٤ ـ ٩٧ ؛ إيناس حسن محمود زكى ، ميدان صلاح الدين أسفل قلعة الجبـل ، ماجستير (قيد النشـر)، جامعة حلوان (١٩٩٤م) ، ص٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٧٦) لم يقتصر الدفن فى مشهد آل طباطبا على أفراد أسرة آل طباطبا من الرجال والنساء فحسب بل دفن فى هذا المشهد أيضًا أفراد آخرين من خارج هذه الأسرة ومن بينهم المؤرخ الشهير ابن زولاق المتوفى عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م . بن عثمان ، موفق الدين ، ت٦١٥هـ/ ١٢١٨م مرشد الزوار إلى قبور الأبرار المسمى الدر المنظم فى زيارة الجبل المقطم ، تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، القاهرة (١٩٩٥م) ، ص ص ٢٣٥ ـ ٢٥٦.

(٧٧) هو متحف الفن الإسلامى بميدان باب الخلق تجاه مديرية أمن القاهرة .

(٧٨) استبعد فريد شافعى نسبة هذا المحراب إلى العصر الاخشيدى ، ورجّح نسبته إلى أوائل العصر الفاطمى أى إلى أواخر ق٤هـ/ ١٠م فيما بين تاريخ البدء فى بناء الجامع الأزهر وتاريخ البدء فى بناء جامع الحاكم بأمر الله (٣٥٩ـ٣٩٣هـ/ ٩٧٠ـ١٠٠٣م) وقد اعتمد فى ذلك على ظاهرتين ، تنبه إليهما فلورى ولكنه لم يستغلهما الاستغلال الكافى ، وهما ظاهرة العروق المزدوجة أو المقسومة والتى ظهرت فى زخارف جامعى الأزهر والحاكم فى التاريخ المشار إليه وظاهرة العروق الممتدة التى لم تظهر إلا فى زخارف الجامع الأزهر . فريد شافعى ، زخارف وطرز سامرا ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) ، المجلد ١٣ ، الجزء الثانى (ديسمبر ١٩٥١م) ، ص٣٠ ـ ٣٢ ، لوحة ١٠ .

(٧٩) خَرْجِرِد : بفتح أوله وتسكين ثانيه ثم جيم مكسورة وراء ساكنه ودال : بلد قرب بوسنج هراة (بأفغانستان) نسب إليها بعض العلماء ومنهم الإمام أحمد بن إسماعيل بن محمد البوسنجى الخرجردى وغيره . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

(٨٠) انظر حاشية ٤١ ، و ٨٧ من التعليقات .

(٨١) لم يكن جوهر وزيراً أو رئيسا للوزراء كما فهم كريزول وإنما كان كاتبا وقائداً للجيش وصار فى رتبة الوزراة على حد قول المقريزى ، ولمزيد من التفاصيل عن جوهر الصقلى أو الصقلبى كما يرجح بعض العلماء وعلى رأسهم ايفان هربك، ودوره البارز المهم فى التاريخ الفاطمى حتى وفاته فى عام ٣٨١هـ/ ٩٩١م ، انظر : ابن خلكان ، وفيات ، مجلد ١ ، ص ٣٧٥ ـ ٣٨٠ ، المقريزى ، الخطط ، المجلد الثانى ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ص٢٥٥ ـ ٢٦٠ ؛ المقفى الكبير ، مج٣ ، ص٨٣ ـ ١١١ ، على إبراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلى ، القاهرة (١٩٣٣م).

Herbek, i., Die Slavwnim Dienstdes Fatimiden, Archiv Orientali, XXI, (1953), PP. 453 - 481 .

(٨٢) لمزيد من التفاصيل عن يعقوب بن كلس ودوره فى التاريخ الفاطمى حتى وفاته فى عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م. انظر : ابن خلكان ، وفيات ، مجلد ٧ ، ص ٢٧ ـ ٣٥ ؛ المقريزى ، الخطط ، المجلد ٣ ، ص١٣ ـ ٢١ ؛ ابن الصيرفى ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص٤٧ ـ ٥٢ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية فى مصر ، ص٣٢٠ ـ ٣٢١ ، ٥٨٤ ، ٥٩٦ ؛ فاروق عمر فوزى ، يعقوب بن كلس أول وزير للفاطميين فى مصر ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بغداد (١٩٧٢م)؛

عبد المنعم عبد الحميد سلطان ، دور يعقوب بن كلس فى تاريخ مصر الإسلامية (٣٥٥ ـ ٣٨٠هـ/ ٩٦٦ ـ ٩٩١م) ـ مجلة كلية الآداب بسوهاج ، العدد ١٤ ، يناير (١٩٩٤م)، ص٨٩ ـ ١١٣ ؛

Lev, Y., The Fatimid Vizier Yaqûb ibn Killis and the Begining of the Fatimid Administration in Egypt, Der islam, 58, (1981), PP. 237 - 249 .

(٨٣) يستفاد من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية أن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله قد وضع مشروع الانتقال إلى الشرق وفتح مصر موضع التنفيذ منذ اعتلائه عرش الخلافة الفاطمية فى عام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م ، وهو الأمر الذى تعضده وتؤكده الأدلة الآثارية المستمدة من النقوش وبخاصة نقوش السكة ونقوش الطراز . ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر ، محمد حمزة الحداد ، النقوش الآثارية ، المجلدالأول ، ص١٦٥ ـ ١٦٨ .

(٨٤) النص الأصلى عند المقريزى كما يلى « ... وامتنعا أن يأخذا إلا ديناراً معزيا ، فاتضع الدينار الراضى وانحط إلى نحو ثلثى دينار ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار فخسر الناس كثيراً من أموالهم فى الدينار الأبيض والدينار الراضى وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصفا ... ». المقريزى ، الخطط ، المجلد ٣ ، ص١٥ .

(٨٥) لمزيد من التفاصيل عن حملة جوهر واستيلائه على مصر ، انظر ، أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ١٣٧ ـ ١٥٢ ؛

Bianquis, th., La Prise de Pouvoir Parles Fatimides en Egypte, An. Isl, Xi, (1972), PP. 49 - 108., Lev, Y., The Fatimid Comquest of Egypt. Military, Political and Social Aspects, isr. or. st. ix (1979), PP. 315 - 328 .

(٨٦) النص الأصلى عند المقريزى كما يلى « ... فنزل ـ أى جوهر ـ حيث القاهرة الآن ، وأناخ هناك . وكانت حينئذ رملة ـ فيما بين مصر وعين شمس ـ يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس ، وكانت فيما بين الخليج المعروف فى أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين ثم قيل له خليج القاهرة ، ثم هو الآن ـ أى زمن المقريزى ـ يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكمى ، وبين الخليج والجبل المعروف باليحاميم وهو الجبل الأحمر ... ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هى بستان الأخشيد محمد بن طغج ـ المعروف اليوم بالكافورى ـ من القاهرة ودير

للنصارى يعرف بدير العظام ... وبقى الآن بئر هذا الدير ويعرف ببئر العظام ـ والعامة تقول بئر العظمة ـ وهى بجوار الجامع الأقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء إليه ، وكان بهذه الرملة أيضاً مكان ثالث يعرف بقصير الشوك ـ بصيغة التصغير ـ تنزله بنوعذره فى الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة ...». المقريزى ، الخطط ، المجلد الثانى ، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٨٧) جانب الصواب كريزول فالمنصورية ليست هى مدينة القصر التى بنيت خارج القيروان وإنما هى مدينة صبرة (انظر حاشية ٤١ من التعليقات)؛ أما مدينة القصر فهى العباسية التى ابتناها إبراهيم بن الأغلب ١٨٤هـ/ ٨٠٠م خارج القيروان على بعد ثلاثة أميال من ناحيتها القبلية ،وعرفت بمدينة القصر القديم ثم حلت محلها مدينة رقادة ، وقد أجريت فيها الحفائر الآثارية التى أسفرت عن اكتشافات مهمة ؛ البكرى ، المسالك ، ص٦٨٠ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص٣٦٨ ـ ٣٧٠ ؛ عبد الجبار ناجى ، دراسات فى تاريخ المدن ، ص٢٦٥ ـ ٢٦٨ .

(٨٨) هو إسماعيل بن القائم الملقب بالمنصور بعد أن قضى على ثورة صاحب الحمار ، وكانت فترة خلافته فيما بين ٣٣٤ ـ ٣٤١هـ/ ٩٤٦ ـ ٩٥٣م وهو يعد الخليفة الفاطمى الثالث .

(٨٩) ولمزيد من التفاصيل حول تسمية القاهرة انظر ، المقريزى ، الخطط ، المجلد ٢ ، ص١٧١ ، ٢٥٦ ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص١١٢ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ، ق٥ ، ص٣٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٤ ، ص٤١ ـ ٤٢ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ؛

Sayyid, La Capital, PP. 163 - 164 ., Kunitzsch, P., Zur Namenge bung Kairos (Al - QÂhir - Mars), Der islam, (1975), PP. 205 - 225 .

(٩٠) يعرف أيضاً بمنظرة اللؤلؤة وكان موضعه على الخليج بالقرب من باب القنطرة ، وكان أول من بناها الخليفة العزيز بالله وسكن بها برجوان فيما بين ٣٨٨ ـ ٤٠٢هـ/ ٩٩٨ ـ ١٠١١م ، ثم تنقلت بها الأحوال بعد ذلك ، ومهما يكن من أمر فقد كان قصراً من أحسن القصور وأعظمها زخرفة أو كما قيل كان أحد متنزهات الدنيا المذكورة . المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٤٦٧ ـ ٤٦٩ ؛ ابن عبد الظاهر ، محيى الدين أبو الفضل عبد الله ، ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م ، الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، بيروت (١٩٩٦م) ، ص١١٠ ـ ١١١ .

(٩١) دار الذهب : كانت مطلة على الخليج على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وقد بناها الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، وكان ينزل بها إذا نزل الخليفة بقصر أو منظرة اللؤلؤة وكذلك فعل المأمون البطائحى ، وكان فى موضعها زمن المقريزى (دار بهادر الأعسر) وقد بقى منها عقد بجوار دار الأعسر يعرف (زمن المقريزى) بقبو الذهب من خطة بين السورين . ابن عبد الظاهر ، الروضة، ص١١٢ ـ ١١٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٤٦٨ ، ٤٧٠ ، جـ٢ ، ص٢٤ ، ٦٣ ـ ٦٤ .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن إحدى قاعات القصر الشرقى الكبير كانت تعرف بقاعة الذهب وقصر الذهب وبها كان سرير الملك . المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٨٥ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٧٦ ـ ٣٨١ .

(٩٢) تم ردم الخليج نهائيا فى عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م ، ومنذ عام ١٩٥٦م أصبح شارع الخليج المصرى يعرف ـ ولا يزال ـ بشارع بور سعيد .

(٩٣) قرافة المجاورين : هى جزء من قرافة صحراء المماليك شمال القلعة ، وتتصل بقرافة قايتباى ، وقد عرفت بذلك لأنها قريبة من الجامع الأزهر ويدفن بها غالب أهله المجاورين من العلماء والغرباء والفقراء ولذلك اشتهرت فى المصادر باسم بستان المجاورين أو بستان العلماء أو قرافة البستان .
محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٩٤) الدرب الأحمر : يمثل الدرب الأحمر القسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلى ، وهو القسم الذى يقع على يسار الخارج من باب زويلة (بوابة المتولى) ، ويبدأ شارع الدرب الأحمر من باب زويلة حتى نصل إلى التبانة وبنهايته يتفرع إلى اتجاهين الأيمن يؤدى إلى سوق السلاح وينتهى عند ميدان صلاح الدين أسفل القلعة (ميدان الرميلة) ؛ والأيسر يؤدى إلى شارع باب الوزير فسكة المحجر فميدان صلاح الدين (الرميلة) . محمد حسام الدين إسماعيل ، منطقة الدرب الأحمر ، دراسة للقسم الثالث من ظاهر القاهرة القبلى ، ماجستير (قيد النشر) ، جامعة أسيوط ، آداب سوهاج (١٩٨٦م) ، ص١٢ .

(٩٥) جامع قجماس الإسحاقى (أثر رقم ١١٤) : يعرف أيضاً بجامع أبو حريبة وقد أمر بانشائه الأمير قجماس الإسحاقى ٨٨٥ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٨٠ ـ ١٤٨١م. حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص٢٦٥ ـ ٢٦٩ ؛ حسن قاسم ، المزارات الإسلامية ، جـ٤ ، ص٢٢٤ ـ ٢٢٦ ؛ سوسن سليمان ، منشأة الأمير قجماس الإسحاقى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٤م) .

(٩٦) جامع أصلم البهائى (أثر رقم ١١٢) : هذا الجامع داخل الباب المحروق أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلحدار ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م وبه درس وأنشأ بجواره داراً سنية وحوض ماء للسبيل وكانت له أوقاف وهو من أحسن الجوامع . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ ؛
Karim, ch., The Mosque of Aslam Al-Bahi Al-Silahadar, Annalesi Islamalogiques, T. XXIV, le Caire, (1988), PP. 233 - 251 .

(٩٧) كانت سويقة أمير الجيوش تقع فيما بين حارة برجوان وحارة بهاء الدين ، وكان يوجد فيما بين سويقة أمير الجيوش وباب القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية (المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٤ ١٠١) فكيف تكون الفرحية هى نفسها سويقة أمير الجيوش كما استنتج كريزول ؟

(٩٨) زويلة : بفتح أوله وكسر ثانيه وبعد الياء المثناه من تحت الساكنة لام : بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية فى البر بين بلاد السودان وأفريقية وهى أول حدود بلاد السودان كما ذكر البكرى . وزويلة المهدية وهى مدينة بافريقية بناها المهدى الفاطمى إلى جانب المهدية بينهما رمية سهم فقط فسكن هو وعسكره بالمهدية وأسكن العامة فى زويلة وكانت دكاكينهم وأموالهم فى المهدية وبزويلة مساكنهم حتى يحول بينهم وبين أموالهم ليلا وبينهم وبين حريمهم نهاراً وبالتالى يأمن غائلتهم ؛ وذكرها البكرى ضمن أرباض (أحياء) المهدية القريبة منها وبه الأسواق والحمامات . البكرى ،

المسالك، ص ٦٥٧ ، ٦٨٣ ـ ٦٨٤ ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص١٥٩ ـ ١٦٠ ؛ المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٨٦م) ، ص ٢٣٦ ؛ أما زويلة القاهرة فهى محلة وباب ، والمحلة هى حارة زويلة وهى « محلة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عدة محال سميت بذلك لأن جوهر غلام المعز لما إختط محله بالقاهرة أنزل أهل زويلة بهذا المكان فتسمى بهم » أما الباب فهو باب زويلة ويذكر ابن عبد الظاهر « لما نزل القائد جوهر بالقاهرة اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها والبئر التى تعرف ببئر زويلة ... والبابان المعروفان ببابى زويلة ...». وقد عرفت حارة زويلة فى القرن ١١هـ/ ١٧م بحارة اليهود لأنها سكن اليهود وهى كثيرة الدروب والخوخ تغيرت أسمائها الأولى فى هذه الفترة . ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص١٦٠ ؛ المشترك ، ص٢٣٦ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص١٦ ، ٥٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٤ ؛ محمد حمزة الحداد ، موسوعة العمارة الإسلامية فى مصر ، المجلد ٢ ، القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص ١١ ـ ١٢ .

(٩٩) انظر أيضاً ، ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(١٠٠) الجامع المؤيدى (أثر رقم ١٩٠) : هذا الجامع بجوار باب زويلة (بوابة المتولى) من داخله كان موضعه خزانة شمائل وقيسارية سنقر الأشقر وغير ذلك ، وقد أمر بإنشائه وعمارته السلطان الملك المؤيد شيخ فيما بين ٨١٨ ـ ٨٢٣هـ/ ١٤١٥ ـ ١٤٢٠م. المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ص٣٢٨ ـ ٣٣٠ ؛ حسنى نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر ، عصر الأيوبيين والمماليك ، القاهرة (١٩٩٦م) ، ص ٣٨٢ ـ ٣٩٦ ؛ فهمى عبد العليم ، جامع المؤيد شيخ، مشروع المائة كتاب ، العدد ٢٢، مطبعة هيئة الآثار المصرية ، القاهرة (١٩٩٤م) .

(١٠١) السبيل المسمى مدرسة العقادين (أثر رقم ٤٠١) : وهو سبيل محمد على باشا وقد أنشأه فى عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م صدقة على روح ابنه طوسون باشا المتوفى بالطاعون فى عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م وعمر فوقه مكتبا للسبيل (كتابا) تحول بعد ذلك إلى مدرسة . حسن عبد الوهاب ، الأسبلة ، مجلة العمارة ، المجلد ٣ ، العدد ٣ ـ ٤، القاهرة (١٩٤١م)، ص ٥٢؛ محمود الألفى ، العمارة الإسلامية فى مصر خلال القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه ـ غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٥م) ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٣ .

(١٠٢) انظر أيضاً ، ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(١٠٣) انظر حاشية رقم ٩٨ من التعليقات .

(١٠٤) يضيف المقريزى فى موضع ثان ما يؤكد نصه السابق حيث يقول « والباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق إلى يومنا هذا مع عضادته اليسرى وعليه أسطر مكتوبة بالقلم الكوفى ، وموضع هذا الباب الآن آخر سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلى باب الجامع الحاكمى ». (جـ٢، ص٣٦٢) .

(١٠٥) ضريح الشيخ قاصد (أثر رقم ١٠) : هو القبة المعروفة بقبة القاصد التى تؤرخ بحوالى ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م، وهى الجزء الوحيد المتبقى من المدرسة القاصدية ، وكان منشئها أحد الرسل إلى السلطان الناصر محمد من ميافارقين .

(١٠٦) ورد هذا النص الثانى عند حديث المقريزى عن « مسالك القاهرة وشوارعها على ما هى عليه الآن ـ أى فى زمنه ـ ...» (جـ٢ ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٧) ولم يكن فى الشارع الذى يعرف بشارع الجمالية الآن أى متنزهات كما استنتج كريزول وإنما عمائر متنوعة الأغراض من المساجد والخوانق والمدارس والخانات والوكالات والحمامات وغير ذلك مما ذكره المقريزى قبل أن يتحدث عن موضع باب النصر الأول (جـ٢ ، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧) .

(١٠٧) وكالة قوصون (أثر رقم ١١) : هذه الوكالة فى معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام وكان موضعها فيما بين الجامع الحاكمى ودار سعيد السعداء ، وكانت تعلوها رباع تشتمل على ٣٦٠ بيتا أدركها المقريزى عامرة . الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٣ ؛ وقد أنشئت هذه الوكالة قبل عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م ولم يتبق منها سوى مدخلها وما يتضمنه من نقش كتابى لا يحوى تاريخ الإنشاء. وقد قامت بدراستها آمال العمرى ضمن رسالتها للدكتوراه عن المنشآت التجارية .

(١٠٨) جامع سودون القصروى (آثر رقم ١٠٥): أمر بإنشائه الأمير سودون القصروى ويؤرخ قبل عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٩م .

(١٠٩) وردت هذه الإشارة عند حديث المقريزى عن بناء القاهرة وما كانت عليه فى الدولة الفاطمية (جـ٢ ، ص٣٦٢) .

(١١٠) ويضيف المقريزى فى موضع آخر فيقول « فأما الجهة الشرقية فإنها من سور القاهرة الذى فيه الآن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق وتنتهى هذه الجهة إلى الجبل المقطم ». جـ٢ ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(١١١) عبد الرحمن كتخدا : يعد من أعظم الأمراء فى النصف الثانى من ق١٢هـ/ ١٨م فقد كان يتمتع بمكانة كبيرة ونفوذ عظيم وشهرة واسعة وثروة هائلة ، وقد أمر بإنشاء وتجديد العديد من العمائر والأبنية الدينية والمدنية ومشاهد آل البيت ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة عليها ، ولذلك استحق لقب صاحب الخيرات والعمائر فى مصر والشام والروم ، وكانت وفاته فى عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م ودفن فى قبته الملحقة بزيادته بالجامع الأزهر .

محمد حمزة الحداد ، الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه (قيد النشر)، جامعة القاهرة (١٩٩٠م)، ص٤٧٩ ـ ٤٨٥؛ ولمزيد من التفاصيل انظر كتابنا : عبد الرحمن كتخدا أمير البناة فى العصر العثمانى ، القاهـرة ، مكتبـة زهراء الشرق (قيد النشر) .

(١١٢) مقابر الخلفاء : يقصد بها قرافة صحراء المماليك شمال القلعة ، والتى تعرف أيضًا بقرافة المماليك الشمالية أو القرافة الشرقية أو الشمالية الشرقية ، أما هذا المصطلح الذى ذاع خلال القرن ١٩م فلا

أساس له من الصحة وكان يقصد به حينا الجزء الجنوبى من هذه القرافة وحينا آخر الجزء الشمالى منها ، ومن المسميات الفرعية لهذه القرافة قرافة الغفير فى الجزء الشمالى منها ، وقرافة قايتباى فى الجزء الأوسط ، وقرافة العفيفى ، وقرافة المجاورين ، وقرافة باب الوزير . محمد حمزة الحداد ، قرافة ، ص١٧٠ ـ ١٧٨ .

(١١٣) جامع البنات (أثر رقم ١٨٤) : هو المدرسة الفخرية التى أمر بإنشائها الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار فى عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م وكان بها عدة دروس وتصوف ، وكانت فى الأصل بجوار دار الذهب الفاطمية ثم اشتهرت فى العصر العثمانى بجامع البنات على نحو ما ذكر عبد الغنى النابلسى فى رحلته المسماه « الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ». المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٨ ؛ حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٢١٥ ـ ٢١٧ ؛ حسنى نويصر ، العمارة الإسلامية ، ص٣٦٨ ـ ٣٧٥ ؛ محمد محمد الكحلاوى ، مدرسة الأمير عبد الغنى الفخرى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨١م) .

(١١٤) جامع القاضى يحيى (أثر رقم ١٨٢) : أمر بانشائه القاضى يحيى زين الدين فى عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م، وهو يقع عند تقاطع شارع الخليج المصرى (شارع بور سعيد) مع شارع الأزهر . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص٢٣٥ ـ ٢٣٧ ؛ حسن قاسم ، المزارات ، جـ٤ ، ص١٢٩ ـ ١٣٢ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ ، ص١٥٠ ـ ١٥٢ ؛ ليلى الشافعى ، منشآت القاضى يحيى زين الدين بالقاهرة ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٢م) .

(١١٥) يشغل موضعها ميدان باب الخلق تجاه شارع أحمد ماهر باشا (تحت الربع سابقا).

(١١٦) سراى منصور باشا : تدرج منصور باشا فى عدة مناصب فيما بين ١٢٨٠ ـ ١٢٩٦هـ/ ١٨٦٤ ـ ١٨٧٩م ومنها رئاسة مجلس المنصورة ، وعضو بمجلس الأحكام ورئيسا له وناظراً على نظارتى المعارف العمومية والأوقاف ووكيلا للمجلس الخصوصى وناظراً للداخلية . وكانت هذه السراى بشارع الخليج المصرى (شارع بور سعيد) حيث تمتد من شارع جامع البنات (المدرسة الفخرية) إلى درب سعادة أمام جامع الحبشلى وكان يشغل موضعها عدة بيوت وعطف وحارات وأبنية وعمائر مختلفة هدمت جميعها وحلت محلها سراى عظيمة الاتساع ، وبعد موته آلت إلى ابنته ، وانتهى الأمر بشراء الخديوى إسماعيل لهذه السراى وقام بشراء الدور المجاورة لها من الجهة القبلية والبحرية وهدم الجميع وأنشأه داراً واحدة برسم كريمته حرم منصور باشا وعمل بداخلها بستانا عظيما وقيل أن التكلفة الاجمالية بلغت ما يزيد على مائتى ألف جنيه مصرى ، وقد تقلبت بها الأحوال وانتهى الأمر بتحويلها فى أواخر القرن ١٩م إلى محكمة ومقراً لمديرية أمن القاهرة وسجنا للاستئناف .على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٨ ـ ٩ ، ٤٩ ، جـ٤ ، ص٥٦ ـ ٥٧ ؛ أمين سامى ، تقويم النيل ، جـ٣ ، مج٢ ، القاهرة (١٩٣٦م) ، ص٥٤١ ، ٦٣٤ ، ٨٠٥ ، ٨١٠ ، مج٣ ، ص١١٢٤ ، ١٢٠٢ ، ١٣٤٧ ،

١٥٤٧ ؛ محمد حسام الدين إسماعيل ، مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى إسماعيل ، القاهرة (١٩٩٧م) ، ص ٣٨٤ ـ ٣٨٦ .

(١١٧) اسكندر باشا : يعد من ولاة مصر العثمانية فى القرن ١٠هـ/ ١٦م وكانت فترة حكمه فيما بين ٩٥٦ ـ ٩٦١هـ/ ١٥٤٩ ـ ١٥٥٣م ومن مآثره جامع وتكية وسبيل وبعض المنازل والدكاكين الموقوفة على ذلك بمنطقة باب الخلق وقد هدمت كلها وحل محلها الميدان تجاه سراى الأمير منصور باشا المشار إليها فى الحاشية السابقة (رقم ١١٦) وذلك عندما اشتراها الخديوى إسماعيل من ابنة منصور باشا واشترى الدور المجاورة لها من الجهة القبلية والبحرية وهدم الجميع وأنشأه داراً واحدة برسم كريمته حرم الأمير منصور باشا وأحدث من أجلها هذا الميدان الذى حل محل جامع اسكندر باشا وملحقاته . ابن الوكيل ، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ١٩٩٨م ، ص١٥ ؛

ابن عبد الغنى ، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات الملقب بالتاريخ العينى، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة (١٩٧٨م) ، ص١١٢ ـ ١١٣ ، حجة وقف اسكندر باشا (أوقاف رقم ٩١٩) ،

على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٨ ـ ٩ ، ٤٩ ، جـ٤ ، ص٥٦ ـ ٥٧ ؛ محمد حسام الدين إسماعيل ، مدينة القاهرة ، ص٣٨٥ .

(١١٨) پول كازانوفا ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة وتقديم أحمد دراج ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(١١٩) سكة النبوية : هى السيدة الشريفة فاطمة النبوية بنت سيدنا الحسين بن الإمام على رضى الله عنهم المدفونة فى جامعها بالدرب الأحمر ، وقد اشتهر أنها مدفونة فى درب سعادة ومن ثم نسبت هذه السكة أو العطفة إليها وقد كانت هذه النقطة موضع خلاف ومناقشة بين المؤرخين وليس هنا مجال للحديث عن هذا أو ذاك . مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ٥ ، ص١٥٥ ـ ١٥٦ ؛ الشبلنجى (الشيخ سيد) ، نور الأبصار فى مناقب آل البيت النبى المختار ، القاهرة ، د. ت ، ص١٨٧ . وعن جامع النبوية بالدرب الأحمر ، انظر : محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، مج٢ ، ص٣٣٧ ؛ محمد حسام الدين إسماعيل ، منطقة الدرب الأحمر ، ص ؛ على الطايش ، مسجد وضريح السيدة فاطمة النبوية بالدرب الأحمر بالقاهرة ، مجلة التاريخ ولمستقبل ، قسم التارخ بآداب المنيا ، المجلد ٣ ، العدد ١ ، يناير (١٩٩٣م) ، ص٢٦٥ ـ ٣١١.

(١٢٠) تحت الربع : ينسب هذا الشارع إلى الربع الظاهرى الذى كان قد أمر بإنشائه السلطان المملوكى البحرى الظاهر بيبرس البندقدارى خارج باب زويلة فيما بينه وبين باب الفرج وأوقفه على المدرسة الظاهرية بخط بين القصرين ، وكان ربعاً كبيراً توجد تحته « عدة حوانيت من آجل الأسواق وللناس فى سكنها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه إلى الحكام ». المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ،

ص٣٧٩ ؛ مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ٣ ، ص٢٠٤ ، عبد اللطيف إبراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، القاهرة (١٩٧٩م) ، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذا الشارع وأهميته انظر ، عاطف عبد الدايم ، شارع تحت الربع ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧م .

(١٢١) يعرف هذا الشارع حاليا بشارع أحمد ماهر باشا .

(١٢٢) يؤكد هذا النص الذى بين أيدينا ما سبق أن ذكرناه عن نظرية الفراغ العربى وانحراف بعض المستشرقين والعلماء عن الأسلوب والمنهج العلمى (حاشية ٥٤ من التعليقات)، حيث قام كريزول بإضافة كلمة لم ترد فى النص الأصلى للمقريزى وهو « يذكر أن ثلاثة أخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى باباً » وعندما قام كريزول بترجمة هذا النص إلى اللغة الإنجليزية أضاف إلى النص ما ليس فيه وهو كلمة «المسيحيين» وبالتالى أصبح النص بصيغته الانجليزية هو « المعماريين المسيحيين الثلاثة » أو ثلاثة معماريين مسيحيين by three Christian Architects فهل هناك تحيز وافتراء بل خطأ فى المنهج العلمى أكثر من ذلك ؟ ومن الواضح أن الهدف من إضافة هذه الكلمة لا يخفى على أولى الألباب .

(١٢٣) كان يتوصل إلى هذه الخوخة من الزقاق الضيق الذى كان يقع على يمين الداخل من باب زويلة الحالى (بوابة المتولى) وكان يسلك فيه كذلك إلى حارة الباطلية ، ومن المعروف أن أمثلة هذه الخوخ كانت كثيرة ومنتشرة فى القاهرة كما يتضح من خطط المقريزى وغيرها من المصادر ، وكانت فى حكم الأبواب الرئيسية الكبرى ولا سيما عندما تغلق فى الليل أو عند حدوث الفتن والأزمات وفى مثل هذه الحالة كان يكثر استخدام مثل هذه الخوخ . المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٧٣ ، جـ٢ ، ص٤٥ ـ ٤٧ .

(١٢٤) يحدد المقريزى على وجه الدقة أن الباب الذى نقله الظاهر بيبرس إلى الخان (وهو خان السبيل) بالقدس ، هو باب العيد وأنه عمله بابا لذلك الخان . جـ٢ ، ص٤٣٥ .

(١٢٥) منية الاصبغ : نسبة إلى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان المتوفى فى عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م ، ويذكر ياقوت أنه لا يعرف بمصر اليوم موضع يعرف بهذا الاسم (أى فى زمنه)، وزعموا أنها القرية المعروفة بالخندق قريبا من شرق القاهرة ، معجم البلدان ، مج٤ ، ص٦٧٤ ـ ٦٧٥ ؛ ويذكر المقريزى أن موضع الخندق قرية خارج باب الفتوح وأنها كانت تعرف أولا بمنية الأصبغ ثم احتفر هذا الخندق جوهر الصقلى ليقابل القرامطة من وراءه وذلك فى عام ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م ، وبعد ذلك صار هذا الموضع من أماكن النزهة حتى خرب فى عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م؛ المقريزى ، الخطط ، المجلد الثالث ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، لندن (٢٠٠٢م) ، ص٤٥٤ ـ ٤٦١ . هذا ويشغل هذا الموضع الآن المنطقة المعروفة باسم الدمرداش وتقع تجاهها منطقة الزاوية الحمراء (كوم الريش سابقا) وهو ما يتفق مع ما ورد فى المصادر المختلفة .

(١٢٦) القصر الشرقى أو القصر الفاطمى الكبير : وضع أساس هذا القصر القائد جوهر الصقلى ، فى نفس الليلة التى اختط فيها القاهرة ، وكان يشغل نحو خمس مساحة القاهرة (سبعين فدانا) بعد أن توالت عليه أعمال التوسعة والإضافة ، ولم يتبق من عمارة هذا القصر أى أثر حيث حل محله فى العصرين الأيوبى والمملوكى العديد من الأبنية بخط بين القصرين (على يمين الذاهب فى شارع المعز لدين الله (النحاسين) وخان الخليلى والجمالية ، ومهما يكن من أمر فقد كان هذا القصر عبارة عن مجموعة من الأبنية والقصور الصغيرة التى تشتمل على العديد من المفردات والعناصر كالقاعات والأواوين والخزائن والمناظر والأبواب والدهاليز ، وقد أطلق على مجموعها القصر أو القصور الزاهرة ولا غرو فى ذلك فقد تركزت فى هذا القصر حياة البلاط ومجالس الخليفة ومنه كانت تخرج المواكب الاحتفالية ؛ كذلك كان هذا القصر يضم بين جنباته روائع وإبداعات فنية حيث تبارى الفنانون فى زخرفته وتصويره حتى حار من شاهده فى وصفه لدرجة أن منهم من خاف أن يتهم بالكذب إذا وصف ما شاهده أو تحدث عنه . هذا ويمكن فى ضوء ما ورد فى المصادر التاريخية مثل المسبحى وابن الطوير وابن المأمون وابن الزبير وناصر خسرو وغليوم اسقف صور وابن عبد الظاهر والمقريزى أن نتعرف على ما كان عليه هذا القصر من عظمة وأبهة وابهار من جهة وما كان يجرى فيه من مظاهر احتفالية متنوعة من جهة ثانية وإعادة بناء الشكل الخارجى له وتحديد موضع أبوابه الرئيسية من جهة ثالثة وإعادة تصور لتخطيط بعض وحداته ومفرداته وعناصره مثل قاعة الذهب والإيوان الكبير ودهليز العمود وغير ذلك من جهة رابعة . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص١٥ ـ ١٦ ، ٢٤ ـ ٤١ ، ٤٣ ـ ٤٩ ، ٥٨ ـ ٥٩ ؛ المقريزى، الخطط ، جـ١ ، ص ص ٣٨٣ ـ ٤٣٨ ؛ ناصر خسرو ، سفرنامة (ترجمة الخشاب) ، ص ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ١٢٢ ـ ١٢٤ ؛ (ترجمة البدلى) ، ص٩٤ ـ ٩٥ ، ١١٢ ـ ١١٤ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٣٧٦ ـ ٣٨٧ ، شكل ١ . الرشيد بن الزبير ، رشيد الدين أبو الحسن ، ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م ، الزخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، قدم له وراجعه صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، الكويت (١٩٨٤م) ؛ ابن الطوير ، أبو محمد المرتضى عبد السلام ، ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م ، نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، أعاد بناءه وحققه أيمن فؤاد سيد ، شتوتجارت (١٩٩٢م) ، ابن المأمون ، الأمير جمال الدين ، ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م، أخبار مصر ـ نصوص من ، حققها وكتب مقدمتها أيمن فؤاد سيد ، القاهرة (١٩٨٣م) ؛ المسبحى ، الأمير المختار عز الملك ، ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م ، أخبار مصر ، الجزء الأربعون ، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى ، القاهرة (١٩٧٨م) ؛ نصوص ضائعة من أخبار مصر ، اعتنى بجمعها أيمن فؤاد سيد ، حوليات إسلامية ، مج ١٧ ، القاهرة (١٩٨١م) ، ص ص ١ ـ ٥٤ ؛ وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ٤ ،ترجمة وتعليق حسن حبشى ، القاهرة (١٩٩٥م)، ص٤٦ ـ ٥٠ .

Sayyid, A. F., La Capitale de L'Egypte Jusqu'a L'époque Fatimide, Beirut, Beiruter Texte und Studien, 48, (1998) ., Schlumberger, G., Campagne du Roi Amaury 1er de Jérusalem en Egypte au XIIe Siécle , Paris (1906) Ravaisse, P., Essai sur L'histoire et sur la Topographie du Caire d'après Makrizi, bc MMAFC, I, (1889), PP. 409 - 480; III (1891), PP. 33 - 114 .

Cyran, M., Recent Discoveries Concerning the Fatimid Palaces Uncovered during the Conservation works on Parts of al - Salihiyya complex, in Barrucan, M. (ed.), L' Egypte Fatimide son art et son histoire, Paris , PP. 649 - 657 .

(١٢٧) ناصر خسرو : هو الرحالة الفارسي ناصر خسرو بن حارث القبادياني نسبة إلى قباديان من نواحي بلخ ولد في عام ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م وكانت وفاته في عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م ؛ وهو يعد من أشهر الرحالة المسلمين في القرن ٥هـ/ ١١م ، وقد استمرت رحلته المعروفة بـ « سفرنامه » سبع سنوات فيما بين ٤٣٧ ـ ٤٤٤هـ/ ١٠٤٥ ـ ١٠٥٢م ، مكث منها في مصر من ١٧ صفر ٤٣٩هـ/ إلى أواخر جمادى الآخرى ٤٤٢هـ أي في خلافة المستنصر بالله الفاطمي ٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م. هذا وقد طبعت هذه الرحلة عدة طبعات في برلين وباريس وطهران وقد اعتمد كريزول على الطبعة الفرنسية على يد شارل شيفر في عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م ، وترجمت هذه الرحلة إلى اللغة العربية على يد الدكتور يحيى الخشاب للمرة الأولى وصدرت عام ١٩٤٣م (ثم أعيد نشر الكتاب للمرة الثانية في سلسلة الألف كتاب الثاني ـ العدد ١٢٢ ، القاهرة ١٩٩٣م) ثم لم يلبث أن ترجمت الرحلة من الفارسية على يد الدكتور أحمد خالد البدلي ، الرياض ، جامعة الملك سعود ١٩٨٣م . ومن الملاحظ للوهلة الأولى وجود اختلاف بين الثلاثة (شيفر ـ الخشاب ـ البدلي) وهو ما سوف يتضح للقارئ من مقارنة الترجمات بعضها ببعض ولا سيما فيما يتعلق بالمصطلحات والأسماء والتقديم والتأخير والحذف والإضافة ، وهو الأمر الذي يؤكد ما سبق أن ذكرناه من ضرورة أن يقوم بهذه الأعمال المتخصصون أولاً أو على الأقل أن يشاركوا (في حالة عدم إلمامهم بلغة الكتاب الأصلية) مع المترجمين في فهم وشرح المصطلحات والأسماء والأحداث المختلفة بحكم تخصصهم . محمد حمزة الحداد ، دراسة تحليلية لبعض المصطلحات الأجنبية المترجمة في العمارة الإسلامية (قيد النشر) .

(١٢٨) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره ». ص١٠٤ ، وورد في ترجمة البدلي كما يلي « ويبدو القصر السلطاني من خارج القاهرة كجبل عظيم شديد الارتفاع شامخ الشرفات أما من داخل القاهرة ، فلا يكاد المرء يرى شيئا منه لأن حوائطه عالية جداً ». ص٩٥ .

(١٢٩) ورد هذا النص في ترجمة الخشاب كما يلي « وهذا القصر يتكون من اثنى عشر بناء ، وله عشرة أبواب فوق الأرض فضلا عن أبواب أخرى تحتها ، وأسماء أبوابه الظاهرة هي : باب الذهب ، باب البحر، باب السريج، باب الزهومة ، باب السلام ، باب الزبرجد ، باب العيد ، باب الفتوح ، باب الزلاقة ، باب السرية ، وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكبا .. وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة تقول أنها قدت من صخر واحد ». ص١٠٥ . وورد في ترجمة البدلي كما يلي « وللقصر (لم يرد في

هذه الترجمة عدد الأبنية التى يشتمل عليها القصر) عشرة أبواب ولكل باب اسم على النحو التالى : باب الذهاب ـ باب البحر ـ باب السريح ـ باب الزهومة ـ باب السلام ـ باب الزبرجد ـ باب العيد ـ باب الفتوح ـ باب الزلاقة ـ باب السرية ، ويوجد تحت أرض القصر باب سرى يخرج منه السلطان عندما يغادر القصر (ولم يرد أيضاً وصف لمادة البناء)...». ص٩٥ .

(١٣٠) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وتحت الأرض باب يخرج منه السلطان راكبا ، وهذا الباب على سرداب يؤدى إلى قصر آخر خارج المدينة ، ولهذا السرداب الذى يصل بين القصرين سقف محكم ، ويتألف القصر من المناظر والإيوانات العالية وقد داخله دهليز به دكك ». ١٠٥ .

وورد فى ترجمة البدلى كما يلى « وللسلطان قصر آخر خارج مدينة القاهرة يتصل بهذا القصر الرئيسى بممرات سرية تحت الأرض ، وبين القصرين نفق يربط بينهما ». ص٩٥ .

(١٣١) ورد هذا النص عند الخشاب كما يلى « كان هناك اثنا عشر جناحا ، أبنيتها مربعة وكلها متصلة بعضها ببعض ، وكلما دخلت جناحا منها وجدته أحسن من سابقه ، ومساحة كل واحد منها مائة ذراع فى مائة ، عدا واحداً منها كانت مساحته ستين ذراعا فى ستين ، كان بهذا الأخير تخت يشغل عرضه بتمامه وعلوه أربع أذرع ، وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث ... ومطبخ السلطان خارج القصر ، ويعمل فيه دواما خمسون غلاما ، ويصل القصر بالمطبخ طريق تحت الأرض ». ص ١٢٣ .

وورد فى ترجمة البدلى كما يلى « رأيت فى طريقى اثنى عشر قصراً يؤدى كل منها إلى الآخر ، وكل قصر يفوق الآخر بمحتويات لا تصدق ، وسعة صوالين تلك القصور نحوا من مائة أرش فى مائة أرش وكلها مربع المساحة ، وأخيراً وصلت إلى صالون قدسى جليل مربع الشكل ستين ذراعا فى ستين ذراعا وفى صدره عرش ممرد يحتل صدر المكان بارتفاع أربعة أذرع عن سطح الأرض وكرسى العرش من الذهب الخالص ... ويقع المطبخ السلطانى خارج القصر ، ويقوم على خدمته خمسون خادما بصفة دائمة ، ويربط المطبخ بالقصر نفق تحت الأرض ». ص١١٣ ـ ١١٤ .

(١٣٢) ومن الأهمية بمكان أن نزود القارئ ببعض الأوصاف التى وصف بها هذا القصر ومفرداته ومن ذلك أنه « فريدا فى نوعه ويسير على تقاليد غير مألوفة فى الغرب فى ذلك الوقت » وقد سار أعضاء السفارة فى «دهاليز ضيقة ليس فيها بصيص من النور ... إلى أن وصلوا إلى « ساحة كبيرة فسيحة غير مسقوفة تأذن للشمس بالدخول وتؤدى إلى ردهات ذات أعمدة رخامية منقوشة برسوم بارزة تحمل سقوفا ذهبية وحولها أرضيات من الأحجار المختلفة الألوان وتبدو فى هذا المكان كل مظاهر الأبهة الملوكية التى أبدعتها يد الصانع الماهر مما يشير إلى روعة الصنعة ... وعندما وصلوا إلى القسم الداخلى من القصر (بعد إجتيازهم الكثير من الممرات المتعرجة وسلوكهم الكثير من الطرق التى يضل فيها المرء) «إنزاحت فى سرعة عجيبة الستائر المرصعة بالجواهر والذهب وظهر العرش خلفها والخليفة سافر الوجه على تخته الذهبى وحوله طائفة من مستشاريه وعبيده ...».

Schlumberger, Compagnes, PP. 118 - 119, 126.,

وليم الصورى ، الحروب الصليبية ، جـ٤ ، ص ٤٦ ـ ٥٠ ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(١٣٣) إذا كان هذا العرش لم يرد ذكره في طبعة شيفر لرحلة ناصر خسرو (وهي الطبعة التي عوّل عليها كريزول) إلا أنه ورد في ترجمة الخشاب بصيغة « تخت يشغل عرضه بتمامه وعلوه أربع أذرع وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث »؛ وفي ترجمة البدلي بصيغة « عرش ممرد يحتل صدر المكان بارتفاع أربعة أذرع عن سطح الأرض وكرسي العرش من الذهب الخالص ». انظر : حاشية ١٣١من التعليقات .

(١٣٤) يذكر ناصر خسرو أن عدد أبواب القصر عشرة أبواب (باب العيد ـ باب البحر ـ باب الذهب ـ باب الزهومة ـ باب السرية ـ باب الزبرجد ـ باب الفتوح ـ باب السلام ـ باب السريج ـ باب الزلاقة)؛ أما عند المؤرخين فيبلغ عددها تسعة أبواب (باب العيد ـ باب البحر ـ باب الذهب ـ باب الزهومة ـ باب التربة ـ باب الديلم ـ باب قصر الشوك ـ باب الزمرد ـ باب الريح) . ويلاحظ مما تقدم إتفاق في أسماء الأبواب الأربعة الأولى فحسب (باب العيد ـ باب البحر ـ باب الذهب ـ باب الزهومة) ، والراجح أن باب السرية تحريف لباب التربة ، وباب السريج تحريف لباب الريح ، وباب الزبرجد اسم آخر لباب الزمرد ، أما الأبواب الثلاثة الباقية (باب الفتوح ـ باب الزلاقة ـ باب السلام) فلا يوجد من الأدلة المتوافرة ما يدل على ارتباطها بأى من البابين الآخرين (باب الديلم ـ باب قصر الشوك) حتى الآن ، وربما تزودنا المصادر المختلفة بما يساعد في حسم هذه القضية بمشيئة الله تعالى .

(١٣٥) باب الذهب : يذكر ابن عبد الظاهر أن هذا الباب تجاه الدار القطبية وهي المارستان الآن (مجمع قلاوون الشهير) ، أما المقريزي فيحدد موضعه محراب المدرسة الظاهرية تجاه مجمع قلاوون الشهير .
ابن عبد الظاهر، الروضة ، ص١٥ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٦٢ ، ٤٣٣ .

(١٣٦) باب الريح : عرف في العصر الأيوبي بباب قصر ابن الشيخ ثم عرف في العصر المملوكي بباب القصر وهدم في عام ٨١١هـ/ ١٤٠٨م وبني في موضعه وموضع الدهليز المظلم قيسارية للأمير جمال الدين يوسف الأستادار بجوار مدرسته من رحبة باب العيد (ولا تزال هذه المدرسة باقية في موضعها حتى الآن وهي التي تعرف بالمدرسة الجمالية) . المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٦٢ ، ٤٣٤ . أما القيسارية فهي التي يشغل موضعها الآن الوكالة المعروفة بوكالة بازرعة تجاه بقايا خانقاه سعيد السعداء وهو ما يتفق مع ما ذكره المقريزي من أنه كان قد أدرك هذا الباب « تجاه سور سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق إلى رحبة باب العيد ». المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص ٤٣٤ .

(١٣٧) باب العيد : كان موضعه زمن المقريزي داخل درب السلامي بخط رحبة باب العيد ، واشتهرت قبته لدى العامة بقبة القاهرة ، وكان الخليفة يخرج منه في يومي العيد إلى المصلي بظاهر باب النصر ومن هنا جاءت تسميتة بذلك الاسم وإليه نسبت رحبة باب العيد . ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص١٥ ؛ المقريزي ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٦٢ ، ٤٣٥ .

(١٣٨) باب البحر : كان يقع تجاه المدرسة الكاملية (دار الحديث الكاملية) التي لا تزال بقاياها قائمة في

موضعها تجاه قصر الأمير بشتاك (الذى لا يزال فى موضعه أيضًا) وهو القصر الذى كان من جملة القصر الشرقى الكبير وكان يسلك إليه من باب البحر الذى عرف بعد إنشاء القصر بباب قصر بشتاك .

ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص١٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٦١ ، ٤٣٤ ، جـ٢ ، ص٧٠.

(١٣٩) دهليز العمود : كان دهليز العمود يقود إلى مقطع الوزارة حيث توجد المرتبة المختصة بالوزارة ، وعندها الباب المعروف بـ « باب السرداب » وكان حمام القصر يقع خلف هذا الباب ، وكان هذا الدهليز يسبق قاعة الذهب . المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٨٦ ؛ أيمن فواد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(١٤٠) استخدمت فى العصر الفاطمى صيغة أفضل التفضيل فى تسمية العمائر الدينية التى أنشأها الخلفاء مثل الجامع الأزهر والجامع الأنور والمسجد الأقمر والمسجد الأفخر ، وإن كان ذلك لم يحل دون اطلاق أسماء أخرى على تلك الجوامع والمساجد كما يستدل من المصادر التاريخية فالأزهر عرف أيضًا بجامع القاهرة ، والحاكم عرف أيضًا بالجامع الجديد وجامع الحاكم وجامع الخطبة ، والمسجد الأفخر عرف أيضًا بجامع الظافر ثم اشتهر بجامع الفكهانى أو الفاكهيين .

(١٤١) مما له دلالته أنه عندما جدد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله الجامع الأزهر « أنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدم الجامع بداخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها فى المنام » . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٥ .

(١٤٢) يصعب فى هذه العجالة حصر الدراسات المتعلقة بتاريخ الجامع الأزهر ومراحل بنائه وتوسعته وما جرى عليه من أعمال الزيادة والتجديد والإضافة والترميم (منذ العصر الفاطمى حتى القرن العشرين المنصرم) فضلا عن دوره المهم كمؤسسة تعليمية وقفت عليها الأوقاف المغلة ، ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعض الدراسات الحديثة التى عولت على المصادر التاريخية والوثائق المختلفة ، والتى سوف تزود القارئ بمعلومات أكثر تفصيلا من تلك التى أوردها كريزول فى هذا المجلد الذى بين أيدينا من جهة أو معلومات جديدة لم يذكرها كريزول أو يعرض لها من قريب ولا من بعيد ، ومن هذه وتلك : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ ، (ط١ ، ١٩٤٦م ، ط٢ ، ١٩٩٤م) ص٤٧ ـ٦٣؛ محمد عبد الله عنان ، تاريخ الجامع الأزهر ، ط٢ ، القاهرة (١٩٥٨م) ؛ محب الدين الخطيب ، الأزهر ، القاهرة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) ، سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، جـ١ ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص١٦٥ ـ ٢٢٦ ؛ عبد العزيز الشناوى ، الأزهر جامعا وجامعة ، جزءان، القاهرة (١٩٨٣) ؛ الأزهر تاريخه وتطوره ، القاهرة (١٩٦٤م) . محمد زينهم ، الأزهر الشريف ، متحف للفنون الإسلامية من عصر الفاطميين إلى عصر حسنى مبارك، الترميم الدقيق ، القاهرة (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص١٥ ـ ١٣٥ .

Rabbat, N., Al-Azhar Mosque An architectural Chronicle of Cairo's History , Muqarnas, vol, 13, (1996), PP. 45 - 67 .

هاينز هالم ، الفاطميون وتقاليدهم فى التعليم ، ترجمة سيف الدين القصير ، مراجعة مجيد الراضى ، دمشق (١٩٩٩م)، ص٧٣ ـ ٩٨ .

(١٤٣) يعد مفضل بن أبى الفضائل من المؤرخين المسيحيين وكانت وفاته بعد عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ، ويعرف كتابه باسم « النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » وهو يعد ذيلا لتاريخ ابن العميد الملقب بالمكين ، وتاريخ ابن العميد يحمل اسمه كما يحمل عنوان « المجموع المبارك » و«التاريخ الجامع» لأخبار العالم من أول الخليقة إلى عهد السلطان الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ، والقسم الثانى من الكتاب اسمه « تاريخ المسلمين » لأنه يتناول التاريخ من ظهور الإسلام إلى سنة ٦٥٨هـ وكانت وفاة ابن العميد بدمشق ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م ، وقد قام بنشر القسم الإسلامى من تاريخ ابن العميد مع ترجمة لاتينية فى سنة ١٦٢٥م المستشرق أربنوس حتى أحداث عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م ، ثم نشر كلود كاهن أخبار الأيوبيين من الكتاب من عام ٦٠٢هـ إلى عام ٦٥٨هـ (آخر الكتاب) ١٢٠٥ ـ ١٢٦٠م فى مجلة الدراسات الشرقية (BEO) ـ المجلد ١٥ ، باريس (١٩٥٥ ـ ١٩٥٧م) ، ص١٠٩ ـ ١٨٤ ؛ أما النهج السديد لمفضل بن أبى الفضائل (ذيل الكتاب السابق) فقد نشره بلوشيه فيما بين ١٩١٩ و ١٩٢٩م . شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، جـ٣ ، بيروت (١٩٩٠م) ، ص١٩ ، ١٠٩ ـ ١١١ .

(١٤٤)ظلت هذه المنطقة الفضية بالمحراب حتى قلعها السلطان صلاح الدين الأيوبى فى ١١ ربيع الأول ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م لأنه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين (ومن ثم عرف وزنها المشار إليه فى النص) كما قلع أيضاً المناطق من بقية الجوامع . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٧٥ .

(١٤٥) يعد جامع عمرو بن العاص أو الجامع العتيق بمصر القديمة من أقدم الجوامع الإسلامية فى مصر وأفريقيا التى عقدت فيها الحلقات العلمية وكانت تعرف بالزوايا ومنها زاوية الإمام الشافعى والزاوية المجدية والزاوية الصاحبية وغيرها وقد أوقفت على هذه الزوايا الأوقاف مما كان له أثره الكبير فى استمرارها فى أداء رسالتها العلمية ، وكان بجامع عمرو قبل ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م (عام الوباء الأسود) بضع وأربعون حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(١٤٦) انظر أيضاً : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٥ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض (١٩٧٦م)، ص٢٧٩ .

(١٤٧) جانب الصواب كريزول فى استنتاجه هذا لأن خطبة الجمعة لم تبطل فى الجامع الأزهر خلال العصر الفاطمى عامة وعهد الحاكم خاصة وكل ما هنالك أنه ـ أى الخليفة ـ كان يخطب فى كل جامع من الجوامع الأربعة الرئيسية فى مصر والقاهرة (وهى الأزهر والحاكم وابن طولون وجامع عمرو) مرة . أما إبطال الخطبة بالأزهر فلم تحدث إلا مع العصر الأيوبى بعد فتوى قاضى القضاة الشافعى صدر الدين بن عبد الملك بن درباس بأنه لا يجوز إقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد ، ولذلك أمر السلطان صلاح الدين الأيوبى بإبطال الخطبة بالأزهر وأقرها بجامع الحاكم بحجة أنه أوسع رحابا ، ولبثت إقامة الخطبة بالأزهر معطلة ما يقرب من قرن من الزمان إلى أن قيض الله لهذا الجامع كل من السلطان الظاهر بيبرس والأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فإنه على الرغم من أن قاضى القضاة الشافعى ابن بنت الأعز قد أفتى بالمنع ، إلا أنه أخذت بفتوى العلماء الذين أجازوا إقامة الخطبة وبالفعل أقيمت فى ١٨

ربيع الأول ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م . ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٢٧٧ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٣٤٠ ـ ٣٤١ ؛ العينى ، عقد الجمان ، جـ٢ ، ص٦ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ٢ ، ص٨٤ ؛ بيبرس المنصورى ، ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م ، التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد حمدان ، (١٩٩٧م)، ص٦٠ ؛ الزركشى ، محمد بن عبد الله ، ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق الشيخ أبو الوفا المراغى ، ط٢ ، القاهرة (١٩٨٢م) ، ص٣٤ ـ ٣٥ .

(١٤٨)ومن الواضح أن هذا النص منقول عن تاريخ ابن العميد المنقول بدوره عن أحد كتب السيرة الفاطمية المفقودة حتى الآن مثل سيرة الحاكم وسيرة الوزير يعقوب بن كلس وقد نقل عنهما ابن عبد الظاهر والمقريزى بقولهما « ورأيت فى سيرة الحاكم ... » « ورأيت فى سيرة الوزير المذكور ...». ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص٦٨ ، الروض الزاهر ، ص٢٧٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ ؛ المسبحى ، نصوص ضائعة ، ص١٣ .

(١٤٩) لا يزال الباب محفوظا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وعن أهميته الفنية والتاريخية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ط٢ ، بيروت ، (١٩٨١م) ، ص٢٠١ ـ ٢٠٢ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر ، مجلة كلية الآداب ـ المجلد ١٦ ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٤م ، مطبعة جامعة القاهرة (١٩٥٤م) ، ص٦٧ ـ ٦٨ ، ٧٠ ، حسن الباشا، باب الحاكم بأمر الله ، ضمن كتاب القاهرة المشار إليه سابقا ، ص٥١٤ ـ ٥٢٠ ، (وقد أعيد نشر هذا البحث ضمن المجلد الثانى لموسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية للمؤلف نفسه ، بيروت ١٩٩٩م ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨١ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى ، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، القاهرة (٢٠٠١م)، ص ٩٠ ـ ٩١ .

(١٥٠) لا يزال هذا المحراب الخشبى المتنقل محفوظا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وعن أهميته الفنية انظر : زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص٢١٩ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب ، ص٧٩؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، الفنون ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

(١٥١) كان قلع المنطقة الفضية فى ١١ ربيع الأول وليس ٢ ربيع الأول كما سبق القول . (انظر حاشية رقم ١٤٤ من التعليقات) .

(١٥٢) سبق تفنيد هذا القول ونفيه فى الحاشية رقم ١٤٧من التعليقات .

(١٥٣) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، ص٢٧٧ . (هذا ولم تكن هذه السيرة منشورة ومحققة أثناء اعداد كريزول لهذا المجلد من كتابه الذى صدر فى عام ١٩٥٢م) .
ومما له دلالته أنه لم ترد فى النسخة المحققة كلمة (وكساه) التى أوردها المقريزى نقلا عن نفس الكتاب (ولكن من نسخة أخرى كما يبدو).

(١٥٤) لم يبق من هذا المنبر سوى لوحته التأسيسية المحفوظة بمتحف الجزائر . وعن النقش ومضمونه انظر : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الآثرية ، جـ١ ، ص٥٣ ـ ٥٤ ، نعمت محمد أبو بكر ، المنابر فى مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٥م)، ص٢٣١ ـ ٢٣٥ .

(١٥٥) لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة . انظر ، سوسن سعد الشامى ، دراسة آثارية معمارية لظاهرة إلحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٩٤م)، ص٥١ ـ ٧٨ .

(١٥٦) لمزيد التفاصيل عن هذه المدرسة . انظر ، سوسن سعد الشامى ، دراسة آثارية معمارية لظاهرة الحاق المدارس بالجامع الأزهر ، ص ٨٠ ـ ١١٥ .

(١٥٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه المدرسة ، انظر ، سوسن سعد الشامى ، دراسة آثارية معمارية لظاهرة إلحاق المدارس بالجامع الأزهر ، ص١١٧ ـ ١٥١ ؛ حسنى نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر عصر الايوبيين والمماليك ، القاهرة (١٩٩٦م) ، ص٥٧٢ ـ ٥٧٩ .

(١٥٨) تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الرنوك قد استعمل للسلاطين وحدهم وهو يعرف فى المصطلح باسم الخراطيش أو الدروع ويتألف غالبا من درع مستدير أو كمثرى أو مفصص الشكل ، وينقسم غالبا إلى ثلاثة مناطق تشغلها كتابات نسخية فى المنطقة العليا (اسم السلطان) وفى الوسطى (الشطب أو الشطف) التعظيم له وفى السفلى الدعاء له بعدة صيغ .

(اسم السلطان)

(عز لمولانا السلطان الملك)

(عز نصره)

أحمد عبد الرازق أحمد ، الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢١، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص٨٩ .

(١٥٩) هو متحف الفن الإسلامى بميدان باب الخلق تجاه مديرية أمن القاهرة .

(١٦٠) ترجع قبة الليث بن سعد الحالية إلى أعمال الأمير موسى جوربجى مرزا مستحفظان تابع المرحوم مصطفى جوربجى مرزا مستحفظان كما يستدل من النقش الإنشائى المؤرخ فى ٢٥ ذى القعدة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م. حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص٢٠٠ ؛ محمد حمزة الحداد، العمائر الجنائزية فى مصر خلال العصر العثمانى ، مجلة جامعة الملك سعود ، مج١٢ ، الآداب (١) ، الرياض ، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ص٢٤٤ . وعلى ذلك فإن هذه القبة لا ترجع إلى عهد السلطان الغورى لمجرد تشابه مقرنصاتها مع مقرنصات قبة المحراب بالجامع الأزهر ، والتى لا تزال حتى الآن غير مؤكدة النسبة للسلطان الغورى .

(١٦١) هو محمد باشا الشريف الوالى العثمانى فيما بين ١٠٠٤ ـ ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٥ ـ ١٥٩٧م وكانت له مآثر حسنة ، منها عمارة مقام الحسين ، كما عمر الجامع الأزهر ورمّه وأوقف عليه شوربة عدس تطبخ للمجاورين به . ابن أبى السرور البكرى ، الروضة المأنوسة ، ص ١٦١؛ ابن الوكيل ، تحفة الأحباب ، ص١٦٣ ؛ ابن عبد الغنى ، أوضح الإشارات ، ص١٢٦ ؛ القلعاوى ، مصطفى الصفوى ، ت ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م، مشاهد الصفا فى المدفونين بمصر من آل المصطفى ، تحقيق على عمر ، القاهرة (٢٠٠٢م)، ص٢٩.

(١٦٢) هو الأمير عثمان كتخدا القازدغلى المتوفى فى عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م (وليس فى عام ١١٤٨هـ كما ورد فى نص كريزول) فى واقعة بيت محمد بك الدفتردار والتى قتل فيها أحد عشر أميراً من

كبار الأمراء والعسكريين ، وكانت له مآثر حسنة ومن أشهرها جامعه المعروف بجامع الكيخيا على رأس شارع قصر النيل عند تقاطعه مع شارع الجمهورية (شارع إبراهيم باشا سابقا) . محمد حمزة الحداد، موسوعة العمارة ، مج٢ ، ص٣٧٩ ـ ٤٠٧ .

(١٦٣) يمكن أن نضيف إلى هذه الأعمال أيضًا رواق الشوام ورواق الجاوية ، وقد خصص لها كلها جزءاً من ريع وقفه للصرف على مهمات تلك الأروقة فضلا عن الطلبة المجاورين المقيمين فيها ، وكذلك على مهمات زاوية أو تكية العميان فضلا عن طائفة العميان المقيمين بها لقراءة القرآن الكريم قلوا أو كثروا ، وكانت هذه الزاوية أو التكية بجوار المدرسة الجوهرية بالأزهر إلا أنها هدمت وزالت فى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م . حجة وقف الأمير عثمان كتخدا (أوقاف رقم ٢٢١٥) ، ص ١١٦ ـ ١٢٩ ، ٢٧٢ ـ ٢٧٩ ؛ على مبارك، الخطط التوفيقية ، جـ٤ ، ص٤٩ ، ٥٢ ـ ٥٣ ؛ الدمرداش كتخدا عزبان ، الدرة المصانة ، ص٢٠٢ ، سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر ، جـ١ ، ص٢١٦ ـ ٢١٩ ؛ عبد العزيز الشناوى ، الأزهر ، جـ١ ، ص٢٦٠ ـ ٢٦٦ ، ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(١٦٤) انظر أيضًا أحدث نسخة محققة للجبرتى للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، جـ٢ ، القاهرة (١٩٩٨م) ، ص٦ ـ ٧ .

(١٦٥) ورد هذا التاريخ فى عجز البيت الرابع والأخير من تلك الأبيات التى أرخت بها هذه الأعمال وقد وصفها الجبرتى بأنها أبيات ركيكة . جـ٢ ، ص٧ . وبتطبيق قاعدة حساب الجمل يتضح أن تاريخ هذه الأعمال هو ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م ، وهو ما لا يتفق مع التاريخ المنقوش أعلى باب المزينين وهو ١١٦٧هـ / ١٧٥٦م . محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص٥٣ ـ ٥٤ .

(١٦٦) صدر بعد ظهور المجلد الأول (وهو الذى بين أيدينا) فى عام ١٩٥٢م العديد من الدراسات حول عمارة الجامع الأزهر وتطورها خلال العصور التاريخية المتعاقبة ؛ سواء ضمن الدراسات التى تناولت العمارة الإسلامية عامة أو العمارة والآثار الإسلامية فى مصر من جهة أو العمارة الفاطمية خاصة من جهة ثانية ؛ وفيما يتعلق بعمارة الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى فإن النتائج التى أسفرت عنها دراسة كريزول كانت هى الأساس لغالبية تلك الدراسات وحسبنا أن نشير إلى بعضها ومنها : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ١ ، ص ١٦٥ ـ ٢٢٦ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، القاهرة ١٩٧٠م، ص٢٤ ـ ٢٦ ؛ عبد الرحمن فهمى ، الجامع الأزهر ، (ضمن كتاب القاهرة المشار إليه سابقا) ، ص٤٥٣ ـ ٤٦١ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جدة (١٩٩٠م)، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ؛ قمم عالمية فى تراث الحضارة العربية الإسلامية المعمارى والفنى ، جـ١ ، دمشق (٢٠٠٠م) ، ص٢٦٣ ، ٢٦٦ ؛ مصطفى عبد الله شيحة ، الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى ، القاهرة (١٩٩٢م) ، ص ١٠١ ـ ١١٦ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ٢١٩ ـ ٢٣٧ ؛ العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص١٤٦ ـ ١٤٩ ؛ آمال العمرى وعلى الطايش ، العمارة فى مصر الإسلامية ، العصرين الفاطمى والأيوبى (ديرب نجم ،

الشرقيــة ، مكتبة الصفا والمروة ١٩٩٦م) ، ص ٧٢ ـ ٧٤ ؛

Brandenburg , D., Islamische Baukeunst in Agypten , Berlin, (1966), P. ., Abouseif , D. B., Islamic Architecture in Cairo, An Introduction , Cairo , (1989), PP. ., Hoag, J., Islamic Architecture, New York, (1977)., PP; Hillenbrand, R, Islamic Architecture, New York .

(١٦٧) سبق القول أن التاريخ الصحيح لعمارة عبد الرحمن كتخدا بالأزهر ـ بما في ذلك المدرسة الطيبرسية ـ١١٦٧هـ/ ١٧٥٦م .

(١٦٨) أثبتنا في دراسة سابقة أنه لا فرق بين مدلول كل من الرواق والبلاطة وأن كليهما مرادف للآخر وأن الأول قد اختصت به مصر وأقاليم المشرق الإسلامي ، والثاني اختصت به أقاليم الغرب الإسلامي ، وبالتالي أمكن وضع تعريف جديد ثابت لكلا المصطلحين وهو أنه يقصد بهما ـ أي بالرواق والبلاطة ـ الدلالة على صفوف البائكات والمساحات المسقوفة المحصورة بينها سواء كانت عمودية على جدار القبلة أو موازية لذلك الجدار ، أو متقاطعة (أي موازية لجدار القبلة وعمودية على ذلك الجدار في ذات الوقت) ولا سيما في المساجد المغطاة بالأقبية أو القباب أو كليهما معًا . محمد حمزة الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمـارة الإسلاميـة ، القاهرة ، ط١ ، (١٩٩٦م) ، ط٢ (٢٠٠١) ، ص٤٠ ـ ٦٦ ، ٨٥ ؛ وفي ضوء ذلك يجب الحرص على التمسك بالمصطلحات السائدة في الأقطار المختلفة على أن تكتب المصطلحات المرادفة لها بين قوسين ؛ فإذا كان الحديث عن العمارة الإسلامية في المغرب والأندلس يستخدم مصطلح البلاطة على أن يوضع مصطلح الرواق بين قوسين ، أما بالنسبة للعمارة الإسلامية في مصر والمشرق فيستخدم مصطلح الرواق على أن يوضع مصطلح البلاطة بين قوسين وهكذا بقية المصطلحات الأخرى حتى يزول الخلط والتضارب والتعارض الذى نشاهده في الدراسات المنشورة عربية كانت أو أجنبية أو معرّبة . وهو الأمر الذى طبقناه في دراساتنا المنشورة ، فضلا عن تعليقاتنا على هذا الكتاب فقد استخدمنا مصطلح البلاطة عند الحديث عن جامع المهدية الفاطمي بتونس ووضعنا مصطلح الرواق بين قوسين أما عند الحديث عن العمارة الفاطمية في مصر فقد استخدمنا مصطلح الرواق ووضعنا مصطلح البلاطة بين قوسين .

(١٦٩) من الملاحظ أن كريزول قد جمع بين كل من مصطلحى الرواق والبلاطة في آن واحد ولا سيما عند وصفه للرواقين الجانبيين الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي فكل رواق منهما يشتمل على إحدى عشرة بلاطة مما يشير إلى أن البلاطة جزء من الرواق ؛ على أنه عند وصفه للحرم (مقدم الجامع) قد استخدم مصطلح البلاطة بنفس دلالة مصطلح الرواق . وهذا الجمع بين مصطلحى البلاطة والرواق بنفس الدلالة الأولى الواردة عند كريزول في وصفه للرواقين الجانبيين كانت هي الأساس في الدراسات التى تناولت العمارة الإسلامية في مصر فالجامع في هذه الدراسات عبارة عن صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة أروقة يشتمل كل رواق منها على عدد من البلاطات يختلف من جامع لآخر

وبطبيعة الحال فإن رواق القبلة (مقدم الجامع) يشمل أكبر عدد من البلاطات فى الجامع ، مما يعنى كما هو عند كريزول أن البلاطة جزء من الرواق وهذا لا يصح بأى حال من الأحوال .
ومن بين هذه الدراسات : كمال الدين سامح ، العمارة فى صدر الإسلام ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص ٢٧ ، ١٠٨ ؛ العمارة الإسلامية فى مصر ، ص١٩ ، ٣٧ ، ٤١ ؛ محمد مصطفى نجيب ، العمارة فى عصر المماليك (ضمن كتاب القاهرة المشار إليه) ، ص٢٤٣ ، عبد الرحمن فهمى ، العمارة قبل عصر المماليك (ضمن نفس الكتاب)، ص ٢٢٣ ، مسجد الصالح طلائع (ضمن نفس الكتاب) ، ص٤٦٤ ؛ محمد عبد الستار عثمان ، أخميم فى العصرين القبطى والإسلامى (١٩٨٢م) ، ص٧٦ ، ٧٩ ـ ٨٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ؛ جرجا وآثارها الإسلامية فى العصر العثمانى ، مجلة دراسات آثارية إسلامية ، المجلد ٣، القاهرة (١٩٨٨م) ، ص٢٣٠ ـ ٢٣٣ ؛ سامح عبد الرحمن فهمى ، جامع الظاهر بيبرس ، نفس المجلة المشار إليها ، ص ١١٠ ـ ١١١ ؛ عبد الله كامل موسى عبده ، الفاطميون ، ص١٧٠ ـ ١٧٢ وغير ذلك من الدراسات .

(١٧٠) انظر حاشية رقم ١٥٧ من التعليقات .

(١٧١) لمزيد من التفاصيل عن أعمال عبد الرحمن كتخدا بالأزهر انظر كتابنا :
عبد الرحمن كتخدا أمير البناة فى العصر العثمانى ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (قيد النشر) .

(١٧٢) سبق القول أن التاريخ الصحيح هو ١١٦٧هـ / ١٧٥٦م .

(١٧٣) ابتكر التصوير الفوتوغرافى فى عام ١٨٣٩م بفرنسا على أيدى كل من نيسيفور نيبسى وجاك مانديه داجير ، وقد التقطت أول صورة فوتوغرافية بمصر بعد شهرين فقط من إبتكار آلة التصوير وذلك فى الأسبوع الأول من شهر نوفمبر ١٨٣٩م وهى الصورة التى التقطها المصور هوارس فرنيه وتعرف بمشهد الحريم وكانت أمام محمد على باشا بقصره بالإسكندرية ، وقد نالت مصر السبق الأول فى مجال التصوير الأثرى خلال العشرين سنة الأولى من عمر التصوير الفوتوغرافى ومن أوائل المصورين الذين قدموا إليها هوارس فرنيه ١٨٣٩م وجيرار نرفال ١٨٤٣م ومكسيم دوكان ١٨٤٩م ، وبلغ هذا الفن مرحلة الكمال فى النصف الثانى من القرن ١٩م فضلا عن كونه اكتسب صبغة علمية ، وقد أقام متحف المتروبوليتان بنيويورك معرضاً فى عام ١٩٧٣م لأوائل الصور الفوتوغرافية التى التقطت فى مصر خلال القرن ١٩م ، كما أقامت شركة كوداك معرضا مماثلا فى باريس فى عام ١٩٧٦م . ثروت عكاشة ، مصر فى عيون الغرباء ، جـ٢ ، القاهرة (١٩٨٤م) ، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٨ ؛ محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص ٢٢ ـ ٢٣ (ومما له دلالته أن لدينا بحثنا مطولاً عن أهمية لوحات الرحالة والمصورين الأجانب فى دراسة العمارة الإسلامية عامة وفى مصر خاصة ، وسوف ينشر فى القريب بمشيئة الله تعالى) .

(١٧٤) العقد الفارسى : اختلفت الأراء حول هذا النوع من العقود سواء من حيث أصله أو من حيث تسميته الذى يجب أن يعرف به فقد عرف أولاً بالعقد الفارسى على اعتبار أنه كان معروفا فى بلاد فارس قبل ظهوره فى العمارة الفاطمية بمصر ، ومن ثم فسر انتقاله إلى مصر على أنه من بين التأثيرات الفارسية التى وفدت إلى مصر خلال العصر الفاطمى وهو ما يتجلى فى دراسات كل من فان برشم وسلادين وهوتكير ومارسيه التى أشار إليها كريزول ، أما كريزول فلم يوافق على هذا الرأى وفنده

بأدلة مادية لا يرقى إليها الشك وانتهى إلى أنه لا يجب البحث عن أصل هذا العقد فى فارس أو الهند (على اعتبار ما ذكره هوتكير من أن أصل هذا العقد الفارسى هندى) لأنه ظهر فى الجامع الأزهر قبل ظهوره فى بلاد فارس بنحو قرن من الزمان ، وعلى الرغم من هذه الحقيقة التى أثبتها كريزول إلا أن هذا العقد ظل يعرف باسمه المعروف وهو العقد الفارسى ، كما عرف بالإنجليزية Keel Arch لأنه يشبه قاع المركب المدبب ، وقد ترجم هذا اللفظ إلى العربية فعرف تارة بالعقد المنكسر وتارة أخرى بالعقد المدبب الذى ينتهى بخط مستقيم وتارة ثالثة بالعقد الزورقى المدبب .

وقد استبدل أحمد فكرى بمصطلح (العقد الفارسى) مصطلحاً آخر هو (العقد المنفرج) وذكر أن هذا النوع من العقود لم يظهر فى العمارة الفاطمية قبل عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م (مشهد الجيوشى) أما العقود المنفرجة التى تشاهد حاليا فى الأزهر فهى إما تنتمى إلى عهد الحافظ لدين الله أى بعد ٥٢٤هـ/١١٣٠م وإما أنها جددت وأعيد بناؤها حديثا على هذا الشكل . ويضيف قائلا « والعقد المنفرج هو تطور مباشر للعقد المدبب المطول معاً ، وإن متابعة أشكال العقود فى بعض المساجد الفاطمية كالجيوشى والأقمر والسيدة رقية والصالح طلائع وعقود الأزهر ذاته وبصفة خاصة عقود بلاطة المحراب وعقود مقرنصات قبة البهو وعقود الصحن إنما تؤكد حلقة الانتقال من العقد المدبب المطول إلى العقد المنفرج ويبين بوضوح الصلة الوثيقة بينهما حتى أن التفرقة بين مظهريهما قد خفيت عن بعض المشتغلين بالآثار ». أما فريد شافعى فقد إستبدل مصطلح العقد الفارسى بمصطلح العقد الفاطمى لأنه ظهر فى أقدم أجزاء فاطمية باقية من الجامع الأزهر وهى بذلك تسبق أقدم أمثلته فى بلاد فارس بنحو قرن من الزمان .

وأخيراً يرى عبد القادر الريحاوى أن العقد الفارسى هو العقد (القوس) العباسى وذكر أنه « من النوع المدبب أو المكسور، ويتألف من أربعة أقواس ترسم من أربعة مراكز ، قوسان متماثلان فى الأعلى قريبان من المستقيم ، لهما نصف قطر كبير وقوسان فى الأسفل متماثلان أيضاً لهما نصف قطر أصغر وهما أكثر تحدبا ومن نماذجه باب بغداد بالرقة وفى الأخيضر وفى قصور سامرا وجوامعها وفى عمائر كثيرة شيدت فيما بعد بإيران وغيرها »، ويضيف الريحاوى فيقول « ... ولم يكن معروفا قبل الإسلام ، وأنه تطور فى أواخر العهد الفاطمى بدءاً من ق ٥ هـ/ ١١م وأصبح قوساه العلويان مستقيمين تماما وظهر لأول مرة فى العمائر الفاطمية مما جعلنا نسميه العقد الفاطمى ... وتطور العقد الفاطمى ليصبح قوساه العلويان المستقيمان مقعرين قليلا يرسمان من مركزين فى خارج العقد وقد ظهر ذلك فى العناصر الزخرفية الفاطمية وانتشر استعماله فى فارس والهند والأناضول ونسميه العقد الفارسى ». هذا ويفرق فريد شافعى بين هذين العقدين : العقد العراقى (الذى أسماه الريحاوى القوس العباسى) والعقد الفاطمى قائلا إنه « يصعب فى بعض الأحيان أن نتبين الفرق بينهما إذا لم تراع الدقة الكافية فى بنائهما ، فقد لا يتضح تقوس المنحنين العلويين فى النموذج العراقى فيبدوان أقرب إلى مستقيمين، وبالتالى يقرب العقد من النموذج الفاطمى والعكس بالعكس ». أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الأول ، العصر الفاطمى ، القاهرة (١٩٦٥م)، ص١٥٤ ـ ١٥٨ ، شكلا ٢٧ ـ

٢٨ ؛ فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٢٠٧ ؛ العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض ، (١٩٨٢م) ، ص٢٠٠ ـ ٢٠٢ شكلا ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص٩٤ ـ ٩٥ ، شكل ٦٤ ص ٢٣٣ ؛ قمم عالمية ، جـ١ ، ص١٥٧ ؛ مظاهر التجديد المعمارى فى مصر الفاطمية ، ص٣٣٢ ؛ صالح لمعى مصطفى ، التراث المعمارى الإسلامى فى مصر ، بيروت (١٩٧٥م) ص٩٩ .

(١٧٥) جانب الصواب كريزول فى هذه المسألة فإن التأثيرات الفارسية قد وجدت طريقها إلى مصر فى العصر الفاطمى سواء على الفنون التطبيقية المختلفة أو على بعض العمائر الدينية والمدنية ، وربما كان للعلاقات الطيبة بين الفاطميين والبويهيين فى إيران والعراق (وهم أسرة شيعية سيطرت على مقاليد الأمور فى الدولة العباسية نفسها وهو العصر المعروف بالعصر العباسى الثالث أو العصر البويهى فى الدولة العباسية ٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ / ٩٤٥ ـ ١٠٥٥م) أثرها فى وجود هذه التأثيرات الفنية ، كما أن ظهور السلاجقة بعد البويهيين لم يقف حجر عثرة فى استمرار مثل هذه التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة .
محمد عبد العزيز مرزوق ، التأثيرات المتبادلة فى الفنون بين مصر وإيران عبر العصور (ضمن كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران ـ القاهرة ١٩٧٤م)، ص٢٥ ـ ٣١ ؛ حسين مجيب المصرى ؛ إيران ومصر عبر التاريخ ، القاهرة (١٩٧٤م)، ص٢٩ ـ ٣٠ ؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد ، القباب فى العمارة المصرية الإسلامية ، الجزء الأول ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص٩٥ ـ ٩٩ ؛ محمود إبراهيم حسين ، الفنون الإسلامية فى العصر الفاطمى ، الجزء الأول ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص٣٠٣ ـ ٣٠٤ ؛ منى محمد بدر ، أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية فى مصر ، جـ٢ ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٤١ ـ ٤٤ . عبد الناصر ياسين ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، جـ١ ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ١٢٥ ـ ١٣٥ .

(١٧٦) سبق القول فى الحاشية السابقة انه عاصر الفاطميين أسرة شيعية ـوهى الأسرة البويهية التى تمثل العصر العباسى الثالث ٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ) قبل ظهور السلاجقة إلى الوجود ، فكيف يمكن القول إن فارس ظلت تحت حكم سُنى لمدة ١٣٣عاماً ميلادياً [يقابلها ١٣٨ عاماً هجرياً] طوال فترة المئتى عام التى حكم الفاطميون فيها مصر ؟

(١٧٧) عن هذا الضريح وأهميته انظر آصلان آبا ، أوقطاى ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، استانبول (١٩٨٧م) ، ص٤١ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص١٧٣ ـ ١٧٤ .

(١٧٨) يعتبر مسجد تاريخانة من أهم المساجد المبكرة التى لا تزال تحتفظ بتخطيطها ومعالمها الأولى إلى حد كبير ، وهو يؤرخ ترجيحاً فيما بين ١٣٠ ـ ١٧٠هـ/ ٧٤٧ ـ ٧٨٦م . فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص٩٦ ؛ أحمد فكرى ، المدخل ، ص٢٨٤ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، جـ١ ، طهران ، (١٣٧٥هـ. ش/ ١٤١٧هـ. ق / ١٩٩٦م) ، ص٧٦ ـ ٨٤ ؛
Pope, A. U., Asurvey of Persian Art, vol 3, oxford, 1939, P. 933 - 934, Fig 314 .

(١٧٩) عن ضريح إسماعيل الساماني في بخارى : انظر ، عبد القادر الريحاوى، العمارة ، ص١٥٠ ـ ١٥٢ ؛
Pope, Asurvey , vol 3, P. 945 - 949 , Fig. 324 .

(١٨٠) عن جامع نايين انظر ، عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص١٥٠ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، جـ١ ، ص٨٦ ـ ٩٤ ؛ . Pope, Asurvey , P. 934 - 939 . Fig 315

(١٨١) عن جامع أصفهان : انظر ، أصلان آبا ، فنون الترك ، ص٣٢ ـ ٣٤ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة، ص١٦٦ ـ ١٦٨ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، جـ١ ، ص١١٢ ـ ٢١٩ ،
Pope, Asurvey , PP. 949 - 964 , Figs. 328 - 334 .

(١٨٢) هو العقد الذى أطلق عليه الريحاوى اسم القوس العباسي وشافعي النموذج العراقي وفرق بينه وبين العقد الفاطمى المعروف خطأ بالعقد الفارسى كما سبق القول . (حاشية١٧٤من التعليقات) .

(١٨٣) المجاز القاطع : هذا المصطلح ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي Transpet حيث اعتقد العلماء الأجانب أن هذا الرواق العمودى (البلاطة العمودية) إنما يحيى ذكرى فناء البازيليكيات المسيحية أو قاعات الاستقبال فى القصور الرومانية وهو الرأى الذى فنده أحمد فكرى بأدلة قاطعة فى أبحاثه المتعددة . (مسجد القيروان ، ص ٣٠ ـ ٣٤ ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، ص١٢٧ ـ ١٤٠ ؛ مسجد الزيتونة الجامع فى تونس ، المجلة التاريخية المصرية ـ مج٤ ، العدد ٢ ، القاهرة (١٩٥٢م)، ص٧٥ ـ ٧٧) . ومن جانبنا قمنا بدراسة تحليلية لهذا المصطلح فى ضوء ما ورد فى المصادر التاريخية وبخاصة كتب الرحالة المسلمين ومشاهداتهم فضلا عن الوثائق ، وانتهى بنا القول إلى ضرورة استبدال هذا المصطلح بمصطلح آخر أنسب منه وهو الرواق الأوسط العمودى أو البلاط الأوسط أو البلاطة الوسطى العمودية للدلالة على هذا الجزء الأوسط فى المسجد (وبخاصة المقدم) والذى يكون عموديا على جدار القبلة ويخترق الأروقة (البلاطات) الموازية لجدار القبلة فيما بين المحراب والصحن ، وهذا المصطلح عربى ورد ذكره فى كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين . محمد حمزة الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية ، ص٦٦ ـ ٦٩ ، ٨٥ .

(١٨٤) المورو (Moro) يعنى هذا اللفظ المسلم بوجه عام ، وعقب سقوط غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م أطلق على المسلمين الذين بقوا فى اسبانيا اسم الموريسكيين وهو تصغير قصد به التحقير ، للفظ مورو ، ويترجمها البعض الآخر بـ « العرب الأصاغر » ومهما يكن من أمر فقد أصبحت الدراسات الموريسكية أو الموريسكولوجيا علما قائما بذاته جذب إليه العديد من المتخصصين فى الكليات والمعاهد والمؤسسات والمراكز البحثية المختلفة . ولمزيد من التفاصيل انظر : سلمى الخضراء الجيوسى (تحرير)، الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، جـ١ ، بيروت (١٩٩٩م) ، ص١٣٦ ، ٣١٨ ؛ ومن أحدث الندوات ندوة « الموريسكيون فى المغرب»، (الندوة الثانية ، مدينة شفشاون ٢٢ ـ ٢٤ جمادى الثانية ١٤٢١هـ/ ٢١ ـ ٢٣ شتنبر ٢٠٠٠م) ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (٢٠٠١م) ، ص٥٩ .

(١٨٥) يذكر حسن عبد الوهاب أنه كان له شرف هذا الاكتشاف فى ١٠ أكتوبر ١٩٣٣م. (تاريخ المساجد، ص٥١ ـ ٥٢) ؛ Pope, Asurvey , P. 949 - 964 , Figs 328 - 334

(١٨٦) عن هذه العلبة وأهميتها الفنية ونقشها انظر ، محمد عبد العزيز مرزوق ، صفحات من الفن الإسلامى فى الأندلس ، التحف المصنوعة من العاج ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٧ ، جـ٢ ، ديسمبر ١٩٥٥م ، مطبعة جامعة القاهرة (١٩٥٧م) ، ص٩ ـ ١٠ ، شكل ٩ ـ ١٠ ؛

Levi-Provencal, E., Inscriptions Arabes d'Espagne, T. I, Paris, Leyde, (1931), No. 200 .

ولمزيد من التفاصيل عن التحف العاجية الأندلسية وأهميتها الفنية ، انظر ؛ محمد عبد العزيز مرزوق ؛ التحف المصنوعة من العاج ، ص ١ ـ ١٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تحف العاج الأندلسى فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ، (١٩٩٥م) .

(١٨٧) لعل مما يؤكد وجود ثلاث قباب بالجامع الأزهر عند إنشائه ما أورده المقريزى بقوله « وكتب بدائر القبة التى فى الرواق الأول وهى على يمنة المحراب والمنبر ما نصه ... » وعزز ذلك ما ورد فى وقفية الخليفة الحاكم بأمر الله عن أوجه الصرف المتعلقة بعمارة الجامع الأزهر ودوام منفعته ومن ذلك « ما قدر لمؤنة النحاس والسلاسل والتنانير والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون ديناراً ...».

ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص١٤٧ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(١٨٨) يشير بذلك إلى أن هذه المساجد لم تكن تشتمل فى بادئ الأمر على كل من المؤخر والمجنبتين ، واقتصر التخطيط على الصحن ومقدم الجامع فحسب .

(١٨٩) مما له دلالته فى هذا الصدد أنه لم يشر أحد من المؤرخين القدامى إلى مثل هذه الزيادة ، كما أنه لم يستدل على أى أثر لها بالمسجد ، وهو الأمر الذى دفع أحمد فكرى إلى القول بأن ما ذهب إليه كريزول هو نوع من التخيل . فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، ص٥٠ .

(١٩٠) كان ذلك بالنسبة للعمائر الدينية فى النصف الأول من القرن العشرين المنصرم ، ولا سيما للمستشرقين والعلماء الأجانب ، أما العلماء العرب فقد سمح لهم بإجراء بحوثهم ودراساتهم وخير شاهد على ذلك المرحوم (بإذن الله) أحمد فكرى ودراساته عن القيروان والزيتونة أنجزت فى تلك الفترة، أما فى النصف الثانى من القرن ٢٠م فقد تغيرت الأوضاع وتبدلت الصورة تماما ويكفى مراجعة الدراسات الأجنبية القيمة التى أنجزت فى تلك الفترة ، ومن بينها دراسات الكسندر ليزين السابق الإشارة إليها .

(١٩١) مما له دلالته فى هذا الصدد أن كريزول لم يقم بدراسة المساجد الموحدية ، لأن ما كان يعنيه فقط هو استعراض النماذج التى ظهرت فيها القباب الثلاث ـ مثل الأزهر والحاكم ـ حتى يستطيع أن يضع يده على المصدر الأول لتلك الظاهرة ، وفيما إذا كانت قاهرية أم مغربية ؟ ولمزيد من التفاصيل عن هذه المساجد من حيث تاريخها وأهميتها المعمارية والفنية فى العمارة الإسلامية عامة وفى الغرب الإسلامى خاصة انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص ٧٥٢ ـ ٧٧٢ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٣٦٧ ـ ٣٦٨ ، ٣٧٠ ـ ٣٧٦ . محمد محمد الكحلاوى ، عمائر الموحدين الدينية فى المغرب ، ص١٣٤ ـ ٣٢٨؛ بلباس ، ليوبولد توريس ،

الفن المرابطى والموحدى ، ترجمة سيد غازى ، الإسكندرية (١٩٧٦م) ، ص١٦ ـ ٢٣ ؛ لومبير ، ايلى ، تطور العمارة الإسلامية فى إسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا ، ترجمة عطا الله جليان ، بيروت (١٩٨٥م) ، ص١٩٩ ـ ٢٢٥ (الأشكال ص١٩٣ ـ١٩٦) ؛ عثمان عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، جـ٣ (عصر دولة الموحدين) ١٩٩٣م . أما الدراسات الأجنبية فكثيرة ومنها دراسات تيراس وباسيه ومارسيه وهوج ومونيه وماسلو وهيلنبراند وكاييه وغيرهم .

(١٩٢) انظر المسقط المنشور فى تيراس ، شكل ٥٠ ص٣٠٥ ؛ أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، شكل ٢٢ ، ص١٤٠ .

(١٩٣) مما تجدر الإشارة إليه أنه ثبت أن كتاب « الاستبصار فى عجائب الأمصار » قد اشترك فيه مؤلفان مجهولان يعتبر أولهما الواضع الأول للكتاب ، ثم قام باخراجه ـ مع إضافات جديدة ـ مؤلف ثان يعنون زيادته باسم الناظر وكان يعيش فى عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م . المنونى ، الجزيرة العربية فى الجغرافيا والرحلات المغربية ، ص٣٠٨ . هذا وقد قام بنشر وتحقيق الكتاب سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية (١٩٥٨م) تحت عنوان «كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار» لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى (ثم نشر ثانية فى بغداد عن دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، د. ت)، وقد ورد هذا النص فى ص٢٠٩ .

(١٩٤) يمكن تحديد التاريخ الصحيح لبناء الجامع الثانى اعتماداً على نص نقله المقرى عن ابن رشيد وفيه «فبدى ببنائه وتأسيس قبلته فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسائة وكمل منتصف شعبان من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأبعد البناء والنجارة » ، كذلك يذكر السلاوى نفس التاريخ . المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة (١٩٤٩م) ، جـ٢ ، ص١٤٥ ؛ السلاوى، أحمد بن خالد الناصرى ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، جـ٢ ، الدار البيضاء (١٩٥٥م) ، ص١٢٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص٥٧٩ . وعن المسقط الأفقى انظر المنشور فى تيراس ، شكل ٥١ ص٣٠٨ ؛ أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، شكل ٢٠ ص١٣٨ ؛ وهوج ، شكل والريحاوى ، شكل ٢٧٣ ص٣٧٣ .

(١٩٥) هو جامع القصبة الكبير باشبيلية ، وصومعته (مئذنته) الشهيرة المعروفة بالخيرالدا (دوارة الرياح) . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص٧٦٧ ـ ٧٧٢ ؛ بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار، القسم الثانى ، بيروت ، (١٩٩٢م) ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٨ .

(١٩٦) ضمن تيراس المسقط الأفقى الذى نشره لهذا الجامع خمس قباب ، مثل جامع الكتبية فى مراكش ، بواقع قبة المحراب وقبة فى كل ركن عن يمين ويسار المحراب وقبتان تتوسط كل منهما المسافة بين قبة المحراب والقبة الركنية (شكل ٥٢ ص٣١١)، أما الدراسات التالية فلم تأخذ بهذا الرأى الذى سبق أن علق عليه كريزول بقوله « وهذا بالطبع محتمل ولكنه ليس مؤكداً من الناحية العملية ...» ولذلك

فإن المساقط الأخرى المنشورة تضم فقط القباب الثلاث (وهى قبة المحراب وقبة فى كل ركن عن يمين ويسار المحراب) ، انظر على سبيل المثال المسقط المنشور فى كل من : هوج : شكل ١٣٨ ، مصطفى عش ، الفن المعمارى شكل ١١ ؛ محمد الكحلاوى ، مقاصير الصلاة (مجلة كلية الآثار) شكل ٢٩ ، ص٢٥٧ .

(١٩٧) انظر المسقط الأفقى للجامع المنشور فى تيراس (شكل ٥٣ ، ص٣١٤) .

(١٩٨) انظر المسقط الأفقى المنشور فى أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص١٣٨ شكل ١١ ؛ محمد الكحلاوى ، مقاصير الصلاة ، شكل ٢٤ ص٢٥٢ ، وهناك من الدراسات ما يؤكد على وجود ثلاث قباب . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص٧٥٣ .

(١٩٩) لم يحسم كريزول القول مع أنه استعرض كافة النماذج المعروفة لهذه الظاهرة ، ولذلك ذكر أن نتيجة دراسته تعد سلبية ؛ بل من المحتمل ألا تكون هناك صلة بين مصر وشمال افريقيا فى هذا الجانب خاصة .

ومهما يكن من أمر فإن أقدم النماذج المعروفة لتلك الظاهرة حتى الآن جامع الأزهر وجامع الحاكم بالقاهرة الفاطمية حيث كان الشائع قبل ذلك الاقتصار على قبة المحراب فحسب (كما هو الحال فى الجامع الأموى بدمشق) واستمر ذلك فيما بعد ثم ظهرت بعد ذلك قبة ثانية هى المعروفة بقبة البهو (كما هو الحال فى جامع القيروان وجامع الزيتونة والأزهر نفسه عقب عمارة الخليفة الحافظ لدين الله) ، وظهرت فى جامع قرطبة عقب زيادة الحكم المستنصر ٣٥٤هـ/٩٦٥م أربع قباب ، القبة المخرمة الكبرى القائمة على مدخل البلاط الأوسط وتعرف بقبة الضوء ، وقبة المحراب والقبتان اللتان تكتنفانها شرقا وغربا ـ أى عن يمين ويسار المحراب مباشرة ـ وقد عرفت هذه القباب الثلاث المتجاورة بقباب المقصورة الحكمية . ويدل ذلك على أن فكرة وجود القباب الثلاث (وهى قبة المحراب وقبتان جانبيتان متجاورتان بواقع قبة عن يمينه ومثلها عن يساره) كانت معروفة قبل الجامع الأزهر بفترة قصيرة ؛ وهو الأمر الذى قد يوحى بأن جامع قرطبة هو مصدر الفكرة ، إلا أنها قد طبقت فى الجامع الأزهر بطريقة أخرى وهى أن تبنى القبتان الجانبيتان متباعدتين قليلا عن قبة المحراب وذلك فى كل من ركنى الرواق الأول ، بواقع قبة بكل ركن ، وربما كان وراء ذلك اختلاف التكوين المعمارى للأروقة (البلاطات) بين الأزهر وقرطبة فالأول تسير فيه الأروقة موازية لجدار القبلة ، وبالتالى فإنه يصعب إقامة ثلاث قباب متجاورة تماما كما هو الحال فى جامع قرطبة ومن ثم اقتصر الأمر على إقامة قبة المحراب بالرواق الأوسط العمودى المعروف خطأ بالمجاز القاطع وإقامة قبتين فى كل من ركنى الرواق الأول ، بواقع قبة بكل ركن كما سبق القول ، أما الثانى (قرطبة) فتسير فيه البلاطات (الأروقة) عمودية على جدار القبلة (وهو النظام المتبع فى الغرب الإسلامى مع استثناءات قليلة) وهو ما يسر إقامة هذه القباب الثلاث المتجاورة لا سيما وإنها سوف تساعد على إدخال المزيد من الضوء نتيجة لزيادة عمق مقدم

المسجد فى هذه المرحلة ، وبالتالى بُعده عن الصحن أكثر من ذى قبل (وهو مصدر الضوء الرئيسى والمباشر للمساجد عامة) ولذلك أقيمت هذه القباب على أعمدة مرتفعة للغاية تحمل طابقين من العقود حتى تتيح للضوء أن يتسلل من متكآت الرخام بنوافذ القباب وينفذ من تشبيكاتها إلى المقصورة الحكمية (وسوف نعود إلى مزيد من التفصيل لهذا الموضوع فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى) .

وعن هذه القباب بجامع قرطبة انظر ، السيد عبد العزيز سالم ، بحوث إسلامية ، القسم الثانى ، ص١٧١ ـ ٢٠٩ ؛ بلباس ، ليوبولد توريس ، تاريخ أسبانيا الإسلامية ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الفن والعمارة حتى سقوط الخلافة القرطبية ، ترجمة على إبراهيم منوفى وآخرون ، القاهرة (٢٠٠٢م) ص١٩٢ ـ ١٩٩ . وعلى ضوء ذلك يمكن القول إن جامع قرطبة عقب الزيادة الحكمية مع أنه كان مصدر الاستلهام الأول ؛ إلا أن ما توصل إليه المعمار الفاطمى وتنفيذه لهذه الفكرة بطريقة جديدة فى الجامع الأزهر يعد عملاً أصيلاً غير مسبوق (فى ضوء الأدلة المعروفة والمتوافرة حتى الآن) فى العمارة الإسلامية فى المشرق والمغرب على السواء . وتضيف على ما تقدم فنذكر أن مساجد المرابطين قد اقتصرت فقط على قبة المحراب غالبا وقباب تتوزع على البلاطة الوسطى (الرواق الأوسط) أحيانا كما هو الحال فى جامع القرويين وتلمسان . وعلى ذلك فإن ظهور هذه الظاهرة فى مساجد الموحدين إنما يعد من بين التأثيرات المصرية الفاطمية على تلك المساجد وخاصة تلك التى تشتمل على القباب الثلاث (قبة المحراب وقبة فى كل من الركنين الجانبيين) مثل تنمل والقصبة فى مراكش على نحو ما ذكر جورج مارسيه (العمارة الإسلامية فى الغرب ، (بالفرنسية)، باريس (١٩٥٤م) ، ص٣٠٢) . أما النماذج التى ظهرت فيها القباب الخمس مثل الكتبية فتعد تطوراً محليا لتلك الظاهرة.

ومما له دلالته فى هذا الصدد أنه يوجد نموذج يقتصر فقط على قبة البهو وهو جامع السيدة بنت أحمد فى مدينة ذى جبلة اليمنية ٤٦٠ ـ ٤٦١هـ/ ١٠٦٧ ـ ١٠٦٨م (وهذه القبة إضافة لاحقة فى تاريخ غير معلوم حتى الآن) .

عبد الله كامل ، الفاطميون ، ص ١٨١ ـ ١٨٣ ، شكل ٨ ، لوحة ٢٦ ؛ بربارة فنستر ، تقارير أثرية من اليمن ، جـ١ ، ترجمة عبد الفتاح البركاوى ، المعهد الألمانى للآثار ـ صنعاء ، (١٩٨٢م) ، ص٣٥ .

(٢٠٠) أثبتنا فى دراسة سابقة أن المسجد النبوى الشريف كان يشتمل عقب عمارة الوليد بن عبد الملك له على يد عامله على المدينة عمر بن العزيز فيما بين ٨٨ ـ ٩١هـ/ ٧٠٦ـ٧٠٩م على الأنموذج الأول للرواق الأوسط العمودى على جدار القبلة والذى يقطع صفوف بائكات الأروقة (البلاطات) الموازية لذلك الجدار ، وهو المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، ويليه الرواق الأوسط فى الجامع الأموى بدمشق الذى تم الفراغ منه عام ٩٦هـ/ ٧١٤م (وهو أقدم انموذج باق فى العمارة الإسلامية على الإطلاق بعد اندثار نموذج المسجد النبوى الشريف فى أعمال التوسعة والزيادة التالية للعصر الأموى . محمد حمزة الحداد ، عمارة المسجد النبوى الشريف ، دراسة جديدة فى ضوء مشاهدات ابن عبد ربه الأندلسى ،

بحوث تاريخية ، الإصدار الأول ، الجمعية التاريخية السعودية ـ الرياض ، (رمضان ١٤١٩هـ/ يناير ١٩٩٩م) ، ص٢٦ ـ ٣٨ .

(٢٠١) عن هذا الجامع انظر على سبيل المثال ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٦٦٦ ـ ٦٧٢ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(٢٠٢) ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص٦٨ .

(٢٠٣) يتفق ما أورده ابن عبد الظاهر مع لوح رخامى عليه نقش إنشاء من ستة أسطر بالخط الكوفى المزهر نصه « مما أمر بعمله عبد الله ووليه أبو على المنصور الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة ».

Wiet, Répertoire, vi, P. 44, No. 2089; Sayyid, la Capital, PP. 335 - 336 .

Purgstall, H., Insctiption Cofique , Journal Asiatique, April, (1838), PP. 389 - 390 .,

محمد شاكر ، اللوحة التاريخية للجامع الأنور ، بومباى ، الهند ، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١٠ ـ ١١ .

(٢٠٤) أطلق عليها أحمد فكرى معاطف حيث قال « ولكل من المئذنتين معطف مكعب يحيط بها على هيئة برج ضخم فى ركن الواجهة يقوم على القاعدة الخارجية للمئذنة وطول كل ضلع من أضلاعها سبعة عشر متراً تقريباً ». أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص٦٨ ؛ وعن الدراسة الوصفية لكل من مئذنتى جامع الحاكم انظر : عبد الله كامل موسى عبده ، تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة وحتى نهاية العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه (قيد النشر)، جامعة القاهرة (١٩٩٤م)، ص٩٨ ـ ١١٧.

(٢٠٥) ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٧٠ .

(٢٠٦) ان التاريخ الصحيح هو ٤٨٠هـ/١٠٨٧م كما يتضح من النص الأصلى لابن عبد الظاهر لأن ذلك كان فى وزارة أمير الجيوش بدر الجمالى المتوفى ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وهو ما صرح به ابن عبد الظاهر والمقريزى ؛ ويتفق فى ذات الوقت مع أن الفرق بينهما هو ٨٧ عاماً .

(٢٠٧) ورد فى النص الأصلى لابن عبد الظاهر أن ما بنى فى الأيام المعزية كان سوراً حيث يقول « وبنى عليها هذا السور ... ولم يسقف ». ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص٦٩ .

(٢٠٨) يرجع التفكير فى إنشاء متحف للآثار العربية الإسلامية إلى المهندس سالزمان الذى اقترح على الخديوى إسماعيل ١٨٦٩م تحقيق هذه الأمنية ، فكلف فرانز باشا بأن يخصص بناءً حكوميا للتحف التى يتم جمعها من المساجد والبيوت الأثرية ، ولكن هذا المشروع لم ينفذ إلا فى عهد الخديوى توفيق ١٨٨٠م، إذ عهد إلى فرانز باشا أيضاً بأن يجمع فى مكان معين التحف الأثرية الإسلامية فجمعت فى الإيوان الشرقى من جامع الحاكم وعقب إنشاء لجنة حفظ الآثار العربية ١٨٨١م زادت أعداد التحف فضاق بها الإيوان الشرقى لجامع الحاكم مما اضطر وزارة الأوقاف إلى أن تبنى لها مكانا خاصا فى صحن الجامع ، وظلت دار الآثار العربية تابعة لوزارة الأوقاف حتى عام ١٩٣٠م حين ألحقت بوزارة المعارف . زكى محمد حسن ، دليل متحف الفن الإسلامى ، القاهرة ، (١٩٥٢م) ، ص ٥ ـ ٦ .

(٢٠٩) عندما تولى هرتز بك الإشراف على دار الآثار العربية وضع دليلاً صغيراً لمحتوياتها فى عام ١٨٩٥م وقد ذكر فيه أن المكان المعد فى الجامع الحاكمى غير صالح ومن الصعب تهيئته وإصلاحه فتقرر بناء مبنى جديد بباب الخلق ووضع حجر الأساس لها فى عام ١٨٩٩م وكمل البناء ١٩٠٢م وتم نقل التحف إليه فى نهاية عام ١٩٠٣م ، وبعد ذلك تغير اسم دار الآثار العربية إلى متحف الفن الإسلامى ، وهو يعد من أشهر متاحف الفن الإسلامى فى العالم كما هو معروف . زكى محمد حسن ، دليل متحف الفن الإسلامى ، ص ٦ ـ ١٢ ؛ وانظر أيضًا الدليل الذى وضعه محمد مصطفى المدير الأسبق للمتحف ولمزيد من التفاصيل انظر كتابنا : علم الآثار : ماضيه وحاضره ومستقبله (الفصل الخاص بعلم الآثار الإسلامية) ، (قيد النشر) .

(٢١٠) تعد دراسة كريزول عن جامع الحاكم وثيقة أثرية على جانب كبير من الأهمية ، نظراً لما تضمنته من دراسة وصفية وتحليلية مطولة ومتعمقة له من حيث تخطيطه العام ووحداته ومفرداته وعناصره المعمارية ونقوشه الكتابية والزخرفية ؛ فضلا عن دراسة الأصول المعمارية والفنية لهذه وتلك وتتبع جذورها مع تلمس مظاهر التطور ؛ وهى المظاهر التى كان لها أثرها الكبير فى تبلور شخصية الطراز المصرى فى العمارة والفنون الإسلامية فى العصور اللاحقة ، وقد بلغت هذه الشخصية قمة نضجها وذروة غايتها خلال العصر المملوكى . ونضيف على ذلك فنقول إن هذه الوثيقة الأثرية المهمة سوف تظل محتفظة بقيمتها العلمية ـ على الرغم من الاختلاف حول بعض النتائج التى انتهى إليها كريزول من قبل العلماء والباحثين الآخرين ـ ولا سيما بعد ما شهده هذا الجامع من تغيير كبير فى غالبية عناصره الأثرية والفنية عقب عملية الصيانة والترميم التى جرت له ـ مع أنها تعد أكبر عملية صيانة وترميم له منذ إنشائه فى العصر الفاطمى ـ من قبل طائفة البهرة التى رصدت مبلغا كبيراً من المال فى أواخر القرن العشرين المنصرم ؛ وهو الأمر الذى يحتاج أن تفرد له دراسة لاحقة مع غيره من العمائر الفاطمية التى تم ترميمها فى الآونة الأخيرة . وحسبنا أن نشير إلى بعض المراجع والدراسات الحديثة التى صدرت عقب دراسة كريزول ومن بينها : أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص٦٣ ـ ٨٥ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية ، ص٢٦ ـ ٢٧ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ١ ، ص٢٣٥ ـ ٢٣٩ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص٢٤٠ ـ ٢٤٣ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص١٦٨ ـ ١٧٧ ؛ أمال العمرى ، العمارة فى مصر الإسلامية ، ص ٧٥ ـ ٨٥ ؛ عبد الله كامل ، الفاطميون ، ص١٧٦ ـ ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .

Abouseif , Islamic Architecture, P. Sayyid, La Capital, PP. 334 - 346., Bloom, J. M, The Mosque of Al-Hakim in Cairo, Muqarnas , vol, I, (1983), PP. 15 - 36 .

(٢١١) اختلفت الآراء حول هذه القبة (أثر رقم ١٧٠) وإلى من تنسب ومتى بنيت ؟ ومن ذلك أنها نسبت تارة إلى الخليفة الحاكم بأمر الله وأنه بناها لنفسه ولم يدفن بها ثم عرفت فيما بعد بقبة الساعى، وفى قول آخر أنها قبة بدر الجمالى المستنصرى وفى قول ثالث أنها قبة أحد أمراء السلطان الغورى وهو الأمير قرقماس، وأرخهاكريزول بالقرن ١٠هـ/ ١٦م ، على حين أرجعها محمد مصطفى نجيب اعتماداً على براهين وأدلة معمارية مقارنة إلى القرن ٩هـ/ ١٥م . ولمزيد من التفاصيل عن هذه الآراء المختلفة ومناقشتها انظر ، محمد مصطفى نجيب ، مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها ، رسالة

دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٧٥م) ، ص٤٧٤ ـ ٤٨٤ . ومهما يكن من أمر فقد تم فك هذه القبة من موضعها أمام مدخل جامع الحاكم وأعيد بنائها بجوار قبة جانى بك الأشرفى بقرافة صحراء المماليك .

(٢١٢) استخدم كمدرسة ابتدائية عرفت بمدرسة السلحدار الابتدائية ، ومن ثم أقيمت فيه تلك المبانى الحديثة غير الملائمة لطرازه والتى أثرت بدورها على سوء حالته .

(٢١٣) لا شك أن الانتهاء من بناء المئذنتين كان قد تم قبل عام ٤٠١هـ/١٠١٠م بفترة وجيزة ؛ وليس أدل على ذلك من أن الحاكم بأمر الله قد أمر بإضافة أركان إلى المئذنتين فى هذه السنة ، وإلا فلم يكن هناك داعٍ لذلك إذا لم تكن هذه الأعمال قد انتهت بالفعل ؟ ونضيف على ذلك فنقول إن أعمال النقش والزخرفة كانت هى الأخرى قد أوشكت على الانتهاء ويؤكد ذلك ، بما لا يدع مجالاً للشك ، بقاء نقوش المئذنة الشمالية بكاملها مختبئة ومحتجبة وراء هذا الركن المضاف ، فى حين أن نقوش المئذنة الغربية لم تنته كلها بعد ؛ ولذلك صرف النظر عن اتمام بقيتها ما دامت ستختفى وتحتجب وراء هذا الركن المضاف . أما عن الحكمة من إضافة هذه الإركان فهى ضرورة دعم المئذنتين بعد إتمام بنائهما وربما كان وراء ذلك حدوث خلل فى تلك السنة نتيجة لارتفاع المئذنتين وضخامتهما أو نتيجة لحدوث زلزال (لم يرد له ذكر فى المصادر المعروفة والمتوافرة حتى الآن) ولذلك تمت إضافة هذه الأركان وامتدت منها العقود والدعامات لتسند وتدعم وتقوى كلا من المئذنتين فى مواضع من ارتفاعهما ولا تزال هذه العقود وتلك الدعامات باقية . أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص٦٨ حاشية ١ ونضيف على ذلك فنقول إنه قد غلبت الضرورة المعمارية على اللمسة الفنية والجمالية بدليل اختفاء واحتجاب نقوش المئذنة الشمالية الرائعة البديعة رغم اكتمالها واتمامها من جهة وصرف النظر عن اتمام بقية نقوش المئذنة الغربية ذات الخطة الزخرفية المغايرة من جهة أخرى .

(٢١٤) مما له دلالته أن فكرى لم يوافق على هذا الرأى ، ونحن نؤيده فى ذلك ، لأنه لو صح ذلك لانتفت الحكمة من بناء هذين المعطفين (الركنين) وهى ضرورة دعم المئذنتين بعد إتمام بنائهما ولو كان ذلك على حساب اللمسة الفنية والجمالية كما سبق القول . أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص٧٦ حاشية ١ . وعلى ذلك فإن هذين الركنين (المعطفين) ببروزهما داخل حدود المسجد فى طرفى مؤخره كانا على هيئة مكعبين كاملين منذ عام ٤٠١هـ ، وهو تاريخ بنائهما وإضافتهما بأمر الحاكم بأمر الله كما سبق القول .

(٢١٥) أشار البكرى إلى أن هذا المنار يعرف بمنار خلف الفتى وهو منار عالٍ يوجد فى ركن مدينة سوسة الذى بين المغرب والقبلة . البكرى ، المسالك ، جـ٢ ، ص٦٨٨ .

(٢١٦) يحتل موضع هذا الجامع الآن الجامع المعروف بجامع الفتح بميدان رمسيس (على رأس شارع رمسيس عند تقاطعه مع شارع الجمهورية)، ومن الأدلة التاريخية المتوافرة عنه حتى الآن نعرف أنه كان يشتمل على قبة مدفن تقع خلف المحراب ، وقد دفن فيها الشيخ محمد بن حسن الشهير بابن عنان عقب وفاته فى ربيع الأول ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م وكان الذى بنى عليه هذه القبة هو والده الشيخ أبو الصفا . محمد حمزة الحداد ، العمائر الجنائزية فى مصر ، ص ٢٣٦ .

(٢١٧) لا تتفق هذه التسمية مع ما جاء فى المصادر التاريخية لأن الحاكم قتل فقط ستة من بنى المغربى وهم والده وأخواه وثلاثة من أهل بيته وبنى عليهم ست قباب إلا أنها عرفت بالسبع قباب ، والظاهر أنه كان إلى جانبها قبة أخرى فسميت بالسبع قباب بهذا الاعتبار وقيل إن القبة السابعة هى قبة الاطفيحى صاحب القناطر والسبيل . السخاوى ، تحفة الأحباب ، ص١٧٠ ـ ١٧١ ؛ ونضيف فنقول حتى ولو كانت هناك سبع قباب على بنى المغربى كما ذكر ابن سعيد والمقريزى ، فإن هؤلاء القتلى السبعة لم يكونوا كلهم من النساء ، ولذلك فإن التسمية الصحيحة هى القباب السبع أو السبع قبب كما ذكر ابن الناسخ . ابن الناسخ ، مصباح الدياجى (مخطوطة) ، ورقة ٩٣ . ومهما يكن من أمر هذه التسمية فإنه لم يتبق سوى أربع قباب فقط فضلا عن وجود قاعدتين مربعتين لقبتين أخريتين اكتشفتهما لجنة حفظ الآثار العربية فى عام ١٩٤٤م ، كما أشار كريزول وهو ما يتفق مع قول السخاوى المشار إليه . وهذه القباب تقع اليوم فى المنطقة المعروفة بعزبة خير الله الجديدة على مقربة من مبنى خيالة الشرطة بعين الصيرة .

(٢١٨) مما له دلالته فى هذا الصدد أنه يوجد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة شاهد قبر من الرخام (رقم السجل ٢٩٠٨) على شكل افريز مستطيل له أربعة أوجه على ثلاثة منها نقش بالخط الكوفى البارز يقرا على الوجه العلوى « علم الله أنه لا اله إلا هو / واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الاسلام / ، وعلى أحد الجانبين منقوش فى رخامة دفنت معهم تاريخ المكتوب فيها شوال سنة خمس و ... » وعلى الجانب المواجه : « ... الخليفة الحاكم بأمر الله أمير/ المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ولربيبه الأمين / . وكان هذا الافريز الذى كشفت عنه حفائر المتحف الإسلامى بالقرافة الكبرى يمثل شاهداً لأربعة قبور عليها قباب تجاور مقبرة خضرة الشريفة وهى قبور بنى المغربى المعروفة بالسبع بنات . عبد الرؤوف على يوسف ، إعادة قراءة بعض النصوص على الآثار والتحف الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٥م) ، ص ٢١٣ ـ ٢١٥ ، لوحة ٣ أ ـ ب . وعلى ذلك فمن المرجح أن تاريخ بناء هذه القباب كان فى شوال ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م لأن قتلهم كان فى عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م .

(٢١٩) هذا القول ليس صحيح لأن الحفائر الأثرية قد أسفرت عن اكتشاف العديد من القبور العربية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام فضلا عن النقوش الشاهدية التى كانت تثبت عليها ، وكانت هذه القبور متنوعة الأشكال ومنها ما كان منحوتا فى الصخر وذات هيئة معمارية متميزة . كذلك كان من عادات العرب قبل الإسلام أيضاً ضرب القباب على قبور موتاهم أياما أو أشهراً قد تبلغ عاماً يقيم فيها نساء الميت أو ذوو قرابتهم ليجاوروا الميت وليستقبلوا فيه من يفد لزيارة المقبرة ، ولا شك أن اعتقادهم باحساس روح الميت بوجودهم هناك وبمجيئهم إلى القبر لمؤانستهم له هو الذى حملهم على ضرب هذه القباب وعلى مجاورتهم لتلك القبور ، ومن هذه القباب المؤقتة ظهرت الأضرحة الثابتة ذات القباب السامقة الشامخة فى العمارة الجنائزية فى العصر الإسلامى . جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ٥ ، بيروت (١٩٧٠م) ، ص٥ ـ ٧ ؛ الحداد، سلسلة العمارة الإسلامية فى

الجزيرة العربية ، جـ٢ ، ص١٠ ـ ١١ . ومن أشهر الأمثلة المكتشفة نقش مدائن صالح المؤرخ بعام ٢٦٧م وفيه أن هذا القبر صنعه ـ أى بناه ـ كعب بن جذيمة لرقوش ابنة عبد مناه فى الحجر (مدائن صالح) . سليمان الذييب ، نقوش الحجر النبطية ، الرياض (١٩٩٤م) ، ص٢٤٩ ـ ٢٥٢ ، لوحة ١٧ ؛ مشلح المريخى ، نقش رقوش بالحجر (مدائن صالح) المؤرخ فى سنة ٢٦٧م « رؤية جديدة » ، ضمن مداولات اللقاء العلمى الأول لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون ، (دبى ، ١٤١٩هـ / ابريل ١٩٩٩م) ، ص ٣١ ـ ٧١ ؛ ونضيف على ذلك فنقول أن عادة ضرب القباب فوق القبور لم تنته بظهور الإسلام بل استمرت طيلة القرن الهجرى الأول (وربما بعد ذلك) ، ويدل على ذلك ما ذكره البخارى من أنه لما مات الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب (رضى الله عنهما) (ت٩٧هـ/ ٧١٥م) ضربت امرأته القبة ـ وفى لفظ آخر الفسطاط ـ على قبره سنة ثم رفعت فسمعوا صائحًا يقول ألا هل وجدوا ما فقدوا فأجابه الآخر بل يئسوا فانقلبوا . البخارى، صحيح البخارى ، المجلد الأول ، جـ٢ ، ص١١١ ، الكرمانى ، شرح صحيح البخارى ، جـ٧ ، ص١١٢ ـ ١١٣ ، العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ٣ ، ص ٢٣٨ . ومن أشهر القبور فى صدر الإسلام قبر غالب بن صعصعة ـ أبو الفرزدق ـ بكاظمة (تقع حاليا فى الجزء الشمالى الغربى من جون الكويت) وهو مشهور فى كتب الأدب كما كان له صيت ذائع عند الناس آنذاك إذ أنه كان ملجأ الخائفين ومستجار المستجيرين وكان يقال فيه « ما أجار قبر فى جاهلية ولا إسلام كقبر غالب» ، فقد كان من شدة محبة الفرزدق لابيه واخلاصه له أنه كان يقضى حاجة كل محتاج يلجأ إلى قبر أبيه . يعقوب يوسف الغنيم ، كاظمة فى الأدب والتاريخ ، الكويت (١٩٩٥م)، ص٢٧ ، ١١٣ ـ ١١٧ . ولعل ما ذكرناه من استمرار ظاهرة ضرب القباب التى كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام حتى أواخر القرن الأول الهجرى ما يؤكد أنها كانت هى الأصل الذى مهد لظهور الأضرحة الثابتة ذات القباب السامقة عند العرب بعد ظهور الإسلام (وإن كان ذلك لا يعنى عدم معرفة القباب المدافن لدى الشعوب المجاورة للعرب وفى الحضارات السابقة على ظهور الإسلام بقرون عديدة كما هو معروف وثابت) .

(٢٢٠) عن آراء الفقهاء فيما يخص البناء على المدافن أو القبور وهل هو جائز أو محرم أو مكروه ؟ اعتمادًا على ما ورد فى كتب السنة النبوية الشريفة . انظر ، محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص٤١ ـ ٣٦ .

(٢٢١) والواقع أن ذلك كان لا يرجع إلى كراهية الإسلام للبناء فوق القبر وإنما بسبب خشية العباسيين من أن يفعل بقبورهم مثل ما فعلوه فى قبور الأمويين من هدم ونبش بل ودفن عظامهم فى مواضع غير معروفة ، وهذا هو السبب المباشر الذى دفع العباسيين إلى محاولة إخفاء قبورهم وتضليل الناس عن مواضعها الحقيقية على نحو ما فعل أبو جعفر المنصور . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص٣٦ ـ ٣٧.

(٢٢٢) لا يمكن قبول هذا الرأى فالأدلة المستمده من المصادر التاريخية فضلا عن الأدلة الأثرية تنفى ذلك من أساسه إذ عرفت إقامة القباب المدافن فى الثلث الأخير من القرن ٢هـ/ ٨م وربما قبل ذلك ، ومن ذلك أنه لما توفيت أم الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بنيت على قبرها قبة بأمر الرشيد

عرفت بالقبة البرمكية وقد شاهد بقايا هذه القبة موسيل فى عام ١٩١٢م ، كذلك أقام المأمون قبة على قبر كل من الرشيد وعلى بن موسى الرضا فى قرية سناباز من قرى طوس على ميل منها . القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٣٩٢ ؛ الشابشتى ، الديارات ، ص٢٢٩ ، عادل نجم عبو ، التربة فى العمارة الأيوبية فى سوريا ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ؛ ولدينا فى مصر قبة مدفن الليث بن سعد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م) الذى دفن فى مقابر الصدفيين وكان عددها أربعمائة قبة والليث أوسطها (وقد جرت على هذه القبة الكثير من مراحل التغيير والتجديد ، وعموما القبة الحالية تؤرخ بعام ١١٣٨هـ/ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٤٧٣ ؛ السخاوى ، تحفة الأحباب ، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٢٢٣) المقابر الكانوبية Canopy Tombs أطلق على هذا الطراز المعمارى للمقابر عدة مصطلحات منها المقبرة ذات السقيفة المفتوحة Open Canopy Tomb أو المقبرة ذات السرادق أو المظلة Baldaquin أو التربة المفتوحة Open Turbe وغير ذلك . وعن نشأة هذا الطراز وتطوره فى العمارة الإسلامية وبخاصة فى العصر العثمانى . انظر ، محمد حمزة الحداد ، العمائر الجنائزية ، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٣ . وكل ما يمكن قوله هنا أن هذا الطراز لا علاقة له بطراز القباب المدافن الإسلامية المبكرة المشار إليها (وهى الصليبية وإسماعيل السامانى والقباب السبع) وبين أنماط هذا الطراز من المقابر المعروفة سواء من عصر ما قبل الإسلام (فى دانا وسرمدة ورويحا والبارة وحاس والجليل الأعلى وجبل سمعان وميلاس) أو من العصر الإسلامى (فى سوريا ومصر وتركيا) لأن هذه النماذج الإسلامية المبكرة الباقية إنما صممت وفق طراز آخر هو المعروف بطراز المقبرة ذات الجوانب الأربعة المفتوحة وهو طراز يختلف جملة وتفصيلا عن طراز المقابر ذات السقيفة أو المقابر الكانوبية . ويكفى مجرد النظر إلى اللوحات المنشورة لنماذج كل من هذين الطرازين للتأكد من ذلك (لوحة ٣٤أ ، ب ، جـ ، هـ ، و ، شكل ٤٩ ـ ٥٠ من هذا المجلد الذى بين أيدينا) والحداد ، لوحات ٣٥ ـ ٤٤ ، أشكال ١٩ ـ ٣١ ؛ ونضيف على ذلك فنقول إنه قد سبق للعالم هوتكير أن ربط بين هذا الطراز الكانوبى وبين القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة مثل القباب السبع وقبة تنكز بغا (بمنشية ناصر شرق القاهرة) ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م فذكر أن هذا الطراز ما هو إلا تبسيط لهذه القباب ذات الجوانب الأربعة ثم لم يلبث أن تطور بعد ذلك فاستبدلت دعامات الأركان بأعمدة والسقف الهرمى بقبة صغيرة .

Hautecoeur et wiet, les Mosquées du Caire, I, le Caire, (1932) PP. 345 - 346 .

(٢٢٤) تقع قبة الأمير تنكزبغا فى إيوان قبلة تربته (تجاه المحراب) وهى من النماذج الفريدة التى لم تتكرر بعد؛ حيث أن الشائع أن القبة تقع على جانب واحد من الايوان أو مقدم المسجد أو تشغل جانبى الإيوان أو مقدم المسجد أو تقع خلف المحراب وتبرز عنه أو غير ذلك ؛ أما الموضع الذى نشاهده فى قبة تنكزبغا فغير مسبوق فى ضوء ما هو معروف فى العمارة الإسلامية فى مصر حتى الآن .

(٢٢٥) هو قبة الأمير يشبك أخو السلطان الأشرف برسباى (بحوش تربة السلطان برسباى بقرافة صحراء المماليك شرق القاهرة) ويرجع تاريخها إلى ما قبل عام ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م ؛ ومما له دلالته أن ضريح

السلطان برسباى ليس ضريحا فحسب وإنما هو عبارة عن مجمع معمارى ضخم يشمل تربة (خانقاه) ومدرسة وحوش وقباب للدفن فضلا عن قبة السلطان . انظر : محمد حمزة الحداد ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير (قيد النشر)، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (٢٠٠٤م) .

(٢٢٦) يمكن القول بأن محاولة الربط بين طراز المقابر الكانوبية أو ذات السقيفة وبين الأحاديث النبوية الشريفة من جهة والرغبة فى إقامة أضرحة تذكارية من جهة ثانية إذا كانت تصدق على نماذج هذا الطراز فإنها لا تصدق على نماذج القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة ـ كالصليبية وإسماعيل السامانى والسبع بنات ـ لأنه قد ثبت عدم وجود علاقة بين كلا الطرازين لاختلافهما جملة وتفصيلا عن بعضهما سواء فى التخطيط العام أو فى المفردات ، ومن جهة أخرى فإن نماذج المقابر الكانوبية أو ذات السقيفة الباقية فى العمارة الإسلامية عامة يرجع أقدمها إلى القرن ٥هـ/ ١١م أى أنها تالية لأقدم النماذج الباقية من القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة والمتمثلة فى قبة الصليبية ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م . ونضيف على ذلك فنقول إنه إذا كانت قبة الصليبية تمثل حلقة الوصل بين الأضرحة الهيلنستية والعالم الإسلامى كما يذكر كريزول ؛ إلا أنها مع ذلك لا تنتمى إلى طراز المقابر الكانوبية أو ذات السقيفة لا من قريب ولا من بعيد ، وهو الطراز الذى يعتبره كريزول أصلا لها ولغيرها من نماذج القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة كما سبق القول .

(٢٢٧) يرى أحمد فكرى أن هذا المسجد هو أقدم الأضرحة الفاطمية الباقية تاريخا ولكن دون أن يحدد دليلاً واحداً يؤكد ذلك . مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص ٣٠ .

(٢٢٨) من الملفت للنظر والمثير للانتباه فى نفس الوقت وجود ثلاث حجرات (أو قاعات) متطابقة ـ أى يلى بعضها بعضا ـ ومتشابهة وبكل حجرة منها محراب ، ويعلق فكرى على هذه الظاهرة فيقول إنها « لم تتبع فى بناء المساجد من قبل أو من بعد » ، جـ١ ، ص٣٠ ـ ٣١ ؛

(٢٢٩) أثر رقم ٤٧٧ ، أما عن أبى الخير الكليباتى فقد كان شيخا ذا خوارق ومعارف ، وكان فريدا فى سمته وحيداً على الحقيقة فى وقته وكانت الكلاب لا تفارقه تتبعه حيث سار ومن هنا جاءت تسميته وشهرته بالكليباتى، وكانت وفاته فى عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م ، ودفن بزاويته المعروفة بقرب جامع الحاكم. على باشا مبارك ، الخطط ، جـ٢ ، ص٨٣ ؛ عبد الرؤوف المناوى ، الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوى الكبرى ، جـ٤ ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة (١٩٩٤م) ، ص٢٧ ـ ٢٩ ، ترجمة رقم ٧٨٣ .

(٢٣٠) وصف فكرى هذه العقود بأنها مدببة شبه منفرجة على هيئة العقود الفاطمية . جـ١ ، ص٣١ .

(٢٣١) يتضح من خلال ما أورده ابن عبد الظاهر والمقريزى أنه كان يشغل موضع هذه الزيادة فى أوائل العصر الأيوبى اسطبلات ـ وقيل إنها قد جعلت فى فترة سابقة أهراء للغلال ـ ثم ثبت فى عهد الصالح نجم الدين أيوب ووزيره معين الدين حسن بن شيخ الشيخ أنها من « الجامع وأن بها محرابا فانتزعت وأخرج الخيل منها وبنى عليها هذا السور فى الأيام المعزية على يد الركن الصيرفى ولم يسقف ». ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص٦٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٨ . (ويلاحظ هنا أن المقريزى مع أنه نقل نص ابن عبد الظاهر إلا أنه لم يشر إلى السور واكتفى بقوله إنه بنى فيها ما هو الآن ... ولم يسقف » .

(٢٣٢) استغرقت رحلة ناصر خسرو فى مصر الفترة الواقعة فيما بين ١٧ صفر ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م الى أواخر جمادى الآخرة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م كما سبق القول . (انظر حاشية رقم ١٢٧ من التعليقات) .

(٢٣٣) ورد الوصف فى ترجمة الخشاب كما يلى « وقدرت أن فى القاهرة ما لا يقل عن عشرين الف دكان كلها ملك السلطان ، وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير مغربية فى الشهر ، وليس بينها ما تقل أجرته عن دينارين ، والأربطة والحمامات والأبنية الأخرى كثيرة لا يحدها الحصر وكلها ملك السلطان ... ويقع قصر السلطان فى وسط القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولا يتصل به أى بناء ... ويحرسه كل ليلة الف رجل ... ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة ما فيه من الأبنية المرتفعة وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره ... وجدران القصر من الحجر المنحوت بدقة تقول أنها قدت من صخر واحد ». ناصر خسرو علوى ، سفر نامه ، ترجمة الخشاب ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢٣٤) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وللقاهرة خمسة أبواب : باب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة وباب زويلة وباب الخليج ، وليس للمدينة قلعة ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعا من القلعة وكل قصر حصن ومعظم العمارات تتألف من خمس أو ست طبقات » ص١٠٦ .

(٢٣٥) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وكانت البيوت من النظافة والبهاء بحيث تقول إنها بنيت من الجواهر الثمينة لا من الجص والآجر والحجارة » ص١٠٦ .

(٢٣٦) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وبين مدينتى مصر والقاهرة أقل من ميل ... ويمر النيل بهما وبساتينهما وبيوتهما متصلة وتغمر المياه الوادى بأجمعة فى الصيف كأنه بحر عدا حديقة السلطان لأنها على مرتفع ». ص١٠٨ .

(٢٣٧) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « ومدينة مصر مشيدة على ربوة خشية فيضان الماء عليها ... وتبدو مصر كأنها جبل حين ينظر إليها من بعيد ... وبمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة وبيوت من سبع طبقات ... وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دوراً كثيرة فيها حجرات الاستغلال أى للإيجار ، ومساحتها ثلاثون ذراعا فى ثلاثين وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصا ، وهناك أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائمًا لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ويسير فيها الناس ». ص١١٦ ـ ١١٧ .

(٢٣٨) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « ومدينة مصر ممتدة على شاطئ النيل الذى عليه القصور والمناظر الكثيرة بحيث إذا إحتاجوا إلى الماء رفعوه بالحبال من النيل ... وثبت بين الجزيرة (الروضة) والمدينة (الفسطاط) جسر من ست وثلاثين سفينة ... ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحمر المسرجة فى ذهابهم وايابهم من البيوت إلى السوق ، وفى كل حى على رأس الشوارع ، حمر كثيرة عليها برادع مزينة يركبها من يريد نظير أجر زهيد ، وقيل إنه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتكرى ولا يركب الخيل إلا الجند والعسكر ». ص ١١٩ ـ ١٢١ .

(٢٣٩) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وكان أهل مدينة مصر (الفسطاط) فى غنى عظيم حين كنت هناك ، وفى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (١٠٤٧م) ولد للسلطان ولد فأمر الناس بإقامة الأفراح فزينت المدينة والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول ، ولما صدقونى ، فقد كانت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملوءة بالذهب والجواهر والنقد والأمتعة المختلفة

والملابس المذهبة والمقصبة بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس ». ص١٢١ .

(٢٤٠) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وقد رأيت هناك نصرانيا من سراة مصر قيل إن مراكبه وأمواله وأملاكه لا يمكن أن تعد ، وحدث فى سنة ما أن كان النيل ناقصا وكانت الغلة عزيزة ، فأرسل الوزير إلى هذا النصرانى وقال « ليست السنة رخاء والسلطان مشفق على الرعية فاعط ما استطعت من الغلة اما نقداً واما قرضا ، قال النصرانى : أسعد الله السلطان والوزير أن لدى من الغلة ما يمكننى من اطعام أهل مصر الخبز ست سنوات ». ص١٢١ .

(٢٤١) ورد وصف موكب الخليفة يوم فتح الخليج فى ترجمة الخشاب كما يلى « ... كان حليق شعر الرأس يركب على بغل ليس فى سرجه أو لجامه حلية فليس عليه ذهب أو فضة ، وقد ارتدى قميصا أبيض عليه فوطة فضفاضة ... وكان على رأسه عمامة من لونه ... وأمامه ثلثمائة راجل ديلمى عليهم ثياب رومية مذهبة وقد حزموا خصورهم وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر ... ويسير مع السلطان حامل المظلة راكبا حصانه وعلى رأسه عمامة مذهبة مرصعة وعليه حلة ... والمظلة التى بيده ثمينة جداً وهى مرصعة مكللة ... وعلى يمينه ويساره جماعة من الخدم يحملون المجامر ويحرقون العنبر والعود ... والعادة فى مصر أن يسجد الرجال للسلطان وأن يدعوا له كلما قرب منهم ، وجاء بعد السلطان الوزير مع قاضى القضاة وفوج كبير من أهل العلم وأركان الدولة ... وكذلك وجد فى يوم فتح الخليج ، طبقات أخرى من الرجال من ذوى الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء ... وهناك فرقة من أبناء الملوك والأمراء الذين جاءوا لمصر من أطراف العالم ...». ص١٠٨ ـ ١١٢ . وانظر أيضًا للمقارنة بين مضمون الترجمة بين الخشاب والبدلى مع نص كريزول من طبعة شيفر . ناصر خسرو ، سفر نامه ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلى ، ص٩٤ ـ ١١١ .

(٢٤٢) لمزيد من التفاصيل عن عواصم مصر الإسلامية قبل القاهرة (وهى الفسطاط والعسكر والقطائع) والمحاولات التى قام بها العلماء والباحثون لاحياء معالمها اعتماداً على ما ورد فى المصادر التاريخية من جهة وعلى البقايا الأثرية من جهة أخرى ، وكان للغرب فضل السبق فى مثل هذا النوع من الدراسات الرائدة ومنها :

Salmon, G., Etudes sur la Topographie du Caire, La kalat - Kabch et Birkat al-Fil, Mifao, VII, le Caire, (1902); Casanova, P., Essai de reconstitution Topographique de la ville d'al - Faustat ou Misc, Mi Fao, XXXV, Le Caire , (1913 - 1919).,

وقد شارك فى هذه الدراسات فيما بعد العرب عامة والمصريين خاصة وحسبنا أن نشير أولاً إلى تلك التحقيقات الرائدة التى قام بها المرحوم (بإذن الله) محمد رمزى لكتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى والتى تستحق أن يفرد لها مجلداً قائما بذاته نظراً لقيمتها التاريخية والطوبوغرافية والأثرية والتى قل أن نجد ما يماثلها فى كل ما صدر من المصادر المحققة حتى الآن . أما الدراسات التالية فحسبنا أن نشير إلى بعضها ومنها : عبد الرحمن زكى ، الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ، المكتبة الثقافية ، العدد ، القاهرة ١٩ ؛ عبد الله خورشيد البرى ، القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، القاهرة (١٩٦٤م) ط٢ (١٩٩٢م)؛ فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول (عصر الولاة)، القاهرة (١٩٧٠م) ، ص٣٣٧ ـ ٣٦٠ ؛ محمود حامد الحسينى ، التطور

العمرانى لعواصم مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٧م) ؛ صالح أحمد العلى ، أهل الفسطاط ، دراسة فى تركيبهم القبلى ومراكز إداراتهم، سلسلة تاريخ العرب والإسلام ، بيروت ٢٠٠٠م ، عبد الجبار ناجى ، دراسات فى تاريخ المدن العربية الإسلامية ، بيروت (٢٠٠١م) ، ص٢٠٧ ـ ٢٣٦ ؛ ولا تفوتنا الإشارة إلى المجهود المتميز للدكتور أيمن فؤاد سيد تأليفا وتحقيقا وترجمة وما يصاحب هذا وذاك من تحقيقات وتعليقات تاريخية وطوبوغوافية وأثرية مهمة ، وحسبنا أن نشير هنا إلى رسالته للدكتورة عن تطور العاصمة المصرية (القاهرة والفسطاط) حتى العصر الفاطمى (وهى بالفرنسية) وقد نشرت فى بيروت فى عام (١٩٩٨م) وله كتاب عن « التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى الآن ، القاهرة (١٩٩٨م) ، وكذلك تعليقاته عن كتاب وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل لجومار والمقدمة التى مهد بها لموضوع الكتاب ، القاهرة (١٩٨٨م) .

(٢٤٣) لمزيد من التفاصيل عن الشدة العظمى أو الشدة المستنصرية ونتائجها انظر ، أحمد الصاوى ، مجاعات مصر الفاطمية (أسباب ونتائج)، بيروت (١٩٨٨م) ؛ أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٢٠٤ ـ ٢٠٧ ؛ راشد البراوى ، حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، القاهرة (١٩٤٨م) ، ص ٨٨ ـ ٩٩ ؛ محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٨م) ، ص ١٥٠ ـ ١٥٧ .

(٢٤٤) قوارير النفط : تعرف أيضاً بـ « نيم النفط » وكانت تحتوى على مادة حارقة أساسها النفط فإذا ألقيت على هدف من الأهداف أشعلت النار فيه ، وهذا النوع من الأسلحة وجد عند البيزنطيين من قبل وأطلقوا عليه اسم النار الأغريقية . سعيد عاشور ، وآخرون ، دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، الكويت ط٢ (١٩٨٦م) ، ص١٨١ ، ٣٥٠ ؛ هذا ولا تزال توجد نماذج من هذه القوارير محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وغيره . انظر ، عبد الرؤوف على يوسف ، دراسة فى الفخار المصرى (١) قوارير النفط ، دراسات آثارية إسلامية ، المجلد الأول ١٩٧٨م ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة (١٩٨٢م) ، ص١ ـ ١٧ ، أشكال ١ ـ ٥٥ .

(٢٤٥) عن هذا الحريق والمحاولات التى تمت لاقناع أهل الفسطاط بالعودة إلى ديارهم وإعادة بناء مدينتهم . انظر ،

Kubiac, w., the Burning of Misr al-Fustat in 1168, Reconsideration of Historical Evidence, A Frican Bulletin, XXv, (1976), PP. 51 - 64., Sayyid, La Capital, PP. 666 - 676 .

(٢٤٦) لمزيد من التفاصيل عن سور صلاح الدين حول القاهرة ومصر انظر ، أسامة طلعت عبد النعيم ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى امتداد القاهرة حتى عصر المماليك ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٩٢م).

(٢٤٧) ترجم هذا الكتاب المهم إلى العربية كل من على بهجت ومحمود عكوش ، دار الآثار العربية ، القاهرة (١٩٢٨م)، وهو من تأليف على بهجت والبير جابرييل وصدر أولاً باللغة الفرنسية فى باريس (١٩٢١م) ، وهو المصدر الوحيد عن « حفريات الفسطاط» وهى باكورة الحفائر الأثرية الإسلامية فى

مصر عامة ، ومدينة الفسطاط خاصة وجرت فيما بين عامى ١٩١٢ ـ ١٩٢٠م ؛ ثم توالت بعدها الحفائر على يدى الهوارى ومحرز وعبد التواب وغيرهم من المصريين ثم حفائر البعثة الأمريكية والبعثة الفرنسية .

(٢٤٨) تجدر الإشارة إلى أنه أطلق على الدور المكتشفة فى أجزاء متفرقة من منطقة الحفائر أرقاماً مسلسلة من الدار الأولى إلى الدار الثامنة ، مع أن بعضا منها يحتوى على بيت واحد أو أكثر وهو إما قائم بذاته أو متصل بغيره بواسطة ممرات داخلية ودهاليز ، والبعض الآخر يشتمل على بيتين فأكثر متصلين ببعضهما من داخل الدار وبعضها له مدخل مشترك واحد أو مدخل خاص بها بالإضافة إلى المدخل المشترك . فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، شكل ٢٠٤ .

(٢٤٩) لمزيد من التفاصيل عن هذه القباب الجنائزية السلجوقية انظر ، آصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص٣٨ ـ ٤٥ ؛ الحداد ، القباب ، ص١٢٩ .

(٢٥٠) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ دور الفسطاط وتخطيطها وتوزيع الوحدات الرئيسية والثانوية ومنافعها وملحقاتها المختلفة وتعدد طوابقها من عدمه وزخارفها فضلا عن أصولها المعمارية والفنية وأهميتها فى تطور عمارة المنشآت السكنية فى مصر الإسلامية فيما بعد . انظر ، فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٤٢٧ ـ ٤٦١ ؛ عباس حلمى ، تطور المسكن المصرى الإسلامى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، (١٩٦٨) ؛ أحمد عبد الرازق ، بيوت الفسطاط الآثرية ، المتحف العربى ، السنة الرابعة ، العدد الأول ، الكويت (١٩٨٨م) ؛ El-Hawwary, H. M., Une Maison de L'epoque toulonide, B. I. E., XV, Fasc. I., le Caire, (1932-1933), PP. 79-87., Kubiak, W, Al-Fustat, its foundation and Early Urban Development, Cairo, A. U. C., (1987)., Sayyid., La Capital, PP. Lézine, Persistance de Traditions Pré-islamiques dans L'Architecture Domestique de L'Egypte Musulmane, Annales islamologiques, T. xi, le Caire, (1972), PP. 1 - 22 .

(٢٥١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الألواح الخشبية وأهميتها الفنية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص٢٠٩ ـ ٢١٤ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص٧١ ـ ٧٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، الفنون الإسلامية ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٢٥٢) عن ثورة البساسيرى ونجاحه فى دخول بغداد وإقامة الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر وضرب السكة باسمه فى شهر رمضان ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م . انظر ، محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين الآثار والتاريخ، دراسة حول تكامل المنهج العلمى وأهميته فى تحقيق الأحداث التاريخية الإسلامية [٢]، مجلة الدرعية، السنة ٣ ، العدد ١٠ ، ربيع الاخر ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م ، ص ٢٦٧ ـ ٢٧١ ؛ النقوش الآثارية، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م)، ص١٩٩ ـ ٢٠٢ .

(٢٥٣) لمزيد من التفاصيل عن موضع مجموعة قلاوون منذ العصر الفاطمى (قاعة ست الملك) وما تلاه انظر كتابنا ، السلطان المنصور قلاوون ، القاهرة (١٩٩٣م) ، ص ١٠٩ ـ ١١٧ ، ١٢٢ .

(٢٥٤) هذه المجموعة محفوظة بمتحف قصر بارجلو بمدينة فلورنسا الإيطالية وهى عبارة عن سبع حشوات ينسبها البعض إلى مصر فى حين ينسبها البعض الآخر إلى صقلية ومن هذا الفريق الأخير زكى محمد

حسن ويرجعها إلى القرن ٧هـ/ ١٣م ؛ زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٦ .

(٢٥٥) كان يشغل هذا الموضع القرافة الكبرى ، ولدينا عدد من المؤرخين يحق أن نطلق عليهم اسم مؤرخو القرافة ومن بينهم ابن عثمان وابن الناسخ وابن الزيات والسخاوى وغيرهم . وعن نشأة القرافة الكبرى وتطورها العمرانى وإزدهارها وما كانت تحتوى عليه من أبنية متنوعة الوظائف دينية كانت أم مدنية انظر رسالتنا للماجستير الموسومة بـ « قرافة القاهرة من الفتح العربى إلى عصر سلاطين المماليك » ، قيد النشر ، المجلد الأول ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية (٢٠٠٤م) .

(٢٥٦) اندثرت مقبرة القاضى بكار وأصبحت أثراً بعد عين ، ولكن موضعها لا يزال معروفا بعين الصيرة تجاه مشهد آل طباطبا . انظر ، الحاشية رقم ٧٤ من التعليقات .

(٢٥٧) مما له دلالته أن الحفائر الفرنسية التى أجريت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين المنصرم فى جزء من القرافة الكبرى (منطقة اصطبل عنتر حاليا) قد أسفرت عن اكتشاف العديد من البقايا المعمارية والتحف الفنية . انظر ، مجلة حوليات إسلامية ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، الأعداد : ٢٢ (١٩٨٦م) ص ١ ـ ٢٦ ؛ ٢٣ (١٩٨٧م) ، ص ٥٥ ـ ٧١ ، ٢٧ (١٩٩٣م) ، ص ٢٥٥ ـ ٢٣٢ ، ٢٨ (١٩٩٤م) ، ص ١ ـ ١٣ ؛ وعن قطع الاوستراكا المكتشفة ، المجلد ٢٢ (١٩٨٦م) ، ص ٢٧ ـ ٣٣ ، لوحات ١٣ ـ ١٥ أ .

(٢٥٨) لم يتبق من مقابر أسوان الآن سوى المقابر من ١ إلى ٣٢ بالجبانة الجنوبية ومن ٤٦ إلى ٥٥ بالجبانة الجنوبية الشمالية ، وقد أزيلت المقابر من ٣٣ إلى ٤٥ . انظر ، محمد ناصر عفيفى ، القباب الجنائزية الباقية بصعيد مصر فى العصر الإسلامى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) .

(٢٥٩) والحق انها كارثة أثرية ولا ينطبق عليها سوى هذا الوصف لأنه كان من نتيجة ذلك انعدام الصلة بين النقوش الشاهدية من جهة والمقابر والقباب التى نزعت منها من جهة ثانية ؛ وبالتالى انعدام الدليل المادى القوى الوحيد لتأريخ هذه المقابر وتلك القباب تأريخا صحيحا مضبوطا بدلا من ذلك الأسلوب الذى اتبع فى تأريخها من قبل مونيريه وكريزول وشافعى والذى يعتمد على الدراسة التحليلية والمقارنة للتخطيط المعمارى وعناصره ومفرداته المختلفة .

(٢٦٠) قام بدراسة مقابر وقباب أسوان ثلاثة من العلماء على التوالى وهم مونيريه دى فيليار (١٩٣٠م) وكريزول (١٩٥٢م) ، وفريد شافعى (١٩٧٠م)، وقد اعتمدت دراسات هؤلاء العلماء الثلاثة على التحليل المعمارى والدراسات المقارنة من حيث تخطيط النماذج المختلفة لهذه المقابر وتلك القباب وتكوين الكتل الرئيسية فيها وعناصرها وتفاصيلها . وقد أرخ مونيريه ٥٥ مقبرة وقبة بالفترة فيما بين القرنين ٥ ـ ٧هـ/ ١١ ـ ١٣م ، وقام بتقسيم هذه المقابر والقباب إلى ثلاثة أنواع ورتبها حسب تسلسلها التاريخى فى مراحل التطور كما ارتآه وأول نوع منها وأقدمها فى رأيه هو المستطيل المكشوف أو المغطى بقبو ، وثانيها المستطيل الذى يتوسطه مربع مغطى بقبة وثالثها المربع المغطى بقبة ؛ ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل قام بتقسيم كل نوع منها إلى ثلاثة نماذج ، وذلك النحو التالى :

النوع الأول : وهو المستطيل المكشوف أو المغطى بقبو ، وهو ينقسم إلى ثلاثة نماذج كما يلى :

١ أ ـ نموذج غير مسقوف وهو على هيئة مستطيل صغير من أربعة جدران ، بغير باب وتحيط بقبر أو أكثر بداخلها ، ويحتوى هذا النموذج فى بعض المقابر على المحاريب وأكتاف الأركان والطاقات الصغيرة النافذة والحشوات الغائرة المخصصة لتثبيت النقوش الشاهدية .

١ ب ـ نموذج مغطى بقبو طولى سد طرفه الجنوبى بجدار تركت فيه حشوة غائرة لتثبيت النقش الشاهدى وترك فى طرفه الشمالى فتحة لإدخال الجثة ثم تقفل بعدها وغير ذلك.

١ جـ ـ نموذج مستطيل مكشوف أو مغطى بقبو ولكن زخرفت جدرانه بحشوات غائرة عريضة وضيقة بالتبادل .

النوع الثانى : وهو المستطيل الذى يتوسطه مربع مغطى بقبة ثم غطى كل من الجزءين الباقيين على جانبى المربع بقبو برميلى (اسطوانى) وهو ينقسم إلى ثلاثة نماذج كما يلى :

٢ أ ـ مفتوح من جوانبه الأربعة .

٢ ب سد جانب واحد من جوانبه الأربعة ، ووضع فى بعض أمثلته محراب .

٢ جـ ـ باب واحد تجاه المحراب مع إضافة فناء أمامى مكشوف يتقدم المدخل .

النوع الثالث : وهو المربع المغطى بقبة ، وينقسم هو الآخر إلى ثلاثة نماذج كما يلى :

٣ أ ـ مفتوح من جوانبه الأربعة .

٣ ب ـ سد جانب واحد من جوانبه الأربعة ، ووضع فى بعض أمثلته محراب .

٣ جـ ـ سد فيه جانبان ، ووضع فى الجانب القبلى المحراب وتجاهه الباب فى الجانب المقابل .

Divilliard, M., La Necropoli Musulmana di Aswon, (1930) .

أما كريزول فقد اعتمد على دراسة مونيريه بصفة رئيسية ، إلا أنه خالفه فى تأريخها من جهة وفى ترتيبه التاريخى لتطوير الأنواع الثلاثة من جهة أخرى ، فمن حيث التاريخ فإن كريزول ضيق فترة التاريخ إلى قرن واحد وهو القرن ٥هـ/ ١١م أما من حيث الترتيب التاريخى فقد خالف كريزول مونيريه فى ترتيب النوعين الثانى والثالث فقط فأحل كل منهما محل الآخر .

Creswell, The Muslim Architrcture of Egypt, vol, I, PP. 131 - 145 .

وقام فريد شافعى بدراسة هذه المقابر على اعتبار أن المجال لا يزال مفتوحا لإضافة وجهات نظر أخرى ، وانتهى من دراسته إلى أن هناك نقاط ضعف فى محاولات تأريخ هذه الأنواع ثم فى ترتيبها فى خطوات التطور حسب التسلسل التأريخى الذى ارتآه كل من مونيريه وكريزول ، وبناءً على ذلك خلص إلى أن العدد الأكبر من المقابر والقباب يرجع بالذات إلى القرن ٣هـ/٩م (وهو القرن الذى يرجع إليه نحو ٥٤١ نقشا شاهديا أى ثلاثة أرباع النقوش الباقية وهى ٧٤٠ [٦٠٠ من قائمة مونيريه + ١٤٠ من قائمة مصلحة الآثار [...) ، وأن عدداً آخر يمكن نسبته إلى القرن ٤هـ/ ١٠م (وهو القرن الذى يرجع إليه نحو ١١٤ نقشا شاهدياً أى ما يقرب من ضعف عدد النقوش المؤرخة فى القرن ٥هـ/ ١١م وهى ٦٧ [٣٨ من قائمة مونيريه + ٢٩ من قائمة مصلحة الآثار [...) الذى لا يكاد

يصل إلى عشر واحد من مجموع النقوش الشاهدية كلها . ويضيف شافعى قائلا « وكل ذلك يضعف من الآراء التى تتعلق بتاريخ هذه المقابر والقباب وبترتيبها فى سلسلة من حلقات التطور تتوالى الواحدة منها بعد الأخرى واعتمد أصحابها كل الاعتماد (أى مونيريه وكريزول) على أنواع ونماذج تلك المقابر من حيث مسقطها فحسب ونجد أنه من الأصوب أن يكون الأساس فى التاريخ والتسلسل فى التطور معتمداً على العناصر المعمارية والتفاصيل من أنواع ونماذج منطقة الانتقال وما يقوم عليها من رقاب وقباب وأشكال العقود والمحاريب إلى غير ذلك فهى عناصر يجب أن يكون لها المقام الأول فى الموضوع من حيث أن تطوراتها كانت أكثر تأثراً بالعامل الزمنى منها بالعوامل الاجتماعية والمادية التى كان يخضع لها تطور المساقط إلى حد كبير ». وعلى ضوء هذا الاتجاه التحليلى الجديد ركز شافعى على المقابر ذات القباب وقام بتقسيمها إلى مجموعتين على أساس أنواع ونماذج مناطق انتقالها ، فالمجموعة الأولى منها تشمل النماذج البسيطة مثل الأركان المكونة من بلاطة مسطحة مثلثة أو من مثلث هرمى مقلوب أو من مثلث كروى أو من حنية نصف مخروطية أو من مقرنصة إسلامية ، وتمتاز هذه المجموعة بوجود نافذة بين كل ركنين وتبدو واضحة من الداخل والخارج على السواء ، أما المجموعة الثانية فتشمل مناطق الانتقال المركبة والمتطورة وهى لا ترجع إلى ما قبل العصر الفاطمى . وبعد دراسة نماذج المجموعة الأولى انتهى إلى القول بأنه قد اجتمع فى مقابر أسوان عدة عناصر وتقاليد معمارية منها ما هو محلى ومنها ما يمت بصلة الشبه أو القرابة لبعض ما يوجد فى أقطار إسلامية أخرى فى الشرق والغرب على السواء ومنها عناصر يحتمل تطورها من سوابق فى عصور ما قبل الإسلام ثم نضج فى العصر الإسلامى ومنها ما ظهر وتم نضجه فى العصر الإسلامى المبكر .
وعلى ضوء ما تقدم انتهى شافعى إلى أنه توجد مجموعة كبيرة من المقابر يقرب عددها من ثلاثين مقبرة على الأقل يمكن أن يقع تاريخها فى فترة عصر الولاة وتسبق القرن ٥هـ/ ١١م وهو القرن الذى كانت المقابر كلها تنسب إليه أو إلى ما بعده ، وهذه المجموعة هى التى يوجد بها نموذج أو آخر من نماذج مناطق الانتقال البسيطة من بلاطات مسطحة ومثلثات هرمية أو كروية وحنيات نصف مخروطية أو مقرنصات . فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول (عصر الولاة) ، القاهرة (١٩٧١م) ، ط٢ (١٩٩٤م)، ص٥٣٩ ـ ٥٦٩ ؛
كذلك قام محمد ناصر عفيفى بدراسة مقابر أسوان ضمن رسالته للدكتوراه ، وأرجع بعض القباب ـ وهى التى تحمل أرقام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ـ إلى فترة حكم بنى الكنز فى أواخر عصر المماليك البحرية وأوائل عصر المماليك الجراكسة اعتماداً على أنه استخدمت فيها العقود ذات الوسائد أو المخدات المتلاصقة هذا عن جهة ومن جهة ثانية هناك شواهد قبور تحمل أسماء أفراد بنى الكنز (لم تنشر بعد) ومما يدل على استمرار استخدام الجبانة حتى العصر المملوكى وجود شاهد قبر مؤرخ بـ ٦ ربيع الأول ٧١١هـ/ ١٣١١م وهو لا يزال مثبتا على الواجهة الجنوبية للقبة رقم ٥١ ـ مع أنه لا ينتمى إلى هذه القبة أصلا ـ وقام عفيفى أيضا بدراسة عشر قباب جديدة لم تدرس من قبل ومن ثم اتخذ لها

أرقامًا مستمدة من حروف أبجد هوز (وهى القباب من أ إلى ى). محمد ناصر عفيفى ، القباب الجنائزية الباقية بصعيد مصر، ص١٦ ـ ١٨ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٨٣ ـ ٩٣. وعن استخدام العقود ذات الوسائد أو المخدات المتلاصقة كقرينة لإرجاع بعض قباب أسوان إلى العصر المملوكى من عدمه انظر دراستنا الموسومة بـ « العقد ذو الوسائد أو المخدات المتلاصقة » نشأته وتطوره فى العمارة الإسلامية دراسة جديدة ، (قيد النشر) .

(٢٦١) Domical Vault : لا نعرف ما الذى يقصده كريزول من إطلاقه هذا المصطلح على منطقة انتقال المقبرة رقم ٤٢ لأن الترجمة الحرفية لهذا المصطلح هى « قبو قبابى أو مقبب » كما ترجمها أخى وزميلى عبد الوهاب علوب مترجم الكتاب ، إلا أنه يبدو لنا أن منطقة انتقال هذه المقبرة هى المثلثات الكروية ولعل بعض الغرابة فى أسلوب بنائها بقوالب الطوب هى التى جعلته مترددًا فى اعتبارها مثلثات كروية فأطلق عليها هذا الوصف ، وهو الأمر الذى أثار استغراب شافعى من قبل . (ص٥٦٣). ونضيف على ذلك فنقول إننى وجدت فى كتاب العمارة البيزنطية ما يؤكد الاستنتاج السابق حيث ورد شرح لهذا المصطلح وطريقة بنائه ومن حيث ترجمة المصطلح فقد ترجم إلى العقد المقبب ومن حيث طريقة بنائه فهو يبنى فوق فراغات محددة بأربعة أقواس ، ويتم وضع قطع الآجر فى اتجاه يزداد ميلانا عن الوضع الأفقى وذلك أولا لتشكيل مثلثات كروية وبالتالى توفير قاعدة دائرية للقبة ويتم الاستمرار فى تثبيت قطع الآجر حتى القمة ، والقبةتبنى على نفس المبدأ العام لبناء العقد المقبب فهى ترتكز على مثلثات كروية ، أما الاختلاف الرئيسى بين الاثنين فيتمثل فى أن المثلثات والقلنسوة تشكلان فى العقد المقبب سطحا كرويا متصلا وهذا لا نجده فى حالة بناء القبة والتى تبنى على نصف قطر أصغر من المثلثات الكروية تحتها وهذا الاختلاف يؤثر على طبيعة المثلثات الكروية فهى واحدة فى الحالتين . سيريل مانجو ، العمارة البيزنطية ، ترجمة رندة فؤاد قاقيش ، دمشق (١٩٩٩م)، ص١١ ، ٢٣١ .

(٢٦٢) أضاف شافعى إلى قائمة مونيريه ١٤٠ نقشا شاهديا (من مصلحة الآثار) منها ٤٥ نقشا من القرن ٣هـ/٩م و ٦٣ من القرن ٤هـ/١٠م و٢٩ من القرن ٥هـ/ ١١م و ٣نقوش من القرن ٦هـ/ ١٢م، وبذلك يصل العدد الاجمالى للنقوش إلى ٧٤٠ نقشا منها ١٢ (ق٢هـ)، ٥٤١ (ق٣هـ)، ١١٤ (ق٤هـ)، و٦٧ (ق٥هـ/١١م) و ٦ (ق٦هـ). شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٥٤١ . ومما له دلالته ما قام به الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب من نشر مجموعة من النقوش الشاهدية من جبانة أسوان تحت عنوان :

Steles Islamiques de la Necropole D'Assauan, Tome, 2, le Caire, (1982), PP. 2 - 151., Tome, 3, (1986), PP. 2 - 151 .

كذلك قامت سعاد ماهر محمد بنشر عدد منها فى كتابها الموسوم بـ « مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى ، القاهرة (١٩٧٧م) ؛ واعتمد عليها محمود محمد الحويرى (بمساعدة الأستاذ عبد

الرحمن عبد التواب) فى رسالته المنشورة وعنوانها « أسوان فى العصور الوسطى » القاهرة (١٩٨٠م).

(٢٦٣) أثبتنا من قبل أنه لا توجد علاقة بين القباب ذات الجوانب الأربعة المفتوحة (كالصليبية والسامانى والسبع بنات و ٤ مقابر بجبانة أسوان أرقام ١٧ ، ٣٣ واثنان غير مرقمين) وبين نمط المقابر الكانونية أو ذات السقيفة ، وبالتالى فإنه من الخطأ القول بأن هذا النمط الأخير كان أول نوع فى العمارة الجنائزية حتى القرن ٥هـ/ ١١م مع أنه لا توجد نماذج لها قبل القرن ٥هـ/ ١١م كما سبق أن أوضحنا. (انظر حاشية رقم ٢٢٣من التعليقات) .

(٢٦٤) القبو القبابى أو المقبب : سبق التعليق على هذا المصطلح انظر الحاشية رقم ٢٦١ من التعليقات .

(٢٦٥) سبق أن قمنا بدراسة هذا الطراز وتتبعنا نشأته وتطوره فى العمارة الإسلامية عامة وفى مصر خاصة ؛ وبالتالى فإنه لا علاقة بين هذا الطراز وبين طراز المقابر الكانونية أو ذات السقيفة التى ترجع أقدم النماذج المعروفة منها فى العمارة الإسلامية حتى الآن إلى القرن ٥هـ/ ١١م . انظر حاشية رقم ٢٢٣ من التعليقات .

(٢٦٦) لمزيد من التفاصيل عن الجامع العمرى أو الجامع العتيق باسنا ٤٦٩ـ٤٧٤هـ/١٠٧٦ ـ ١٠٨١م ، انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جـ١ ، ص٦٤ ـ ٦٦ ؛ جمال عبد الرؤوف عبد العزيز ، مساجد مصر العليا ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص ٥٤ ـ ٥٨ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ١ ، ص٣٧١ ـ ٣٧٦ .

(٢٦٧) هو الأمير الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة أبى منصور سارتكين الجيوشى ، وعن صيغة هذا النقش انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ ، جـ١ ، ص٦٦ ؛

Comb, Repetoire, vol, v II, P. 203.,

(٢٦٨) عن صيغة هذا النقش انظر ، فريد شافعى ، العمارة ، ص٥٧٨ ؛

Comb, Repertoire, vol, VI, P. 217, No. 2755 ;

El-Hawwary , Trois Minarets Fatimides à la Frontière Nubienne , B. I. E, XVII, (1934 - 1935), P. 143 .

(٢٦٩) عن صيغة النقش انظر ، El - Hawwary, Trois, P. 149 .

(٢٧٠) قمنا بدراسة هذا الطراز من التخطيط وتتبع نشأته وتأصيله وتطوره فى العمارة الإسلامية عامة وفى مصر خاصة (انظر حاشية رقم ٧٣ من التعليقات) .

(٢٧١) لمزيد من التفاصيل عن مئذنة الطابية (وتقع إلى الجنوب من فندق كتاراكت بما يقرب من ٧٠٠م تقريبا على ربوة صخرية) انظر ، جمال عبد الرؤوف ، مساحد مصر العليا ، ص ١٧ ـ ٢١ .

(٢٧٢) تمكن الزميل جمال عبد الرؤوف من قراءة هذا النقش وهو يتضمن فى السطرين الأول والثانى سورة الإخلاص (الآيات ١ ـ ٤) وآية الكرسى (رقم ٢٥٥ من سورة البقرة) وفى السطر الثالث والأخير التوقيع بصيغة « عمل ابن بكر ». جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا ، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢٧٣) لمزيد من التفاصيل عن مئذنة أبي الحجاج بالأقصر (وتقع فى الميدان المواجه لمحطة قطار مدينة الأقصر على مسافة ٣٠٠م تقريبا منها وذلك أعلى الجهة الشمالية الشرقية لمعبد الأقصر وهى تعتبر معلقة لأنها مقامة على أربعة أعمدة جرانيتية من أعمدة المعبد) ، انظر : جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا، ص ٣٣ ـ ٣٦ .

(٢٧٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث التاريخية فى عصر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله انظر ، الحويرى ، أسوان فى العصور الوسطى ، ص ؛ عطية القوصى ، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، القاهرة، ط٢ ، (١٩٨١م) ، ص ؛ عوض خليفات ، مملكة ربيعة العربية فى وادى النيل ، عمان (١٩٨٣م) ، ص ؛ ضرار صالح ضرار ، هجرة القبائل العربية إلى وادى النيل : مصر والسودان ، الرياض (١٩٩٧م) ، ص .

(٢٧٥) كان القضاء على لواته فى الوجه البحرى وليس الصعيد كما فهم كريزول .

(٢٧٦) عن صيغة نقش بدر الجمالى (بالجامع الطولونى)المؤرخ بشهر ربيع الأول ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م ، انظر حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ٤٤ ؛

Comb, Répertoire, vol. VII, P. 199 .

(٢٧٧) لمزيد من التفاصيل عن جامع العطارين بالأسكندرية ، ونقش بدر الجمالى المؤرخ بـ ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م . انظر ، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد ، ص٦٧ ـ ٦٨ . جمال الدين الشيال ، الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ٢ ، أكتوبر (١٩٤٩م) ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، دار المعارف بمصر (١٩٦١م)، ص٦١ ـ ٦٢ .
وهذا النقش مثبت في قاعدة المئذنة على يسار الداخل من الباب الشمالى الشرقى ؛ ويضيف سالم فيقول إن بدر الجمالى قد أنفق على هذا الجامع من أموال المصادرات أى الأموال التى أغرم بها الثائرين من أهل الإسكندرية .

(٢٧٨) مما له دلالته فى هذا الصدد بالنسبة لمضمون كل من نقش بدر الجمالى بالجامع الطولونى وبجامع العطارين ، فبالنسبة للنقش الأول المثبت فى لوح رخامى فوق باب بسور الزيادة البحرية نجد أنه قد ورد فيه « ... أمر بتجديد هذا الباب وما يليه عند عدوان النار على ما أبدعه المارقون فيه ... ابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته ...» . أما نقش جامع العطارين فقد ورد فيه « ... مما أمر بإنشائه ... عند حلول ركابه بثغر الاسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابا فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفا إلى الله تعالى ... » . ومن ذلك يتضح أن فان برشم قد حمل هذه النقوش فوق طاقتها أو أكثر مما تحتمل ، وهذا ما أحببت أن الفت الانتباه إليه ،

(٢٧٩) يتضح من خلال هذه الخلاصة التى انتهى إليها كريزول أن هذه المجموعة من المآذن الخمس والمساجد التى كانت تتبعها قد نسبت كلها إلى فترة وجود القائد بدر الجمالى فى تلك المنطقة لاخماد الفتن التى نشبت هناك ، وعلى ذلك تم ارجاع تاريخها إلى الفترة ما بين ٤٦٩ - ٤٧٤هـ/ ١٠٧٦ ـ ١٠٨١م ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص٨٧ ـ ٨٨ ؛

El-Hawwary, Trois, P. 141 - 153., Creswell, The Muslim, Vol, 1, P. 155.

Bloom, M, Five Fatimide Minarets in upper Egypt, JSAH, XL III, May (1984), PP. 162 - 167.,

وهناك رأى آخر فحواه آن هذه المآذن الخمس وما بقى من المساجد التى تتبعها لا يجب نسبتها كلها إلى الفترة التى وجد فيها بدر الجمالى ؛ بل إنها تنقسم إلى مجموعتين : إحداهما ، وتشمل المشهد البحرى ومئذنته ومئذنة الطابية يرجّح تأريخها فى عصر المتوكل العباسى وهو العصر الذى حدثت فيه أكثر الاحتكاكات بين المسلمين وبين البجة بالنوبة ، أما المجموعة الثانية ، والذى تشمل مسجد ومئذنة المشهد القبلى ومسجد ومئذنة اسنا ومئذنة أبى الحجاج بالأقصر ، فهى التى يمكن نسبتها إلى فترة بدر الجمالى ، ومن جهة ثانية فإن هذه المجموعة كلها سواء العباسية أو الفاطمية لم تشيد لغرض دينى فحسب وإنما قامت إلى جانب ذلك بوظيفة عسكرية حربية وهى مهمة المراقبة والتحذير بالإشارات تماما مثل منارات الأربطة ، مما يعنى أنه كانت هناك سلسلة منتشرة منها تصل ما بين حدود مصر الجنوبية ومدينة قوص التى كانت قاعدة والى الصعيد ولعلها كانت تصل إلى أبعد من ذلك فى الشمال . أما عن الأدلة التى اعتمد عليها صاحب هذا الرأى الثانى ، ومن أخذ برأيه ، فمن أهمها شريط الكتابة الآجرى بكل من مئذنتى المشهد البحرى أو الباب ومئذنة الطابية ، والنماذج السابقة لاستخدام هذه الطريقة من الكتابة نجدها على الجزء الأيمن من مدخل القصر بالرقة وينسب بناؤه إلى المعتصم العباسى (ت٢٢٧هـ/٨٤١م) ومنها الجامع المعلق بالقيروان قبل عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م ومنها مسجد الباب المردوم بطليطلة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م . إبراهيم شبوح ، قصر هرثمة بن أعين بالمنستير ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٦٥م)، ص١٢٣ ـ ١٣٨ ؛ حول منارة قصر الرباط بالمنستير واصولها المعمارية ، مجلة افريقية ، العدد ٣ ـ ٤ (١٩٧١م) ، ص ٥ ـ ١٥ ؛ فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، ص٥٧٥ ـ ٥٧٨؛ جمال عبد الرؤوف ، مساجد مصر العليا ، ص٣٨٣ ـ ٣٨٨ ؛ وانظر أيضاً : عبد الله كامل موسى عبده ، تطور المئذنة المصرية ، ص٦٨٨ ـ ٦٩٢ ؛ عبد الناصر ياسين ، الفنون الزخرفية ، ص٧٧٦ ـ ٧٨١ ؛ وعن العناصر المعمارية المشتركة بين هذه المآذن وبين مقابر جبانة أسوان . انظر ، فريد شافعى ، العمارة، ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩ .

(٢٨٠) جانب الصواب كريزول فى هذه القراءة ، فإن نقش الإنشاء يستدل منه أن هذا المبنى كان مشهداً وليس زاوية كما ذكر كريزول ومن نقل عنه . وعن أصل مصطلح المشهد واشتقاقه ودلالته انظر ، محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص٤٣ ـ ٤٩ ؛ هذا وقد اختلفت الآراء حول ماهية هذا المبنى فمن قائل إنه مسجد (أو جامع) وزاوية ، أو مشهد لا علاقة له بطراز المساجد أو مسجد يفصح تخطيطه عن الغاية من إنشائه مشهداً بل هو أول مسجدمعروف فى القاهرة كان يضم ضريحا أو أنه مجرد مصلى أقامة بدر الجمالى لتخليد انتصاره على الخارجين وقضائه على الفوضى والفتن أوهو مشهد فاطمى ومرقب حربى .

أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص٩٠ ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ١ ، ص٢٧٧ ، ٢٨٢ ؛ كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص٢٨ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص١٧٨ ؛ عبد الرحمن فهمى محمد ، مشهد فاطمى ومرقب حربى ، مجلة منبر الإسلام ، العدد

٦، السنة ٣١ ، (جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ/ يوليو ١٩٧٣م) ، ص١٣٢ ـ ١٣٧ ؛ آمال العمرى ، العمارة ، ص١٤٥ ـ ١٥٠ ؛ عبد الله كامل ، الفاطميون ، ص ١٧١ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ؛ حسنى نويصر ، الآثار الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٨م) ، ص ١٩٤ ـ ٢٠٠ .

Shafi'i, f., The Mashhad al-Juyushi, Archaeological Notes and Studies , in studies in Islamic Art and Architecture in honor of Professor K. A. C. Creswell, Cairo, A. U. C. (1965), P.237 - 252., Ragib, Y., Un Oratoire Fatimide ou Sommet du Muquattam, Studia Islamica, Lxv, Paris, (1987), PP. 51 - 67 .

أما عثمان فيرى أن وظيفة هذا المبنى (الذى لم تثبت أية صلة بينه وقبور آل البيت الذين أنشئت على قبورهم مشاهد من جهةولم يدفن به منشئه بدر الجمالى من جهة ثانية)توسع بذلك دلالات مصطلح مشهد فلا يقتصر الأمر على المبنى ذاته بل تمتد إلى الوظيفة لتربط بين هذا المشهد وما يشهده أو يطل عليه ؛ ومن ثم أنشئ بتصميم معمارى يجعله فى هيئة مبنى محصن فى موقع عال مشرف فوق جبل المقطم ليستخدمه شخصية أو جماعة ذوى أهمية خاصة يهمهم مشاهدة ما فى المدينة ، وربما كان استخدام مصطلح مشهد فى نص الإنشاء للتمويه فى إطار المعنى الشائع فى هذا العصر ، وفى إطار تحديد الدخول إليه حيث أن دلالة هذا المصطلح تمكن من منع دخوله لمن يراد منهم ، عكس المسجد الذى لا يمكن منع أحد من دخوله ولما كان هذا المشهد يتضمن مسجداً ومئذنة فإن نص الإنشاء الذى يشير صراحة إلى أن هذا المبنى مشهداً يكون مقصوداً لهذا الغرض . محمد عبد الستار عثمان ، التربة الإيوان من أنماط المبانى فوق القبور فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، العصور ، المجلد ٧ ، الجزء ٢ ، الرياض ، لندن ، (محرم ١٤١٣هـ/ يوليو ١٩٩٢م)، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩ . وحسبنا للرد على هذا الرأى الأخير أن نشير إلى عدة اعتبارات منها أن المشاهد لم تكن قاصرة على قبور آل البيت بل كانت عامة للشيعة والسنة على السواء كما أثبتنا فى دراستنا المشار إليها هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن بدر الجمالى مع أنه لم يدفن فى هذا المشهد عقب وفاته فى عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م ؛ إلا أن ذلك لا ينفى أنه ألحق بمشهده قبة للدفن منذ تاريخ الإنشاء الأول ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م سواء دفن فيها أم لا (ولدينا أمثلة كثيرة فى العمارة الإسلامية فى مصر وخارجها لقباب دفن أعدها أصحابها كى يدفنوا بها ولم يتحقق ذلك ؛ بل ان بعضهم الاخر أنشأ أكثر من قبة فى المدينة الواحدة، بل فى مدن أخرى خارج القطر نفسه ولم يدفنوا إلا فى إحداها ومنهم من لم يعرف له قبر مع ذلك). أما عن غرض التمويه فهو لم يحدد مصدره أو دليله فى ذلك ، وإذا كان الغرض منه منع دخوله لمن يراد منهم .. ولا ندرى من هم ؛ ـ على اعتبار أنه مشهد وليس مسجد ـ فكيف يتفق ذلك مع ما ذكره هو نفسه من أن هذا المشهد يتضمن مسجداً ومئذنة وبالتالى لا يمكن منع أحد من دخوله على حد قوله حتى ولو كان نص الإنشاء مقصوداً لهذا الغرض كما يزعم . أما عن الغرض الأصلى لهذا المشهد فقد أفردنا له دراسة لاحقة ستنشر فى القريب بمشيئة الله تعالى .

(٢٨١) أثبت فريد شافعي بأدلة معمارية قاطعة أن هذه القبة المدفن قد ألحقت بالجهة الشمالية الشرقية من المشهد في نفس العام الذى بنى فيه وهو ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م .

Shafei , The Mashhad, P. 237 .

(٢٨٢) تمت إزالة هذه الكسوة الخزفية العثمانية في الترميمات الأخيرة التي قامت بها طائفة البهرة . أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص١٨٢ .

(٢٨٣) سبق القول إن المصطلح الوارد في النقش هو المشهد وليس الزاوية .

(٢٨٤) يتضمن نقش الإنشاء الصيغة التالية « ... مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ... السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وكيد عدوه وحسدته ابتغاء مرضاة الله في المحرم سنة ثمان وسبعين واربعماية » . ويتضح من النقش أن المبنى مؤرخ بعام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وليس ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م كما قرأها خطأ فان برشم ، ومن جهة ثانية فإن الآمر بعمارة هذا المشهد هو أمير الجيوش بدر الجمالي فتى المستنصر بالله وليس المستنصر نفسه ومن جهة ثالثة فإن النقش لم يرد فيه لفظة عبد الله (والتى إما أن تكون اللقب الأول للخلفاء عامة ؛ أو تكون اسما للخليفة نفسه وفى هذه الحالة الأخيرة كانت تكتب مرتين عبد الله عبد الله - إشارة إلى اللقب والاسم ...) وعلى ذلك فإن عبد الله حتى ولو كانت قد وردت في النقش - لا علاقة لها ببدر الجمالي .

(٢٨٥) أبدى الأمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع استعداده لإجابة طلب الخليفة المستنصر بأن يمدّه بأربعمائة الف اردب من القمح ، غير أن وفاته المفاجئة حالت دون تحقيق ذلك ، وعندما خلفته الامبراطورة ثيودورا (٤٤٧ - ٤٤٨هـ/ ١٠٥٥-١٠٥٦م) اشترطت لإجابة الطلب أن يوافق المستنصر على عقد معاهدة دفاع مشترك وأن ينجدها بعساكر مصر إذا هوجمت وتعرضت بلادها للاعتداء ، ولما رفض المستنصر طلبها رفضت طلبه ؛ المقريزى ، الخطط ، مج ٢ ، ص١٣٥ - ١٣٦ ؛ عبد المنعم ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، القاهرة ، ط٤ (١٩٩٤م) ، ص١٣٦ ؛ محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص٣٧٧ ؛ سليمان الرحيلي ، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية ، الرياض ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص١٩٧ - ١٩٨ ؛ خضر أحمد عطالله ، علاقات الدولة الفاطمية بالدول الإسلامية والأجنبية ، بيروت ، د. ت ، ص٣٨ - ٣٩ ؛ محمد عبد الله عنان ، سفارة مصرية إلى بلاط بيزنطة في عهد المستنصر بالله الفاطمي ، في كتابه الموسوم بـ « مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٨م) ، ص ١١٤ - ١٢٠ ؛

Hamdani , CA, Byzantine - Fatimid Relations Before the Battle of Manzikert, Byzantine Studies, 12, (1974), PP. 169 - 179 .

(٢٨٦) كان الفراغ من بناء هذا الجامع فى ربيع الأول سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٧٧م كما يستدل من نقش الإنشاء وليس ٤٧٩هـ/ ١٠٨١م كما ذكر المقريزى ومن نقل عنه . انظر حاشية رقم ٢٧٧ من التعليقات .

(٢٨٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر ، طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص٣٦٢ ـ ٣٧١ ؛ محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٥م) ، ص١٥٢ ـ ١٥٧ .

(٢٨٨) آثرنا هنا عدم التعليق على موضوع أسوار القاهرة وأبوابها الفاطمية حيث أننا قد أفردنا لها دراسة تحليلية مطولة سواء ما كان معروفا منها زمن كريزول أو ما تم اكتشافه فيما بعد وسوف تنشر هذه الدراسة فى القريب بمشيئة الله تعالى ؛ وحسبنا هنا أن نشير إلى بعض الدراسات التى صدرت عقب صدور هذا المجلد الأول من كتاب كريزول فى عام ١٩٥٢م ومن بينها : عبد الرحمن فهمى ، أسوار القاهرة وأبوابها ، ضمن كتاب القاهرة (مؤسسة الأهرام ١٩٧٠م) ، ص ٤٦٦ ـ ٤٧٥ ؛ آمال العمرى ، العمارة ، ص ١٤ ـ ٢٦ ؛ أسامة طلعت ، أسوار صلاح الدين ، ص١٣٦ ـ ١٣٩ ؛ سامى محمد نوار ، دراسة تحليلية لسور القاهرة بالجزء الممتد من باب النصر إلى باب البرقية ، ضمن الكتاب التقديرى للآثارى عبد الرحمن عبد التواب ، جـ١ ، المجلس الأعلى للآثار المصرية ، القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص١٨٥ ـ ١٩٨ ؛ عبد الناصر ياسين ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة (٢٠٠٢م) ص ٧٢٤ ـ ٧٣٦ ؛ تعليقات أيمن فؤاد سيد فى تحقيقه لخطط المقريزى ، المجلد الثانى ، لندن (٢٠٠٢م) ؛

Warner, N., The Fatimid and Ayyubid eastern Walls of Cairo : Missing Fragments. An. isl. T. 33, le Caire (1999), PP. 283 - 305 .

(٢٨٩) عن وضع أهل الذمة فى مصر الفاطمية انظر ؛ سلام شافعى محمود ، أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، القاهرة (١٩٩٥م) ؛ أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى، القاهرة (١٩٨٢م) ، وهناك بعض الدراسات التى تتناول أهل الذمة فى مصر الإسلامية عامة أو طائفة منهم خاصة ومن بينها ؛ قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، القاهرة (١٩٨٧م)؛ سيدة إسماعيل كاشف ، مصر الإسلامية وأهل الذمة ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥٧ ، القاهرة ؛ مارك كوهين ، المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، تل أبيب (١٩٨٧م) ؛ يعقوب لاندوا ، تاريخ يهود مصر فى الفتر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٩١٤م ، ترجمة جمال الرفاعى وأحمد حماد ، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن ، المشروع القومى للترجمة ، العدد ١٩٩ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة (٢٠٠٠م) وغير ذلك ؛ ومن الطبيعى أن مثل هذه الدراسات العامة تتناول فى بعض فصولها أحوال وأوضاع أهل الذمة أو طائفة منهم خلال العصر الفاطمى .

(٢٩٠) اختلفت الآراء حول اسم مهندس المقياس وجنسيته ومنها : أنه أحمد بن محمد الحاسب أو أحمد بن كثير الفرغانى أو محمد بن كثير الفرغانى أو ابن كاتب الفرغانى المدفون فى كنيسة القديس

كوليوتس مما يعنى أنه كان قبطيا ولكن كيف ينتسب هذا الأخير إلى فرغانة ويكون قبطيا في نفس الوقت كما ذهب كريزول الذى انتهى إلى أن أحمد بن محمد الحاسب وأحمد بن كثير الفرغانى هماشخص واحد وهو بذلك فتح مجالاً للظن بأن الرجل كان حقيقة من أهالى فرغانة من أعمال بلاد فارس وقتئذ ؛ أى أنه لم يكن عربيا بل كان فارسيا ؛ وقيل فى رواية أخرى أنه محمد بن موسى الفلكى . كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص ١٧ ـ ١٨ ؛ فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٣٨٨ ـ ٣٨٩ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص٨٤ ـ ٨٥ ؛ عبد الناصر ياسين ، الفنون ص٦٩٩ ـ ٧٠٠ ، ومما له دلالته فى هذا الصدد أن لدينا قرينة تاريخية مهمة تؤكد أن أحمد بن محمد الحاسب هو مهندس المقياس وسوف نشير إليها فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى .

(٢٩١) هو أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى المتوفى عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م ورحلته هى « الإشارات إلى معرفة الزيارات» ، وقامت بنشرها وتحقيقها جانين سورديل ، دمشق (١٩٥٣م) ؛

ونشرت هذه الرحلة مرة ثانية بتحقيق على عمر ، القاهرة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) (٨٥ صفحة) .

(٢٩٢) ترجع هذه العمارة إلى عهد إيل الدى ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م واسم المهندس هو « هبة الله جرجانى » كما ورد فى النقش الكتابى . آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٦٤ .

(٢٩٣) هو مسجد قلعة ديوريكى الذى يرجع إلى عهد أسرة المنكوجكيين واسم المهندس هو « حسن بن فيروز المراغى » كما ورد فى النقش الكتابى . آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٧٤ .

(٢٩٤) يعد من أشهر الجوامع السلجوقية فى الأناضول ، وتتضمن نقوشه الكتابية اسم اثنين من المهندسين هما «محمود خولان الدمشقى ، وكريم الدين اردشاه »، واسم المهندس «يوسف بن عبد الغفار الخوجنى » على مدفن السلطان قلج أرسلان الملحق بالجامع . آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٧٩ .

(٢٩٥) هى المدرسة المعروفة بالمسعودية وتنسب إلى السلطان الأرتقى سوكمن الثانى ، والمهندس هو «جعفر بن محمود الحلبى » كما ورد فى النقش الكتابى . آصلان آبا ، فنون الترك ، ص١٠١ .

(٢٩٦) تعتبر من المدارس السلجوقية الأولى بالأناضول ولها أهميتها فى تتبع التطور المعمارى والفنى للمدارس الإسلامية عامة والسلجوقية خاصة ، وقد استمدت اسمها من البلاطات الخزفية ذات الطلاء البراق التى تكسو الإيوان والمحراب ، واسم المهندس هو « محمد بن محمود البناء الطوسى » . آصلان آبا ، فنون الترك ، ص١٠٤ .

(٢٩٧) انظر ، محمد حمزة إسماعيل الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، ص٩٢ .

(٢٩٨) مهندس الجامع المنصورى الكبير بطرابلس الشام هو سالم الصهيونى ابن ناصر الدين العجمى . عمر عبد السلام تدمرى ، آثار طرابلس الإسلامية ، طرابلس (١٩٩٤م) ، ص٢٨ .

ونضيف فنقول إن الأروقة التى ترجع إلى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد قام بعمارتها «أحمد بن حسن البعلبكى المهندز » . عمر عبد السلام تدمرى ، آثار طرابلس ، ص٣٦ .

(٢٩٩) هو تاج الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب المتوفى ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، ويعد كتابه «أخبار مصر مصدراً أصيلاً لدراسة تاريخ الفاطميين المتأخر ، وكان ابن ميسر قد أراد أن يجعل كتابه هذا ذيلا لكتاب أخبار مصر للمسبحى ، ولم يصل إلينا من هذا الكتاب لابن ميسر إلا

جزء وحيد غير تام وفى صورة مختصرة هى إنتقاء للمقريزى أتمه عام ٨١٤هـ/ ١٤١١م ، وقد قام بتحقيقها أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، (١٩٨١م) .

(٣٠٠) هو الرحالة الدانمركى كارسن نيبور (ت١٨١٥م)، وتسمى رحلته بـ «رحلة إلى بلاد العرب وما حولها» ١٧٦١ ـ ١٧٦٧م ، وقد ترجم الجزء الأول وعنوانه «رحلة إلى مصر» ١٧٦١ـ ١٧٦٢م» من قبل مصطفى ماهر ، القاهرة (١٩٧٤م) ؛ وهى من الرحلات المهمة فى أواخر القرن ١٨م . محمد حمزة إسماعيل الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص٤٩ .

(٣٠١) كان بينودى ميليه القنصل الفرنسى المقيم فى مصر لمدة ١٦ عامًا من ١٦٩٢ إلى ١٧٠٨م ، وقام الراهب لى ماسكريه بنشر مذكرات وملاحظات ميليه عن مصر فى عام ١٩٣٥م باسم «وصف مصر» وهو الاسم الذى اقتبسه علماء الحملة الفرنسية بعد ذلك ؛ وتعد مذكراته وملاحظاته التى كتبها على هيئة رسائل مهمة جداً لدراسة العمارة الإسلامية وأوضاعها فى تلك الفترة ، محمد حمزة إسماعيل الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص٤٨ ـ ٤٩ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ؛ إلهام محمد ذهنى ، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٥٢ ، القاهرة (١٩٩٢م) .

(٣٠٢) هو آدم فرنسوا جومار ، مهندس وجغرافى وأثرى فرنسى ولد فى فرساى ١٧٧٧م ، وكان أحد أعضاء البعثة العلمية التى صاحبت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م ، وعضو بالمعهد العلمى المصرى ١٧٩٩ ـ ١٨٠١م وأشهر ما كتبه هو وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل » ضمن كتاب وصف مصر ؛ وقد قام بنقل هذا الكتاب عن الفرنسية وقدم له وعلق عليه أيمن فؤاد سيد (مع مقدمة عن التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠م) ، القاهرة ، (١٩٨٨م) ؛ ثم ظهرت ترجمة ثانية لهذا الكتاب ضمن سلسلة وصف مصر التى تصدى لترجمتها الأستاذ زهير الشايب (المرحوم بإذن الله) الذى أخرج منها تسعة أجزاء ثم قامت ابنته منى زهير الشايب باستكمال مشوار أبيها وظهر الجزء العاشر من وصف مصر وهو الذى يتضمن وصف القاهرة وقلعة الجبل لجومار، القاهرة (١٩٩٢م) ، ط٢ ، ضمن مهرجان القراءة للجميع ، (٢٠٠٢م) .

(٣٠٣) يذكر جومار أن باب النصر هو أعظم آثار القاهرة من ناحية الذوق والطراز ... ومن الخطأ أن نقدم باب الفتوح على هذا البناء ...» . جومار ، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، ترجمة أيمن فؤاد سيد ، ص١٦٤ ؛ والترجمة الثانية ، ص ١٨٠ .

(٣٠٤) هو المهندس الفرنسى باسكال كوست وكان قد قدم إلى مصر فى عهد محمد على ومكث فيها عشرة أعوام فيما بين ١٨١٧ ـ ١٨٢٧م وألف كتابا يسمى « العمارة العربية أو آثار القاهرة (١٨٣٧ ـ ١٨٣٩م) ، (وهو بالفرنسية) وقد سجل فيه أروع اللوحات المحفورة والرسوم الملونة بأمانة شديدة ودقة متناهية . محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص٥٠ ؛ ثروت عكاشة ، مصر فى عيون الغرباء ، جـ ١ ، القاهرة (١٩٨٤م) ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

(٣٠٥) بريس دافين : مهندس فرنسي جاء إلى مصر عام ١٨٢٩م وعمل فى عدة وظائف وتكلم اللغة العربية ولهجاتها وتجويدها ثم اعتنق الإسلام وتسمى باسم «إدريس أفندى» ومكث فى مصر ١٧عاما ومن أهم كتبه وأشهرها كتابه الموسوم بـ « الفن العربى من واقع آثار القاهرة من القرن السابع إلى نهاية القرن الثامن عشر » (وهو بالفرنسية) . محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ، ص٥٠ ؛ ثروت عكاشة ، مصر فى عيون الغرباء ، جـ ١ ، ص٢٠٧ ـ ٢٠٩؛ بريس دافين ، إدريس أفندى فى مصر ، مذكرات بريس دافين (١٨٠٧ ـ ١٨٧٩م) ، ترجمة أنور لوقا ، أخبار اليوم ، القاهرة ، (١٩٩١م) .

(٣٠٦) التاريخ المرجّح لقصر الأخيضر والمعوّل عليه حتى الآن هو ١٦١هـ/ ٧٧٨م ، وهو ينسب ترجيحا إلى عيسى بن موسى ابن أخى المنصور وواليه على الكوفة بعد عزله من ولاية العهد ، وهو من أهم القصور الإسلامية المبكرة . كريزول ، الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، تعليق أحمد غسان، دمشق (١٩٨٤م)، كمال الدين سامح ، العمارة فى صدر الإسلام ، ص ٦٨ ـ ٧٦ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص١١١ ـ ١١٧ ؛ أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص ٣١ ـ ٤٠ ؛ عبد الله كامل ، العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وافريقيا ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص١٣٧ ـ ١٤٢ .

(٣٠٧) حى الحسينية : اختلف المؤرخون فيما بينهم بشأن هذه التسمية ، فمن قائل إنها نسبة إلى طائفة من عبيد الشراء يقال لها الحسينية سكنت فى هذه المنطقة فتسمت باسمهم ، ومن قائل إنها نسبة لجماعة من الأشراف الحسينيين قدموا من الحجاز فى أيام السلطان الكامل محمد الأيوبى ، ونزلوا خارج باب النصر واستوطنوا هذه المنطقة وبنوا بها مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفى ومن ثم سميت بالحسينية ، وقد رجّح المقريزى التفسير الأول وأرجع هذه التسمية إلى العصر الفاطمى وبالتحديد إلى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله . ومهما يكن من أمر هذه التسمية فقد غلبت على هذه المنطقة ، وقد كثر العمران بها خلال العصر المملوكى منذ عهد الظاهر بيبرس البندقدارى وما تلاه من عصر المماليك ثم خلال العصر العثمانى .

محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المجلد الثانى ، الجزء الأول (القسم الأول) ، ص٤٧٧ .

(٣٠٨) يقصد بها حمامات طوب قابى سراى باستانبول ، وقد تحول عقب قيام الجمهورية التركية الحديثة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م إلى متحف يعد من أهم وأشهر متاحف الفن الإسلامى فى العالم . محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، القاهرة ط٢ ، (١٩٨٦م) ، ص٣٥ ـ ٣٦ ؛ وعن هذا القصر ومراحل بنائه وعمارته انظر ؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، لجنة التأليف والتعريب والنشر، مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت (٢٠٠٢م) ، ص٢٧٣ ـ ٢٨٠ .

(٣٠٩) ورد هذا النص فى ترجمة الخشاب كما يلى « وليس للمدينة قلعة ولكن أبنيتها أقوى وأكثر ارتفاعا من القلعة ، وكل قصر حصن ...». ص١٠٦ ؛ وورد فى ترجمة البدلى كما يلى « وليس للقاهرة

سورلأن منازلها شديدة الارتفاع وهى بمثابة سور للمدينة بل أقوى وأرفع من الأسوار ، فإن كل قصر بمثابة سور ...». ص٩٦ .

(٣١٠) هو المؤرخ الشيعى الحلبى يحيى بن حميد بن ظافر بن النجار بن على بن عبد الله المعروف بابن أبى طى (ت نحو ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، وكانت مؤلفاته مصدراً مهماً لكل من أبى شامة وابن الفرات والمقريزى وغيرهم . أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٥٨ .

(٣١١) انظر الترجمة العربية : بول كازانوڤا ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ترجمة وتقديم أحمد دراج ، مراجعة جمال محرز ، القاهرة (١٩٧٤م) ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٣١٢) بول كازانوڤا ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ص٤٣ ، ٤٥ .

(٣١٣) جامع سيرة الناصر محمد : وتعرف أيضاً بالسيرة الناصرية ، وهو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفى أحد مقدمى الحلقة المتوفى ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م، والعنوان الكامل لهذا الكتاب هو « نزهة الناظر فى سيرة الملك الناصر ومن ولى من أولاده » وهو كتاب ضخم فى تاريخ مصر فى عصر دولة المماليك البحرية وقيل إنه يقع فى نحو خمسة عشر جزءاً إبتداه بعصر المنصور قلاوون وانتهى فيه إلى سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، وللأسف فإن أصل الكتاب لا يزال مفقوداً باستثناء جزء منه يشتمل فقط على حوادث السنوات من ٧٣٣ إلى ٧٣٨هـ وقد اكتشفه المستشرق الكندى دونالد ليتل وأثبت أن الجزء الثانى والعشرين من نسخة مكتبة آيا صوفيا باستانبول من كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى ليس إلا جزءاً من كتاب اليوسفى المفقود ؛ وقام بنشر هذا الجزء من الكتاب أحمد حطيط ، بيروت (١٩٨٦م) .

Little, D., The Recovery of a lost Source for Bahri Mamluk , jaos (1974), PP. 42 - 56 .

وانظر أيضاً مقدمة أيمن فؤاد سيد فى خطط المقريزى ، المجلد الثالث ، لندن (٢٠٠٢م) ، ص٧٢ ـ ٧٣ .

(٣١٤) هو مؤرخ القدس القاضى مجير الدين أبو اليمن الحنبلى المتوفى عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م وكتابه الأشهر هو « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » وهو يعد من أهم كتب التاريخ المحلى لمدينة القدس والخليل ؛ وقد طبع عدة طبعات ومنها طبعة عمان (جزءان) ، مكتبة المحتسب (١٩٧٣م) .

(٣١٥) مما له دلالته فى هذا الصدد أنه سبق جولدتسيهر إلى هذا الرأى كليرموجانو فى كتابه « أبحاث أثرية فى فلسطين خلال الأعوام ١٨٧٣ ـ ١٨٧٤م (بالفرنسية) وقد صدر فى لندن (١٨٨٦م) فقد ذكر نقلا عن مجير الدين الحنبلى فى كتابه الأنس الجليل المشار إليه سابقاً أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام هو أول من مد السماط وأن هذا السماط كان يعلن عنه كل مساء على دقات الطبول إلا أنه سرعان ما يعود فيتحفظ ويرى أن هذه اللفظة لا بد أنها كانت معروفة لدى الكتاب الذين تكلموا عن الآلات الموسيقية . أما كتاب جولدتسيهر فقد صدر فى ليبزج عام ١٨٩٤م .

(٣١٦) بول كازانوڤا ، تاريخ ووصف قلعة القاهرة ، ص١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣١٧) يعرف هذا الحصن باسم القلعة الحمراء (لال قلعة) ، وقد بدأ إنشاؤه عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م ، وهو يعتبر مدينة ملكية محصنة تضم مجموعة من القصور ومن أهمها جهانگيرى محل وخاص محل

وموتى مسجد (مسجد اللؤلؤة) والديوان العام والديوان الخاص وغير ذلك . الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٥٩٨ ـ ٥٩٩ .

(٣١٨) يعرف هذا الحصن أيضاً باسم القلعة الحمراء (لال قلعة) فى دلهى وقد بدأ إنشاؤه عام ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م حين نقل شاه جهان العاصمة من اجرا إلى دلهى ، وكالعادة تضم القصور والقاعات والدواوين وغير ذلك من العناصر والمفردات . الريحاوى ، العمارة ، ص٦٠٤ .

(٣١٩) مما له دلالته فى هذا الصدد أن نشير إلى أنه كان يوجد بالمشهد الحسينى باب يعرف أيضاً بباب المتولى يقولون إن القطب يدخل منه كل يوم لزيارة الضريح الشريف ويدعو الزائرين عنده كثيرا .
على مبارك ، الخطط ، جـ٤ ، ص١٨٦ ؛ وقيل فى هذه التسمية إن متولى الحسبة كان يجلس عند باب زويلة لتحصيل الضرائب ومن هذا المكان كان يشرف على السقائين ورجال المطافئ المزودين بقرب المياه لإطفاء الحرائق ، ومهما يكن من أمر فهذه التسمية لم تعرف قبل العصر العثمانى ، آمال العمرى، العمارة ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٣٢٠) لمزيد من التفاصيل عن أمثلة المثلثات الكروية فى العمارة المصرية الإسلامية انظر ؛ محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ص ١٩٠ ـ ١٩٤ . مصليات الجنائز فى العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة كلية الآثار ، العدد الثامن (١٩٩٧م) ، مطبعة جامعة القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٣٢١) لمزيد من التفاصيل عن المخدات المتلاصقة انظر : محمد حمزة الحداد ، موسوعة ، المدخل (الكتاب الأول) ص١٧٦ ـ ١٨٠ ؛ العقد ذو الوسائد أو المخدات المتلاصقة ، نشأته وتطوره فى العمارة الإسلامية ، دراسة جديدة (قيد النشر) .

(٣٢٢) انظر الترجمة العربية لهذه الدراسة الموسومة بـ « دراسة حول مقياس جزيرة الروضة والنقوش التى يحويها » لمارسيل ، ضمن موسوعة وصف مصر ، الجزء ١٢ ، ترجمة منى زهير الشايب ، القاهرة ، (٢٠٠٢م) ، ص١٣٨ ـ ١٤١ ، جـ١٣ ، لوحة ٢٣ ؛ وانظر أيضاً ، أيمن فؤاد سيد ، جامع المقياس بجزيرة الروضة ، ضمن الكتاب التقديرى للآثارى عبد الرحمن عبد التواب ، جـ٢ ، القاهرة ، (٢٠٠١م) ، ص ١١ ـ ١٧ .

(٣٢٣) قصر المانسترلى : تدرج حسن باشا المناسترلى فى عدة مناصب فيما بين ١٢٦٦ ـ ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٠ ـ ١٨٥٨م منها كتخدا بيك ورئاسة مجلس الأحكام ، ومحافظا لمصر (القاهرة وضواحيها) وناظراً لديوان الداخلية وكانت وفاته عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م . أما عن هذا القصر فقد كان عبارة عن سراية كبيرة تقع فى أقصى الجنوب من جزيرة الروضة محيطة بمقياس النيل وقد بدأ فى إنشائها عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م وكانت تشتمل على جنينة كبيرة وسراى للحريم وسلاملك تابع لها وكشك صغير وسلاملك آخر منفصل بجوار المقياس وهذا الأخير هو الجزء الوحيد الباقى من السراى حتى الآن ، وزخارف الجدران والأسقف وفق طراز الباروك والروكوكو . محمود الألفى ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص٢٧٥ ـ ٢٨١ ؛ محمد حسام الدين إسماعيل ، مدينة القاهرة ، ص٢١٨ ـ

٢٢١ ؛ عبد المنصف سالم نجم ، قصور الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر ، الجزء الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٩ .

(٣٢٤) أثبتنا فى دراسة سابقة أن هذا النمط من تخطيط المشاهد الفاطمية يعد تطوراً للتخطيط الذى شاهدناه فى تصميم بعض قباب جبانة أسوان التى يرّجح أنها ترجع إلى عصر الولاة ـ أى قبل منتصف القرن ٣هـ/ ٩م ـ ومنها تلك المقابر التى تمثل الطراز الثالث بأنماطه الثلاثة ويعد النمط الثالث منها هو الأساس الذى تطور عنه تخطيط المشهد فى أسوان ثم مشهد الجيوشى وخضرة الشريفة والسيدة رقية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صار هذا النمط من التخطيط انموذجا لتخطيط المساجد والمدارس والخوانق فى بعض الأقطار العربية والإسلامية ؛ مع الاختلاف والفروق فى بعض العناصر والمفردات والتفاصيل بطبيعة الحال . محمد حمزة الحداد ، طراز المسجد القبة وأنماطه الباقية فى المدينة المنورة والهفوف ، دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله وتطوره فى العمارة الإسلامية ، ضمن سلسلة مدلولات اللقاء العلمى السنوى لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجى ـ اللقاء الثانى ـ الرياض ، دارة الملك عبد العزيز (محرم ١٤٢١هـ/ ابريل ٢٠٠٠م) ، ص١٨٠ ـ ١٨٣ ؛ انظر أيضاً ، محمد حمزة الحداد ، القباب، ص٦٥ ـ ٦٦ .

(٣٢٥) جامع القرافة : عن هذا الجامع انظر رسالتنا للماجستير : قرافة القاهرة ، ص ٦٧ ـ ٧٠ ؛

Ragib, Sur Deux Monuments Funéraires Du Cimetiere d'al - Qarafa Al-Kubra Au Caire, PP. 67 - 70., Bloom, The Mosque of the Qarafa in Cairo, Muqarnas, vol 4, (1987), PP. 7 - 20 .

(٣٢٦) مما له دلالته أن المقريزى لم يحدد موضع مسجد الشريفة بالقرافة وكل ما ذكره هو « ومسجد الشريفة بنى فى سنة إحدى وخمسمائة » (جـ٢ ، ص٤٥٢) وذلك ضمن حديثه عن بعض المساجد التى كانت توجد بالقرافة ومنها مسجد الزيات ومسجد الأنطاكى وغيرها . ومن جهة أخرى فإن المقريزى فى موضع آخر ذكر مصلى الشريفة وحدد موضعه وتاريخ بنائه بقوله «... منها مصلى الشريفة كان بدرب القرافة بحدرة الجباسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبدالله بن الارسوفى الشامى التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة » جـ٢ ، ص٤٥٤ .

Ragib, Sur Deux Monuments, PP. 72 - 83 .,

هذا ولا تميل سعاد ماهر (المرحومة بإذن الله) إلى تسمية هذا المبنى الأخير الذى ذكره المقريزى بالمصلى لأنه يحتوى على مقومات المسجد ومن ثم أطلقت عليه اسم مسجد خضرة الشريفة ، وقد أرجعت المبنى القائم الآن إلى العصر المملوكى اعتماداً على تشابه أسلوبه المعمارى مع كل من جامع الظاهر بيبرس ، ومدفن العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) من جهة واعتماداً على ما ذكره ابن الزيات من أن الشيخ على التكرورى (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) كان إماما للجامع من جهة ثانية .

سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ١ ، ص٢٩٩ ـ ٣٠٣ . هذا ويرجح عبد الرؤوف على يوسف أن قبة عبد الرحيم بن إلياس ولى عهد الخليفة الحاكم الفاطمى التى كانت مجاورة لقبور بنى المغربى المعروفة خطأ بالقباب السبع قد هدمت فى أواخر العصر الفاطمى ثم جدد بناؤها وأطلق عليها مصلى الشريفة ثم حرف إلى قبة خضرة الشريفة وذلك لاحتواء القبر على رفات أحد أفراد البيت الفاطمى وهو

عبد الرحيم بن الياس ولى العهد الفاطمى والذى يعتقد أن ست الملك أخت الخليفة الحاكم هى التى حرضت على دس السم له لتتخلص منه ويتولى الخلافة بدلا منه الظاهر بن الحاكم الذى نشأ فى حجرها وتولت تربيته . عبد الرءوف على يوسف ، إعادة قراءة بعض النصوص على الآثار والتحف الإسلامية، ص ٣١٤ ـ ٣١٥.

(٣٢٧) هو السلطان شمس الدين التمش ثانى سلاطين المماليك فى الهند وكانت فترة حكمه فيما بين عامى ٦٠٧ ـ ٦٣٣هـ/ ١٢١١ـ١٢٣٥م وكان الفراغ من بناء ضريحه قبيل وفاته بعام واحد ـ أى عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م ـ وهو يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من مسجد قطب منار فى دلهى على مسافة ١٥٠م . عبد الحى الندوى ، تاريخ المسلمين فى الهند ، حيدر آباد ، (١٩٧١م) ، ص١٧٩ ؛ عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام فى الهند ، القاهرة (١٩٩٠م) ، ص١١٠ ؛ الريحاوى ، العمارة ، ص٥٨٢ ؛

Nath, R., Monuments of Delhi, Historical Study, New Delhi, (1978),

(٣٢٨) أمر بإنشاء هذه الخانقاة بيبرس الجاشنكير فى عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، وكملت فى عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، وكان موضعها من جملة دار الوزارة الكبرى وكانت أجل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقداراً وأتقنها صنعة على حد قول المقريزى . الخطط ، جـ٢ ، ص٤١٦ ـ ٤١٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، حسنى نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص١٨٩ ـ ١٩٦ .

(٣٢٩) مما له دلالته أن هناك من العلماء من يؤيد رأى كريزول فى تاريخ قبة محراب جامع القيروان بعام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م . ومن بينهم ، فريد شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ، ص١٧٩ ؛ أما أحمد فكرى فلا يؤيد هذا الرأى ، ويرى أنها ترجع إلى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م . أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص١٦٣ ؛ المسجد الجامع بالقيروان ، القاهرة (١٩٣٦م) ، ص١٠٢ ؛ ويؤيد هذا الرأى السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الإسلامى ، ص٣٣٨ ، ٣٤٤ ـ ٣٤٦ .

(٣٣٠) لا يخفى على القارئ الغرض الحقيقى الذى يرمى إليه كريزول ، ومن نهج نهجه ، من هذا القول ، ولكن حسبنا لكى ننفى هذا القول وتلك النتيجة أن هذا النوع المتطور لمنطقة الانتقال قد ظهر لأول مرة فى قبة بدر الجمالى المعروفة بقبة الشيخ يونس ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م أى قبل ظهورها فى كنيسة أبى سيفين . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(٣٣١) يعد حسن عبد الوهاب (المرحوم بإذن الله) من العلماء المصريين الرواد الذين كانت لهم بصمات واضحة فى الدراسات الآثارية الإسلامية بصفة عامة وفى تمصيرها بصفة خاصة وكانت وفاته عام ١٩٦٧م ودفن فى قرافة المماليك القبلية المعروفة بقرافة سيدى جلال (جنوب القلعة) بجوار القبة الأثرية المعروفة خطأ بقبة تنكزبغا .

(٣٣٢) انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص ٦٥ .

(٣٣٣) مما له دلالته فى هذا الصدد أنه قد عثر على قرينة أثرية مهمة تؤكد بل وتعضد وتعزز ما أشار إليه حسن عبد الوهاب من أن القبة المعروفة بقبة الشيخ يونس هى قبة بدر الجمالى وقد أفردنا لها ولغيرها من القرائن والأدلة الأخرى دراسة مستقلة سوف تنشر فى القريب بمشيئة الله تعالى .

(٣٣٤) توجد لوحة رخامية تحوى سبعة أسطر بالخط الكوفى ملصقة بالركن الشرقى مجاورة للقبة تتضمن النقش التالى « بسم الله الرحمن الرحيم ... أمر بتجديد هذا الجامع المبارك مبارك بن كامل بن مقلد بن على بن نصر بن منقذ الناصرى الفخرى فى شهور ثمان وستين وخمسمائة ». وعلى ضوء هذا النقش المؤرخ نسبت القبة إلى عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ١ ، ص٣٩٦ . ولما كان الركن الشرقى للجامع ملتصقا بالقبة ولذلك قام جارسان بارجاع تاريخ بناء هذا الركن إلى العصر الأيوبى ، ووصف هذه القبة بأنها بناء متنافر لا يستند إلى حائط المسجد ولكنه مأخوذ من هذا الحائط مما يعنى أن الحائط لاحق تاريخيا وهو الأمر الذى يغرى بأن تنسب الزاوية الشرقية للجامع الحالى إلى العصر الأيوبى ، وقد رجّح أن القبة قد التصقت بالجامع فيما بعد سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م ، وأن الزاوية الشرقية للجامع لاحقة على هذا التاريخ ويحتمل أن تكون من العصر المملوكى الجركسى .

Garcin, J. C., Remarques sur un Plan Topographique de la grand Mosque de Qus, Annales Islamologiques, T. ix, le Caire, (1970), PP. 99 - 101 .,

جمال عبد الرءوف ، مساجد مصر العليا ، ص ٩٢ _ ٩٣ ، ٩٦ ؛ محمد ناصر عفيفى ، القباب الجنائزية الباقية بصعيد مصر ، ص٩٤ _ ٩٨ .

(٣٣٥) يعد المأمون البطائحى من أشهر وزراء الفاطميين ، بعد بدر الجمالى وابنه الأفضل شاهنشاه ، وكانت وزارته فيما بين ٥١٥_٥١٩هـ/ ١١٢٢هـ _ ١١٢٥م ، فى خلافة الآمر بأحكام الله وانتهى الأمر بقتله مع أخيه عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م ؛ ومن مآثره دار الضرب ودار الوكالة وتعمير مصر وإنشاء مسجد الأقمر وغير ذلك . أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٣ _ ٢٣٩ ؛

Sayyid , La Capital, PP. 509 - 529 .

(٣٣٦) ابن ميسر ، أخبار مصر ، جـ٢ ، ص ٦٢ ؛ المنتقى من أخبار مصر ، ص٩١ ؛ ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، جـ٤ ، ص١٢١ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص٨١ ؛ عاصم محمد رزق ، المحاريب الفاطمية فى أضرحة القاهرة ومشاهدها ، مجلة كلية الآداب _ جامعة الملك سعود ، المجلد ١١ ، العدد ٢ ، الرياض (١٩٨٤م)، ص٤٧٨ ؛

Râgib., Les Sanctuaires, PP. 56 - 61 .

ونضيف على ما تقدم ما ذكره ابن عبد الظاهر عند حديثه عن مسجد كلثوم بقوله : « ويعرف بمشهد كلثوم بناه حسام الملك افتكين » (الروضة البهية ، ص٩٨) ؛ ويذكر فى موضع آخر المساجد المعروفة بالمشاهد التى بين الجبل والقرافة وقد بناها المأمون البطائحى (ص٩٨) مما يدل على أنه لا علاقة للمأمون (على ضوء ما أورده ابن عبد الظاهر) ببناء مشهد أو مسجد كلثوم . وفى دراسة سابقة أثبتنا أن مشهد أم كلثوم أو كلثوم كان معروفاً قبل وجود الفاطميين فى مصر ، وقد قام الخليفة المعز لدين الله بزيارة المشاهد فى ركوب أول العام ومنها مشهد أم كلثوم وكان ذلك فى يوم عاشوراء ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص٤٦ _ ٤٧ ؛ أما عن تفاصيل ما حدث فى

ربيع الأول ٥١٦هـ/ ١١٢٢م فهو أن المأمون البطائحي قد أمر وكيله الشيخ أبا البركات محمد ابن عثمان بأن يتوجه إلى المشاهد السبعة ، وقيل التسعة ، بين الجبل والقرافة وأولها مشهد السيدة زينب وآخرها مشهد السيدة أم كلثوم وأن « يجدد عمارتها ويصلح ما تهدم منها ويجعل على كل مشهد لوحا من رخام عليه اسمه وتاريخ تجديده فمدحه الشعراء بعدة قصائد عند فراغ العمارة ». ابن ميسر ، أخبار مصر ، جـ٢ ، ص٦٢ ؛ المنتقى من أخبار مصر ، ص٩١ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص١٢١ ؛ المقريزى ، اتعاظ ، جـ٣ ، ص٨١ ؛ ويدل ذلك على أن ما حدث لمشهد أم كلثوم أو كلثوم ليس إلا عملية تجديد وإصلاح أو إعادة ترميم لهذا المشهد ولغيره من المشاهد . أما ما ورد لدّى ابن عبد الظاهر فهو نص غير كامل ؛ وربما كان ذلك نتيجة لما تزخر به هذه النسخة المحققة (وهى النسخة الوحيدة الفريدة المعروفة حتى الآن) من عيوب (مثل السقط والنقص والتحريف والتصحيف) ترجع كلها إلى الناسخ كما صرح بذلك محقق الكتاب اعتماداً على نسخته الوحيدة هذه . ص ١٩ من مقدمة التحقيق .

(٣٣٧) انتهت بعض الدراسات الحديثة التى صدرت منذ الثمانينات من القرن العشرين المنصرم إلى أهمية واجهة مسجد الأقمر . ليس فقط من حيث تماثل الواجهة وتوافقها مع خط تنظيم الطريق أو من حيث أنها أقدم واجهة حجرية باقية في القاهرة عني ببنائها وزخرفتها بسخاء وظهور المقرنصات الزخرفية لأول مرة في واجهات المساجد القاهرية وإنما أيضاً من حيث مضمون زخرفة هذه الواجهة المثير للانتباه ولا يوجد له نظير . وقد أملى هذا التوافق مع خط تنظيم الطريق الوضع الخاص للمنطقة التى تحيط بموقع المسجد والتى فرضت كذلك هذه الزخرفة الشاملة الرائعة للواجهة نفسها ؛ فالمسجد كان ملاصقا تماما للقصر الشرقى الكبير لا يفصله عنه سوى ممر ضيق وأصبح بذلك فى قلب الطقوس الاحتفالية للمدينة ، ولما كان المأمون البطائحى يرجع إليه الفضل فى إعادة إحياء الاحتفالات الفاطمية واستجد ثلاثة مناظر فى واجهة القصر الكبير وهى الزاهرة على قوس باب الذهب والفاخرة على قوس باب البحر ، والناضرة (لم تحدد المصادر موضعها) وكان يجلس فيها الخليفة الآمر لعرض العساكر ؛ ولذلك كانت زخارف واجهة الأقمر على هذا النحو لكى تعكس هذه التطورات التى أدخلها المأمون البطائحى لتتماثل مع زخارف واجهة القصر الفاطمى فجعل مهندس المسجد مدخله الرئيسى بارزاً عن سمت جدار المؤخر ، وجعل فى كل من الجناحين المتماثلين بابا منحوتا وشباكًا يماثلان المناظر التى إستجدها المأمون فوق بابى الذهب والبحر والسابقين لواجهة الأقمر . ويبدو اتفاق زخرفة الواجهة مرة أخرى مع الاصلاحات التى أدخلها الوزير المأمون على الاحتفالات الفاطمية فى الحلية الدائرية (الجامة) التى تتوسط عقد المدخل الرئيسى والتى تشبه نمط الدينار الفاطمى الذى بدئ فى ضربه فى أول دار ضرب بالقاهرة عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م وهى دار الضرب الآمرية ــ وبصفة خاصة النقوش الموجودة فى مركزه ؛ ولكن ليس بنفس الصيغ المنقوشة على الدينار وقد نقش فى هذه الحلية الدائرية اسم الإمام على (رضى الله عنه) إلى جانب اسم النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) بصيغة (محمد وعلى) وذلك تعبيراً عن الاعتقاد الشيعى للخلافة الفاطمية .

أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية ، ص ٦١٨ ــ ٦٢٠ ؛

Williams, C., The Cult of Alid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo, Part I : The Mosque of al - Aqmar, Muqarnas, vol, I, New Haven and London (1983), PP. 37 - 52 ; Abouseif,

D. B., The Façade of the Aqmar Mosque in the Context of Fatimid Ceremonial, Muqarnas, vol. IX, (1992), PP. 29 - 38 .
وعن أحداث الأراء المتعلقة بأثر فكر العقيدة الشيعية الإسماعيلية على العمائر والفنون الفاطمية انظر ، محمود مرسى ، العمائر الإسلامية الدينية والمدنية الباقية فى مدينة دمشق خلال العهدين الزنكى والأيوبى ، رسالة دكتوراه ـ غير منشورة ـ جامعة القاهرة (٢٠٠٣م) ص٢١٩ ـ ٢٣١ ، ٣٣٠ ؛ (ومما يجب التنويه إليه فى هذا الصدد أن ما انتهى إليه الباحث من أراء لا يزال بحاجة إلى مناقشة وهو ما سوف نعود إليه فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى) .

(٣٣٨) انظر عن هذا الموضوع الحاشية رقم ١٧٤ من التعليقات .

(٣٣٩) انظر أيضًا ، ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ؛ ويضيف فيذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه ـ أى المسجد ـ إلى الآن ـ أى حتى عصره ـ ولا تزال النقوش الإنشائية بواجهة المسجد تؤكد هذا القول وتعضده .

(٣٤٠) انظر أيضًا على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ٤ ، ط٢ ، (١٩٨٠م) ، ص ١٢٤ .

(٣٤١) لا يزال هذا المحراب الخشبى المتنقل محفوظًا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وعن أهمية هذا المحراب الفنية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص٧٩ ـ ٨٥ .

(٣٤٢) كان الشيخ أبو تراب الصواف وكيل الجهة التى بنت مسجد الأندلس ورباطه ومسجد رقية وهى جهة مكنون واسمها علم الآمرية أم ابنة الآمر التى يقال لها ست القصور وقيل أن اسمها علمية ، وقد ورد اسمه على الضريح الخشبى المؤرخ بعام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م بصيغة «على يد السنى أبو تراب حيدرة ابن أبى الفتح». ابن عبد الظاهر ، الروضة ، ص ٩٣ ـ ٩٤ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨ .

(٣٤٣) يستدل من نص المقريزى أن المتوفى فى هذه السنة هو أبو عبد الله الحسين بن أبى الفضل عبد الله بن الحسين الجوهرى الذى نمّ على ولد الآمر المسمى قفيفة بعدما مات الشيخ أبو تراب . (جـ٢ ، ص ٤٤٨) ؛ إلا أن تسجيل اسم أبى تراب على ضريح السيدة رقية المؤرخ بعام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م يدل على أنه كان لا يزال حيا حتى هذا التاريخ .

(٣٤٤) يؤكد هذا النقش ما ورد فى المصادر التاريخية وبخاصة كتب المزارات ومن نقل عنها من أن هذا المشهد من مشاهد الرؤيا وقد أمر ببنائه الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله . ابن الناسخ ، مصباح الدياجى ، (مخطوطة بمكتبتى الخاصة وسوف تنشر محققة فى القريب إن شاء الله)؛ ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص١٨٤ ؛ السخاوى ، تحفة الأحباب ، ص١٢٠ ـ ١٢٣ ؛ على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ٢ ، ط٢ ، (١٩٨٢م) ، ص١٨٧ ـ ١٨٨ ؛ وعلى ذلك فإن هذا المشهد من أعمال الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٦ـ٥٤٤هـ/ ١١٣٢ـ١١٤٩م) ، أما أعمال علم الآمرية فتنحصر فقط فى تزويد هذا المشهد بالضريح الخشبى أولاً فى عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م ، كما يستدل من النقش الكتابى وصيغته : « ... أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الآمرية التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبى تراب حيدرة بن أبى الفتح ... فى سنة ثلاث

وثلاثين وخمسماية »؛ ثم المحراب الخشبي المتنقل ثانيًا وكان ذلك في خلافة الفائز (٥٤٩_٥٥٥هـ/ ١١٥٥_١١٦٠م) كما يستدل من النقش وصيغته « مما أمر بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الآمرية التي كان يقوم بخدمتها القاضي أبو الحسين مكنون (مما يدل على وفاته بعد عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م) ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير السديد نصيف الدولة أبو الحسن يمن الفائزى الصالحي برسم مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على » .

(٣٤٥) القبة الأولى وتعرف بقبة المحراب أو المقصورة وقد أمر ببنائها الوزير نظام الملك للسلطان جلال الدين ملكشاه عام ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م ، أما القبة الثانية المعروفة باسم كنبدى خاكى فقد أمر ببنائها الوزير تاج الملك عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م ولذلك فهي تعرف أيضًا بقبة تاج الملك . ولمزيد من التفاصيل عن الجامع وتطور عمارته وعناصره المعمارية والفنية انظر ، آصلان آبا ، فنون الترك، ص٣٢ ـ ٣٤ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، ص١٦٦ ـ ١٦٩ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، جـ١ ، ص ١١٢ ـ ٢١٩ .

(٣٤٦) عن هذا الجامع انظر ، آصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٣٤ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص ١٦٩ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٦ .

(٣٤٧) تتضمن عمارة هذا الجامع عدة مراحل من البناء والتوسعة والزيادة والإضافة خلال العصور : السلجوقي والمغولي والصفوى ،وبالجامع نقوش عديدة يمكن من خلالها تتبع تطور عمارة الجامع ، ومن بينها النقوش السلجوقية ومنها نقوش مؤرخة بـ ٥٠٧هـ و ٥٠٩هـ و ٥١٤هـ و ٥٤٨هـ . انظر ، سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ص٣١٩ ـ ٣٣٥ .

(٣٤٨) أخذت هذه القبة اسمها (كنبد سرخ) من لون طوبها القرمزى (كنبد قرمز) . آصلان آبا ، فنون الترك، ص ٤٣ .

(٣٤٩) عن هذا الجامع انظر ، آصلان آبا ، فنون الترك ، ص ٣٥ ـ ٣٦ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص ١٦٩ ـ ١٧١ ؛ سيد كمال جوادى ، مساجد إيران ، ص٢٧١ ـ ٢٧٣ .

(٣٥٠) عن نشأة هذا النوع من القباب وتطورها في العمارة الإسلامية ولا سيما في العراق والشام والمشرق الإسلامي انظر : عطا الحديني ، هناء عبد الخالق ، القباب المخروطية في العراق ، بغداد (١٩٧٤م) ؛ عيسى سلمان وآخرون ، العمارات العربية الإسلامية في العراق ، جـ٢ ، بغداد (١٩٨٢م) ؛ علاء الدين العاني ، المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق ، بغداد (١٩٨٢م) ؛ كامل حيدر ، المقرنصات في العمارة الإسلامية ، بيروت (١٩٩٤م) .

Tabbaa Y., The Muqarnas Dome : its Origin and Meaning Muqarnas, vol, 3, (1985), PP. 61 - 73 .

وعن هذه القباب المقرنصة أو المقربصة كما تعرف في الغرب الإسلامي انظر ؛ محمد محمد الكحلاوى ، القباب المقرنصة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين ، مجلة التاريخ والمستقبل ، قسم التاريخ بآداب المنيا ، المجلد ٣ ، العدد الأول ، يناير (١٩٩٣م) ، ص ١٥٥ ـ ١٩٢ . (ولنا على هذا البحث ملاحظات ومآخذ سوف تنشر في دراسة مفردة لاحقة بمشيئة الله تعالى).

(٣٥١) لمزيد من التفاصيل عن البيمارستان النورى بدمشق والقبة المقرنصة التي تعلو دركاةمدخله انظر ، فريد

شافعي ، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ، ص١٩٢ ـ ١٩٣ ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص١٨٨ ـ ١٩١ ؛ محمود مرسى ، العمائر ، ص١٧٥ ـ ١٨٣ ، ٢٥٣ .

(٣٥٢) عن المدرسة النورية بدمشق والتربة النورية التي تعد الانموذج الثانى للقبة المقرنصة فى سوريا انظر ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة ، ص١٩١ ـ ١٩٢ ؛ محمود مرسى ، العمائر الإسلامية ، ص٦٢ ـ ٦٧ ، ٢٥٣ .

(٣٥٣) عن هذه المدرسة انظر ؛ عبد القادر الريحاوى ، العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها فى سورية ، دمشق ١٩٧٩ ، ص١٤٢ .

(٣٥٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر ، محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص ٩٥ ـ ٩٨ .

(٣٥٥) وعلى النقيض من ذلك يرى أحمد فكرى أن مناطق الانتقال الفاطمية مقتبسة من مثيلتها المغربية واستدل على ذلك بتضليعات القباب الفاطمية التى تشبه قبتى المحراب فى القيروان والزيتونة وبأن المظهر الخارجي للقبة واحد فى كليهما فقد تم التحول من المربع إلى المثمن عن طريق التدرج . مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص١٦٤ ـ ١٦٦ ؛ والواقع ان هذا القول إذا كان يصدق على مناطق الانتقال الفاطمية الأولى البسيطة وعلى التضليعات وتدرج منطقة الانتقال الخارجى إلا أنه لا يصدق على مناطق الانتقال الفاطمية المتطورة التى بعدت الصلة بينها وبين مناطق الانتقال التونسية التى تشبه مثيلتها فى مناطق الانتقال الفاطمية الأولى البسيطة من حيث وجود أربع حنايا بواقع حنية فى كل ركن من الأركان هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى فإن مناطق انتقال القباب التونسية لم تتطور وظلت على شكل الحنية الركنية الواحدة فى جميع مراحل العمارة الإسلامية هناك . سليمان مصطفى زبيس ، القبة التونسية (ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٩م) ، ص٩٣ ـ ١١٠ ؛ حسن عبد الوهاب ، الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة (بحث منشور ضمن الكتاب المشار إليه)، ص١٣٤ ـ ١٣٥ . وعلى ذلك يمكن القول إن التطور الذى حدث لمناطق الانتقال الفاطمية فى الثلث الأخير من القرن ٥هـ/ ١١م كان بداية لظهور المقرنصات فى مصر وتطورها فى حطات متتابعة حلت محل الحنية الركنية الواحدة الكبيرة . محمد حمزة الحداد ، القباب، ص ٩٩ .

(٣٥٦) تعرف هذه الطبالى (مفردها طبلية) أيضاً بمصطلح قرمة ، وقد أقيمت عقود واجهة مقدم الجامع الأزهر على هذه الطبالى أو القرم أما عقود بائكات المقدم والمجنبتين فقد بنيت وفق نظام آخر حيث يعلو تيجان الأعمدة الطبالى أو القرم ثم يعلو ذلك حدارات كل منها على هيئة مكعب من البناء يصل ارتفاعه إلى نصف متر تقريبا ثم يعلو ذلك طنف ، وبهذه الطريقة تم رفع سقف المسجد إلى علو يزيد عن ضعف ارتفاع الأعمدة مع تيجانها وقواعدها ، كذلك فإنه من الملاحظ أن الأوتار أو الأربطة الخشبية التى تصل بين أطراف العقود وتربطها تبدأ عند مستوى هذه الحدارات . أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٣٥٧) يحدد أحمد فكرى أن قبة البهو أضيفت إلى مسجد الزيتونة بتونس فى عام ٣٨١هـ/ ٩٩١م أى فى نفس السنة التى أضيفت فيها مجنبات الصحن وذلك اعتماداً على النقش الكتابى الذى يدور حول قاعدة القبة المربعة فوق العقود التى ترتكز عليها . أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص ١٤٢؛ مسجد الزيتونة الجامع فى تونس ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٤ ، العدد ٢ ، القاهرة (١٩٥٢م) ،

ص ٦٧ . وانظر أيضاً ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ؛
LÉZINE, Architecture De L'ifriqiya , PP. 81 - 83 .

(٣٥٨) أثبتنا فى دراسة سابقة أن مصطلح البهو كان مرادفا لمصطلح البلاطة فى الغرب الإسلامى وعلى ذلك فإنه كان يقصد بقبة البهو القبة التى تعلو مقدمة البهو الأوسط (البلاط الأوسط فى الغرب الإسلامى والرواق الأوسط العمودى على جدار القبلة فى مصر) من عند الصحن ؛ ومن ثم فإن ما ذهب إليه (سوفاجيه) من أن لفظ البهو كان يطلق فى بادئ الأمر على البلاطة الوسطى ثم أخذ ينكمش حتى أطلق على نهاية البلاطة فحسب لا أساس له من الصحة لأن الأبهاء مرادفة للبلاطات (أو الأروقة) كلها وليس للبلاط الأوسط فحسب هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن نص البكرى المتعلق بقبة باب البهو يدلنا على أن قبة البهو انما عرفت بهذه التسمية ليس لأنها مطلة على الصحن كما هو معروف وإنما لأنها أضيفت فى نهاية البهو الأوسط (أى البلاطة الوسطى أو الرواق الأوسط العمودى) من عند الصحن وظلت علماً عليه حتى بعد اختفاء مصطلح البهو كمرادف لمصطلح البلاطة ، ولذلك نخلص إلى القول إن بقاء واستمرار هذه التسمية (قبة البهو) حتى الآن إنما هو فى حد ذاته قرينة تاريخية تؤكد هذا التفسير . محمد حمزة الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، ص٦٩ ـ ٧٠ . ونضيف على ذلك فنقول إن كريزول قد أغفل الإشارة إلى عنصر مهم من عناصر هذه القبة الحافظية؛ ويتمثل ذلك العنصر فى وجود محرابين على جانبى العقد الأوسط الذى يفضى إلى داخل الرواق الأوسط المعروف خطأ بالمجاز القاطع بواقع محراب عن اليمين ومثله عن اليسار ـ ولكنهما خاليان من الزخرفة ـ وإضافة هذا العنصر إنما يؤكد التأثير المغربى ؛ فقد دعت الحاجة أمام اكتظاظ المساجد فى أيام الجمعة أن يقف عند هذا الصحن وفى موضع يقابل المحراب الرئيسى للمسجد إمام ثان أو مؤذن يردد ابتهالات خطيب المسجد وتكبيره ؛ ويطلق على هذه المحاريب فى بلاد المغرب اسم العنزة ، وهى اصطلاح يقصد به المحراب الرمزى الذى يقام فى الصحن عند نهاية بلاطة المحراب ، ولا تزال هذه العادة متبعة فى بلاد المغرب إلى اليوم . أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص ١٤١ ـ ١٤١ ؛ وعلى ذلك فإن هذه المحاريب الرمزية تعد من بين تأثيرات الغرب الإسلامى على العمارة المصرية فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ولمزيد من التفاصيل عن المحراب والعنزة انظر ،
Miles, G., Mihrab and Anazah, Astudy in Early Islamic Iconogrophy , in Archaeologica Orientalia in Memorian Ernst Herzfeld, New York, (1952), PP. 156 - 171 .

ولما كانت العنزة تتخذ عند الحاجة بديلاً عن المحراب ، ولذلك يمكن القول إن المحاريب الخشبية المتنقلة التى ترجع إلى العصر الفاطمى (مثل الأزهر والسيدة نفيسة والسيدة رقية) والمحفوظة حاليا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة كانت تؤدى نفس الغرض وتقوم بوظيفتها خير قيام فكانت توضع فى صحون المساجد أو تنصب ، ومعها المنابر المتنقلة ، فى الصحراء ؛ ولا سيما عند إقامة صلاة الاستسقاء ، وتزخر المصادر التاريخية المتأخرة بإشارات كثيرة حول هذا الموضوع ؛ وهو الأمر الذى يؤكد استمرار صناعة مثل هذه المحاريب بعد العصر الفاطمى .

(٣٥٩) عن هذه الأعمال الخشبية وأهميتها الفنية انظر ، زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٢٠ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص ٧٩ ـ ٨٣ ؛ عاصم محمد رزق ، المحاريب ، ص٥٠٠ ـ ٥٠٤ ؛ أحمد عبد الرازق أحمد ، الفنون ، ص٩٥ ـ ٩٦ .

(٣٦٠) انظر حاشية رقم ٢٢٣ من التعليقات .

(٣٦١) كيف تكون هذه الأبنية الثلاثة سوابق على قبة الحصواتي الفاطمية ـ مع أنها ترجع إلى العصر المملوكي بدولتيه البحرية والبرجية (الجراكسة) ـ والأصوب أنها لاحقة لها وليست سابقة عليها .

(٣٦٢) يقصد بذلك الإشارة إلى قبة الأمير يشبك أخى السلطان الأشرف برسباى والمدفون بحوش تربة أخيه بقرافة صحراء المماليك شرق القاهرة .

(٣٦٣) يصف على مبارك موضع هذه القاعة عند وصفه لشارع الكعكيين فيقول : « ... وهناك أيضًا دار كبيرة على يمنة من سلك من هذا الشارع إلى الباطلية لها بابان ؛ أحدهما وهو الكبير من الكعكيين والثانى من درب الأتراك وهى موقوفة ثلاثة أرباعها على زاوية الشيخ الدردير والربع الرابع على الخطيب الشربينى صاحب التفسير وتنسب للخطيب الشربينى إلى الآن ـ أى حتى زمن على مبارك ـ وبها قاعة ذات إيوانين مرتفعة البناء جدًا يقال لها قاعة قلاوون مبنية بالحجر الدستور يظنها الناظر جامعا لعظمها واتساعها ...». على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، جـ٢ ، ص٢٦٩ .

(٣٦٤) هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى حامد العدوى المالكى الأزهرى الخلوتى الشهير بالدردير ولد ببنى عدى ١١٢٧هـ/١٧١٥م وعين عقب وفاة الشيخ على الصعيدى شيخا على المالكية ومفتيا وناظرًا على وقف الصعايدة وشيخا على طائفة الرواق بل شيخا على أهل مصر بأسرها فى وقته حسا ومعنى ، وكانت وفاته فى ٦ ربيع الأول ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م ، ودفن بزاويته التى أنشأها بخط الكعكيين ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م بجوار ضريح سيدى يحيى بن عقب ، وقد حرر له قبلتها عبد الرحمن الجبرتى . الجبرتى ، عجائب الآثار ـ جـ٢ ، ص٢٢٣ ـ ٢٢٥ ؛ على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص ٢٦٧ ؛ ومما له دلالته أن هذه القاعة قد عرفت بقاعة الدردير ليس لأنها بالقرب من زاوية الدردير كما هو معروف وإنما لأن الدار الكبيرة التى تضم هذه القاعة كانت ثلاثة أرباعها موقوفة على زاوية الشيخ الدردير ، كما يستدل مما أورده على مبارك (وهو ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة من تعليقاتنا).

(٣٦٥) سوف نقوم بمناقشة هذا الموضوع تفصيلا فى تعليقنا على المجلد الثانى من هذا الكتاب عند الحديث عن التطور المعمارى للمدرسة (إن شاء الله تعالى) .

(٣٦٦) هو القاسم الطيب ـ وليس أبى الطيب ـ بن محمد المأمون بن جعفر الصادق هو والد سيدى يحيى (الشبيه) ودفن بالقرب من مشهد ولده يحيى هناك وقد كتب على قبره من نظم ابن سناء الملك الوزير (ت٦٠٨هـ/ ١٢١١م) . ابن عثمان ، مرشد الزوار ، ص ١٩٤ ـ ١٩٦ ؛ عبد الرءوف المناوى ، الكواكب الدرية ، جـ١ ، ص٧٩ ؛ مصطفى القلعاوى ، مشاهد الصفا فى المدفونين بمصر من آل المصطفى ، تحقيق على عمر، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

(٣٦٧) أثبتنا فى دراسة سابقة أن مشهد يحيى الشبيه ، ومثله القاسم الطيب وأم كلثوم ، يمثل مرحلة من مراحل تطور العمائر الجنائزية فى العمارة الإسلامية عامة وفى مصر خاصة ، وترجع جذورهما الأولى إلى فترة عصر الولاة وبصفة خاصة فى نموذج المقبرة رقم ٤٢ من مقابر جبانة أسوان جنوب مصر والتى تشتمل على زيادة لا تزال معالمها باقية وواضحة ، وهذه الزيادة عبارة عن ثلاثة أروقة تحيط بمربع القبة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة ، ومن الملاحظ أنه يتوسط صدر كل من الرواقين الجانبيين محراب صغير إلا أنه لم يعد باقيا سوى محراب الرواق الأيسر ـ بالنسبة للواقف تجاه محراب القبة ـ ويفتح مربع القبة على هذه الأروقة من خلال ثلاثة أبواب معقودة . وعلى ذلك فإن نموذج هذه المقبرة يمثل الارهاصات الأولى لذلك التطور الذى يمثله مشهد يحيى الشبيه ولكن مع بعض الفروق والاختلافات الطفيفة ومنها أن الزيادة بمشهد يحيى الشبيه والمتمثلة فى الأروقة الثلاثة تحيط بمربع القبة من ثلاث جهات عدا الجهة البحرية ـ الشمالية الغربية ـ وليس جهة القبلة كما هو الحال فى نموذج المقبرة رقم ٤٢ ، ومن جهة ثانية قسم الرواق القبلى (الجنوبى الشرقى) الذى يتوسطه المحراب إلى ثلاثة أقسام غطى القسم الأوسط منها ـ تجاه المحراب ـ بقبية صغيرة مقامة على حطتين من المقرنصات بينما غطى القسمين الجانبيين بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية بواقع قبة بكل قسم منهما . هذا ولم يقتصر هذا التخطيط على المشاهد فحسب ؛ بل صممت على أساسه بعض العمائر الدينية ومن أشهرها المساجد ، وبصفة خاصة ما يرجع منها إلى العصر العثمانى فى مصر والسعودية وتركيا والتى تعد أقدم النماذج الباقية المعروفة حتى الآن لذلك التخطيط بعد المشاهد الفاطمية المشار إليها (ومنها جامع لارى چلبى فى أدرنه والجامع الخزفى فى اسكدار وجامع على باشا فى الهفوف وجامع سنان باشا وجامع أبى الدهب فى القاهرة) وربما يعثر فى المستقبل إن شاء الله على نماذج أخرى تسد هذه الفجوة الزمنية فيما بين أواخر العصر الفاطمى والعصر العثمانى ـ أى فيما بين القرن ٦ ـ ٩هـ/ ١٢ ـ ١٥م ـ محمد حمزة الحداد ، طراز المسجد القبة وانماطه الباقية ، ص١٨٧ ـ ١٩٠ ؛ القباب، ص ٦٧ ـ ٦٨ . وعلى ضوء ما تقدم تساهم هذه النتيجة التى انتهينا إليها فى حل هذا اللغز الذى يشير إليه كريزول ؛ وبالتالى فإنه لا علاقة بين تخطيط هذا المشهد وبين تخطيط معبد النار فى جيره لأن الأساس الذى تطور عنه تخطيط هذا المشهد وغيره كان معروفا فى مصر خلال فترة عصر الولاة كما سبق أن أوضحنا.

(٣٦٨) عن صيغة النص الأصلى لابن عبد الظاهر انظر ، الروضة البهية ، ص٧٤ ـ ٧٥ .

(٣٦٩) ورد وصف ابن جبير على النحو التالى « فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة ، حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو فى تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج ... فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون ...». رحلة ابن جبير ، ص٤١ . وعن أهمية هذا التابوت (وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة) الفنية انظر ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص٨٧ ـ ٩١ ؛ عبد العزيز صلاح سالم ، الفنون الإسلامية فى العصر الأيوبى ، جـ٢ ، القاهرة (٢٠٠٠م)، ص٥٥ ـ ٥٦ .

(٣٧٠) انظر حاشية رقم ١٦١ من التعليقات .

(٣٧١) عن تفاصيل هذه العمارة يذكر الجبرتى « ومن مآثره أنه وسع المشهد الحسينى واشترى عدة أماكن بماله وأضافها إليه ووسعه وصنع له تابوتا من أبنوس مطعما بالصدف مضببا بالفضة وجعل عليه سترا من الحرير المزركش بالمخيش ...». الجبرتى ، عجائب ، جـ١ ، ص١٩٣ .

(٣٧٢) هو السيد على بن موسى بن مصطفى بن محمد بن شمس الدين الحسينى المقدسى الأزهرى المصرى ويعرف بابن النقيب وكانت وفاته فى عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م . وقد ورد نص الجبرتى على النحو التالى « وفى سبع وسبعين ومائة وألف إستخار الله تعالى فى التوجه إلى دار السلطنة لأمور أوجبت رحلته إليها منها : أنه ركبت عليه الديون وكثر مطالبوها وضاق صدره من عدم مساعدة الوقت له ، وكان إذ ذاك محل تدريسه بالمشهد الحسينى ، وعزم عبد الرحمن كتخدا على هدمه وإنشائه على هذه الصورة ، ورأى أن هذه البطالة تستمر أشهراً فوجد فرصة وتوجه إليها وقرأ درسا فى الحديث فى عدة جوامع واشتهر هناك بالمحدث ... فعاد إلى مصر ... وعاد إلى دروسه فى المشهد وذلك سنة ثلاثة وثمانين ومائة وألف ». الجبرتى ، عجائب ، جـ١ ، ص٥٨٢ ـ ٥٨٥ ؛ على مبارك، الخطط ، جـ٤ ، ص١٣٥ .

(٣٧٣) هو الشيخ محمد الصبان وكتابه الموسوم بـ « اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين » وهو مطبوع بهامش كتاب نور الأبصار للشبلنجى ، القاهرة ، د. ت .

(٣٧٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه العمارة انظر ، على مبارك الخطط التوفيقية ، جـ٤ ، ط٢ (١٩٨٠م)، ص ١٨٤ ـ ١٨٧ ؛حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص٨٦ ـ ٨٧ .

(٣٧٥) يتضمن هذا النقش الصيغة التالية « بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بإنشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقربا إلى الله ورفعا لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور تقبل الله منه ، وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجا عما أوصى به والده المذكور وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة »، ويستدل من هذا النقش ومن النقش الآخر أنه بدأ بناء هذه المئذنة الشيخ الزرزور ثم أتمها من بعده ابنه محمداً .

(٣٧٦) من الملاحظ هنا أن كريزول قد قام بدراسة المئذنة فقط على اعتبار أنها فاطمية ؛ أما القبة فقد اعتبرها مملوكية اعتماداً على النقش المؤرخ بعام ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م ولذلك أخرجها من نطاق دراسته، (ومثله فى ذلك حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص١٢٧)؛ وانظر أيضاً ، عبد الله كامل ، تطور المئذنة، ص١٢٠ ـ ١٢٣ ؛ والواقع أن القبة هى الأخرى ترجع إلى أواخر العصر الفاطمى وقد شيدت هى والمئذنة فى تاريخ واحد وهو ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م وتمثل المرحلة الأخيرة لتطور القباب فى العصر الفاطمى . أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص٣٧ . محمد حمزة الحداد ، القباب ، ص١٦١ ـ ١٦٢ . ولمزيد من التفاصيل انظر ، عبد الرحمن فهمى محمد ، مشهد سيدى معاذ ، منبر الإسلام ، السنة ٣١ ، العدد ٥ ، يونيو (١٩٧٣م) ، ص٢٠٠ ؛ سعاد ماهر، مساجد مصر ، جـ٢ ، ص٧٢ ـ ٧٣.

(٣٧٧) انظر على مبارك ، الخطط ، جـ٥ ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ ؛ السخاوى ، تحفة الأحباب ، ص .

(٣٧٨) يذكر حسن عبد الوهاب أن هذه المئذنة أيوبية وليست فاطمية على اعتبار أن الخوذة المضلعة من مميزات قمم المآذن الأيوبية . تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص ١٢٧ . والحق أن هذه المئذنة تعد هي الأخرى المرحلة الأخيرة لتطوير المئذنة المصرية في العصر الفاطمي ؛ وهي المرحلة التي استمرت ونضجت في المآذن الأيوبية الباقية كما هو الحال في مئذنة المدارس الصالحية النجمية ٦٤١هـ/ ١٢٤٢م .

(٣٧٩) كان يلقب بـ « الظافر بالله » أو « الظافر بأعداء الله » ، وقد قتل في آخر محرم ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م.

(٣٨٠) هو علي بن السلار والي الاسكندرية والبحيرة ، ثم ولي الوزارة للظافر وقام نصر بن عباس الصنهاجي بقتله في ٦ محرم ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م .

(٣٨١) هو الأمير عباس الصنهاجي والي الغربية وكان ابن زوجة علي بن السلار ، وتولى الوزارة بعد مقتل ابن السلار ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م .

(٣٨٢) قيل إن أسامة بن منقذ أمير شيزر كان له دور في قتل ابن السلار ولما علم الأمراء بذلك هموا بقتله ، وبلغه ذلك فأخذ في إثارة عباس على ولده نصر متهما إياه بأن الخليفة يفعل به مثل ما يفعل مع النساء ففاتح عباس ابنه في ذلك ، فما كان من نصر إلا أن قتل الخليفة بتحريض من والده ومن أسامة بن منقذ .

(٣٨٣) كان يلقب بـ « الفائز بنصر الله » وكانت وفاته في ١٧ رجب ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .

(٣٨٤) سقطت عسقلان على يد الفرنج في ٢٧ جمادى الأولى ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م وبذلك فقد الفاطميون آخر ممتلكاتهم في الشام .

(٣٨٥) يعتبر الوزيرعلي بن السلار أول من حاول عقد اتفاق مع السلطان نور الدين محمود أمير حلب لعمل جبهة موحدة في مواجهة الفرنج الصليبيين إلا أن الظروف لم تكن مهيأة وقتئذ ، وليس بسبب أنه كان سنيا والفاطميين شيعة علما بأن ابن السلار كان سنيا على مذهب الشافعي .

(٣٨٦) قتل الملك الصالح طلائع في ١٩ رمضان ٥٥٦هـ/ ١١٦١م .

(٣٨٧) انظر أيضاً ، ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص٧٤ ـ ٧٥ .

(٣٨٨) الجامع المعلق : هو المرتفع مدخله عن مستوى أرضية الطريق ويصعد إليه بسلالم ، وتوجد أسفله عدة حوانيت موقوفة عليه ، وأحيانا توجد حواصل بدلاً من الحوانيت . عبد اللطيف إبراهيم ، وثيقة الأمير أخور كبير قراقجا الحسنى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٨ ، جـ٢ ، ديسمبر ١٩٥٦م ، القاهرة (١٩٥٩م) ، ص٢٢٢ تحقيق ٤ .

(٣٨٩) تتضمن نقوش هذا الأفريز الرائع الذى يعلو الحوانيت ترابيع مزخرفة متنوعة الأشكال وتعتبر الثانية من نوعها ؛ إذ الأولى في مئذنة الجامع الحاكمي ثم استمرت نماذجها في كل من برج الظفر وتربة السادات الثعالبة والمدارس الصالحية النجمية وكلها نماذج دقيقة تشهد على تقدم النقش في الحجر . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص٩٩ .

(٣٩٠) يذكر أحمد فكرى أن هذه السقيفة تعد صورة مكبرة للرواق الذى يتقدم بيت الصلاة فى مسجد بوفتاته بسوسة . مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص١٤٤ . ونضيف على ذلك فنذكر أن مثل هذه السقائف (أو الأروقة الخارجية) قد صارت سمة رئيسية للعديد من العمائر الدينية والخيرية بل والجنائزية ، فى العصرين السلجوقى والعثمانى .

(٣٩١) لا يزال هذا الباب محفوظا بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . انظر ، زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة، ص٨٢ .

(٣٩٢) عن هذه المناقشات بين محمود أحمد وبوتى انظر أيضًا ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٣٩٣) يتضمن نقش باب المنبر الصيغة التالية « أمر بعمارة هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المقر العالى الأميرى الكبير السيفى سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصورى السيفى أمير جندار الناصرى وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة رحم الله من كان السبب ». أما نقش جلسة الخطيب فيتضمن الصيغة التالية : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ، أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالى الأميرى الكبيرى سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة ». وعن منبر جامع قوص المؤرخ بعام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م .

انظر ، زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص٢٢٢ ؛ فريد شافعى ، مميزات الأخشاب المزخرفة ، ص٧٩ ـ ٨٥ .

(٣٩٤) يتضمن هذا النقش الصيغة التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين ... السيد الأجل الملك الصالح ... أبو الغارات طلائع الفائزى ... فى شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة ».

(٣٩٥) يرى حسن عبد الوهاب أن هذا المبنى إنما كان يمثل المشهد الذى بدأ الصالح طلائع بإنشائه بجوار المسجد خاصة وأن الآية الشريفة المكتوبة على بابه (ادخلوها بسلام آمنين) جرت العادة بأن تكتب على مداخل المدافن ، ومن المرّجح أن البابين اللذين بطرفى جدار القبلة كانا يوصلان إلى المشهد المذكور كما يستدل من المسقط الذى رسمه بريس دافين للجامع حوالى عام ١٨٥٠م إلا أن معالم هذه الصلة بين المسجد والمشهد قد ضاعت بسبب عمل الخندق الشرقى وتجدد أكثر الجدار الشرقى الذى كان يوصل إلى المشهد . حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ . وانظر أيضاً، أحمد عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص٢٠٣ ؛

مختار الكسبانى ، جامع الأمير تمراز الأحمدى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٨٦م) ، ص١٤٤ . أما أحمد فكرى فيذكر « وأغلب الظن أن إحدى القاعات المجاورة للصحن المسقوف (ويقصد السقيفة) فى مسجد الصالح طلائع كانت معدة لإيواء الضريح » مع أن نظام هذا

المسجد لا يشبه مشهدى الجيوشى والسيدة رقية ، بل إنه يخلو من القبة وهى العنصر الرئيسى فى بناء المشهد . ويضيف فكرى قائلا إن هذا الصحن المسقوف (السقيفة) قد أعد خصيصا لاستخدامه صحنا للجنائز، وصحن الجنائز تقليد مغربى ولعله اقتبس فى مسجد الصالح طلائع من أحد المساجد المغربية». أحمد فكرى ، مساجد ، جـ١ ، ص١٤٤ ـ ١٤٥ . والحق أنه لا يوجد دليل واحد على استخدام سقيفة مسجد الصالح طلائع كصحن للجنائز ، وإنما هى مجرد سقيفة (أو رواق خارجى) يتقدم واجهة المسجد الرئيسية ، وهو تقليد ذاع وانتشر بعد ذلك فى المساجد والجوامع السلجوقية والعثمانية وغيرها بل إن هناك نماذج للترب والمدافن تتقدمها مثل هذه السقائف (أو الأروقة الخارجية) . انظر ، محمد حمزة الحداد ، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، القاهرة ط٢ (٢٠٠٠م) ، أشكال ٢٧ ـ ٣٦ ، ٣٨ ـ ٤٢ ، ٦٦ ـ ٧٣ ، ٨٣ ـ ٨٧ ، ٨٩ ـ ٩٠ ، ٩٧ ـ ١٠٠ ، ١٠٦، ١٣٠ ، ١٣٢ ـ ١٣٤ ، ٢٣٥ ـ ٢٤٥ ، ٢٤٩ .

ثبت
الأشكال واللوحات

أولاً الأشكال

أولا : الأشكـــال

(شكل ١) المهدية : الجامع الكبير (مسقط أفقى لم يشيك عليه تماما) .

(شكل ٢) المهدية : محراب الجامع .

(شكل ٣) مشهد الشريف طباطبا : مسقط أفقى .

(شكل ٤) مشهد الشريف طباطبا : حلية دعامة .

(شكل ٥) مشهد الشريف طباطبا تصور لما كان عليه المسقط .

(شكل ٦) مشهد الشريف طباطبا : إعادة بناء (رسم فريد شافعى).

(شكل ٧) محراب جصى عتيق : تفصيل للزخرفة (عن : فلورى).

(شكل ٨) باب القنطرة الثانى . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

(شكل ٩) شارع تحت الربع والمنطقة المحيطة به : (A) فى عام ١٨٠١م ، (B) فى الوقت الحالى (أى وقت إعداد الكتاب وقبل صدوره فى عام ١٩٥٢م) ويظهر موضع (D) مسجد اسكندر باشا .

(شكل ١٠) القاهرة الفاطمية : ويشاهد موضع الأسوار : جوهر (اللون الأخضر)، بدر الجمالى (اللون الأحمر) وصلاح الدين (اللون الأزرق)..

(شكل ١١) حلب : القلعة ، باب حديدى فى النهاية الداخلية لممر البوابة الرئيسية .

(شكل ١٢) جامع الأزهر : الحوانيت ، خارج الجانب الشمالى الغربى قبل عام ١٨٩٦م . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

(شكل ١٣) جامع الأزهر : الحوانيت ، خارج الواجهة الجنوبية الغربية قبل عام ١٩٠١م . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

(شكل ١٤) جامع الأزهر : (عن فلورى) .

(شكل ١٥) جامع الأزهر : (عن فلورى) .

(شكل ١٦) آياصوفيا : زخرفة كوشة العقد : (عن سلزينبرج ، لوحة ١٥$_{٢}$) .

(شكل ١٧) جامع الأزهر : زخرفة المجاز القاطع [الرواق الأوسط العمودى أو البلاطة الوسطى العمودية] قمة العقد الثانى إلى اليمين . (عن فلورى) .

(شكل ١٨) جامع الأزهر : زخرفة فى النهاية الشمالية للرواق [البلاطة] الرابع من جدار القبلة . (عن فلورى) .

(شكل ١٩) جامع الأزهر : زخرفة فى النهاية الشمالية للرواق [البلاطة] الثالث من جدار القبلة . (عن فلورى) .

(شكل ٢٠) الجامع الأزهر : مسقط يبين المراحل التاريخية المتعاقبة .

(شكل ٢١) جامع الأزهر : مسقط أفقى للمسجد الفاطمى الأصلى (مشروع رسم تخطيطى مقترح).

(شكل ٢٢) فاس : جامع القرويين ، منظر عام (عن مارسيه) .

(شكل ٢٣) القاهرة القديمة (حى مصر القديمة) : قصر الشمع ، طريقة البناء .

(شكل ٢٤) جامع الحاكم : الجانب الشمالى للمدخل التذكارى (a) زخرفة هندسية فى الحشوة اليسرى (رسم يوسف محمد خليل) (b) حلية القاعدة .

(شكل ٢٥) جامع الحاكم : زخرفة فى حشوة على جانب المدخل التذكارى .

(شكل ٢٦) جامع الحاكم : المدخل الأصغر [الثانوى] فى الواجهة الشمالية الغربية .

(شكل ٢٧) جامع الحاكم : قطاع فى المجاز القاطع [الرواق الأوسط العمودى أو البلاطة الوسطى العمودية] (رسم فريد شافعى) .

(شكل ٢٨) جامع الحاكم : منظر داخلى (جهة الشمال). (عن وصف مصر ، الدولة الحديثة).

(شكل ٢٩) جامع الحاكم : إعادة تصميم الزخارف المفرغة للنافذة الثانية على يسار المحراب .

(شكل ٣٠) جامع الحاكم : حشوة من الزخرفة الجصية فى أساس القبة فى نهاية المجاز القاطع [الرواق العمودى] (عن فلورى) .

(شكل ٣١) جامع الحاكم : شرافات الواجهة الشمالية الغربية .

(شكل ٣٢) جامع الحاكم : مسقط أفقى .

(شكل ٣٣) جامع الحاكم : مدخل سلم المئذنة الشمالية .

(شكل ٣٤) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية : جامه فى الجانب الشمالى الشرقى من القاعدة . (عن: فلورى).

(شكل ٣٥) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية : جامة فى الجانب الجنوبى الغربى .

(شكل ٣٦) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية : (المقاسات والرسم : كريزول؛ الزخرفة : ميلنيكوف).

(شكل ٣٧) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية (رسم ميلنيكوف) .

(شكل ٣٨) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية . (رسم ميلنيكوف) .

(شكل ٣٩) جامع الحاكم : الزخرفة بين الحليتين الخامسة والسادسة (رسم ميلنيكوف) .

(شكل ٤٠) جامع الحاكم : المئذنة الغربية (المقاسات والرسم : كريزول ، الزخرفة : ميلنيكوف) .

(شكل ٤١) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : (a) المدخل إلى المصلى (b) قطاع و (c) مسقط (رسم ميلنيكوف) .

(شكل ٤٢) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل لزخرفة فى المصلى (رسم ميلنيكوف) .

(شكل ٤٣) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ، مدخل السلم (رسم ميلنيكوف) .

(شكل ٤٤) جامع الحاكم : منظور عين الطائر (رسم فريد شافعى) .

(شكل ٤٥) صفاقص : مئذنة الجامع (عن مارسيه) .

(شكل ٤٦) تبغة (Capernaum) : عتب من بقايا السيناجوج : نقش النجمة الخماسية (نجمة داود).

(شكل ٤٧) السبع بنات فى عام ١٩٢١م : مسقط (على أن لا يؤخذ فى الاعتبار الفراغات المحددة بالنقاط).

(شكل ٤٨) السبع بنات بعد حفائرلجنة حفظ الآثار العربية (وترميم ذوات الأرقام 4 , 2 , 1) التى أظهرت بقايا كل من رقم 6 , 5 وكذلك الأحواش التى تحيط بكل منها (رسم عباس بدر) .
(شكل ٤٩) Assar : ضريح . (عن جوير) .
(شكل ٥٠) حسن أوغلو : ضريح . (عن : جوير) .
(شكل ٥١) براد : مقبرة كانونية [ذات السقيفة] . (عن : بتلر) .
(شكل ٥٢) كوكانيا : مقبرة كانونية [ذات السقيفة] . (عن : بتلر) .
(شكل ٥٣) مسجد اللؤلؤة : مسقط أفقى .
(شكل ٥٤) المدخل إلى الزيادة بجامع الحاكم : مسقط أفقى .
(شكل ٥٥) الفسطاط : سور صلاح الدين . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٥٦) الفسطاط ، منزل رقم ١ . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٥٧) الفسطاط : منزل رقم ٢ . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٥٨) الفسطاط : منزل رقم ٣ . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٥٩) بالرمو : قصر العزيزة ، السلسبيل [الشادروان] .
(شكل ٦٠) الفسطاط : منزل رقم ٥ . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٦١) الفسطاط : منزل رقم ٦ . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٦٢) الفسطاط : منزل رقم ٨ . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٦٣) الفسطاط : أنماط المنازل المكتشفة . (عن : على بهجت وجابرييل) .
(شكل ٦٤) أسوان : مقبرة ذات حشوات فى جوانبها الأربعة (عن : مونيريه) .
(شكل ٦٥) أسوان : أنماط الأضرحة (عن : مونيريه) .
(شكل ٦٦) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٣٣ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٠ و٤٧ . (مسقط) .
(شكل ٦٧) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ١٣ ، ١٤ ، ١٢ ، ٢٠ . (مسقط) .
(شكل ٦٨) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٢٣ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٤ . (مسقط) .
(شكل ٦٩) أسوان : الضريح رقم ٢٤ . (مسقط وقطاع) .
(شكل ٧٠) أسوان : الضريحان رقم ٢٣ ورقم ٥ . (مسقط) .
(شكل ٧١) أسوان : مشهد السبعة وسبعين ولى . (عن :سومرزكلارك) .
(شكل ٧٢) اسنا : مئذنة الجامع العمرى أو العتيق .
(شكل ٧٣) مئذنة المشهد القبلى أو بلال قرب الشلال .
(شكل ٧٤) الشلال : المشهد القبلى . (عن : مونيريه) .
(شكل ٧٥) الشلال : المشهد القبلى . (عن : حسن الهوارى) .
(شكل ٧٦) المشهد القبلى : إعادة بناء لحالته الأصلية (كريزول) .

(شكل ٧٧) أسوان : مئذنة الطابية ، واجهة (الجانب الجنوبى) (رسم فريد شافعى) ومسقط .
(شكل ٧٨) الأقصر : مئذنة أبى الحجاج ، واجهة الجانب الشرقى (رسم فريد شافعى)، وتشاهد فى أسفل أعمدة المعبد الفرعونى .
(شكل ٧٩) مسجد [مشهد] الجيوشى : مسقط وقطاع .
(شكل ٨٠) مسجد الجيوشى : زخرفة المحراب [الكوشة] .
(شكل ٨١) باب النصر : مسقط المستوى الأرضى .
(شكل ٨٢) باب النصر حوالى عام ١٧٩٩م (مسجد جانبلاط إلى اليسار) . (عن : وصف مصر - الدولة الحديثة ، لوحة T. I).
(شكل ٨٣) باب النصر : مسقط فى مستوى المنصة (الطابق العلوى)، السور المتجه غربا والبرج الأول .
(شكل ٨٤) باب الفتوح : مسقط المستوى الأرضى .
(شكل ٨٥) باب الفتوح : تفصيل للكوابيل (رسم ليون) .
(شكل ٨٦) باب الفتوح : مسقط فى مستوى المنصة الرئيسية (الطابق العلوى) ؛ السور وبرج السلم .
(شكل ٨٧) باب الفتوح : قطاع لحجرة فى البرج الشرقى .
(شكل ٨٨) باب الفتوح : ويشاهد ممر السور وهو يخترقه .
(شكل ٨٩) السور الشمالى : الشرافات ، ويشاهد موضع الأعتاب المنحدرة .
(شكل ٩٠) السور الشمالى : مزغل فى البرج الأول .
(شكل ٩١) مسقط البرج الثانى ، السور والبروز الكبير .
(شكل ٩٢) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح ، قطاع A-B .
(شكل ٩٣) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح : مسقط .
(شكل ٩٤) برج السلم : المدخل ، بعد الترميم .
(شكل ٩٥) البرج ذو الواجهة المستديرة : قطاع ومسقط .
(شكل ٩٦) باب زويلة : مسقط الطابق العلوى (رسم مورياك ليون).
(شكل ٩٧) باب زويلة : مسقط (رسم مورياك ليون) .
(شكل ٩٨) باب زويلة : مزراب (عن فرانز ، فن الإسلام) .
(شكل ٩٩) باب زويلة : حنية ركنية (رسم مورياك ليون).
(شكل ١٠٠) دياربكر : الجامع ، رأس الثور .
(شكل ١٠١) طبق فضى ساسانى . (عن : جرترود بل : قصر ومسجد الأخيضر .
(شكل ١٠٢) السور : الجزء الذى لا يزال باقيا إلى الشرق من باب زويلة .
(شكل ١٠٣) لجش : مسقط الاكروبول (عن : ديولافوى ، اكروبول سوسه) .
(شكل ١٠٤) جرش : مثلث كروى فى حمام .
(شكل ١٠٥) كينشواروس : مثلثات كروية (عن : ستروجوفسكى).

(شكل ١٠٦) قيسارية : مرفأ ذو أعمدة وضعت كأربطة [ميد] .
(شكل ١٠٧) القدس : كنيسة القديسة آن ، عقد دو وسائد أو مخدات متلاصقة .
(شكل ١٠٨) سلمية : تاج عمود . (عن : Belgian Expedition) .
(شكل ١٠٩) Mukhmas : فسيفساء أرضية .
(شكل ١١٠) جامة (نقش زخرفى) على منزل فى Btoursa (عن : دى فوكيه ، سوريا الوسطى).
(شكل ١١١) تونس : فسيفساء أرضية فى متحف باردو .
(شكل ١١٢) البندقية : كنيسة سان مارك ، تيجان أعمدة . (عن : فينى سبيرز) .
(شكل ١١٣) البندقية : كنيسة سان مارك ، اللوحات الختامية للممر . (عن : فينى سبيرز).
(شكل ١١٤) Phocis : دير سان لوك فى ستيريز (عن شولتز وبارنسلى ، دير سان لوك فى ستيريز)
(a) الفاصل (الحاجز) الأيقونى فى الكنيسة الكبرى
(b) الفاصل (الحاجز) الايقونى فى الكنيسة الصغرى .
(شكل ١١٥) سلطانية فى مجموعة زرة . (عن : مارتين) .
(شكل ١١٦) ميافارقين : تاج . (عن : جرترود بل) .
(شكل ١١٧) حلب : منارة الجامع الكبير . (عن : جمال باشا).
(شكل ١١٨) جزيرة الروضة : مسجد بدر الجمالى ، مسقط (عن : وصف مصر) .
(شكل ١١٩) رسم تخطيطى يوضح تكوين محراب الأفضل [بالجامع الطولونى] .
(شكل ١٢٠) نايين : محراب الجامع الكبير . (عن : بوب) .
(شكل ١٢١) يزد : محراب دوازده امام . (عن : بوب).
(شكل ١٢٢) بوزان : محراب امام زاده شاهزاده كارار . (عن : بوب) .
(شكل ١٢٣) قزوين : محراب مسجد الحيدرية . (عن : بوب) .
(شكل ١٢٤) أردستان : الجامع الكبير ، المحراب الرئيسى . (عن : بوب) .
(شكل ١٢٥) ابرقوه : ضريح بير حمزة ، المحراب . (عن : بوب)
(شكل ١٢٦) أسوان : المشهد ، قطاع ومسقط .
(شكل ١٢٧) خضرة الشريفة : مسقط .
(شكل ١٢٨) ضريح قديم [القبة الفاطمية بالجمالية]: المقرنصات (رسم فريد شافعى) .
(شكل ١٢٩) ضريحا محمد الجعفرى والسيدة عاتكة : مسقط .
(شكل ١٣٠) القاهرة القديمة [حى مصر القديمة] : كنيسة أبو سيفين، المقرنصات [منطقة الانتقال].
(شكل ١٣١) القاهرة القديمة : كنيسة أبو سيفين مقرنصات (منطقة انتقال) مصلى القديس جورج .
(شكل ١٣٢) الشيخ يونس : مسقط وقطاع .
(شكل ١٣٣) ضريح أخوة يوسف : مسقط .
(شكل ١٣٤) قوص : الضريح الفاطمى . مسقط .

(شكل ١٣٥) مشهد أم كلثوم : المحراب الرئيسى (رسم F. R. H. Darke) .
(شكل ١٣٦) قلعة بنى حماد : حنية تزخرف المئذنة . (عن دى بيلى) .
(شكل ١٣٧) قلعة بنى حماد : بقايا زخرفة جصية . (عن : دى بيلى) .
(شكل ١٣٨) حلب : مارستان [بيمارستان] نور الدين ، المدخل .
(شكل ١٣٩) دنيصر : الجامع الكبير . (عن : جابرييل) .
(شكل ١٤٠) القسطنطينية [استانبول] : منحوتات حجرية فى المتحف . (عن : فان برشم وستروجوفسكى) .
(شكل ١٤١) مسجد الأقمر: مسقط.
(شكل ١٤٢) مشهد السيدة رقية : مسقط .
(شكل ١٤٣) مشهد السيدة رقية : كورنيش المحراب (رسم خليل كامل) .
(شكل ١٤٤) يزد : دوازده امام ، المقرنصات . (عن : بوب) .
(شكل ١٤٥) أصفهان : الجامع الكبير ، المقرنصات .
(شكل ١٤٦) گلبايگان : الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .
(شكل ١٤٧) قزوين : الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .
(شكل ١٤٨) مراغة : گنبدي سرخ ، المقرنصات (عن : بوب) .
(شكل ١٤٩) أردستان : الجامع الكبير ، المقرنصات . (عن : بوب) .
(شكل ١٥٠) امام دور : الضريح من الخارج .
(شكل ١٥١) امام دور : القبة المقرنصة (انظر لأعلى) .
(شكل ١٥٢) القدس : المسجد الأقصى ، البندنتيف .
(شكل ١٥٣) بصرى : مدرسة المبرك (٥٣٠هـ/ ١١٣٦م).
(شكل ١٥٤) دمشق : مارستان نور الدين ، قبة الدركاه من الداخل .
(شكل ١٥٥) حلب : مدرسة شاد بخت .
(شكل ١٥٦) جامع الأزهر : الجانب الجنوبى الشرقى للصحن قبل أعمال ١٨٩١ ـ ١٨٩٢م . (عن رسم للجنة حفظ الآثار العربية) .
(شكل ١٥٧) جامع الأزهر : نموذج (Scheme) للزخارف المفرغة لنافذة فى مدخل بيت الصلاة [مقدم الجامع] .
(شكل ١٥٨) ضريح محمد الحصواتى : مسقط .
(شكل ١٥٩) قاعة الدردير : قطاع (عن لجنة حفظ الآثار العربية) ومسقط .
(شكل ١٦٠) ضريح [مشهد] يحيى الشبيه : مسقط .
(شكل ١٦١) ضريح [مشهد] يحيى الشبيه : المسقط الأصلى المقترح .
(شكل ١٦٢) معبد النار قرب جيرا (عن هرتزفلد) .

(شكل ١٦٣)　ضريح [مشهد] قاسم أبو الطيب : مسقط .
(شكل ١٦٤)　ضريح [مشهد] قاسم أبو الطيب : المسقط الأصلى المقترح .
(شكل ١٦٥)　ضريح [مشهد] أم كلثوم : مسقط .
(شكل ١٦٦)　ضريح [مشهد] أم كلثوم : المسقط الأصلى المقترح .
(شكل ١٦٧)　مسجد الصالح طلائع : زخرفة فوق النافذة .
(شكل ١٦٨)　مسجد الصالح طلائع : شرافة .
(شكل ١٦٩)　مسجد الصالح طلائع : مسقط (عن : بريس دافين) .
(شكل ١٧٠)　مسجد الصالح طلائع : مقصورة . (عن : بريس دافين) .
(شكل ١٧١)　مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من الزخارف (عن : مارسيه) .
(شكل ١٧٢)　مسجد الصالح طلائع : مسقط أفقى ، (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .
(شكل ١٧٣)　مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من السقف (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

ثانياً : اللوحـــات

(لوحة ١) جامع المهدية (تونس)

أ ـ منظر عام من الغرب .

ب ـ المدخل التذكارى فى منتصف الجانب الشمالى .

جـ ـ الجزء البارز فى الركن الغربى .

د ـ الداخل (جهة الشمال).

(لوحة ٢) جامع المهدية

أ ـ الجامع : رواق فى الجانب الشمالى من الصحن

ب ـ الجامع : الداخل (جهة الجنوب) .

جـ ـ الجدران : بقايا برج فى الجانب الجنوبى .

د ـ المدخل إلى الميناء (جهة الغرب) .

(لوحة ٣) مشهد الشريف طباطبا بالقاهرة

أ ـ بقايا مشهد الشريف طباطبا .

ب ـ مشهد الشريف طباطبا ، بقايا دعامة .

جـ ـ محراب مبكر يتقدم مشهد الشبيه .

(لوحة ٤) جامع الأزهر ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م .

أ ـ المجاز القاطع [الرواق (البلاطة) الأوسط العمودى] ، المحراب .

ب ـ زخرفة المجاز القاطع ، العقد الأول إلى اليسار .

(لوحة ٥) جامع الأزهر ٣٥٩ـ٣٦١هـ/ ٩٧٠ـ٩٧٢م

أ ـ زخرفة المجاز القاطع : الجانب الجنوبى الغربى ، العقد الأول .

ب ـ زخرفة المجاز القاطع : الجانب الجنوبى الغربى ، العقد الثانى .

(لوحة ٦) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م

أ ـ زخرفة المجاز القاطع ، الجانب الجنوبى الغربى ، العقد الثالث .

ب ـ زخرفة المجاز القاطع ، الجدار الذى يتقدم الصحن .

(لوحة ٧) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م

أ ـ حشوات ونافذة بجدار القبلة (انظر أيضاً لوحة ٨) .

ب ـ المحراب : زخرفة باطن العقد .

جـ ـ المحراب : زخرفة العقد ونصف القبة [الطاقية] أصلية والبقية تعود إلى فترة متأخرة (انظر أيضاً لوحة ١١٤د) .

(لوحة ٨) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م

أ ـ حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثالث من اليمين .

ب ـ حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثانى من اليمين .

(لوحة ٩) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م

أ ـ النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] : الفسحة الأولى من جدار القبلة القديم .

ب ـ النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] : الفسحة الثانية من جدار القبلة القديم .

(لوحة ١٠) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م

أ ـ النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] ، الفسحة الثالثة من جدار القبلة القديم

ب ـ النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة [مقدم الجامع] ، الفسحة الرابعة من جدار القبلة القديم

(لوحة ١١) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م

أ ـ زخرفة الجدار الشمالى الشرقى الفسحة الخامسة من جدار القبلة القديم (انظر ب فى نهاية الرواق) .

ب ـ بيت الصلاة [مقدم الجامع] : الرواق [البلاطة] الخامس من جدار القبلة القديم ، النصف الشمالى الشرقى منه.

(لوحة ١٢) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م

أ ـ الزخرفة الحالية للعقد الأول إلى اليمين من المجاز القاطع .

ب ـ زخرفة العقد الأول إلى اليمين من المجاز القاطع قبل عام ١٨٩١م .

جـ ـ الزخرفة الحالية للدعامة الأولى إلى اليمين من المجاز القاطع (قارن مع ب) .

(لوحة ١٣) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م .

أ ـ الزخرفة الحالية للدعامة الثانية إلى اليمين من المجاز القاطع .

ب ـ الزخرفة الحالية للدعامة الثالثة إلى اليمين من المجاز القاطع .

جـ ـ الزخرفة الحالية للدعامة الرابعة إلى اليمين من المجاز القاطع .

د ـ الزخرفة الحالية للدعامة الخامسة إلى اليمين من المجاز القاطع .

هـ ـ الزخرفة الحالية للدعامة السادسة إلى اليمين من المجاز القاطع .

(لوحة ١٤) جامع الأزهر : ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م .

أ ـ الزخرفة الحالية للدعامة السادسة والسابعة إلى اليمين من المجاز القاطع .

ب ـ الزخرفة الحالية للدعامة الثامنة إلى اليمين من المجاز القاطع ودعامة الجدار .

(لوحة ١٥) جامع الحاكم ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م .

أ ـ الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها ـ حديثا ـ [أى قبل ١٩٥٢م] .

ب ـ منظر الجدار الشمالى الغربى من أعلى ، ويظهر فيه جانب من المدخل التذكارى (انظر لوحة ١٧) والبروز الغربى .

جـ ـ المدخل إلى يسار المدخل التذكارى (انظر أ) .

(لوحة ١٦) جامع الحاكم : ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م .

أ ـ الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها حديثا) .
ب ـ قبو المدخل التذكارى (من الداخل).
جـ ـ بقايا الزخرفة الأصلية فى ممر البوابة فى المكان الذى يشير إليه الرجل فى ب .
(لوحة ١٧) جامع الحاكم : المدخل التذكارى ، زخرفة الجانب الشمالى الشرقى .
(لوحة ١٨) جامع الحاكم : ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م
أ ـ الزاوية الشرقية للصحن وبقايا بيت الصلاة أو الحرم [مقدم الجامع] .
ب ـ بقايا الشرافات أعلى الدعامة الرابعة إلى يمين المجاز القاطع .
جـ ـ واجهة مقدم الجامع .
(لوحة ١٩) جامع الحاكم : ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م
أ ـ الزاويةالشرقية للصحن ويظهر فيها البائكة الثانية والثالثة للرواق الشمالى الشرقى .
ب ـ واجهة مقدم الجامع : العقود الأربعة التى لا تزال باقية إلى يمين عقد المجاز القاطع.
جـ ـ مدخل المجاز القاطع بعد الترميم .
د ـ بقايا مدخل تذكارى فى الجانب الجنوبى الغربى من الخارج .
هـ ـ المدخل التذكارى فى الجانب الشمالى الشرقى من الداخل .
(لوحة ٢٠) جامع الحاكم : ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م .
أ ـ المجاز القاطع بعد ترميم نوافذه العلوية والسقف .
ب ـ رباط خشبى للقبة الشمالية الشرقية يحمل عقداً .
جـ ـ رباط خشبى لقبة يحمل عقداً ، تفصيل للزخرفة .
(لوحة ٢١) جامع الحاكم : ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م .
أ ـ النهاية الداخلية للمجاز (عند المحراب) .
ب ـ النافذة الثانية على يسار المحراب .
جـ ـ النافذة الأولى على يسار المحراب .
(لوحة ٢٢) جامع الحاكم : ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م .
أ ـ أساس القبة فى نهاية المجاز ، قبل إزالة السقف غير الملائم
ب ـ القبة ، الرقبة ومنطقة الانتقال .
جـ ـ أساس القبة : الحشوة اليسرى .
(لوحة ٢٣) جامع الحاكم : ٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م .
أ ـ نقش كتابى فوق مدخل سلم المئذنة الشمالية (انظر د) .
ب ـ البروز الشمالى والمئذنة من الغرب .
جـ ـ البروز الشمالى والمئذنة من الجنوب .
د ـ مدخل سلم المئذنة الشمالية .
(لوحة ٢٤) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .

أ ـ الشريط الثالث ، نافذة تواجه الشمال .

ب ـ الشريط الثالث ، نافذة تواجه الغرب .

جـ ـ البروز السفلى : الجانب الجنوبى الشرقى ، ويشاهد على اليسار الموضع الذى ينتهى عنده الحائط الشمالى الشرقى .

د ـ الشريط الثانى ، جامة فى الجانب الشمالى الشرقى .

(لوحة ٢٥) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .

أ ـ الشريط السابع نافذة تواجه الشرق .

ب ـ الشريط السادس (فلورى) .

جـ ـ الشريط الرابع : يظهر جزء من تاريخ (فلورى) .

د ـ الشريط الرابع .

(لوحة ٢٦) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .

أ ، ب ، جـ ـ جامات فى الشريط الثامن .

د ـ الشريط السابع ، نافذة تواجه الشمال .

هـ ـ الشريط السابع ، نافذة تواجه الغرب .

(لوحة ٢٧) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .

أ ـ البروزالغربى والمئذنة من الشرق .

ب ـ البروز الشمالى ، بقايا شرافة أسفل قمة غلاف بدر الجمالى .

جـ ـ البروز الغربى ، بقايا شرافات .

د ـ البروز الغربى ، نقش كتابى كوفى .

(لوحة ٢٨) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .

أ ـ الشريط السادس ، زخرفة إلى اليسار .

ب ـ الشريط السادس ، زخرفة إلى اليمين .

جـ ـ زخرفة الشريط الثانى والثالث .

(لوحة ٢٩) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .

أ ـ الحلية الثامنة والشريط الأول من النقش الكتابى .

ب ـ زخرفة فى الجانب الجنوبى الشرقى استمرار لـ أ .

جـ ـ نافذة فى الجانب الشمالى الغربى بين الحليتين السادسة والسابعة .

د ـ زخرفة فى الجانب الشمالى الغربى بين الحليتين الخامسة والسادسة .

(لوحة ٣٠) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .

أ ـ الجانب الشمالى الغربى بين الحليتين التاسعة والحادية عشرة .

ب ـ نقش كتابى بين الحليتين العاشرة والحادية عشرة

جـ ـ الحلية العاشرة والشريط أسفلها .

(لوحة ٣١) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .
أ ـ العقود الحاملة للمئذنة فوق الحلية العاشرة .
ب ـ مدخل المصلى ، يوجد باب السلم فى الخلف .
جـ ـ سقف المصلى الصغير .
د ـ الجانب الشمالى الشرقى للمصلى الصغير .

(لوحة ٣٢) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م .
أ ـ نافذة فى الجانب الشمالى الشرقى من الطابق المثمن الثانى .
ب ـ زخرفة فى الطابق المثمن الرابع .
جـ ـ بقايا شرافة فى قمة الجزء المربع .
د ـ الطابق المثمن الأول ، ذو الدعامات نصف الدائرية ، والطابق المثمن الثانى .

(لوحة ٣٣) جامع الأزهر : باب الحاكم ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م (متحف الفن الإسلامى)
أ ـ الارتفاع ٣,٢٩م ، عرض كل فردة باب ١,٠١م .
ب ـ تفصيل للجزء الأسفل ، مقاس الحشوات الرأسية ٦٨×٢٦سم والحشوات الأفقية ٧٠×٣٦سم .

(لوحة ٣٤) السبع بنات : ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م
أ ـ منظر عام من الجنوب الشرقى .
ب ـ الضريح الأول من الشرق .
جـ ـ الضريح الثانى من الشرق .
د ـ الضريح الثالث من الشرق .
هـ ـ الضريح الثانى من الشرق ، نافذة فى الرقبة .

(لوحة ٣٥) مسجد اللؤلؤة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥ ـ ١٠١٦م .
أ ـ واجهة قاعة الصلاة فى عام ١٩١٧م .
ب ـ من الغرب .
جـ ـ بعد العاصفة الممطرة الشديدةفى ربيع ١٩١٩م ، الحجرة المقببة العلوية المعرضة للخطر .
د ـ من الجنوب ، ويشاهد بروز المحراب .

(لوحة ٣٦) المدخل إلى زيادة جامع الحاكم (٤١١ ـ ٤٢٧هـ/ ١٠٢١ ـ ١٠٣٦م)
أ ـ الداخل ، جهة الجنوب الشرقى .
ب ـ الداخل ، جهة الشمال الشرقى .
جـ ـ قبو .
د ـ محراب الأفضل فى الجامع الطولونى (انظر لوحة ٧٧) وبخاصة الحشوة الوسطى التى محيت زخارفها .

(لوحة ٣٧) بيوت الفسطاط (عن : على بهجت وجابرييل)
أ ـ البيت الثانى من الجنوب الشرقى .

ب ـ البيت الثانى ، تفصيل من الحجرة ج .
جـ ـ بقايا زخرفة وجدت فى البيت السادس .
د ـ بقايا من الزخرفة الجصية القالبية من البيت السادس .
هـ ـ بقايا زخرفية وجدت فى البيت الخامس .
و ـ بقايا زخرفية أخرى .
(لوحة ٣٨) ز ـ نقش تشكل بواسطة قطع من الآجر المتداخلة فى الجص .
بقايا ألواح خشبية محفورة من القصر الفاطمى الغربى أو الأصغر ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م.
أ ـ فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .
(لوحة ٣٩) ب ـ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .
أشغال الخشب من القصر الفاطمى الغربى .
أ ـ فردة باب وجدت فى بيمارستان قلاوون (٣٫٧٩ × ١٫٣١م) .
ب ـ حشوة فى نفس الباب (٦٢×٢٩سم) .
جـ ـ الحشوة السفلية لباب (٦١ × ٢٩سم)
د ـ تفصيل لحشوة فى هـ (الأعلى إلى اليسار) (٥٦×٢٩سم) .
هـ ـ بقايا باب وجدت فى بيمارستان قلاوون .
و ـ تفصيل لحشوة فى هـ : الحشوة الوسطى إلى اليمين (٦٦×٣١سم) .
(لوحة ٤٠) أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١م / ٥هـ .
أ ـ الضريح رقم ٣٣ (من الخارج) .
ب ـ الضريح رقم ١٧ (من الداخل) .
جـ ـ الضريح رقم ١٠ (من الخارج) .
د ـ الضريح رقم ٤٧ (من الخارج) .
هـ ـ الضريح رقم ١٣ (من الداخل) .
و ـ الضريح رقم ١٣ (من الخارج) .
(لوحة ٤١) أسوان : أضرحة فى الجبانة ق١١م / ٥هـ .
أ ـ الضريح رقم ١٤ (من الخارج) .
ب ـ الضريح رقم ١٤ (من الخارج) .
جـ ـ الضريح رقم ٢٠ (من الخارج) .
د ـ الضريح رقم ١٢ (من الخارج) .
هـ ـ الضريح رقم ٢٣ (من الخارج) .
و ـ الضريح رقم ٢٣ (من الداخل) .
(لوحة ٤٢) أسوان : أضرحة فى الجبانة ق١١م / ٥هـ.
أ ـ الضريح رقم ٣١ (من الخارج) .
ب ـ الضريح رقم ٤٢ (من الداخل) .

جـ ـ الأضرحة من ٤٦ إلى ٥١ (من الخارج) .
د ـ الضريح رقم ٤٦ (من الداخل) .
هـ ـ الضريحان رقم ٥٣ ـ ٥٤ (من الخارج) .
و ـ الضريح رقم ٥٤ (من الداخل) .

(لوحة ٤٣) أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١م / ٥هـ .
أ ـ الأضرحة رقم ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٣ (من الخارج) .
ب ـ الضريح رقم ٢٥ (من الخارج) .
جـ ـ الضريح رقم ٢٤ (من الخارج) .
د ـ الضريح رقم ٢٤ (من الداخل) .
هـ ـ الضريح رقم ٢٨ (من الخارج) .
و ـ الضريح رقم ٨ (من الخارج) .

(لوحة ٤٤) أسوان : أضرحة فى الجبانة ق ١١م / ٥هـ .
أ ـ الضريح رقم ٥ (من الخارج) .
ب ـ الضريح رقم ٥ (من الداخل) .
جـ ـ الضريح رقم ٧ (من الخارج) .
د ـ الضريح رقم ٧ (من الداخل) .
هـ ـ الأضرحة رقم ١٩ ، ١٨ ، ١٧ (من الخارج) .
و ـ الضريح رقم ١٩ (من الداخل) .

(لوحة ٤٥) المشهد القبلى قرب الشلال :
أ ـ المئذنة ، المسجد والأساس من الجنوب فى عام ١٨٥٨ ـ ١٨٥٩م . (عن : فرانسيس فريث : (مصر وفلسطين) .
ب ـ قاعة الصلاة حوالى عام ١٩٣٠م. (عن : مونيريه) .
جـ ـ المئذنة ، المسجد والاساس من الشمال الغربى فى عام ١٨٥٨ـ١٨٥٩م . (عن : فرانسيس فريث) .

(لوحة ٤٦) مسجد [مشهد] الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م .
أ ـ من الشمال الشرقى .
ب ـ من الشمال .
جـ ـ الواجهة الشمالية الغربية وبها المدخل .

(لوحة ٤٧) مسجد الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م .
أ ـ المدخل .
ب ـ الداخل .
جـ ـ الجانب الجنوبى الغربى ، وتشاهد الدعامات المتوجة بمصليات [خلوات أو جواسق] ذات قباب صغيرة .
د ـ مصلى مقبب يظهر فى جـ (إلى اليسار) .

(لوحة ٤٨) مسجد الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م .
أ ـ القبة الرئيسية ، المصليات ذات القباب الصغيرة وشرافات الصحن .
ب ـ شرافات الجانب الشمالى الشرقى للصحن .
جـ ـ تفصيل من المحراب .

(لوحة ٤٩) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م .
أ ـ السور الشمالى ، ويشاهد باب النصر ، البرج الأول ، البرج الثانى ، البروز الكبير ، باب الفتوح وبرج السلم .
ب ـ واجهة أمامية .

(لوحة ٥٠) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ، واجهة أمامية .

(لوحة ٥١) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م .
أ ـ كورنيش فى أعلى الطابق الثانى .
ب ـ تفصيل فى كوشة العقد .
جـ ـ تفصيل فى بوابة الدخول .

(لوحة ٥٢) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ، قطاع فى ممر البوابة .

(لوحة ٥٣) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م .
أ ـ الجانب (الجنوبى) الداخلى للبوابة ، سلم البرج إلى اليمين .
ب ـ ممر البوابة المقبى انظر شمالاً .
جـ ـ مدخل فى ممر البوابة المقبى .

(لوحة ٥٤) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م .
أ ـ من الداخل ، سلم الجزء البارز إلى اليمين .
ب ـ المدخل إلى السلم .
جـ ـ السلم الحلزونى .

(لوحة ٥٥) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م .
أ ـ من الداخل ، ويشاهد السور المتجه غربا وجنوبا .
ب ـ المنصة والوجه الخلفى للجزء العلوى للأبراج .
جـ ـ النهاية المتقطعة للسور المتجه جنوبا (انظر أ)

(لوحة ٥٦) باب النصر : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م .
أ ـ ممر على شكل حرف L فى أعلى سلم الجزء البارز .
ب ـ مثلث كروى فى حجرة البرج الشرقى .
جـ ـ الجانب الغربى من قمة (أعلى) البرج الأول وتشاهد المنصة ، سلم الجزء البارز والسور المتجه جنوبا .

(لوحة ٥٧) السور الشمالى : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م

أ ـ باب النصر ، مرحاض [سقاطة] بارز ، البرج الأول ، البرج الثانى ، البروز الكبير وباب الفتوح .

ب ـ الوجه الداخلى ، انظر غربا من منصة باب النصر .

جـ ـ كوابيل المرحاض [السقاطة] البارز .

(لوحة ٥٨) السور الشمالى : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م

أ ـ سقف الممر عبر البرج الأول .

ب ـ البرج الأول ، الداخل .

جـ ـ باب النصر ، المرحاض [السقاطة] البارز والبرج الأول .

(لوحة ٥٩) السور الشمالى ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م

أ ـ المرحاض [السقاطة] البارز ، البرج الأول ، البرج الثانى ، البروز الكبير وباب الفتوح .

ب ـ البرج الثانى ، البروز الكبير وباب الفتوح .

(لوحة ٦٠) السور الشمالى : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م :

أ ـ المسافة الممتدة إلى الشرق من أعلى البروز الكبير .

ب ـ المسافة الممتدة غربا من أعلى البرج الأول .

جـ ـ ممر السور فيما بين البرج الثانى والبروز الكبير ، انظر شرقا .

(لوحة ٦١) السور الشمالى : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م :

أ ـ البروز الكبير وباب الفتوح .

ب ـ ممر فى الجانب الشرقى للبروز الكبير .

جـ ـ ممر فى الجانب الشمالى للبروز الكبير .

(لوحة ٦٢) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م

أ ـ واجهة أمامية .

ب ـ نقش كتابى مؤرخ (يستمر على واجهة البروز الكبير) .

(لوحة ٦٣) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م واجهة أمامية .

(لوحة ٦٤) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م

أ ـ المدخل من الخارج .

ب ـ المدخل من الخارج .

(لوحة ٦٥) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م

أ ـ زخرفة العقد المفلطح .

ب ـ الأجزاء التى تعلو العقد المفلطح .

جـ ـ سقف حشوة بين الكوابيل .

د ـ الكوابيل .

(لوحة ٦٦) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م

أ ـ الكابولى الثالث من اليمين .
ب ـ الكابولى الثانى من اليمين .
جـ ـ ممر البوابة المقبب من الداخل .

(لوحة ٦٧) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ، قطاع من خلال ممر البوابة .

(لوحة ٦٨) باب الفتوح ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م
أ ـ الوجه الخلفى من جدار جامع الحاكم .
ب ـ الوجه الخلفى من المنصة .
جـ ـ داخل البرج الشرقى .

(لوحة ٦٩) أ ـ باب الفتوح وسلم البرج من أعلى البروز الكبير .
ب ـ الوجه الداخلى للسور الشمالى من اليمين إلى اليسار :
البروز الكبير ، باب الفتوح ، سلم البرج .

(لوحة ٧٠) أ ـ باب الفتوح ، الوجه الخلفى ، البروز الكبير .
ب ـ باب الفتوح ، برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .

(لوحة ٧١) السور الشمالى : ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م
أ ـ ممر فى السور المغيب بين برج السلم وباب الفتوح ، انظر شرقا .
ب ـ مدخل برج السلم، على العتب شكل للإله أمون رع وخرطوش الملك تحتمس الرابع.
جـ ـ الحجرة الرئيسية (١٨٫٥٥ × ٨٫٢٣م) فى برج السلم ، انظر غربا .
د ـ الحجرة الأصغر فى برج السلم : مخرج إلى أول مهبط على السلم .

(لوحة ٧٢) باب زويلة : ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م
أ ـ منظر عام من الجنوب .
ب ـ زخرفة فى الزاوية الداخلة الثانية .
جـ ـ حشوة زخرفية على الجانب الداخلى للبرج .
د ـ حشوات على الجانب الداخلى للبرج الشرقى .

(لوحة ٧٣) باب زويلة : ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م ، واجهة أمامية (رسم موريباك ليون) :

(لوحة ٧٤) باب زويلة : ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م
أ ـ الجزء أعلى البوابة .
ب ـ قبة على مثلثات كروية تعلو ممر البوابة .
جـ ـ الوجه (الشمالى) الخلفى .

(لوحة ٧٥) باب زويلة : ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م ، قطاع من خلال ممر البوابة (رسم موريباك ليون) .

(لوحة ٧٦) باب زويلة : ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م
أ ـ ممر بوابة من المنصة إلى السلم الذى ينزل منه خلف السور المغيب المتجه شرقا (انظر

جـ إلى اليسار) .

ب ـ المنصة فى قمة البوابة .

جـ ـ المنصة والجزء العلوى للبوابة .

د ـ زخرفة الصنجة المفتاحية [المفتاح] للدعامة المقببة الوسطى فى ب ، جـ .

هـ ـ مدخل إلى حجرة فى الطابق الثالث للبرج الغربى (انظر ب ، جـ إلى اليمين) .

(لوحة ٧٧) جامع ابن طولون : محراب الأفضل ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م :

(لوحة ٧٨) أسوان : المشهد .

أ ـ من الشمال .

ب ـ واجهة الحرم أو بيت الصلاة (المصلى) .

جـ ـ مدخل الملحق (انظر أ إلى اليسار) .

د ـ مدخل الممر .

هـ ـ واجهة الحرم من سقف الممر .

و ـ الحرم ، جهة الشمال الشرقى .

(لوحة ٧٩) خضرة الشريفة

أ ـ من الجنوب الغربى .

ب ـ من الشرق .

جـ ـ مدخل الصحن من الداخل .

د ـ من الشمال .

هـ ـ الركن الغربى .

و ـ جدار القبلة .

ز ـ زخرفة المحراب على يسار المحراب الرئيسى ، المكتشف عن طريق الحفائر .

(لوحة ٨٠) أ ـ ضريحا الجعفرى (إلى اليسار) والسيدة عاتكة (إلى اليمين) .

ب ـ ضريح السيدة عاتكة : الداخل .

جـ ـ ضريح السيدة عاتكة : زخرفة المحراب .

(لوحة ٨١) أ ـ ضريح السيدة عاتكة ؛ نافذة وشرافات الحائط السابق ترى أسفل الجص .

ب ـ أخوة يوسف : تفصيل للمحراب الثلاثى .

جـ ـ إلى اليسار ضريح السيدة عاتكة ، المبنى جزء منه على شرافة الفناء الأمامى لضريح الجعفرى .

(لوحة ٨٢) أ ـ الضريح المعروف بالشيخ يونس .

ب ـ محراب أم كلثوم .

جـ ـ مسجد الأقمر : الواجهة الشمالية الغربية ٥١٩هـ/ ١١٢٥م .

(لوحة ٨٣) مسجد الأقمر : ٥١٩هـ/ ١١٢٥م

أ ـ تفصيل (انظر ٨٢جـ إلى اليسار) .

ب ـ تفصيل (انظر ٨٢جـ إلى اليسار) .

جـ ـ تفصيل لزخرفة بروز المدخل .

د ـ جامة مفرغة أعلى المدخل .

(لوحة ٨٤) مسجد الأقمر : ٥١٩هـ/ ١١٢٥م .

أ ـ واجهة الرواق الشمالى الشرقى .

ب ـ تفصيل للزخرفة الجصية فى أ .

جـ ـ جامة فى الواجهة الشمالية الشرقية .

د ـ معالجة الركن الشمالى .

هـ ، و ، ز ، ح ـ باب خزانة حائطية .

(لوحة ٨٥) أ ـ مسجد الأقمر : الرواق الجنوبى الغربى .

ب ـ قوص : الضريح الملحق بالجامع .

جـ ـ قوص : الضريح الملحق بالجامع من الشمال .

د ـ قوص : الضريح ، زخرفة الجانب القبلى .

(لوحة ٨٦) مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م :

أ ـ الواجهة الشمالية الغربية .

ب ـ الداخل .

جـ ـ رقبة القبة وبها نقش كتابى ملون مؤرخ .

(لوحة ٨٧) مشهد السيدة رقية : ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م :

أ ـ منظر رأسى للقبة المفصصة (باطن القبة).

ب ـ تفصيل من المحراب .

(لوحة ٨٨) أ ـ مشهدالسيدة رقية : التابوت الخشبى ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م .

ب ـ ضريح محمد الحصواتى : المحراب .

(لوحة ٨٩) جامع الأزهر :

أ ـ الصحن : الواجهة الشمالية الغربية قبل أعمال عام ١٨٩١م . (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

ب ـ الصحن : الجزء الأوسط للواجهة الجنوبية الشرقية قبل أعمال عام ١٨٩١م . (عن: لجنة حفظ الآثار العربية) .

(لوحة ٩٠) جامع الأزهر :

أ ـ زخرفة العقد الأيسر الذى يحمل القبة عند مدخل المجاز القاطع .

ب ـ زخرفة العقد الذى يحمل القبة ويفتح على المجاز القاطع .

(لوحة ٩١) جامع الأزهر :
أ ـ زخرفة قبة الجوسق [قبة البهو] فى النهاية الشمالية للمجاز القاطع .
ب ـ الجوسق ذى القبة [قبة البهو] فى النهاية الشمالية للمجاز : منطقة الانتقال .
(لوحة ٩٢) أ ـ باب من ضريح السيدة نفيسة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م .
ب ـ تفصيل من أ .
جـ ـ الجزء السفلى لباب من ضريح السيدة نفيسة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .
د ـ مسجد الفكهانى : فردة باب ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م .
هـ ـ تفصيل من د .
(لوحة ٩٣) قاعة الدردير :
أ ـ الإيوان الجنوبى .
ب ـ الإيوان الجنوبى .
(لوحة ٩٤) قاعة الدردير : أ ـ موضع نصف القبة فى الايوان الجنوبى .
ب ـ معالجة الحوائط الجانبية (انظر لوحة ٩٣ب) .
جـ ـ نقش كتابى كوفى على افريز خشبى فى الدخلة الشرقية .
(لوحة ٩٥) ضريح [مشهد] يحيى الشبيه :
أ ـ داخل الضريح ، تجاه الشرق .
ب ـ داخل الضريح ، تجاه الجنوب الشرقى .
جـ ـ داخل الضريح تجاه الملحق .
(لوحة ٩٦) أ ـ ضريح [مشهد] يحيى الشبيه : الملحق ، (تجاه الشمال) .
ب ـ مئذنة أبو الغضنفر ، حشوات فى الجانب الشمالى الشرقى .
جـ ـ تفصيل للجامة فى د .
د ـ الباب الأخضر (جزء من مشهد سيدنا الحسين) ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م .
(لوحة ٩٧) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .
أ ـ حالة المسجد فى عام ١٩١٧م كما يشاهد من فوق باب زويلة .
ب ـ الواجهة الشمالية الغربية بعد إزالة المنازل وحفائرالطابق السفلى .
جـ ـ الجانب الشمالى الشرقى : الطوق الحجرى المزخرف فوق الحوانيت فى المستوى الأرضى للمسجد .
د ـ الواجهة الشمالية الشرقية ، نافذة الدعامة الثانية من الركن الشمالى .
(لوحة ٩٨) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٠هـ/ ١١٦٠م .
أ ـ الواجهة الشمالية الغربية ، دعامة إلى يسار السقيفة (عن : لجنة حفظ الآثار العربية).
ب ـ الواجهة الشمالية الغربية ، دعامات فى نهاية السقيفة قبل إزالة أرضية المنزل (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

(لوحة ٩٩) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م.
أ ـ الواجهة الشمالية الغربية بعد الترميم .
ب ـ الواجهة الشمالية الشرقية إلى اليمين من المدخل الجانبى بعد الترميم .
(لوحة ١٠٠) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .
أ ـ نافذة ذات زخارف مفرغة (محفوظة حاليا بمتحف الفن الإسلامى) .
ب ـ المدخل الشمالى الشرقى .
جـ ـ بقايا الشرافات الأصلية .
د ـ بقايا الشرافات الأصلية .
هـ ـ الواجهة الجنوبية الغربية بعد ازالة الأبنية الملاصقة .
(لوحة ١٠١) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م.
أ ـ الواجهة الشمالية الشرقية ، أقصى الشمال ، بعد الهدم .
ب ـ المدخل الرئيسى من الداخل قبل إعادة البناء .
جـ ـ المدخل الشمالى الغربى [الرئيسى] من الخارج .
د ـ المدخل الشمالى الشرقى من الداخل .
(لوحة ١٠٢) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م ، باب مصفح بالبرونز .
(لوحة ١٠٣) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .
أ ـ الداخل : الركن الشمالى أثناء الترميم .
ب ـ الداخل : الجانب الشمالى الشرقى أثناء الترميم ، المدخل الشمالى الشرقى فى أقصى اليمين .
(لوحة ١٠٤) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م
أ ـ واجهة الحرم (مقدم الجامع) .
ب ـ داخل الحرم .
(لوحة ١٠٥) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .
أ ـ نافذة فى الرواق الثانى للحرم .
ب ـ زخرفة البائكة الثالثة فى الحرم .
جـ ـ وضع العقود ، ويشاهد طبلية خشبية وأربطة خشبية .
د ـ فتحة الملقف [الباذاهنج] خلف المنبر .
(لوحة ١٠٦) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م ؛ زخرفة كوشات العقود فى الحرم :
أ ـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
ب ـ ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
(لوحة ١٠٧) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م ؛ زخرفة كوشات العقود فى الحرم :
جـ ـ ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
د ـ ٢ ، ٣ ، ٥ .
هـ ـ ١ ، ٢ .

(لوحة ١٠٨) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .
أ ـ نافذة فوق المحراب .
ب ـ النافذة الخامسة من اليسار .
جـ ـ النافذة (الصماء) السابعة من اليسار .
د ـ زخرفة فتحة الملقف [الباذاهنج] خلف الجزء العلوى للمنبر .

(لوحة ١٠٩) تتبع القباب والدلايات [الحنايا والمقرنصات] :
أ ـ مسجد الحاكم : القبة الوسطى (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) .
ب ـ مسجد الحاكم : القبة الوسطى .
جـ ـ مسجد الحاكم : الحنية فى الركن الخلفى الأيمن للحرم .
د ـ السبع بنات : الحنية والرقبة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م .
هـ ـ مسجد الحاكم : الحنية وبقايا رقبة القبة فى الركن الخلفى الأيسر للحرم .

(لوحة ١١٠) تتبع القباب والدلايات :
أ ـ مسجد [مشهد] الجيوشى : ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م .
ب ـ مسجد الجيوشى .
جـ ـ باب زويلة : حنية فى دخلة على هيئة نصف قبة فى جانب ممر البوابة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م .
د ـ أسوان : المشهد حوالى ١١٠٠ ـ ١١١٠م .
هـ ـ أسوان : المشهد .

(لوحة ١١١) تتبع القباب والدلايات :
أ ـ ضريح قديم [القبة الفاطمية بالجمالية] تجاه خانقاة بيبرس الجاشنكير .
ب ـ ضريح محمد الجعفرى .
جـ ـ قبة الجعفرى وعاتكة .
د ـ ضريح السيدة عاتكة .
هـ قبة عاتكة .

(لوحة ١١٢) تتبع القباب والدلايات :
أ ـ ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م .
ب ـ ضريح الشيخ يونس .
جـ ـ ضريح أخوة يوسف حوالى ١١٠٠ ـ ١١٢٥م .
د ـ ضريح أخوة يوسف .
هـ ـ قوص : ضريح فى الجانب الشرقى للجامع حوالى ١١٢٠ ـ ١١٣٠م .
و ـ قوص : ضريح فى الجانب الشرقى للجامع .

(لوحة ١١٣) تتبع القباب والدلايات :
أ ـ ضريح [مشهد] السيدة رقية ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م .

ب ـ ضريح [مشهد] السيدة رقية .
جـ ـ جامع الأزهر : القبة فى مقدمة المجاز ٥٢٤ـ٥٤٤هـ/ ١١٣٠ـ ١١٤٩م.
د ـ جامع الأزهر .
هـ ـ ضريح محمد الحصواتى حوالى ١١٢٥ ـ ١١٥٠م .
و ـ ضريح محمد الحصواتى .

(لوحة ١١٤) تتبع القباب والدلايات .
أ ـ ضريح [مشهد] يحيى الشبيه حوالى ١١٥٠م .
ب ـ ضريح يحيى الشبيه حوالى ١١٥٠م .

(لوحة ١١٤) تتبع المحاريب .
جـ ـ محراب قديم يتقدم مشهد الشبيه من الشرق فى متحف الفن الإسلامى حوالى ٩٥٠م .
د ـ جامع الأزهر : (زخرفة العقد ونصف القبة [الطاقية] فقط ، والباقى متأخر) ٣٦١هـ/ ٩٧٢م .

(لوحة ١١٥) تتبع المحاريب :
أ ـ مسجد الحاكم : محراب فى السطح ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م
ب ـ مسجد الحاكم : المحراب الرئيسى .
جـ ـ مسجد لؤلؤة : محراب فى الحجرة السفلية ٤٠٦هـ/ ١٠١٥ـ١٠١٦م .
د ـ مسجد لؤلؤة : محراب فى الحجرة العلوية ٤٠٦هـ/ ١٠١٥ـ١٠١٦م .

(لوحة ١١٦) تتبع المحاريب :
أ ـ مسجد : [مشهد] الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م
ب ـ محراب الأفضل فى جامع ابن طولون ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م .
جـ ـ خضرة الشريفة : المحراب الجانبى المكتشف عن طريق الحفائر ٥٠١هـ/ ١١٠٧ ـ ١١٠٨م .
د ـ خضرة الشريفة : المحراب الرئيسى .

(لوحة ١١٧) تتبع المحاريب :
أ ـ ضريح محمد الجعفرى حوالى ١١١٠م .
ب ـ ضريح السيدة عاتكة حوالى ١١٢٠م .
جـ ـ ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م .
د ـ مسجد موسى فى مسجد الشيخ موسى قبل ٥١٣هـ/ ١١١٩م .

(لوحة ١١٨) تتبع المحاريب :
أ ـ أخوة يوسف : المحراب الثلاثى حوالى ١١٢٥م .
ب ـ ضريح [مشهد] أم كلثوم : ٥١٦هـ/ ١١٢٢م .
جـ ـ محراب الآمر بالجامع الأزهر ٥١٩هـ/ ١١٢٥ـ١١٢٦م .

(لوحة ١١٩) تتبع المحاريب :

أ ، ب ـ مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م : المحرابان بالسقيفة على يمين ويسار المدخل (٣,٦٨×١,٧٢م و ٣,٦٨ × ١,٧٠م) .

جـ ، د ـ مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م : المحرابان الداخليان على يمين ويسار المحراب الرئيسى .

(لوحة ١٢٠) تتبع المحاريب :

أ ـ مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م : المحراب الرئيسى (٥,٥٢ × ٢,٩٥م) .

ب ـ ضريح محمد الحصواتى حوالى ١١٢٥ ـ ١١٥٠م : (٢,٧٧ × ٢,٤٩م) .

جـ ـ محراب السيدة نفيسة حوالى ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م .

(لوحة ١٢١) تتبع المحاريب :

أ ـ محراب السيدة نفيسة : حوالى ٥٣٢هـ/١١٣٨م تفصيل .

ب ـ ضريح [مشهد] يحيى الشبيه حوالى ١١٥٠م : المحراب الجانبى الأيسر .

جـ ـ ضريح [مشهد] يحيى الشبيه حوالى ١١٥٠م : المحراب الرئيسى .

(لوحة ١٢٢) تتبع المآذن

أ ـ أسوان : برج الطابية ٤٦٩ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٨١م .

ب ـ المشهد البحرى قرب الشلال ٤٦٩ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٨١م .

جـ ـ المشهد القبلى قرب الشلال ٤٦٩ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٨١م .

(لوحة ١٢٣) تتبع المآذن

أ ـ الأقصر : مئذنة مسجد أبو الحجاج .

ب ـ اسنا : مئذنة الجامع الكبير ٤٧٤هـ/ ١٠٨١ ـ ١٠٨٢م .

جـ ـ القاهرة : مئذنة الجيوشى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م .

د ـ القاهرة : مئذنة أبو الغضنفر : ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م .

(لوحة ١٢٤) السور الشمالى

أ ـ مدخل البرج ذو الواجهة المستديرة من ممشى السور الواقى .

ب ـ داخل البرج ذو الواجهة المستديرة .

جـ ـ اتصال مادة بدر الجمالى (إلى اليمين) وصلاح الدين (إلى اليسار) .

د ـ البرج ذو الواجهة المستديرة والسور المغيب إلى الغرب .

(لوحة ١٢٥) السور الشمالى

أ ـ برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .

ب ـ البرج ذو الواجهة المستديرة والسور المغيب ذو السقاطة .

أولاً

الأشــكال

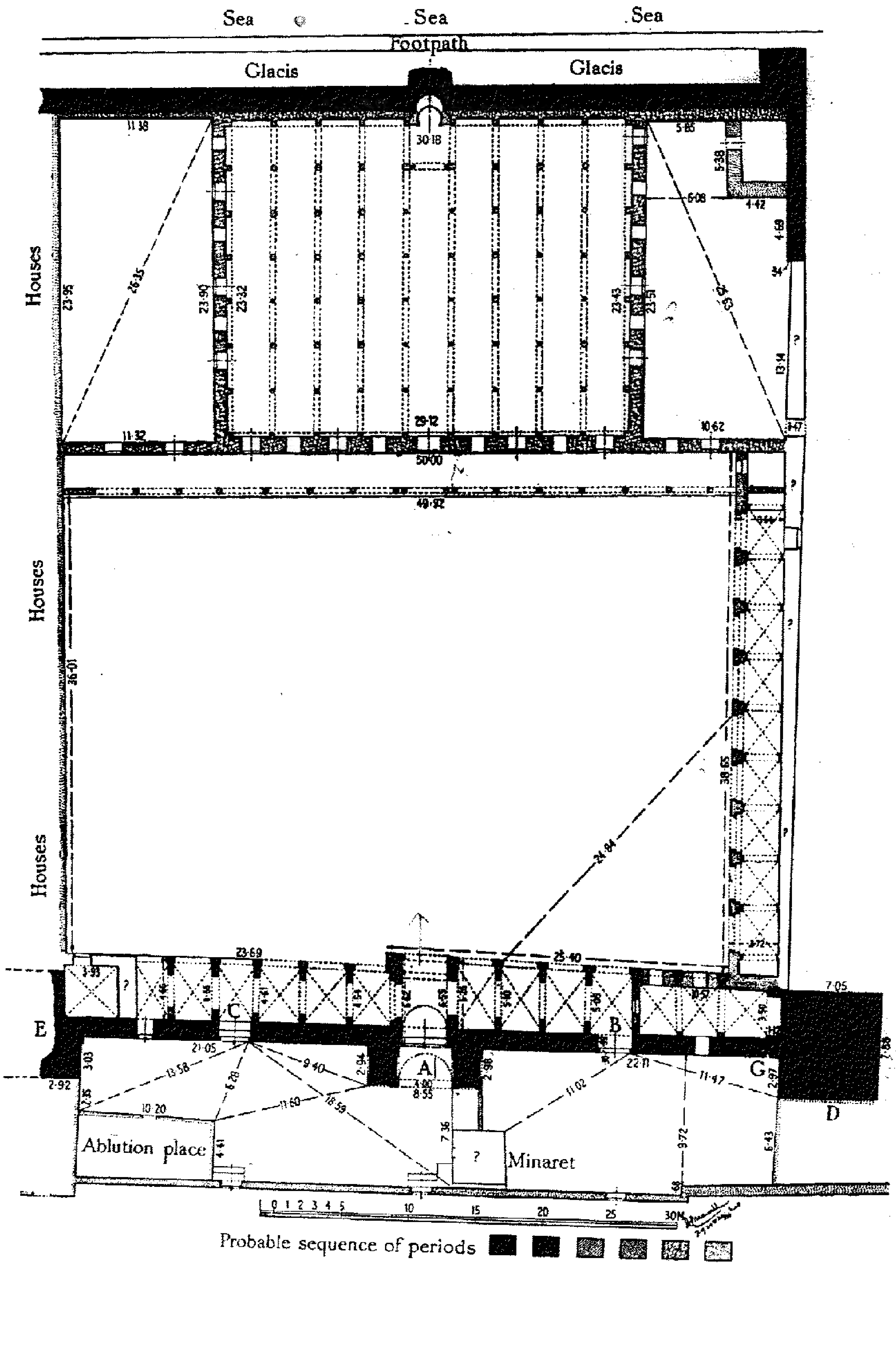

(شكل رقم ١) المهدية تونس : الجامع الكبير
(مسقط أفقي لم يشيك عليه تماماً) .

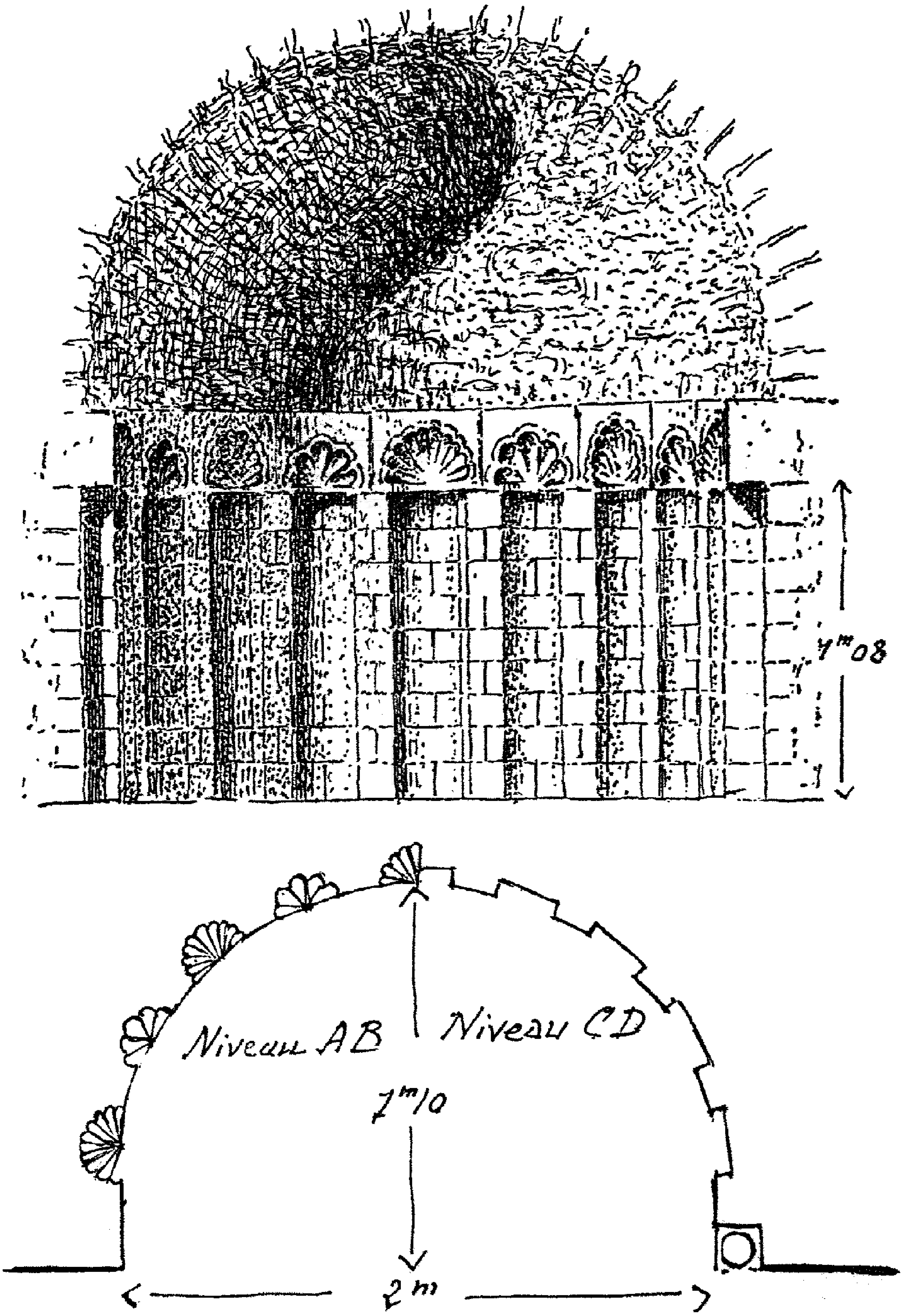

(شكل رقم ٢) المهدية : محراب الجامع .

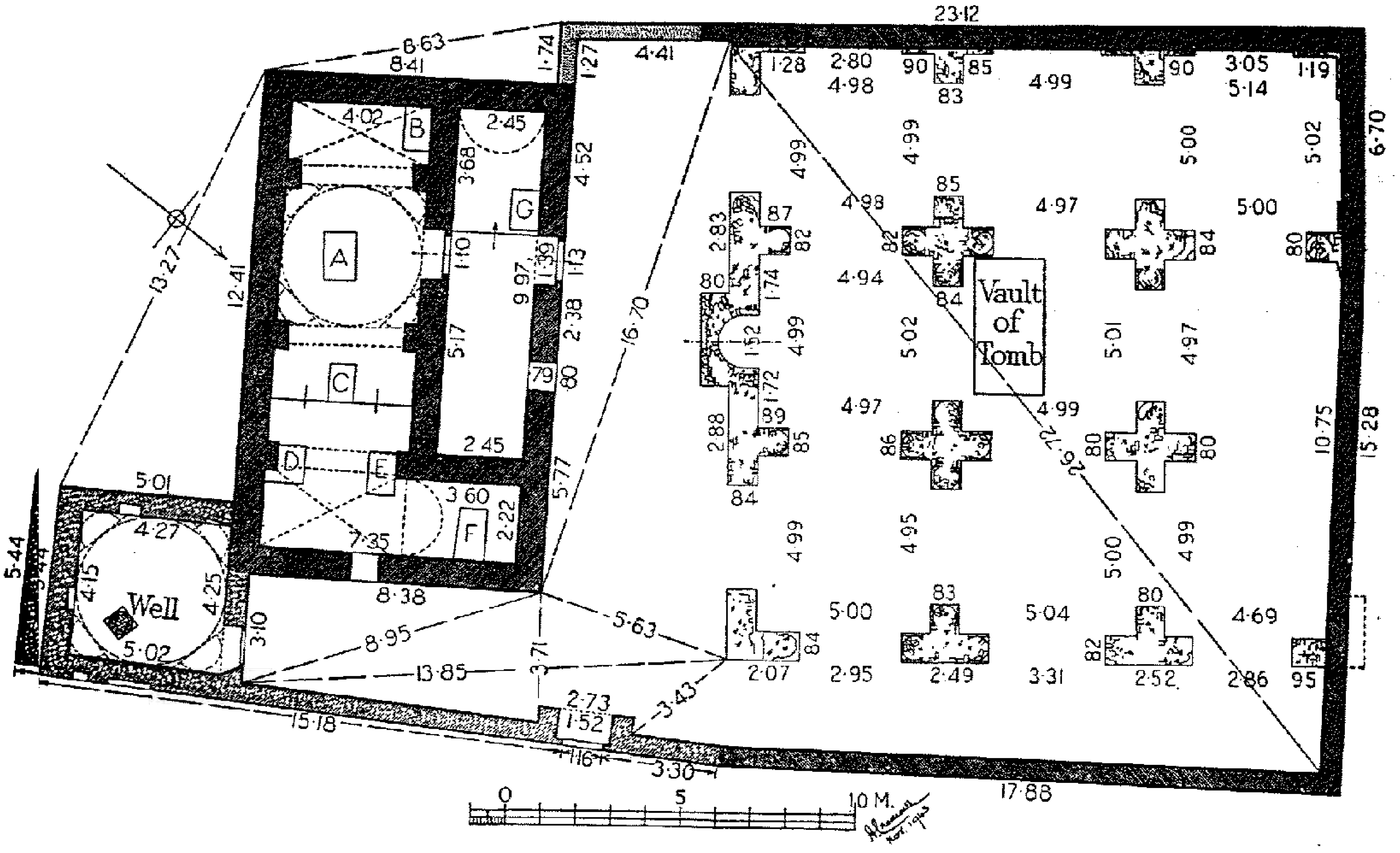

(شكل رقم ٣) مشهد الشريف طباطبا (القاهرة : عين الصيرة) : مسقط أفقي .

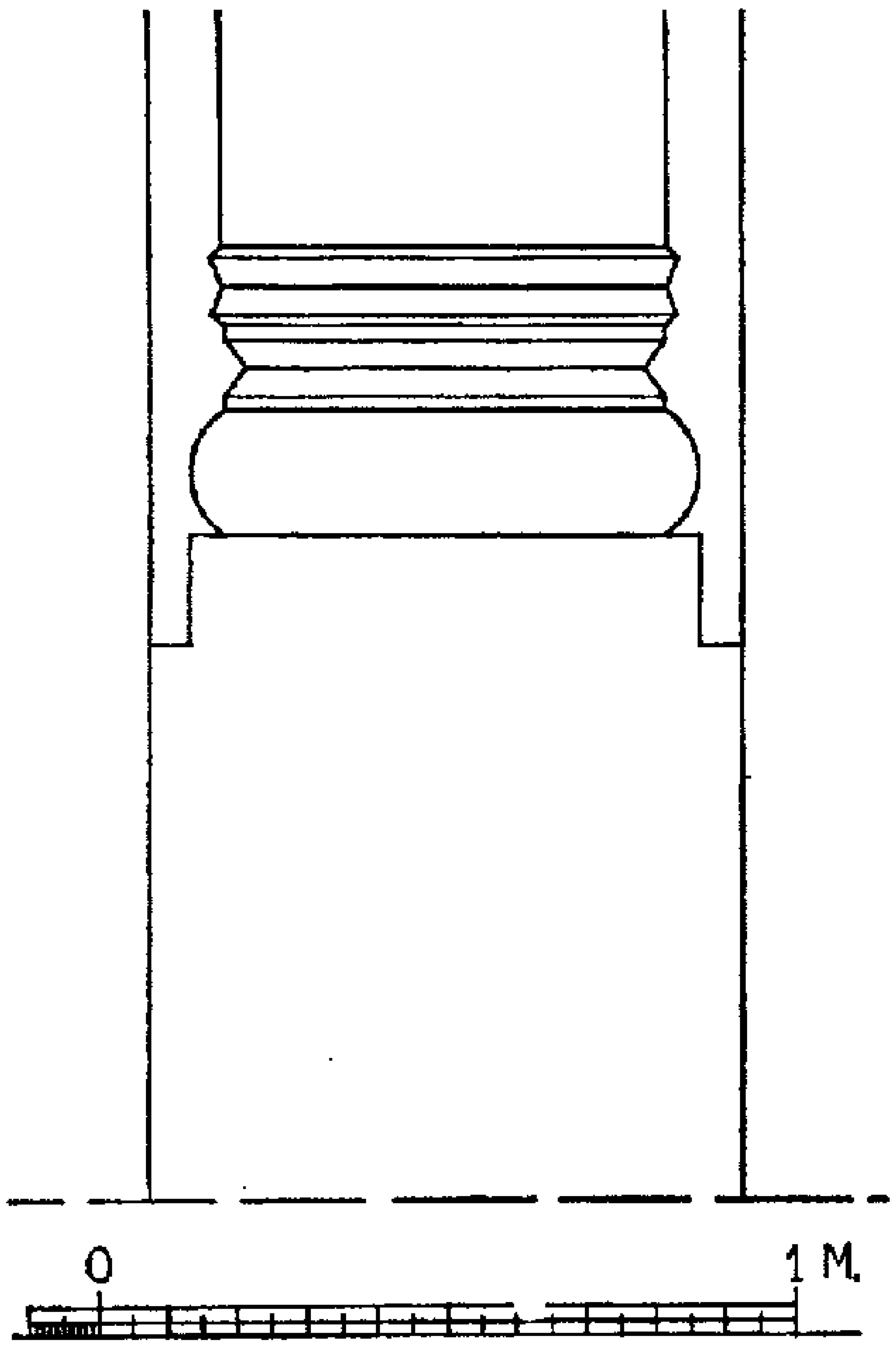

(شكل رقم ٤) مشهد الشريف طباطبا : حليه دعامة .

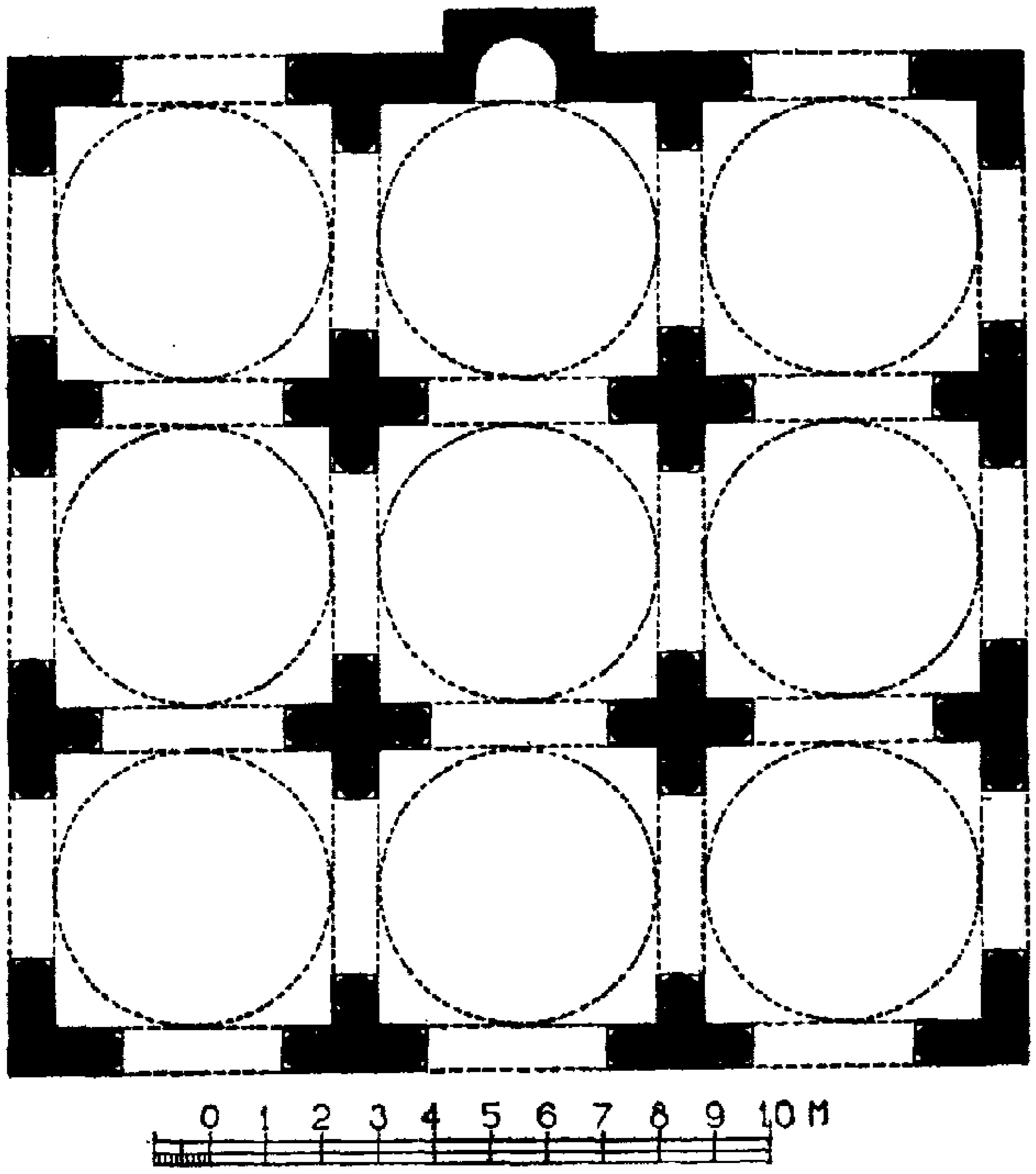

(شكل رقم ٥) مشهد الشريف طباطبا : تصور لما كان عليه المسقط .

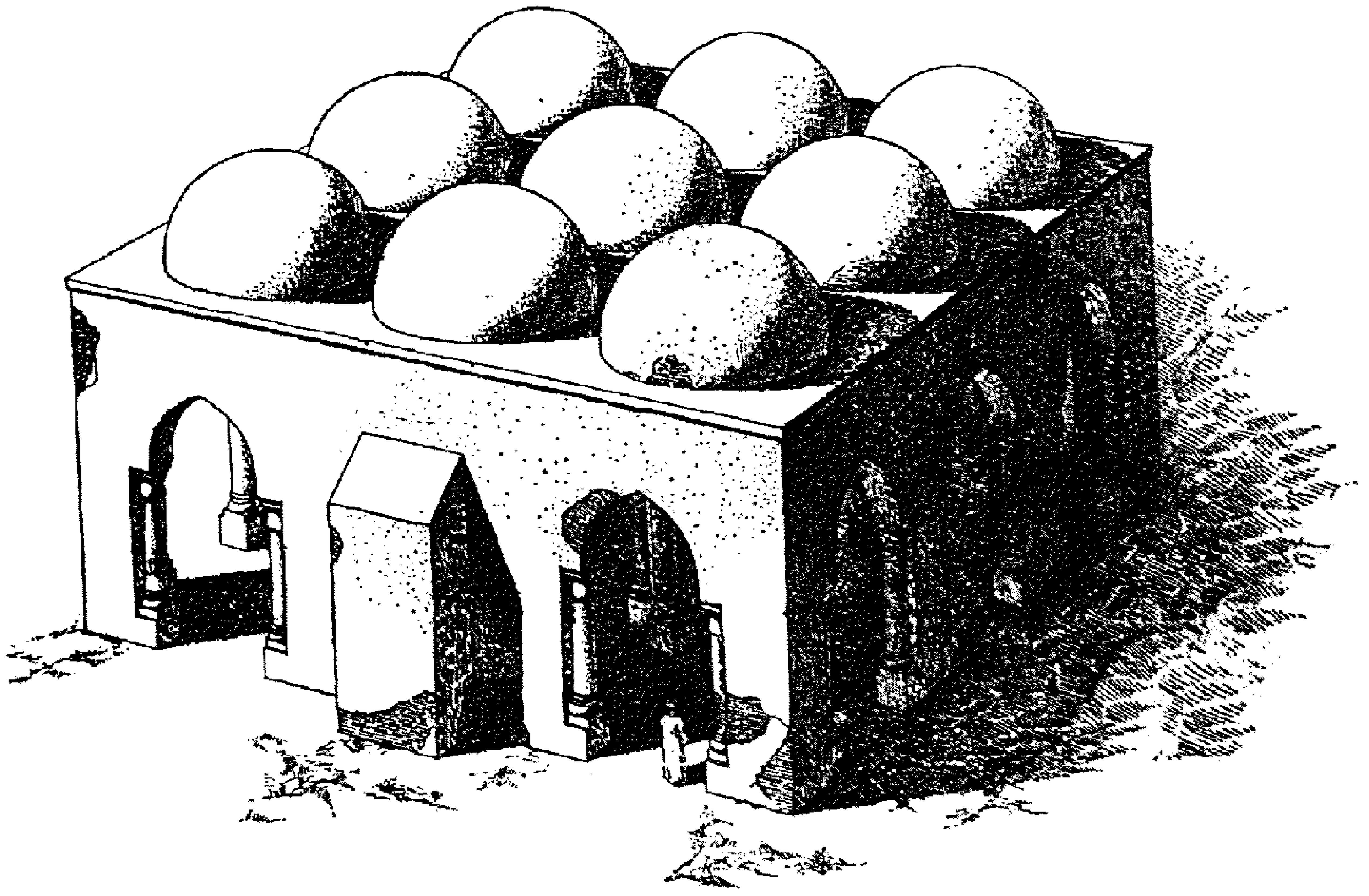

(شكل رقم ٦) مشهد الشريف طباطبا : إعادة بناء (رسم فريد شافعي) .

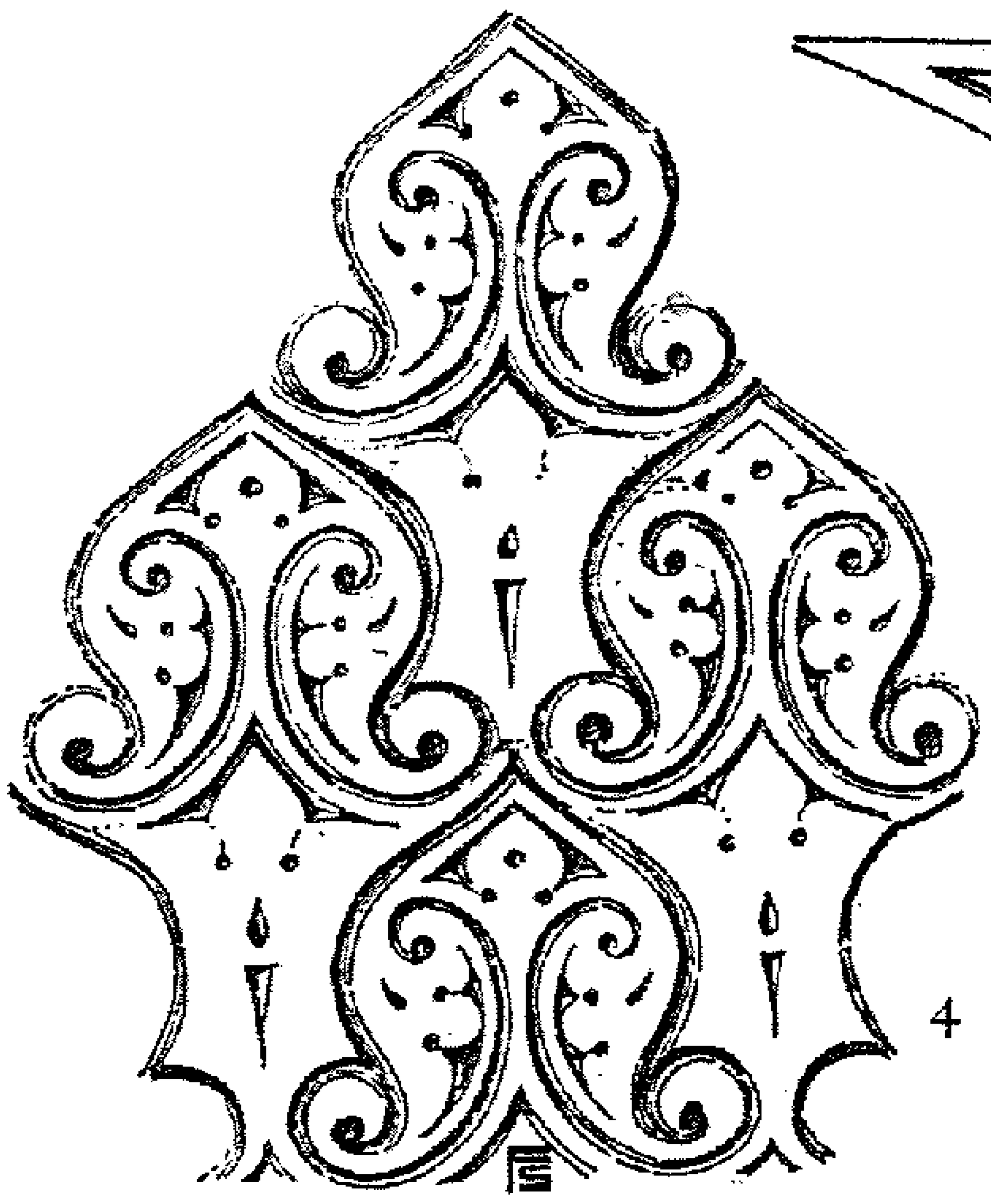

4

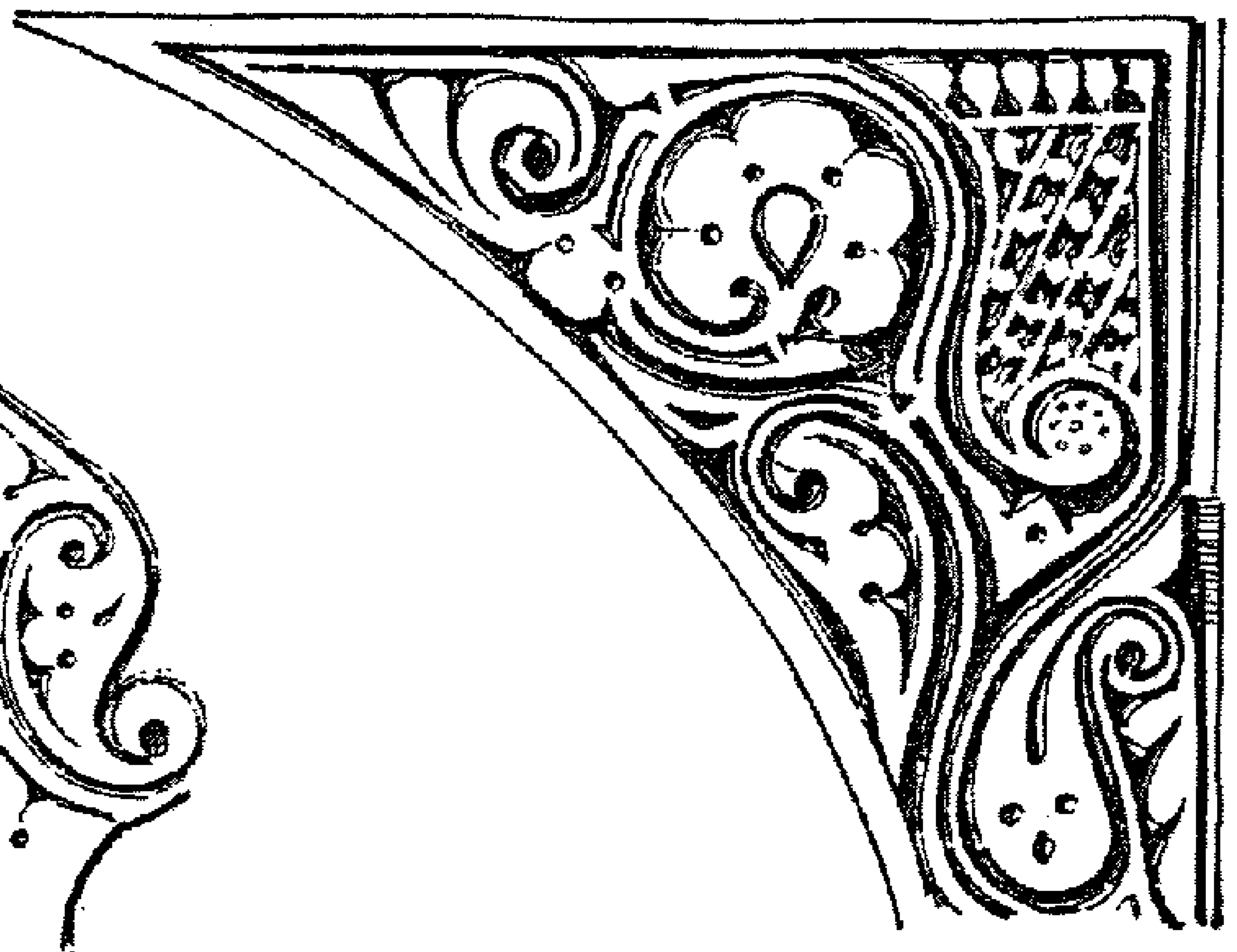

5

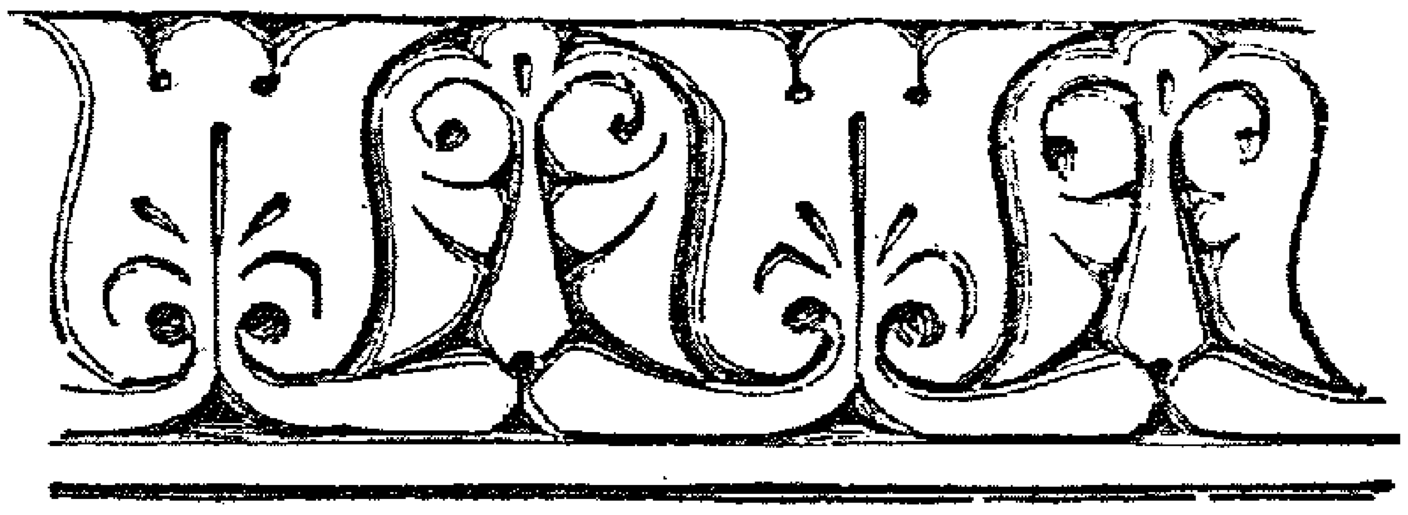

3

(شكل رقم ٧) محراب جصي عتيق : تفصيل للزخرفة (عن : فلورى) .

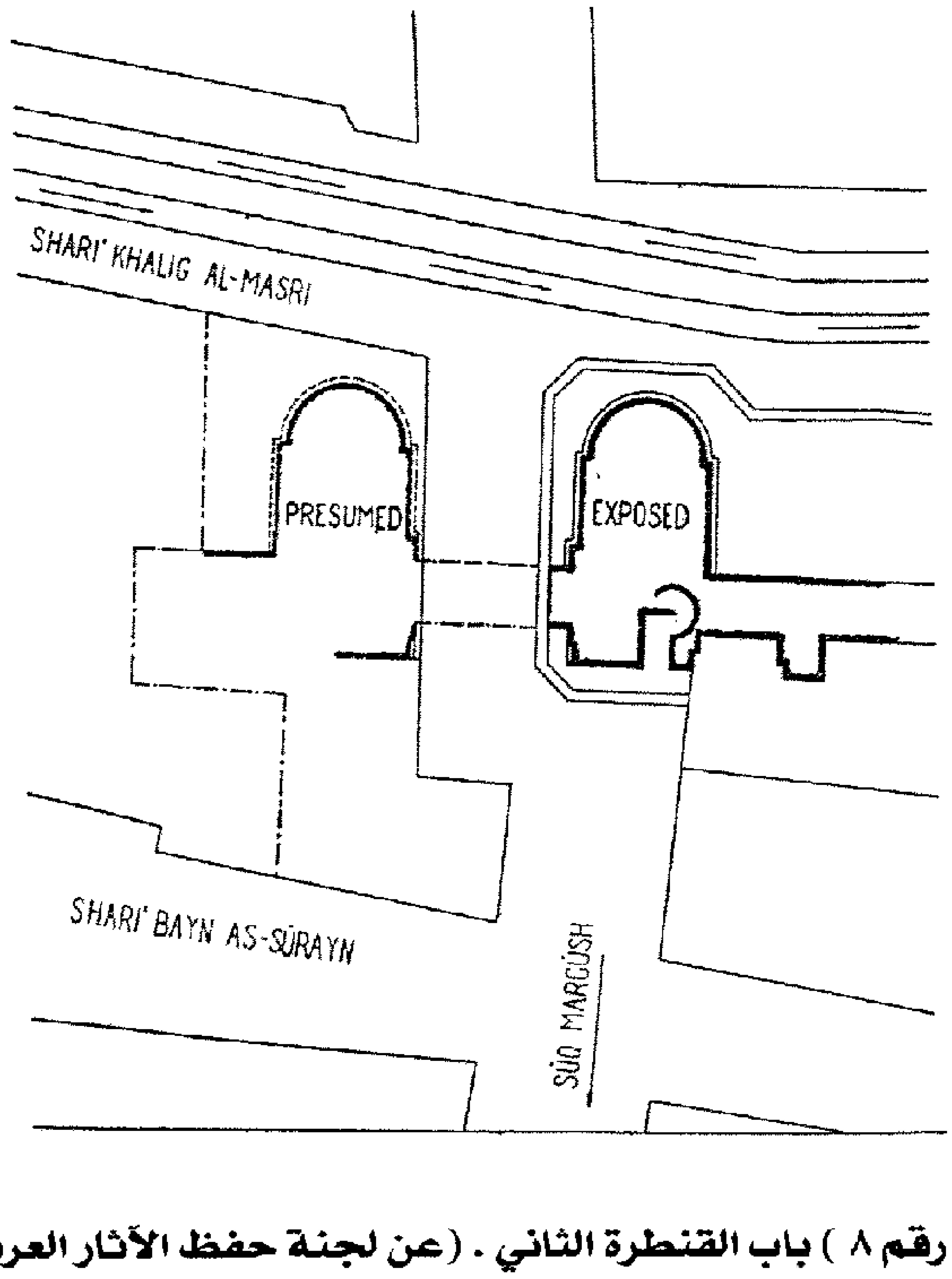

(شكل رقم ٨) باب القنطرة الثاني . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

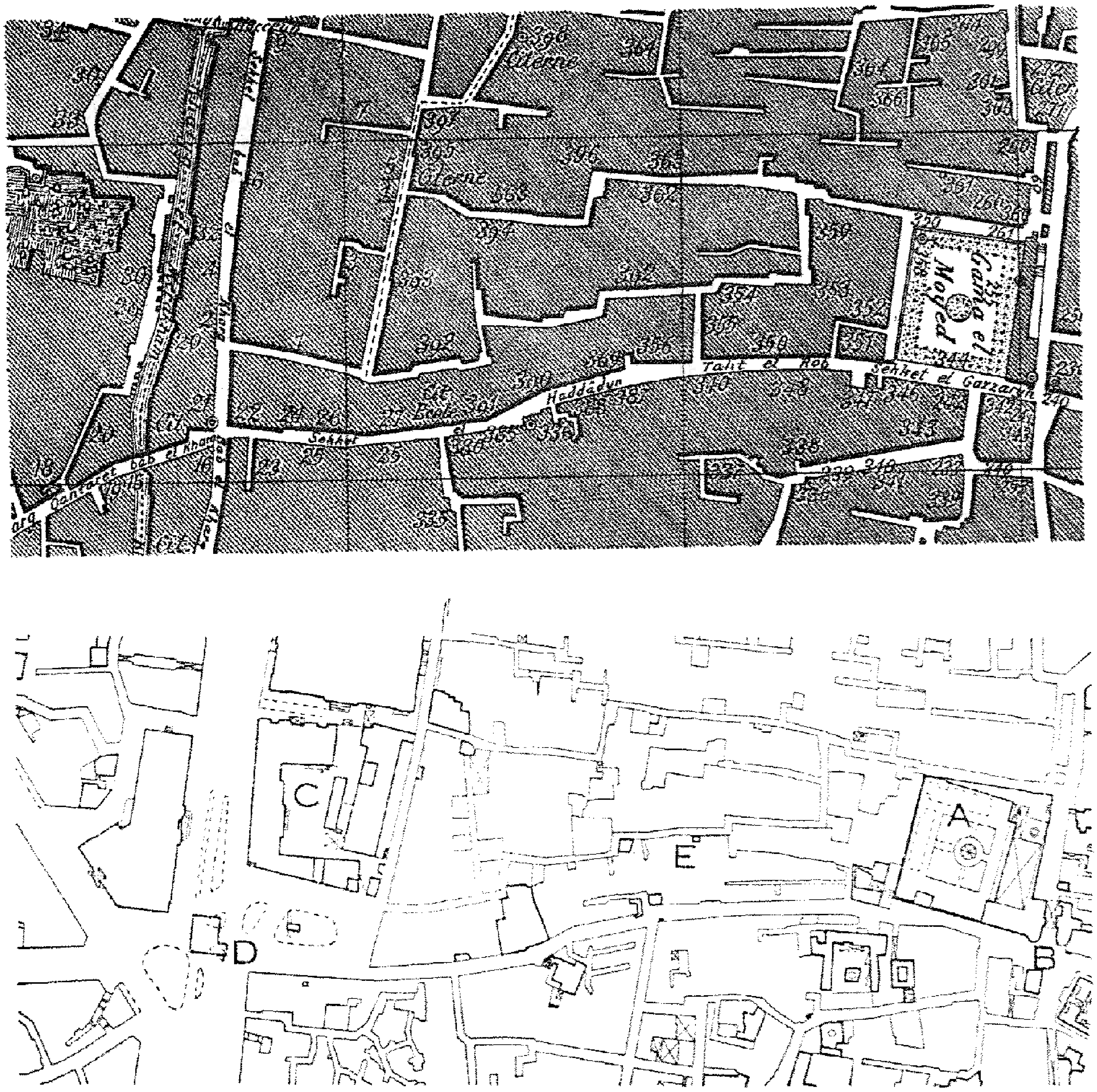

(شكل رقم ٩) شارع تحت الربع والمنطقة المحيطة به : (A) في عام ١٨٠١.
(B) في الوقت الحالي (أي وقت إعداد الكتاب وقبل صدوره في عام ١٩٥٢م)
ويظهر موضع (D) مسجد اسكندر باشا .

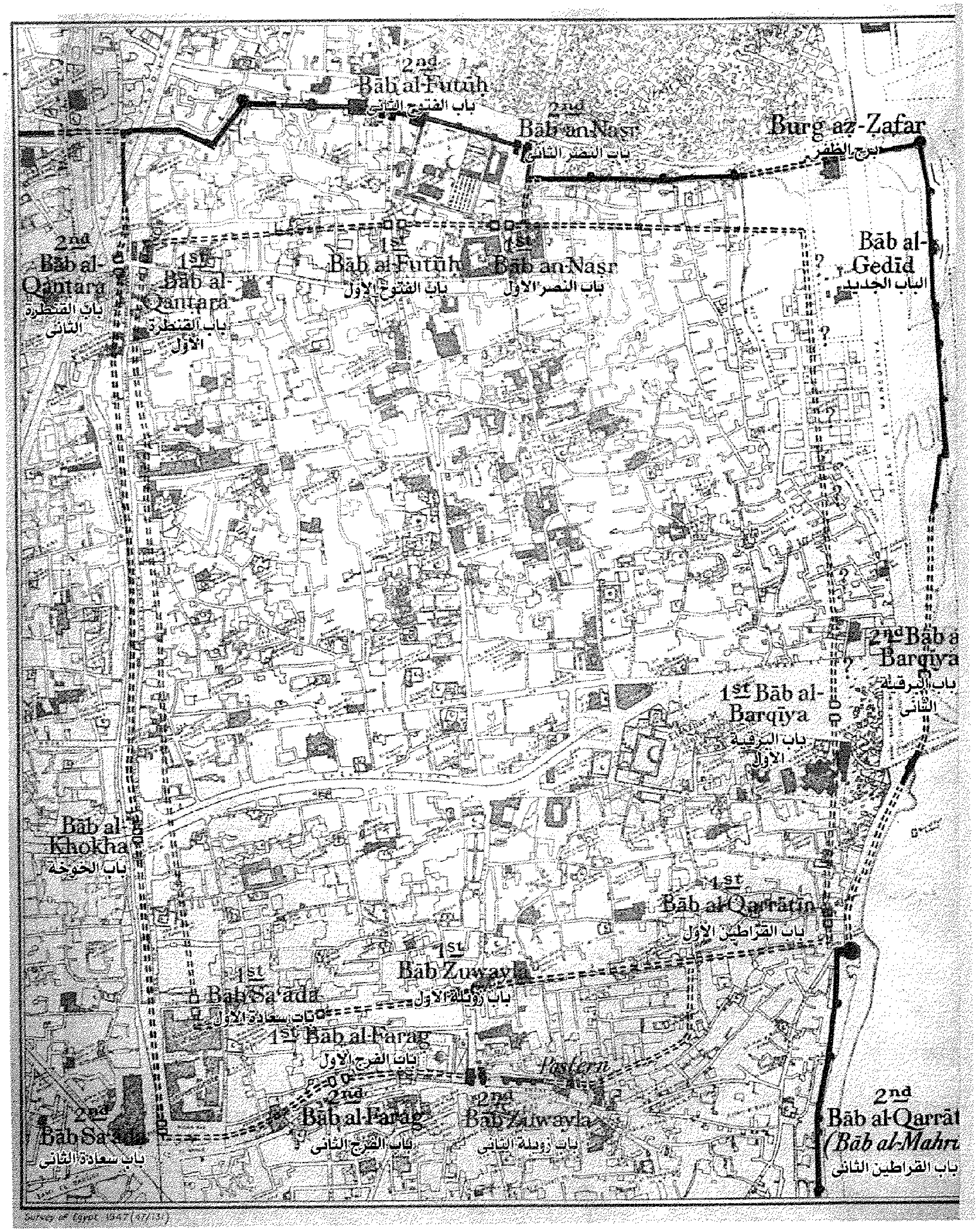

(شكل رقم ١٠) القاهرة الفاطمية : ويشاهد موضع الأسوار : جوهر (اللون الأخضر) ، بدر الجمالي (اللون الأحمر) وصلاح الدين (اللون الأزرق) .

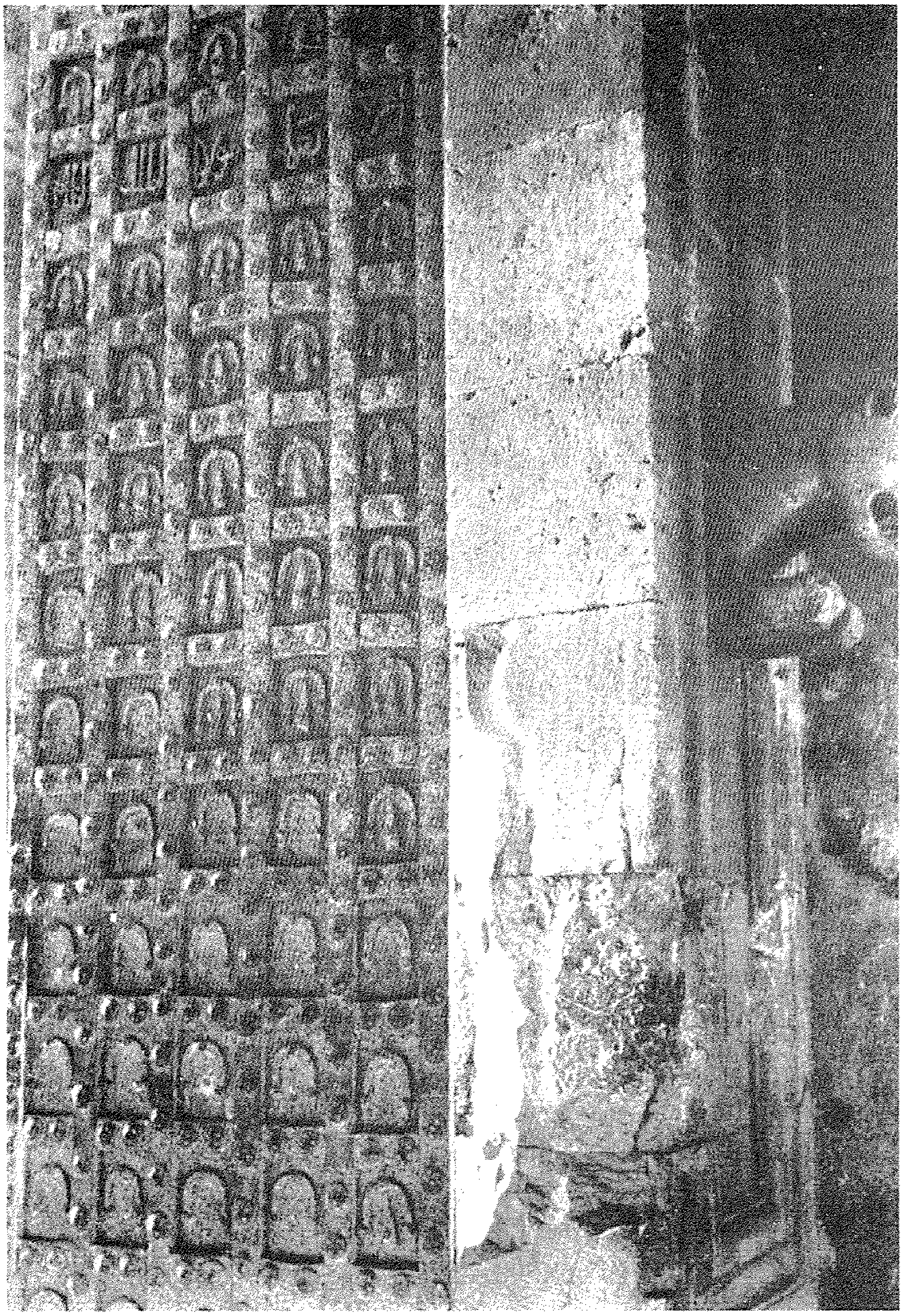

(شكل رقم ١١) حلب : القلعة . باب حديدي في النهاية الداخلية لممر البوابة الرئيسة .

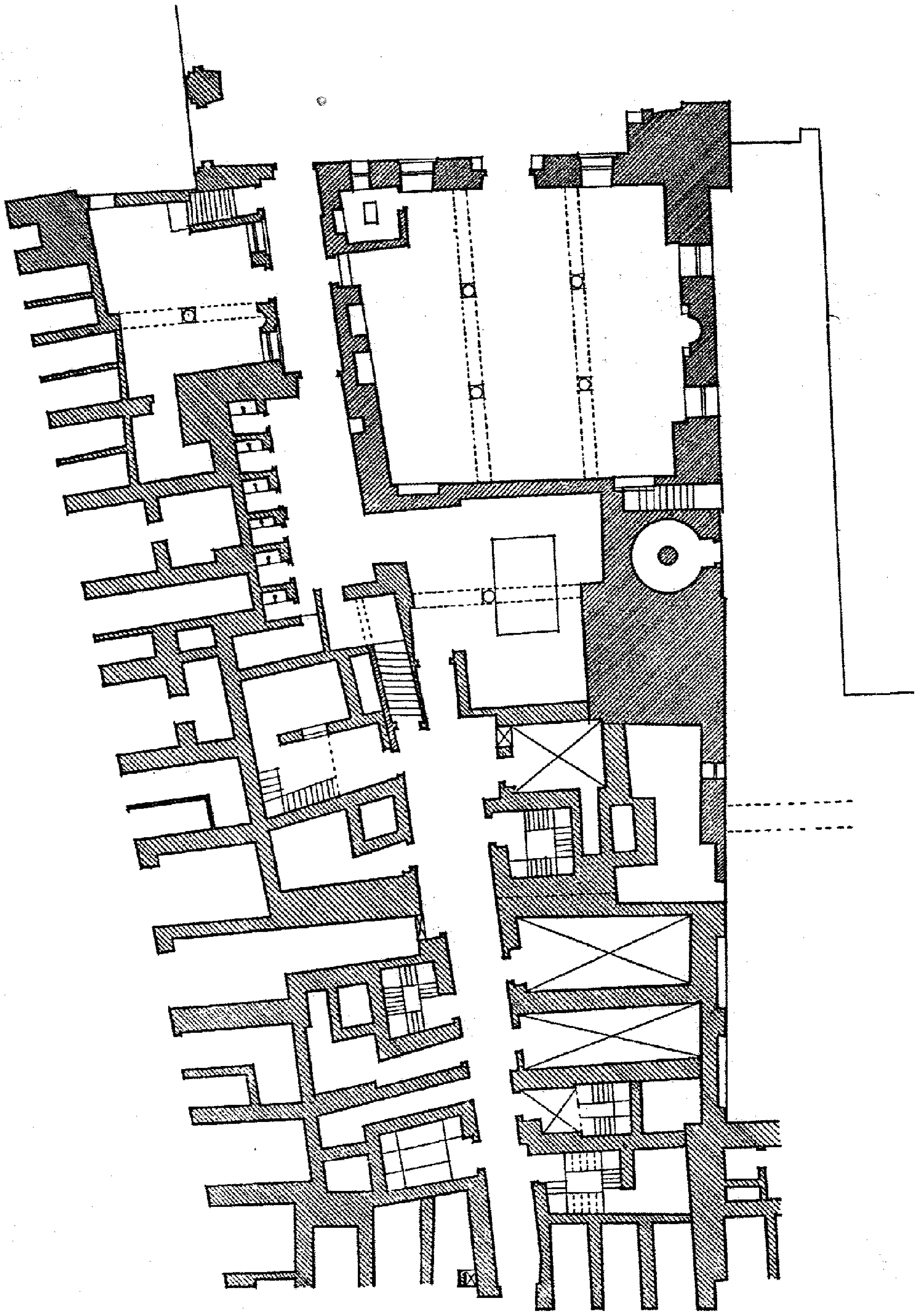

(شكل رقم ١٢) جامع الأزهر : الحوانيت ، الجانب الشمالي الغربي من الخارج قبل عام ١٨٩٦م
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

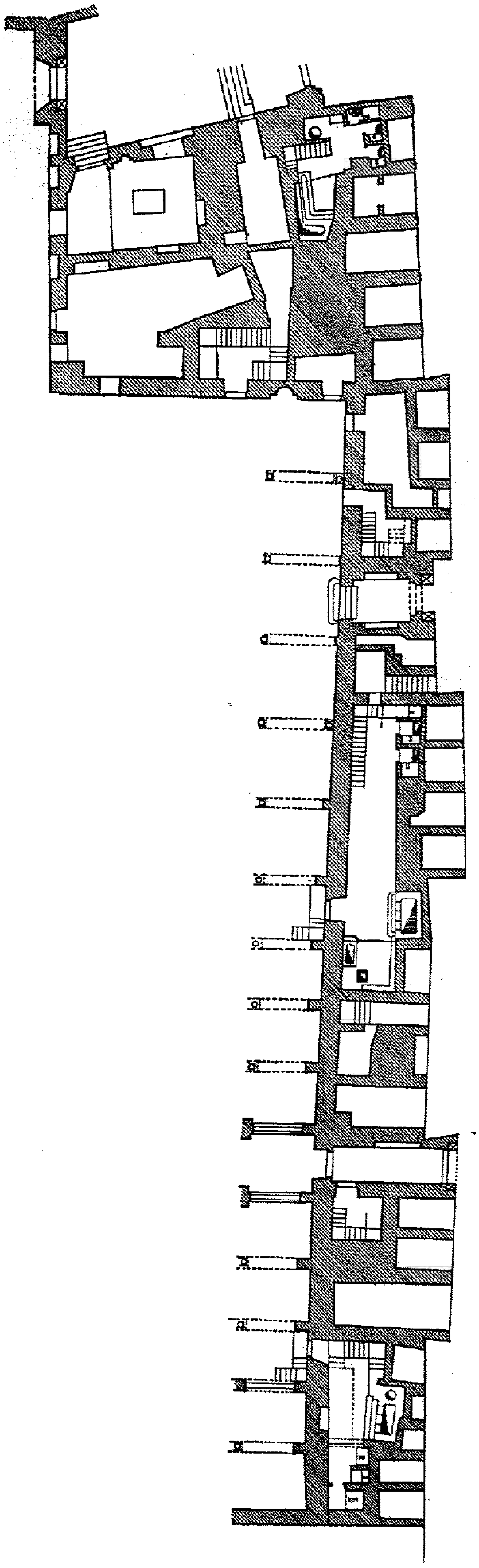

(شكل رقم ١٣) جامع الأزهر : الحوانيت . الواجهة الجنوبية الغربية من الخارج قبل عام ١٩٠١
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

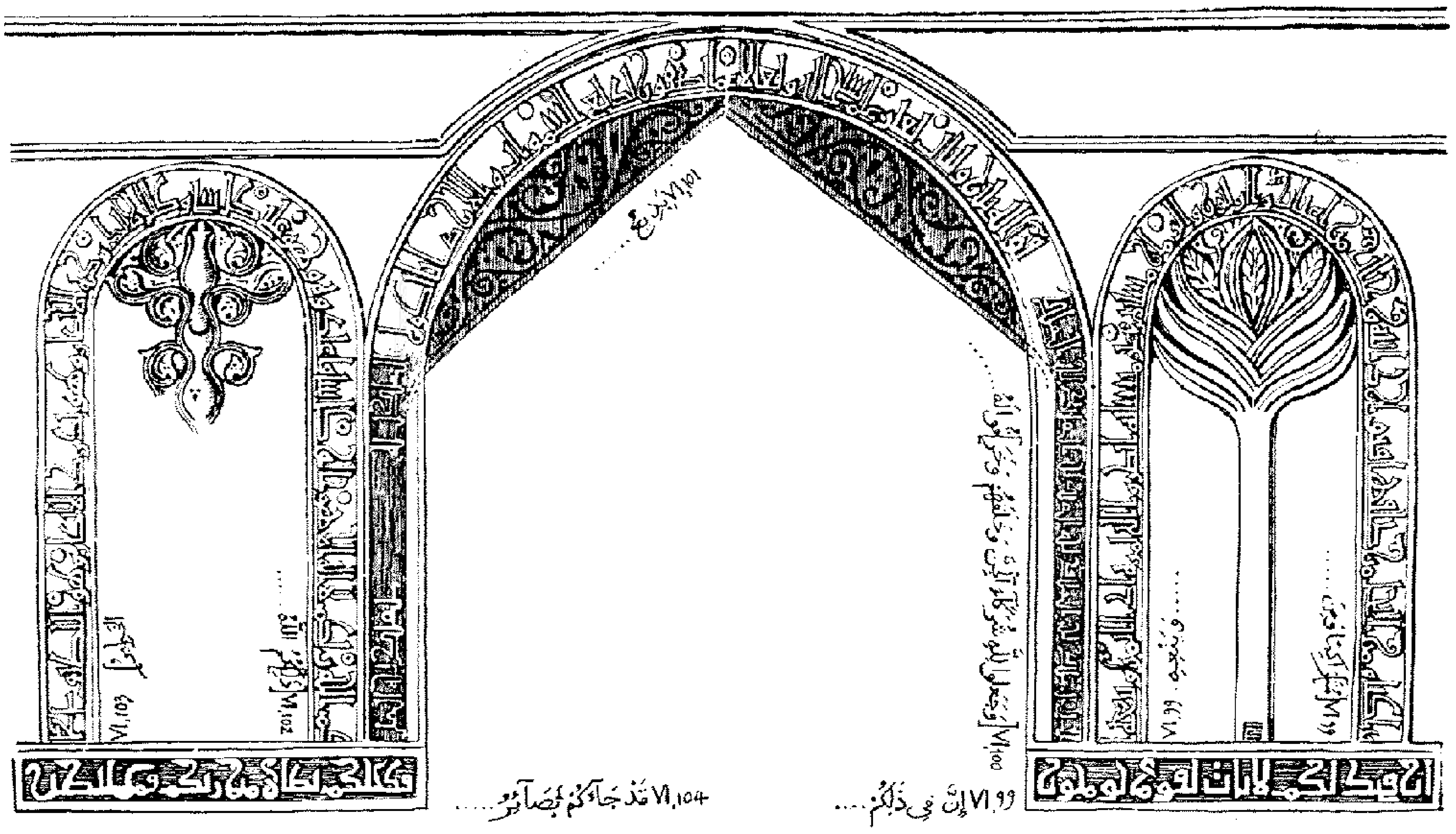

(شكل رقم ١٤) جامع الأزهر : (عن فلورى) .

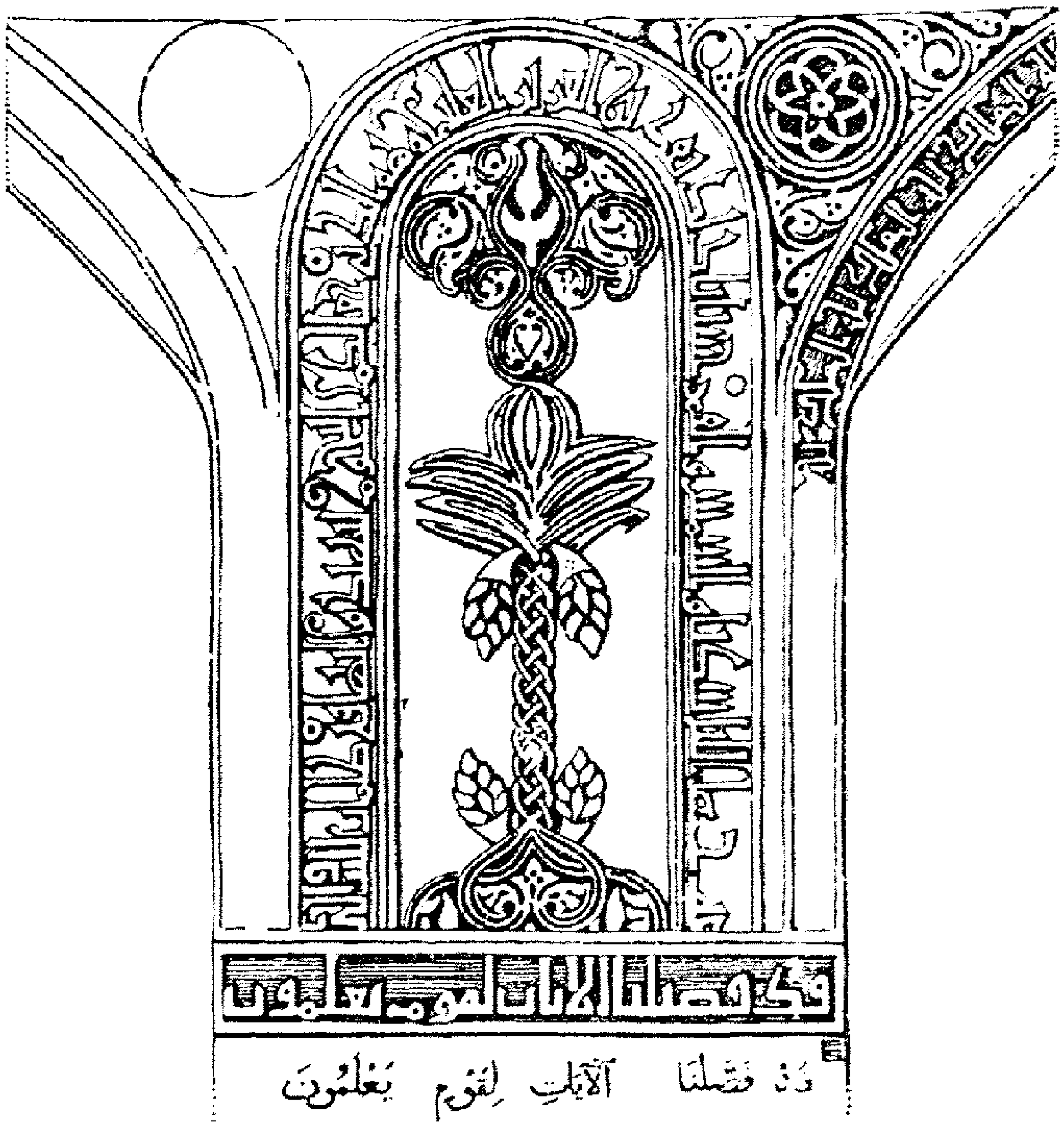

(شكل رقم ١٥) جامع الأزهر : (عن فلورى) .

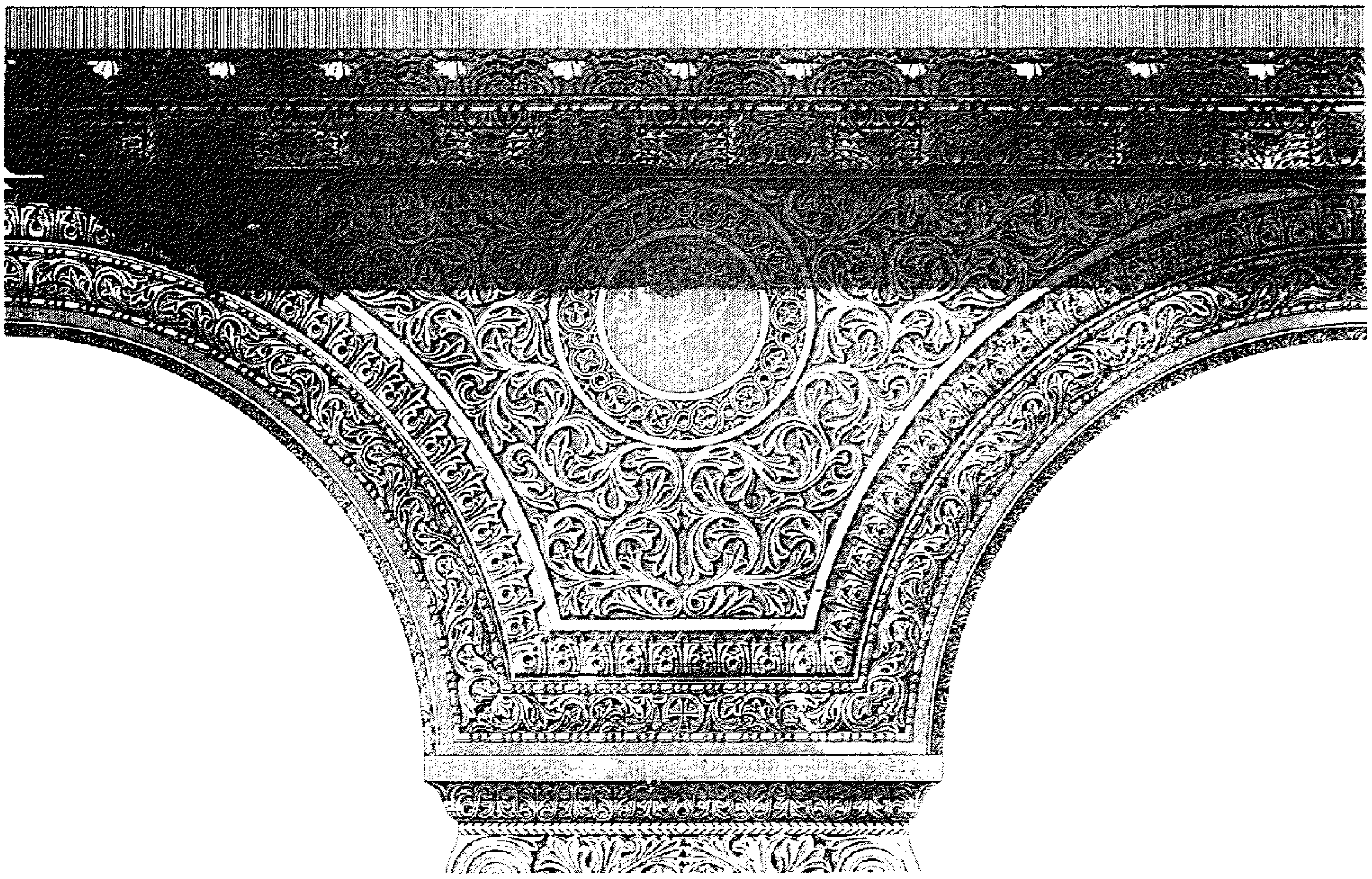

(شكل رقم ١٦) آياصوفيا : زخرفة كوشة العقد : (عن سلزينبرج ، لوحة ٢١٥) .

(شكل رقم ١٧) جامع الأزهر : زخرفة المجاز القاطع
(الرواق الأوسط العمودي أو البلاطة الوسطى العمودية)
قمة العقد الثاني إلى اليمين . (عن فلورى) .

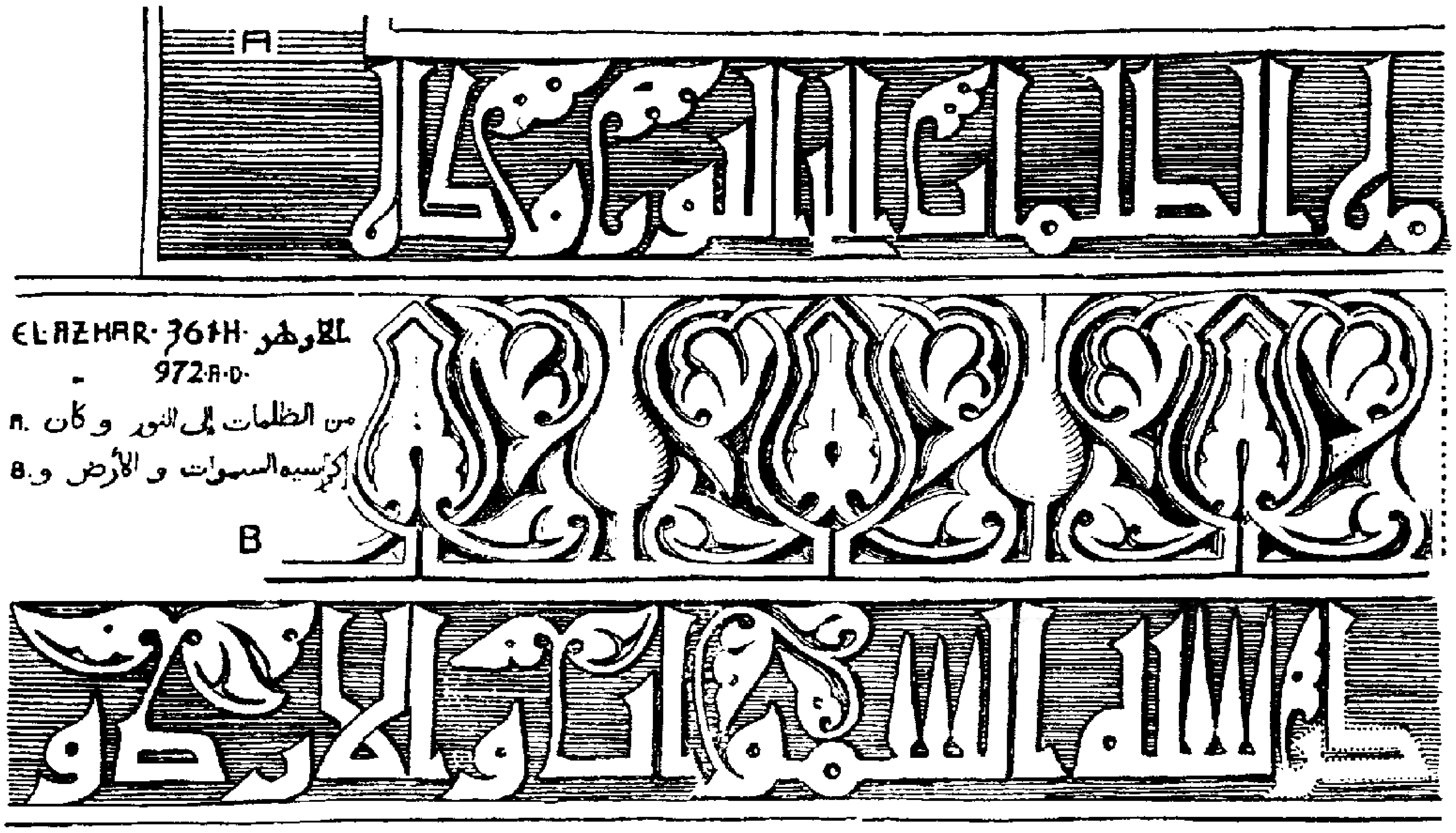

(شكل رقم ١٨) جامع الأزهر : زخرفة في النهاية الشمالية للرواق
(البلاطة) الرابع من جدار القبلة (عن فلورى) .

(شكل رقم ١٩) جامع الأزهر : زخرفة في النهاية الشمالية للرواق
(البلاطة) الثالث من جدار القبلة (عن فلورى) .

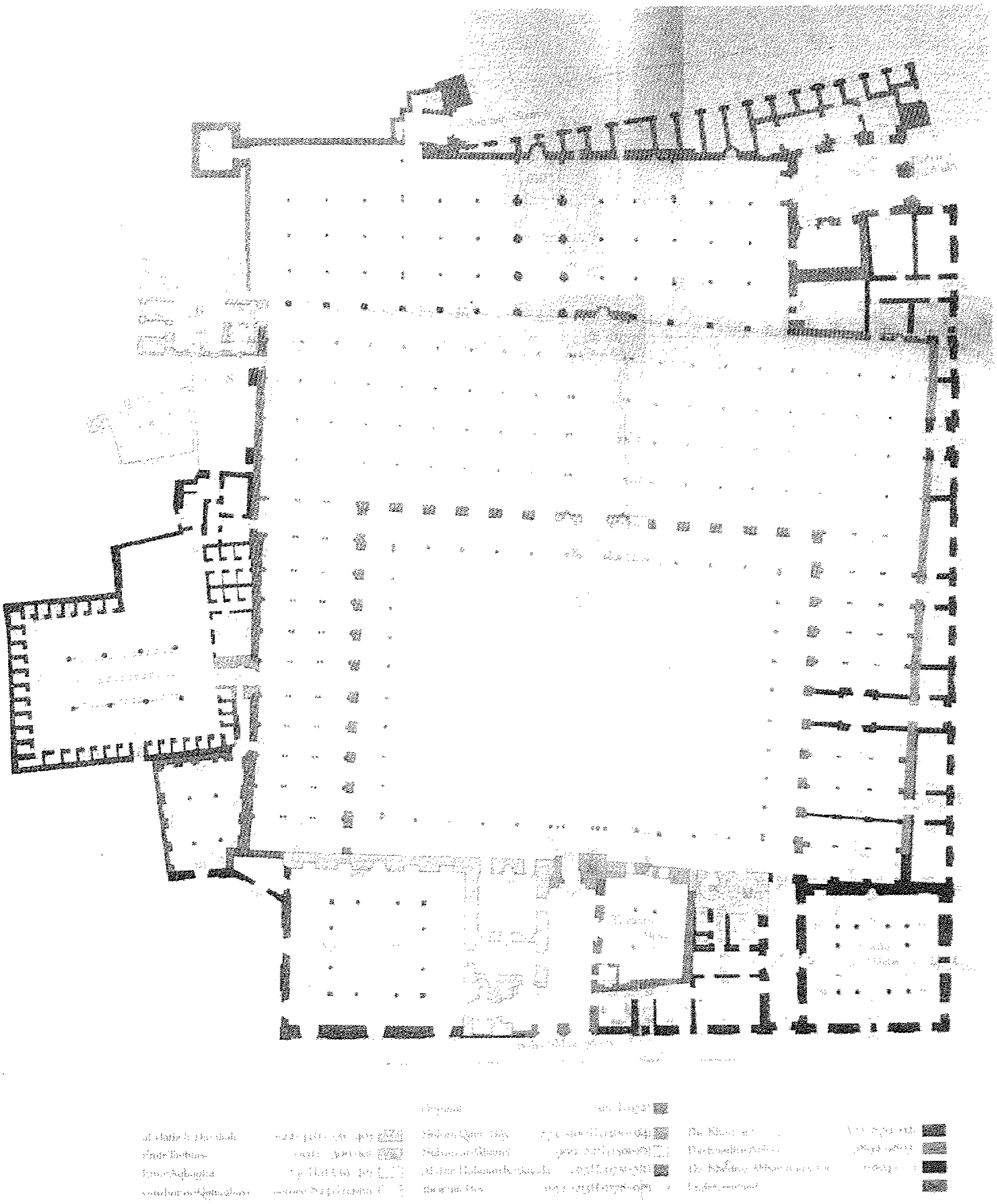

(شكل رقم ٢٠) الجامع الأزهر : مسقط يبين المراحل التاريخية المتعاقبة .

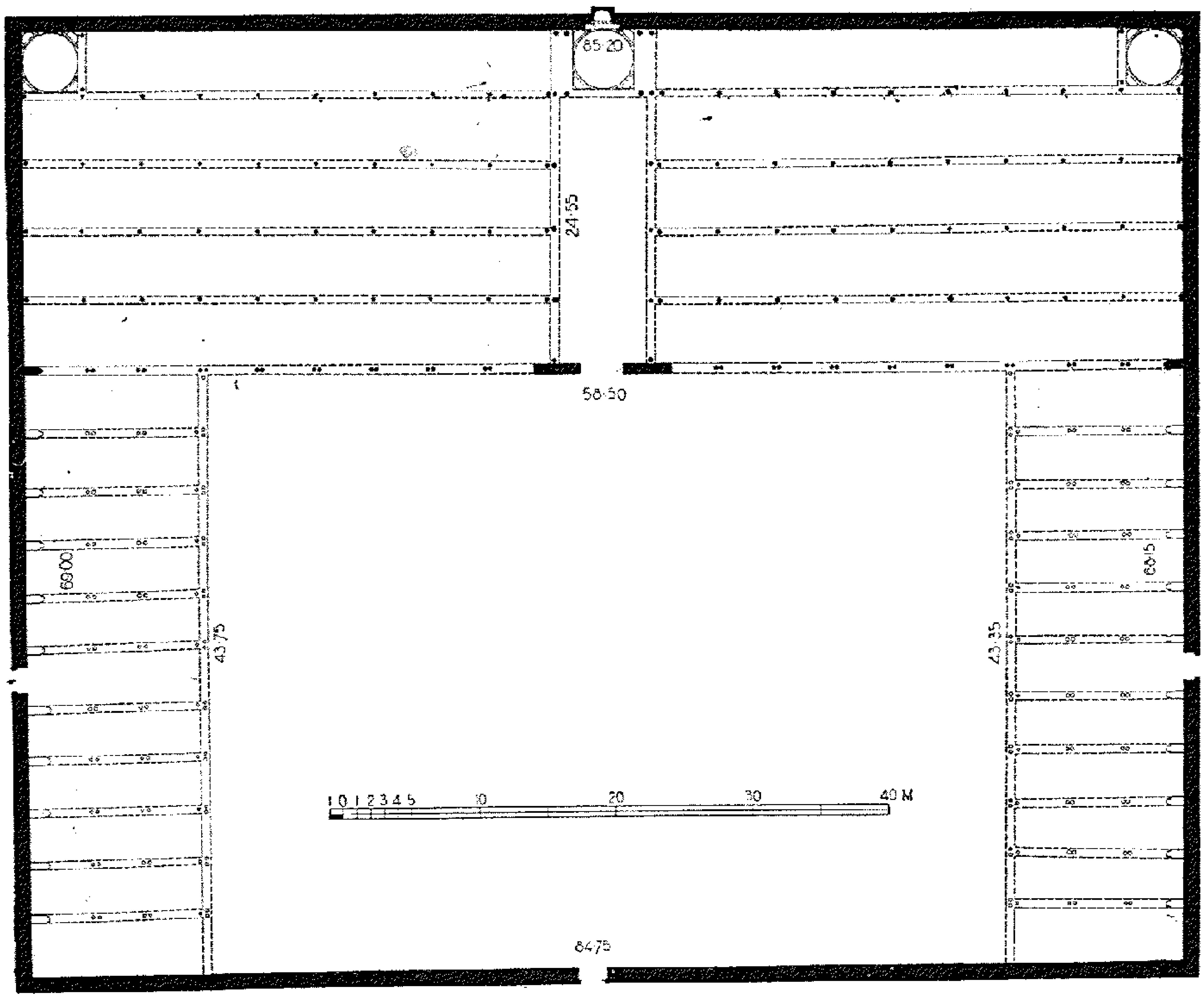

(شكل رقم ٢١) جامع الأزهر : مسقط أفقي للمسجد الفاطمي الأصلي
(مشروع رسم تخطيطي مقترح) .

(شكل رقم ٢٢) فاس : جامع القرويين ، منظر عام (عن مارسيه) .

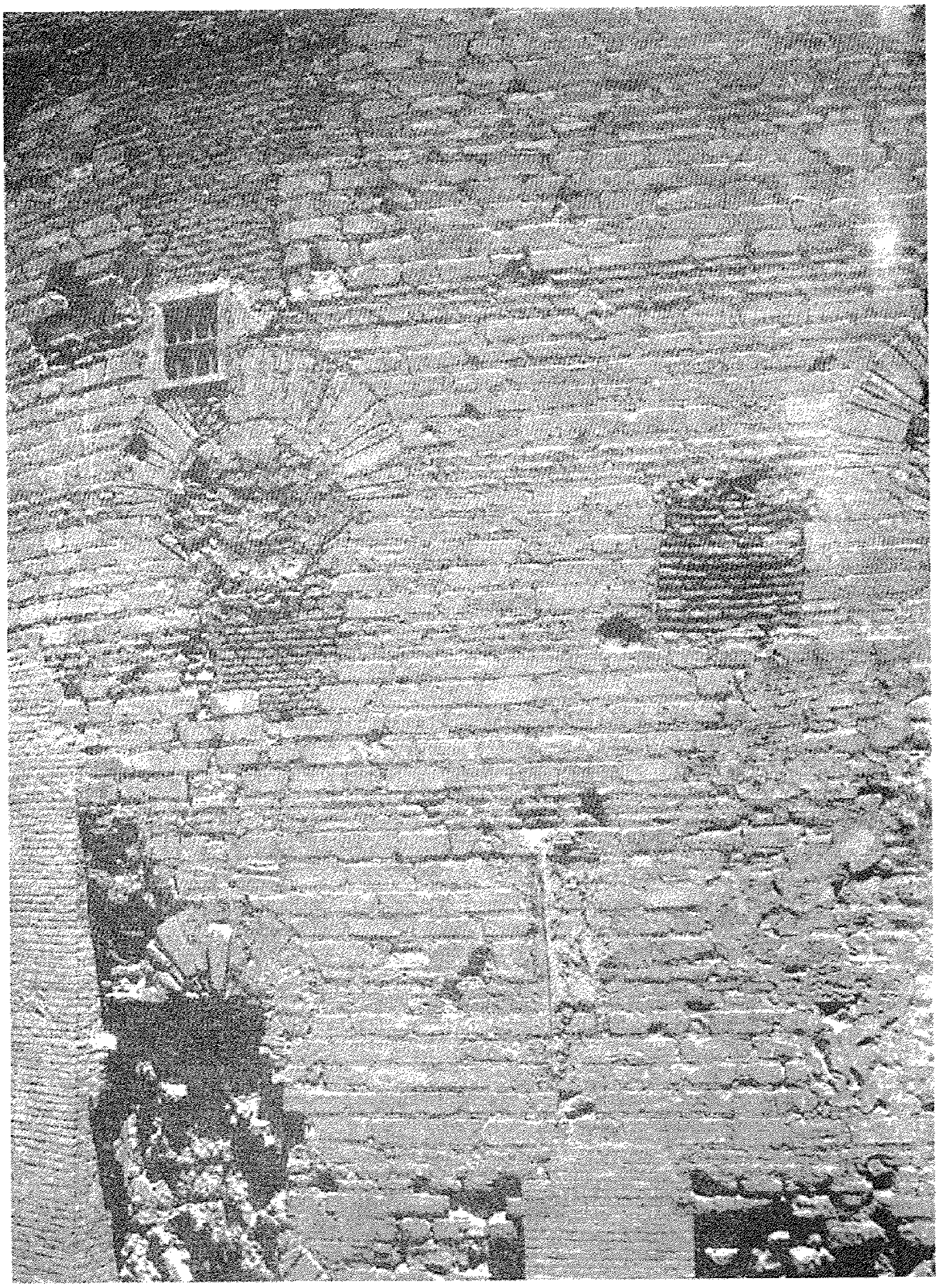

(شكل رقم ٢٣) القاهرة القديمة (حي مصر القديمة) : قصر الشمع . طريقة البناء .

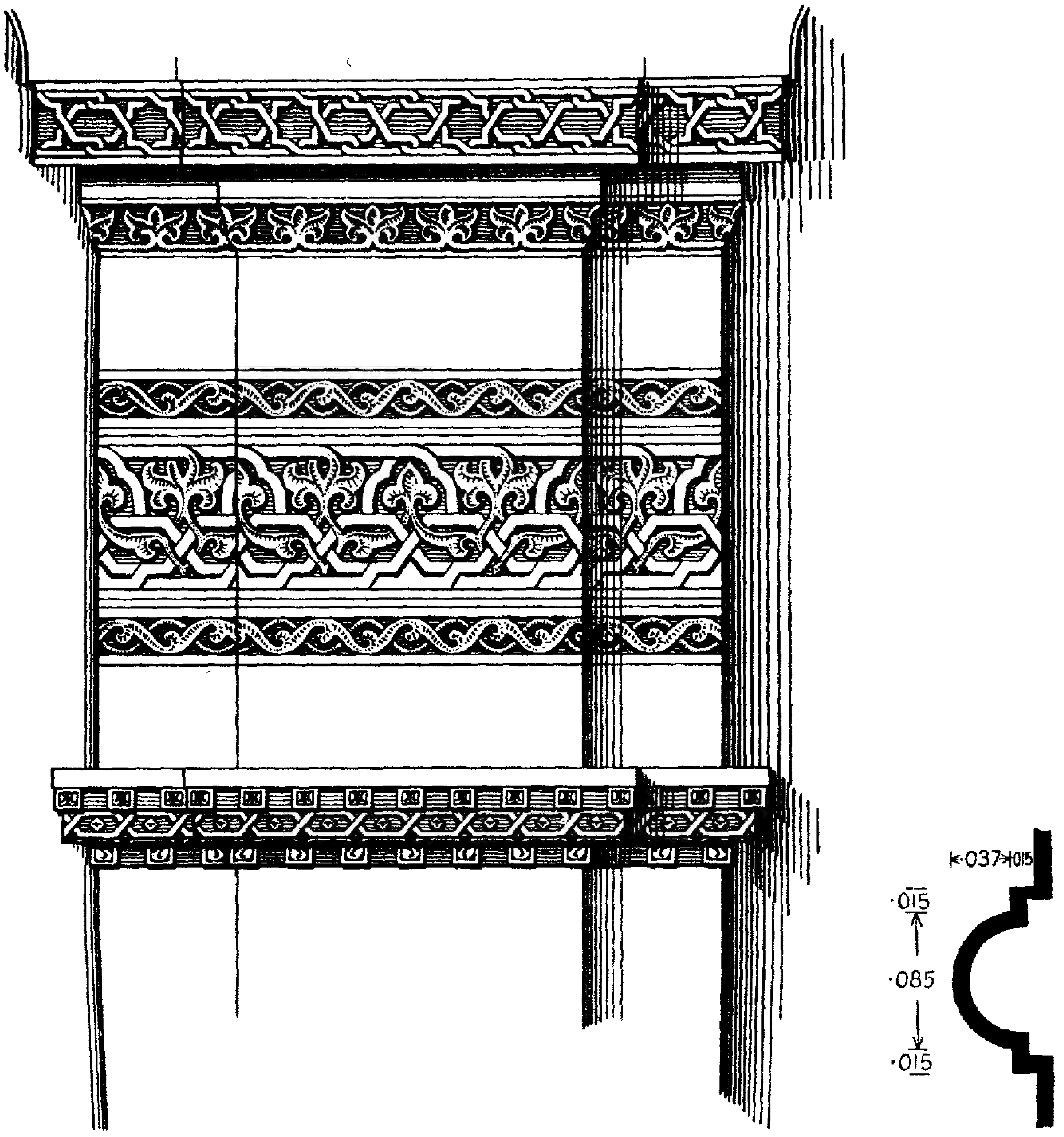

(a) (b)

(شكل رقم ٢٤) جامع الحاكم : الجانب الشمالي للمدخل التذكاري (A)
زخرفة هندسية في الحشوة اليسرى
(رسم يوسف محمد خليل) (B) حلية القاعدة .

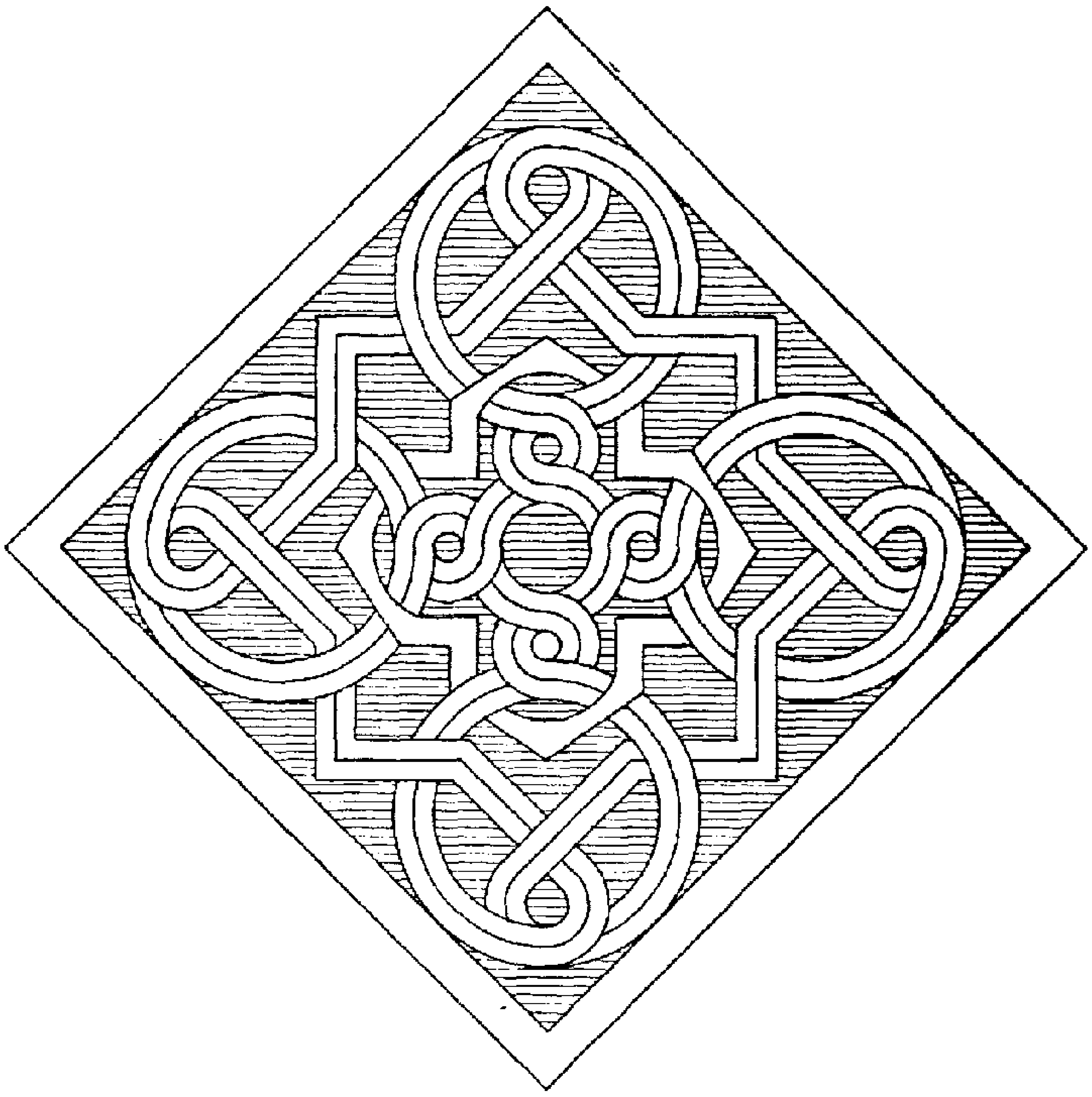

(شكل رقم ٢٥) جامع الحاكم : زخرفة في حشوة على جانب المدخل التذكاري .

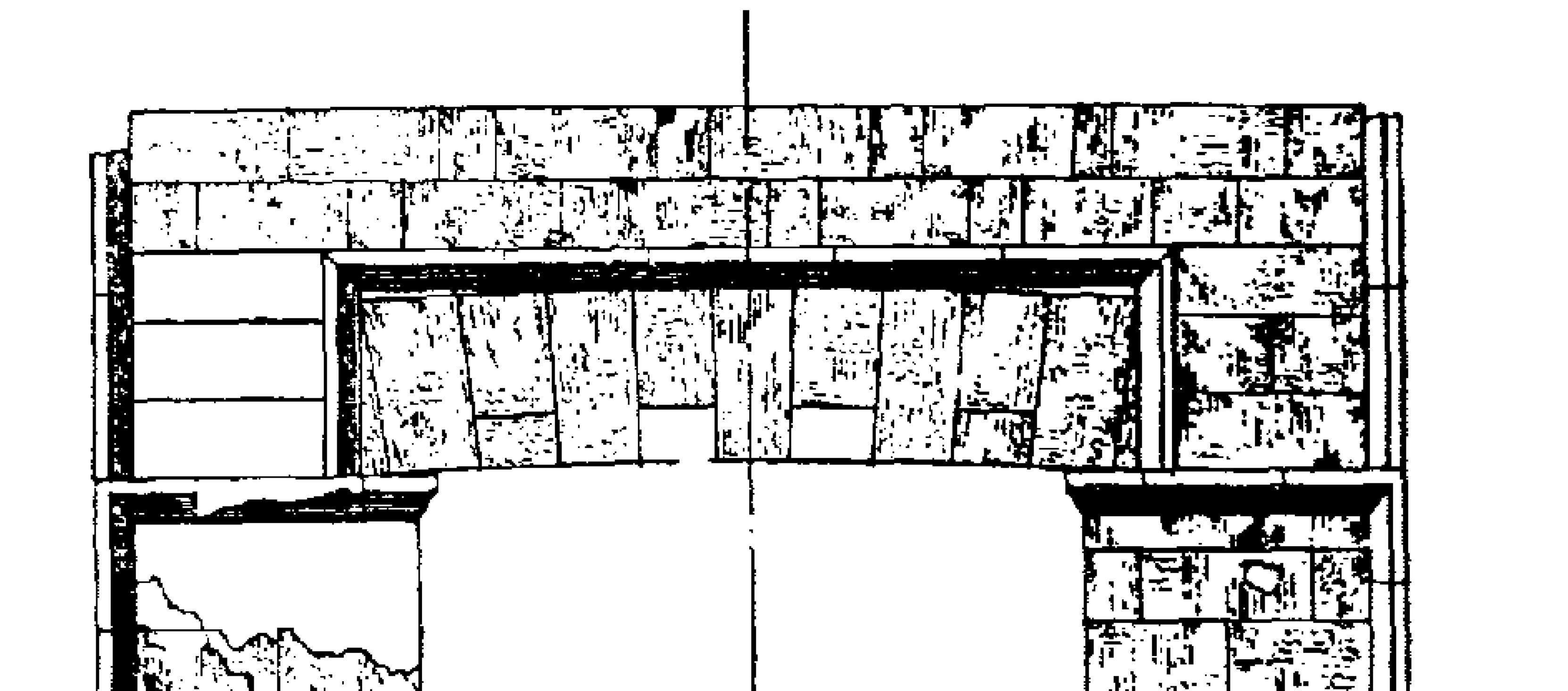

(شكل رقم ٢٦) جامع الحاكم : المدخل الأصغر (الثانوى) في الواجهة الشمالية الغربية .

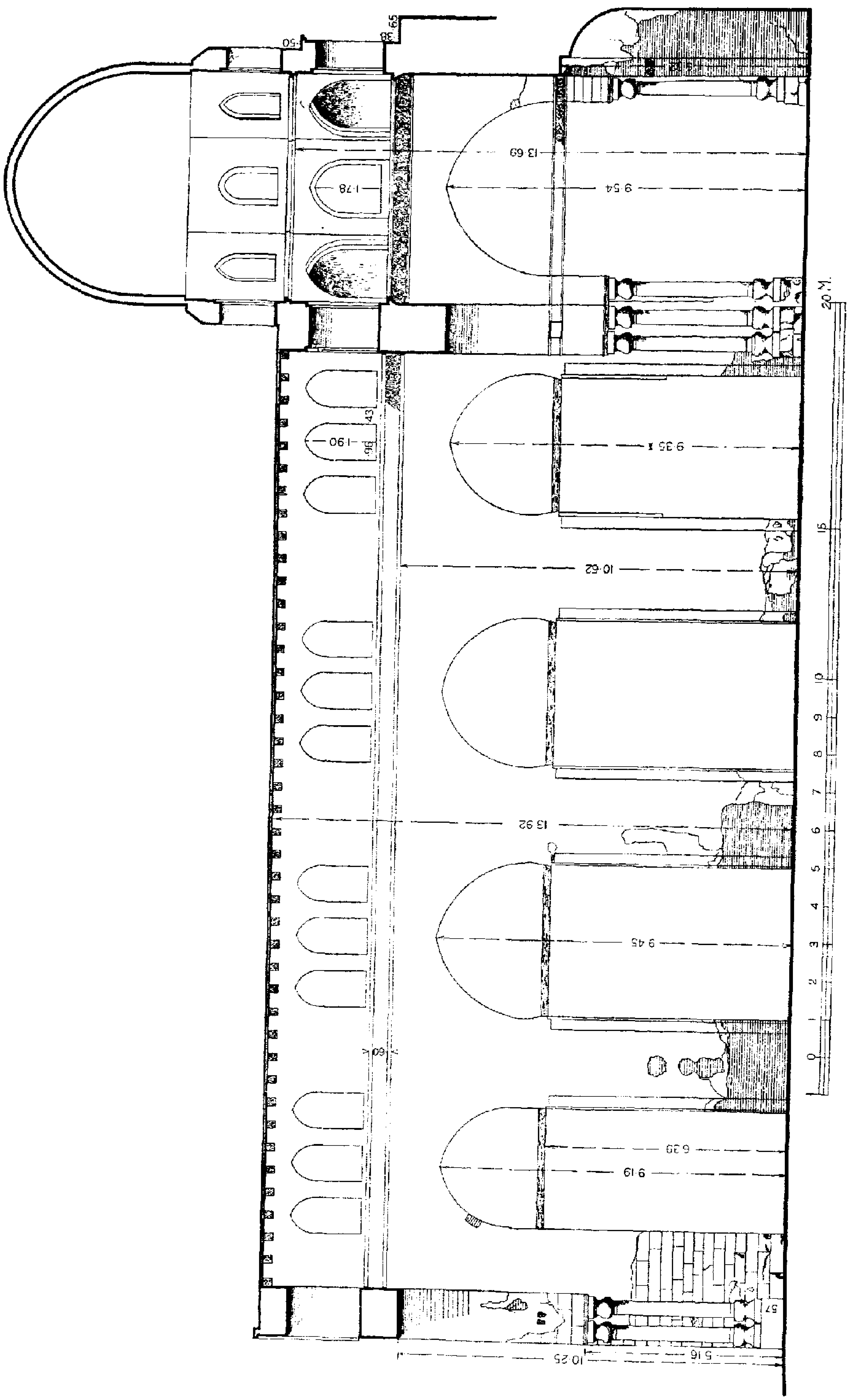

(شكل رقم ٢٧) جامع الحاكم : قطاع في المجاز القاطع

(الرواق الأوسط العمودي أو البلاطة الوسطى العمودية) (رسم فريد شافعي) .

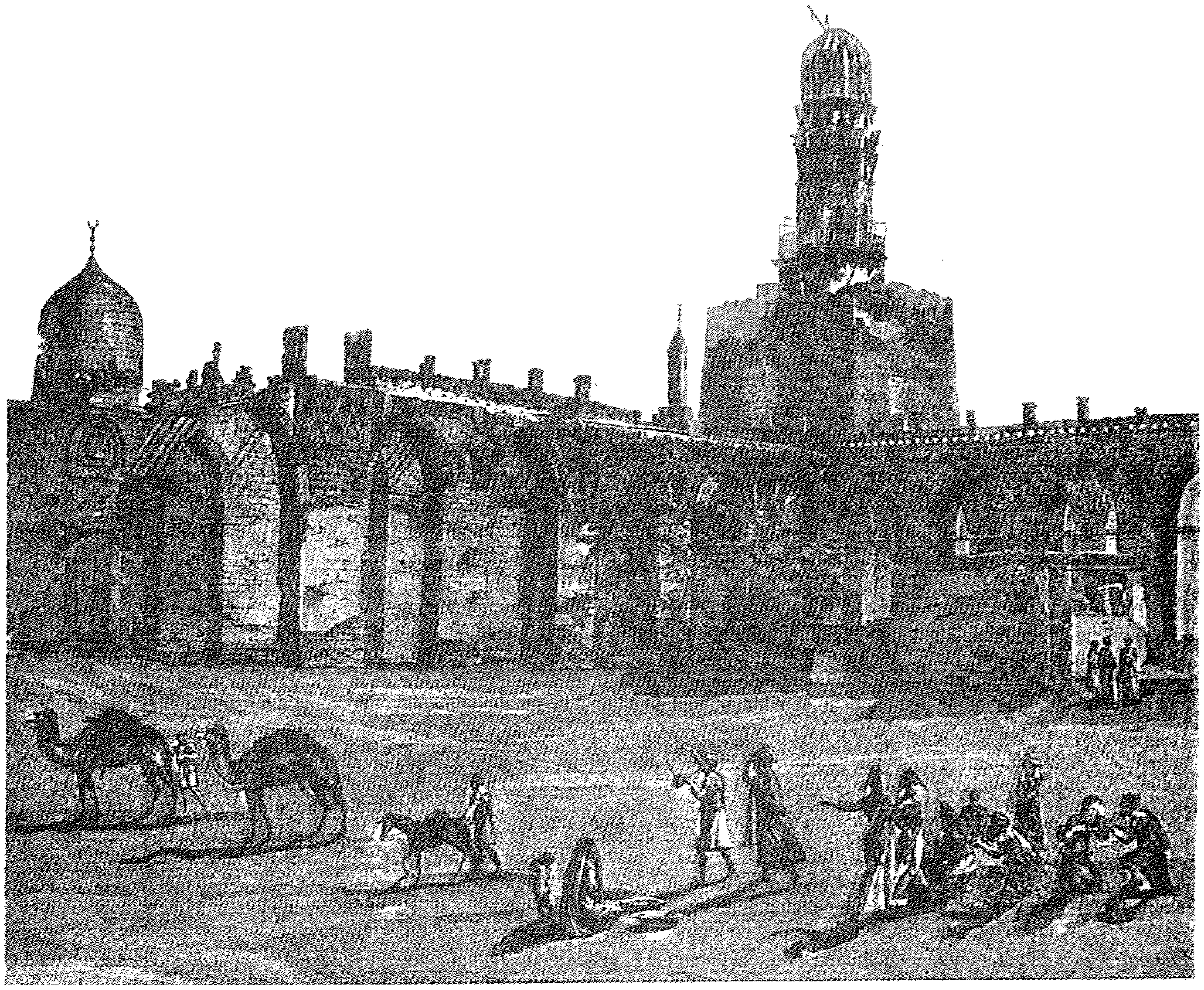

(شكل رقم ٢٨) جامع الحاكم : منظر داخلي (جهة الشمال) .
(عن وصف مصر . الدولة الحديثة) .

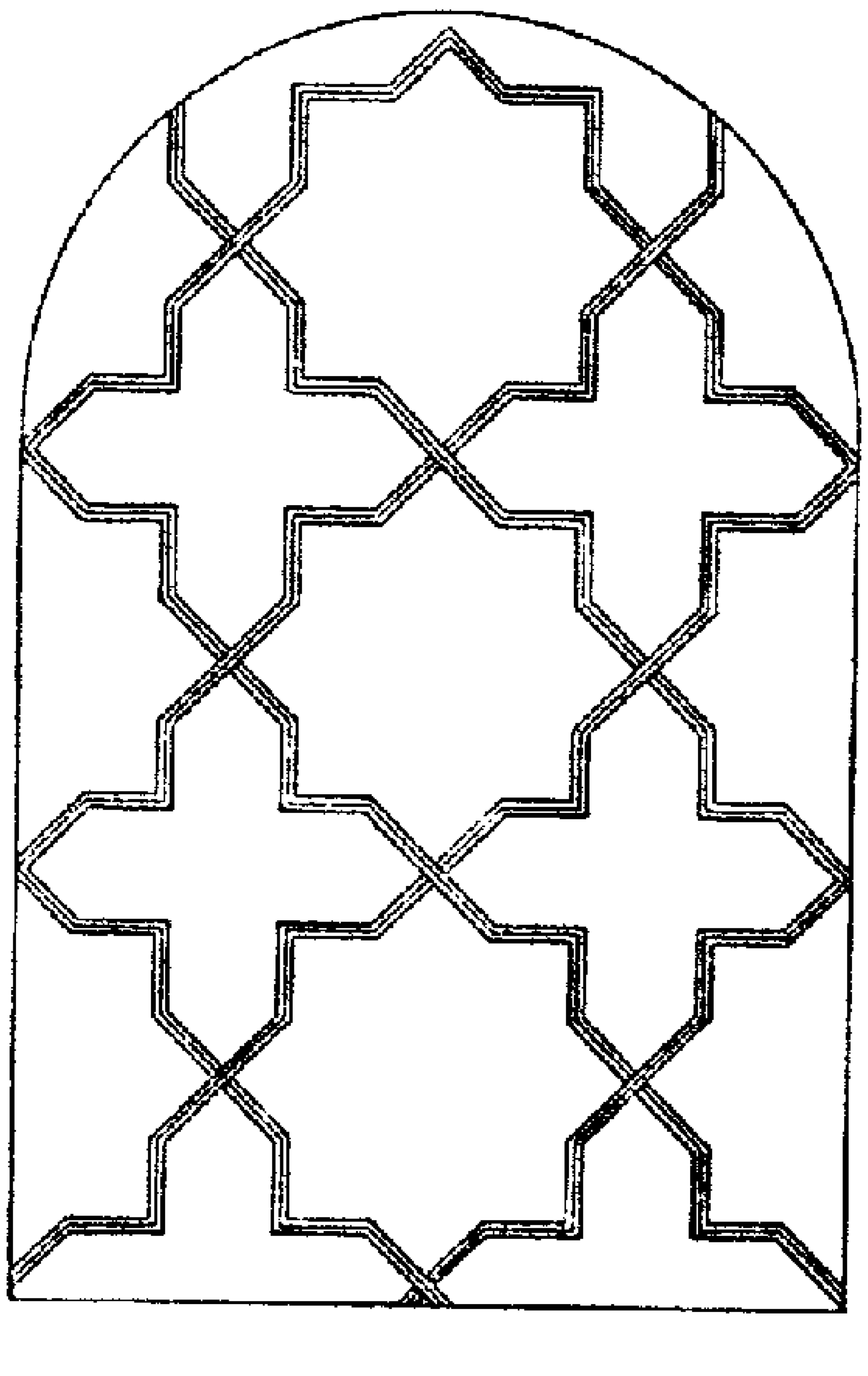

(شكل رقم ٢٩) جامع الحاكم : إعادة تصميم الزخارف المفرغة
للنافذة الثانية على يسار المحراب .

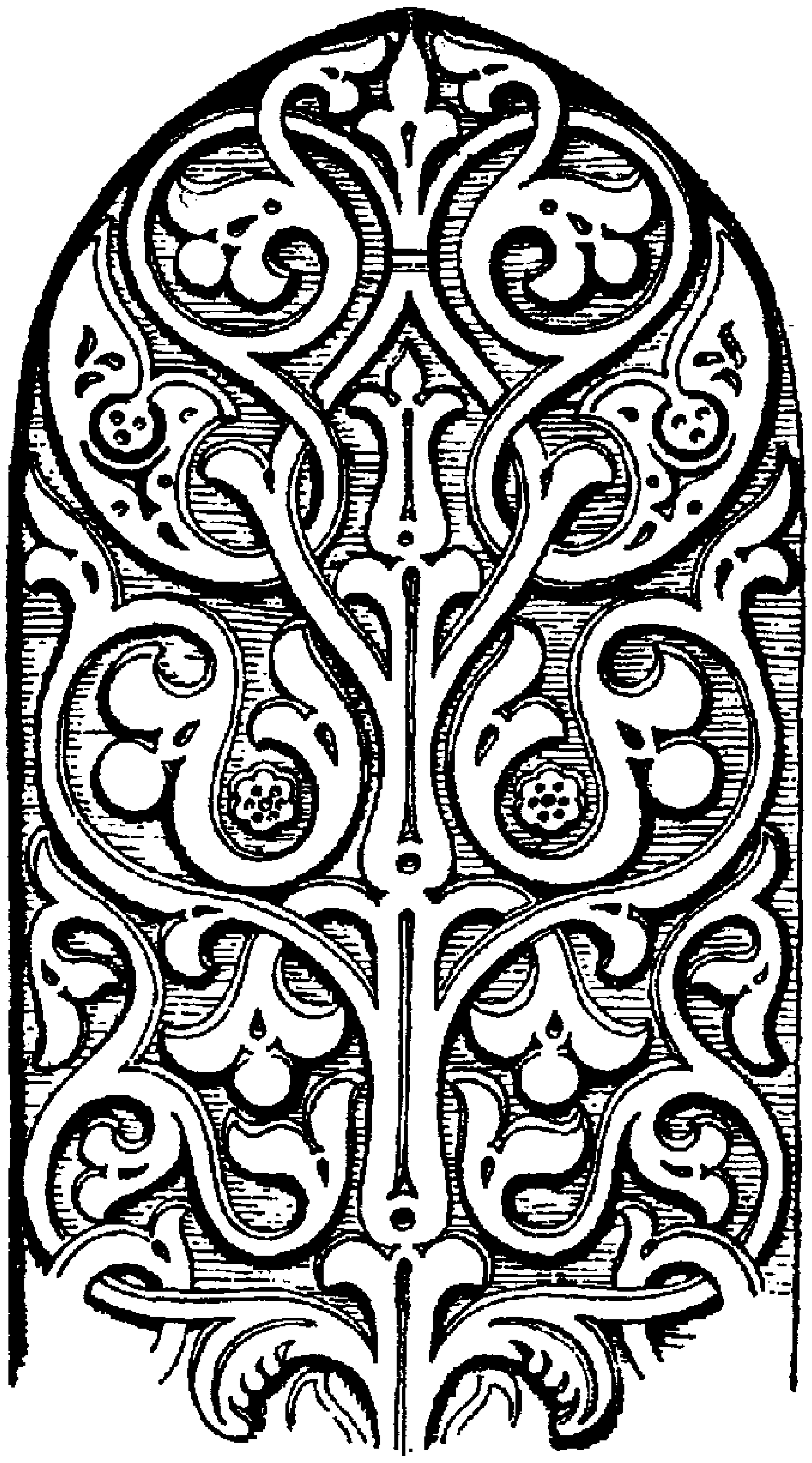

(شكل رقم ٣٠) جامع الحاكم : حشوة من الزخرفة الجصية في أساس القبة في نهاية المجاز القاطع (الرواق الأوسط العمودي) (عن فلوري) .

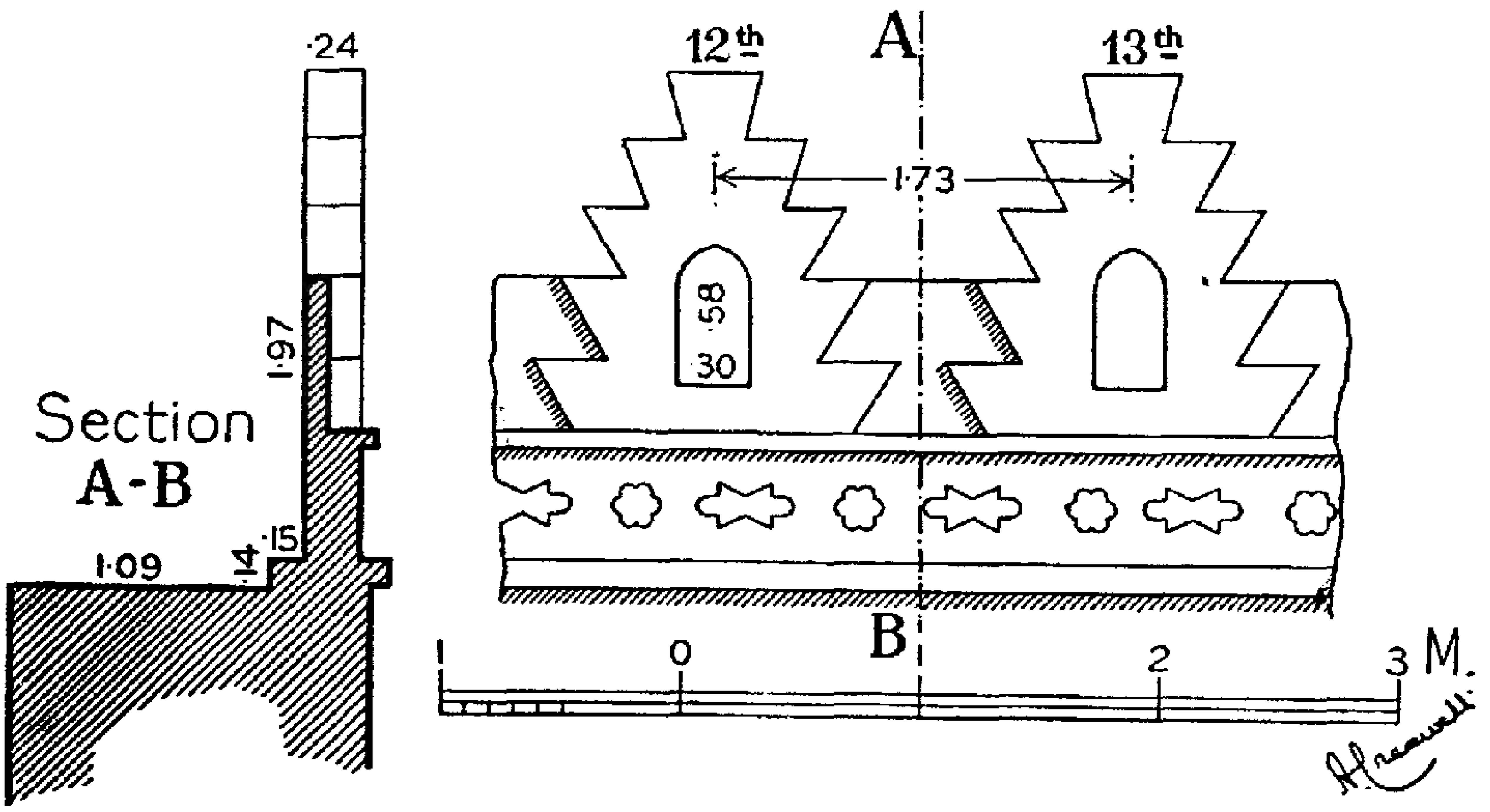

(شكل ٣١) جامع الحاكم : شرافات الواجهة الشمالية الغربية .

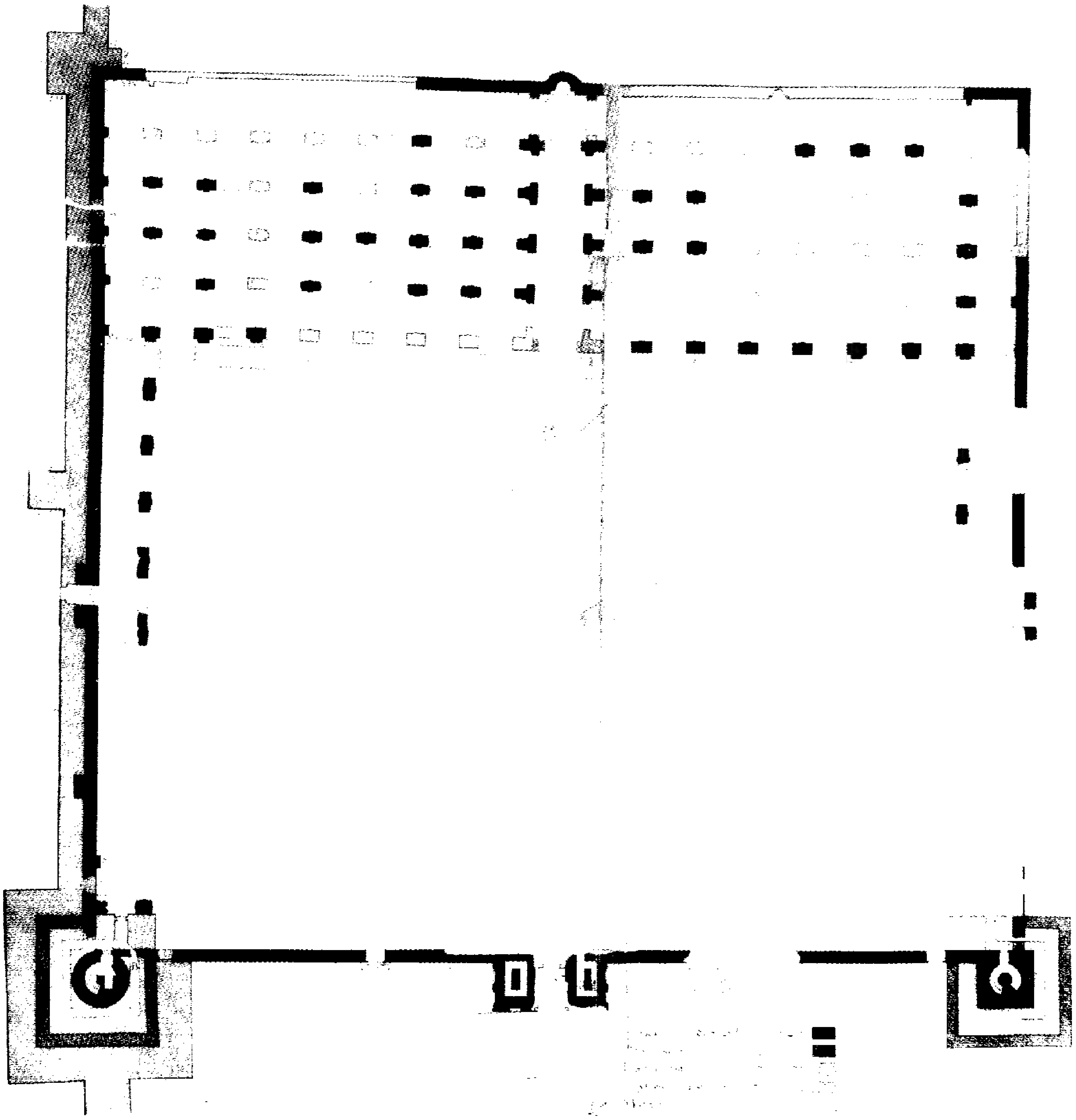

(شكل ٣٢) جامع الحاكم : مسقط أفقي .

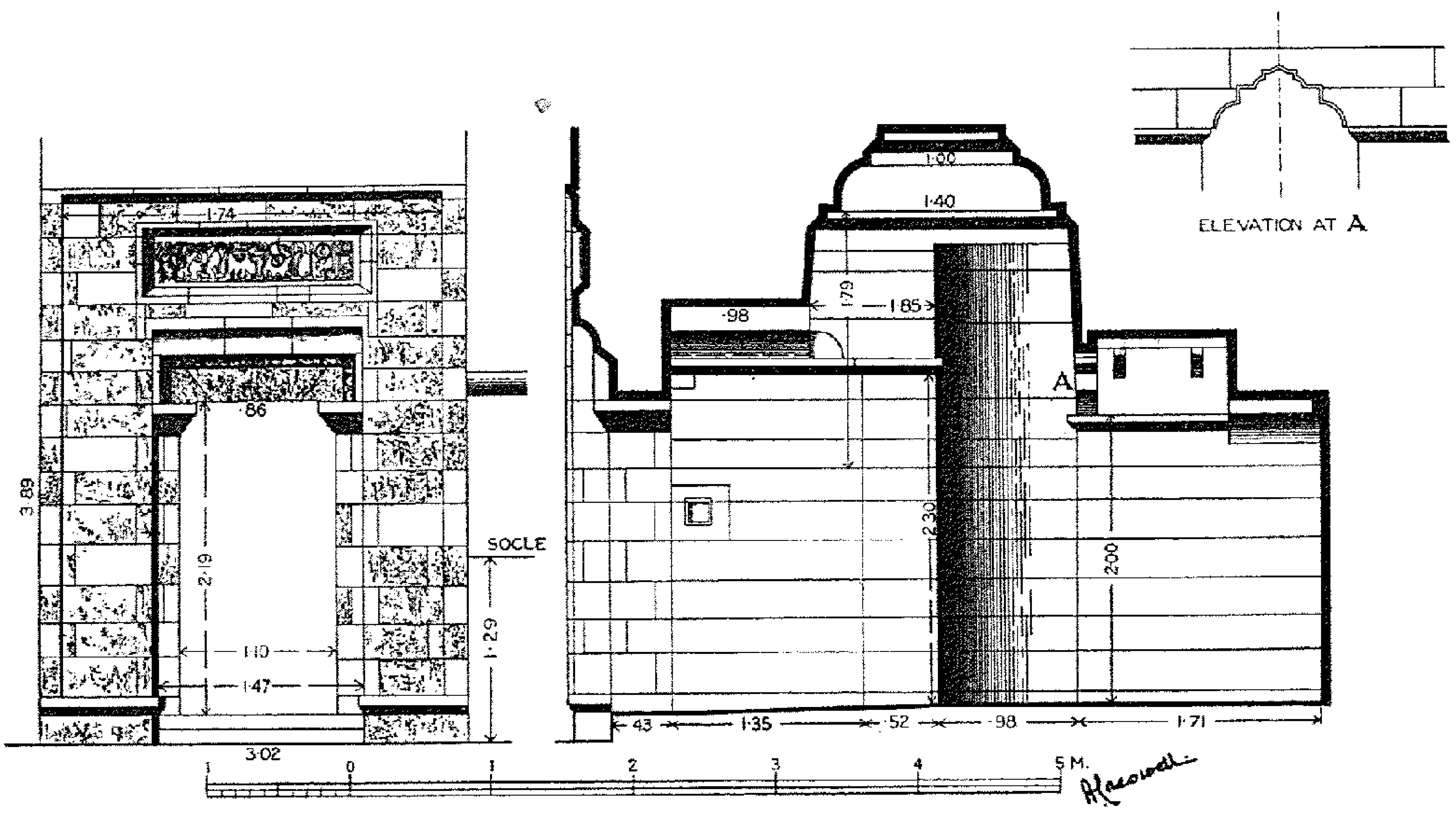

(شكل ٣٣) جامع الحاكم : مدخل سلم المئذنة الشمالية .

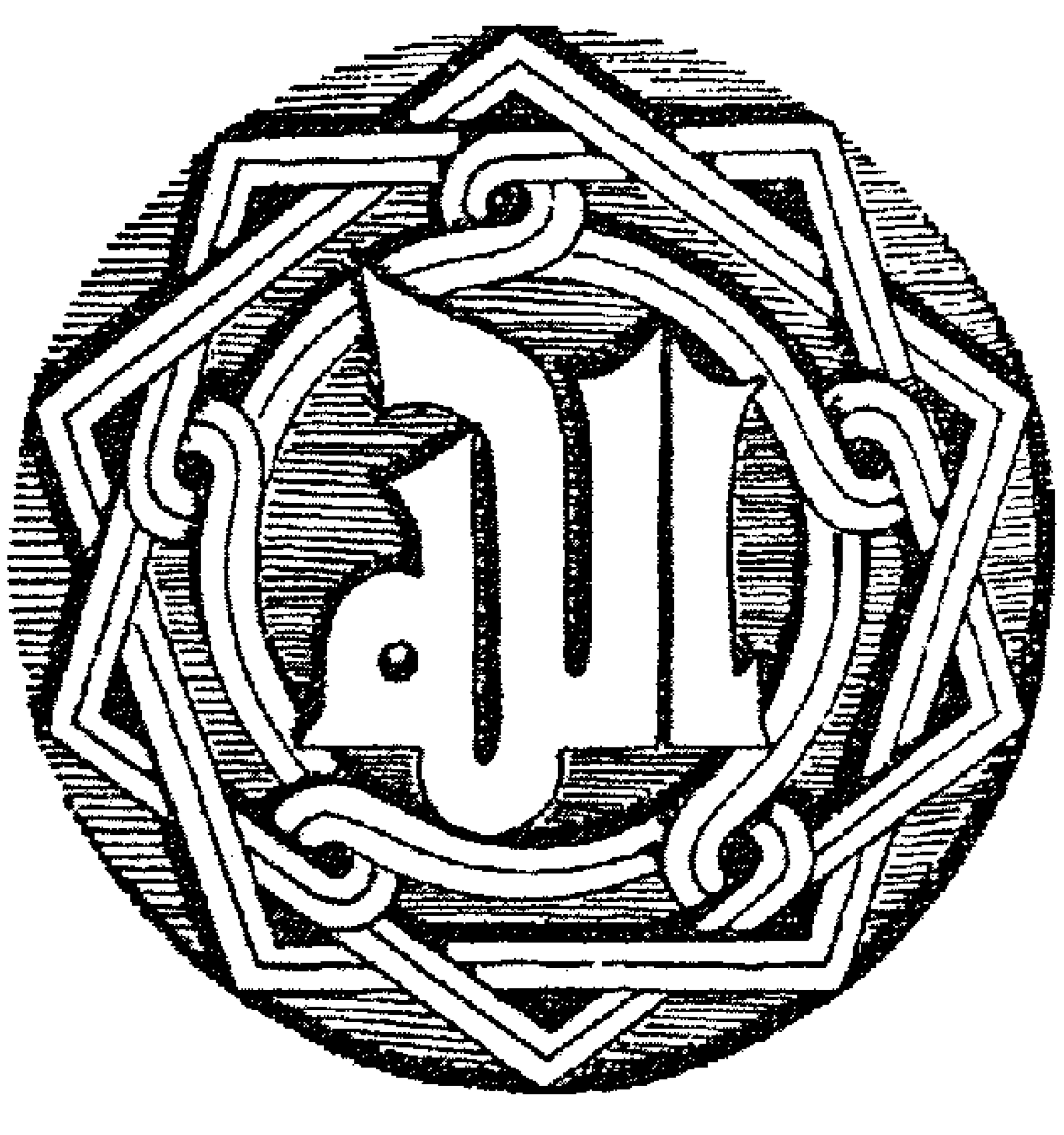

(شكل ٣٤) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية :
جامة في الجانب الشمالي الشرقي من القاعدة
(عن فلوري) .

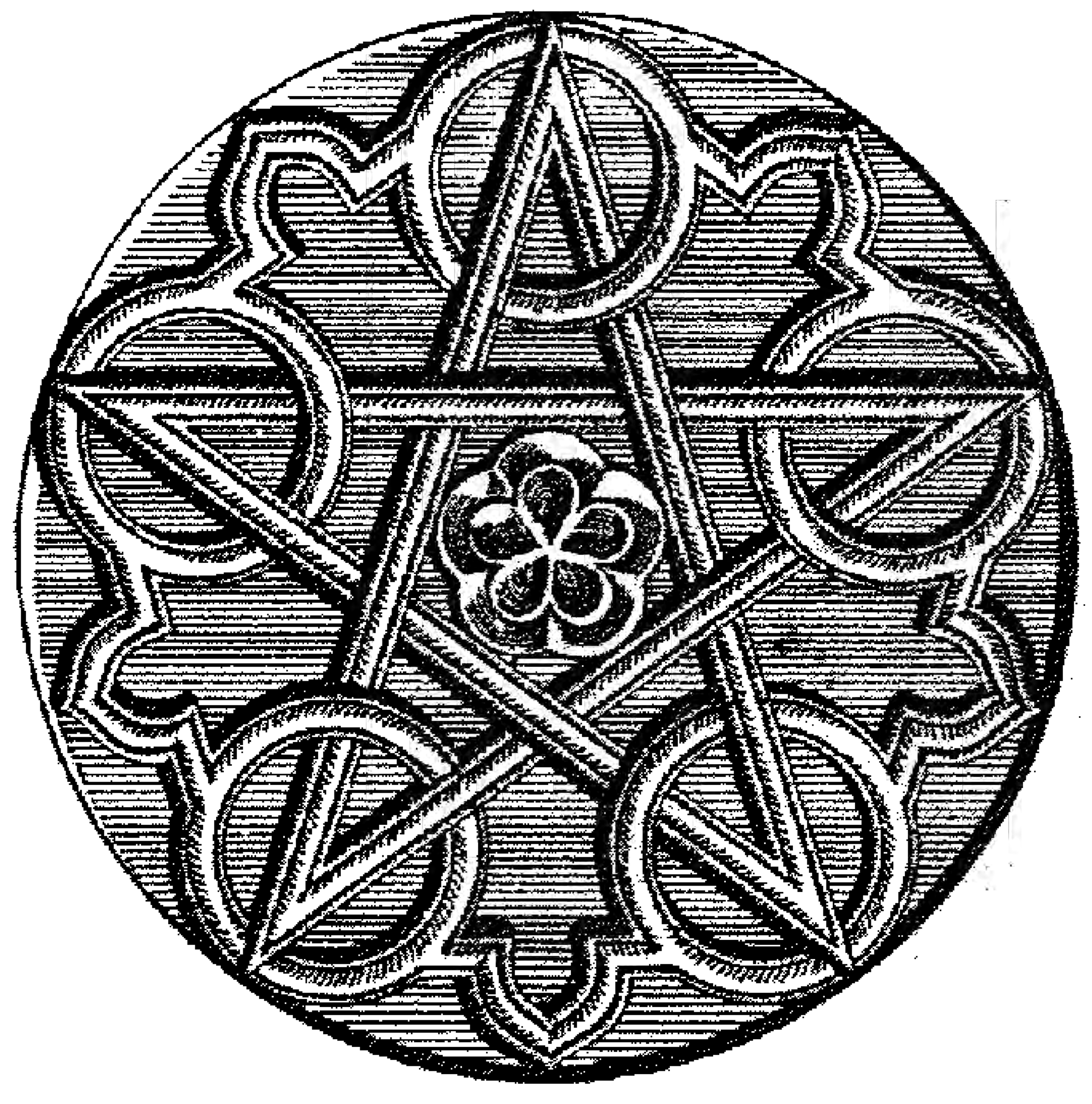

(شكل ٣٥) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية :
جامة في الجنوبي الغربي .

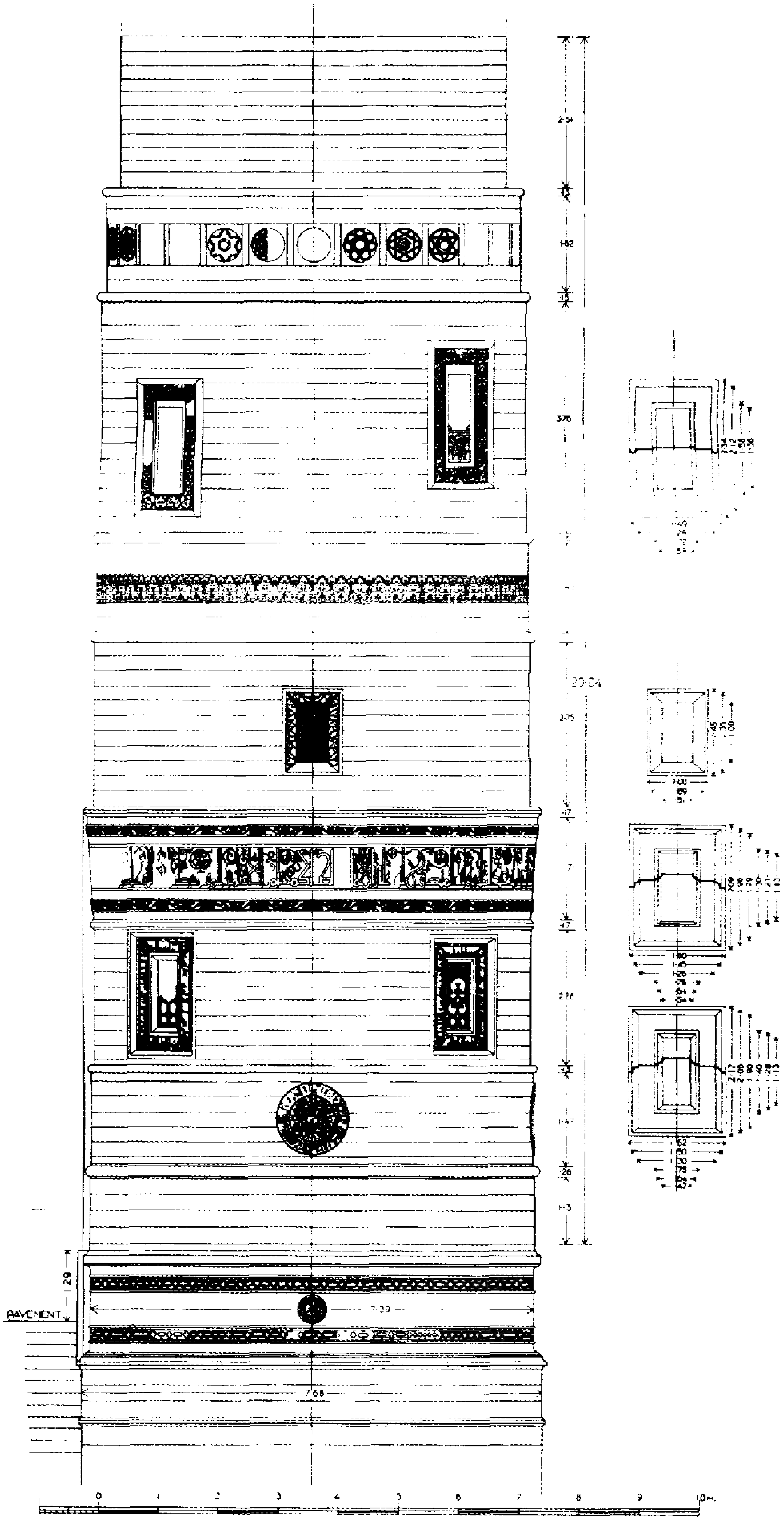

(شكل ٣٦) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية :
(المقاسات والرسم : كريزول ، الزخرفة : ميلنيكوف) .

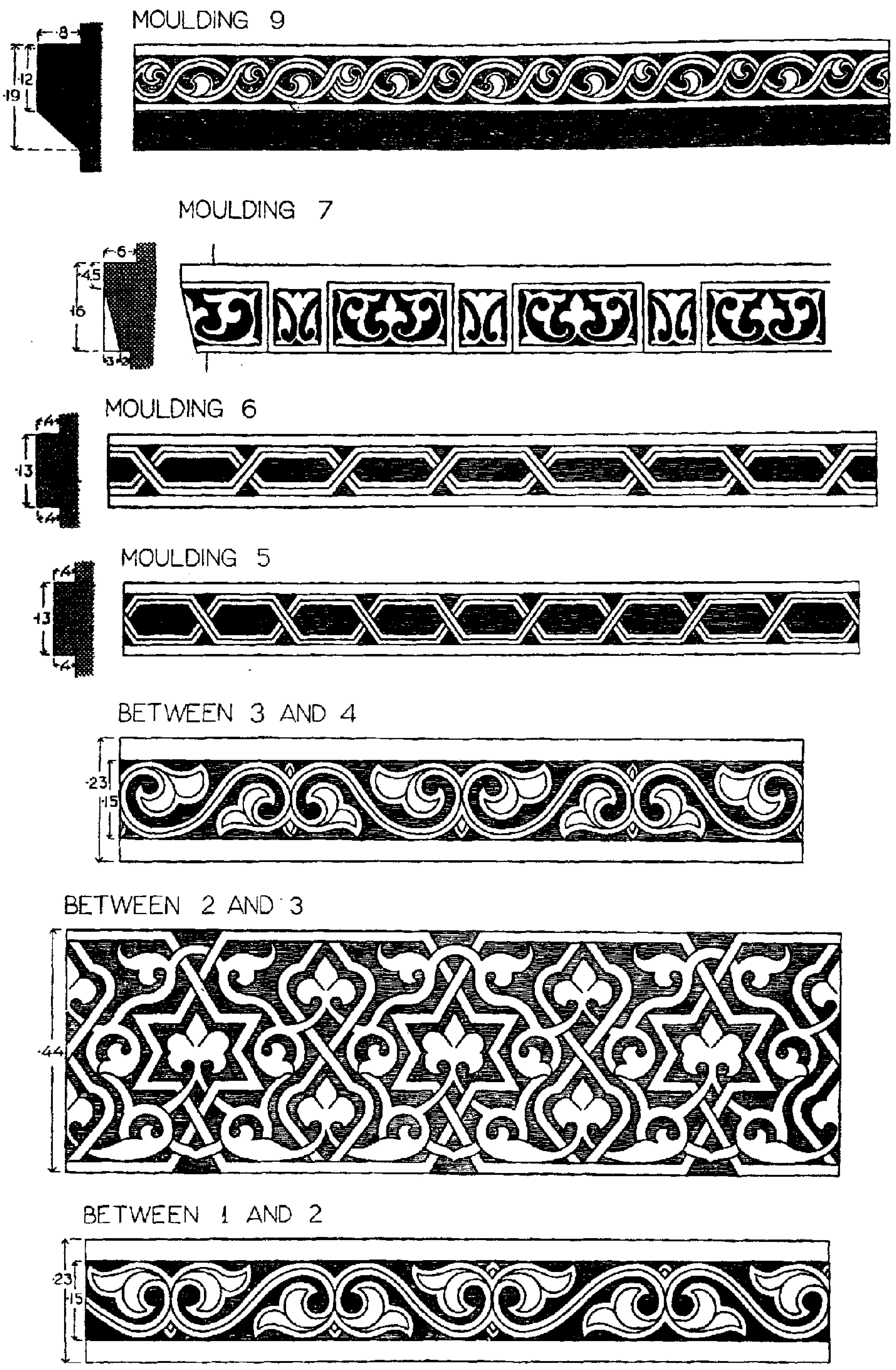

(شكل ٣٧) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية (رسم ميلنيكوف) .

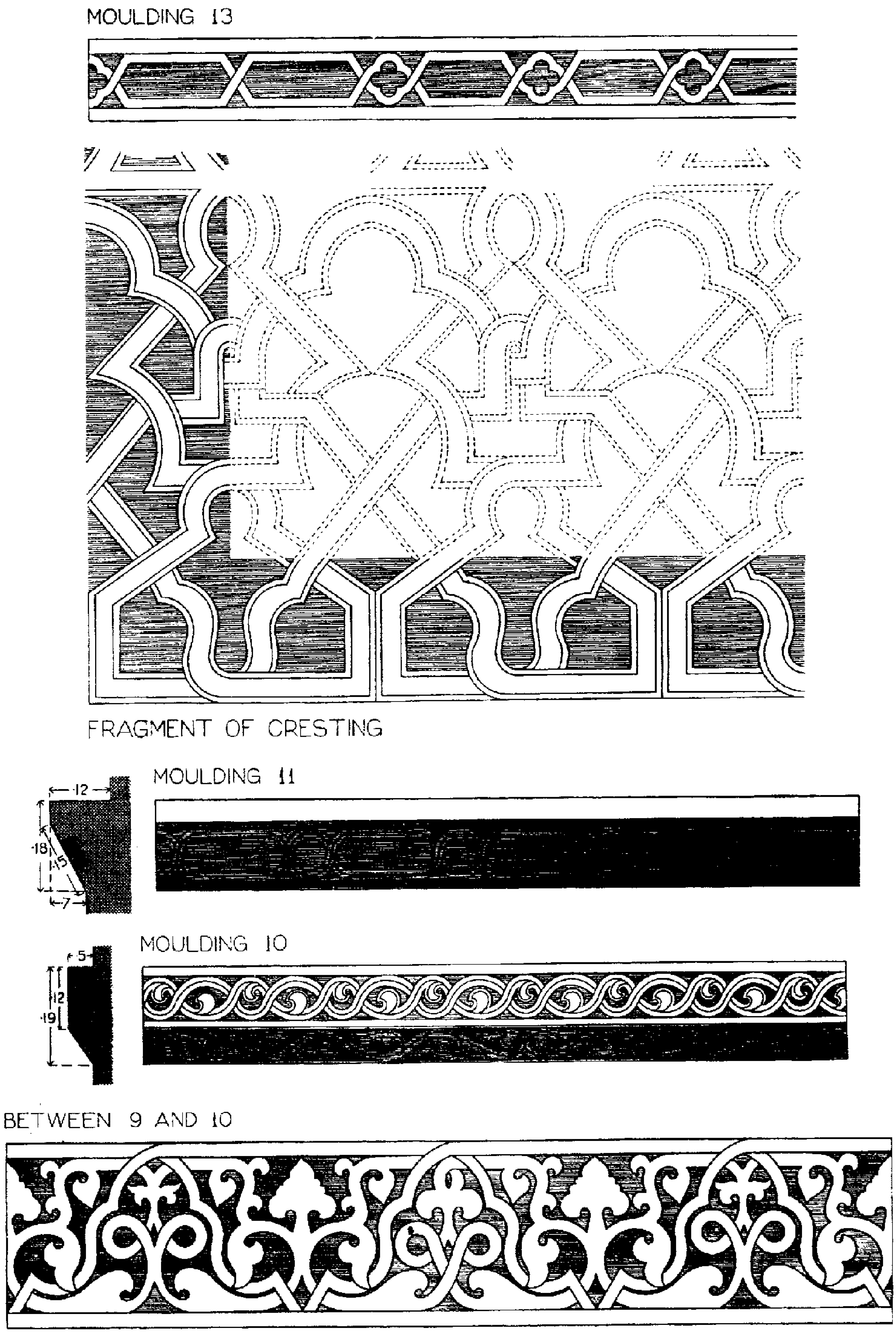

(شكل ٣٨) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل للحليات الزخرفية
(رسم ميلنيكوف) .

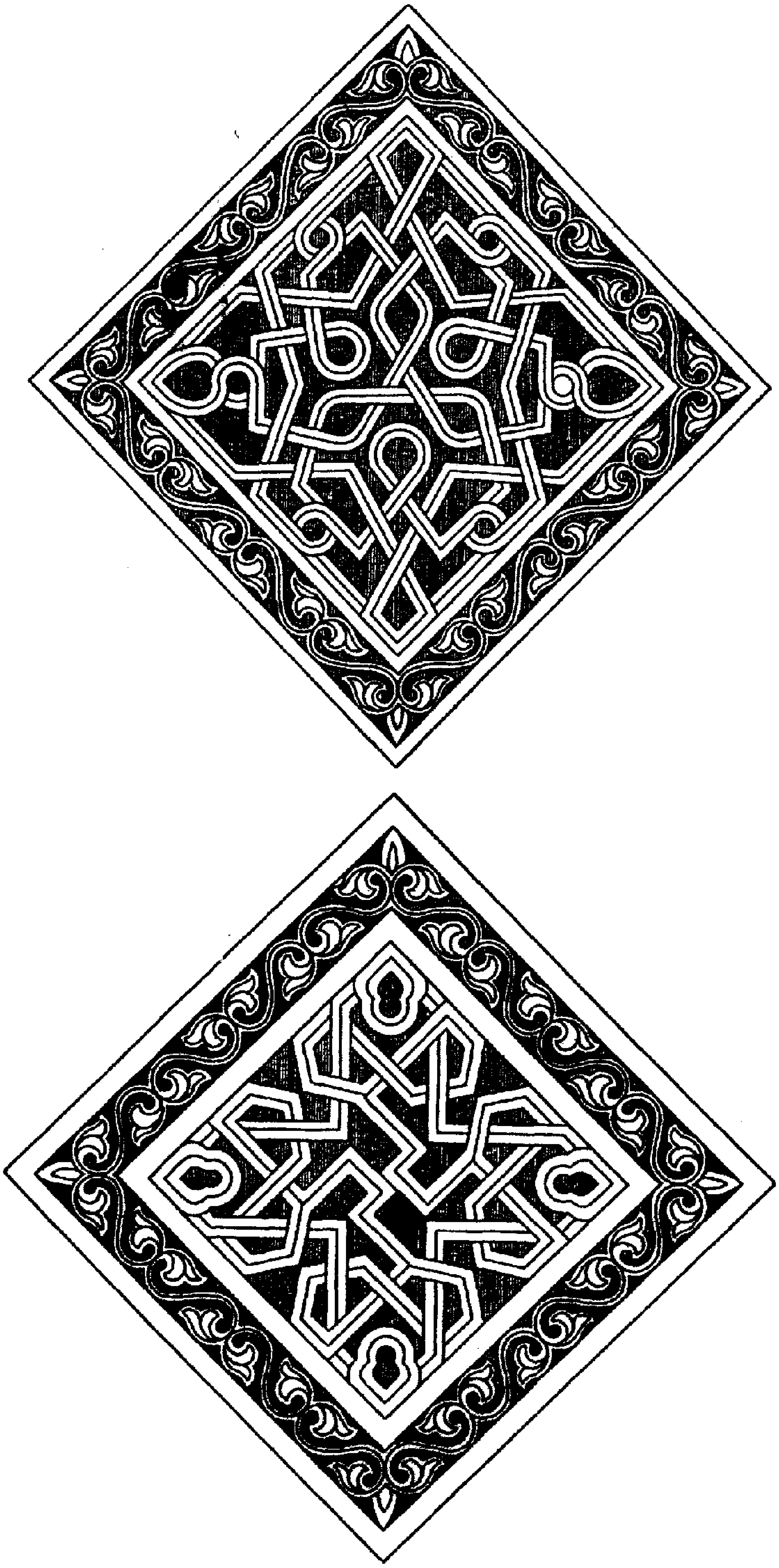

(شكل ٣٩) جامع الحاكم : الزخرفة بين الحليتين الخامسة والسادسة (رسم ميلنيكوف) .

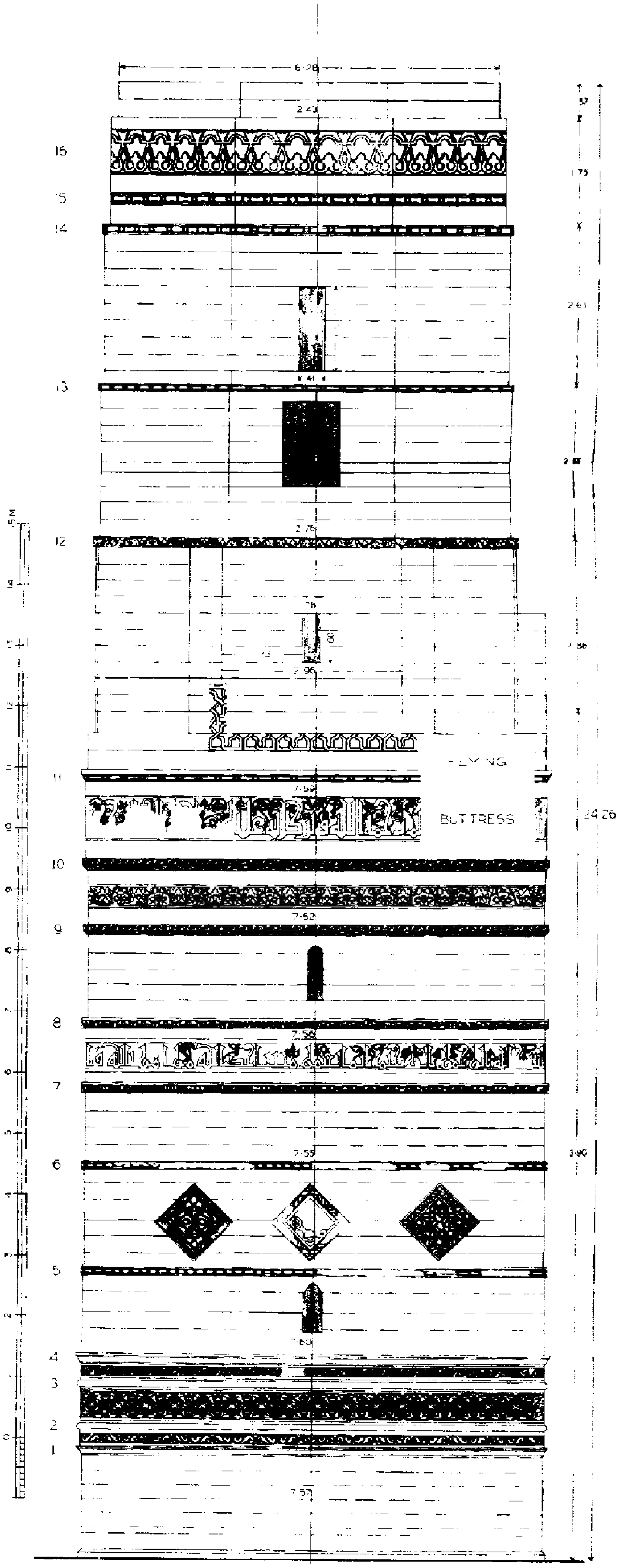

(شكل رقم ٤٠) جامع الحاكم : المئذنة الغربية
(المقاسات والرسم : كريزول . الزخرفة : ميلنيكوف) .

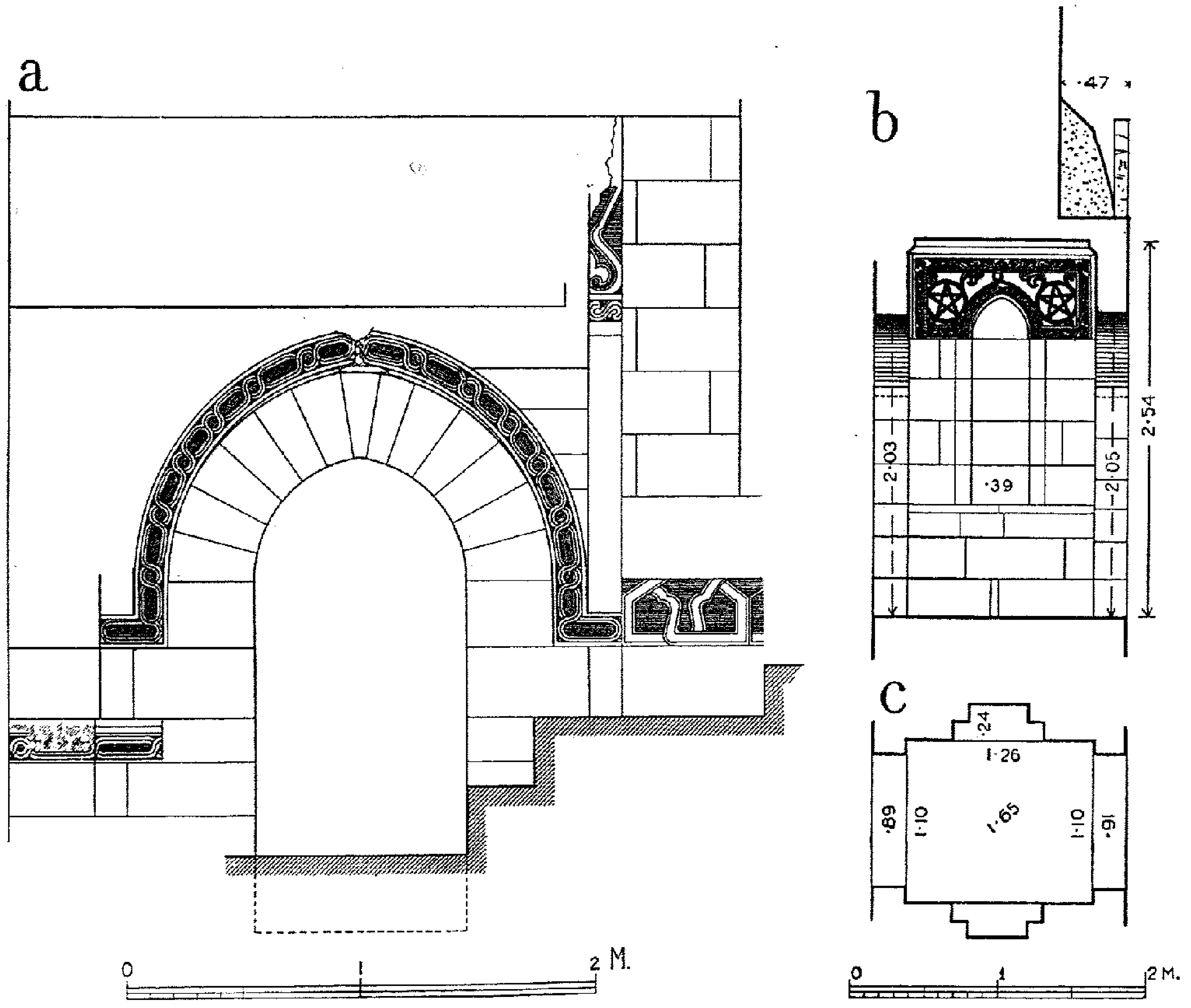

(شكل رقم ٤١) المئذنة الغربية : (a) المدخل إلى المصلى (b) قطاع و (c) مسقط (رسم ميلنيكوف) .

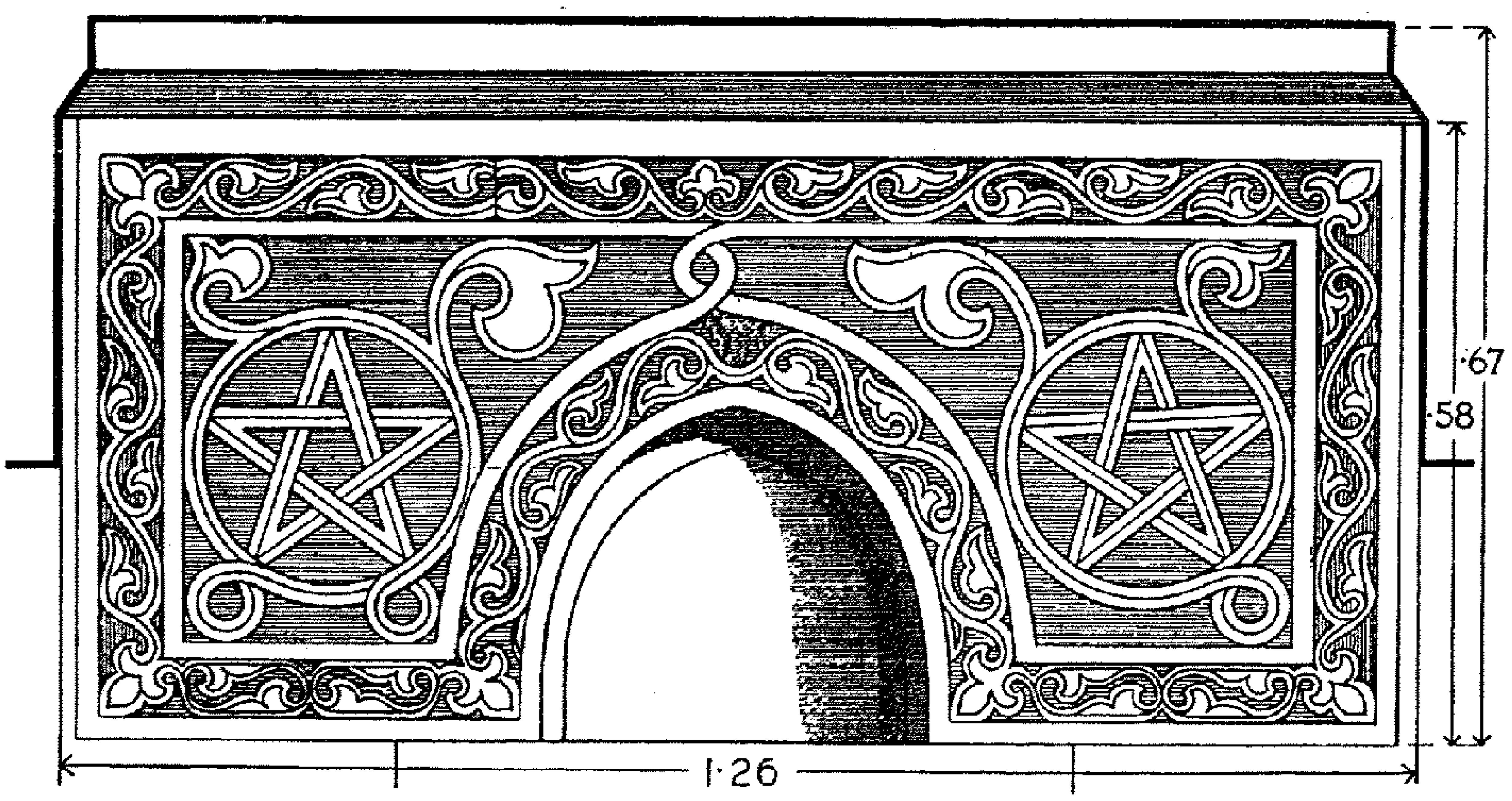

(شكل رقم ٤٢) جامع الحاكم : المئذنة الغربية : تفصيل لزخرفة في المصلى (رسم ميلنيكوف) .

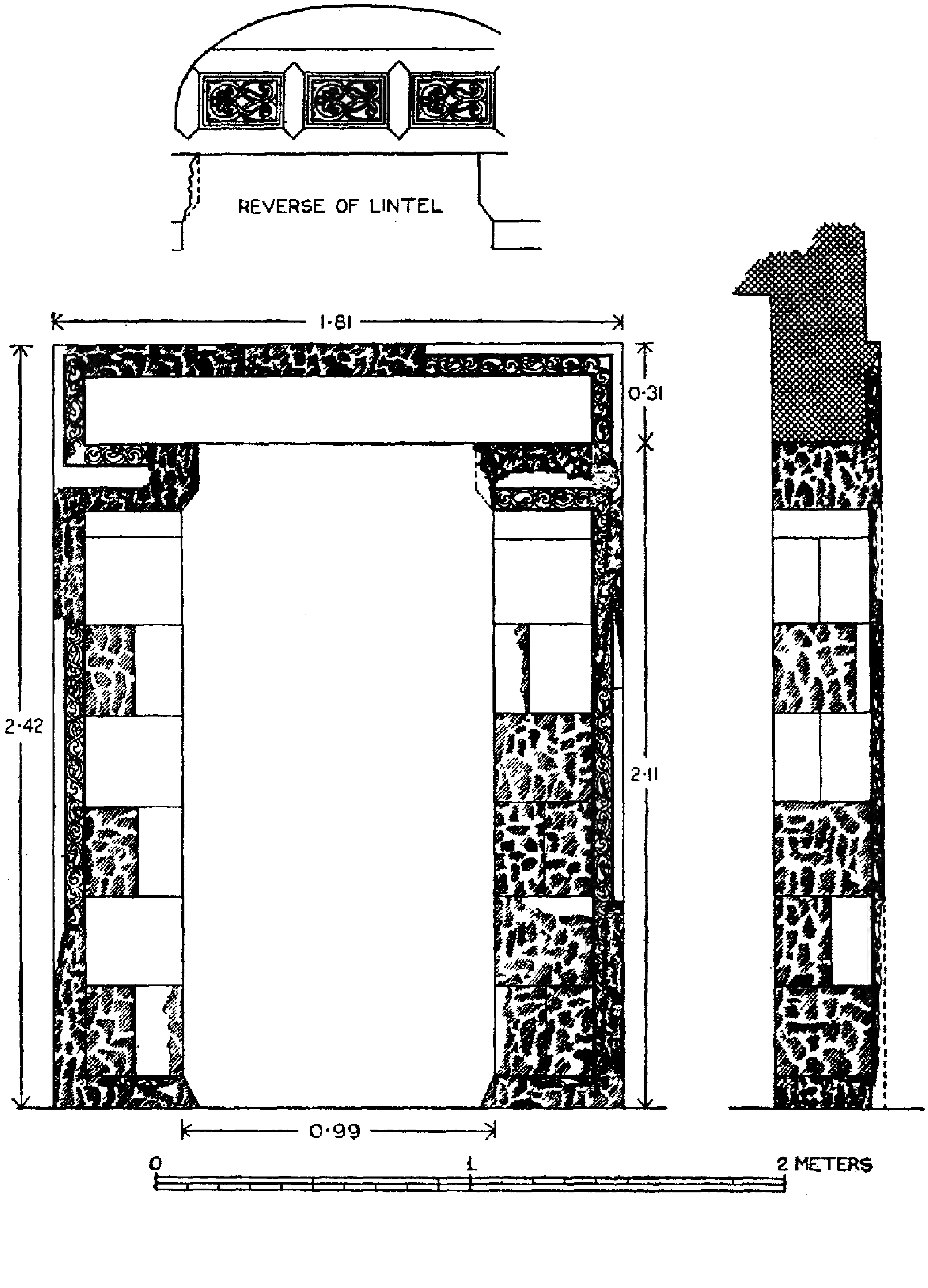

(شكل رقم ٤٣) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ، مدخل السلم
(رسم ميلتيكوف) .

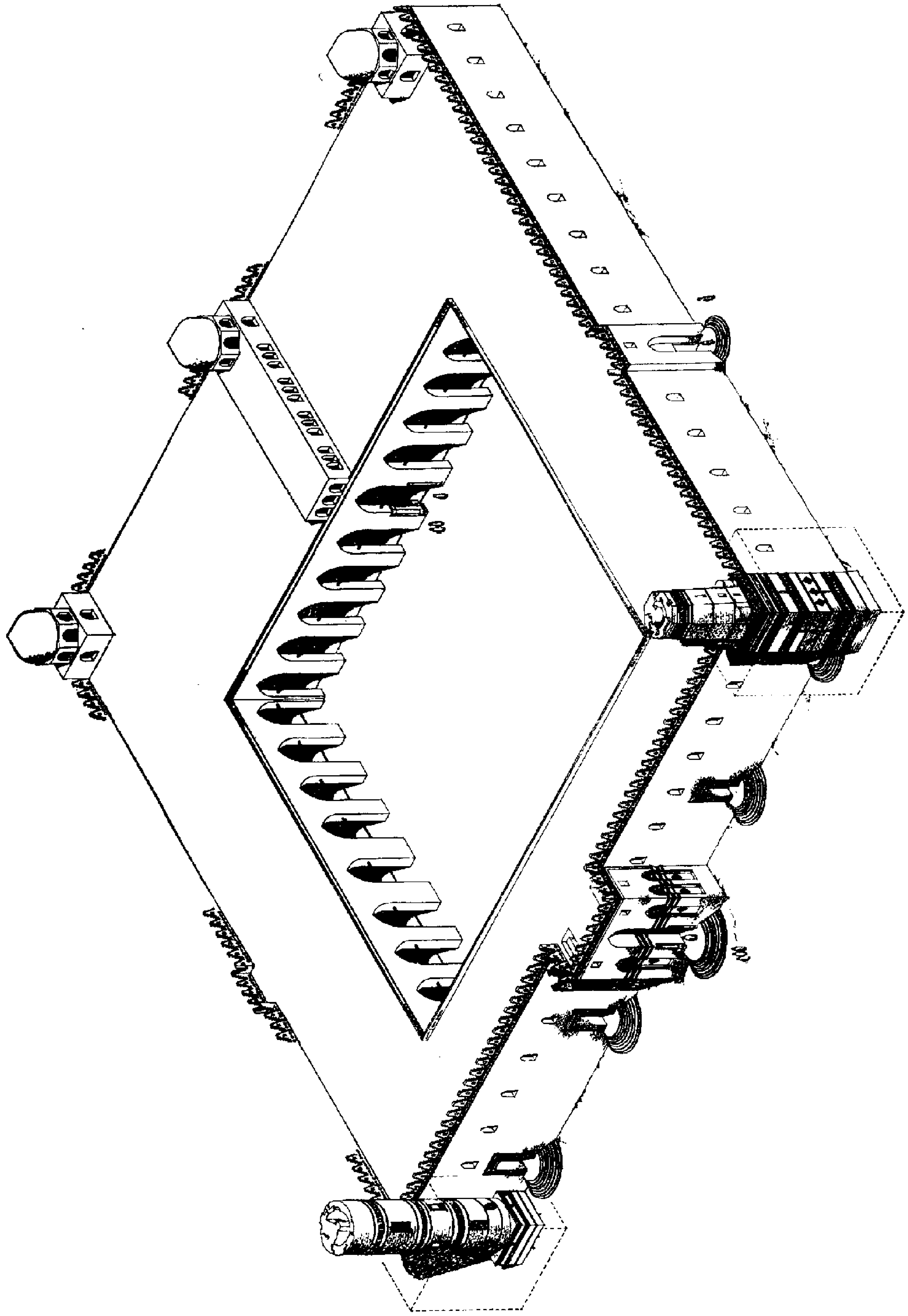

(شكل رقم ٤٤) جامع الحاكم : منظور عين الطائر (رسم فريد شافعي) .

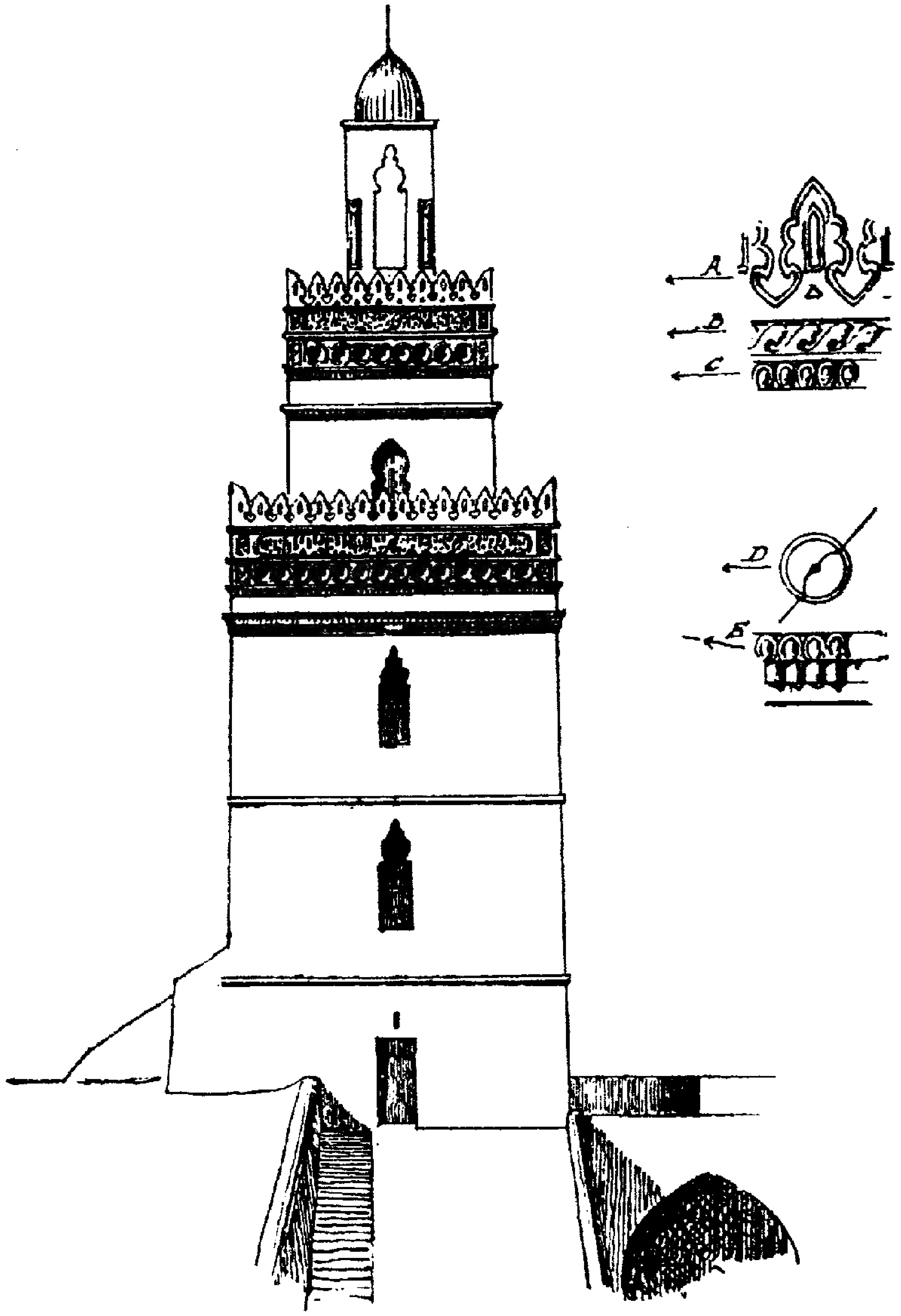

(شكل رقم ٤٥) صفاقص (تونس) : مئذنة الجامع (عن مارسيه) .

(شكل رقم ٤٦) تبغة (Capernaum) : عتب من بقايا السيناجوج : نقش النجمة الخماسية (نجمة داود) .

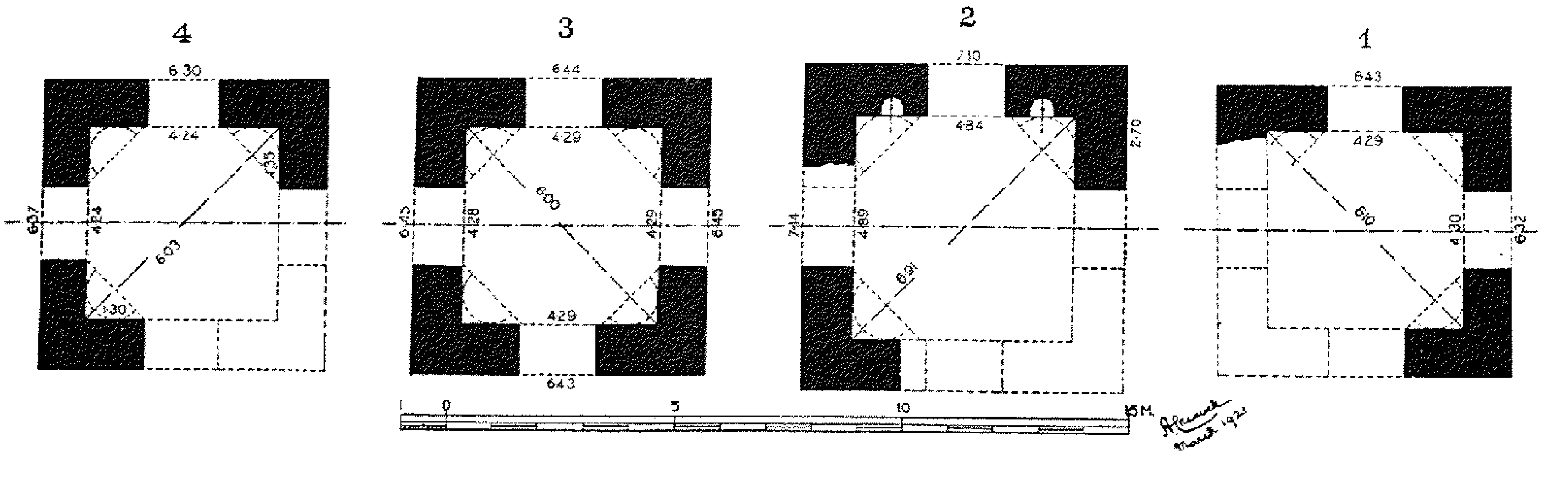

(شكل رقم ٤٧) السبع بنات في عام ١٩٢١م : مسقط
(على أن لا يؤخذ في الاعتبار الفراغات المحددة بالنقاط) .

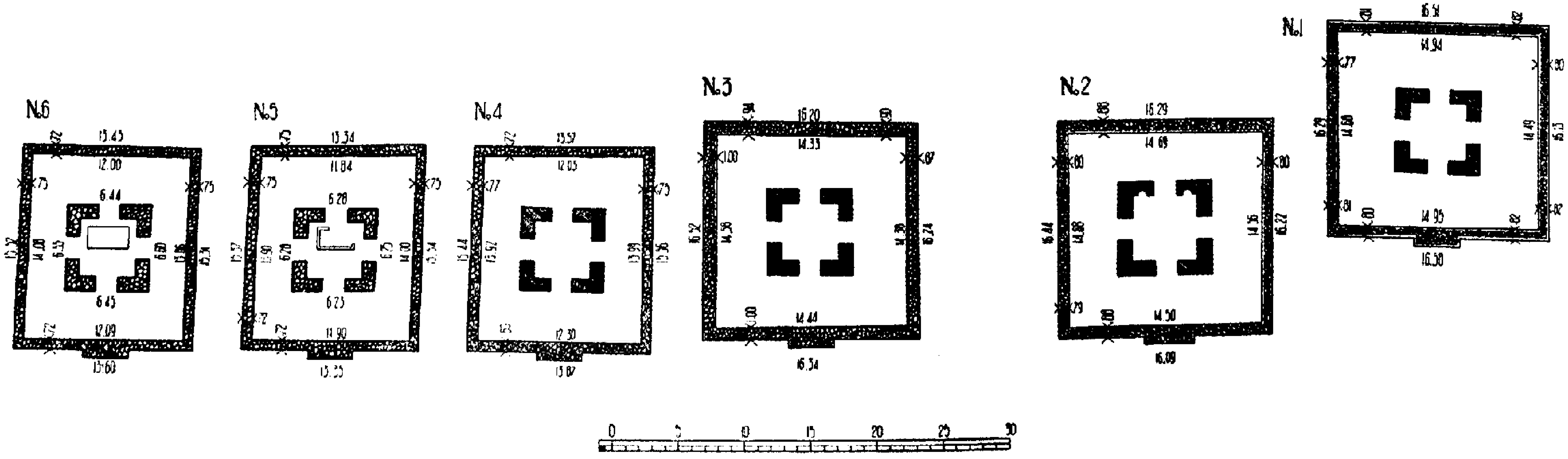

(شكل رقم ٤٨) السبع بنات بعد حفائر لجنة حفظ الآثار العربية (وترميم ذوات الأرقام ٤،٢،١) التي أظهرت بقايا كل من رقم ٦،٥ وكذلك الأحواش التي تحيط بكل منها (رسم عباس بدر) .

(شكل رقم ٤٩) Assar ؛ ضريح (عن جوير) .

(شكل رقم ٥٠) حسن أوغلو : ضريح . (عن : جوير) .

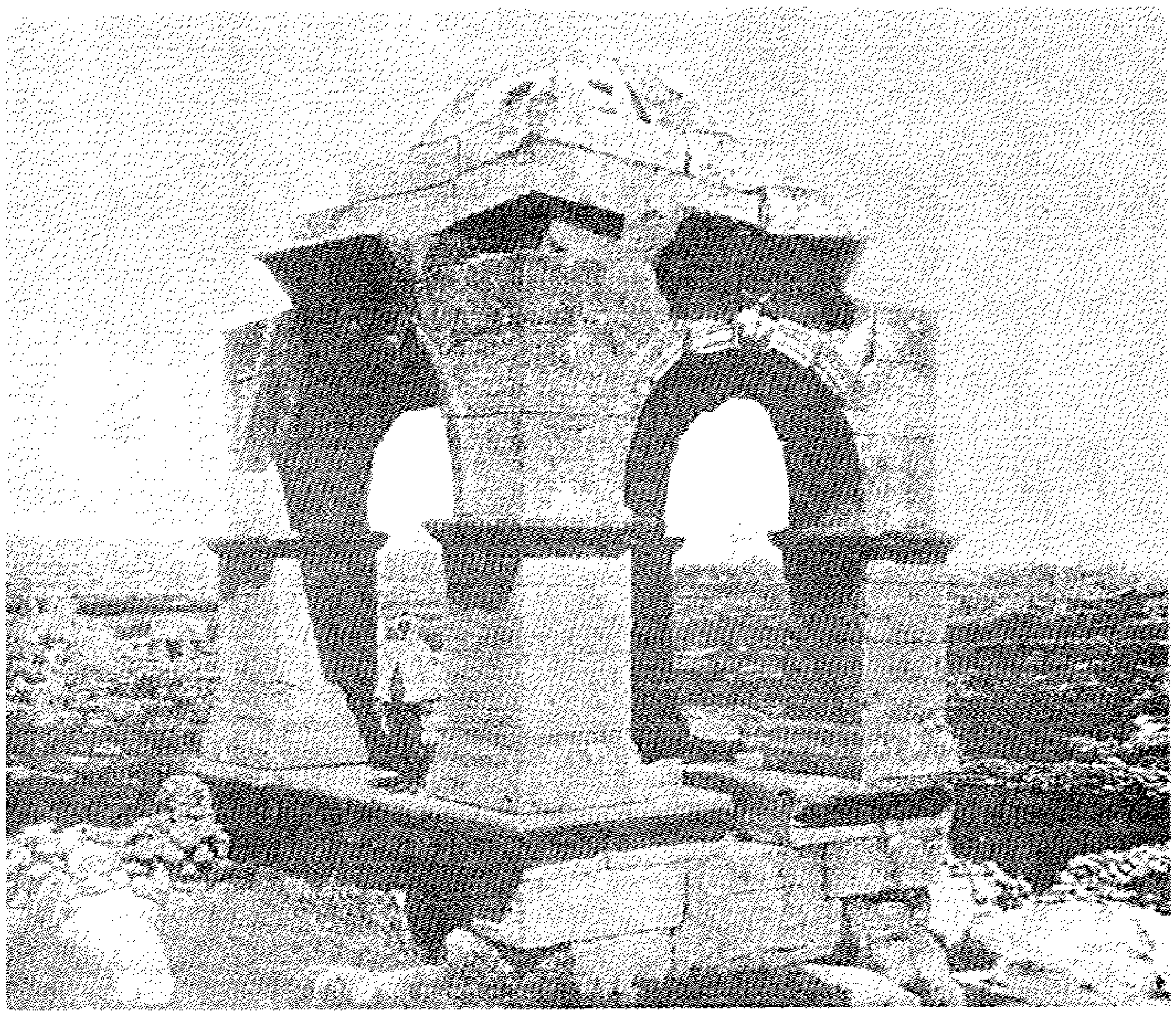

(شكل رقم ٥١) براد : مقبرة كانوبية (ذات السقيفة) .
(عن : بتلر) .

(شكل رقم ٥٢) كوكانيا : مقبرة كانوبية (ذات السقيفة) .
(عن : بتلر) .

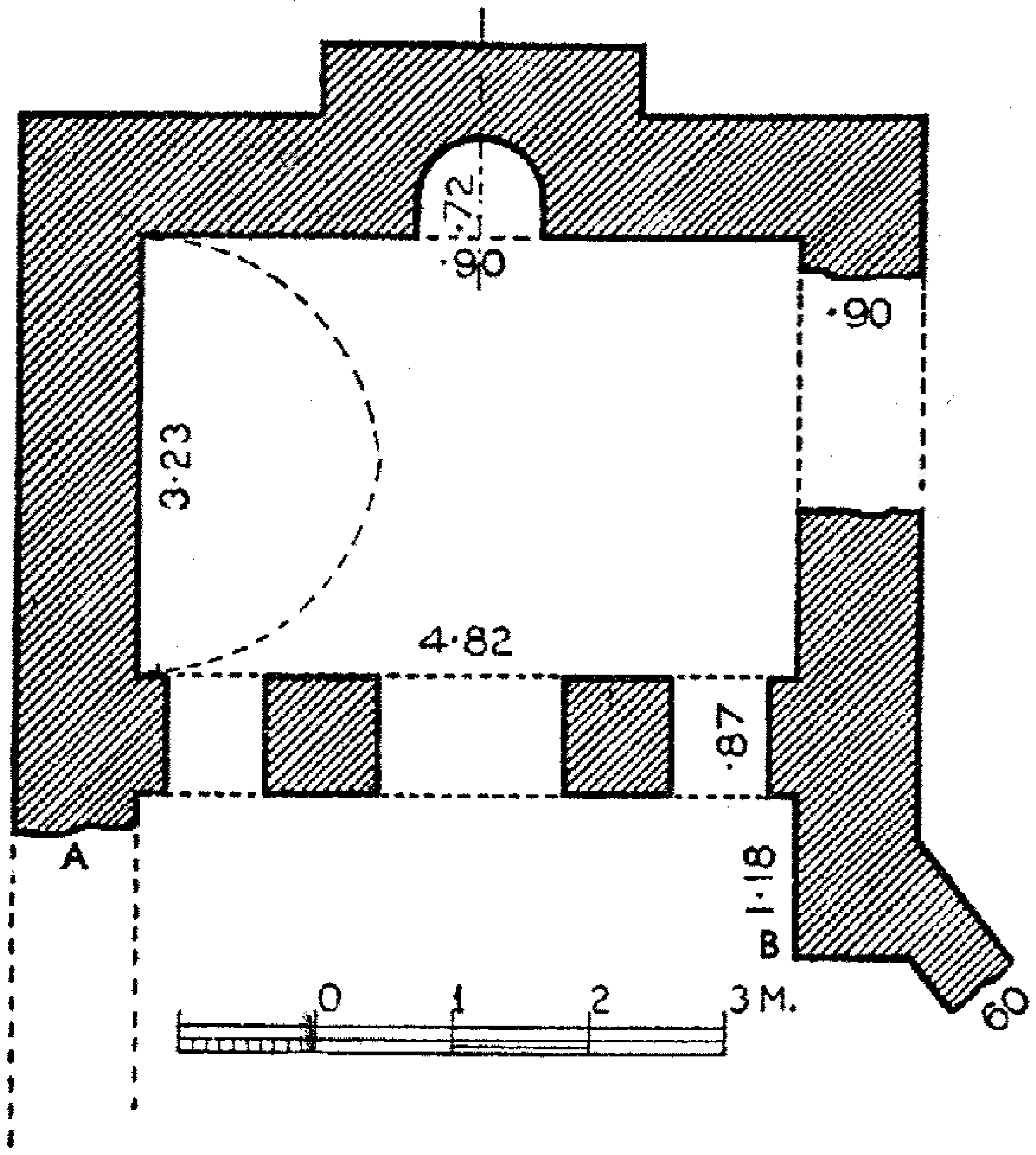

(شكل رقم ٥٣) مسجد اللؤلؤة : مسقط أفقي .

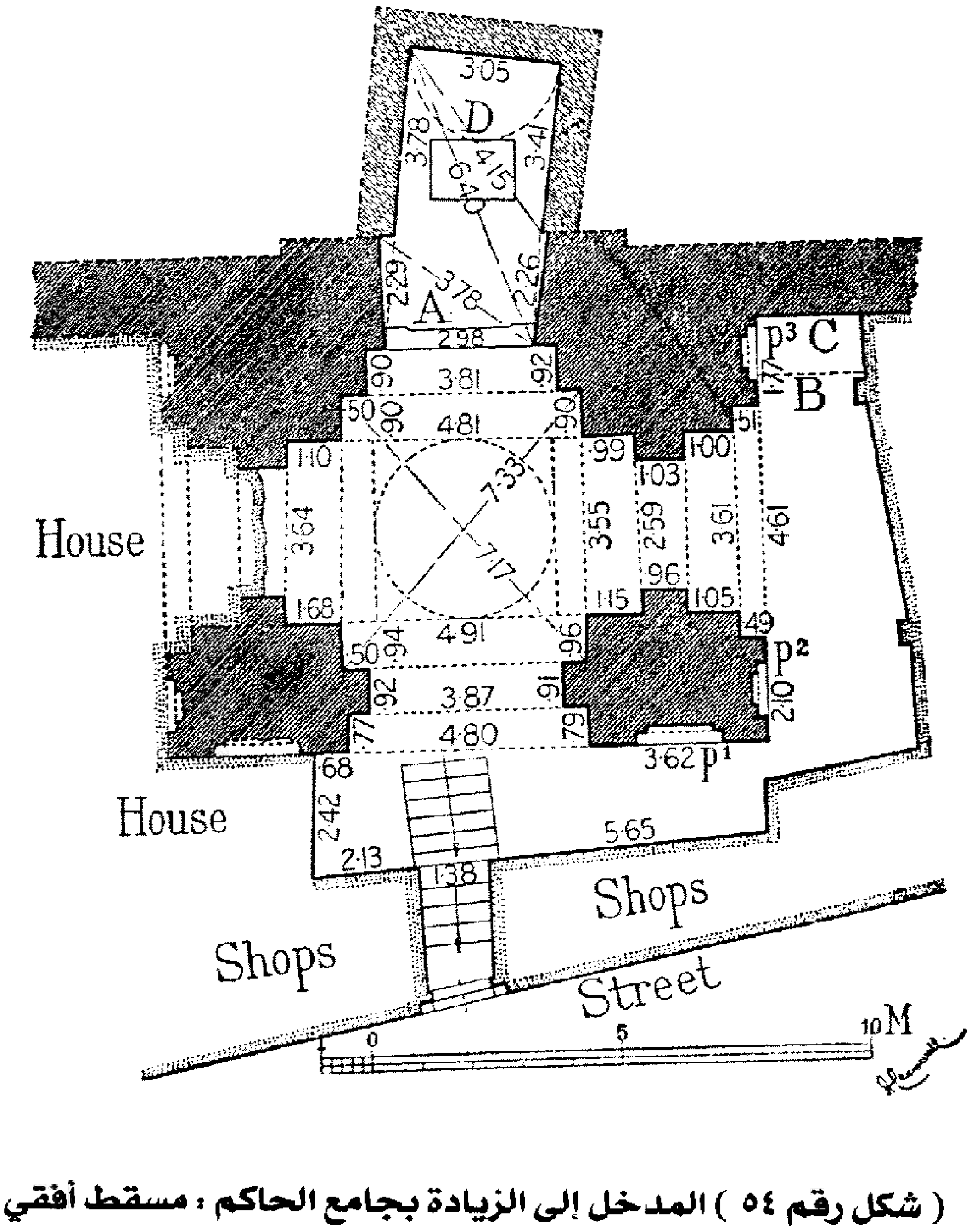

(شكل رقم ٥٤) المدخل إلى الزيادة بجامع الحاكم : مسقط أفقي .

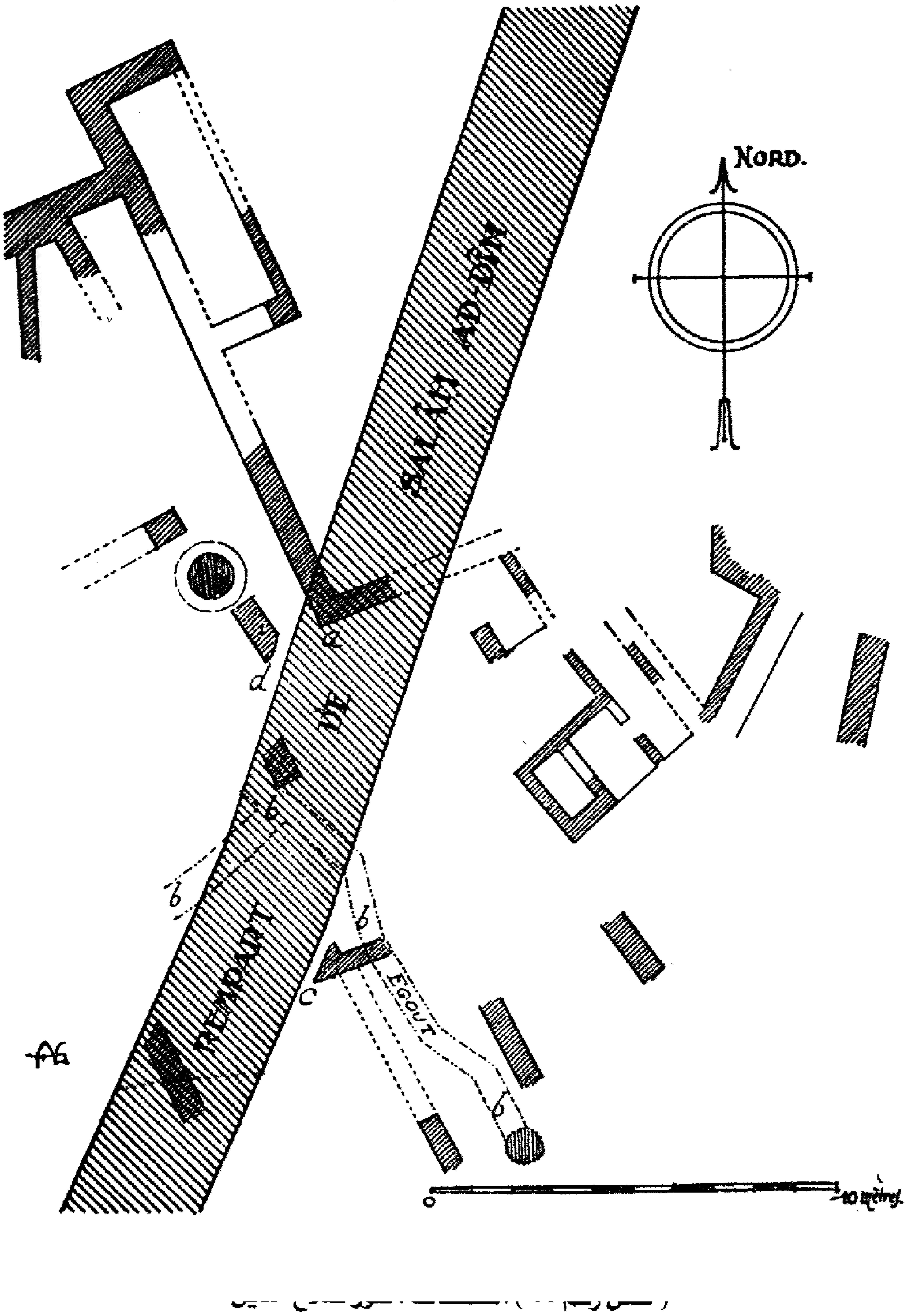

[illegible]
(عن : على بهجت وجابرييل) .

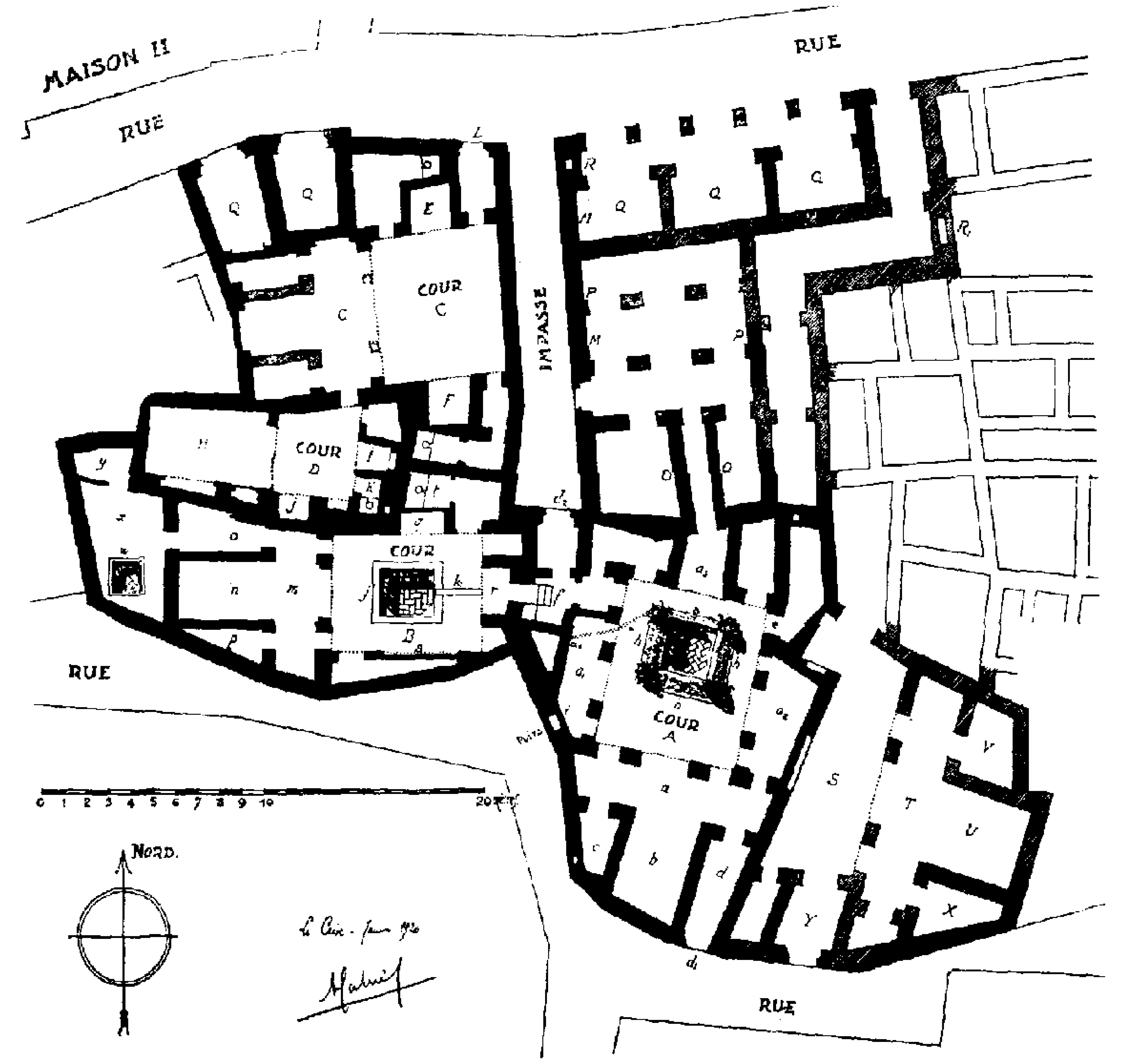

(شكل رقم ٥٦) الفسطاط ، منزل رقم ١ . (عن : على بهجت وجابرييل) .

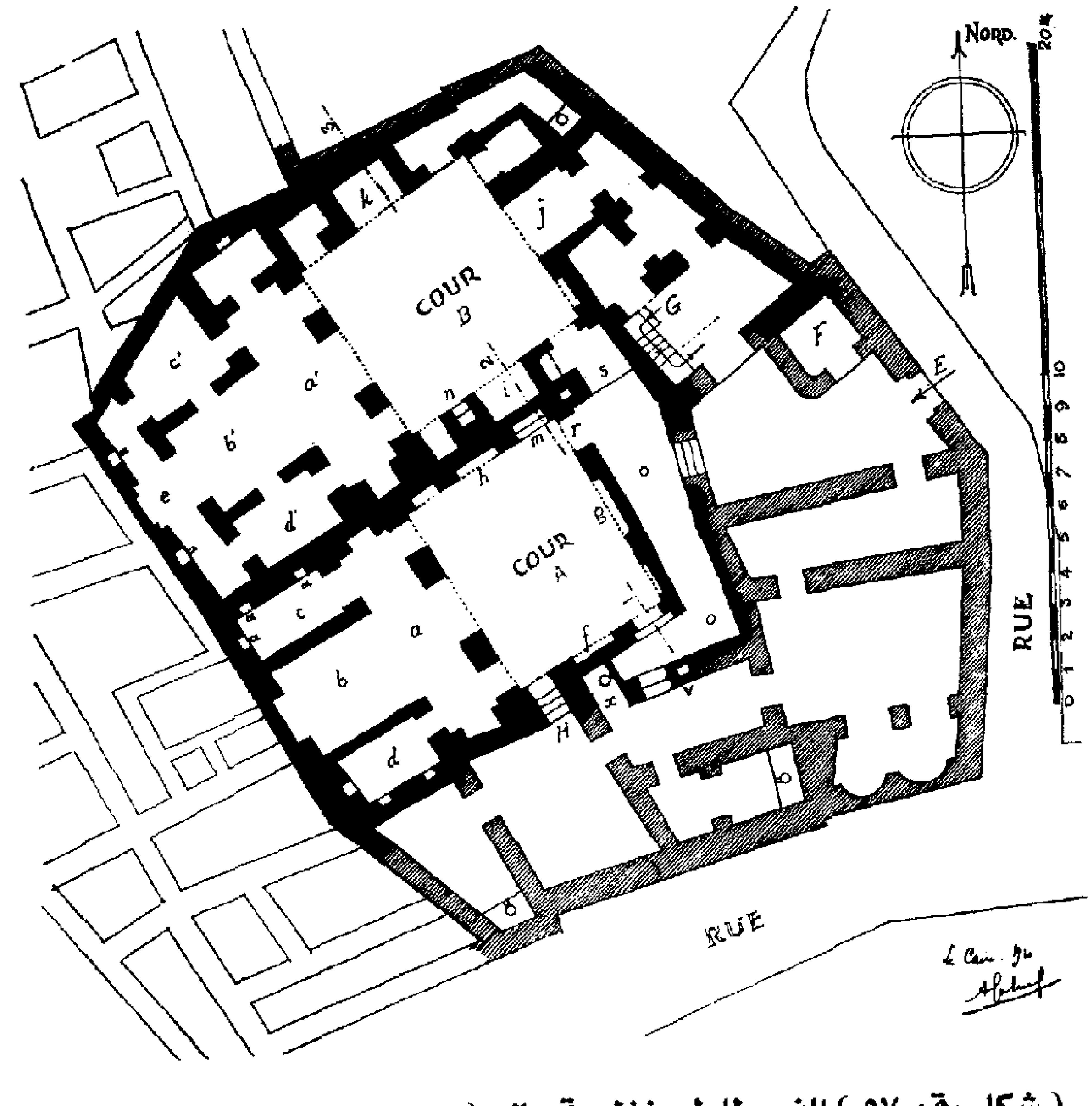

(شكل رقم ٥٧) الفسطاط منزل رقم ٢ . (عن : على بهجت وجابرييل) .

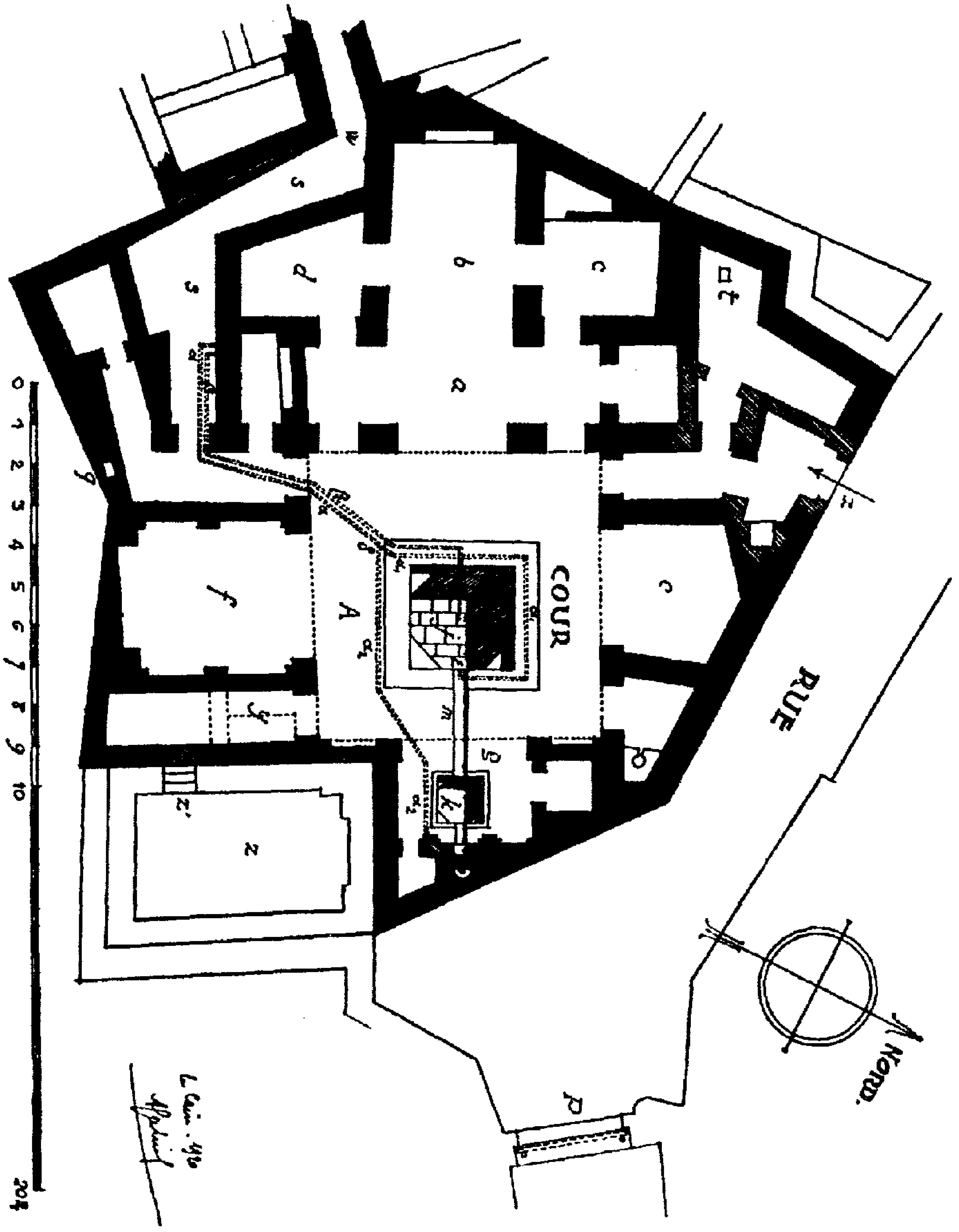

(شكل رقم ٥٨) الفسطاط

منزل رقم ٣ . (عن : على بهجت وجابرييل) .

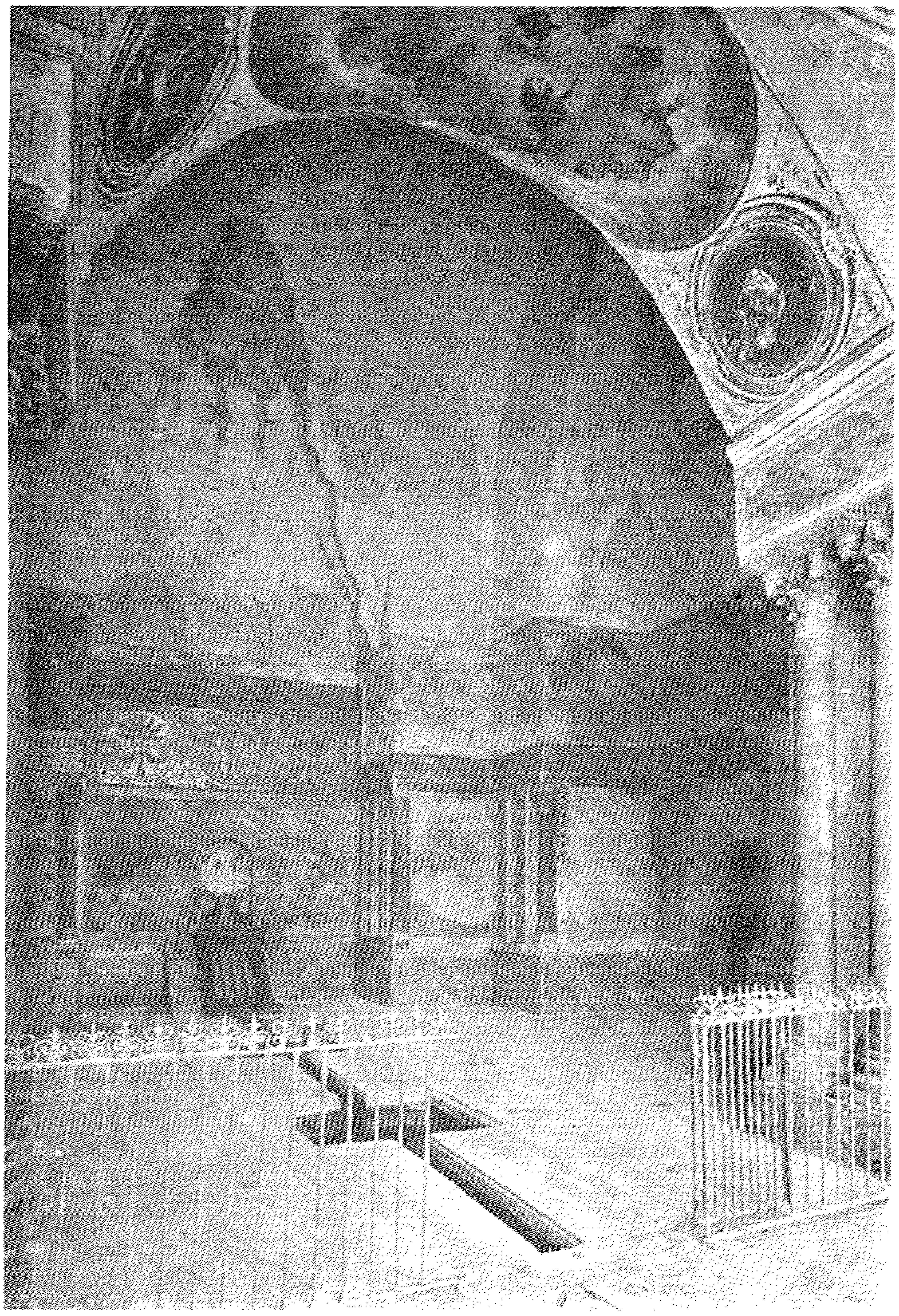

(شكل رقم ٥٩) بالرمو : قصر العزيزة ، السلسبيل (الشادروان) .

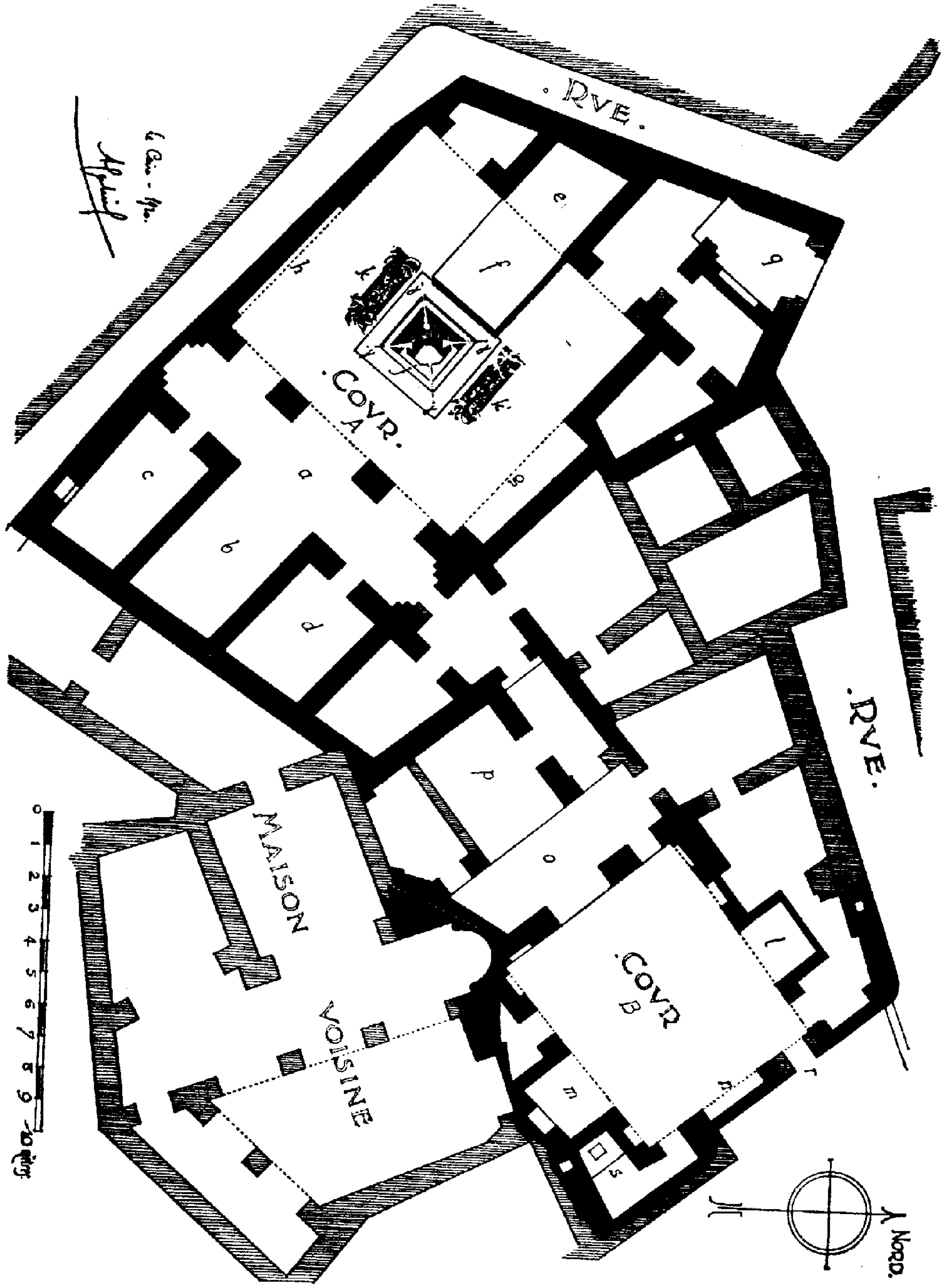

(شكل رقم ٦٠) الفسطاط

منزل رقم ٥ . (عن : على بهجت وجابرييل) .

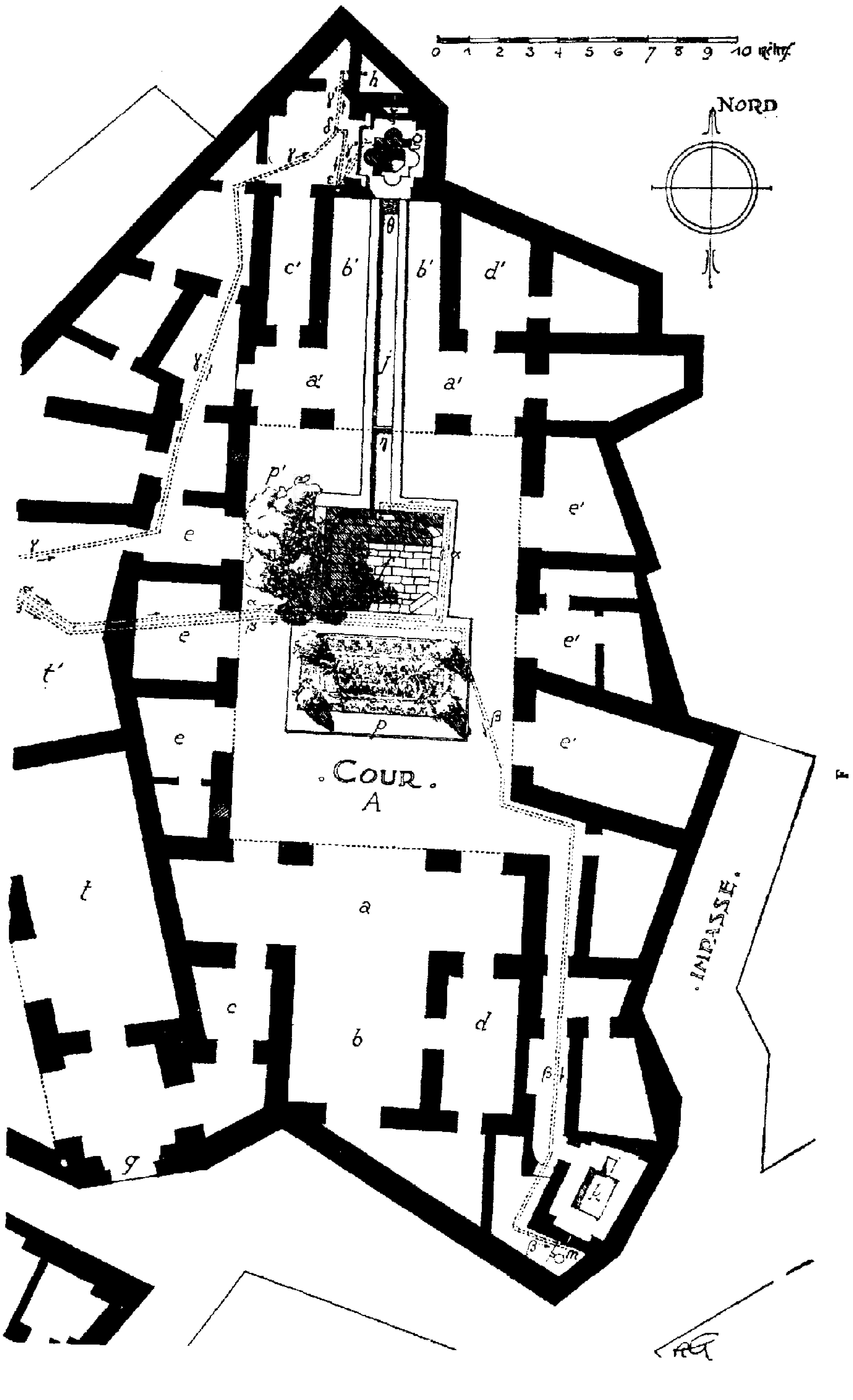

(شكل رقم ٦١) الفسطاط

منزل رقم ٦ . (عن : على بهجت وجابرييل) .

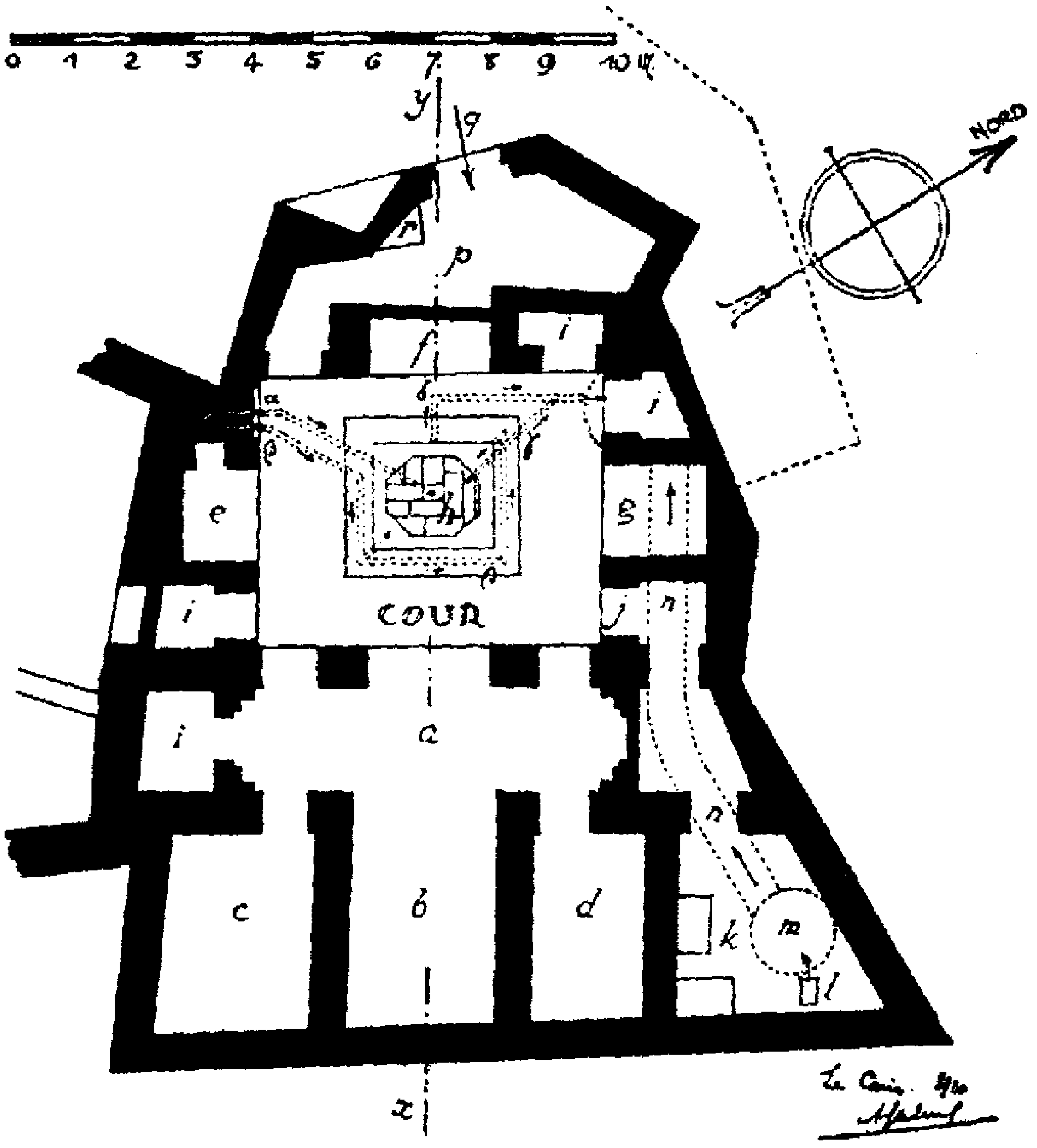

(شكل رقم ٦٢) الفسطاط : منزل رقم ٨ . (عن : على بهجت وجابرييل) .

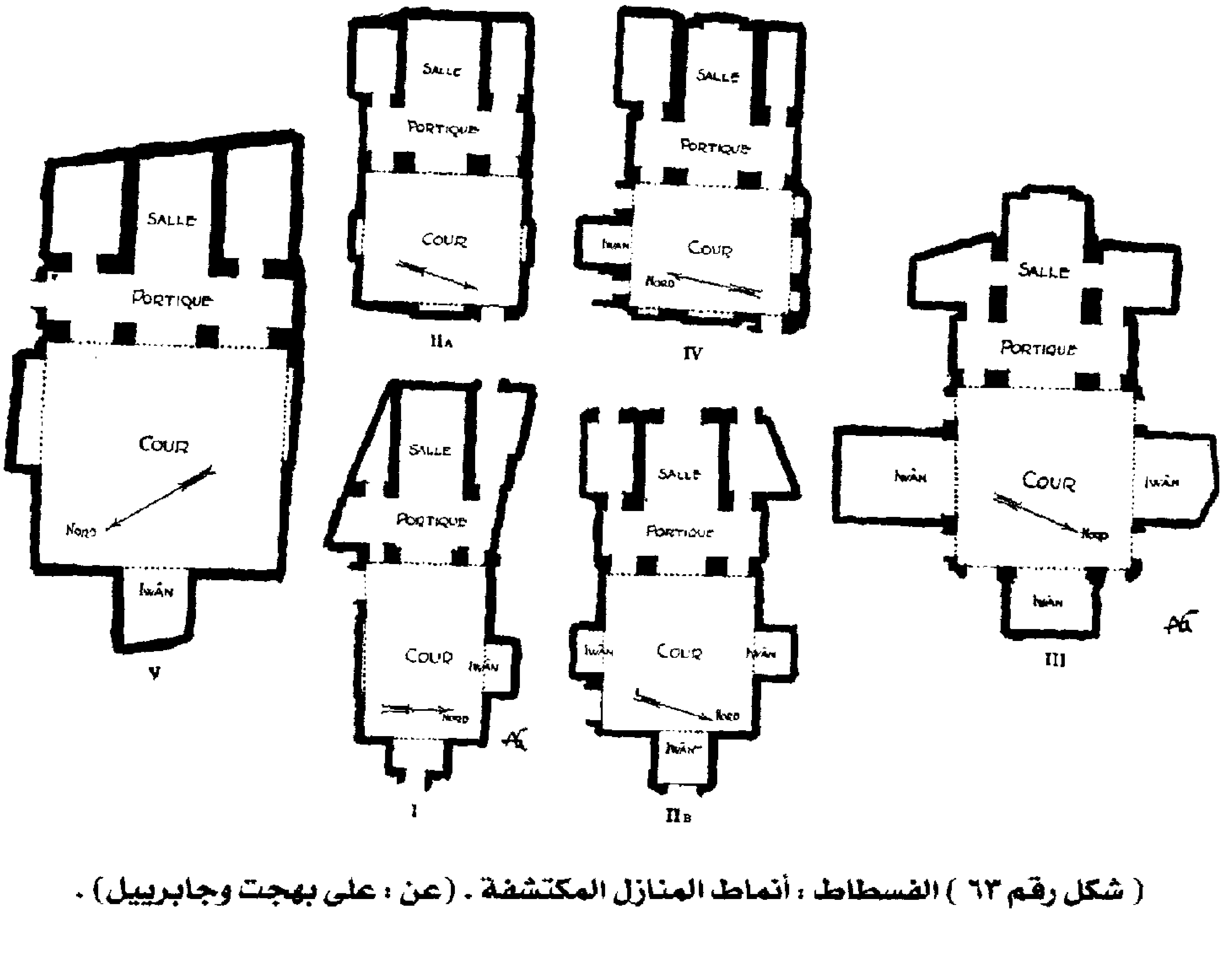

(شكل رقم ٦٣) الفسطاط : أنماط المنازل المكتشفة . (عن : على بهجت وجابرييل) .

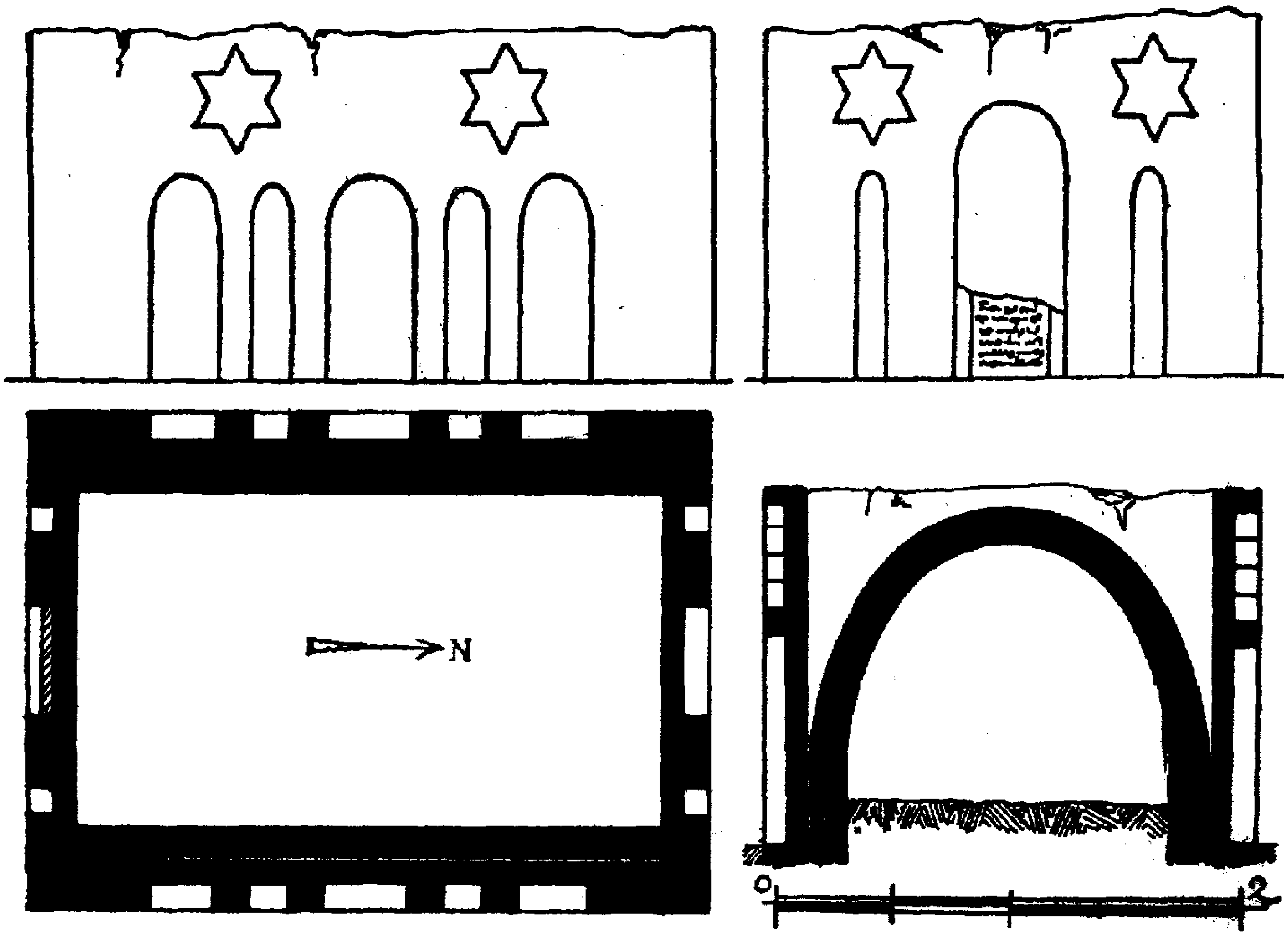

(شكل رقم ٦٤) أسوان : مقبرة ذات حشوات في جوانبها الأربعة (عن : مونيريه) .

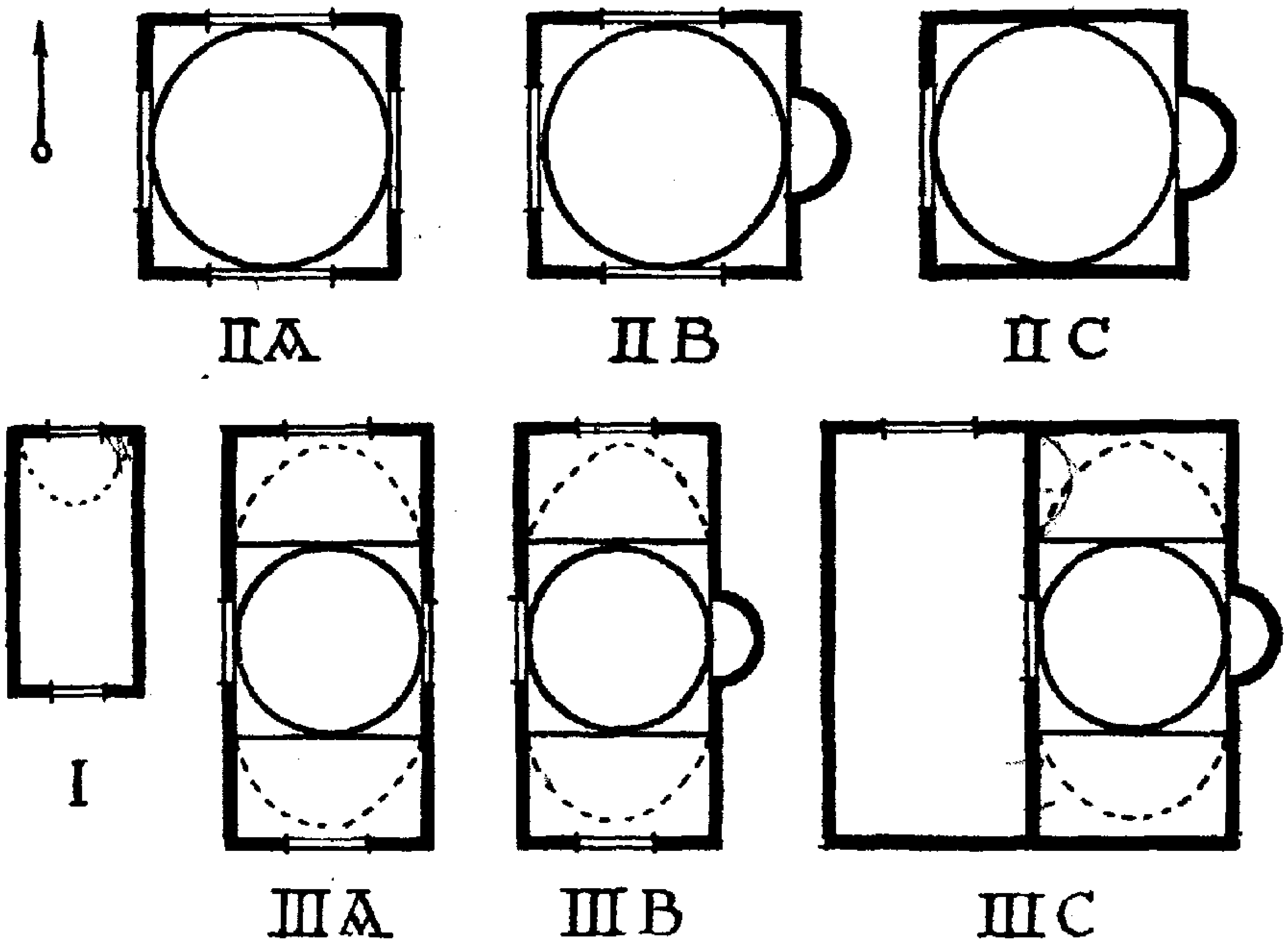

(شكل رقم ٦٥) أسوان : أنماط الأضرحة (عن : مونيريه) .

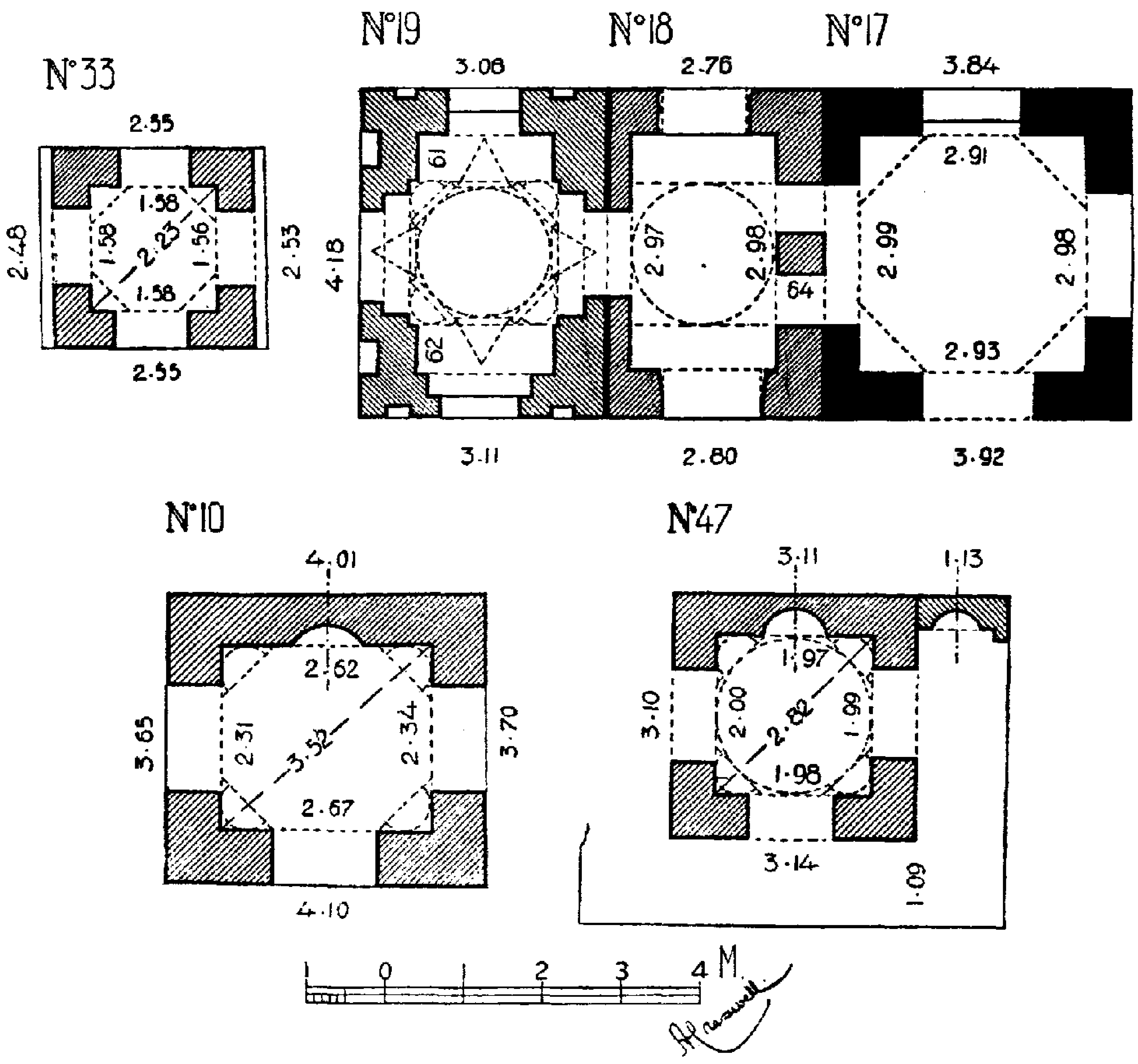

(شكل رقم ٦٦) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٣٣ . ١٩ . ١٨ . ١٧ . ١٠ ، ٤٧ . (مسقط) .

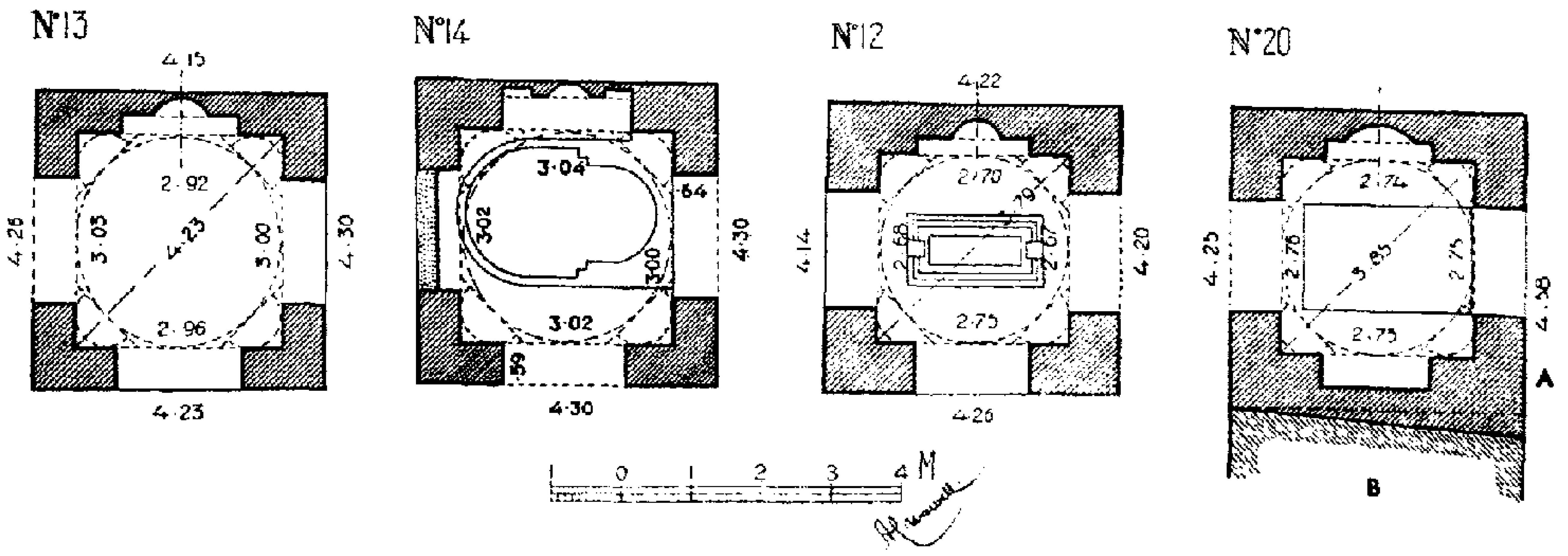

(شكل رقم ٦٧) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ١٣ . ١٤ . ١٢ . ٢٠ . (مسقط) .

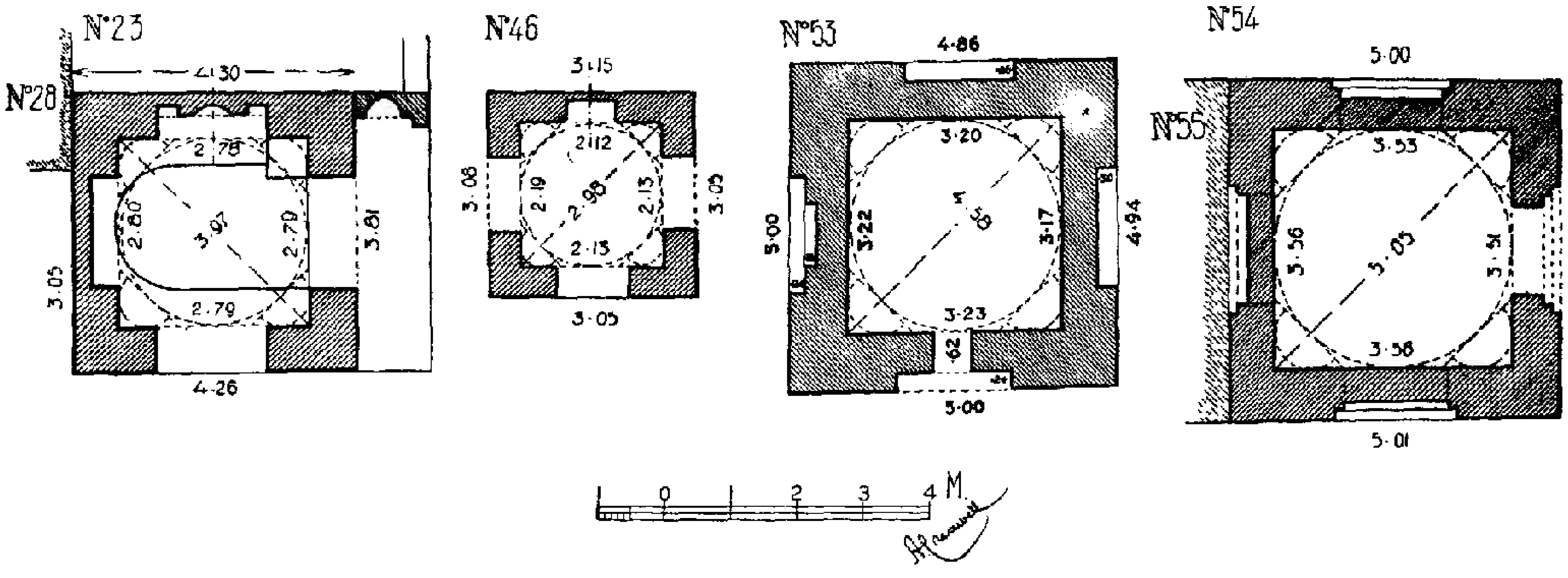

(شكل رقم ٦٨) أسوان : الأضرحة ذات الأرقام ٢٣ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٤ . (مسقط) .

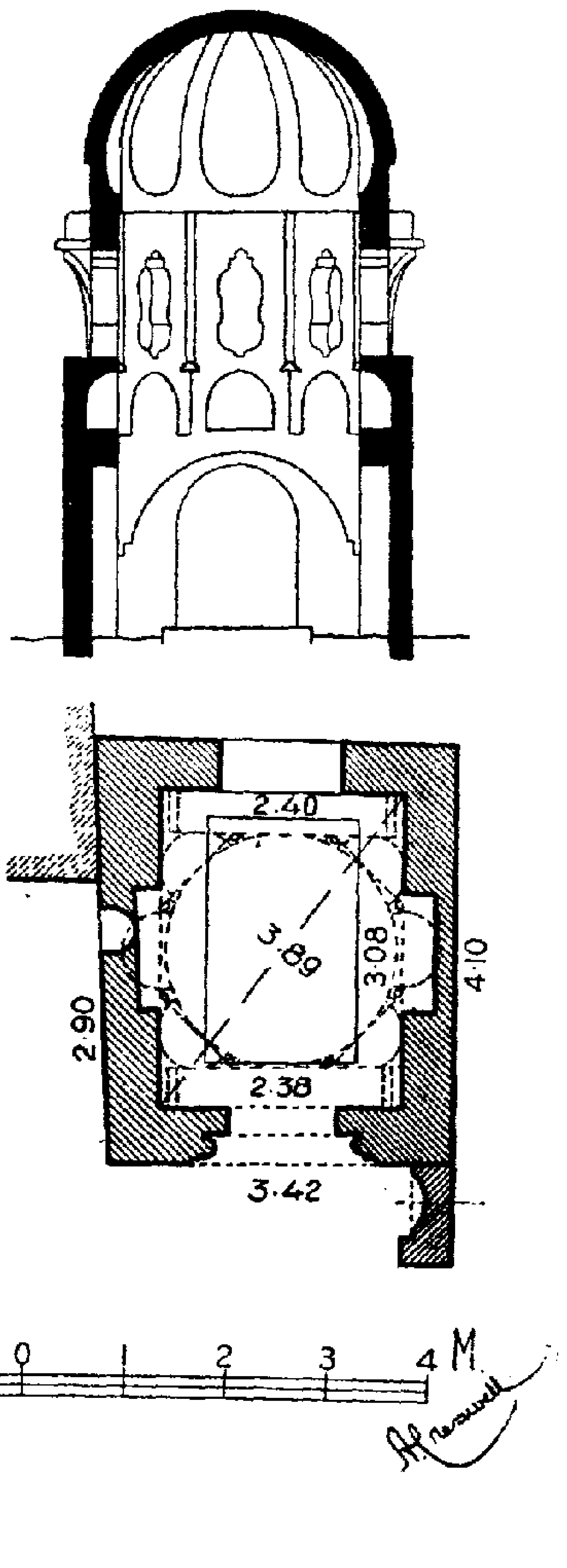

(شكل رقم ٦٩) أسوان : الضريح رقم ٢٤ . (مسقط وقطاع) .

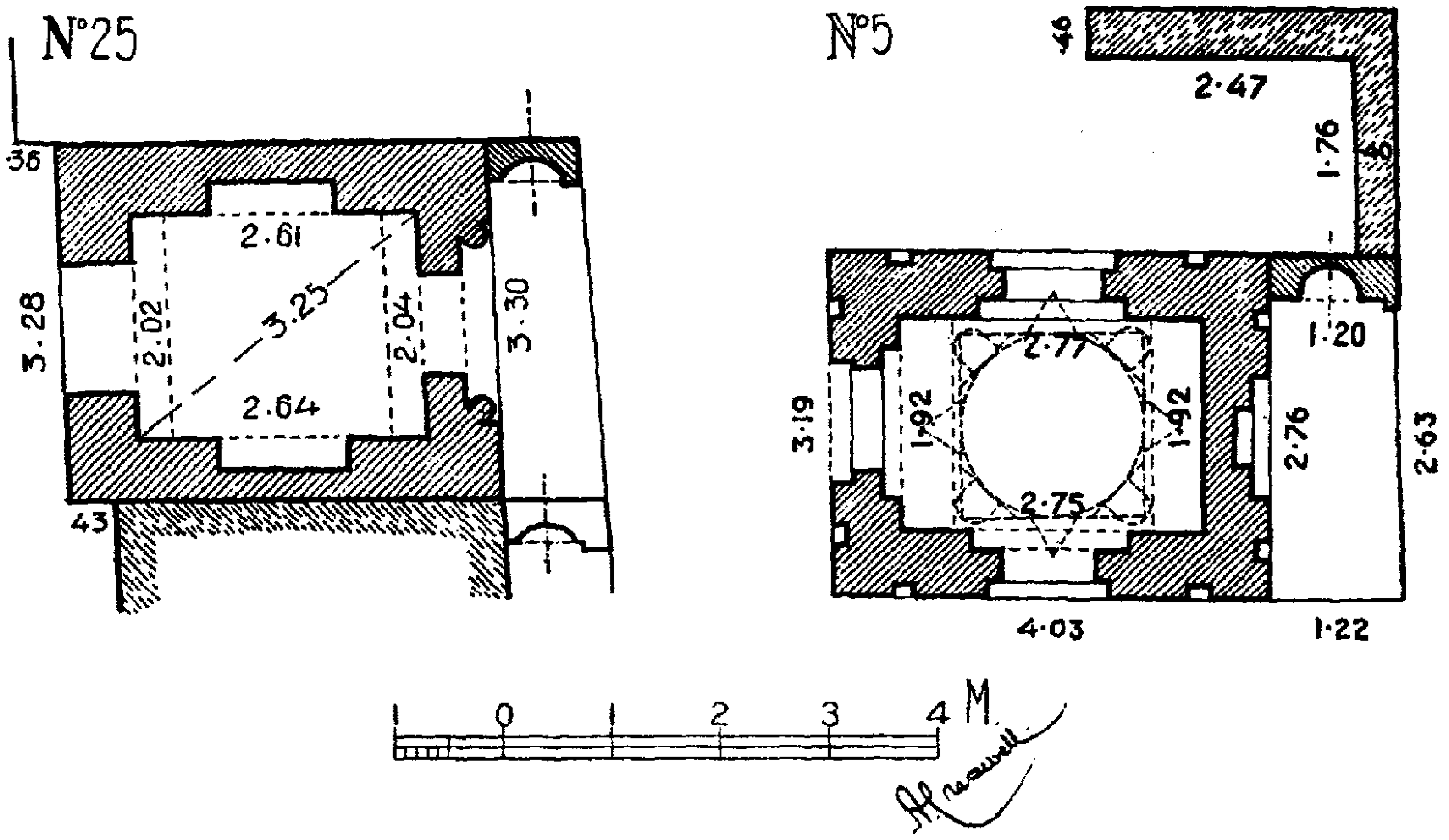

(شكل رقم ٧٠) أسوان : الضريحان رقم ٢٣ ورقم ٥ . (مسقط) .

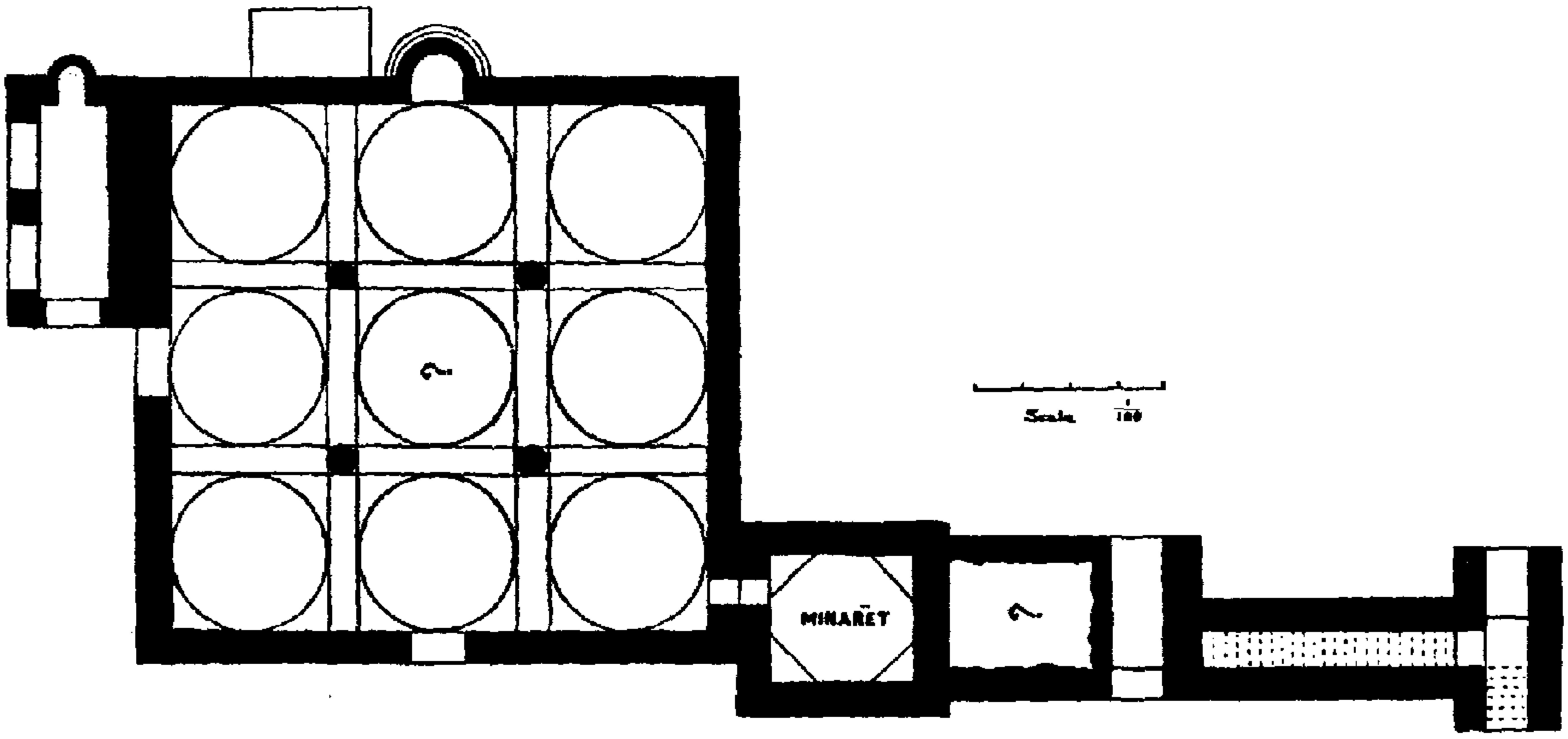

(شكل رقم ٧١) أسوان : مشهد السبعة وسبعين ولي . (عن : سومرزكلارك) .

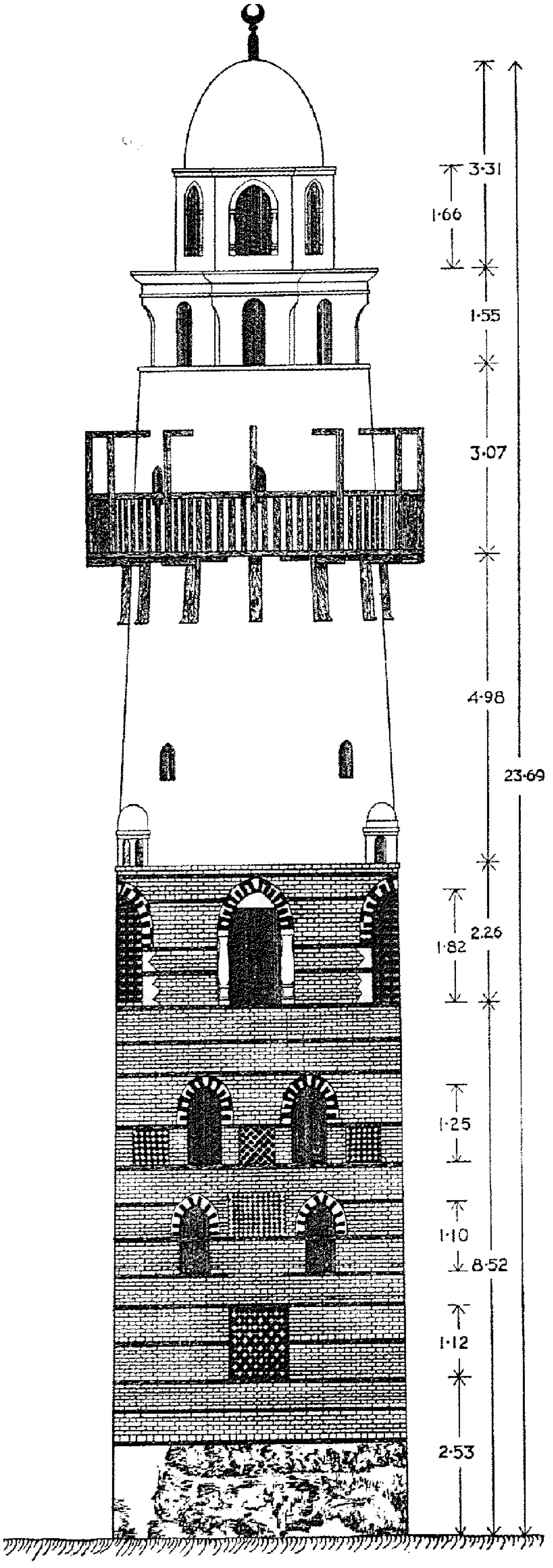

(شكل رقم ٧٢) اسنا : مئذنة الجامع العمرى أو العتيق .

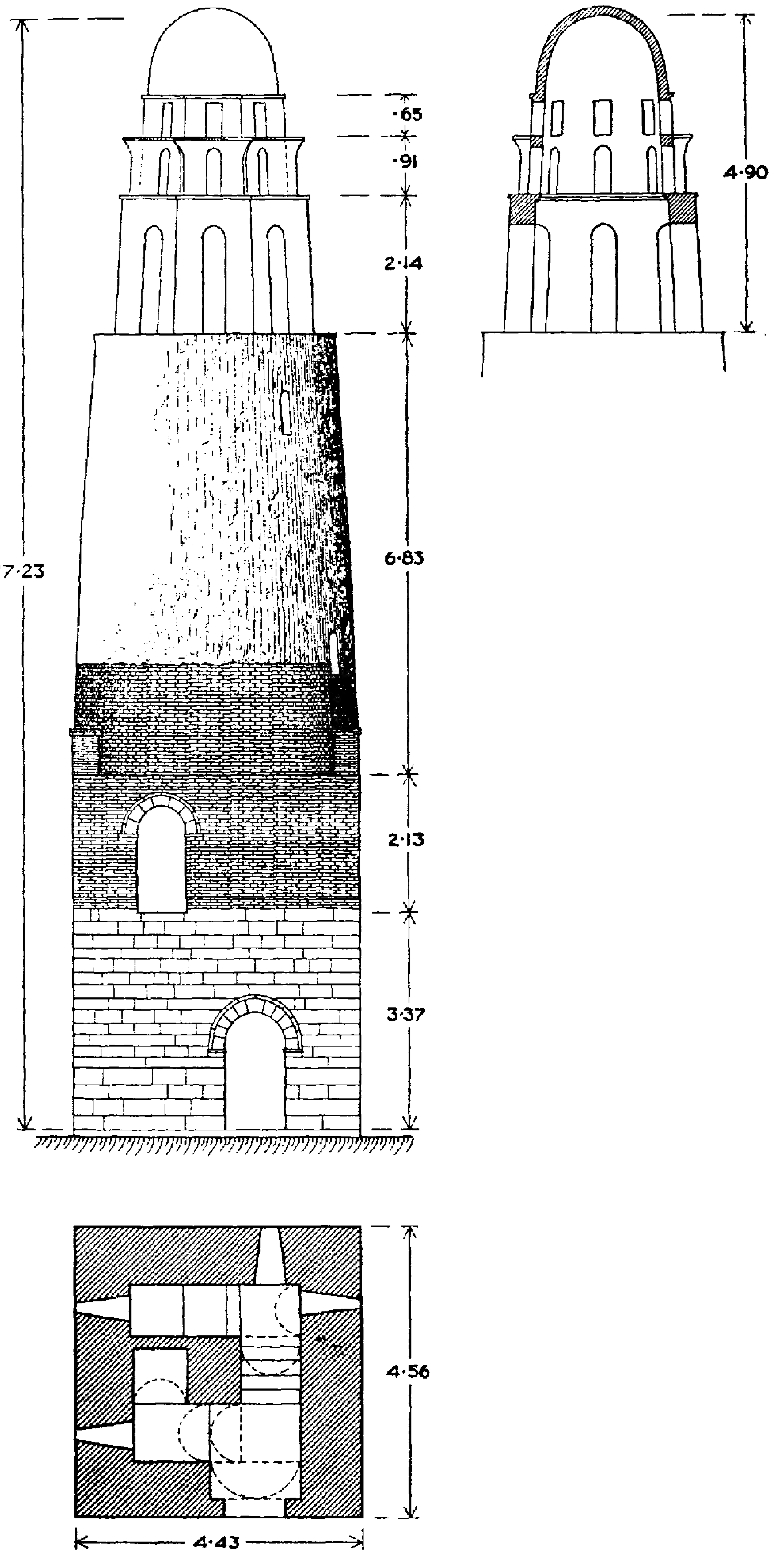

(شكل رقم ٧٣) مئذنة المشهد القبلي أو بلال قرب الشلال .

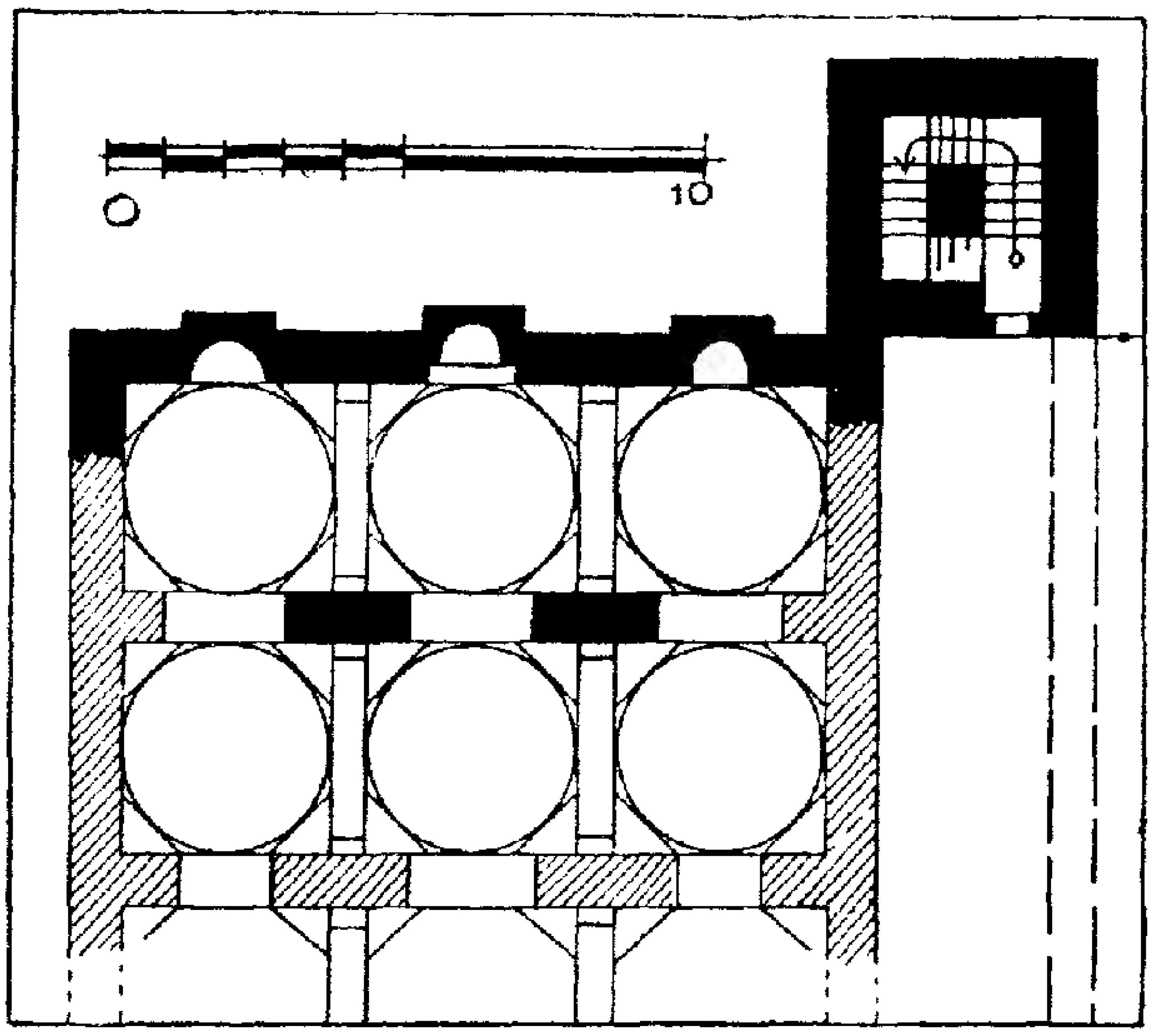

(شكل رقم ٧٤) الشلال : المشهد القبلي . (عن : مونيريه) .

(شكل رقم ٧٥) الشلال : المشهد القبلي . (عن : حسن الهواري) .

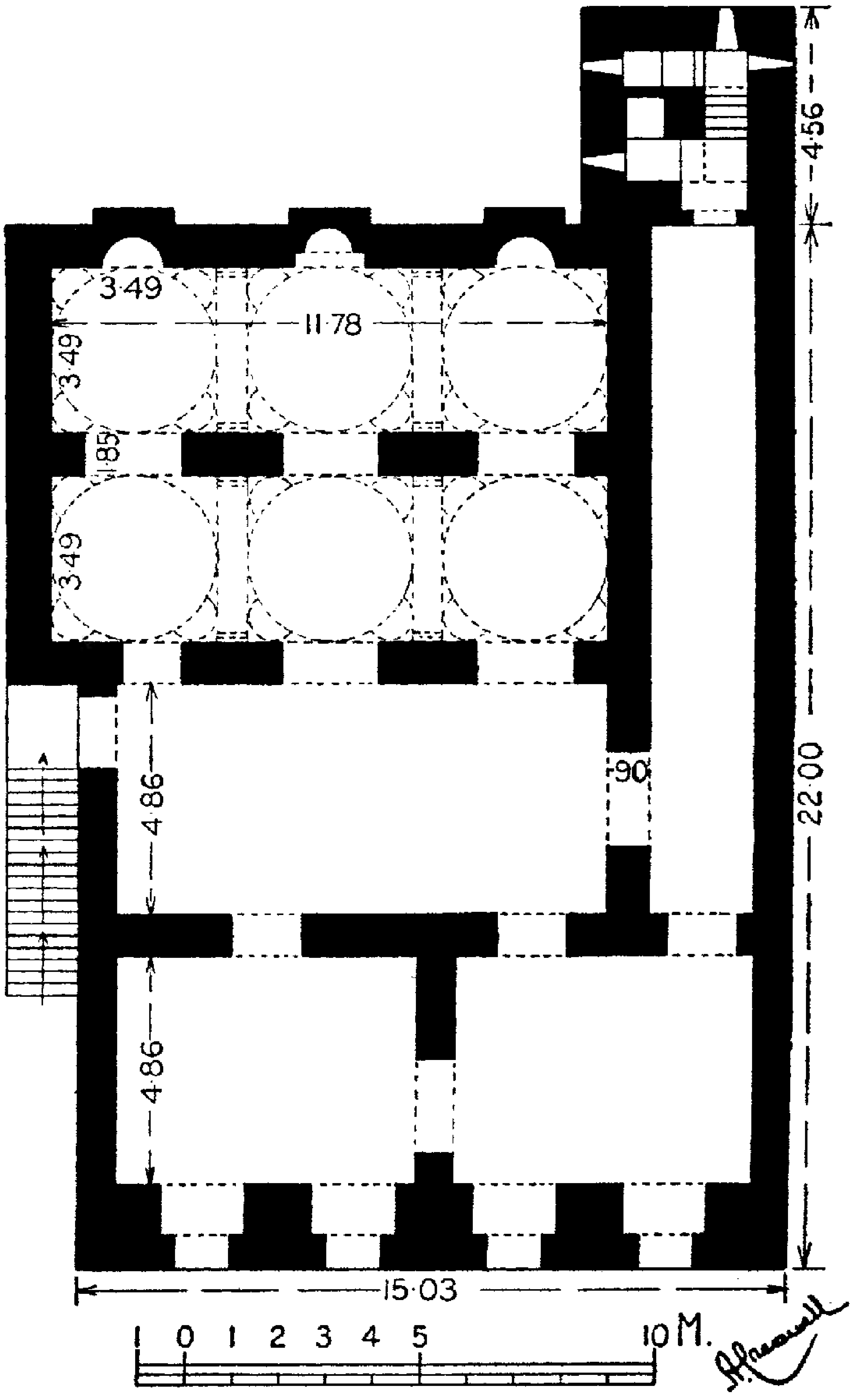

(شكل رقم ٧٦) المشهد القبلي : إعادة بناء لحالته الأصلية (كريزول) .

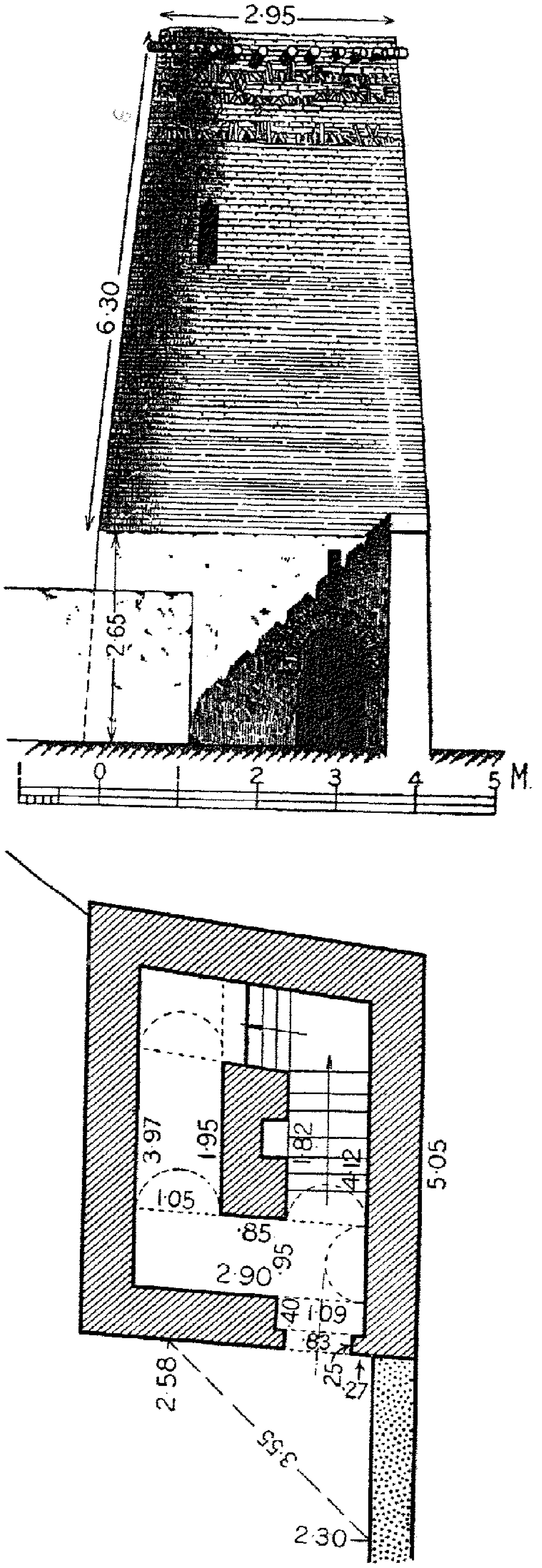

(شكل رقم ٧٧) أسوان : منذنة الطابية واجهة (الجانب الجنوبي)
(رسم فريد شافعي) ومسقط .

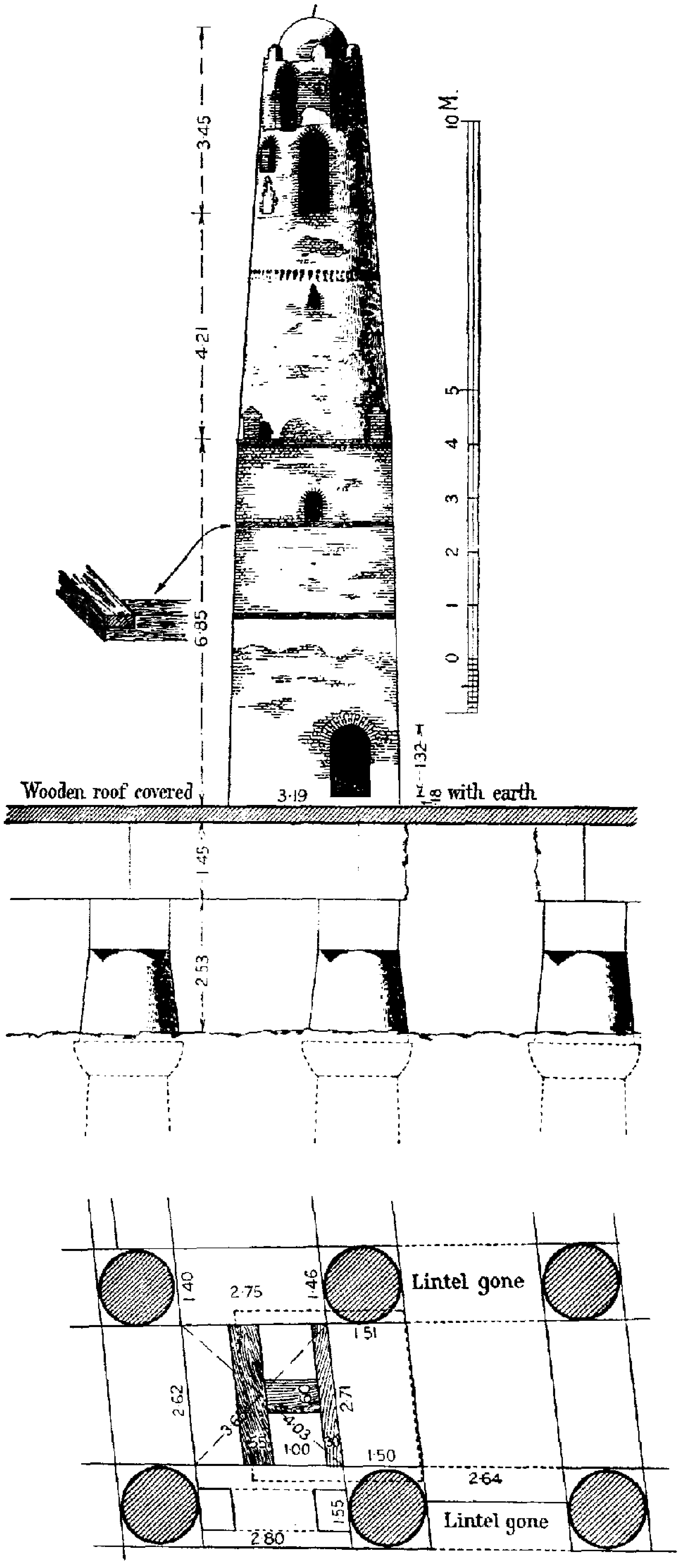

(شكل رقم ٧٨) الأقصر : منذنة أبي الحجاج، واجهة الجانب الشرقي (رسم فريد شافعي) ، وتشاهد في أسفل أعمدة المعبد الفرعوني .

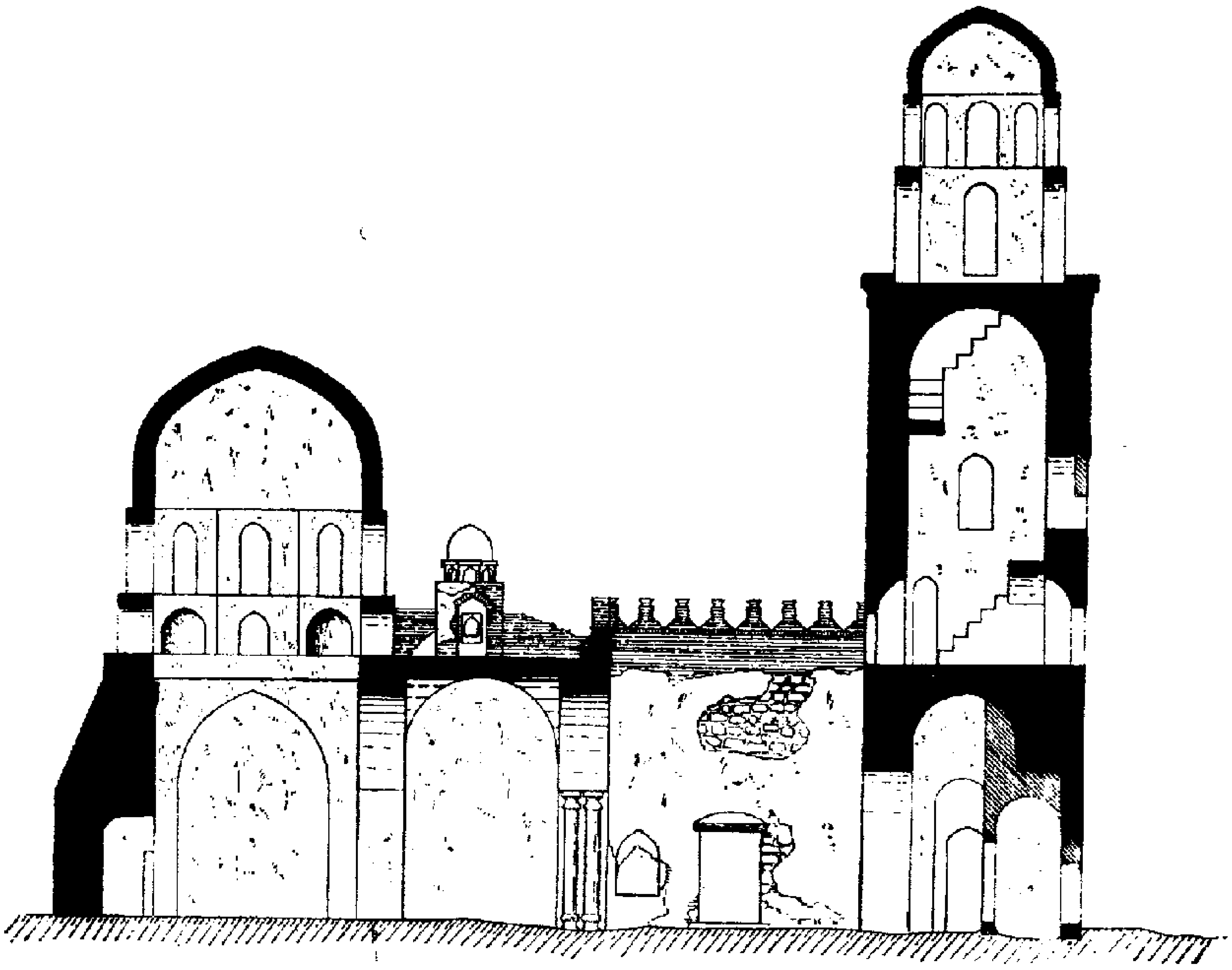

Section A-B

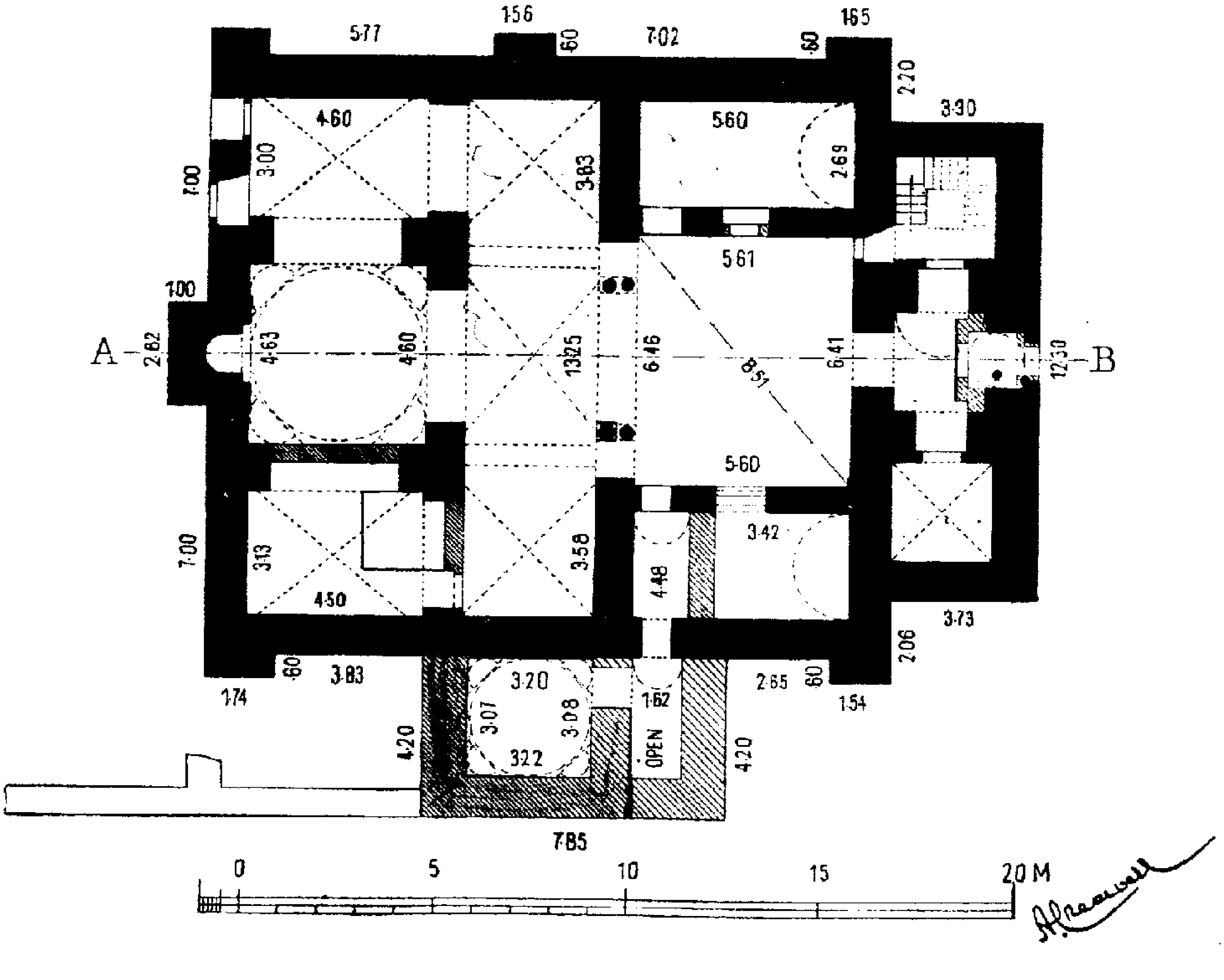

(شكل رقم ٧٩) مسجد (مشهد) الجيوشي : مسقط وقطاع .

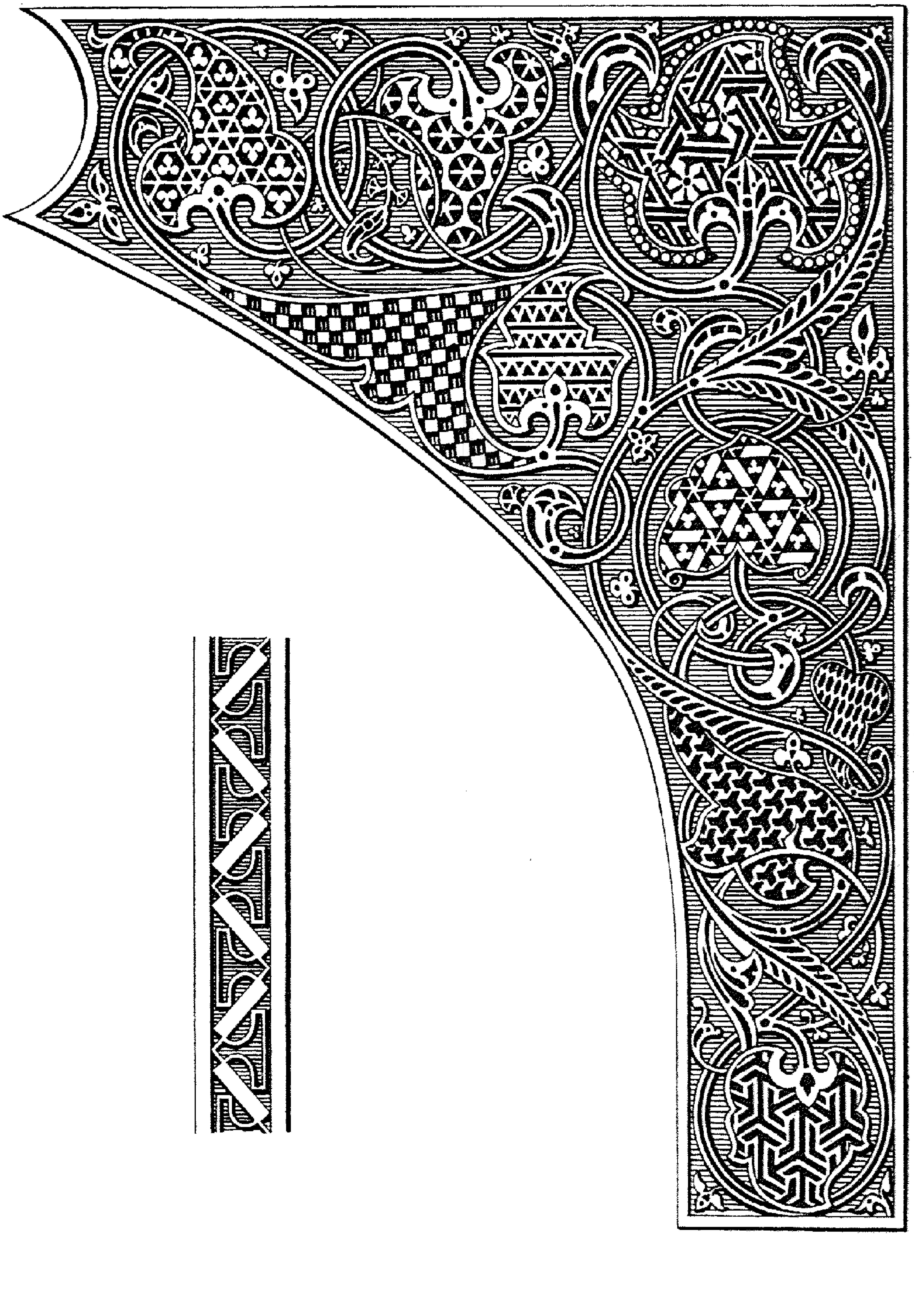

(شكل رقم ٨٠) مسجد الجيوشي : زخرفة المحراب (الكوشة) .

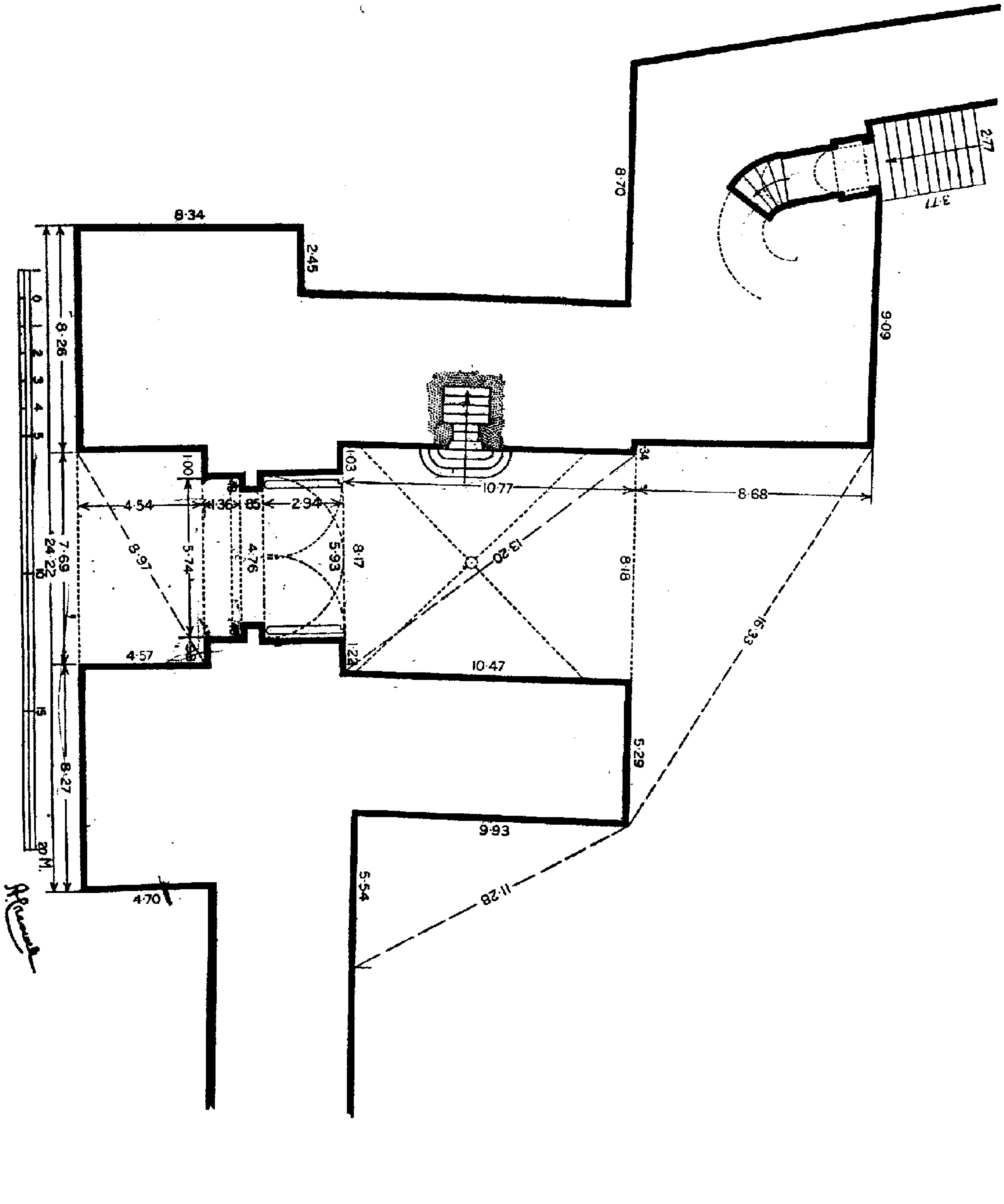

(شكل رقم ٨١) باب النصر : مسقط المستوى الأرضي .

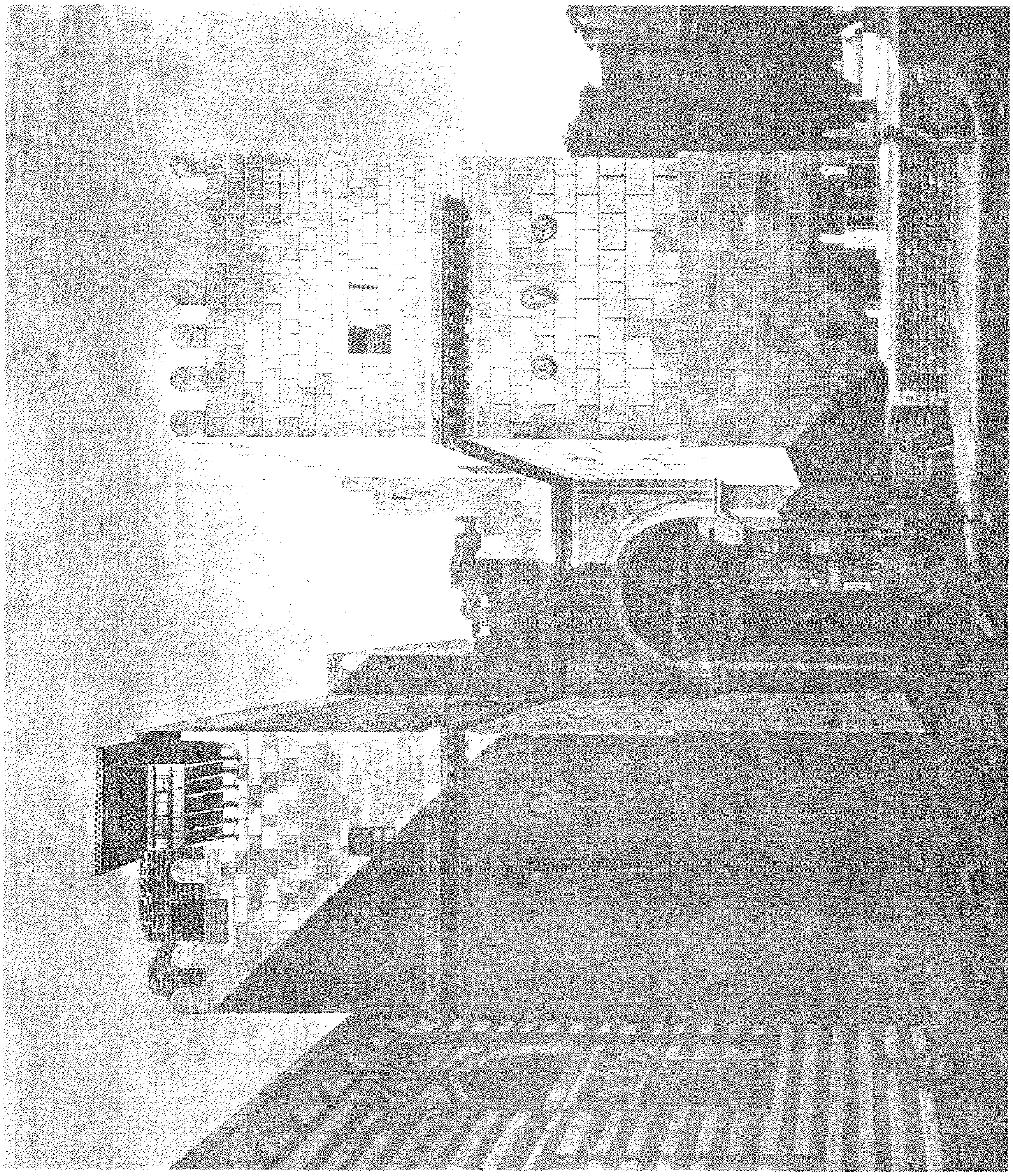

(شكل رقم ٨٢) باب النصر حوالى عام ١٧٩٩م (مسجد جانبلاط إلى اليسار) .
(عن : وصف مصر الدولة الحديثة . لوحة T.i) .

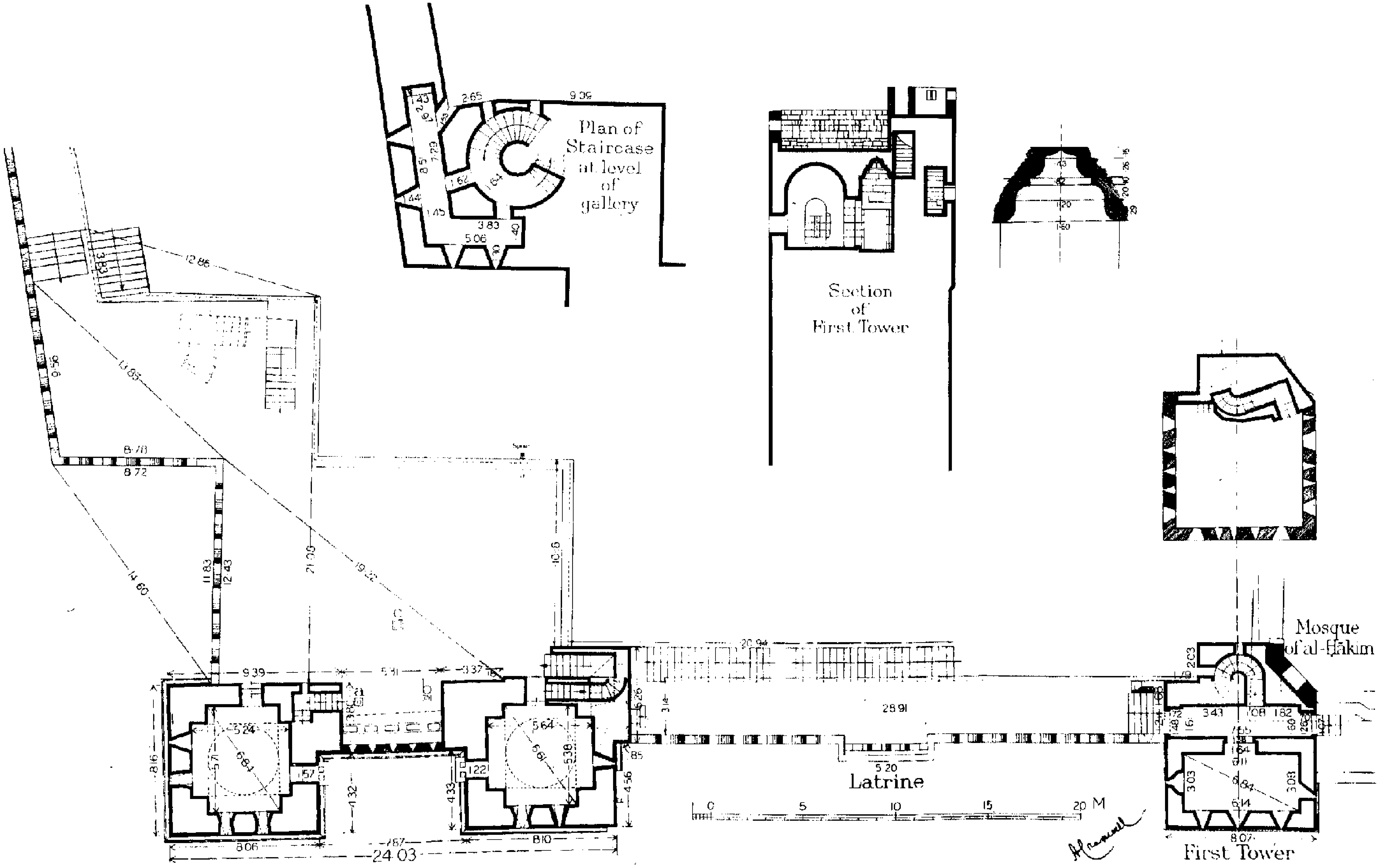

(شكل رقم ٨٣) باب النصر : مسقط في مستوى المنصة (الطابق العلوي) السور المتجه غربا والبرج الأول .

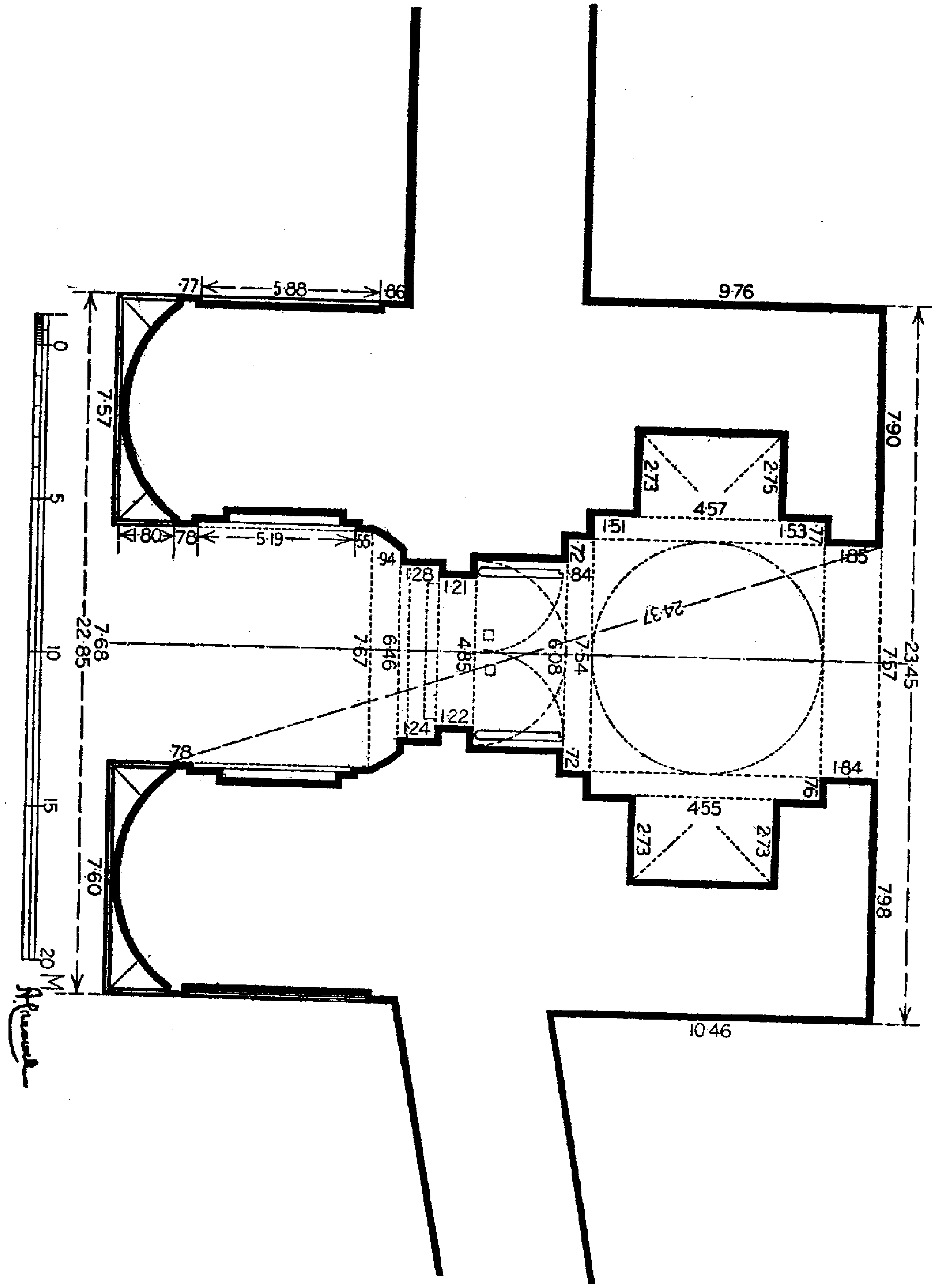

(شكل رقم ٨٤) باب الفتوح : مسقط المستوى الأرضي .

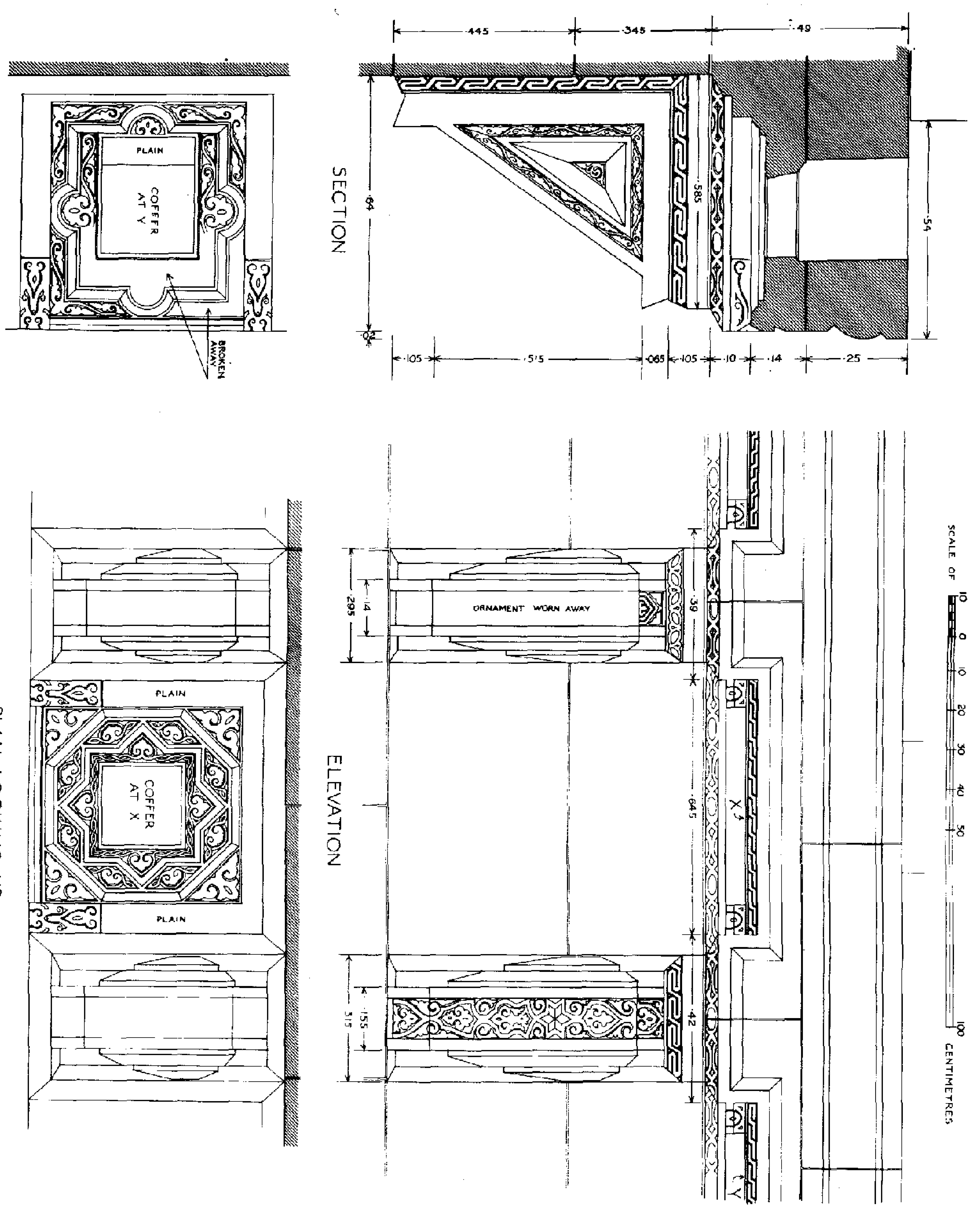

(شكل رقم ٨٥) باب الفتوح : تفصيل للكوابيل (رسم ليون) .

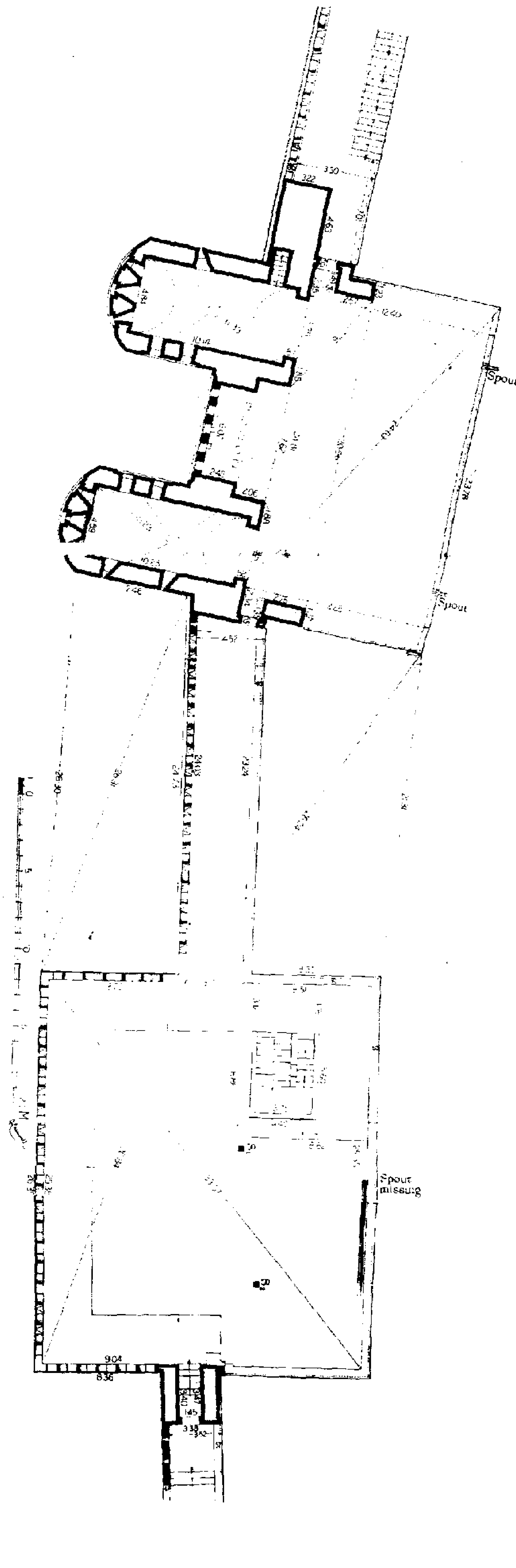

(شكل رقم ٨٦) باب الفتوح : مسقط في مستوى المنصة الرئيسية
(الطابق العلوي) : السور وبرج السلم .

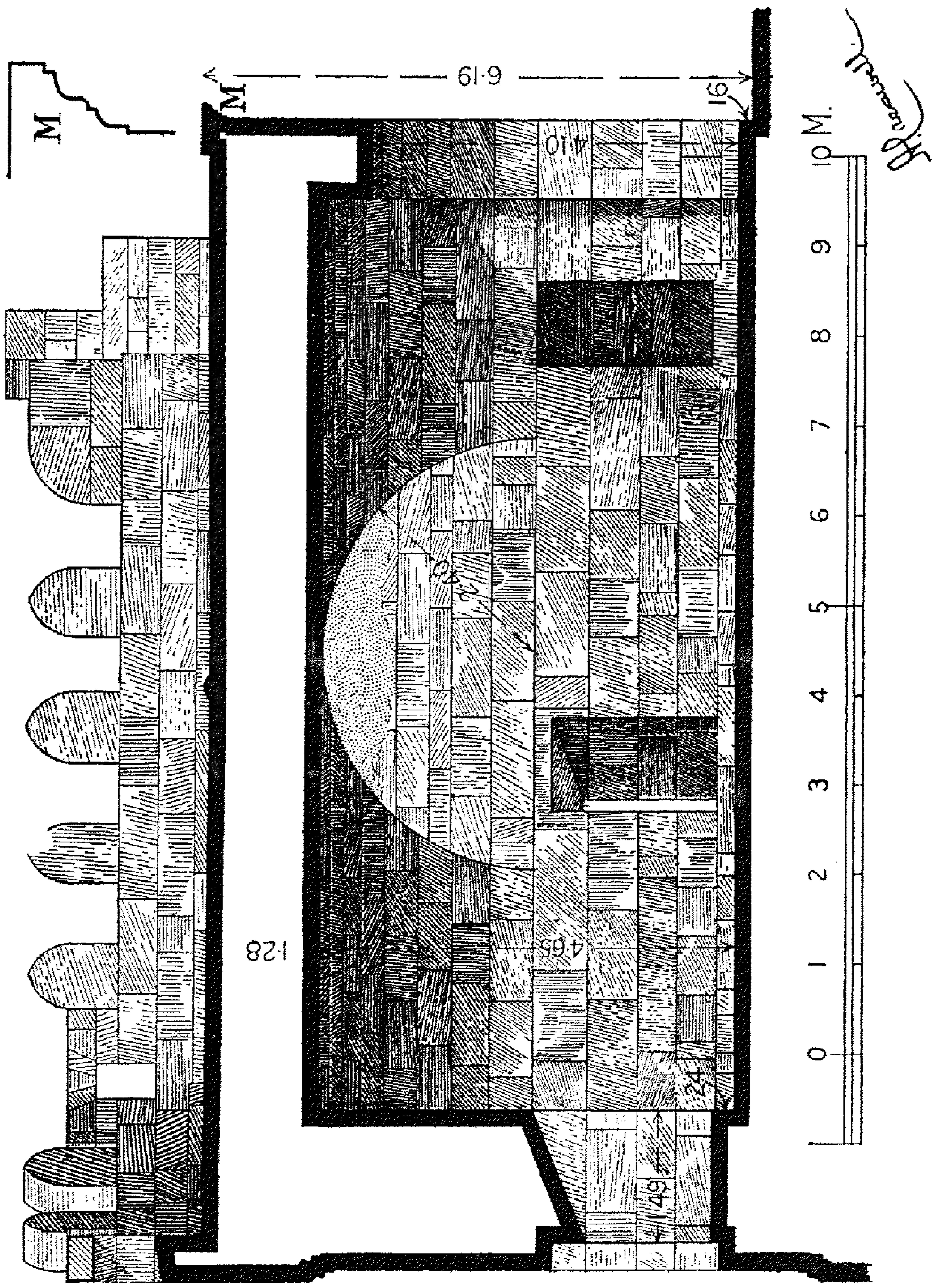

(شكل رقم ٨٧) باب الفتوح : قطاع لحجرة في البرج الشرقي .

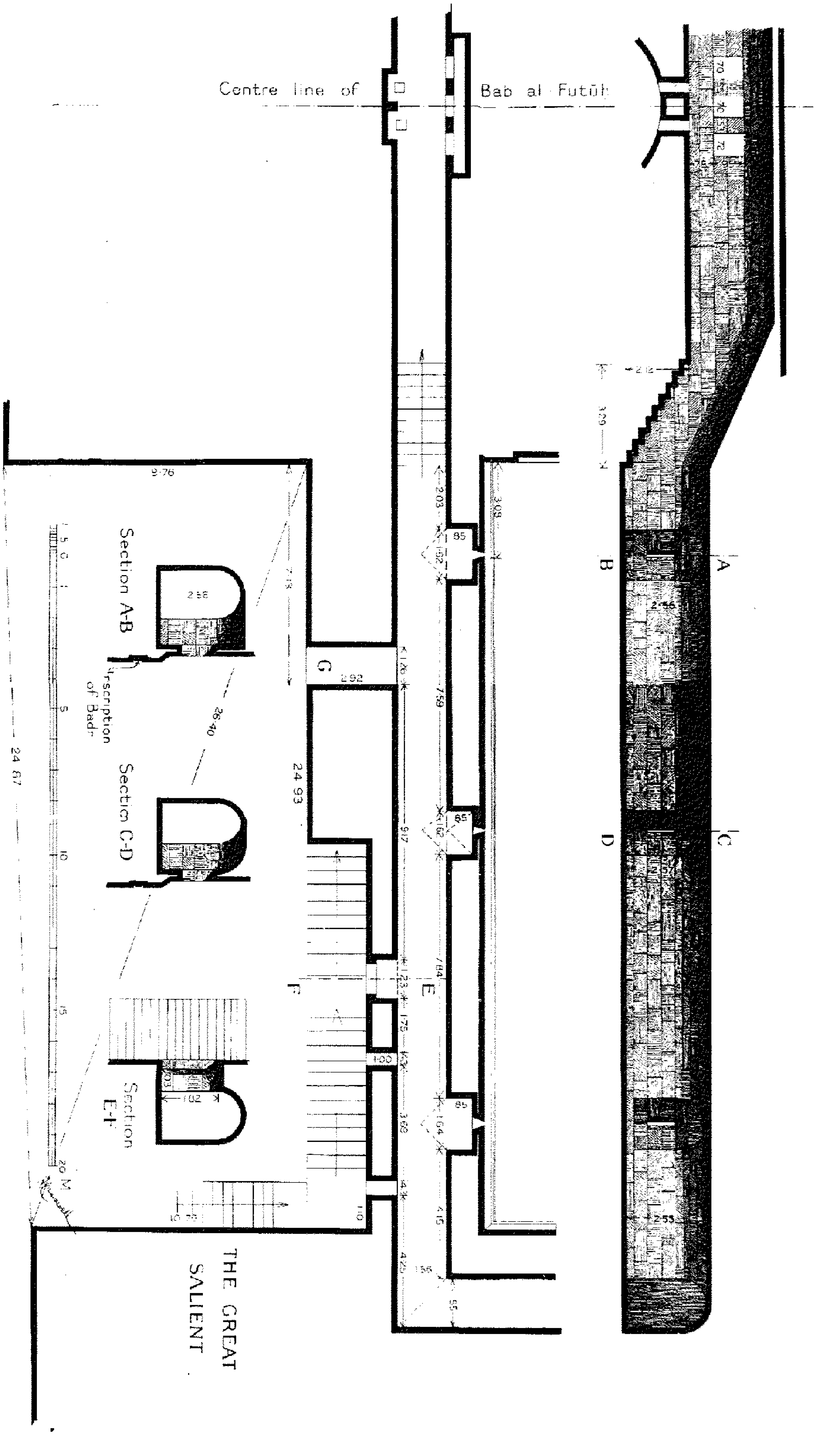

(شكل رقم ٨٨) باب الفتوح : ويشاهد ممر السور وهو يخترقه .

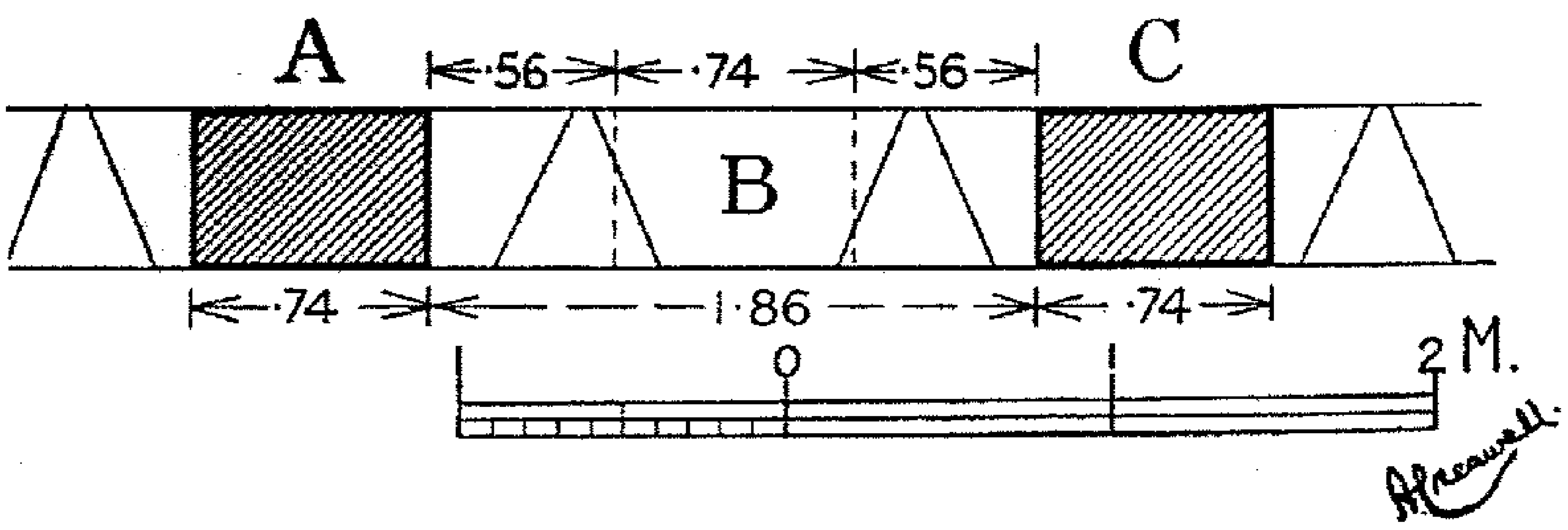

(شكل رقم ٨٩) السور الشمالي : الشرافات ،
ويشاهد موضع الأعتاب المنحدرة .

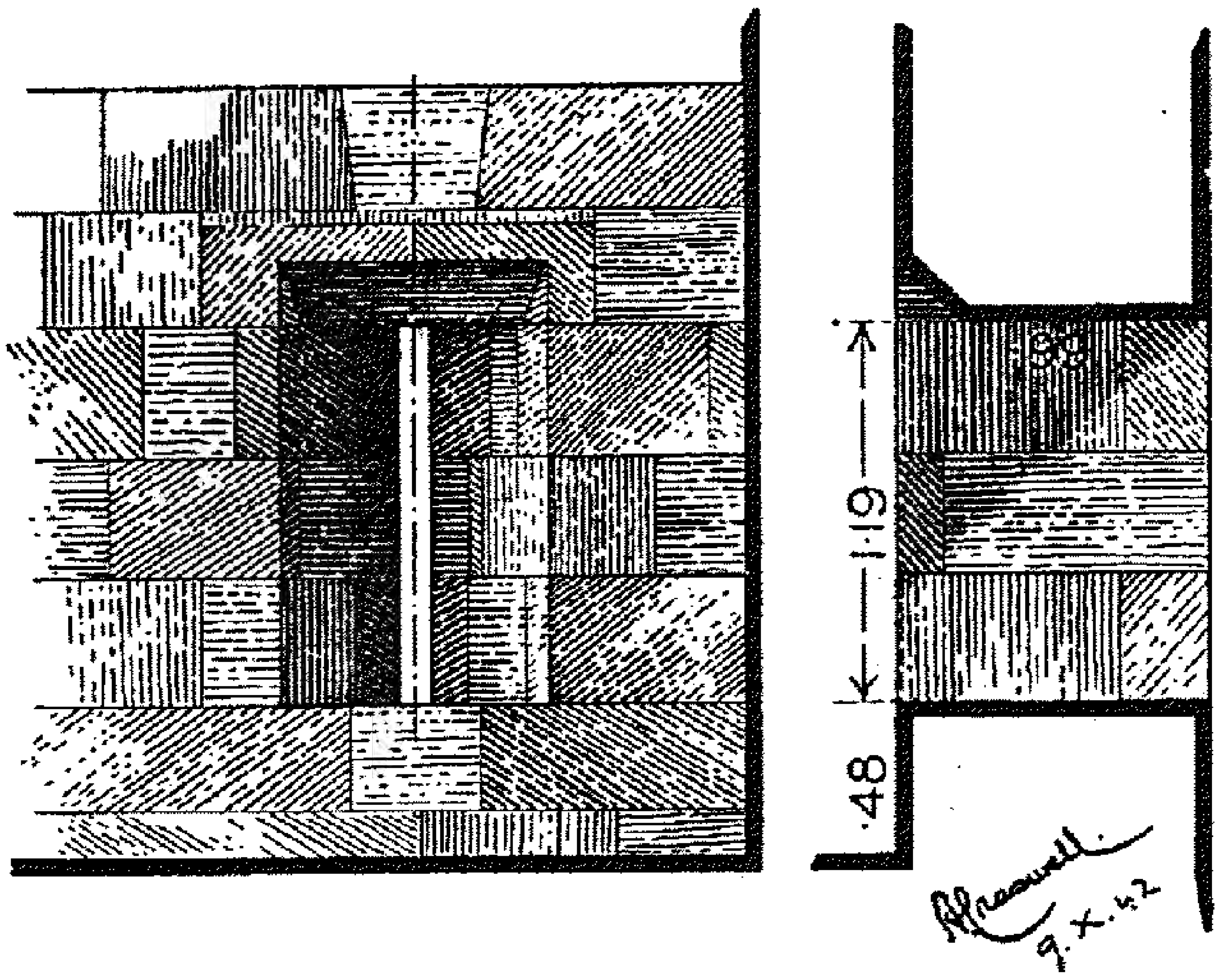

(شكل رقم ٩٠) السور الشمالي مزغل في البرج الأول .

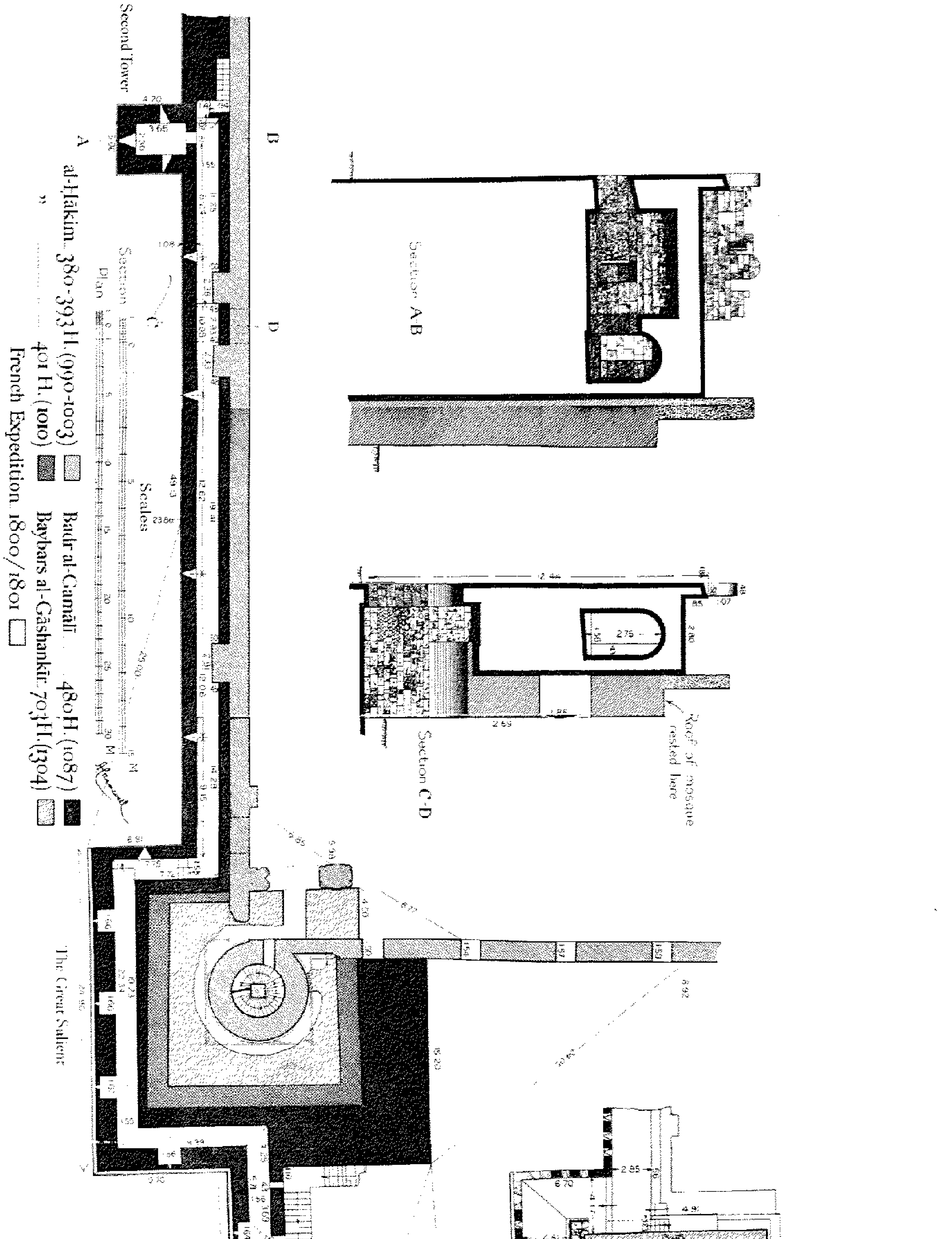

(شكل رقم ٩١) مسقط البرج الثاني، السور والبروز الكبير .

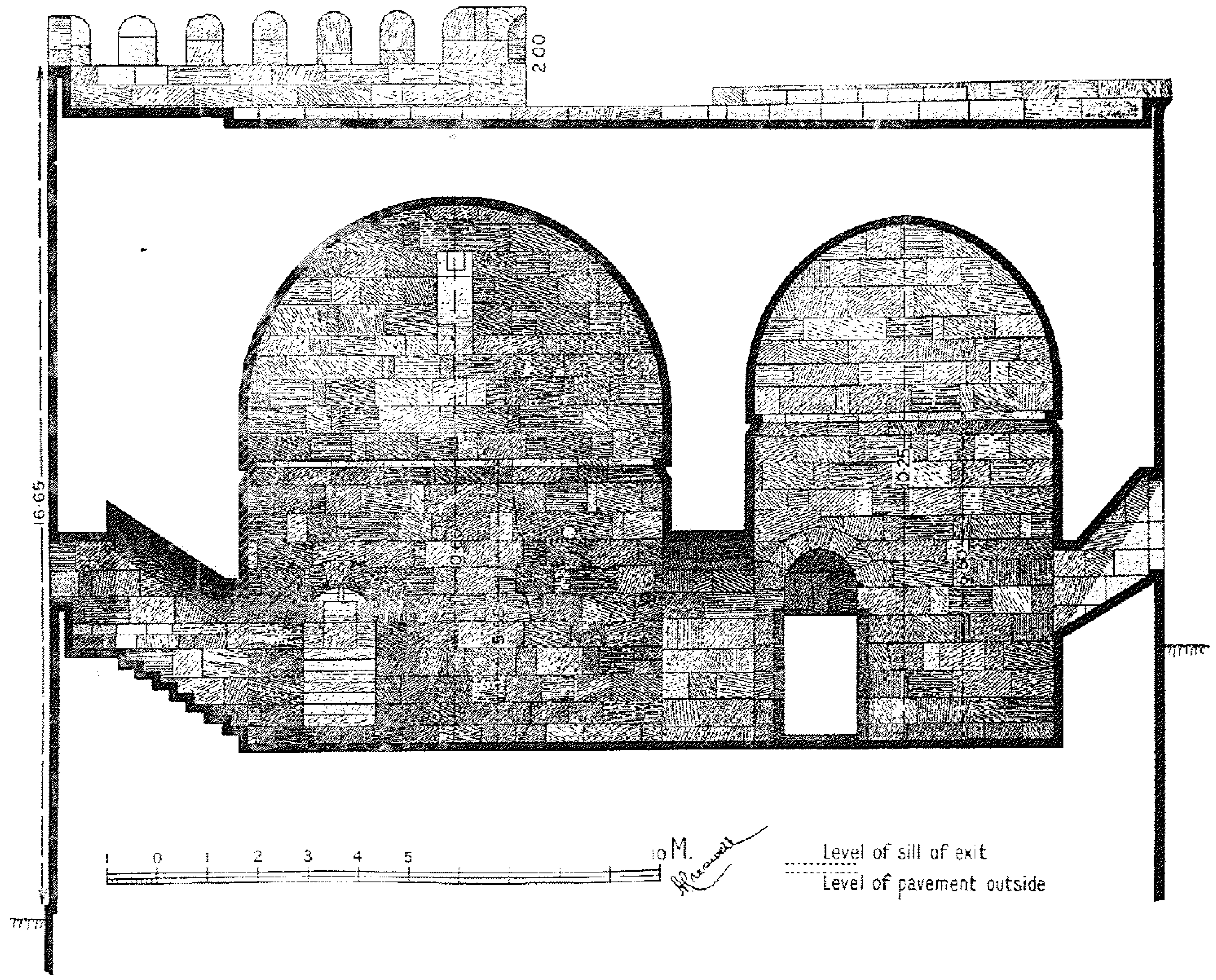

(شكل رقم ٩٢) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح ، قطاع A-B .

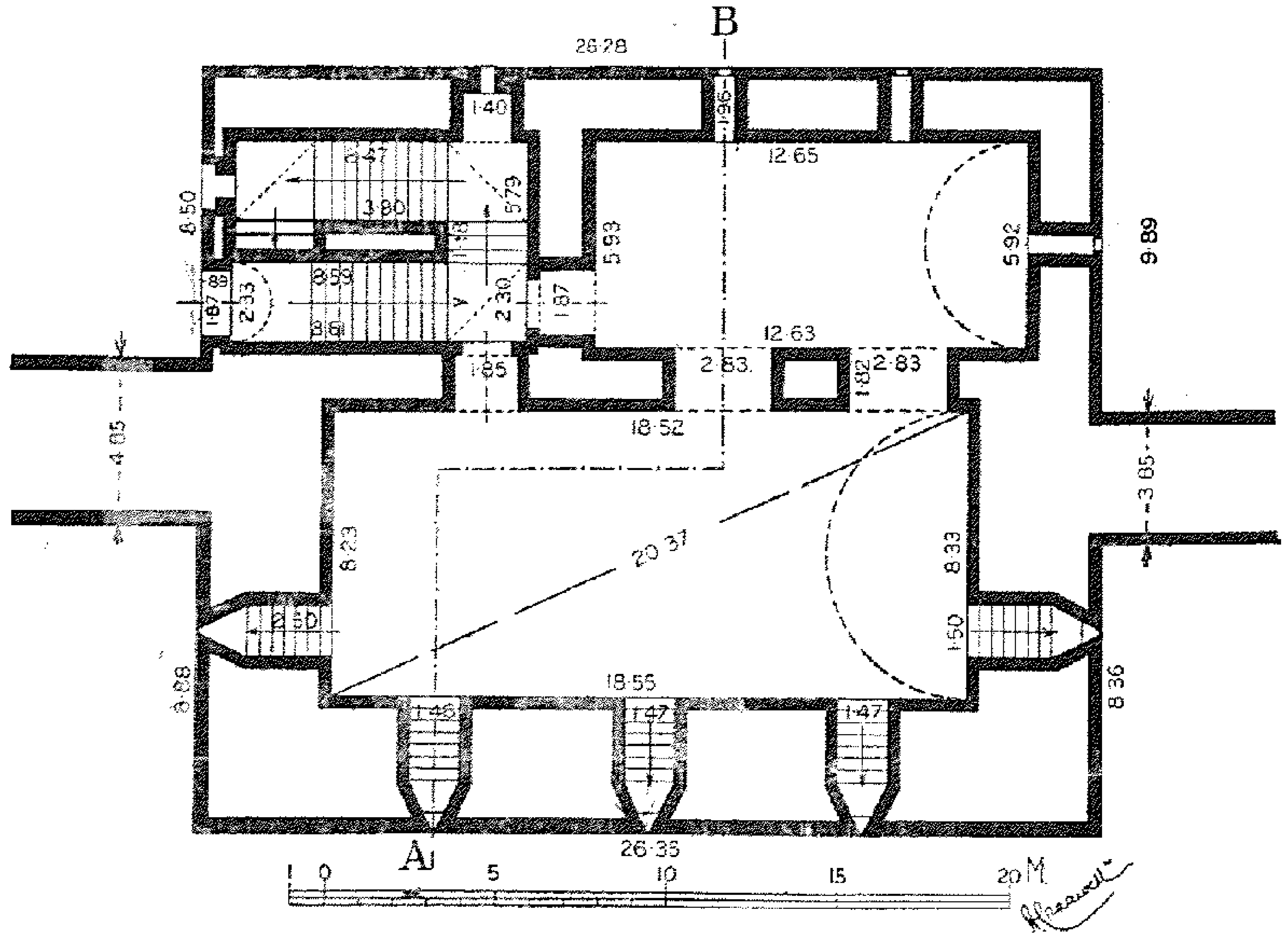

(شكل رقم ٩٣) برج السلم إلى الغرب من باب الفتوح : مسقط .

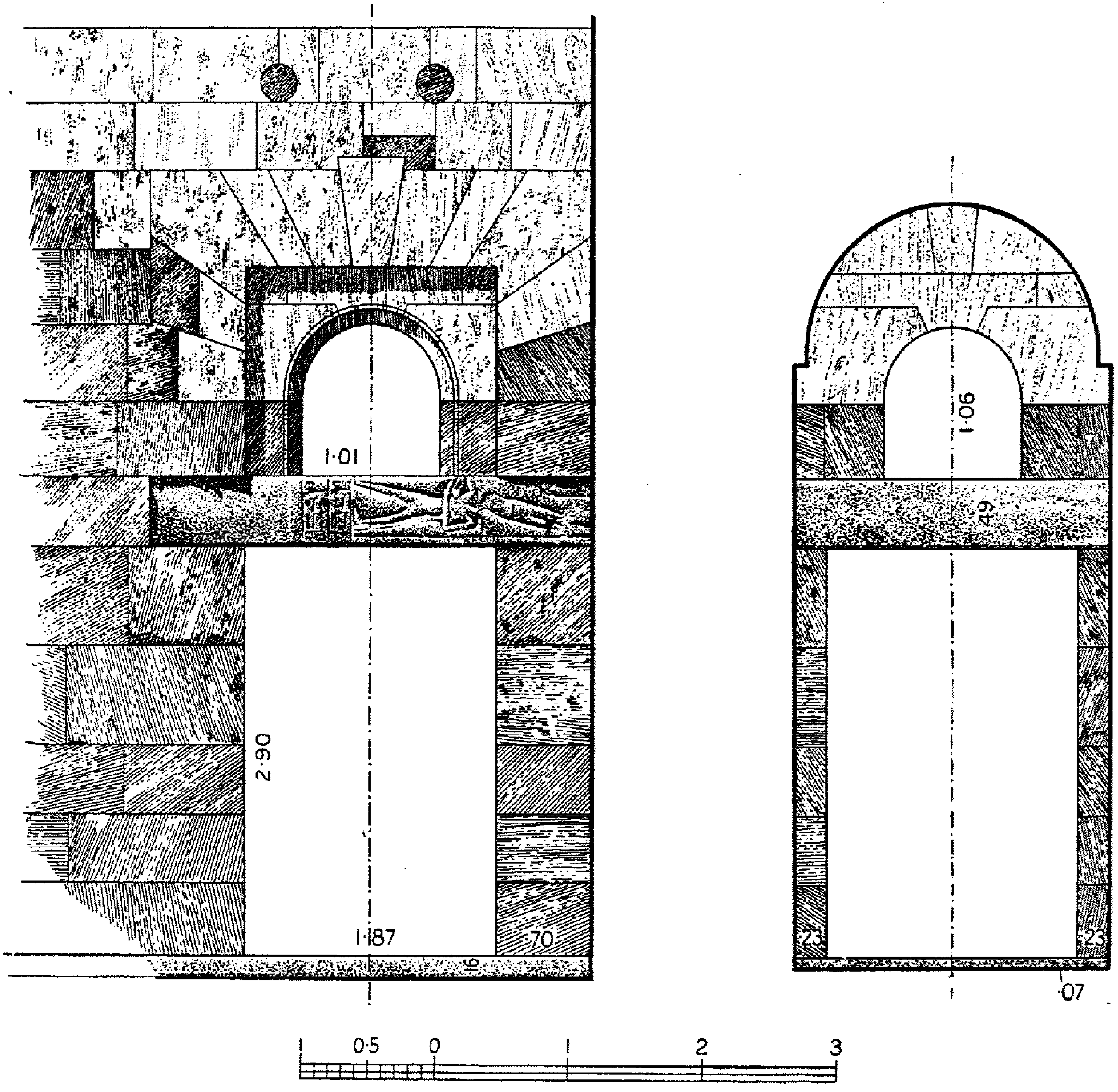

(شكل رقم ٩٤) برج السلم : المدخل . بعد الترميم .

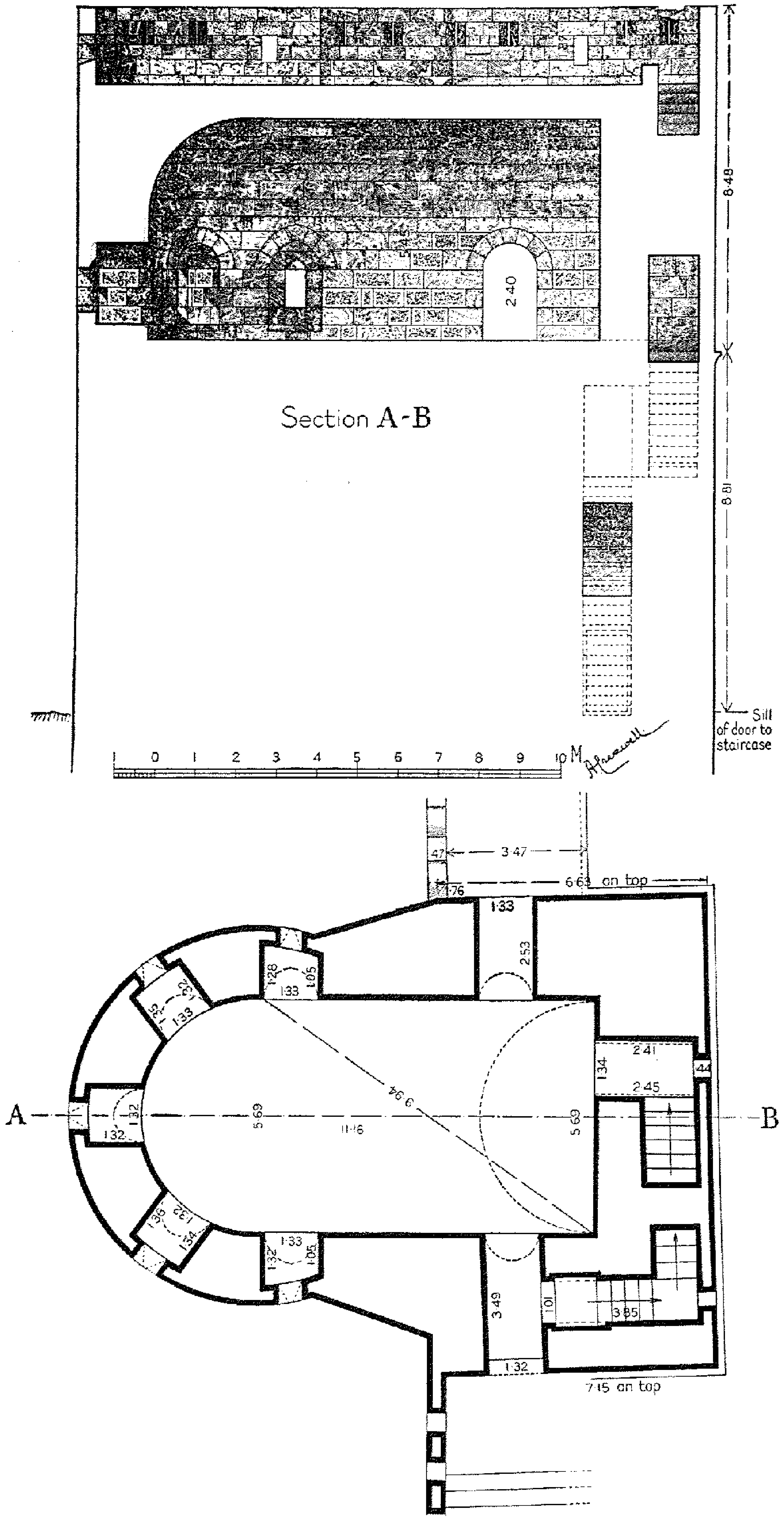

(شكل رقم ٩٥) البرج ذو الواجهة المستديرة : قطاع ومسقط .

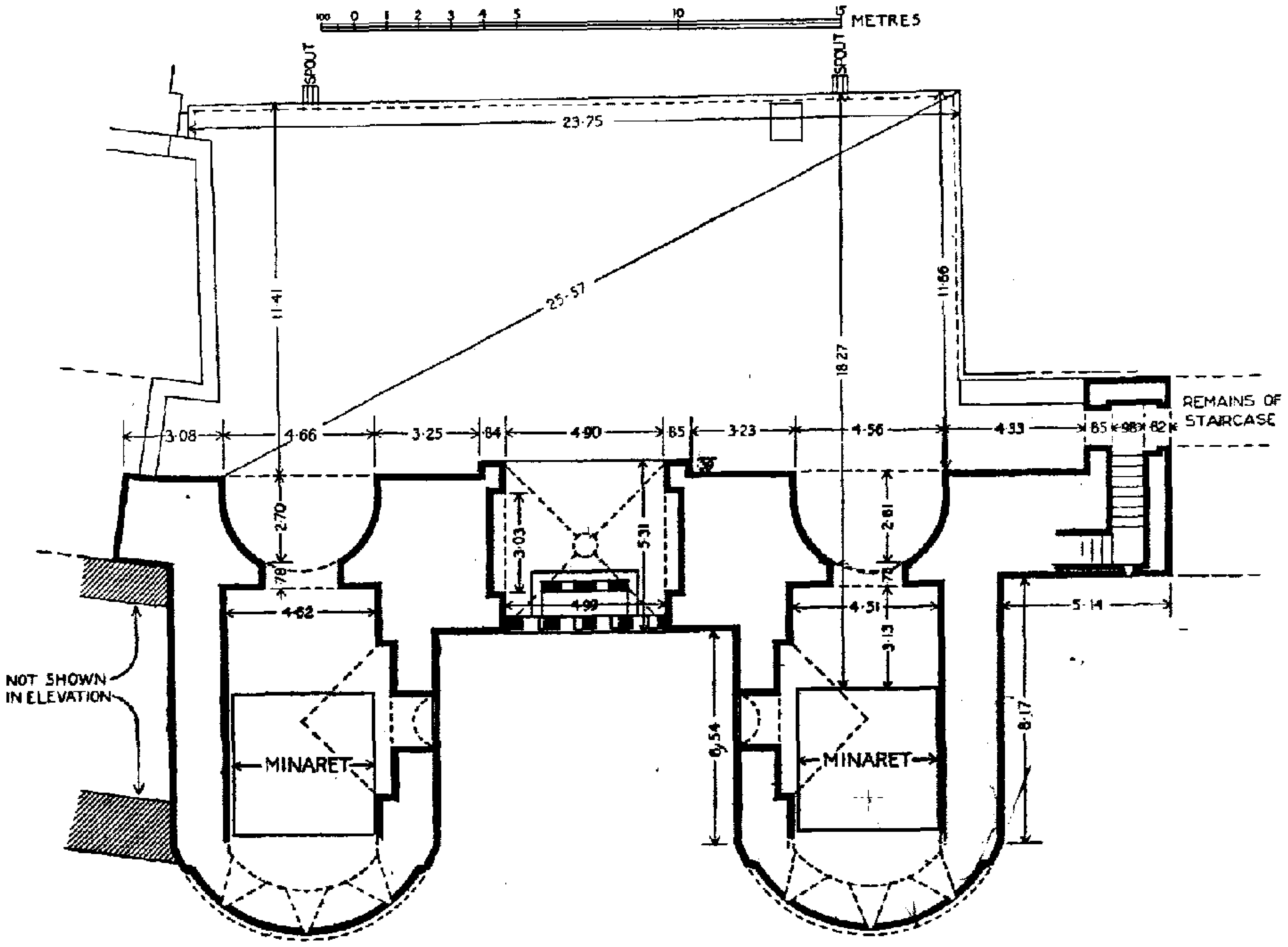

(شكل رقم ٩٦) باب زويله : مسقط الطابق العلوي (رسم مورياك ليون) .

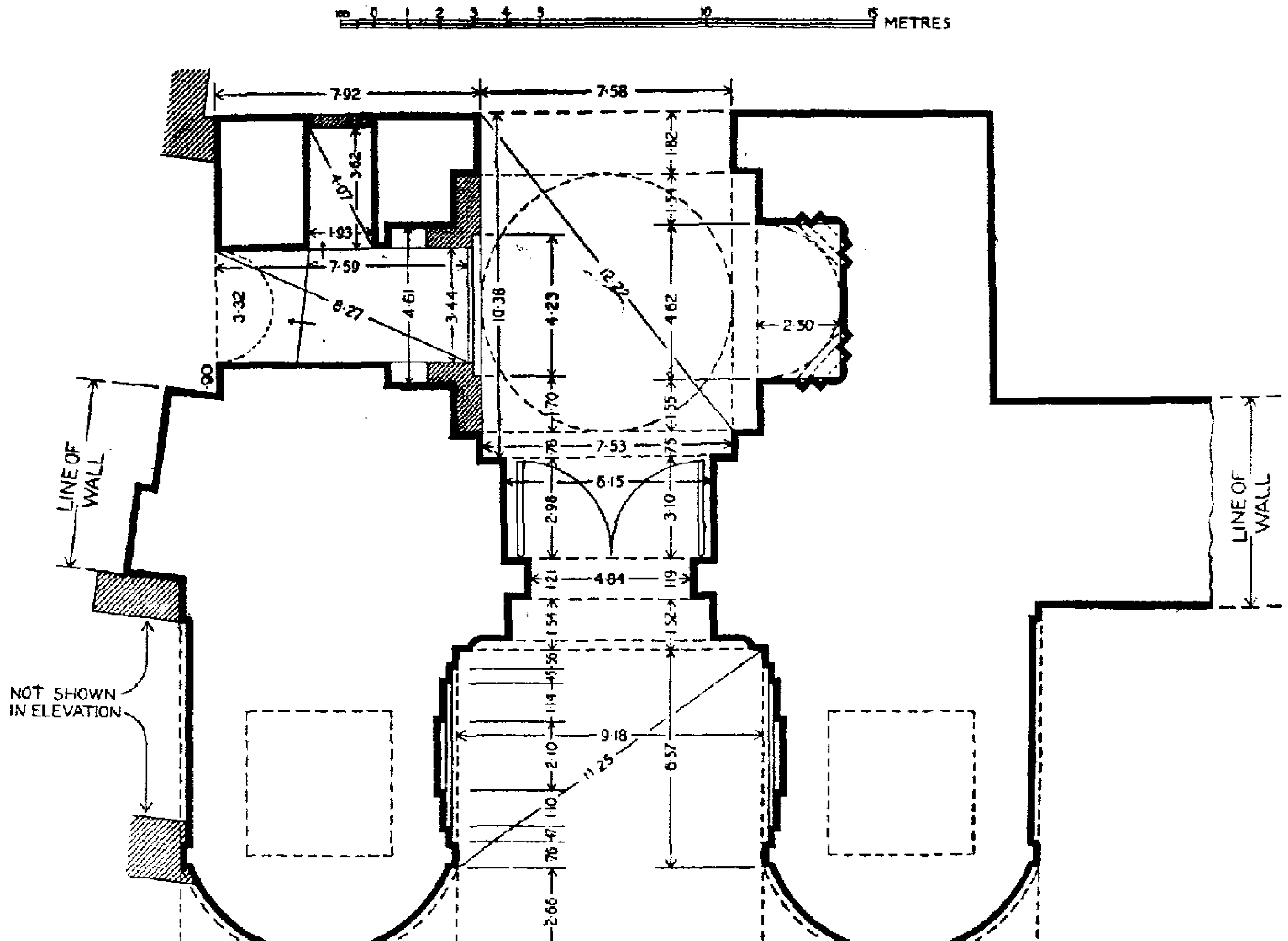

(شكل رقم ٩٧) باب زويلة : مسقط (رسم مورياك ليون) .

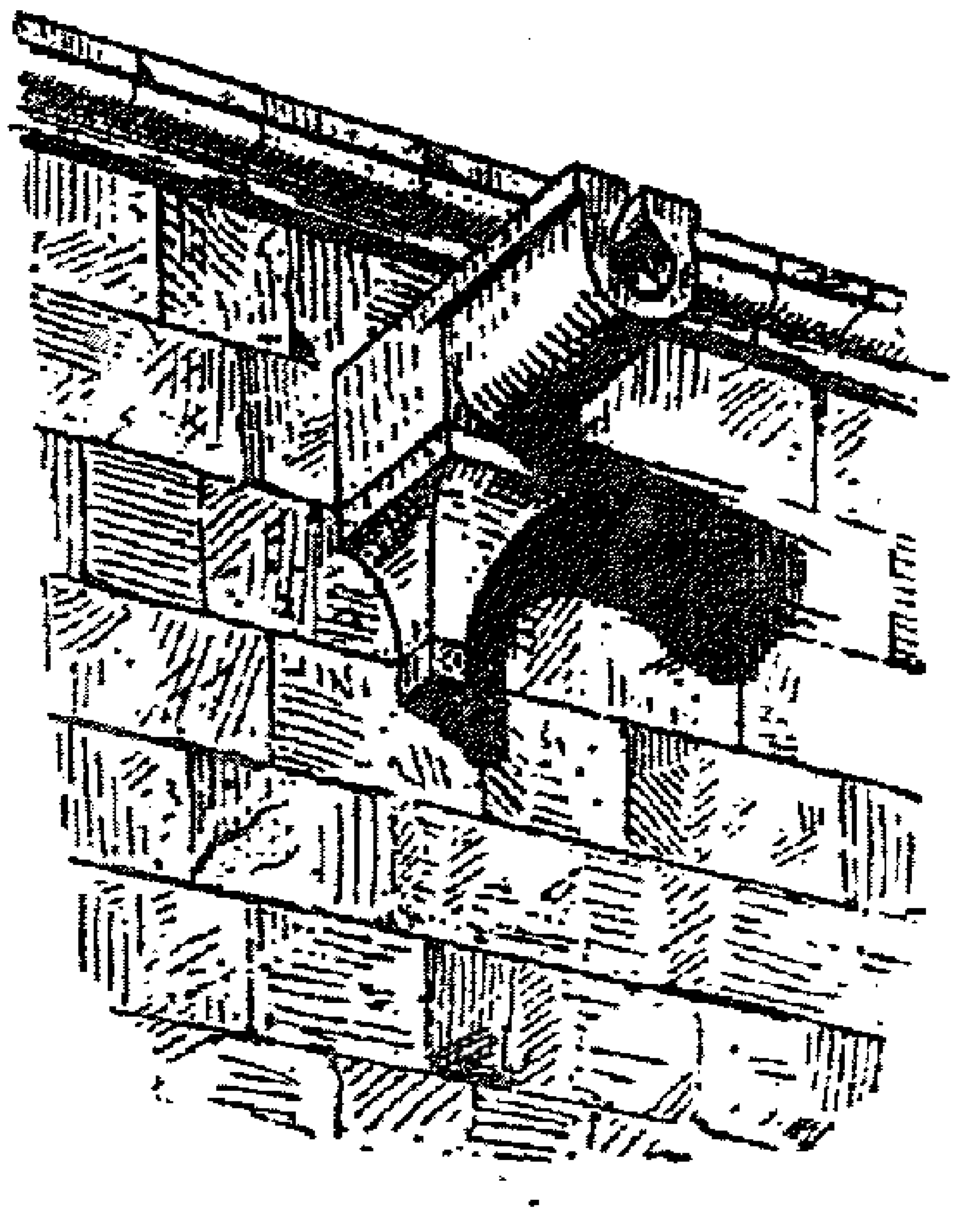

(شكل رقم ٩٨) باب زويلة : مزراب (عن فرانز : فن الإسلام) .

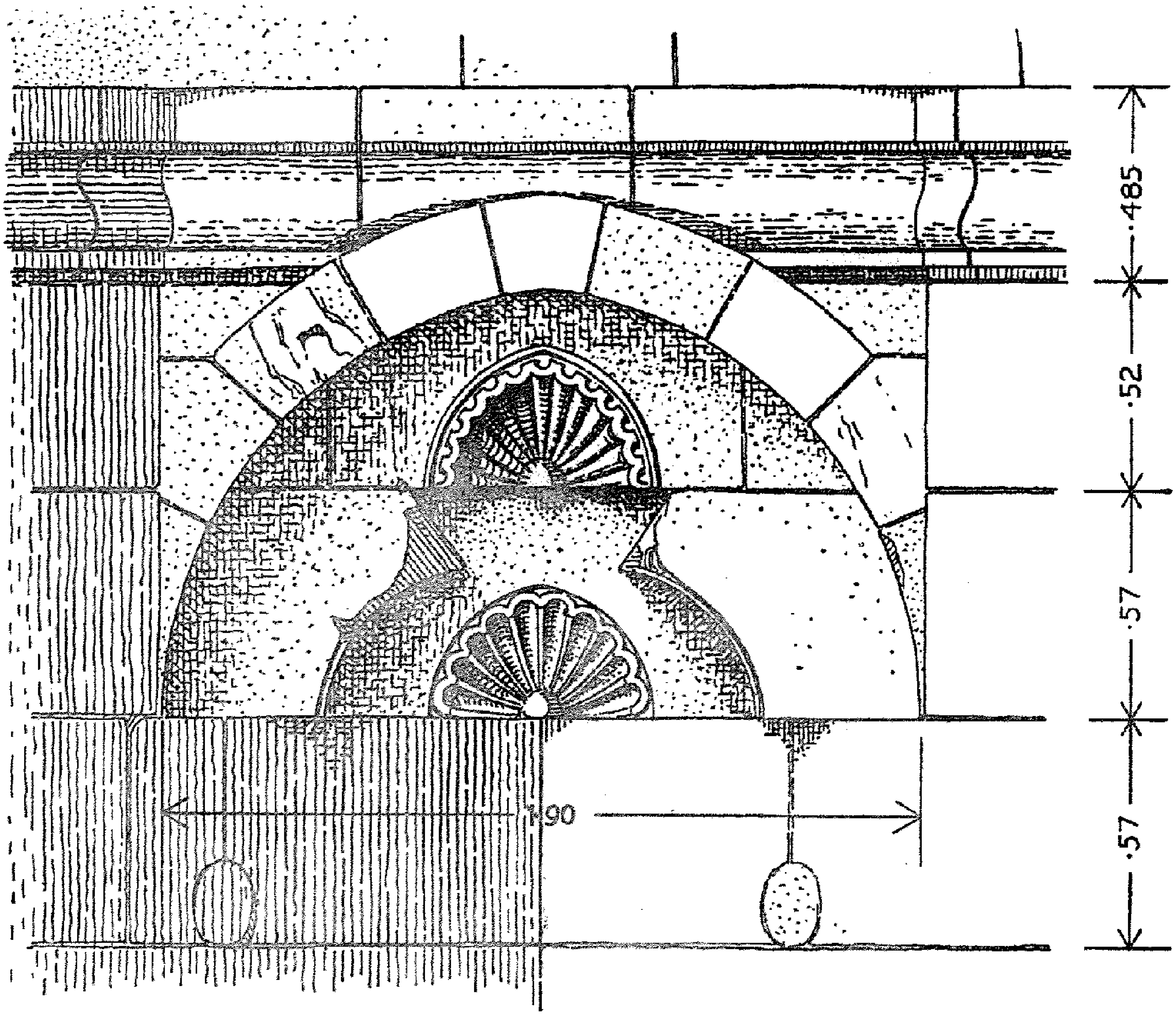

(شكل رقم ٩٩) باب زويله : حنية ركنية (رسم موريالك ليون) .

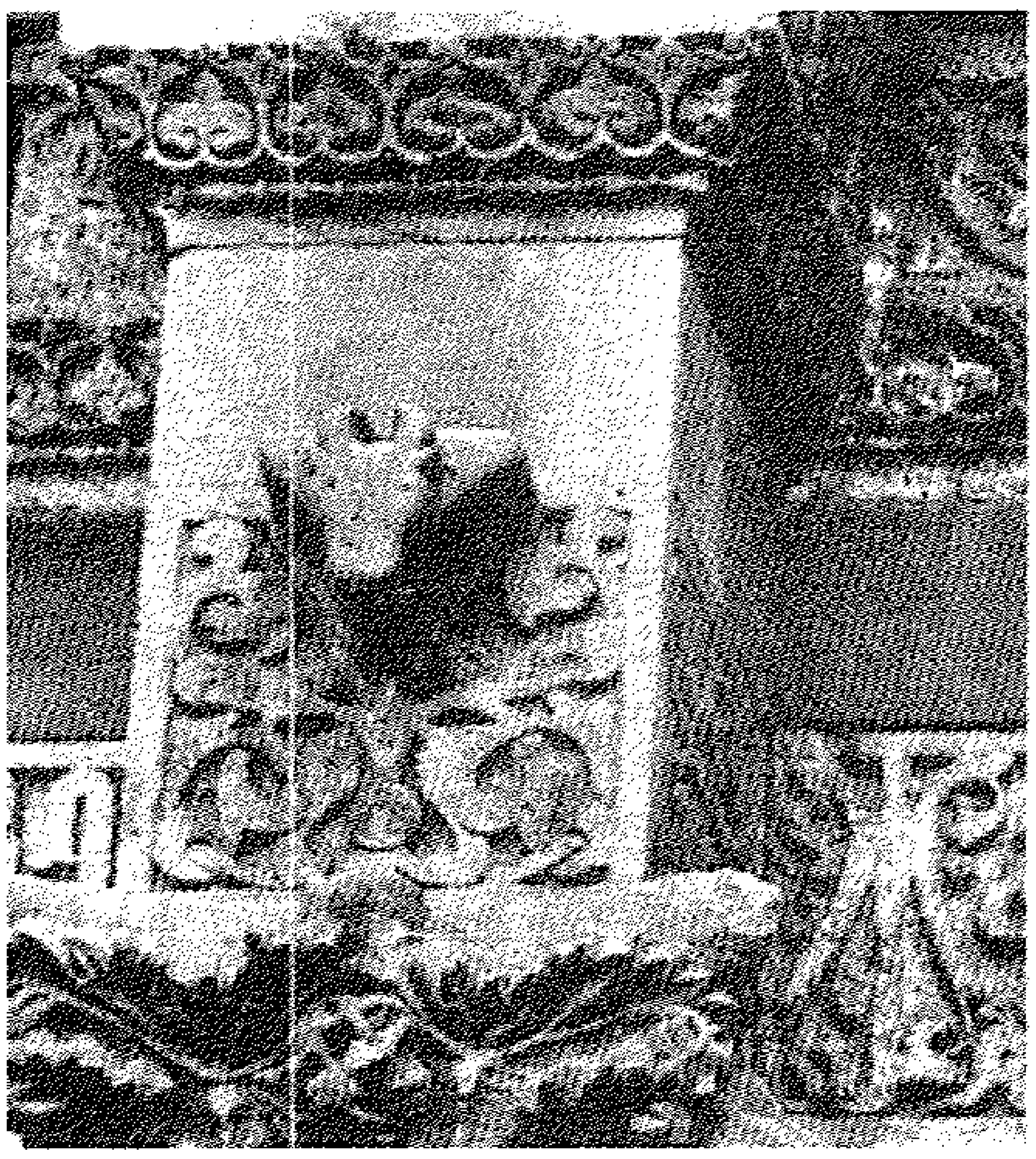

(شكل رقم ١٠٠) دياربكر : الجامع . رأس الثور .

(شكل رقم ١٠١) طبق فضي ساساني . (عن : جرترود بل : قصر ومسجد الأخيضر) .

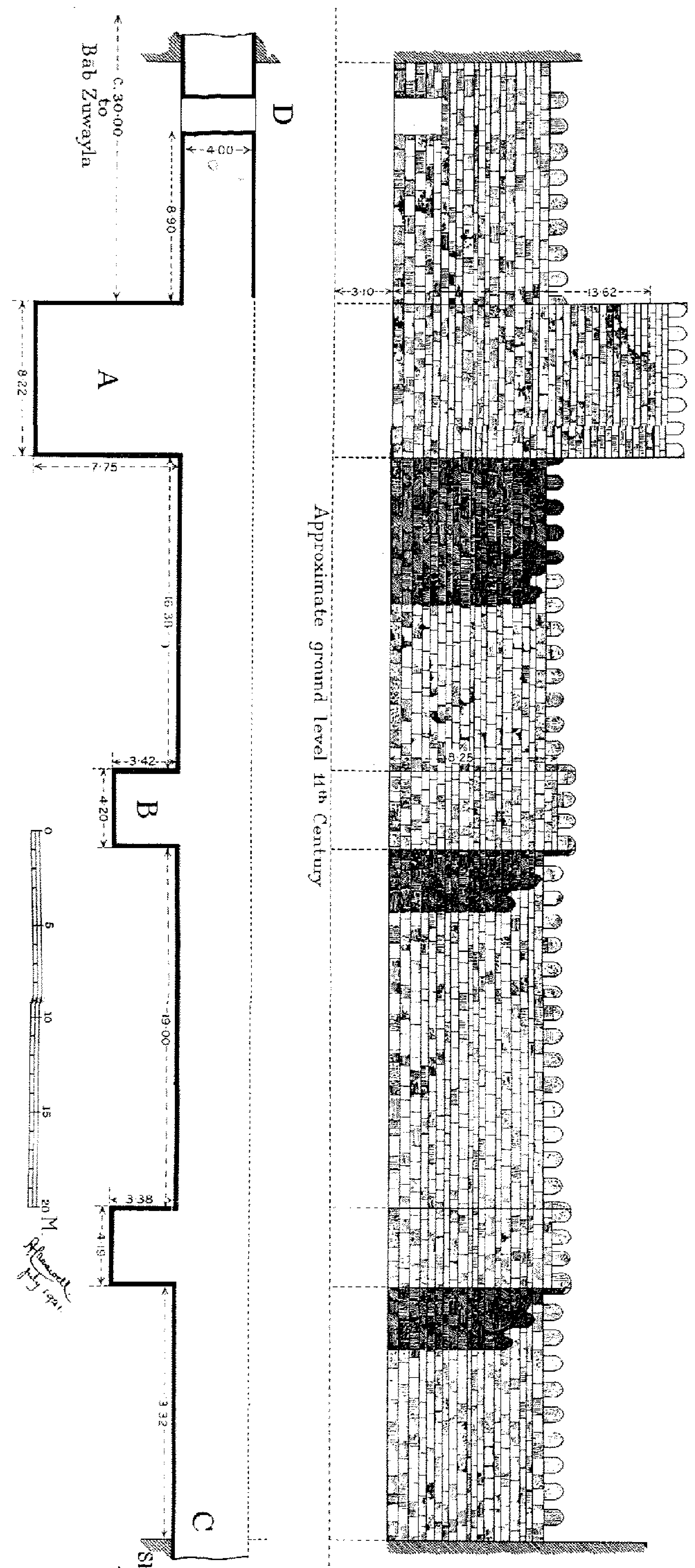

(شكل رقم ١٠٢) السور : الجزء الذى لا يزال باقيا إلى الشرق من باب زويلة .

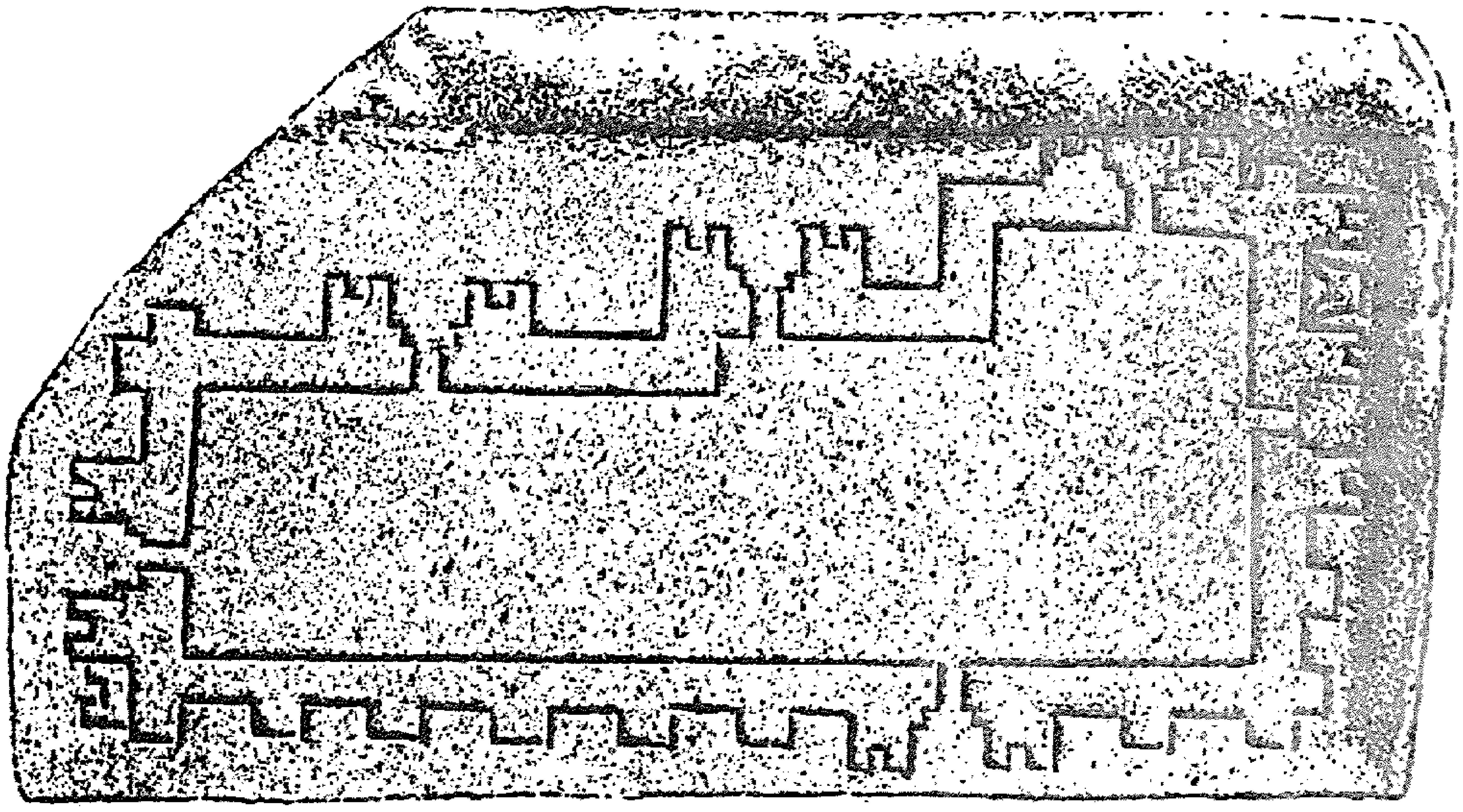

(شكل رقم ١٠٣) لجش : مسقط الأكروبول (عن : ديولافوى ، اكروبول سوسه) .

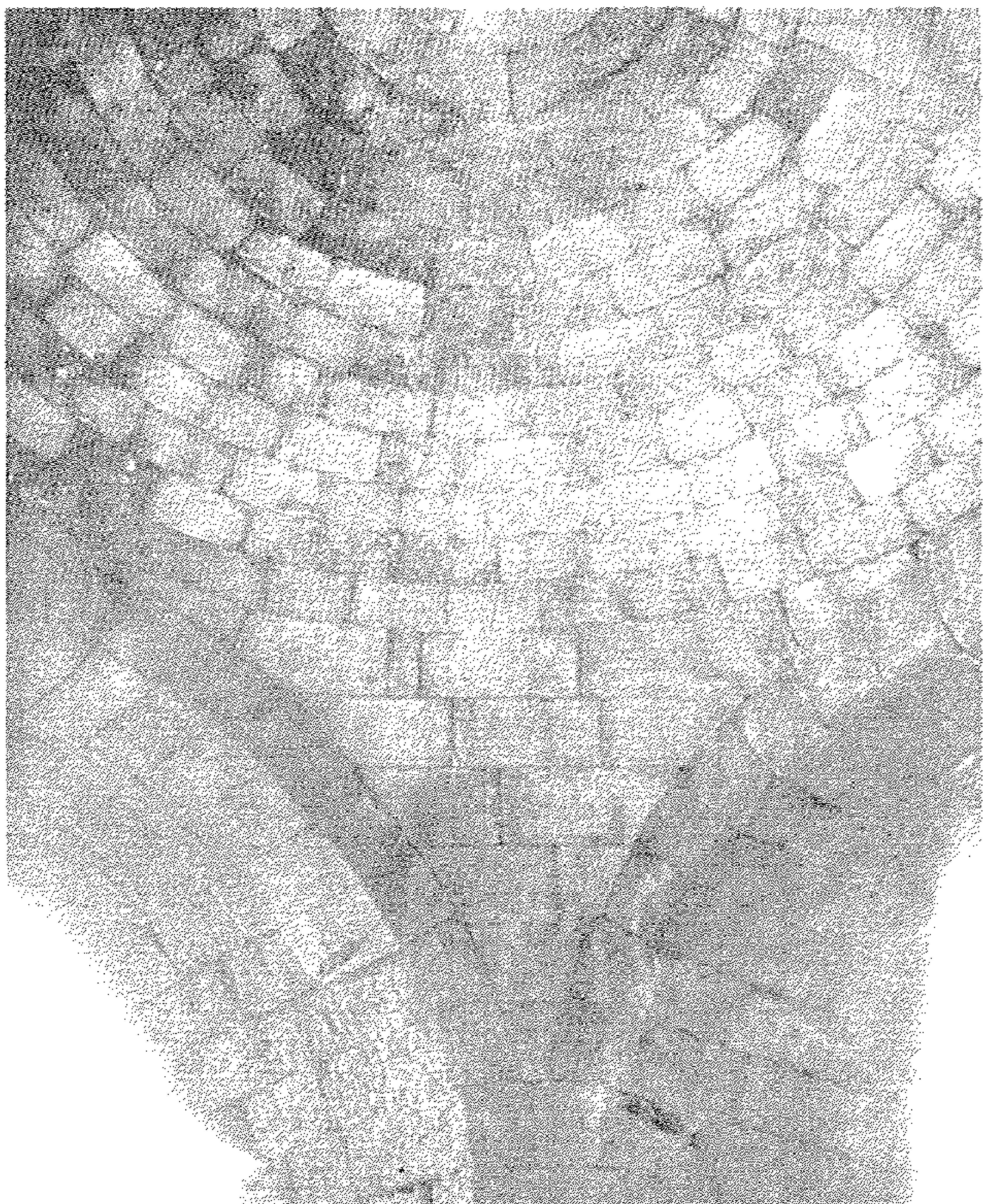

(شكل رقم ١٠٤) جرش : مثلث كروي في حمام

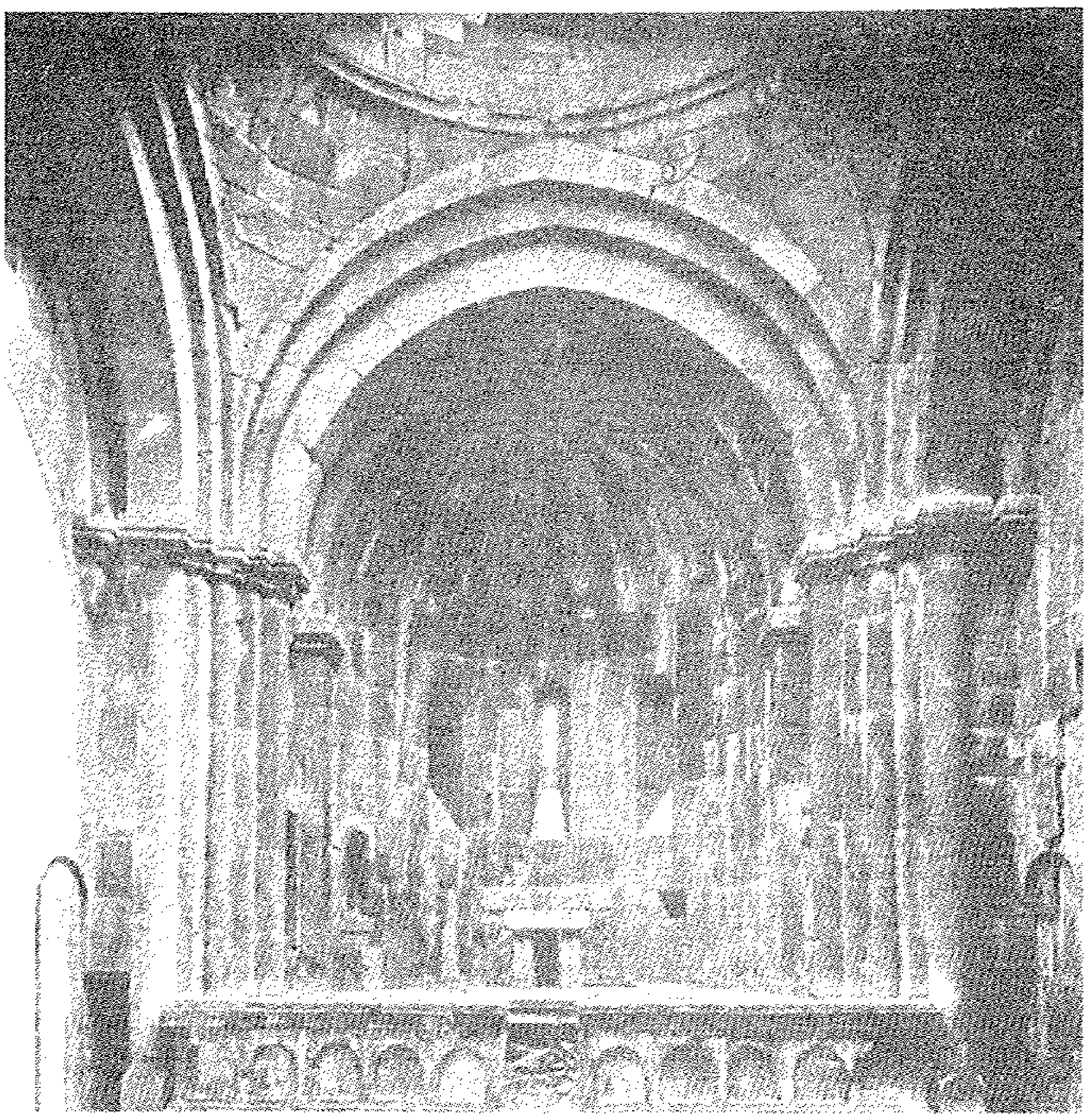

(شكل رقم ١٠٥) كينشواروس : مثلثات كروية (عن : ستروجوفسكى) .

(شكل رقم ١٠٦) قيسارية : مرفا ذو أعمدة وضعت كأربطة (ميد) .

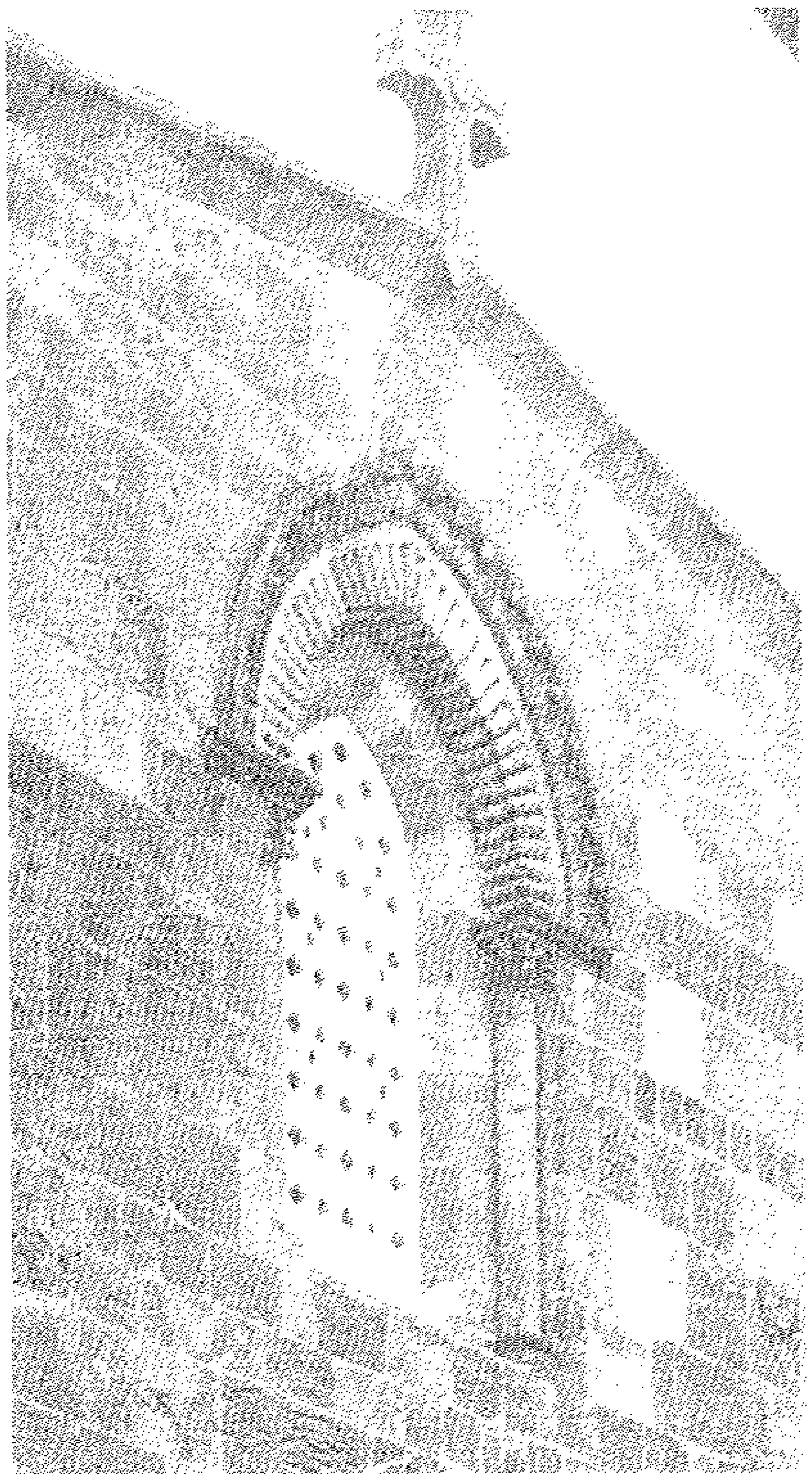

(شكل رقم ١٠٧) القدس : كنيسة القديسة آن . عقد ذو وسائد أو مخدات متلاصقة

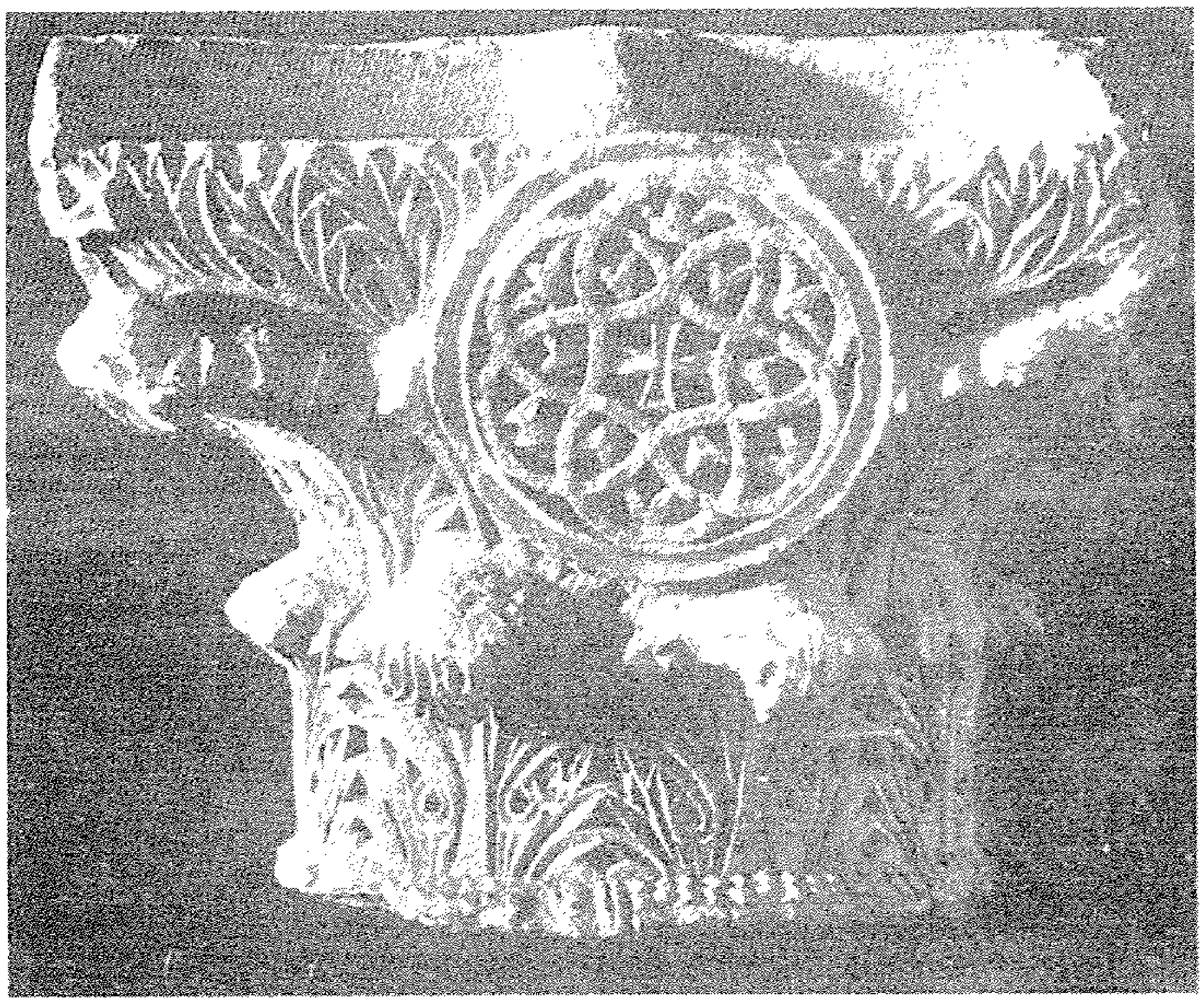

(شكل رقم ١٠٨) سلمية : تاج عمود . (عن : Belgian Expedition) .

(شكل رقم ١٠٩) Mukhmas : فسيفساء أرضية .

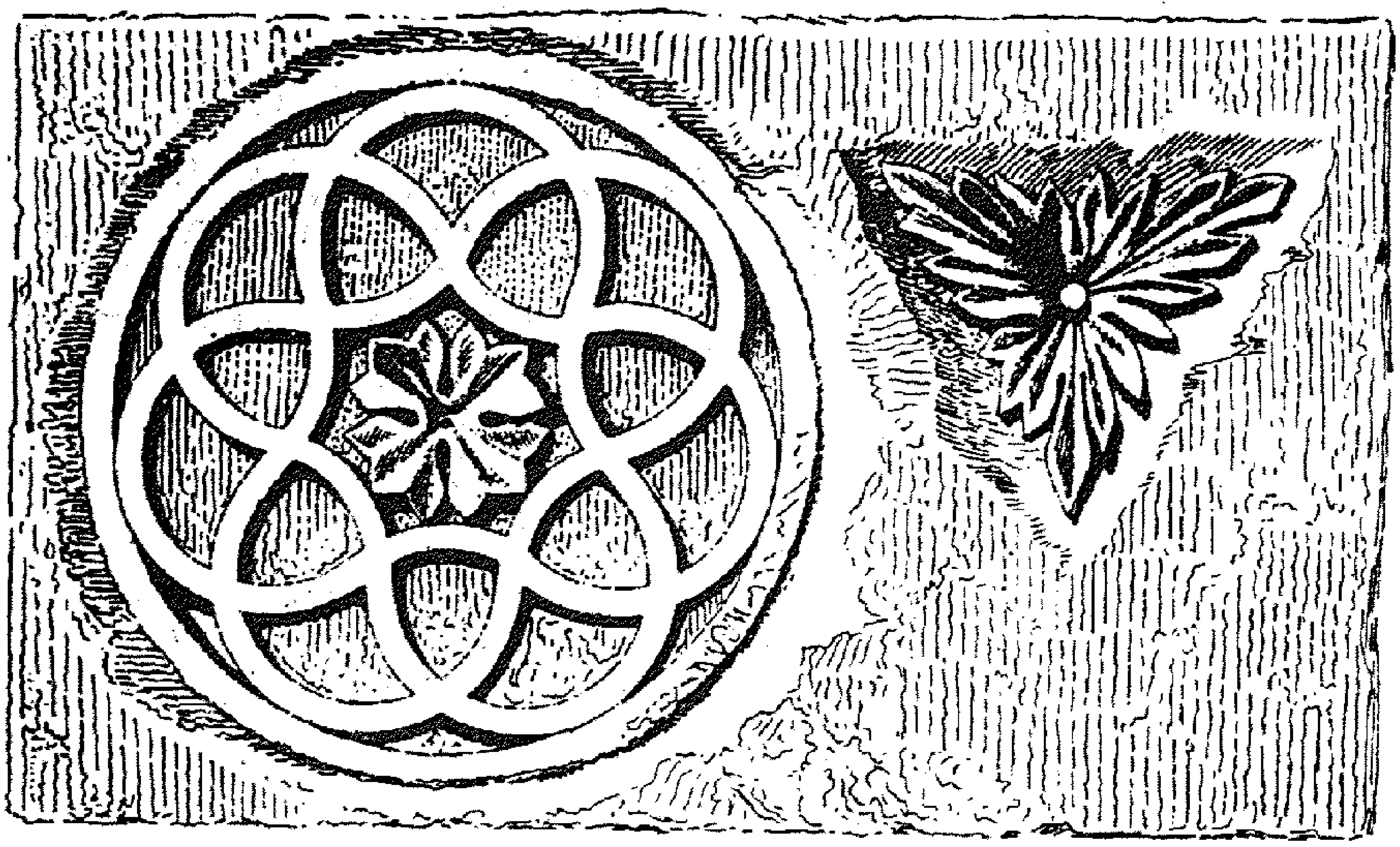

(شكل رقم ١١٠) جامة (نقش زخرفي) على منزل في BTOURSA (عن : دي فوكيه ، سوريا الوسطى) .

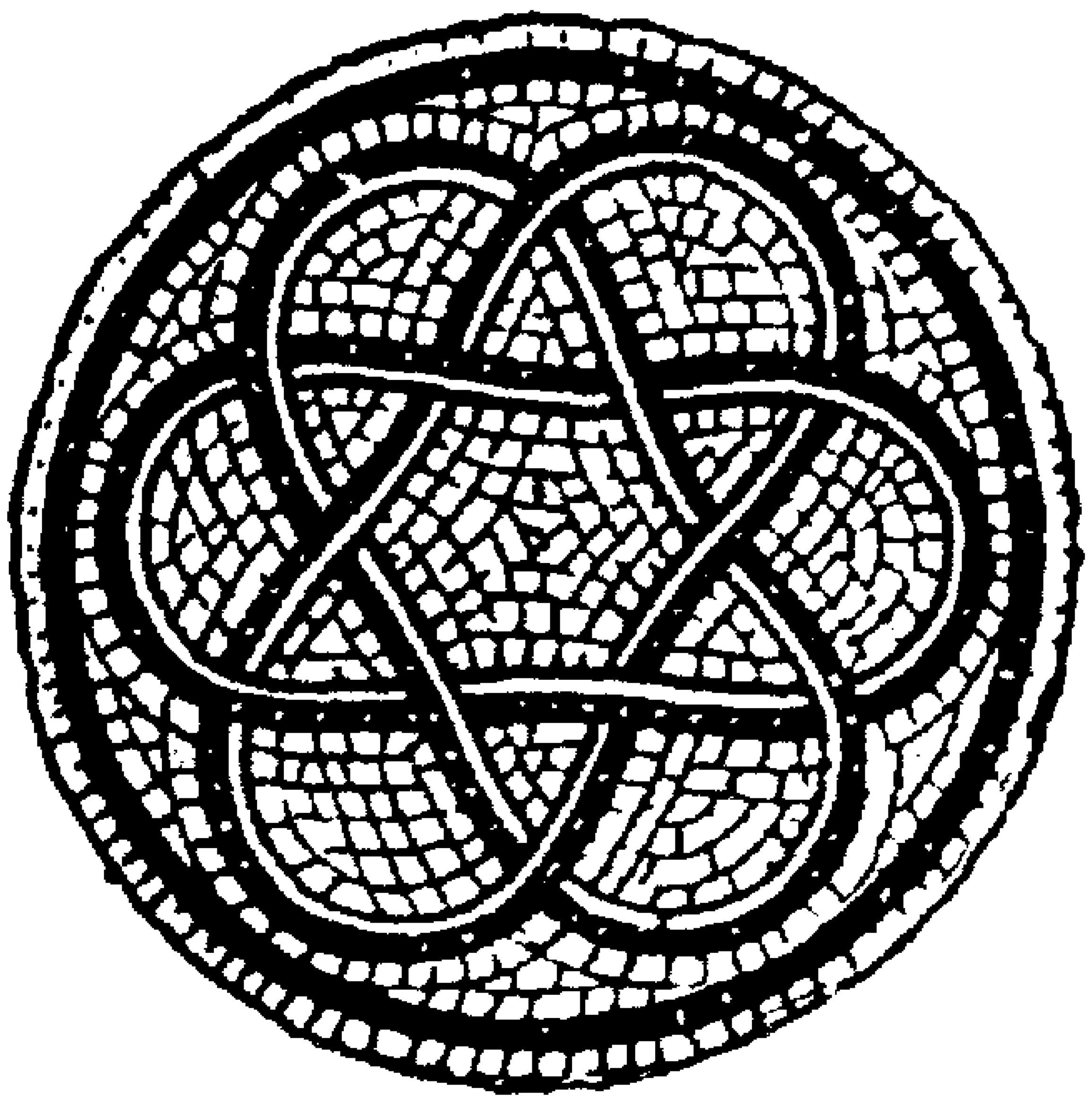

(شكل رقم ١١١) تونس : فسيفساء أرضية . في متحف باردو .

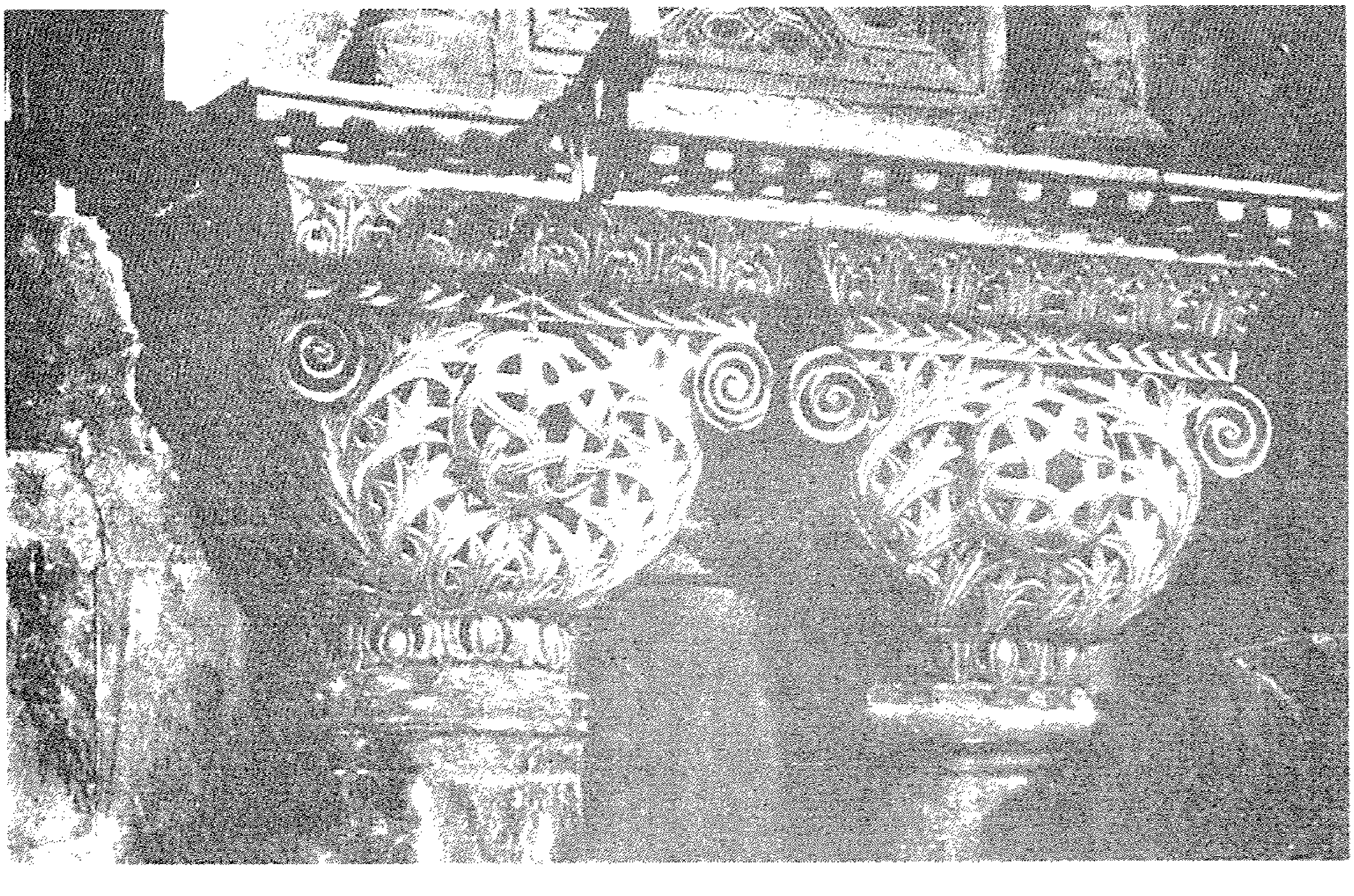

(شكل رقم ١١٢) البندقية : كنيسة سان مارك . تيجان أعمدة .
(عن : فينى سبيرز) .

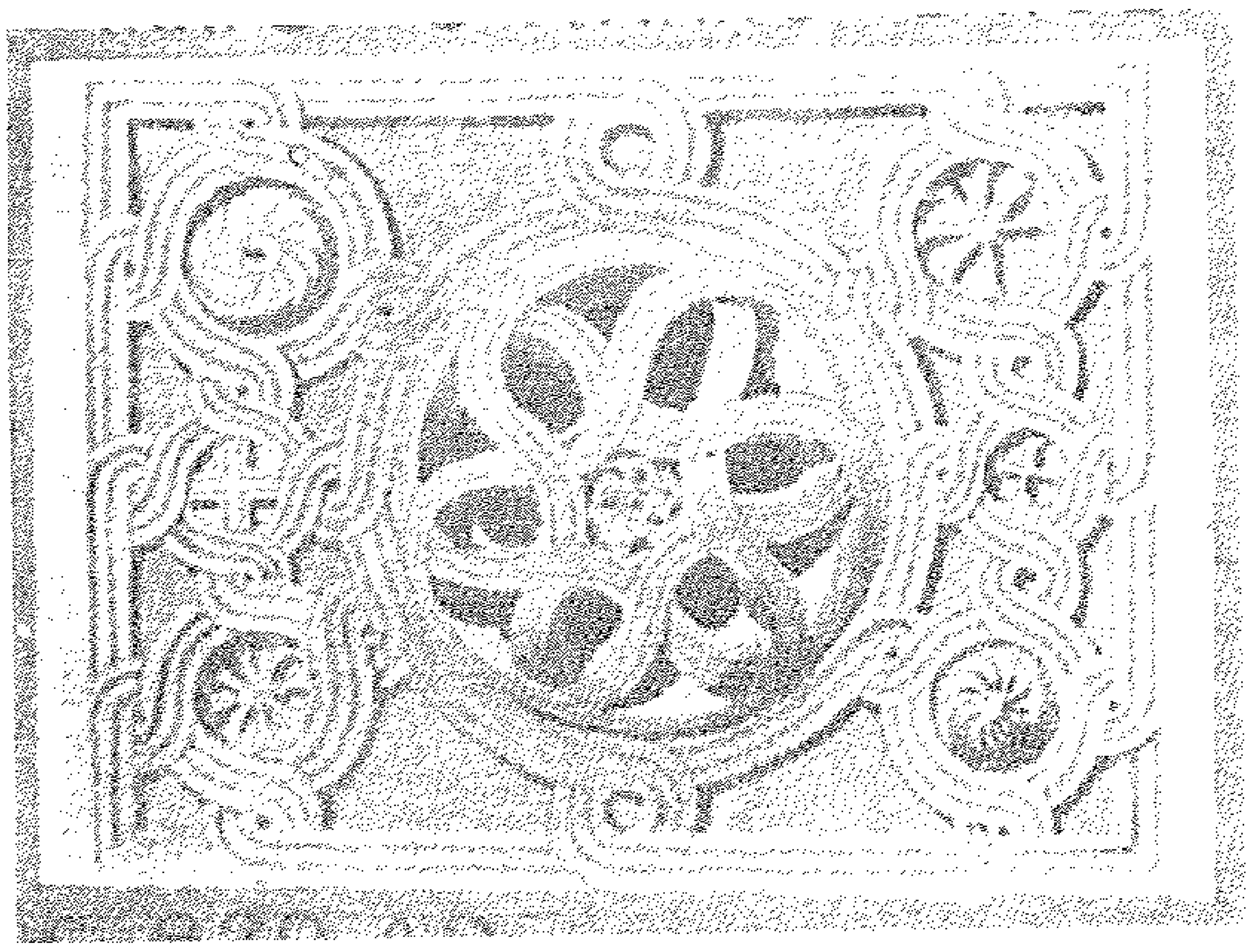

(شكل رقم ١١٣) البندقية : كنيسة سان مارك . اللوحات الختامية للممر .
(عن : فينى سبيرز) .

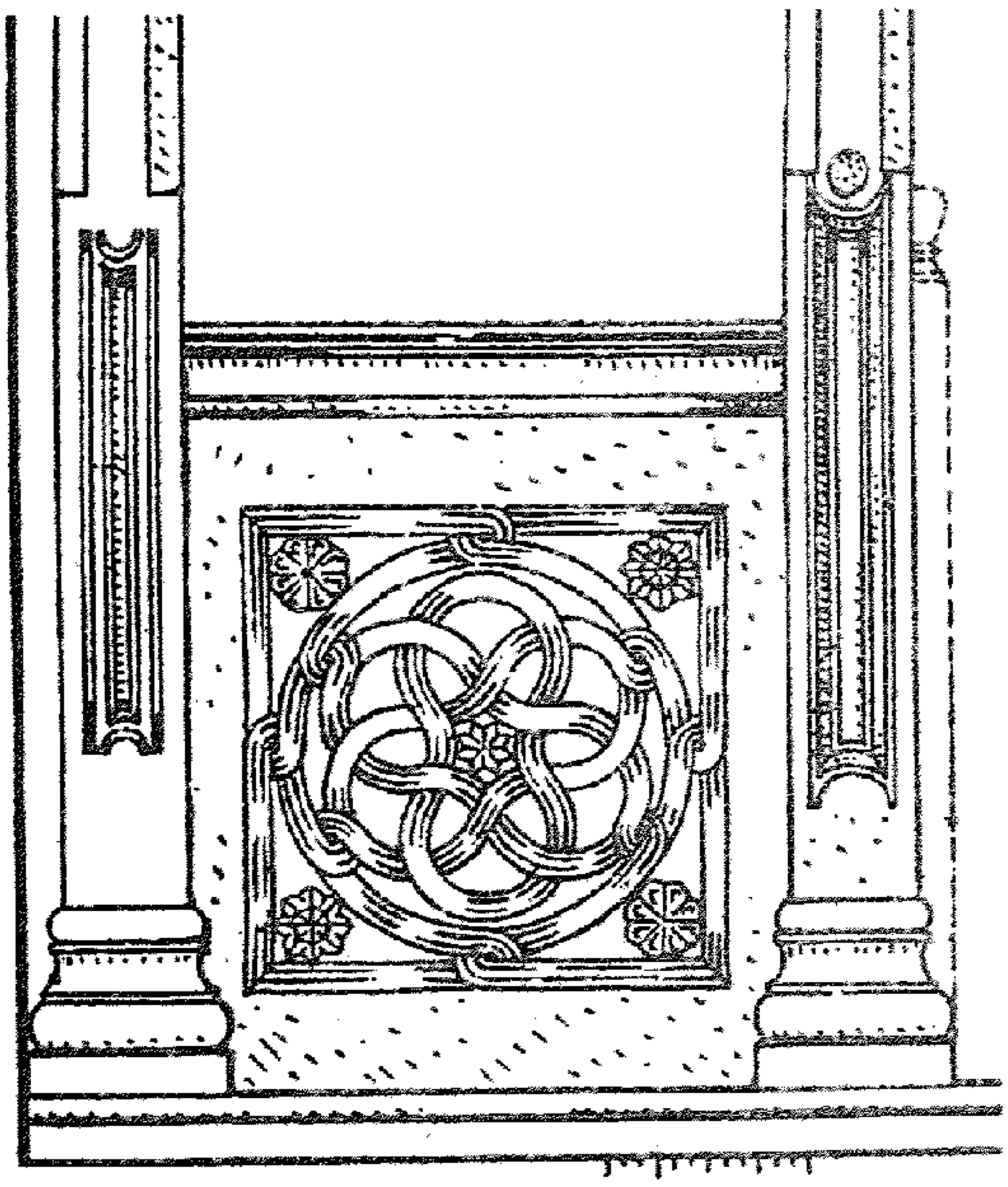

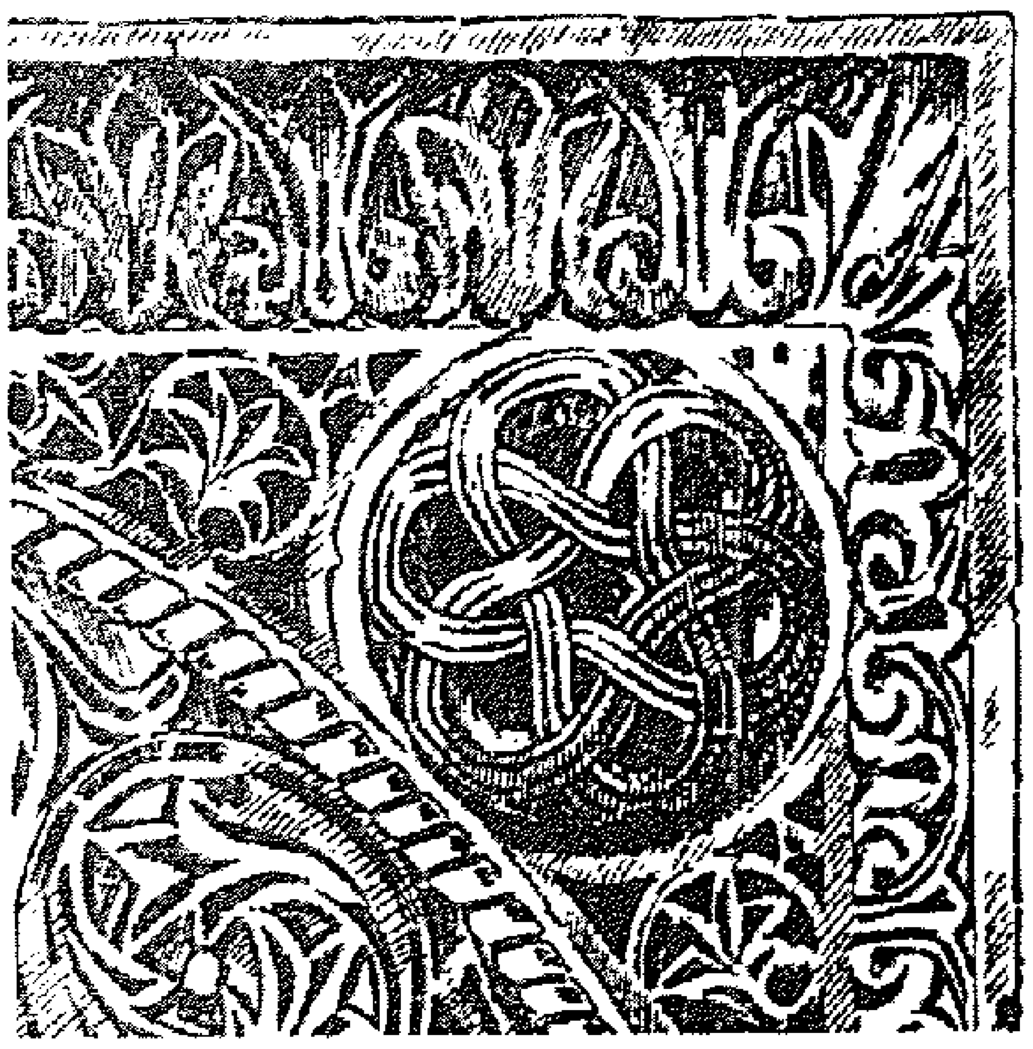

(شكل رقم ١١٤) Phocis دير سان لوك في ستيريز
(عن شولتز وبارنسلي . دير سان لوك في ستيريز)
(a) الفاصل (الحاجز) الأيقوني في الكنيسة الكبرى .
(b) الفاصل (الحاجز) الأيقوني في الكنيسة الصغرى .

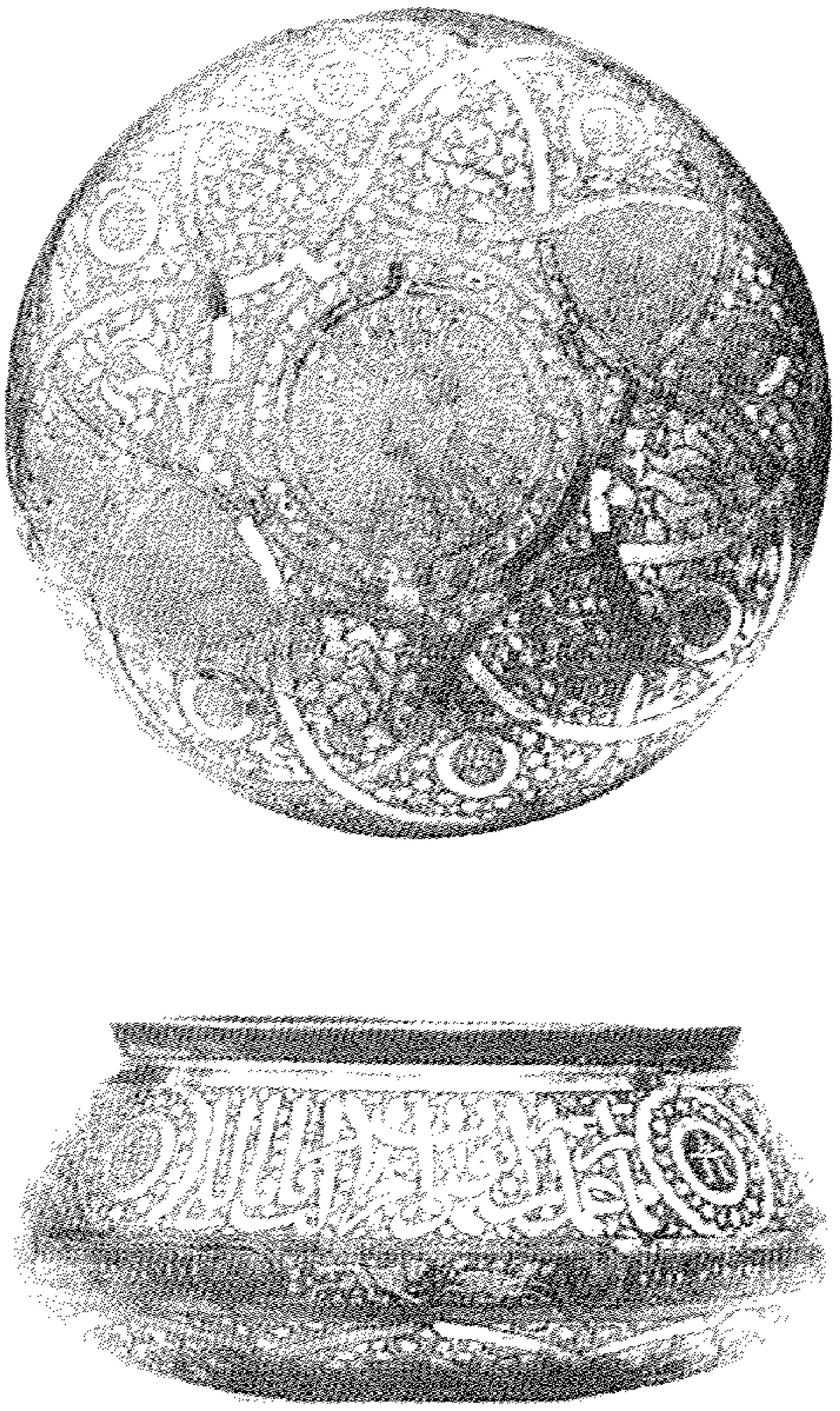

(شكل رقم ١١٥) سلطانية في مجموعة زرة . (عن : مارتين) .

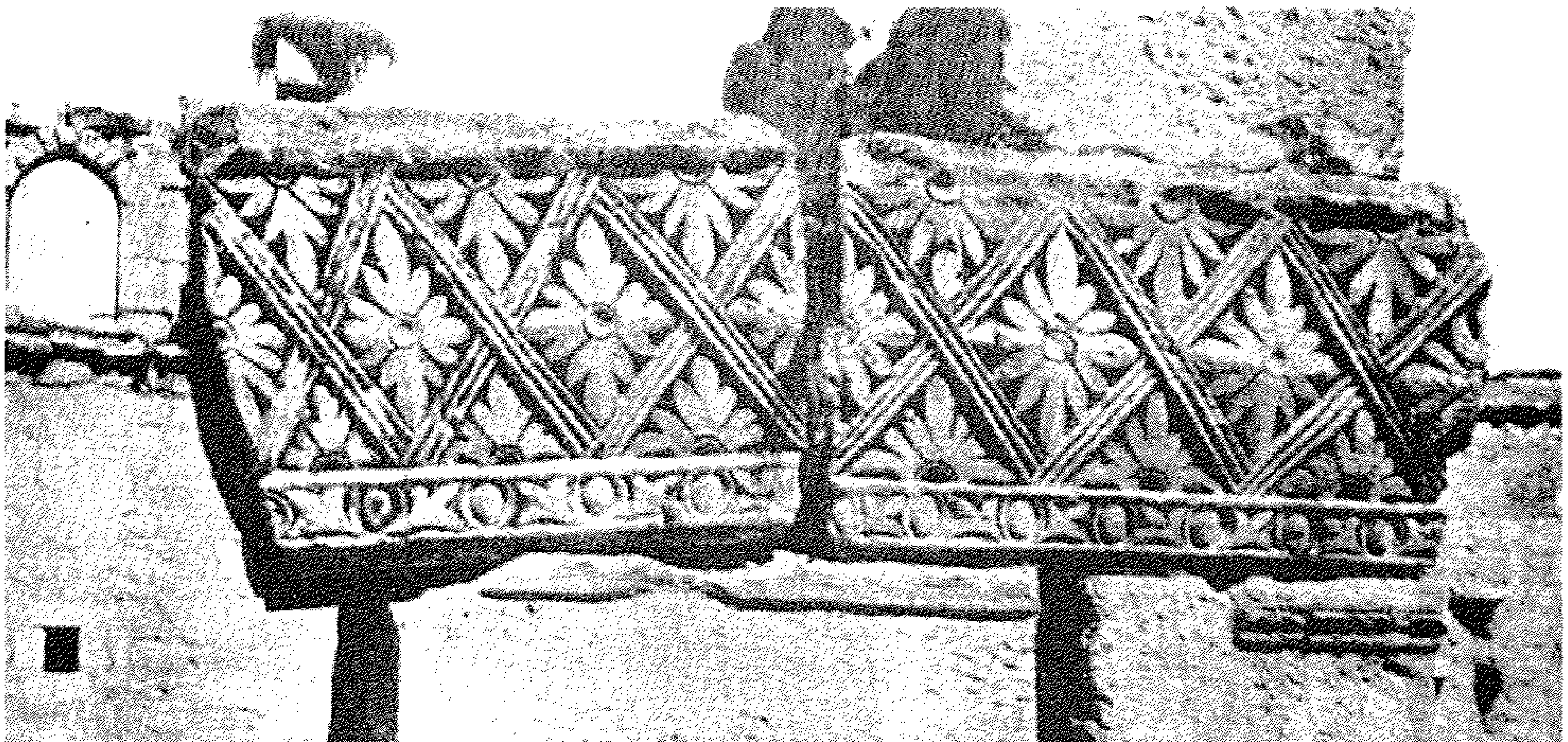

(شكل رقم ١١٦) ميافارقين : تاج . (عن : جرترود بل) .

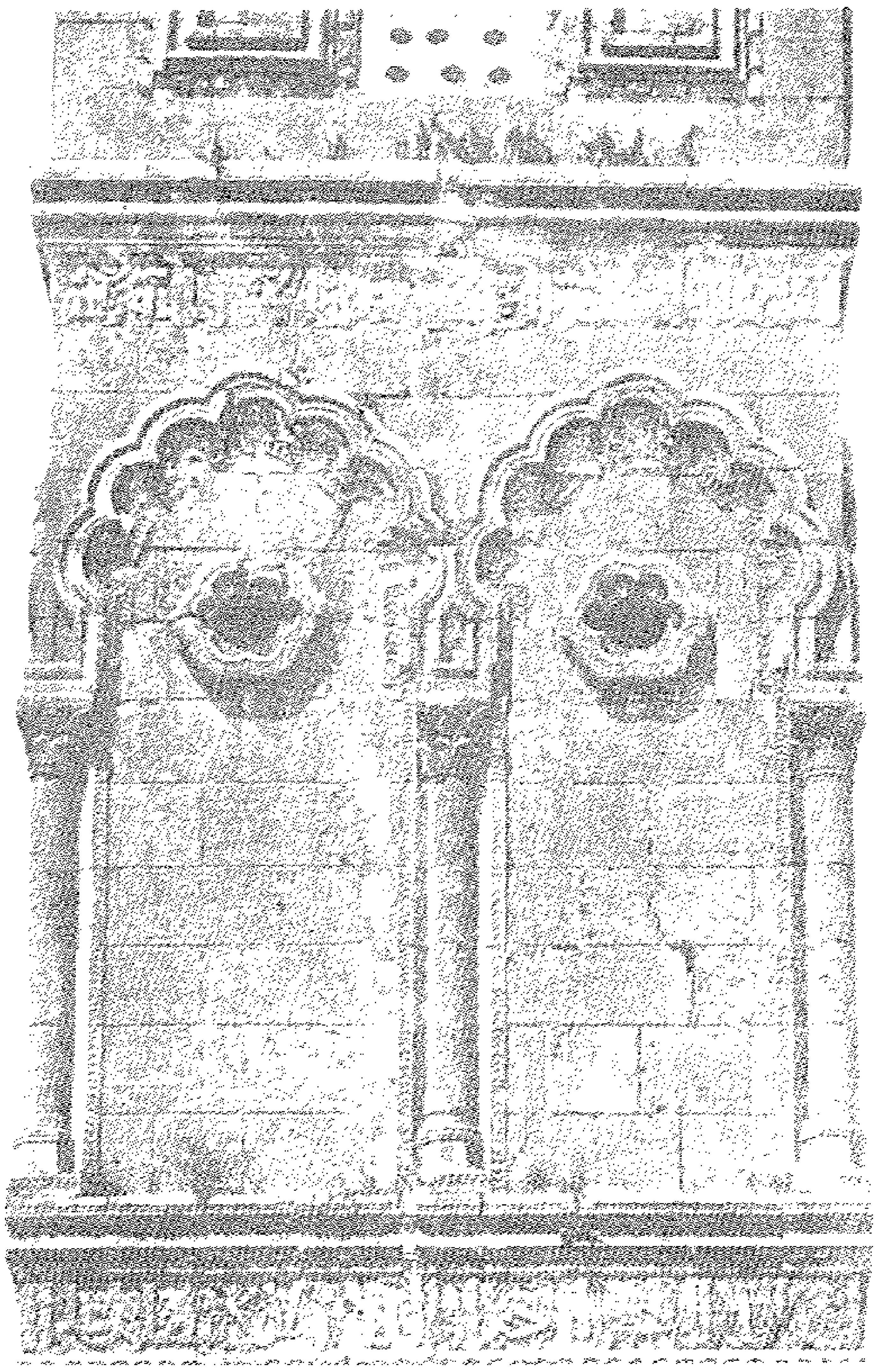

(شكل رقم ١١٧) حلب : منارة الجامع الكبير . (عن : جمال باشا) .

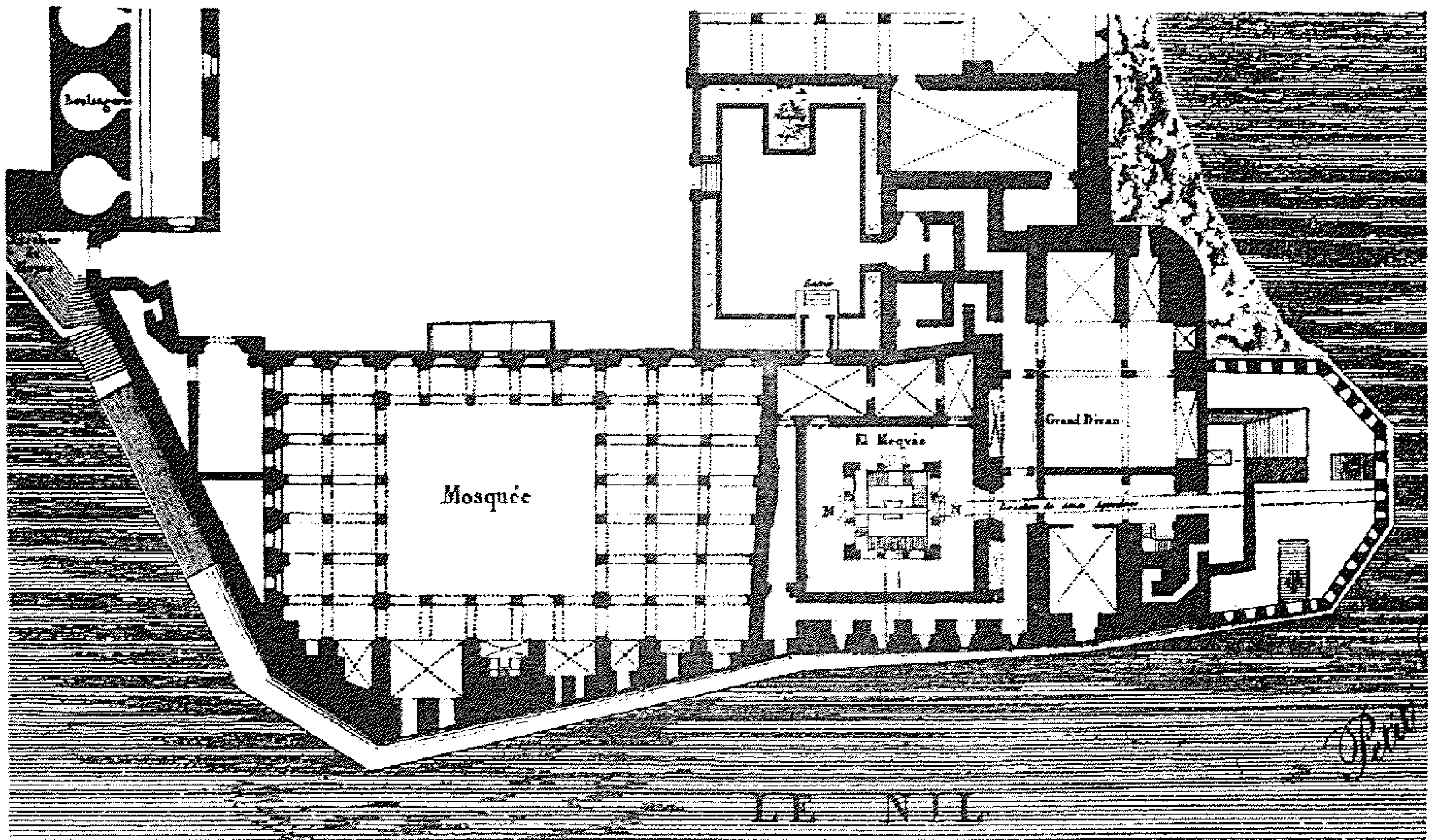

(شكل رقم ١١٨) جزيرة الروضة : مسجد (مندرس) الجمالي . مسقط (عن : وصف مصر) .

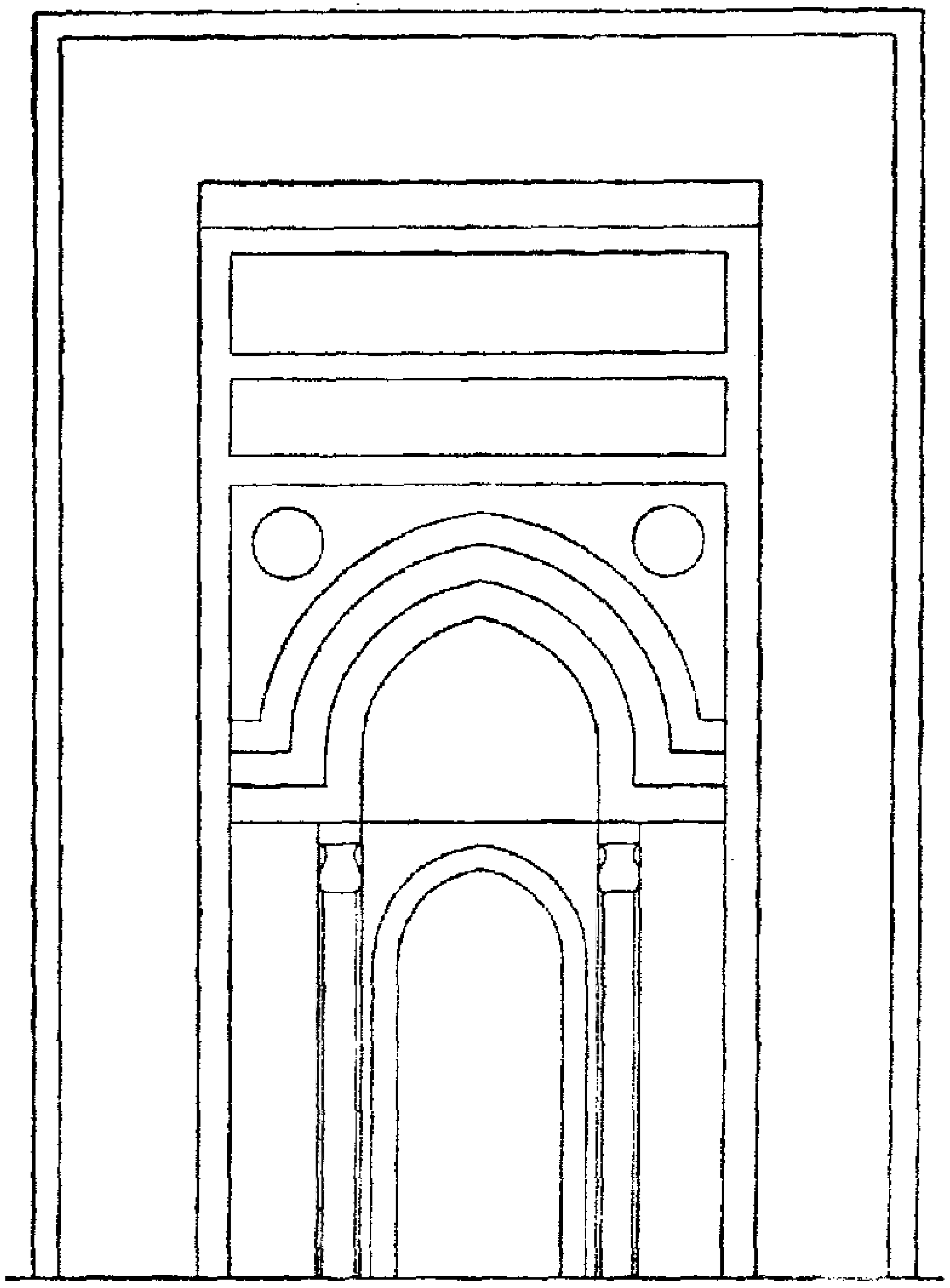

(شكل رقم ١١٩) رسم تخطيطي يوضح تكوين محراب الأفضل (بالجامع الطولوني) .

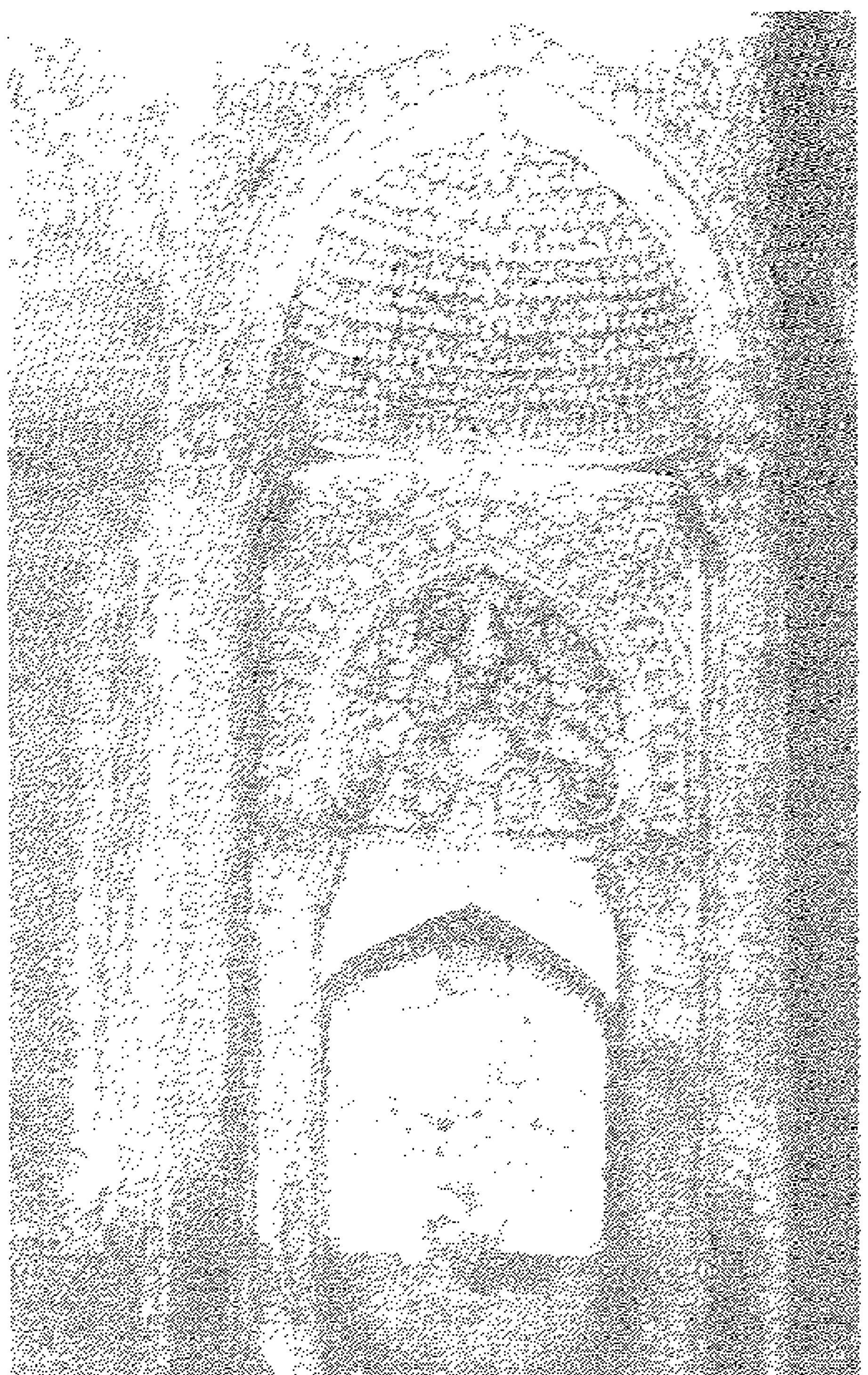

(شكل رقم ١٢٠) نايين : محراب الجامع الكبير . (عن : بوب) .

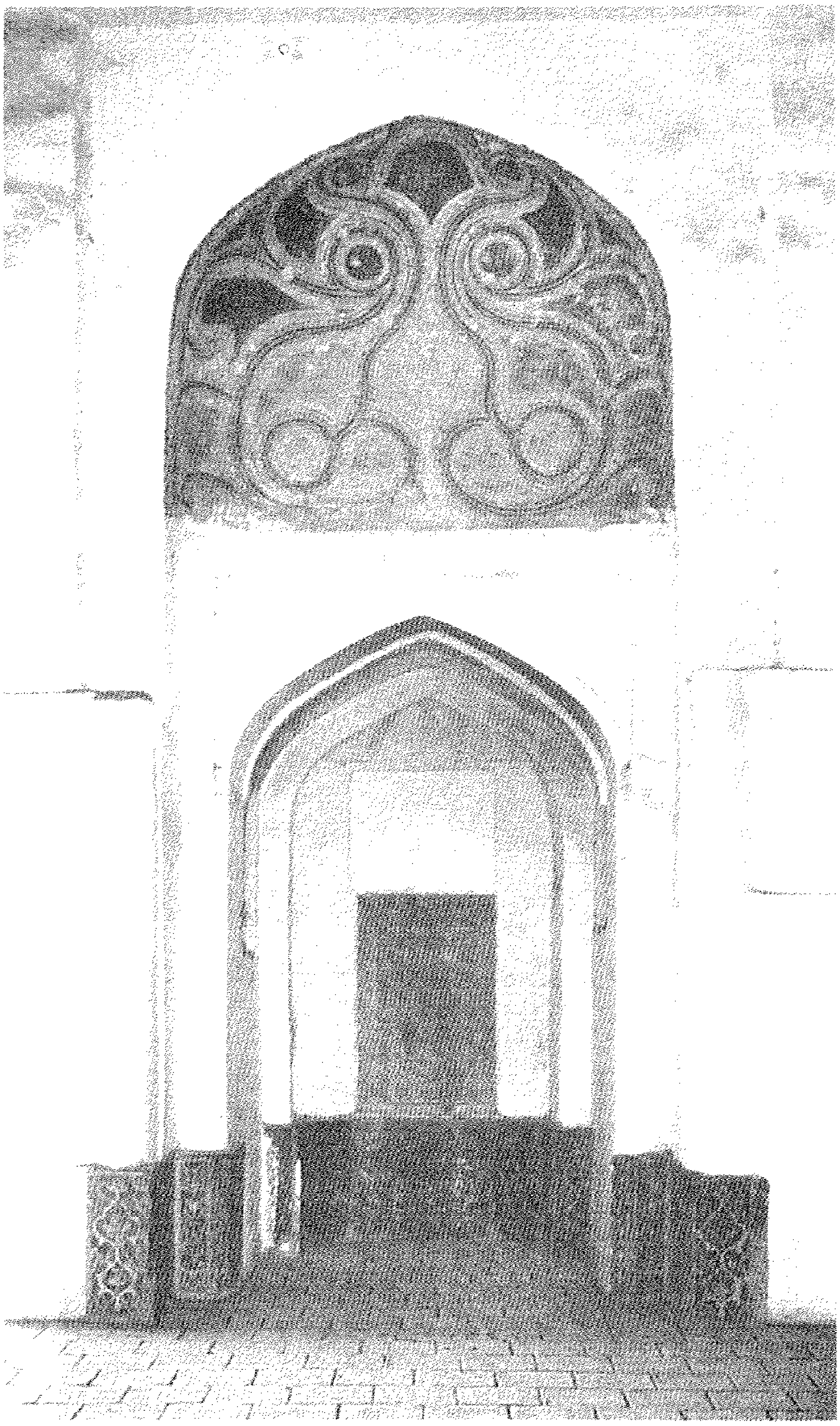

(شکل رقم ۱۲۱) یزد : محراب دوازده امام . (عن : بوب) .

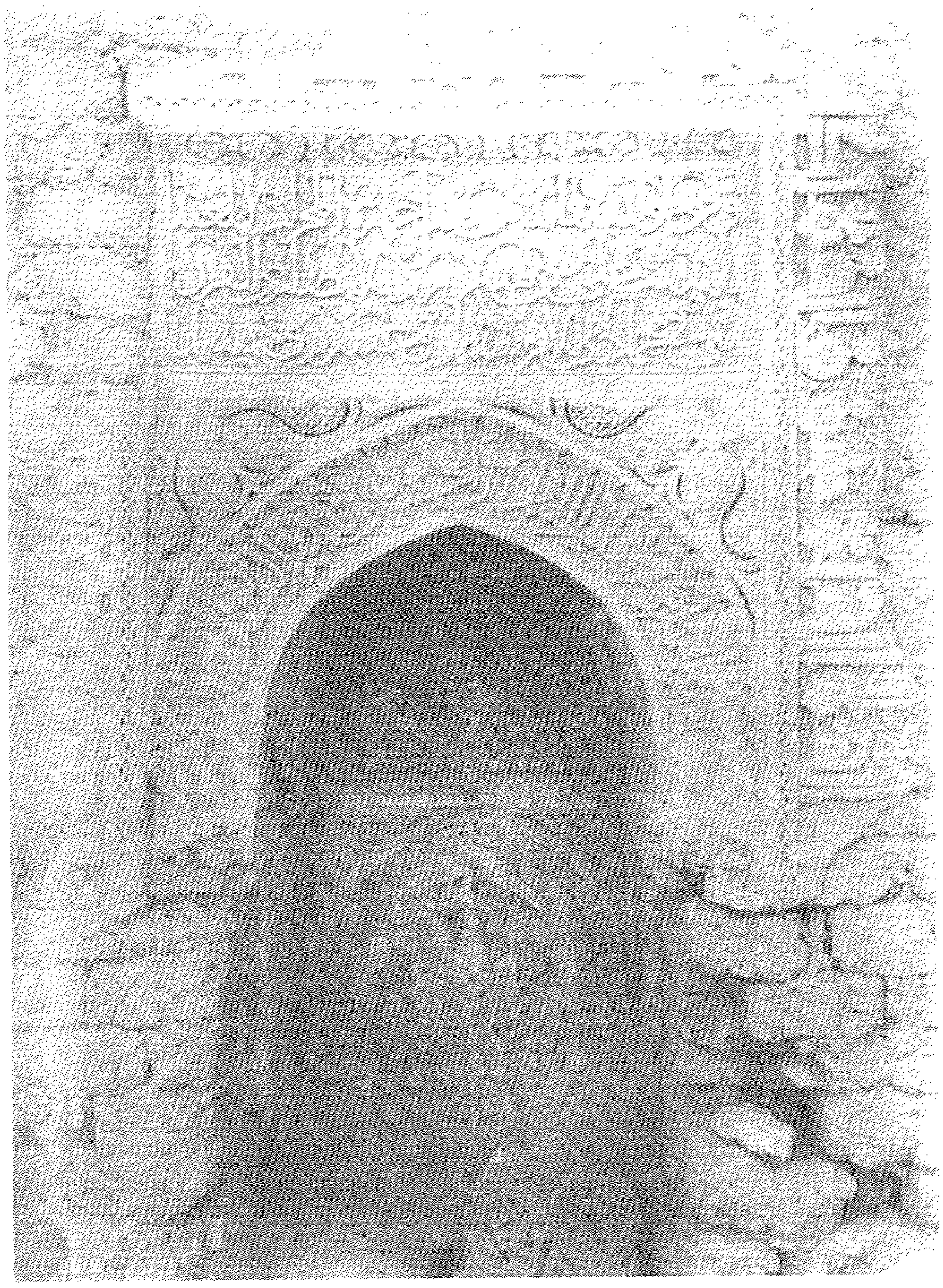

(شكل رقم ١٢٢) بوزان : محراب امام زاده شاهزاده كارار . (عن : بوب) .

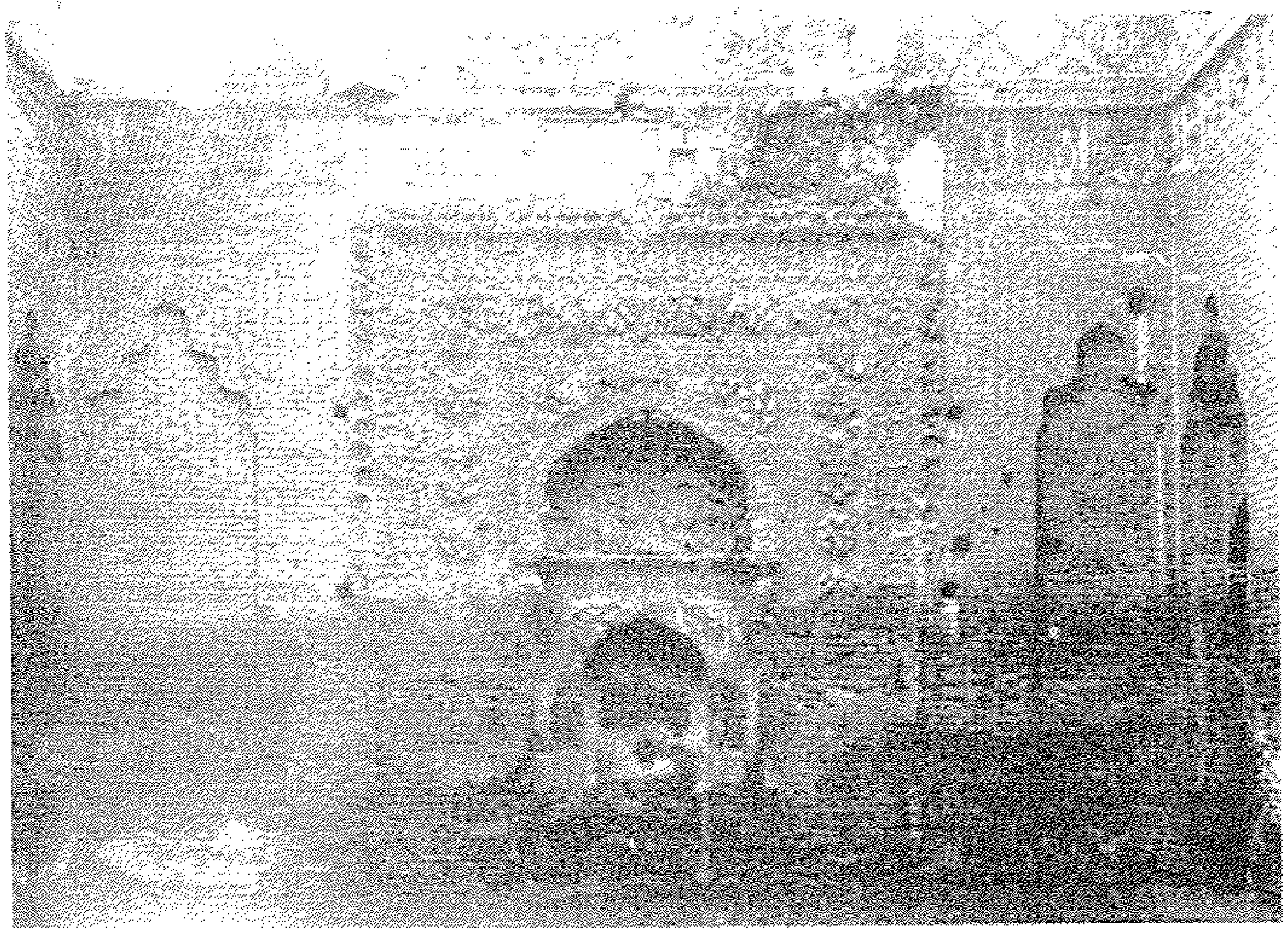

(شكل رقم ١٢٣) قزوين : محراب مسجد الحيدرية . (عن : بوب) .

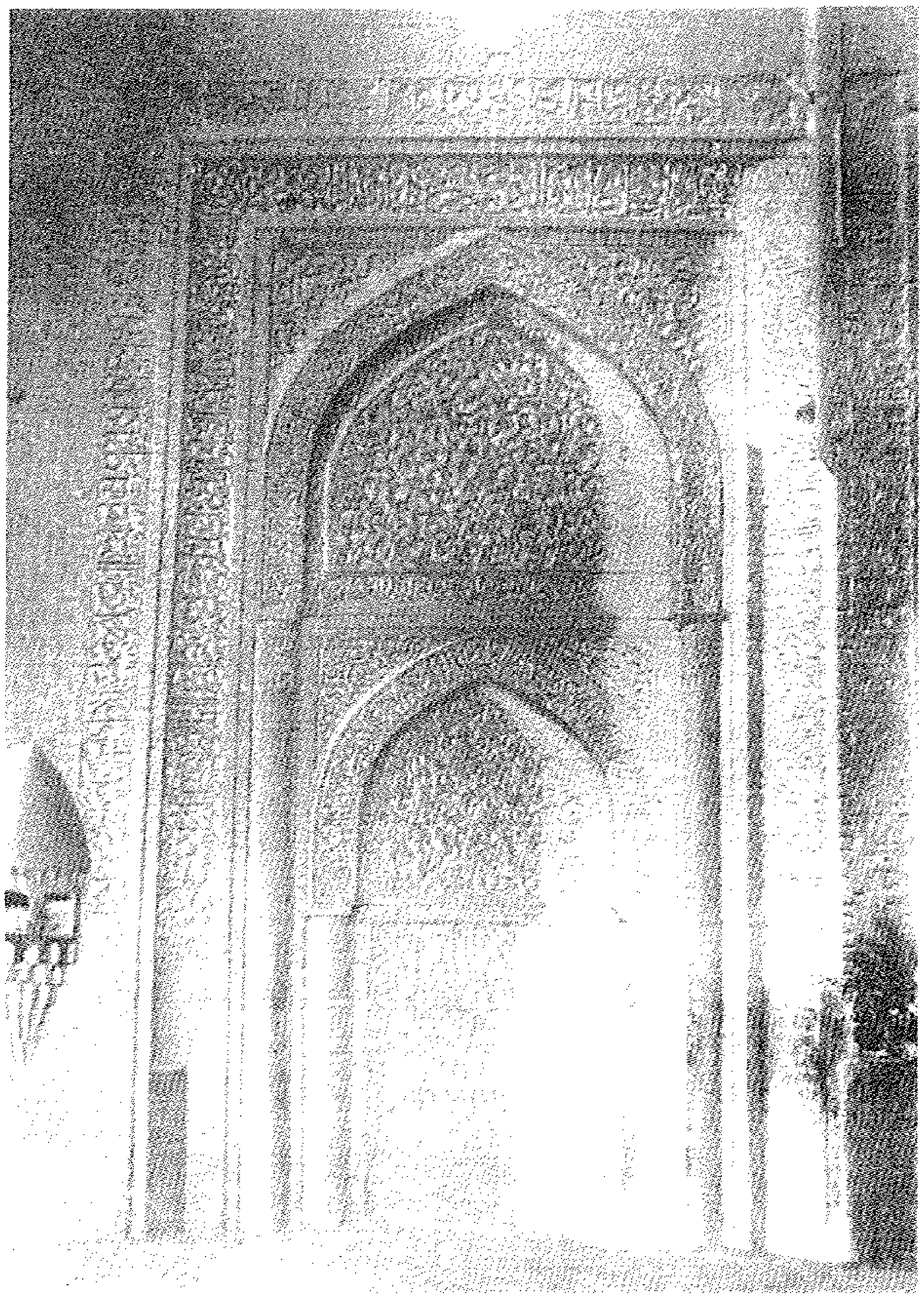

(شكل رقم ١٢٤) أردستان : الجامع الكبير ، المحراب الرئيسي . (عن : بوب) .

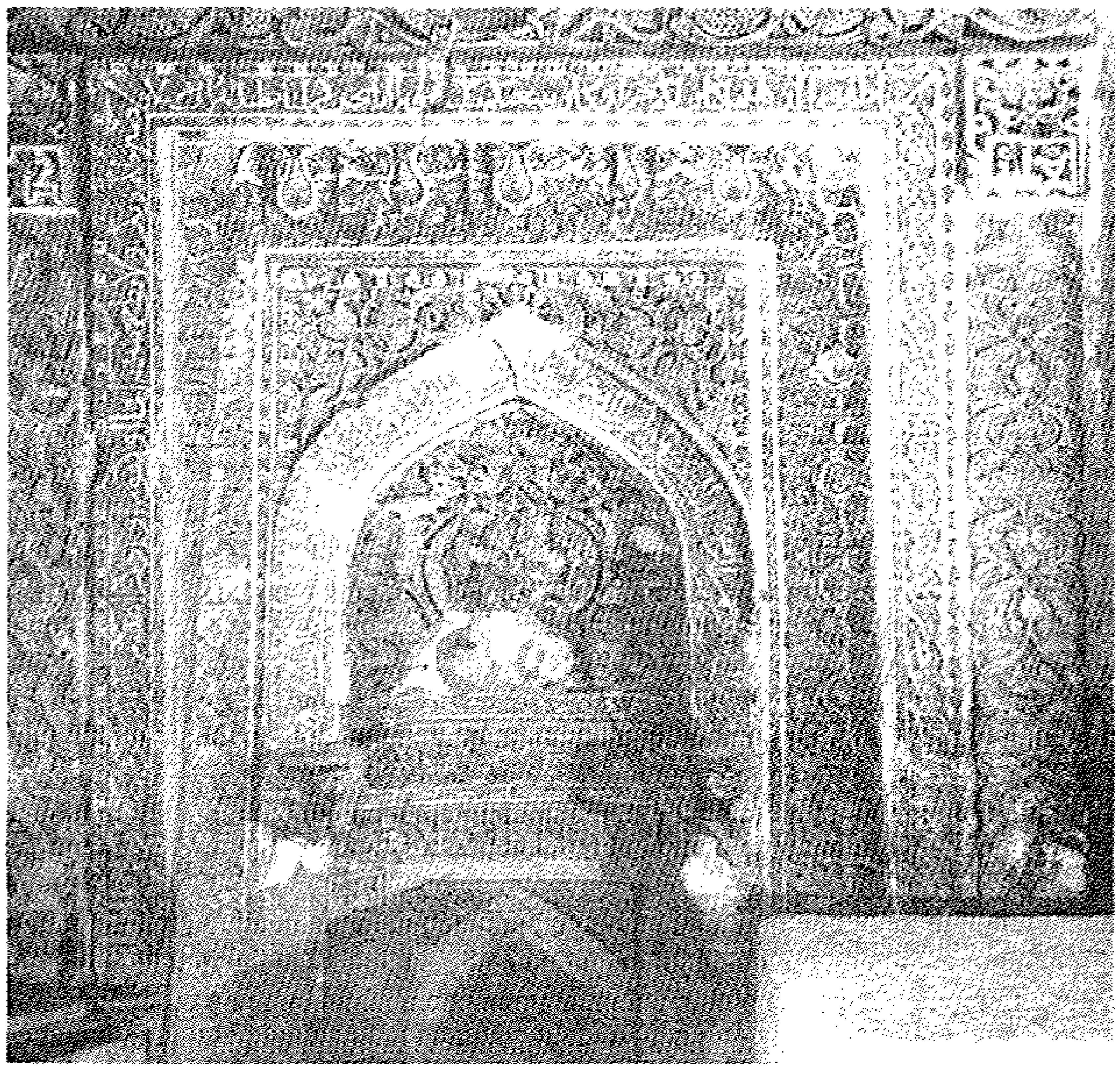

(شكل رقم ١٢٥) ابرقوه : ضريح بير حمزة ، المحراب . (عن : بوب) .

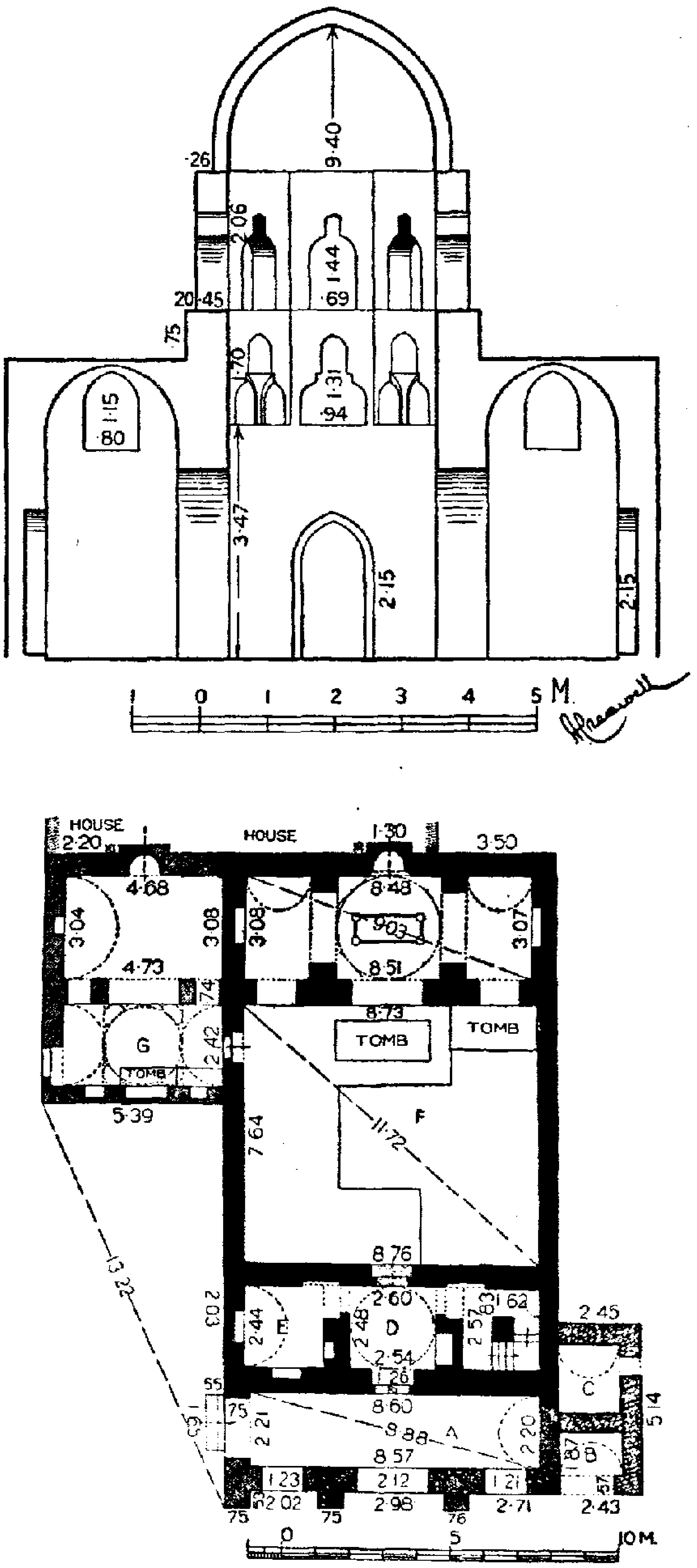

(شكل رقم ١٢٦) أسوان : المشهد . قطاع ومسقط .

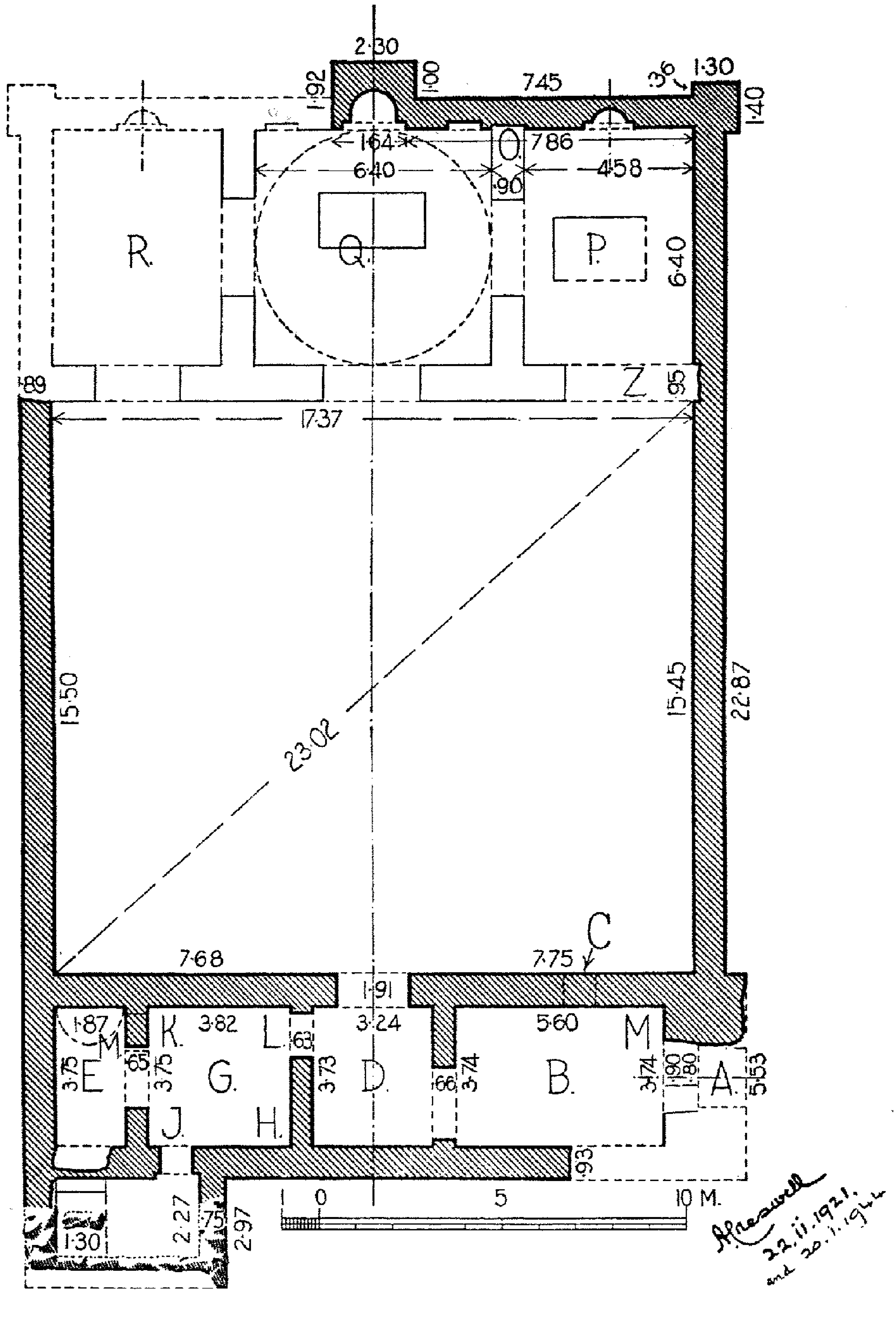

(شكل رقم ١٢٧) خضرة الشريفة : مسقط .

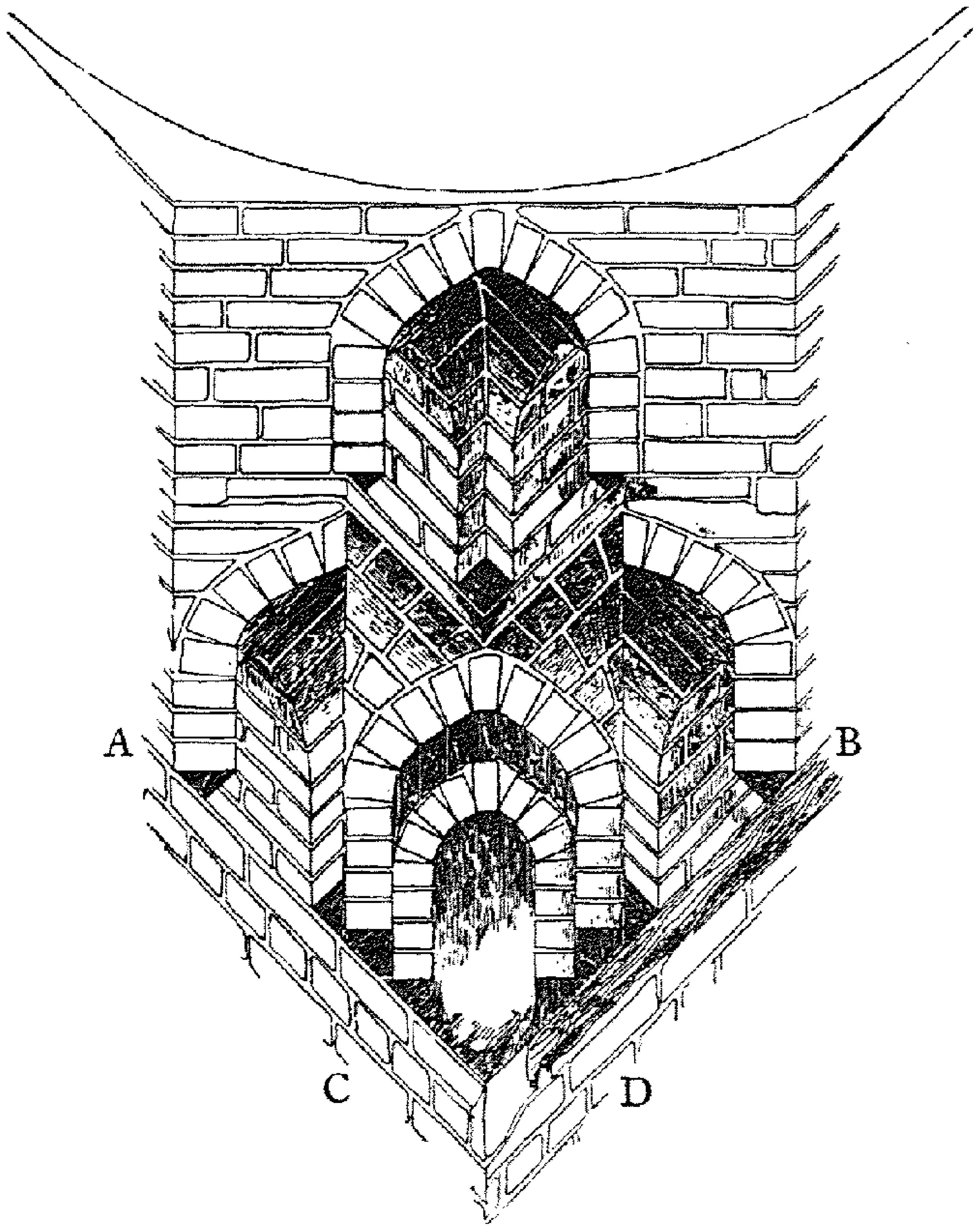

(شكل رقم ١٢٨) ضريح قديم (القبة الفاطمية بالجمالية) : المقرنصات (رسم فريد شافعي .

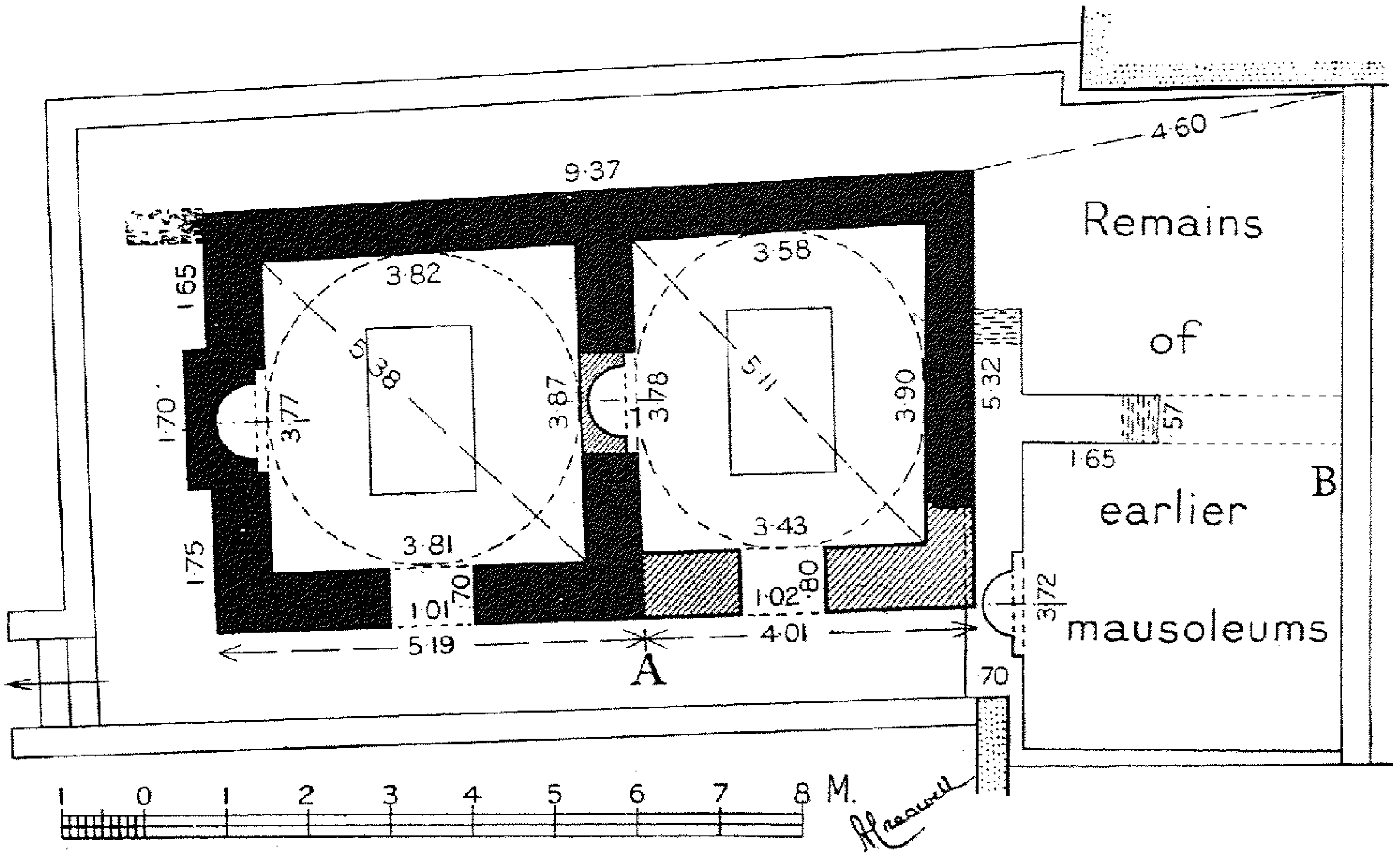

(شكل رقم ١٢٩) ضريحا محمد الجعفري والسيدة عاتكه : مسقط .

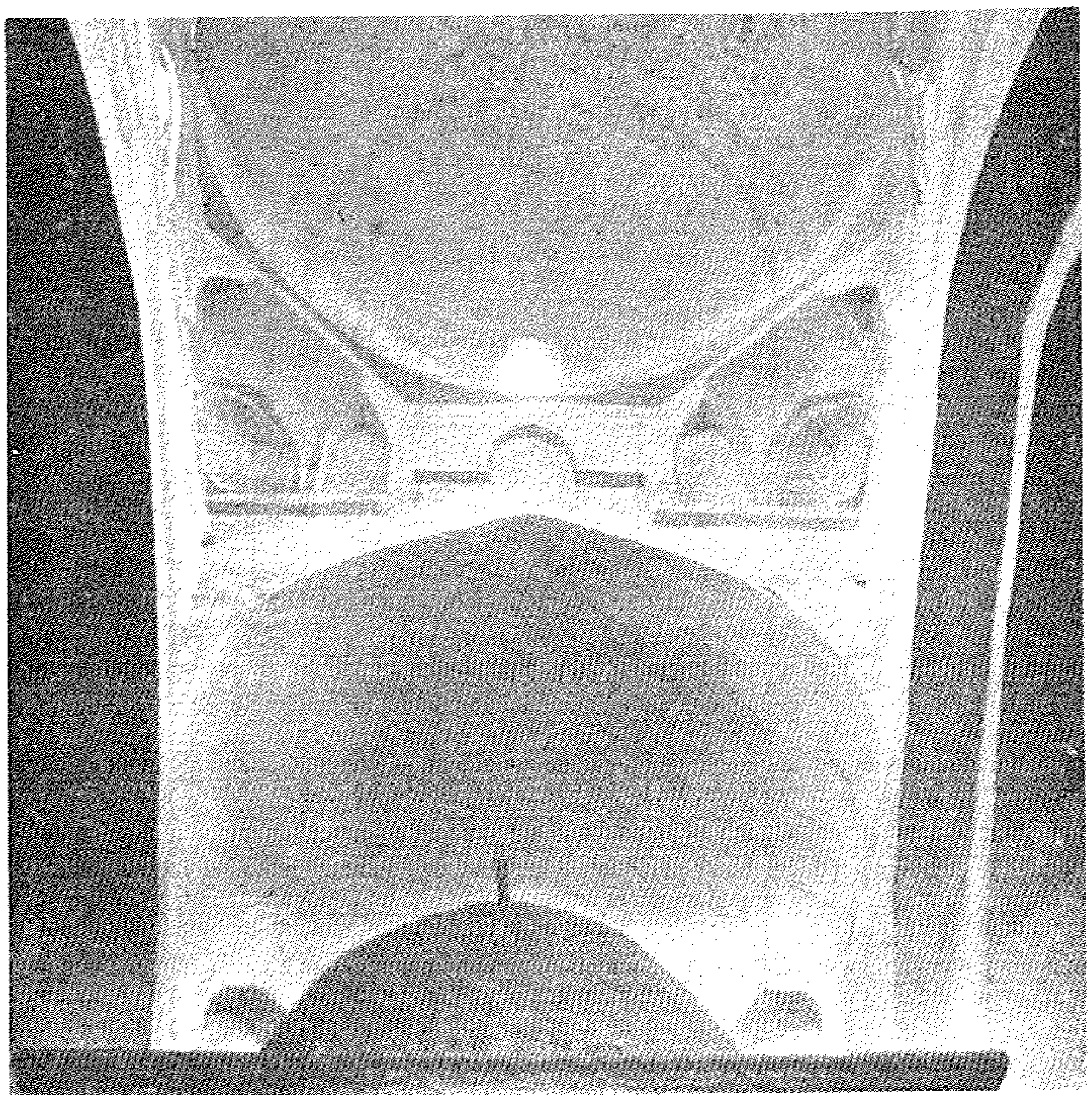

(شكل رقم ١٣٠) القاهرة القديمة
(حي مصر القديمة) : كنيسة أبو سيفين . المقرنصات (منطقة الانتقال) .

(شكل رقم ١٣١) القاهرة القديمة : كنيسة أبو سيفين. مقرنصات
(منطقة انتقال) مصلى القديس جورج .

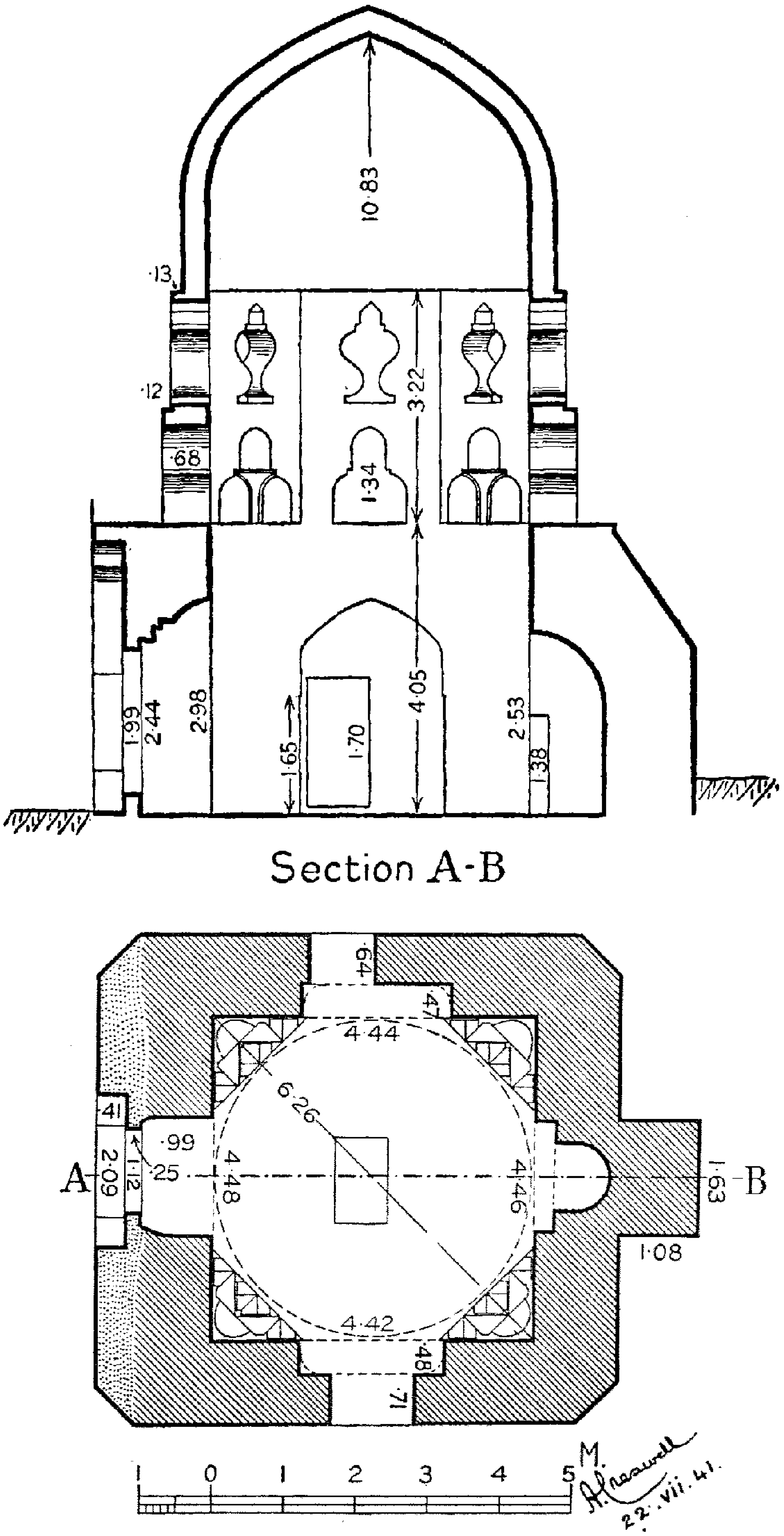

(شكل رقم ١٣٢) الشيخ يونس : مسقط وقطاع .

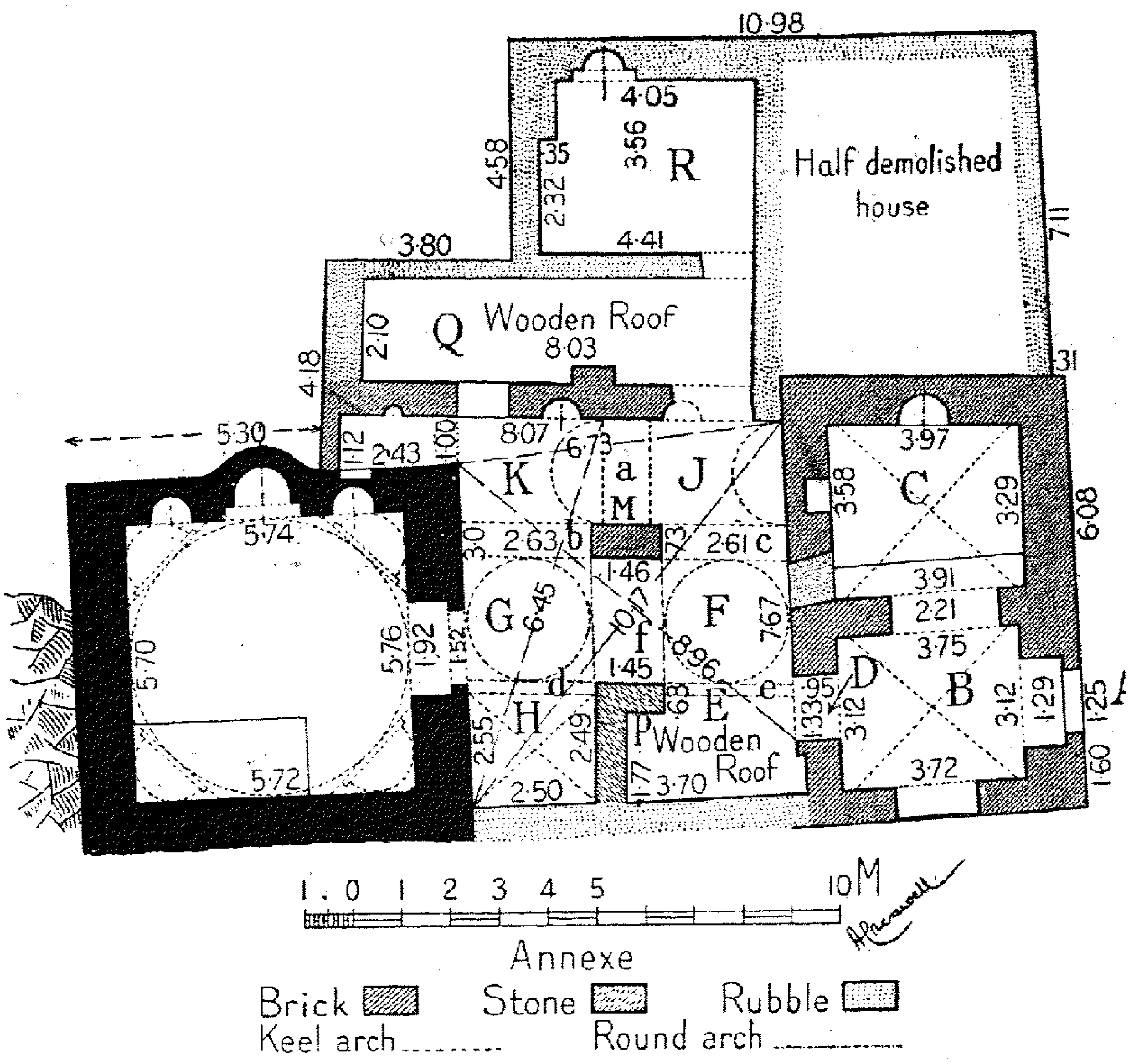

(شكل رقم ١٣٣) ضريح أخوة يوسف : مسقط .

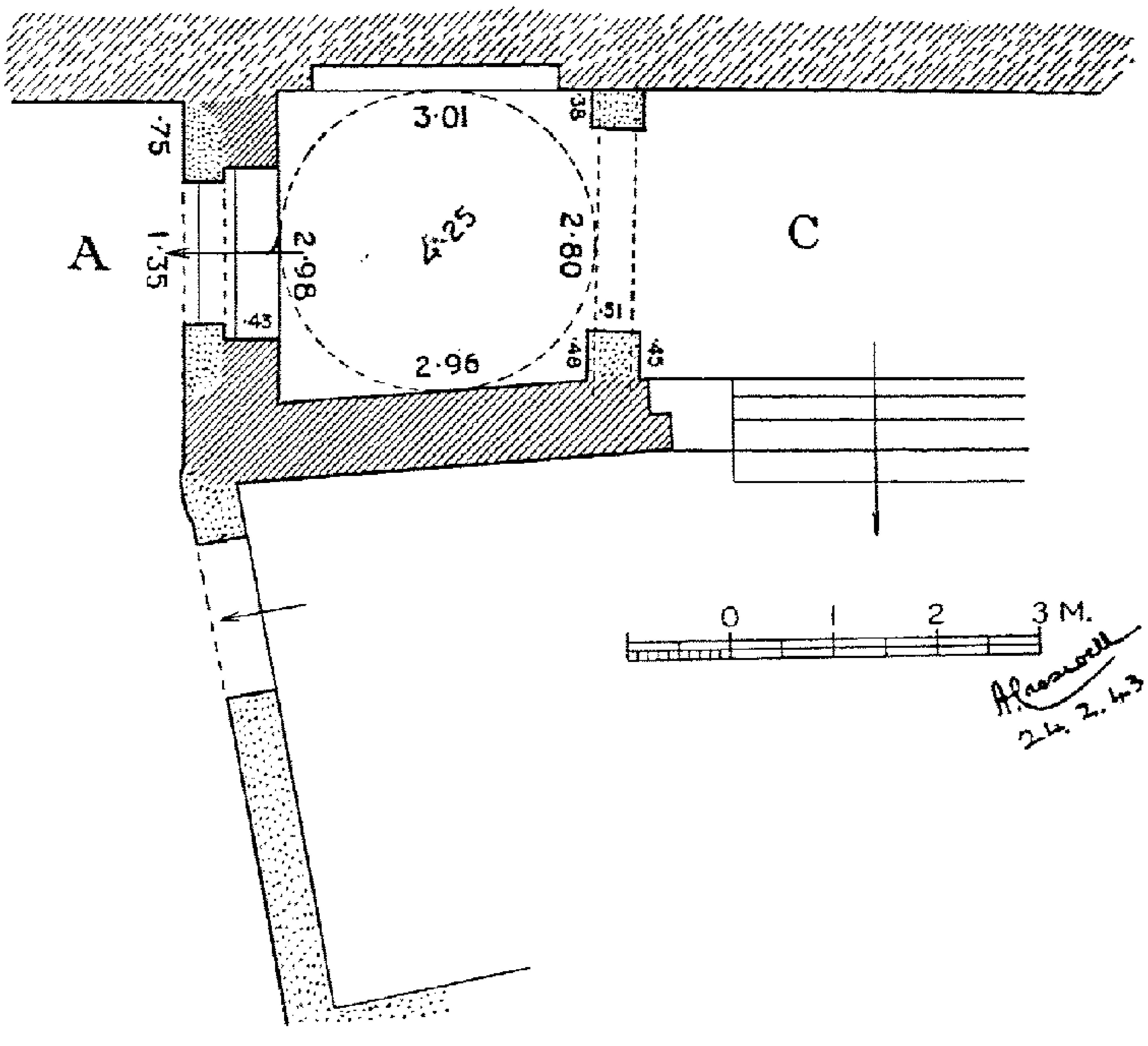

(شكل رقم ١٣٤) قوص : الضريح الفاطمي : مسقط .

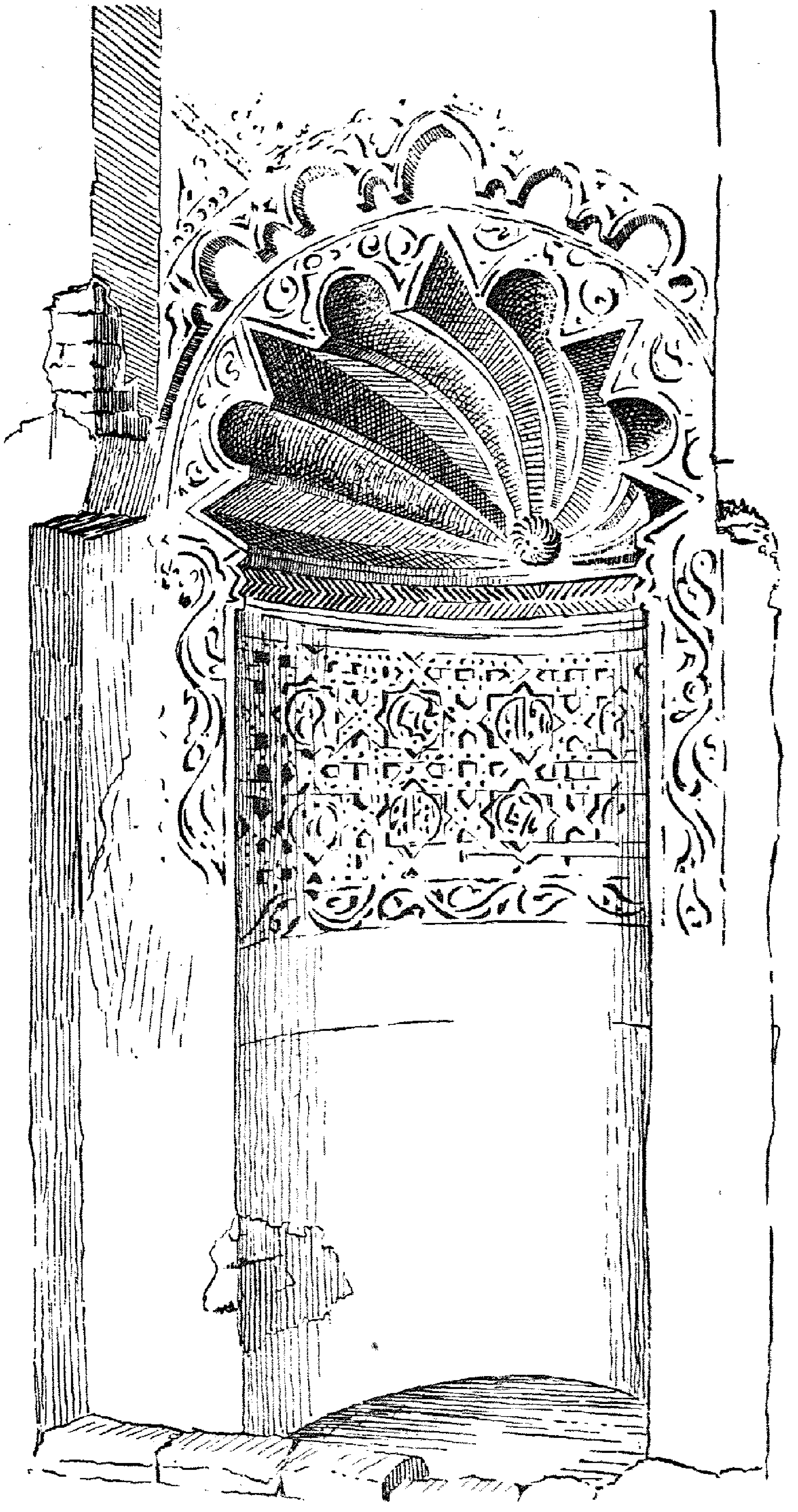

(شكل رقم ١٣٥) مشهد أم كلثوم : المحراب الرئيسي (رسم F.R.H. DARKE) .

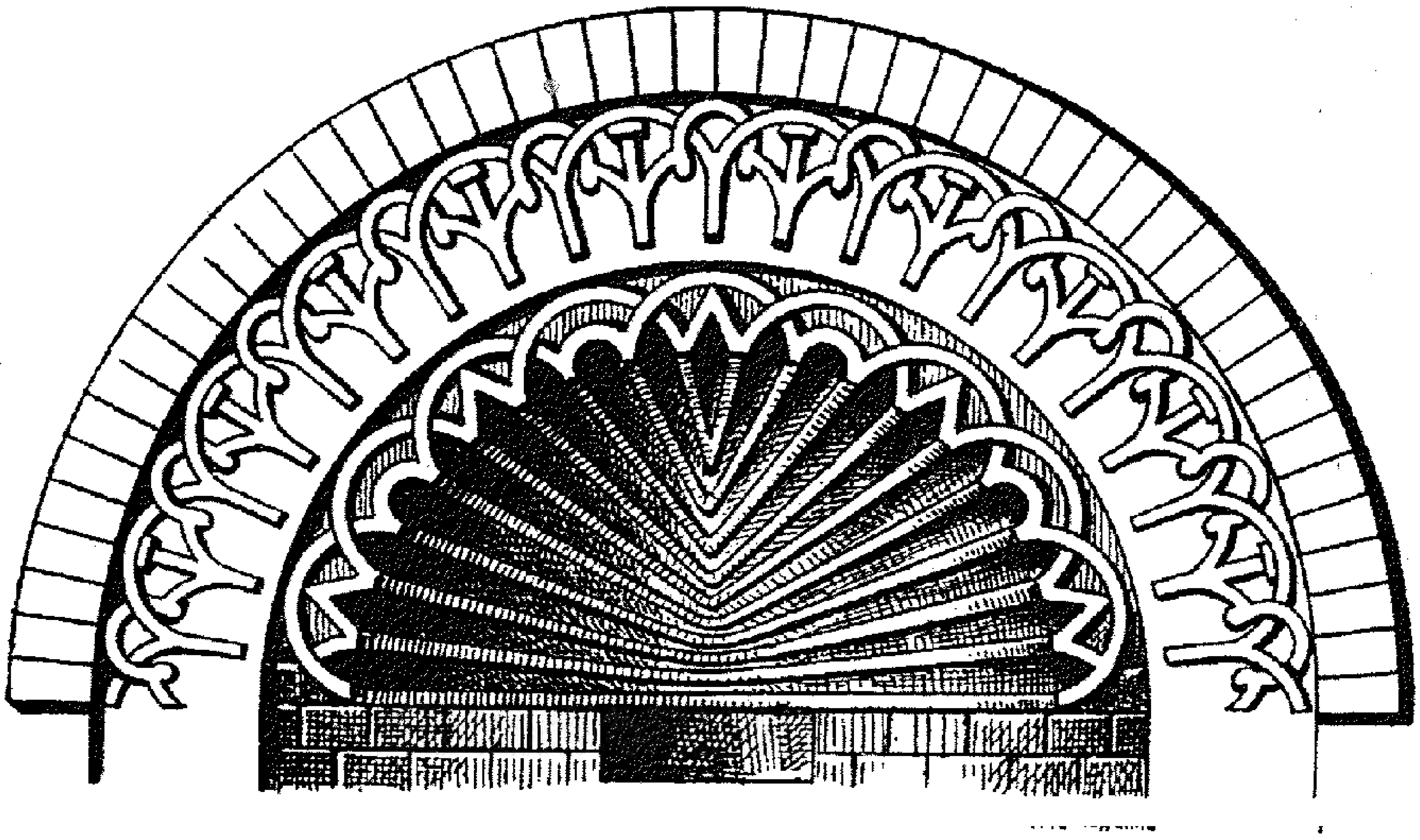

(شكل رقم ١٣٦) قلعة بني حماد : حنية تزخرف المئذنة .
(عن دى بيلى) .

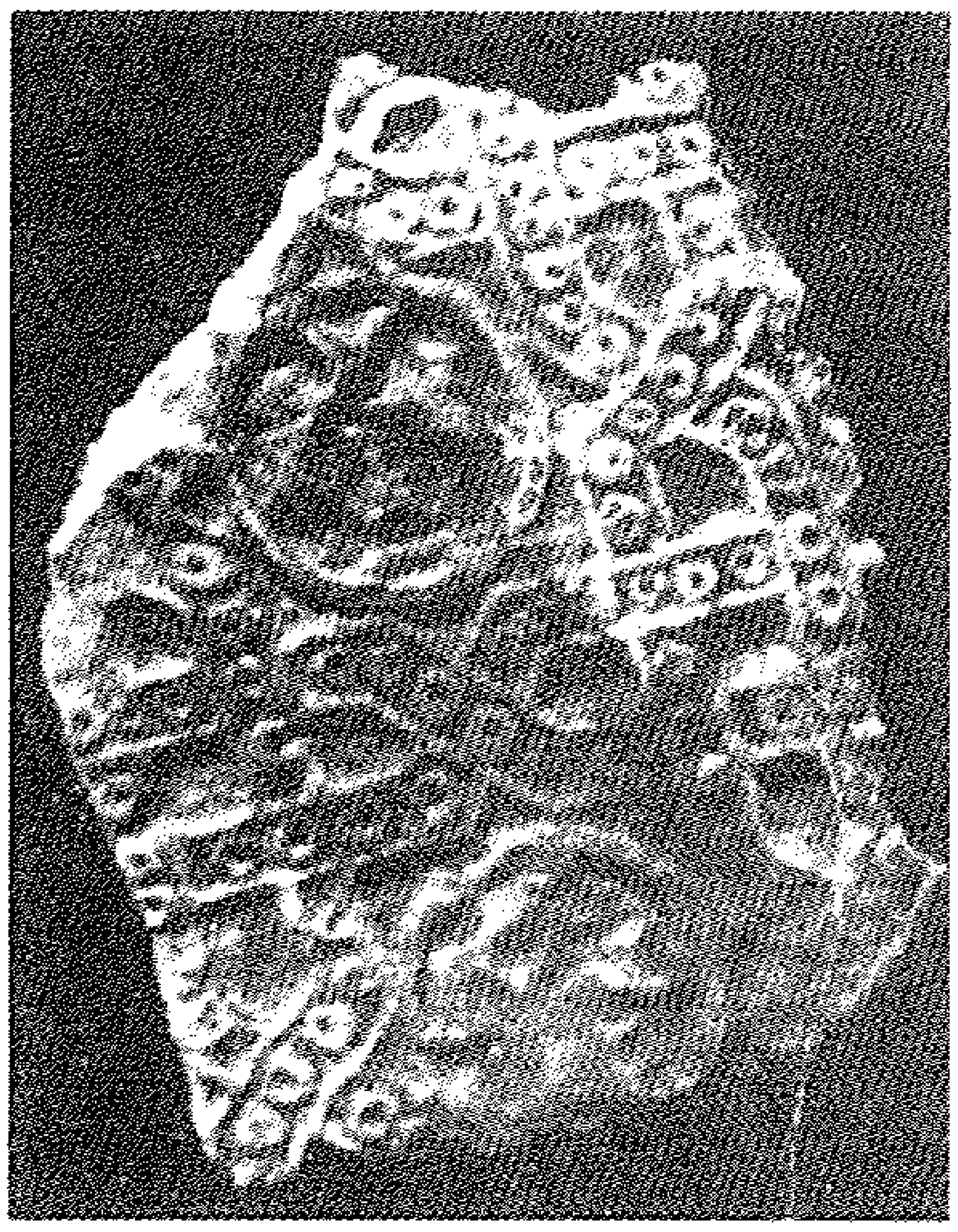

(شكل رقم ١٣٧) قلعة بني حماد : بقايا زخرفة جصية .
(عن : دى بيلى) .

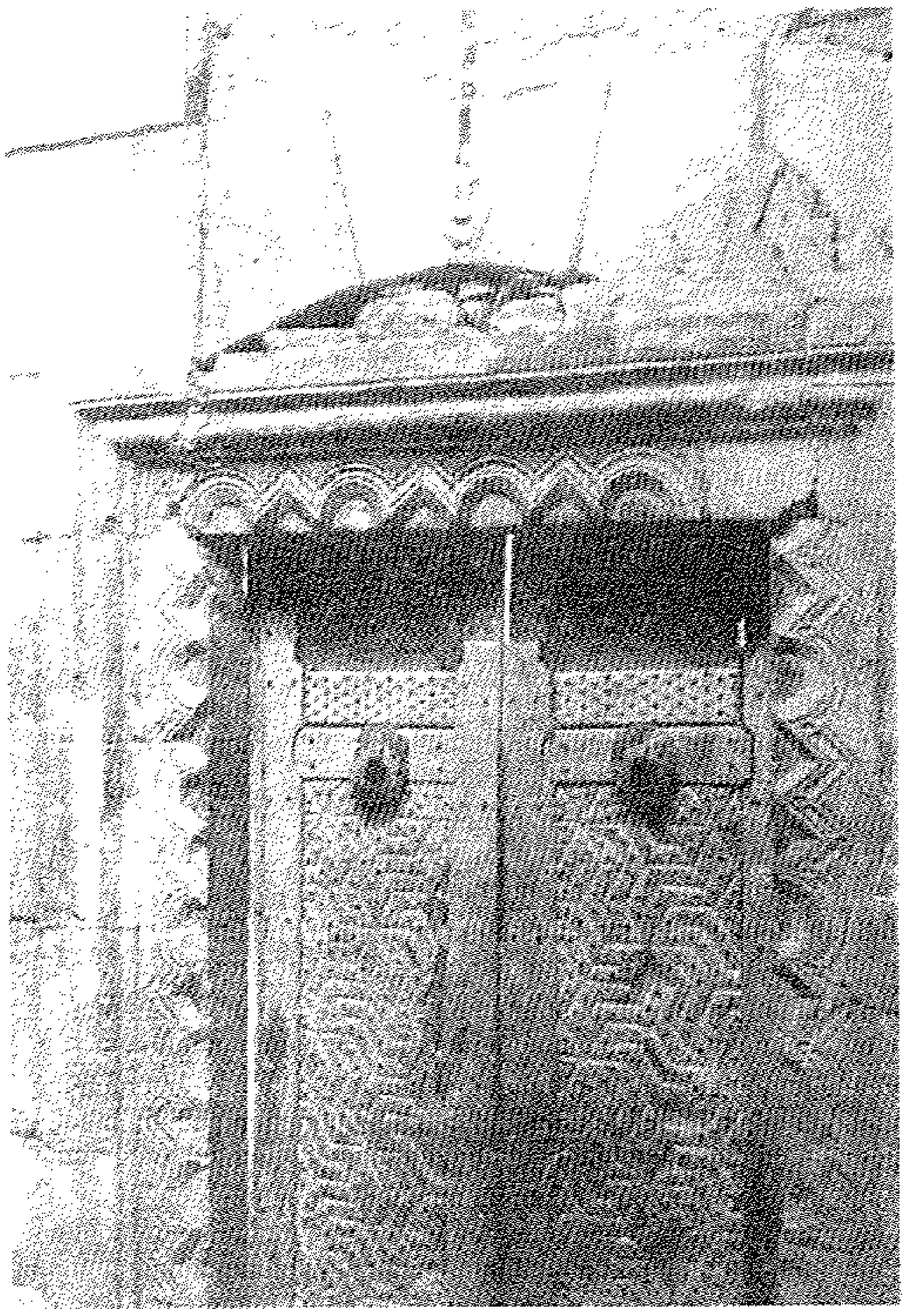

(شكل رقم ١٣٨) حلب : مارستان
(بيمارستان) نور الدين ، المدخل .

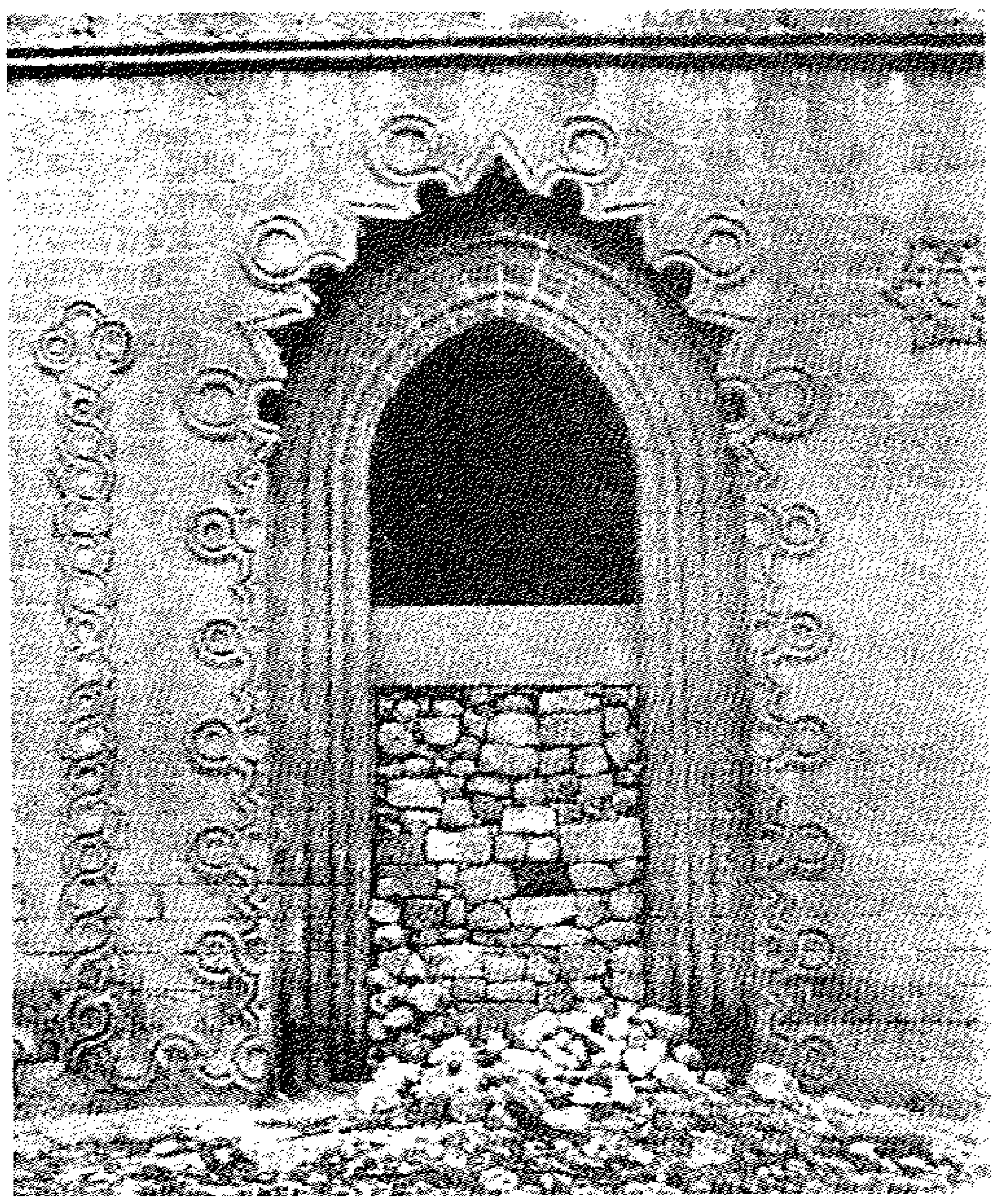

(شكل رقم ١٣٩) دنيصر : الجامع الكبير .
(عن : جابرييل) .

(شكل رقم ١٤٠) القسطنطينية (استانبول) : منحوتات حجرية في المتحف .
(عن : فان برشم وستروجوفسكى) .

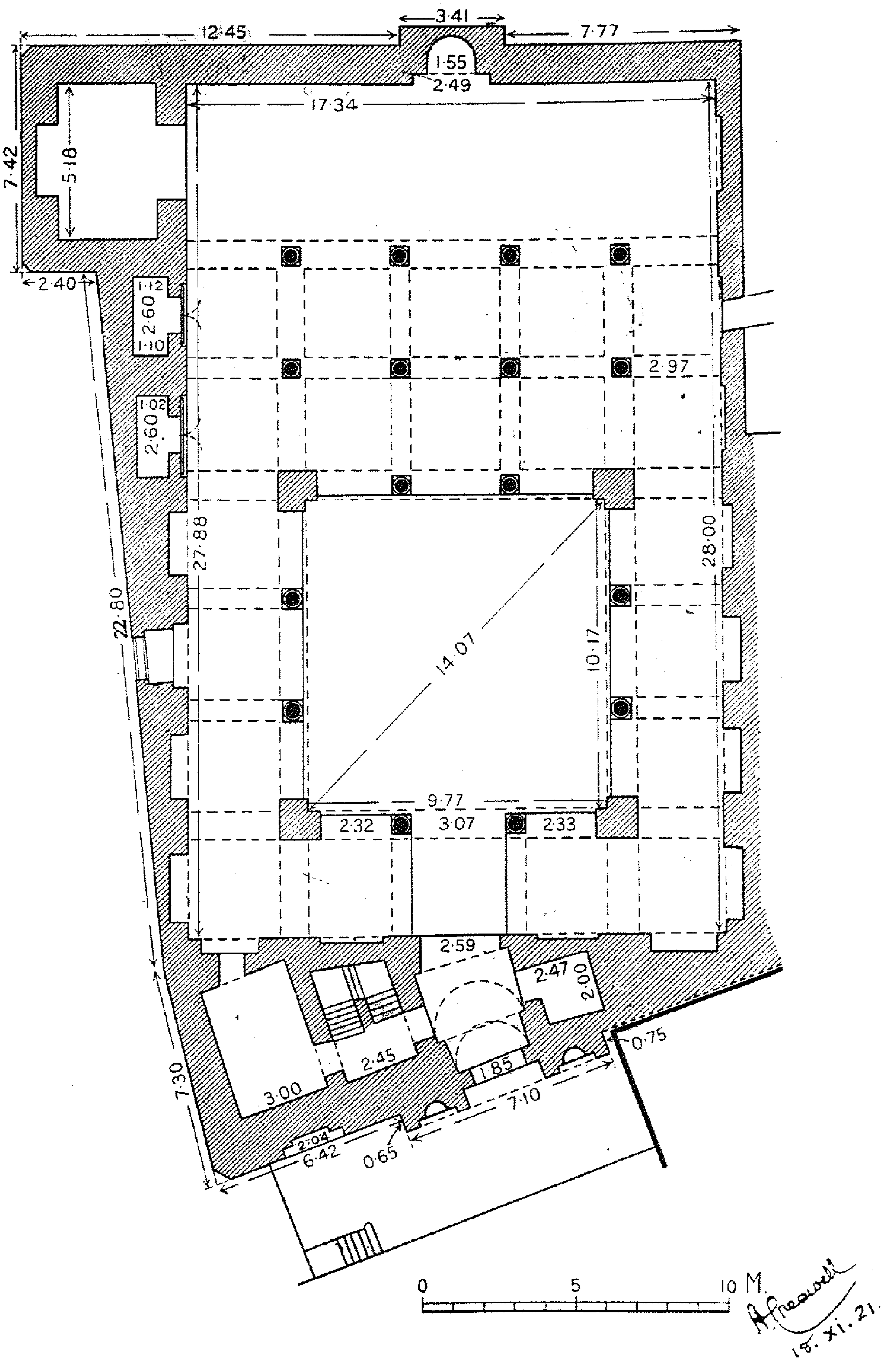

(شكل رقم ١٤١) مسجد الأقمر : مسقط .

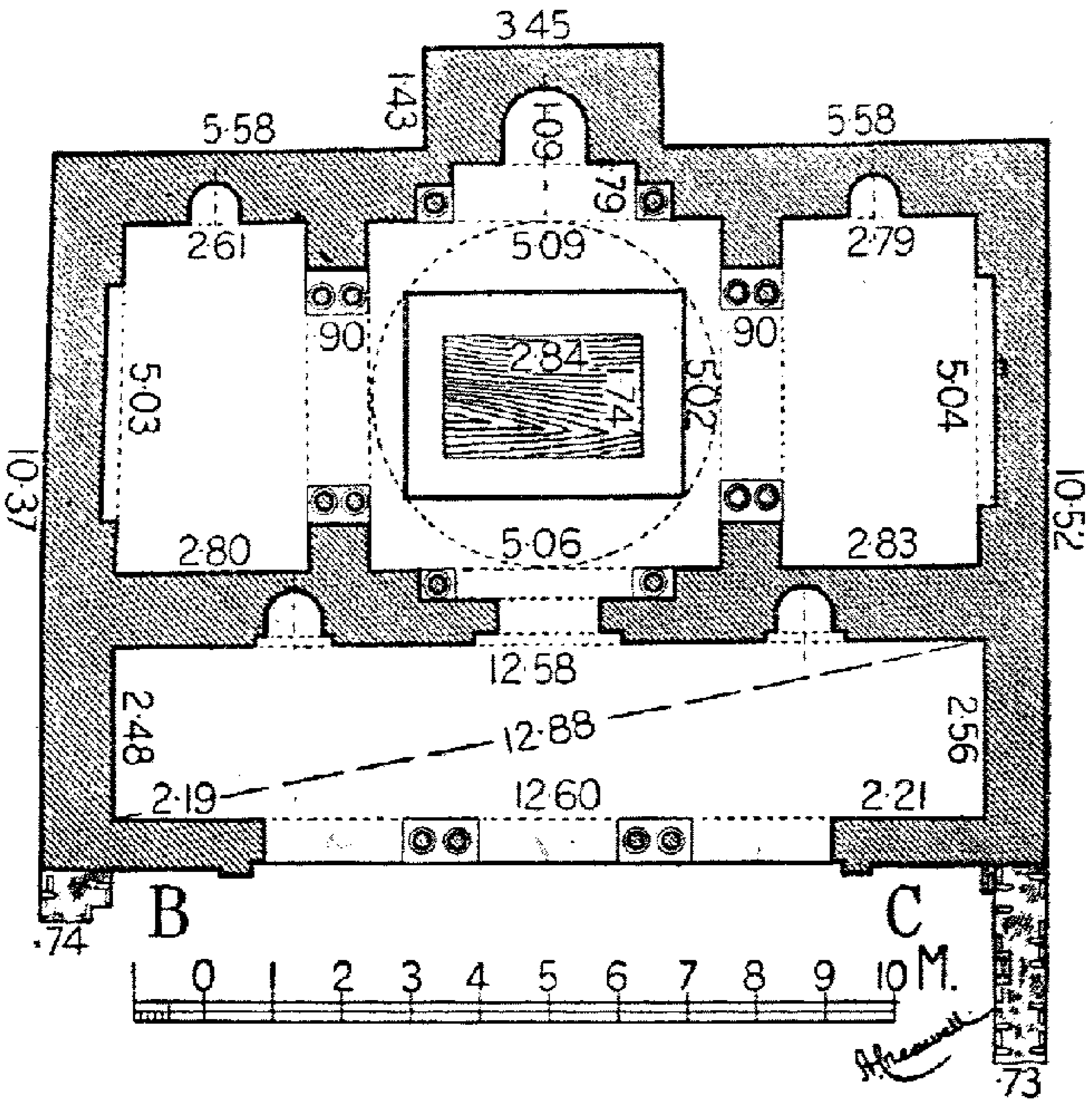

(شكل رقم ١٤٢) مشهد السيدة رقية : مسقط .

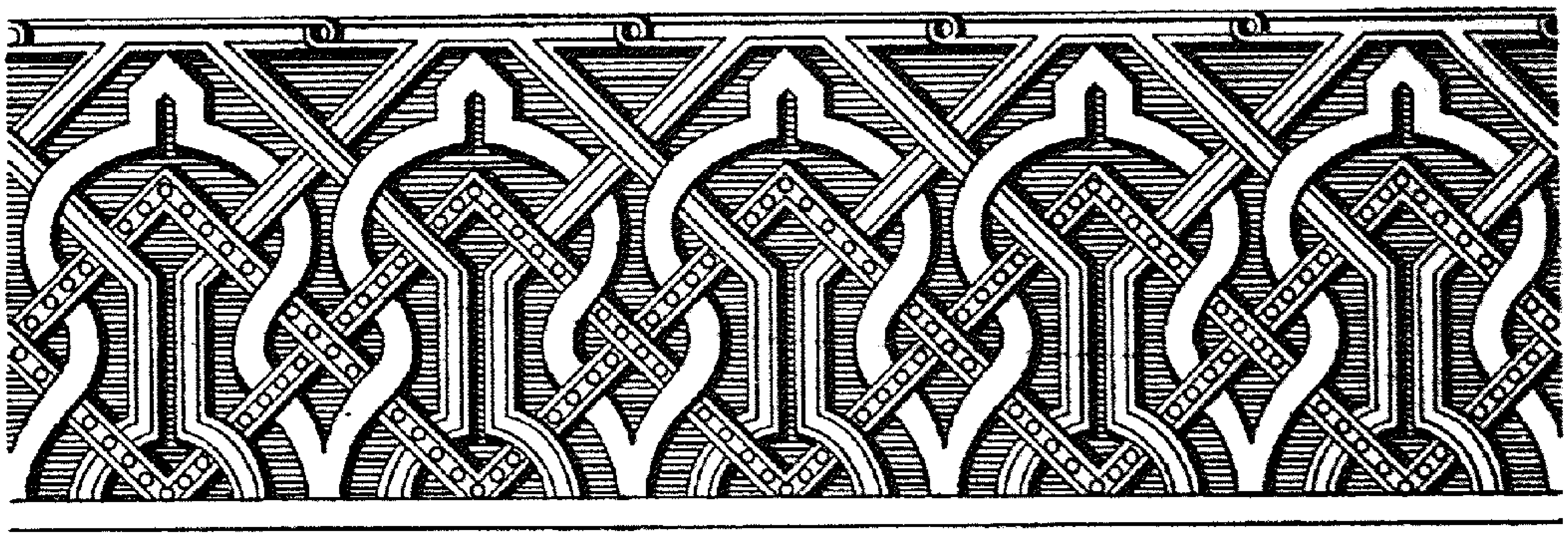

(شكل رقم ١٤٣) مشهد السيدة رقية : كورنيش المحراب (رسم خليل كامل) .

(شكل رقم ١٤٤) يزد : دوازده امام . المقرنصات . (عن : بوب) .

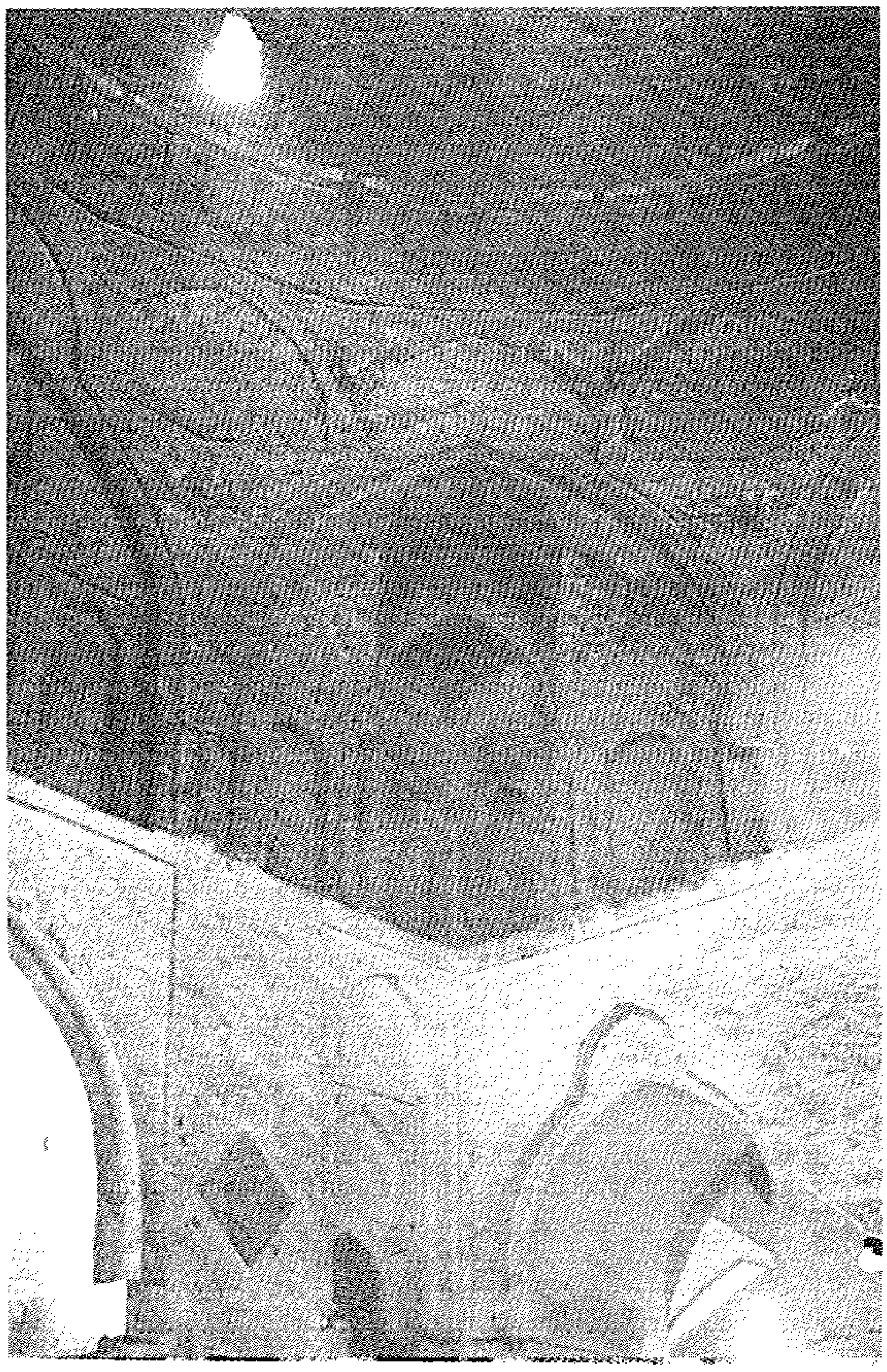

(شكل رقم ١٤٥) أصفهان : الجامع الكبير . المقرنصات .

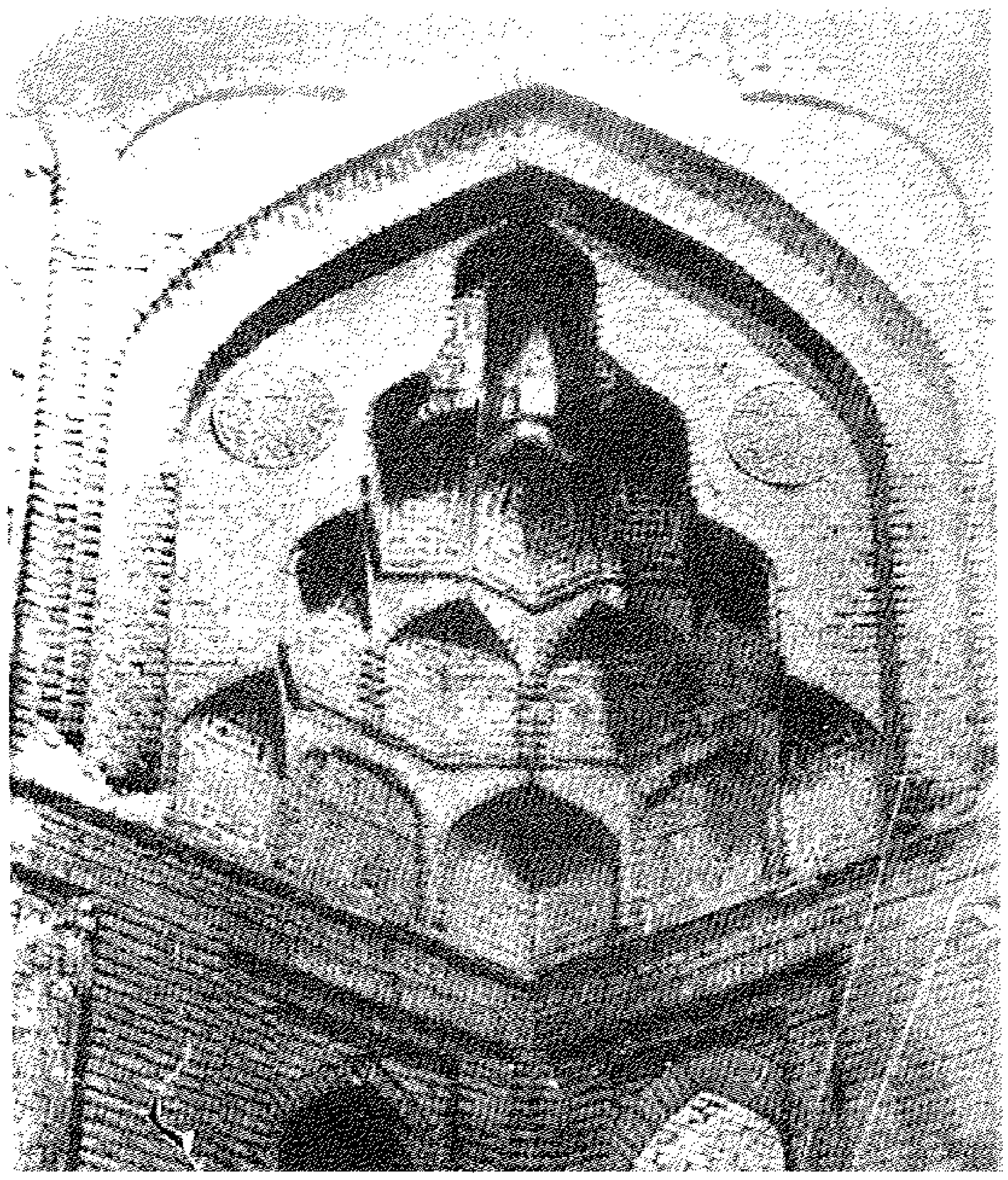

(شكل رقم ١٤٦) كلبايكان : الجامع الكبير . المقرنصات . (عن : بوب) .

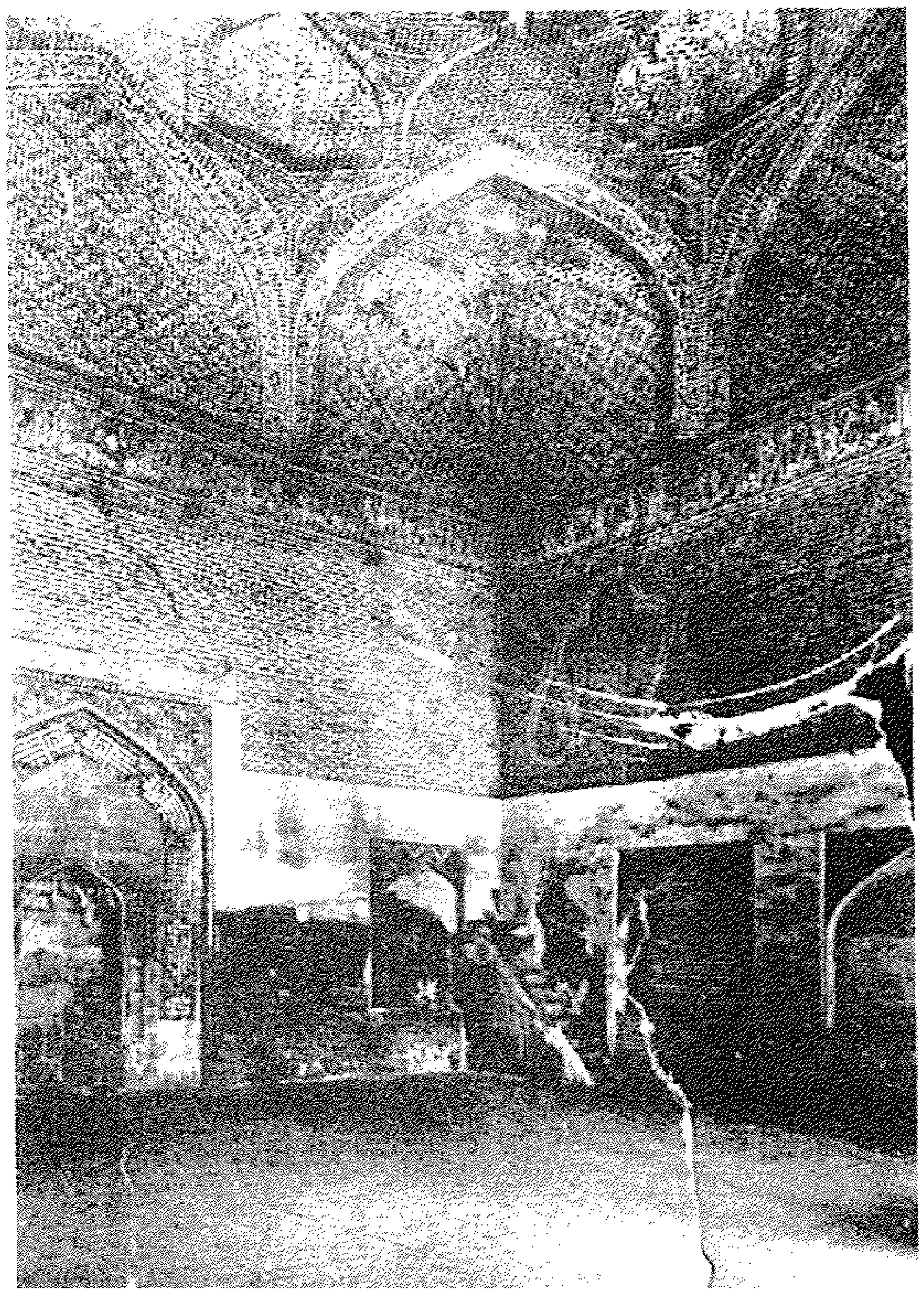

(شكل رقم ١٤٧) قزوين : الجامع الكبير . المقرنصات . (عن : بوب) .

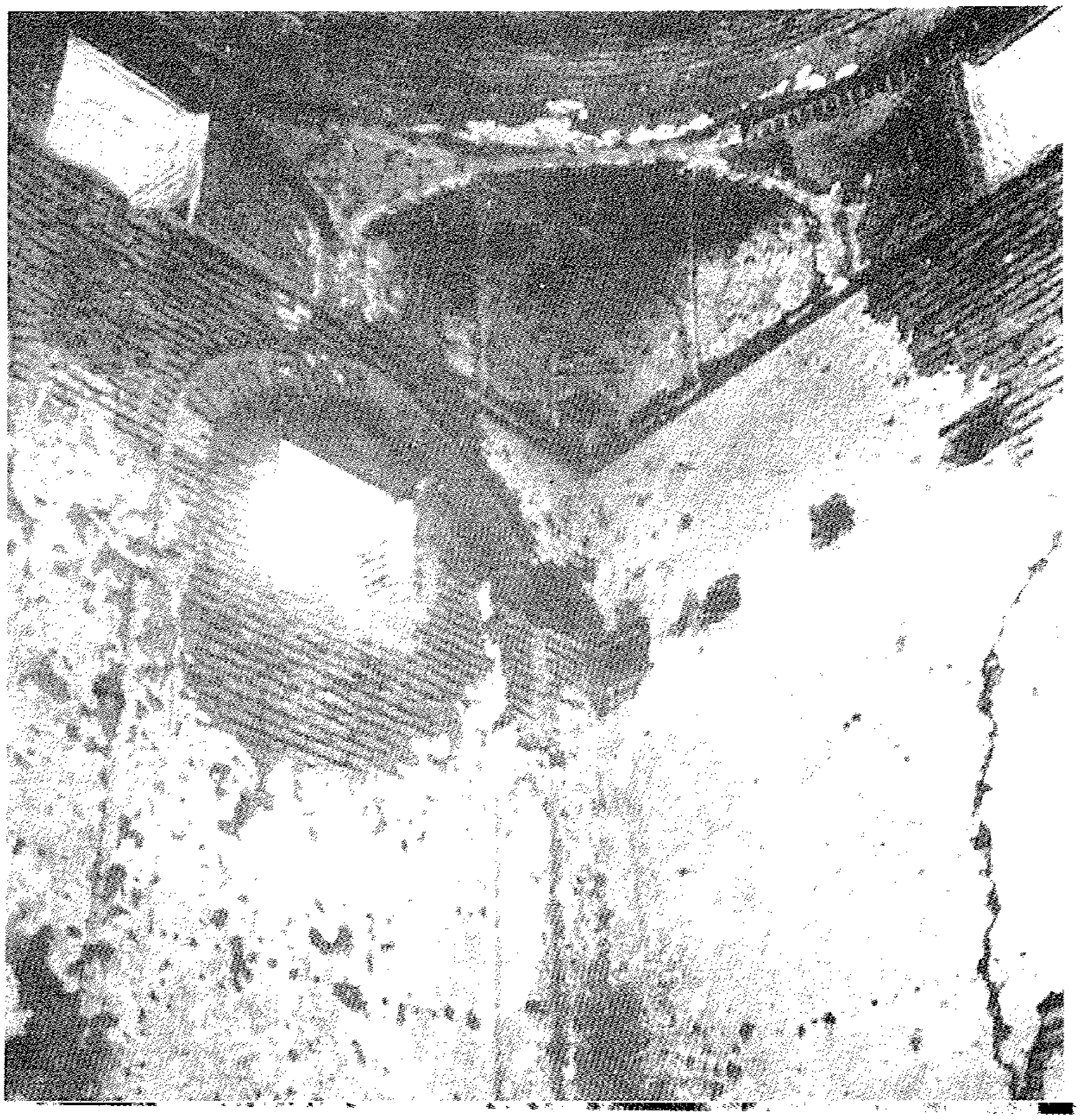

(شكل رقم ١٤٨) مراغة : كنبدي سرخ . المقرنصات (عن : بوب) .

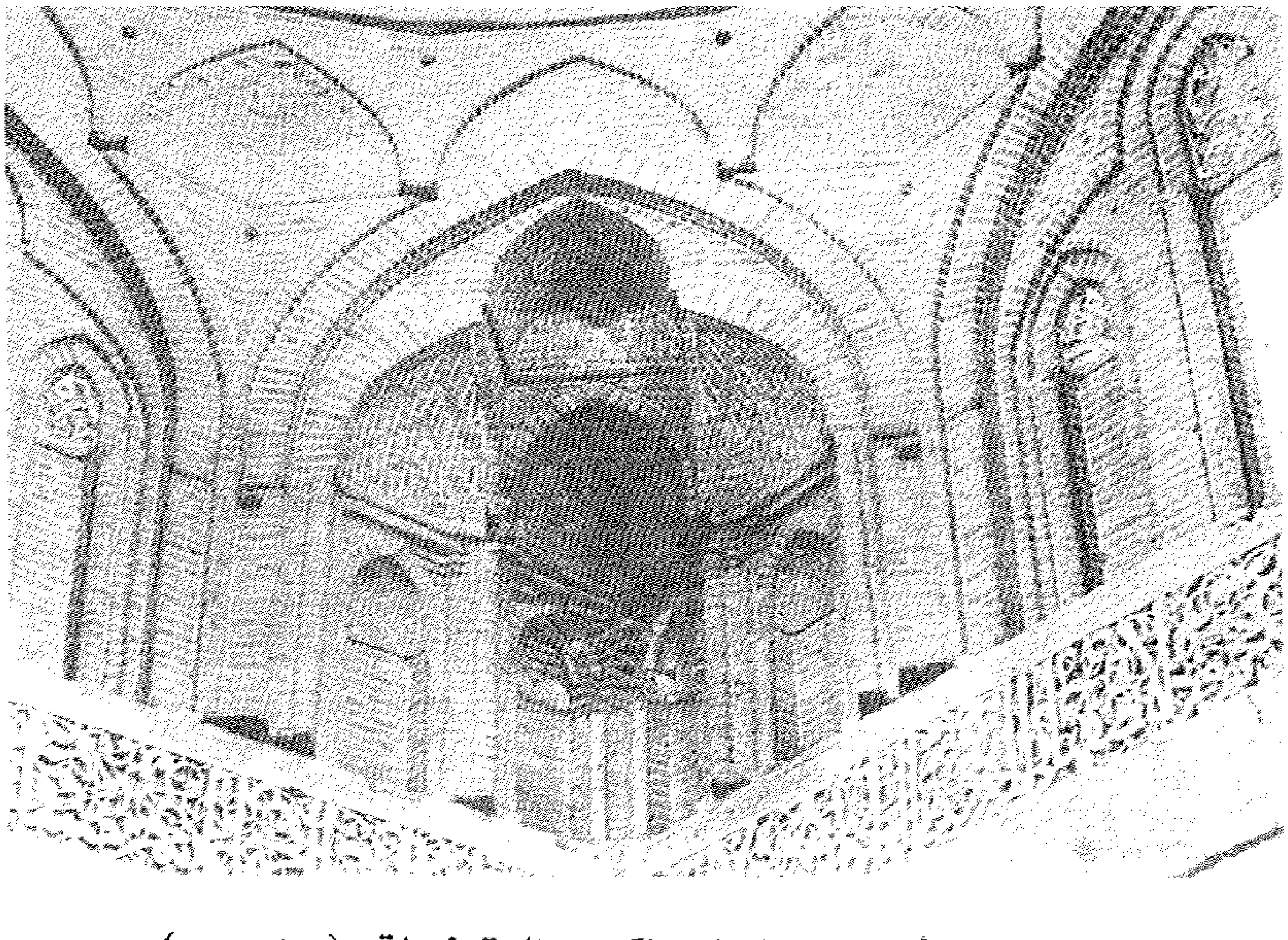

(شكل رقم ١٤٩) أردستان : الجامع الكبير . المقرنصات . (عن : بوب) .

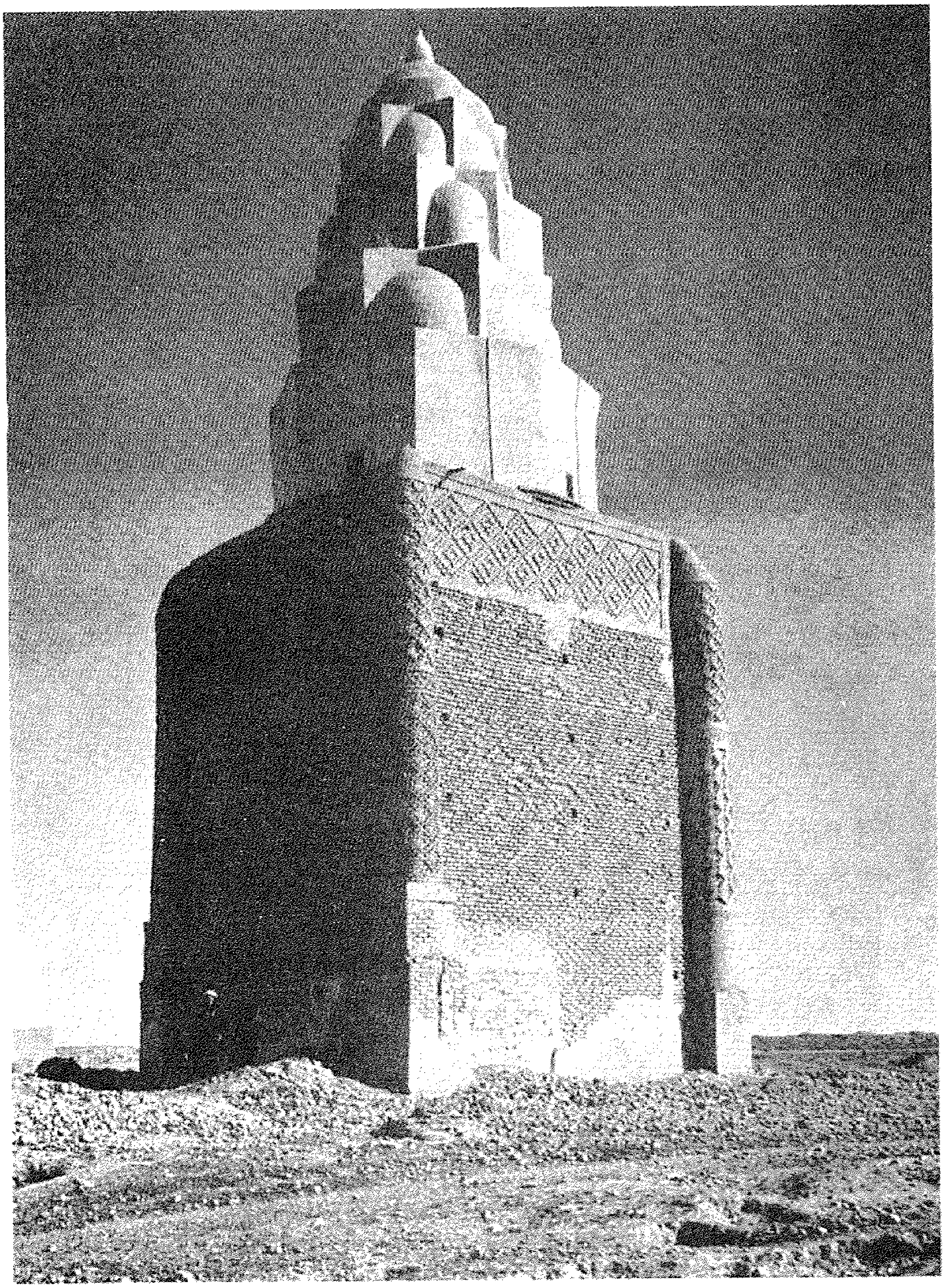

(شكل رقم ١٥٠) امام دور : الضريح من الخارج .

(شكل رقم ١٥١) امام دور : القبة المقرنصة (انظر لأعلى) .

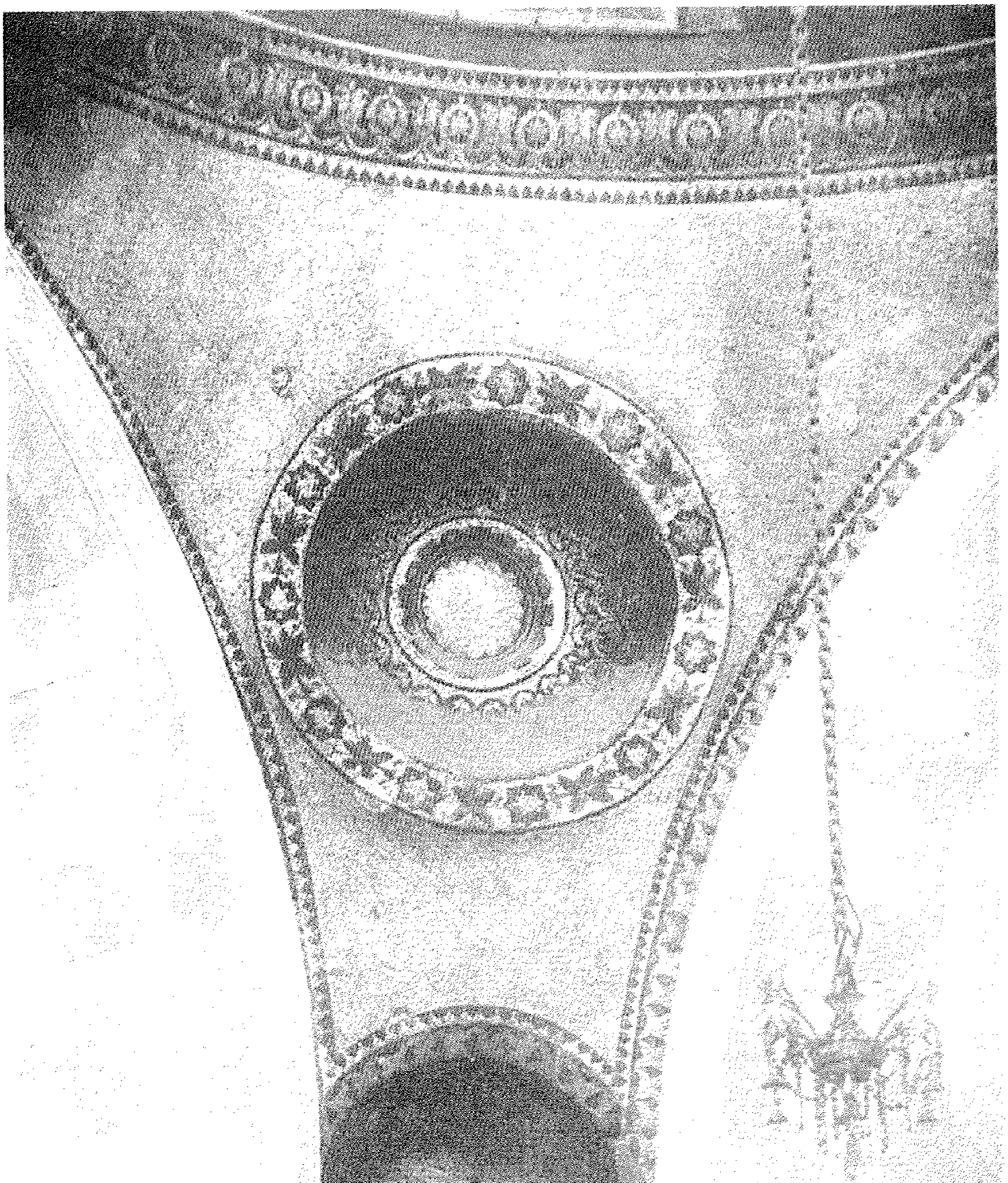

(شكل رقم ١٥٢) القدس : المسجد الأقصى . البندنتيف .

(شكل رقم ١٥٣) بصرى : مدرسة المبرك (٥٣٠هـ / ١١٣٦م) .

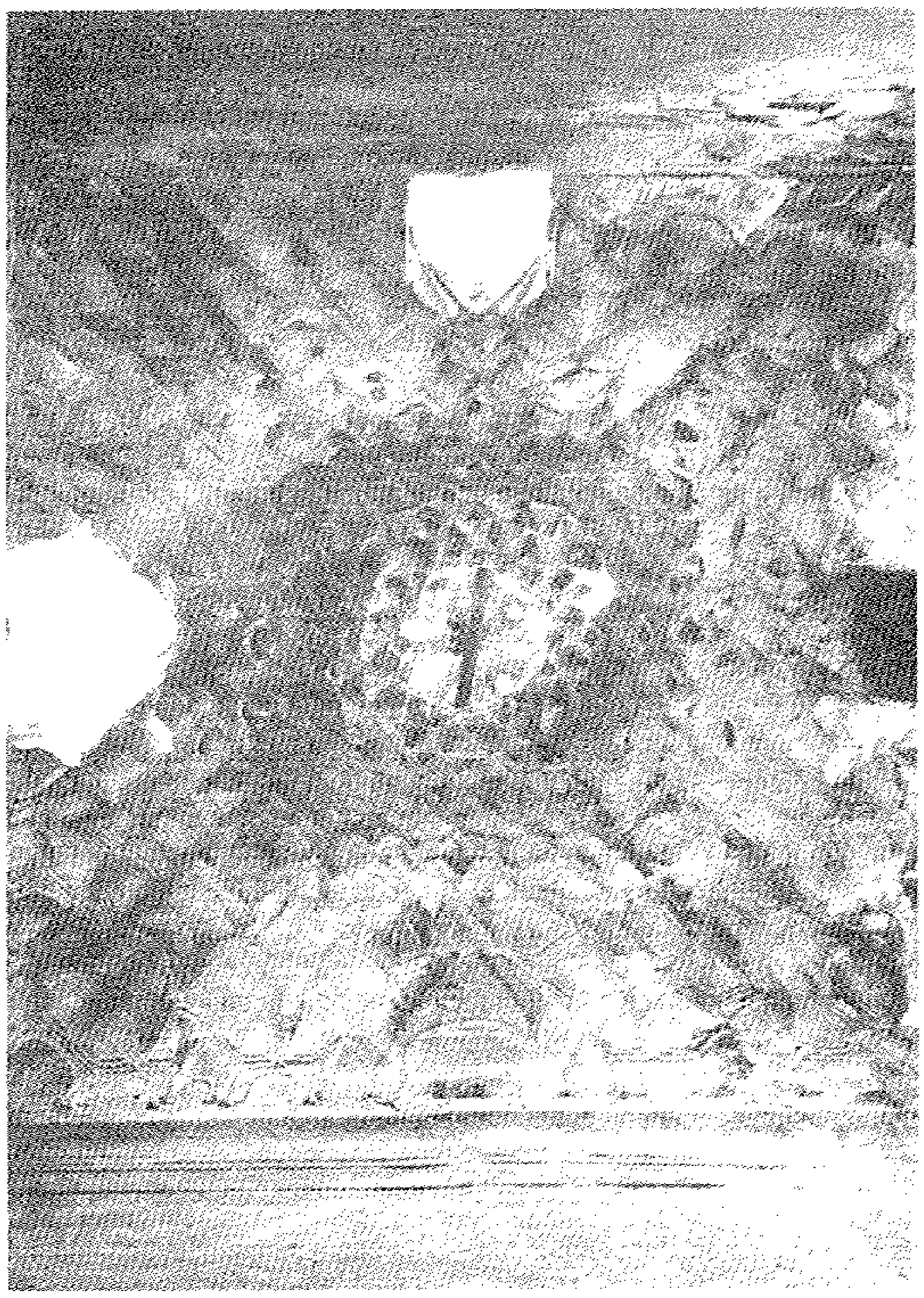

(شكل رقم ١٥٤) دمشق : مارستان نور الدين . قبة الدركاه من الداخل .

(شكل رقم ١٥٥) حلب : مدرسة شاد بخت .

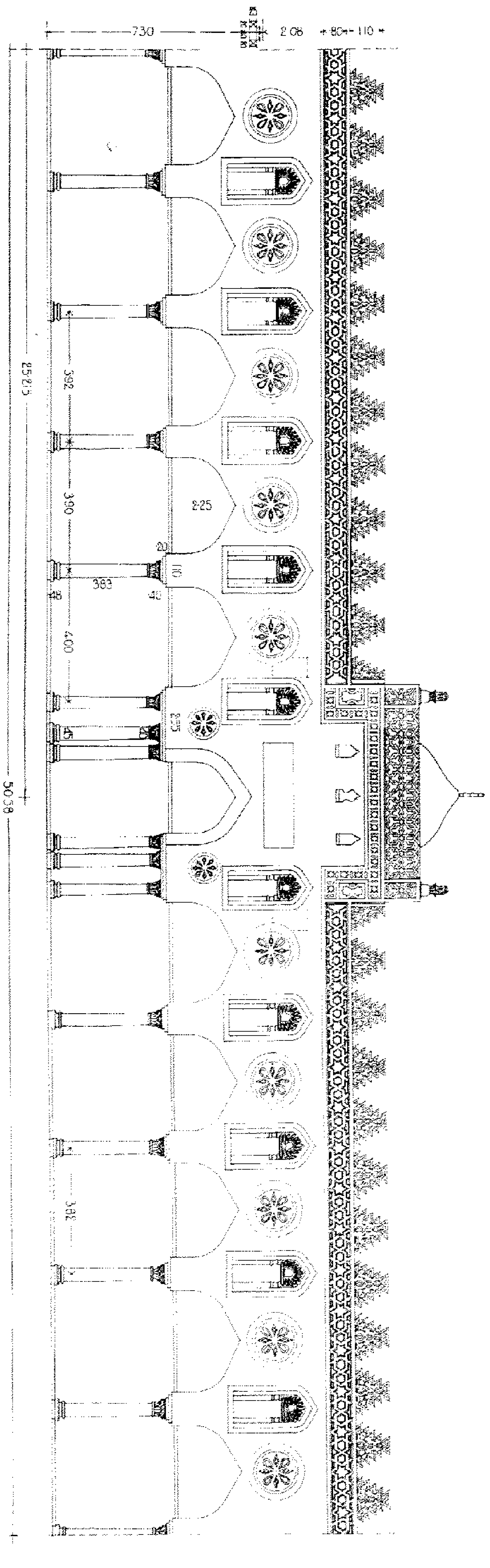

(شكل رقم ١٥٦) جامع الأزهر : الجانب الجنوبي الشرقي للصحن قبل أعمال ١٨٩١ - ١٨٩٢م .
(عن رسم للجنة حفظ الآثار العربية) .

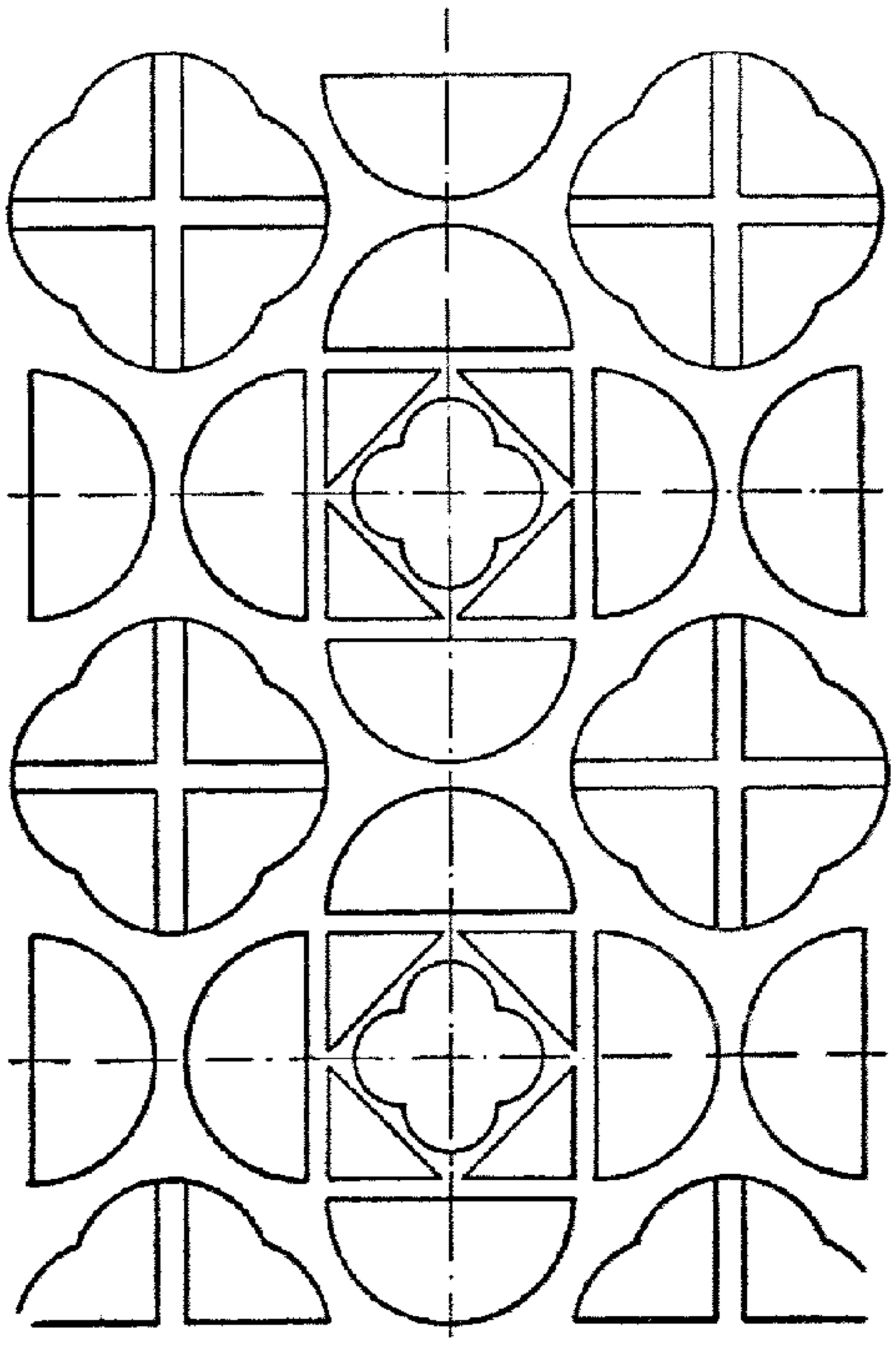

(شكل رقم ١٥٧) جامع الأزهر : نموذج (Scheme)
للزخارف المفرغة لنافذة في مدخل بيت الصلاة (مقدم الجامع) .

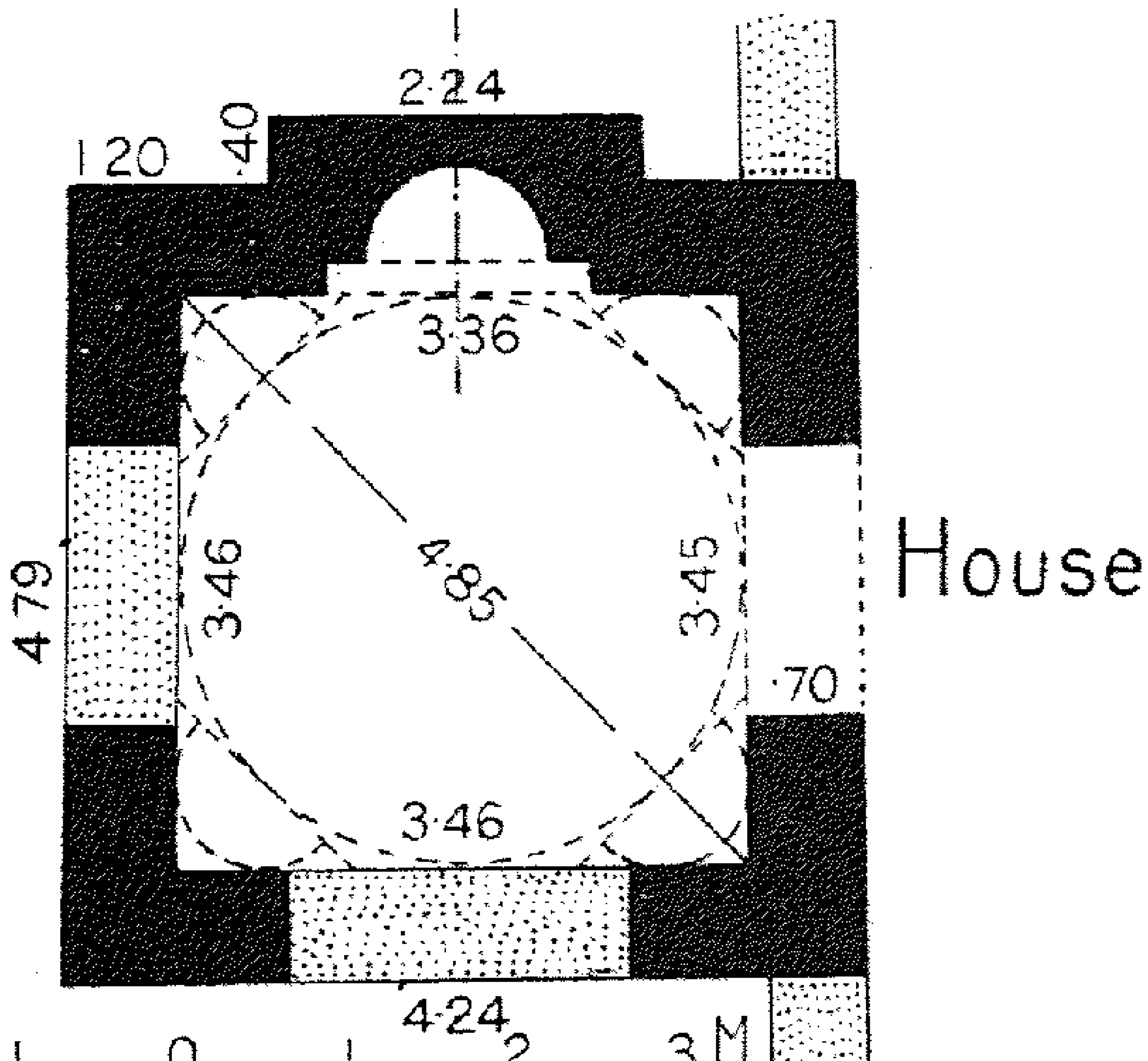

(شكل رقم ١٥٨) ضريح محمد الحصواتي : مسقط .

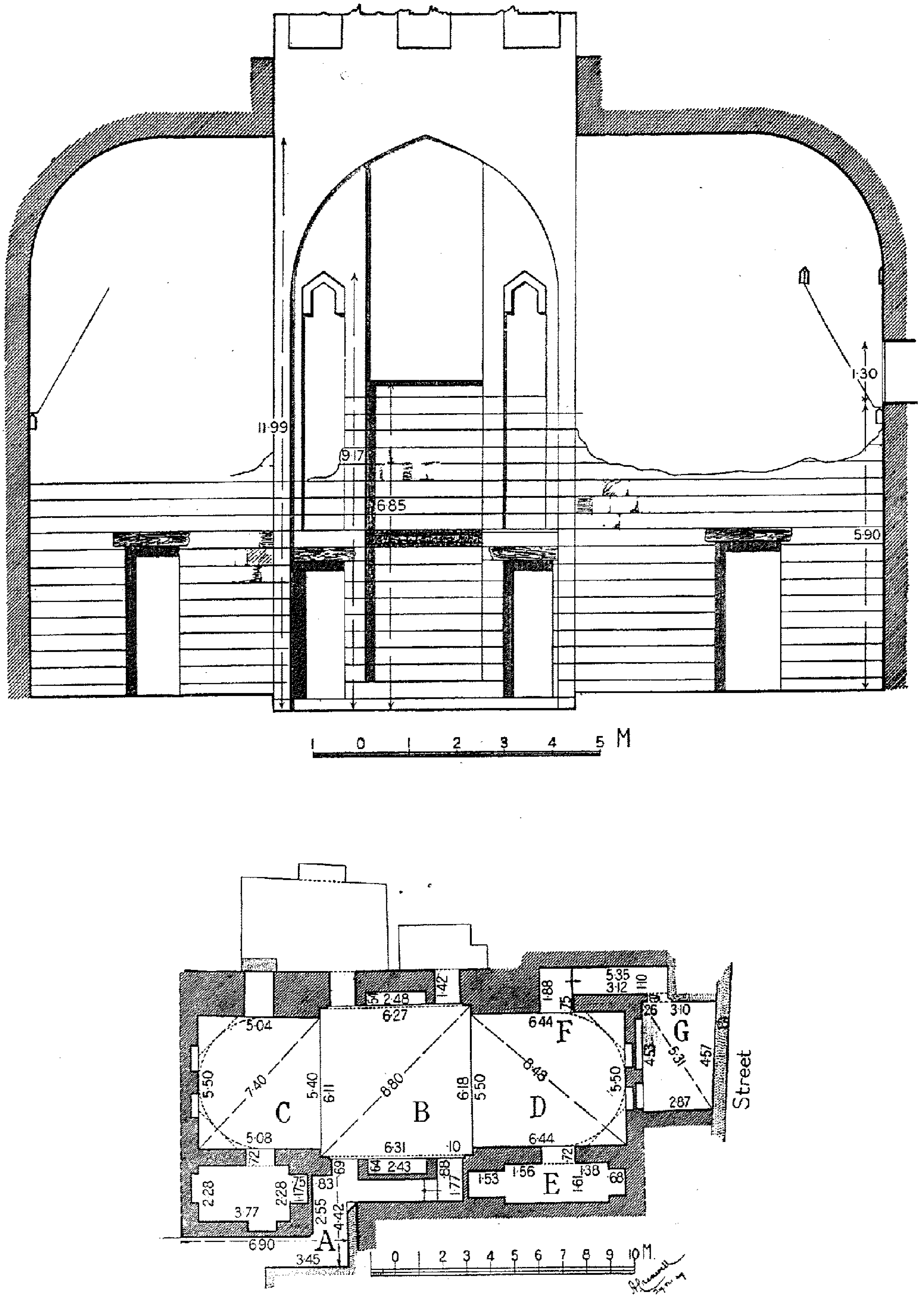

(شكل رقم ١٥٩) قاعة الدردير : قطاع (عن لجنة حفظ الآثار العربية) ومسقط .

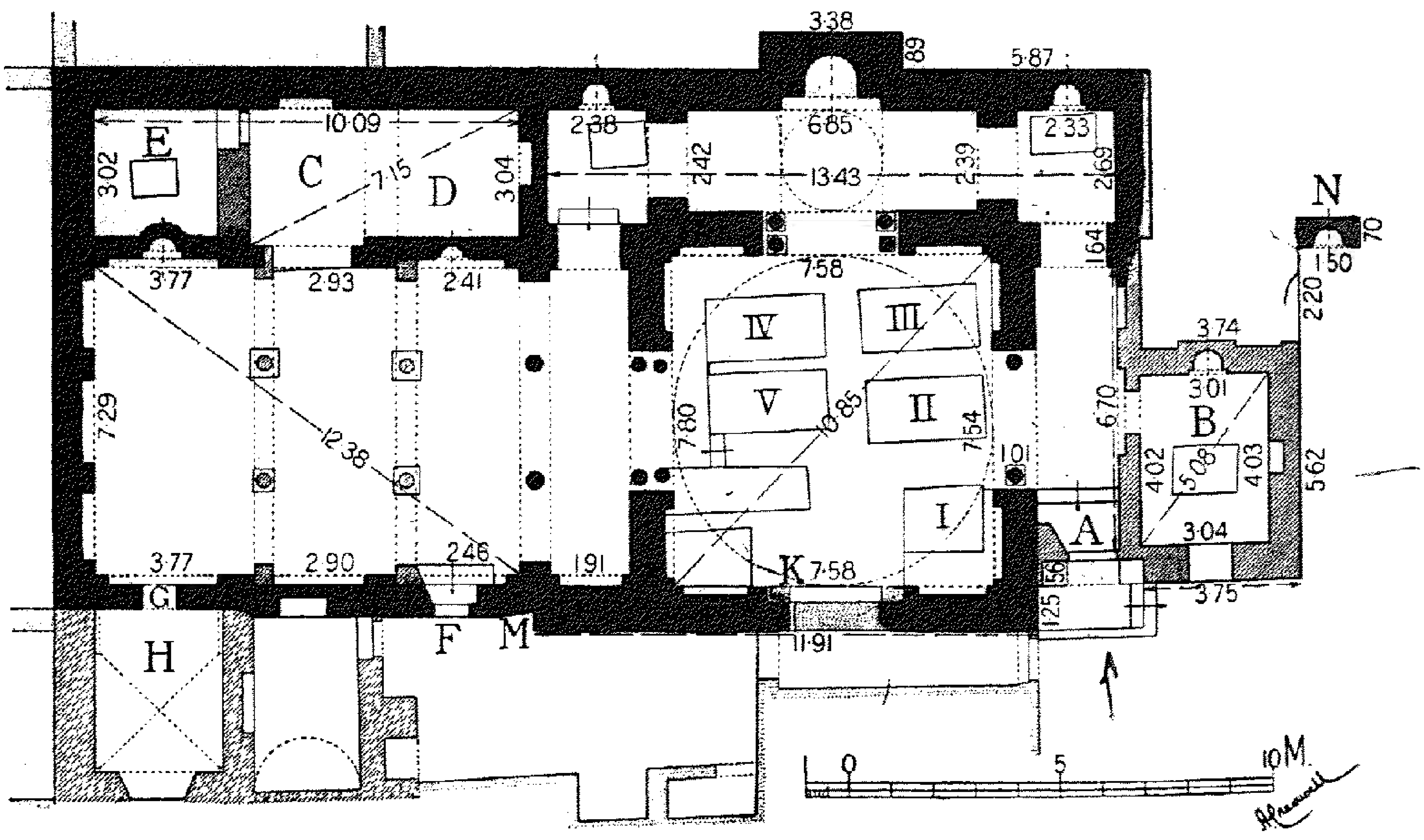

(شكل رقم ١٦٠) ضريح (مشهد) يحيى الشبيه : مسقط .

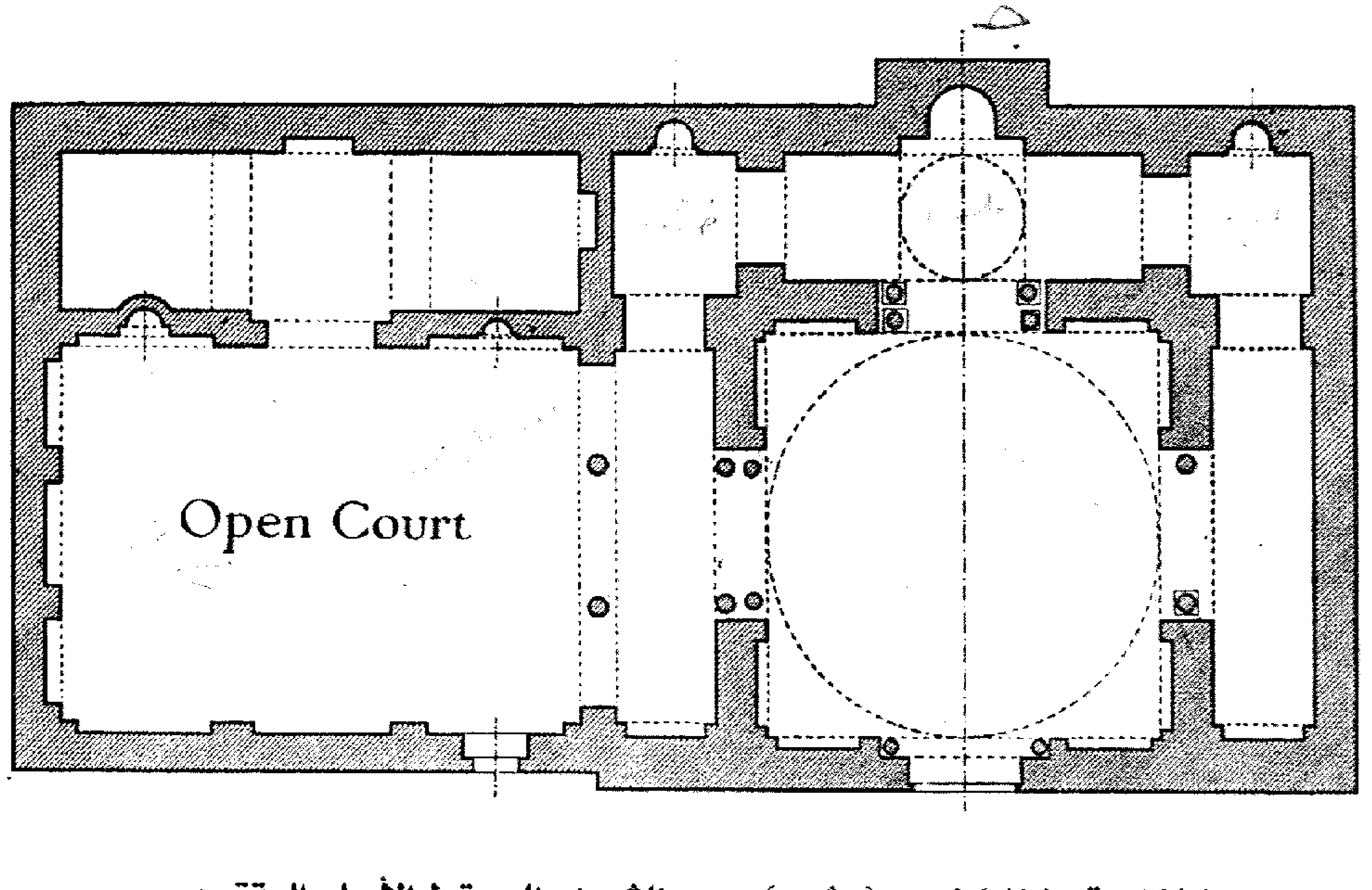

(شكل رقم ١٦١) ضريح (مشهد) يحيى الشبيه : المسقط الأصلي المقترح .

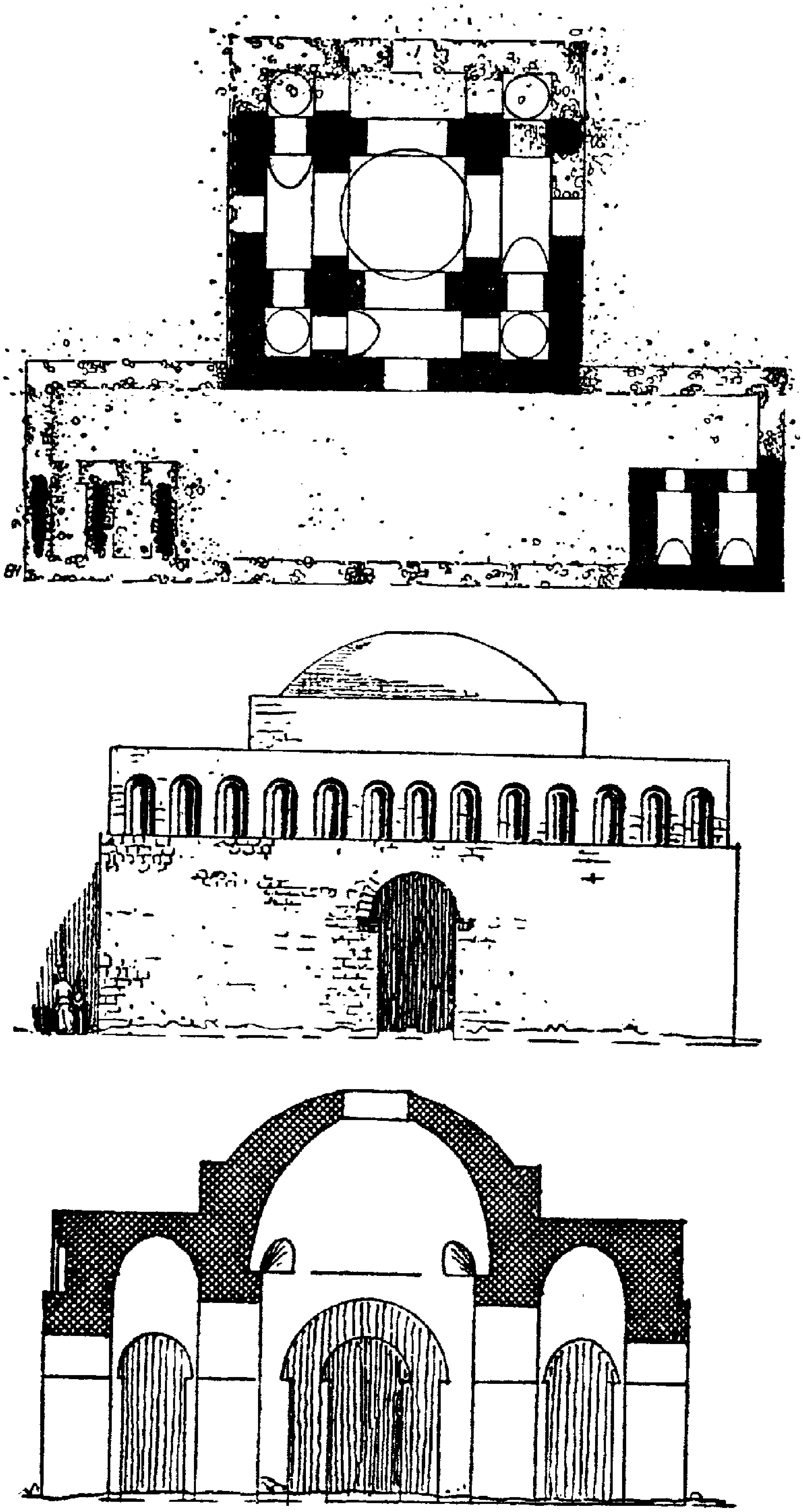

(شكل رقم ١٦٢) معبد النار قرب جيرا (عن هرتزفلد) .

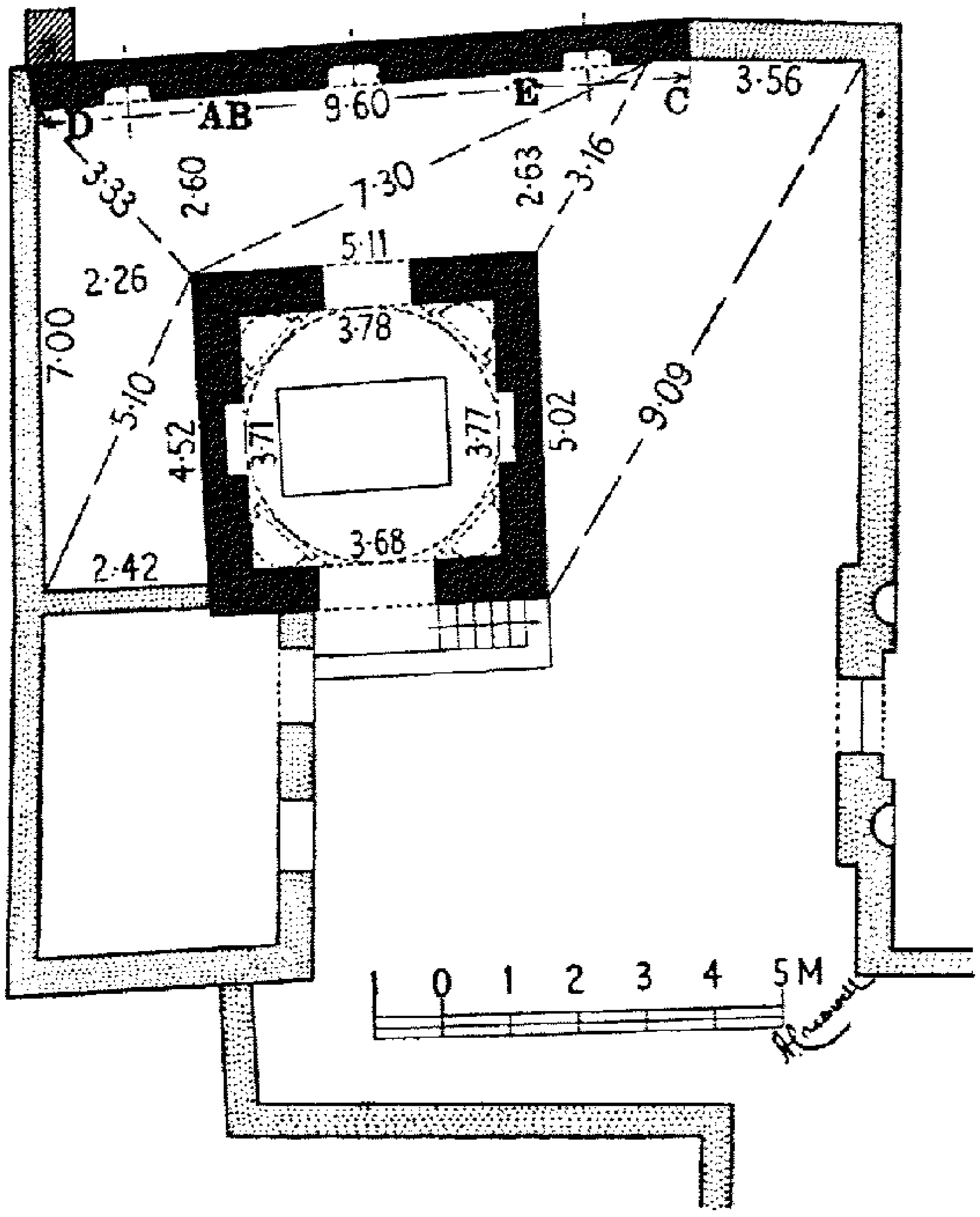

(شكل رقم ١٦٣) ضريح (مشهد) قاسم أبو الطيب : مسقط .

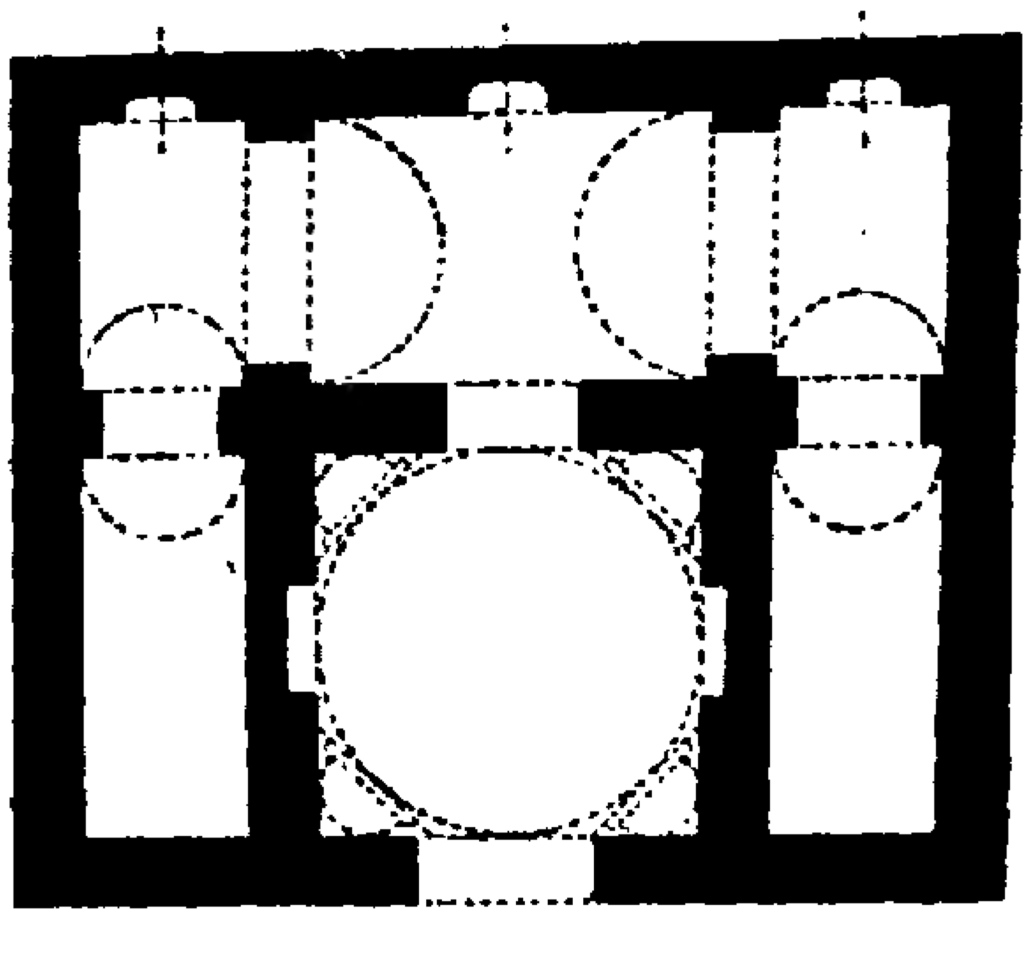

(شكل رقم ١٦٤) ضريح (مشهد) قاسم أبو الطيب : المسقط الأصلي المقترح .

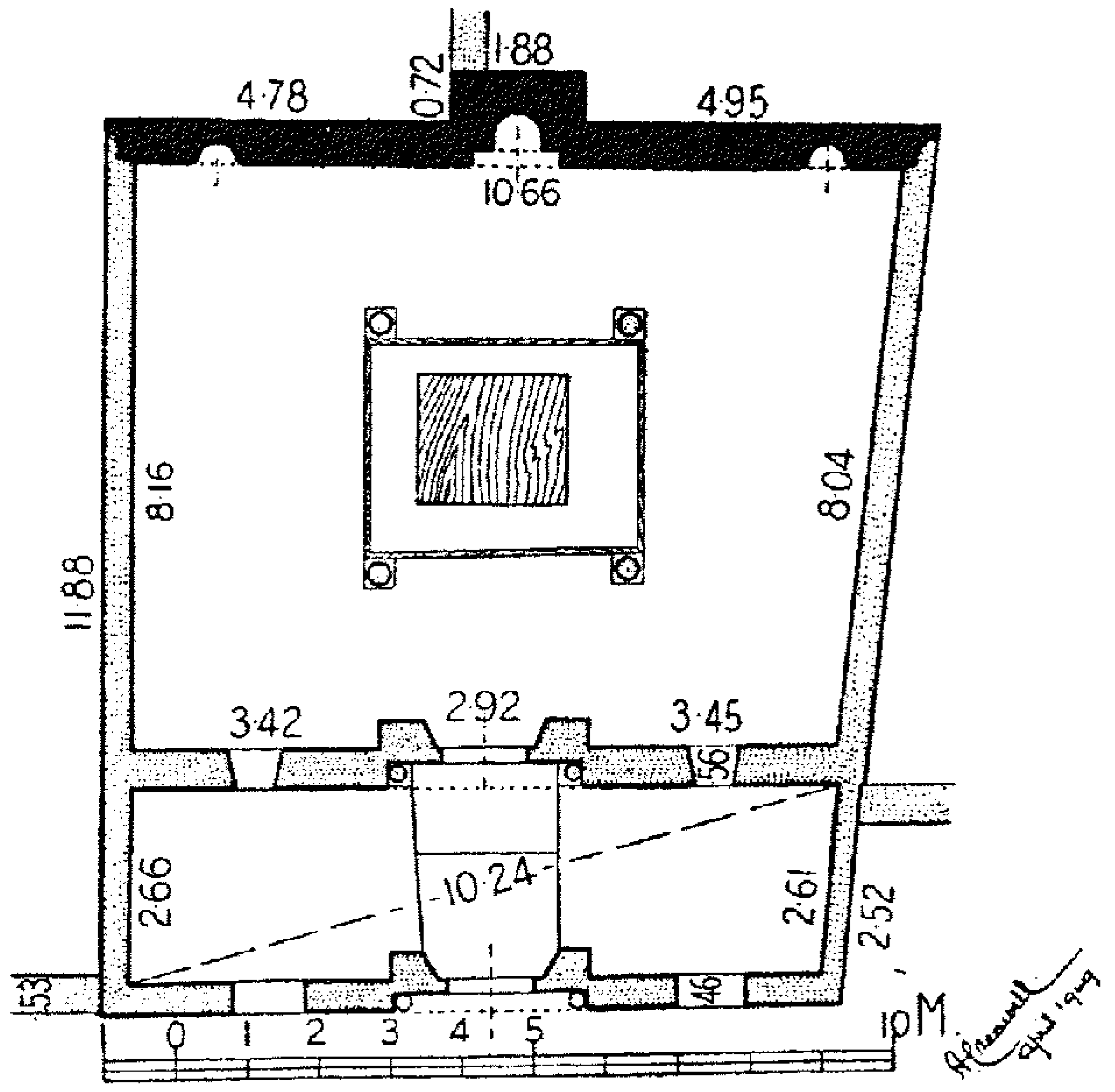

(شكل رقم ١٦٥) ضريح (مشهد) أم كلثوم : مسقط .

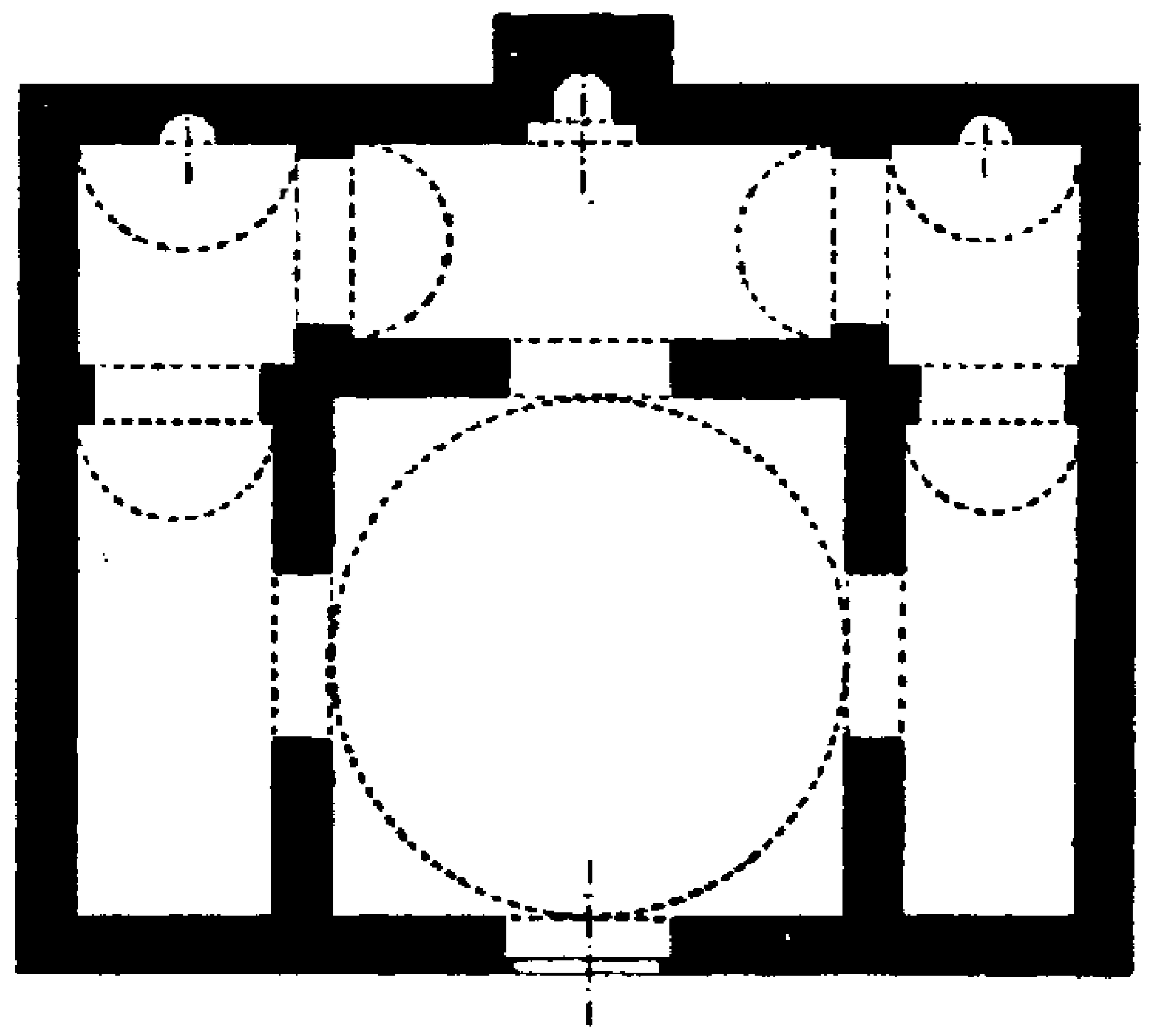

(شكل رقم ١٦٦) ضريح (مشهد) أم كلثوم : المسقط الأصلي المقترح .

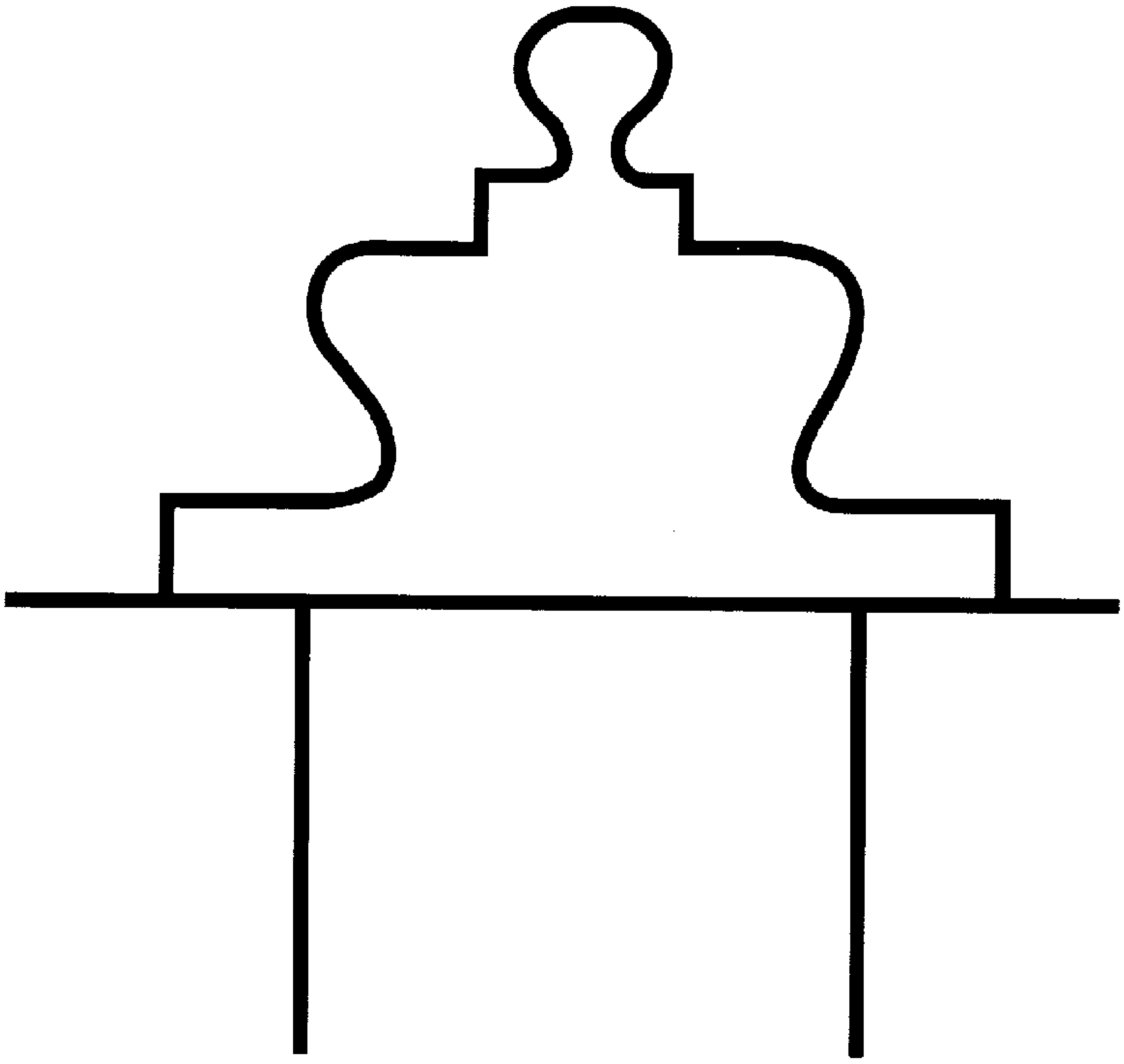

(شكل رقم ١٦٧) مسجد الصالح طلائع : زخرفة فوق النافذة .

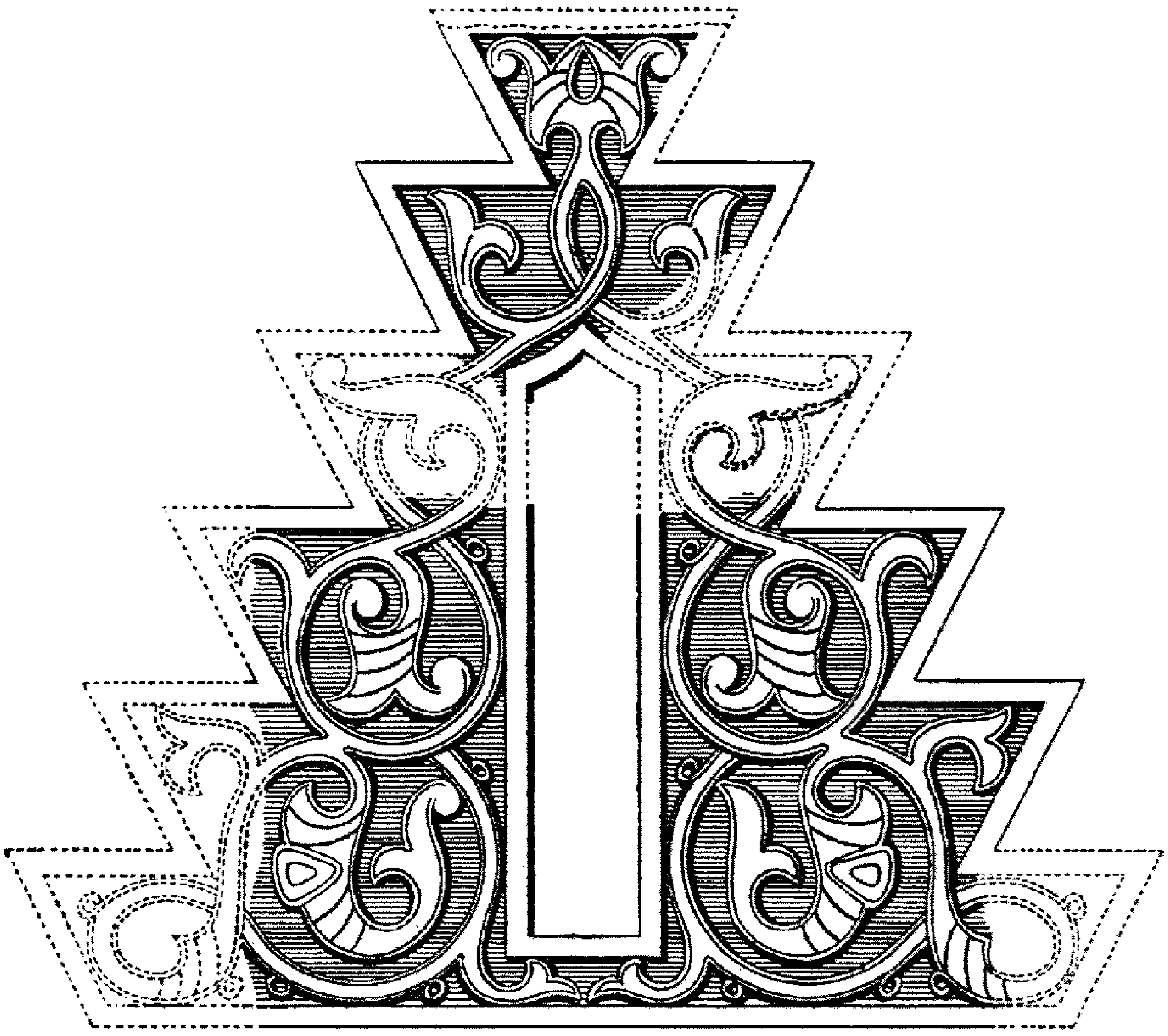

(شكل رقم ١٦٨) مسجد الصالح طلائع : شرافة .

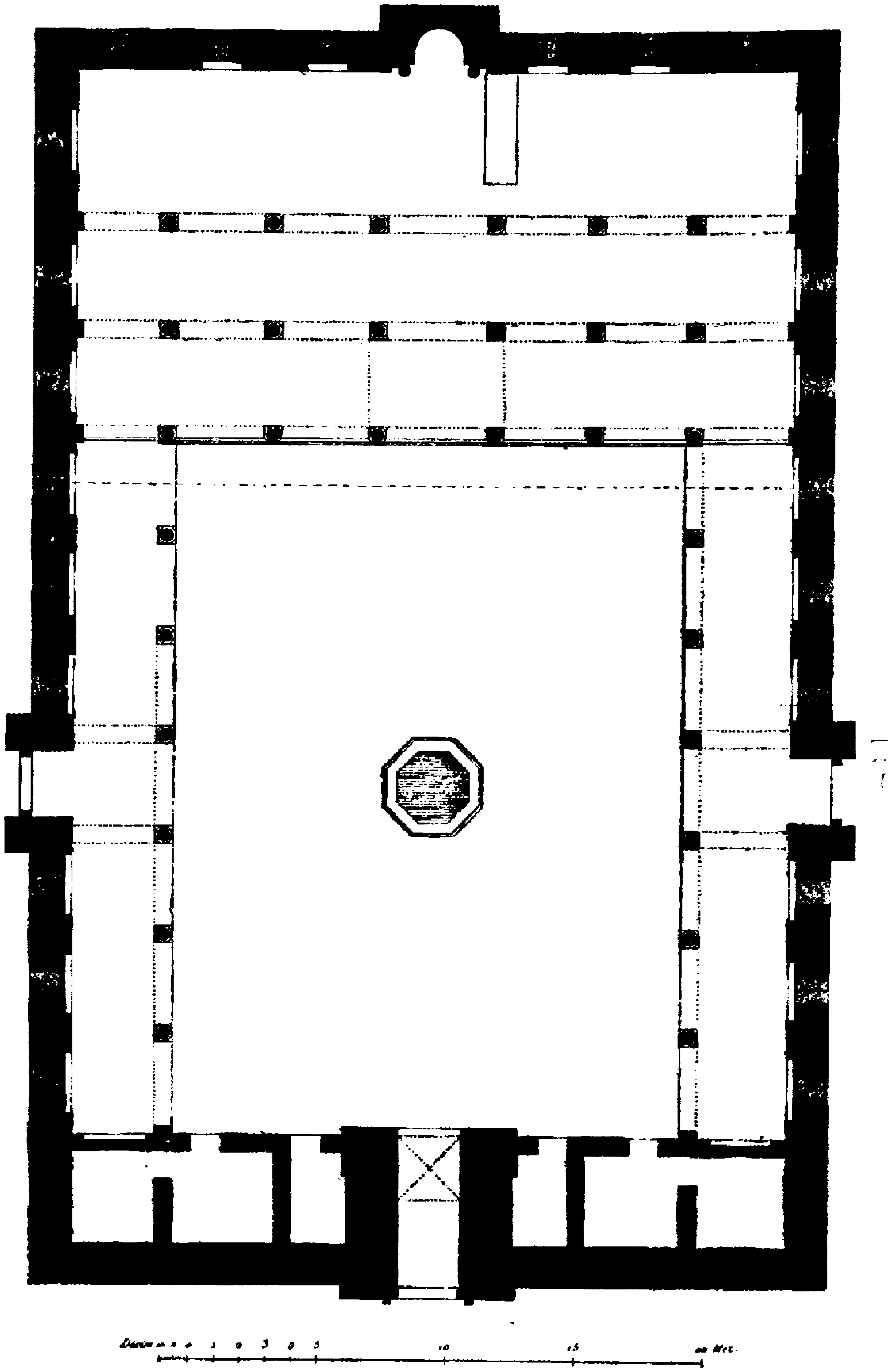

(شكل رقم ١٦٩) مسجد الصالح طلائع : مسقط (عن : بريس دافين) .

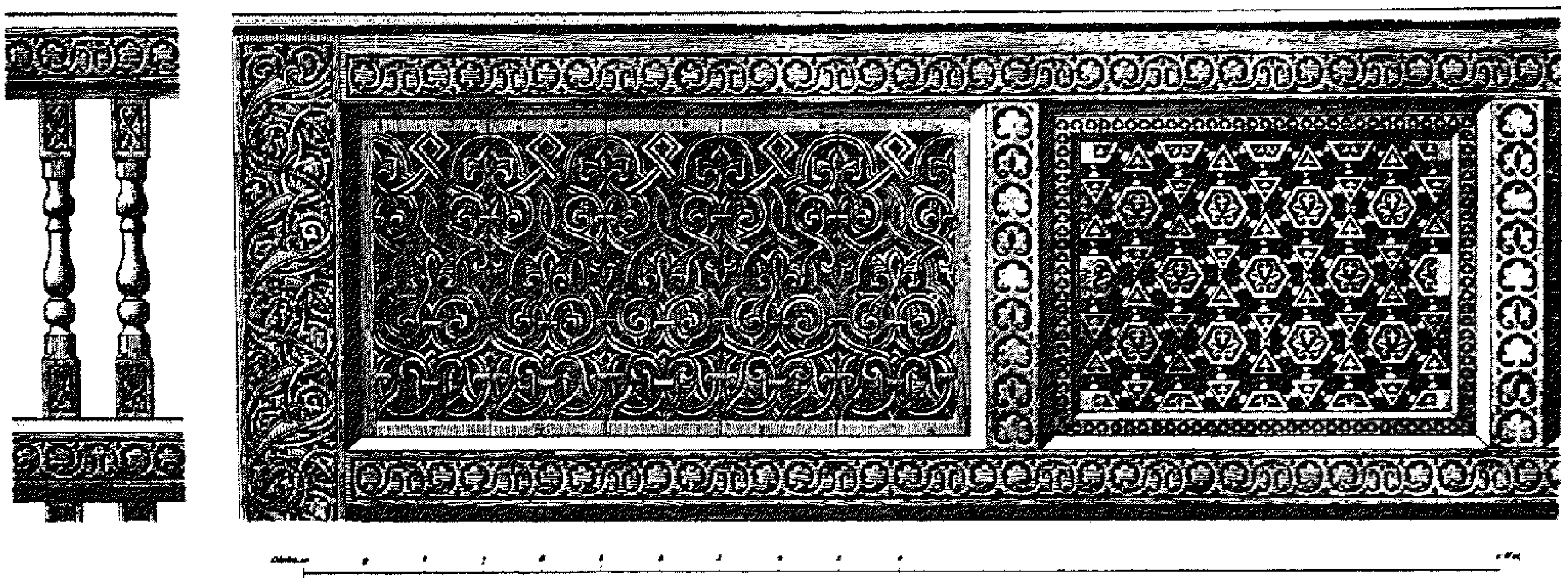

(شكل رقم ١٧٠) مسجد الصالح طلائع : مقصورة . (عن : بريس دافين) .

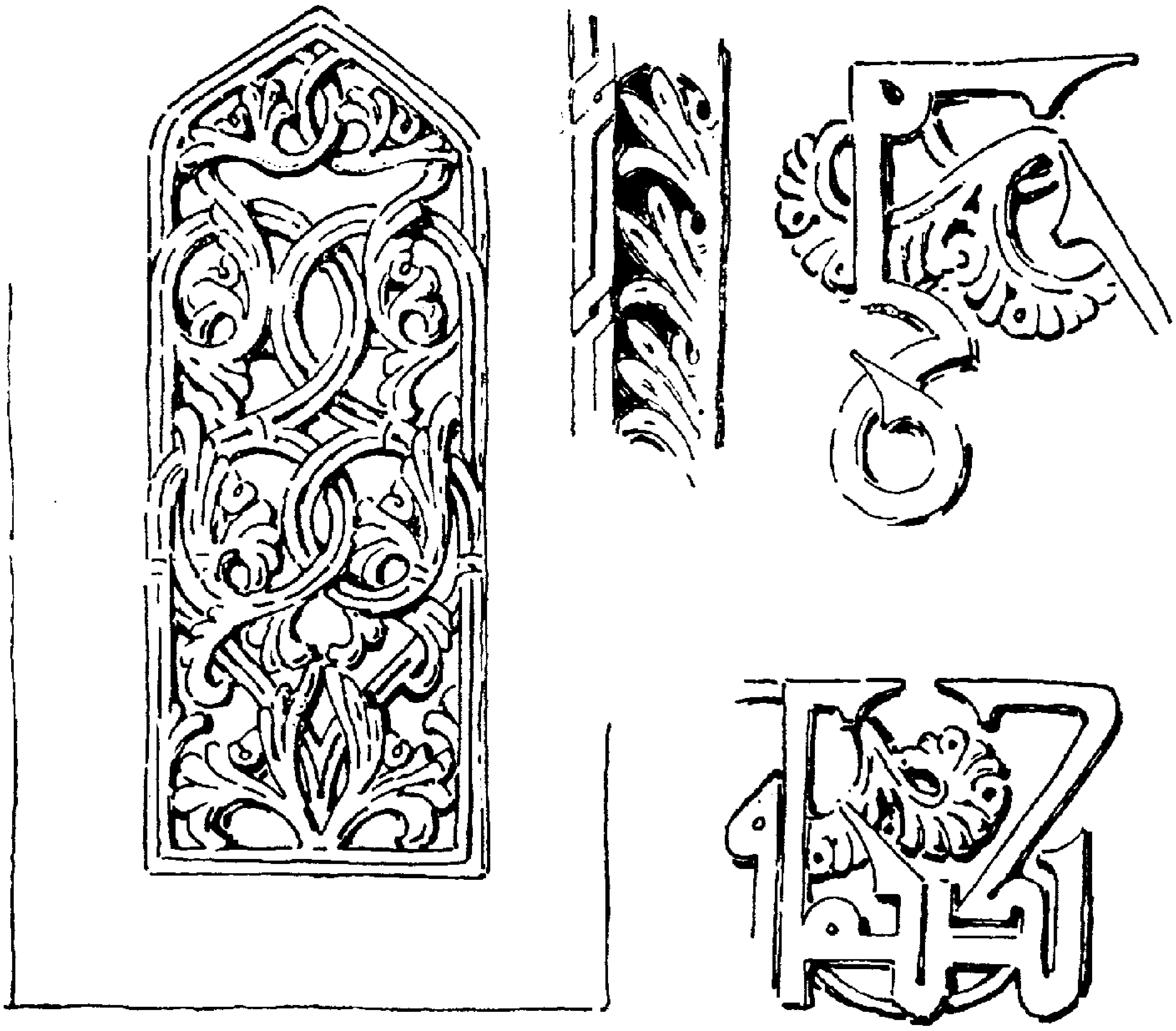

(شكل رقم ١٧١) مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من الزخارف . (عن : مارسيه) .

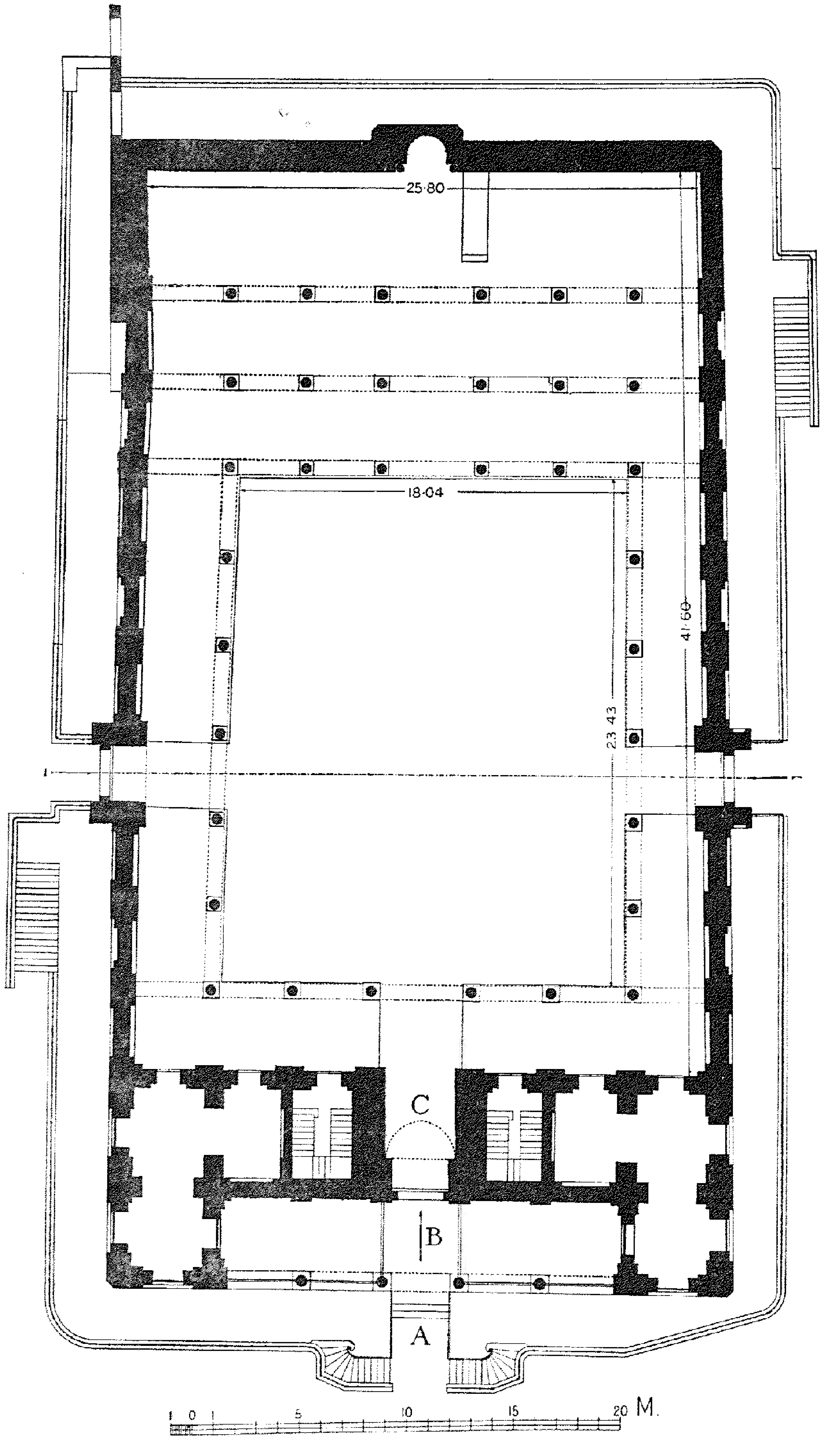

(شكل رقم ١٧٢) مسجد الصالح طلائع : مسقط أفقي (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

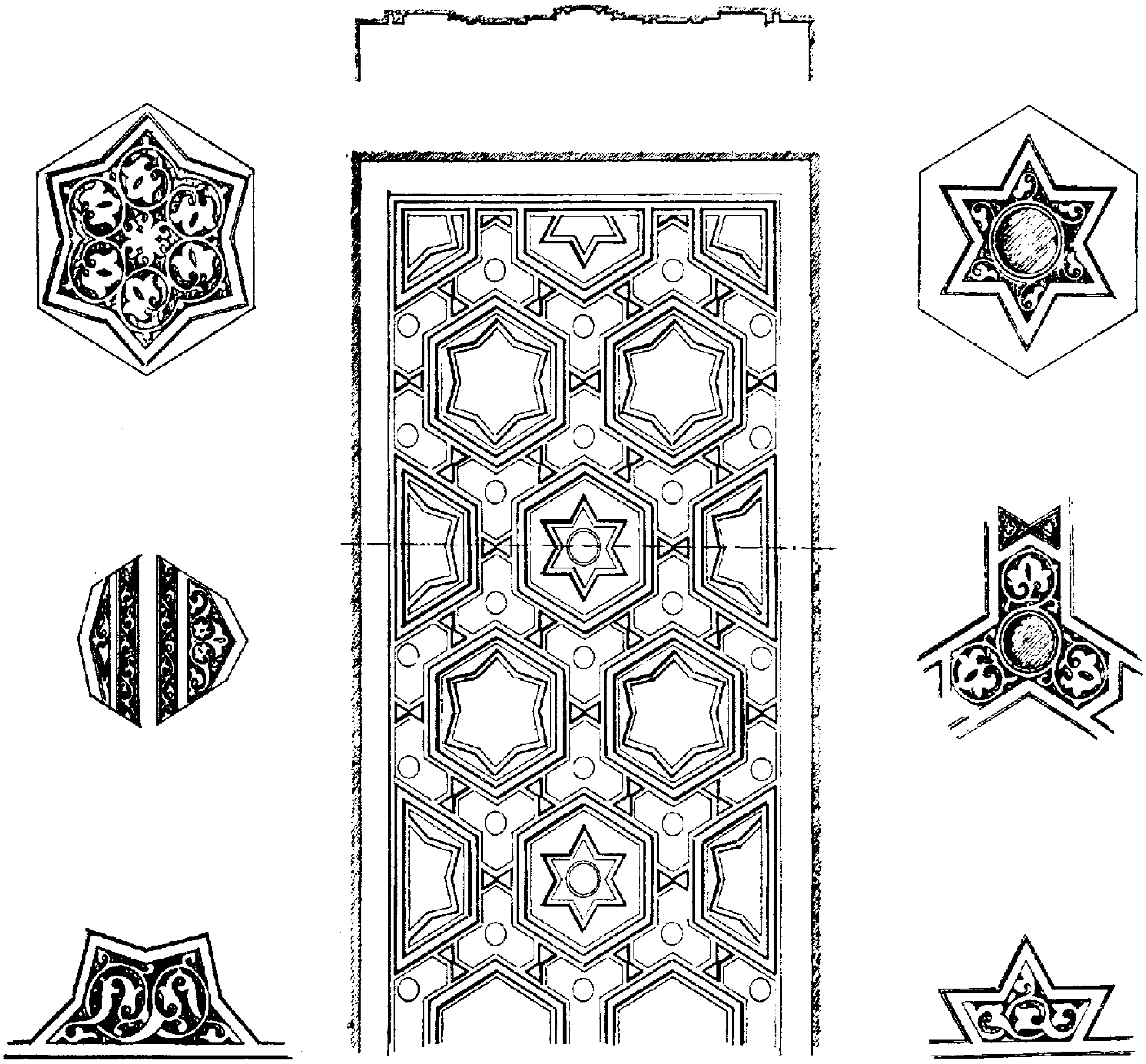

(شكل رقم ١٧٣) مسجد الصالح طلائع : تفاصيل من السقف
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

ثانياً
اللوحات

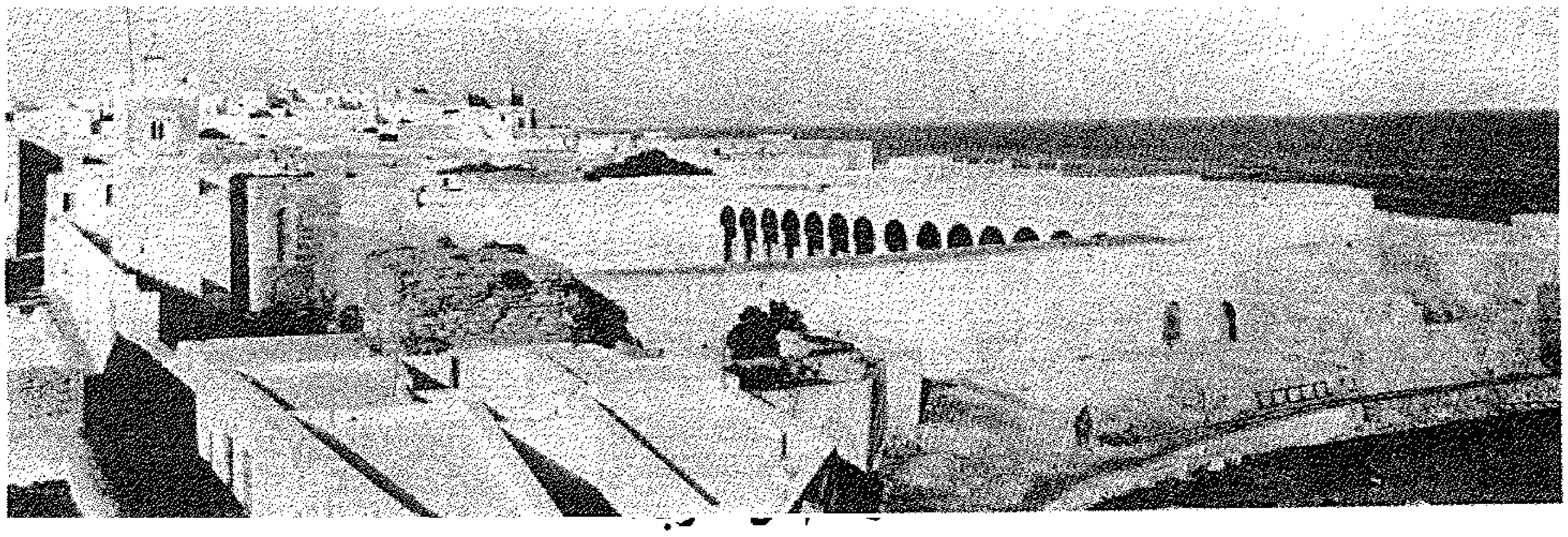

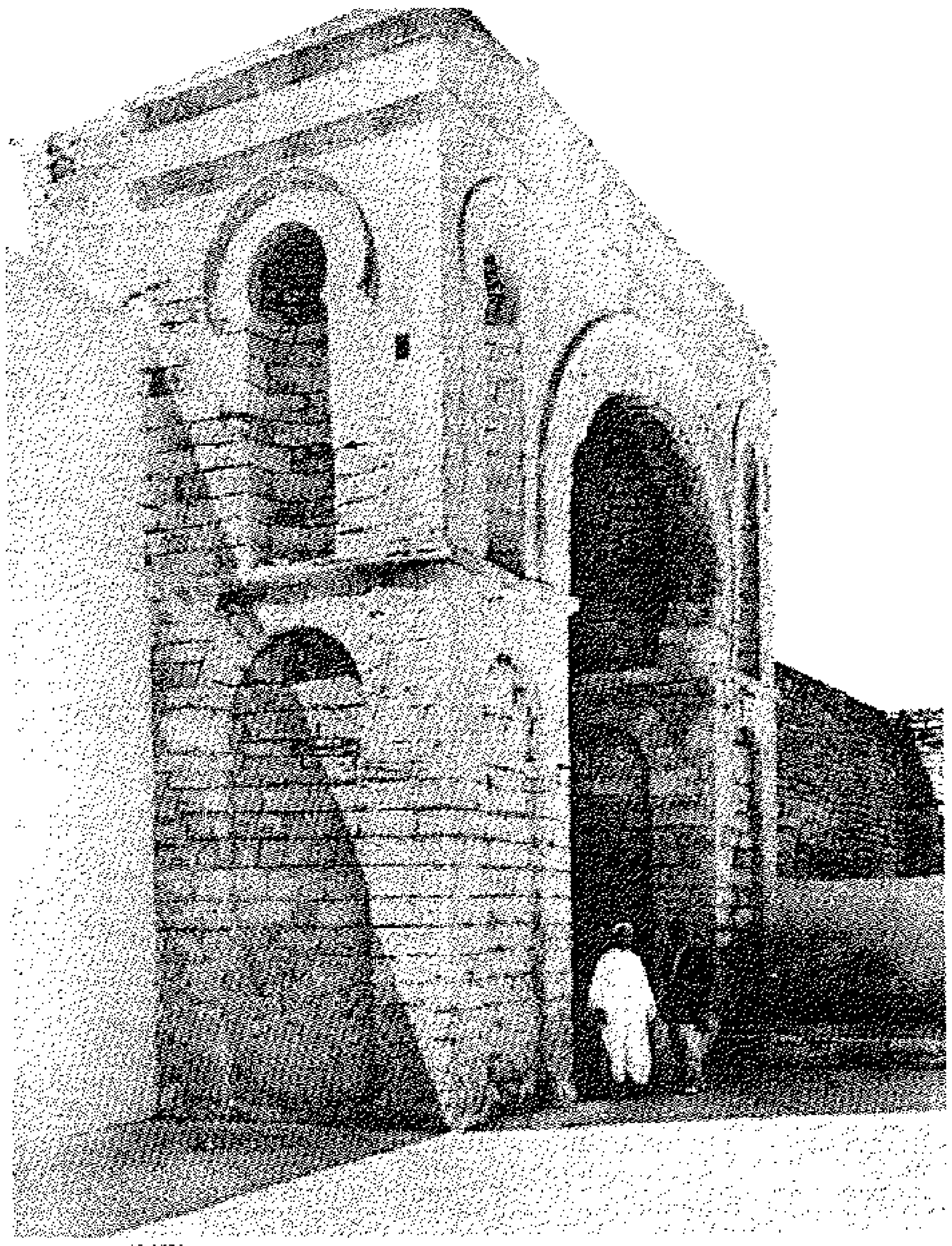

ب - المدخل التذكاري في منتصف الجانب الشمالي .

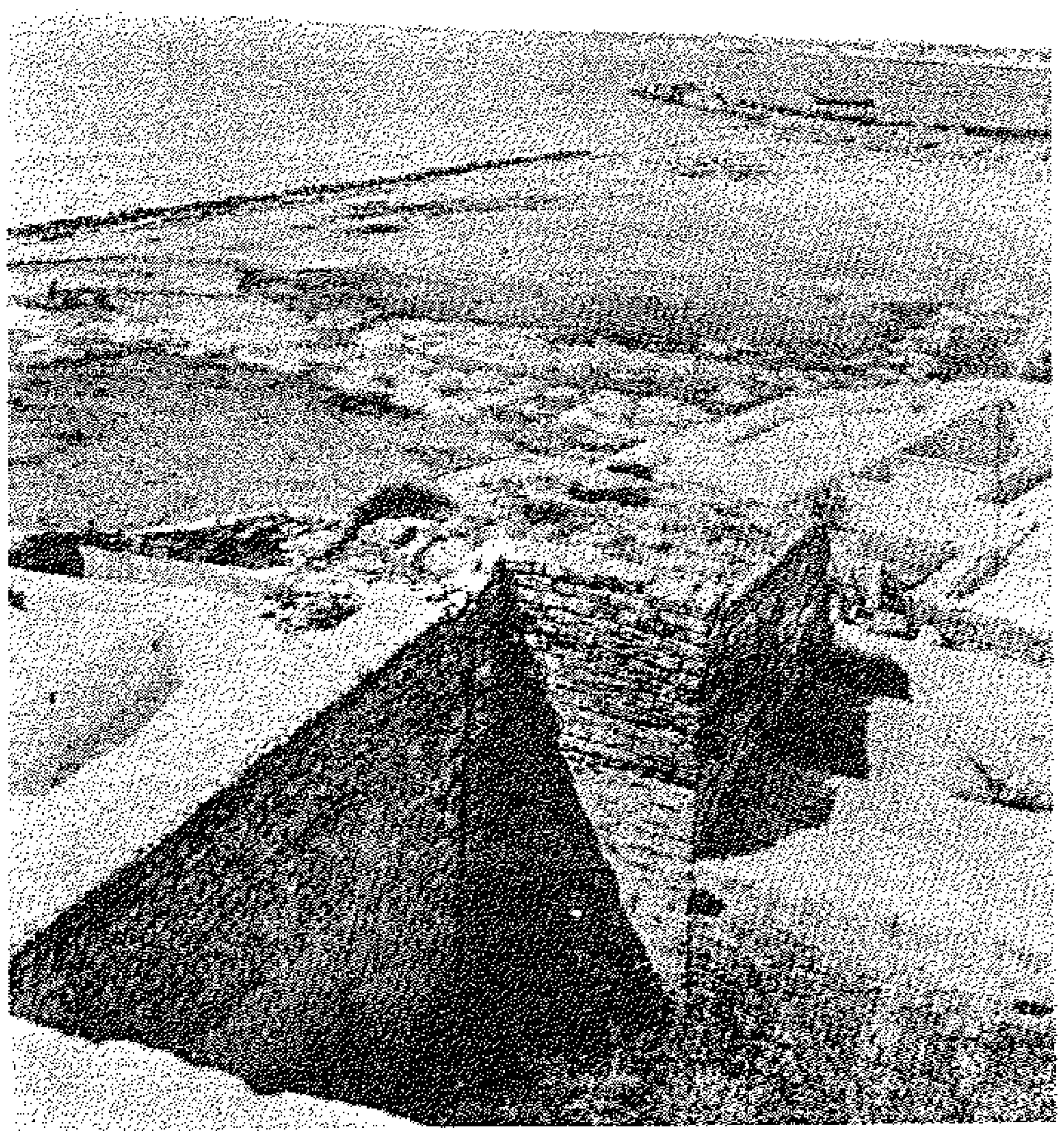

جـ - الجزء البارز في الركن الغربي .

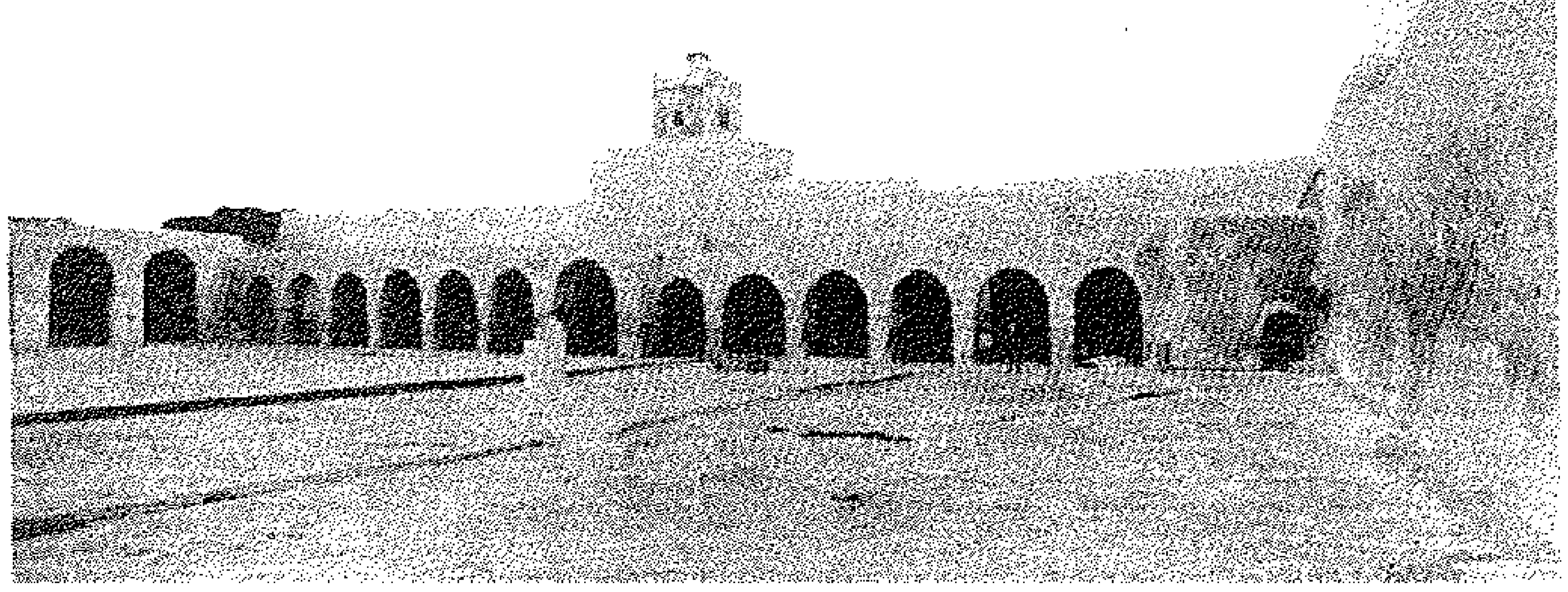

د - الداخل (جهة الشمال) .

(لوحة رقم ١) جامع المهدية (تونس) .

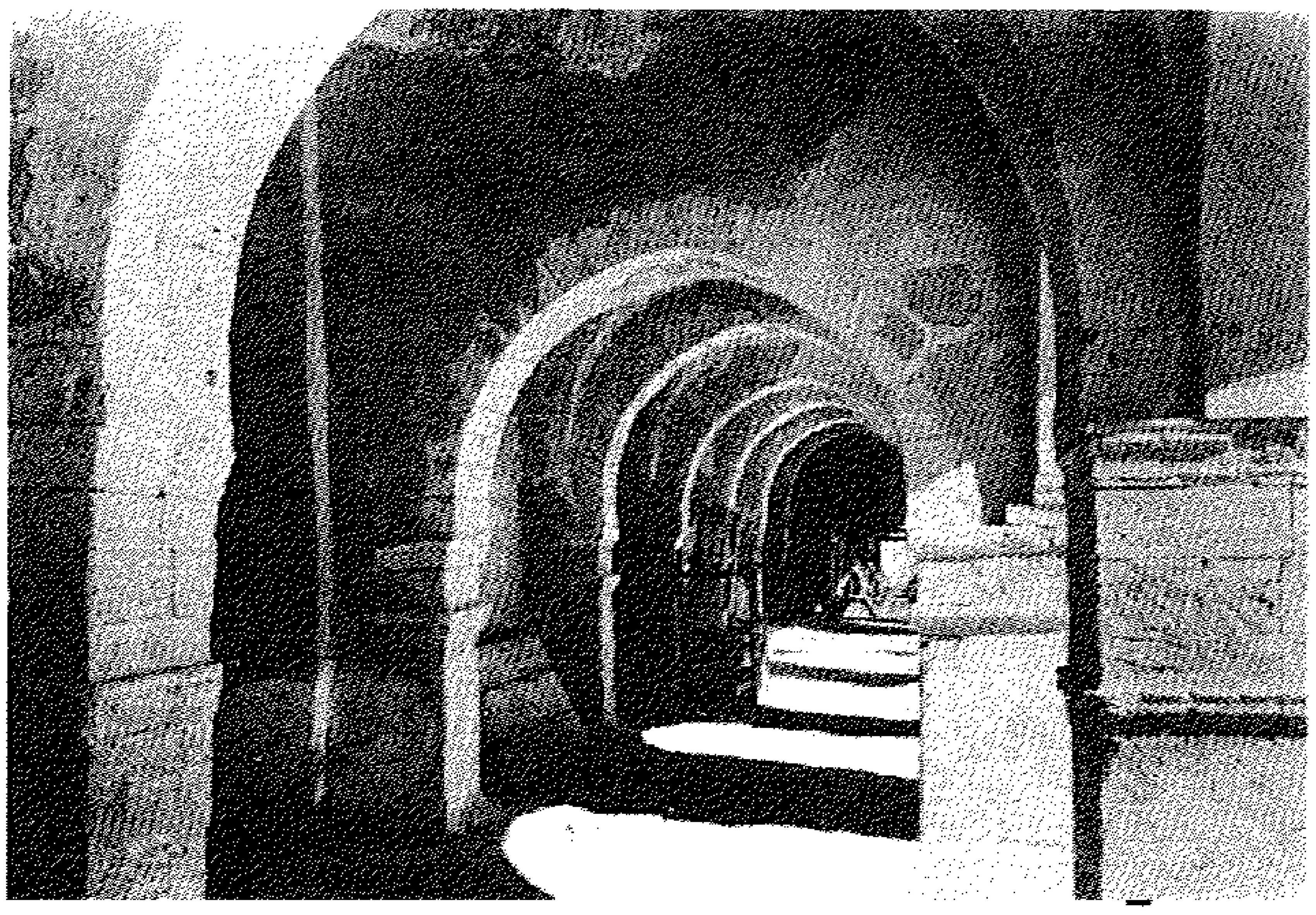

أ - الجامع : رواق في الجانب الشمالي من الصحن .

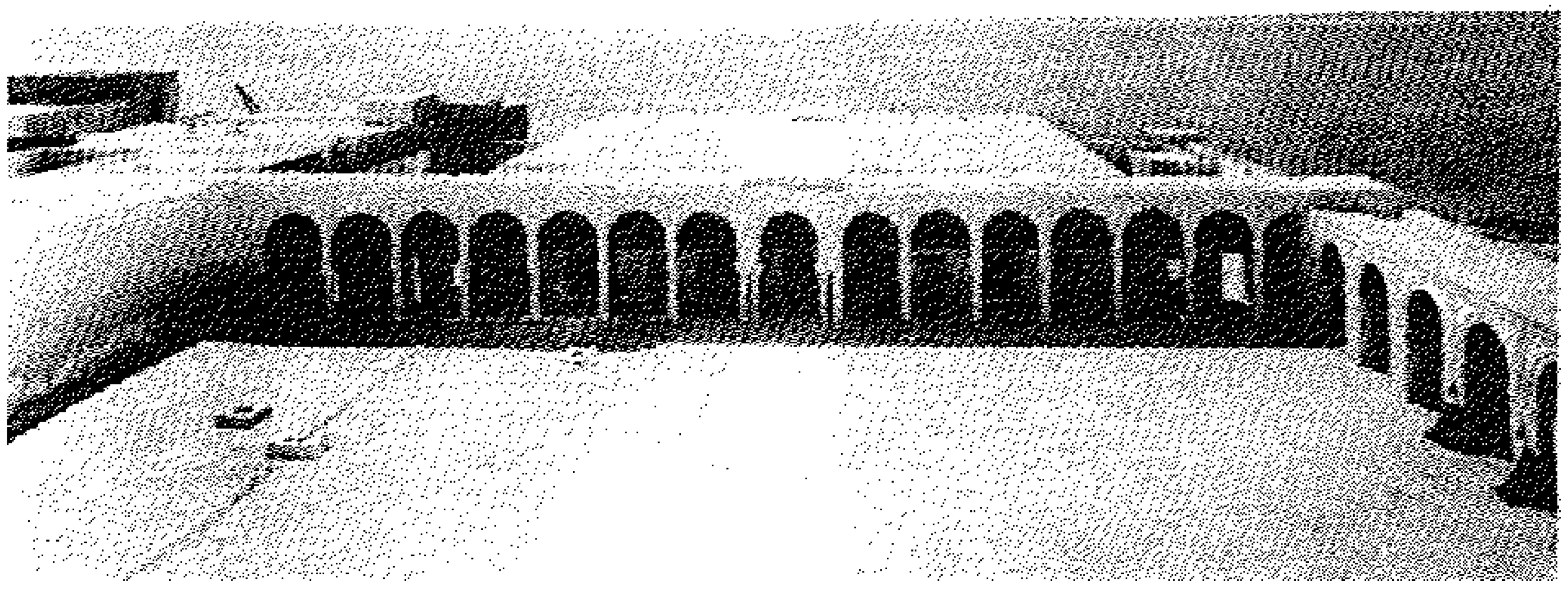

ب - الجامع : الداخل (جهة الجنوب) .

ج - الجدران : بقايا برج
في الجانب الجنوبي .

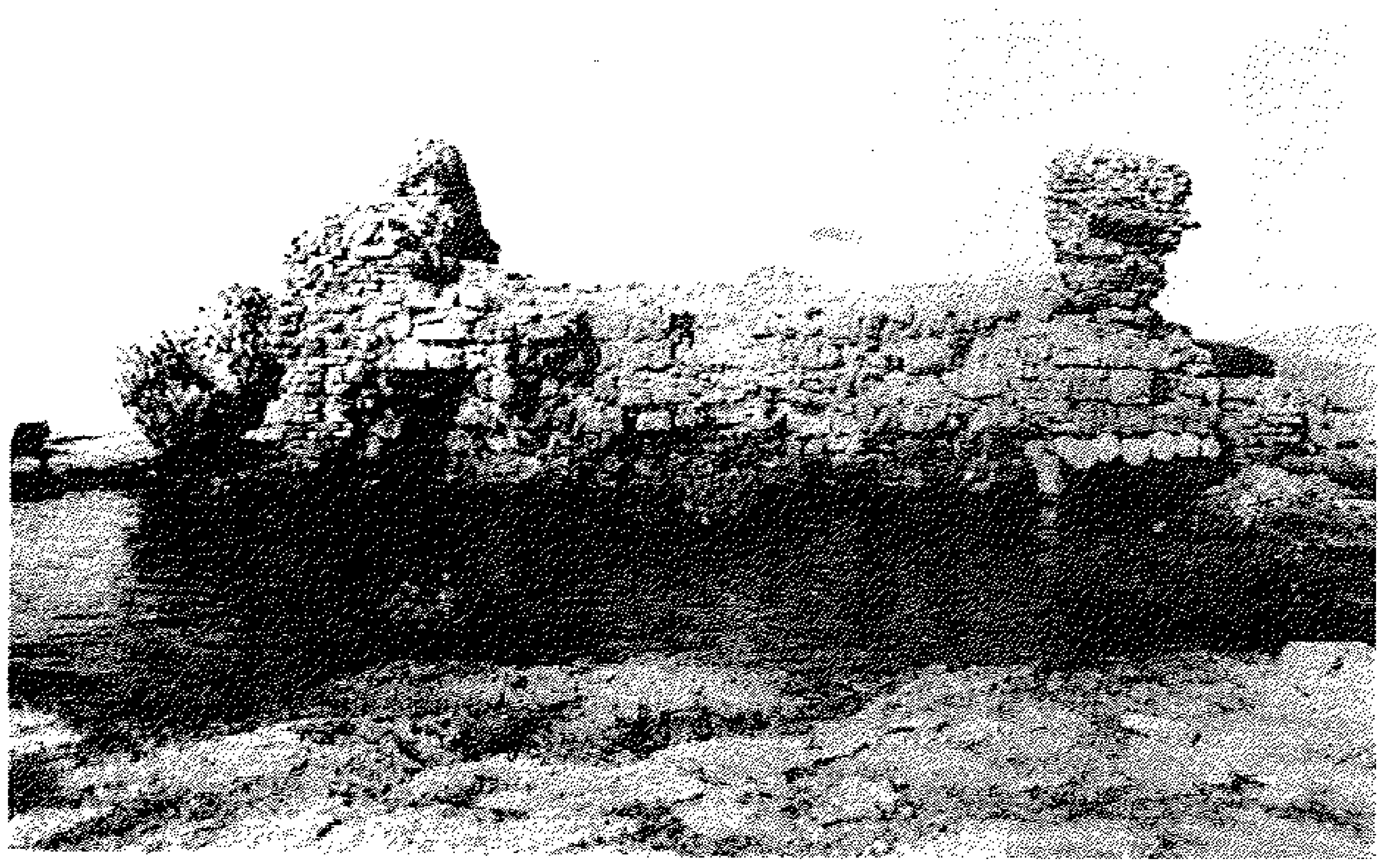

د - المدخل إلى المينا
(جهة الغرب) .

(لوحة رقم ٢) جامع المهدية .

أ - بقايا مشهد الشريف طباطبا .

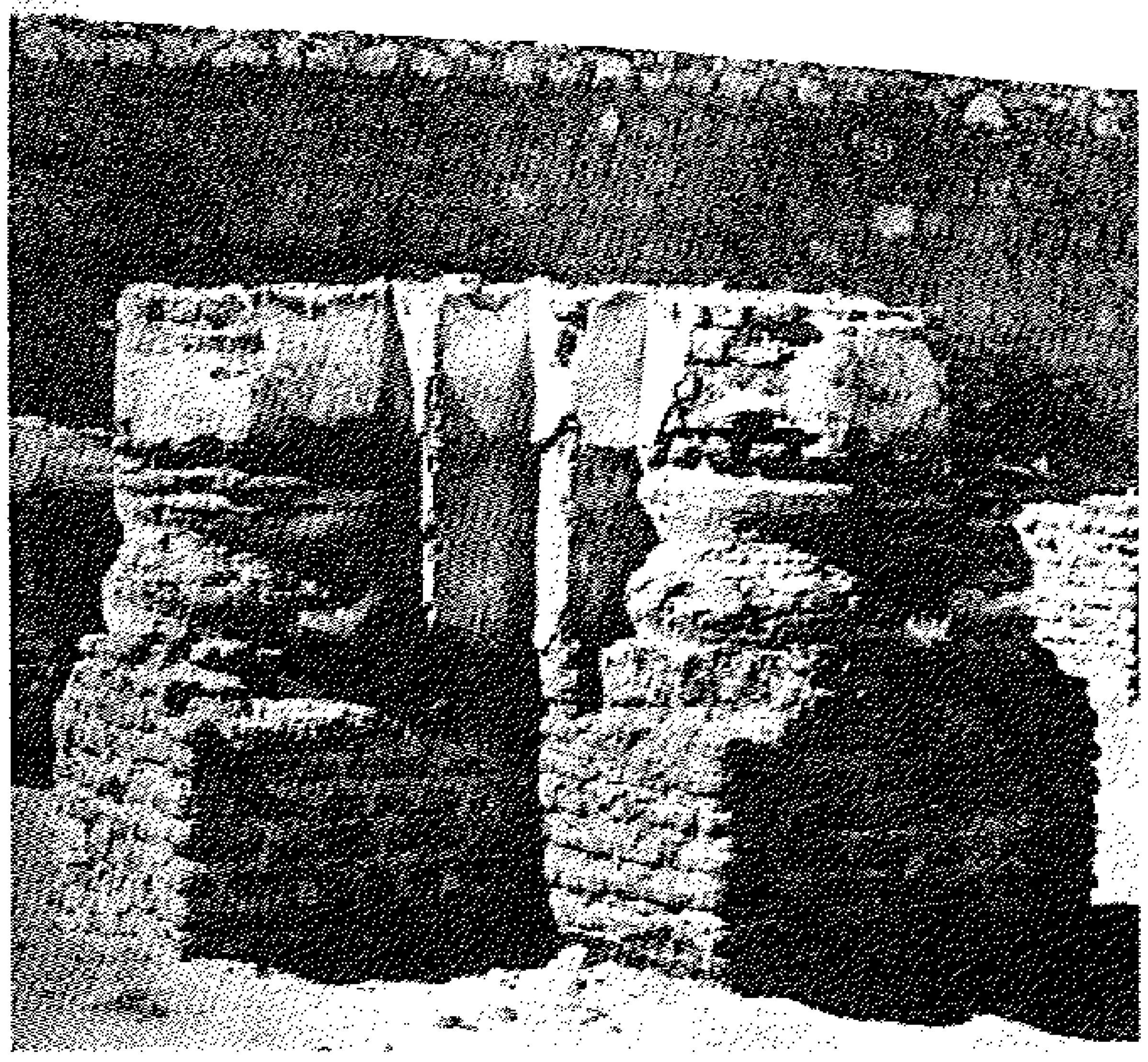

ب - مشهد الشريف طباطبا : بقايا دعامة .

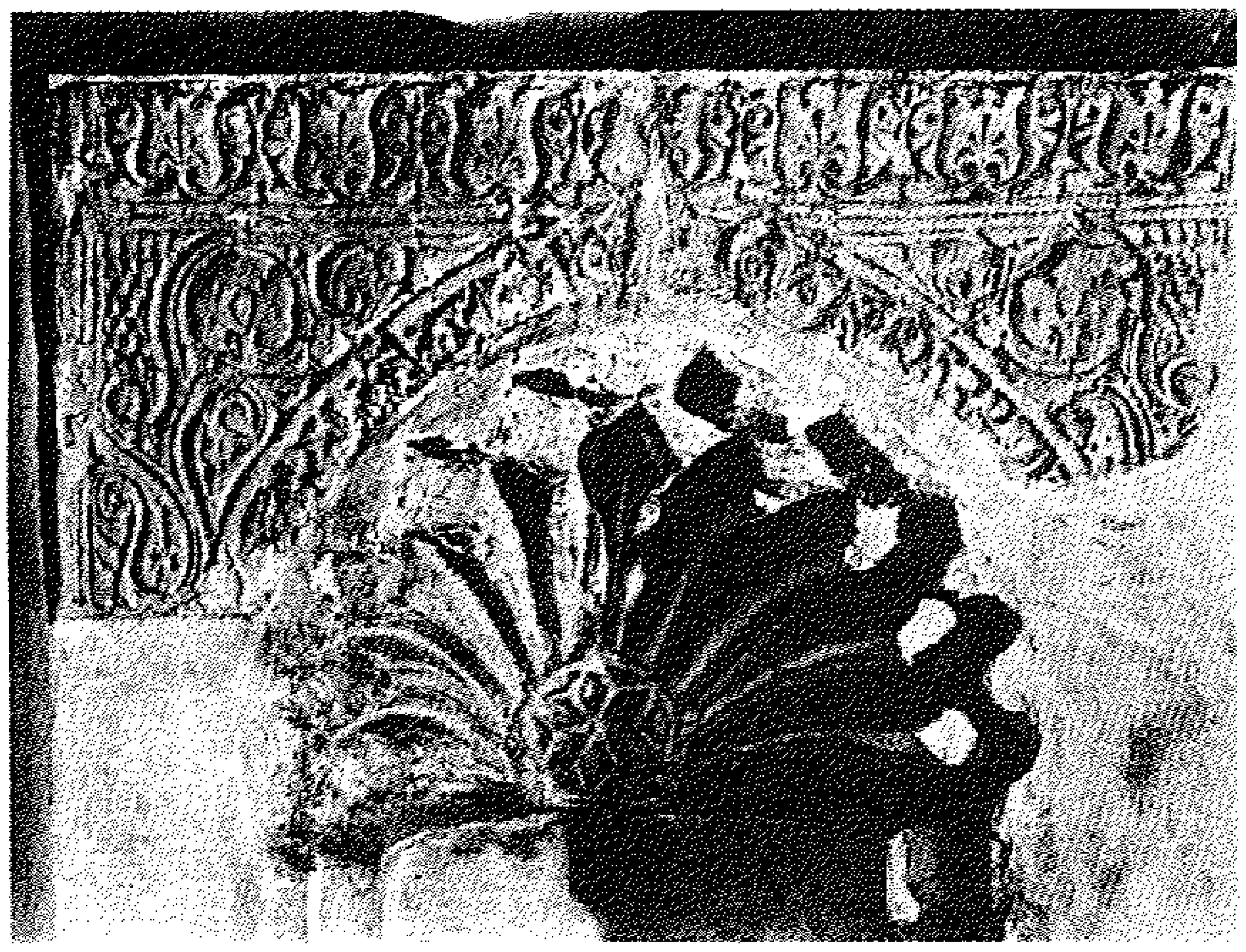

جـ - محراب مبكر يتقدم مشهد الشبيه .

(لوحة رقم ٣) مشهد الشريف طباطبا بالقاهرة (عين الصيرة) .

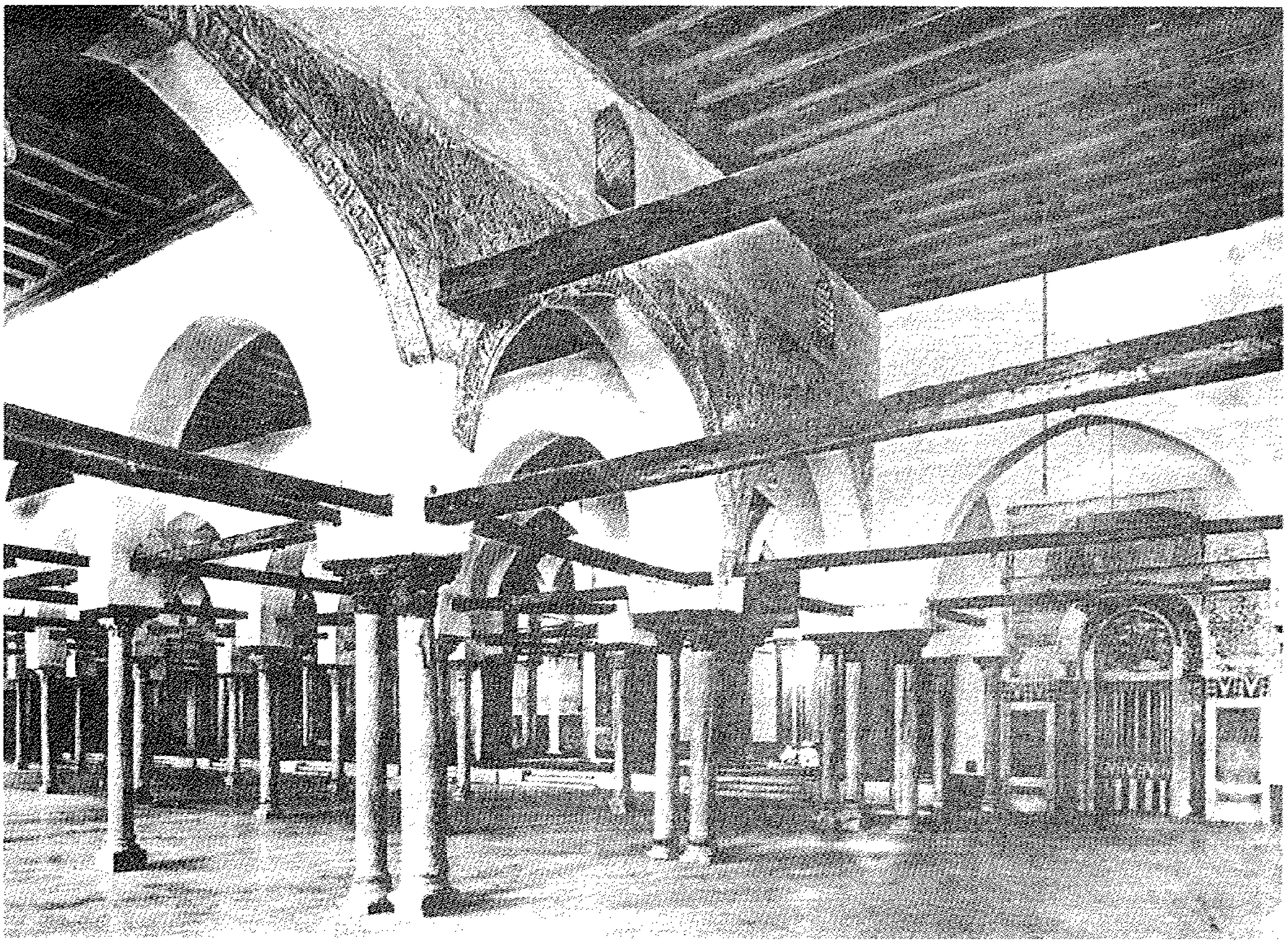

أ - المجاز القاطع (الرواق (البلاط) الأوسط العمودي) المحراب .

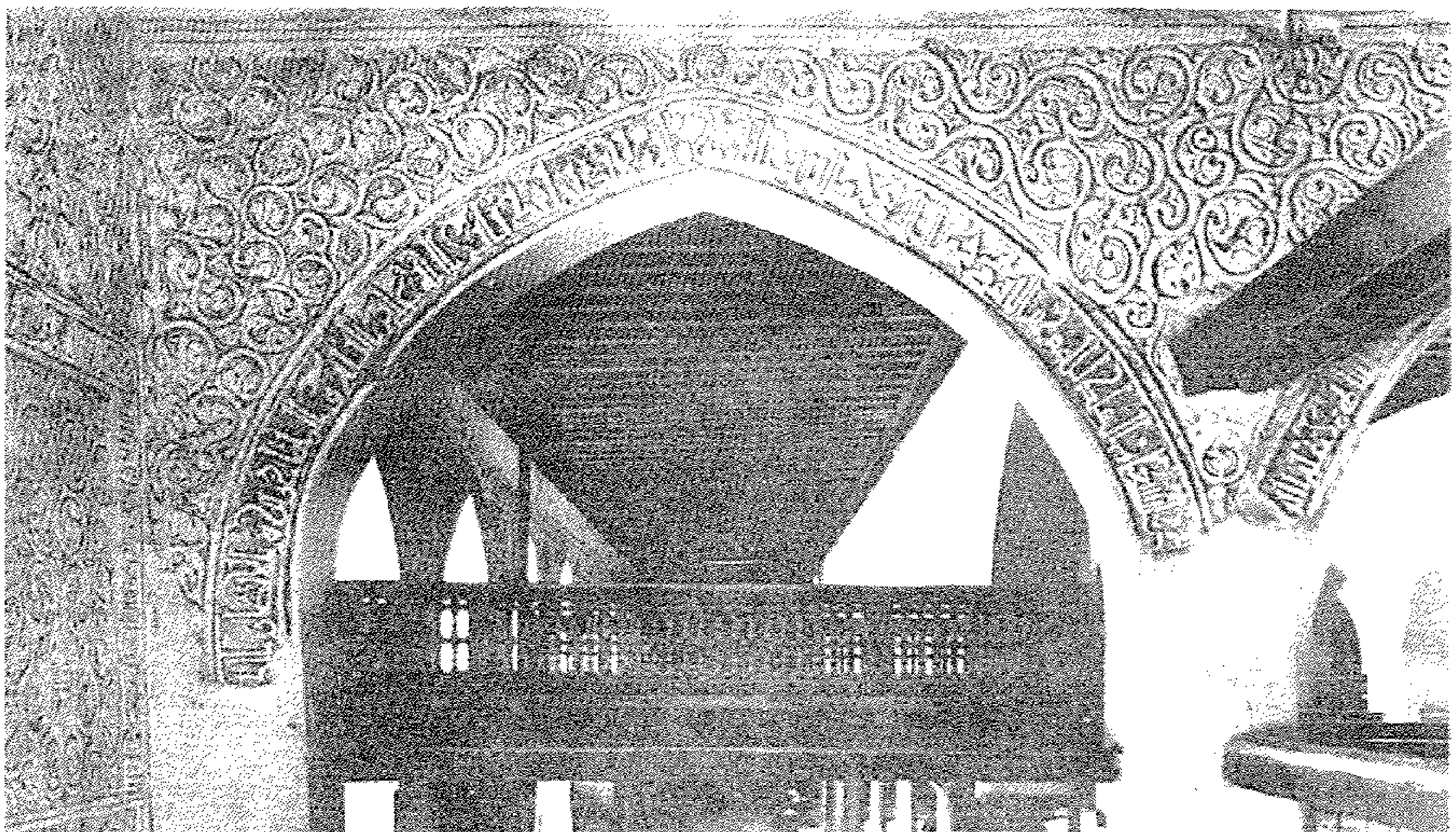

ب - زخرفة المجاز القاطع . العقد الأول إلى اليسار .

(لوحة رقم ٤) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

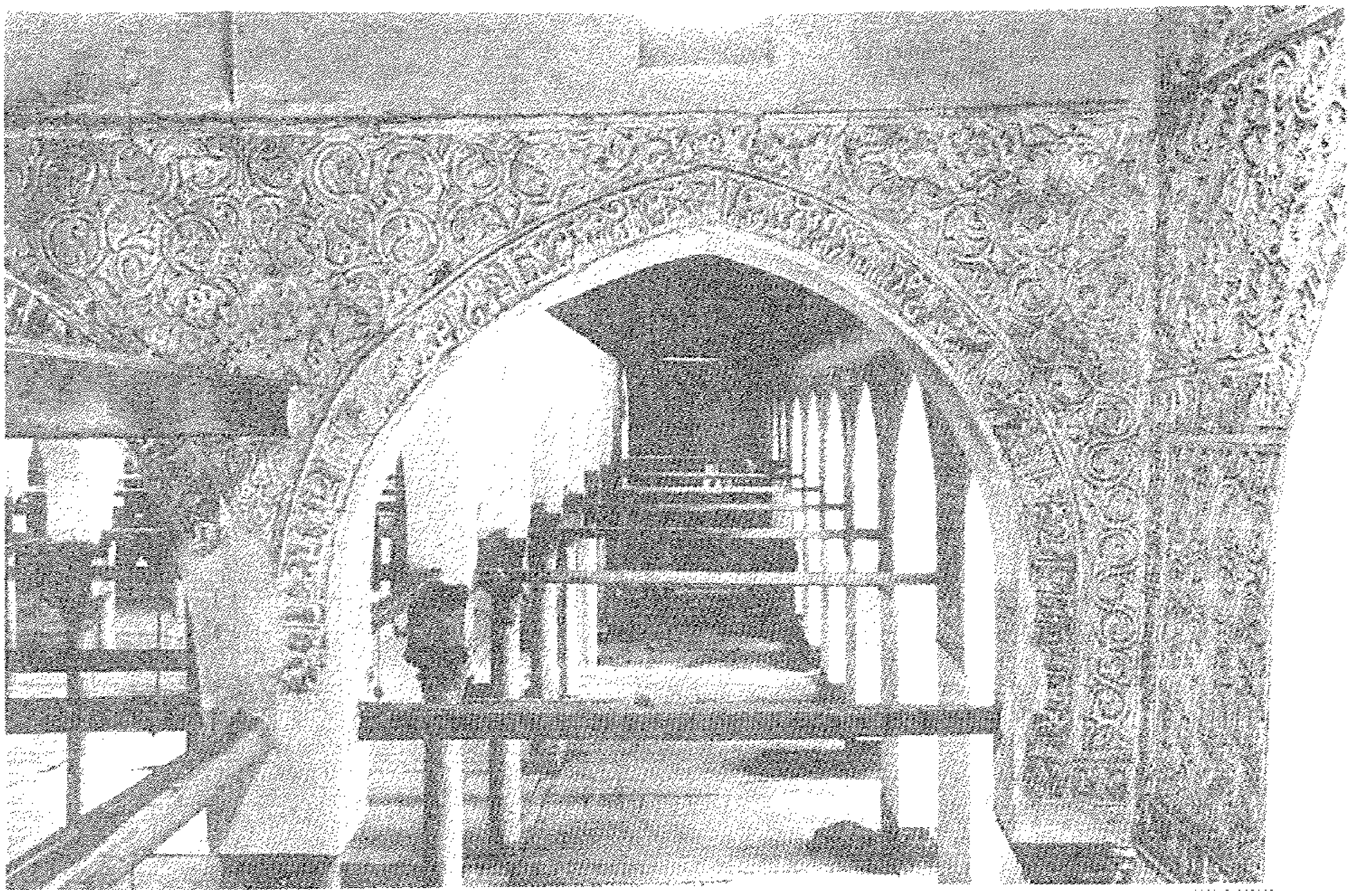

أ - زخرفة المجاز القاطع : الجانب الجنوبي الغربي . العقد الأول .

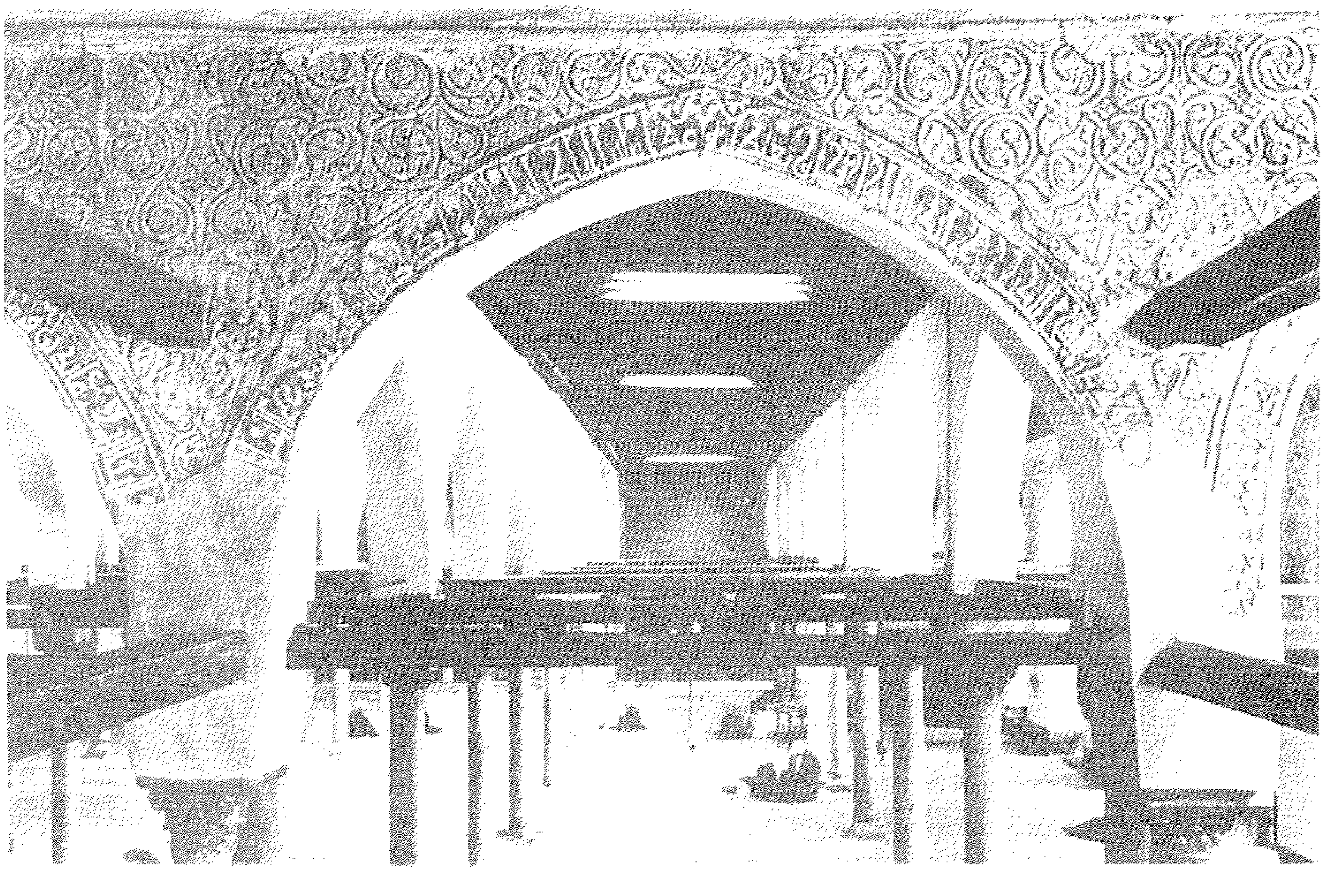

ب - زخرفة المجاز القاطع . الجانب الجنوبي الغربي . العقد الثاني .

(لوحة رقم ٥) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

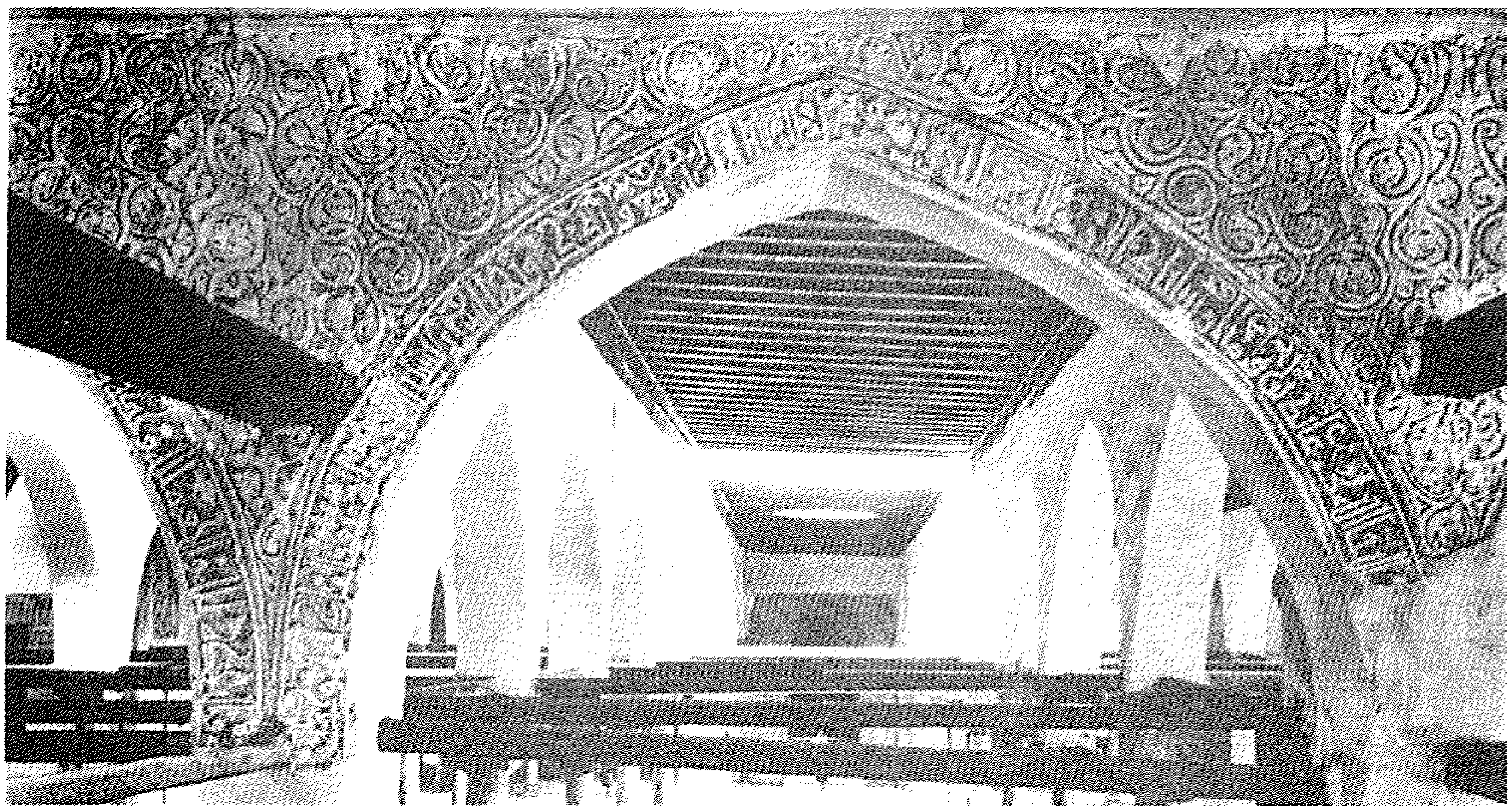

أ - زخرفة المجاز القاطع : الجانب الجنوبي الغربي . العقد الثالث .

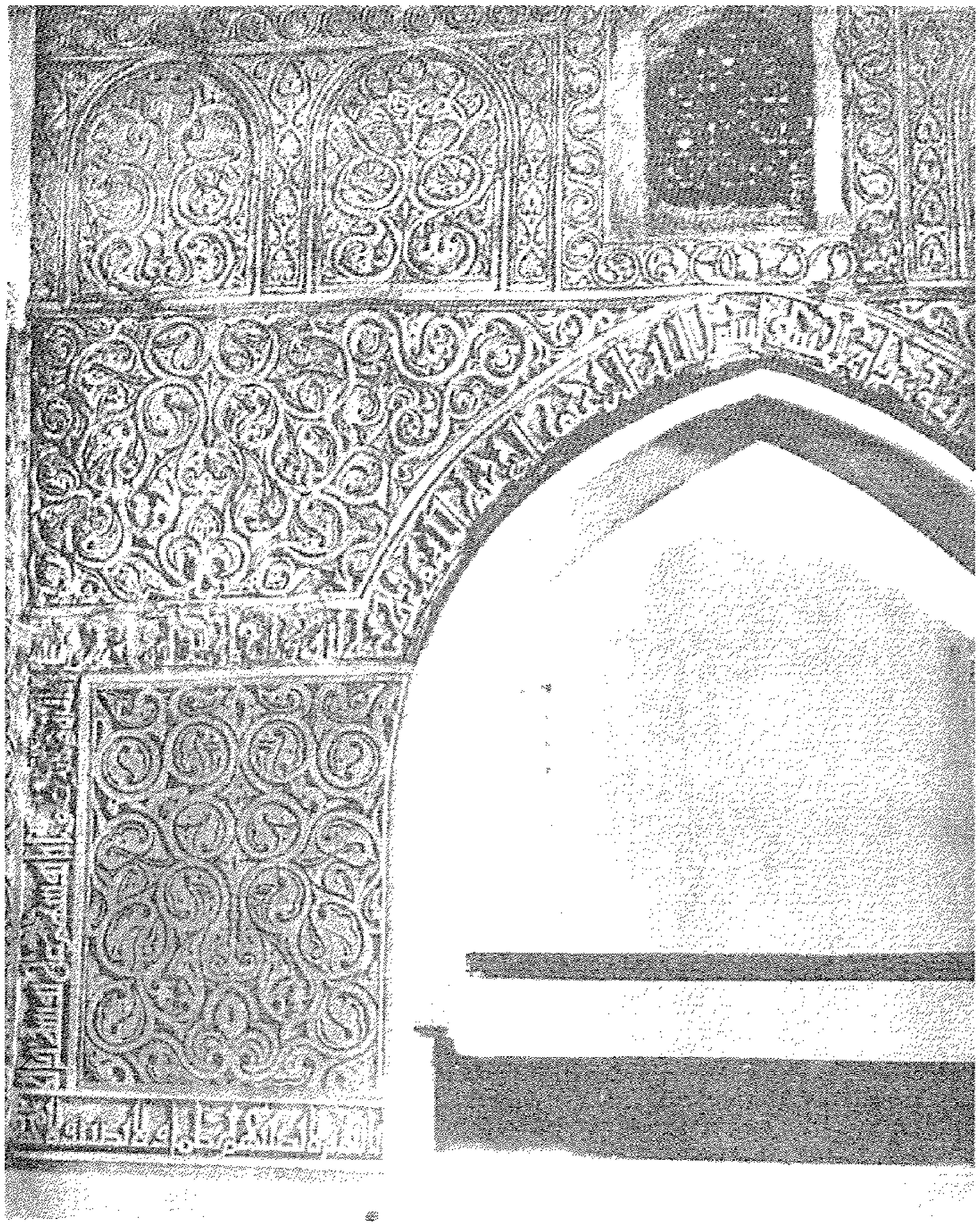

ب - زخرفة المجاز القاطع . الجدار الذي يتقدم الصحن .

(لوحة رقم ٦) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

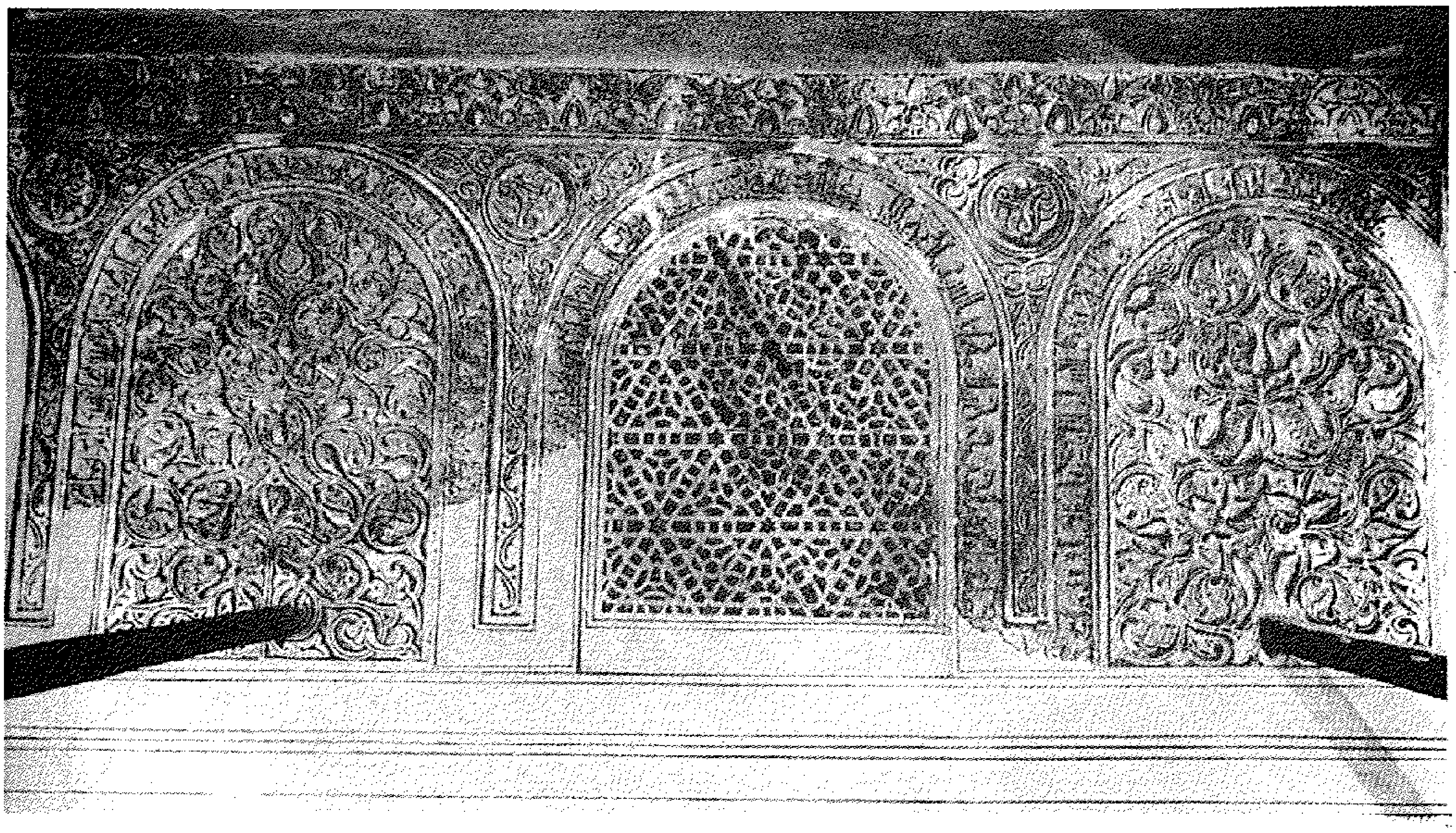

أ - حشوات ونافذة بجدار القبلة (أنظر أيضاً لوحة ٨) .

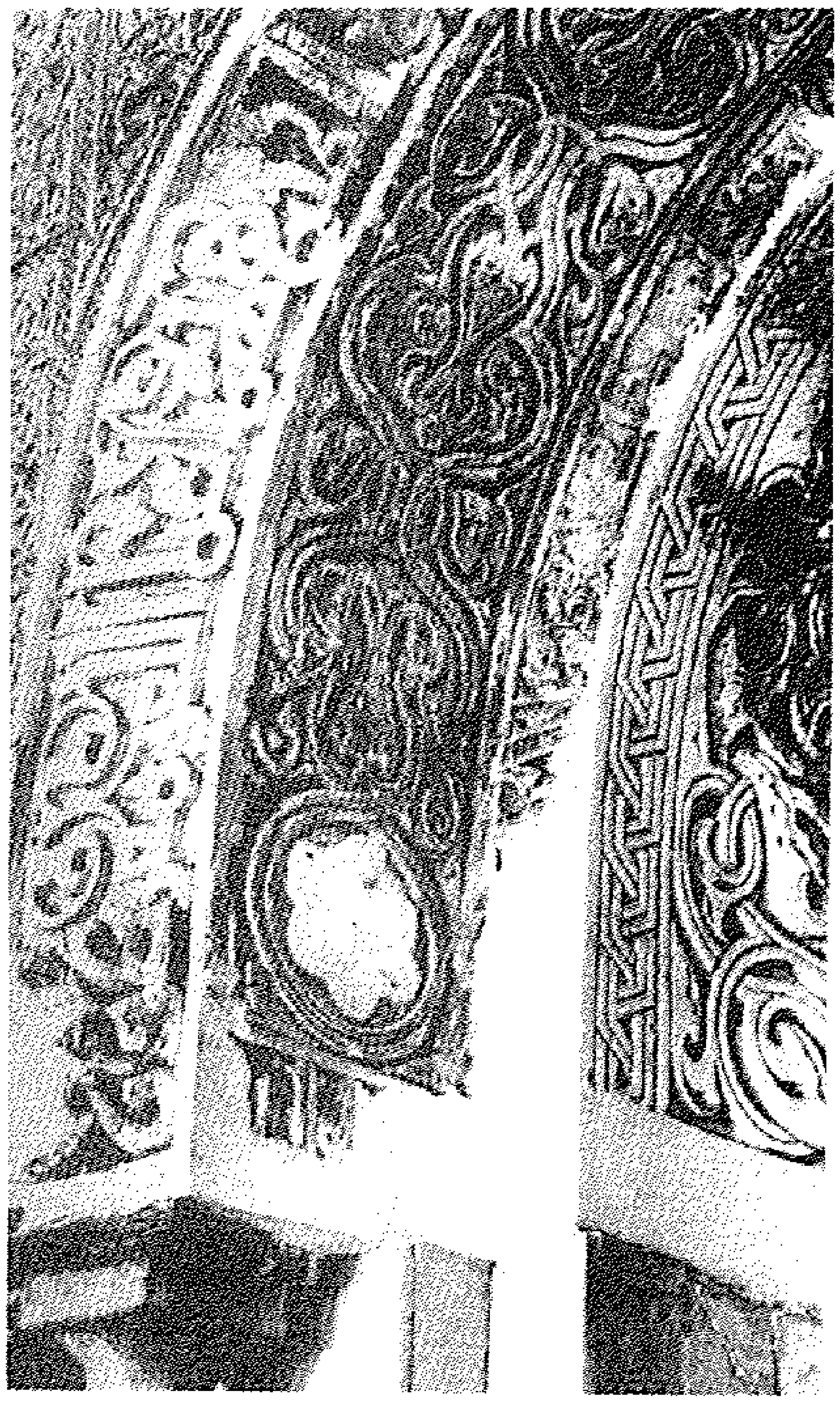

ب - المحراب : زخرفة باطن العقد .

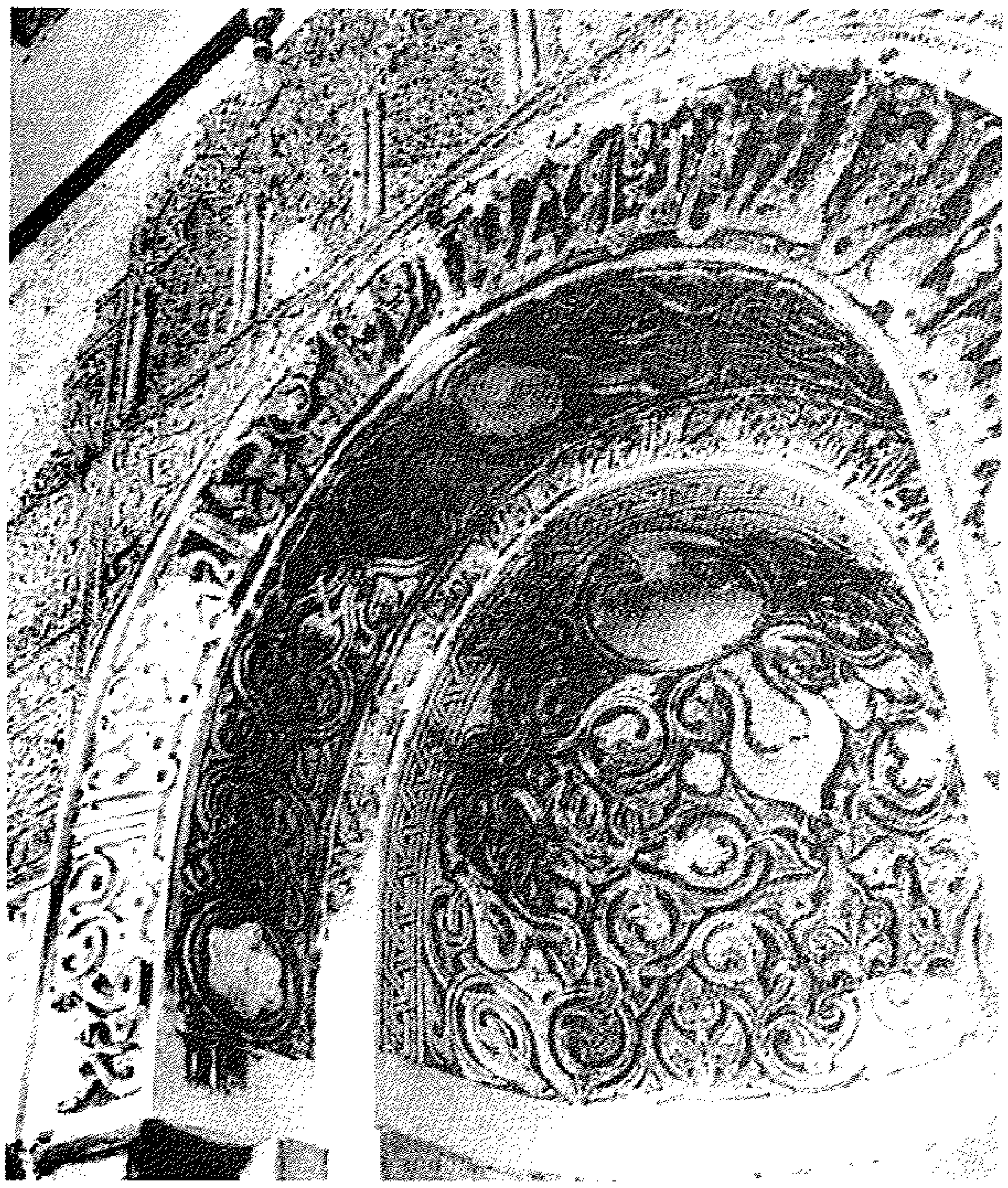

جـ - المحراب : زخرفة العقد ونصف القبة (الطاقية) أصلية والبقية تعود إلى فترة متأخرة (أنظر أيضاً لوحة ١١٤د) .

(لوحة رقم ٧) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/٩٧٠ - ٩٧٢م .

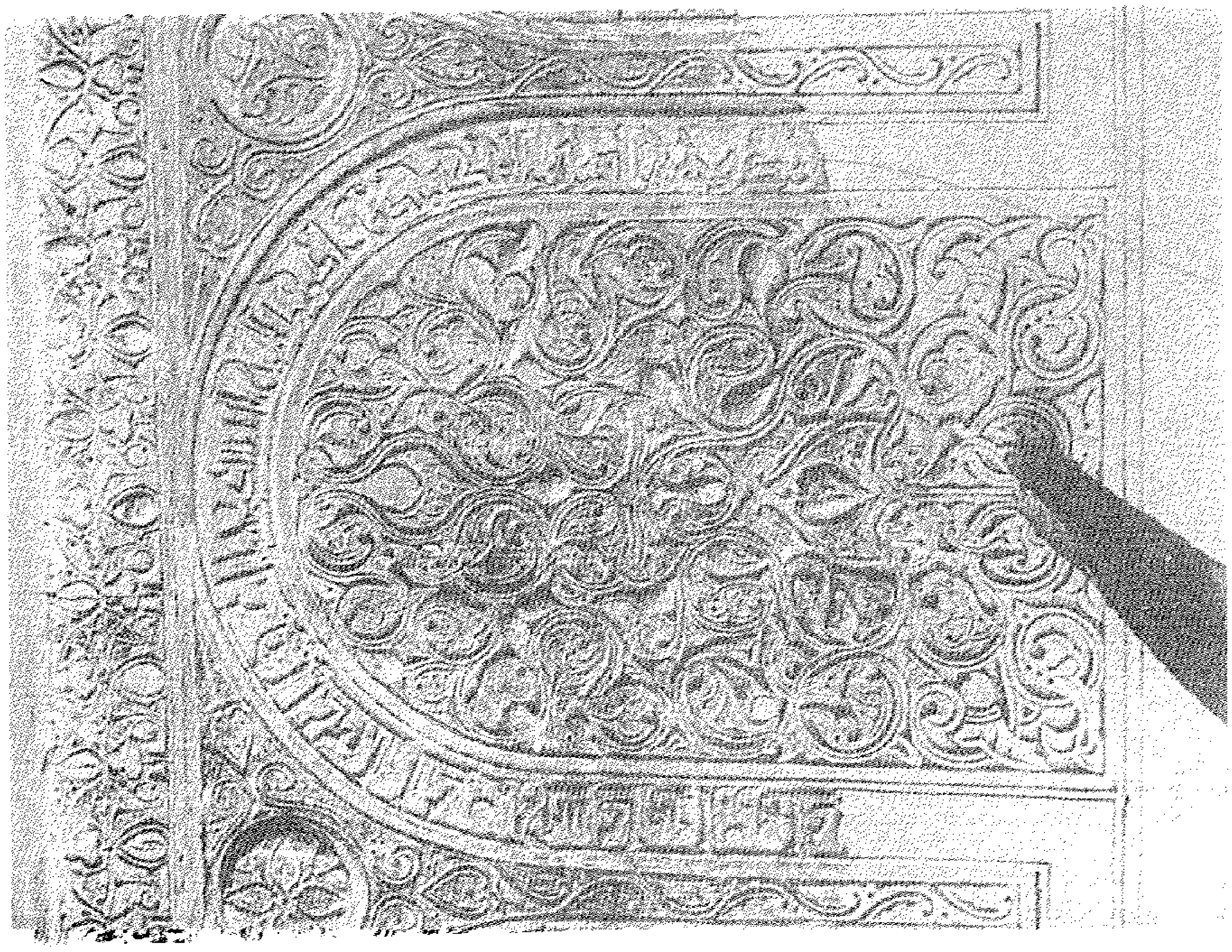

أ - حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثالث من اليمين.

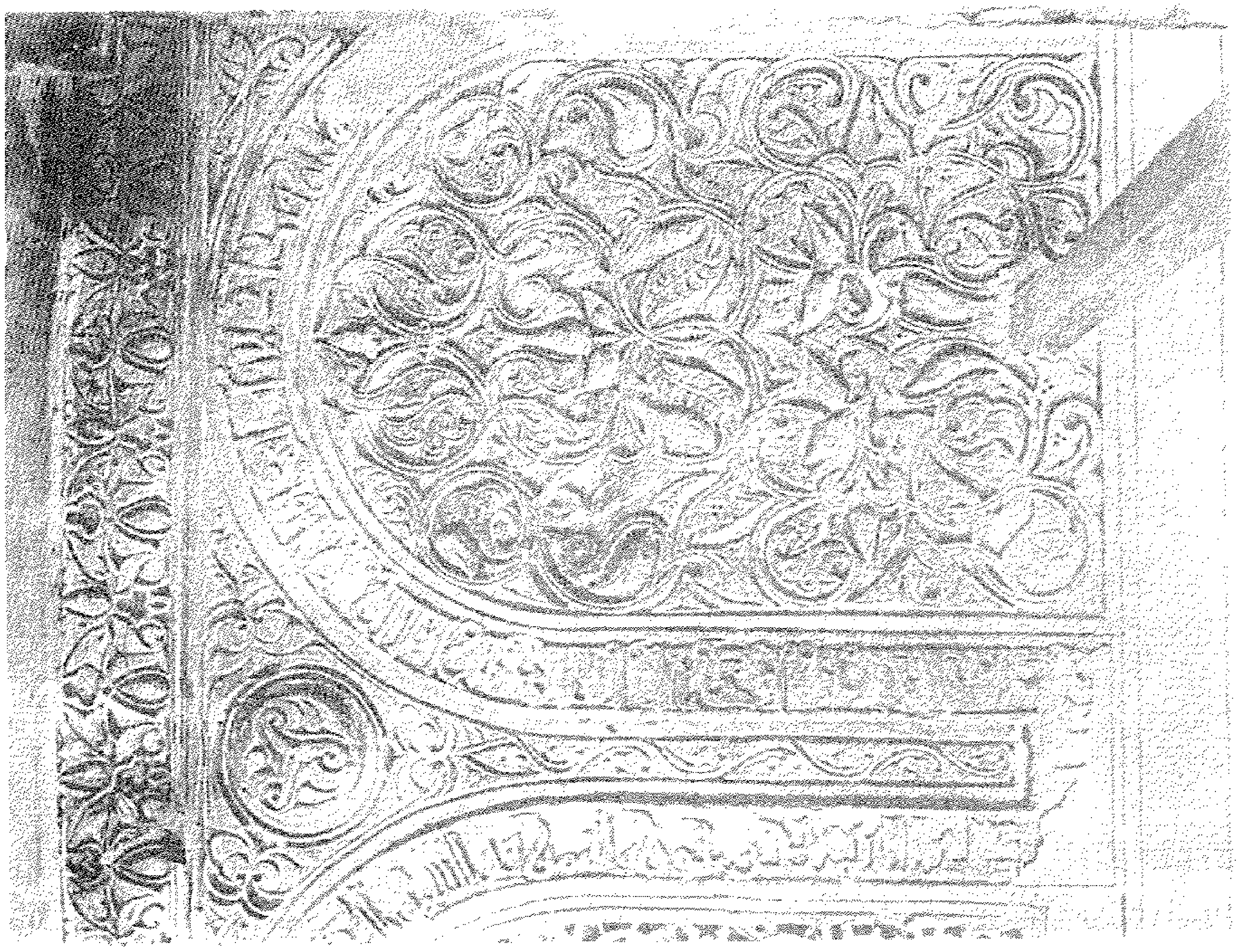

ب - حشوة بجدار القبلة تجاه العمود الثاني من اليمين.

(لوحة رقم ٨) جامع الأزهر ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م.

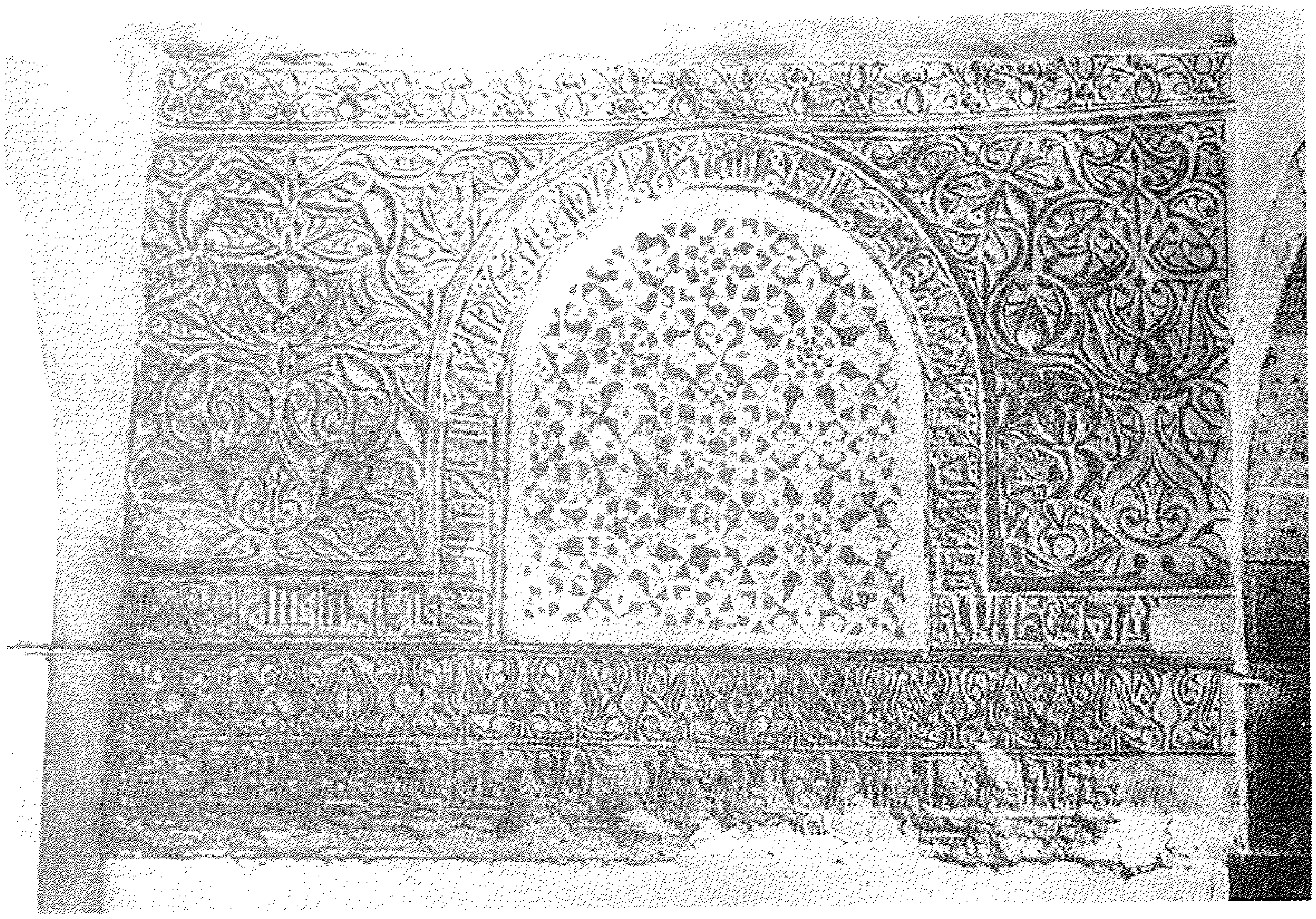

أ - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الأولى من جدار القبلة القديم .

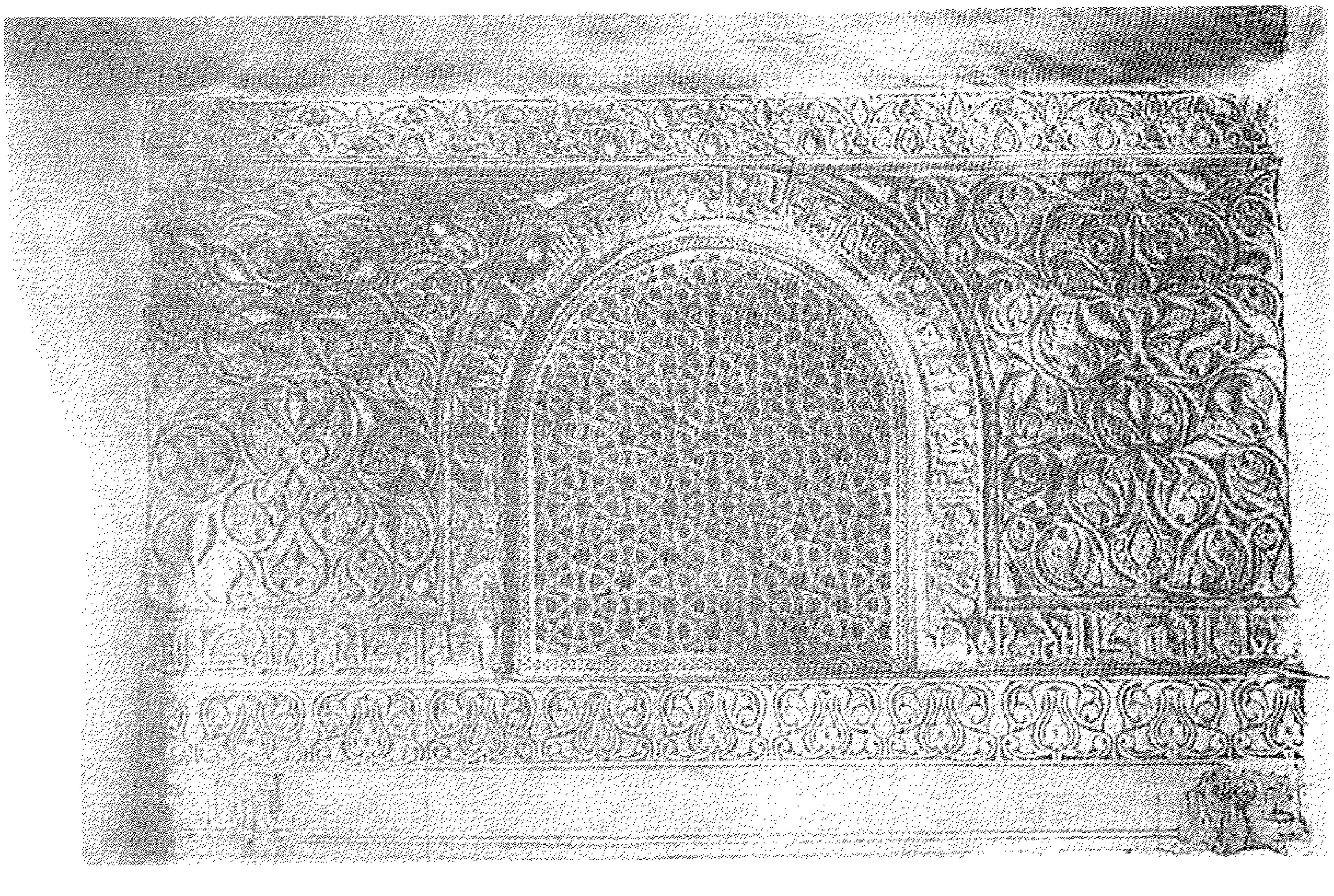

ب - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الثانية من جدار القبلة القديم .

(لوحة رقم ٩) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

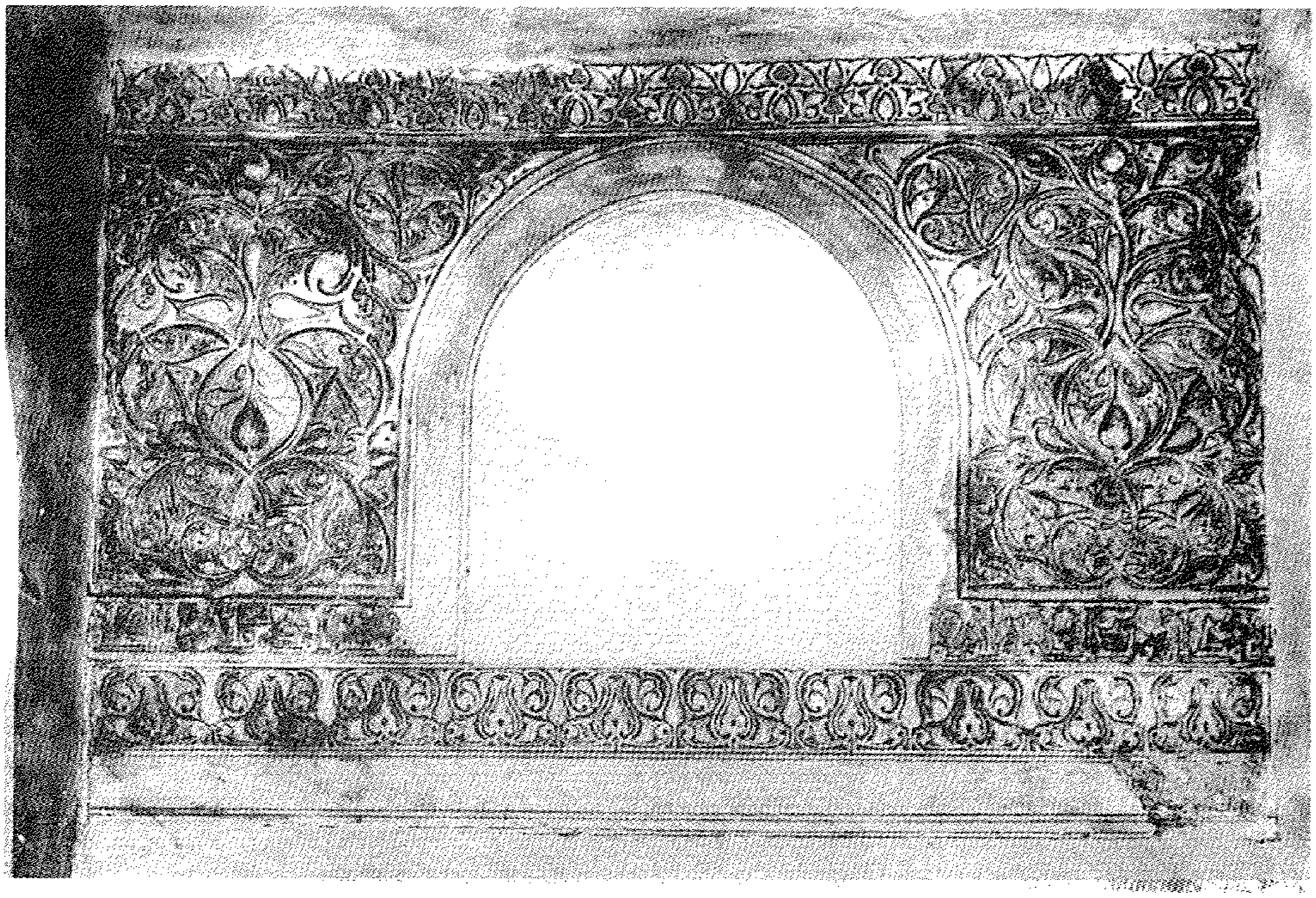

أ - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الثالثة من جدار القبلة القديم .

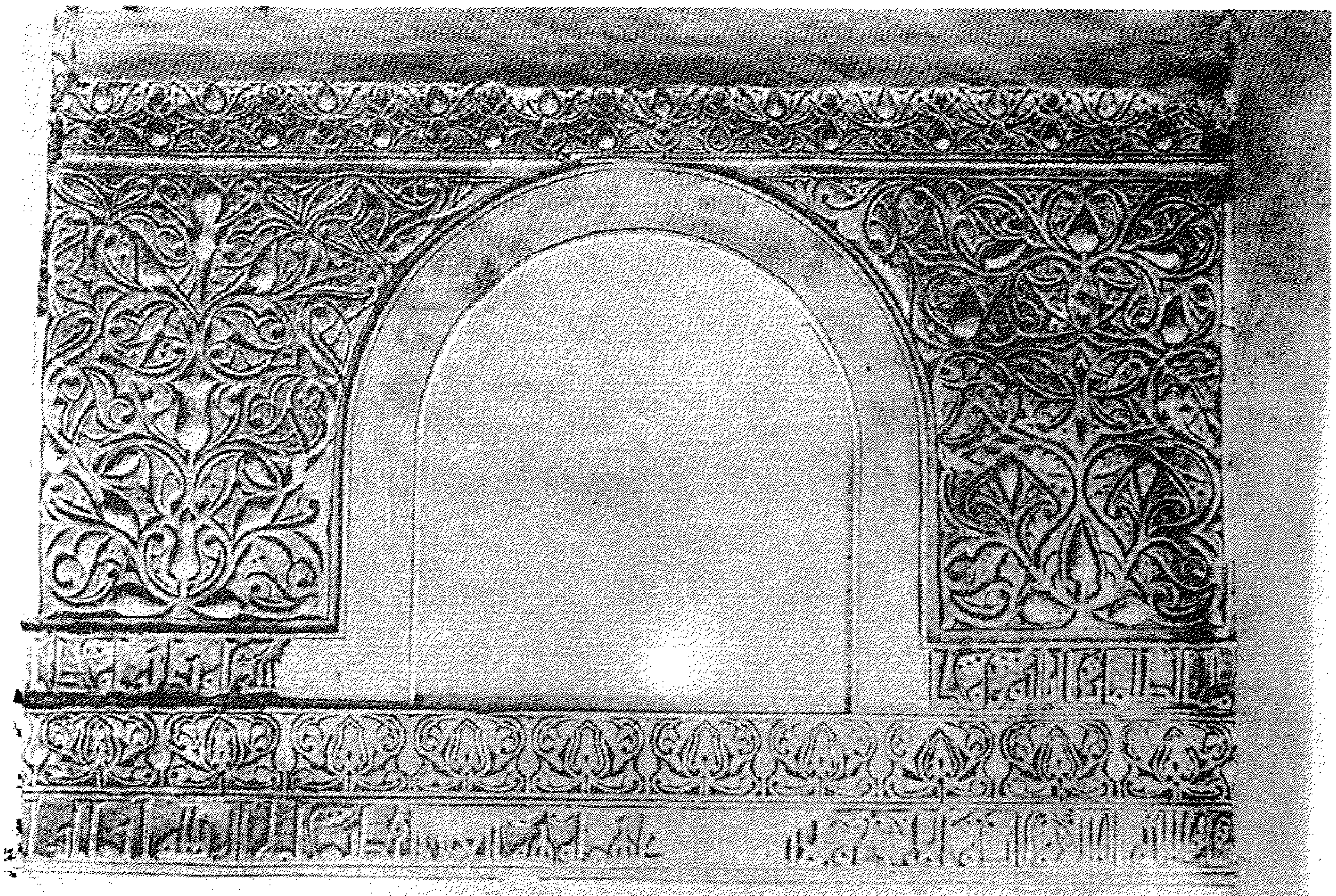

أ - النهاية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة (مقدم الجامع)
الفسحة الرابعة من جدار القبلة القديم .

(لوحة رقم ١٠) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

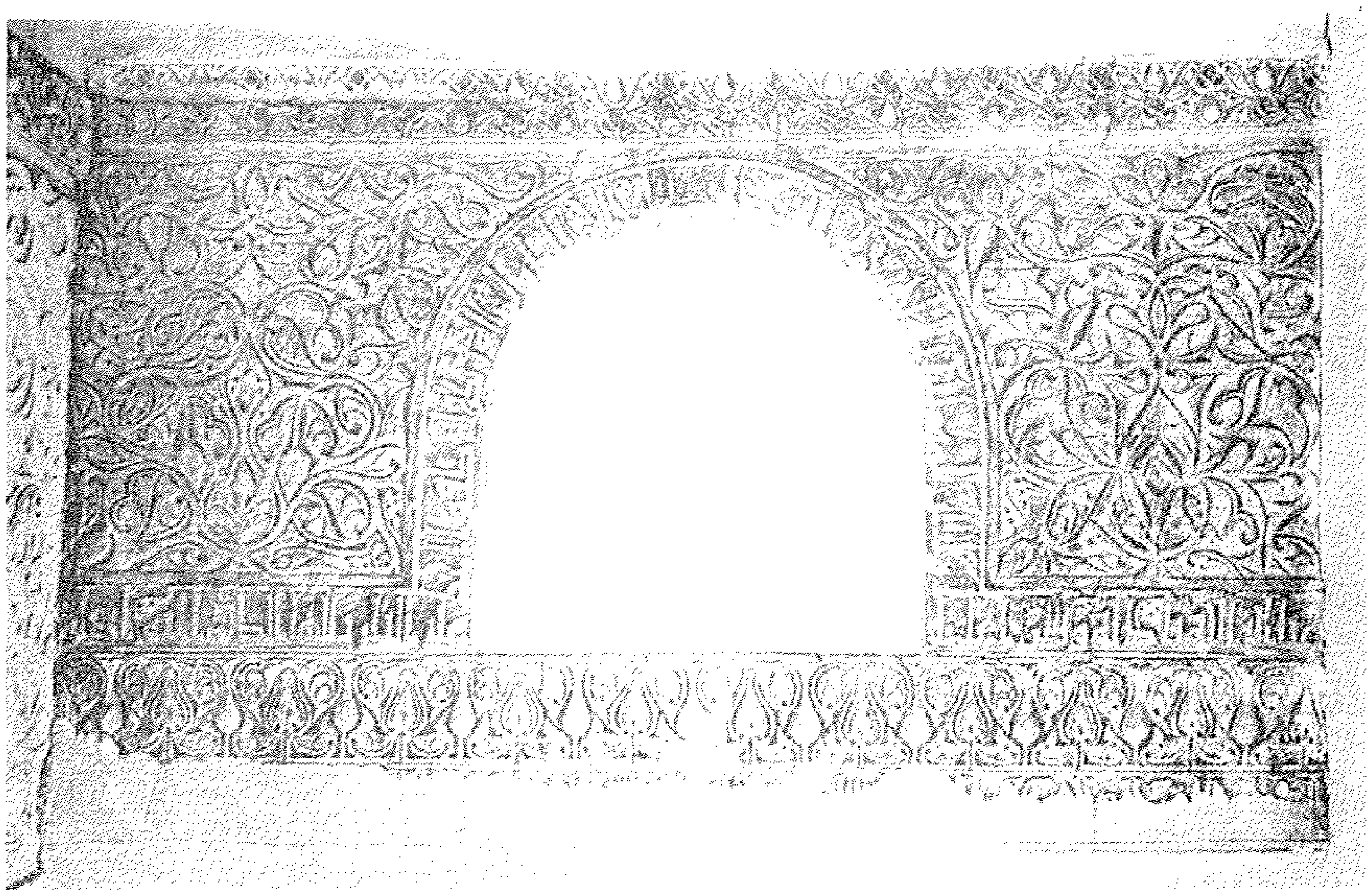

أ - زخرفة الجدار الشمالي الشرقي : الفسحة الخامسة من جدار القبلة القديم
(أنظر ب في نهاية الرواق) .

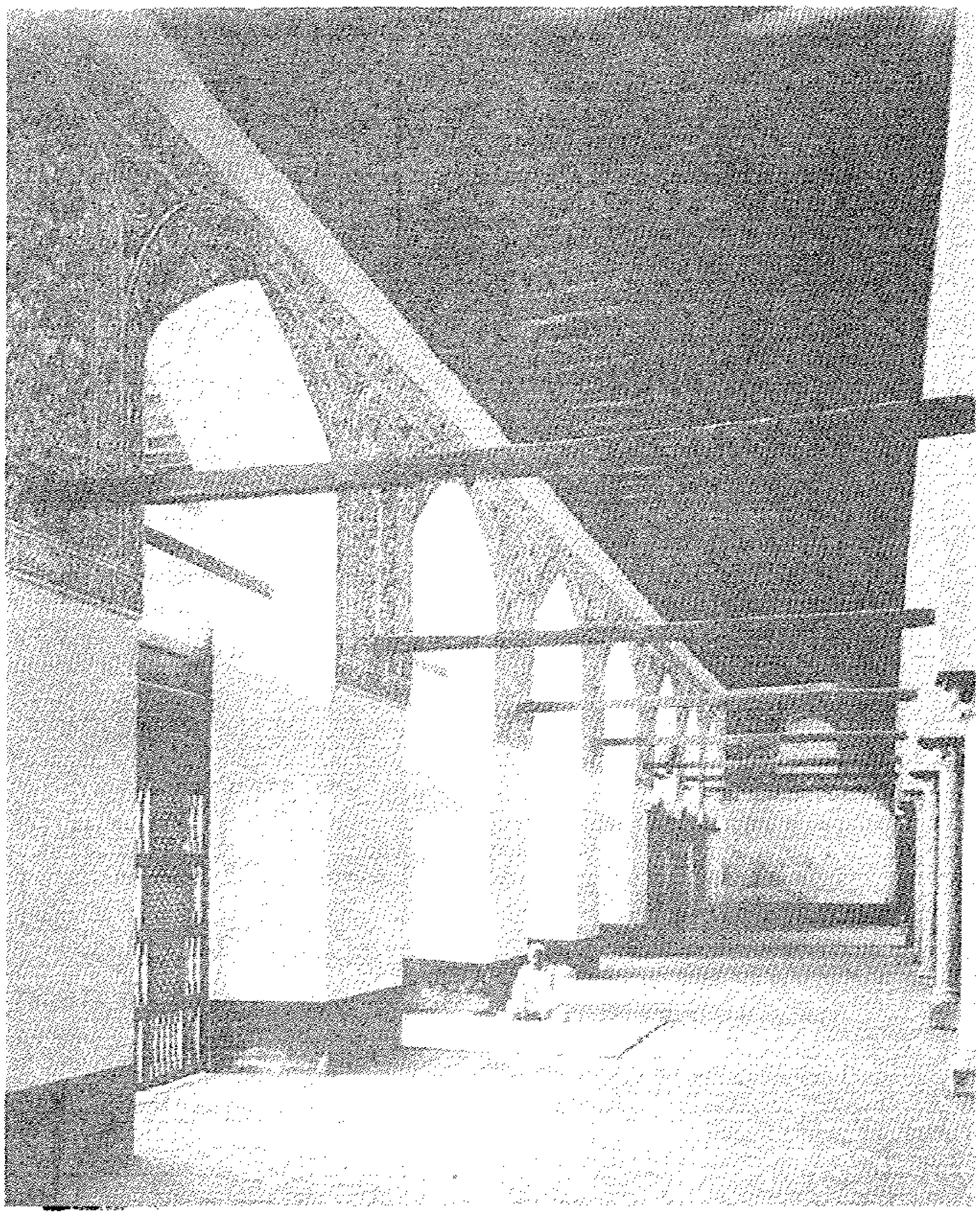

ب - بيت الصلاة (مقدم الجامع) : الرواق (البلاطة) الخامس
من جدار القبلة القديم ، النصف الشمالي الشرقي منه .

(لوحة رقم ١١) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

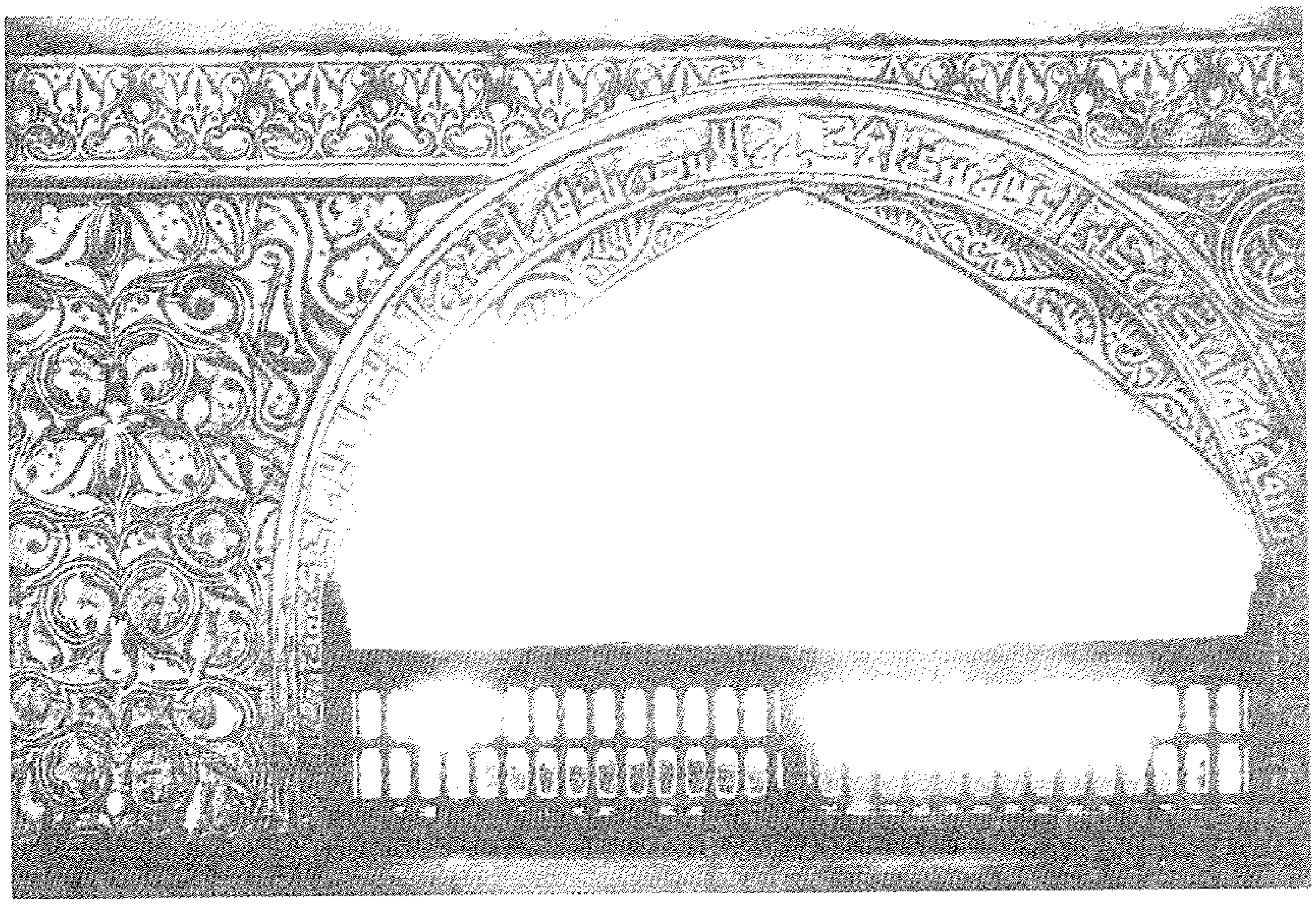

أ ـ الزخرفة الحالية للعقد الأول إلى اليمين من المجاز القاطع .

ب ـ زخرفة العقد الأول إلى اليمين
من المجاز القاطع قبل عام ١٨٩١م .

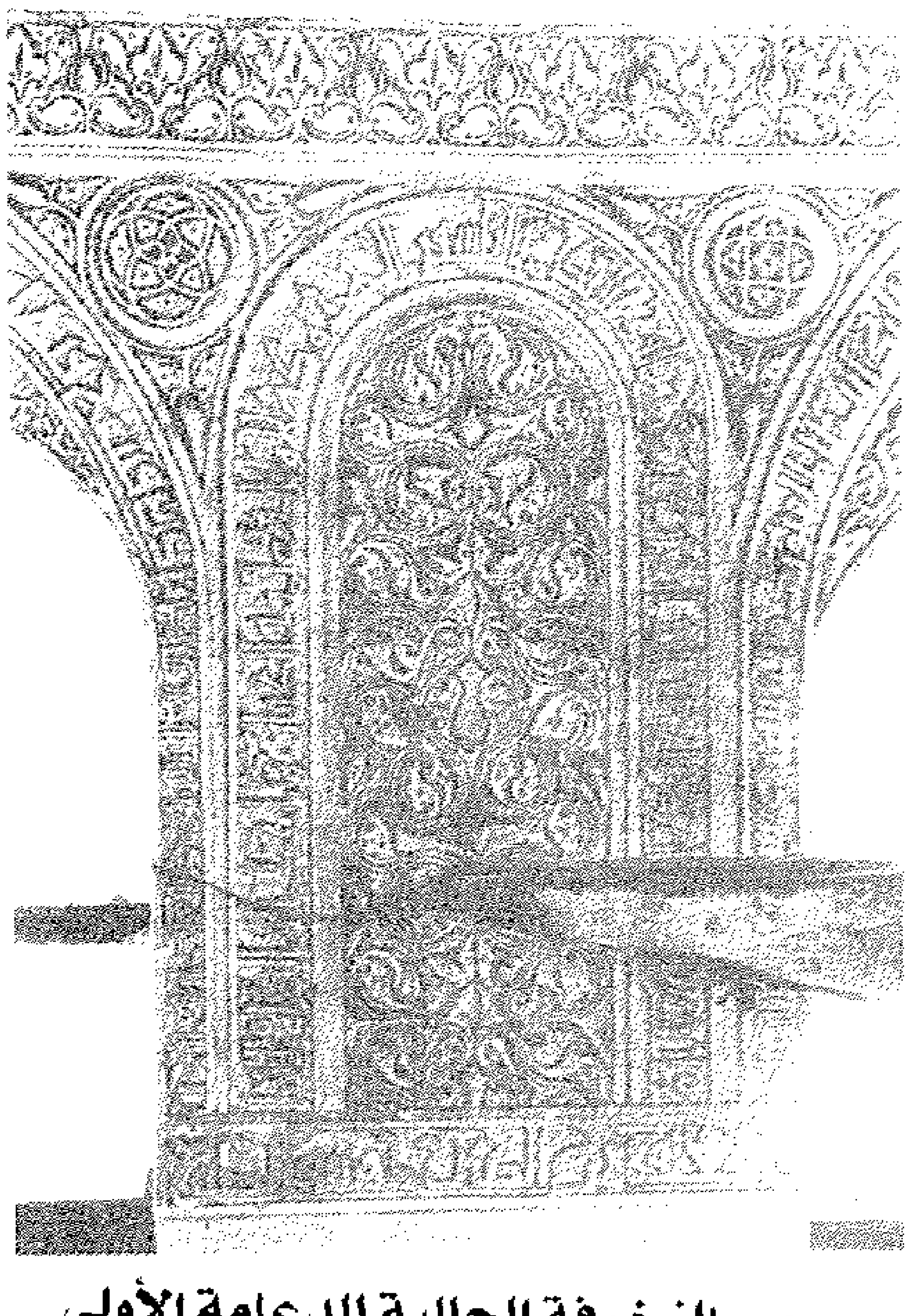

جـ ـ الزخرفة الحالية للدعامة الأولى
إلى اليمين من المجاز القاطع
(قارن مع ب) .

(لوحة رقم ١٢) جامع الأزهر ٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م .

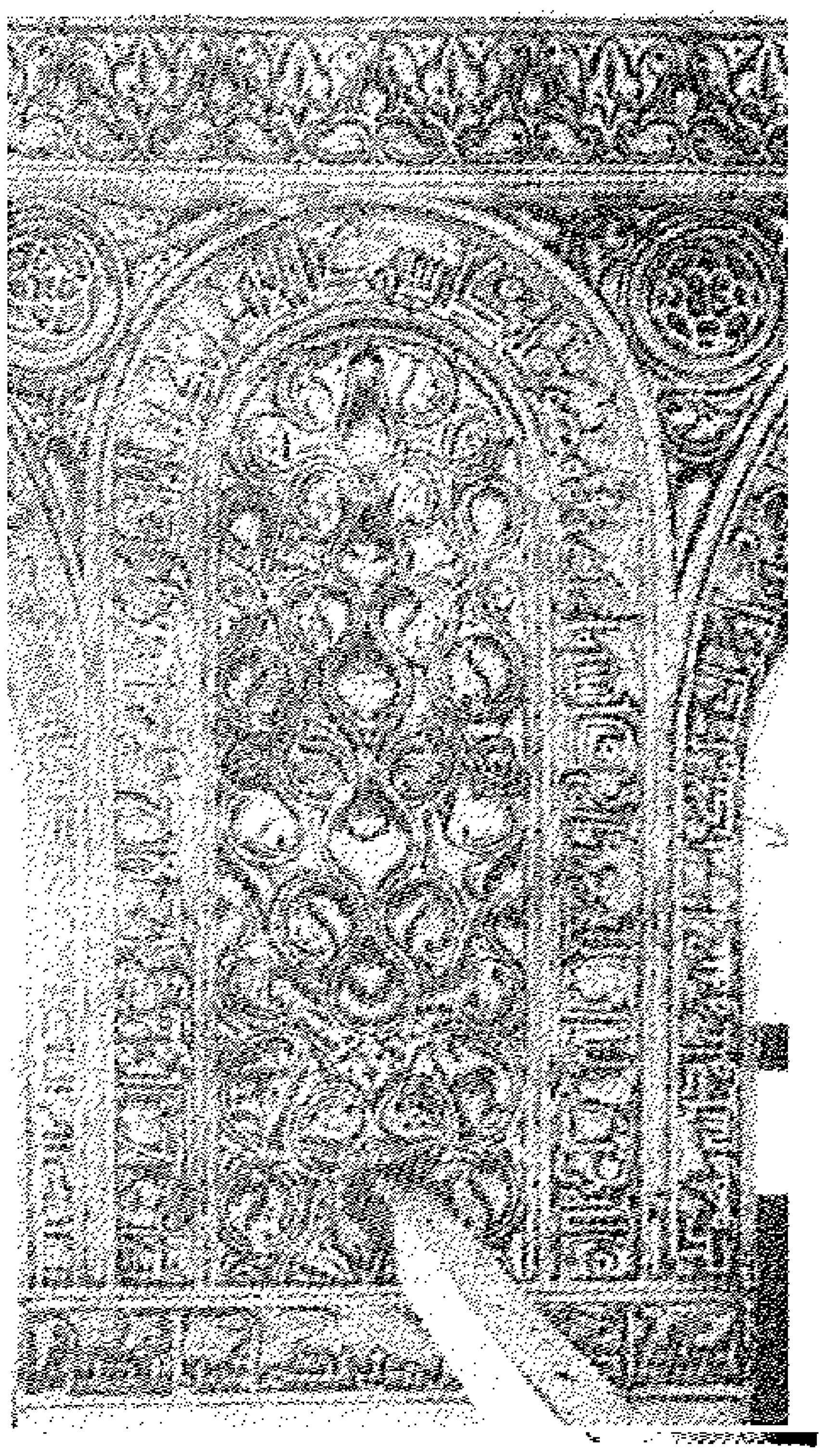

أ - الزخرفة الحالية
للدعامة الثانية
إلى اليمين من المجاز القاطع .

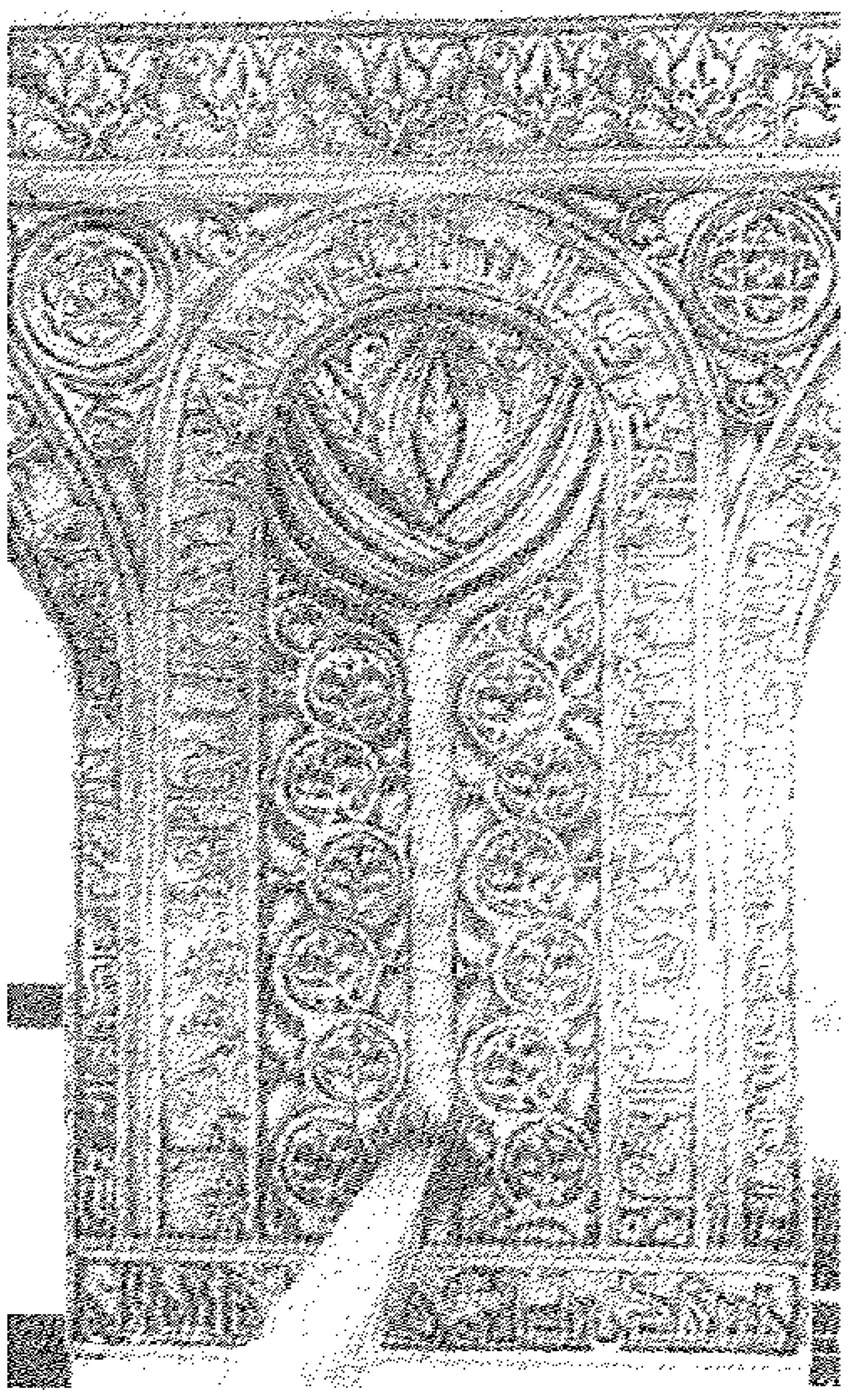

ب - الزخرفة الحالية
للدعامة الثالثة
إلى اليمين من المجاز القاطع .

جـ - الزخرفة الحالية
للدعامة الرابعة
إلى اليمين من المجاز القاطع .

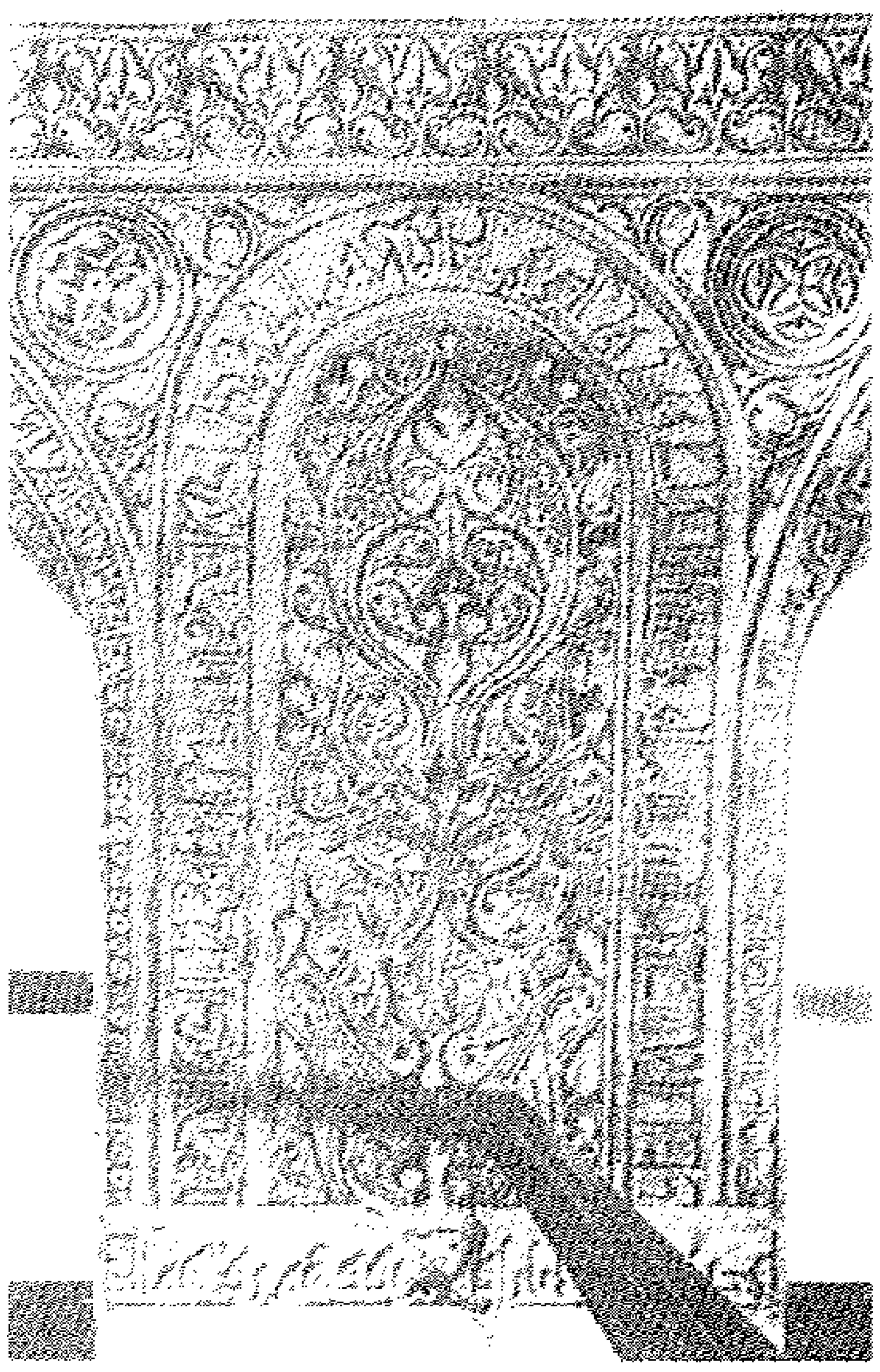

د - الزخرفة الحالية للدعامة
الخامسة إلى اليمين من المجاز القاطع .

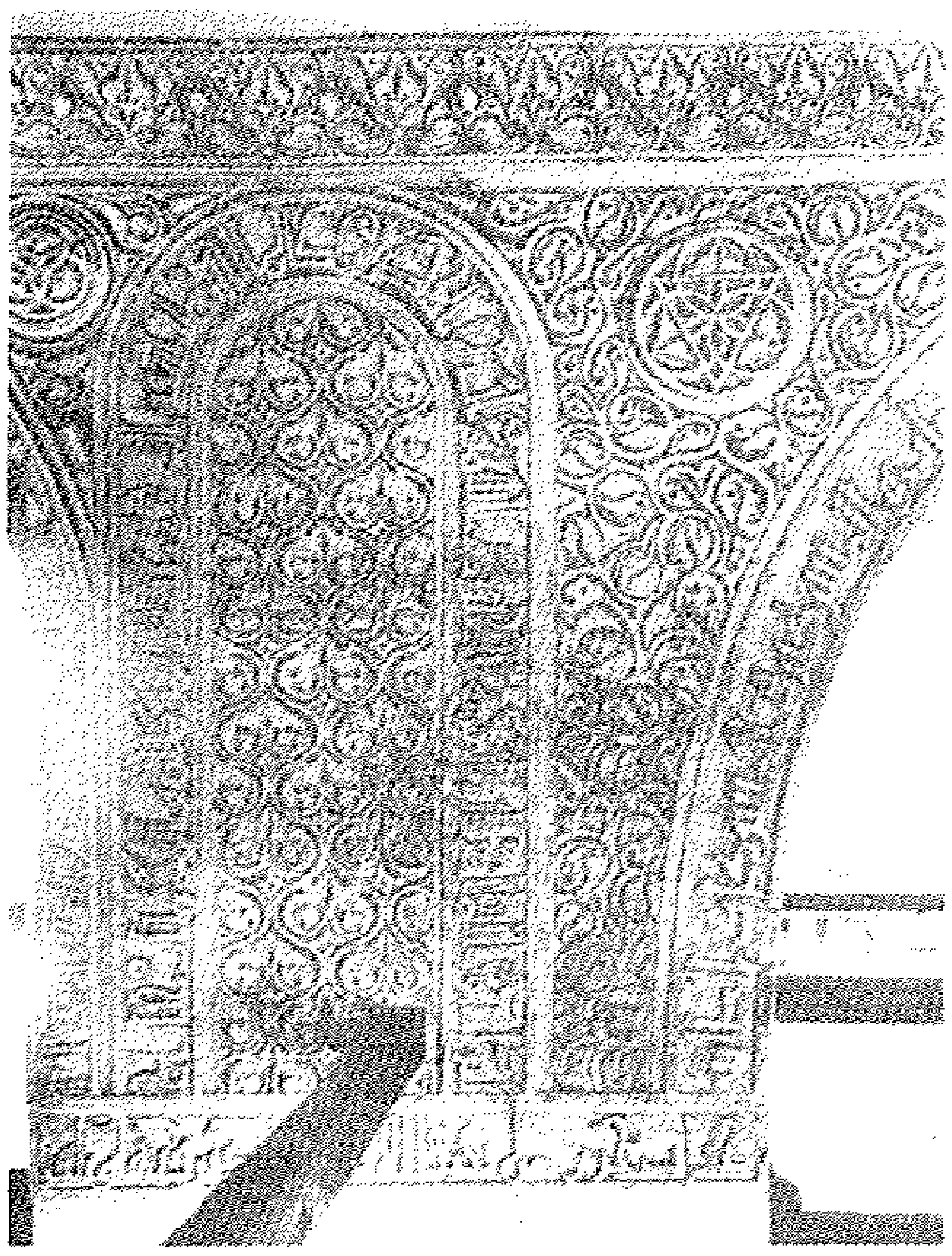

هـ - الزخرفة الحالية للدعامة السادسة
إلى اليمين من المجاز القاطع .

(لوحة رقم ١٣) جامع الأزهر ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

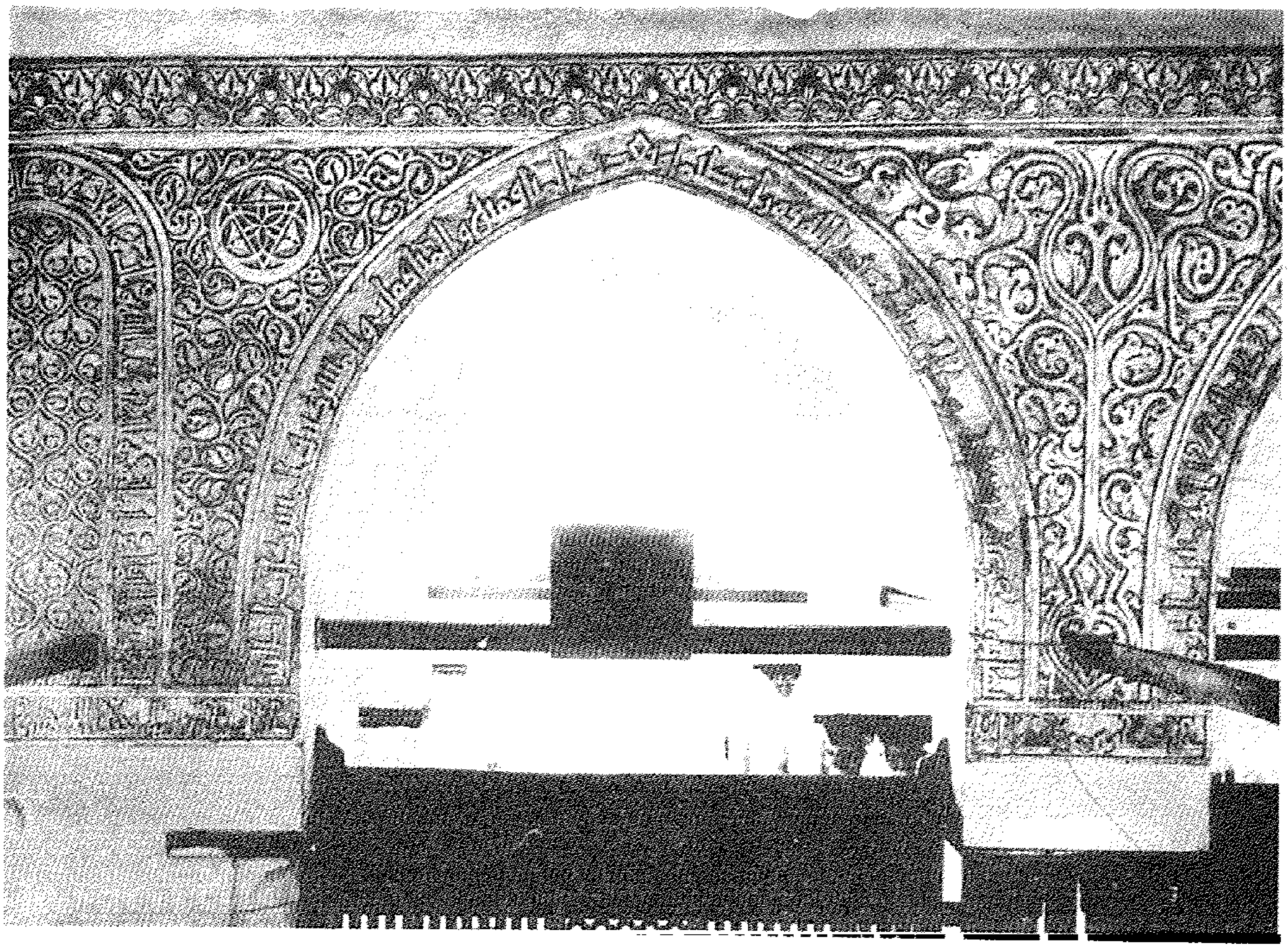

أ - الزخرفة الحالية للدعامة السادسة والسابعة إلى اليمين من المجاز القاطع .

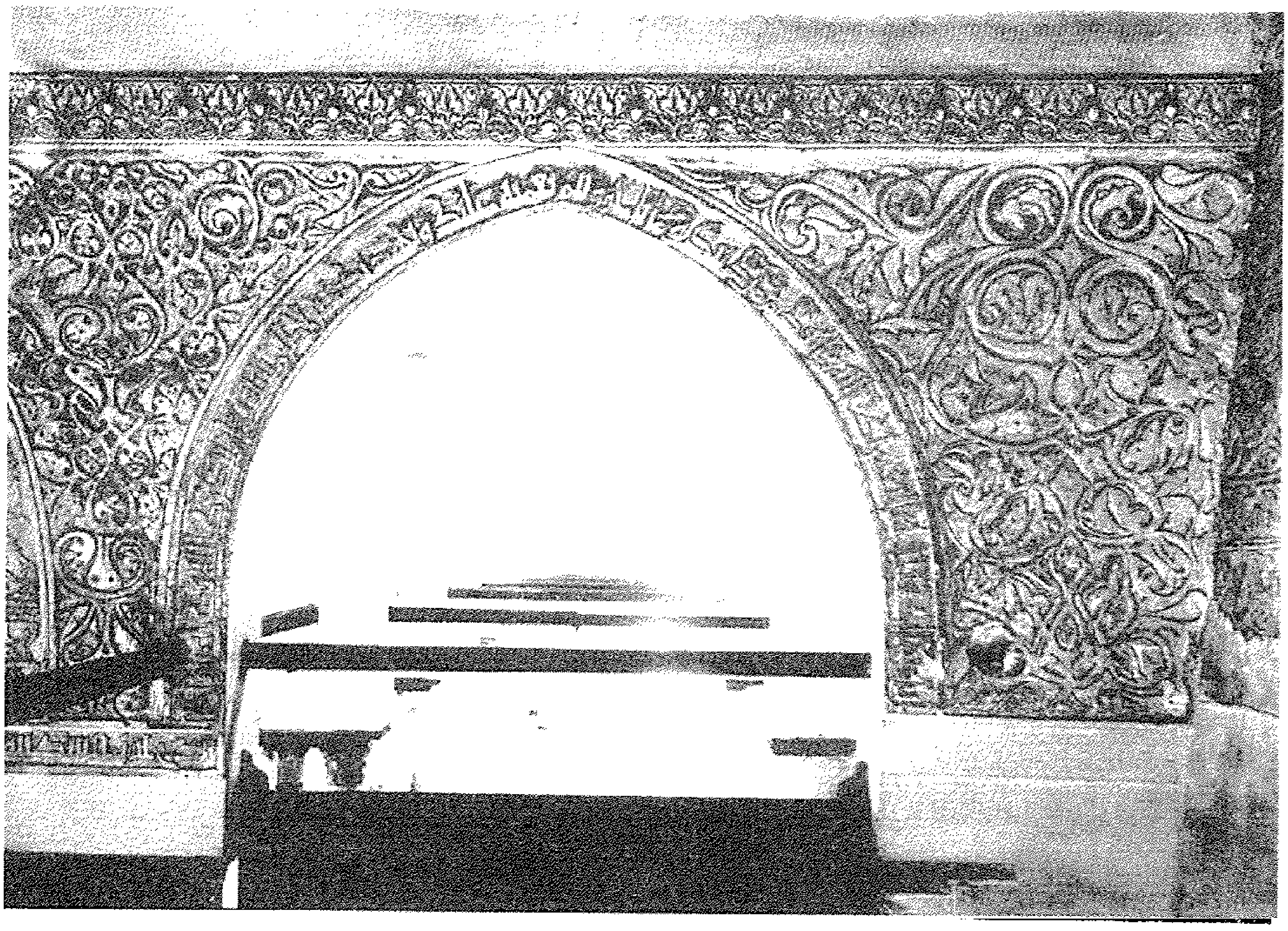

ب - الزخرفة الحالية للدعامة الثامنة إلى اليمين من المجاز القاطع ودعامة الجدار .

(لوحة رقم ١٤) جامع الأزهر : ٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٢م .

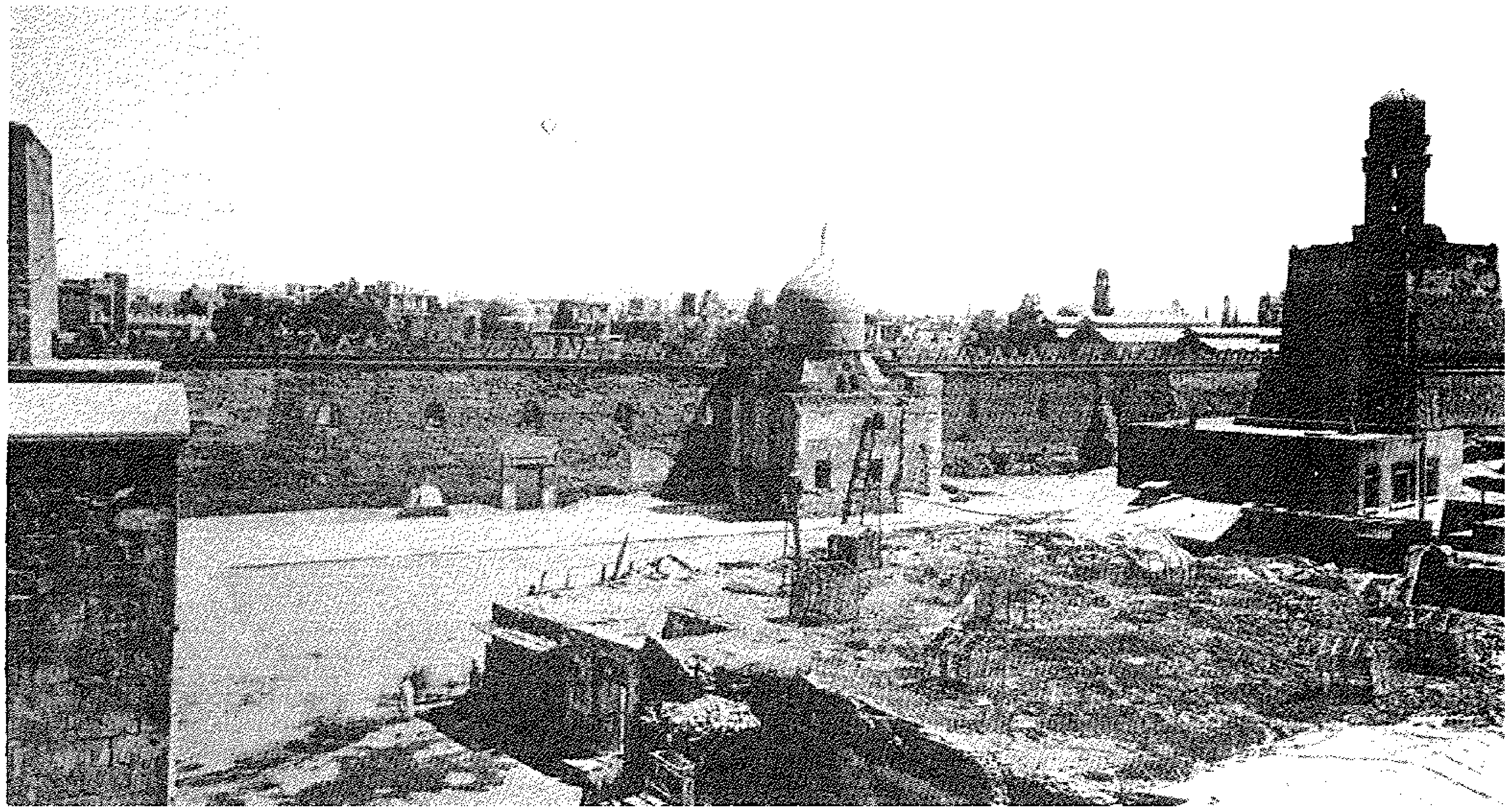

أ - الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها - حديثاً - أي قبل ١٩٥٢م) .

ب - منظر الجدار الشمالي الغربي من أعلى ويظهر فيه جانب من المدخل التذكاري (انظر لوحة ١٧) والبروز الغربي .

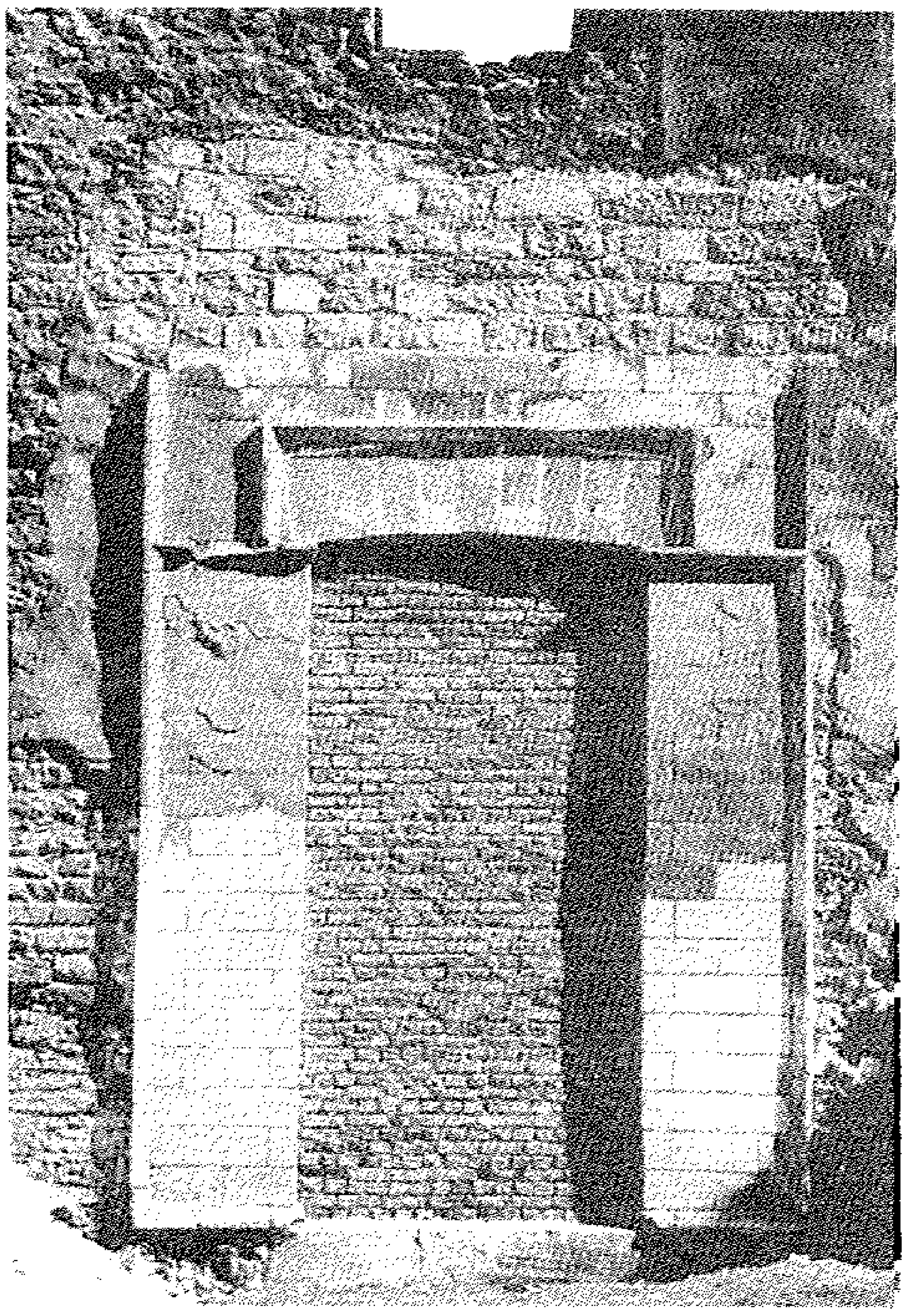

جـ - المدخل إلى يسار المدخل التذكاري (أنظر أ) .

(لوحة رقم ١٥) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ - ١٠١٣م .

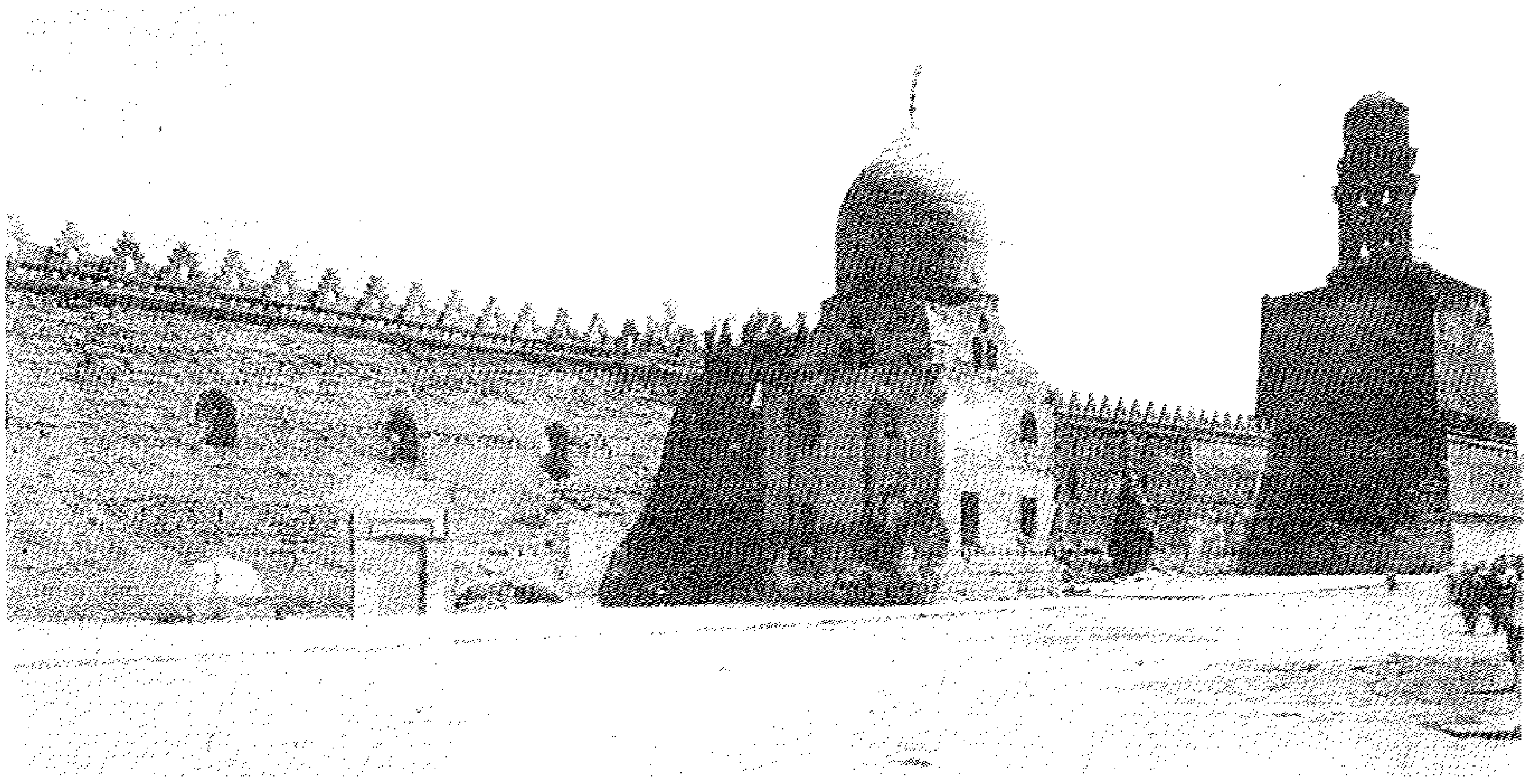

أ - الواجهة الشمالية الغربية (بعد تنظيفها - حديثاً) .

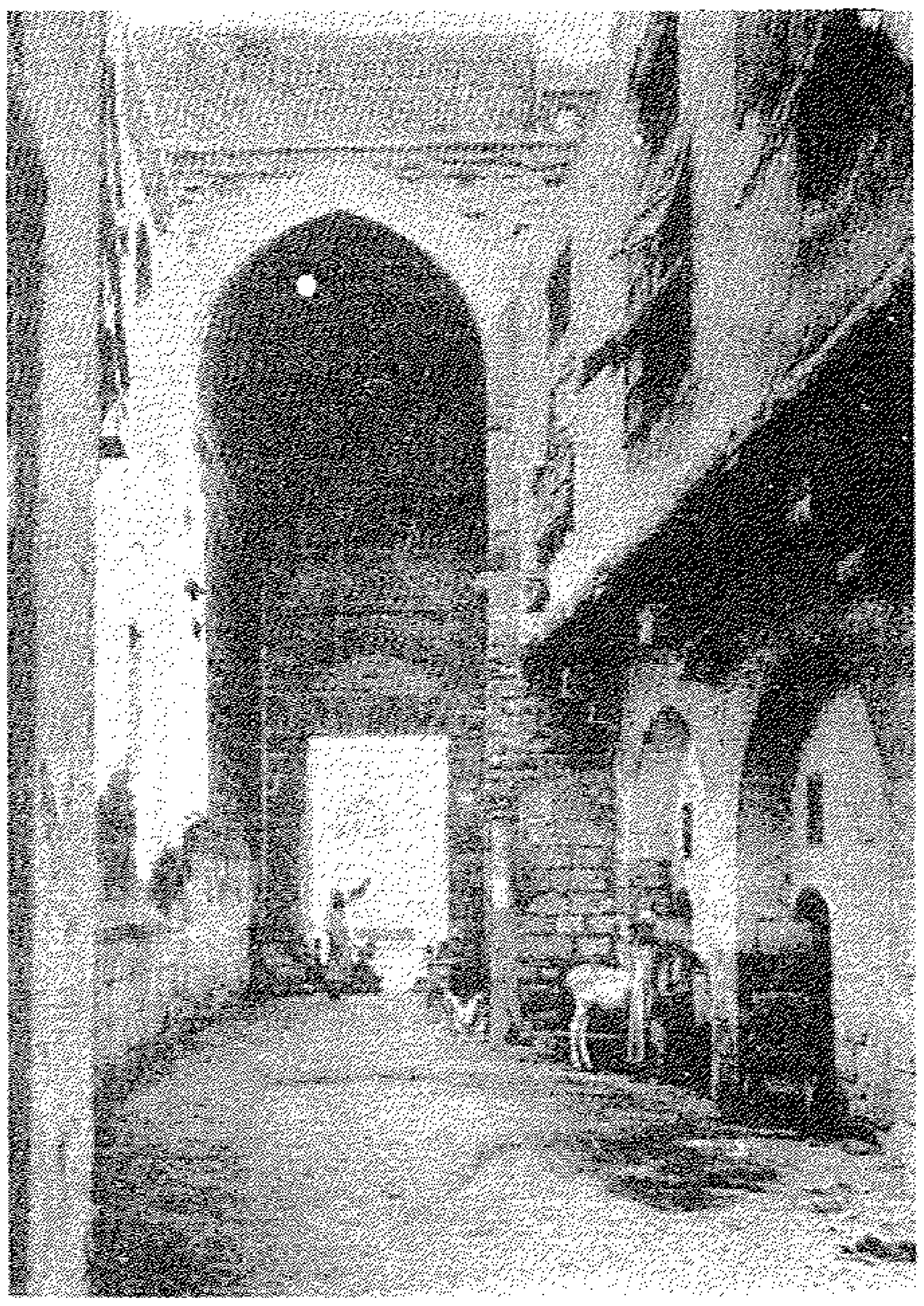

ب - قبو المدخل التذكاري
(من الداخل) .

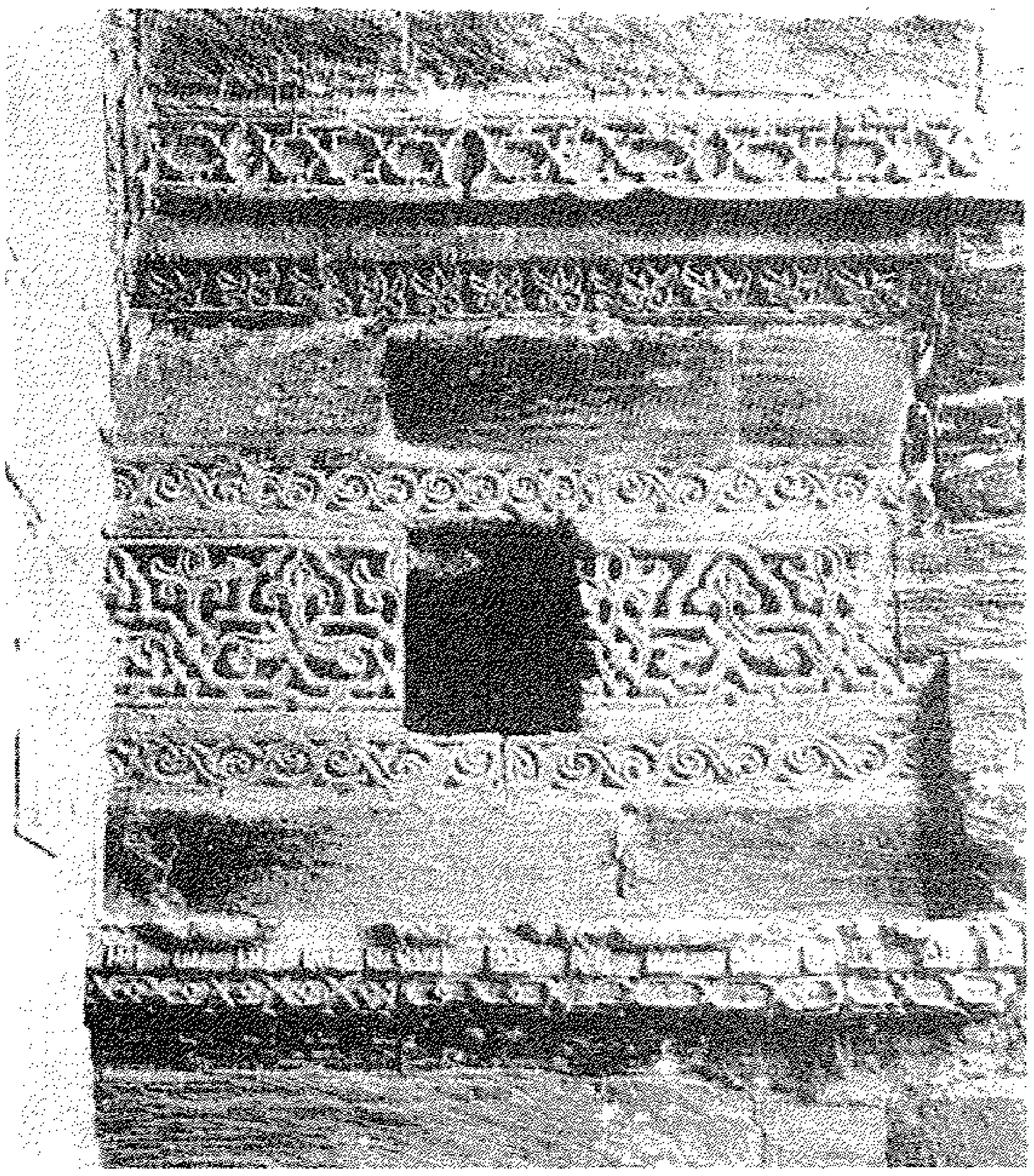

جـ - بقايا الزخرفة الأصلية في ممر البوابة
في المكان الذي يشير إليه الرجل في ب .

(لوحة رقم ١٦) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ - ١٠١٣م .

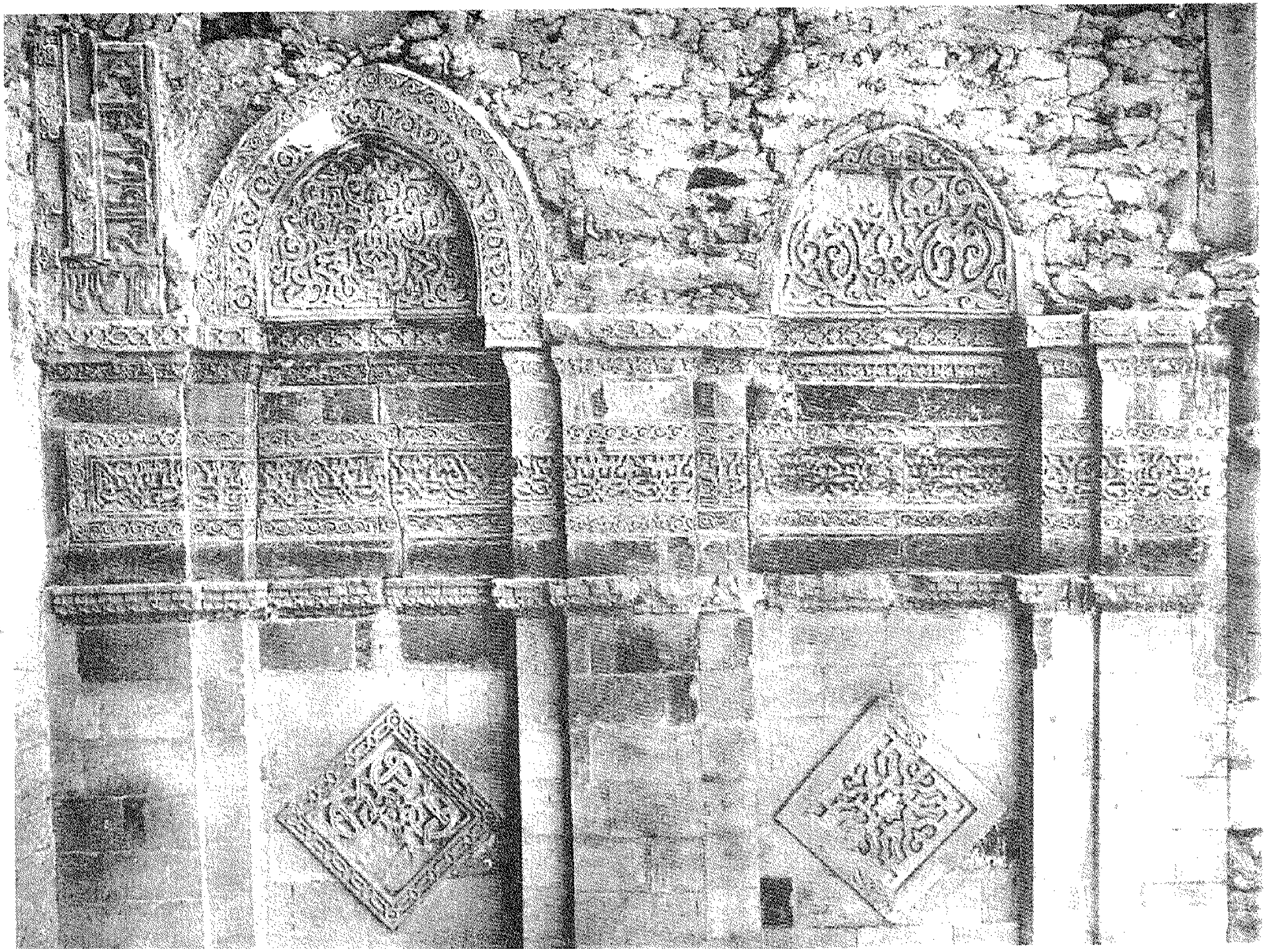

(لوحة رقم ١٧) جامع الحاكم : المدخل التذكاري ، زخرفة الجانب الشمالي الشرقي .

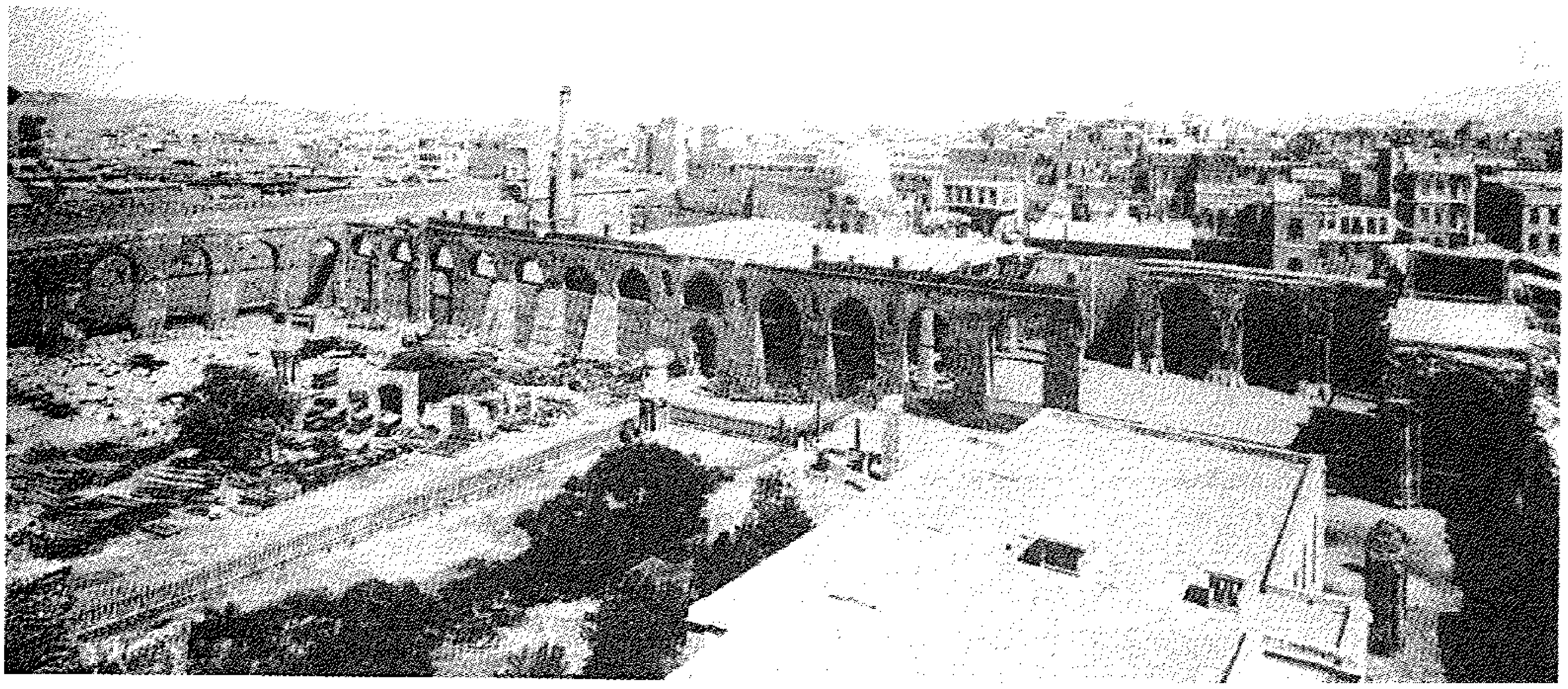

أ - الزاوية الشرقية للصحن وبقايا بيت الصلاة أو الحرم (مقدم الجامع) .

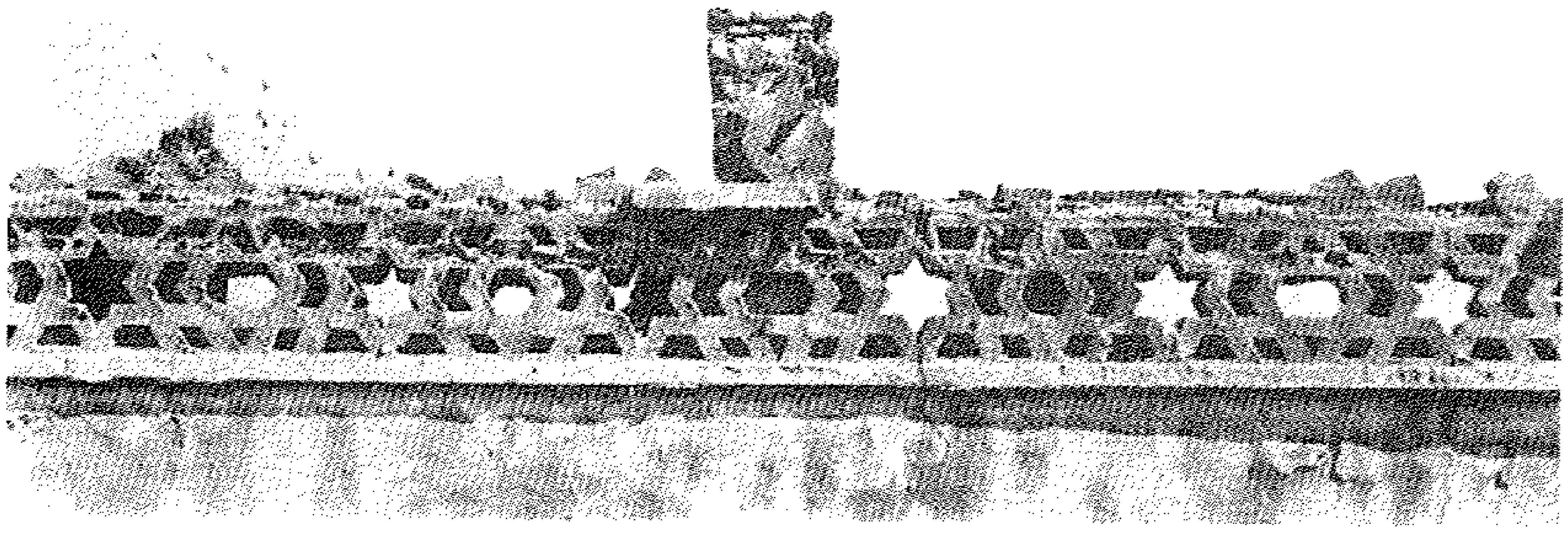

ب - بقايا الشرافات أعلى الدعامة الرابعة إلى يمين المجاز القاطع .

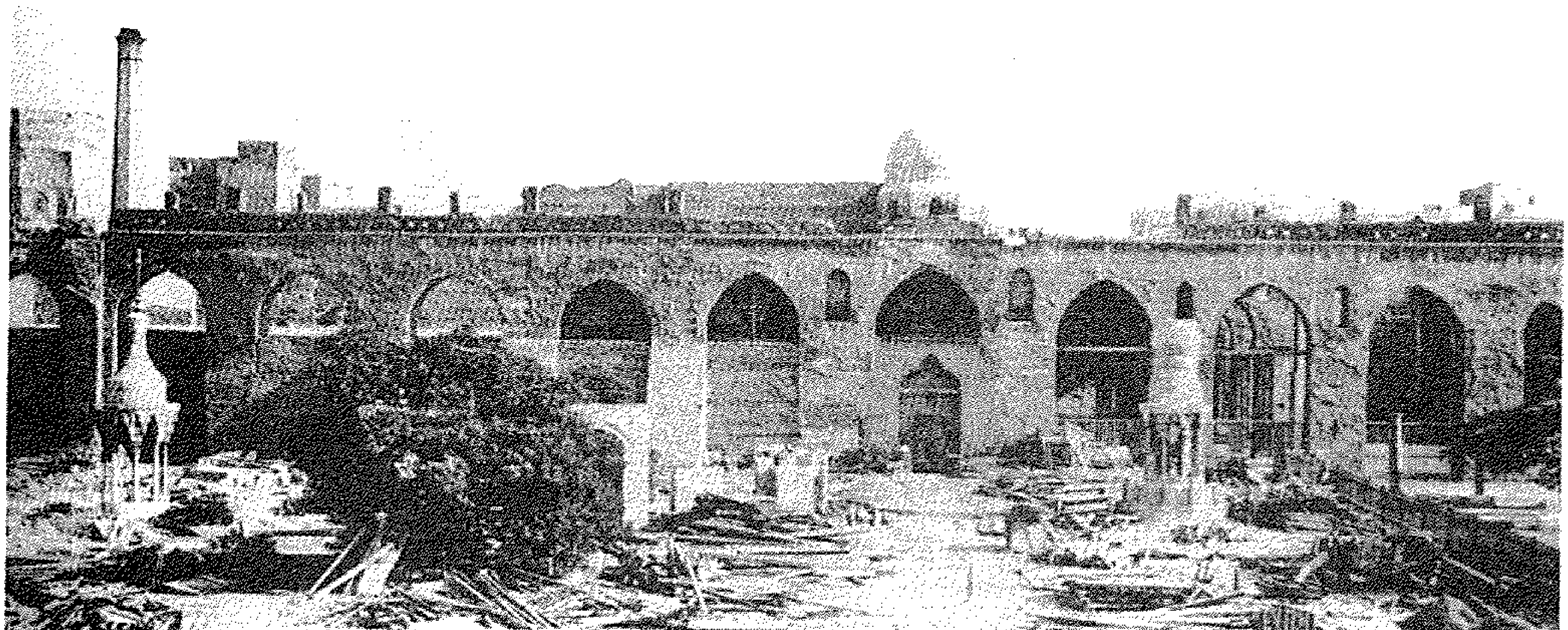

جـ - واجهة بيت الصلاة (مقدم الجامع) .

(لوحة رقم ١٨) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/٩٩٠ - ١٠١٣م .

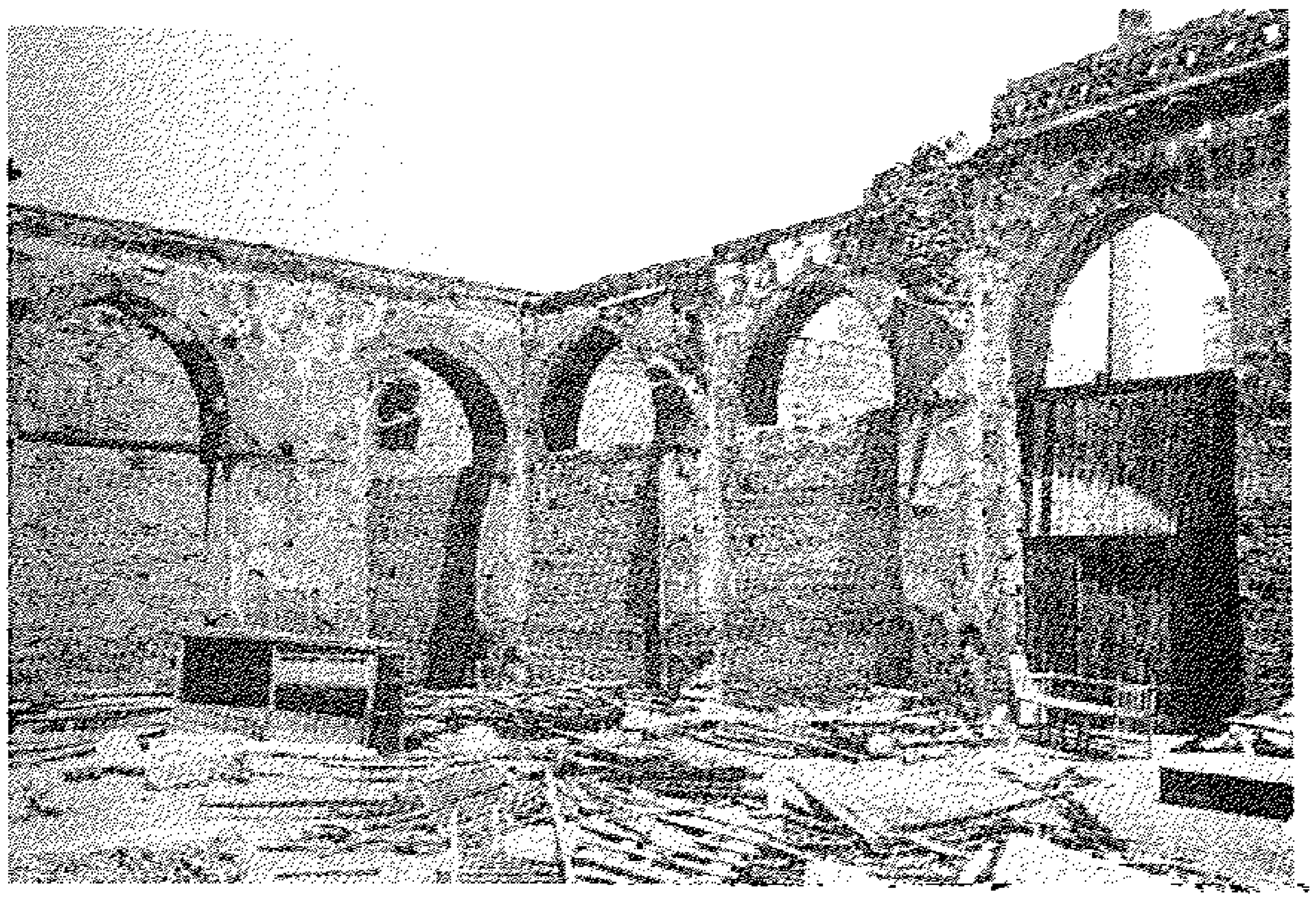

أ - الزاوية الشرقية للصحن ويظهر
فيها البائكة الثانية والثالثة للرواق الشمالي الشرقي .

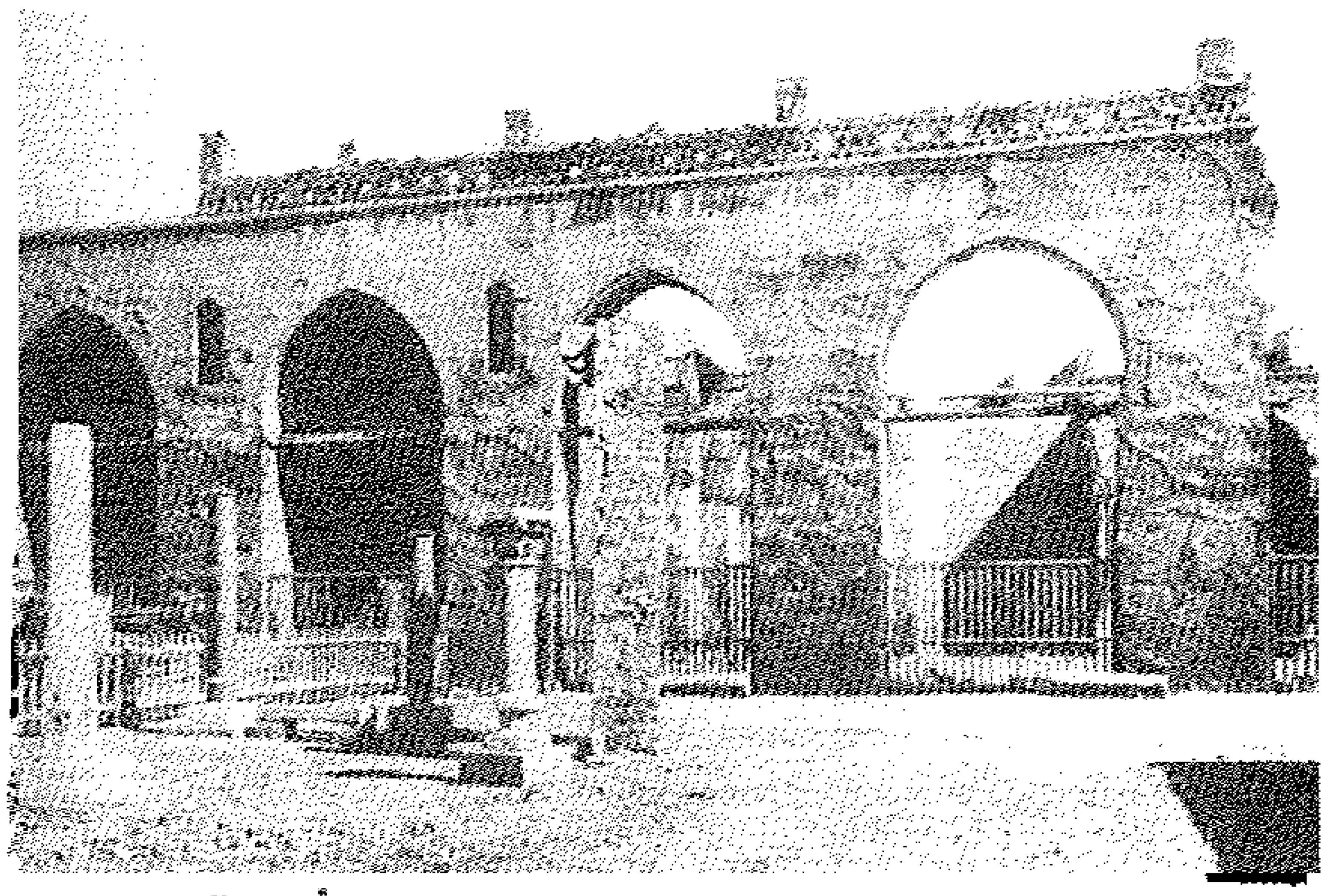

ب - واجهة مقدم الجامع : العقود الأربعة
التي لا تزال باقية إلى يمين عقد المجاز القاطع .

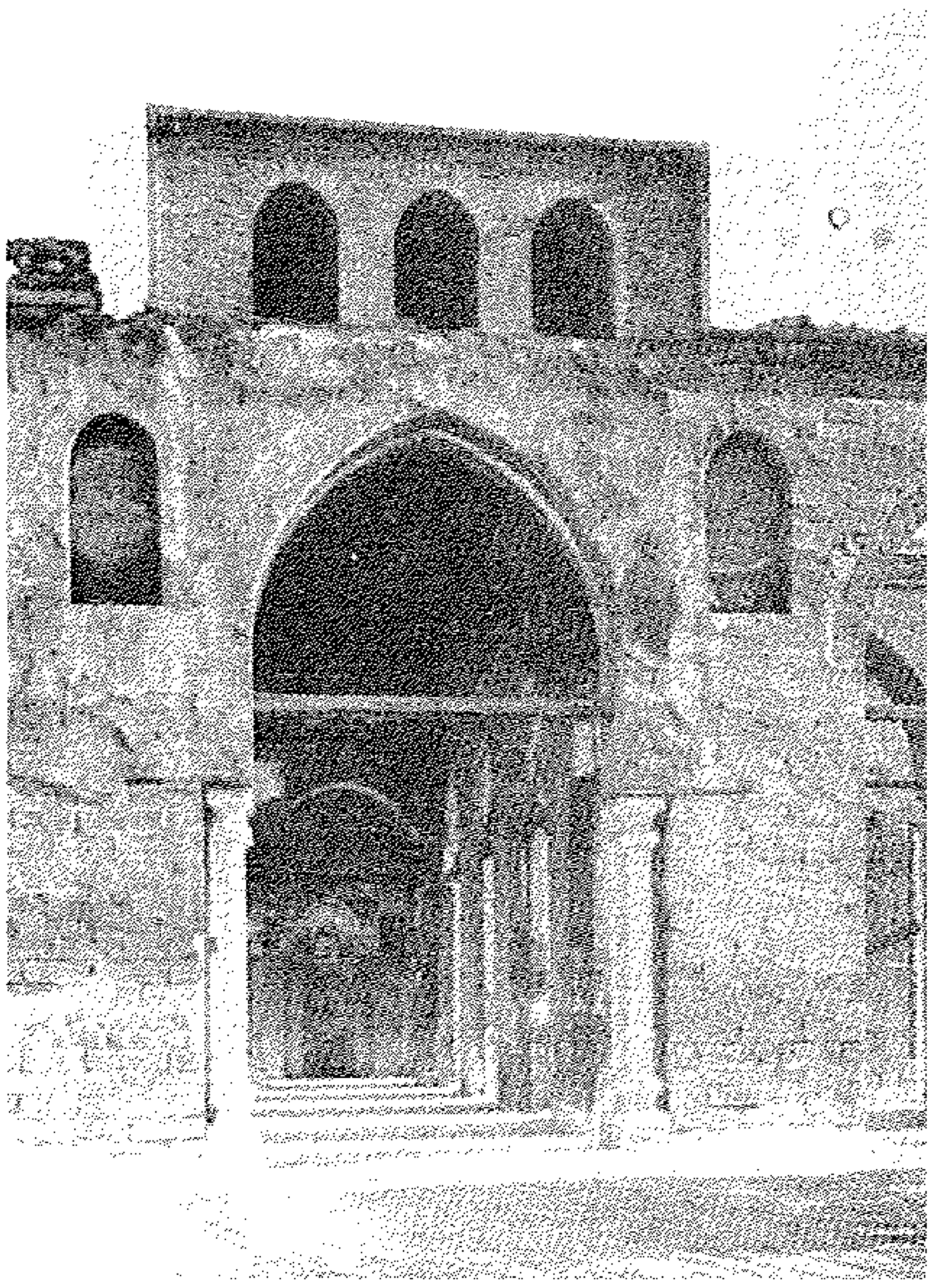

جـ - مدخل المجاز القاطع بعد الترميم .

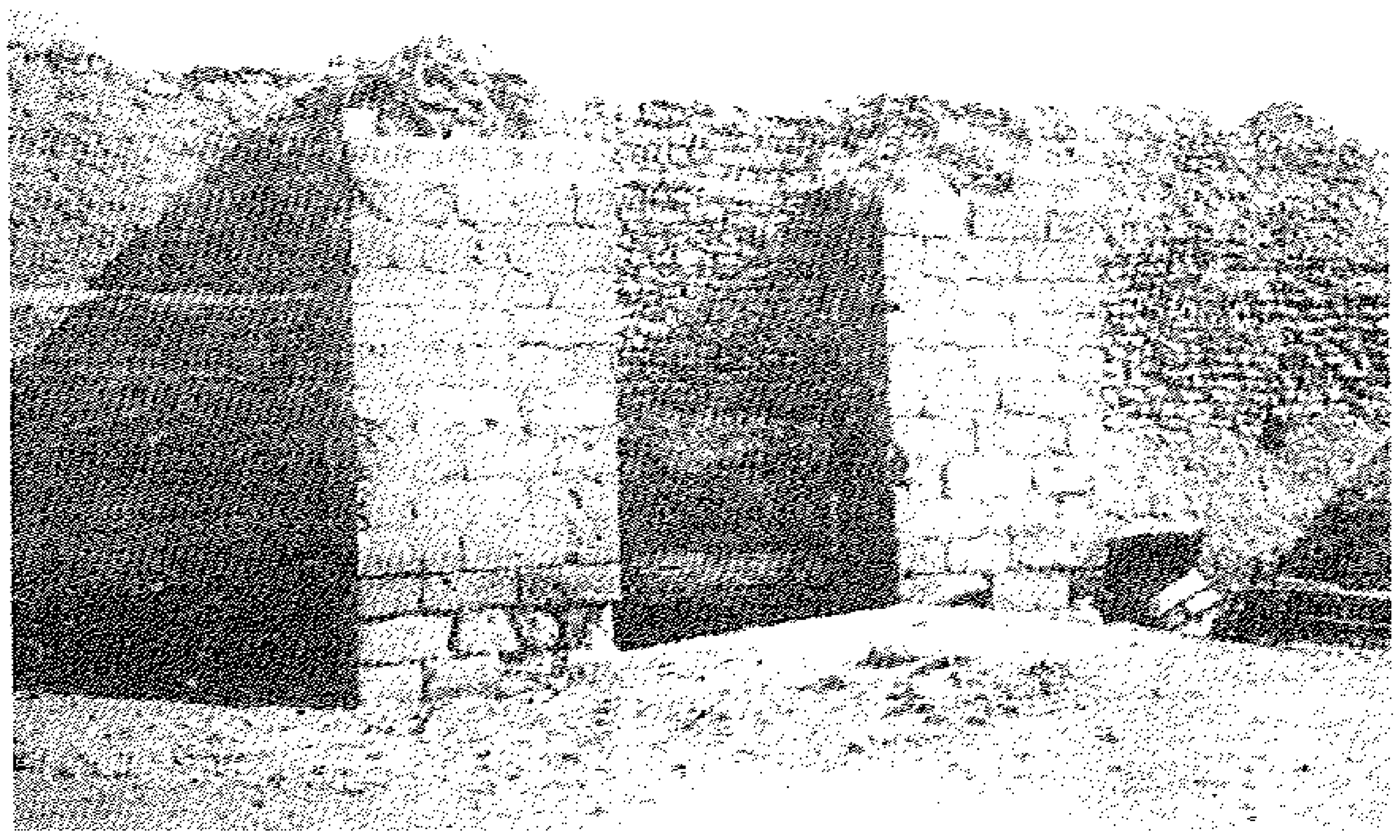

د - بقايا مدخل تذكاري
في الجانب الجنوبي الغربي من الخارج .

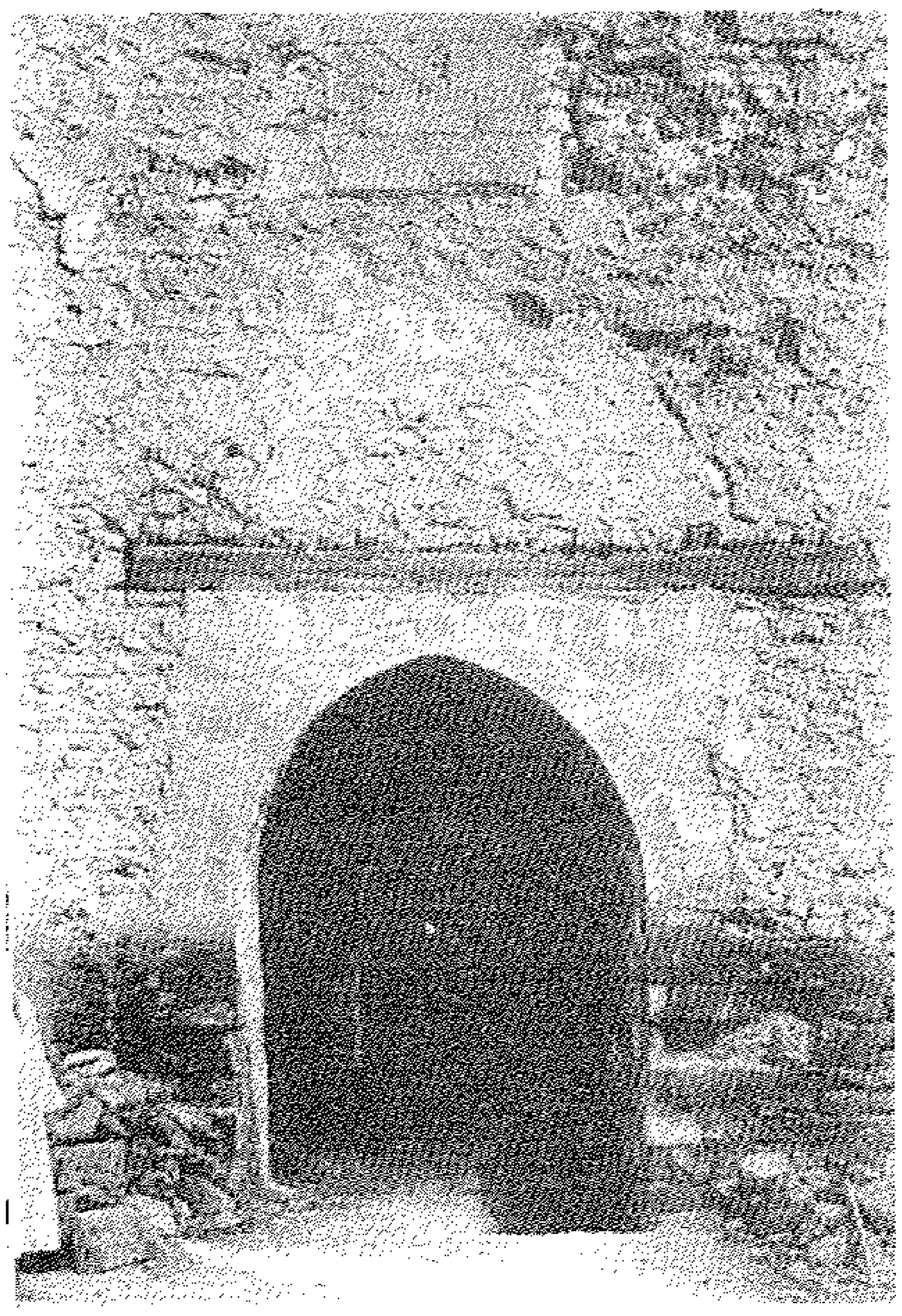

هـ - المدخل التذكاري
في الجانب الشمالي الشرقي من الداخل .

(لوحة رقم ١٩) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/٩٩٠ - ١٠١٣م .

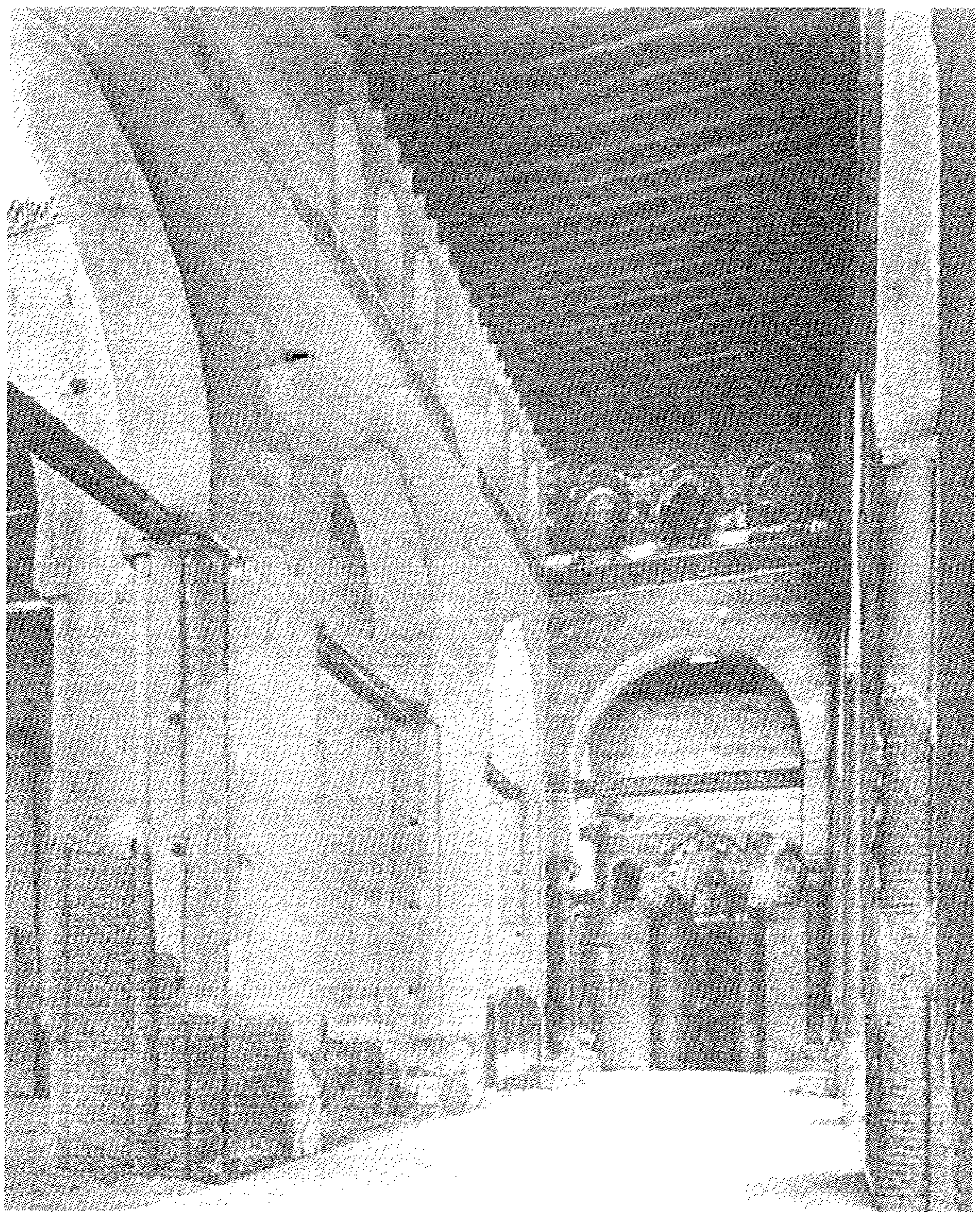

أ - المجاز القاطع بعد ترميم نوافذه العلوية والسقف .

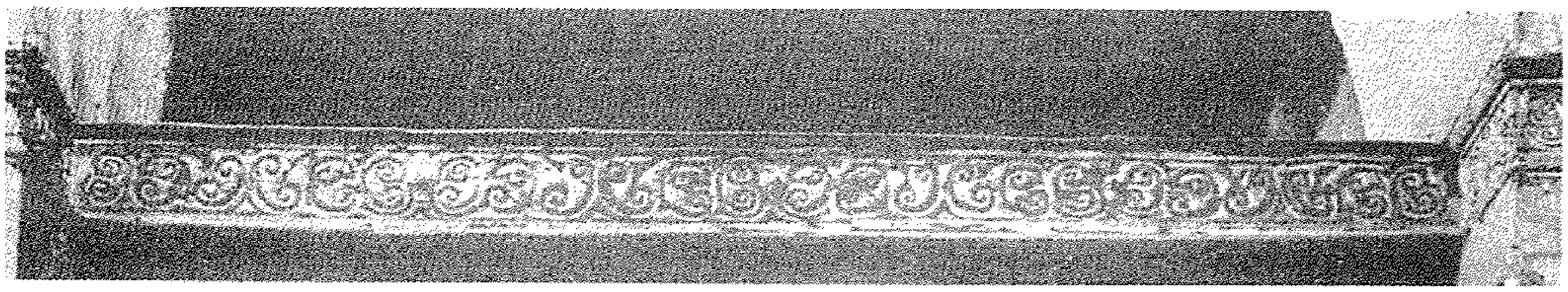

ب - رباط خشبي للقبة الشمالية الشرقية يحمل عقداً .

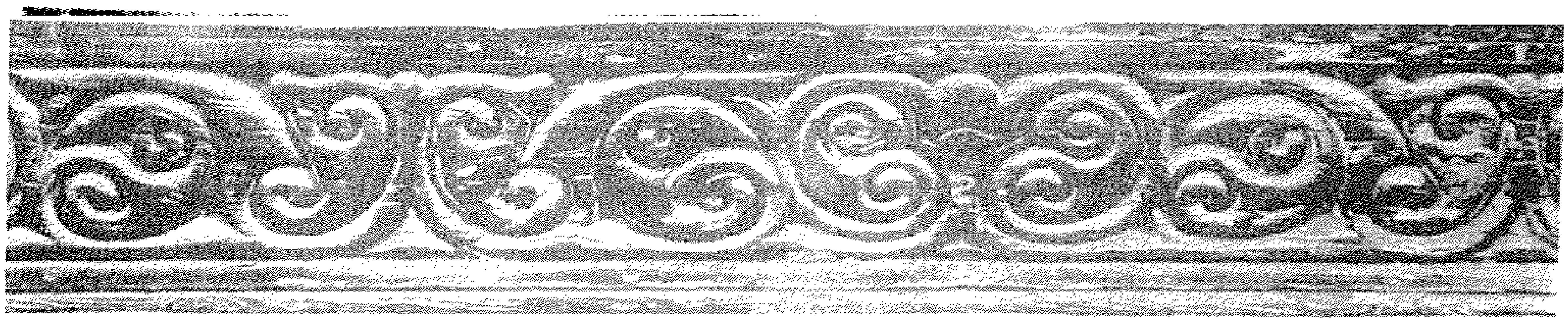

جـ - رباط خشبي لقبة يحمل عقدا ، تفصيل للزخرفة .

(لوحة رقم ٢٠) جامع [illegible] ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/٩٩٠ - ١٠١٣م .

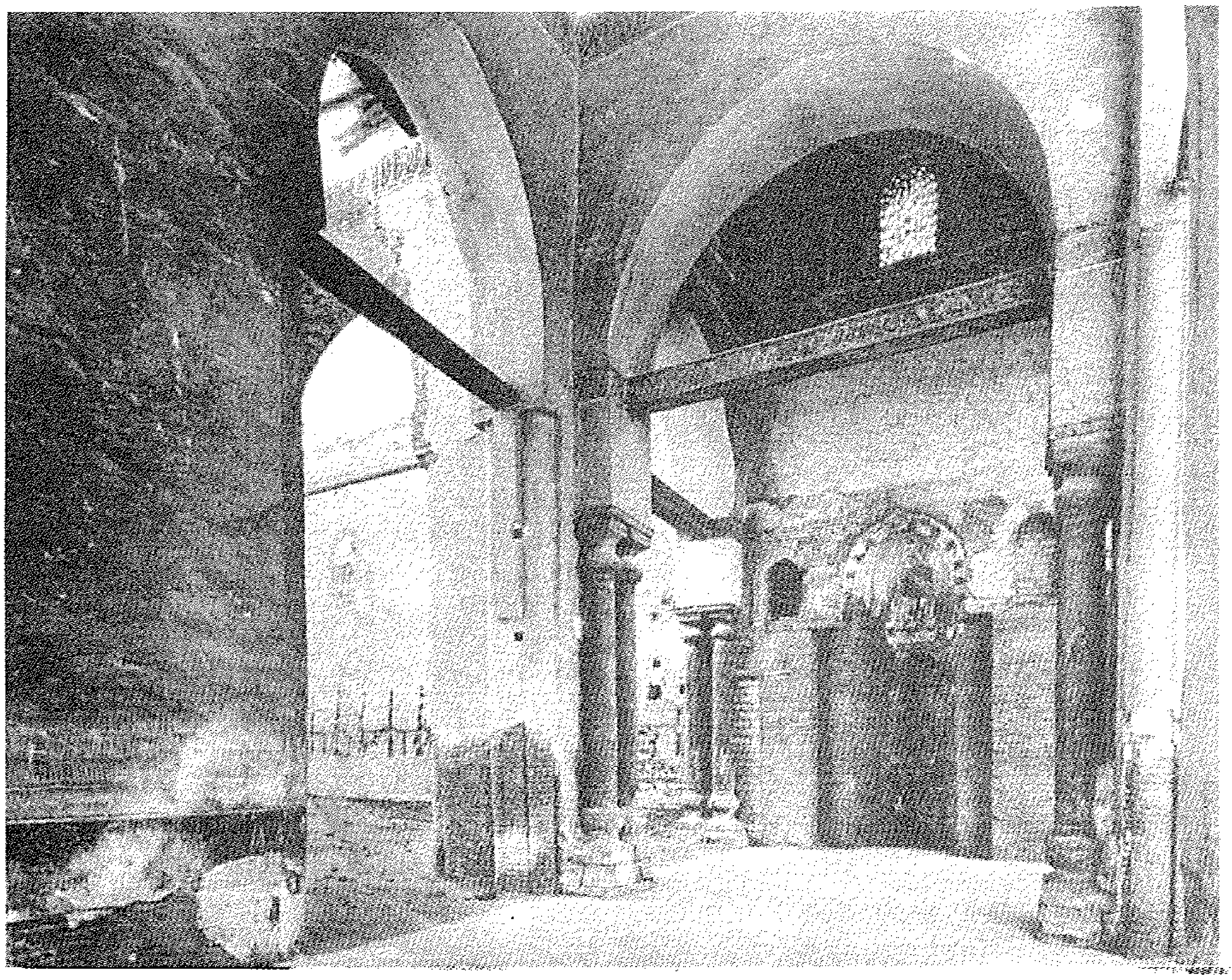

أ - النهاية الداخلية للمجاز (عند المحراب) .

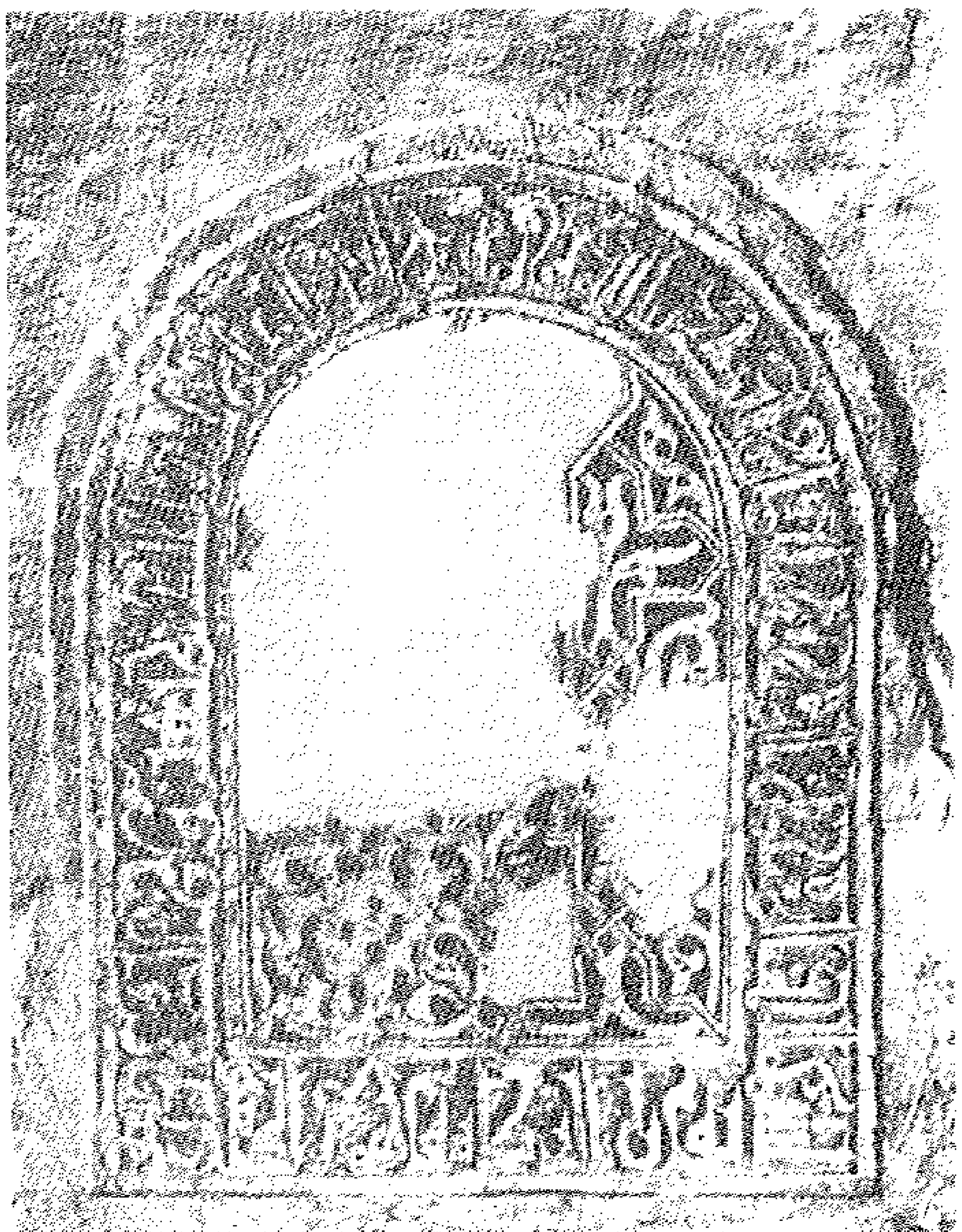

ب - النافذة الثانية على يسار المحراب .

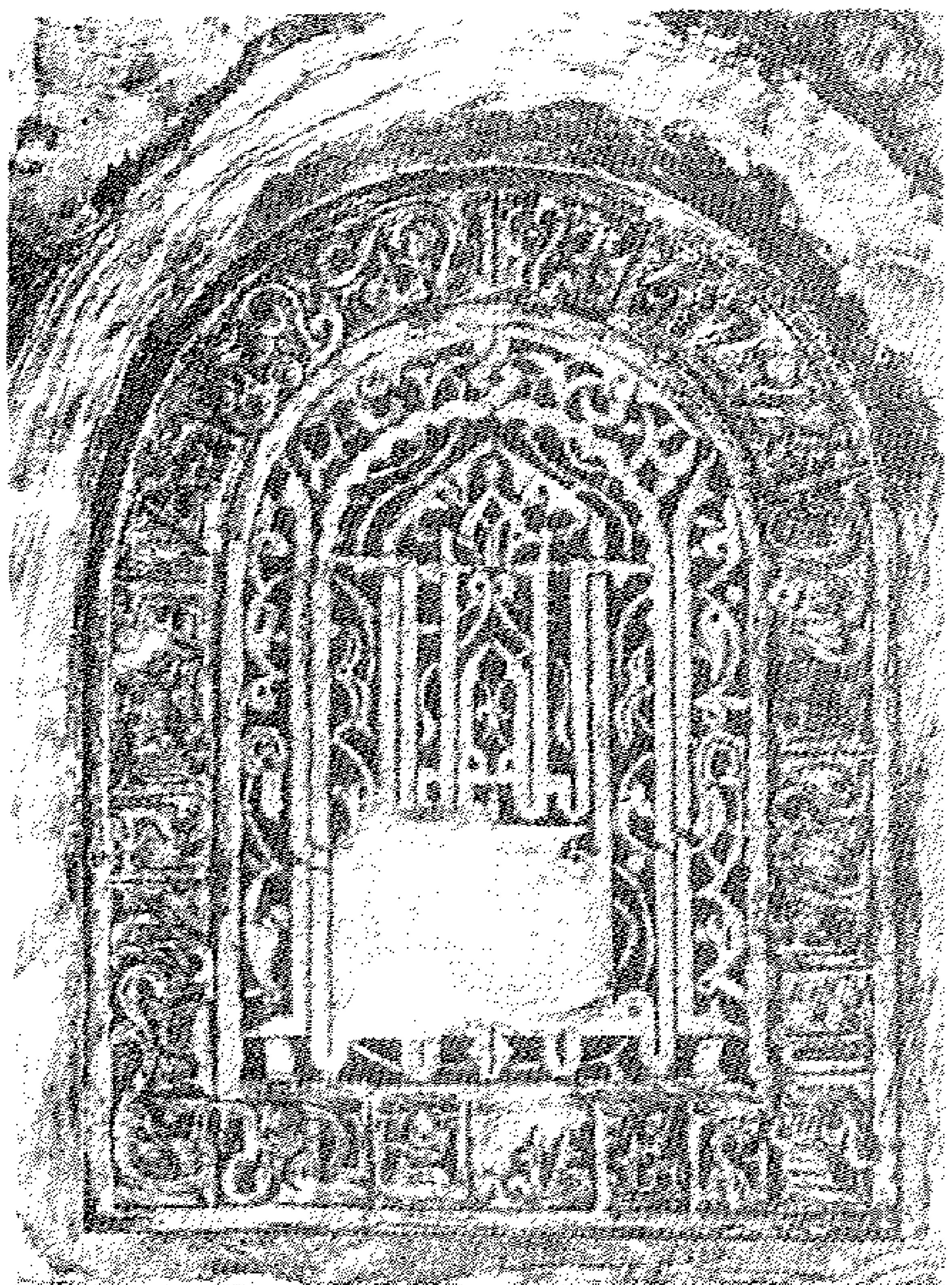

جـ - النافذة الأولى على يسار المحراب .

(لوحة رقم ٢١) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/٩٩٠ - ١٠١٣م .

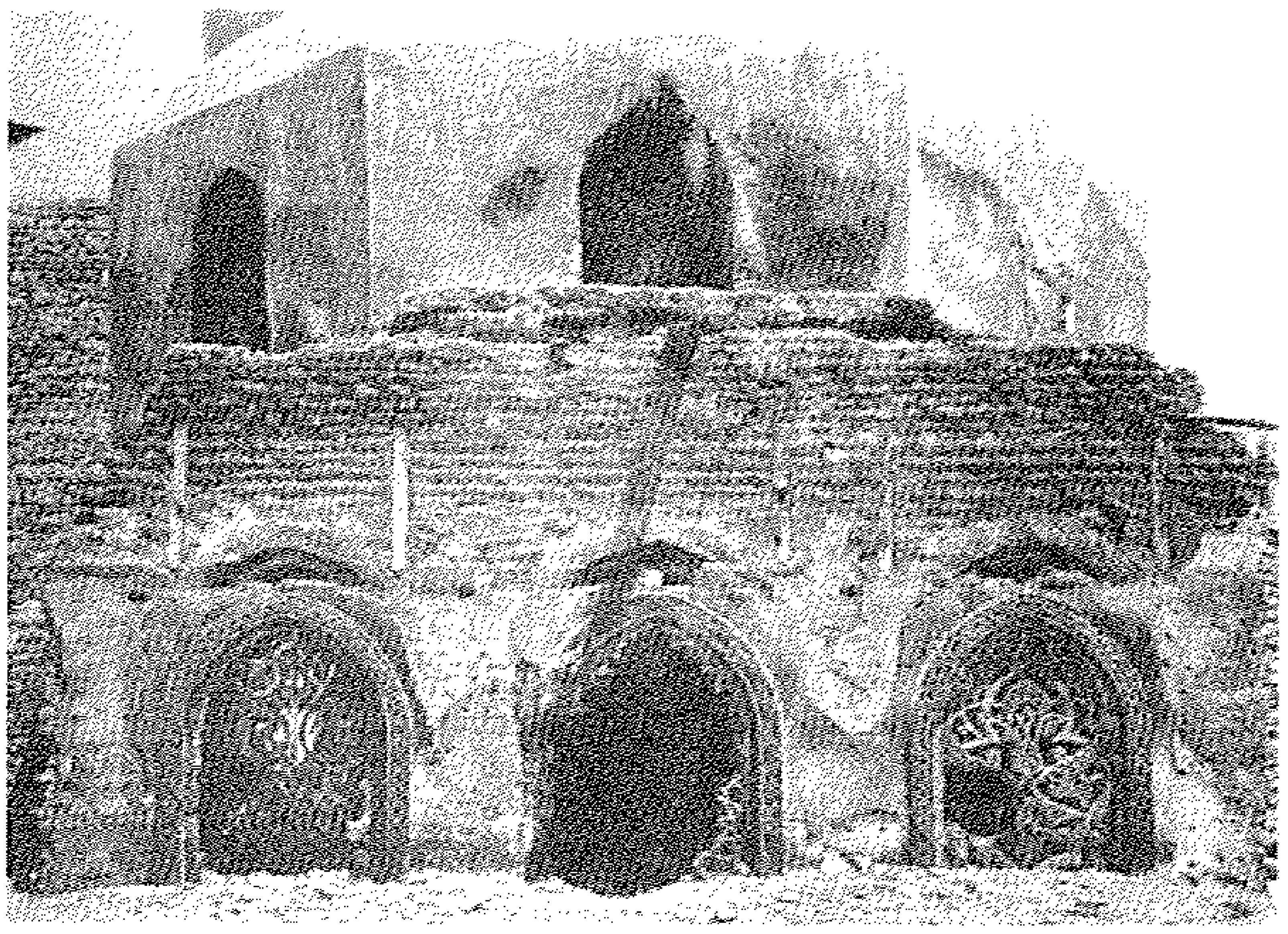

أ - أساس القبة في نهاية المجاز
قبل إزالة السقف غير الملائم .

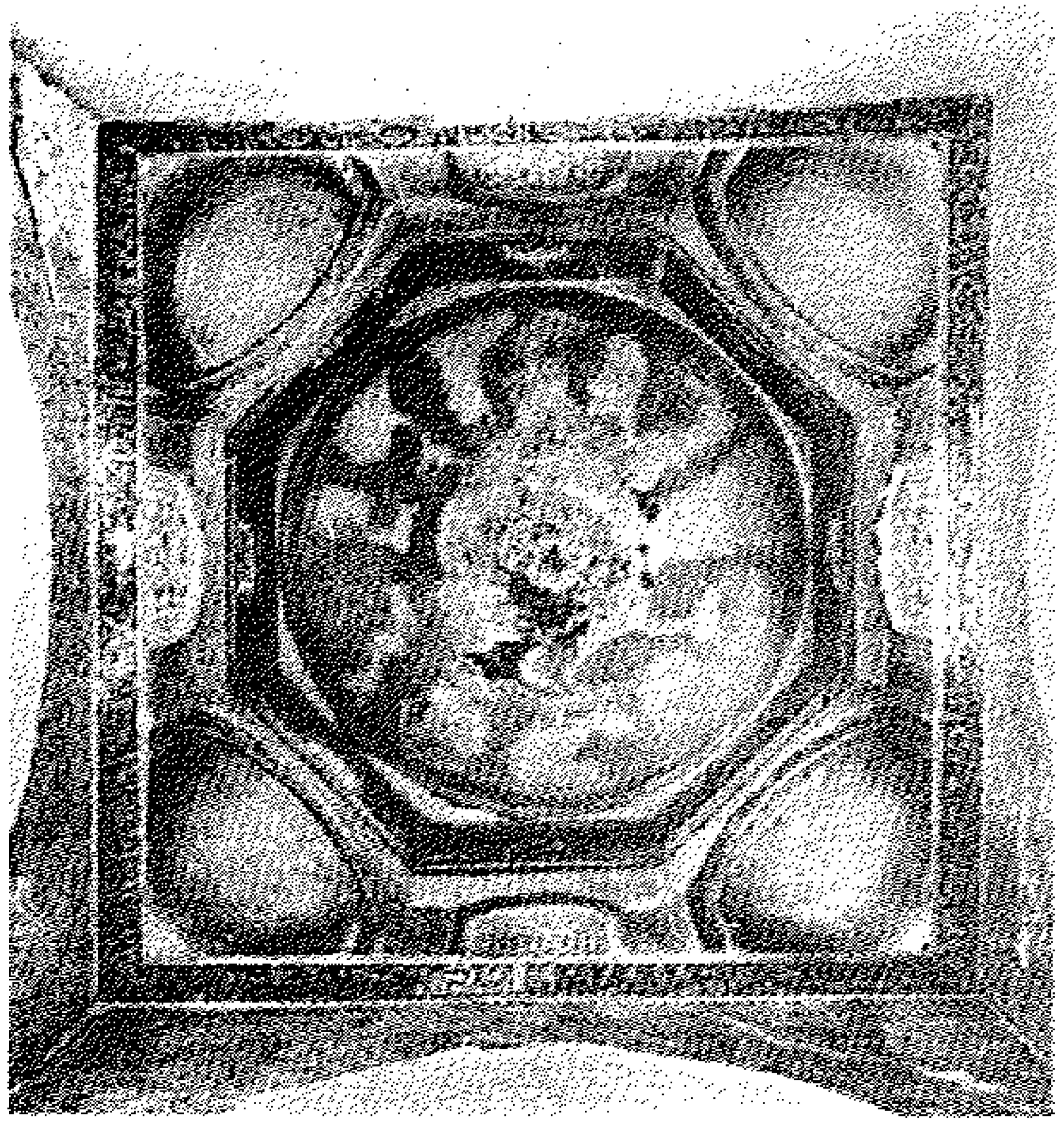

ب - القبة ، الرقبة
ومنطقة الانتقال .

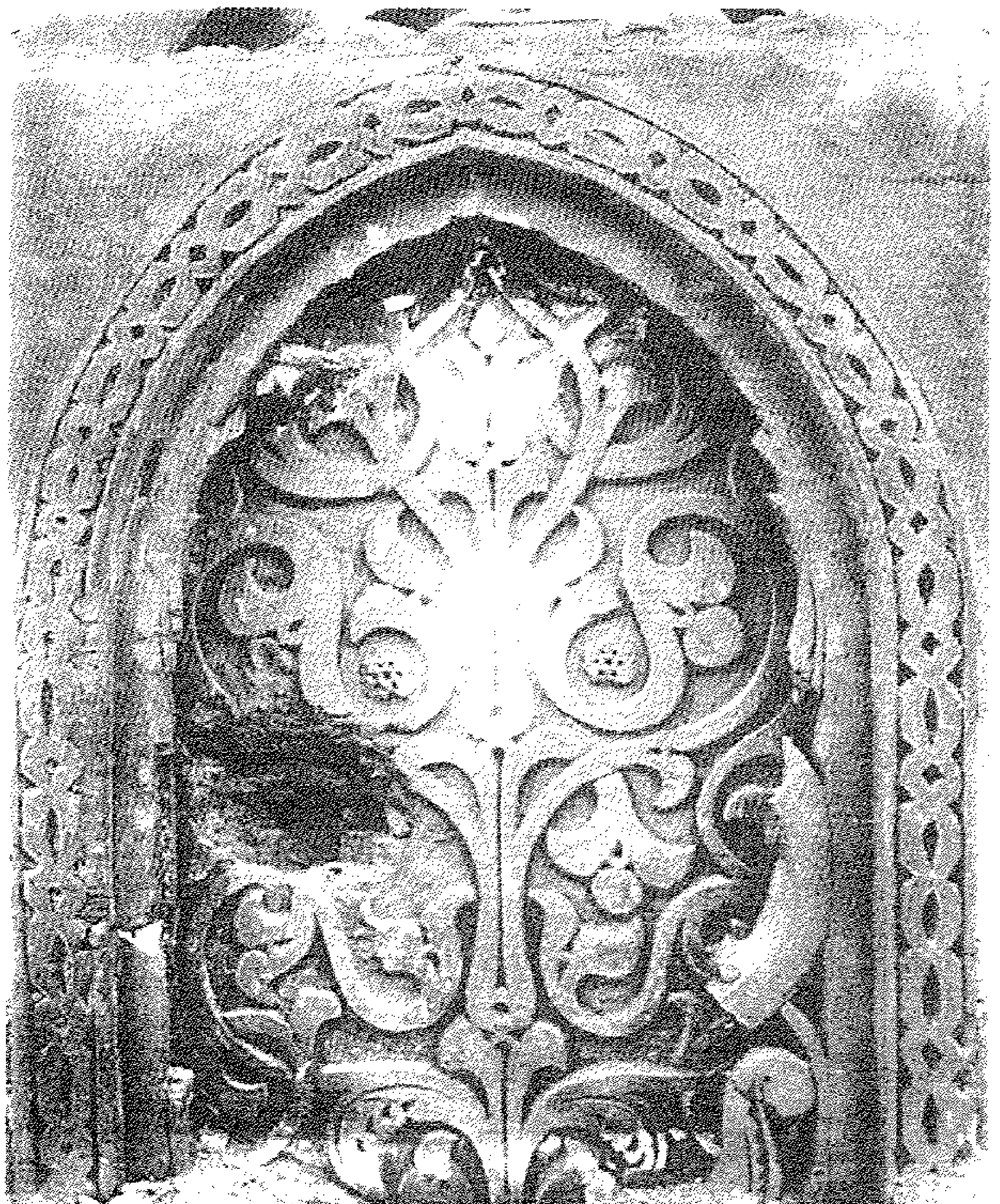

جـ - أساس القبة : الحشوة اليسرى .

(لوحة رقم ٢٢) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/٩٩٠ - ١٠١٣م .

أ - نقش كتابي فوق مدخل سلم المئذنة الشمالية (أنظر د) .

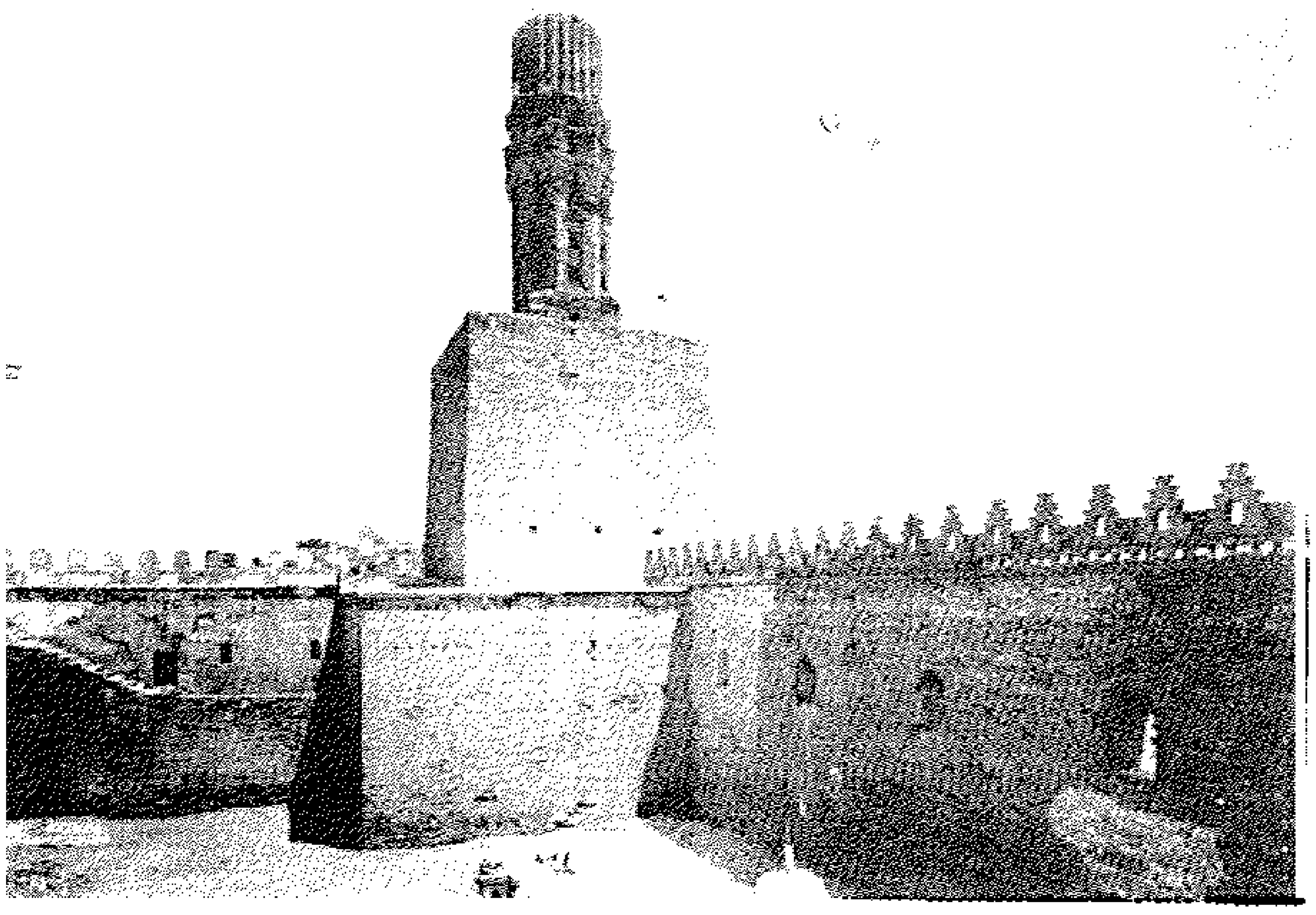

ب - البروز الشمالي والمئذنة من الغرب .

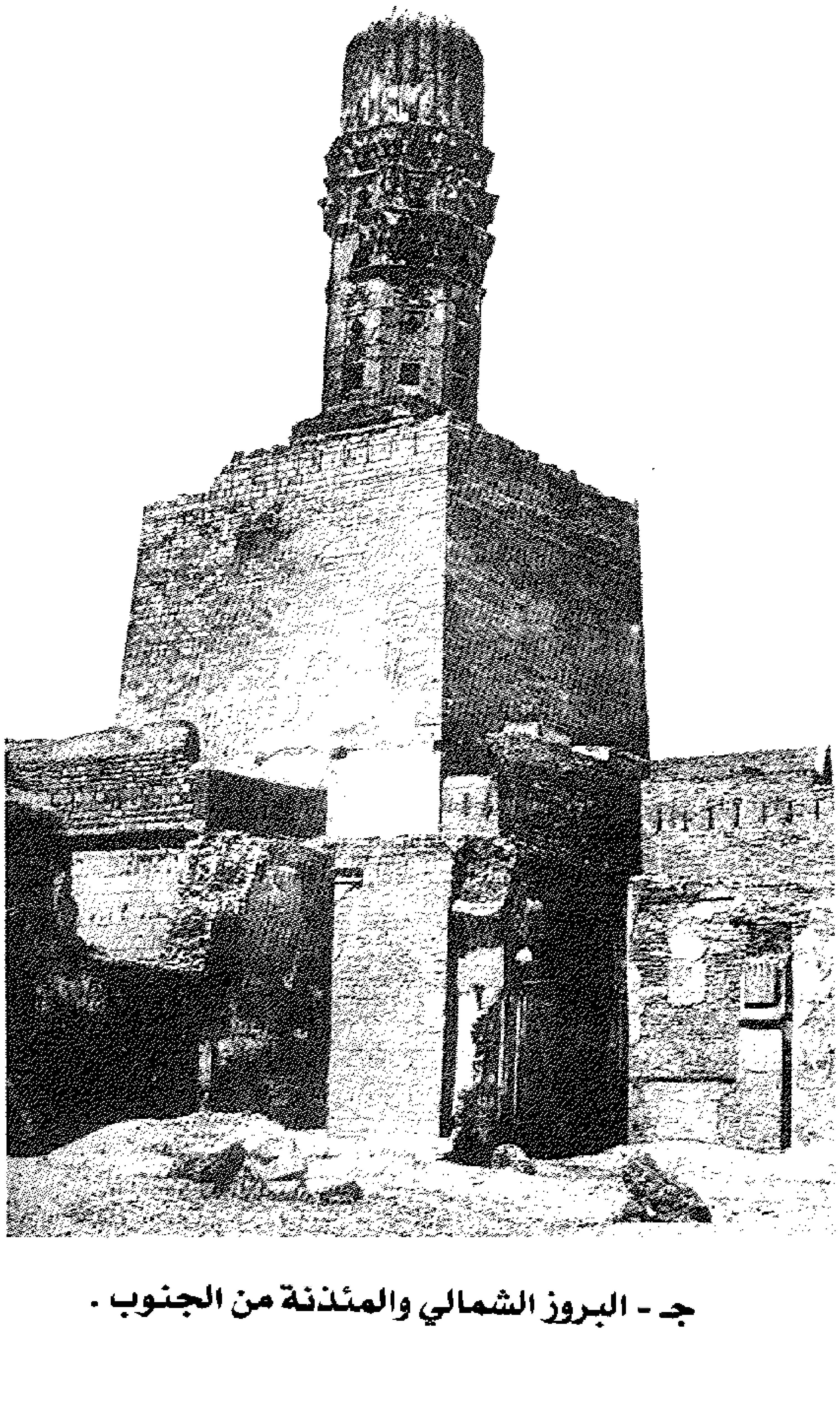

جـ - البروز الشمالي والمئذنة من الجنوب .

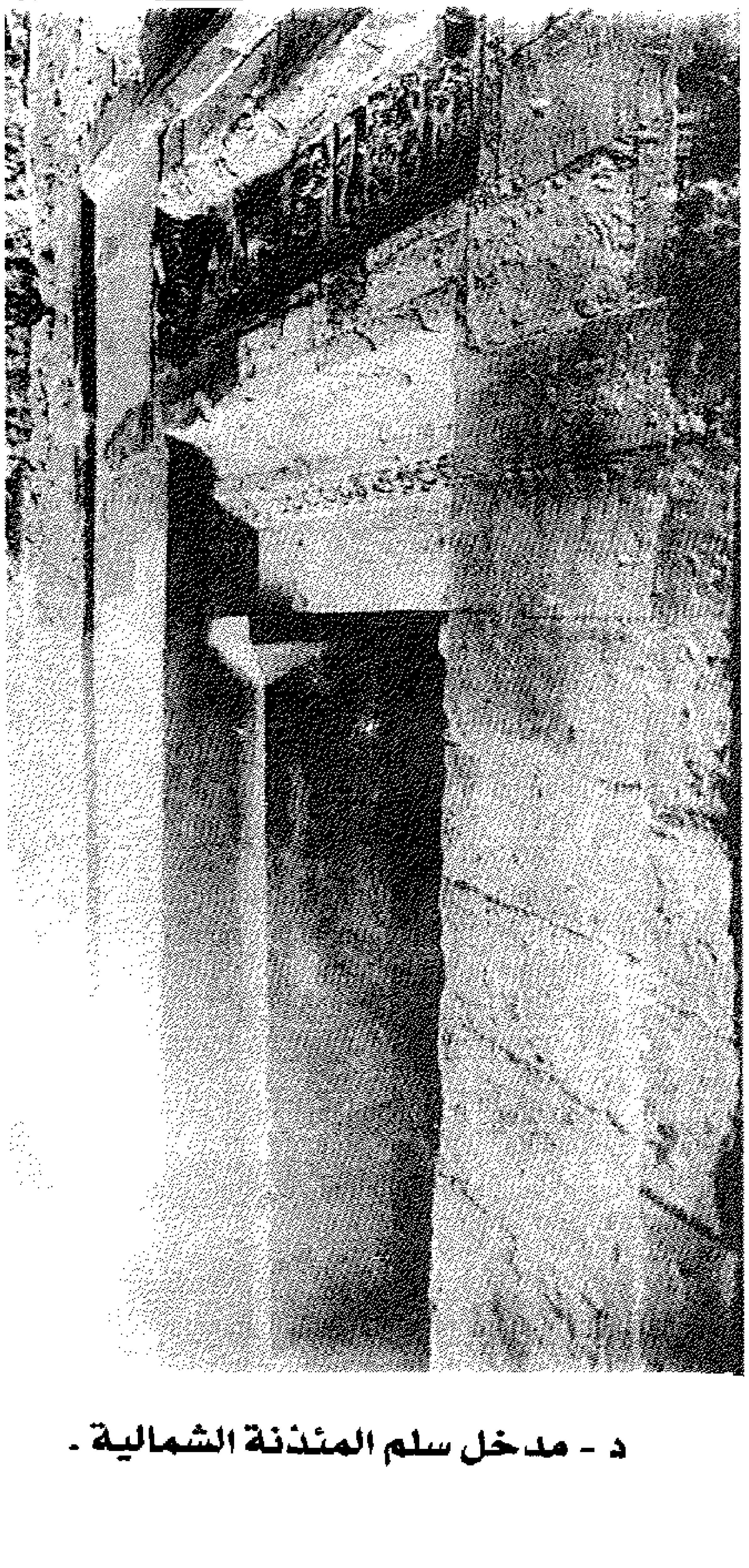

د - مدخل سلم المئذنة الشمالية .

(لوحة رقم ٢٣) جامع الحاكم : ٣٨٠ - ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ - ١٠١٣م .

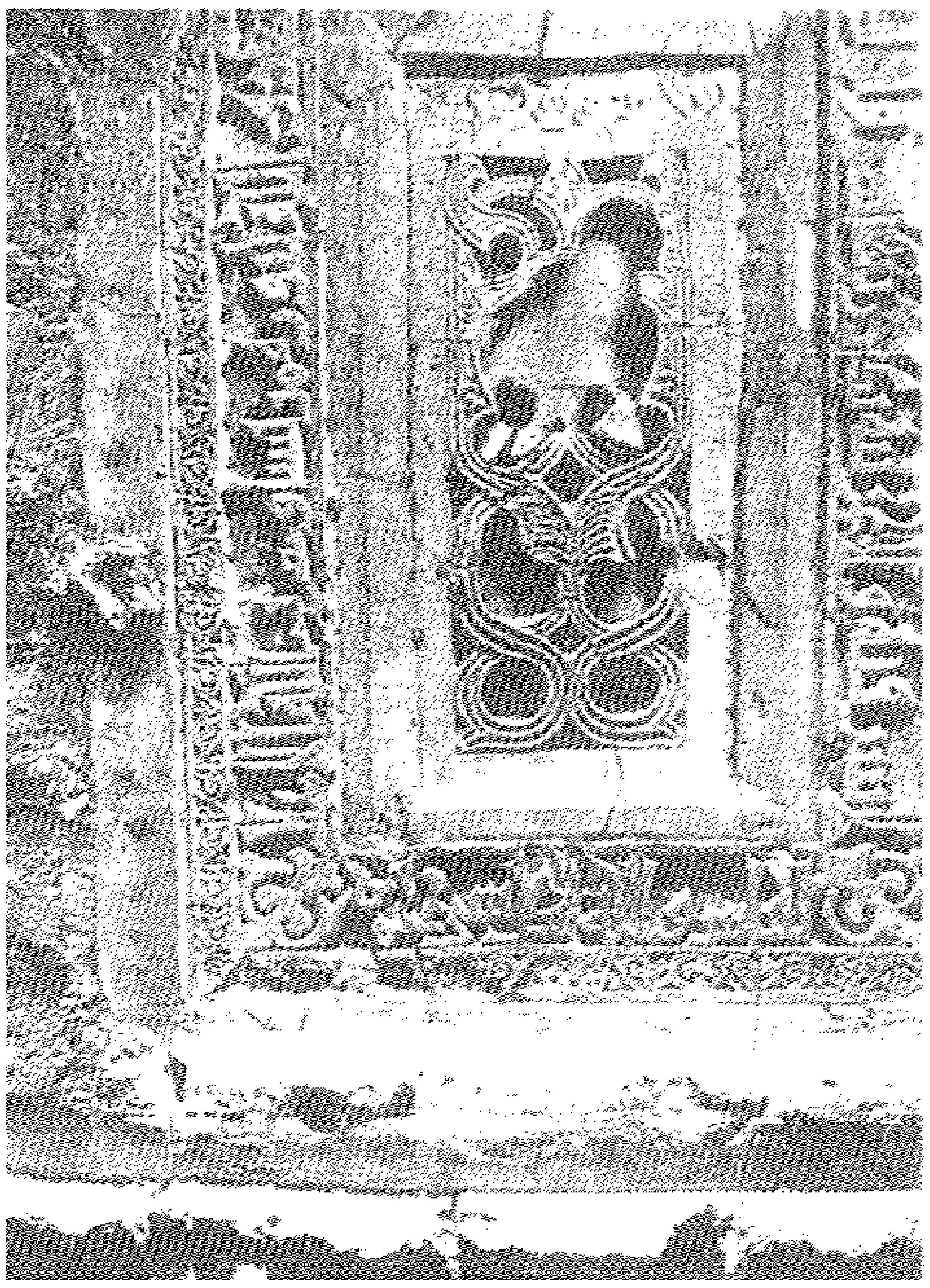

أ - الشريط الثالث ، نافذة تواجه الشمال .

ب - الشريط الثالث ، نافذة تواجه الغرب .

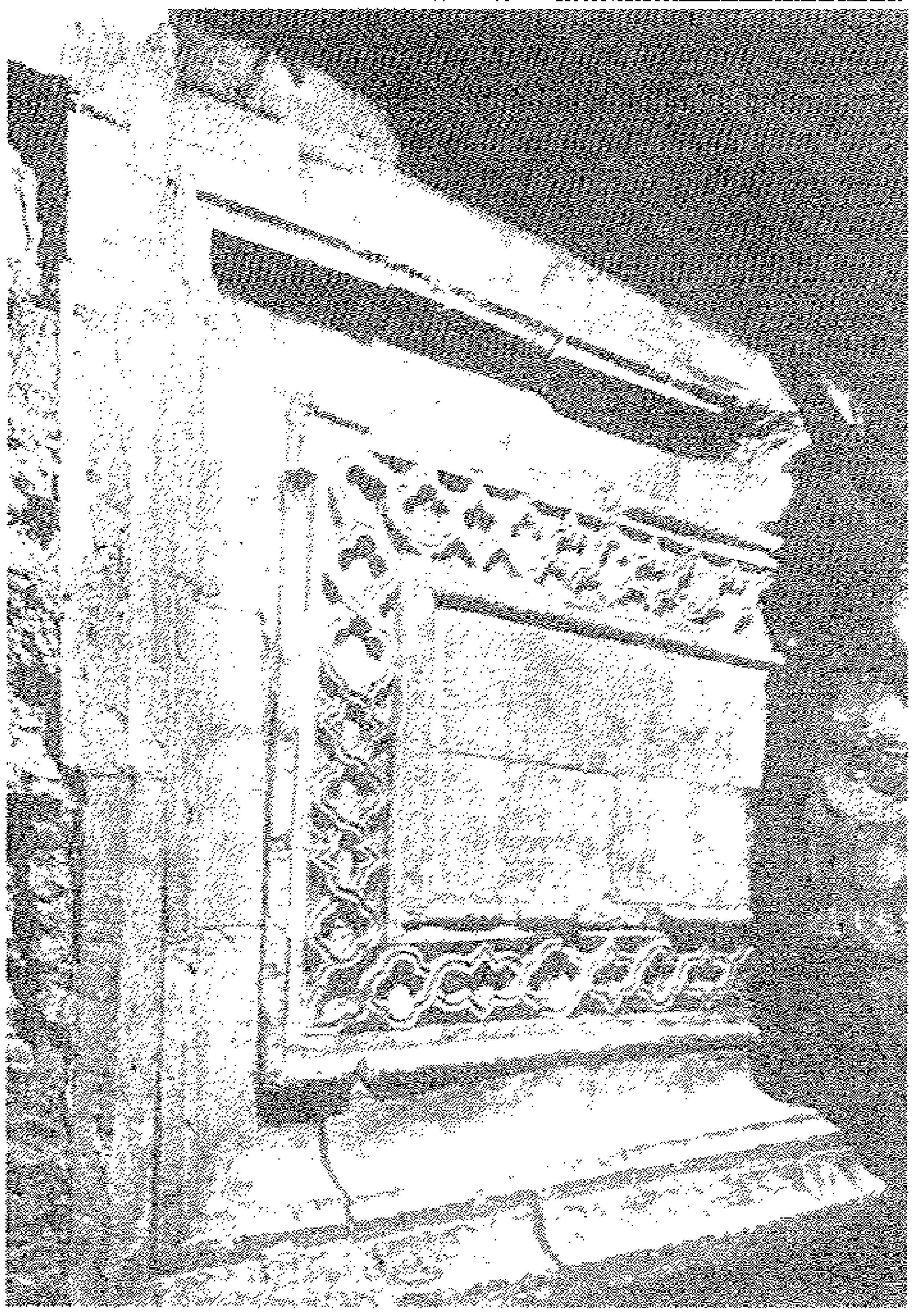

جـ - البروز السفلي : الجانب الجنوبي الشرقي
ويشاهد على اليسار الموضع الذي ينتهي
عنده الحائط الشمالي الشرقي .

د - الشريط الثاني
جامة في الجانب الشمالي الشرقي .

(لوحة رقم ٢٤) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

أ - الشريط السابع نافذة تواجه الشرق .

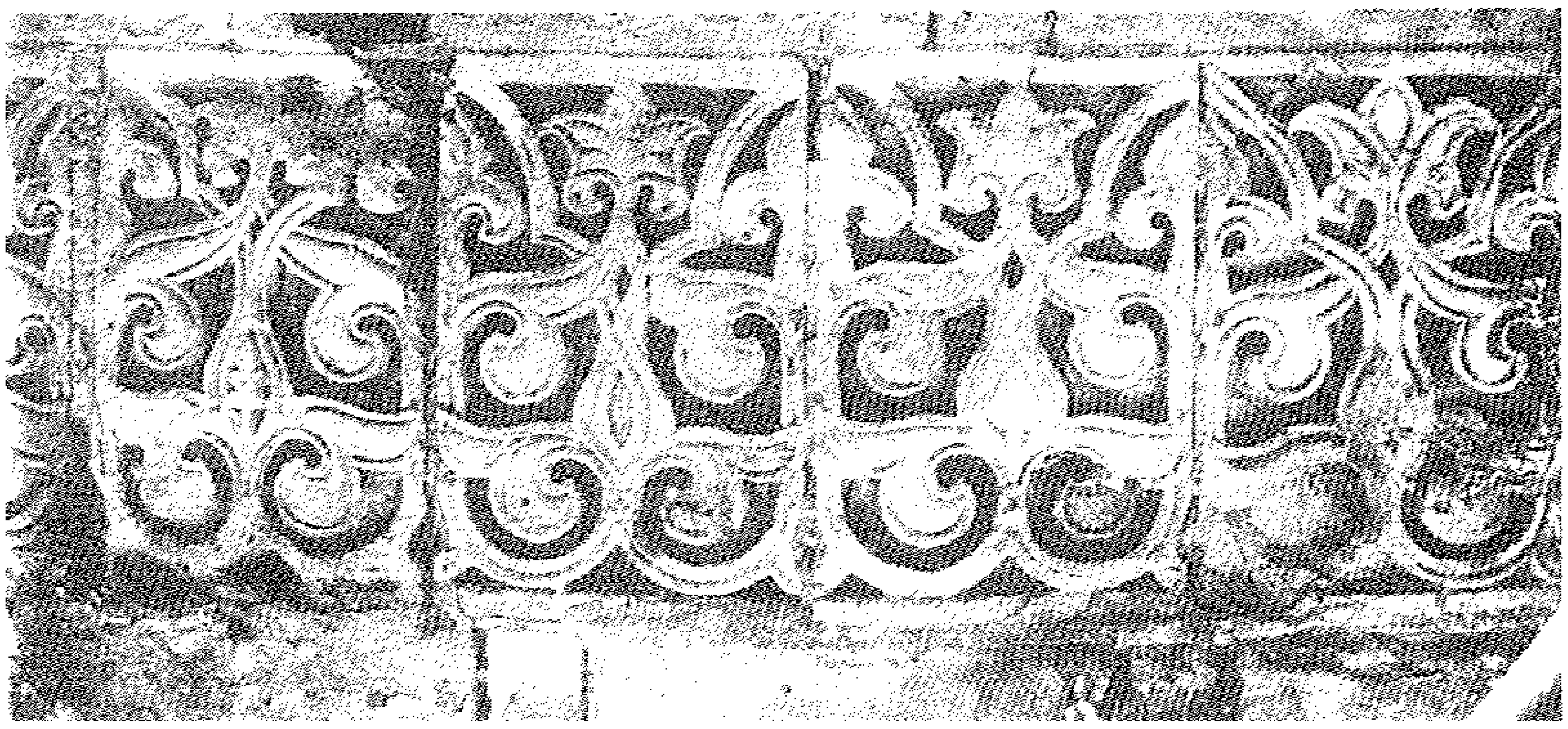

ب - الشريط السادس (فلورى) .

د - الشريط الرابع .

جـ - الشريط الرابع
يظهر جزء من تاريخ (فلوري) .

(لوحة رقم ٢٥) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

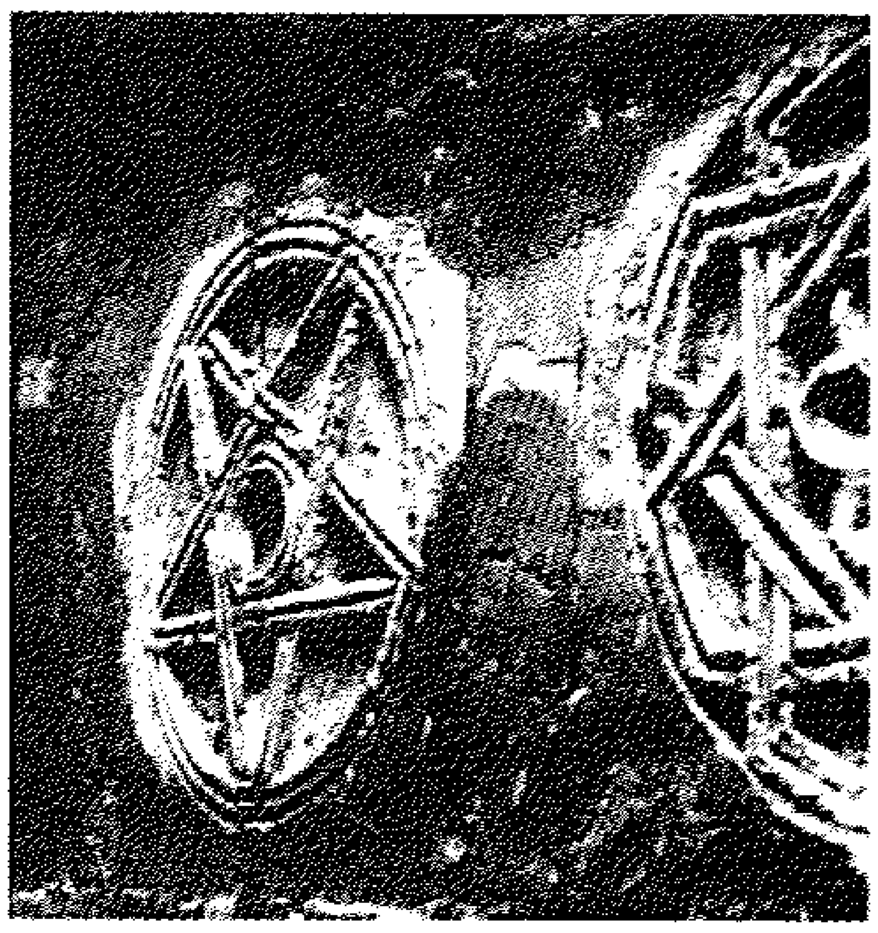

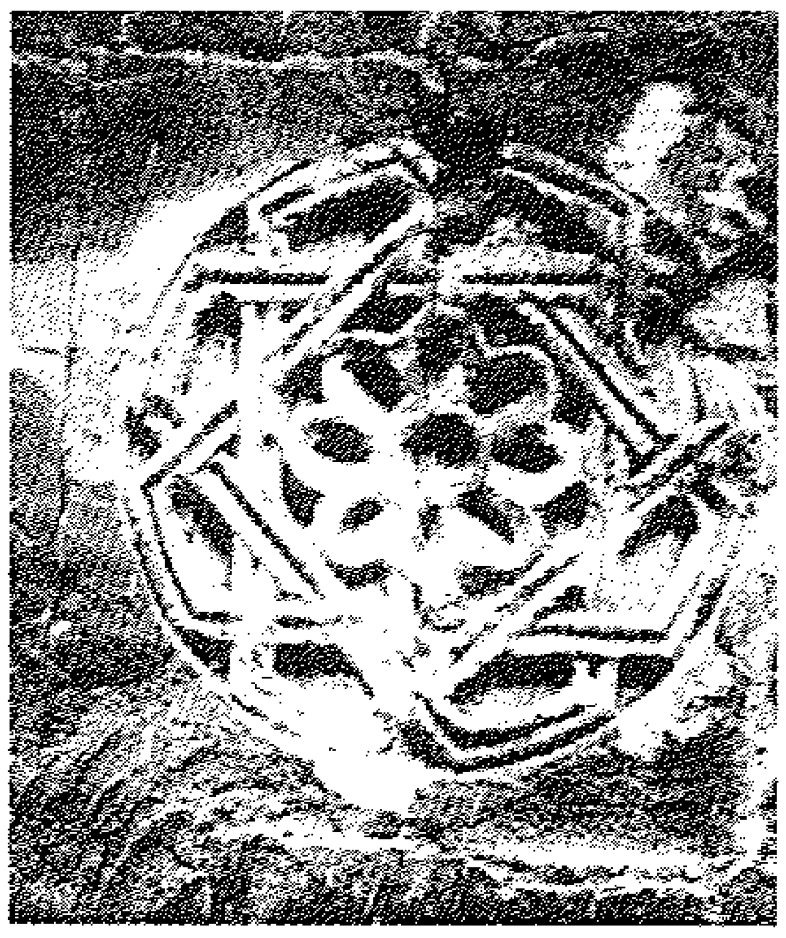

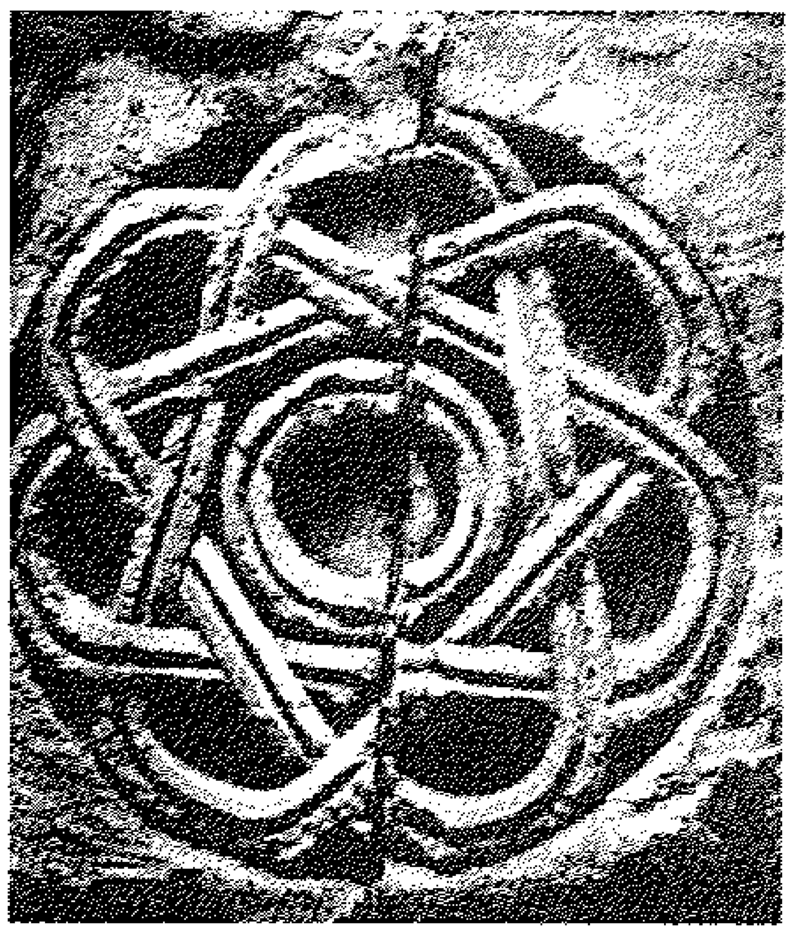

أ . ب . جـ - جامات في الشريط الثامن .

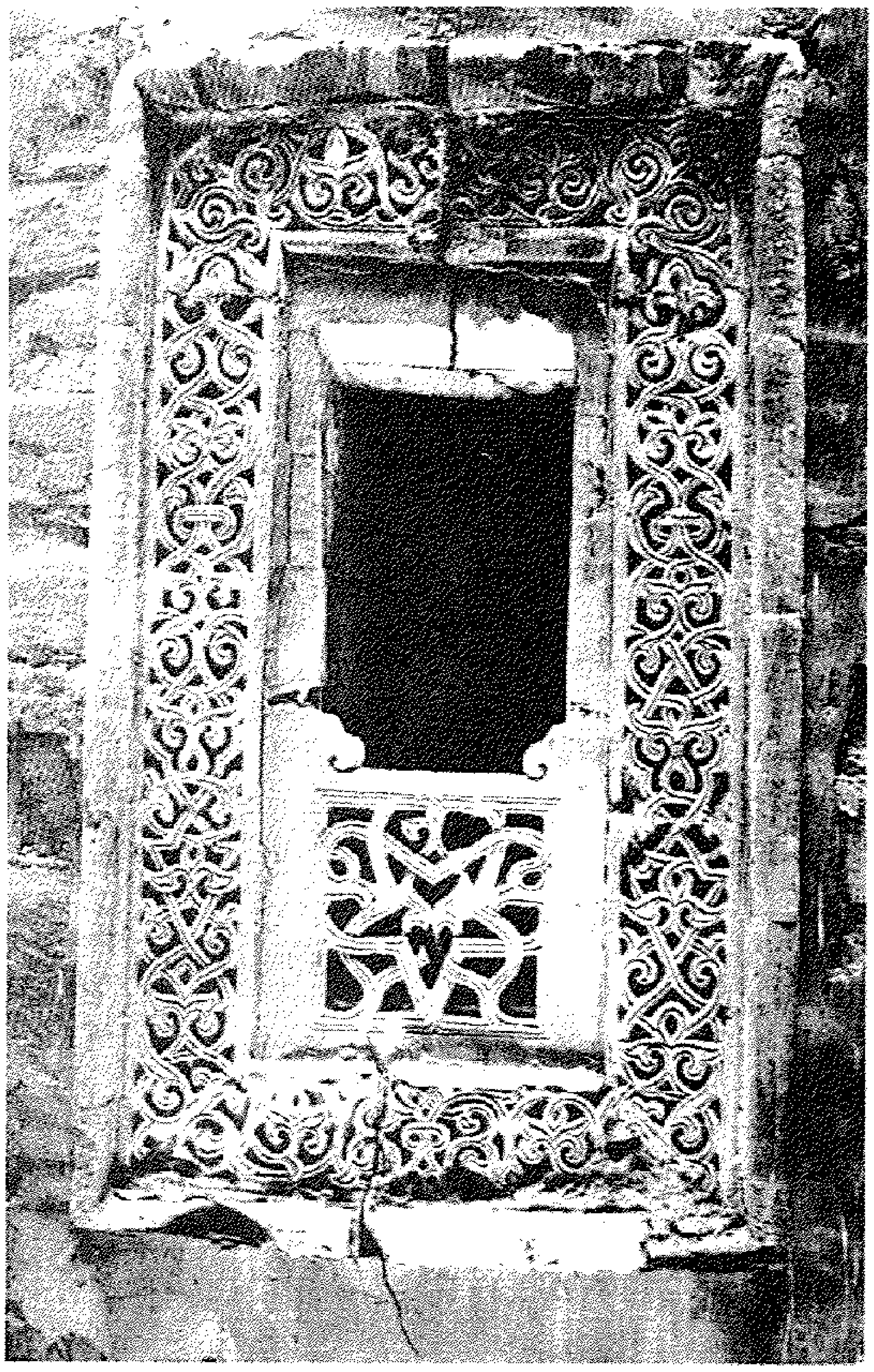

د - الشريط السابع ، نافذة تواجه الشمال .

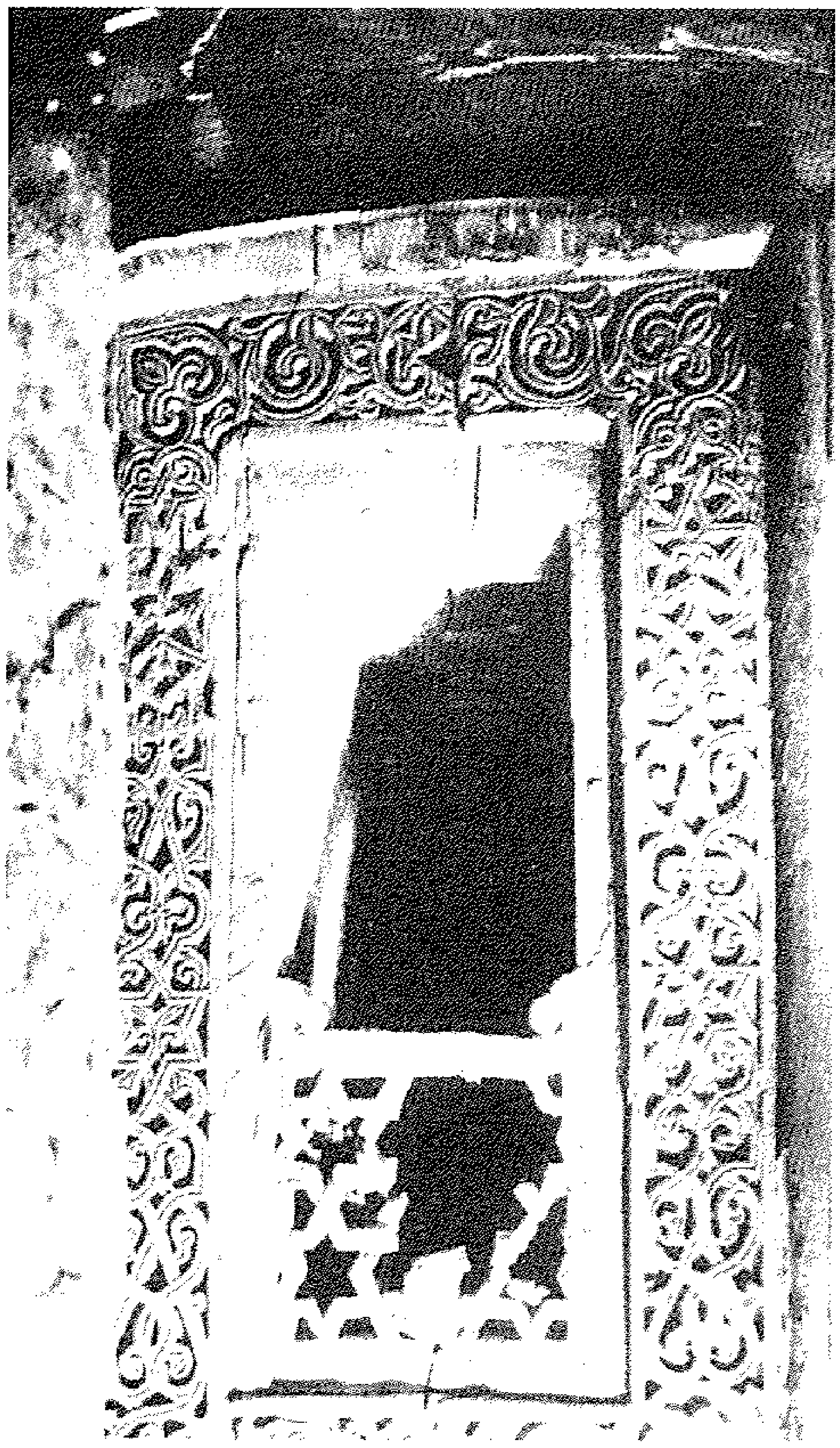

هـ - الشريط السابع ، نافذة تواجه الغرب .

(لوحة رقم ٢٦) جامع الحاكم : المئذنة الشمالية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

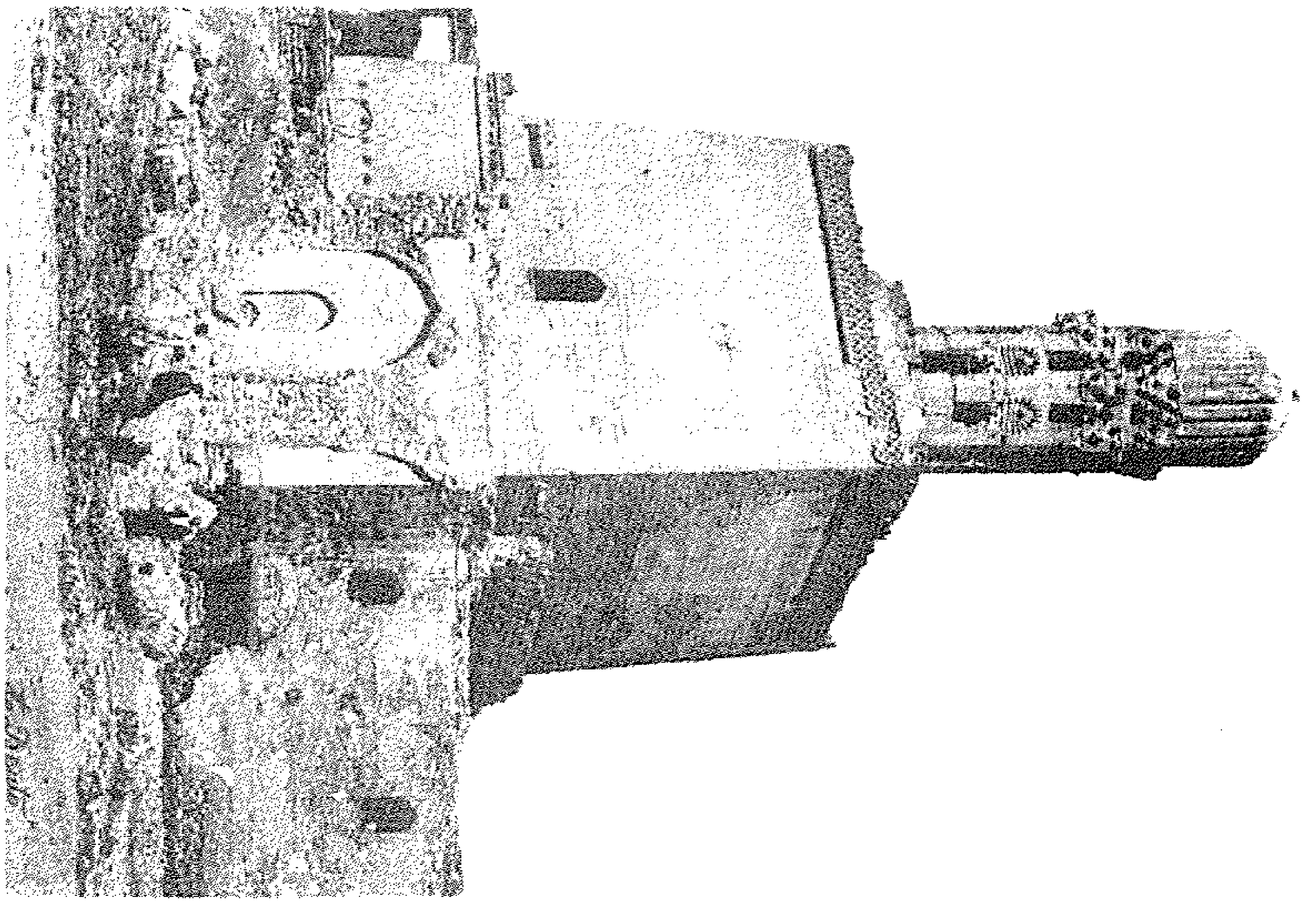

أ - البروز الغربي والمئذنة من الشرق .

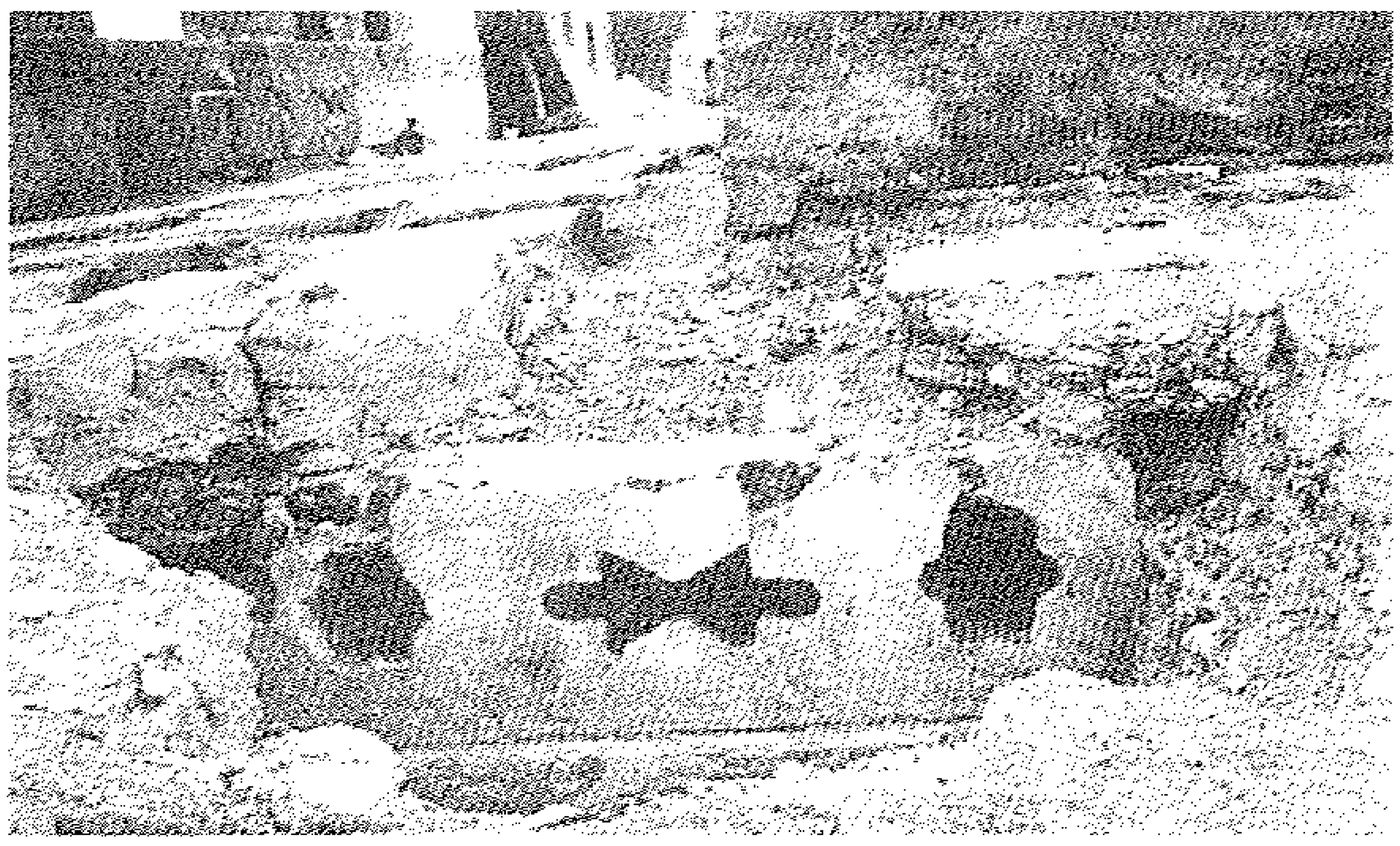

ب - البروز الشمالي ، بقايا شرافة أسفل قمة غلاف بدر الجمالي .

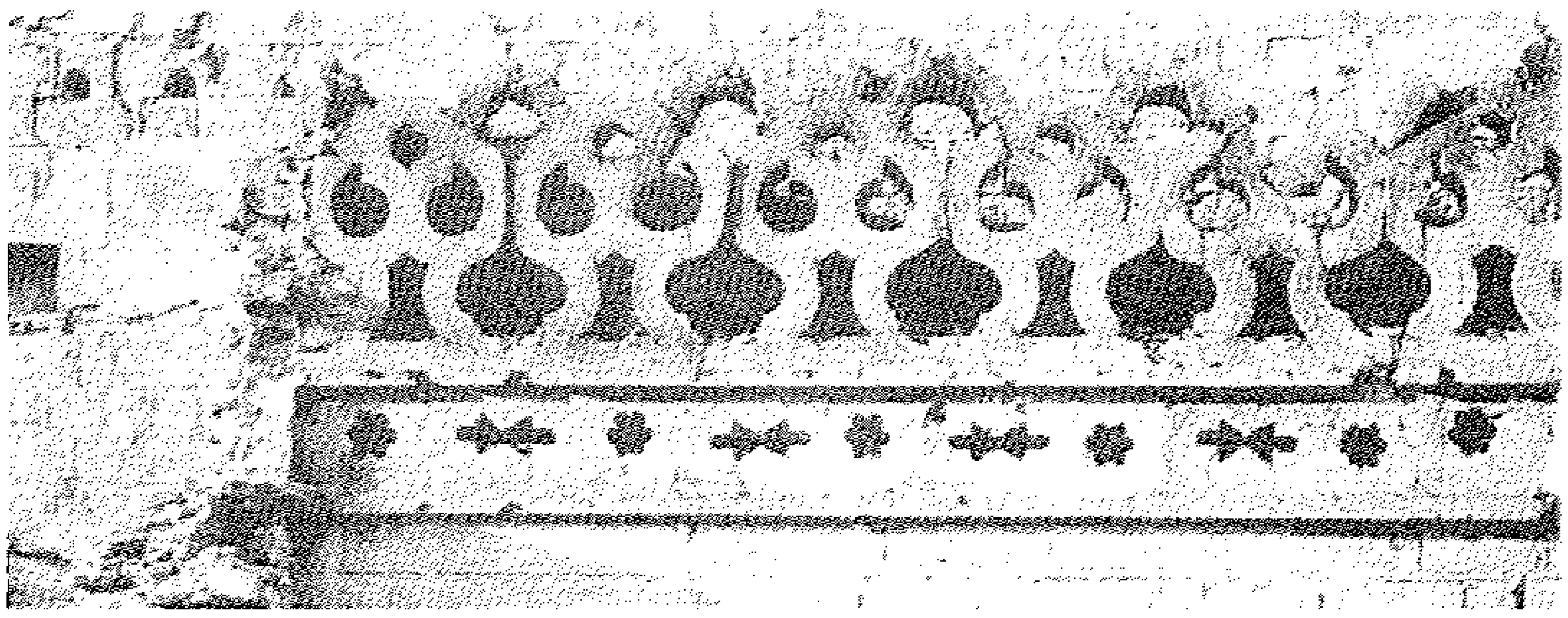

جـ - البروز الغربي ، بقايا شرافات .

د - البروز الغربي ، نقش كتابي كوفي .

(لوحة رقم ٢٧) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

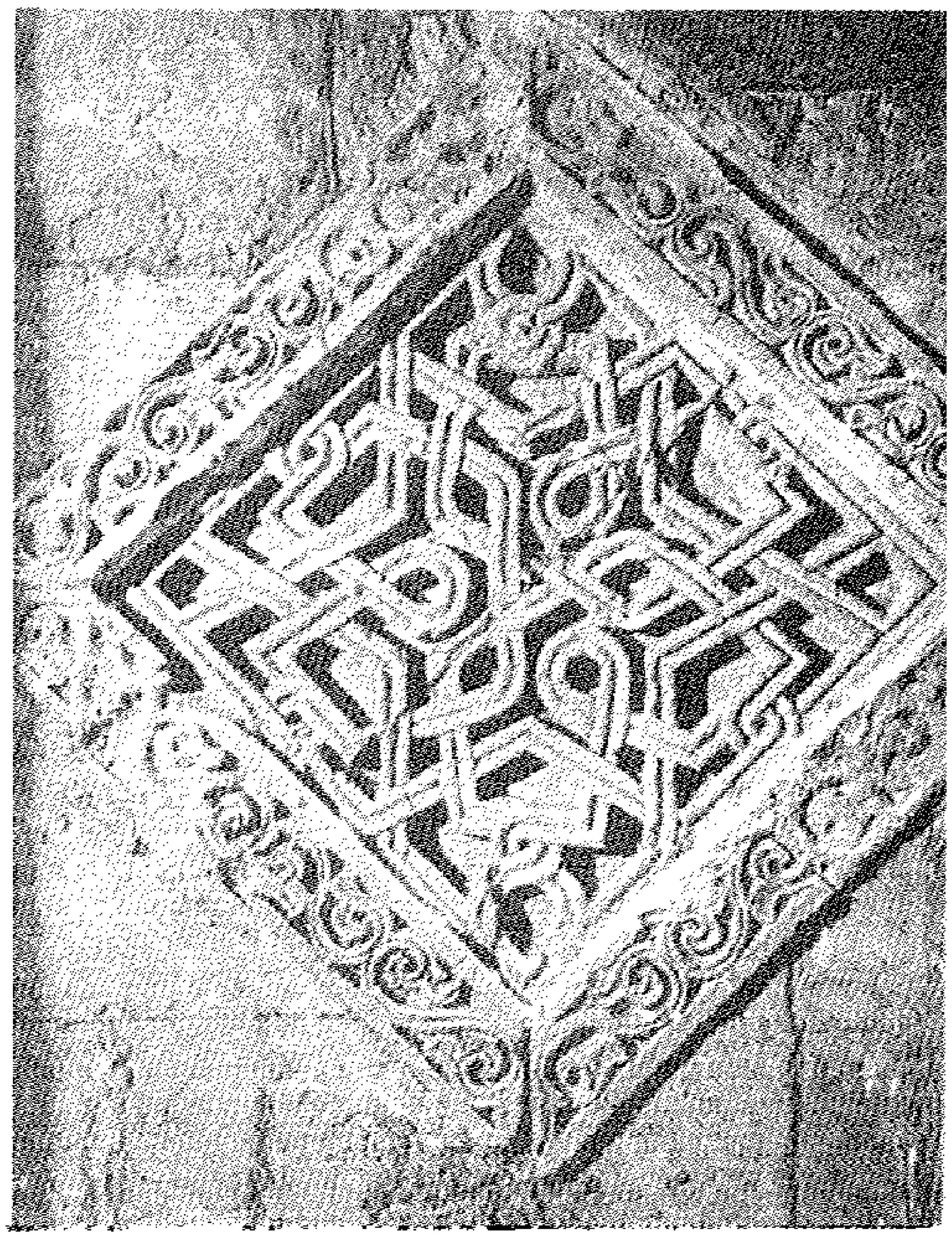

أ - الشريط السادس ، زخرفة إلى اليسار .

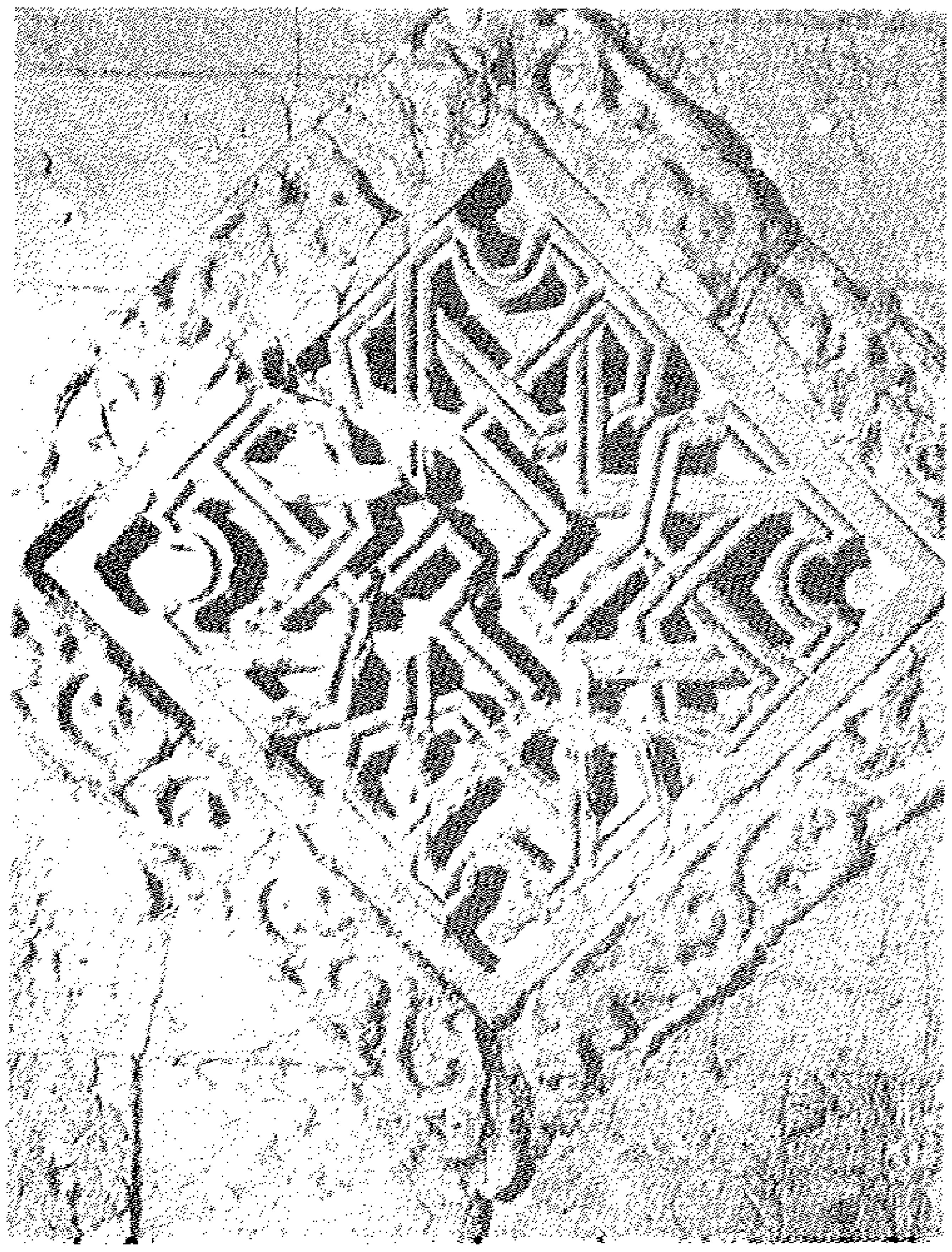

ب - الشريط السادس ، زخرفة إلى اليمين .

جـ - زخرفة الشريط الثاني والثالث .

(لوحة رقم ٢٨) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

أ - الحلية الثامنة والشريط الأول
من النقش الكتابي .

ب - زخرفة في الجانب
الجنوبي الشرقي استمرار لـ أ .

جـ - نافذة في الجانب الشمالي الغربي
بين الحليتين السادسة والسابعة .

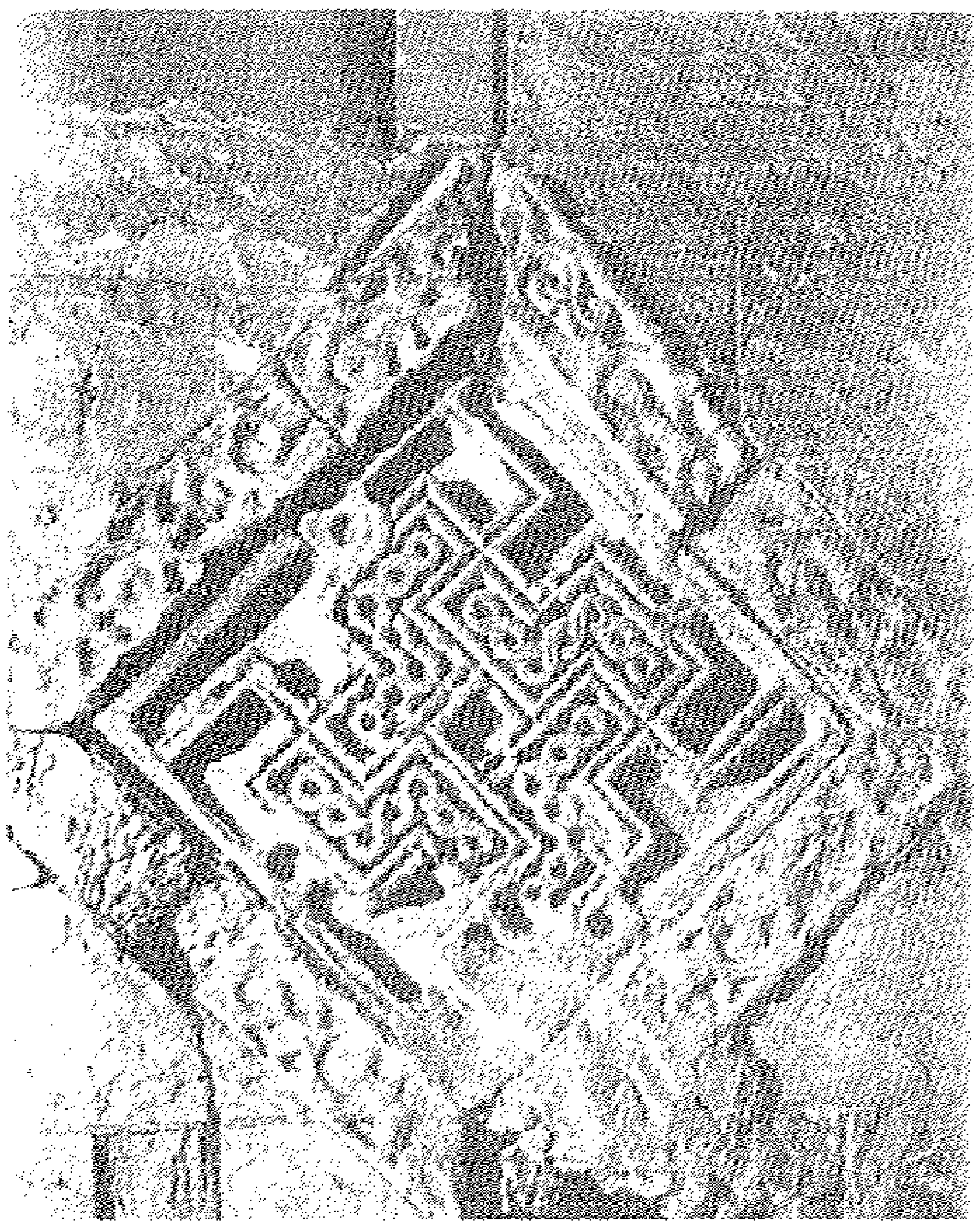

د - زخرفة في الجانب الشمالي الغربي
بين الحليتين الخامسة والسادسة .

(لوحة رقم ٢٩) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

أ - الجانب الشمالي الغربي بين الحليتين التاسعة والحادية عشرة .

ب - نقش كتابي بين الحليتين العاشرة والحادية عشرة .

جـ - الحلية العاشرة والشريط أسفلها .

(لوحة رقم ٣٠) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

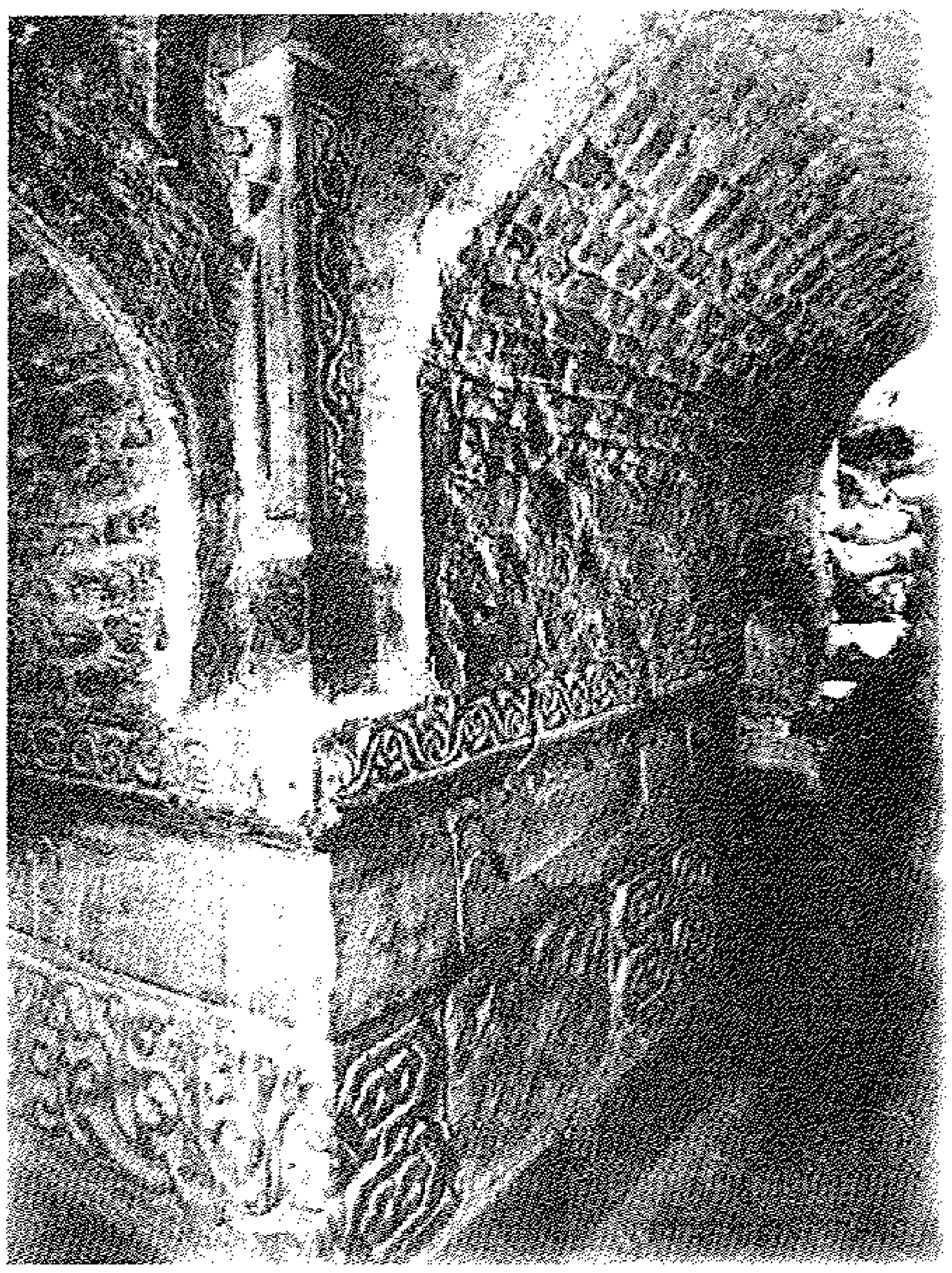

أ - العقود الحاملة للمئذنة
فوق الحلية العاشرة .

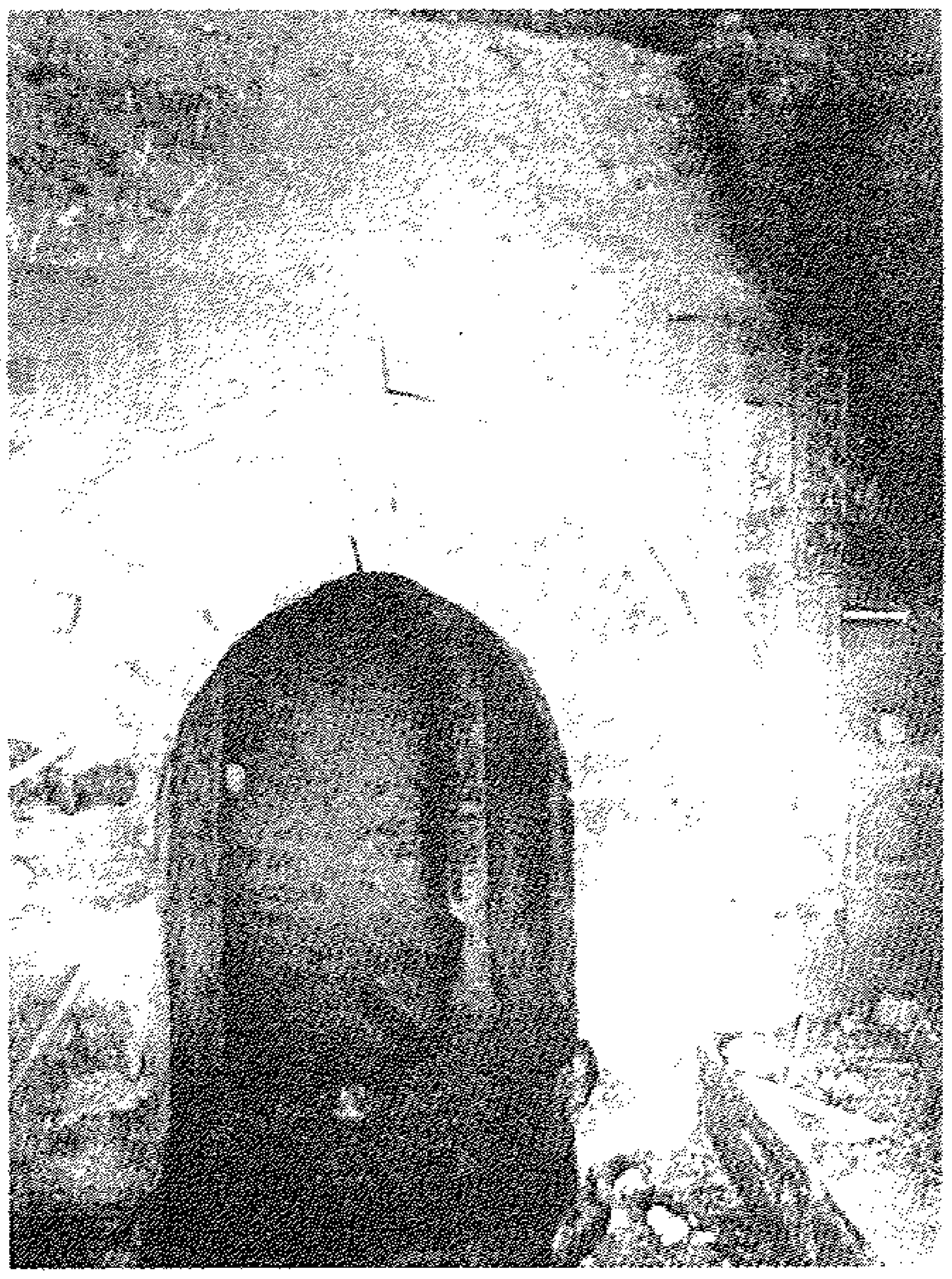

ب - مدخل المصلى ، يوجد باب
السلم في الخلف .

جـ - سقف المصلى الصغير .

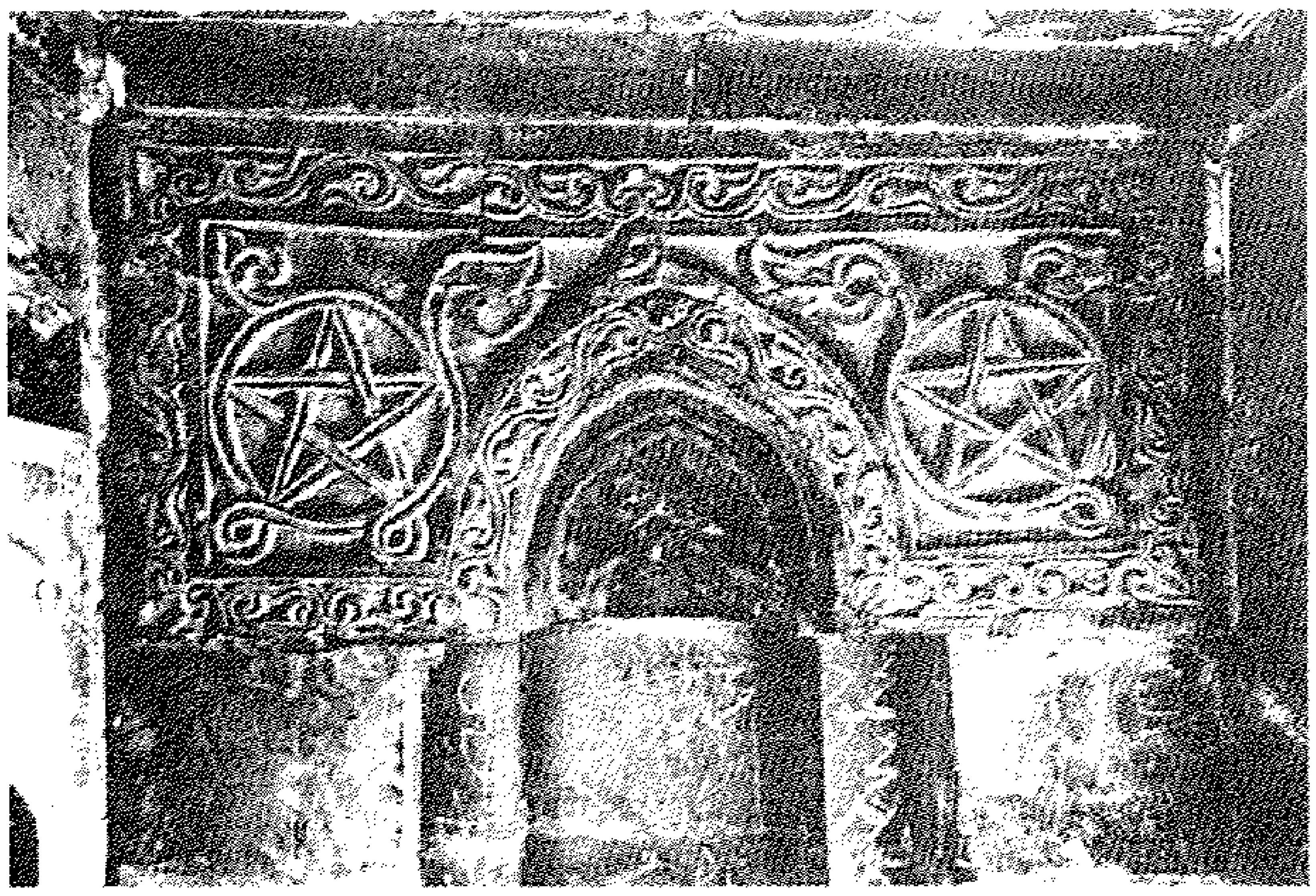

د - الجانب الشمالي الشرقي للمصلى الصغير .

(لوحة رقم ٣١) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

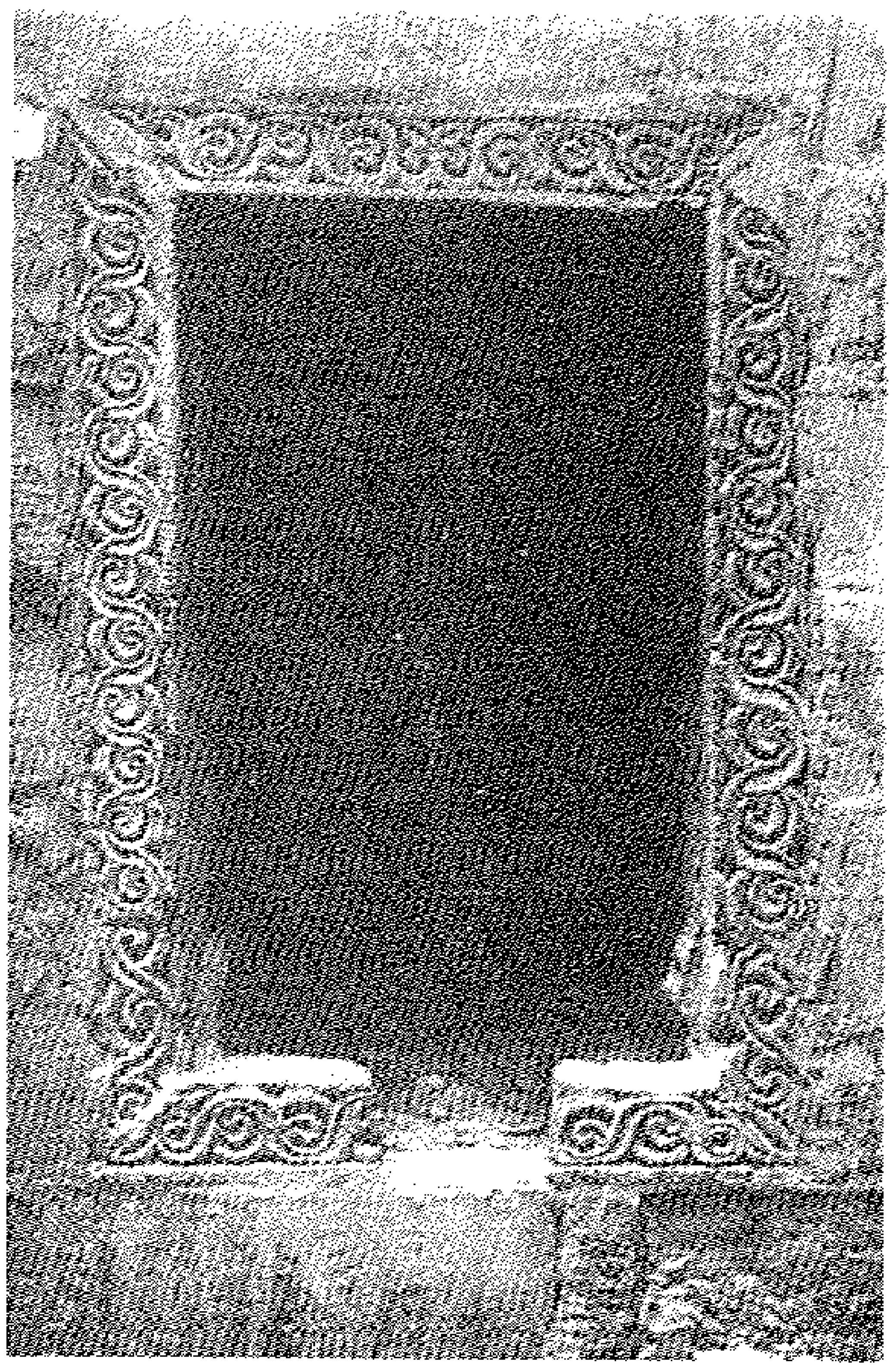

أ - نافذة في الجانب الشمالي الشرقي من الطابق المثمن الثاني .

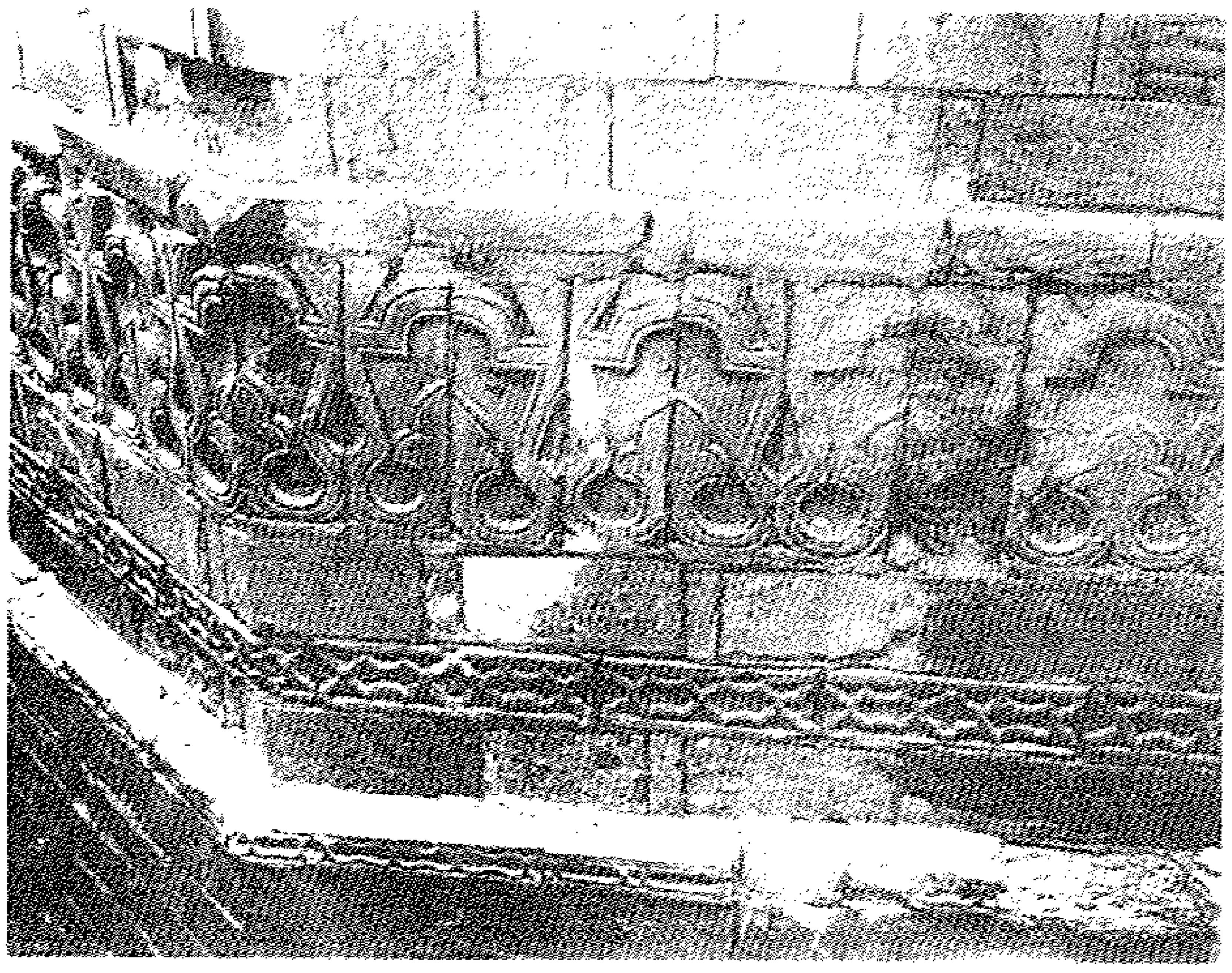

ب - زخرفة في الطابق المثمن الرابع .

جـ - بقايا شرافة في قمة الجزء المربع .

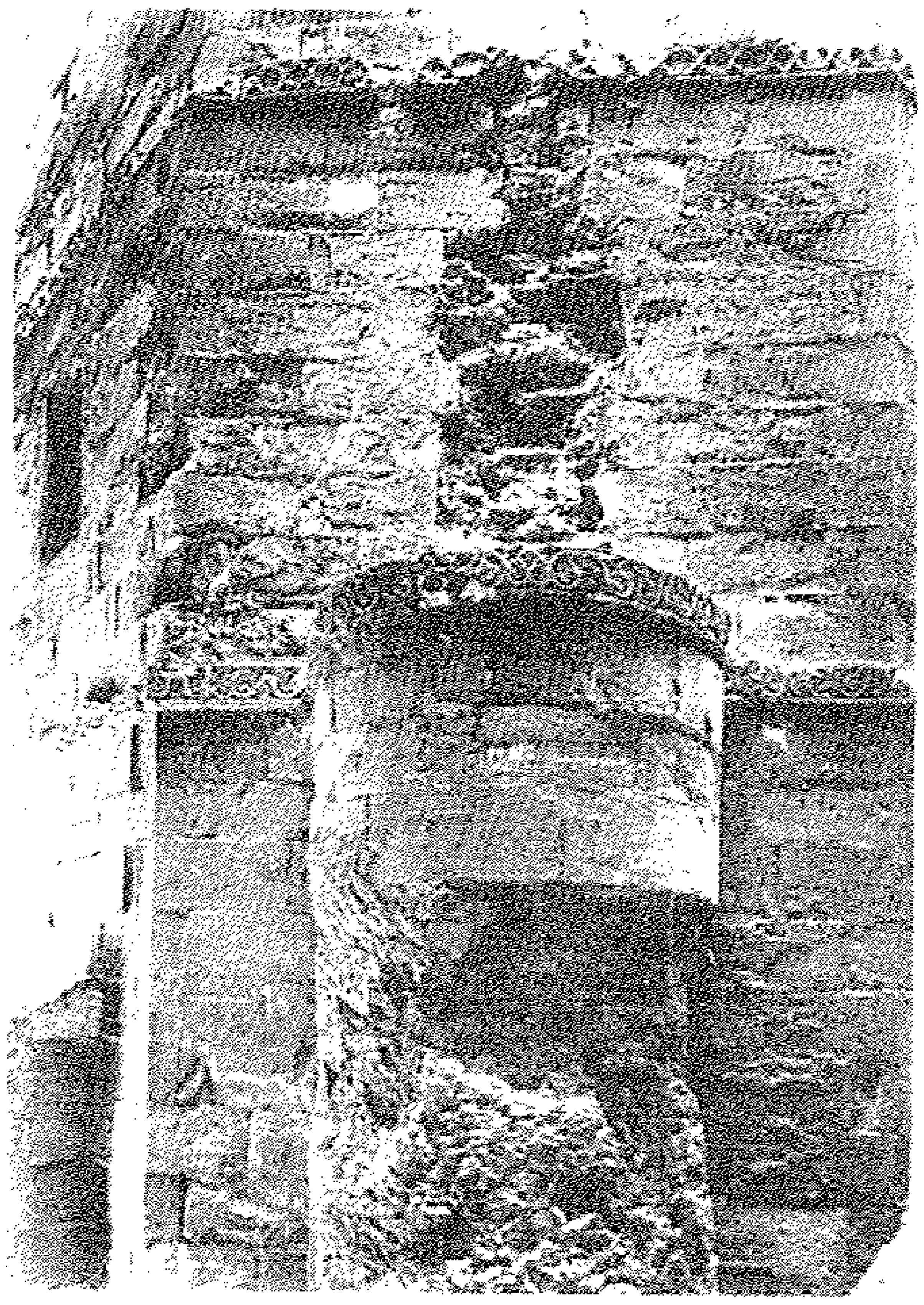

د - الطابق المثمن الأول . ذو الدعامات نصف الدائرة . والطابق المثمن الثاني .

(لوحة رقم ٣٢) جامع الحاكم : المئذنة الغربية ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

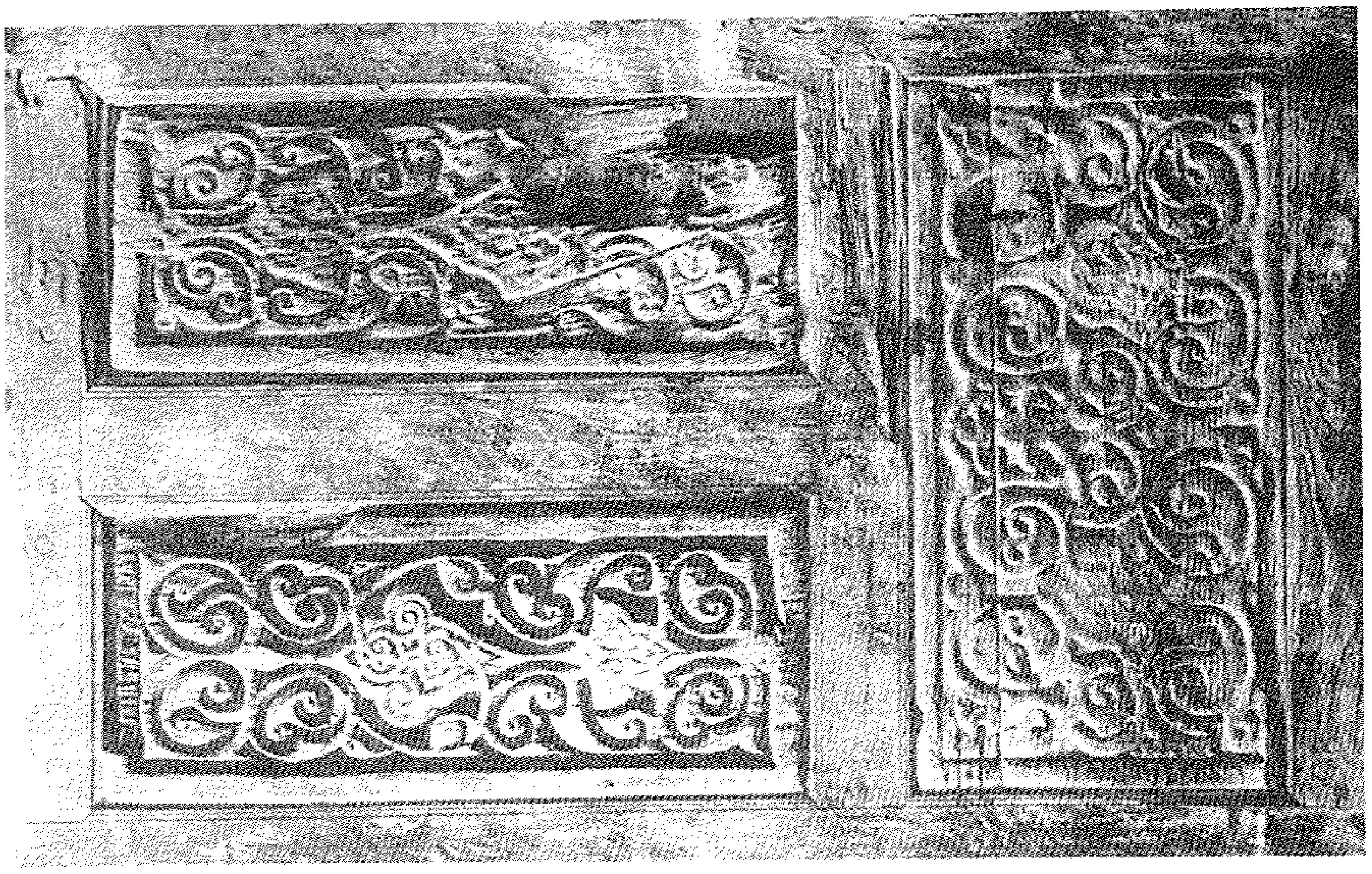

ب - تفصيل للجزء الأسفل، مقاس الحشوات الرأسية ٧٨×٢٦سم والحشوات الأفقية ٧٠×٣٦سم.

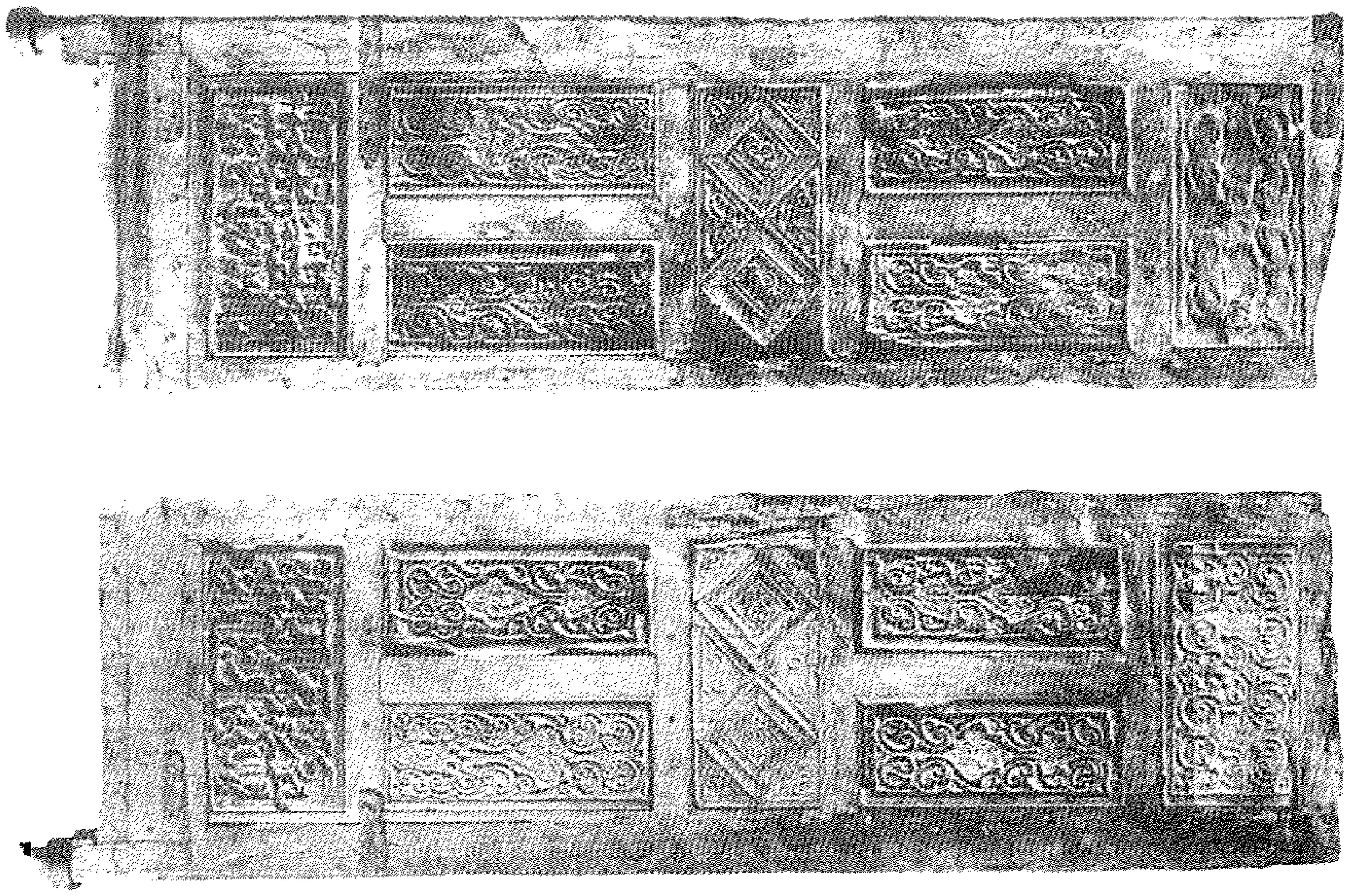

أ - الارتفاع ٢٩ر٣م، عرض كل فردة باب ١٠ر١م.

(لوحة رقم ٣٣) جامع الأزهر : باب الحاكم ٤٠٠هـ/١٠١٠م (متحف الفن الإسلامي).

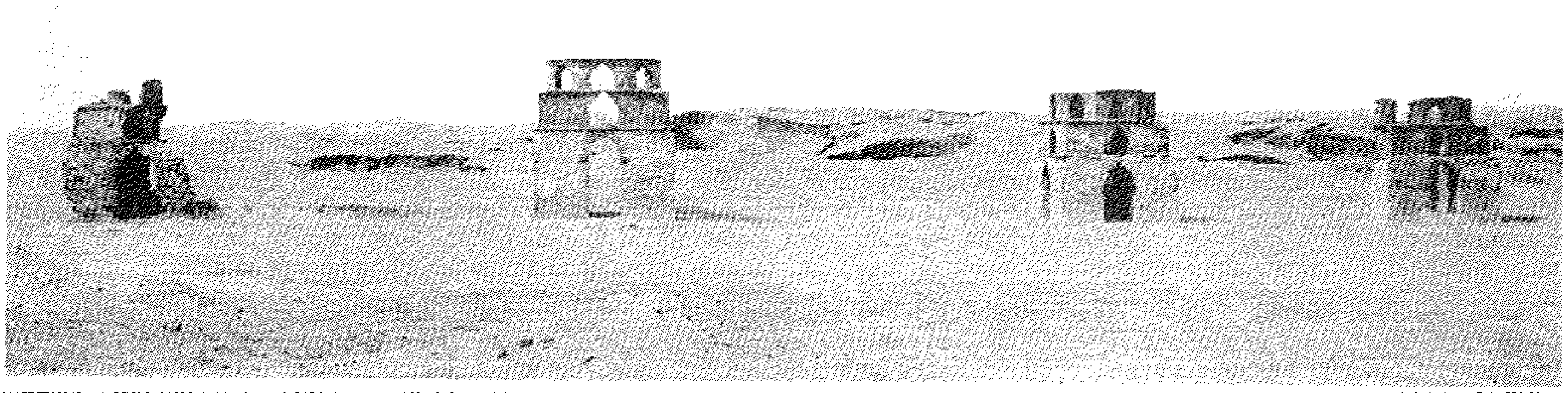

أ - منظر عام من الجنوب الشرقي .

ب - الضريح الأول من الشرق .

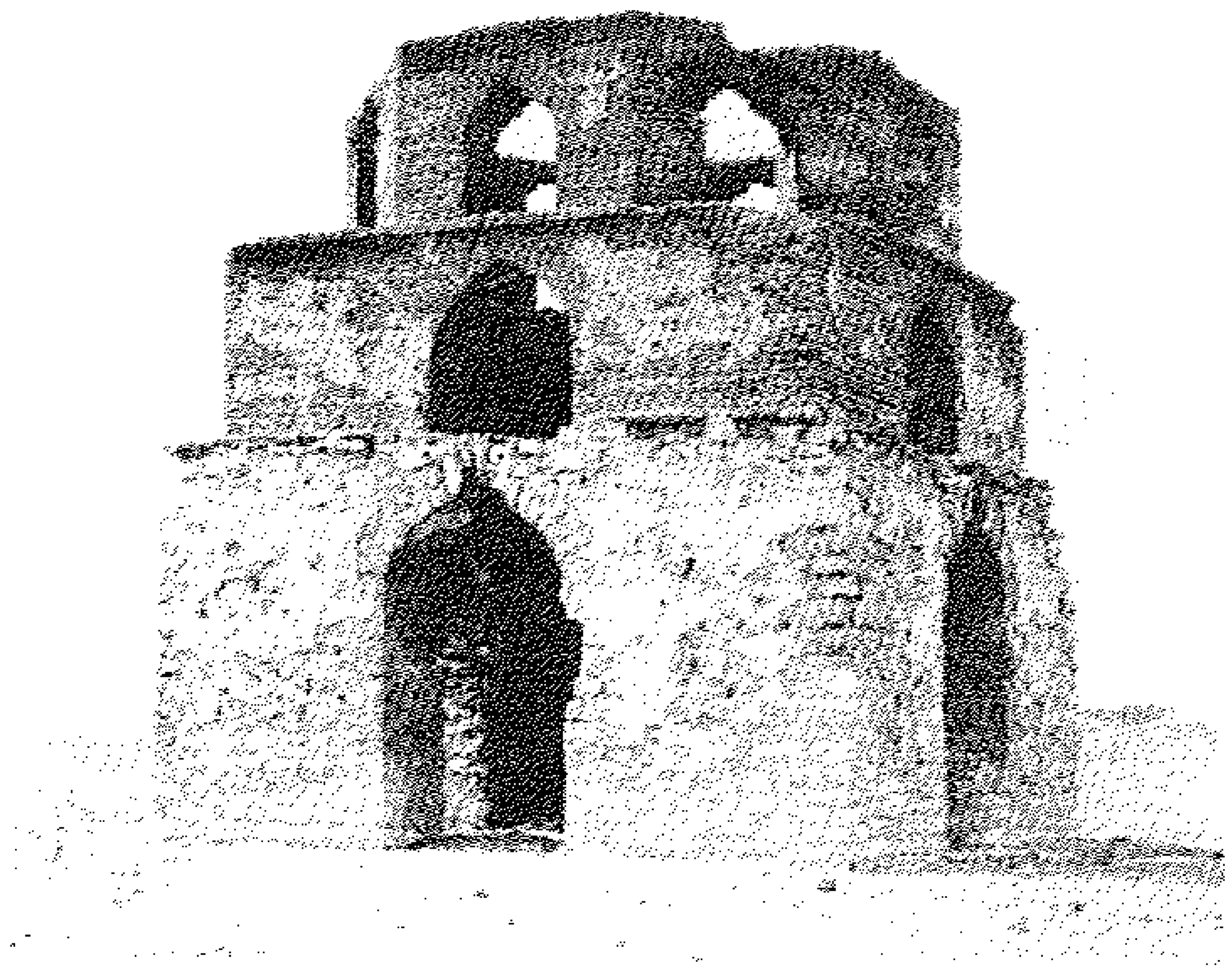

جـ - الضريح الثاني من الشرق .

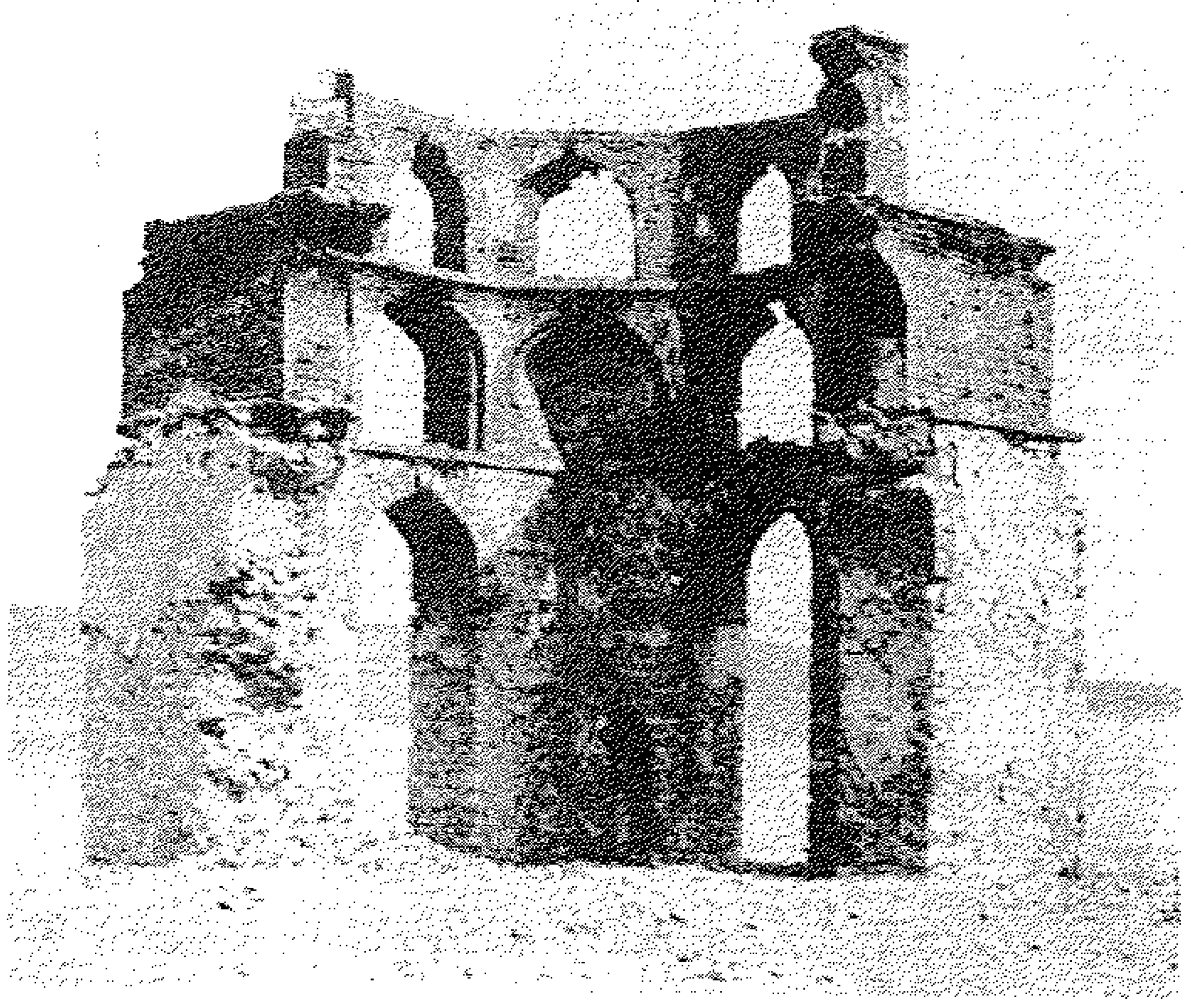

د - الضريح الثالث من الشرق .

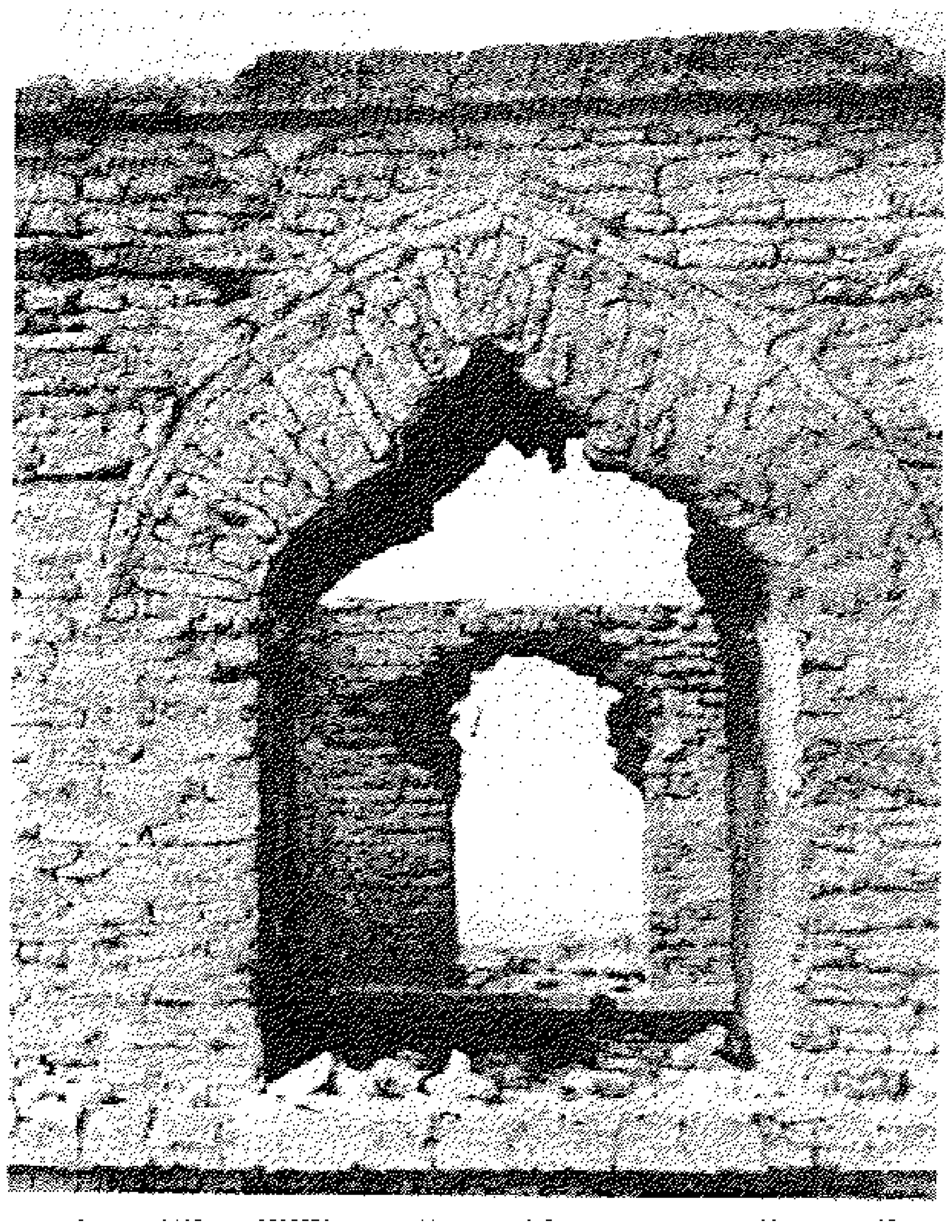

هـ - الضريح الثاني من الشرق ،
نافذة في الرقبة .

(لوحة رقم ٣٤) السبع بنات : ٤٠٠هـ/١٠١٠م .

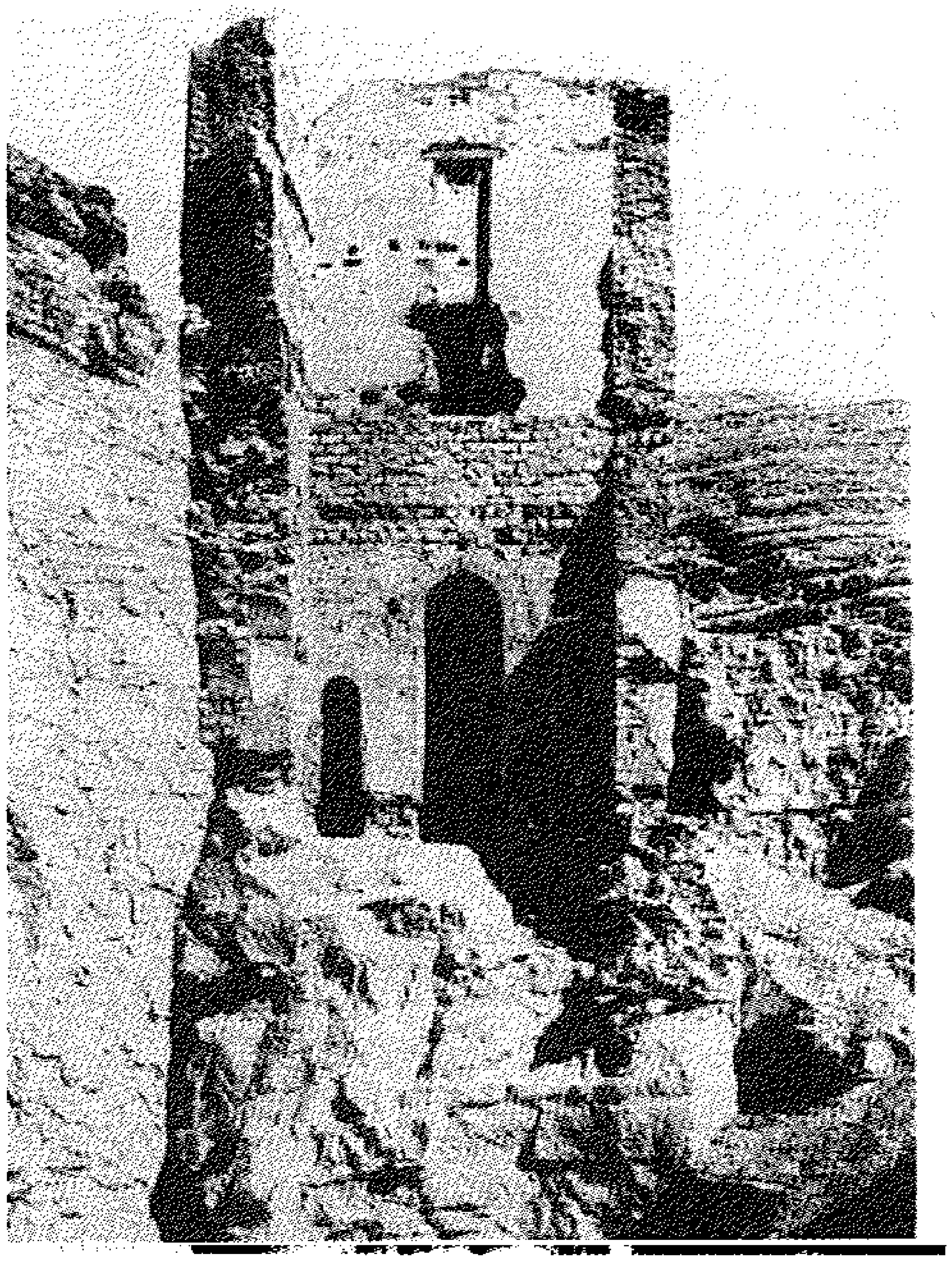

أ - واجهة قاعة الصلاة في عام ١٩١٧م .

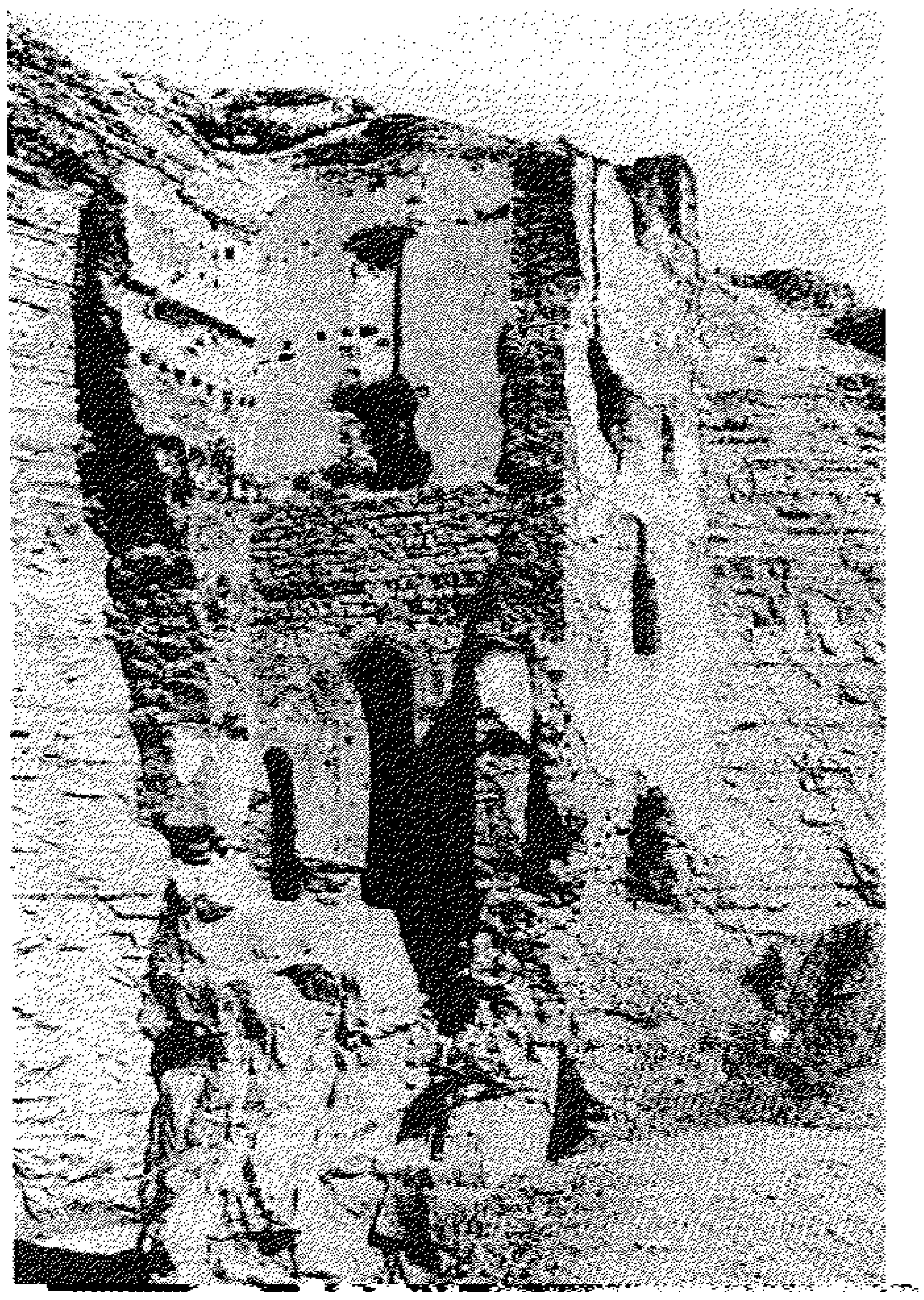

ب - من الغرب .

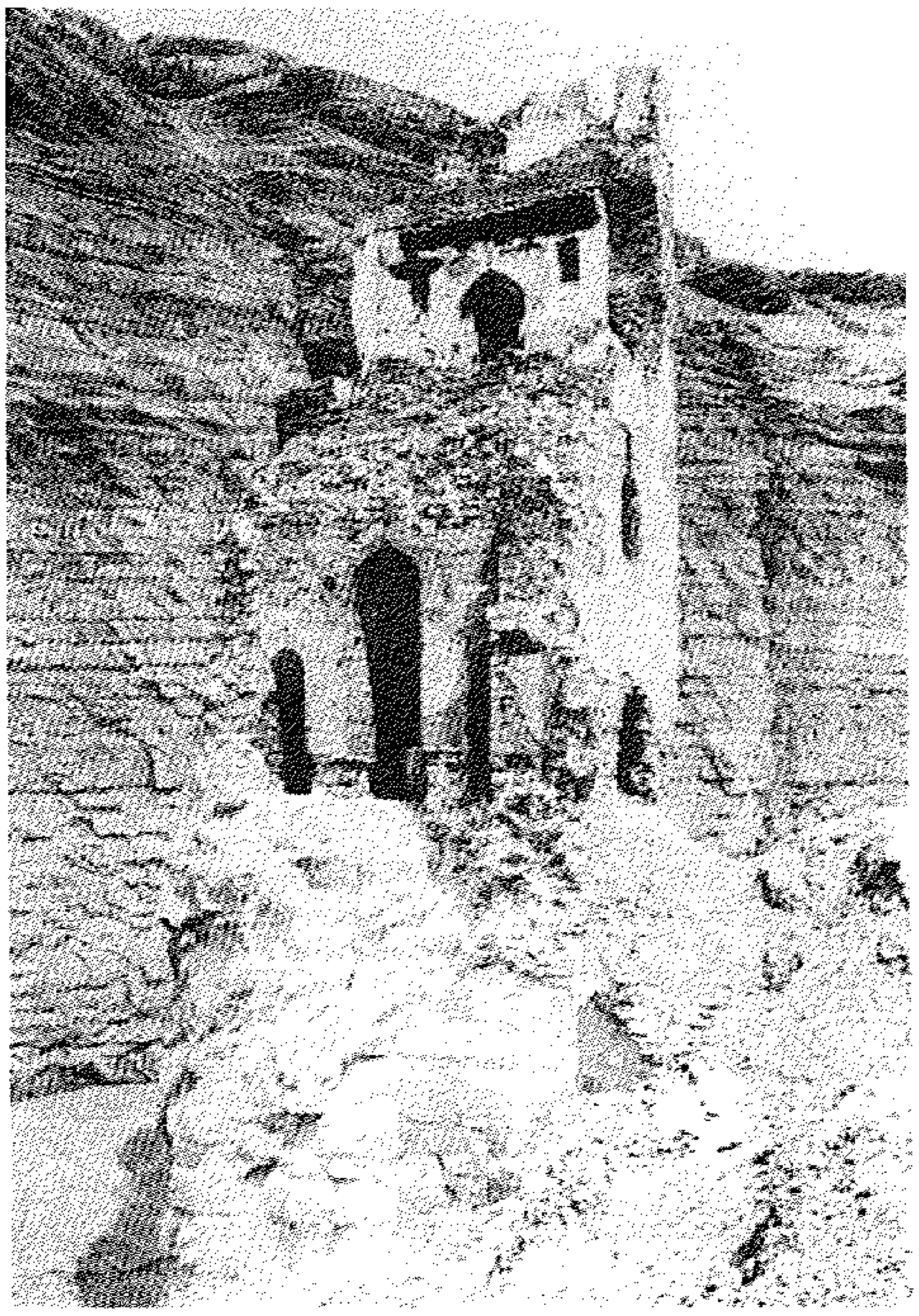

جـ - بعد العاصفة الممطرة الشديدة
في ربيع ١٩١٩م ،
الحجرة المقببة العلوية المعرضة للخطر .

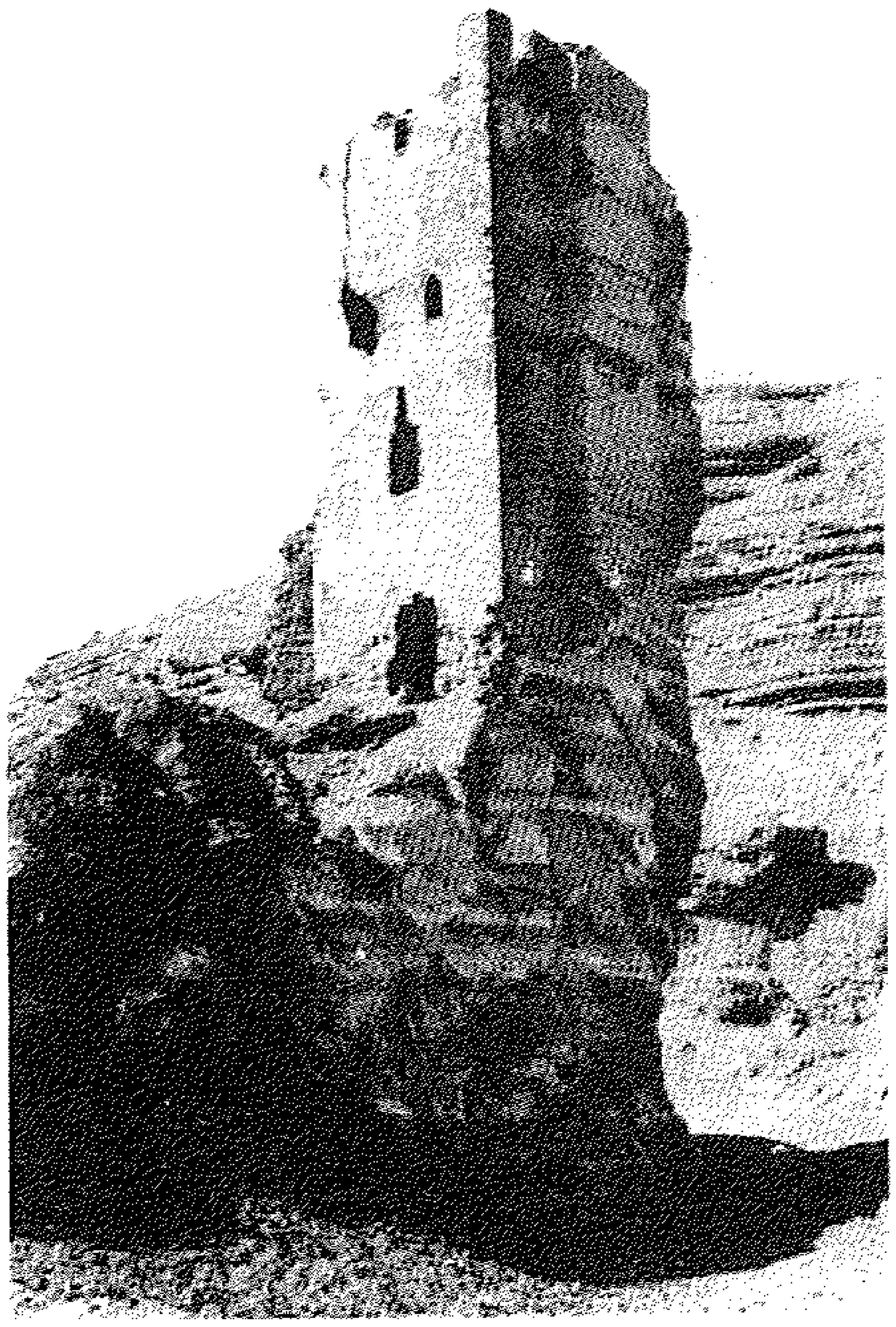

د - من الجنوب ،
ويشاهد بروز المحراب .

(لوحة رقم ٣٥) مسجد اللؤلؤة ٤٠٦هـ/١٠١٥ - ١٠١٦م .

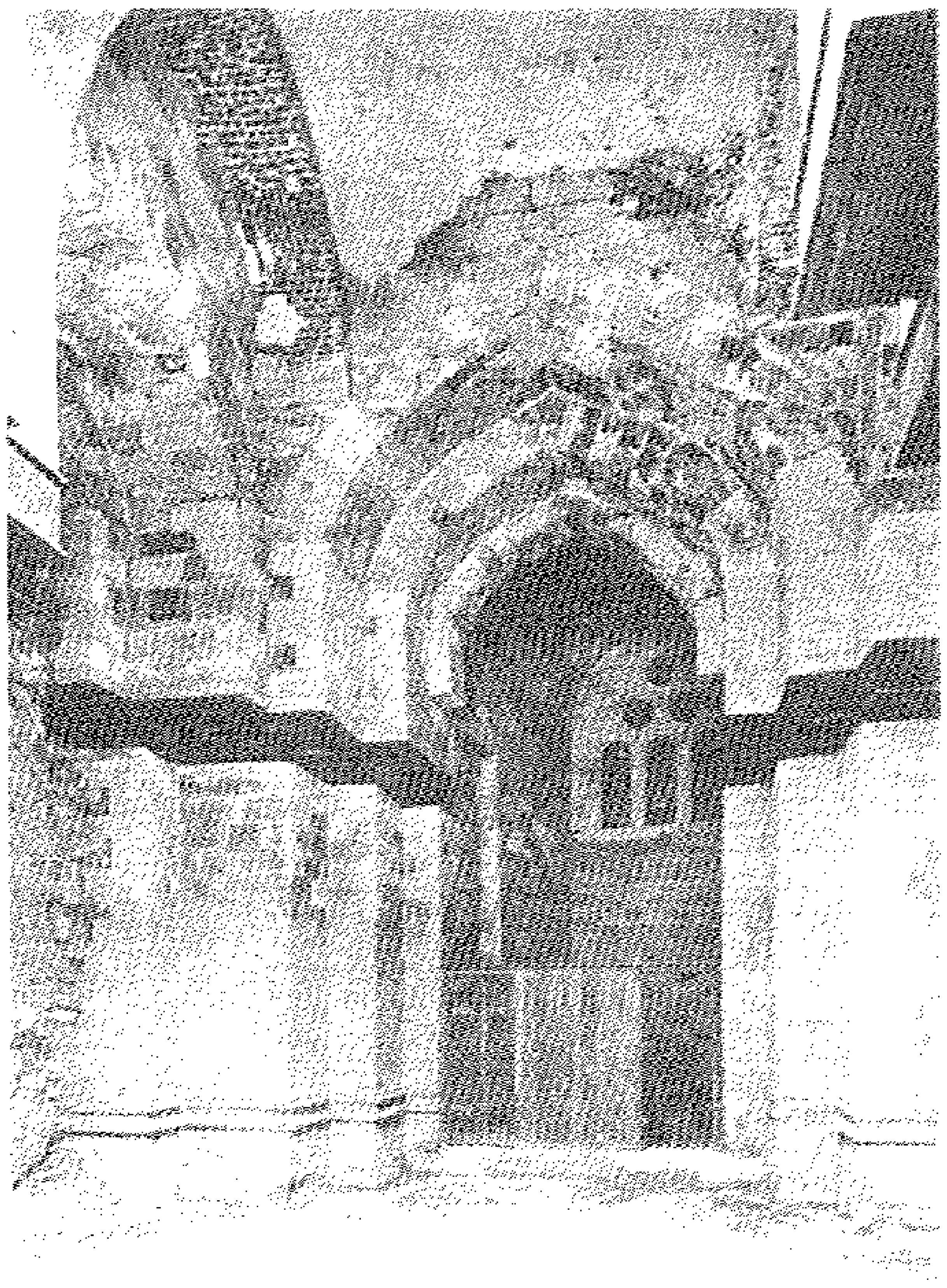

أ - الداخل . جهة الجنوب الشرقي .

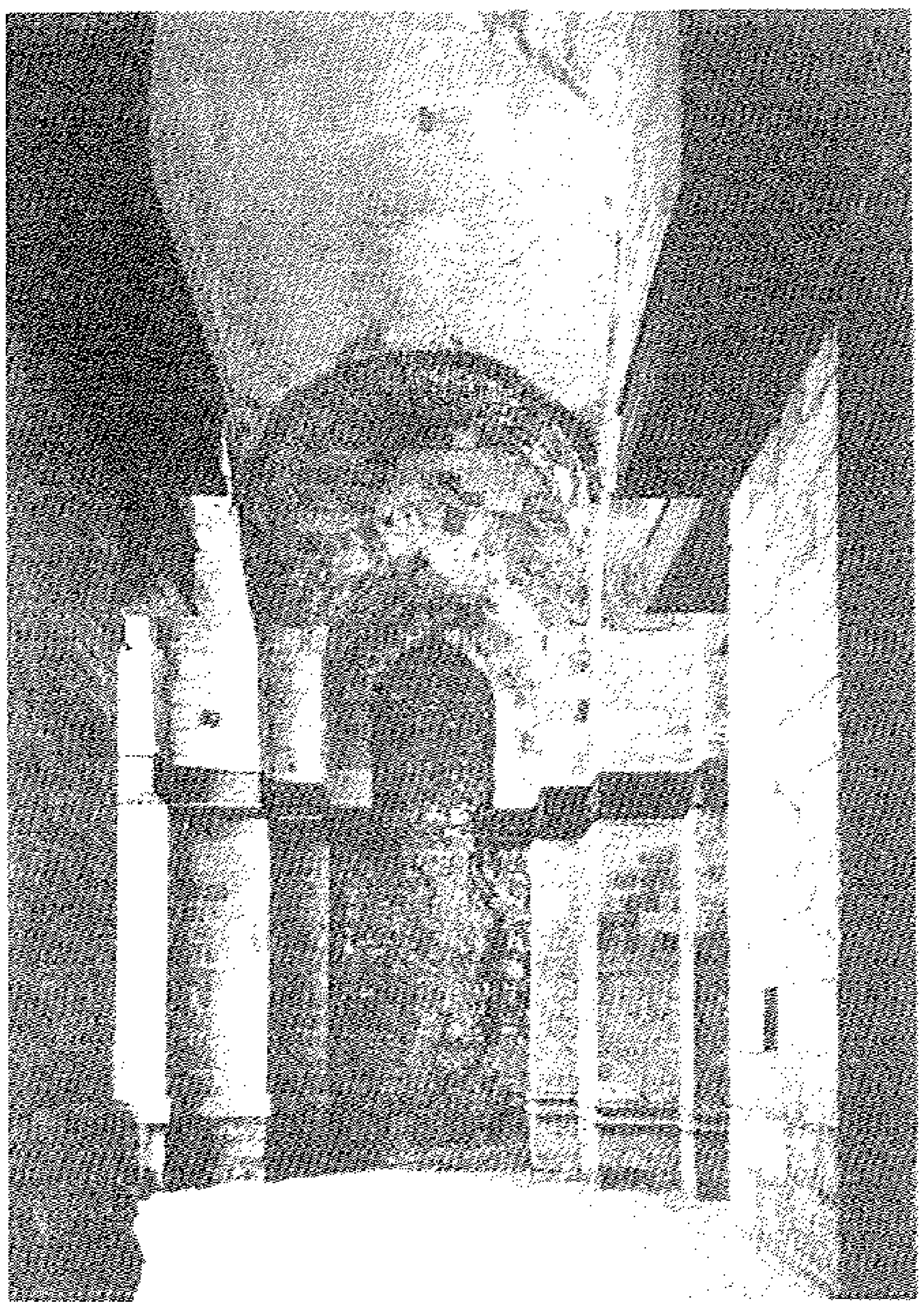

ب - الداخل . جهة الشمال الشرقي .

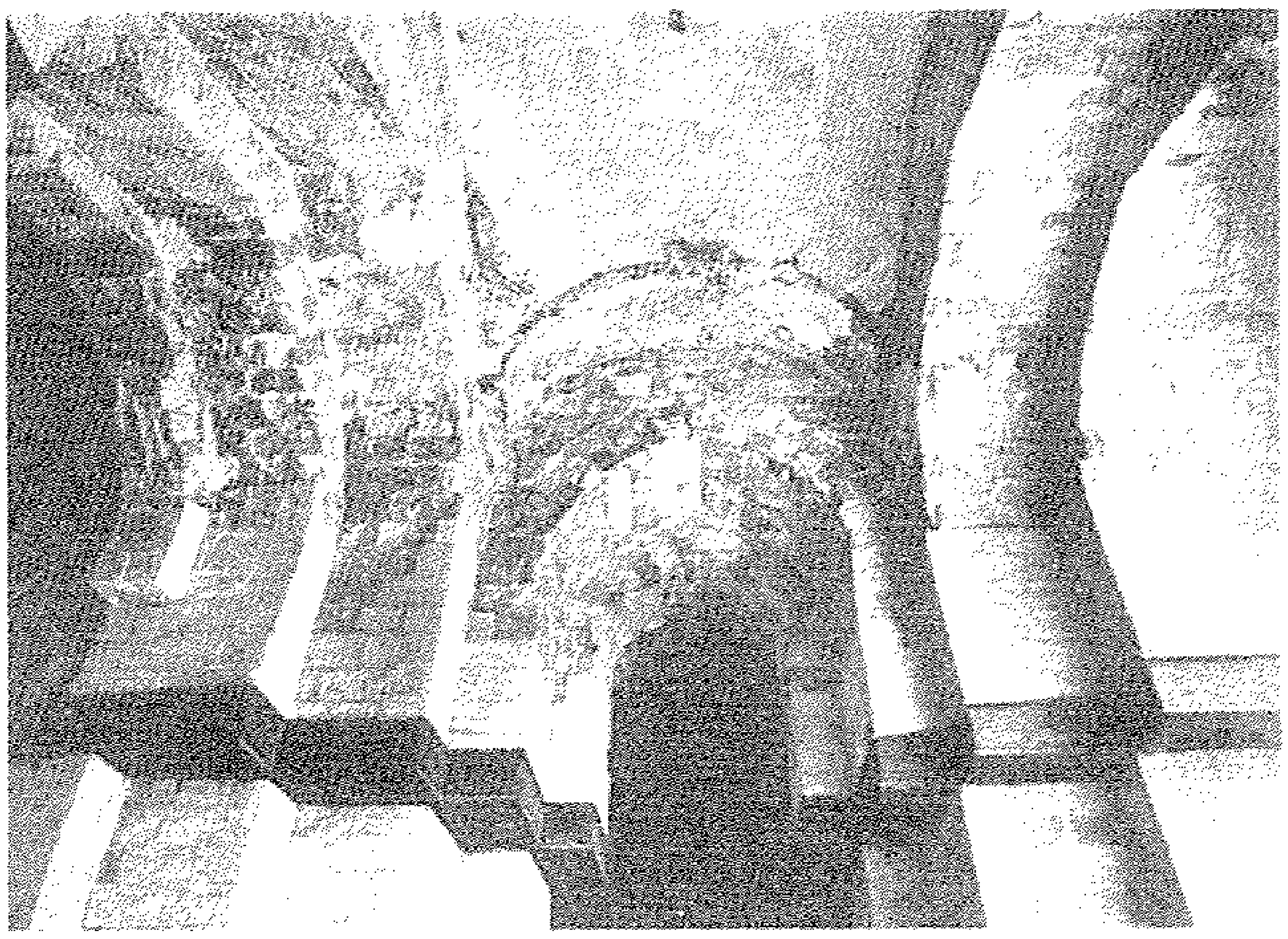

جـ - قبو .

د - محراب الأفضل في الجامع
الطولوني (أنظر لوحة ٧٧)
وبخاصة الحشوة الوسطى
التى محيت زخارفها .

(لوحة رقم ٣٦) المدخل إلى زيادة جامع الحاكم (٤١١ - ٤٢٧هـ/١٠٢١ - ١٠٣٦م) .

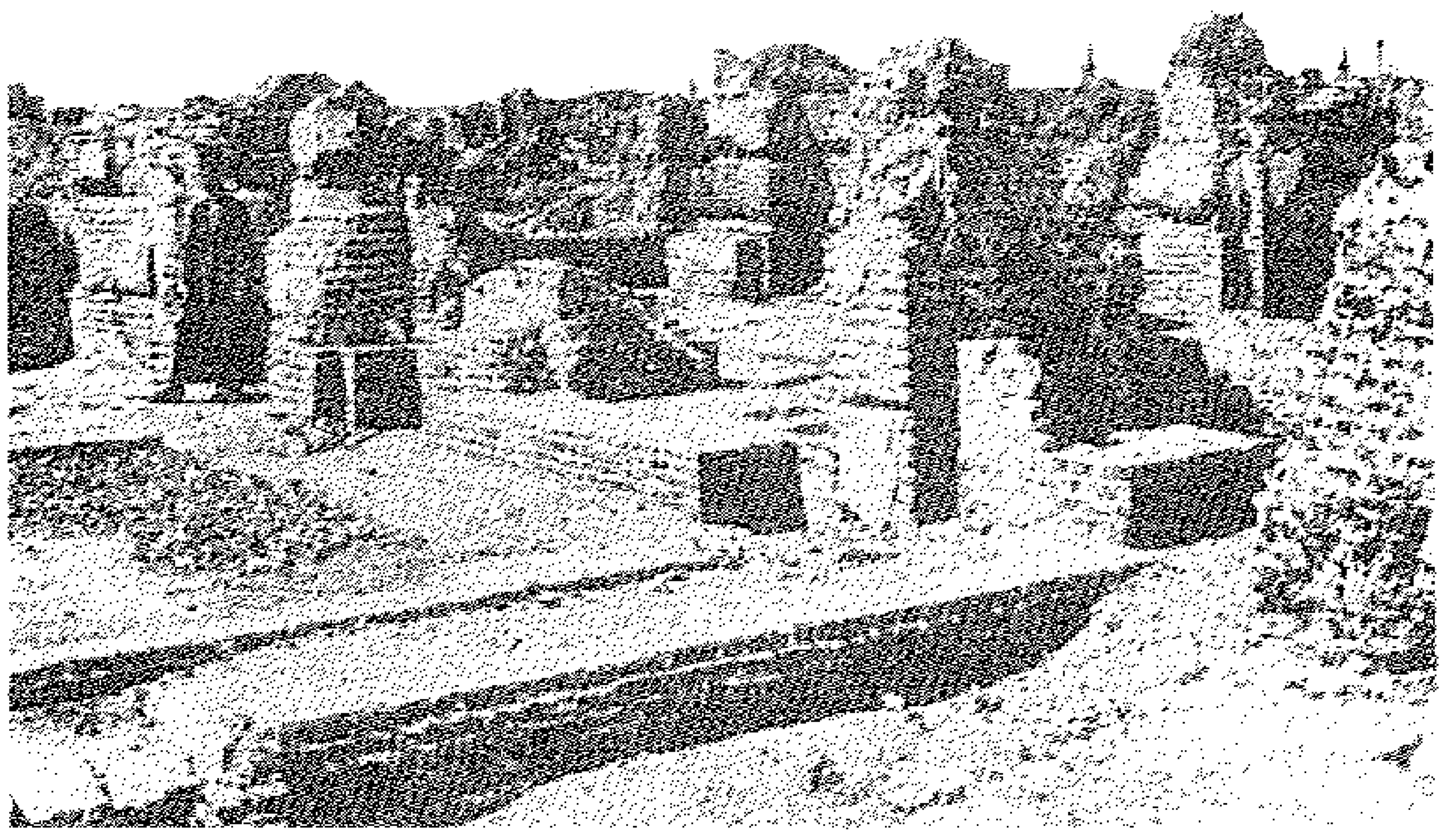

أ - البيت الثاني من الجنوب الشرقي .

ب - البيت الثاني
تفصيل من الحجرة ج .

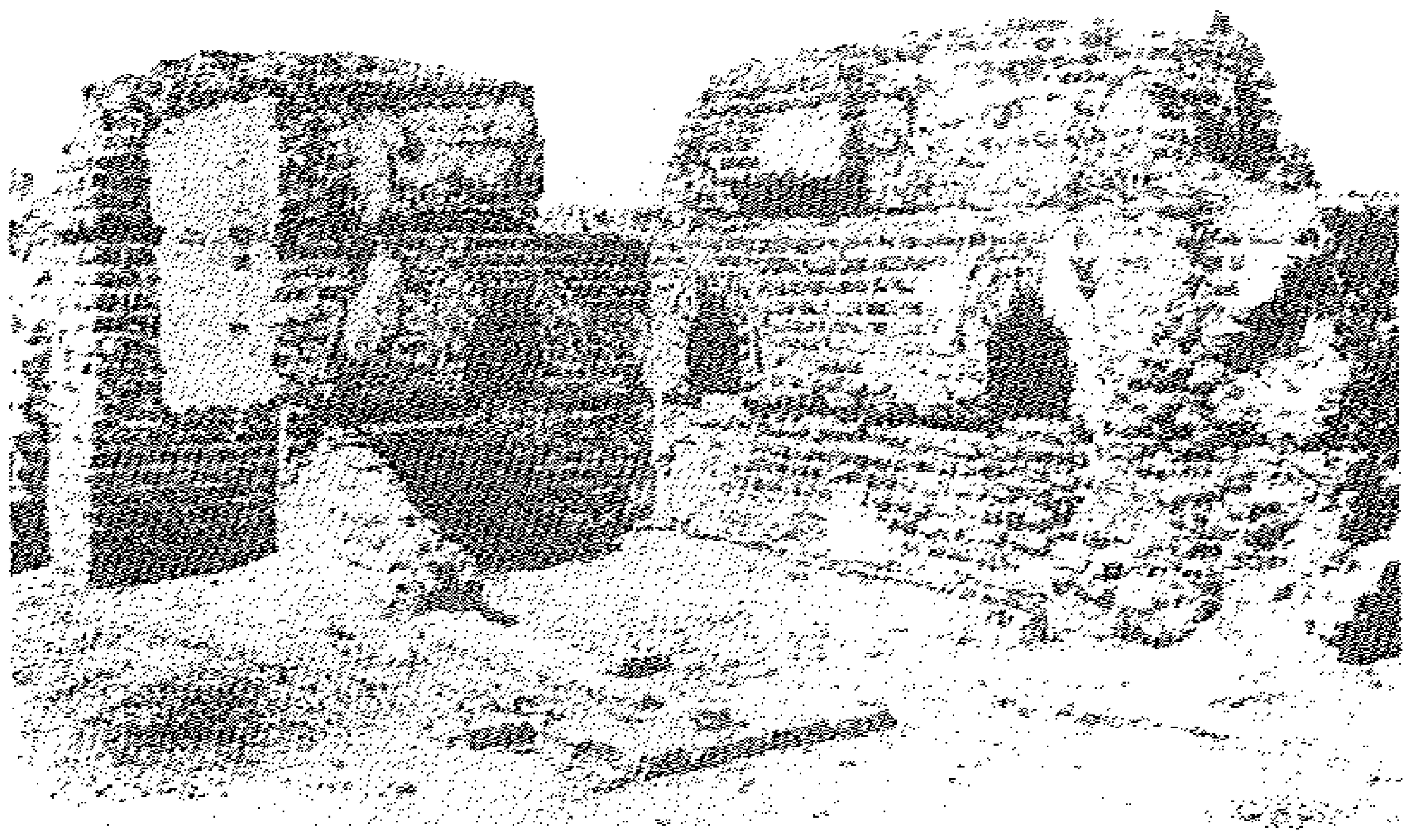

جـ - بقايا زخرفة وجدت في البيت السادس .

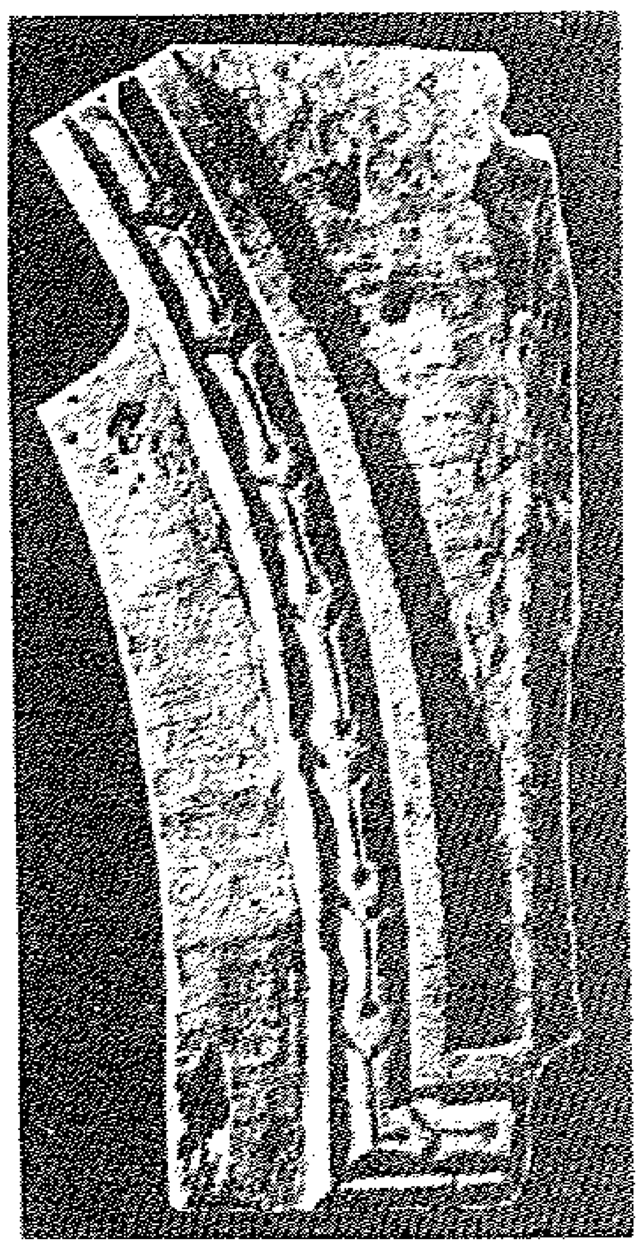

د - بقايا من الزخرفة الجصية
القالبية من البيت السادس .

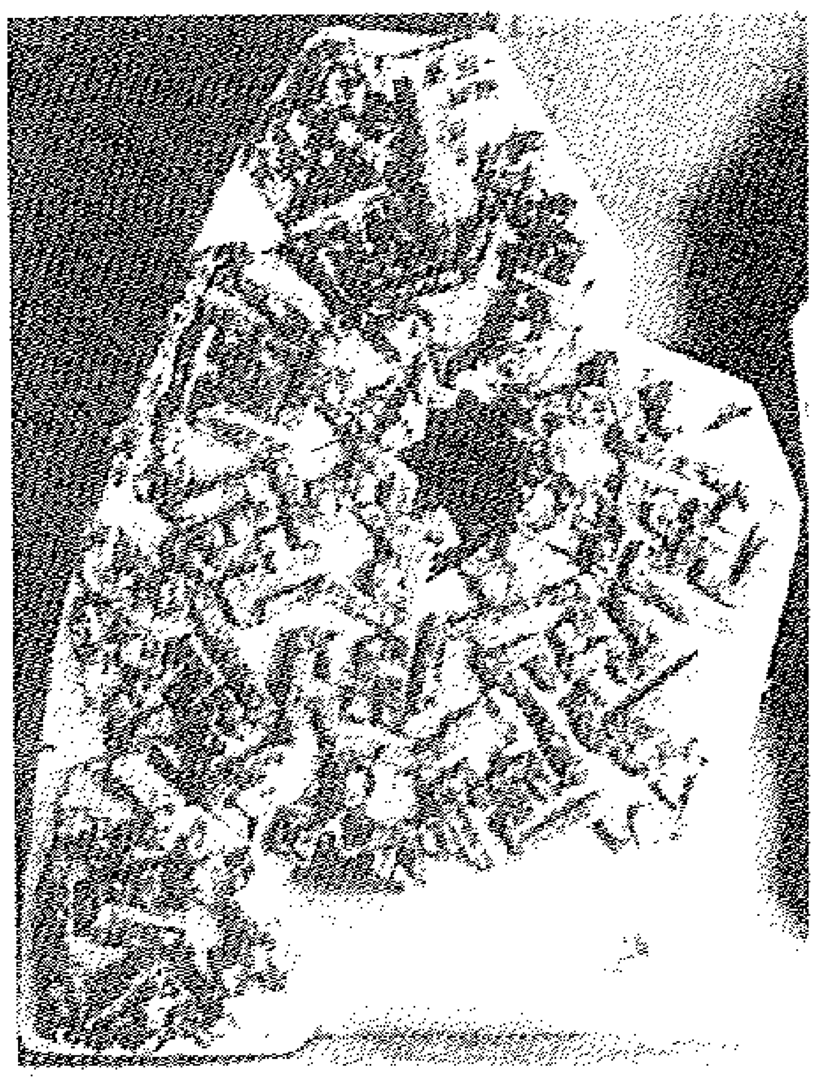

هـ - بقايا زخرفية
وجدت في البيت الخامس .

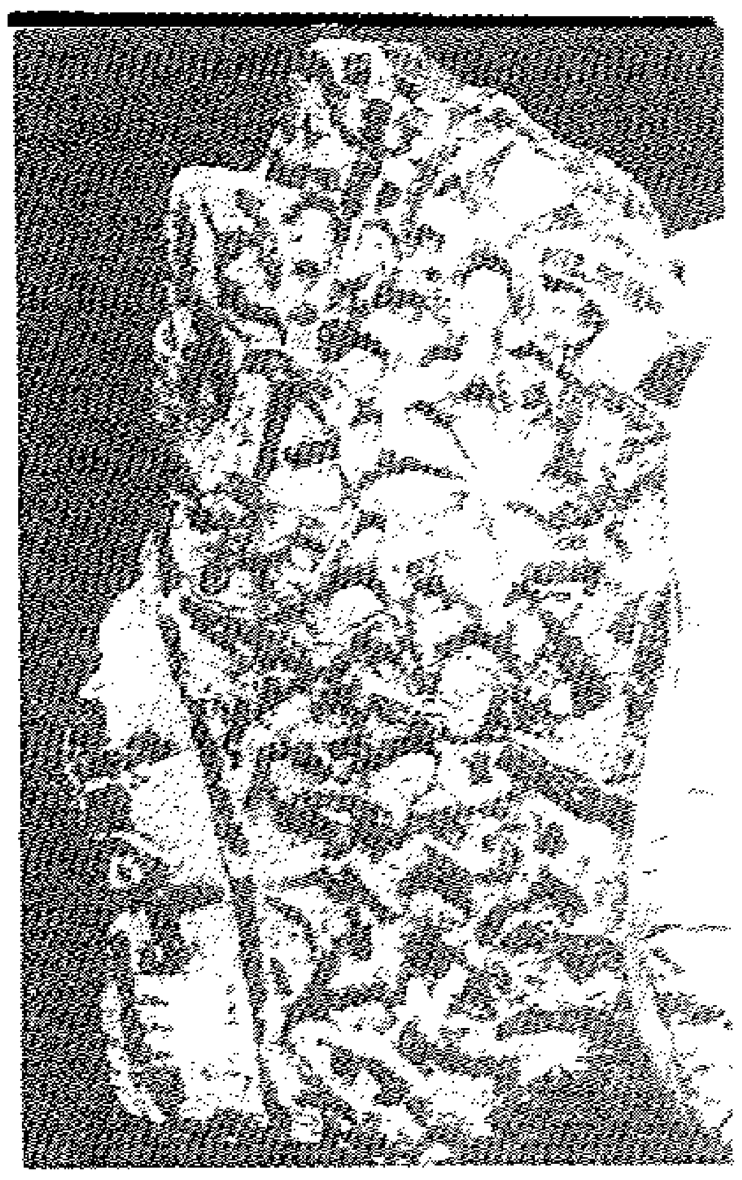

و - بقايا زخرفية أخرى .

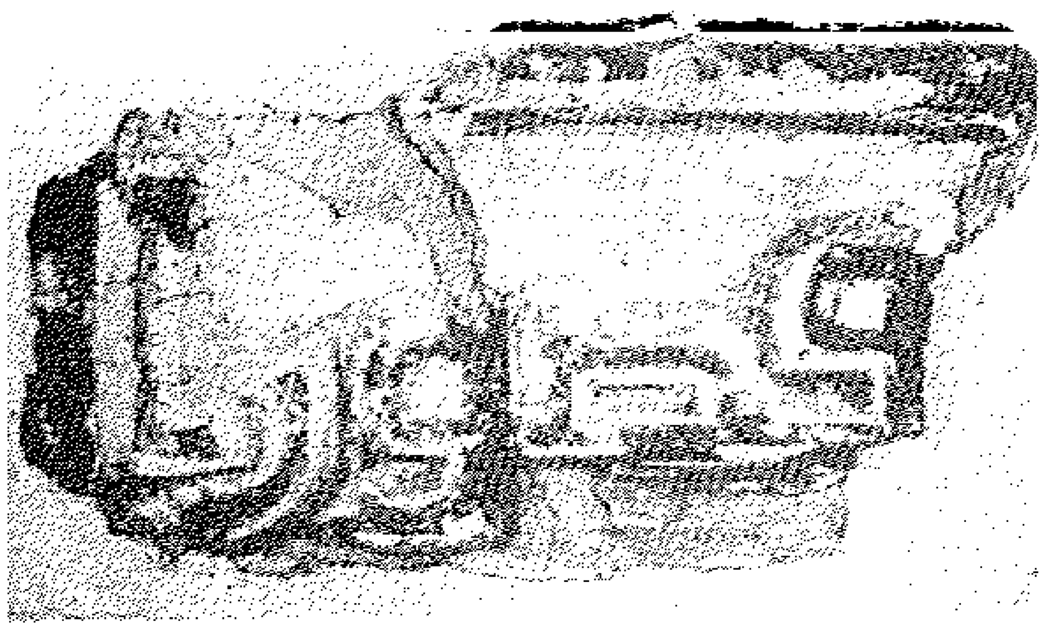

ز - نقش تشكل بواسطة قطع من
الآجر المتداخلة في الجص .

(لوحة رقم ٣٧) بيوت الفسطاط (عن : علي بهجت وجابرييل) .

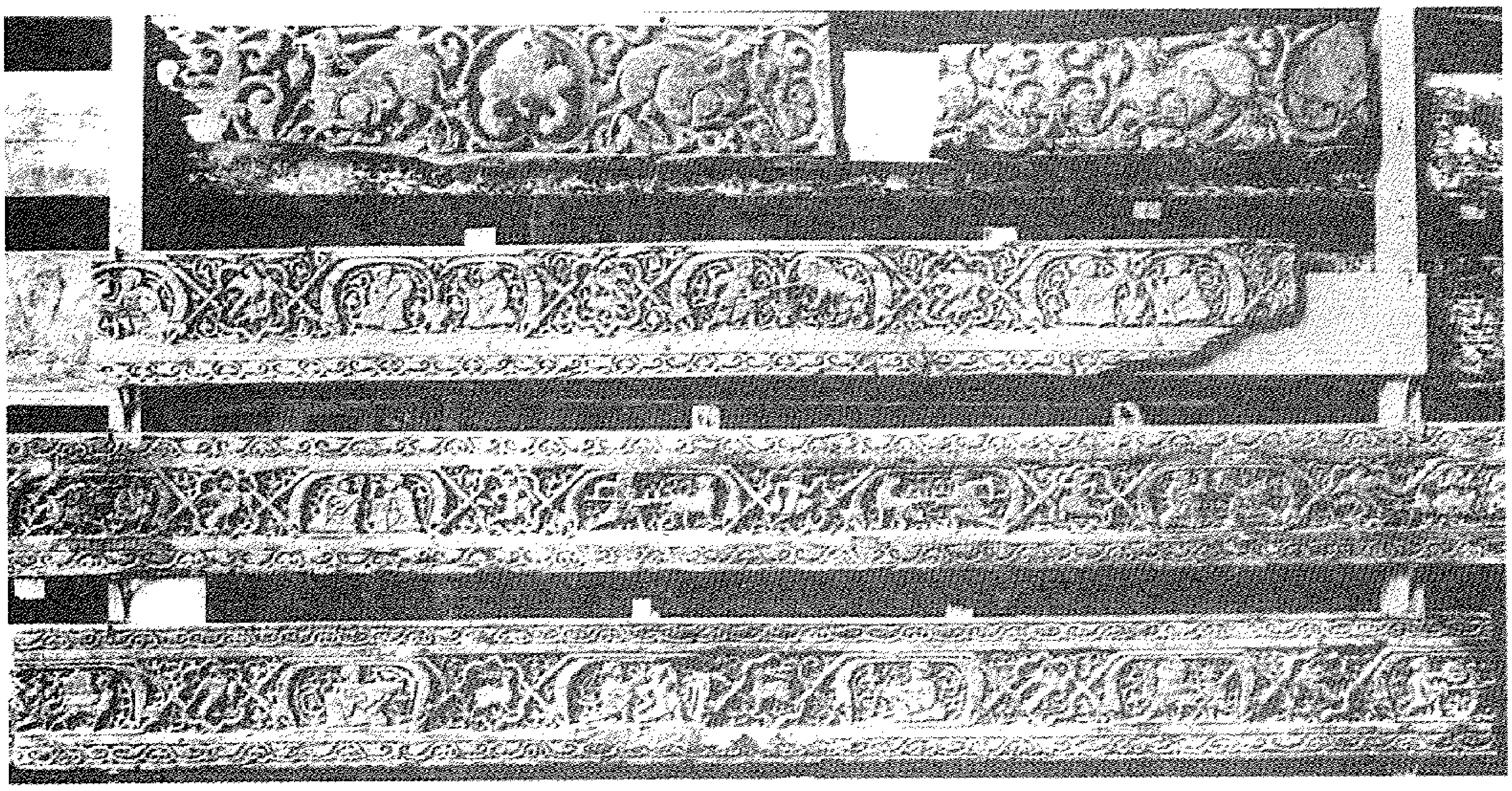

أ - في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

ب - متحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

(لوحة رقم ٣٨) بقايا ألواح خشبية محفورة
من القصر الفاطمي الغربي أو الأصغر ٤٥٠هـ/١٠٥٨م .

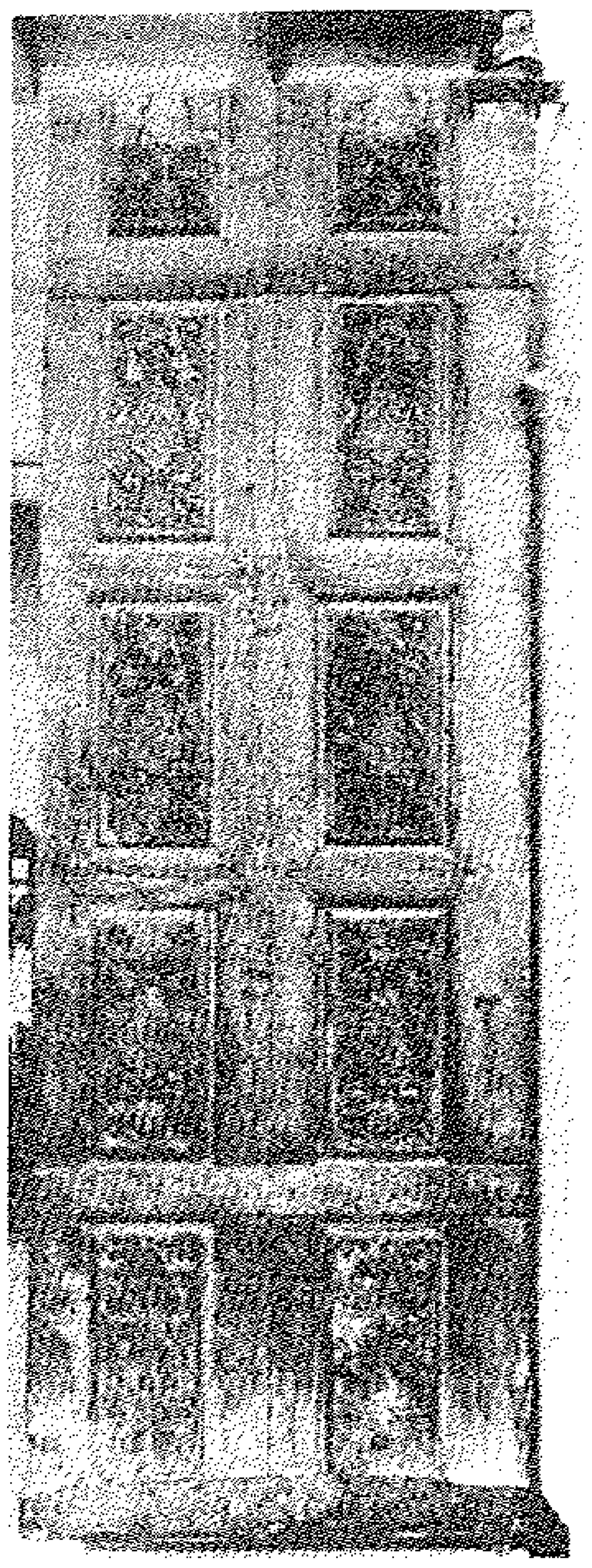

أ - فردة باب وجدت في
بيمارستان قلاوون
(٧٩ر٣ × ٣١ر١م) .

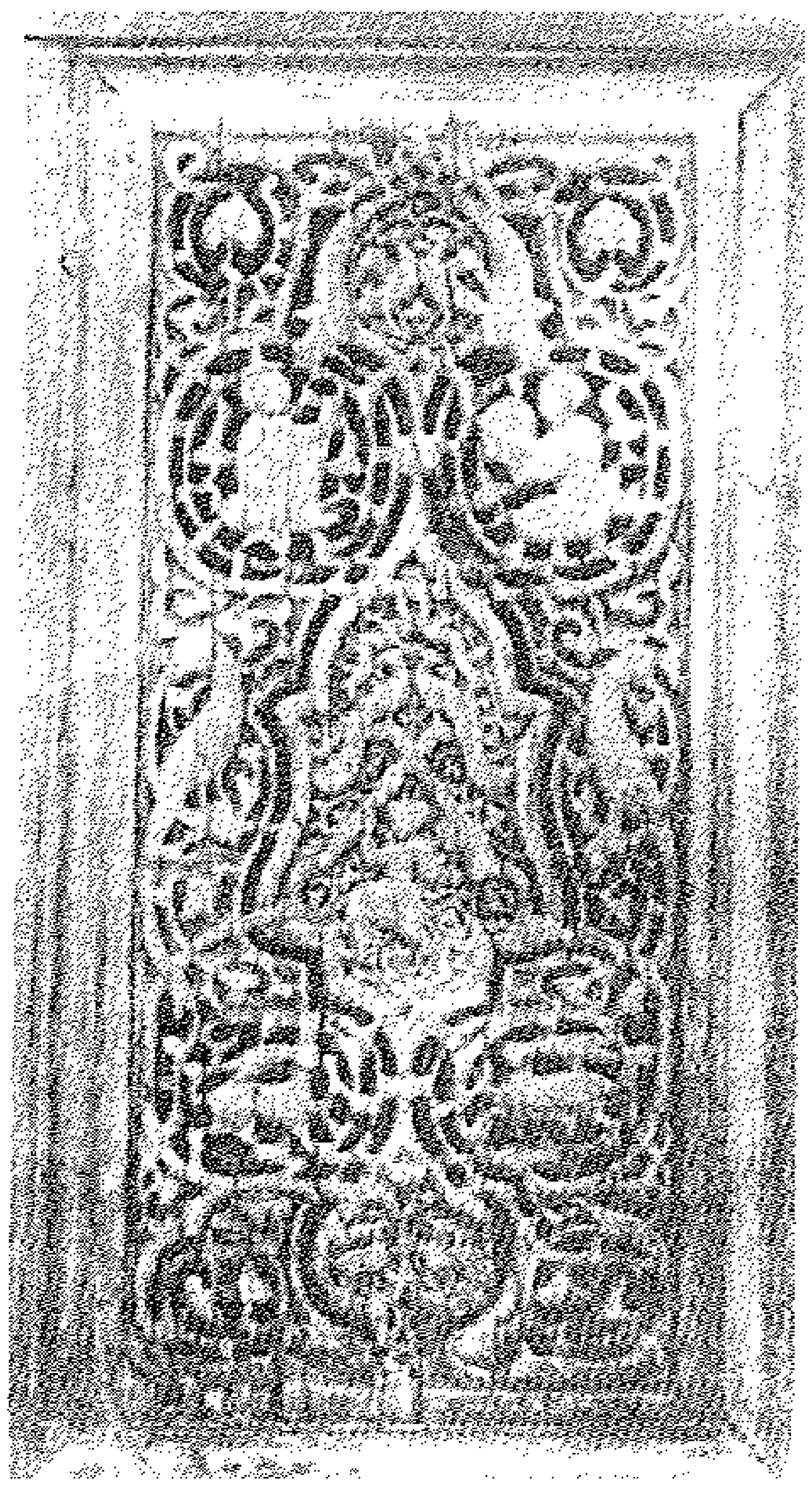

ب - حشوة في نفس
الباب (٦٢ × ٢٩سم) .

جـ - الحشوة السفلية
لباب (٦١ × ٢٩سم) .

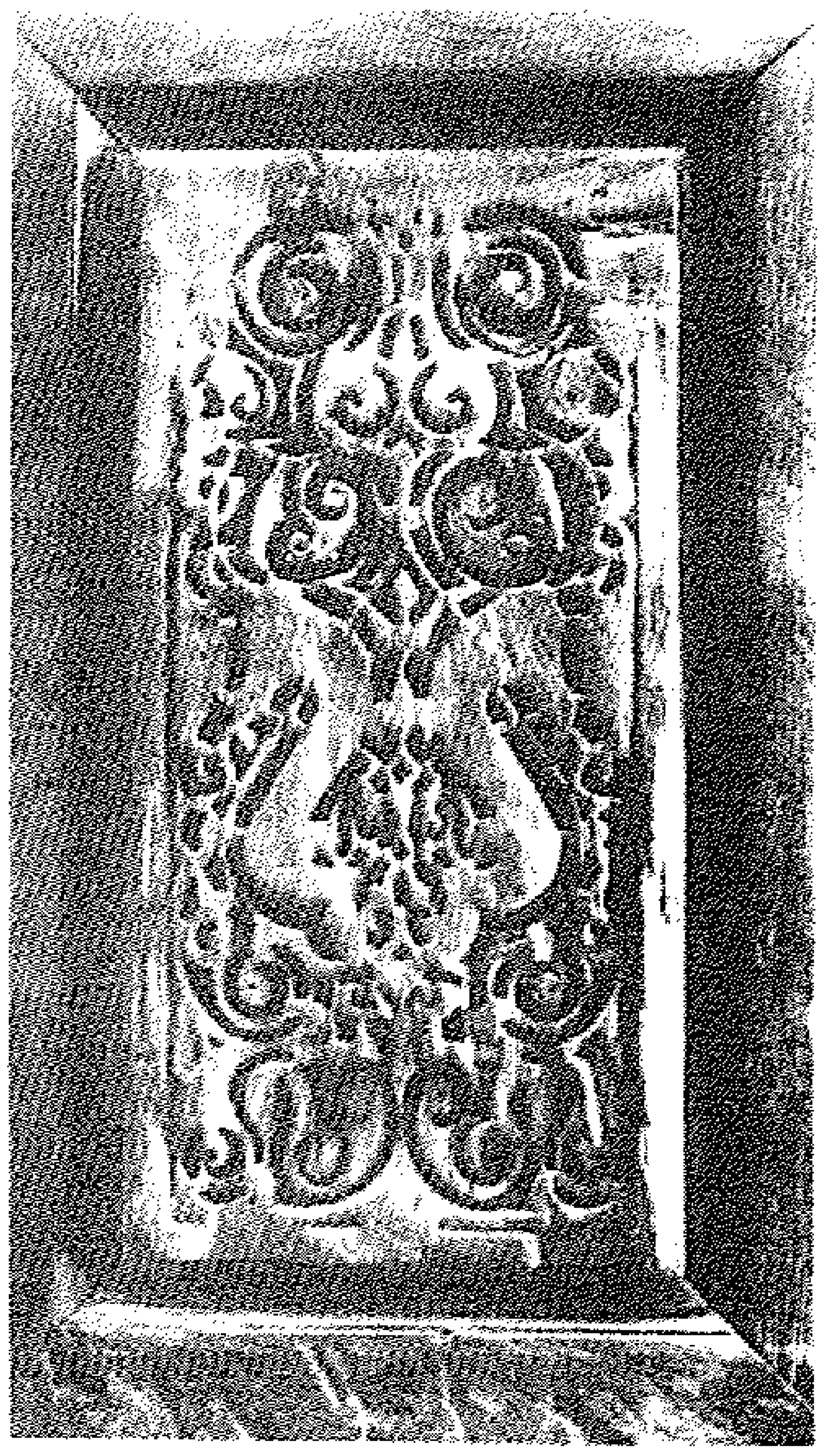

د - تفصيل لحشوة في هـ
(الأعلى إلى اليسار)
(٥٦ × ٢٩سم) .

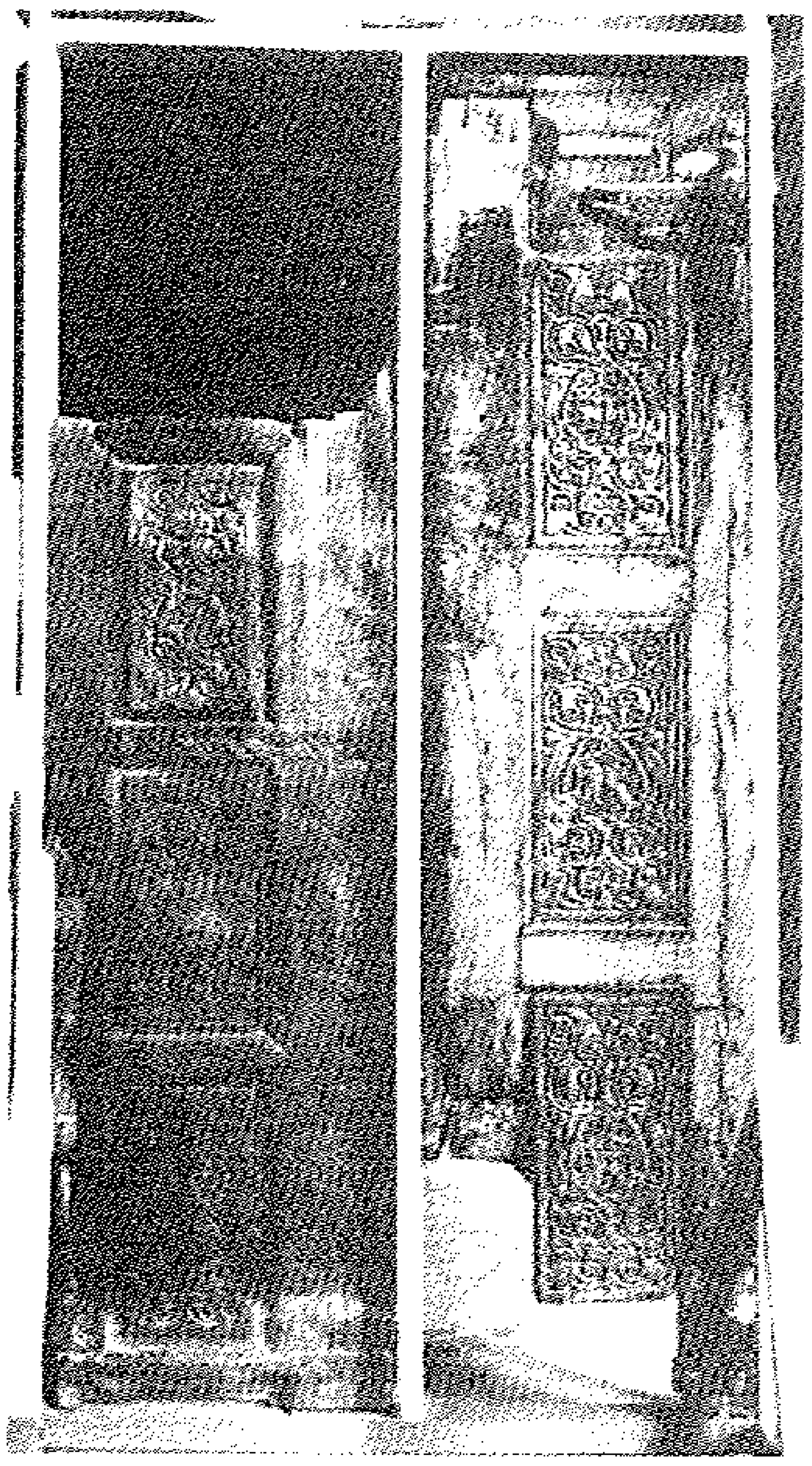

هـ - بقايا باب وجدت
في بيمارستان قلاوون .

و - تفصيل لحشوة في هـ
الحشوة الوسطى
إلى اليمين (٦٦ × ٣١سم) .

(لوحة رقم ٣٩) أشغال الخشب من القصر الفاطمي الغربي .

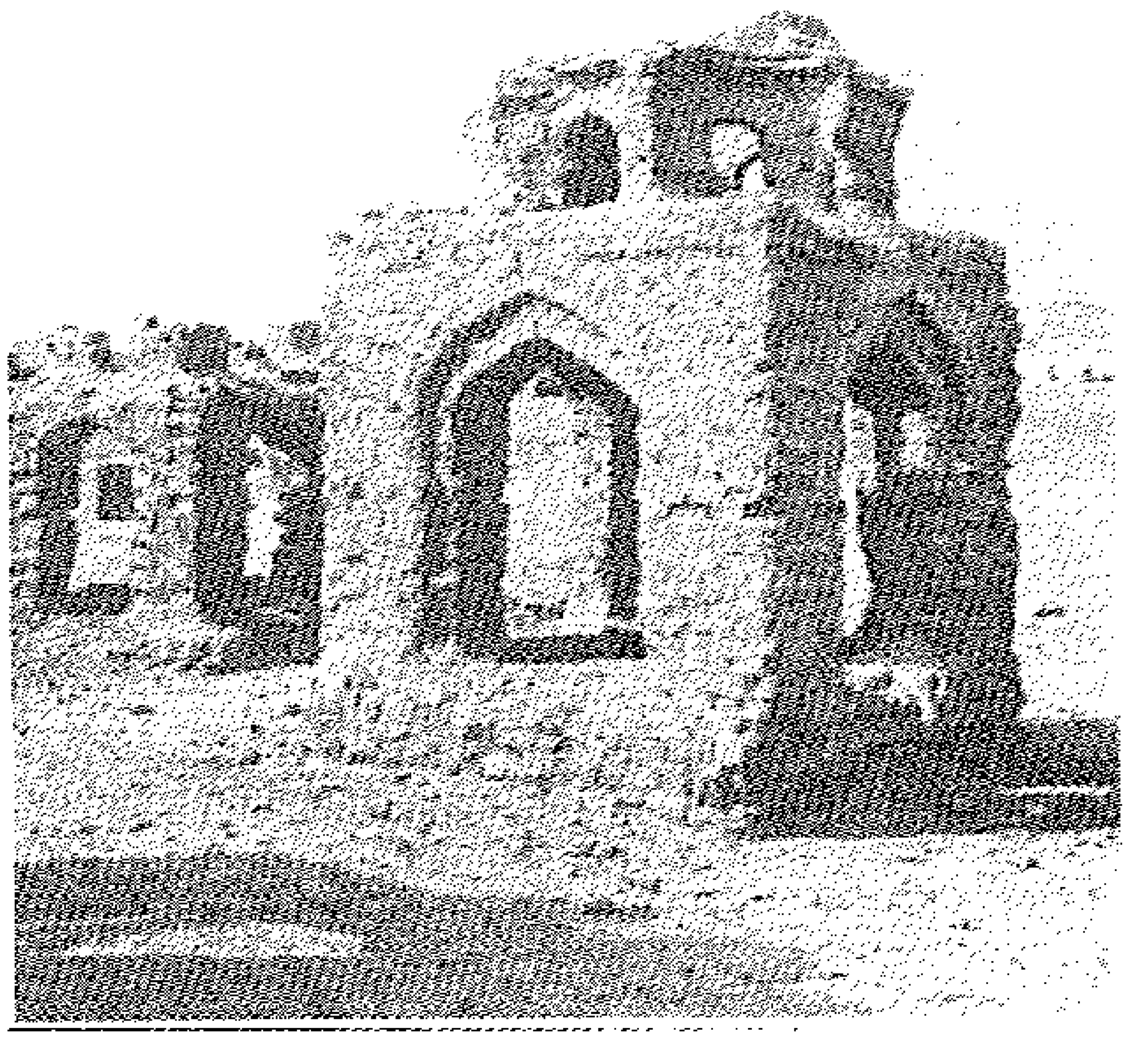

أ - الضريح رقم ٣٣ (من الخارج) .

ب - الضريح رقم ١٧ (من الداخل) .

جـ - الضريح رقم ١٠ (من الخارج) .

د - الضريح رقم ٤٧ (من الخارج) .

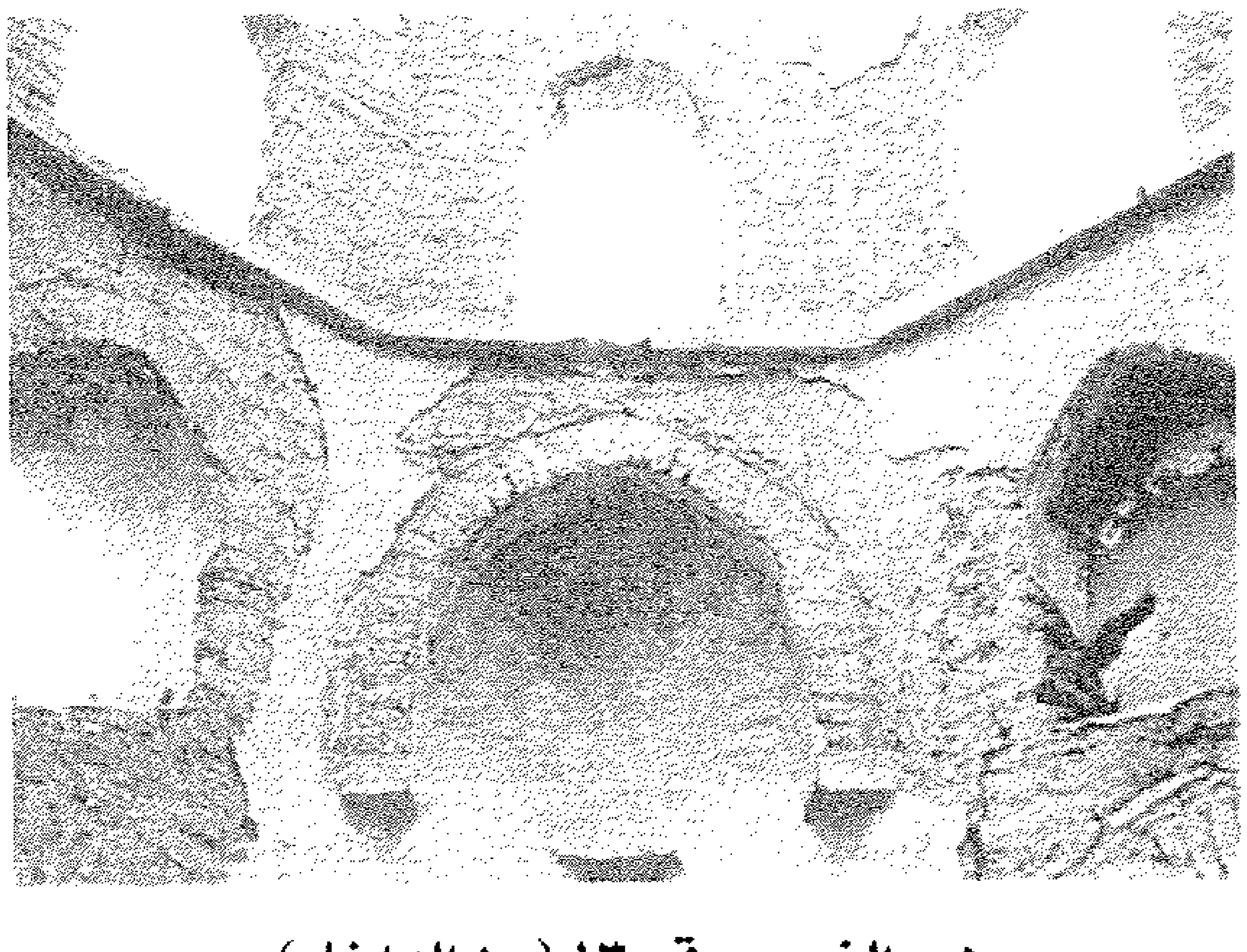

هـ - الضريح رقم ١٣ (من الداخل) .

و - الضريح رقم ١٣ (من الخارج) .

(لوحة رقم ٤٠) أسوان : أضرحة في الجبانة ق ١١م/٥هـ .

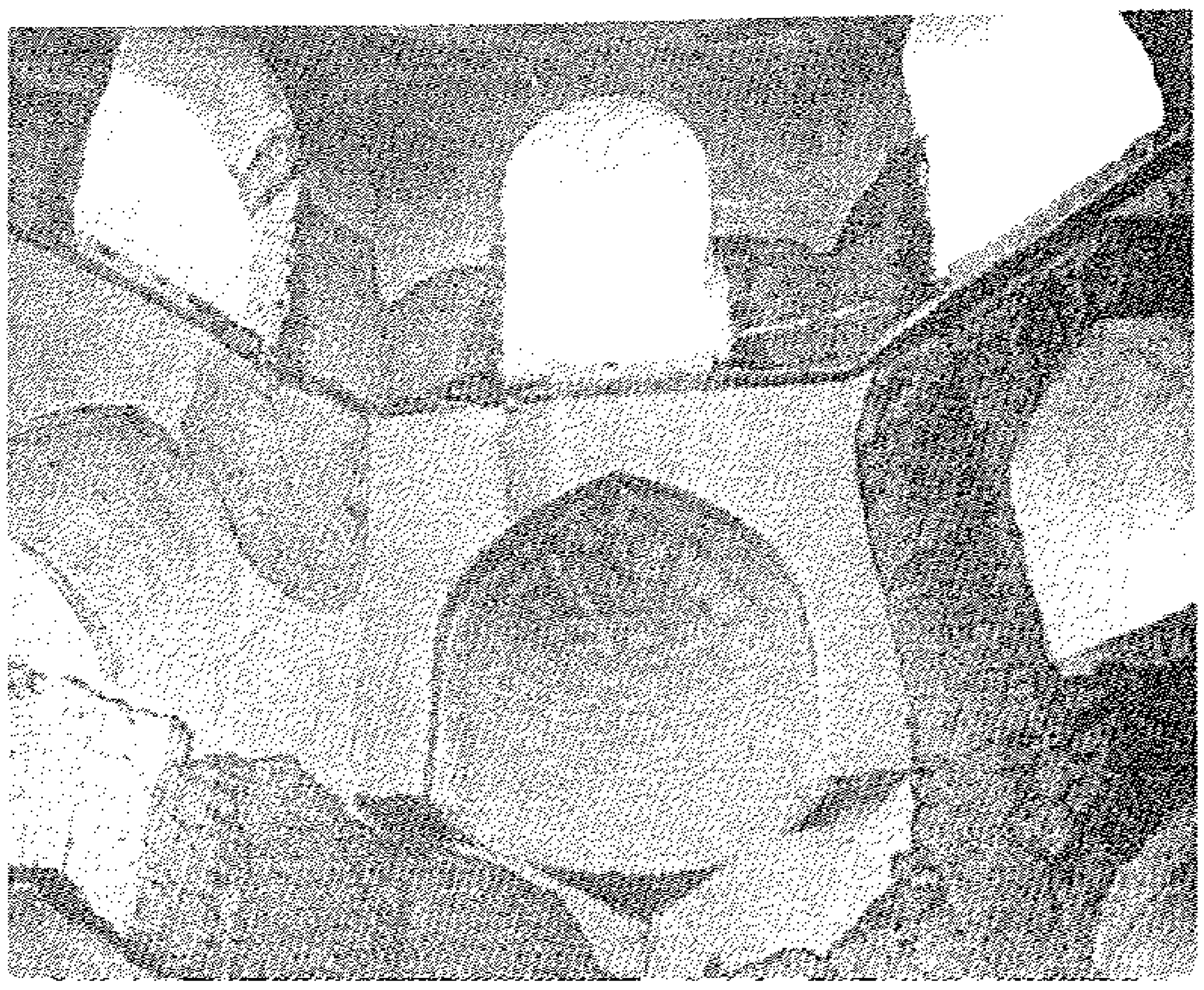

أ - الضريح رقم ١٤ (من الداخل) .

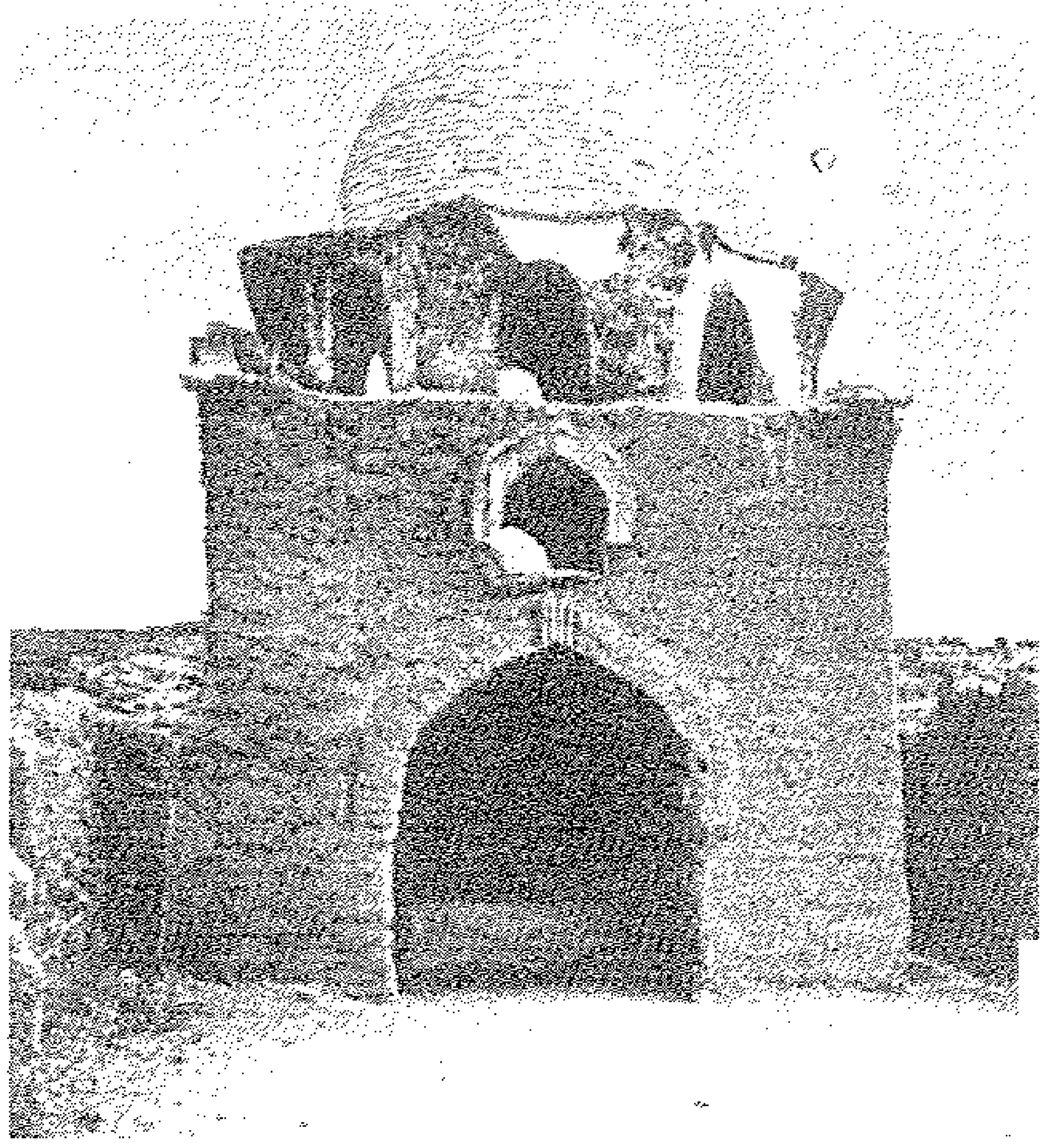

ب - الضريح رقم ١٤ (من الخارج) .

جـ - الضريح رقم ٢٠ (من الخارج) .

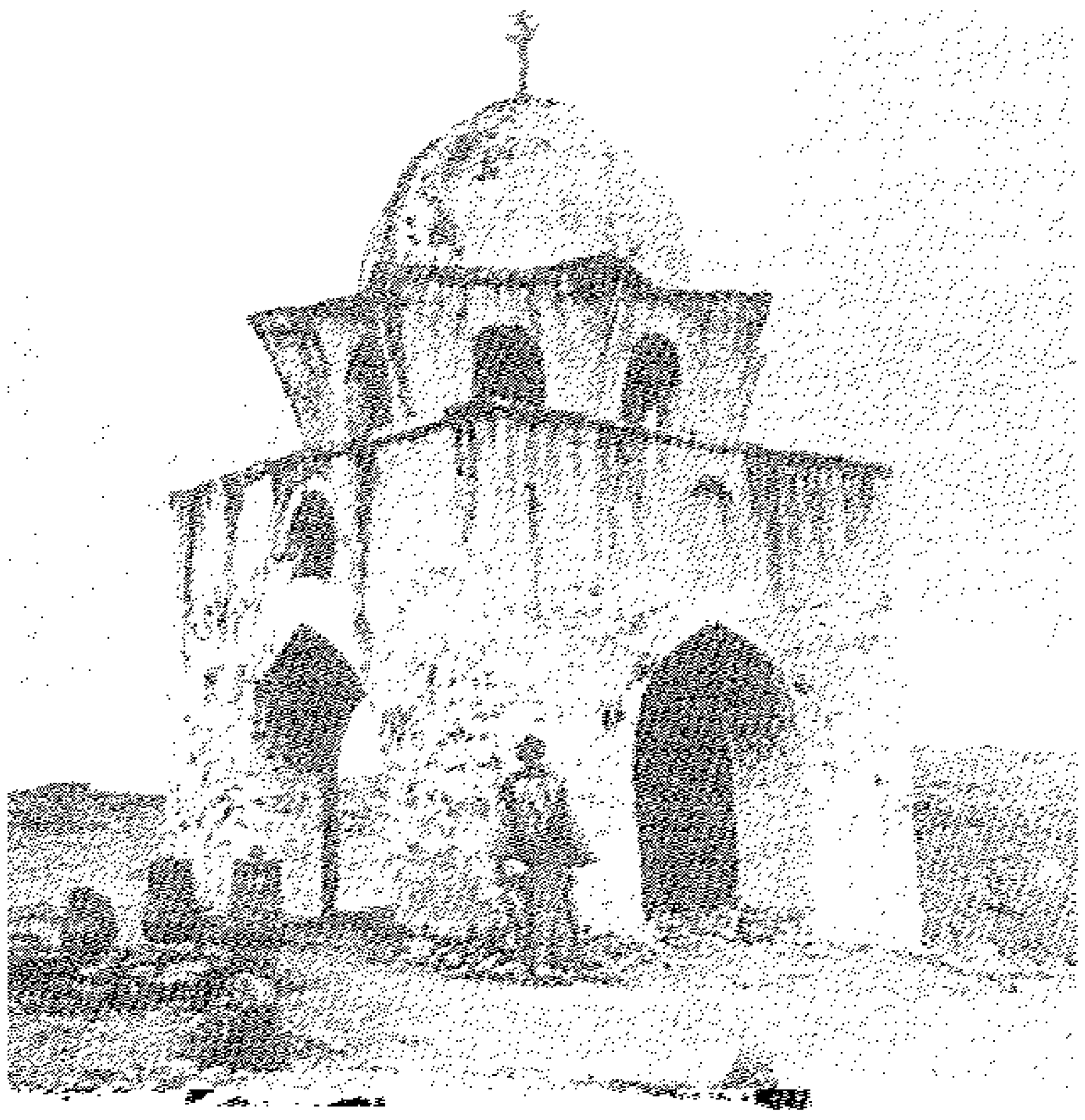

د - الضريح رقم ١٢ (من الخارج) .

هـ - الضريح رقم ٢٣ (من الخارج) .

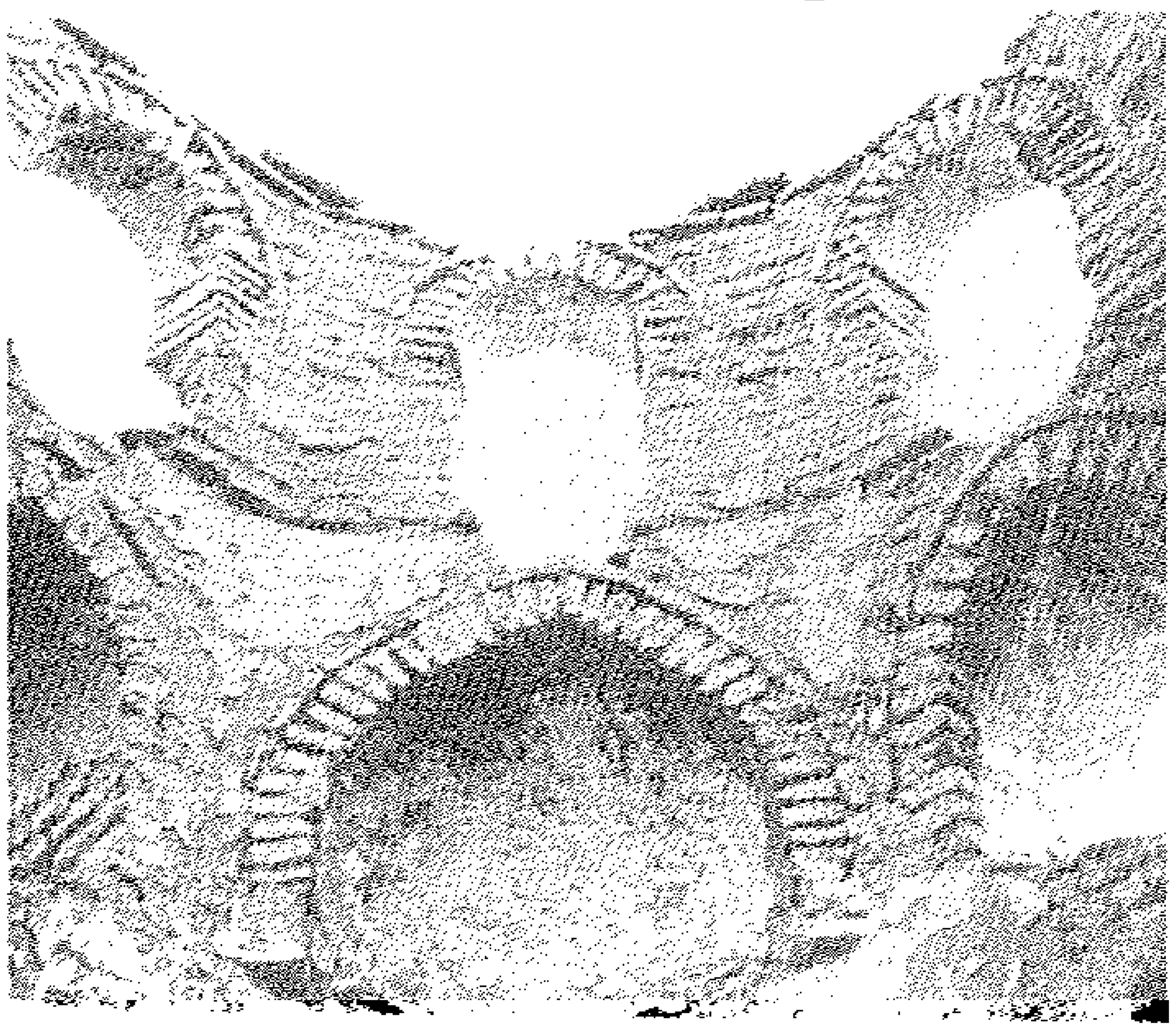

و - الضريح رقم ٢٣ (من الداخل) .

(لوحة رقم ٤١) أسوان : أضرحة في الجبانة ق١١م/٥هـ .

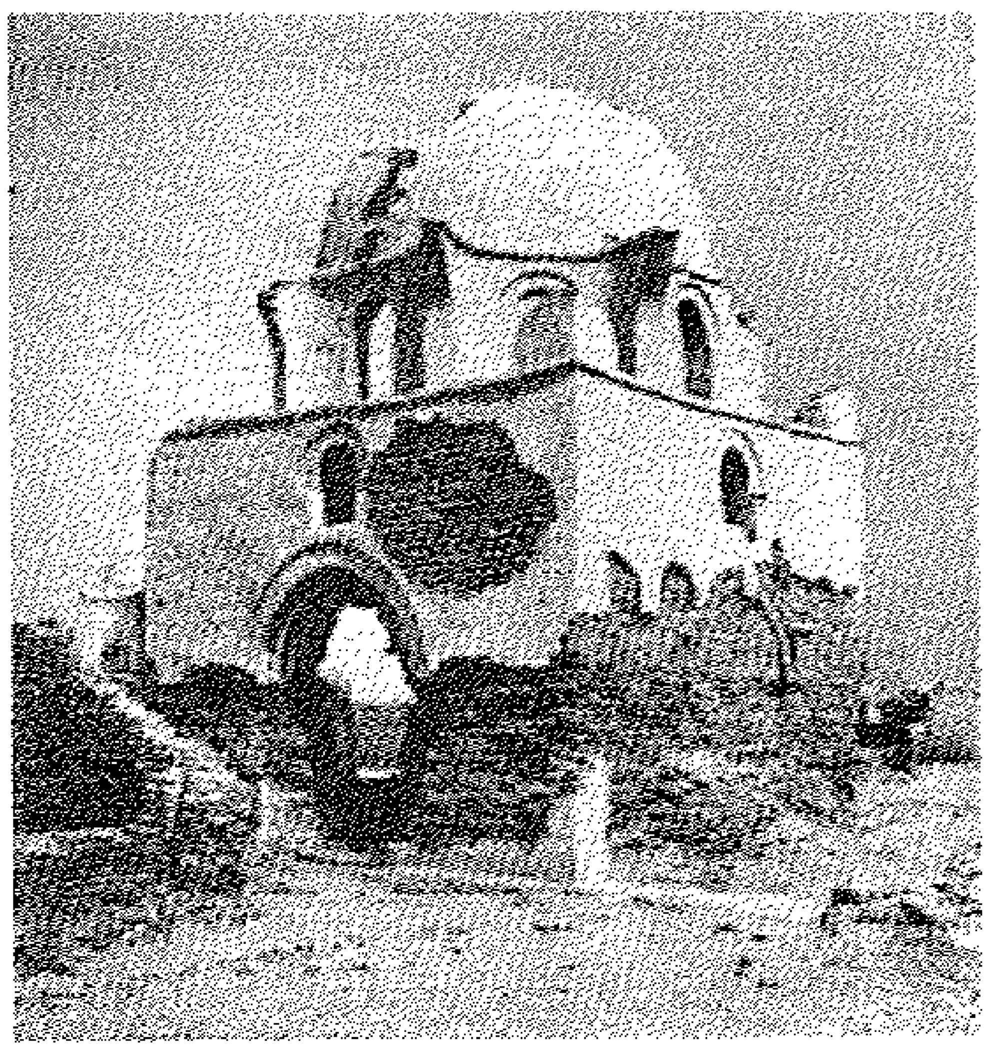

أ - الضريح رقم ٣١ (من الخارج) .

ب - الضريح رقم ٤٢ (من الداخل) .

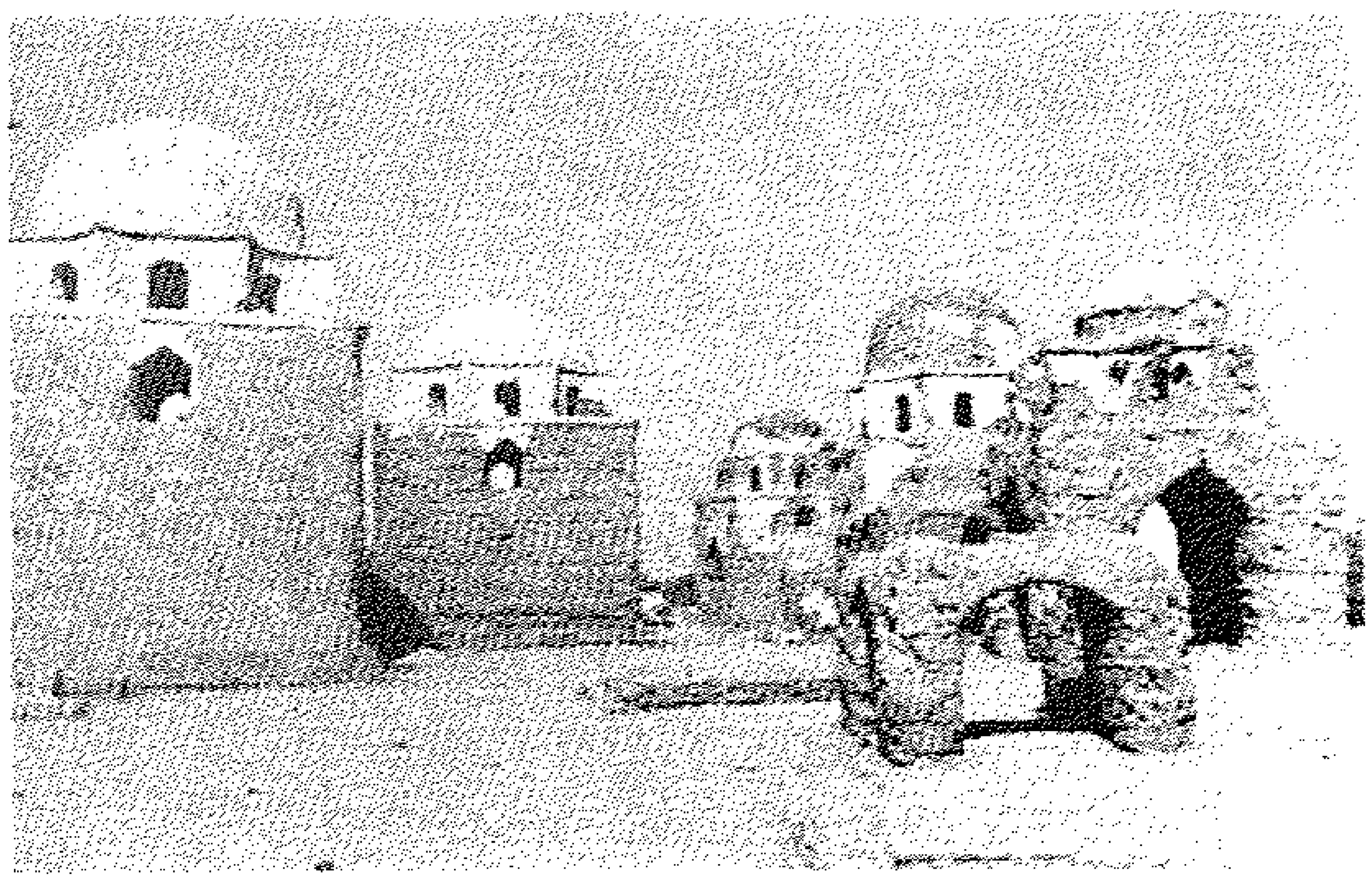

جـ - الضريح من ٤٦ إلى ٥١ (من الخارج) .

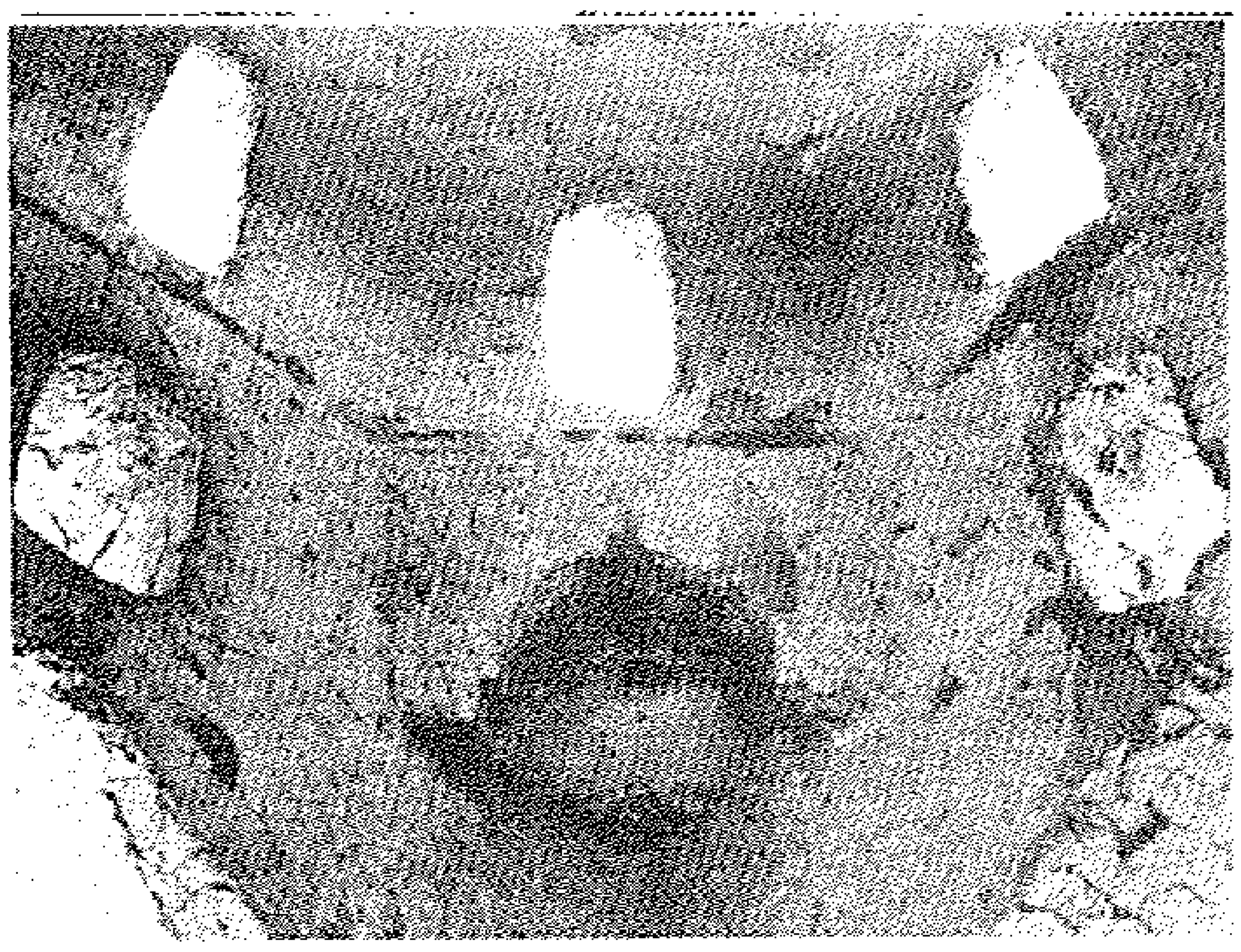

د - الضريح رقم ٤٦ (من الداخل) .

هـ - الضريحان رقم ٥٣ - ٥٤ (من الخارج) .

و - الضريح رقم ٥٤ (من الداخل) .

(لوحة رقم ٤٢) أسوان : أضرحة في الجبانة ق١١م/٥هـ .

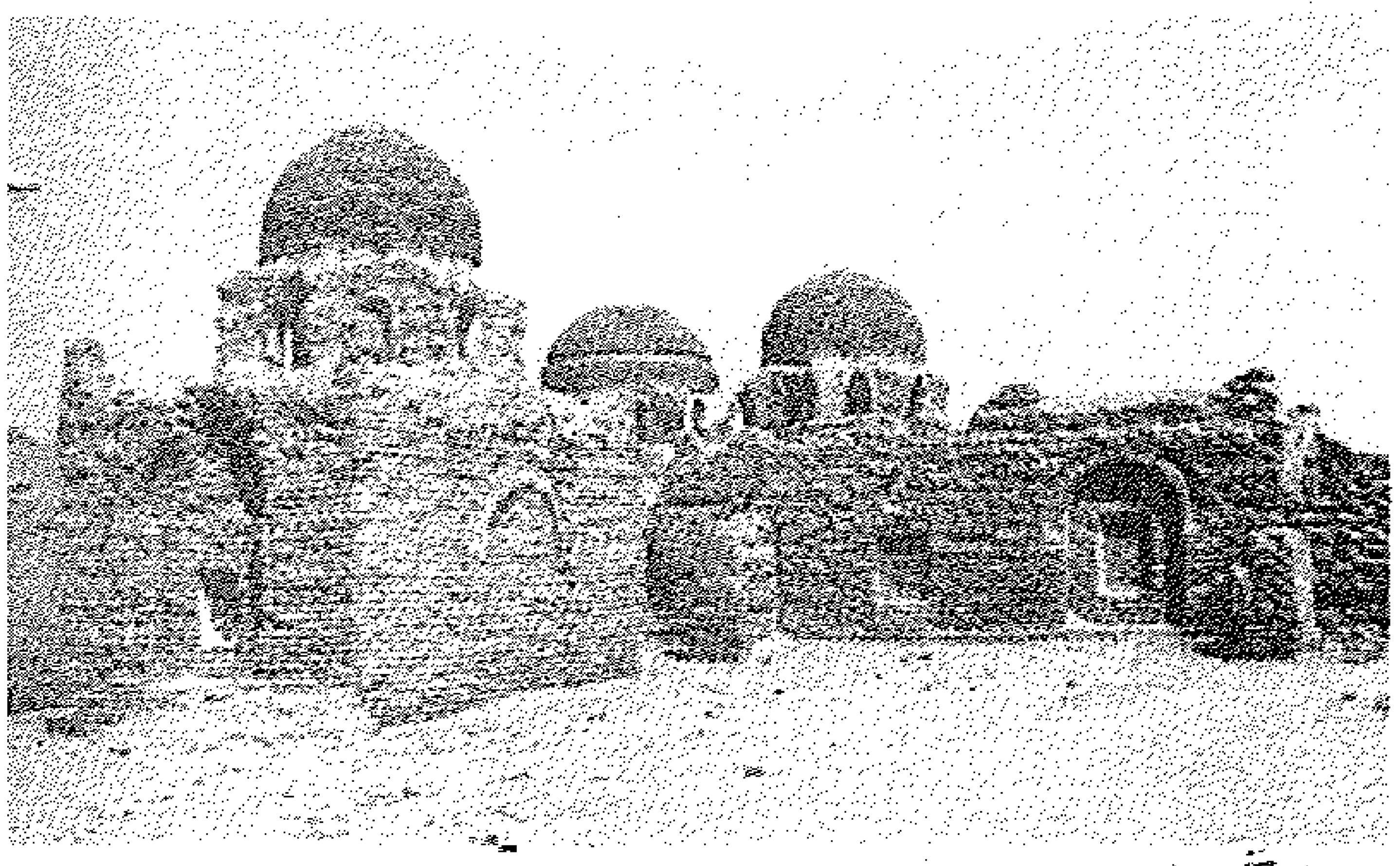

أ - الأضرحة رقم ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٣ (من الخارج) .

ب - الضريح رقم ٢٥ (من الخارج) .

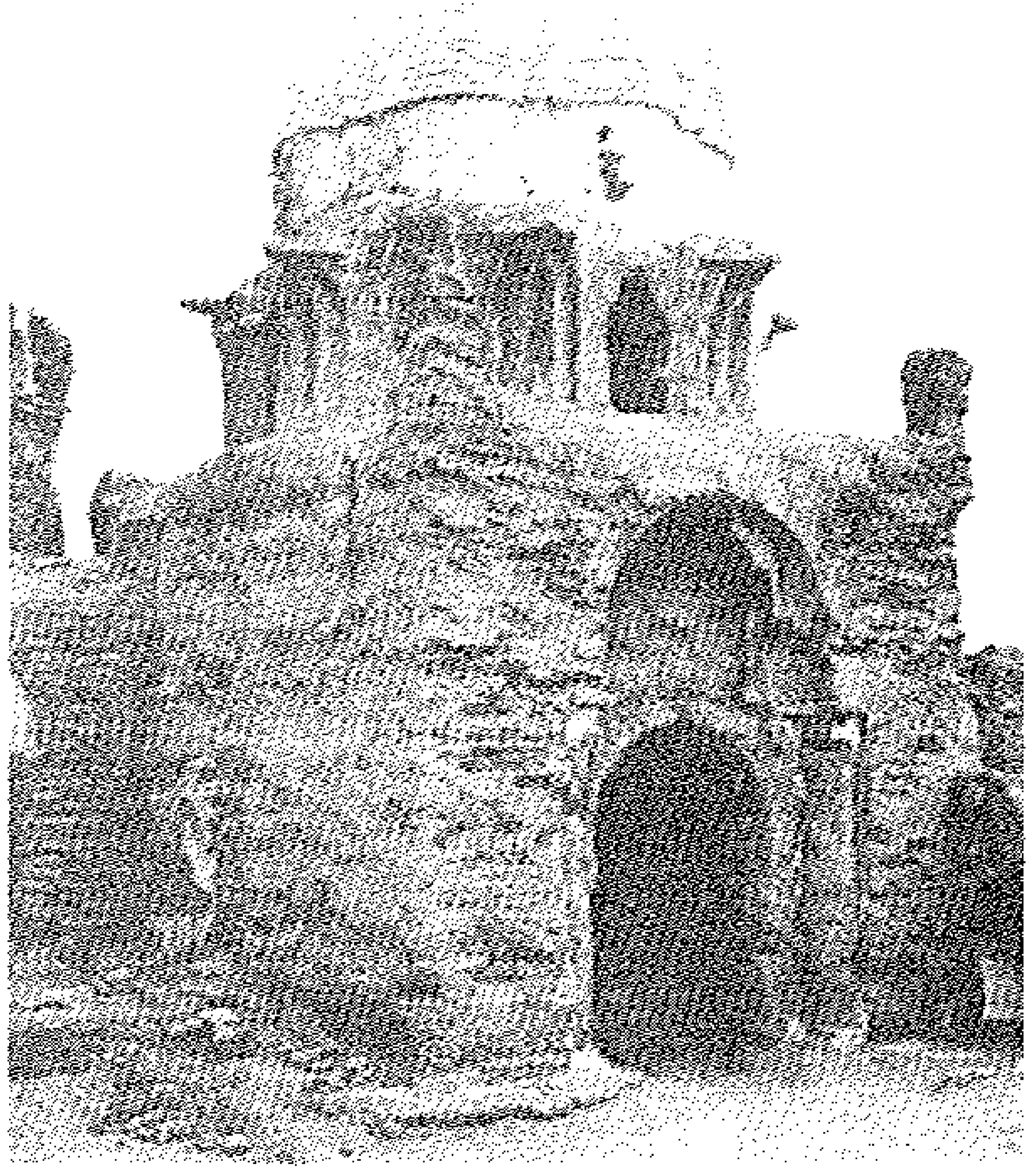

جـ - الضريح رقم ٢٤ (من الخارج) .

د - الضريح رقم ٢٤ (من الداخل) .

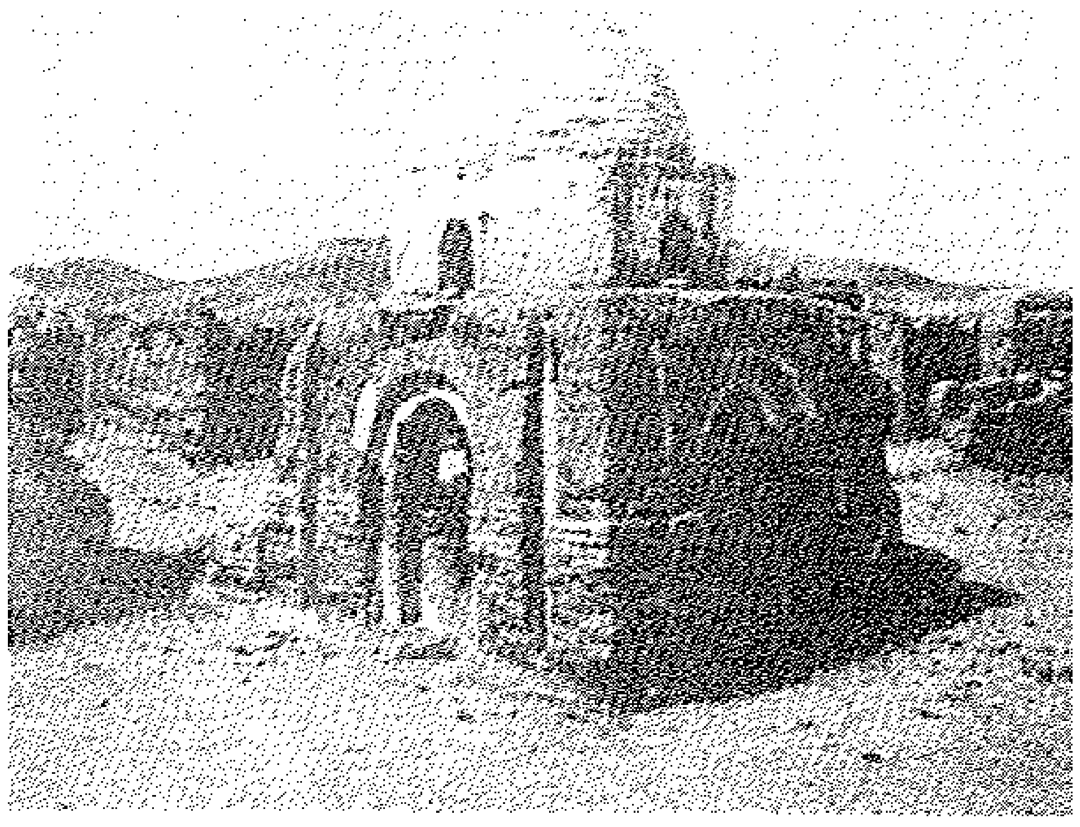

هـ - الضريح رقم ٢٨ (من الخارج) .

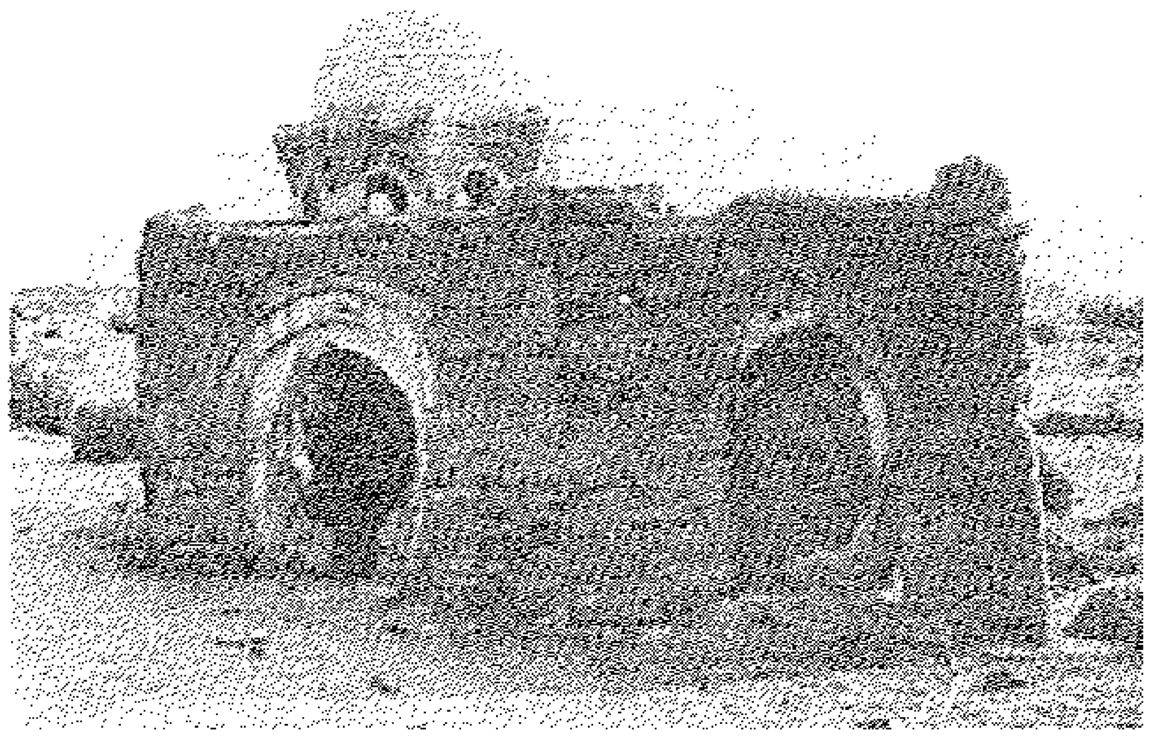

و - الضريح رقم ٨ (من الخارج) .

(لوحة رقم ٤٣) أسوان : أضرحة في الجبانة ق١١م/٥هـ .

أ - الضريح رقم ٥ (من الخارج) .

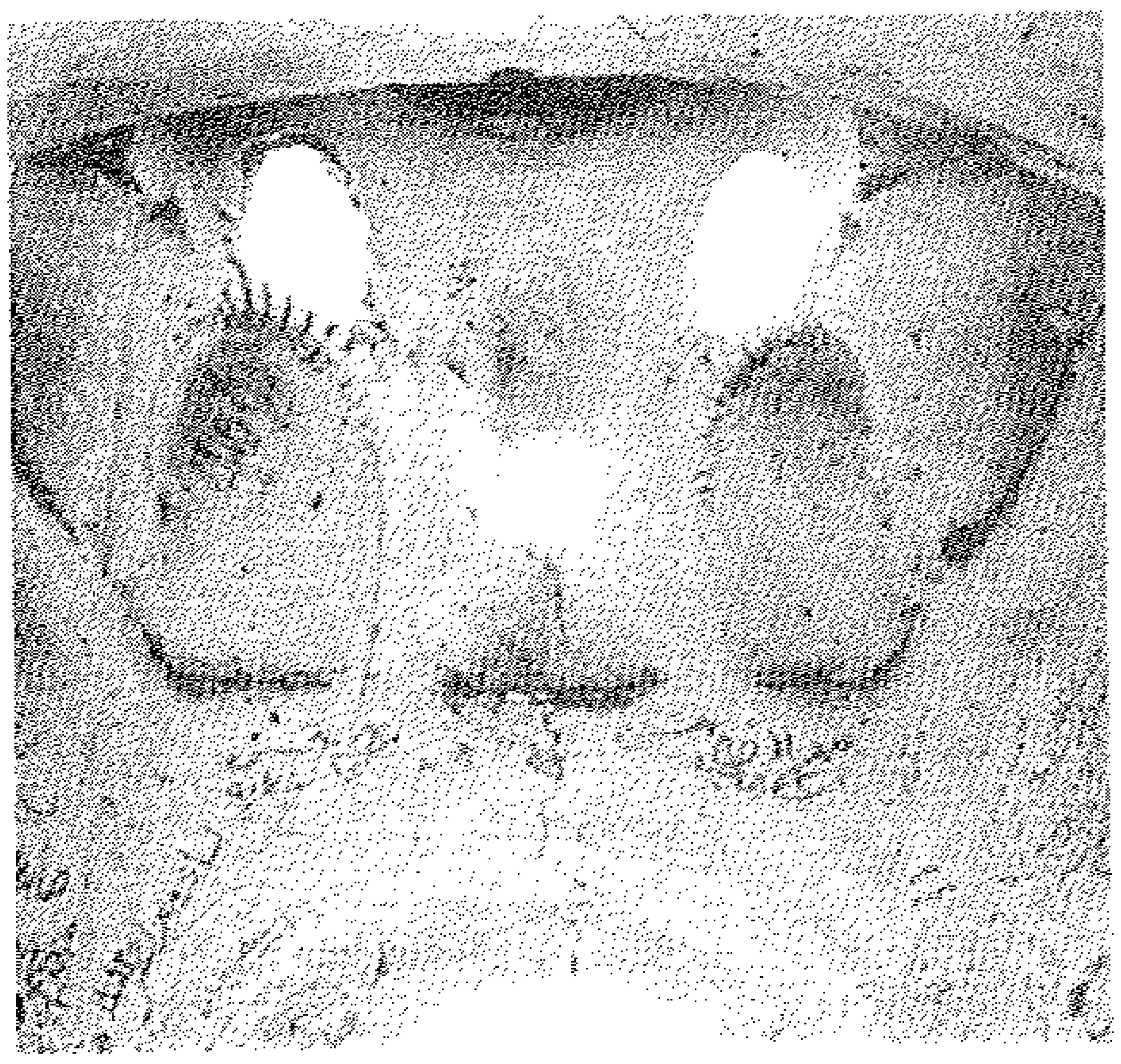

ب - الضريح رقم ٥ (من الداخل) .

جـ - الضريح رقم ٧ (من الخارج) .

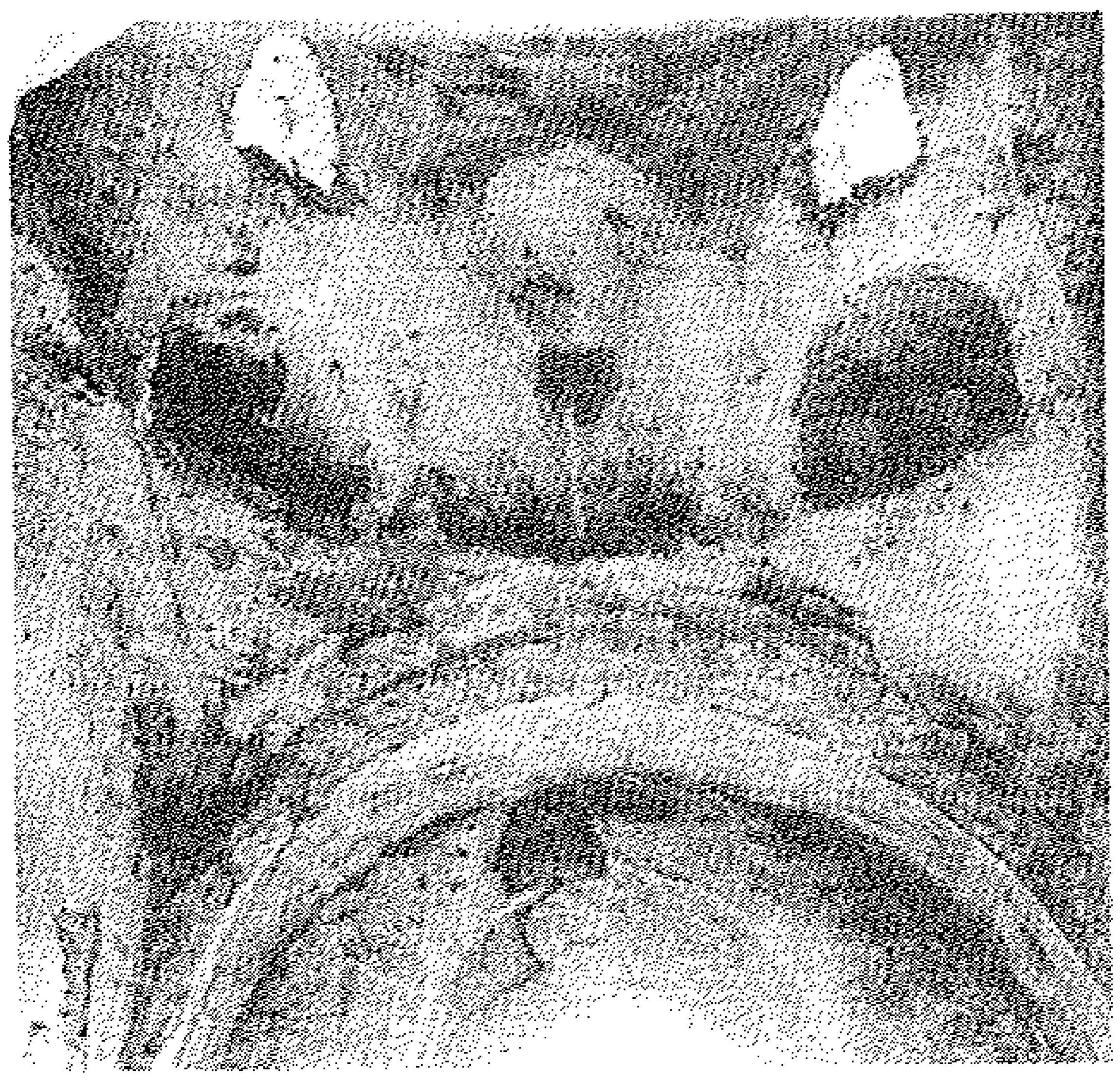

د - الضريح رقم ٧ (من الداخل) .

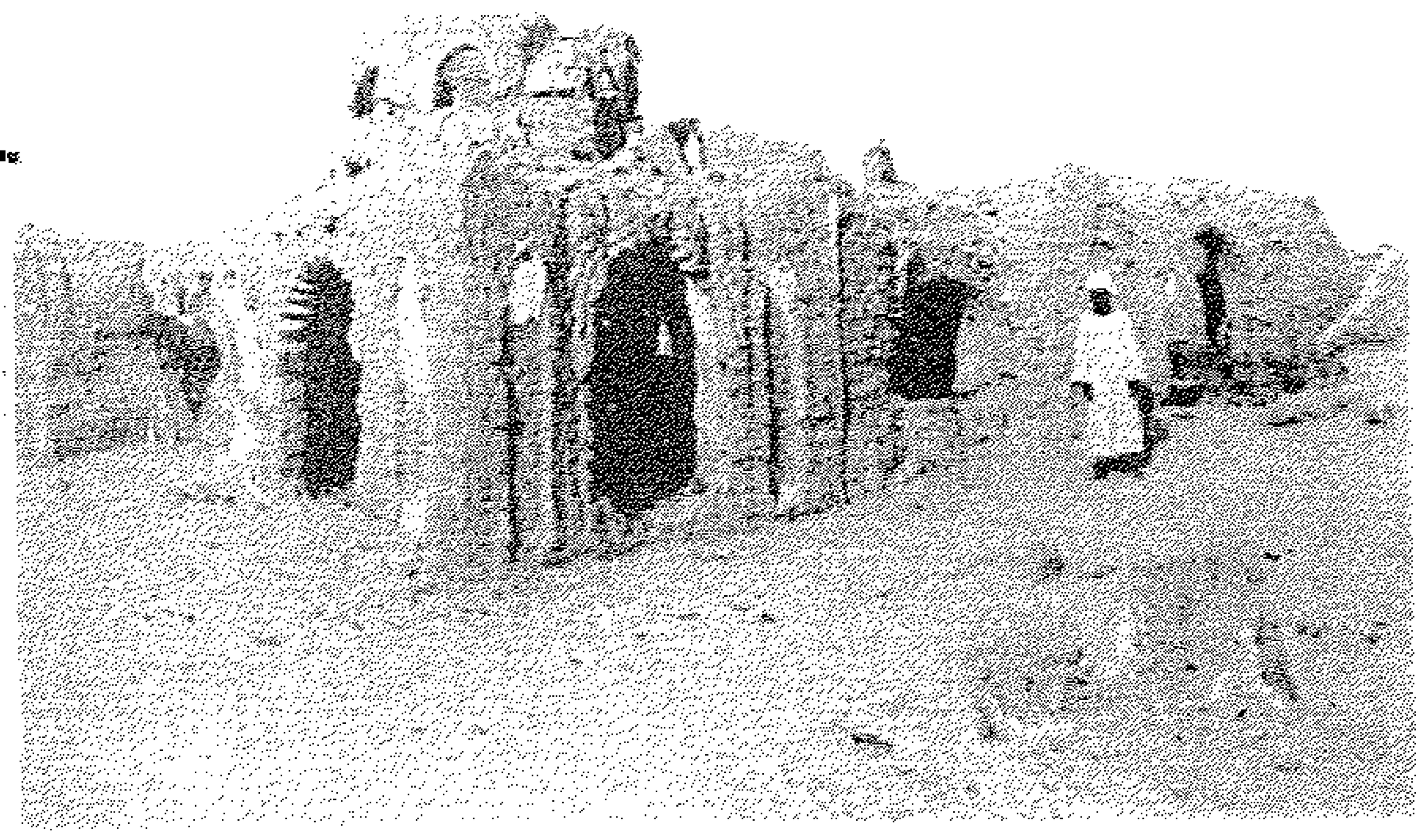

هـ - الأضرحة رقم ١٩ ، ١٨ ، ١٧ (من الخارج) .

و - الضريح رقم ١٩ (من الداخل) .

(لوحة رقم ٤٤) أسوان : أضرحة في الجبانة ق١١م/٥هـ .

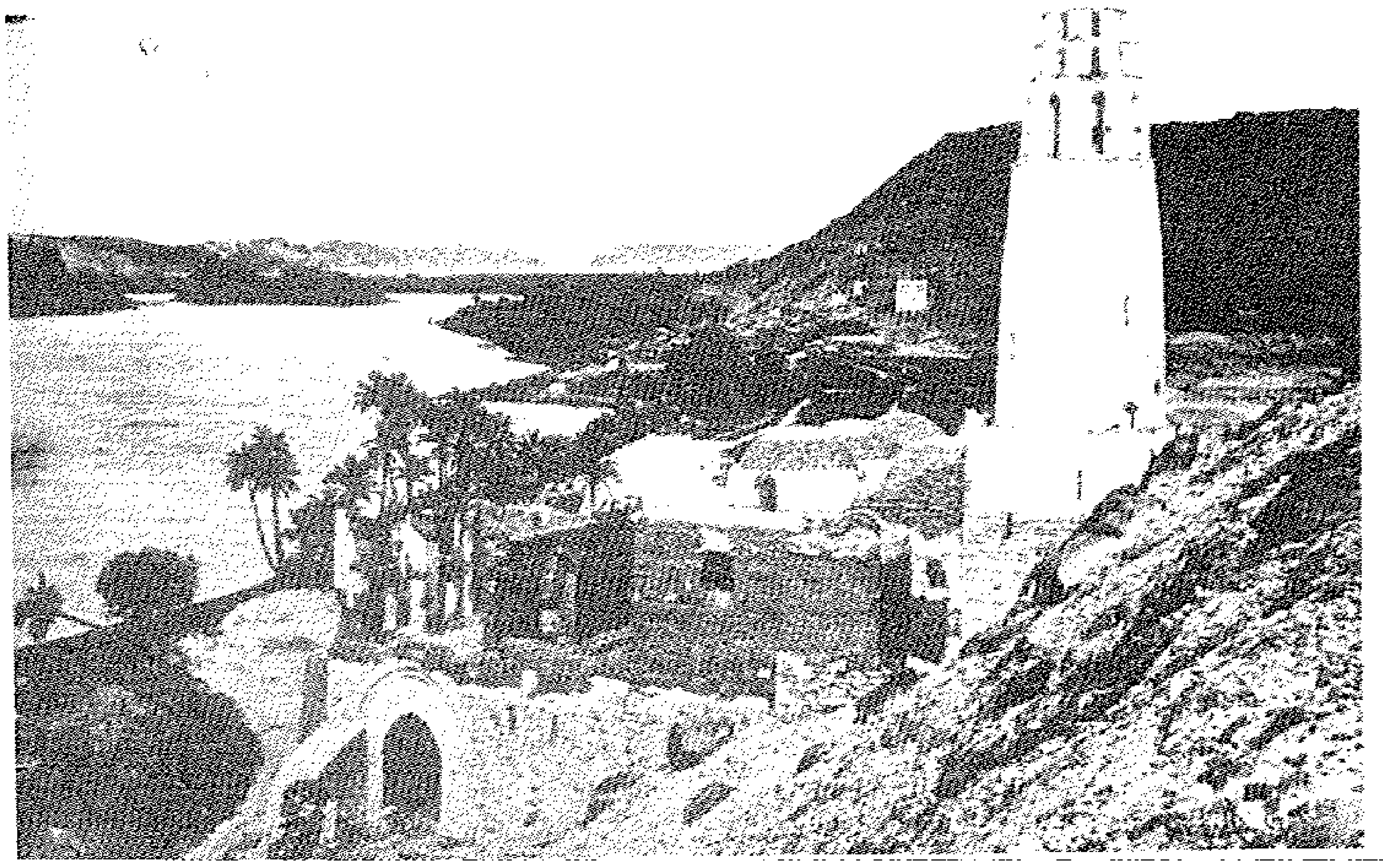

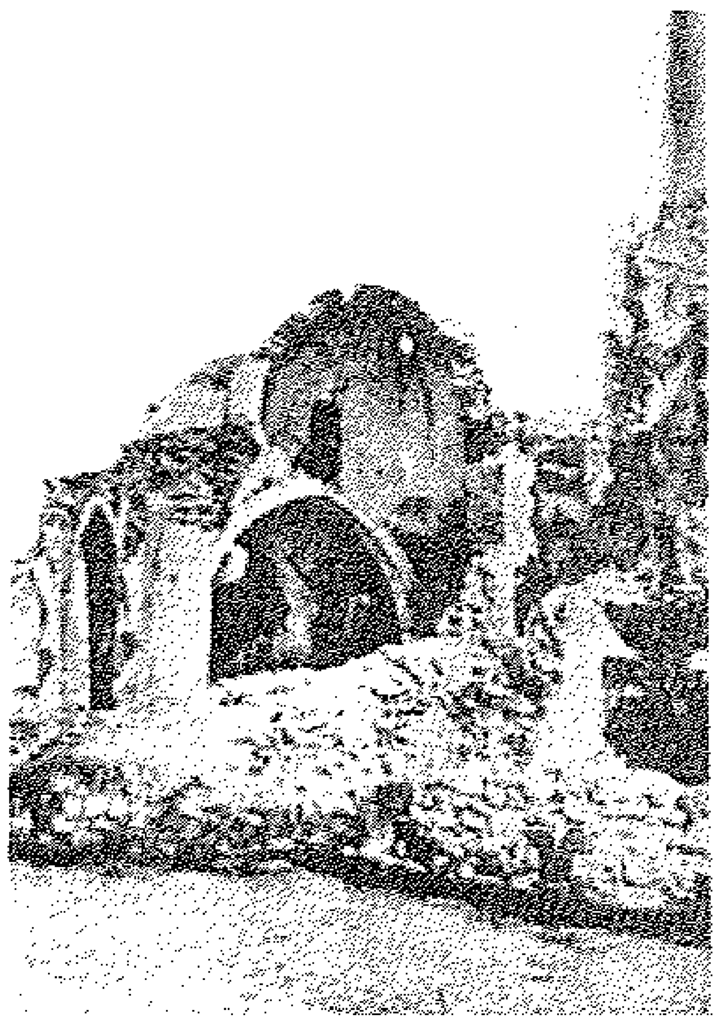

ب - قاعة الصلاة
حوالي عام ١٩٣٠م .
(عن : مونيريه) .

أ - المئذنة ، المسجد والأساس من الجنوب
في عام ١٨٥٨ - ١٨٥٩م .
(عن : فرانسيس فريث : (مصر وفلسطين) .

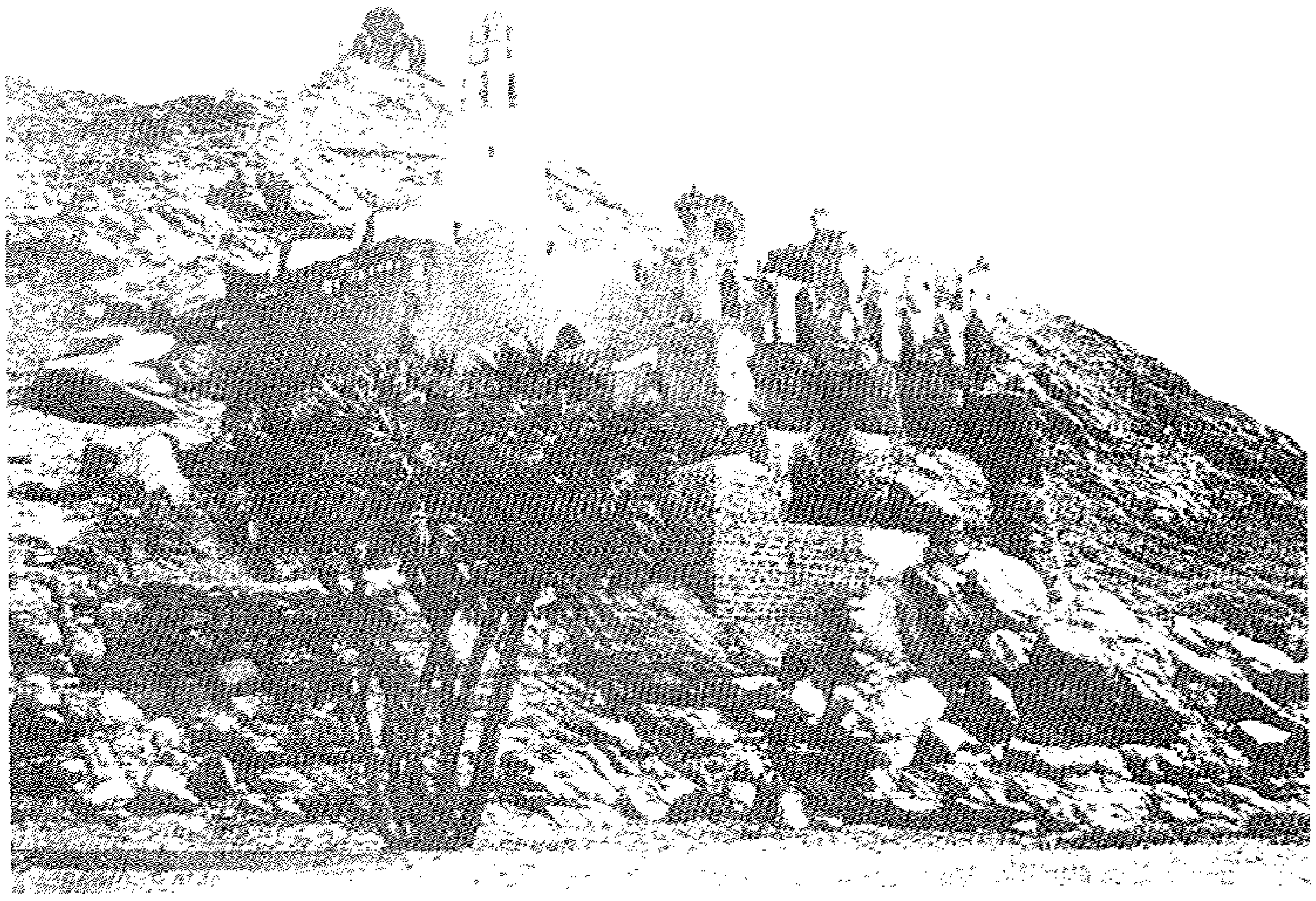

جـ - المئذنة ، المسجد والأساس من الشمال الغربي في عام ١٨٥٨ - ١٨٥٩م .
(عن : فرانسيس فريث) .

(لوحة رقم ٤٥) المشهد القبلي قرب الشلال .

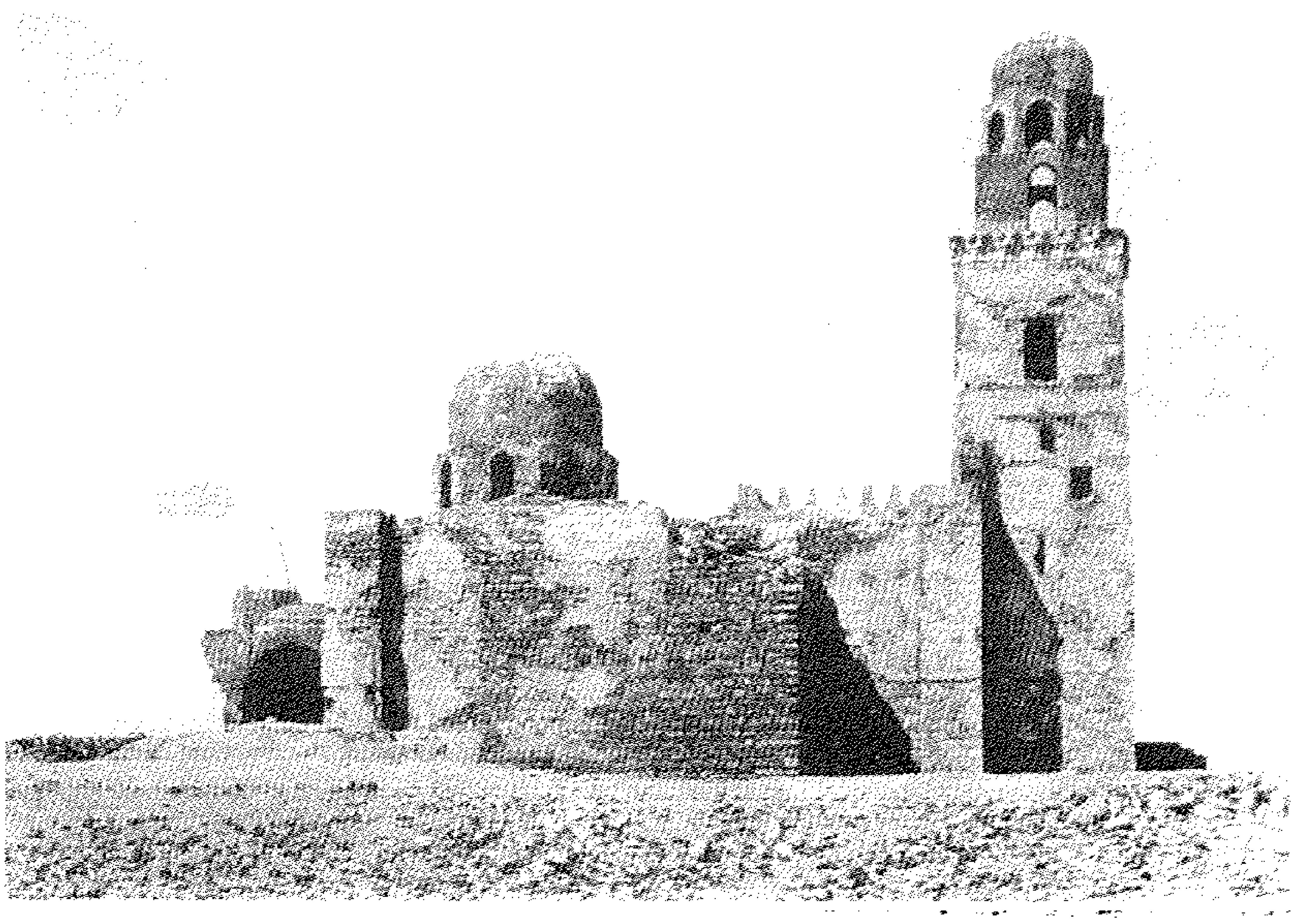

أ - من الشمال الشرقي .

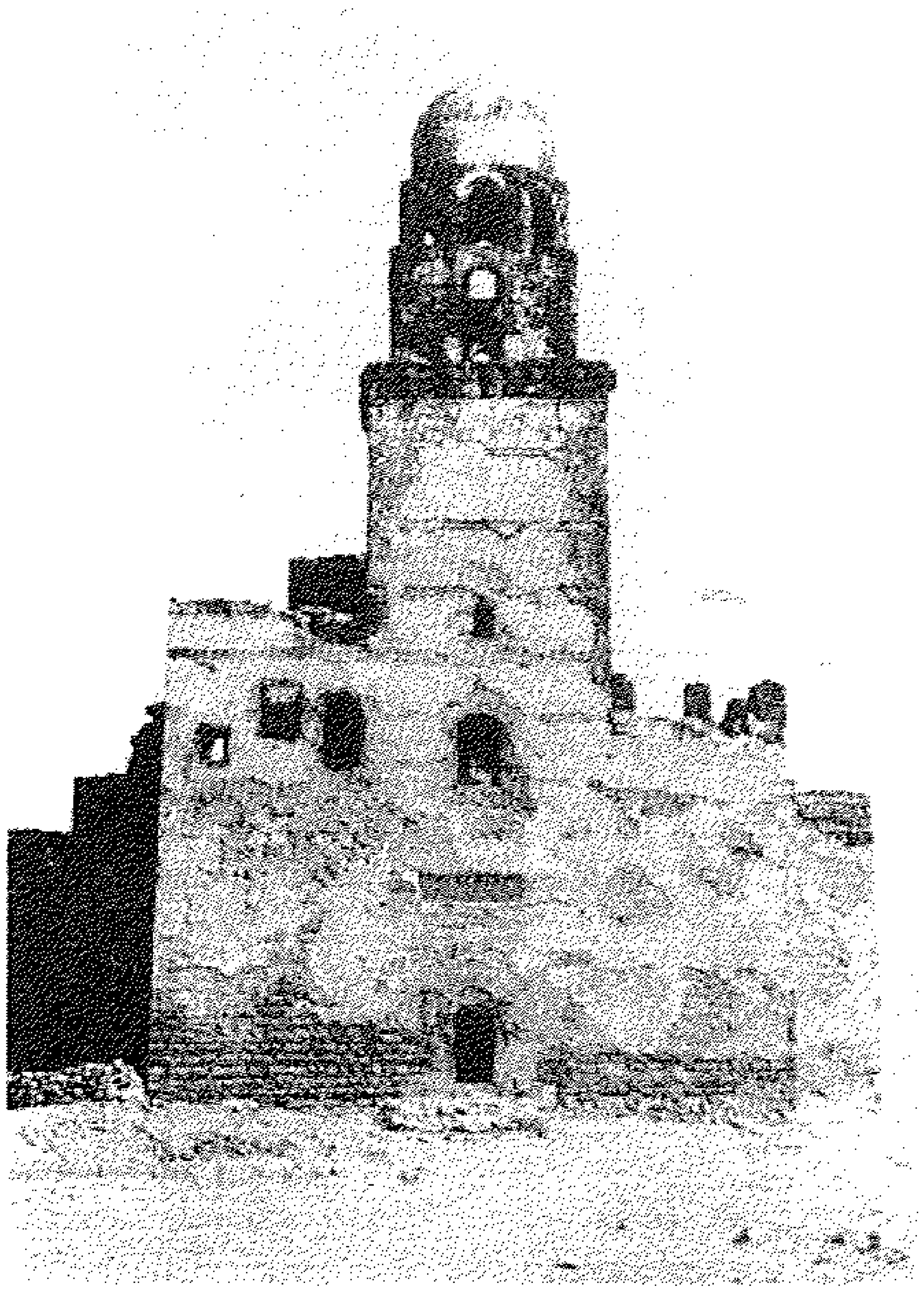

ج - الواجهة الشمالية الغربية وبها المدخل .

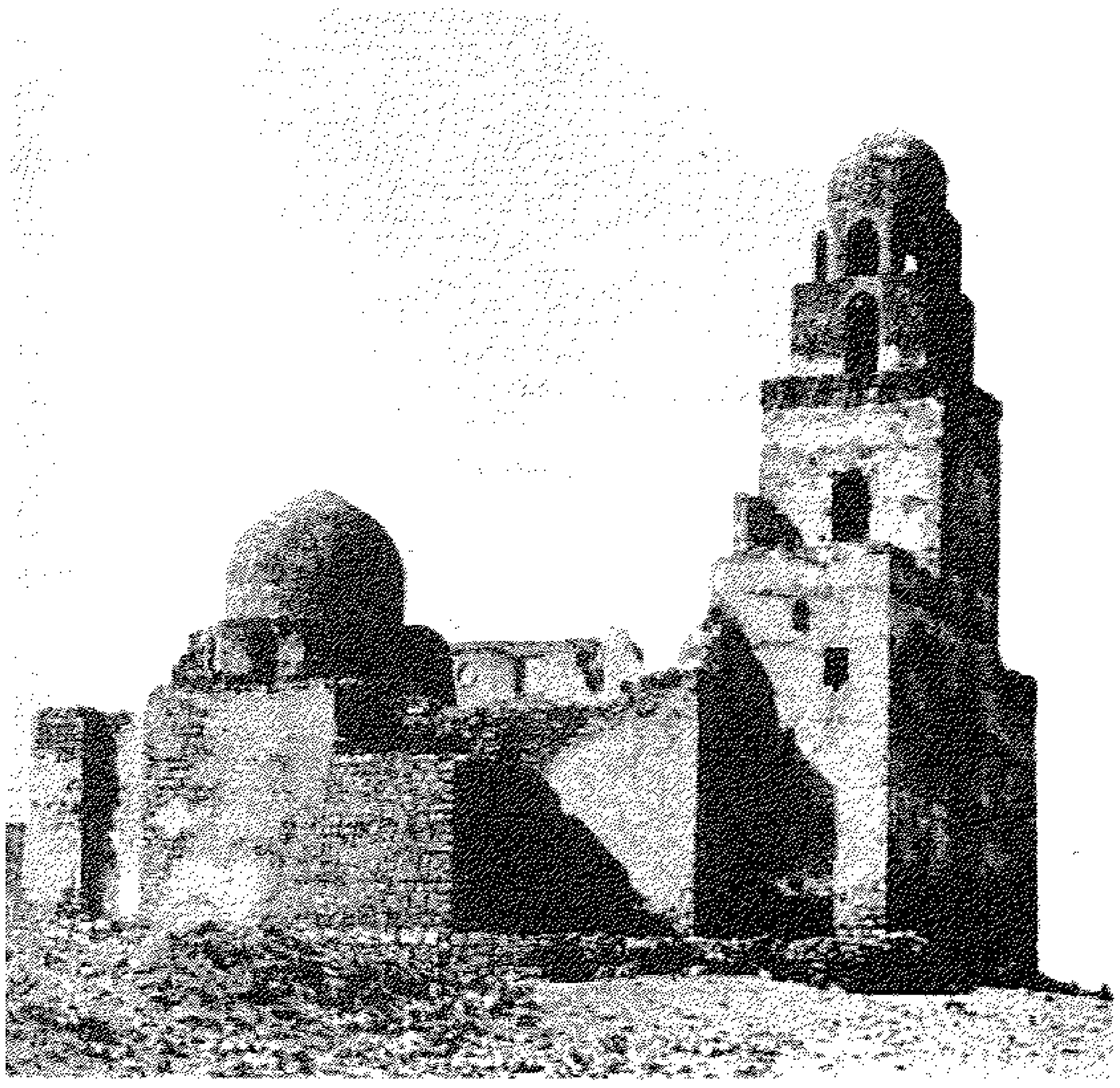

ب - من الشمال .

(لوحة رقم ٤٦) مسجد (مشهد) الجيوشي ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .

أ - المدخل .

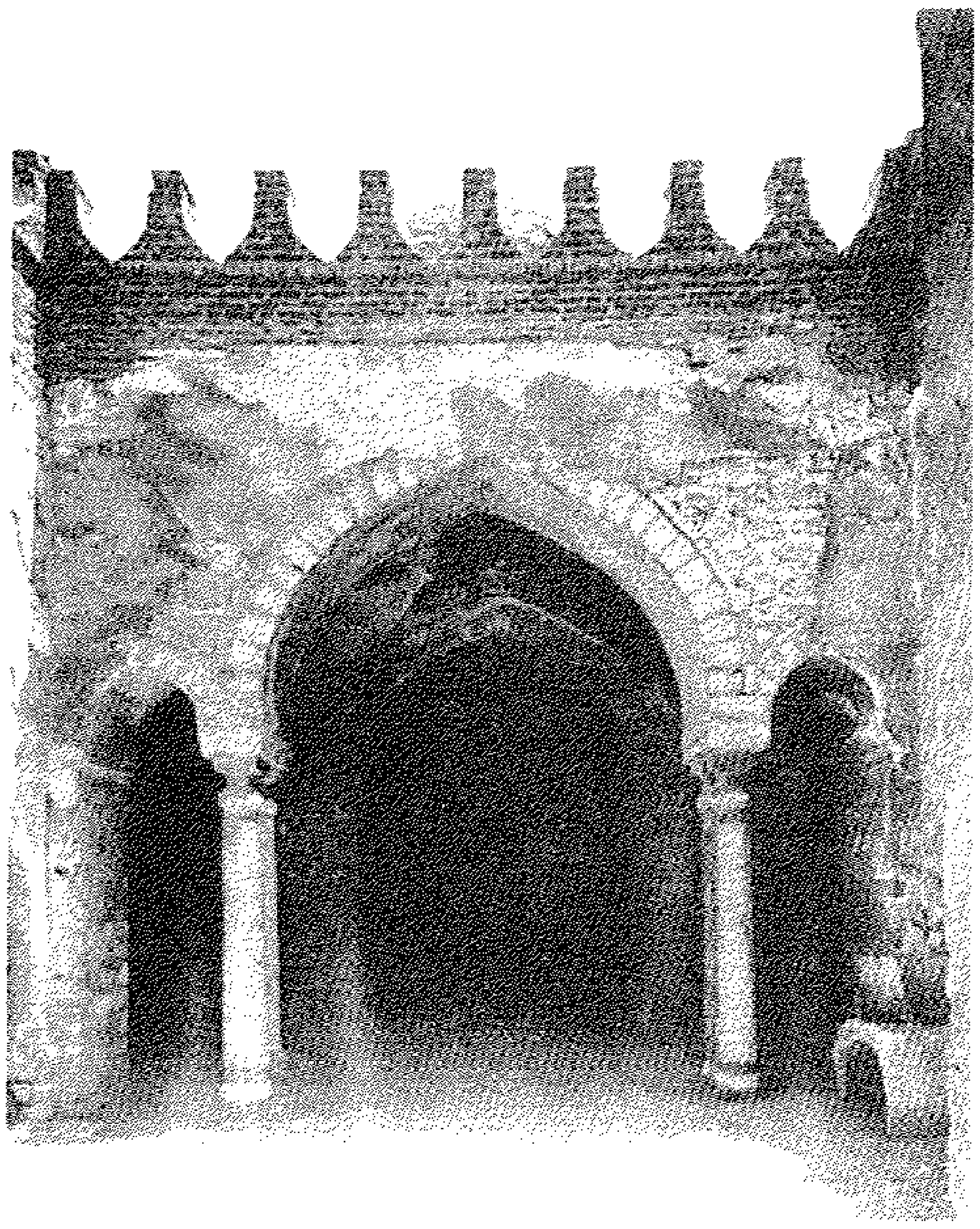

ب - الداخل .

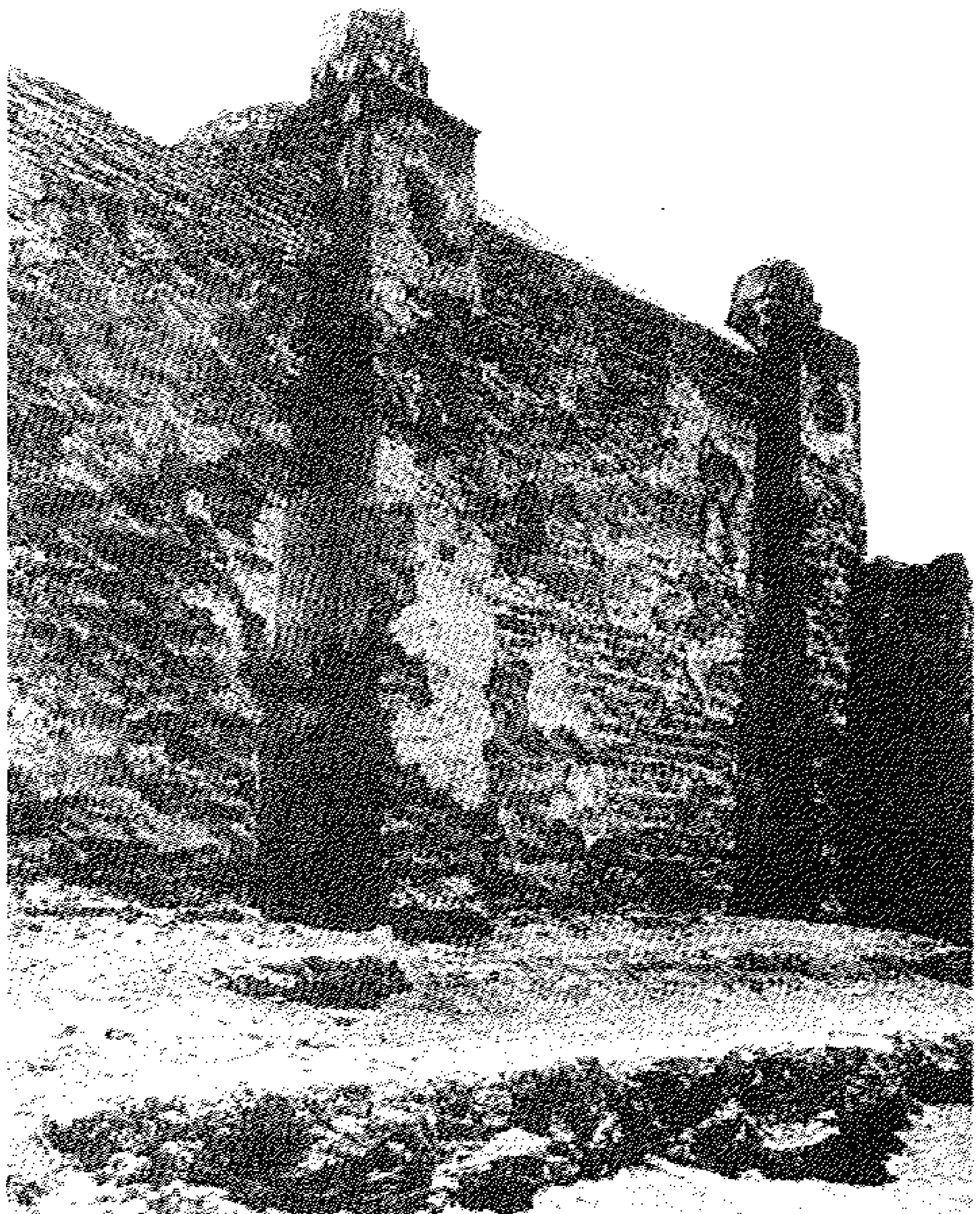

جـ - الجانب الجنوبي الغربي ،
وتشاهد الدعامات المتوجة بمصليات
(خلوات أو جواسق) ذات قباب صغيرة .

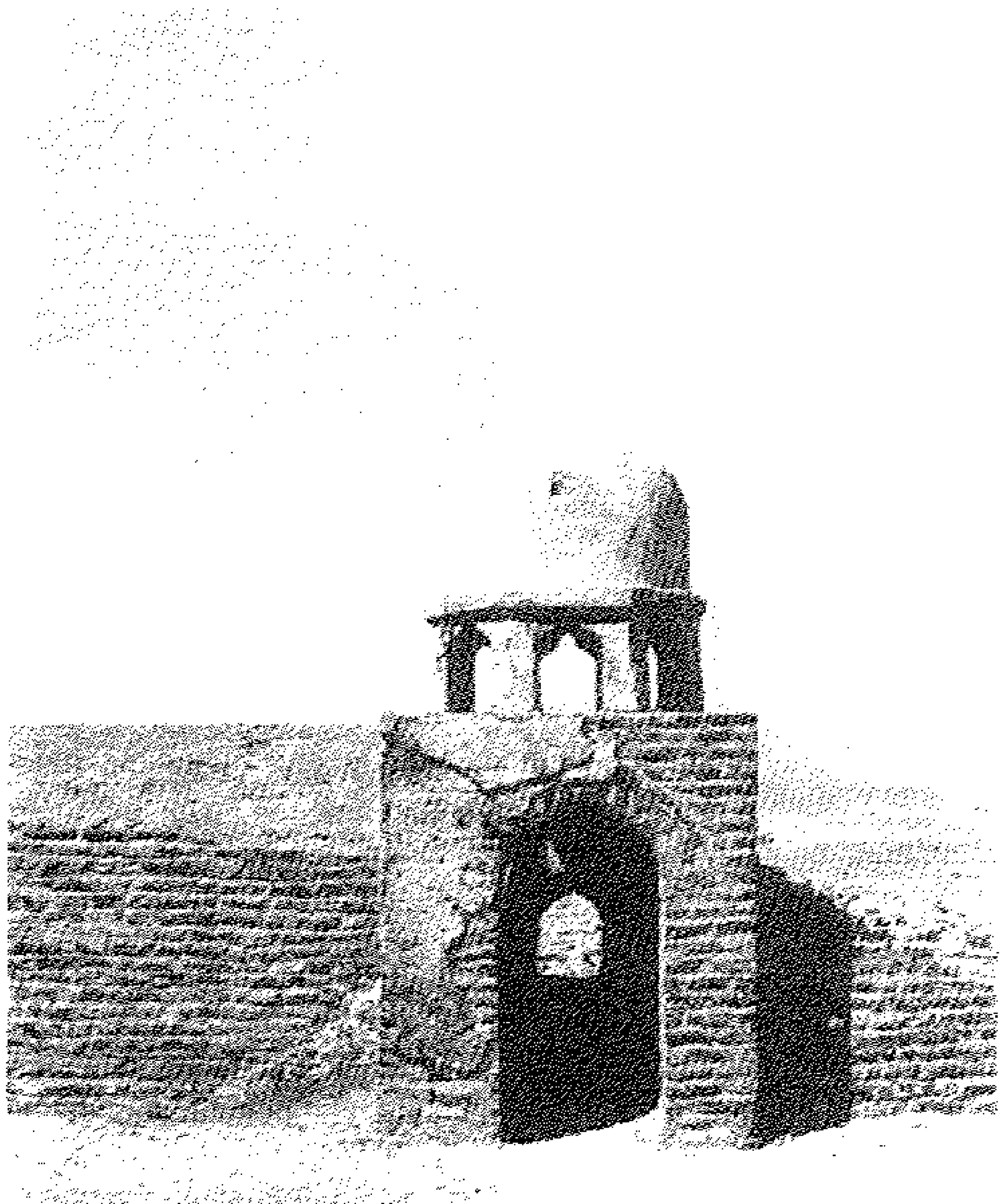

د - مصلى مقبب يظهر في جـ (إلى اليسار) .

(لوحة رقم ٤٧) مسجد الجيوشي ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .

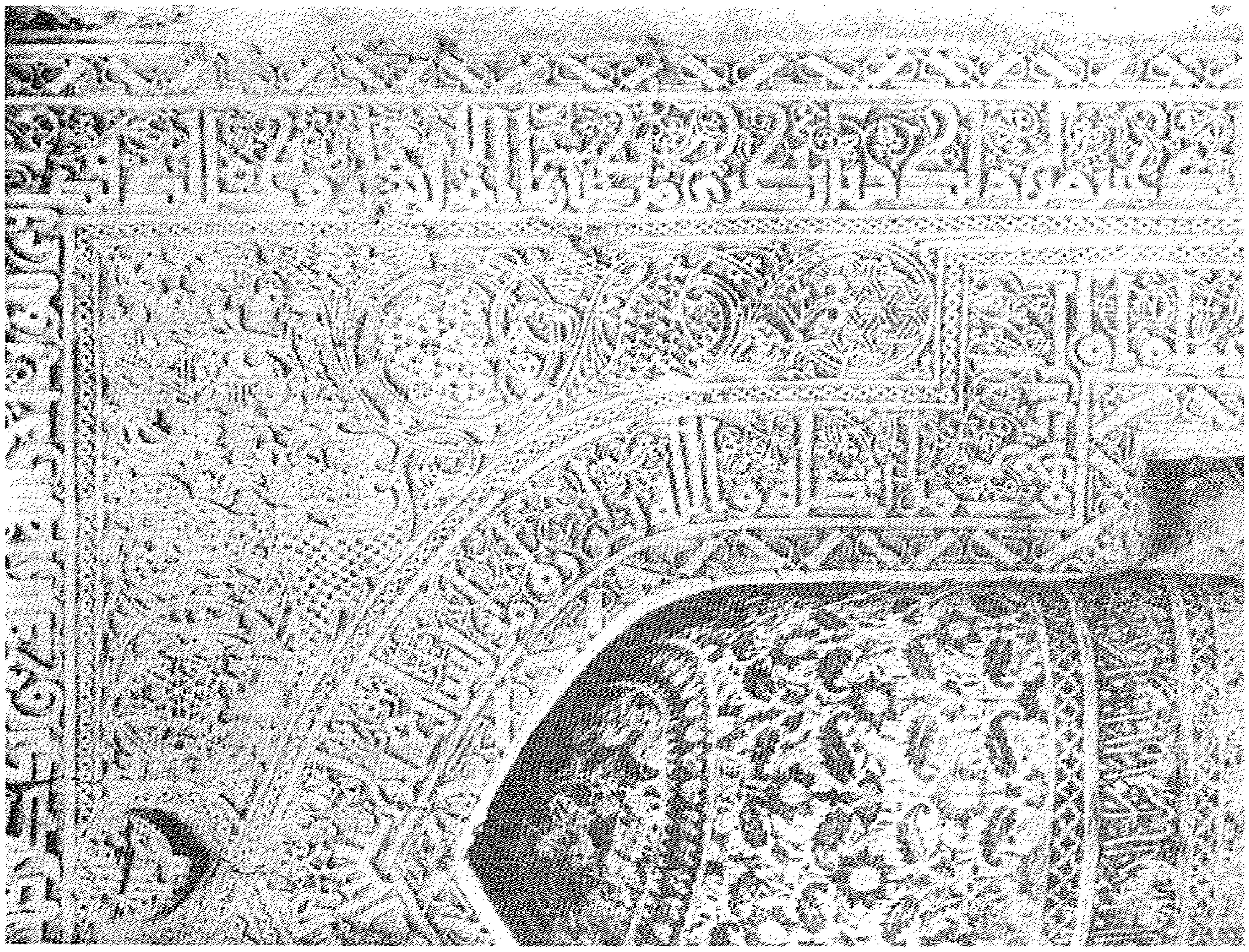

ج - تفصيل من المحراب .

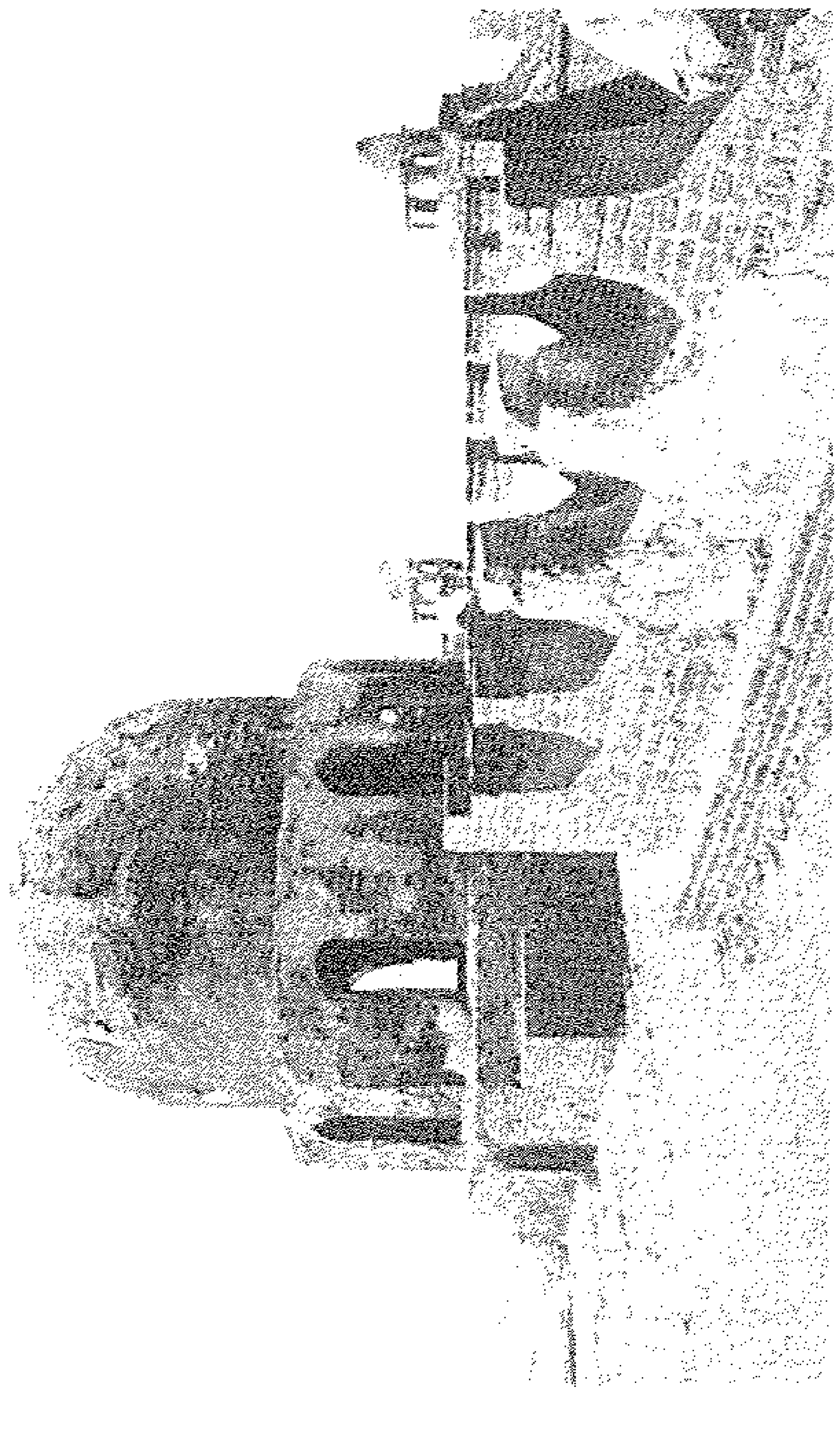

أ - القبة الرئيسية ، المصليات ذات القباب الصغيرة وشرافات الصحن .

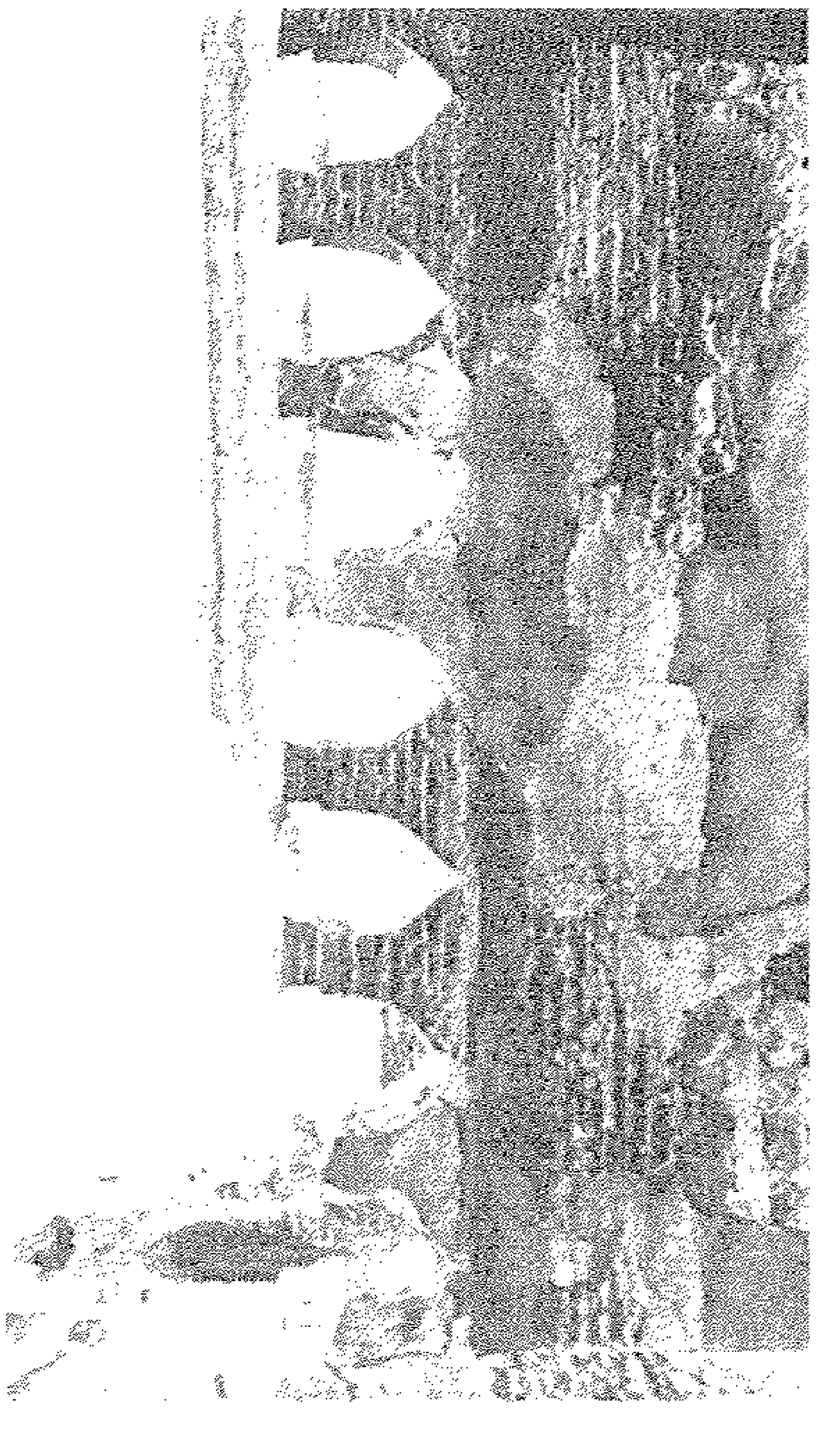

ب - شرافات الجانب الشمالي الشرقي للصحن .

(لوحة رقم ٤٨) مسجد الجيوشي ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م .

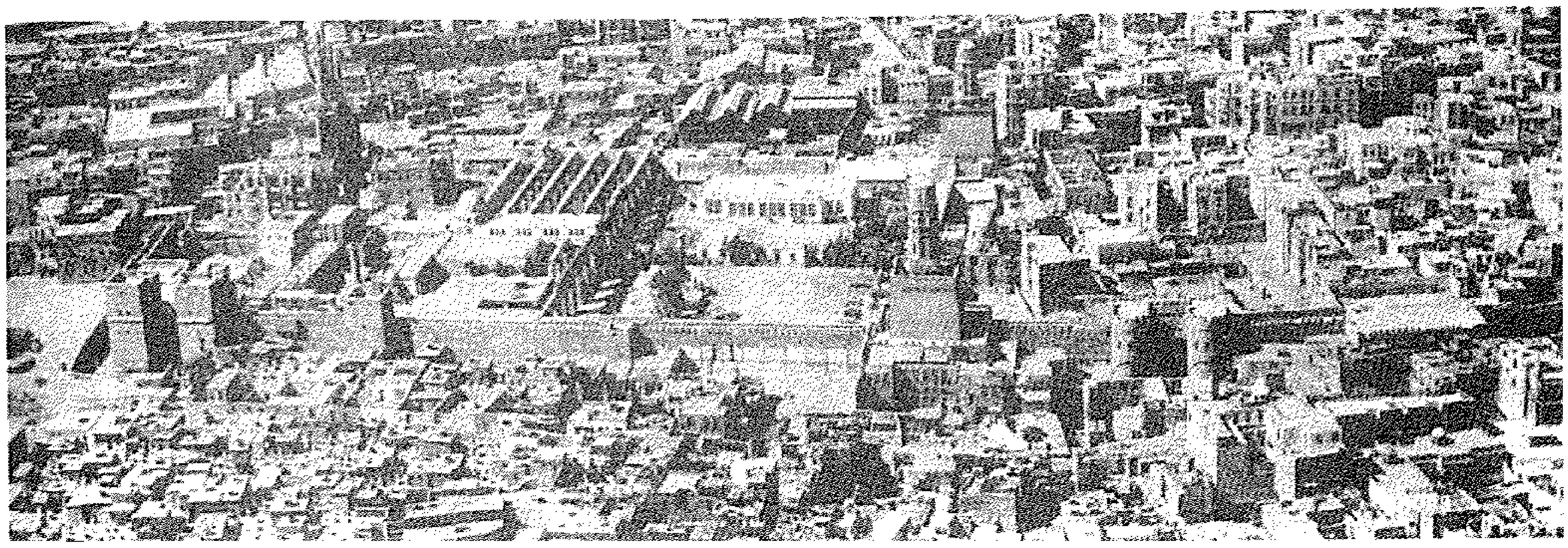

أ - السور الشمالي . ويشاهد باب النصر . البرج الأول . البرج الثاني .
البروز الكبير . باب الفتوح وبرج السلم .

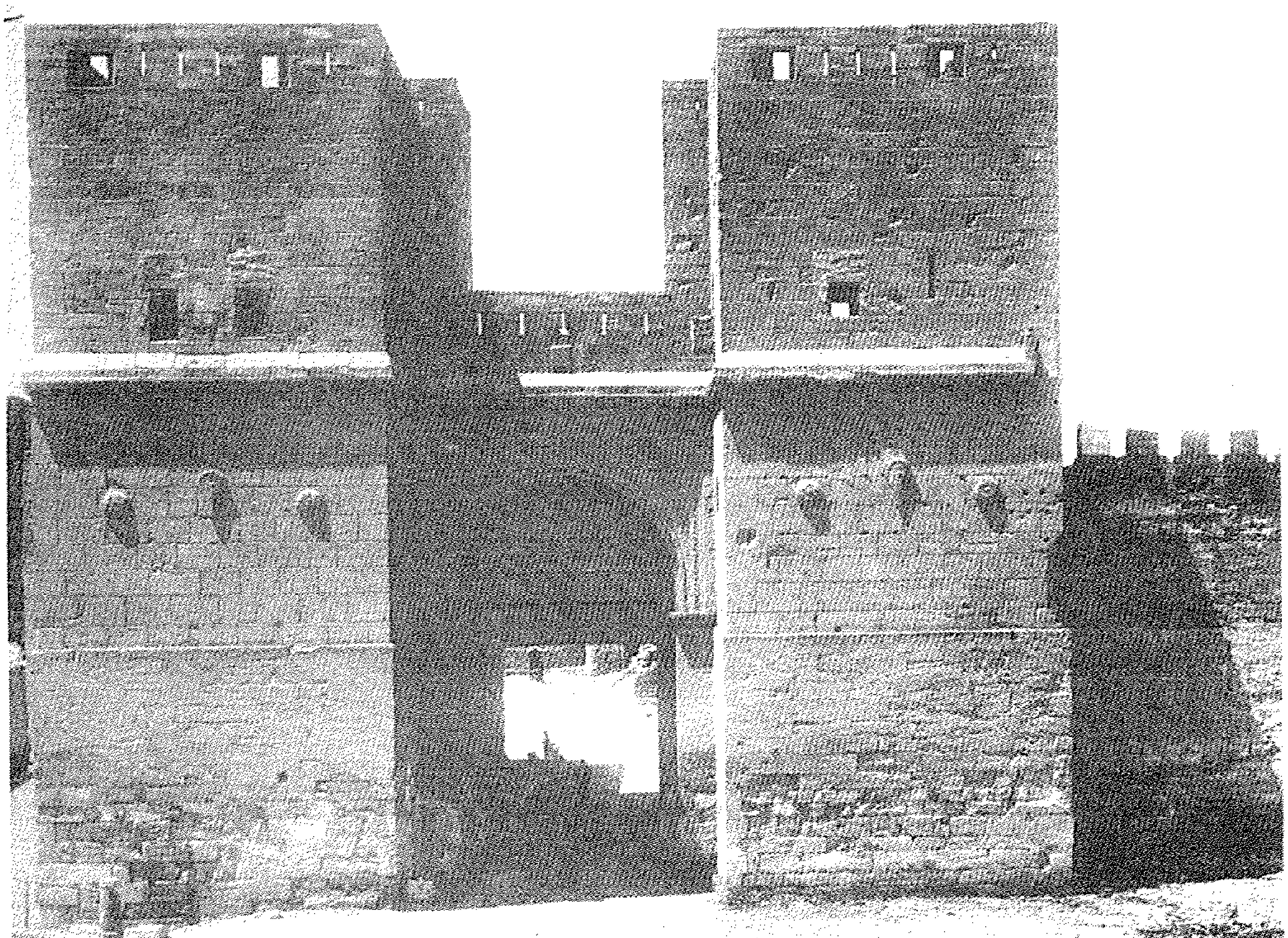

ب - واجهة أمامية .

(لوحة رقم ٤٩) باب النصر ؛ ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

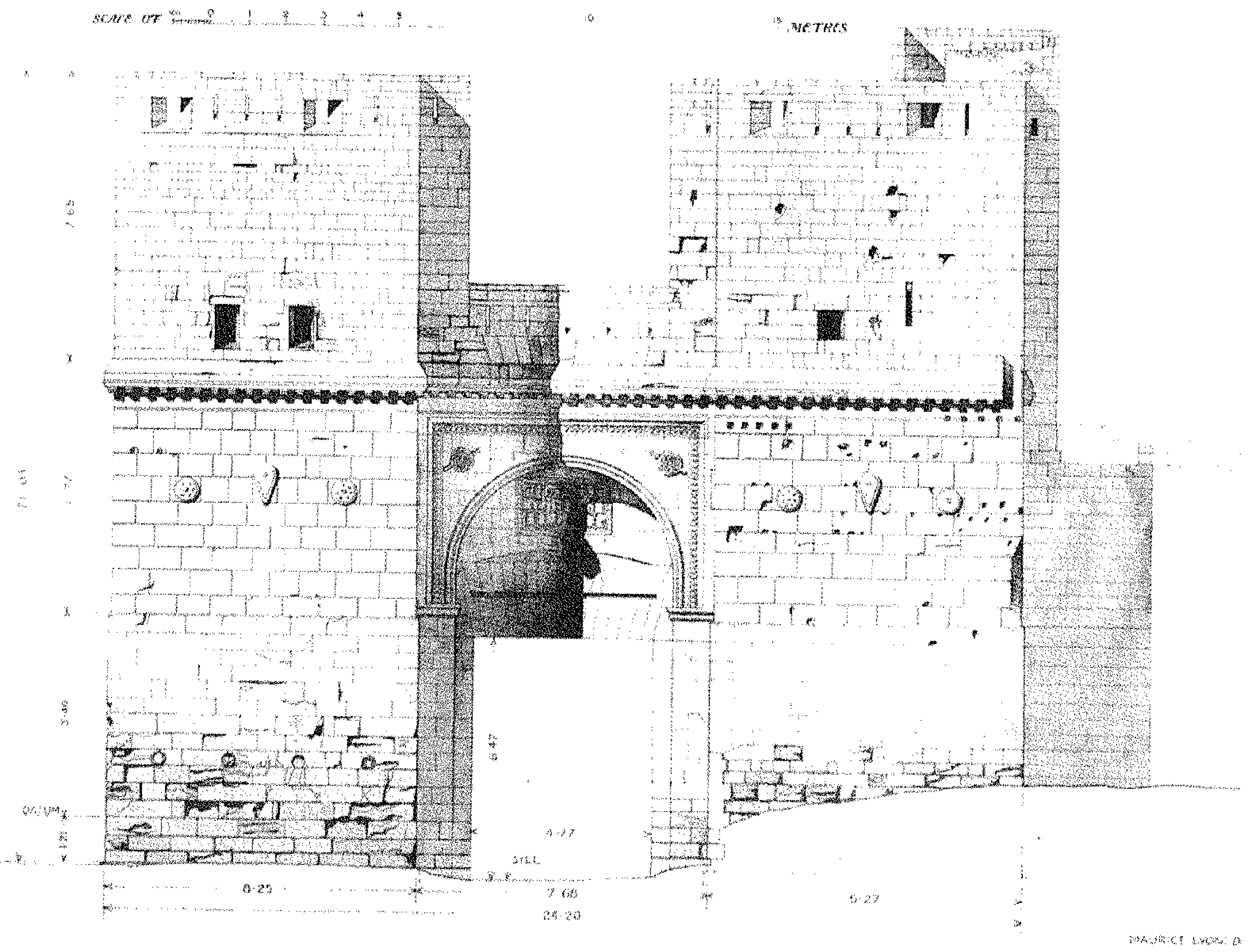

(لوحة رقم ٥٠) باب النصر : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م واجهة أمامية .

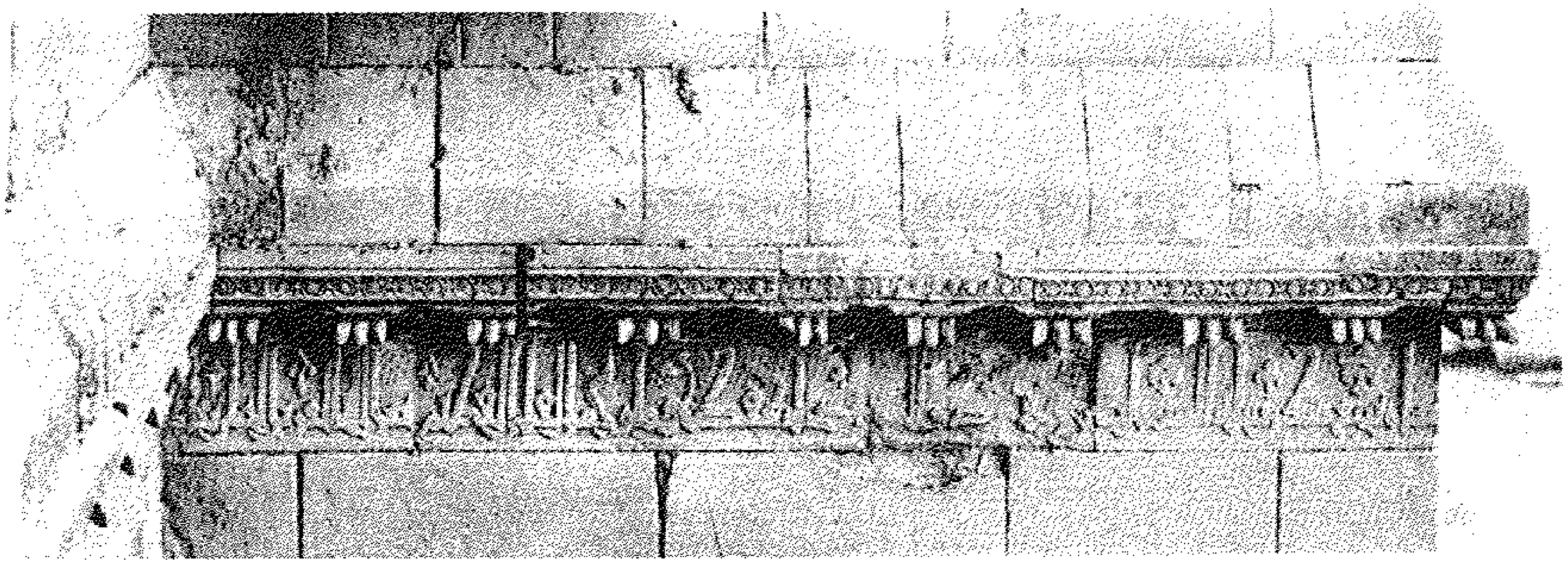

أ - كورنيش في أعلى الطابق الثاني .

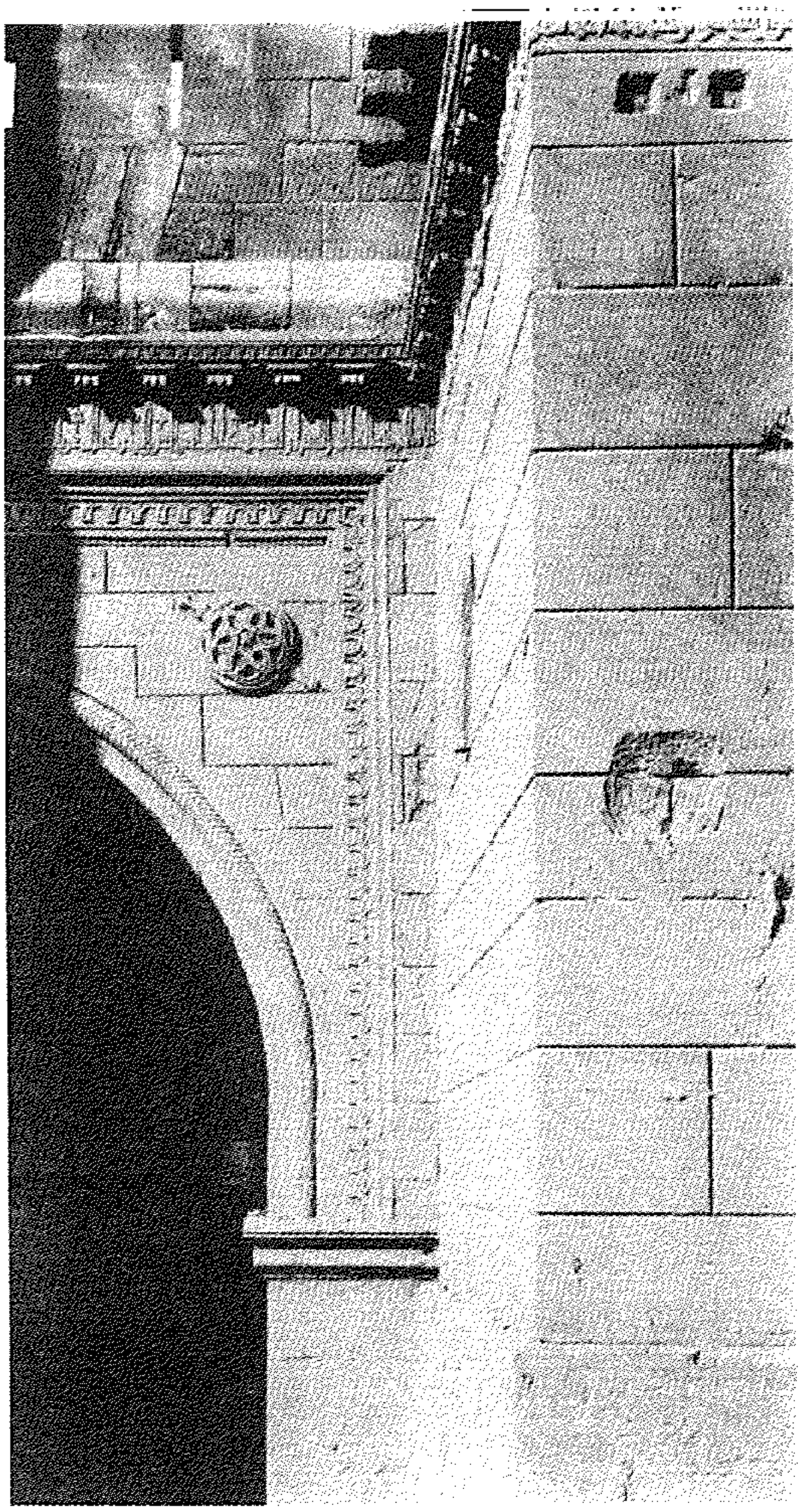

ب - تفصيل في كوشة العقد .

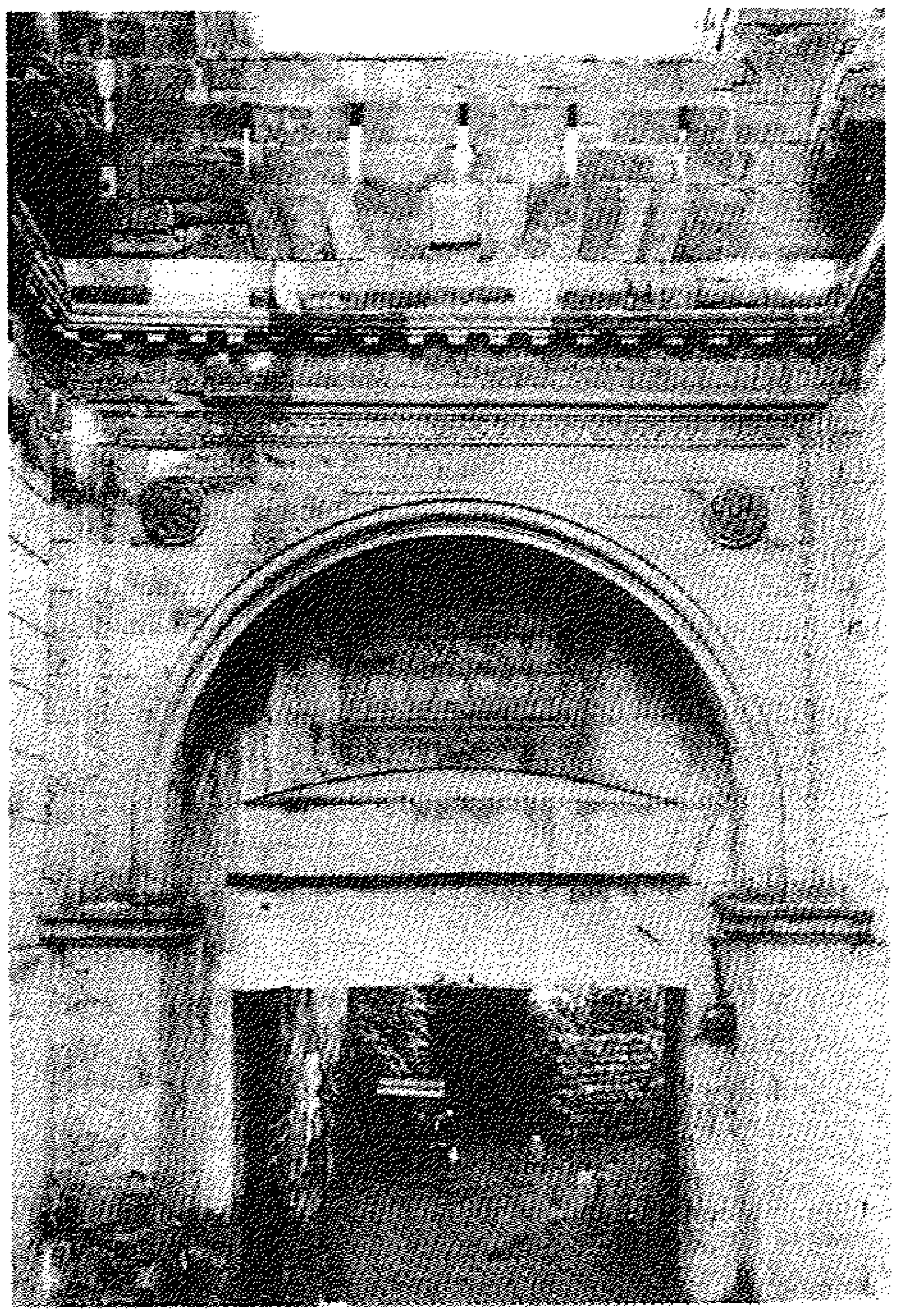

جـ - تفصيل في بوابة الدخول .

(لوحة رقم ٥١) باب النصر : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

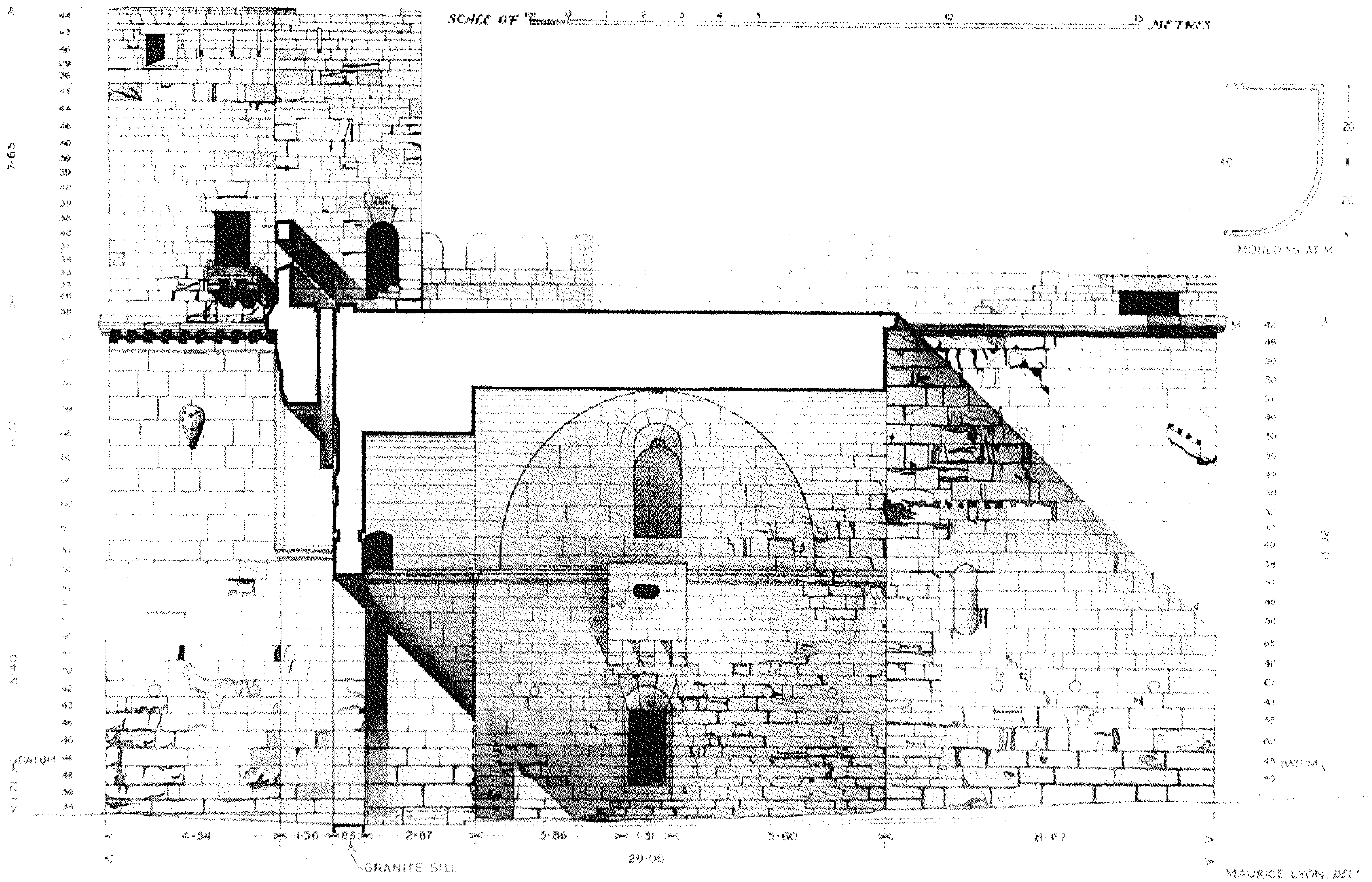

(لوحة رقم ٥٢) باب النصر : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م . قطاع في ممر البوابة .

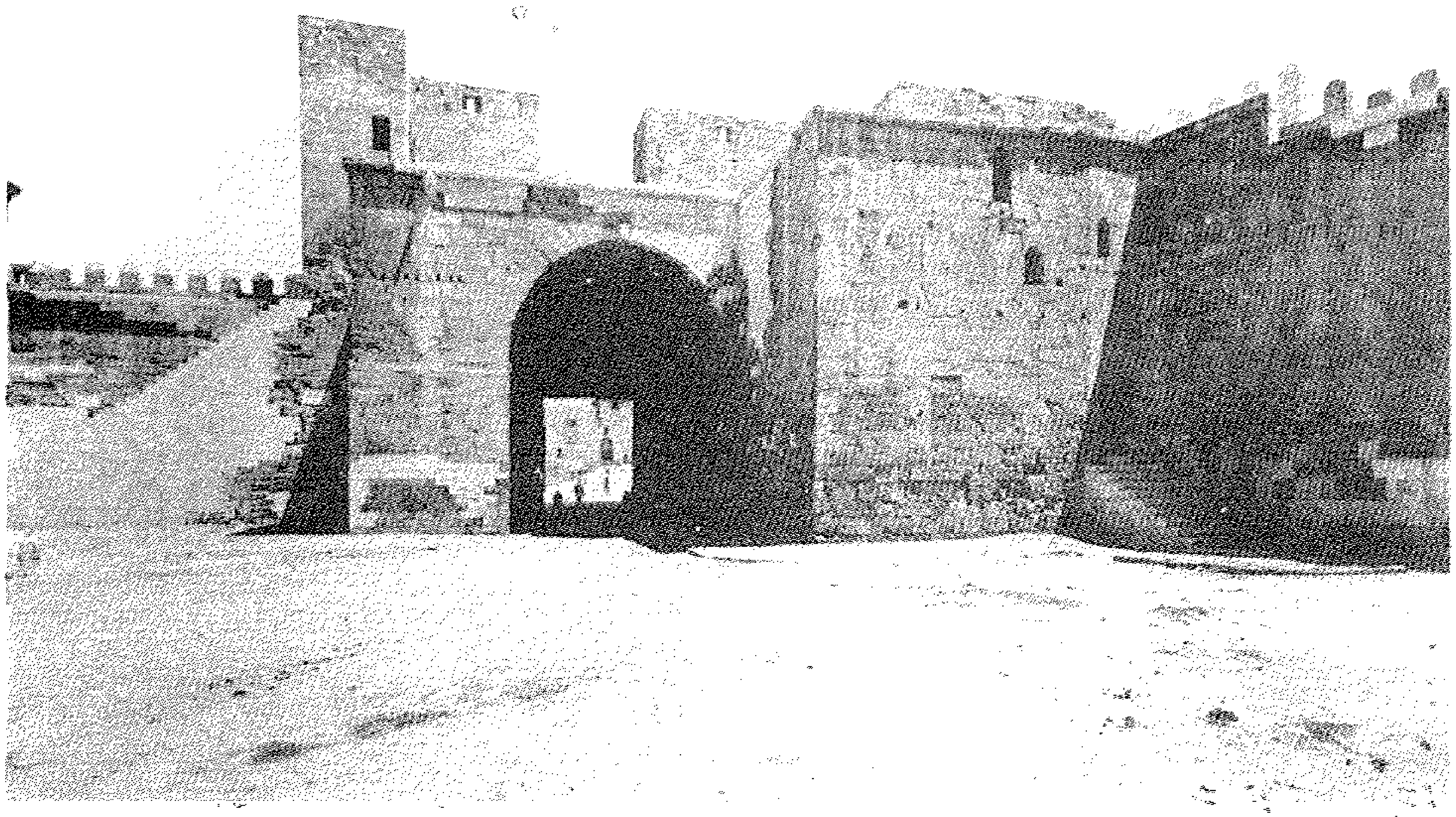

أ - الجانب (الجنوبي) الداخلي للبوابة ، سلم البرج إلى اليمين .

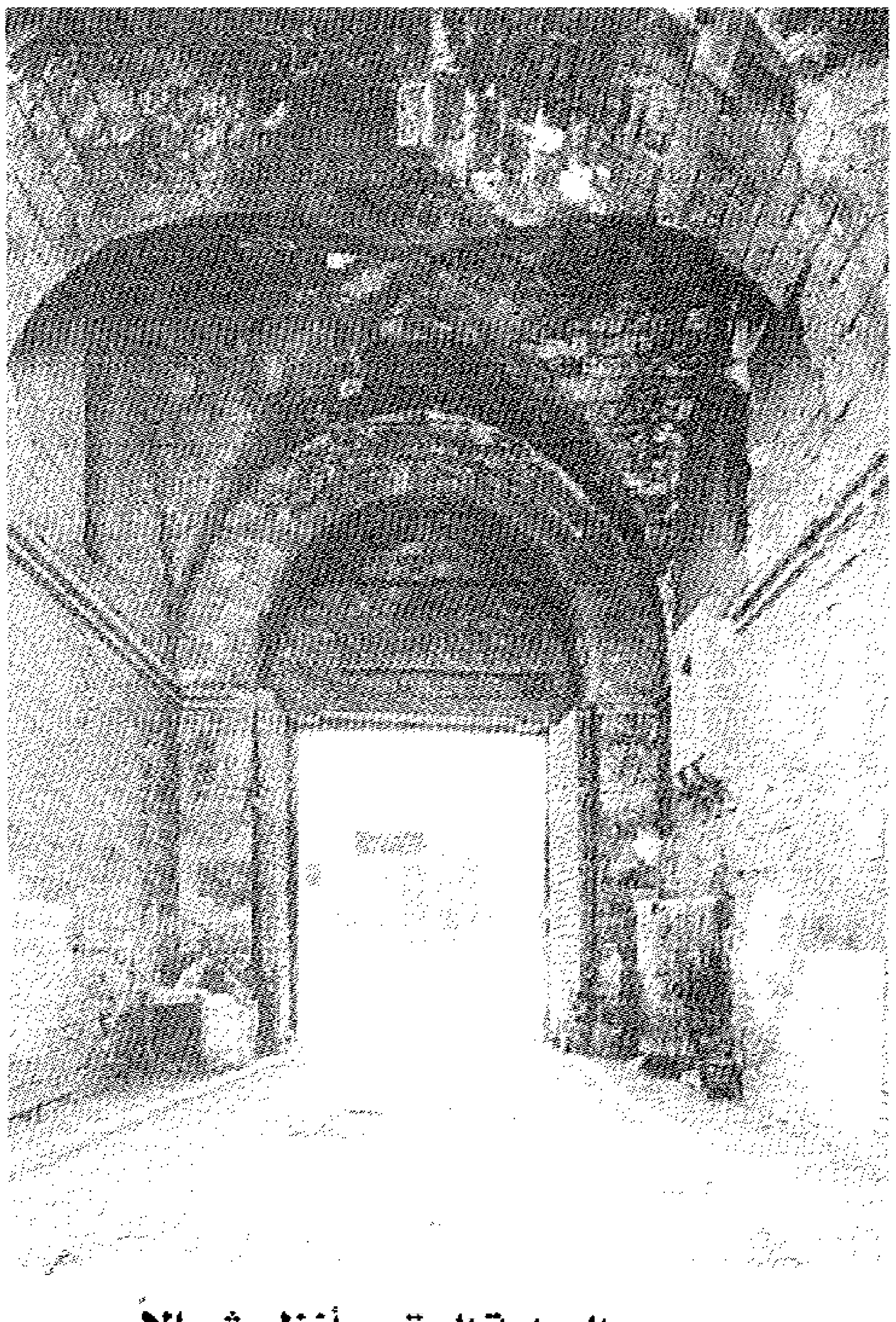

ب - ممر البوابة المقبي أنظر شمالاً .

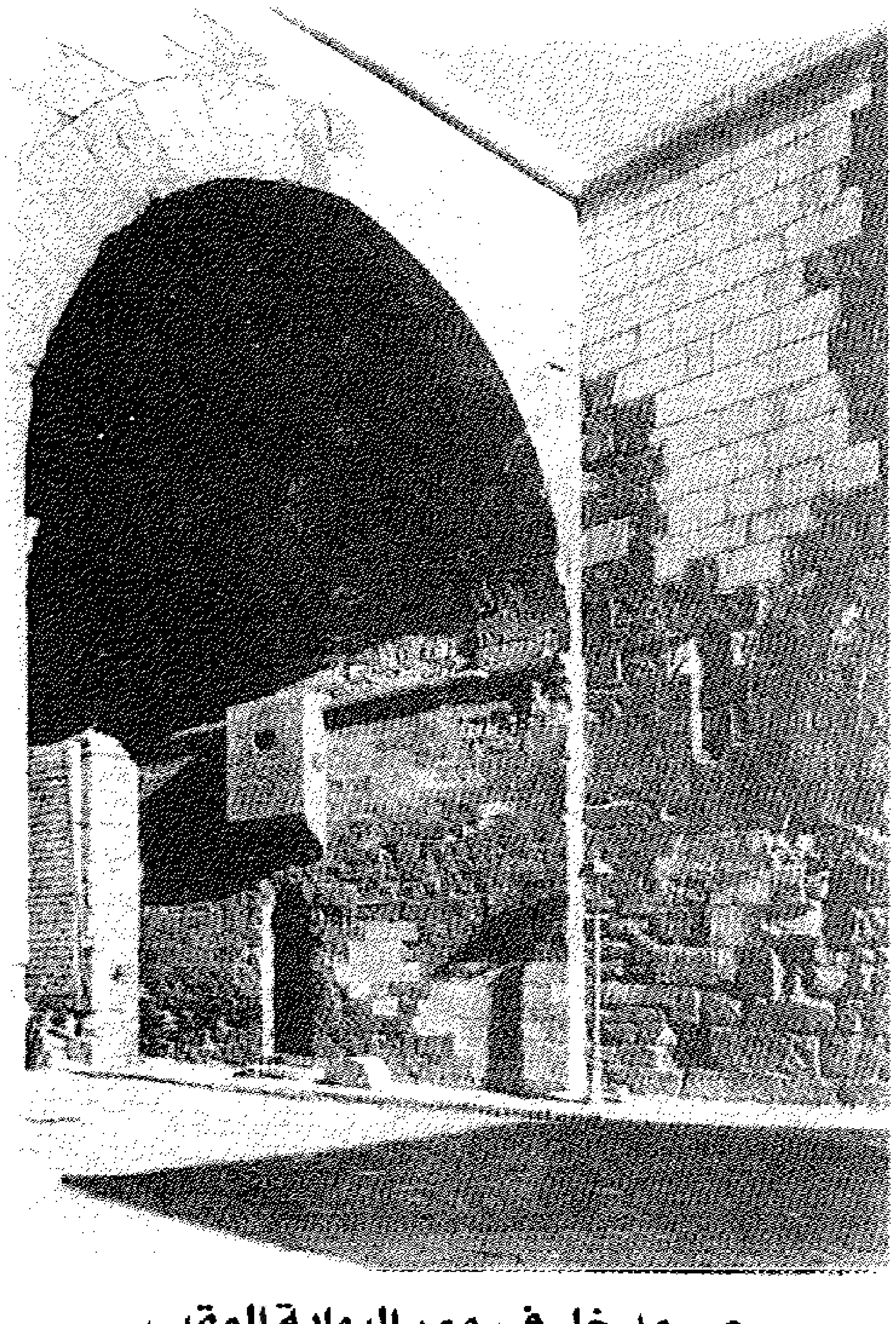

جـ - مدخل في ممر البوابة المقبى .

(لوحة رقم ٥٣) باب النصر : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

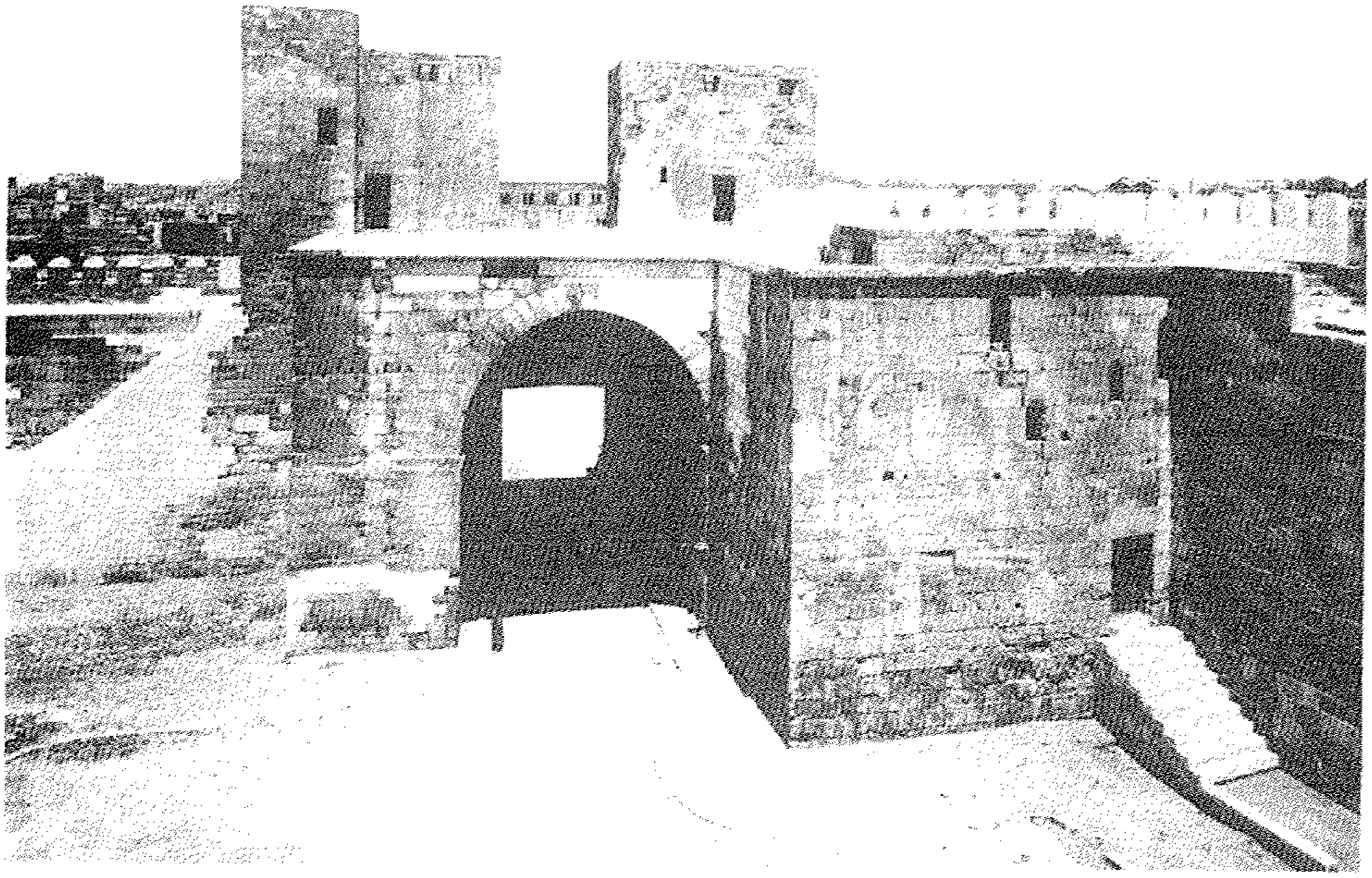

أ - من الداخل . سلم الجزء البارز إلى اليمين .

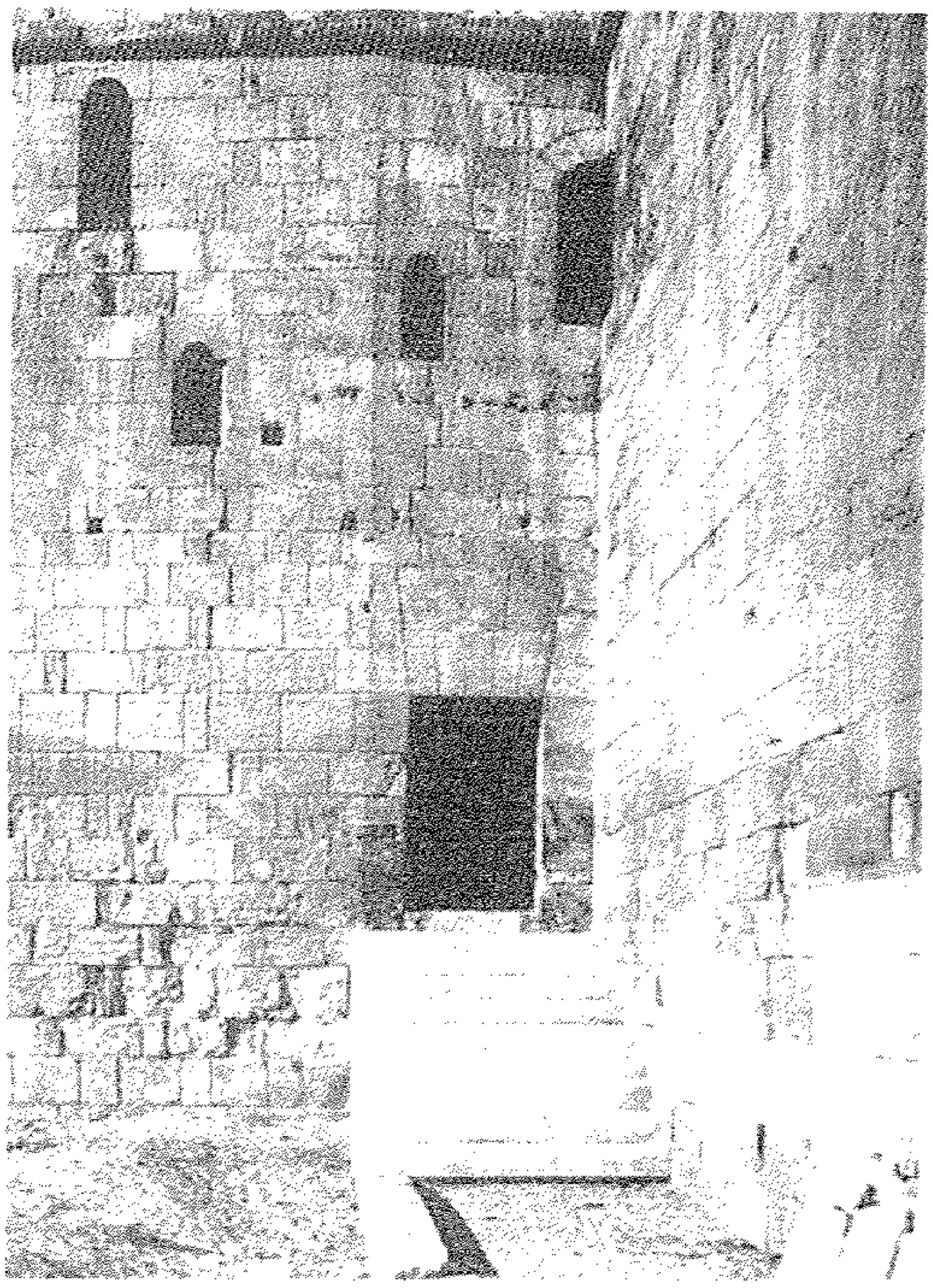

ب - المدخل إلى السلم .

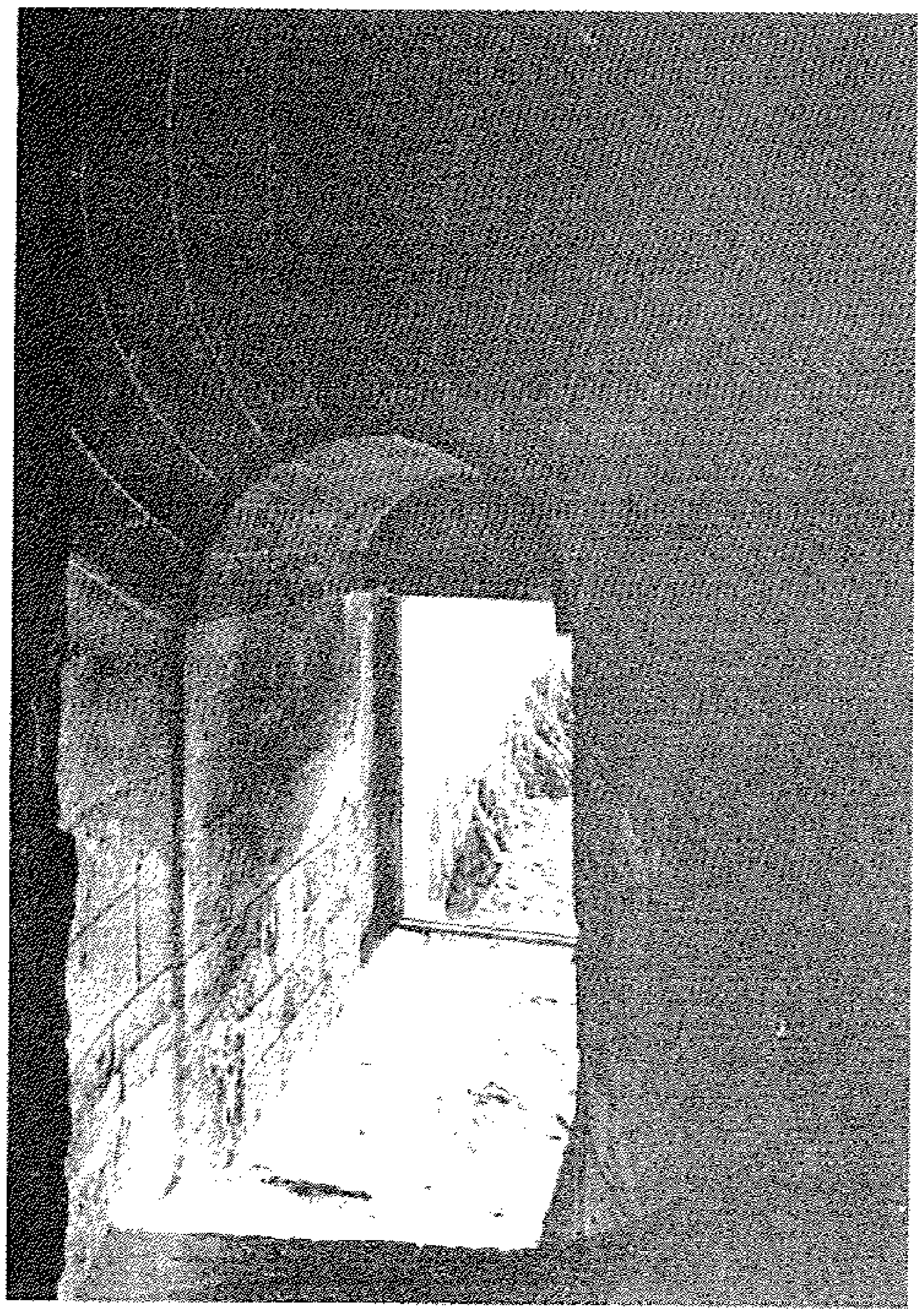

جـ - السلم الحلزوني .

(لوحة رقم ٥٤) باب النصر : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

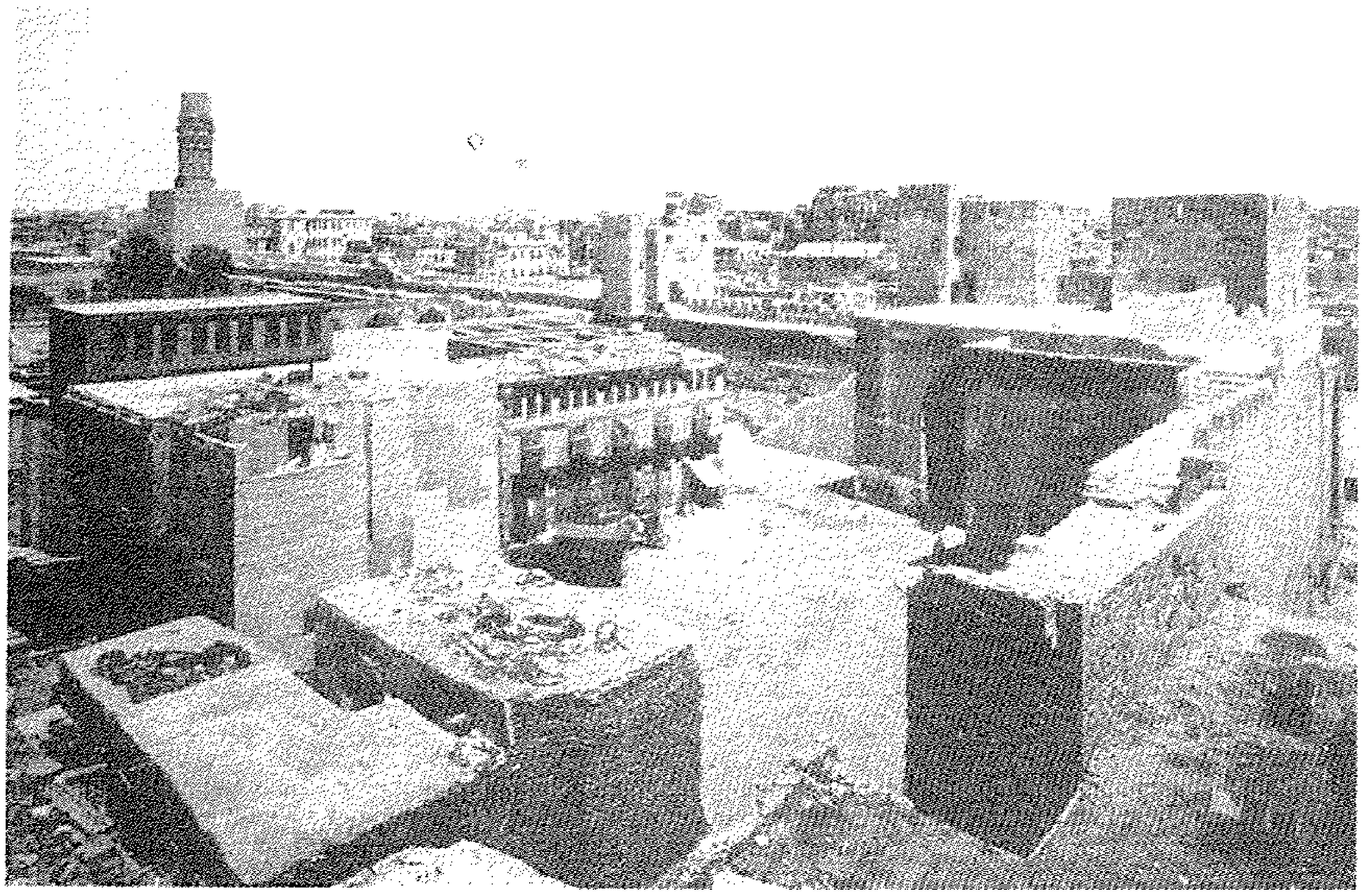

أ - من الداخل ، ويشاهد السور المتجه غرباً وجنوباً .

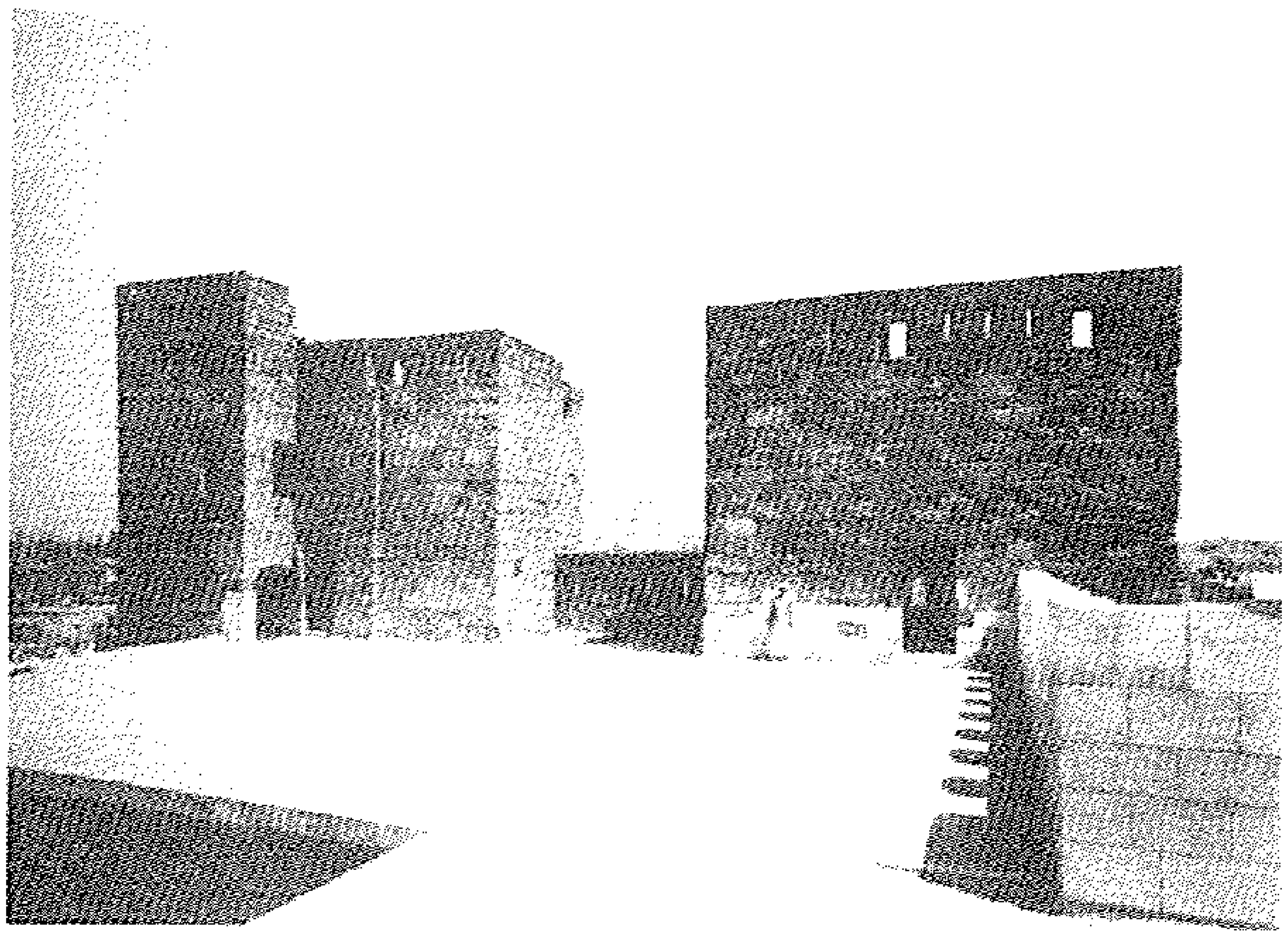

ب - المنصة والوجه الخلفي للجزء العلوي للأبراج .

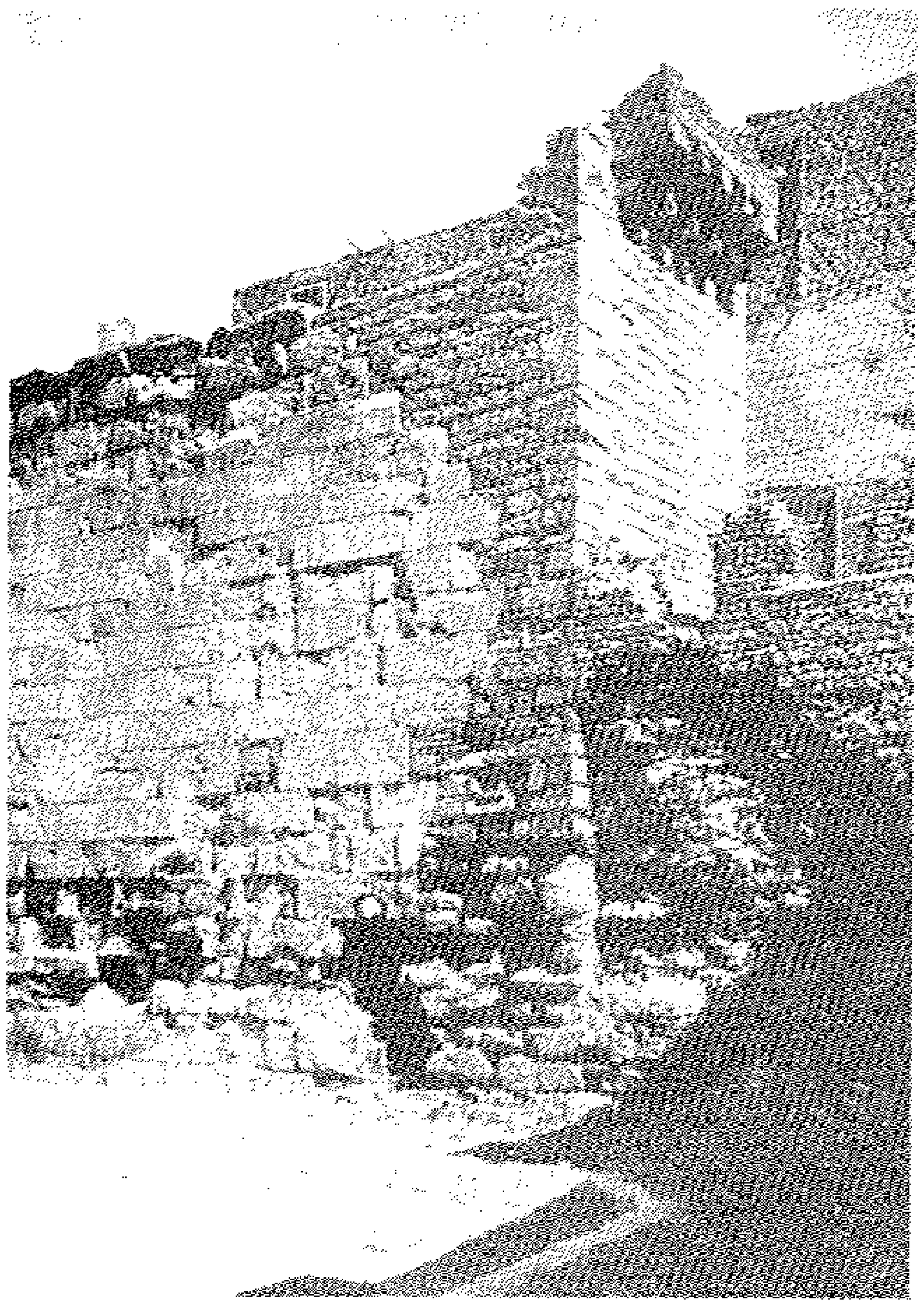

جـ - النهاية المتقطعة
للسور المتجه جنوباً (أنظر أ) .

(لوحة رقم ٥٥) باب النصر : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

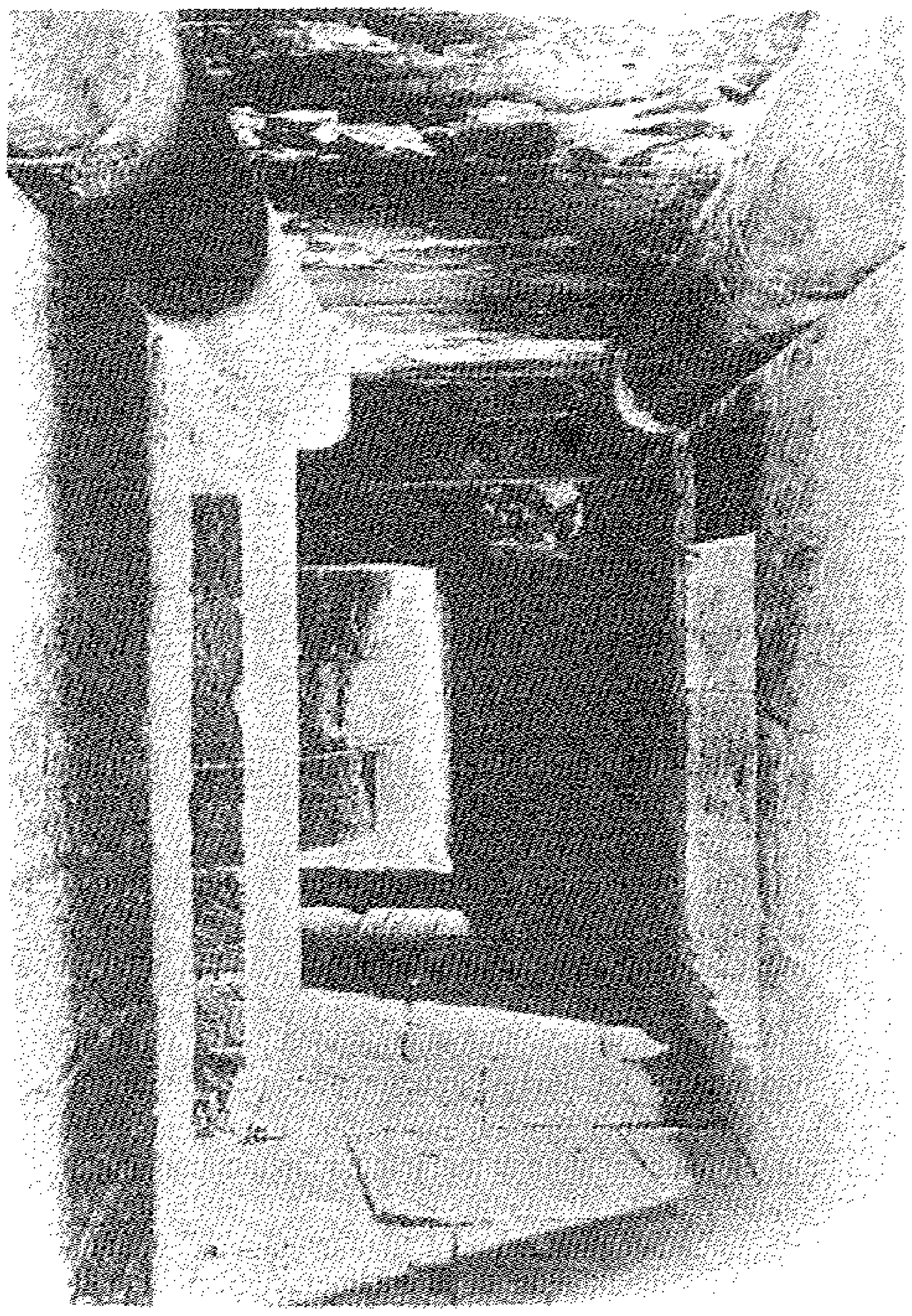

أ - ممر على شكل حرف ـا في أعلى سلم الجزء البارز .

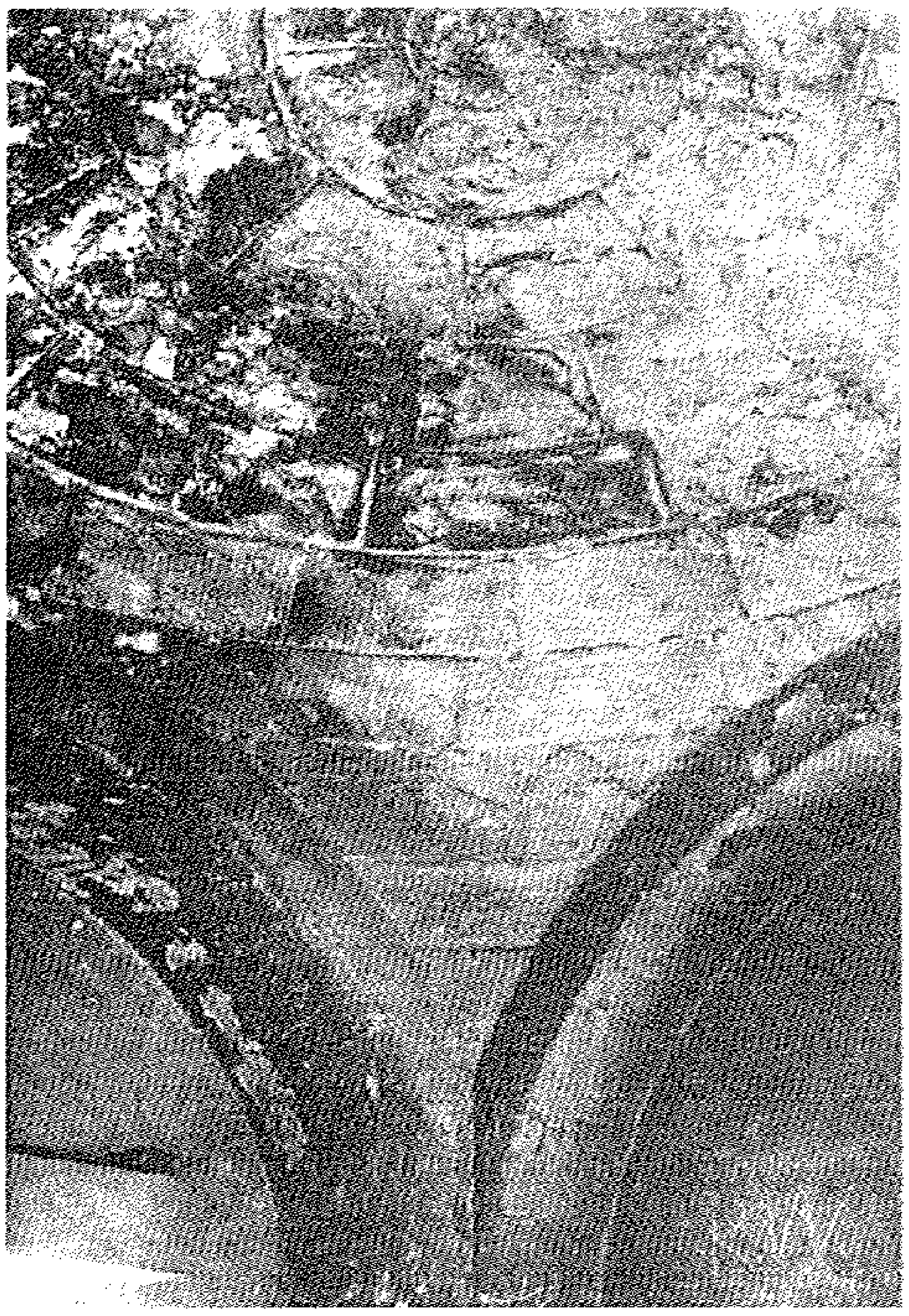

ب - مثلث كروي في حجرة البرج الشرقي .

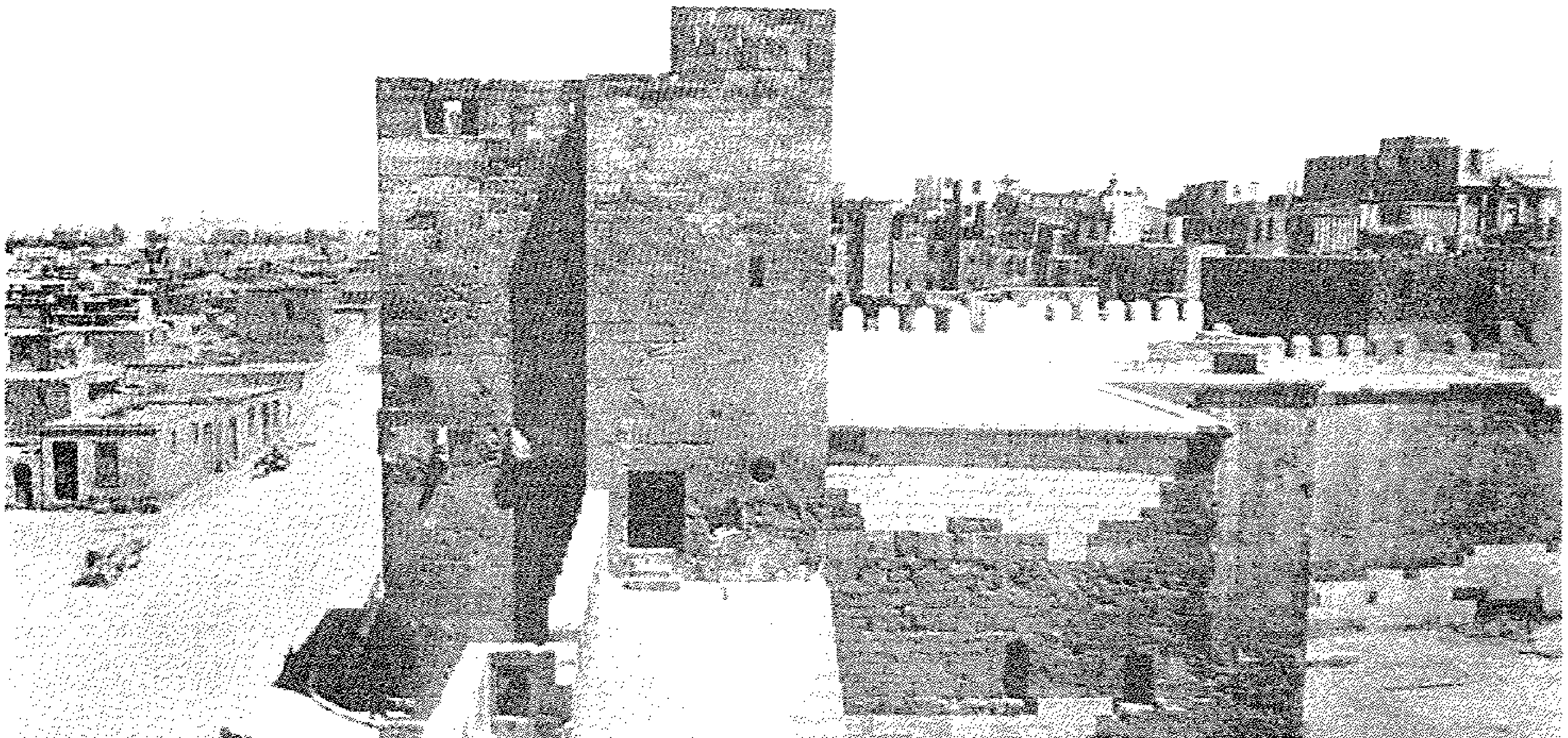

جـ - الجانب الغربي من قمة (أعلى) البرج الأول وتشاهد المنصة
سلم الجزء البارز والسور المتجه جنوباً .

(لوحة رقم ٥٦) باب النصر : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

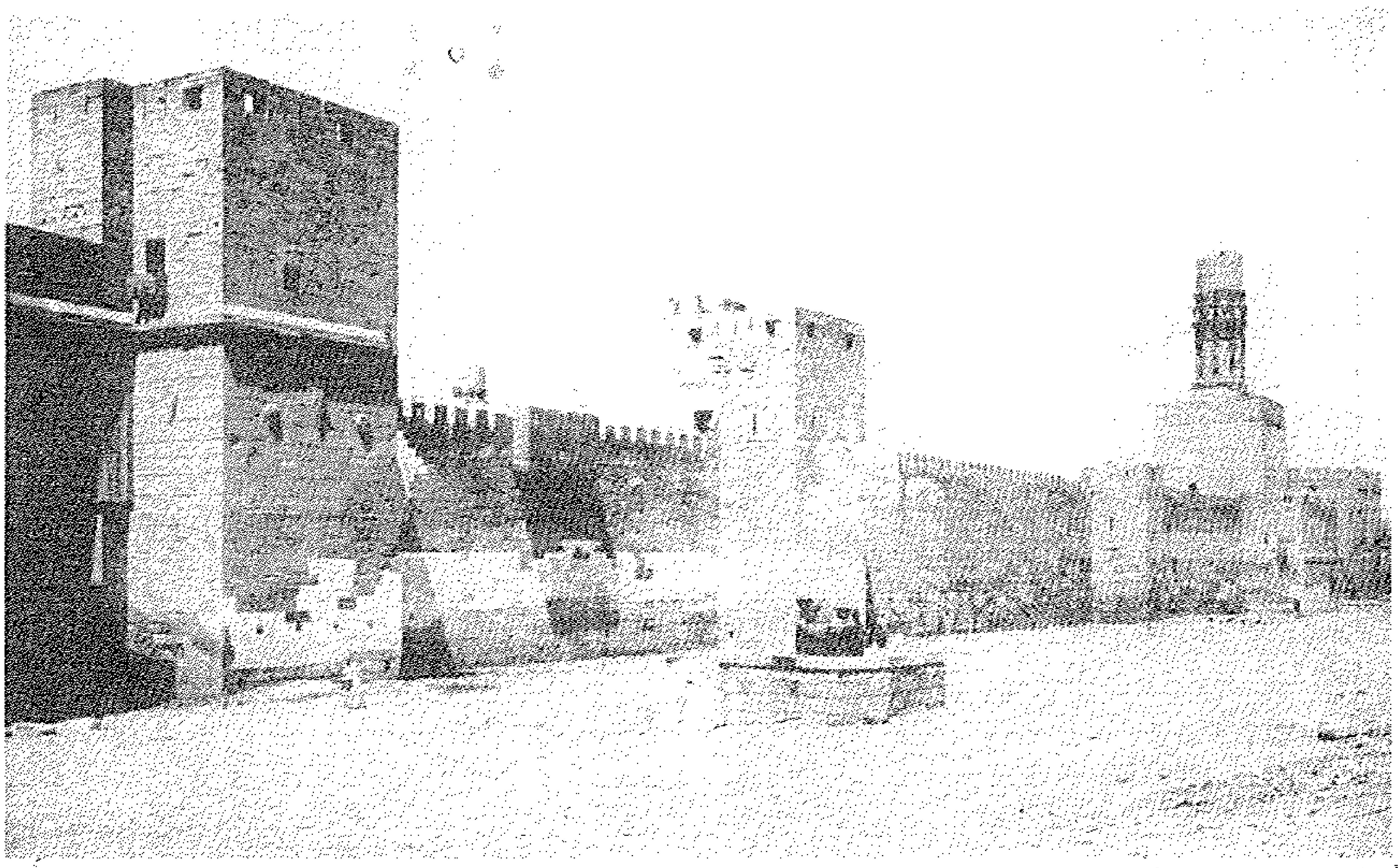

أ - باب النصر ، مرحاض (سقاطة) بارز ، البرج الأول ، البرج الثاني ، البروز الكبير وباب الفتوح .

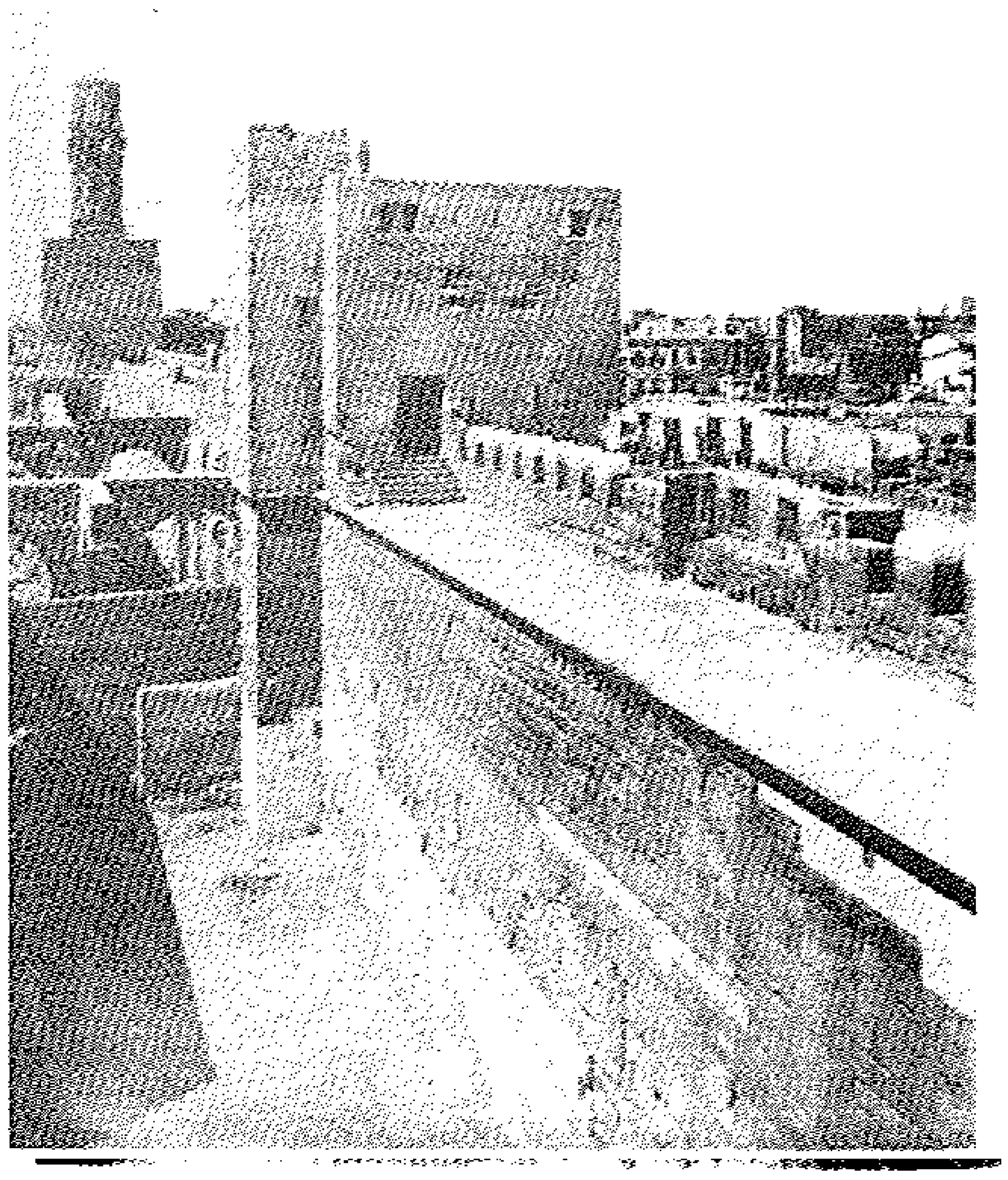

ب - الوجه الداخلي ،
أنظر غرباً من منصة باب النصر .

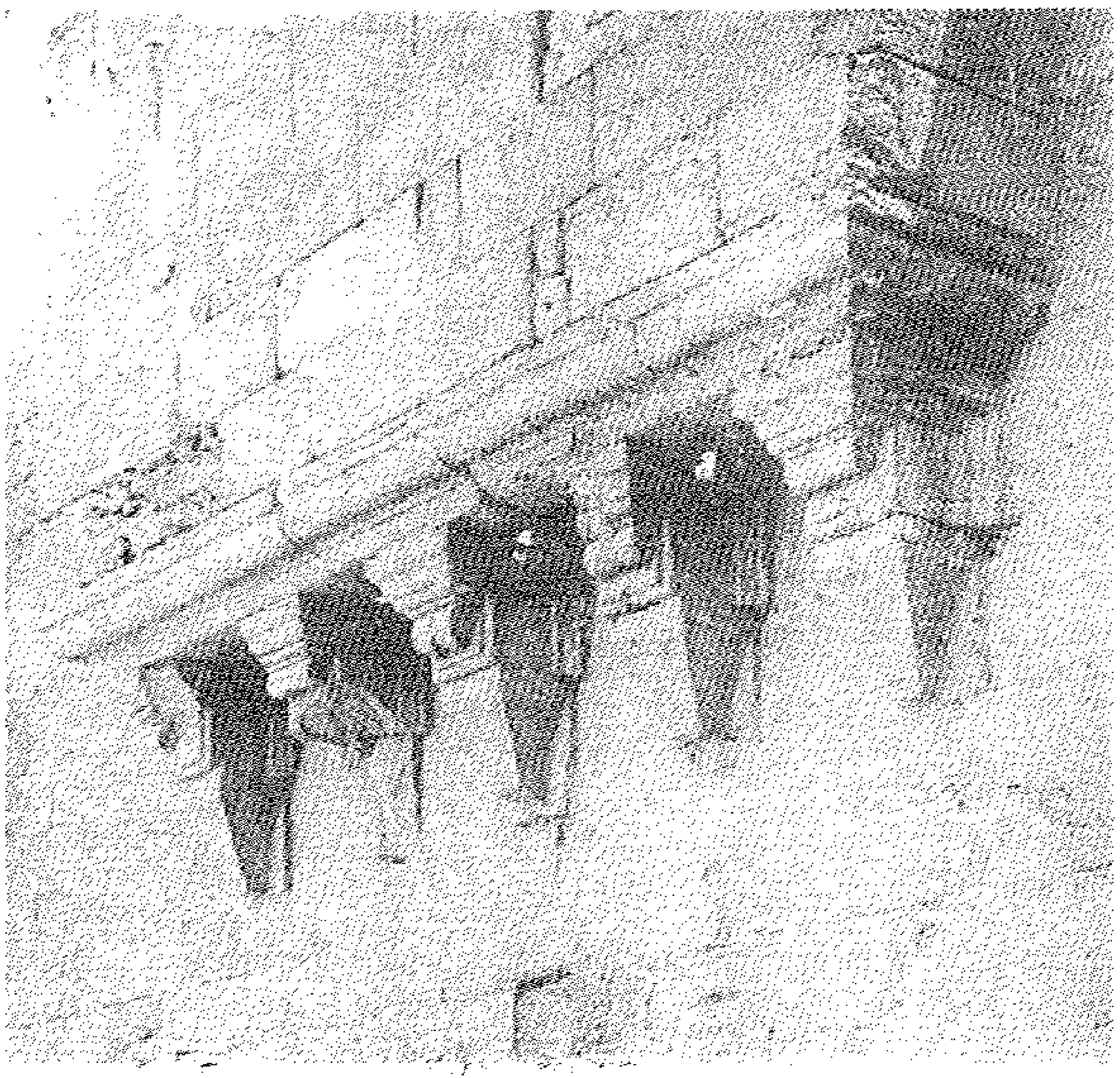

جـ - كوابيل المرحاض (السقاطة) البارز .

(لوحة رقم ٥٧) السور الشمالي : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

أ - سقف الممر عبر البرج الأول .

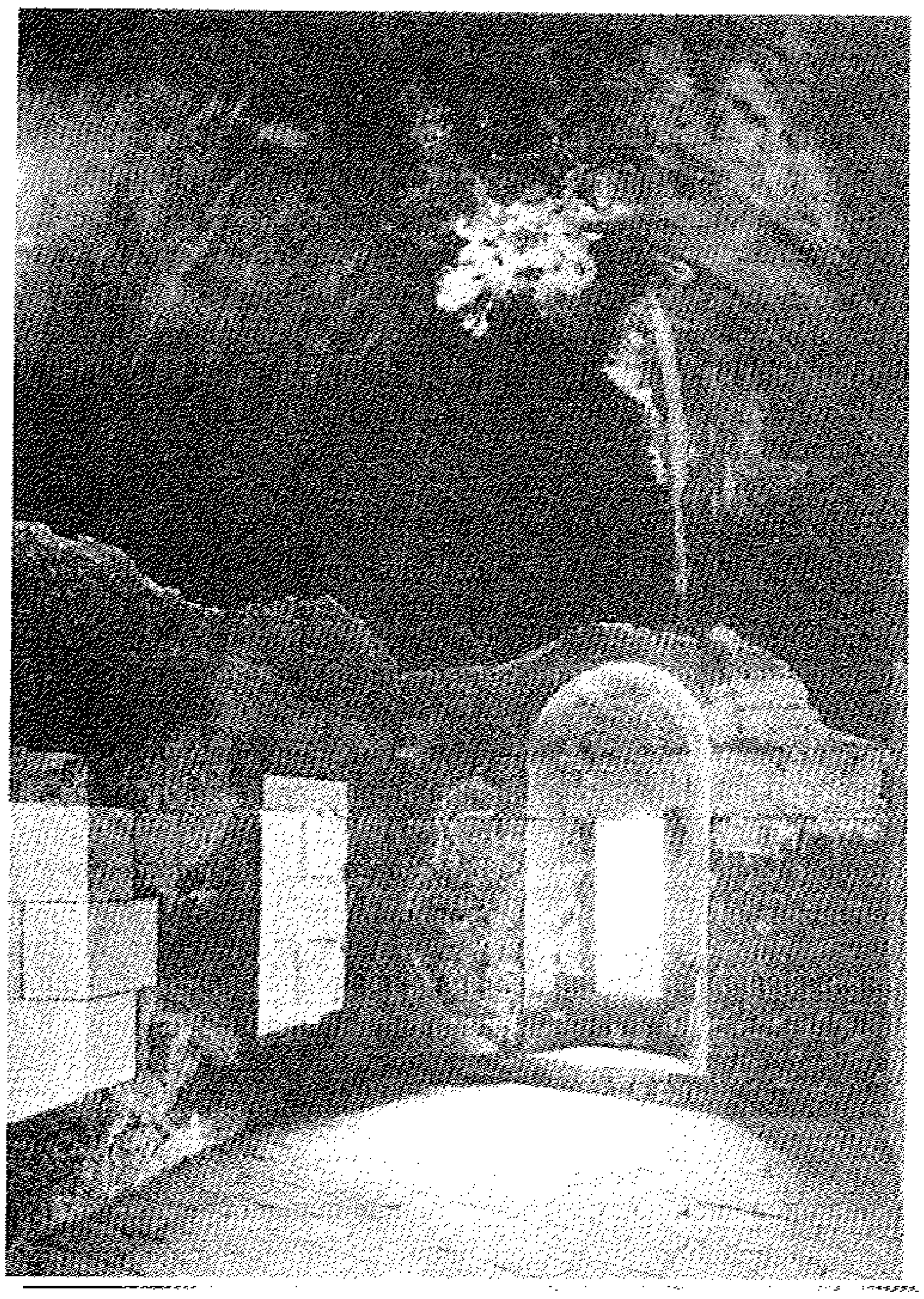

ب - البرج الأول . الداخل .

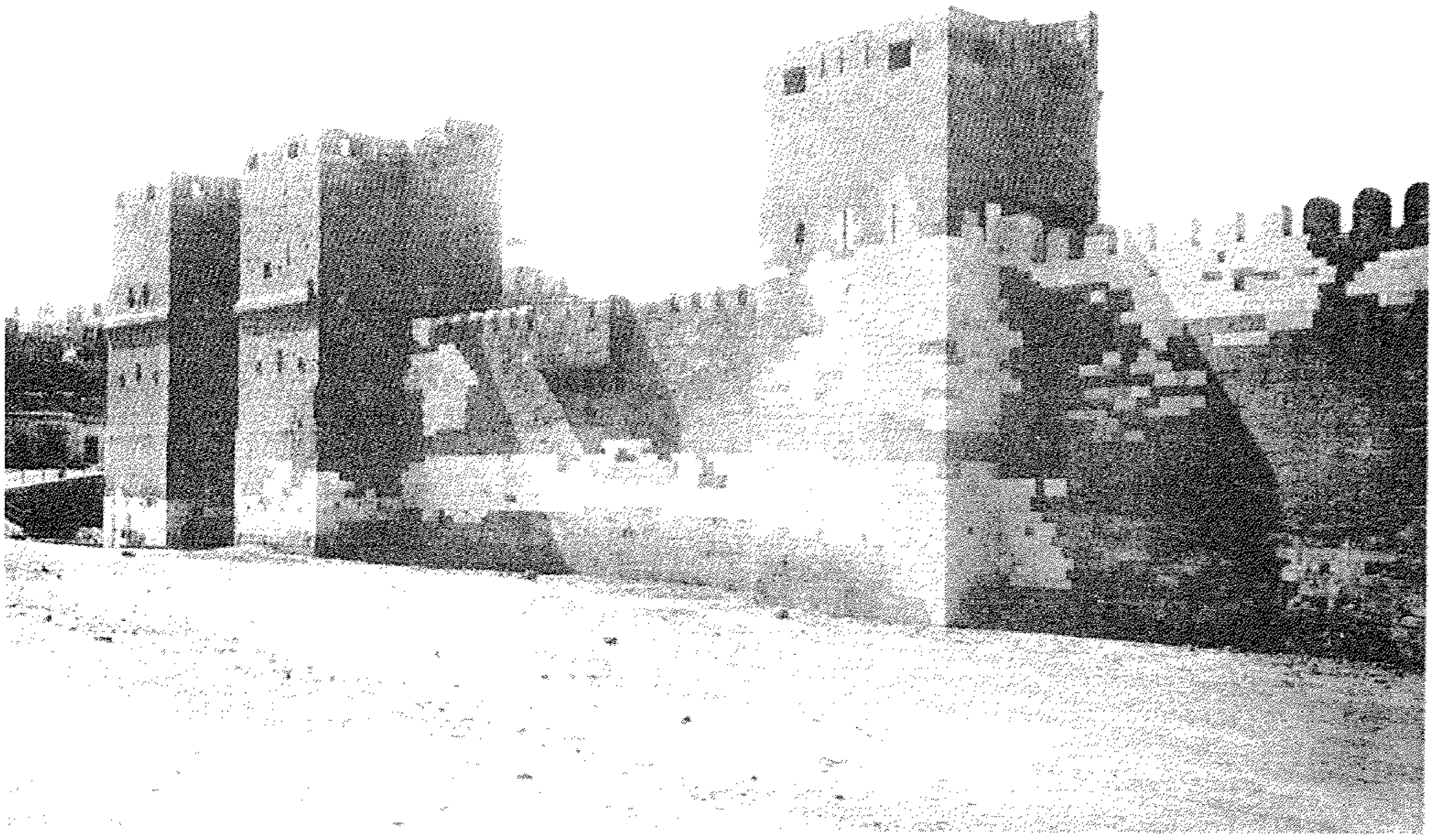

جـ - باب النصر . المرحاض (السقاطة) البارز والبرج الأول .

(لوحة رقم ٥٨) السور الشمالي : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

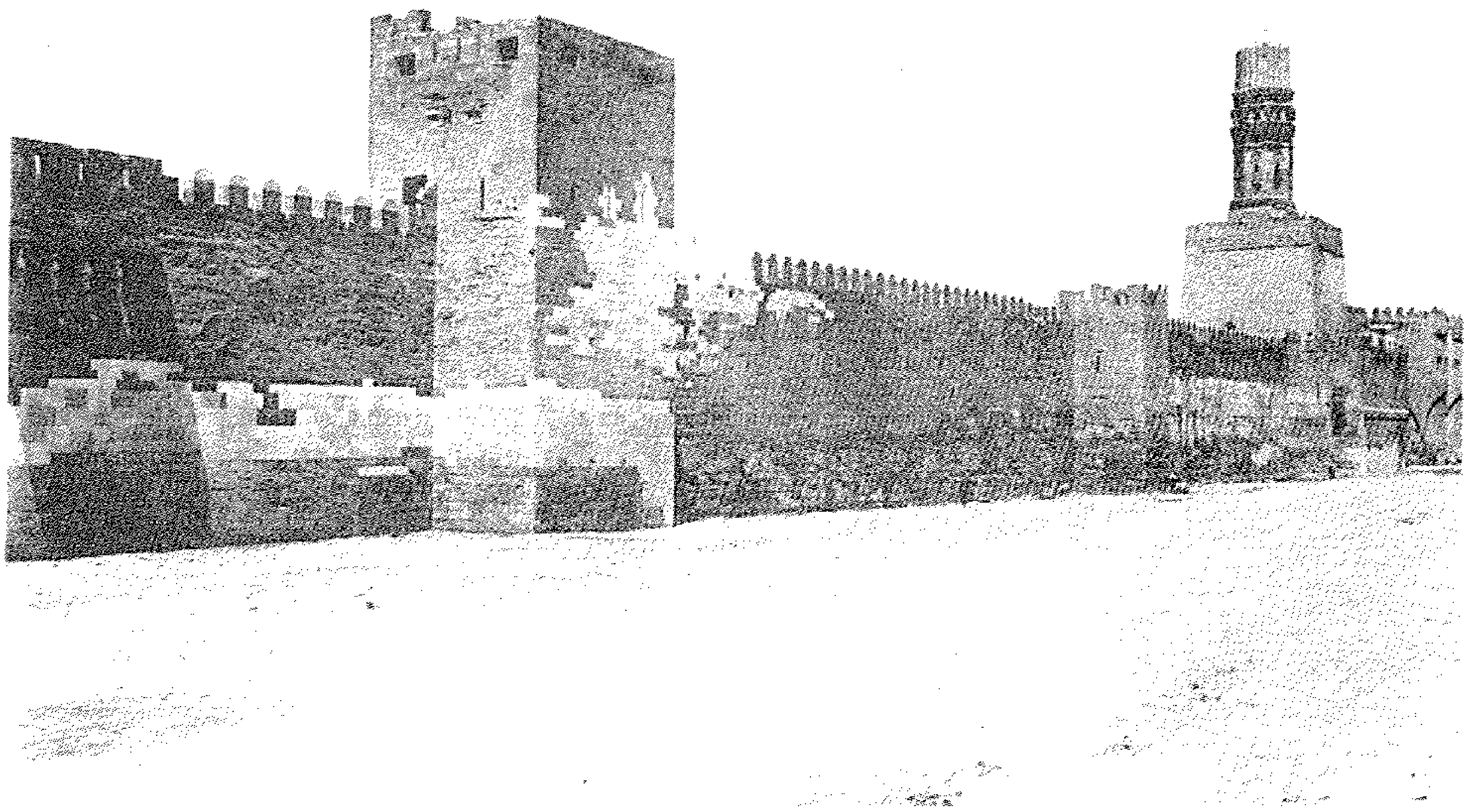

أ - المرحاض (السقاطة) البارز . البرج الأول . البرج الثاني . البروز الكبير وباب الفتوح .

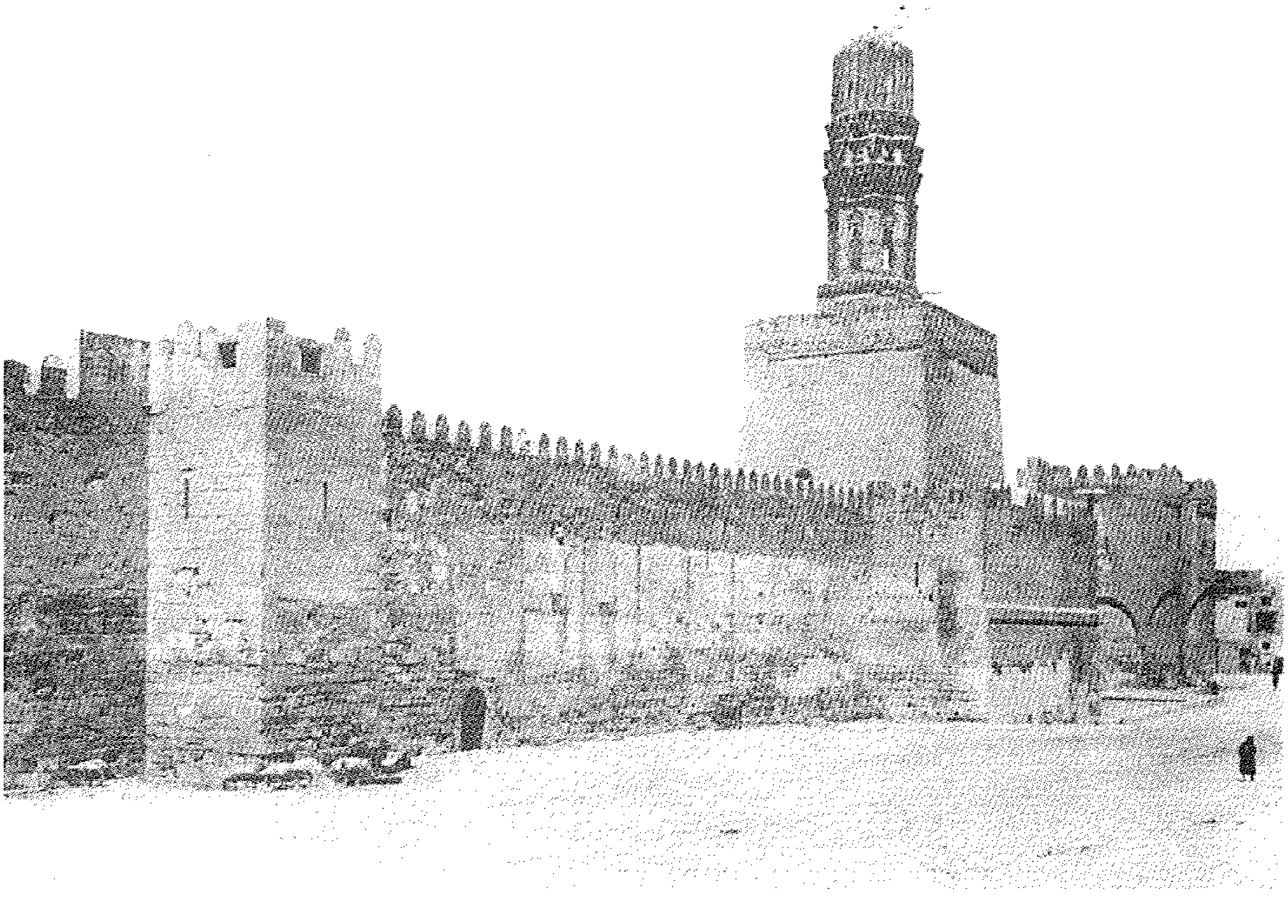

ب - البرج الثانى . البروز الكبير وباب الفتوح .

(لوحة رقم ٥٩) السور الشمالي : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

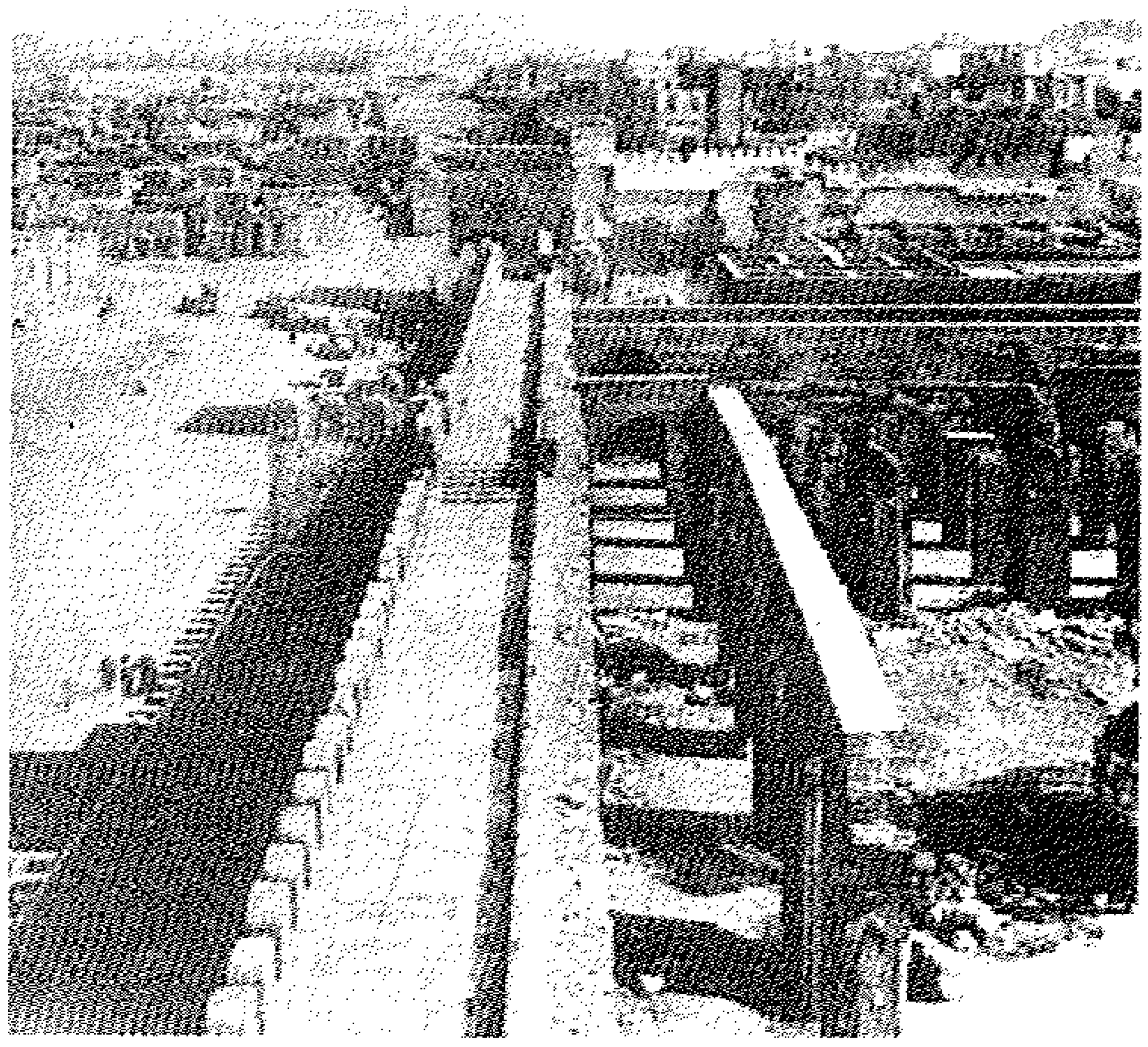

أ - المسافة الممتدة إلى الشرق
من أعلى البروز الكبير .

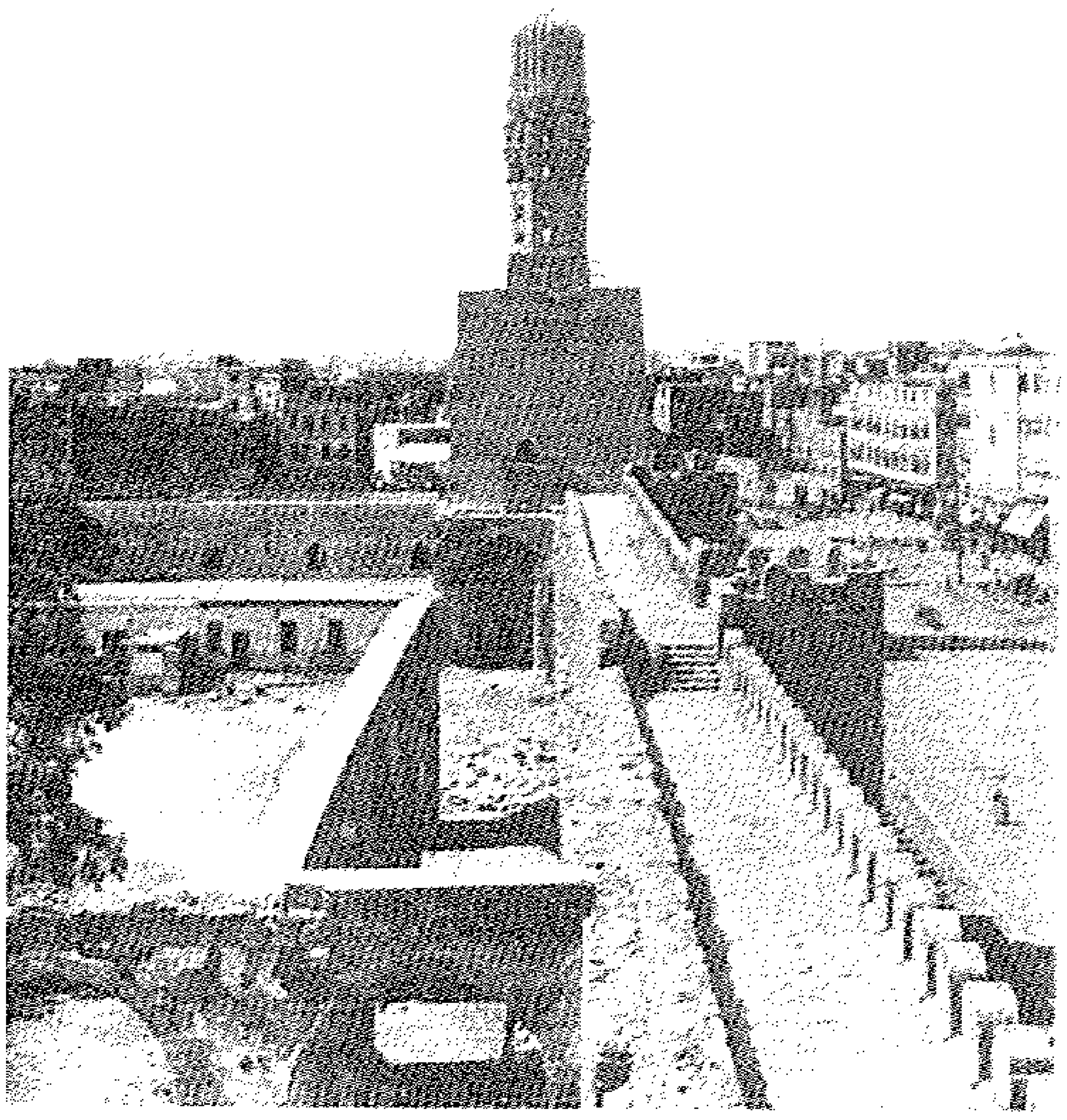

ب - المسافة الممتدة غرباً
من أعلى البرج الأول .

جـ - ممر السور فيما بين البرج الثاني والبروز الكبير . أنظر شرقاً .

(لوحة رقم ٦٠) السور الشمالي : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

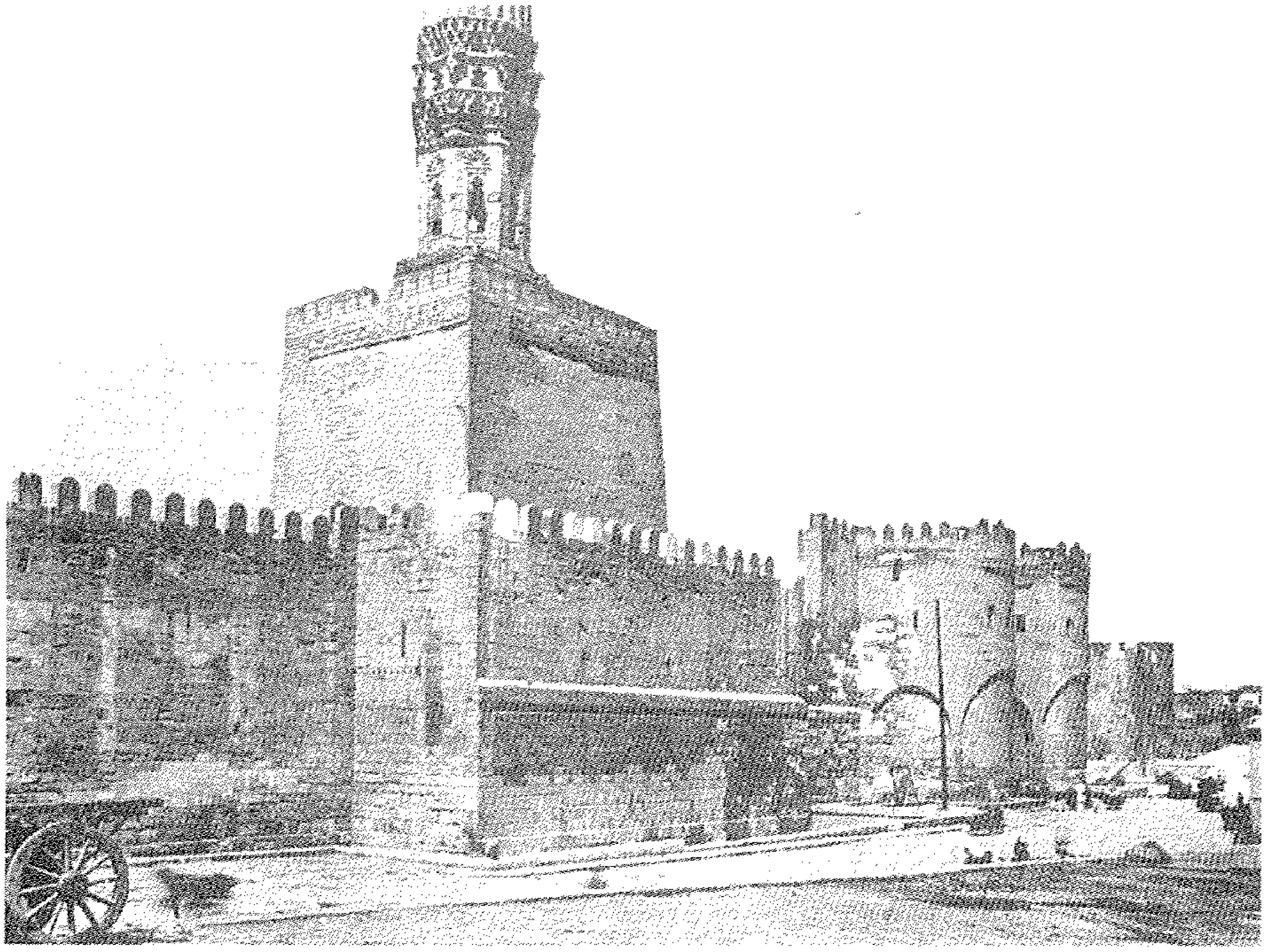

أ - البروز الكبير وباب الفتوح .

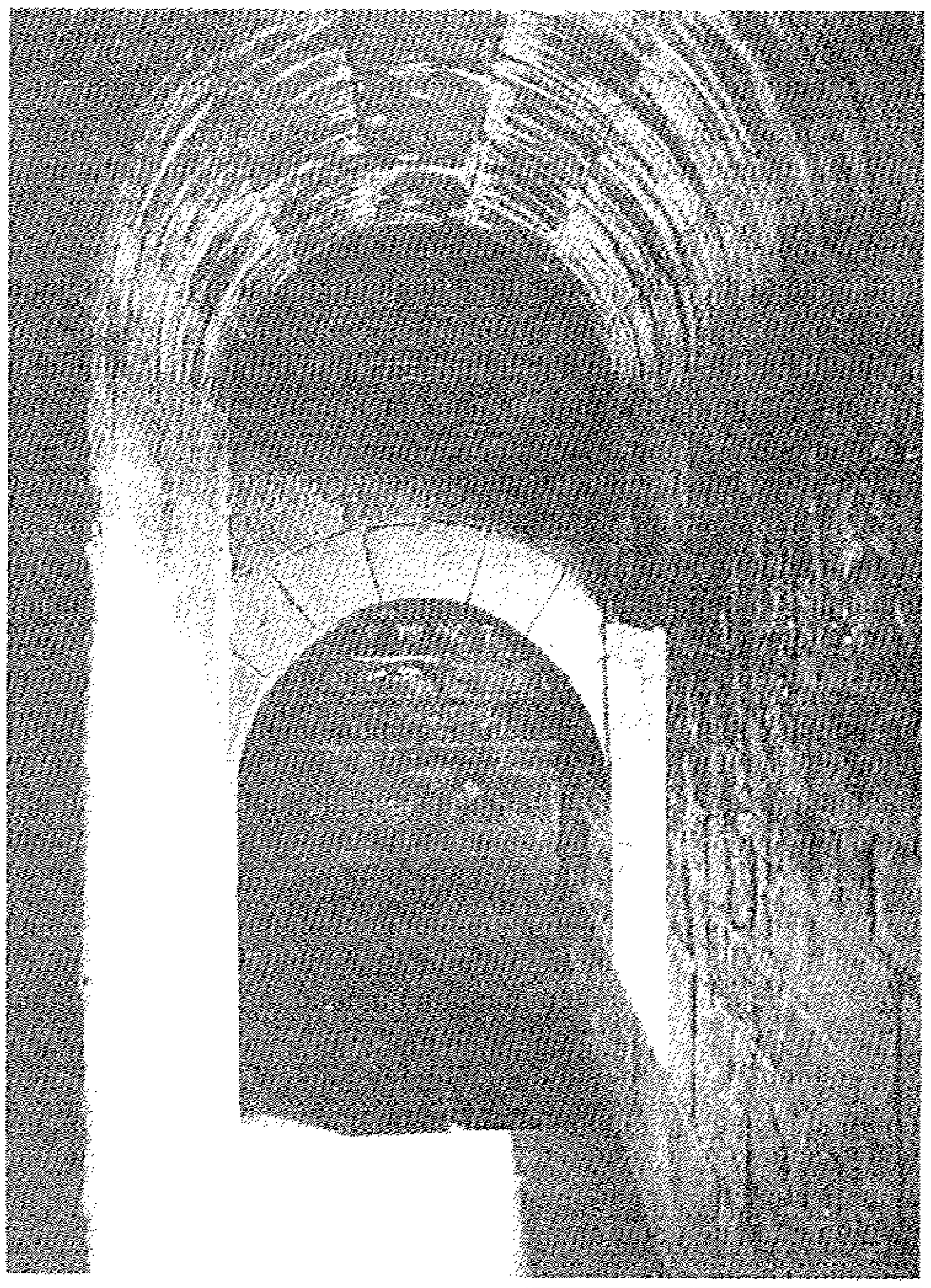

ب - ممر في الجانب الشرقي للبروز الكبير .

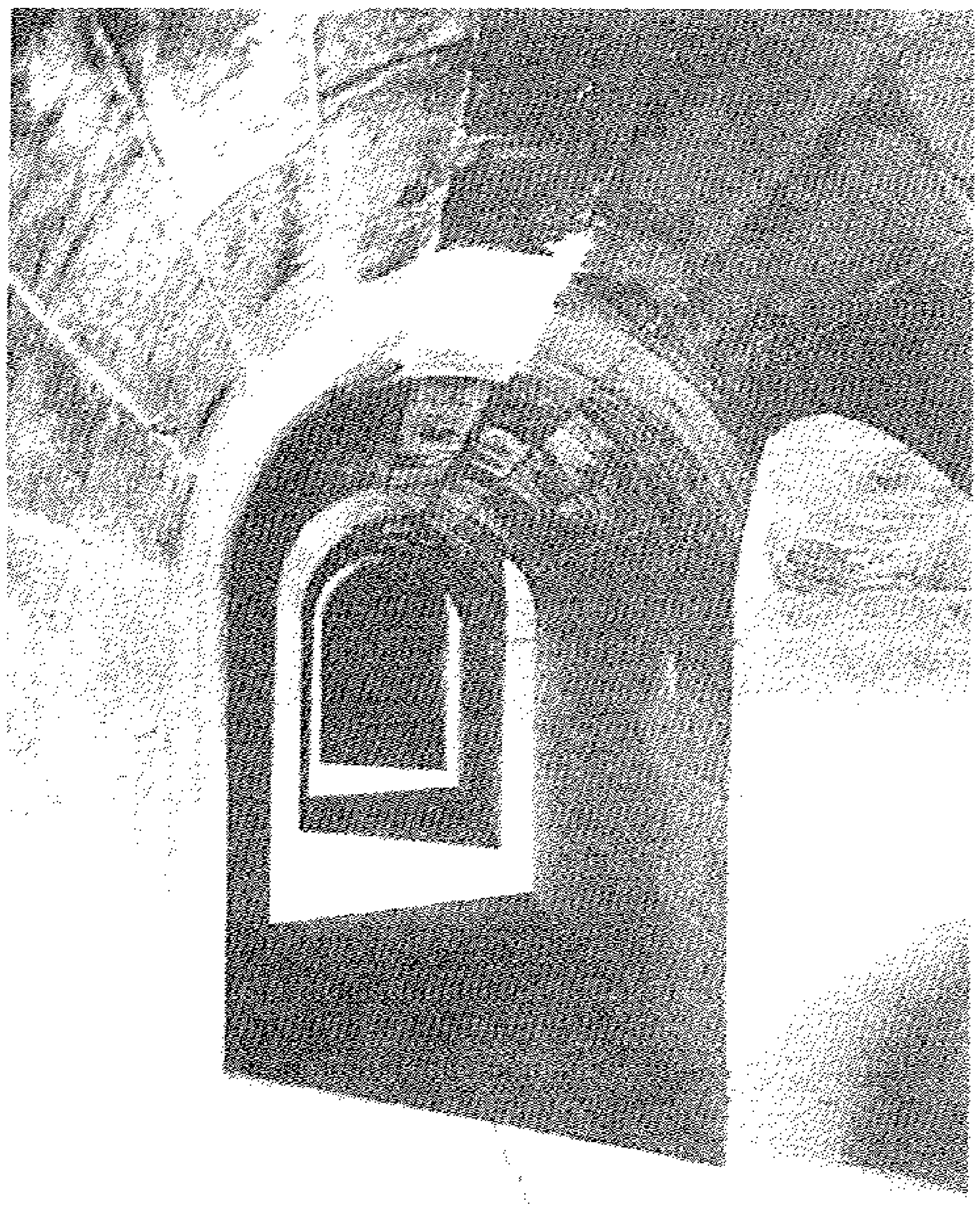

جـ - ممر في الجانب الشمالي للبروز الكبير .

(لوحة رقم ٦١) السور الشمالي : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

أ - واجهة أمامية .

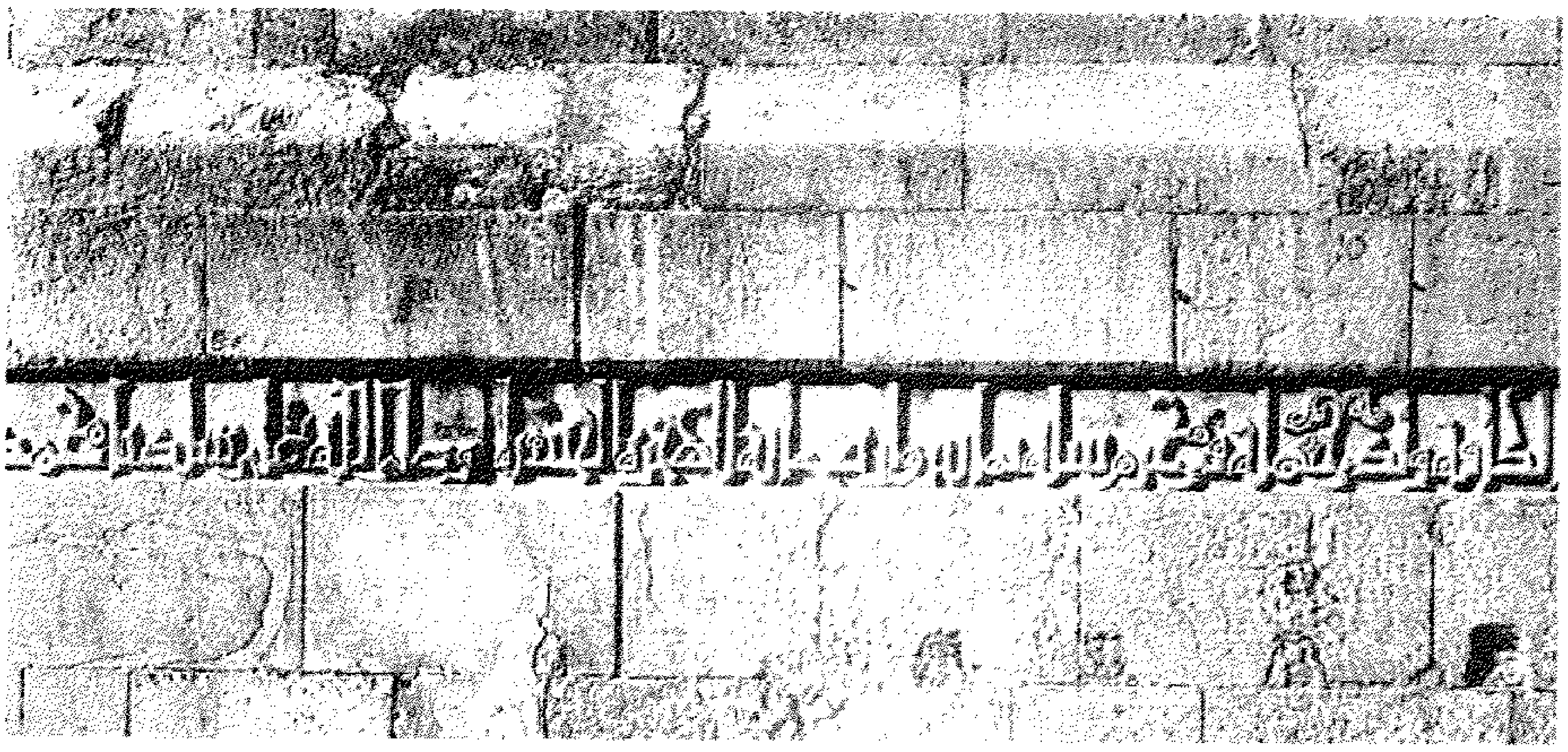

ب - نقش كتابي مؤرخ (يستمر على واجهة البروز الكبير) .

(لوحة رقم ٦٢) باب الفتوح ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

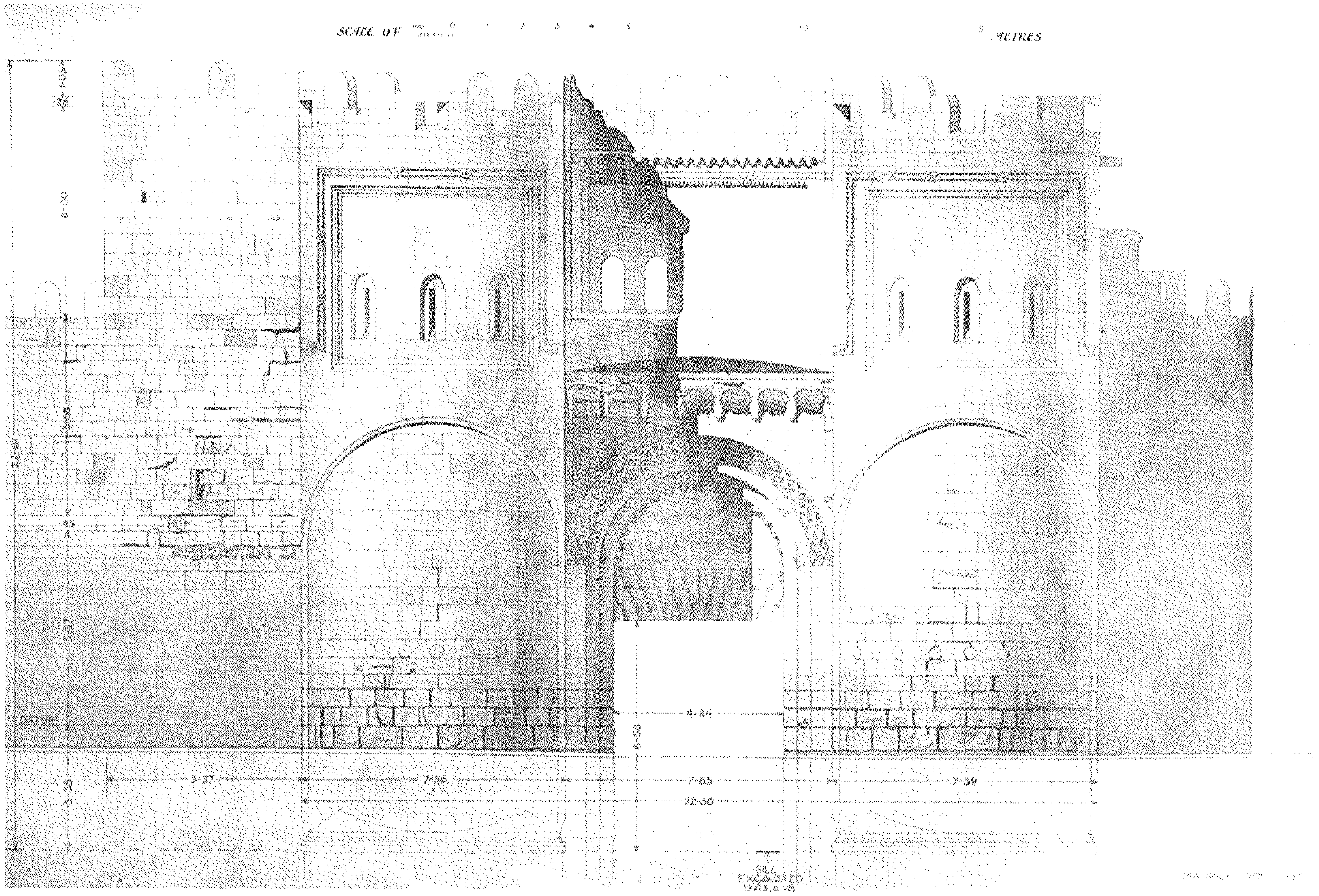

(لوحة رقم ٦٣) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م واجهة أمامية .

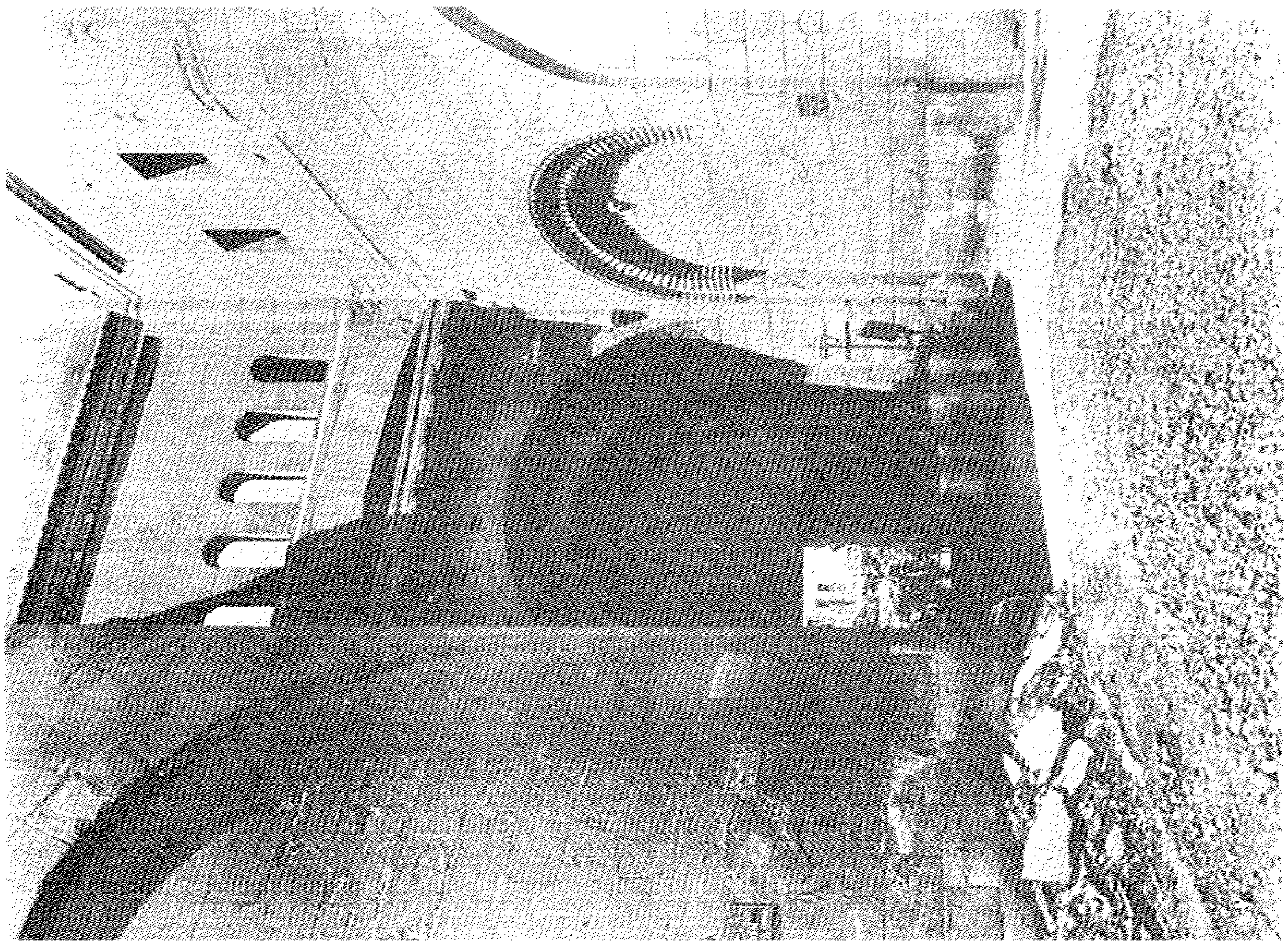

أ - المدخل من الخارج.

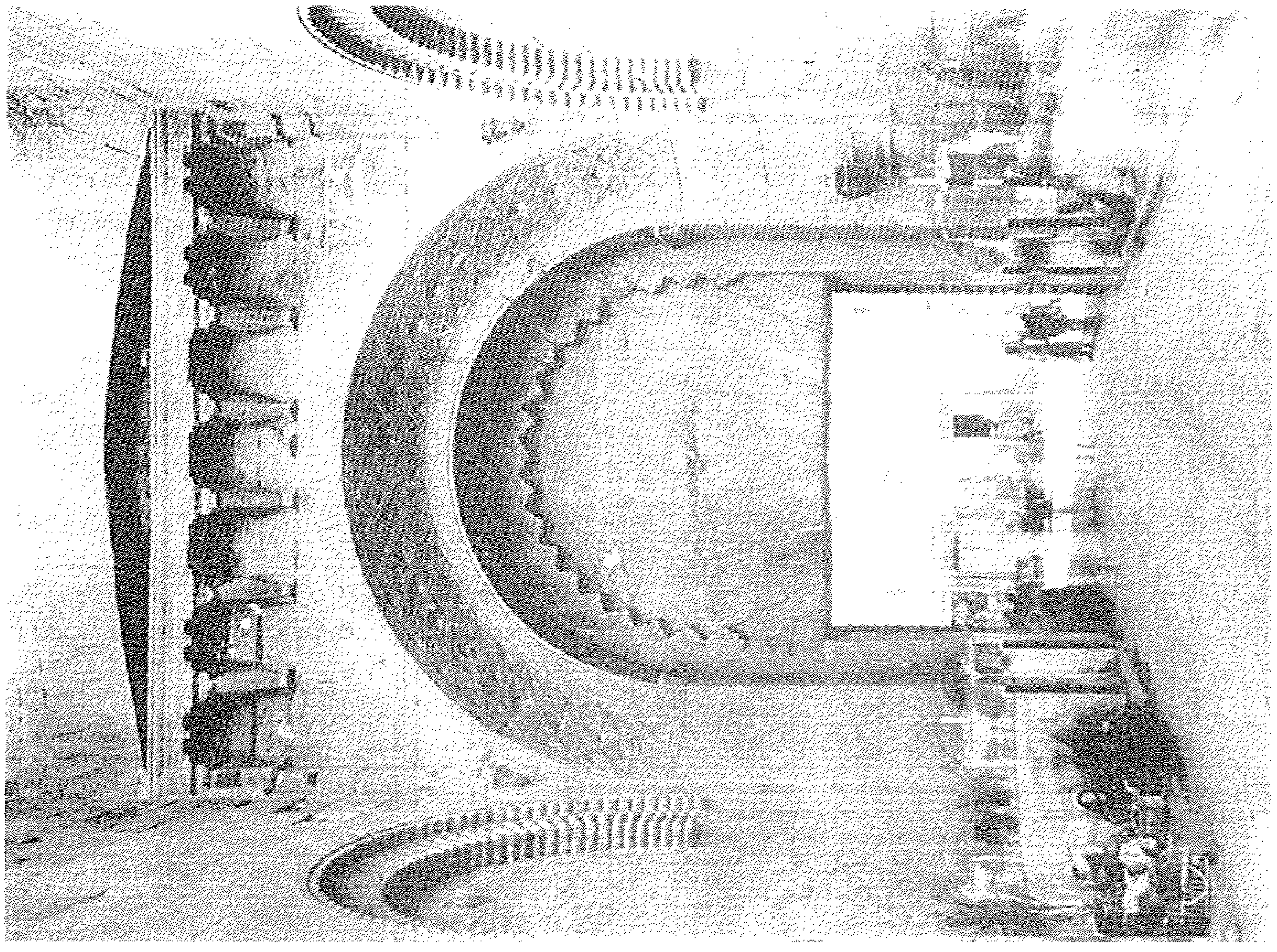

ب - المدخل من الخارج.

(لوحة رقم ٦٤) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

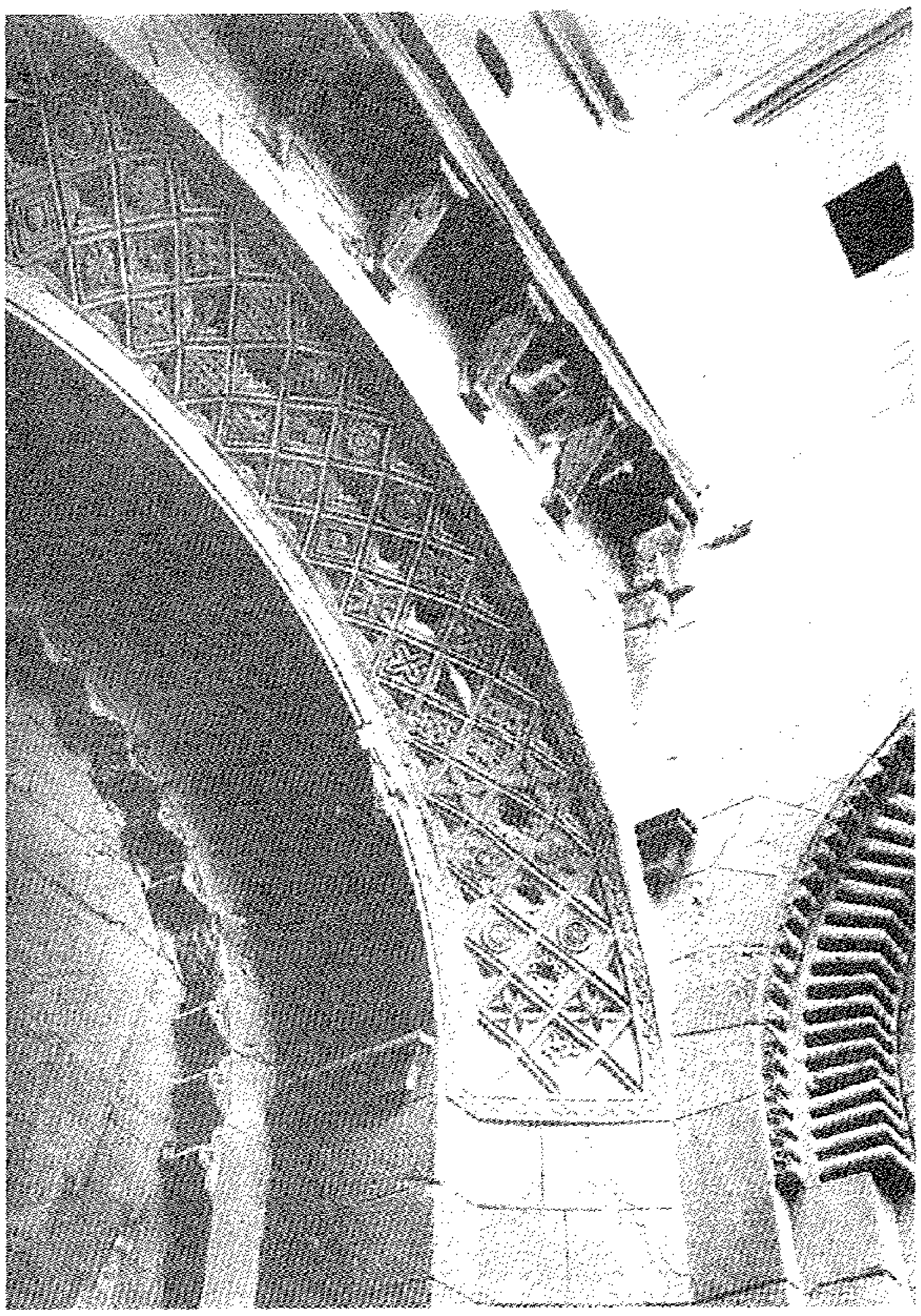

أ - زخرفة العقد المفلطح .

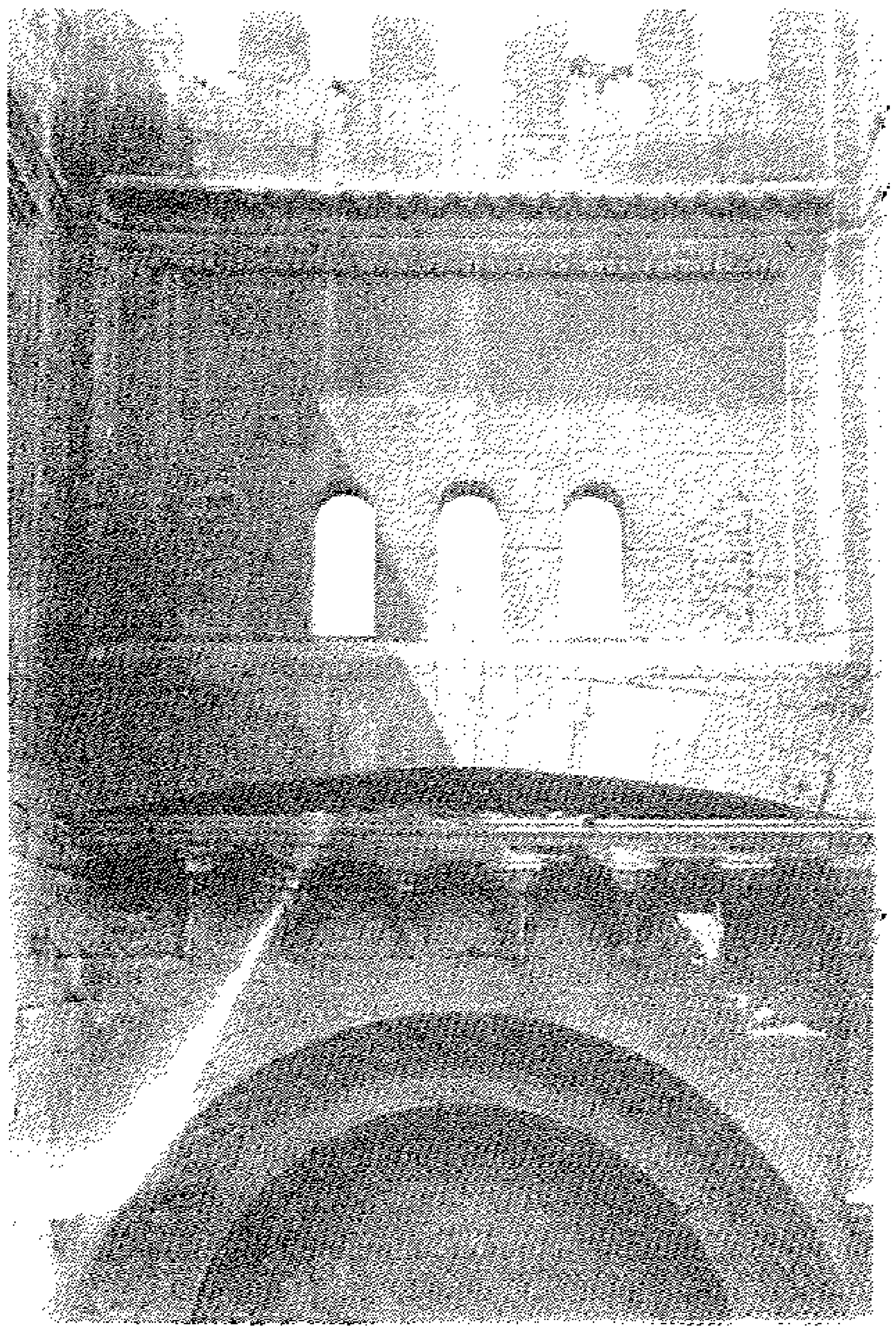

ب - الأجزاء التي تعلو العقد المفلطح .

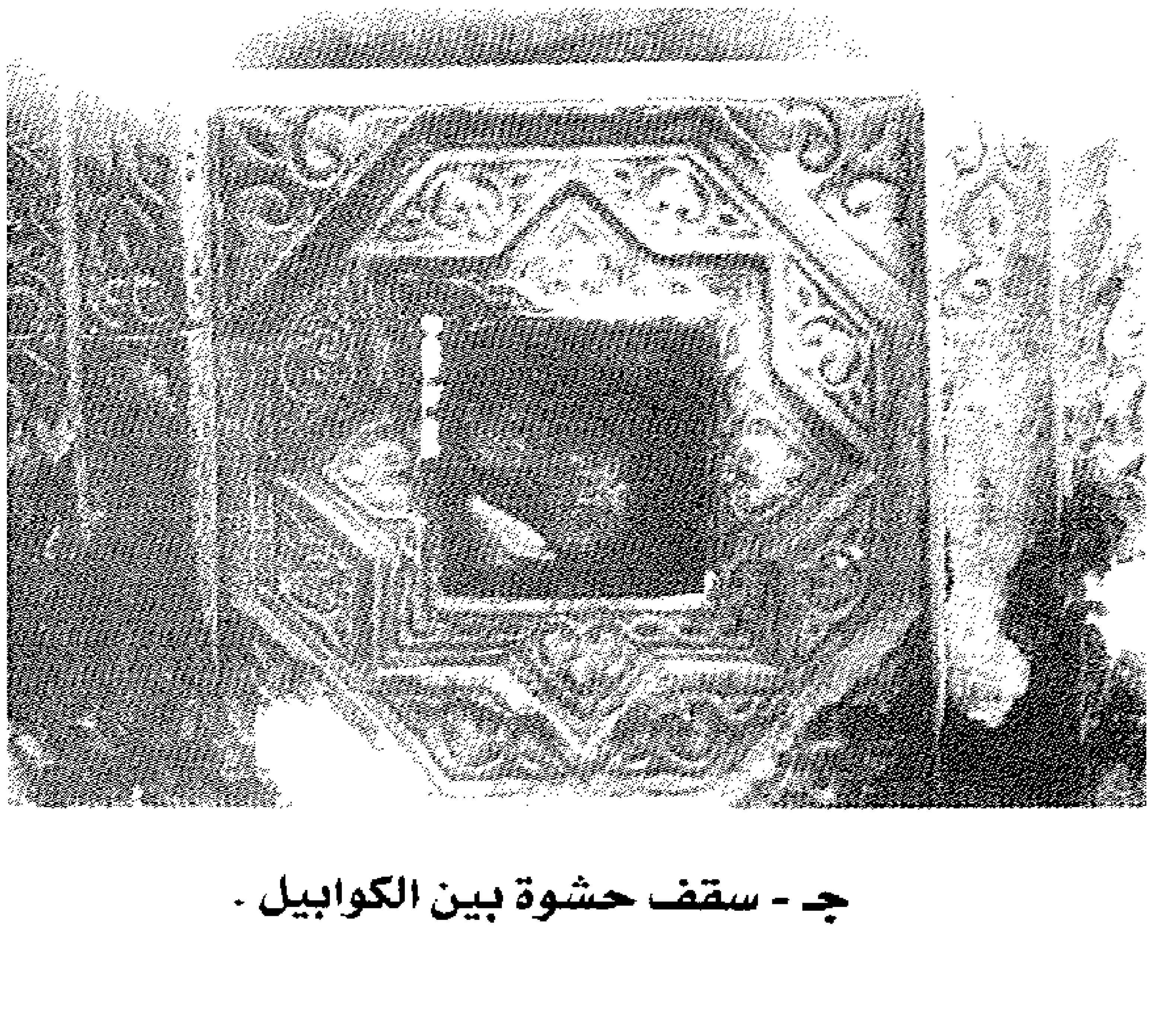

جـ - سقف حشوة بين الكوابيل .

د - الكوابيل .

(لوحة رقم ٦٥) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

أ - الكابولى الثالث من اليمين .

ب - الكابولى الثاني من اليمين .

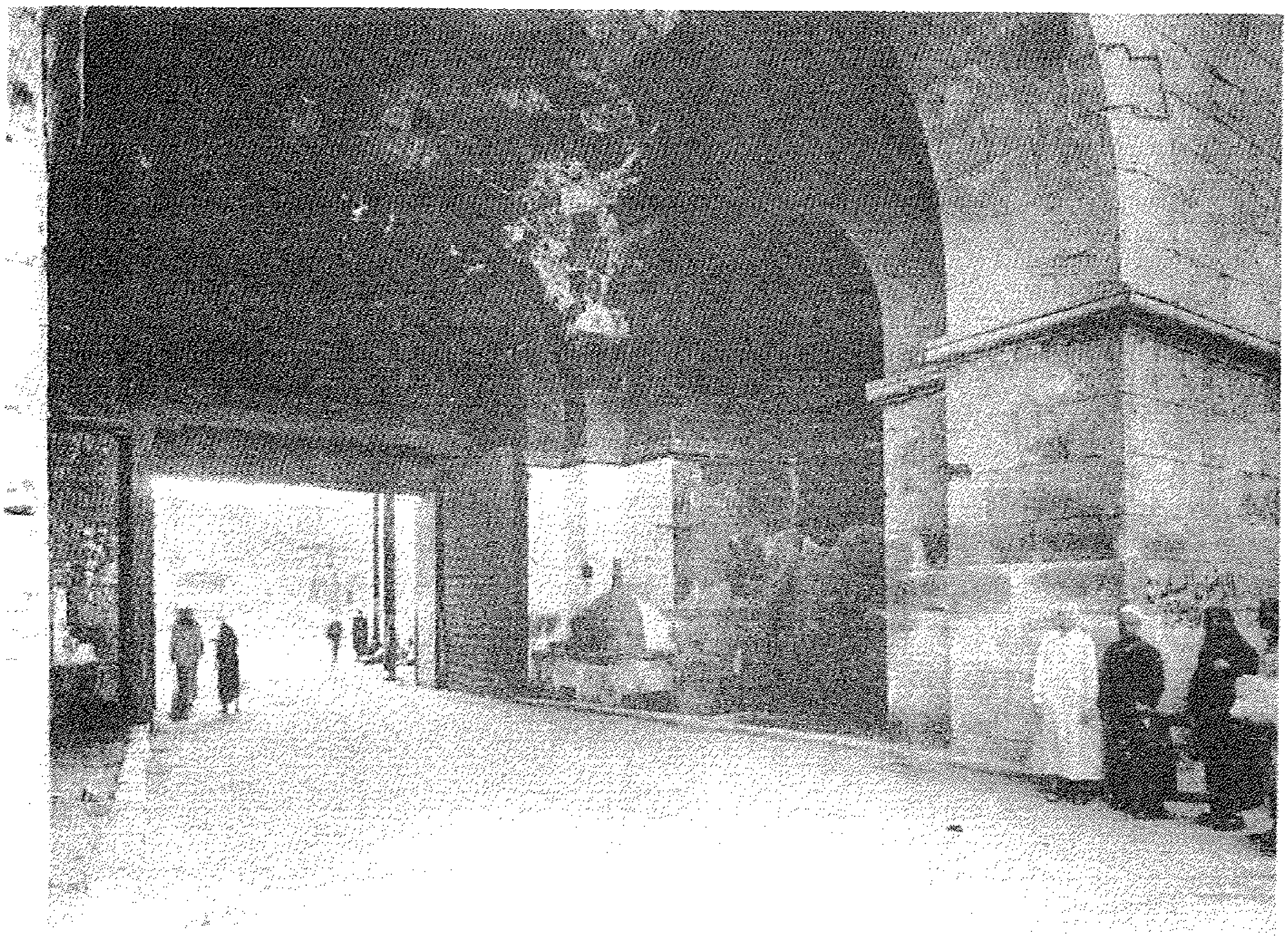

جـ - ممر البوابة المقبب من الداخل .

(لوحة رقم ٦٦) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

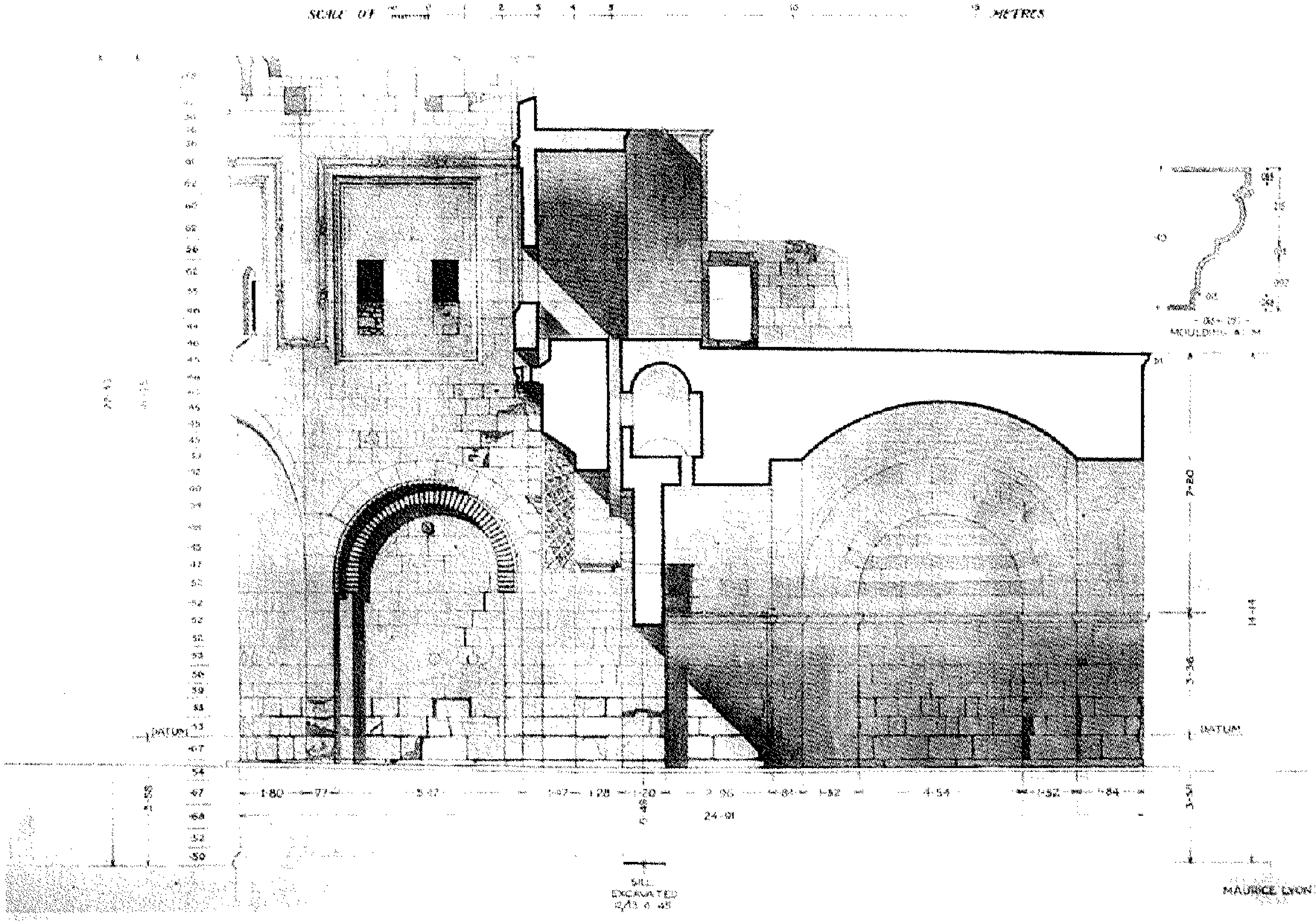

(لوحة رقم ٦٧) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م ، قطاع من خلال ممر البوابة .

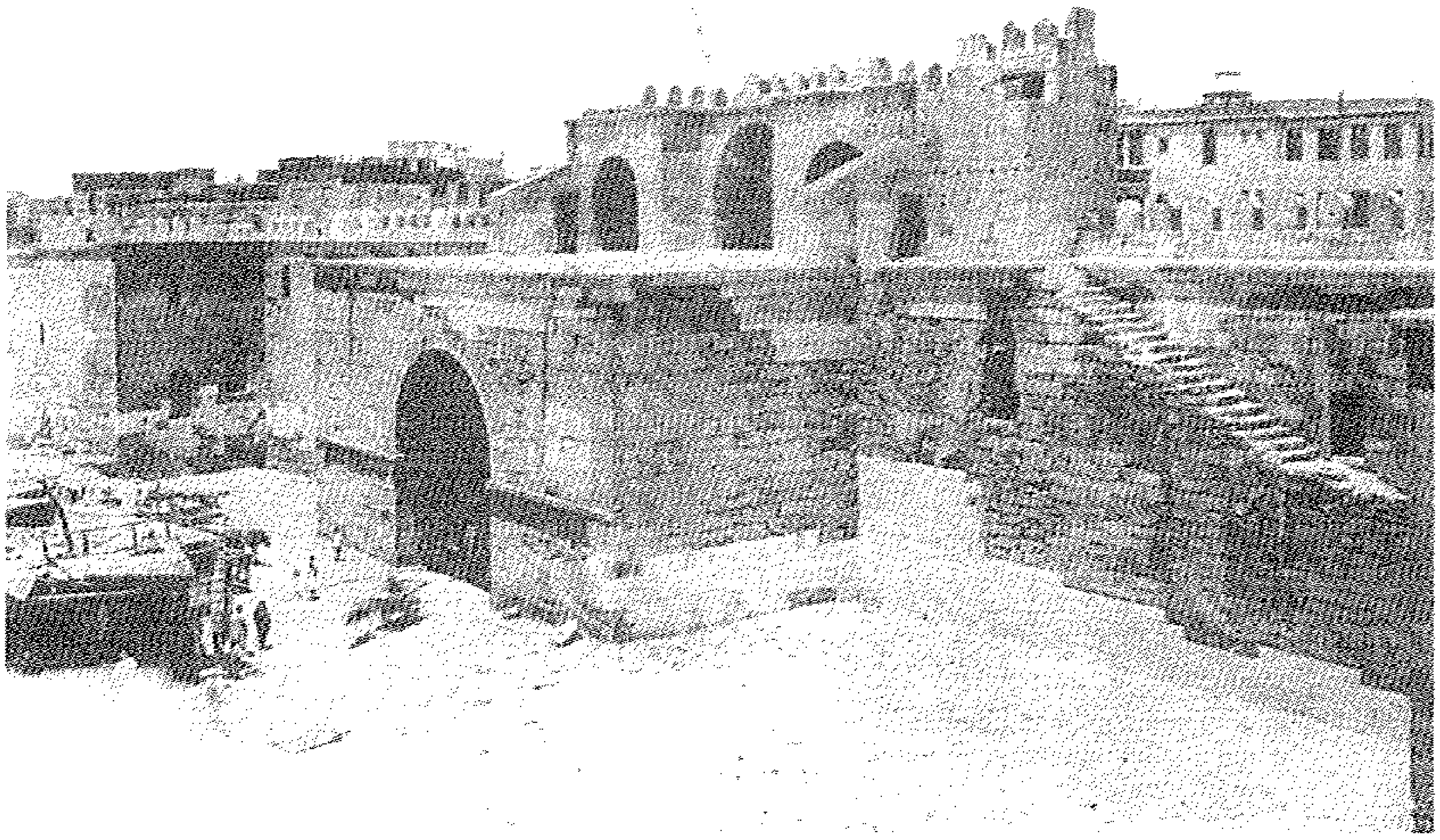

أ - الوجه الخلفي من جدار جامع الحاكم .

ب - الوجه الخلفي من المنصة .

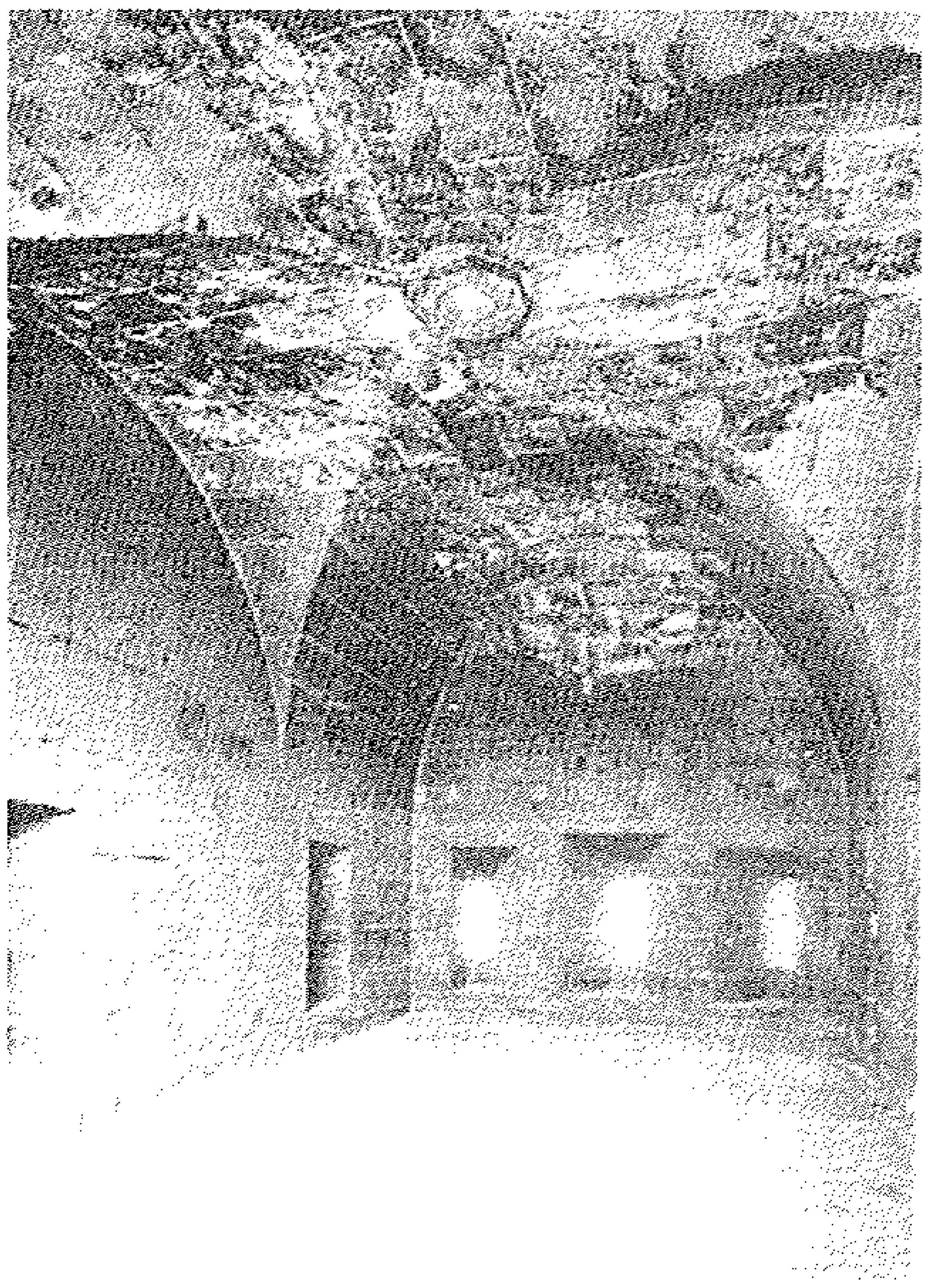

جـ - داخل البرج الشرقي .

(لوحة رقم ٦٨) باب الفتوح : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

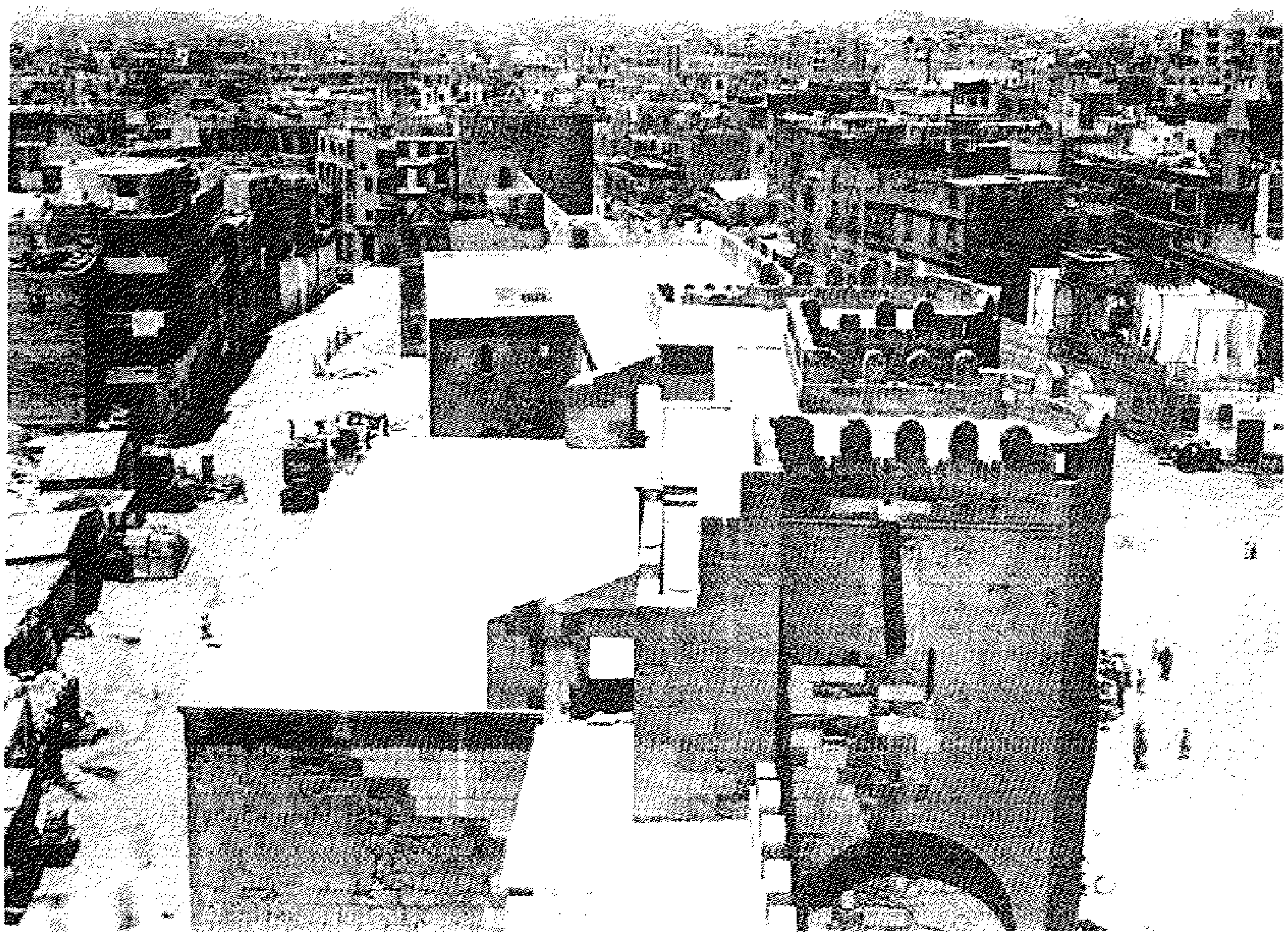

أ - باب الفتوح وسلم البرج من أعلى البروز الكبير.

ب - الوجه الداخلي للسور الشمالي من اليمين إلى اليسار: البروز الكبير، باب الفتوح، سلم البرج.

(لوحة رقم ٦٩)

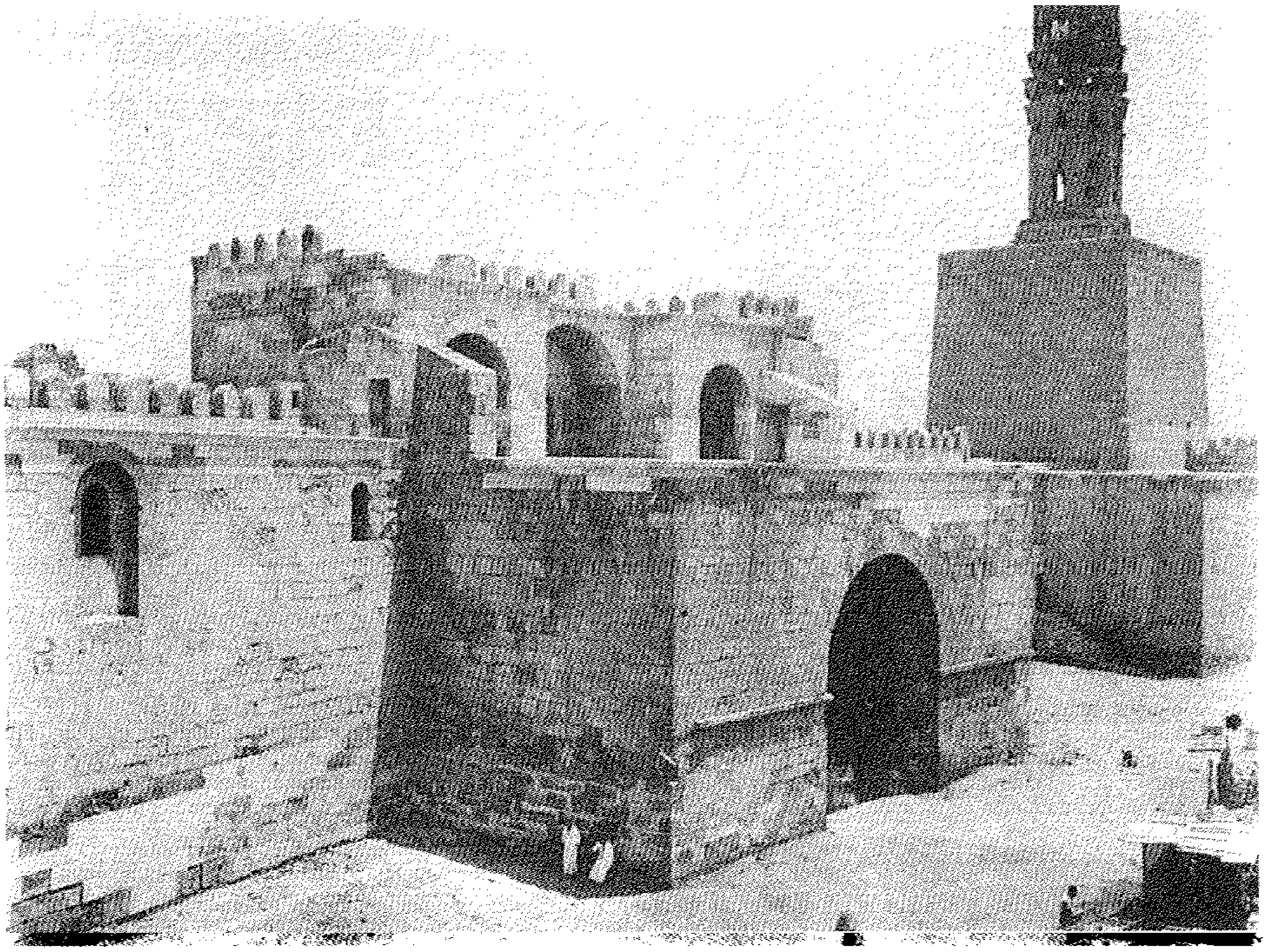

أ - باب الفتوح ، الوجه الخلفي ، البروز الكبير .

ب - باب الفتوح . برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .

(لوحة رقم ٧٠)

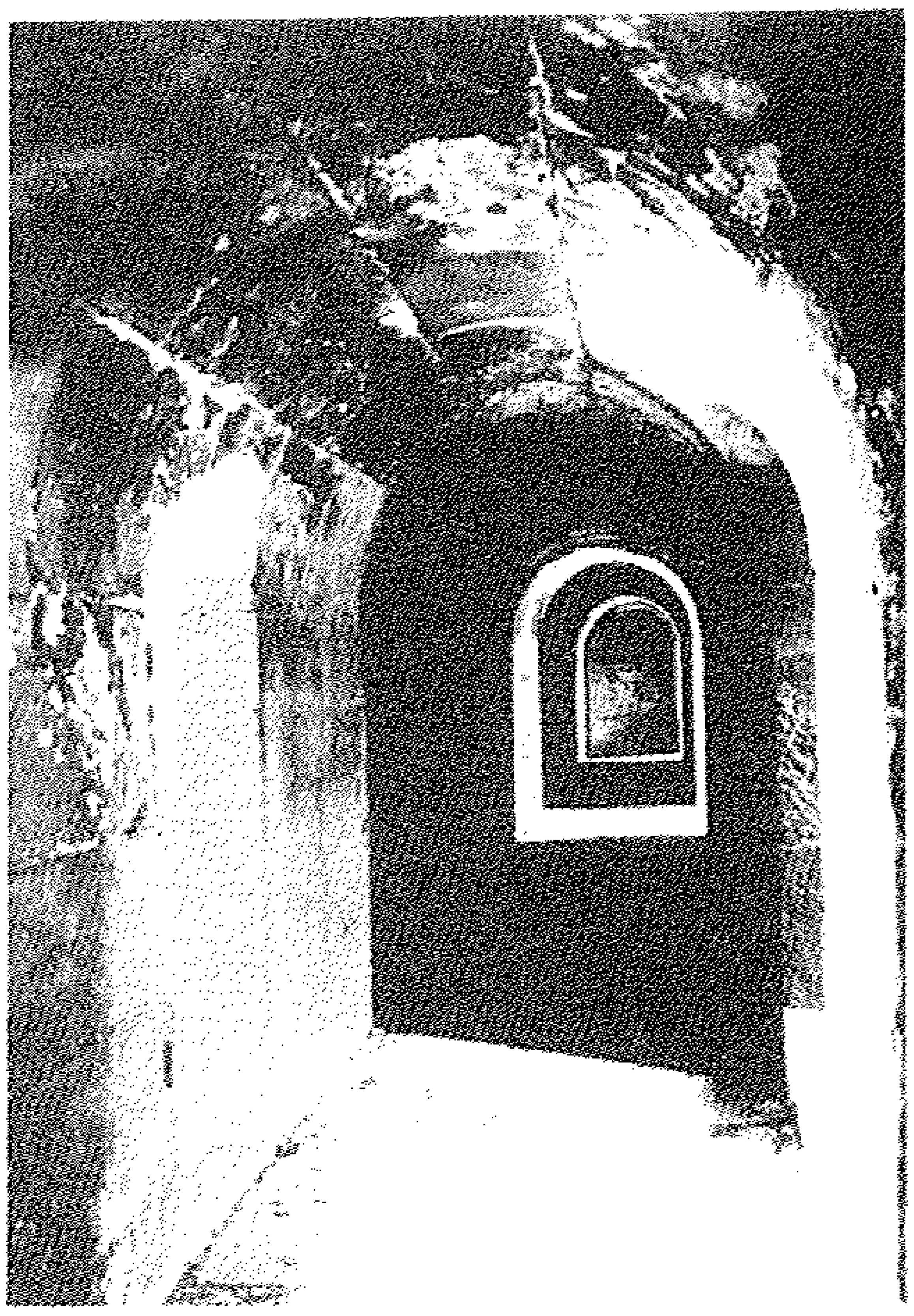

أ - ممر في السور المغيب
بين برج السلم وباب الفتوح . أنظر شرقاً .

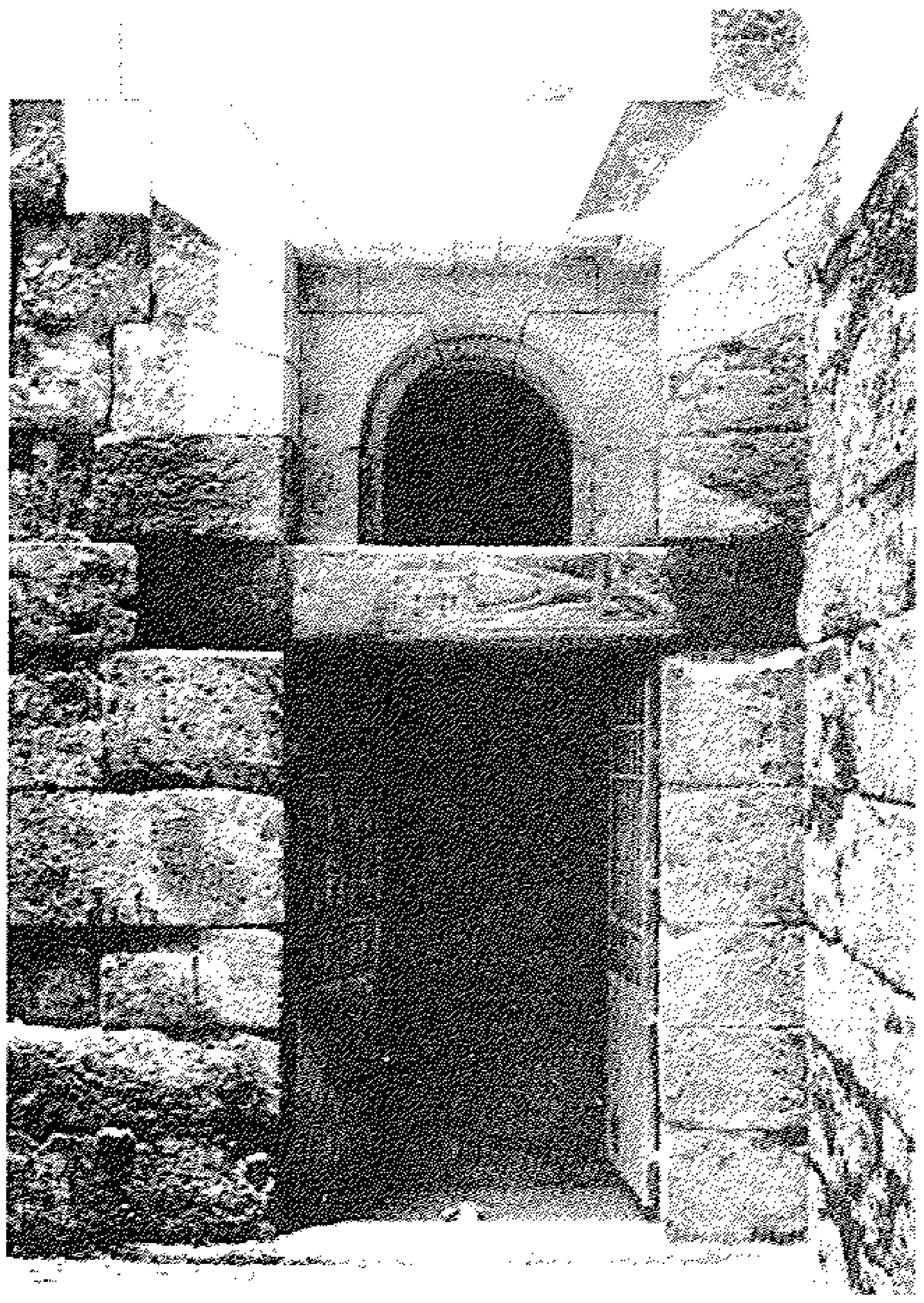

ب - مدخل برج السلم ، على العتب شكل
للإله أمون رع وخرطوش الملك تحتمس .

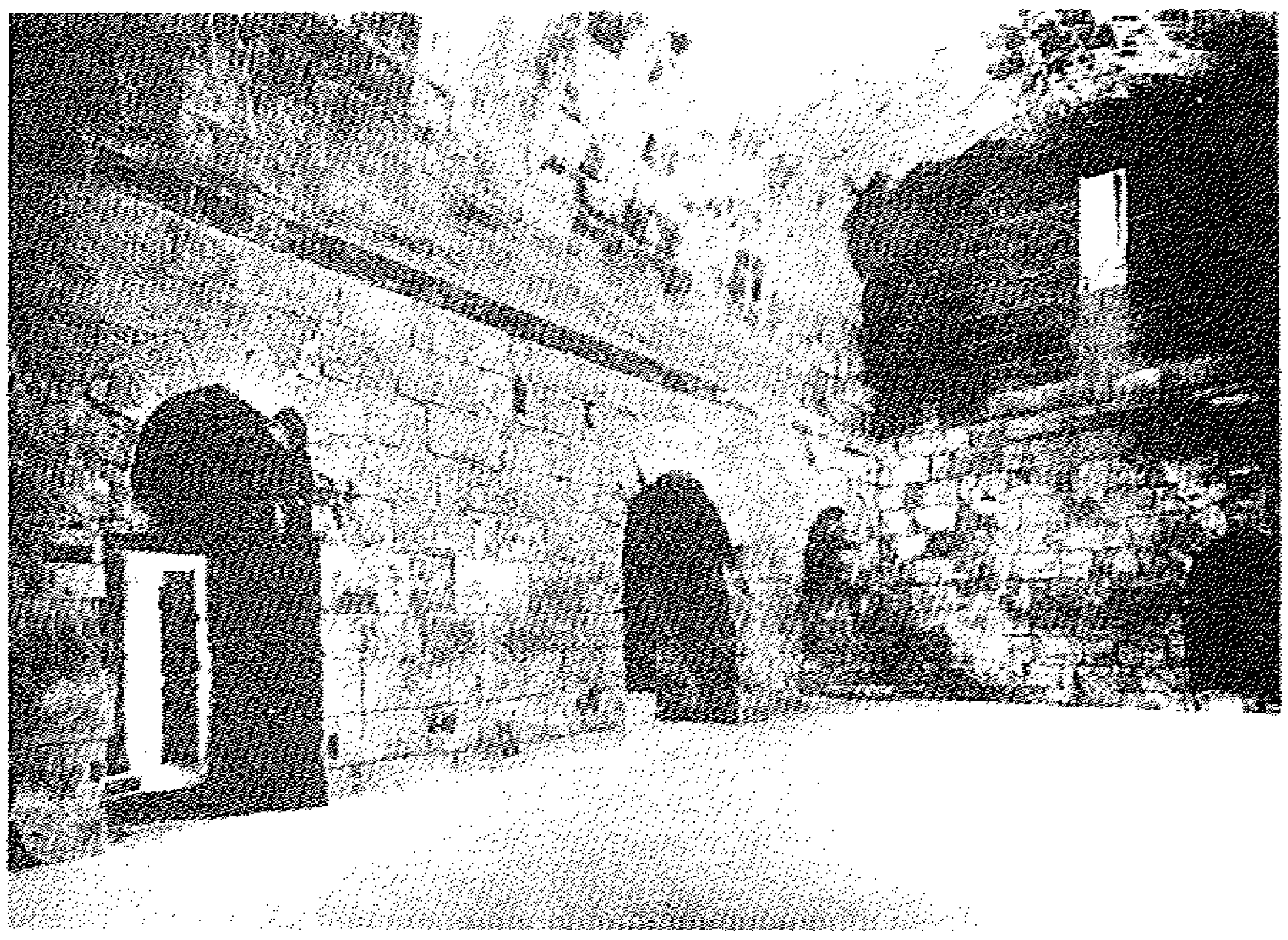

جـ - الحجرة الرئيسية (١٨٫٥٥ × ٢٣٫٨م)
في برج السلم ، أنظر غرباً .

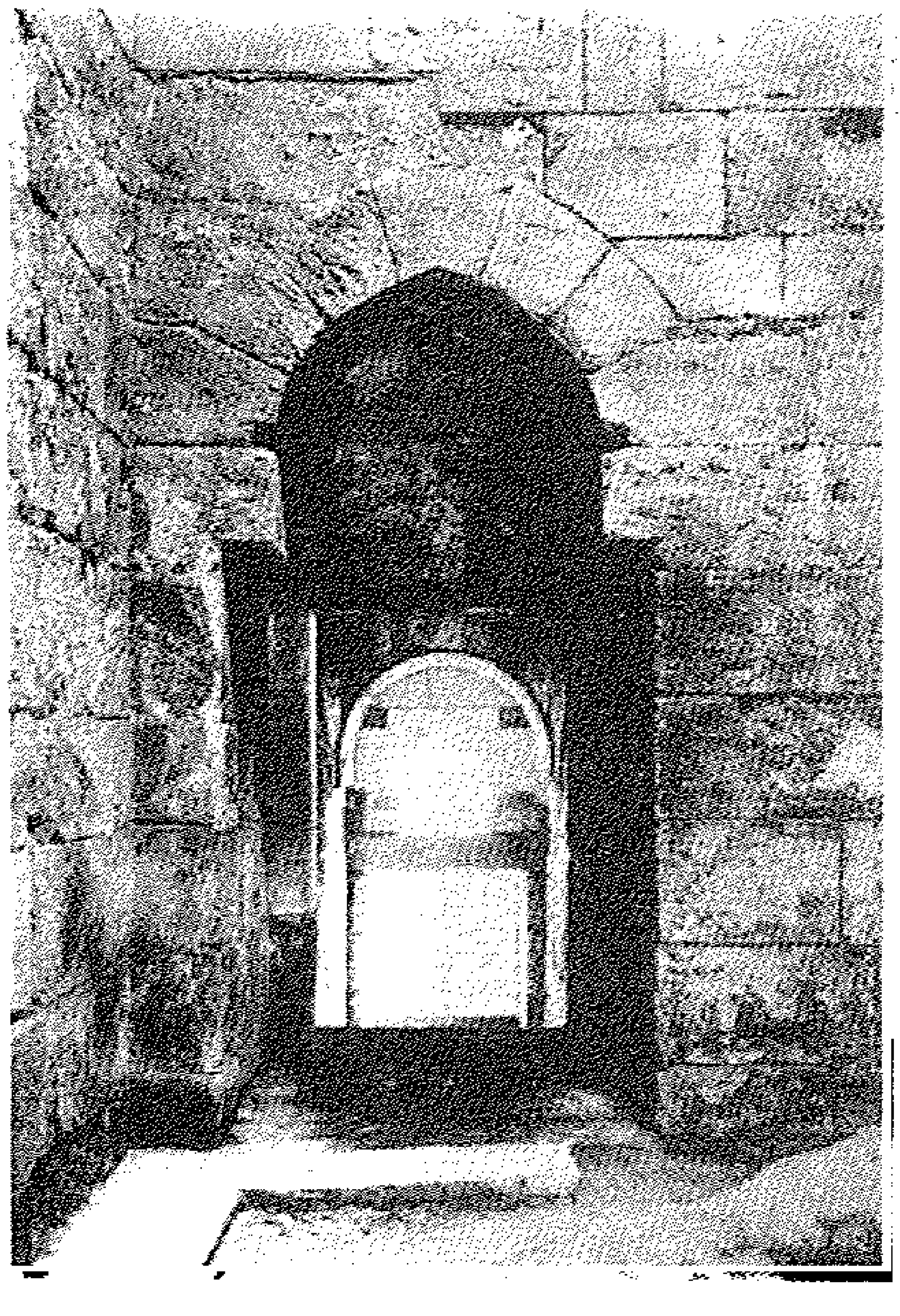

د - الحجرة الأصغر في برج السلم :
مخرج إلى أول مهبط على السلم .

(لوحة رقم ٧١) السور الشمالي : ٤٨٠هـ/١٠٨٧م .

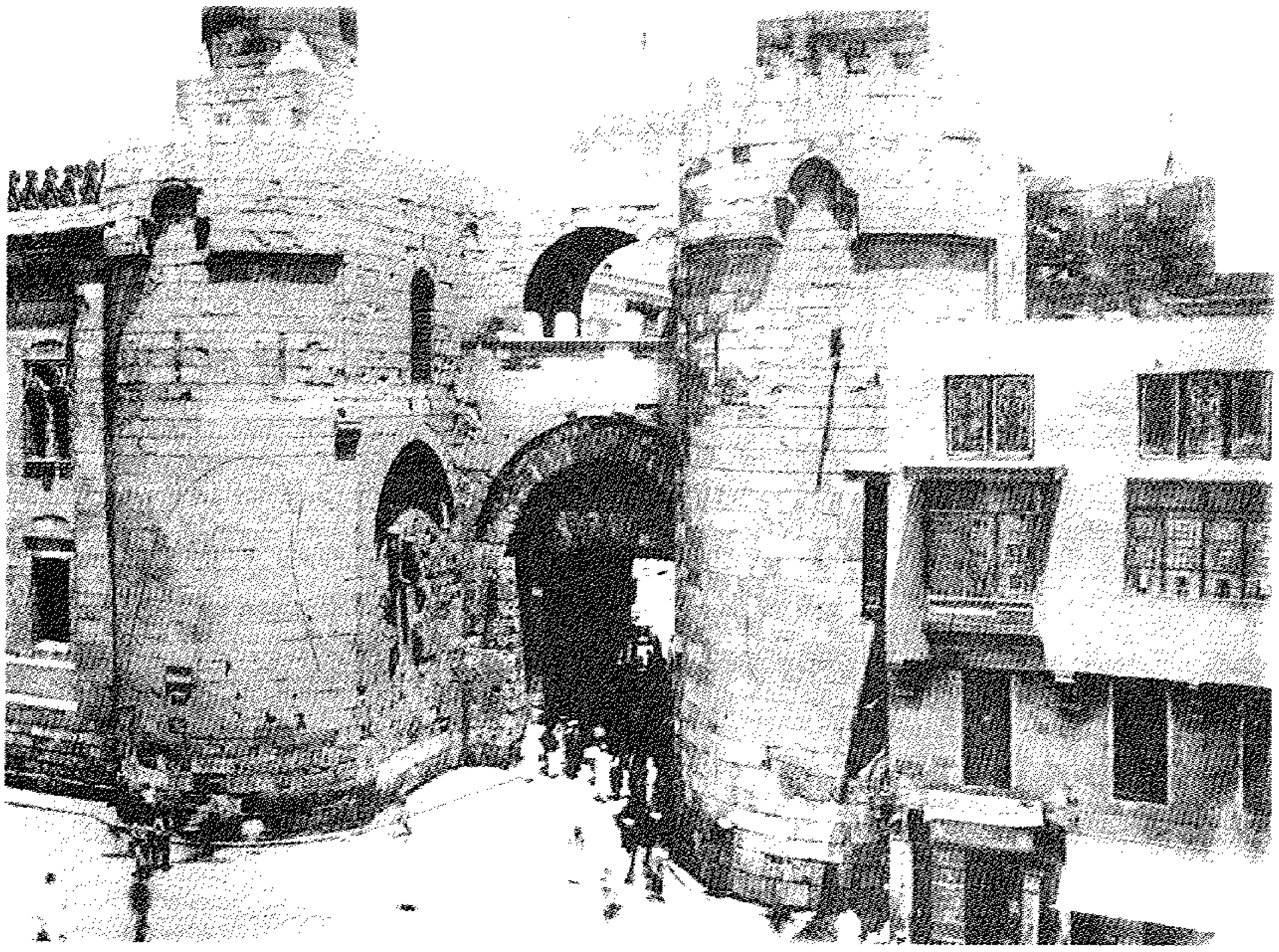

أ - منظر عام من الجنوب .

ب - زخرفة في الزاوية الداخلية الثانية .

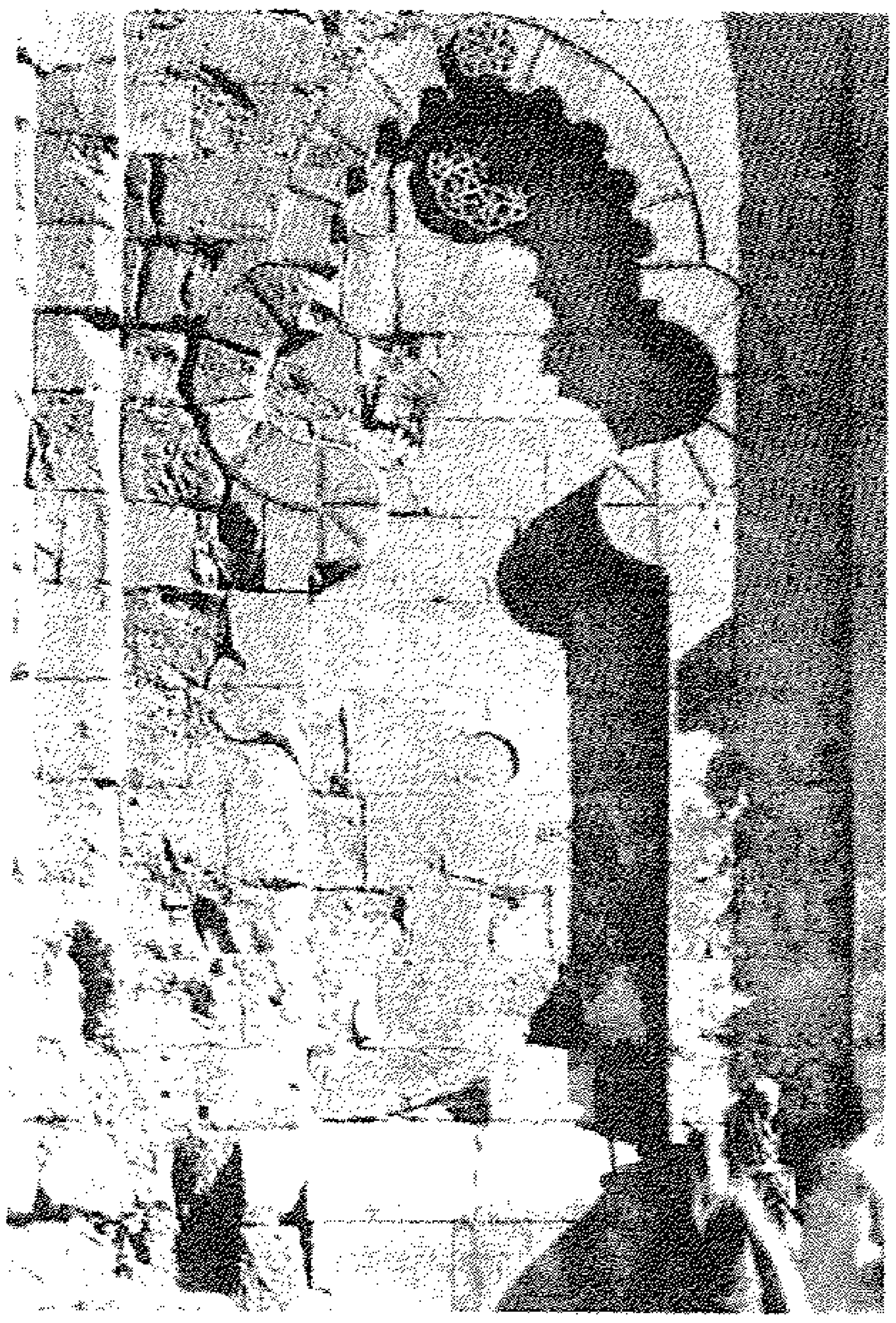

جـ - حشوة زخرفية على الجانب الداخلي للبرج .

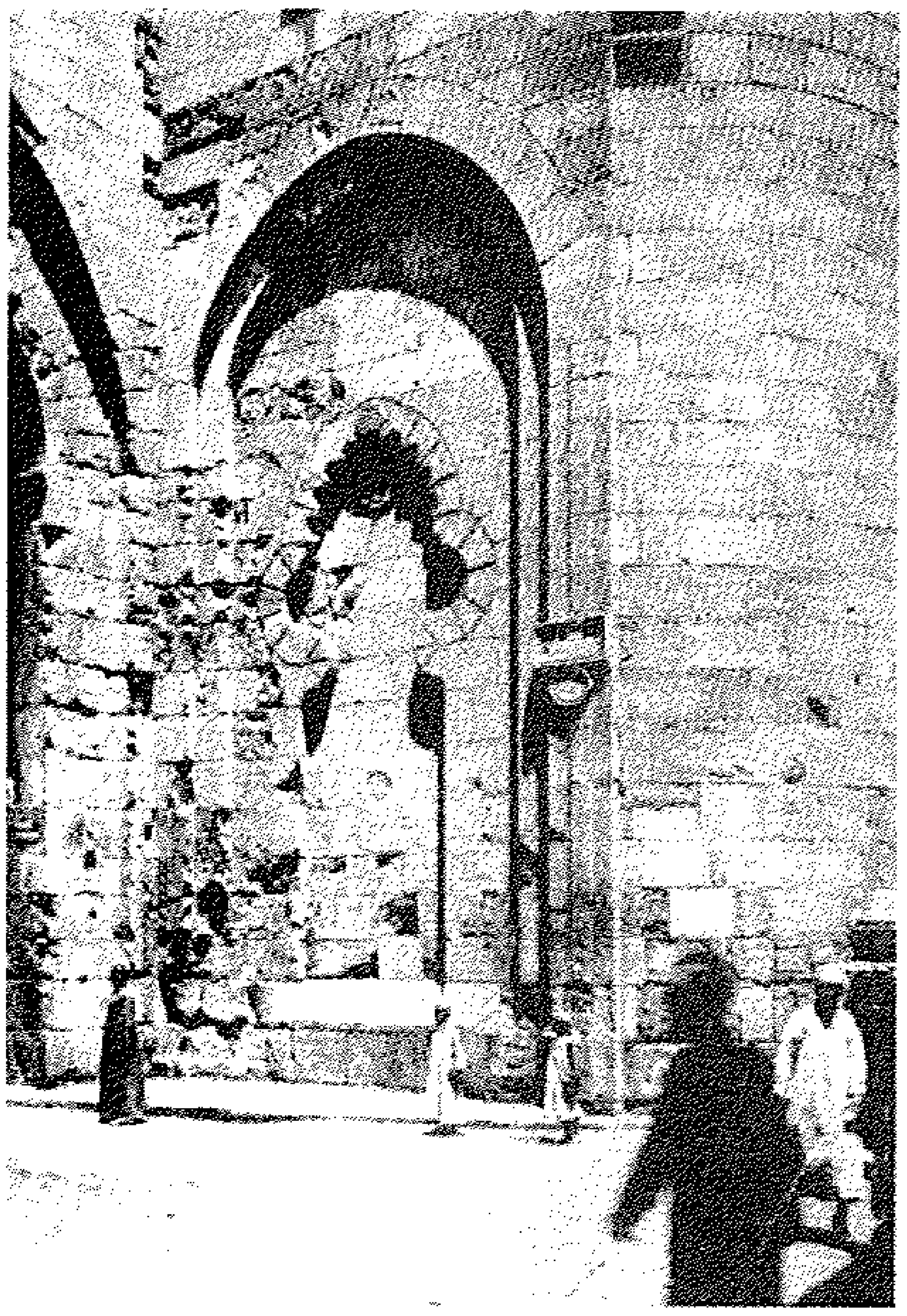

د - حشوات على الجانب الداخلي للبرج الشرقي .

(لوحة رقم ٧٢) باب زويلة (بوابة المتولى) : ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .

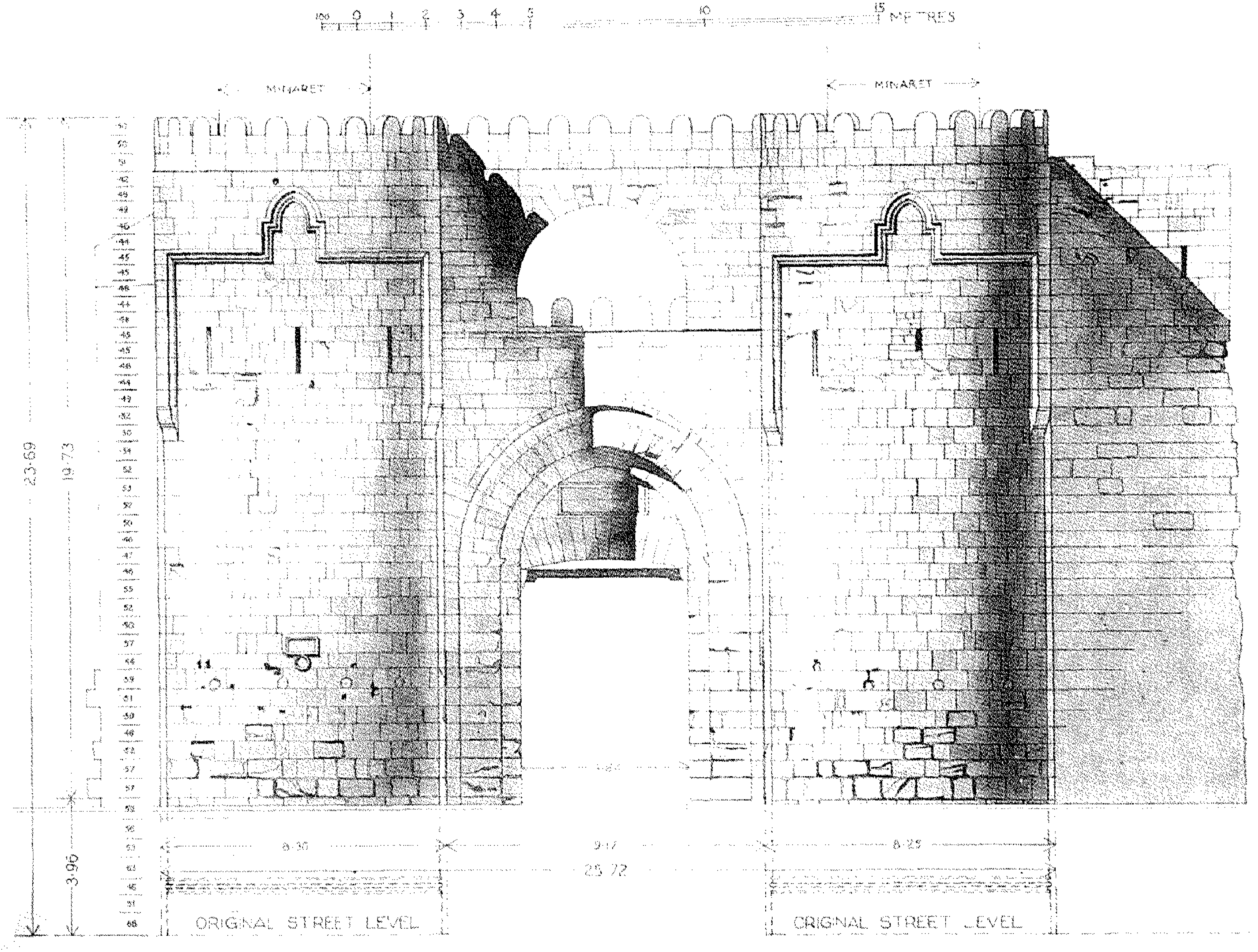

(لوحة رقم ٧٣) باب زويلة : ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، واجهة أمامية (رسم موريالك ليون) .

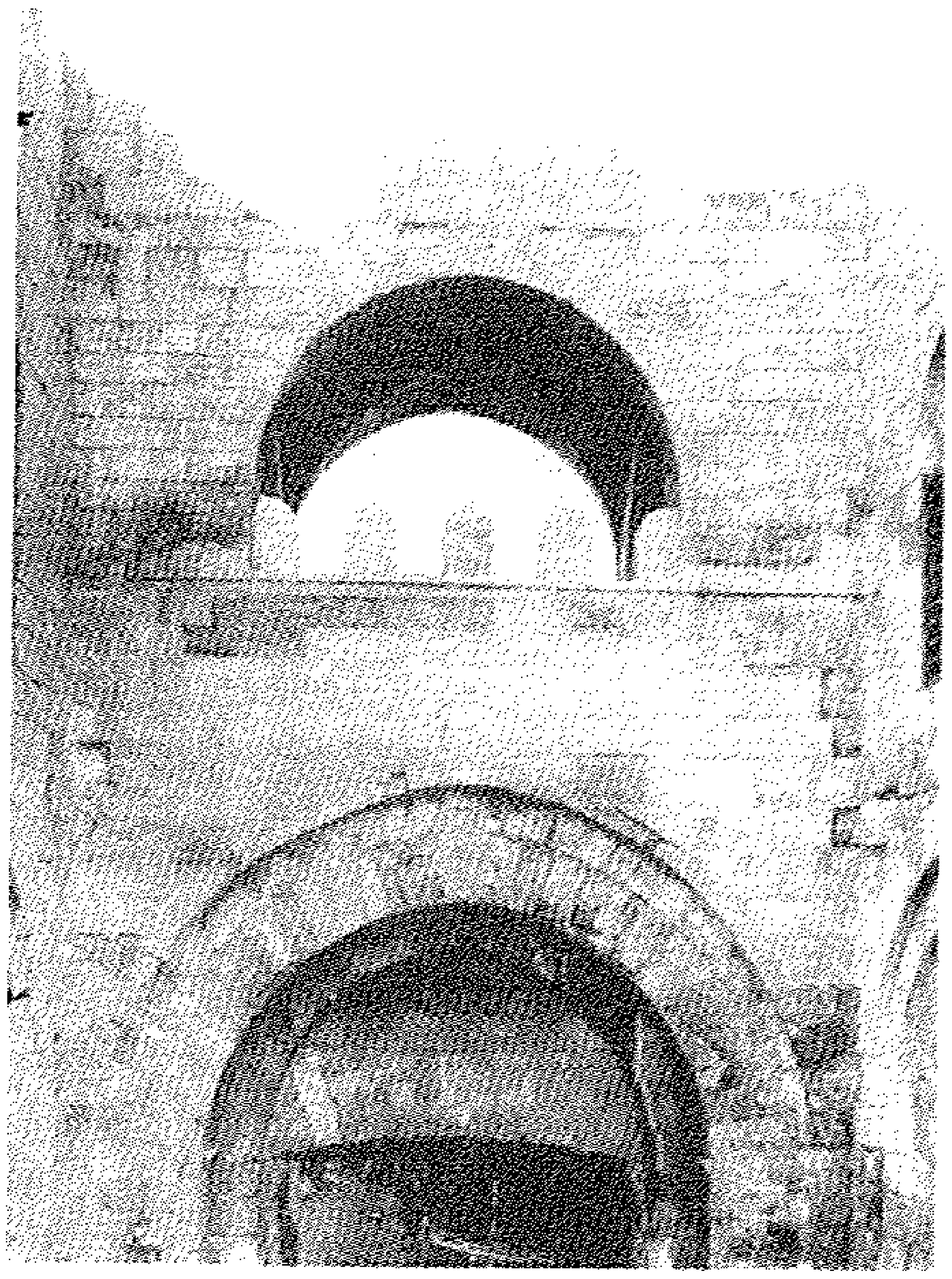

أ - الجزء أعلى البوابة .

ب - قبة على مثلثات كروية تعلو ممر البوابة .

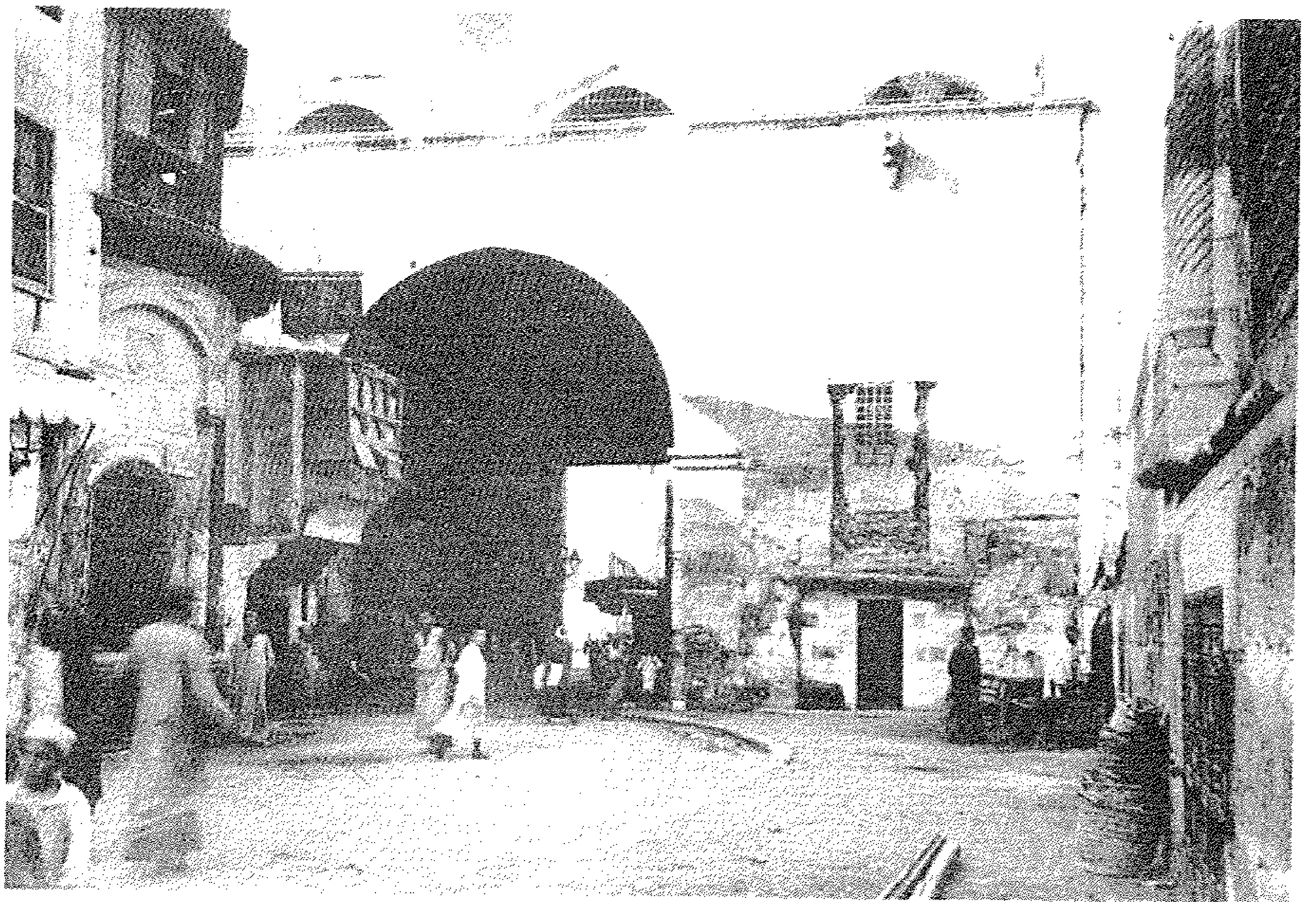

جـ - الوجه (الشمالي) الخلفي .

(لوحة رقم ٧٤) باب زويلة : ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .

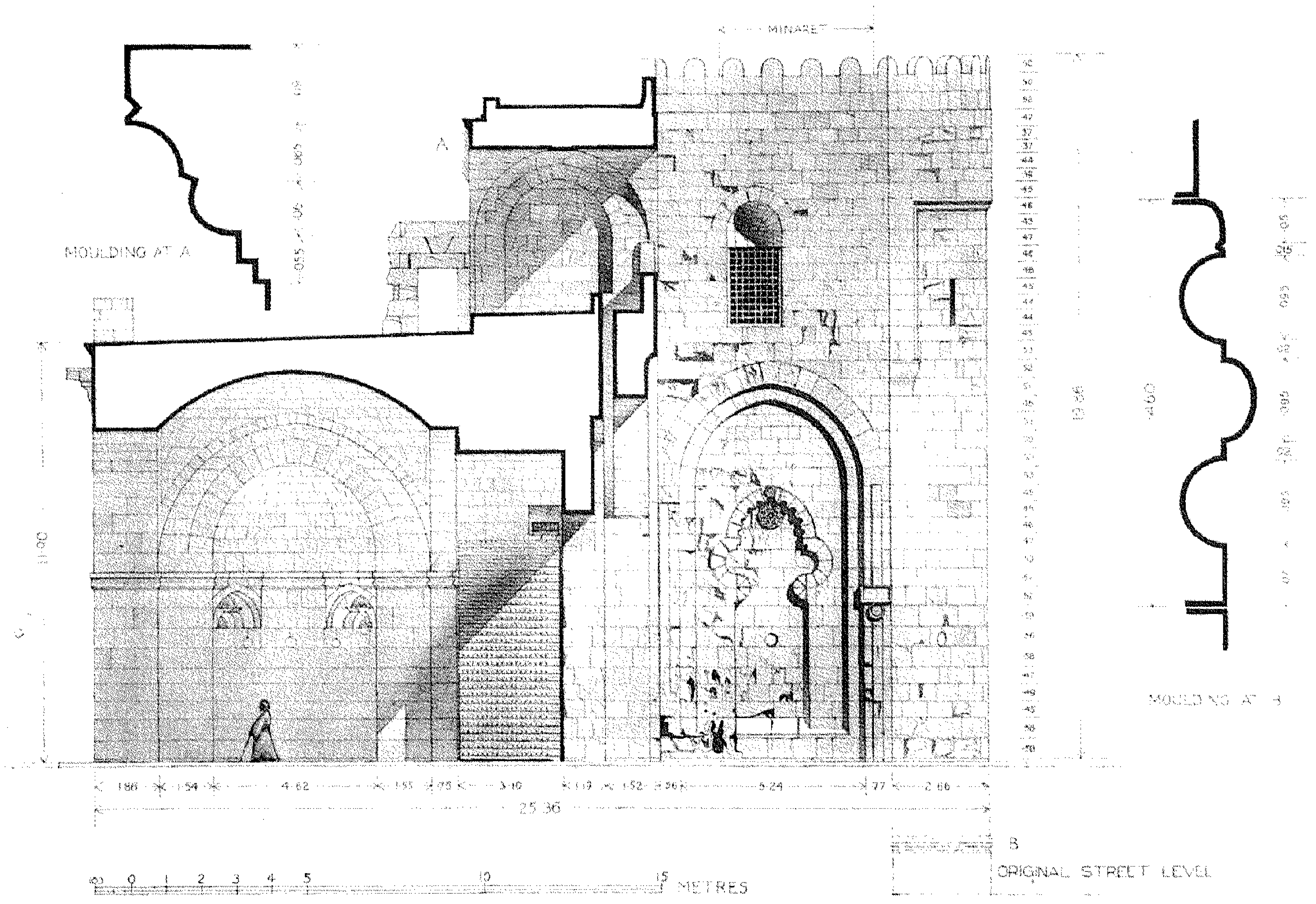

(لوحة رقم ٧٥) باب زويلة : ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، قطاع من خلال ممر البوابة (رسم موريـاك ليون) .

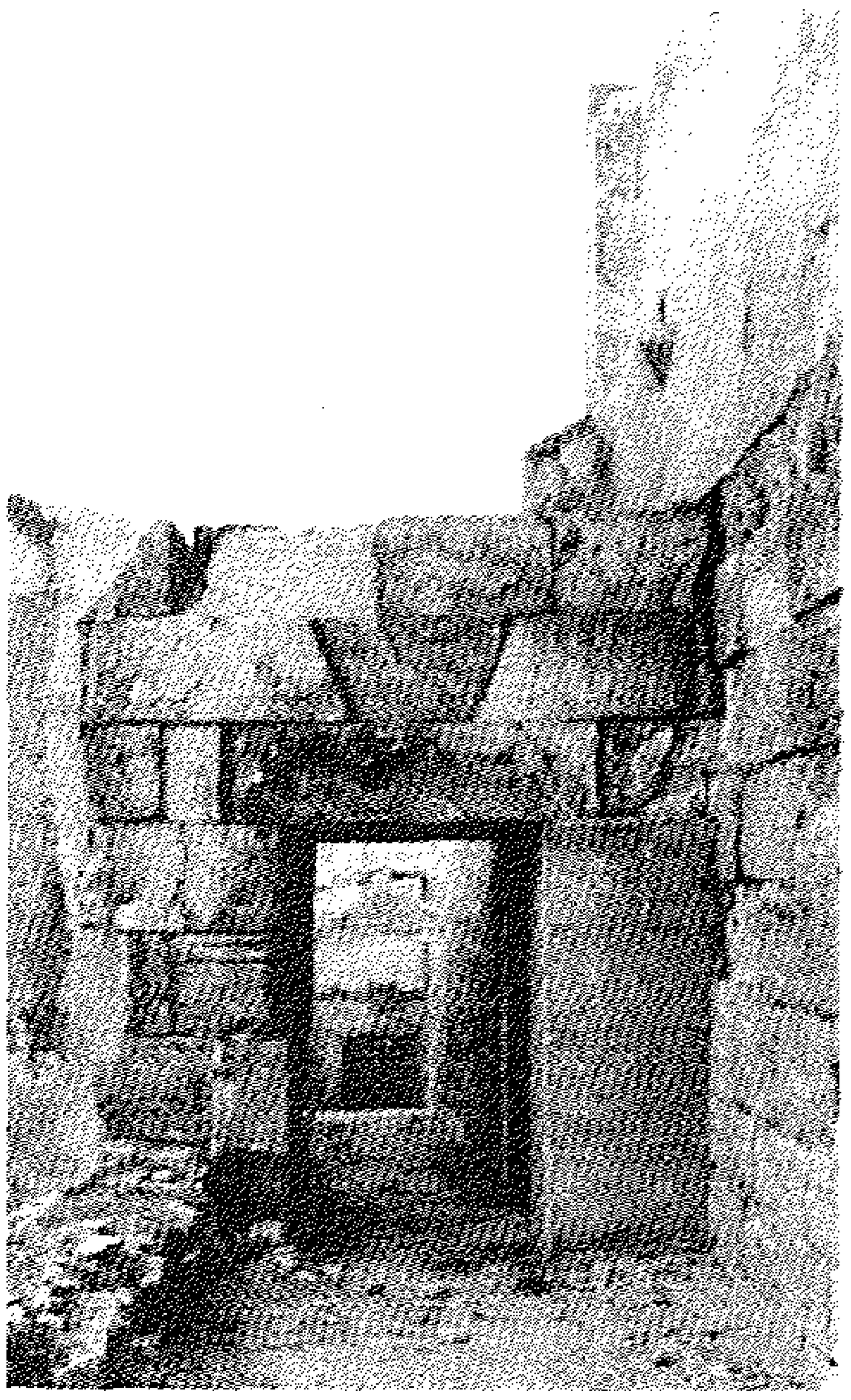

أ - ممر بوابة من المنصة إلى السلم الذي ينزل منه خلف السور المغيب المتجه شرقاً (أنظر جـ إلى اليسار) .

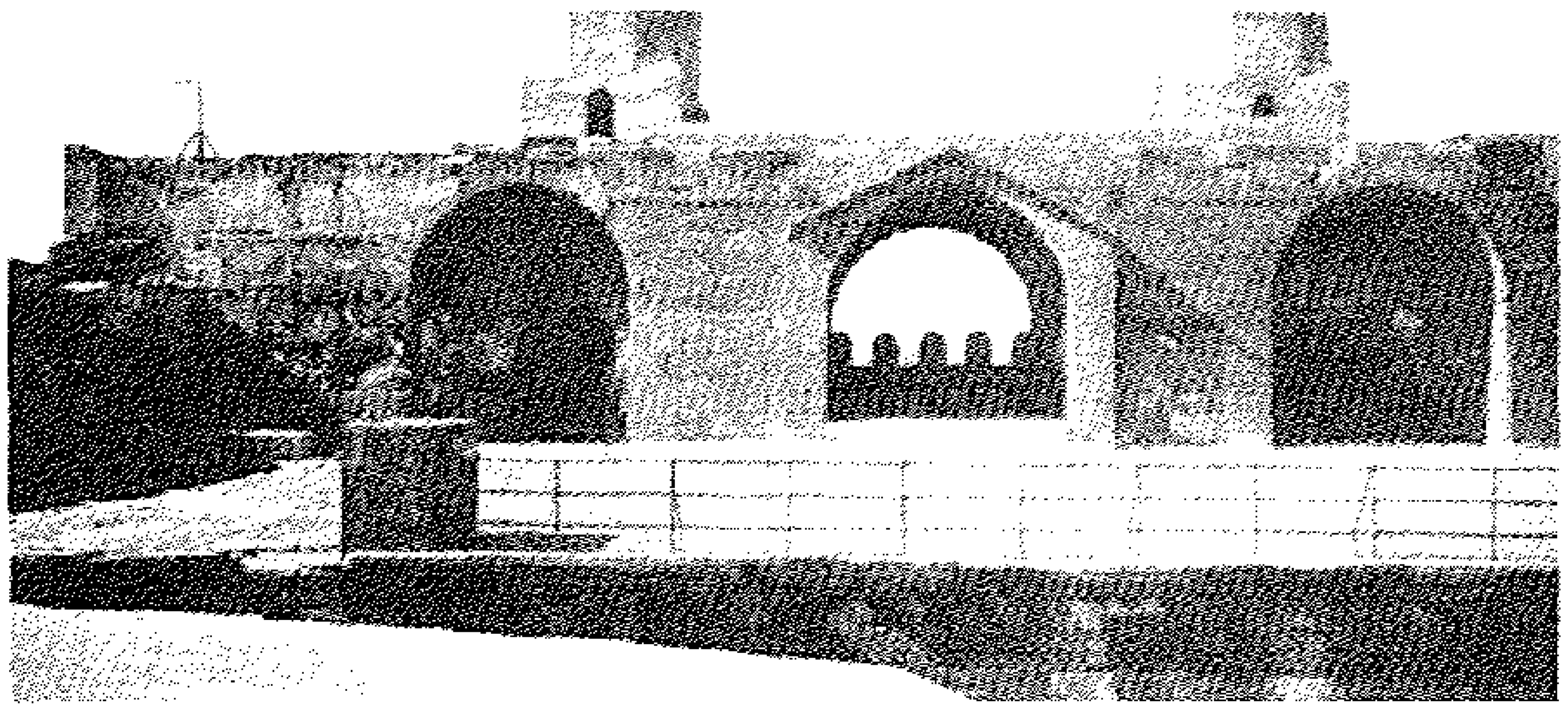

ب - المنصة في قمة البوابة .

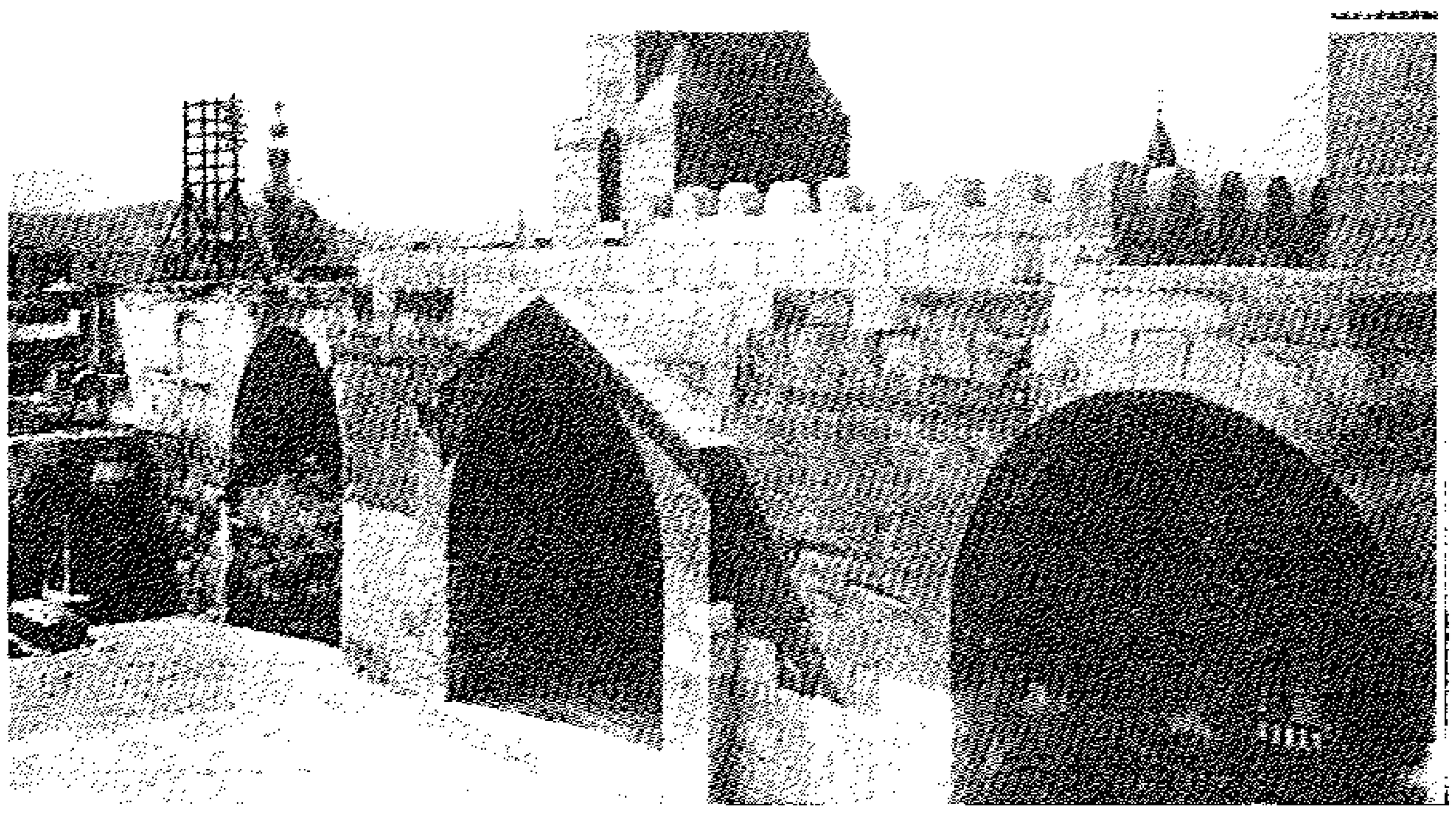

جـ - المنصة والجزء العلوي للبوابة .

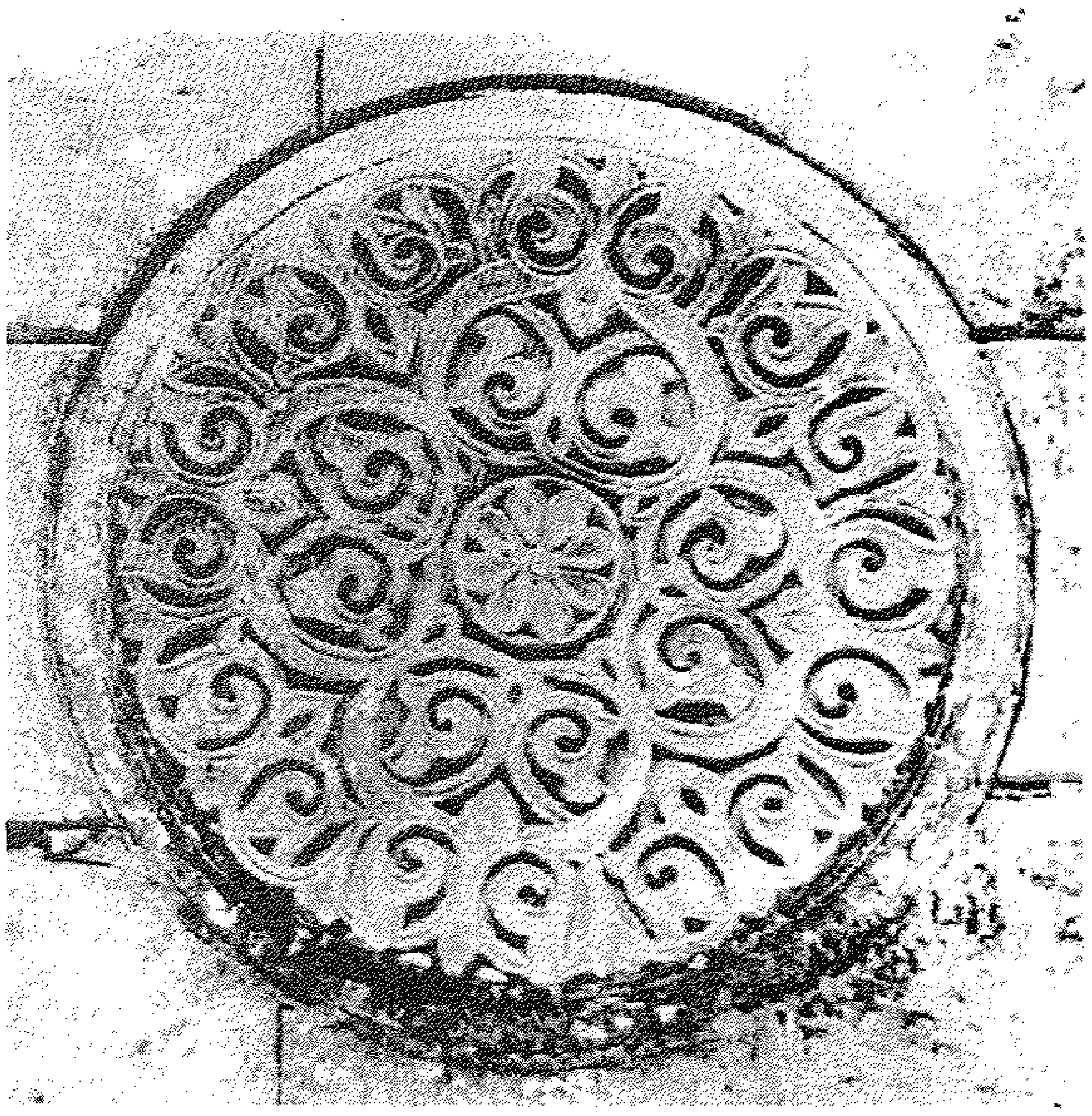

د - زخرفة الصنجة المفتاحة (المفتاح) للدعامة المقببة الوسطى في ب . جـ .

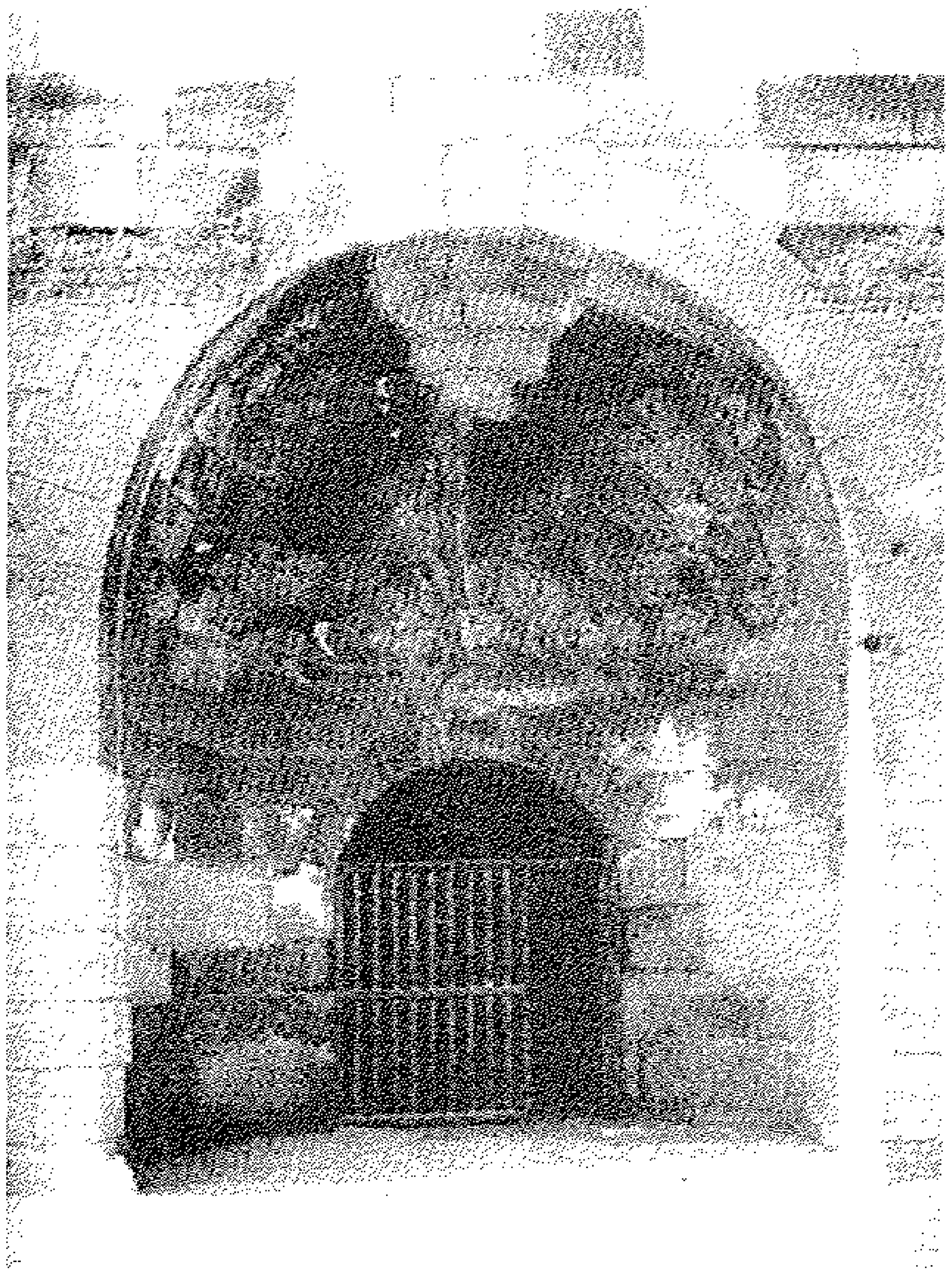

هـ - مدخل إلى حجرة في الطابق الثالث للبرج الغربي (أنظر ب . جـ إلى اليمين) .

(لوحة رقم ٧٦) باب زويلة ، ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .

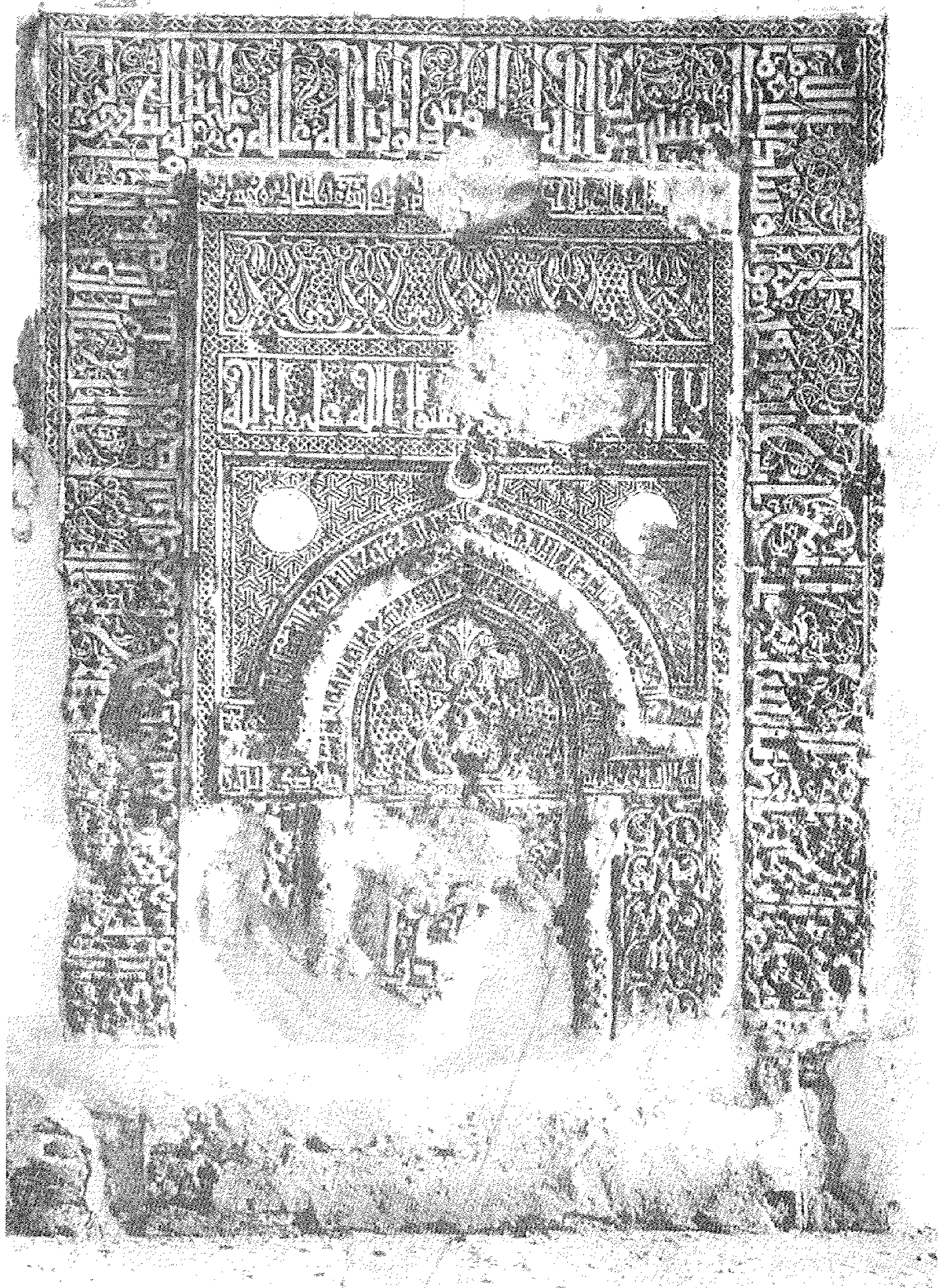

(لوحة رقم ٧٧) جامع ابن طولون : محراب الأفضل ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .

أ - من الشمال .

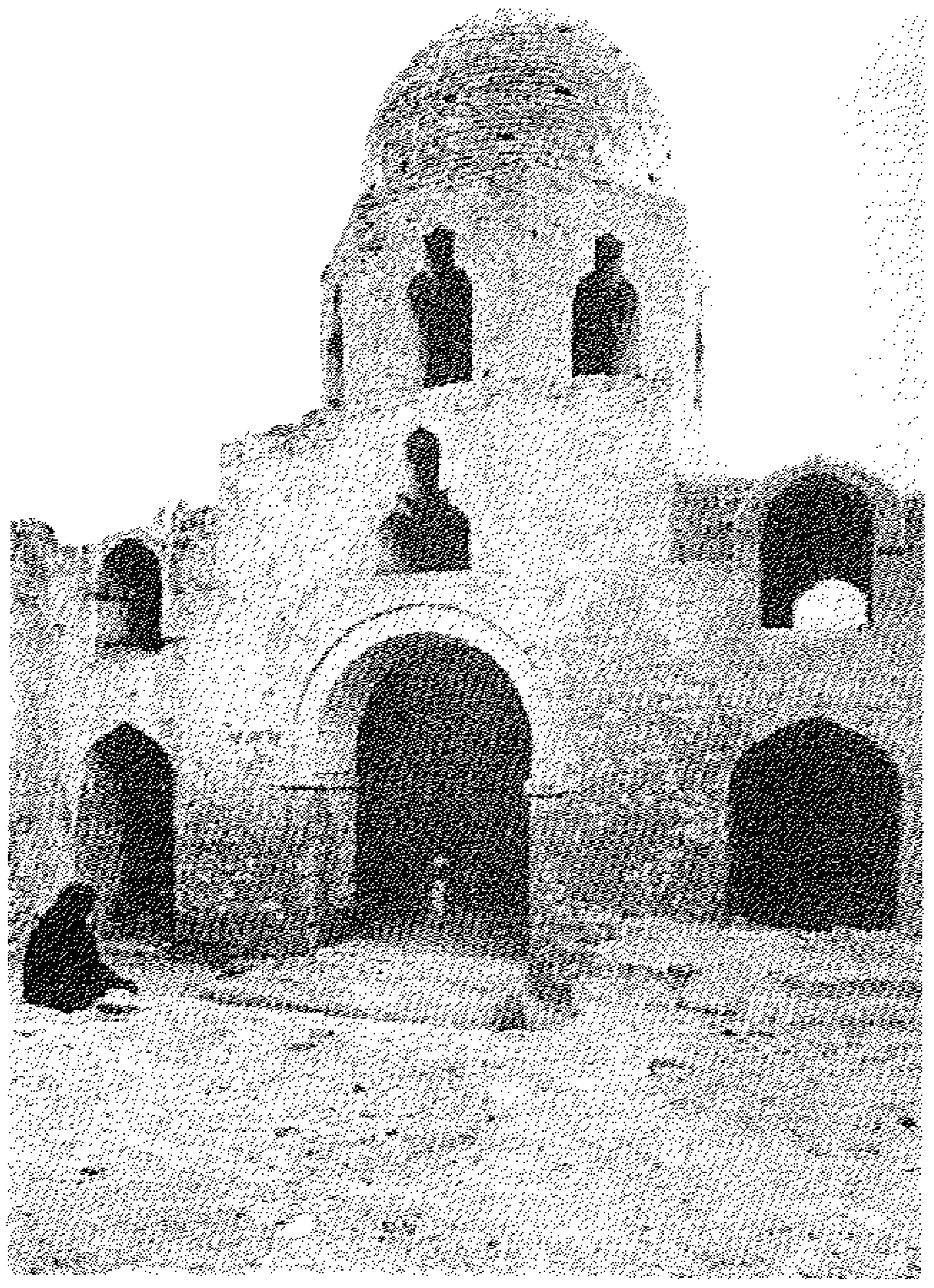

ب - واجهة الحرم أو بيت الصلاة
(المصلى) .

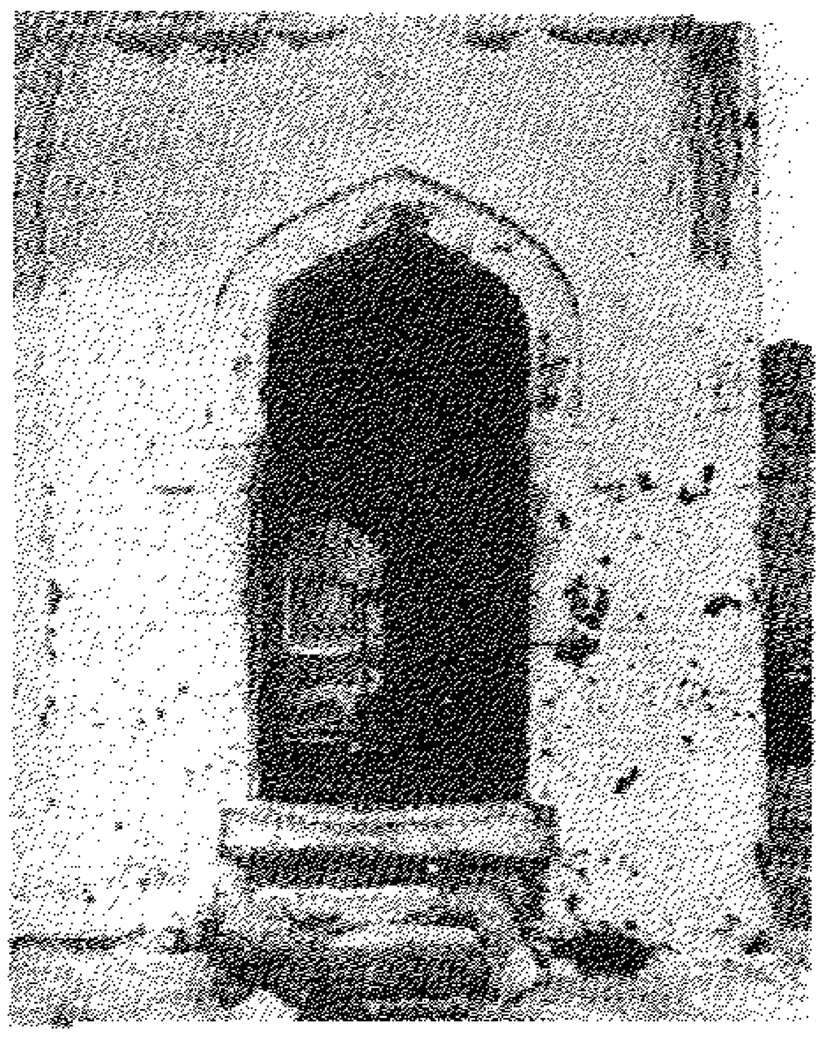

جـ - مدخل الملحق
(انظر إلى اليسار) .

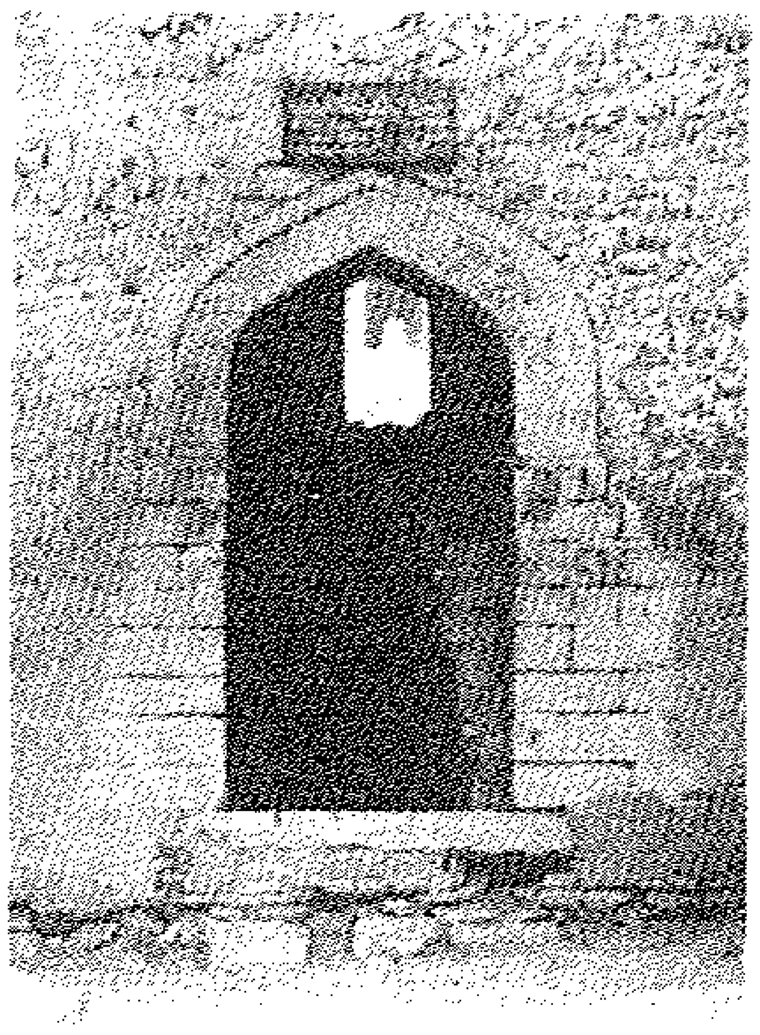

د - مدخل الممر .

هـ - واجهة الحرم من سقف الممر .

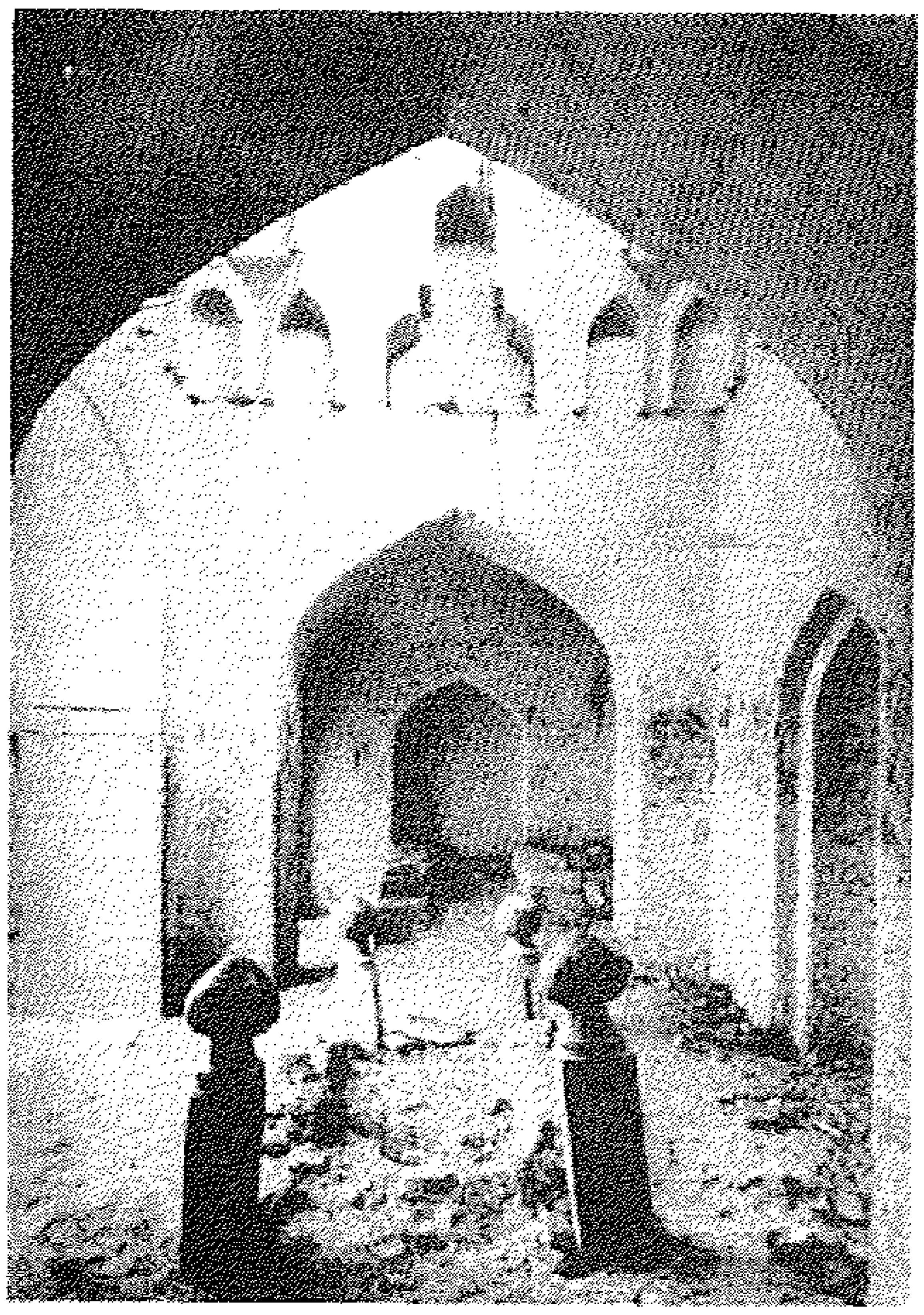

و - الحرم . جهة الشمال الشرقي .

(لوحة رقم ٧٨) أسوان : المشهد .

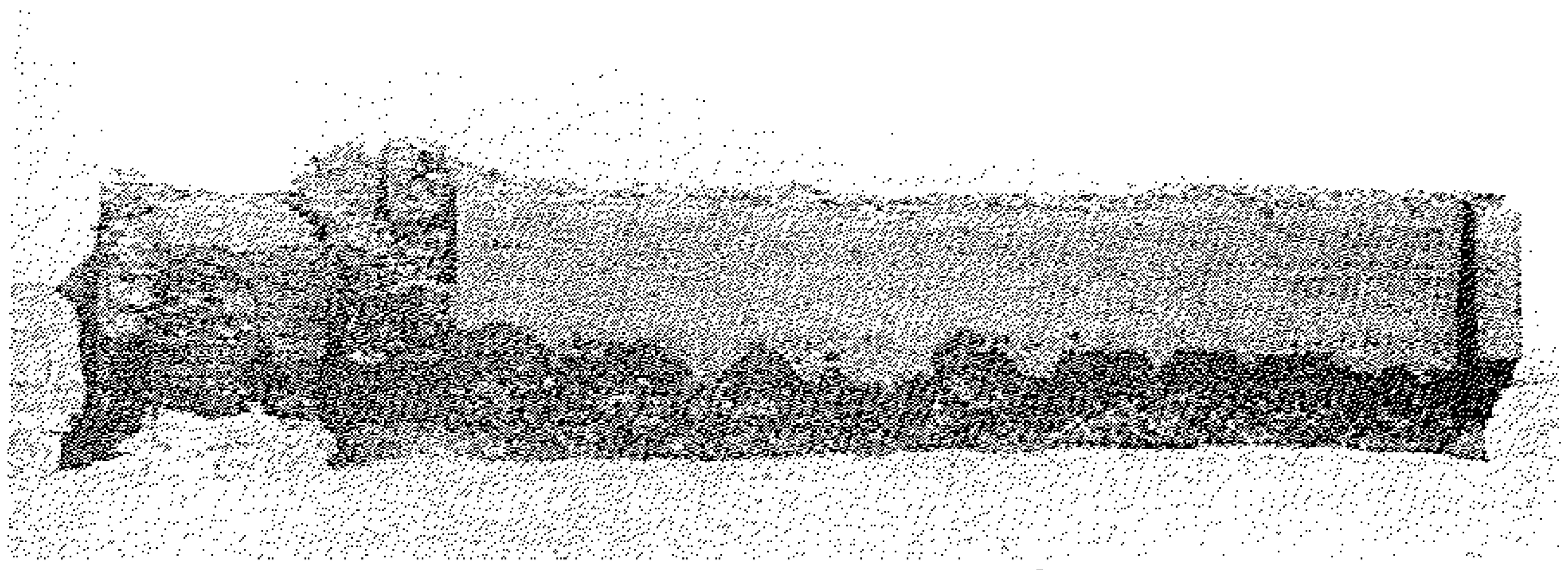

أ - من الجنوب الغربي .

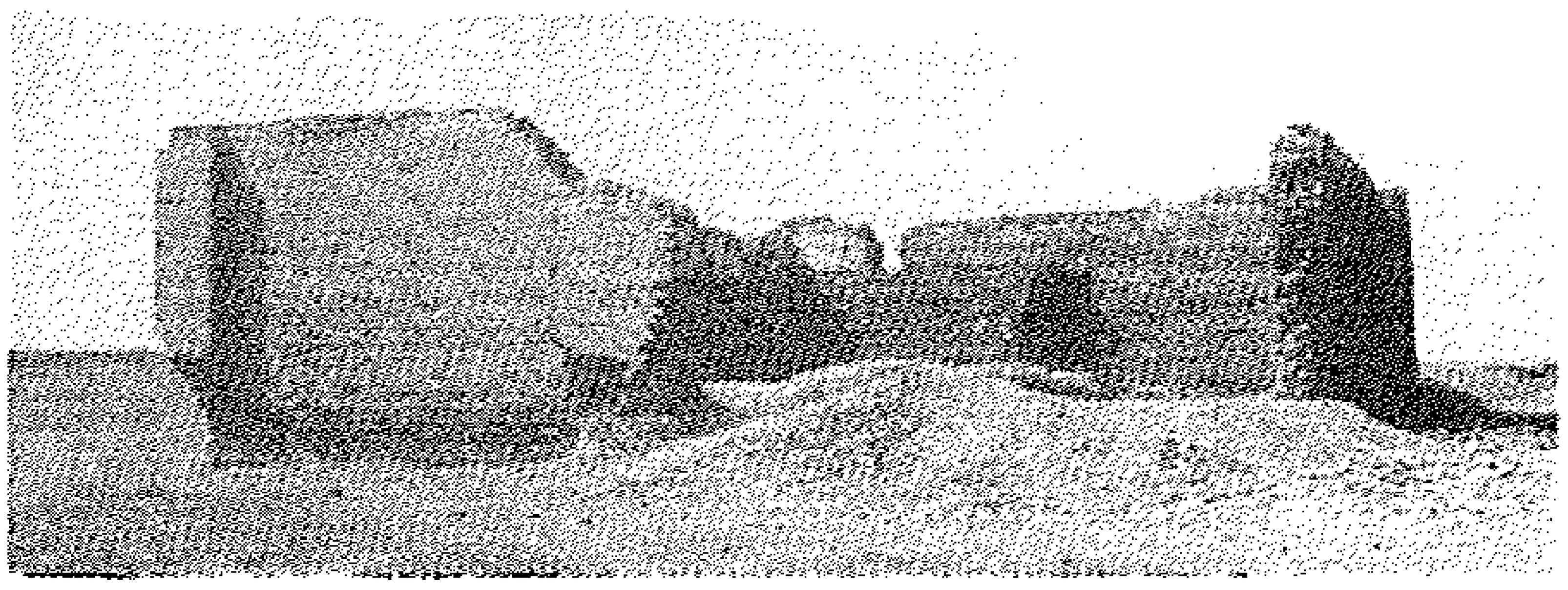

ب - من الشرق .

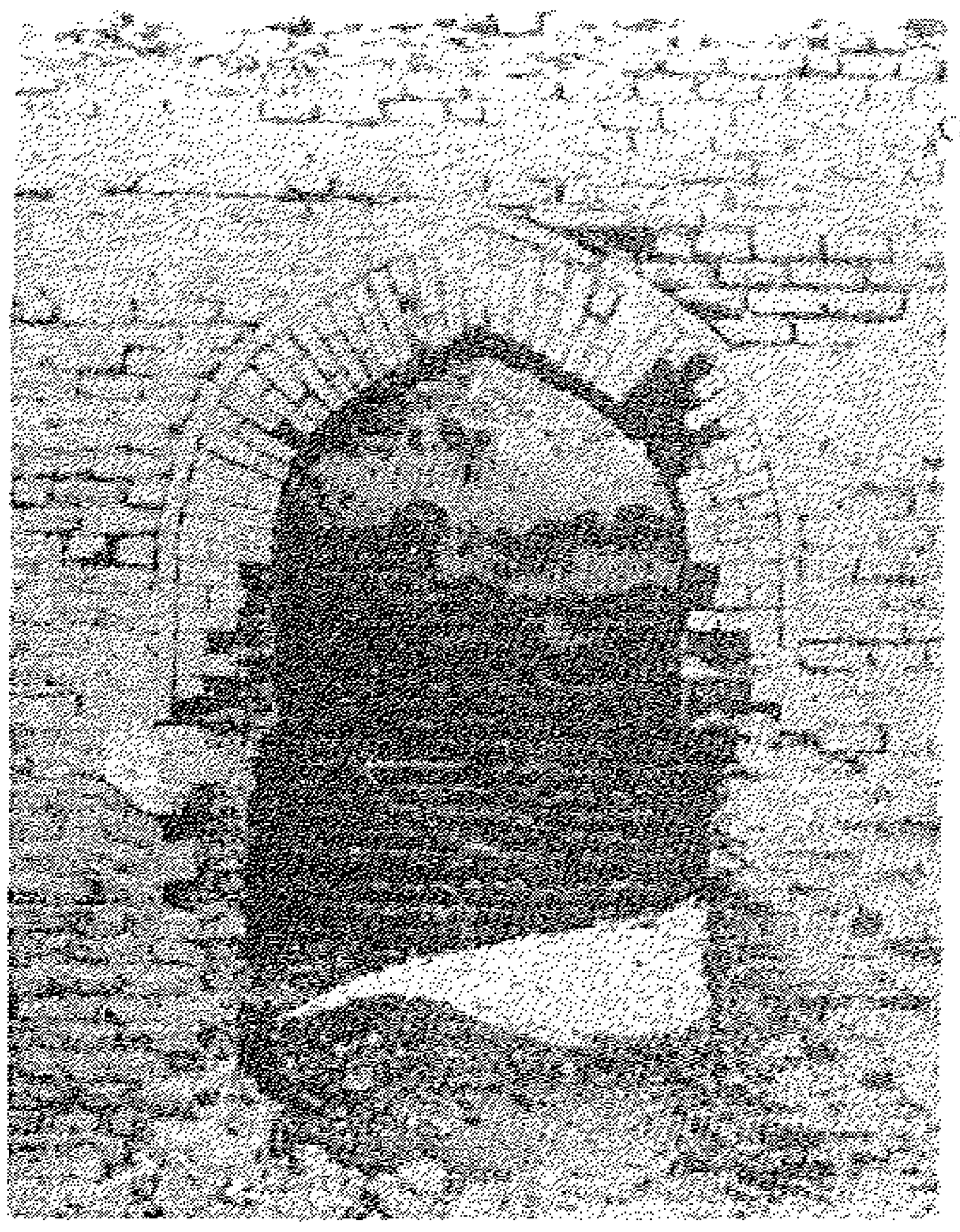

جـ - مدخل الصحن من الداخل .

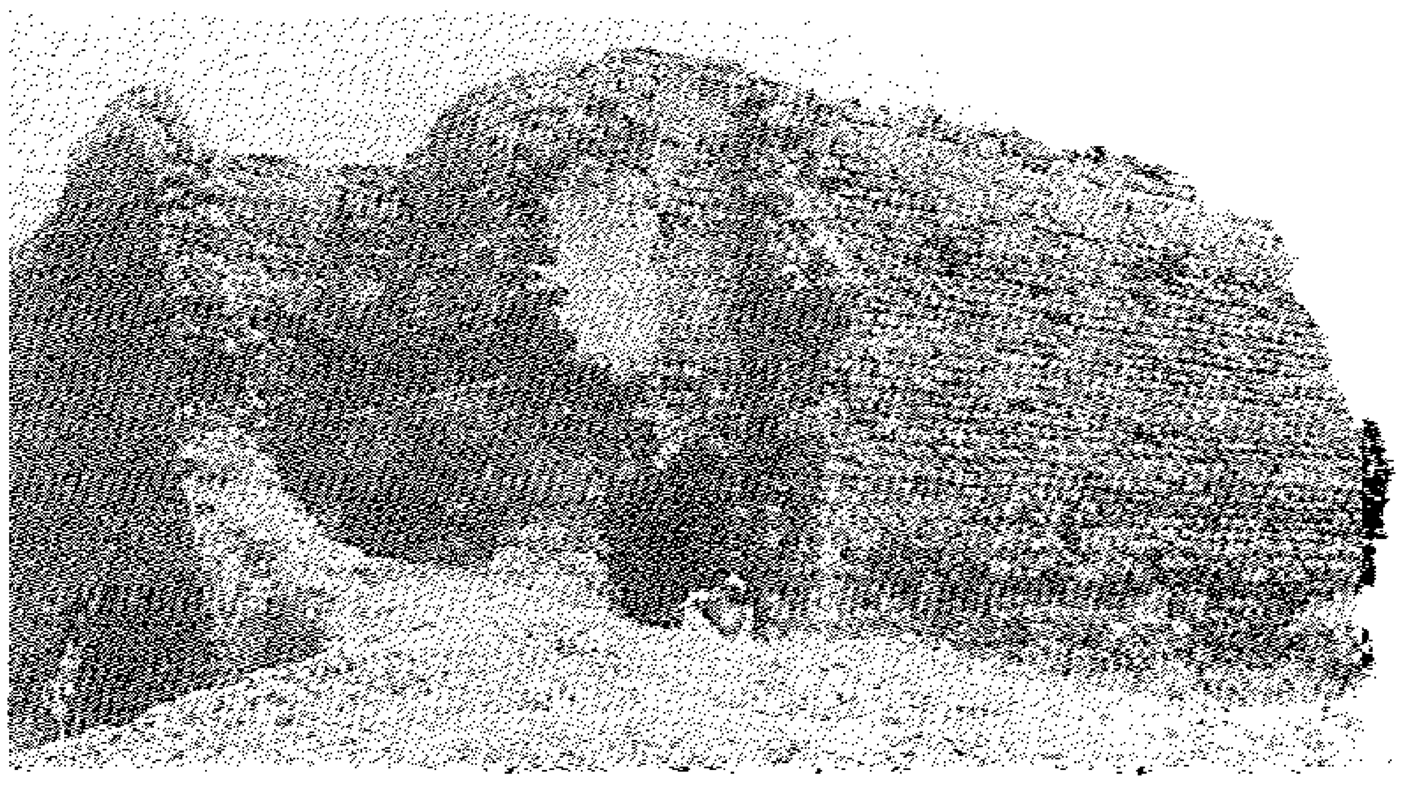

د - من الشمال .

هـ - الركن الغربي .

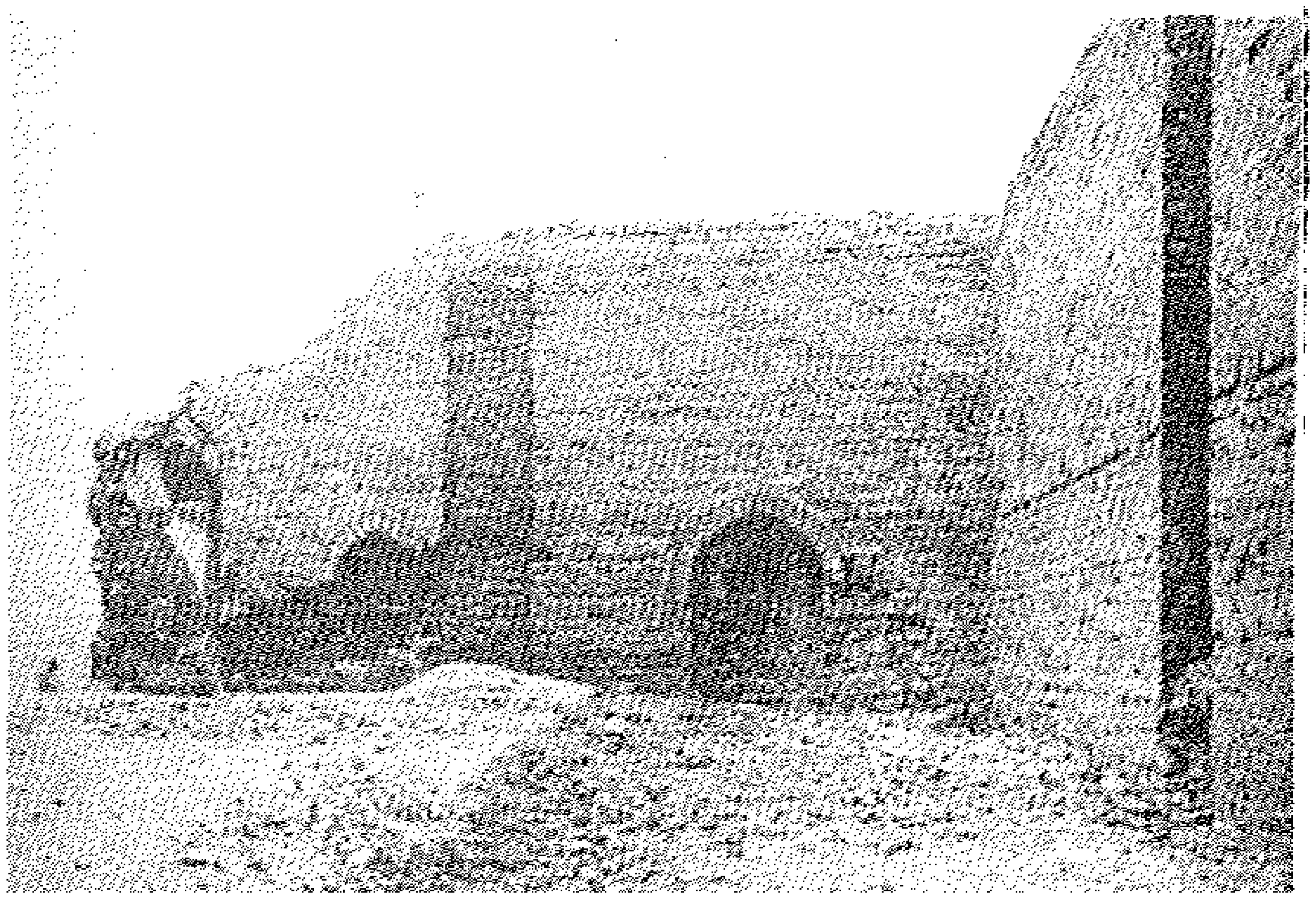

و - جدار القبلة .

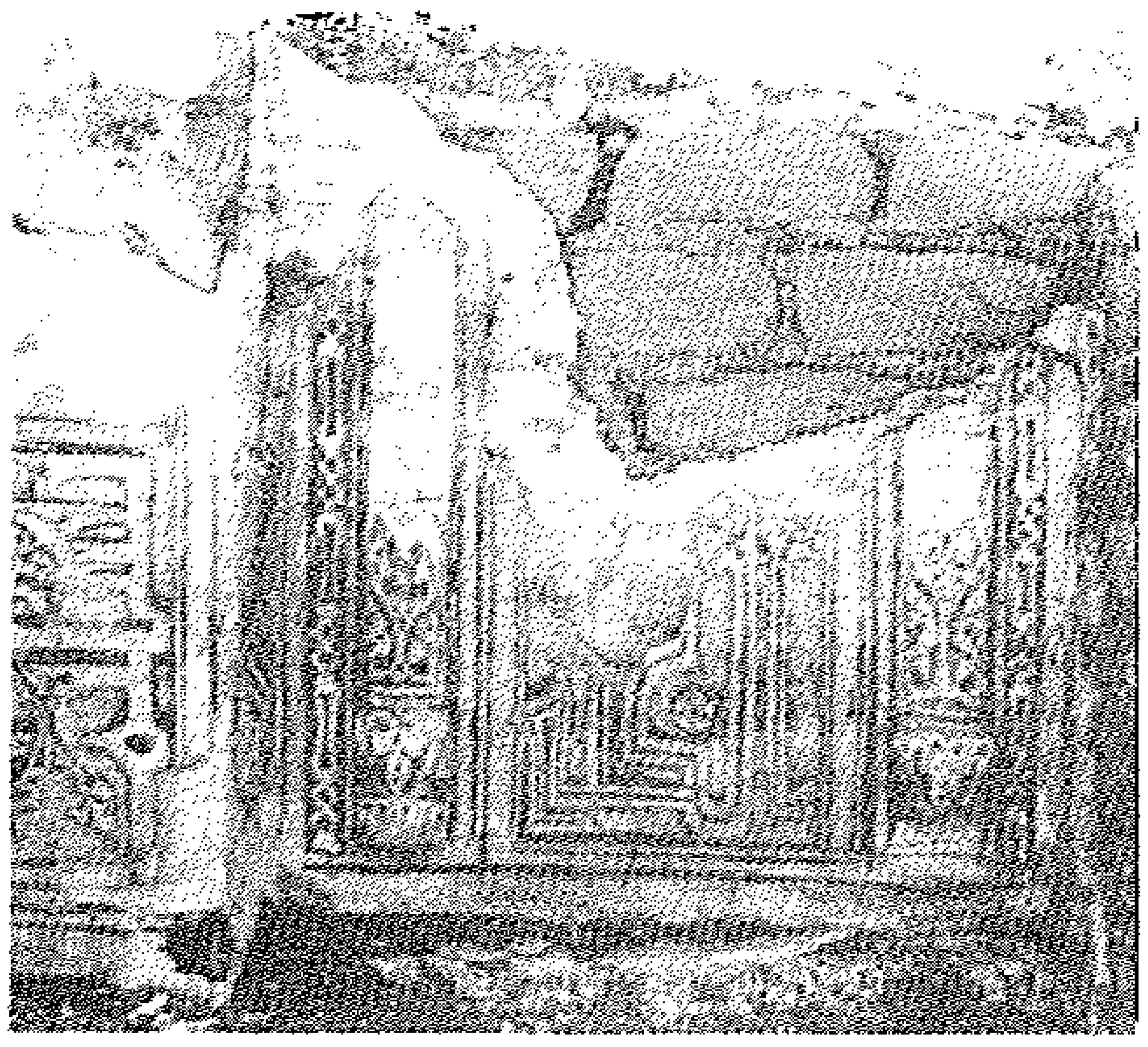

ز - زخرفة المحراب على يسار
المحراب الرئيسي ،
المكتشف عن طريق الحفائر .

(لوحة رقم ٧٩) خضرة الشريفة .

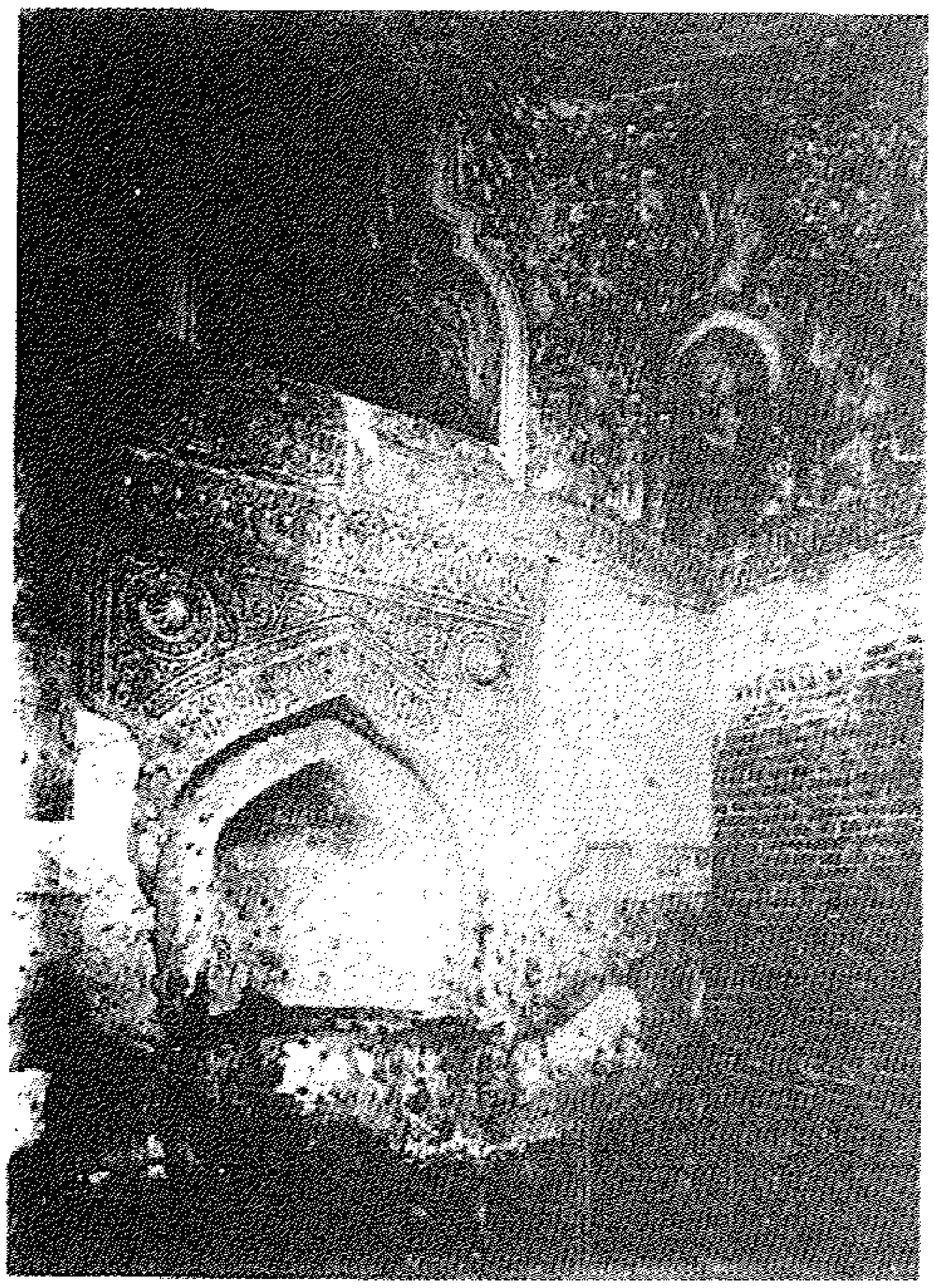

ب - ضريح السيدة عاتكة : الداخل .

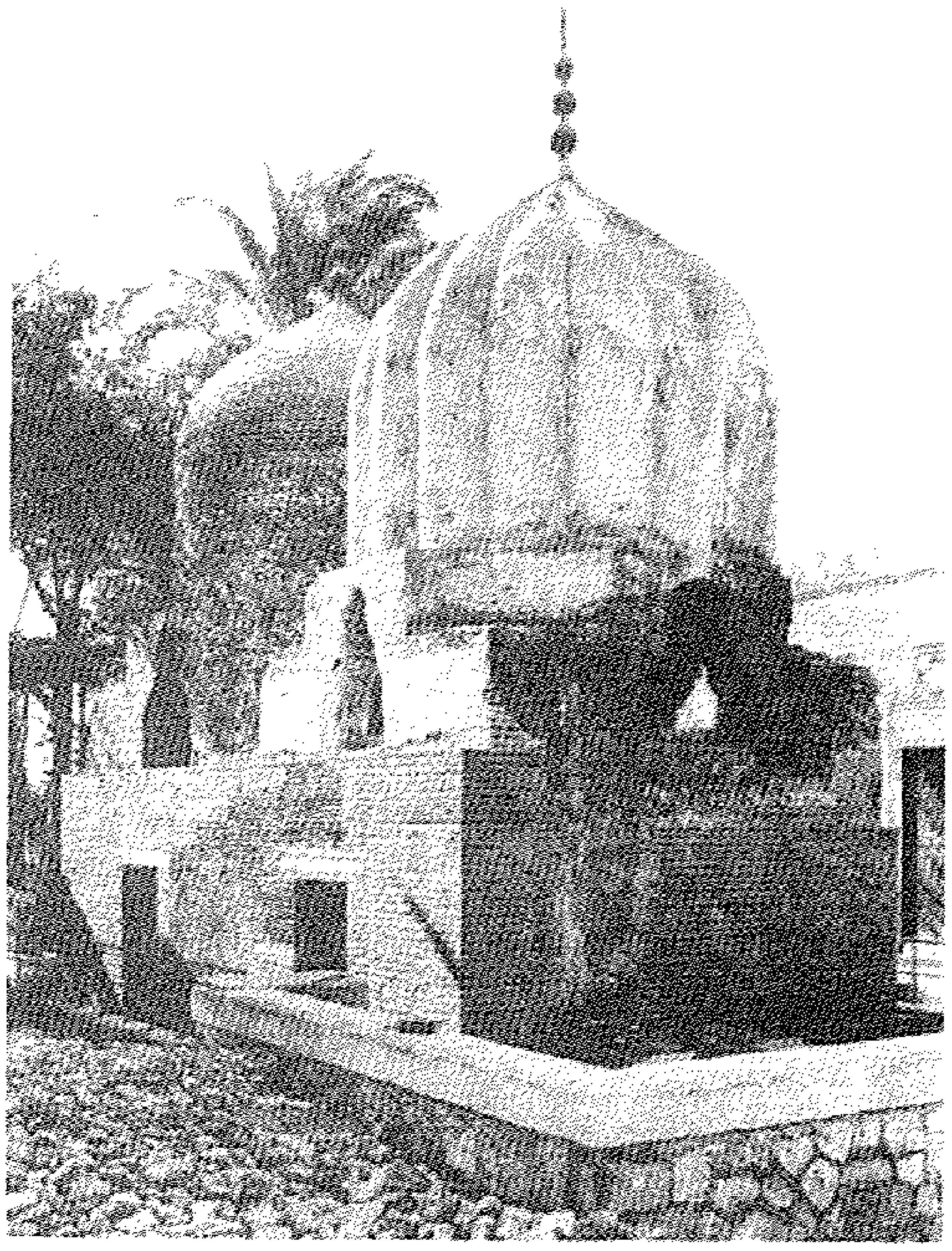

أ - ضريحا الجعفري (إلى اليسار)
والسيدة عاتكة (إلى اليمين) .

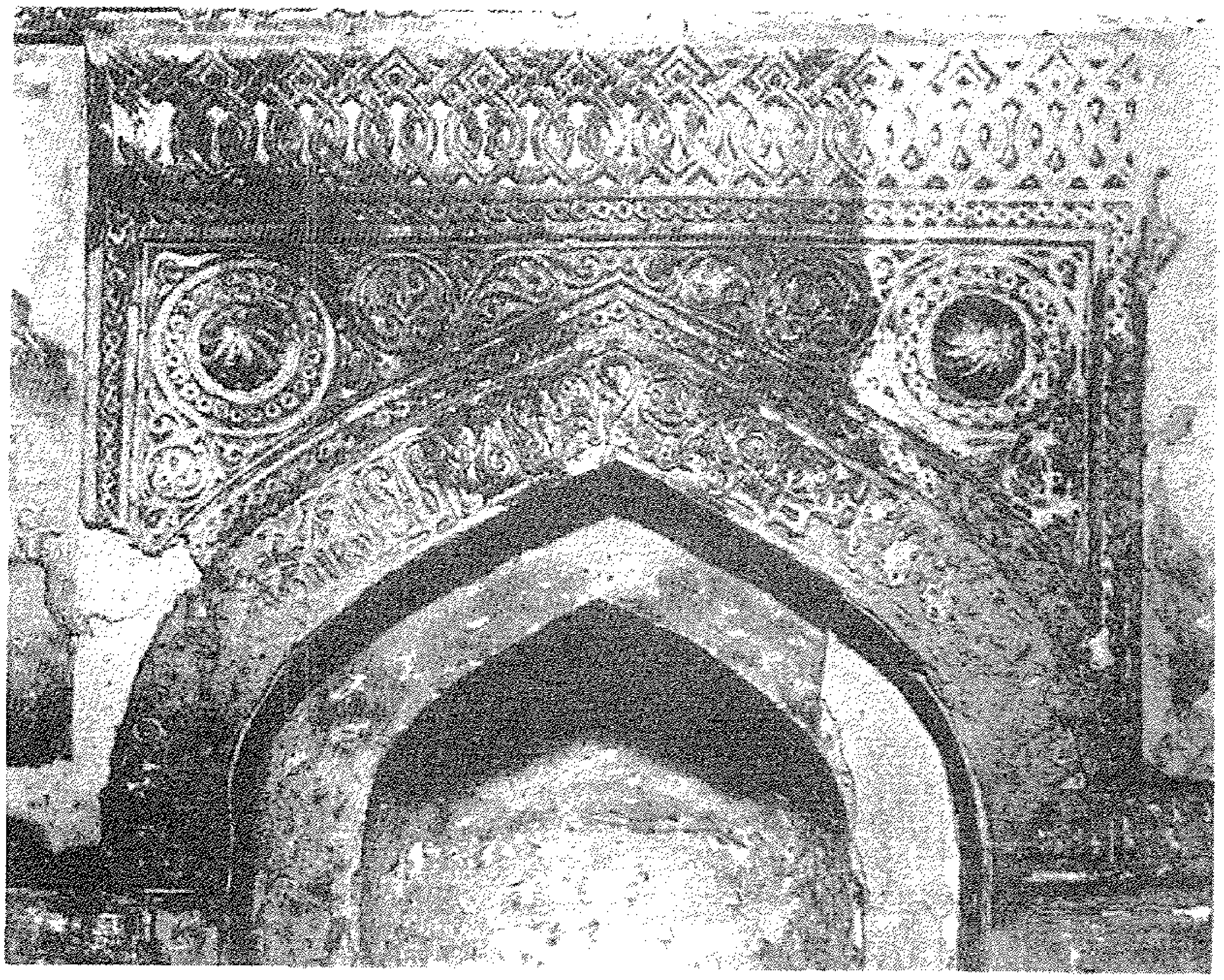

جـ - ضريح السيدة عاتكة : زخرفة المحراب .

(لوحة رقم ٨٠) .

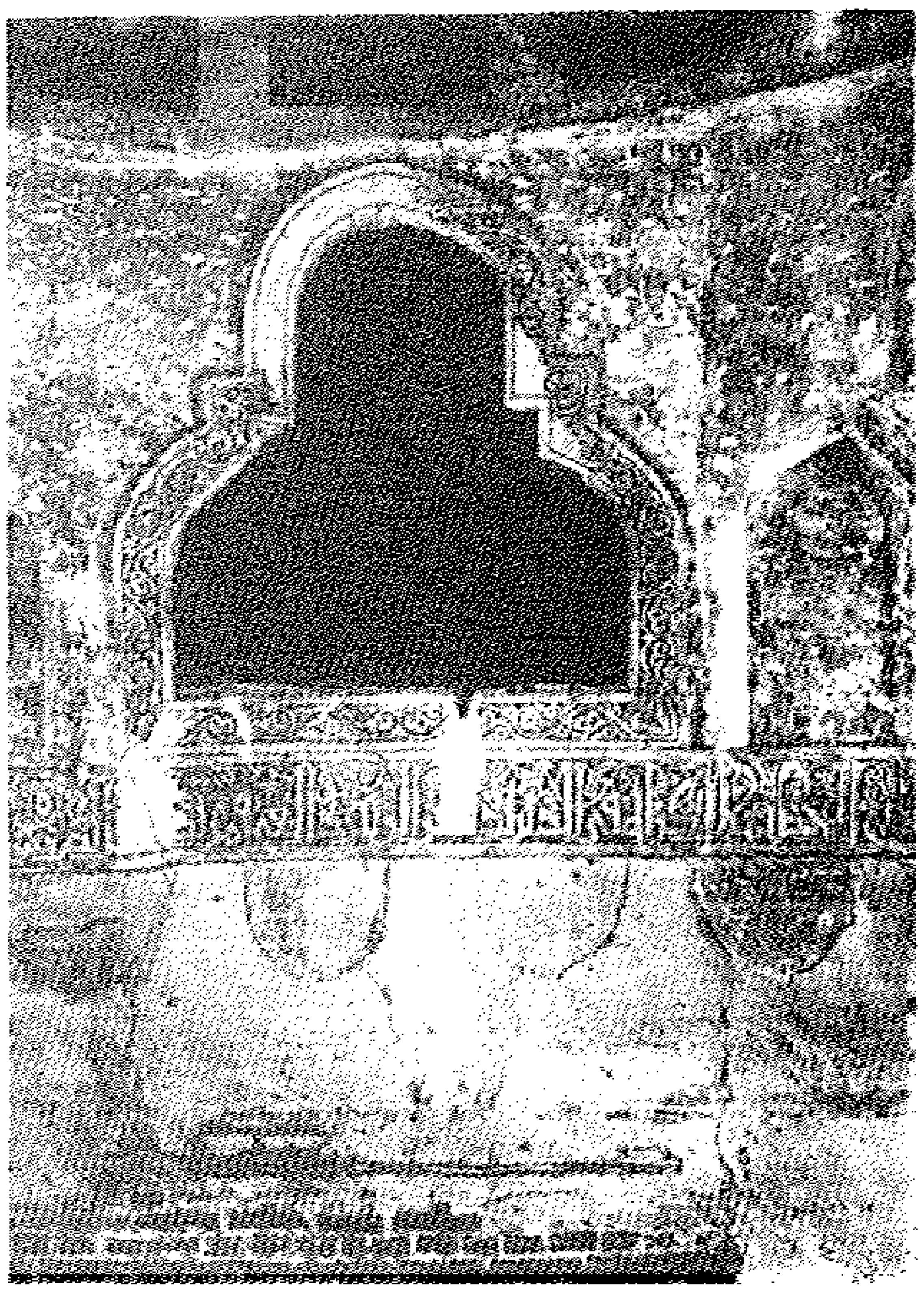

أ - ضريح السيدة عاتكة : نافذة وشرافات الحائط السابق ترى أسقل الجص .

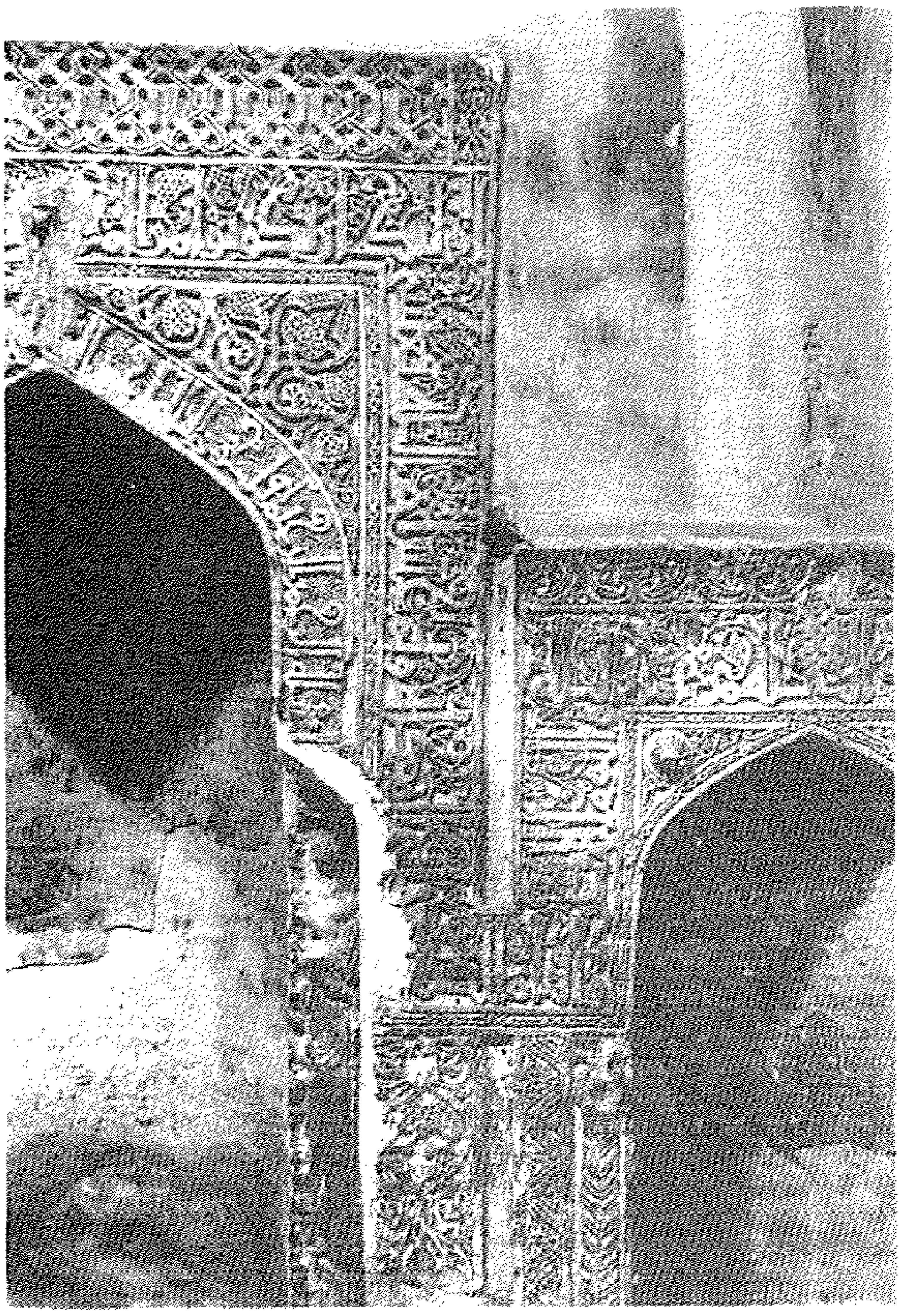

ب - أخوة يوسف : تفصيل للمحراب الثلاثي .

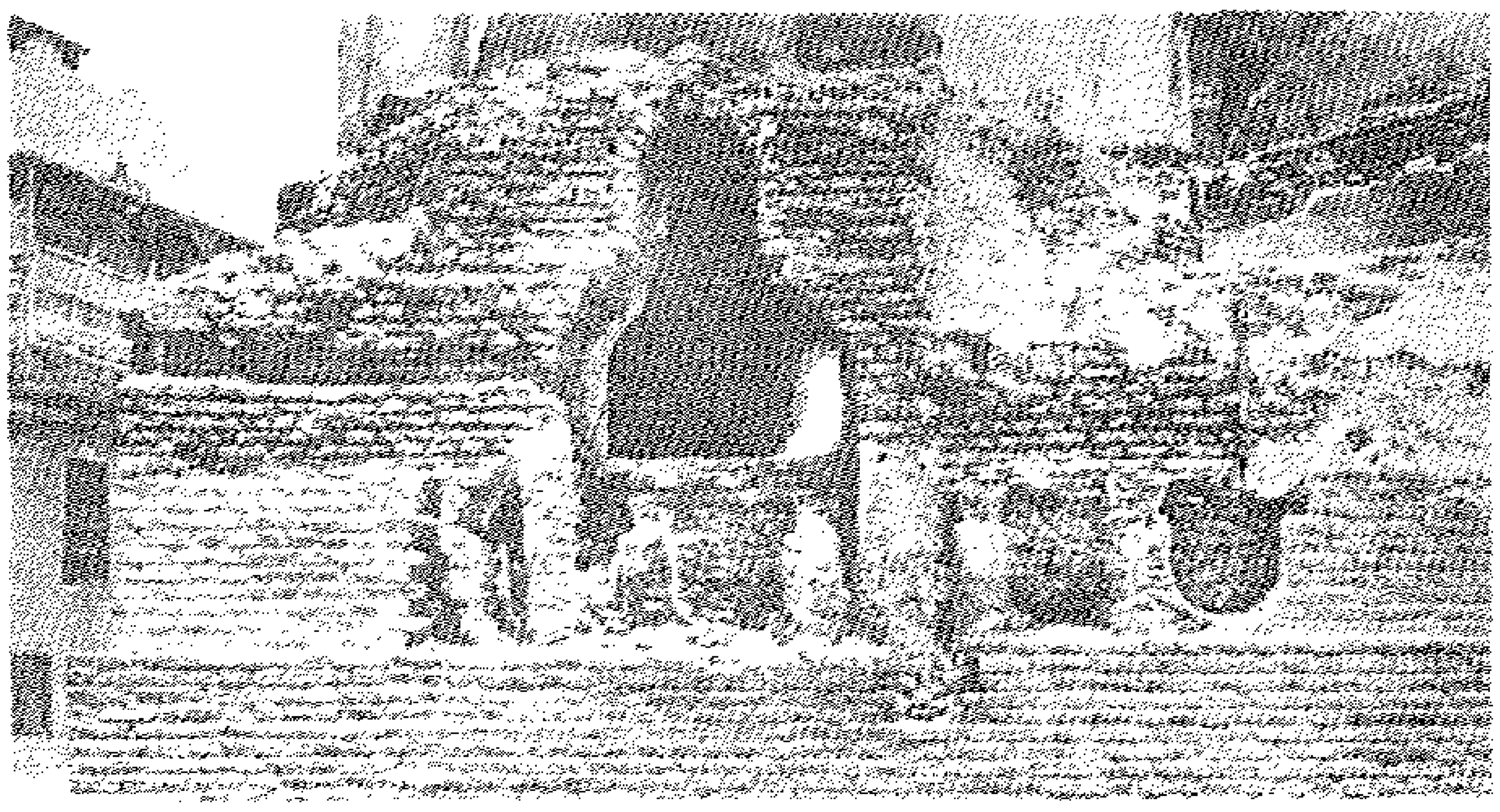

جـ - إلى اليسار ضريح السيدة عاتكة . المبنى جزء منه على شرافة الفناء الأمامي لضريح الجعفري .

(لوحة رقم ٨١) .

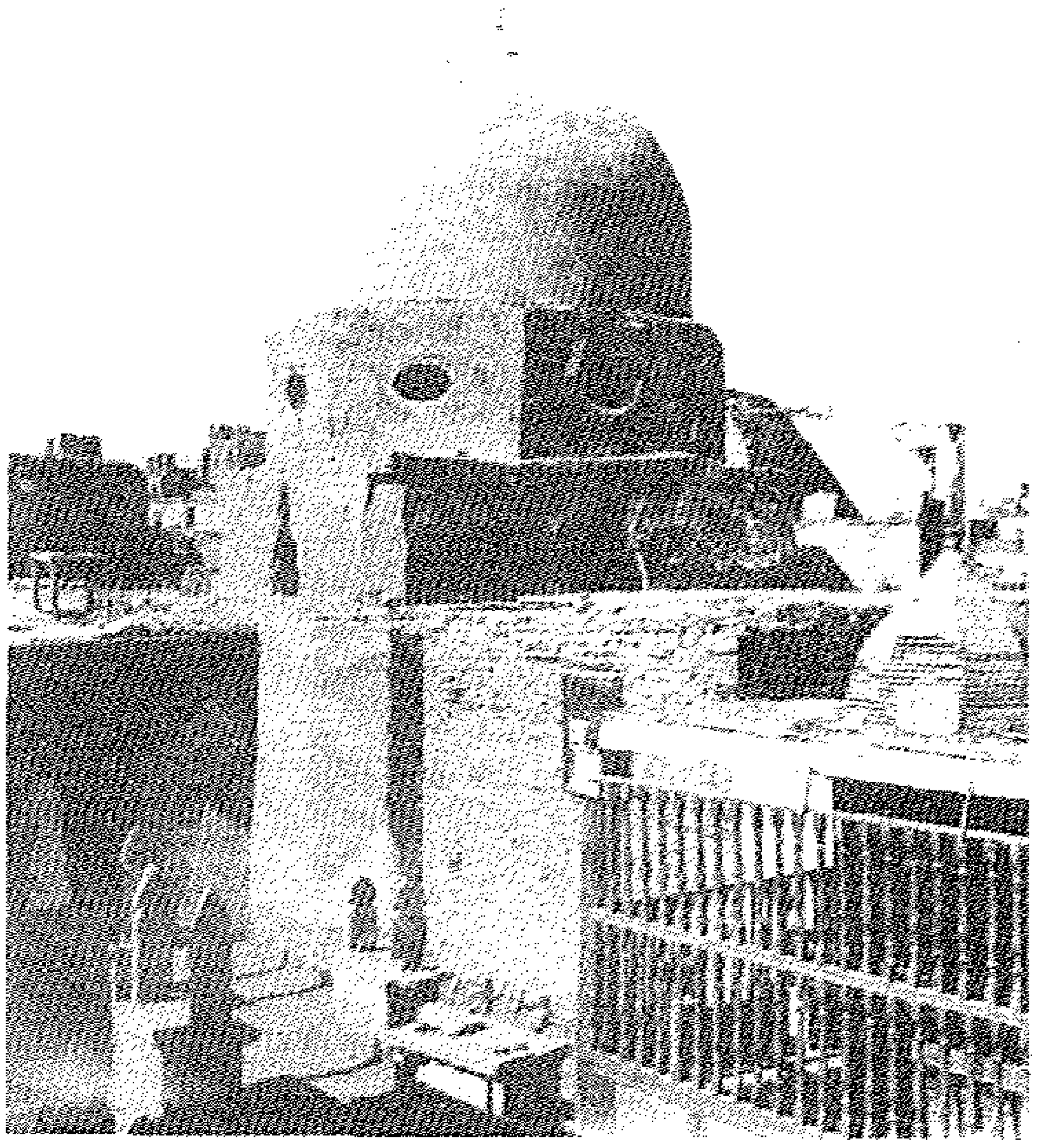

أ - الضريح المعروف بالشيخ يونس .

ب - محراب أم كلثوم .

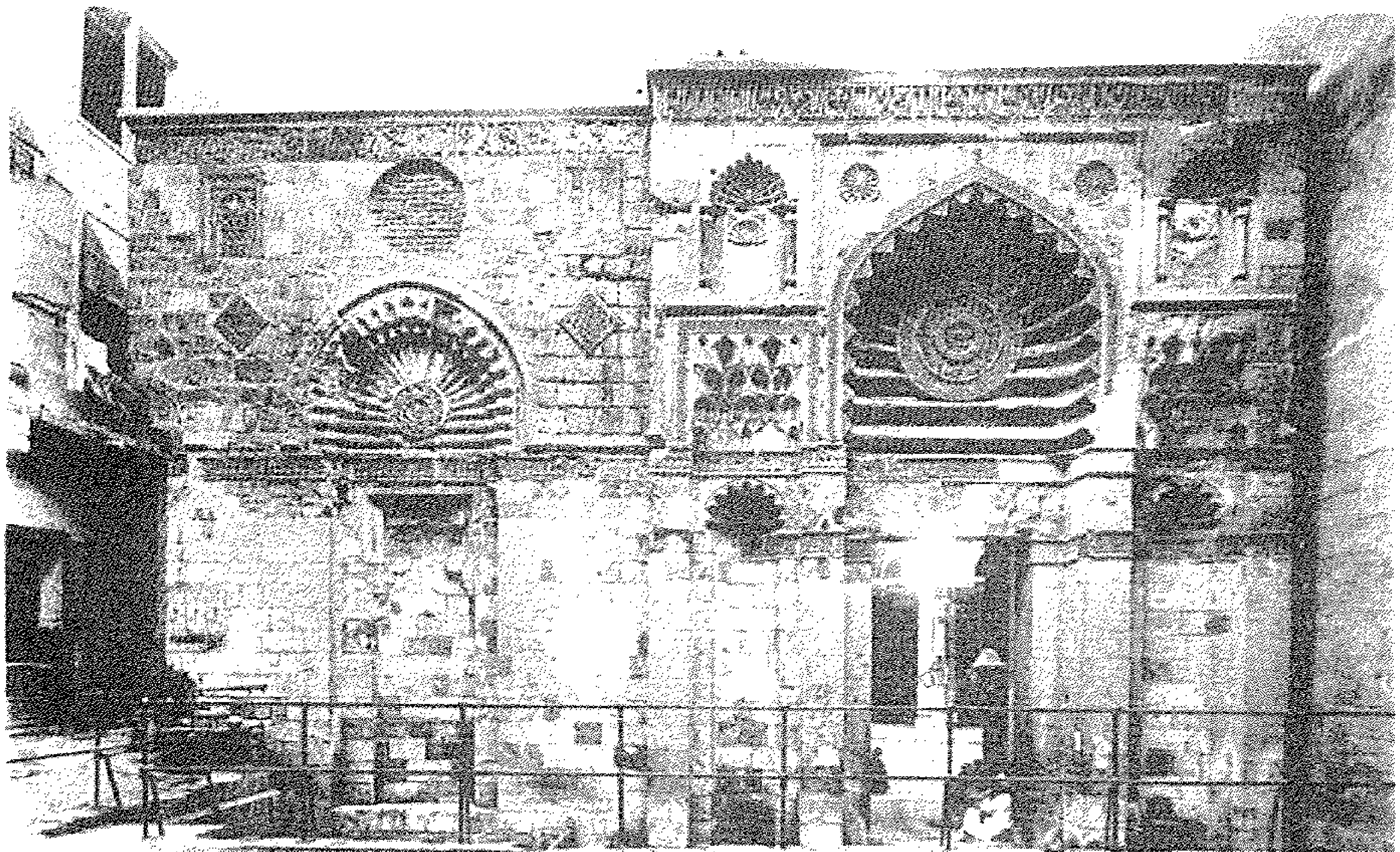

جـ - مسجد الأقمر : الواجهة الشمالية الغربية ٥١٩هـ/١١٢٥م .

(لوحة رقم ٨٢) .

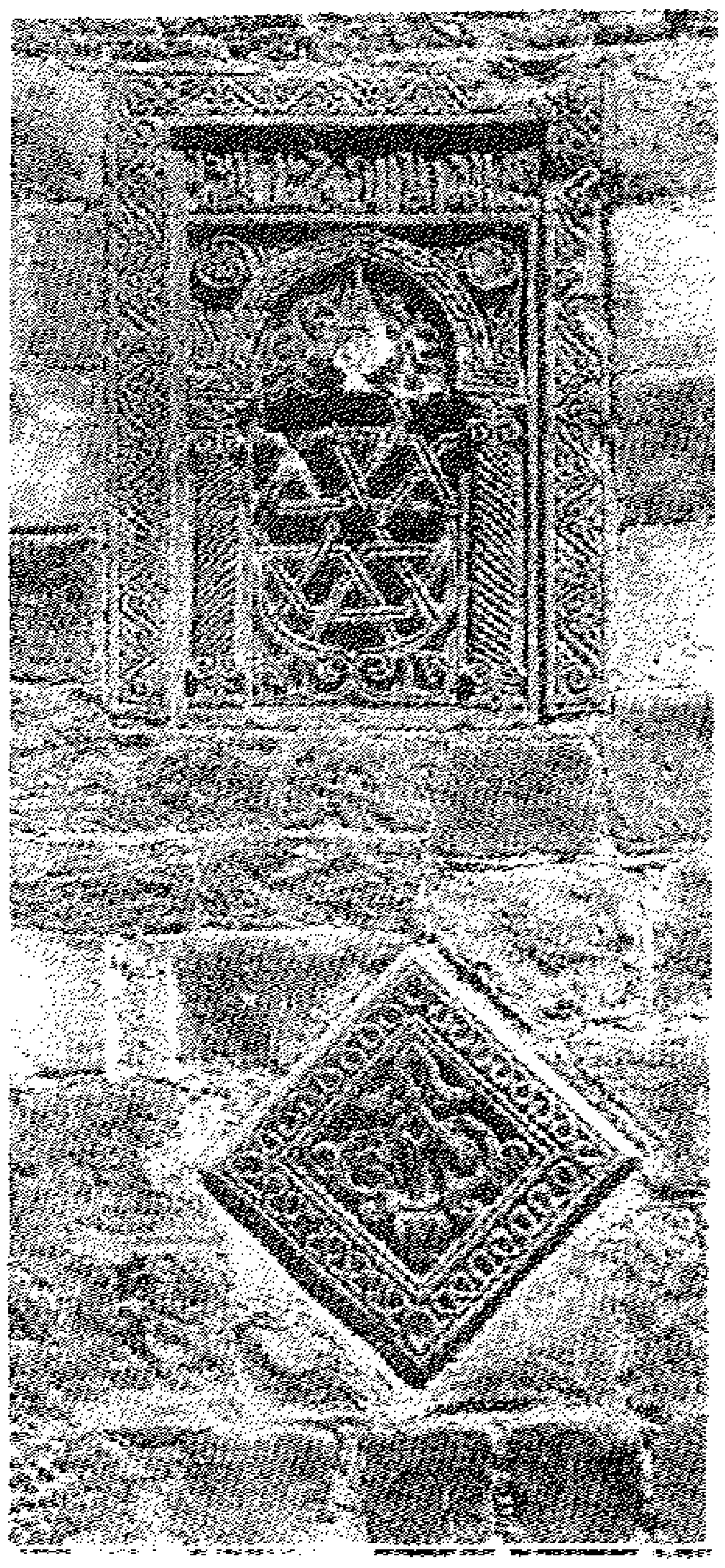

أ - تفصيل
(أنظر ٨٢جـ إلى اليسار) .

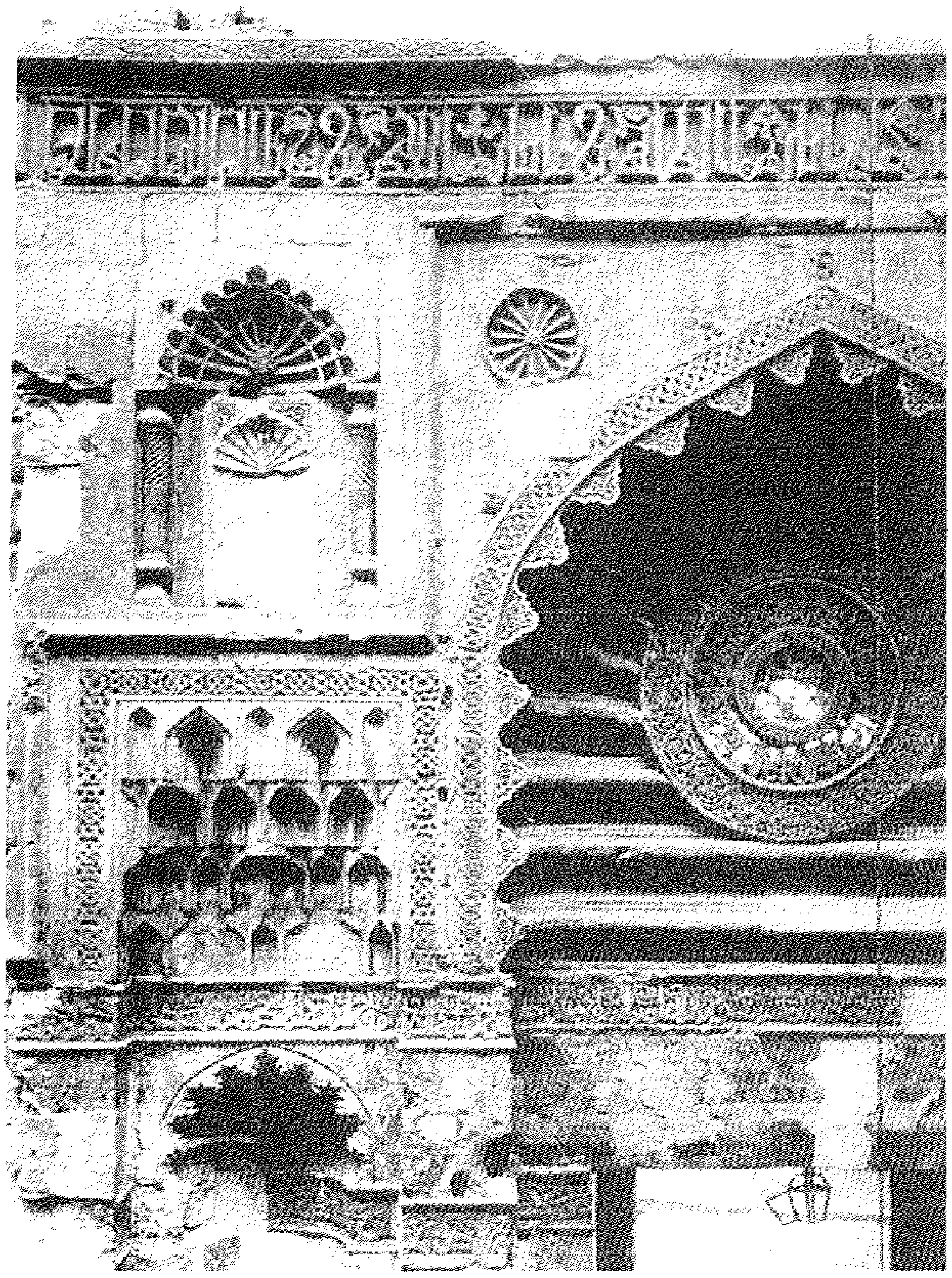

جـ - تفصيل لزخرفة بروز المدخل .

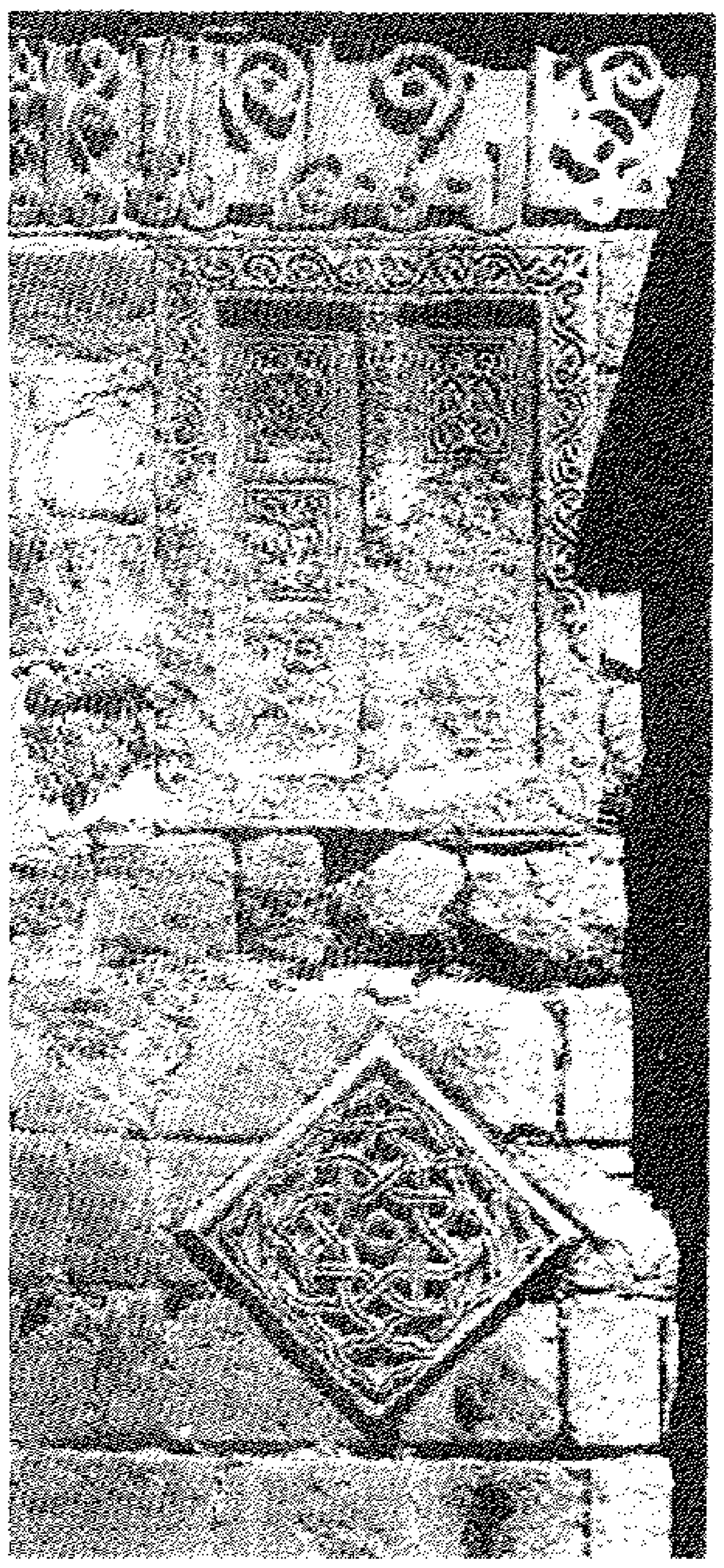

ب - تفصيل (أنظر ٨٢جـ إلى اليسار) .

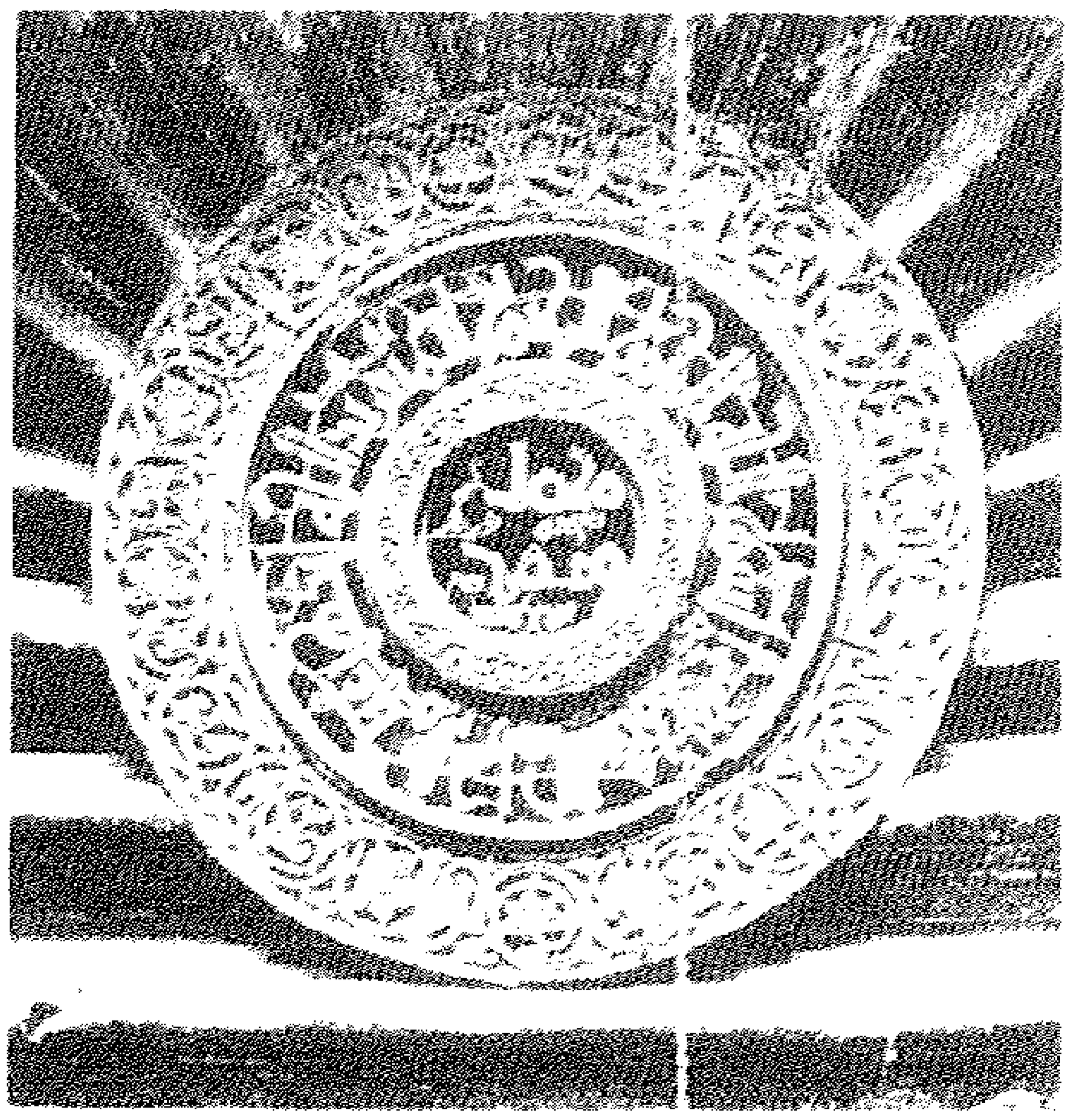

د - جامة مفرغة أعلى المدخل .

(لوحة رقم ٨٣) .

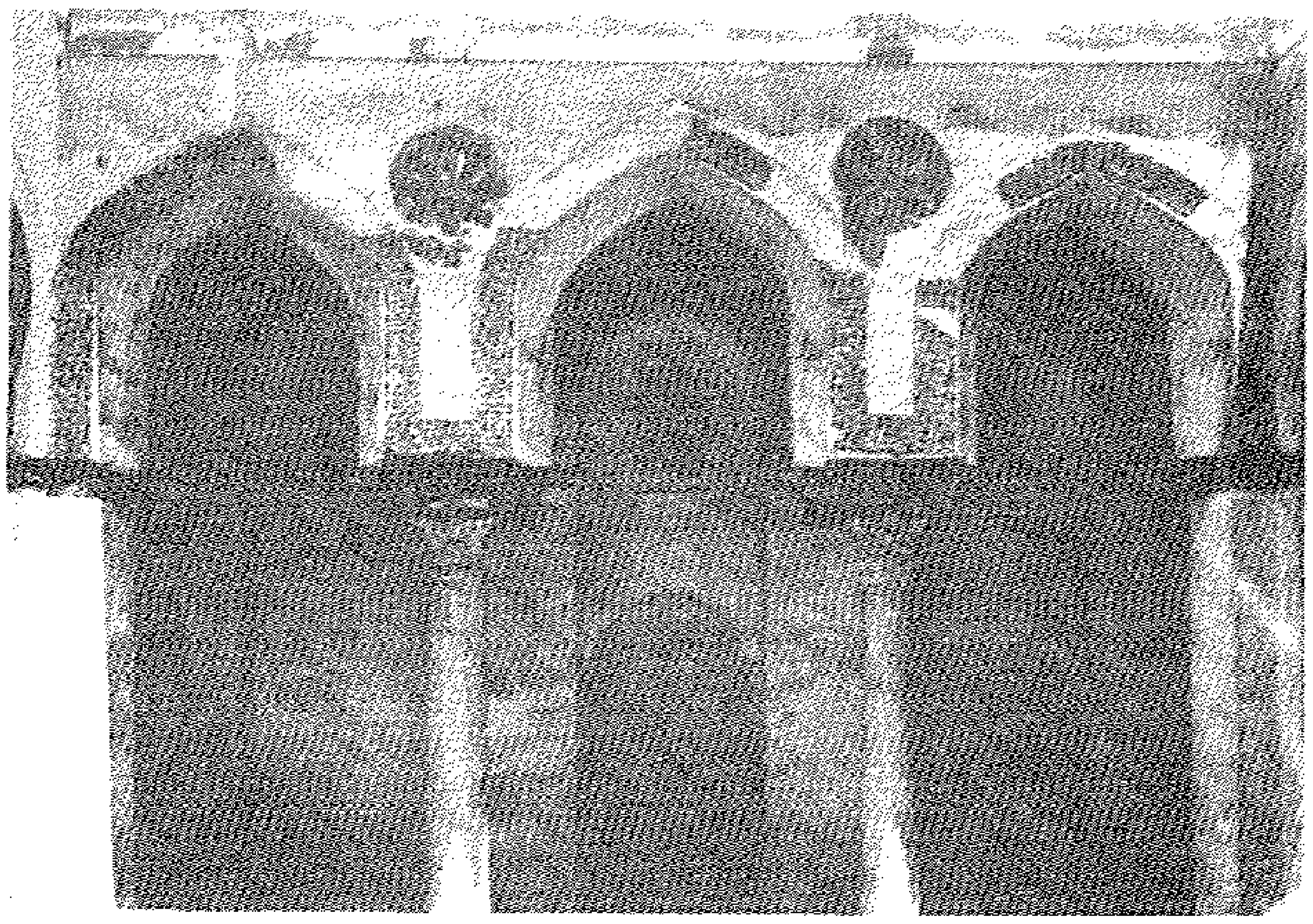

أ - واجهة الرواق الشمالي الشرقي .

ب - تفصيل للزخرفة الجصية في أ .

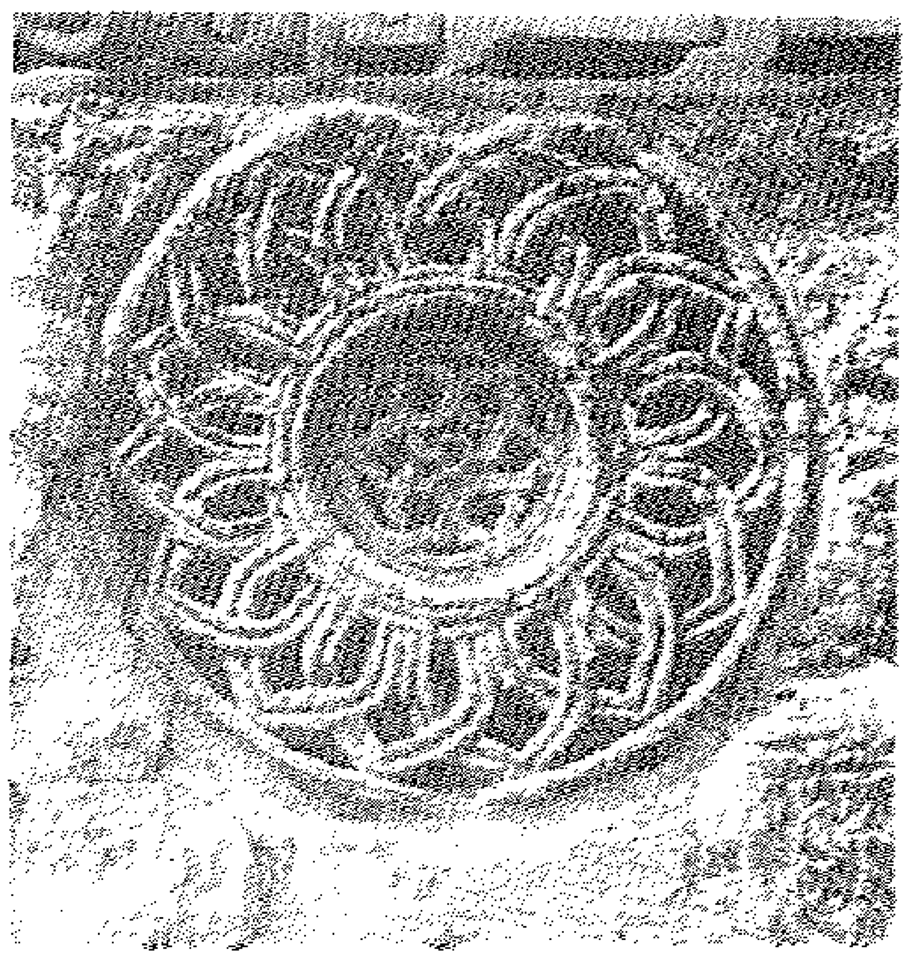

جـ - جامة في الواجهة
الشمالية الشرقية .

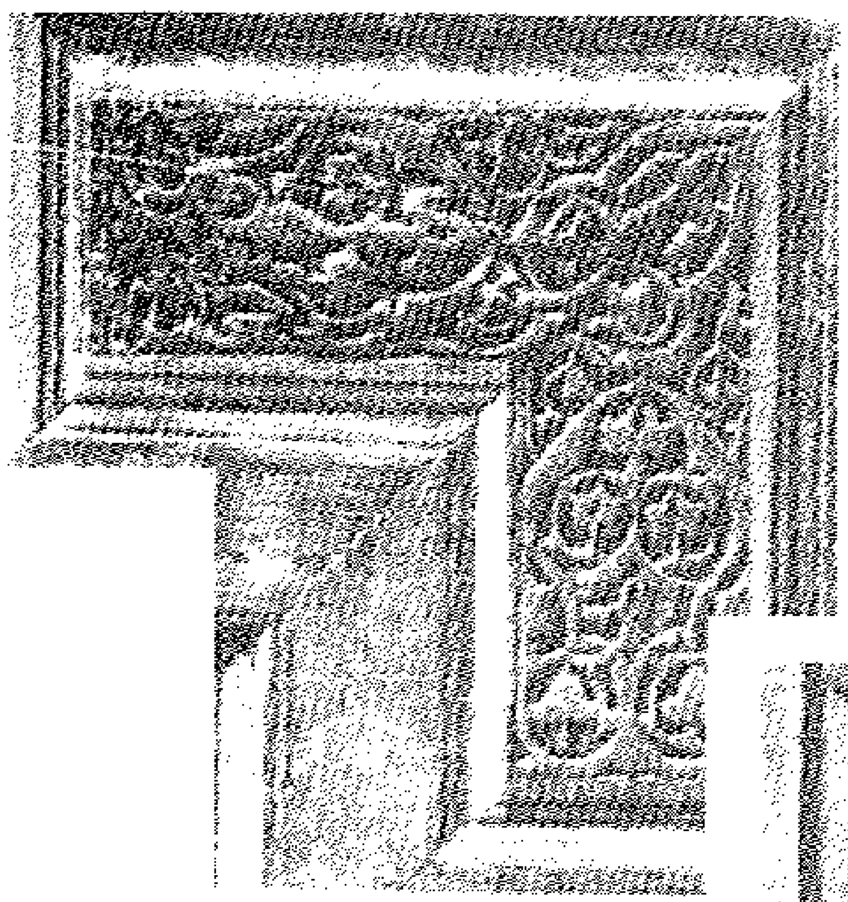

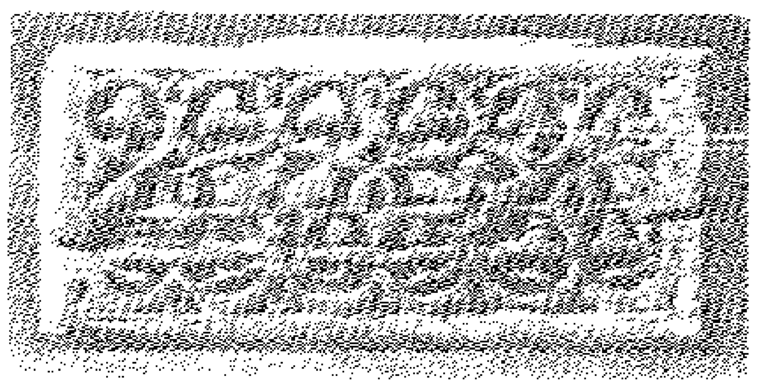

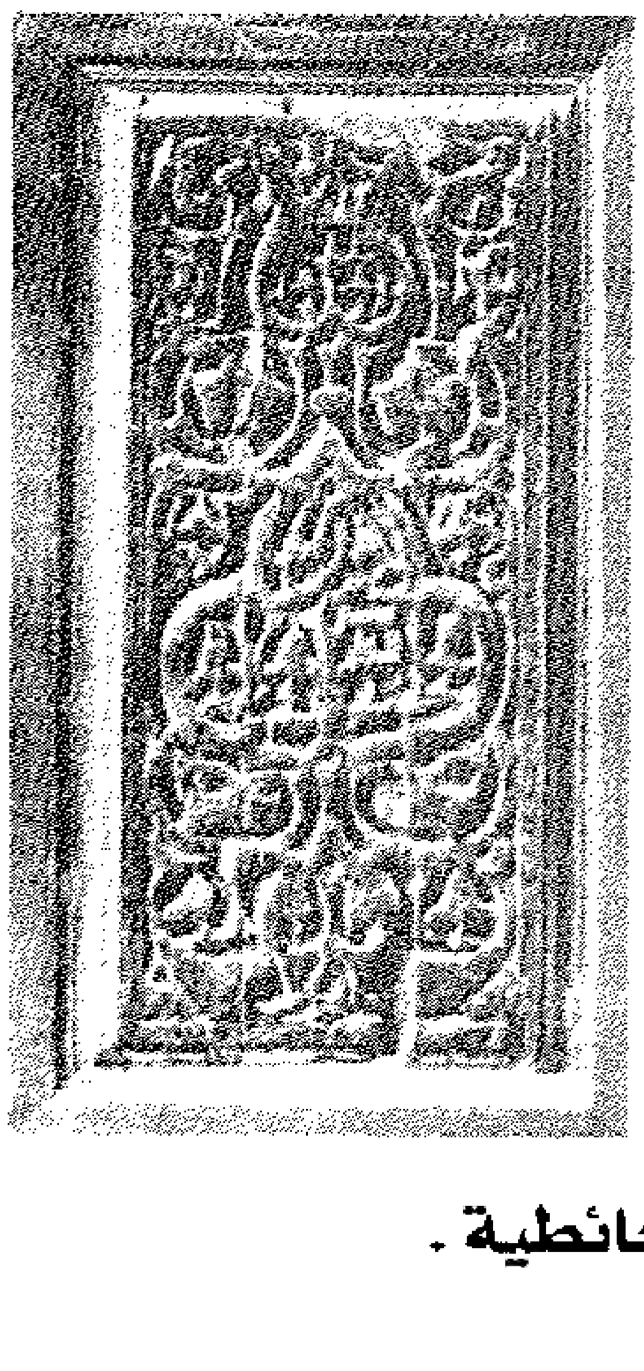

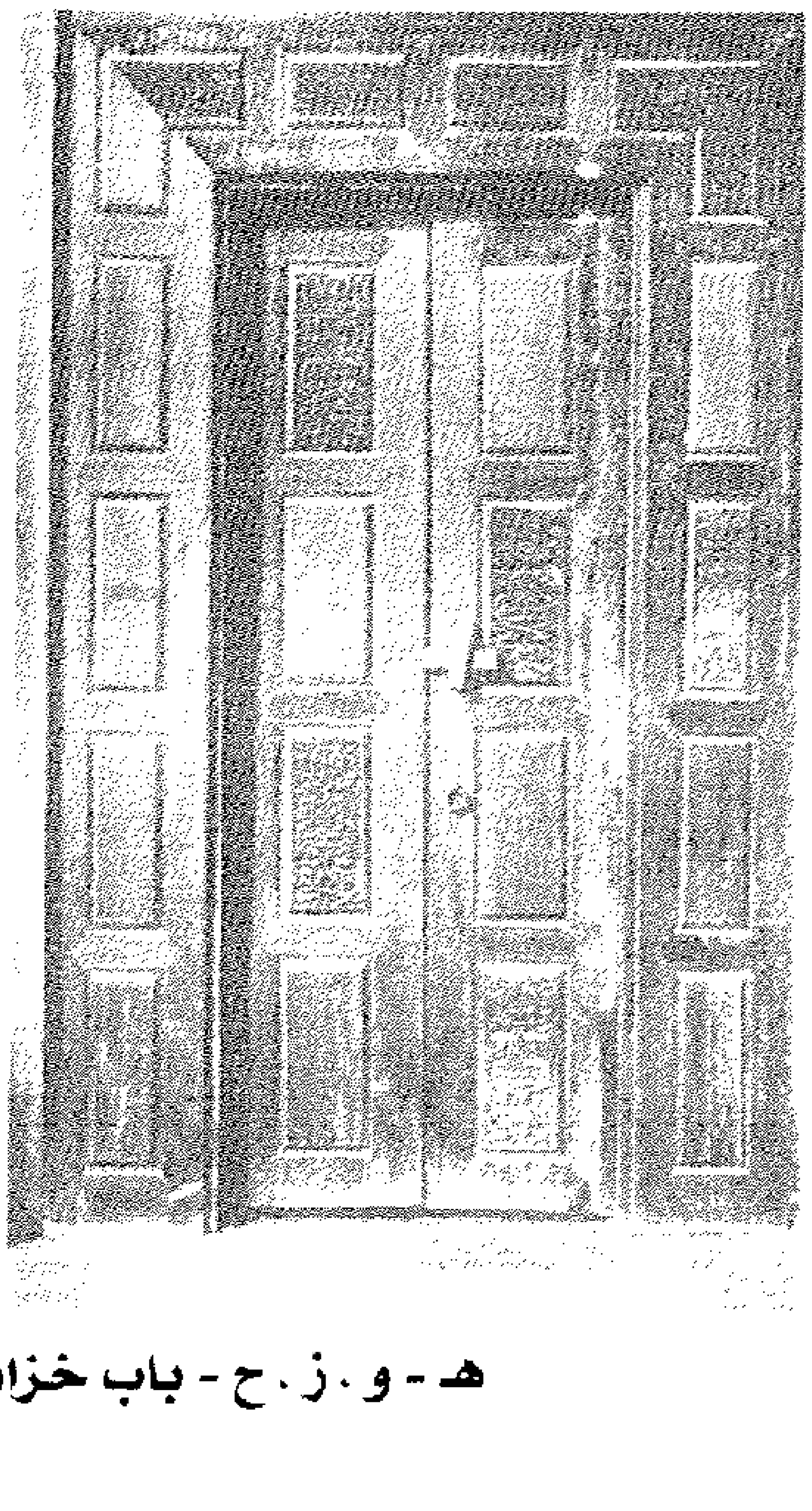

هـ - و . ز . ح - باب خزانة حائطية .

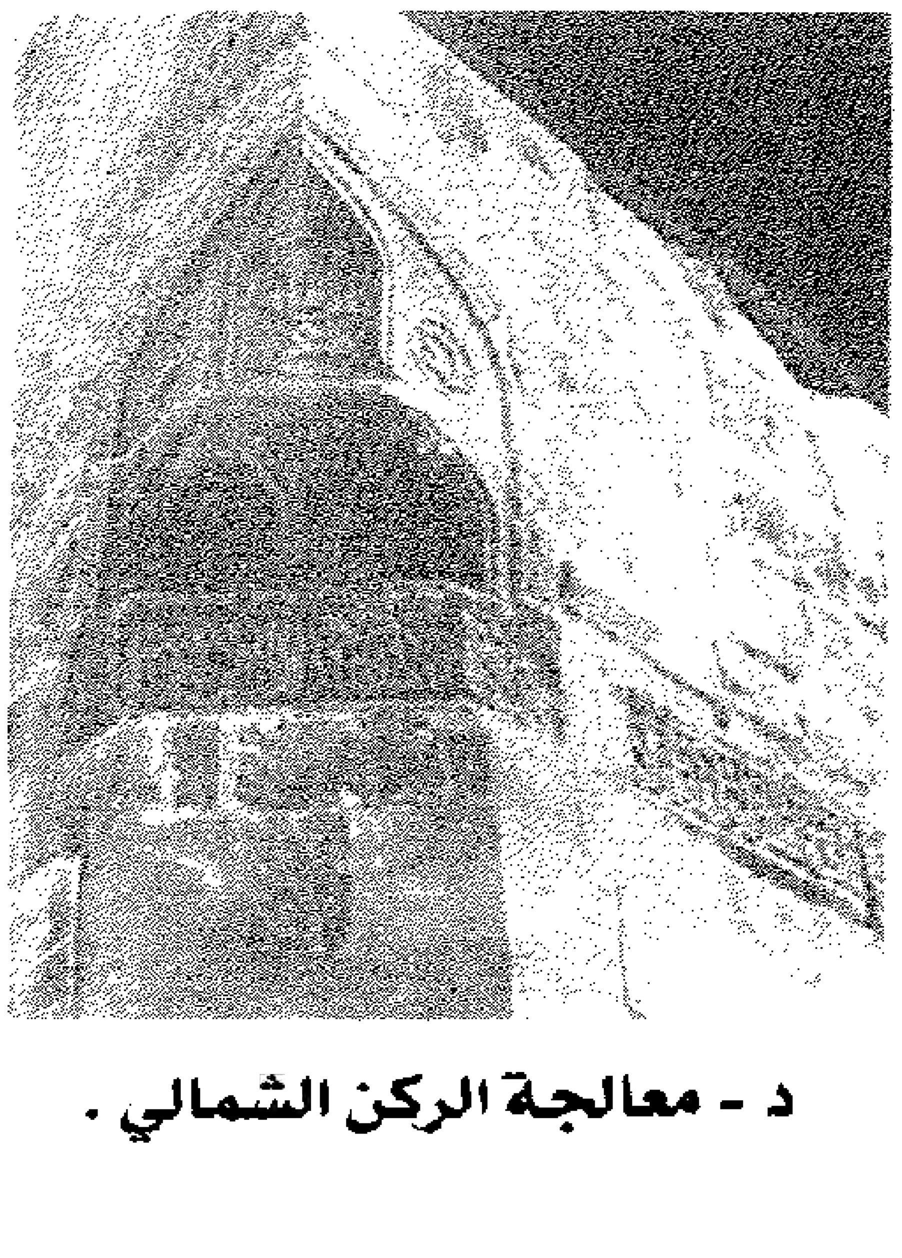

د - معالجة الركن الشمالي .

(لوحة رقم ٨٤) مسجد الأقمر : ٥١٩هـ/١١٢٥م .

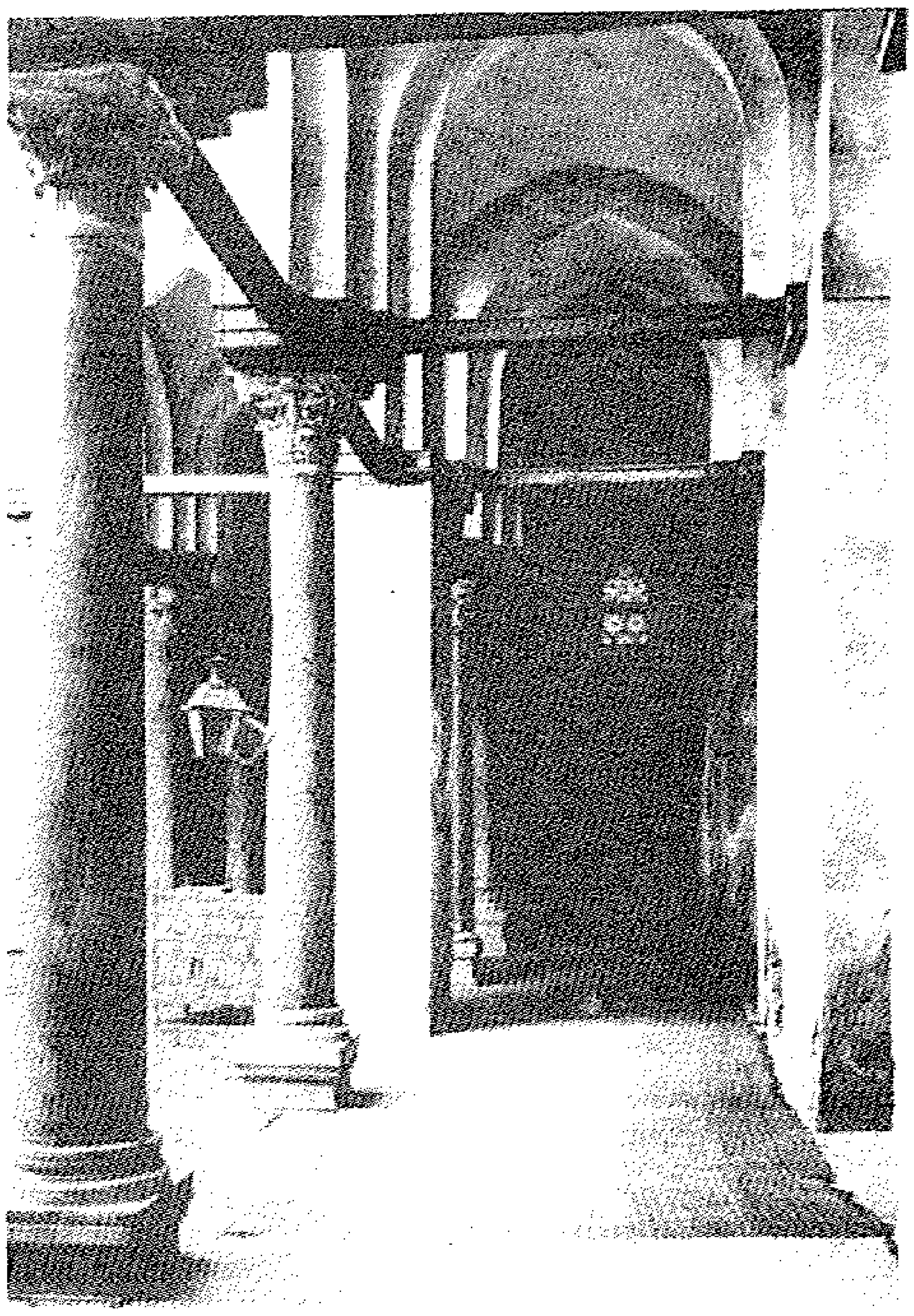

أ - مسجد الأقمر : الرواق الجنوبي الغربي .

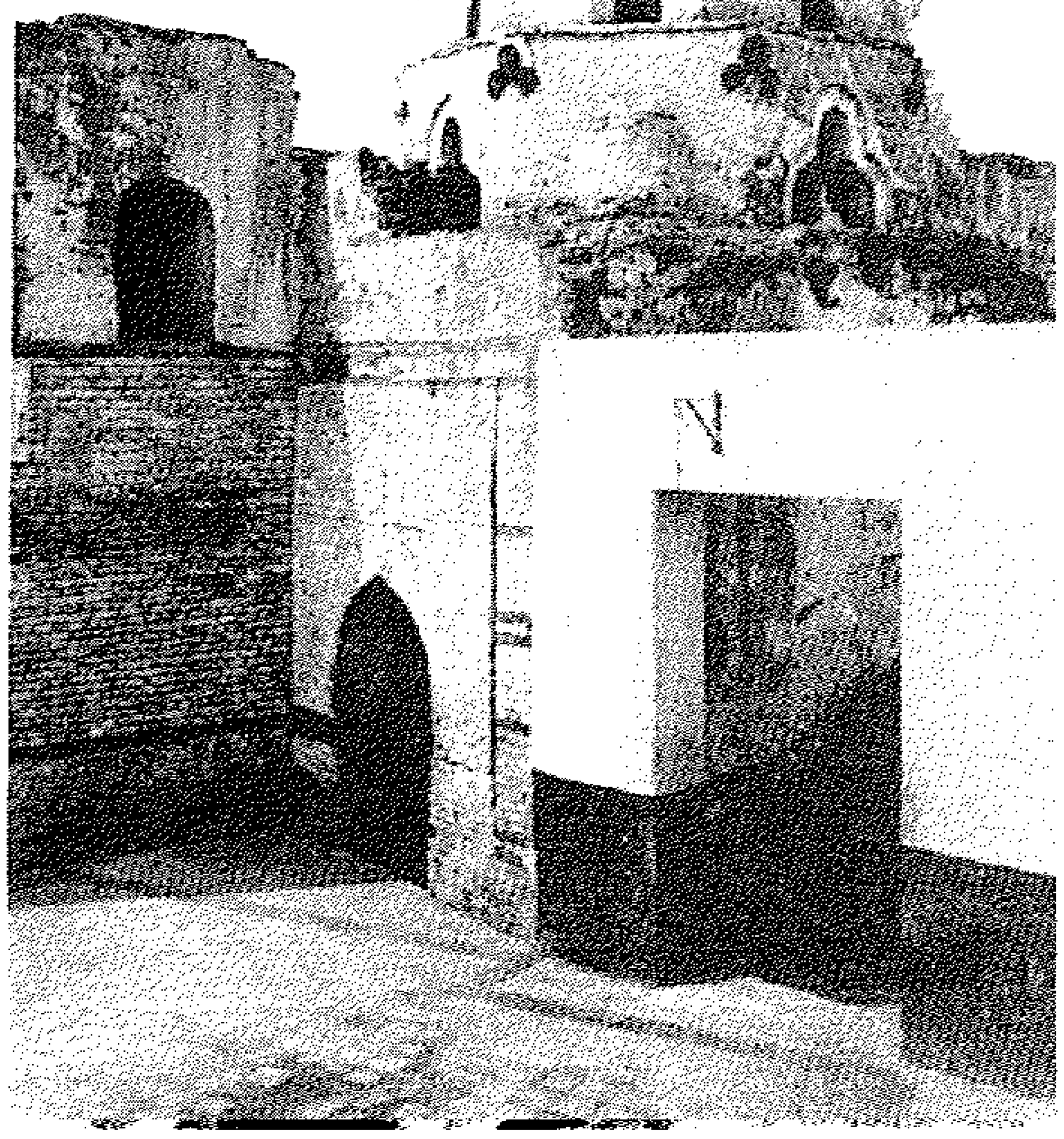

ب - قوص : الضريح الملحق بالجامع .

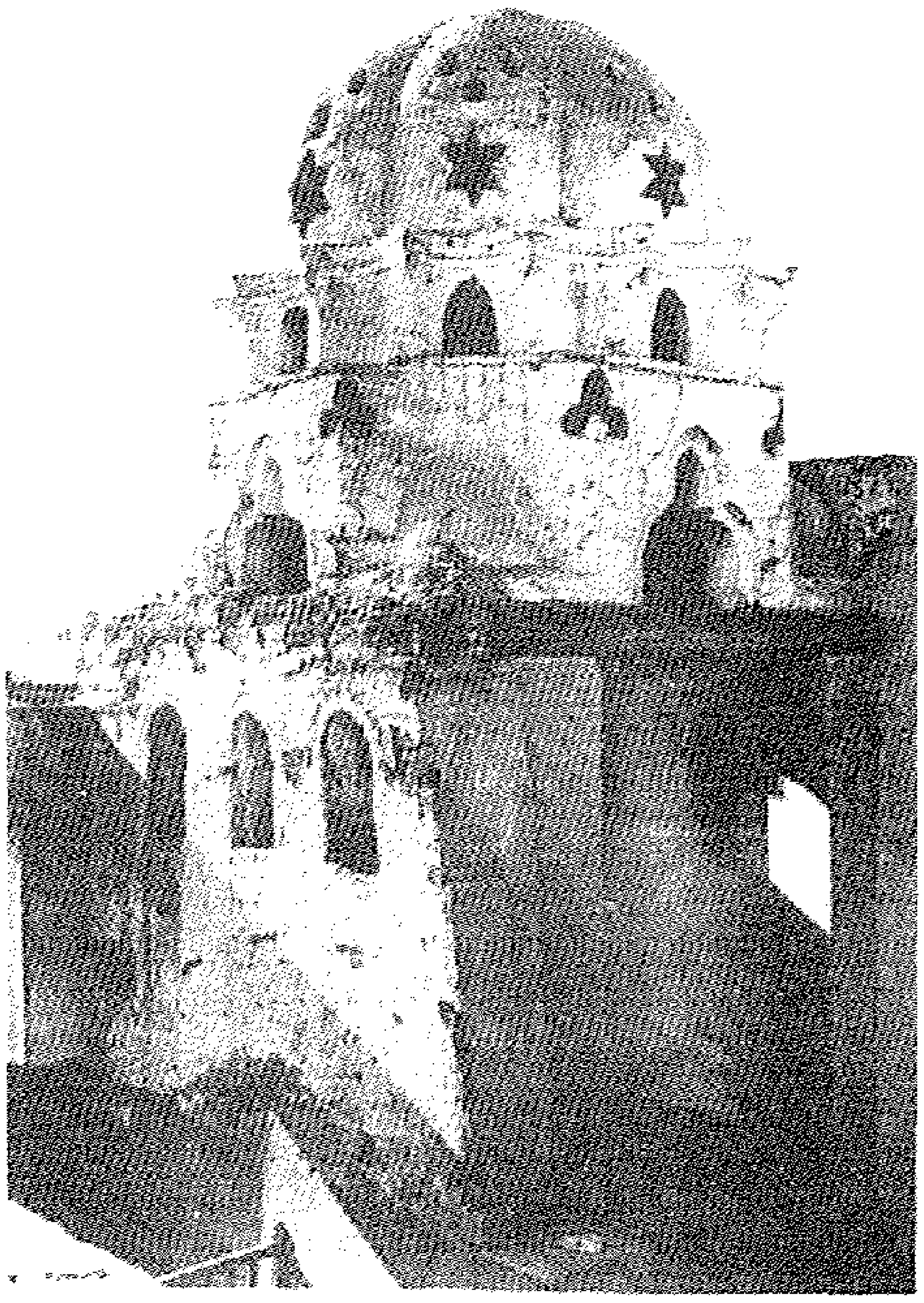

جـ - قوص : الضريح الملحق بالجامع من الشمال .

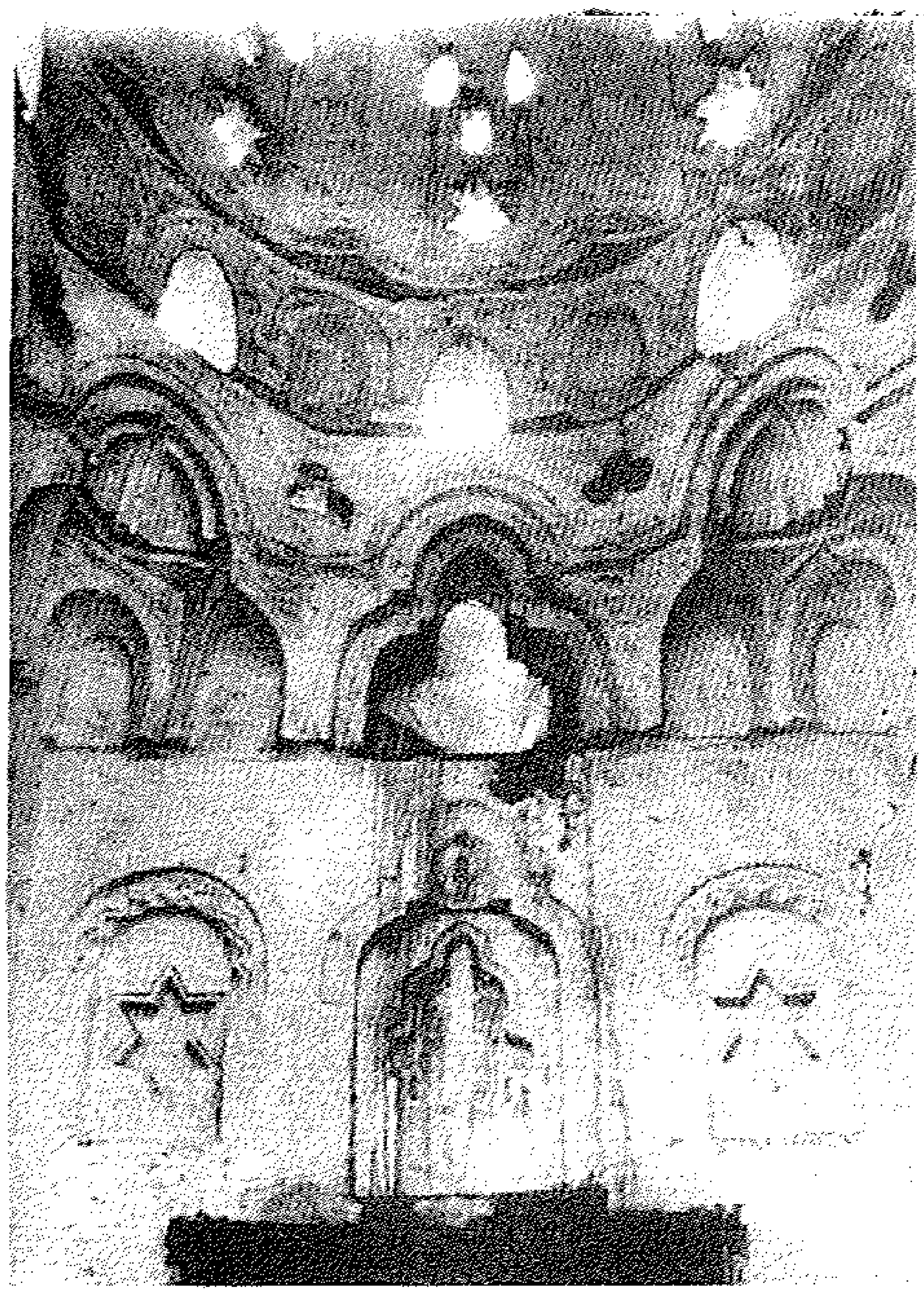

د - قوص : الضريح . زخرفة الجانب القبلي .

(لوحة رقم ٨٥) .

أ - الواجهة الشمالية الغربية .

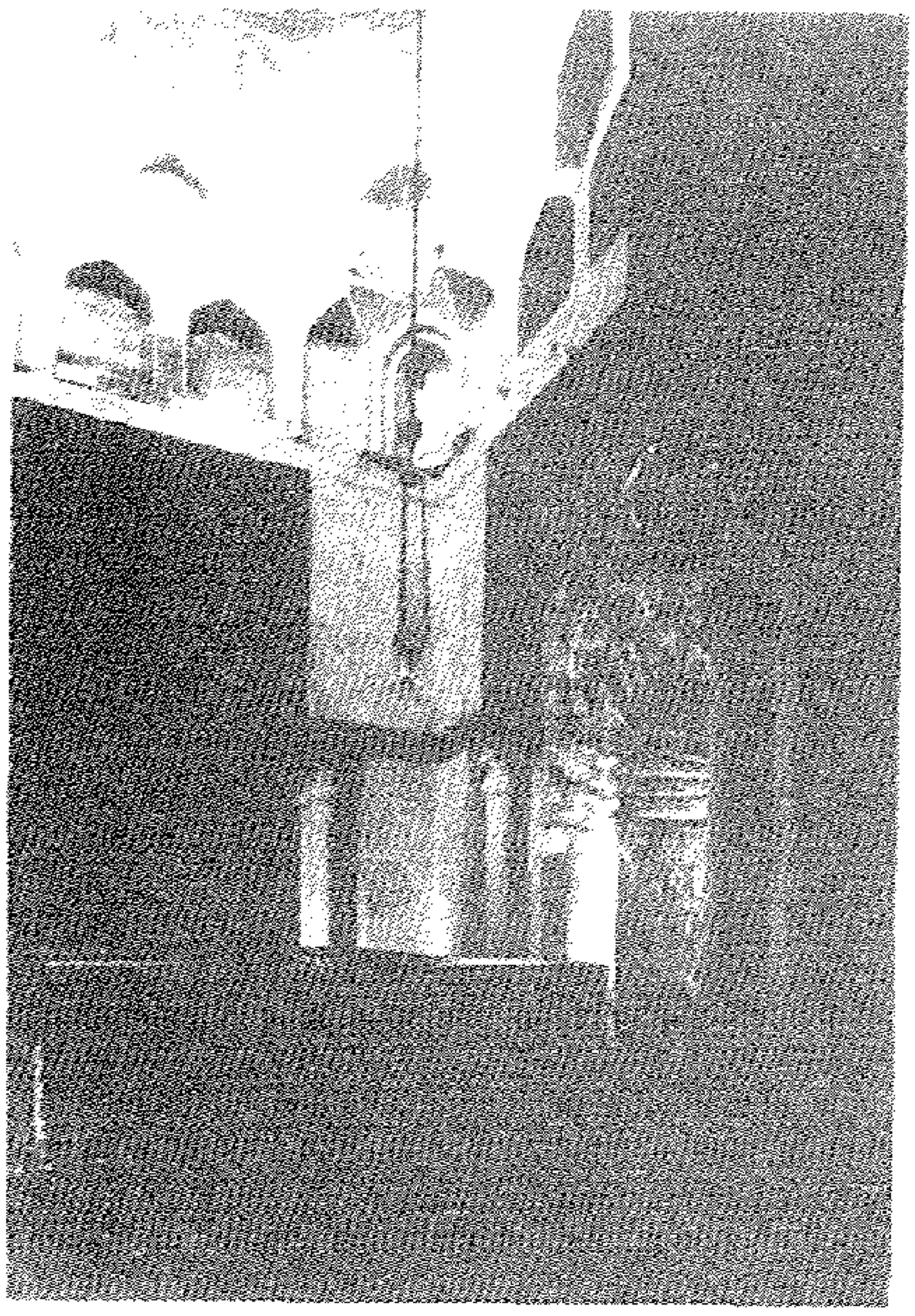

ب - الداخل .

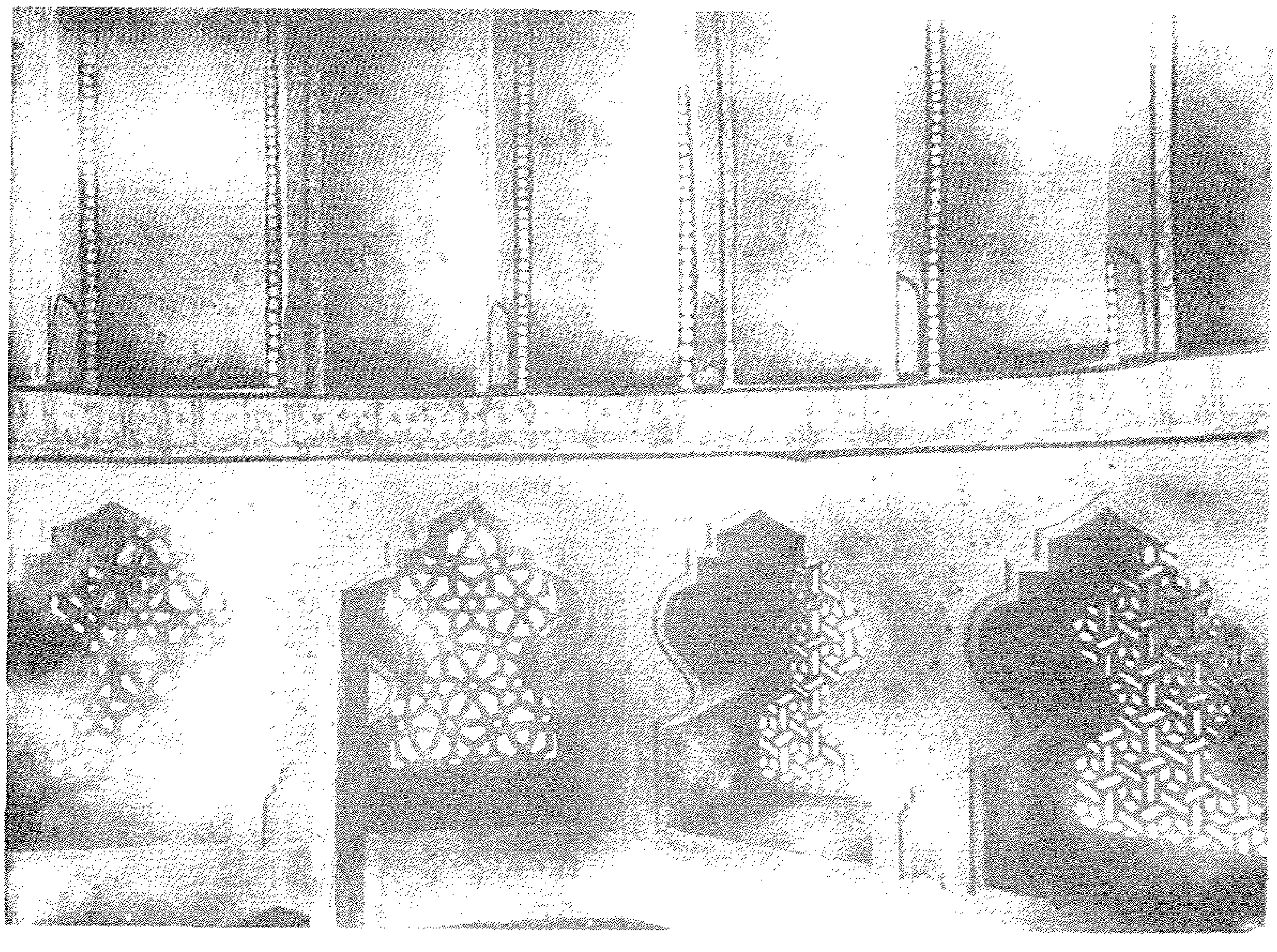

جـ - رقبة القبة وبها نقش كتابي ملون مؤرخ .

(لوحة رقم ٨٦) مشهد السيدة رقية : ٥٢٧هـ/١١٣٣م .

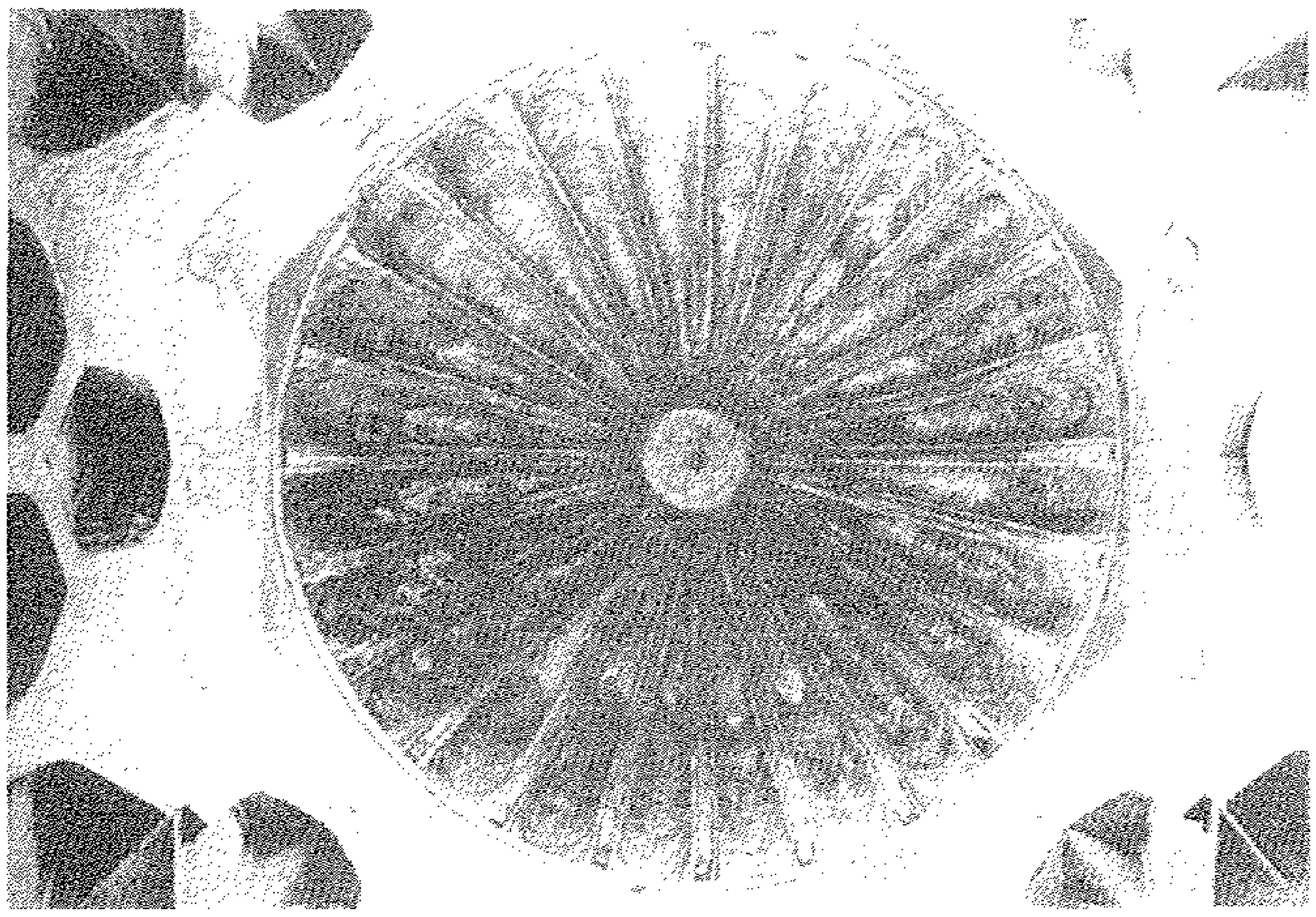

أ - منظر رأسي للقبة المفصصة (باطن القبة) .

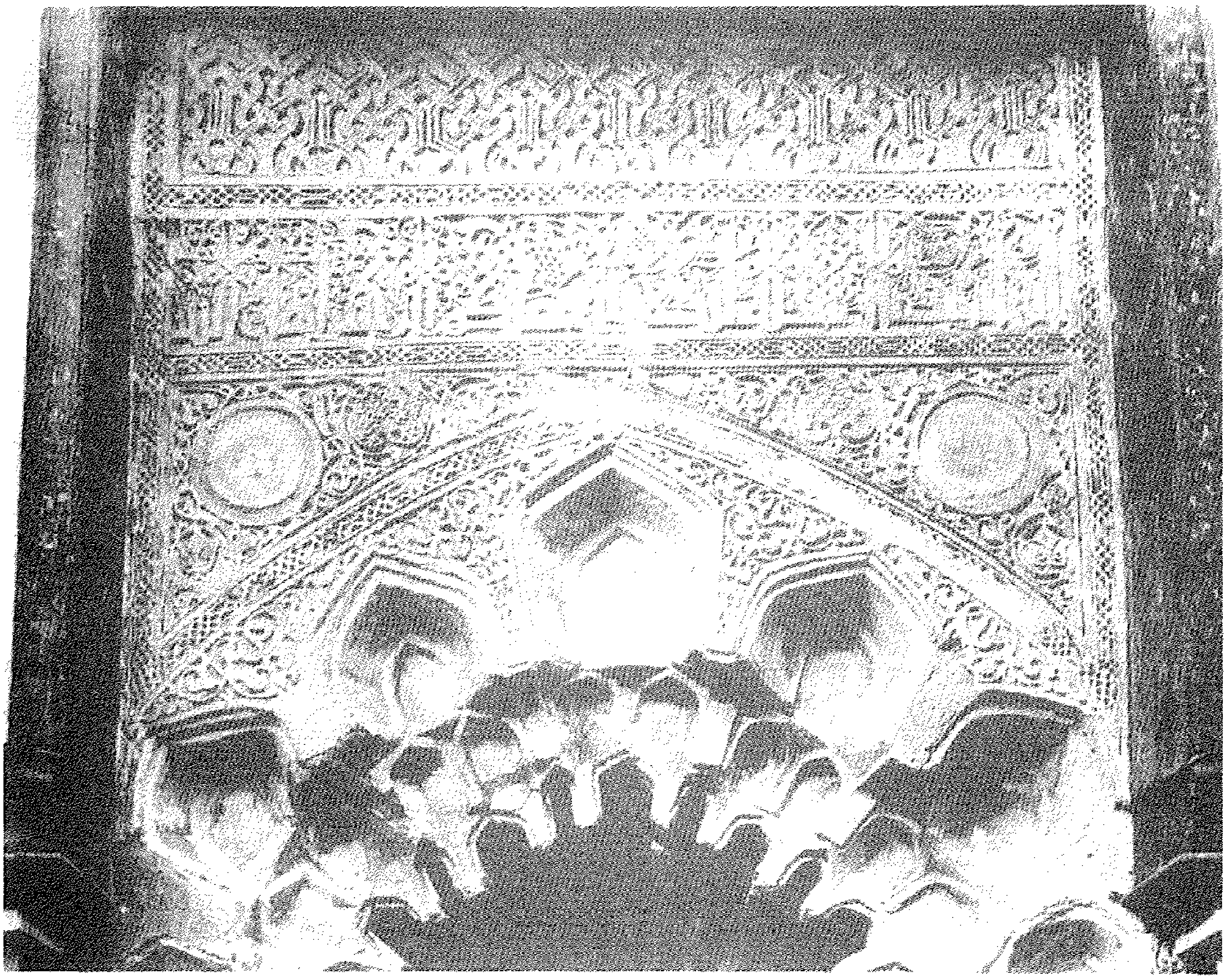

ب - تفصيل من المحراب .

(لوحة رقم ٨٧) مشهد السيدة رقية : ٥٢٧هـ/١١٣٣م .

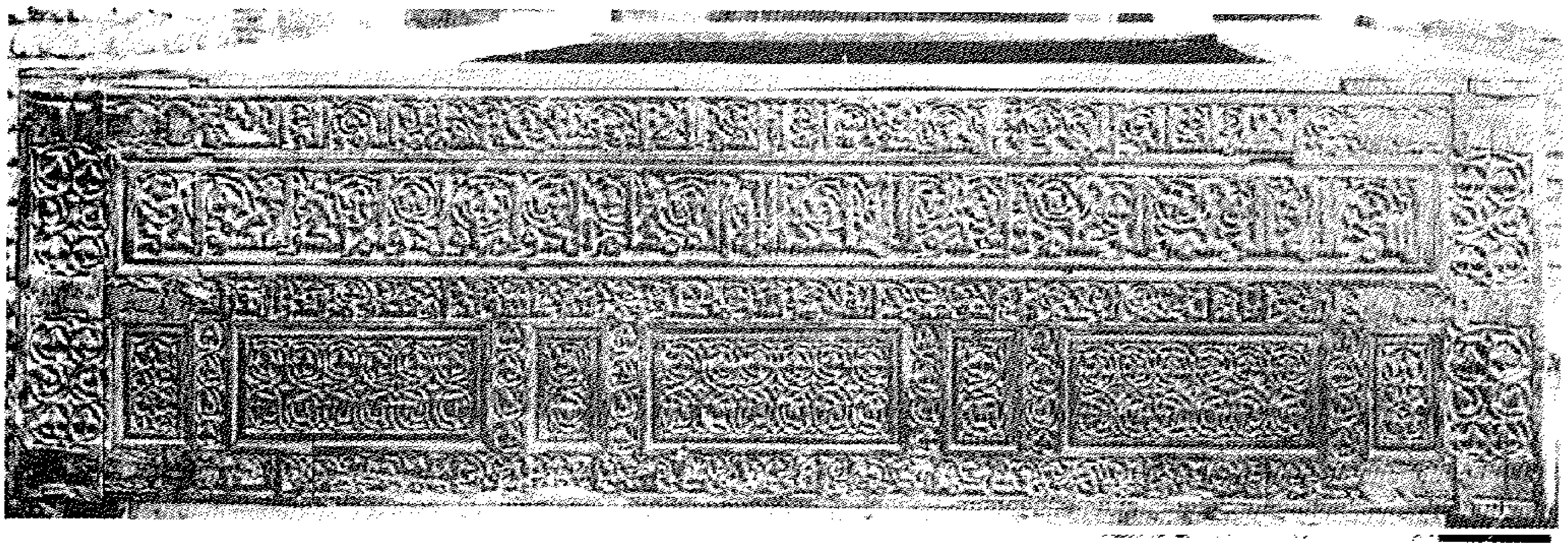

أ - مشهد السيدة رقية : التابوت الخشبي ٥٣٣هـ/١١٣٩م .

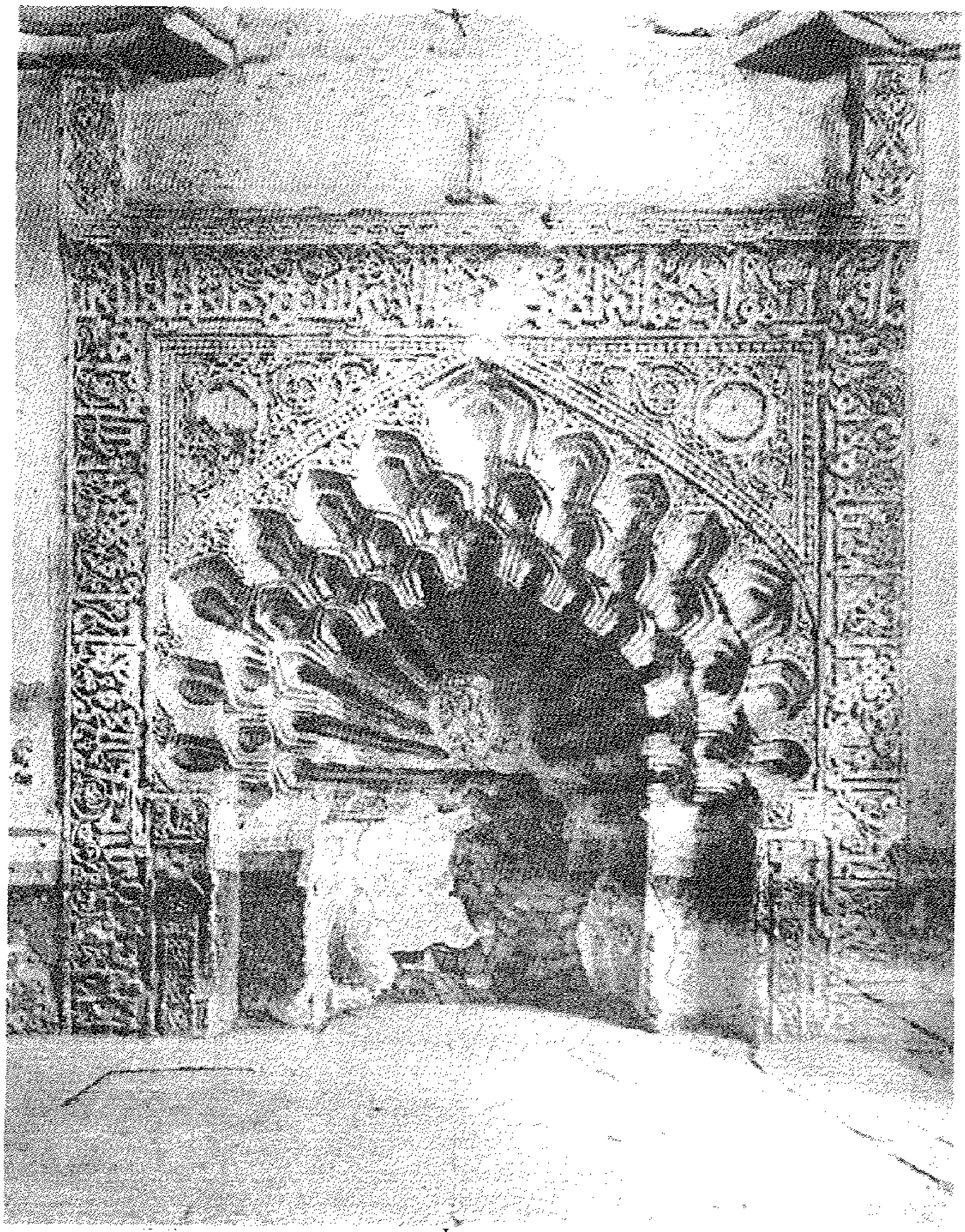

ب - ضريح محمد الحصواتي : المحراب .

(لوحة رقم ٨٨) .

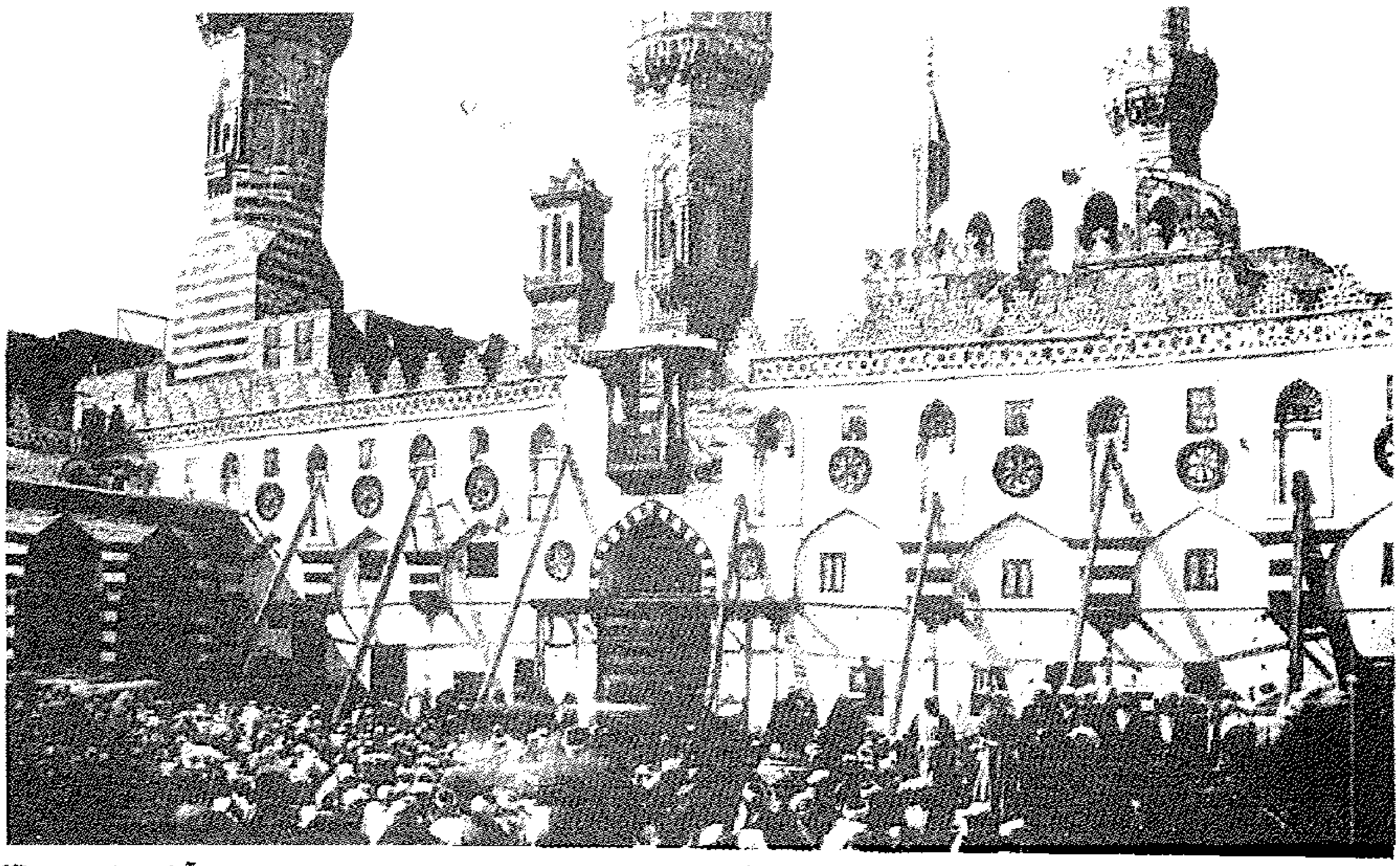

أ - الصحن : الواجهة الشمالية الغربية قبل أعمال ١٨٩١م . (عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

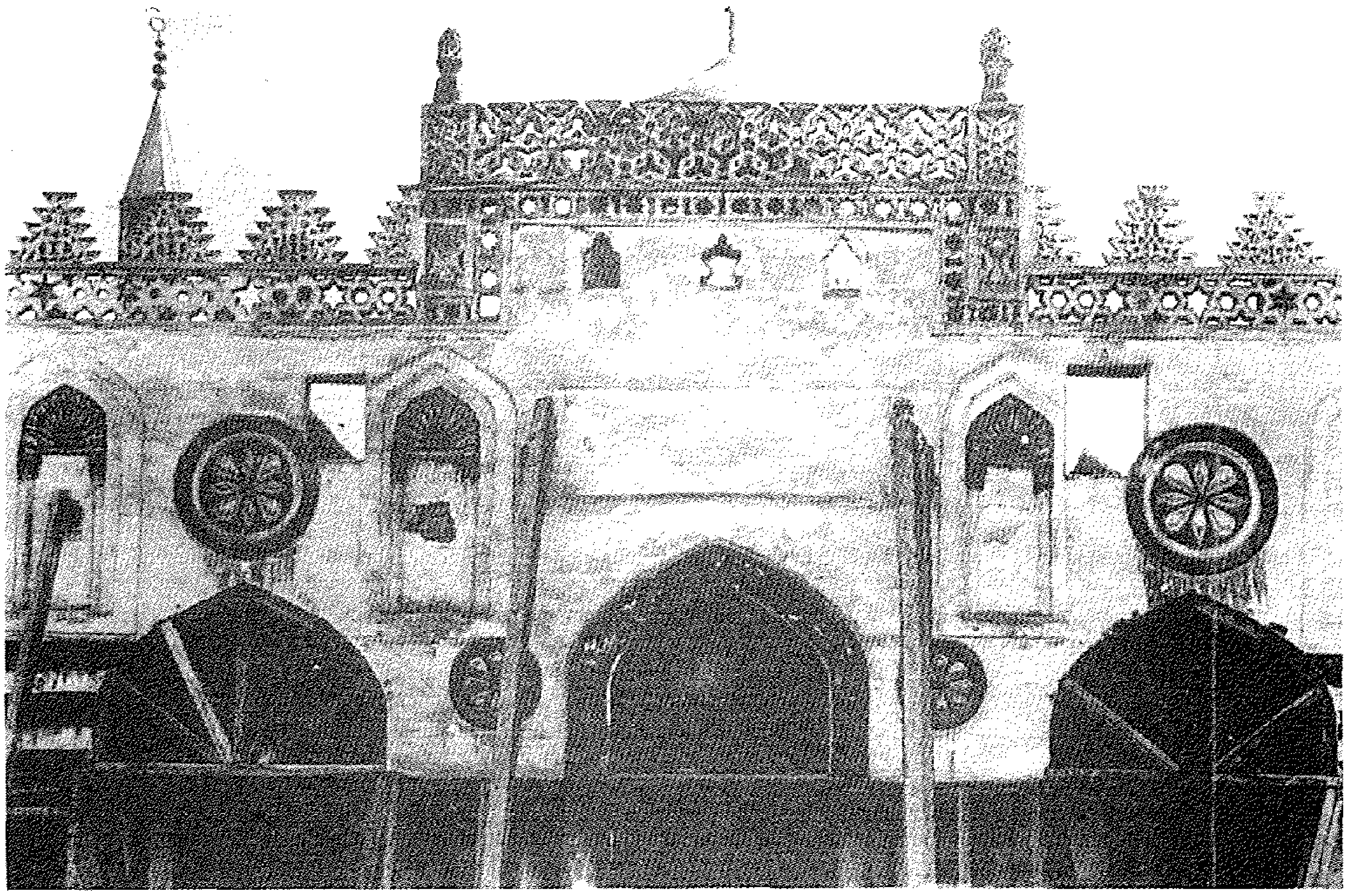

ب - الصحن : الجزء الأوسط للواجهة الجنوبية الشرقية قبل أعمال عام ١٨٩١م .
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

(لوحة رقم ٨٩) جامع الأزهر .

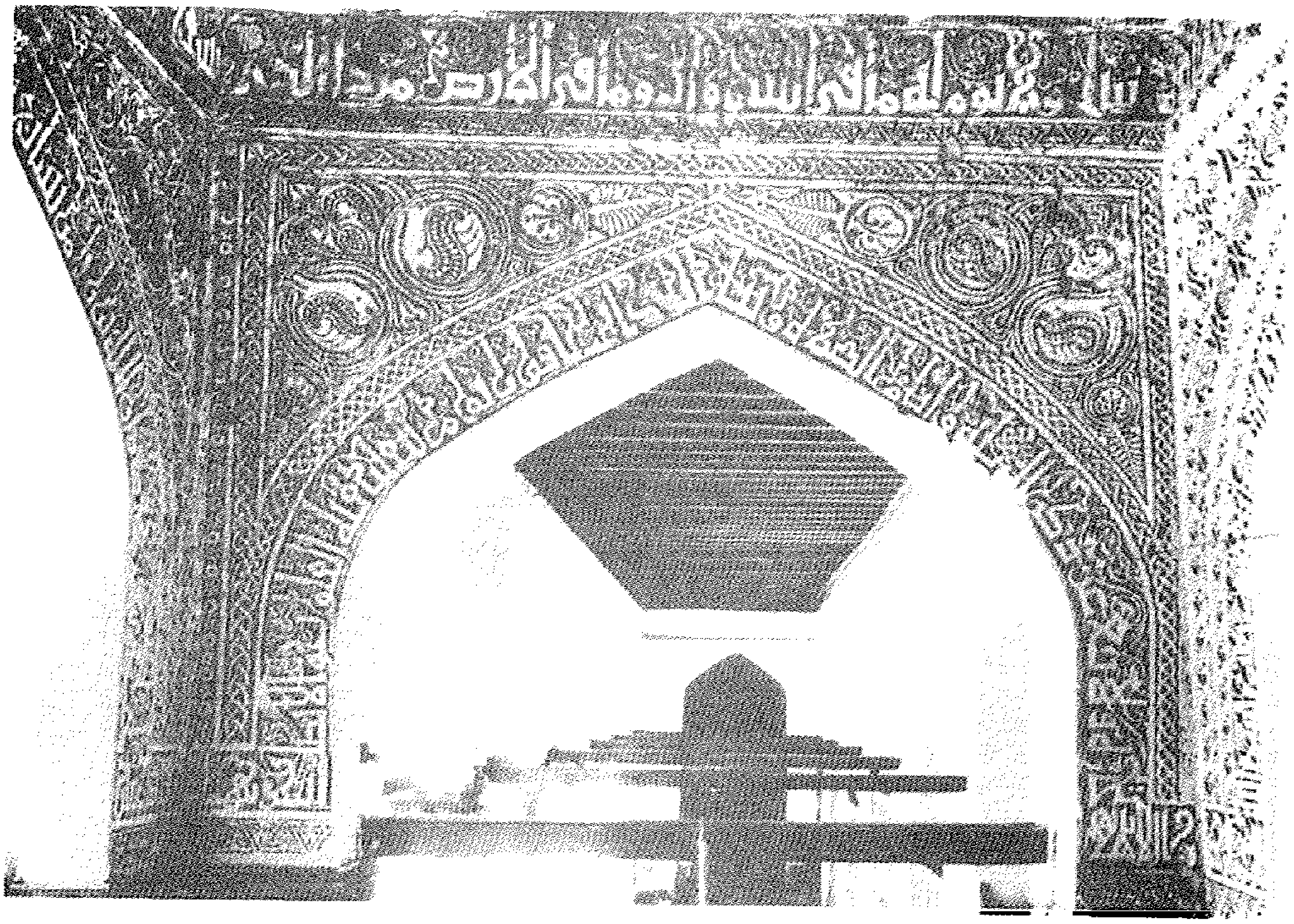

أ - زخرفة العقد الأيسر الذي يحمل القبة عند مدخل المجاز القاطع .

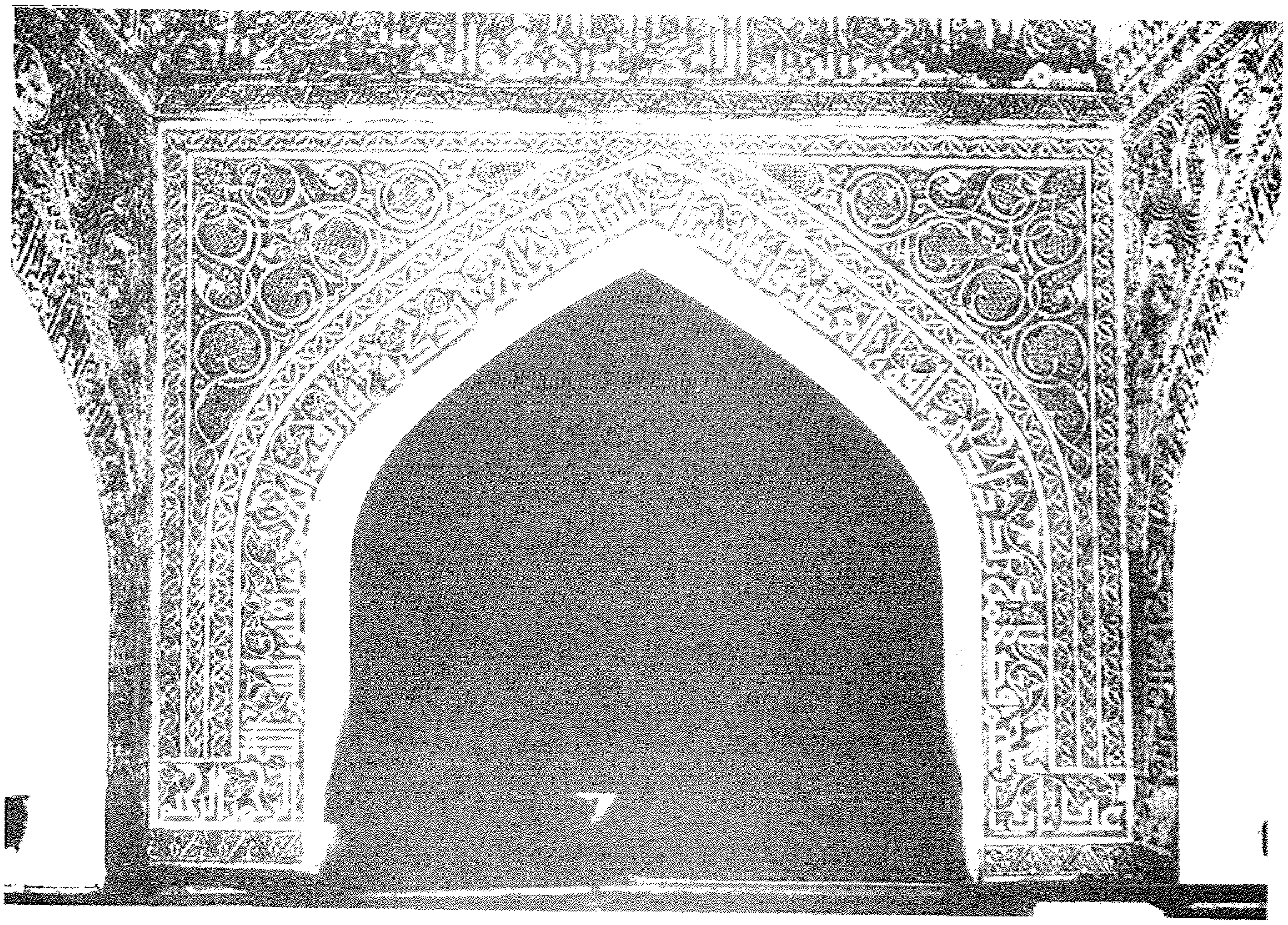

ب - زخرفة العقد الذي يحمل القبة ويفتح على المجاز القاطع .

(لوحة رقم ٩٠) جامع الأزهر .

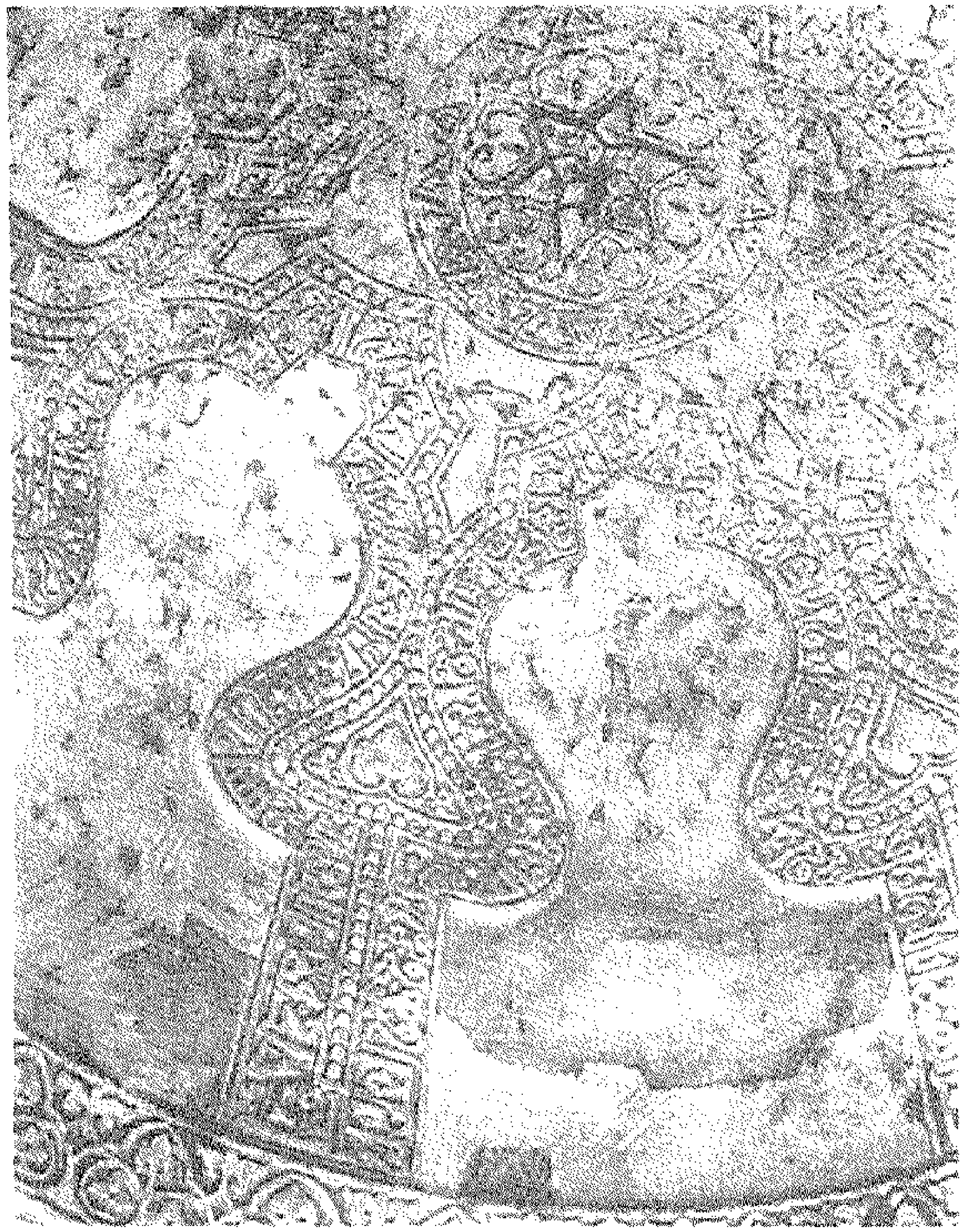

أ - زخرفة قبة الجوسق
(قبة البهو) في النهاية الشمالية للمجاز القاطع .

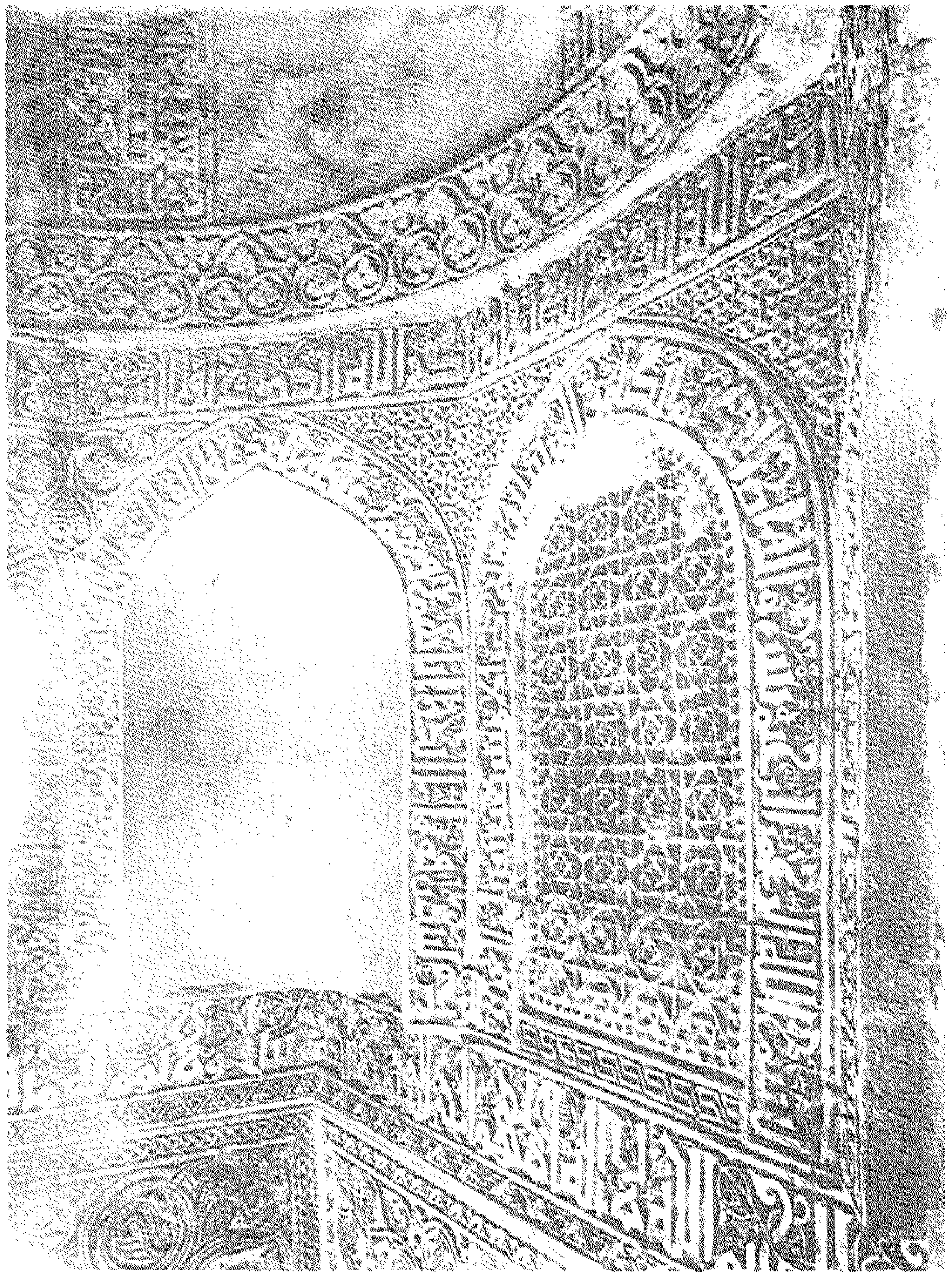

ب - الجوسق ذي القبة (قبة البهو) في النهاية الشمالية للمجاز : منطقة الانتقال .

(لوحة رقم ٩١) جامع الأزهر .

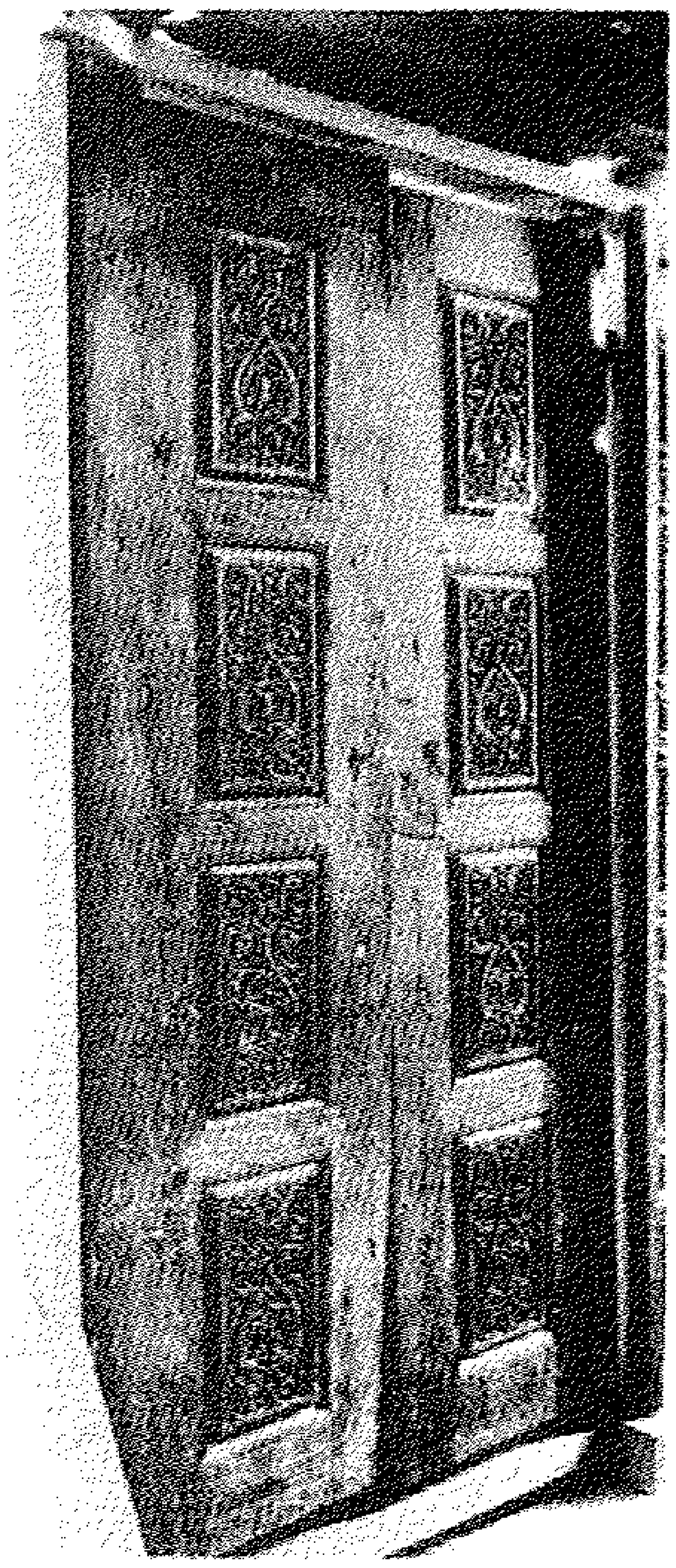

أ - باب من ضريح
السيدة نفيسة ٥٣٢هـ/١١٣٨م .

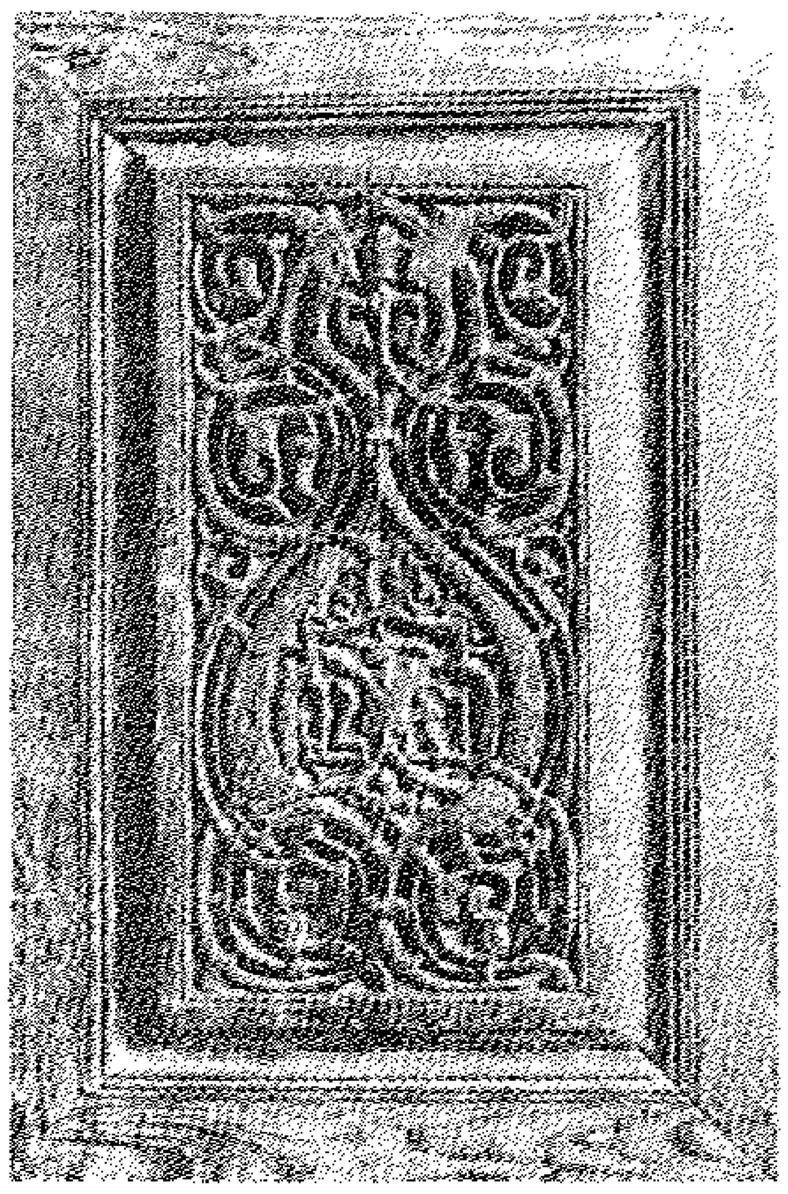

ب - تفصيل من أ .

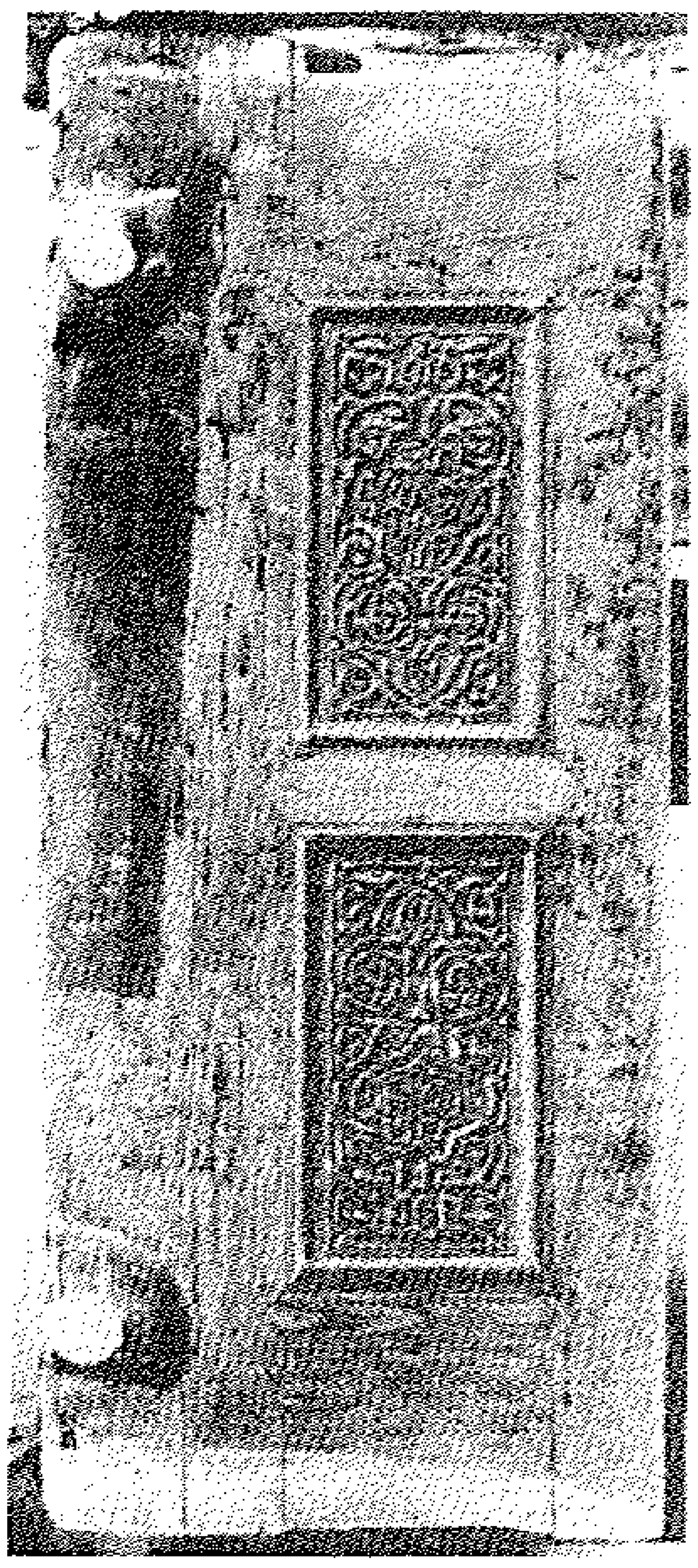

جـ - الجزء السفلي لباب
من ضريح السيدة نفيسة
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

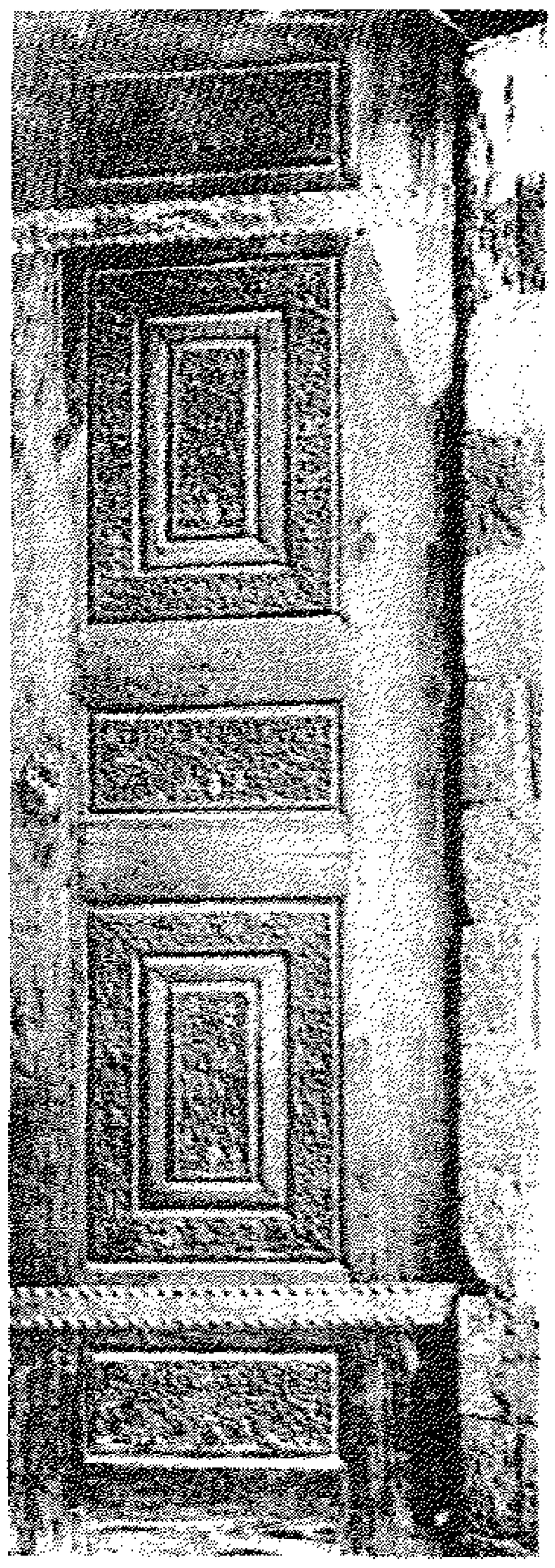

د - مسجد الفكهاني :
فردة باب ٥٤٣هـ/١١٤٨م .

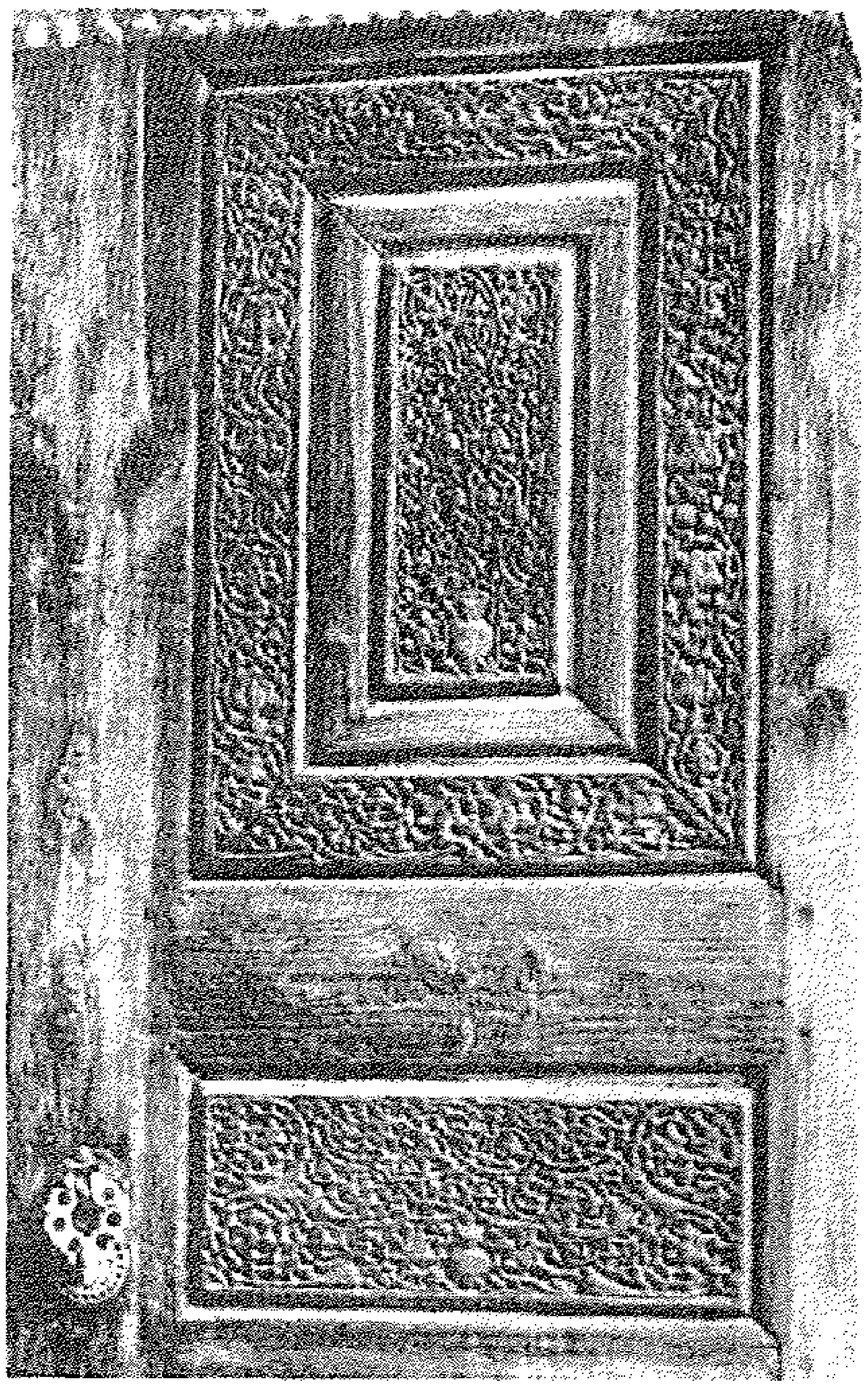

هـ - تفصيل من د .

(لوحة رقم ٩٢) .

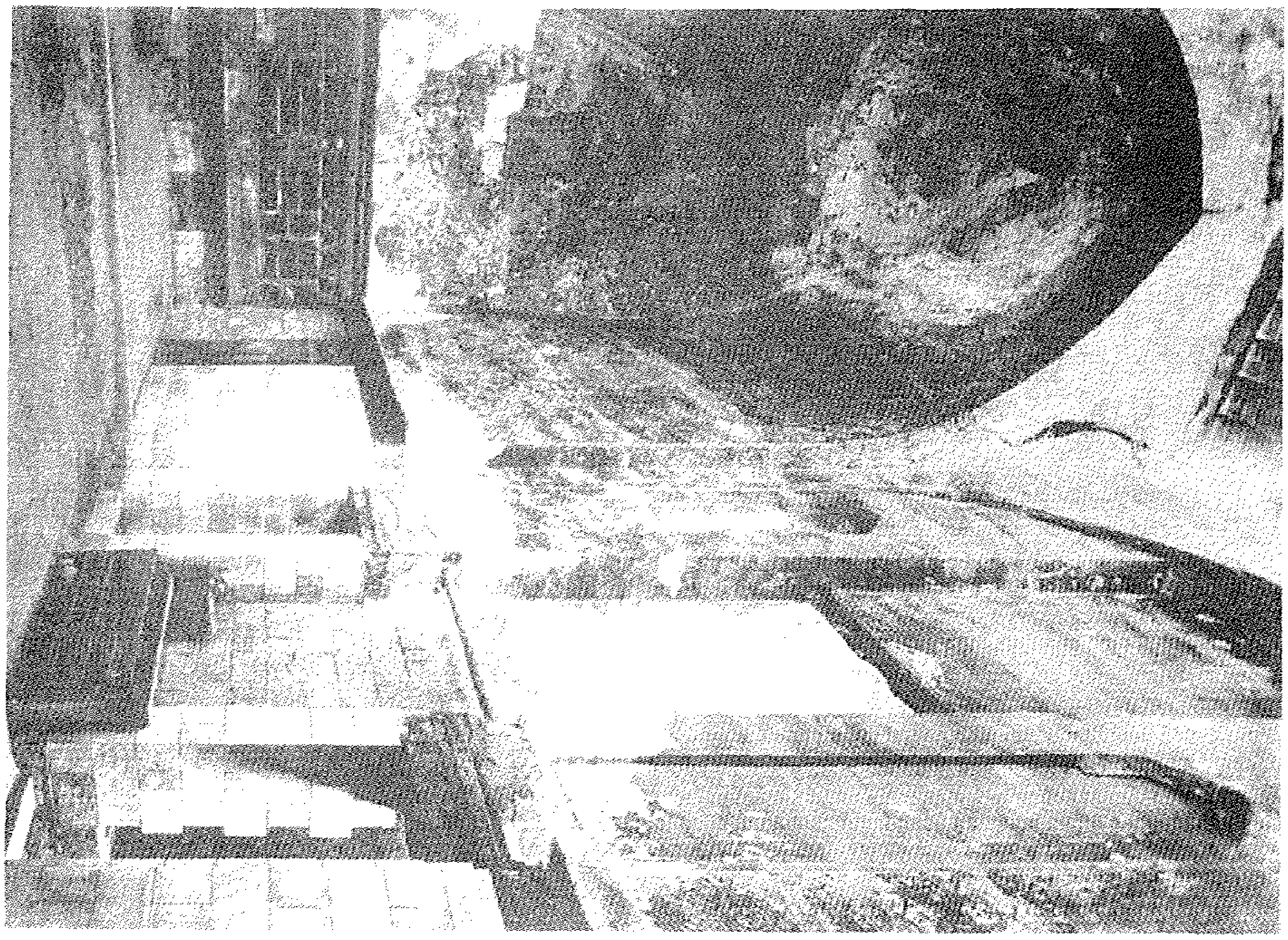

ب - الإيوان الجنوبي .

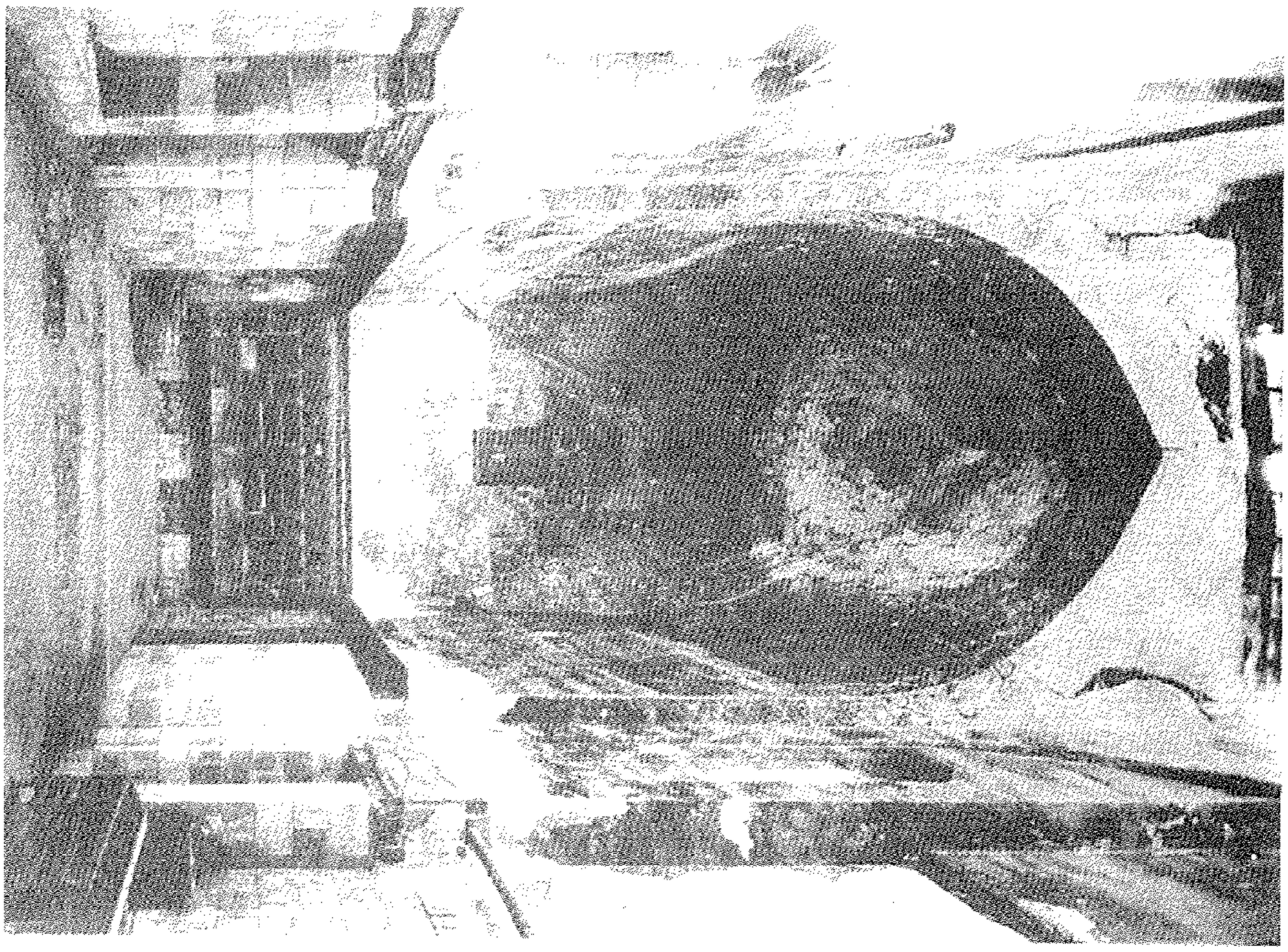

أ - الإيوان الجنوبي .

(لوحة رقم ٩٣) قاعة الدردير .

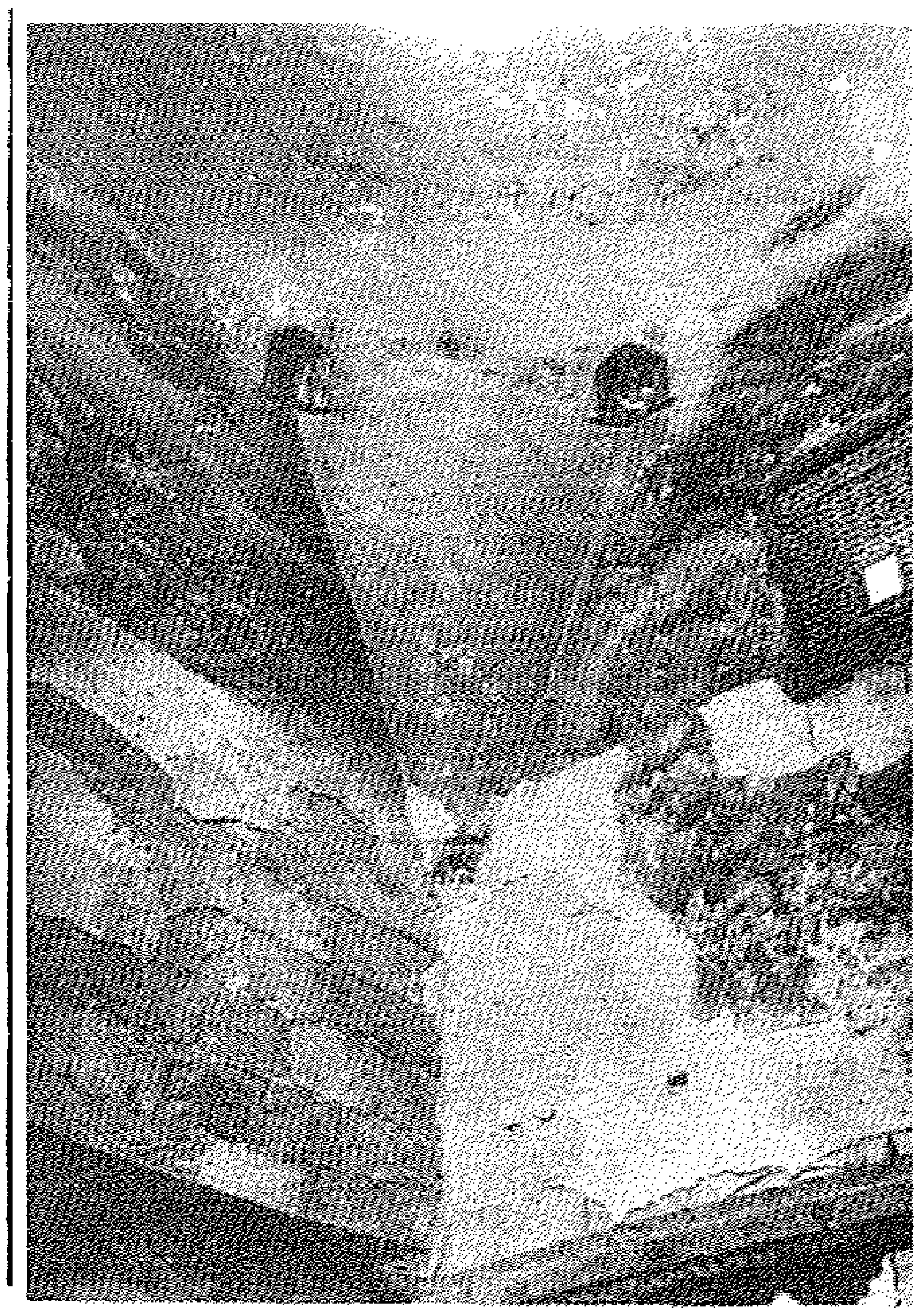

أ - موضع نصف القبة في الإيوان الجنوبي .

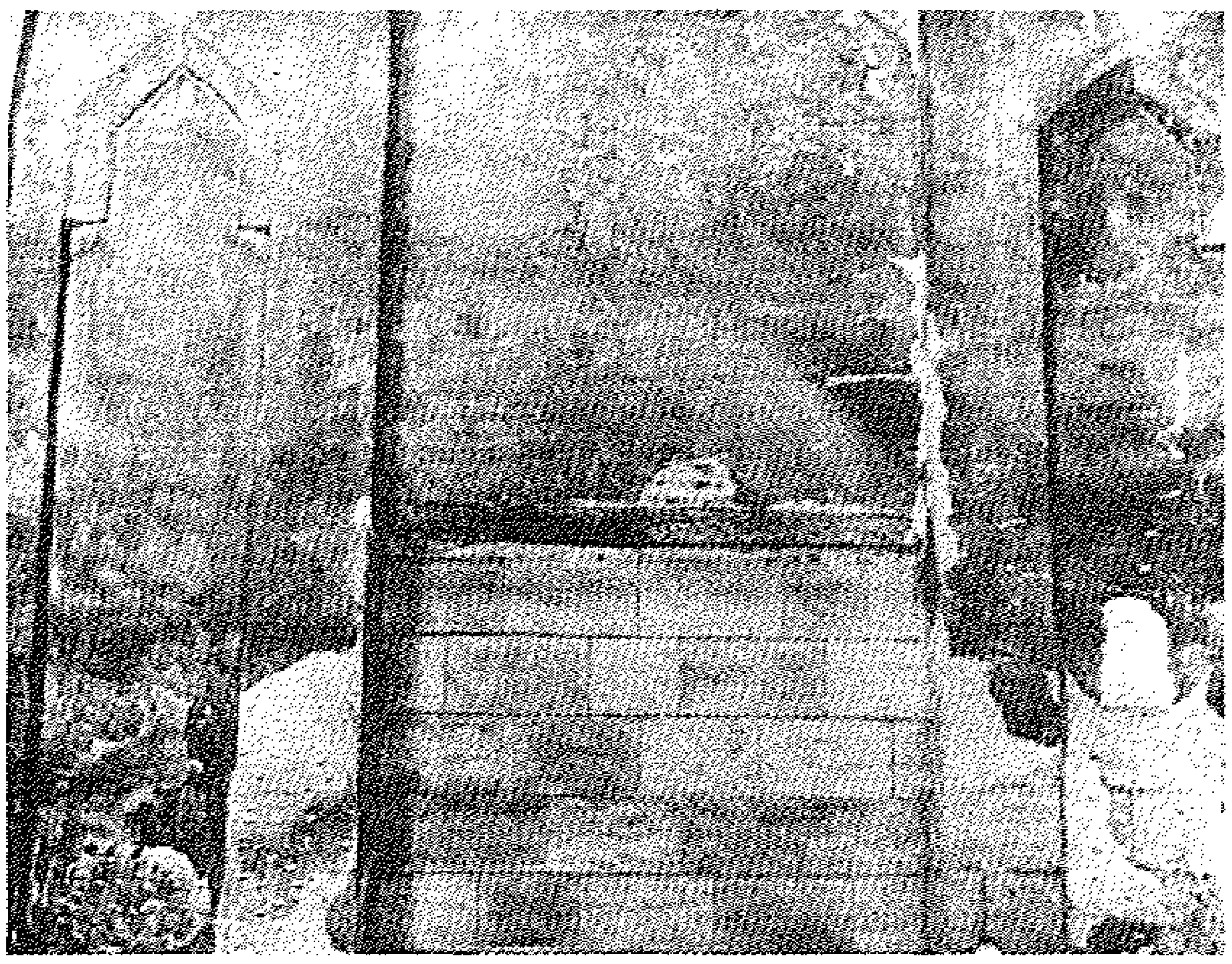

ب - معالجة الحوائط الجانبية (أنظر لوحة ٩٣ ب) .

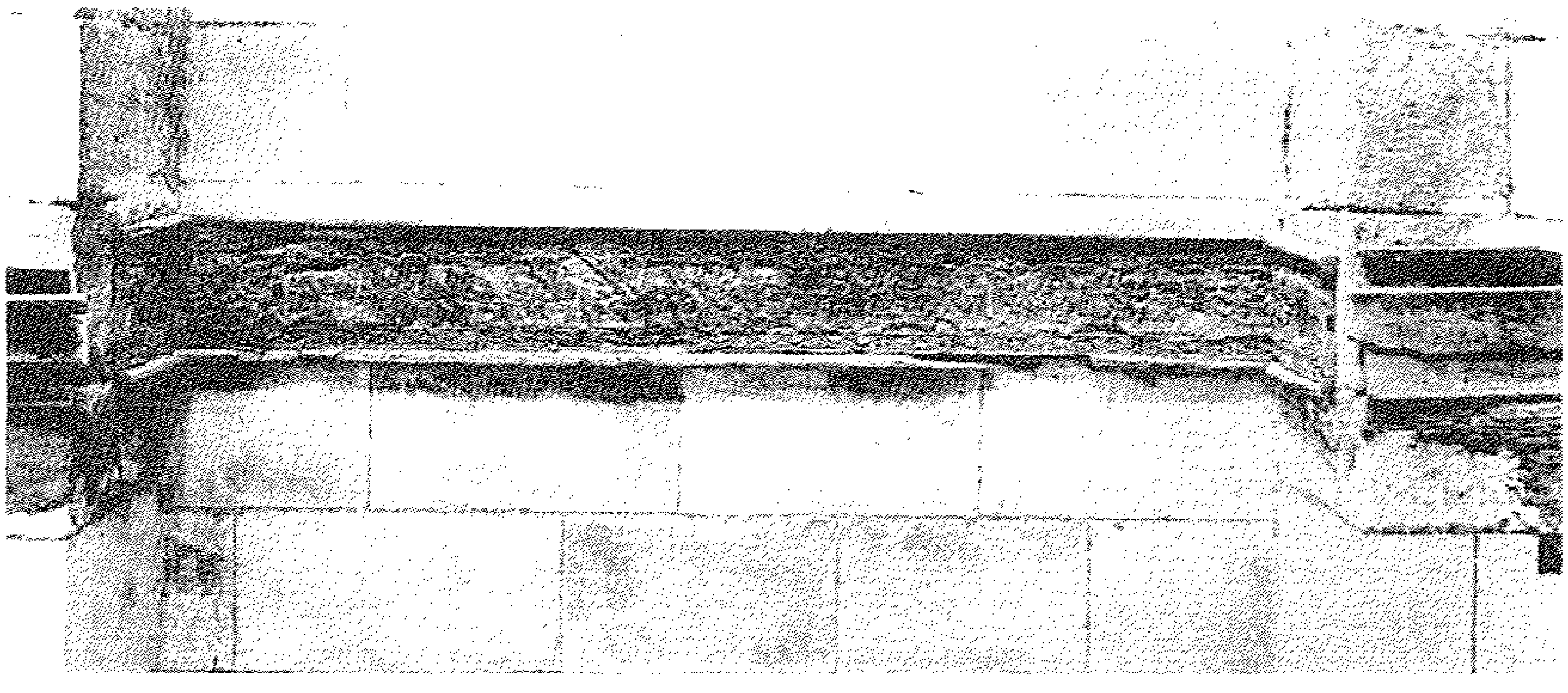

جـ - نقش كتابي كوفي على أفريز خشبي في الدخلة الشرقية .

(لوحة رقم ٩٤) قاعة الدردير .

(لوحة رقم ٩٥) ضريح (مشهد) يحيى الشبيه .

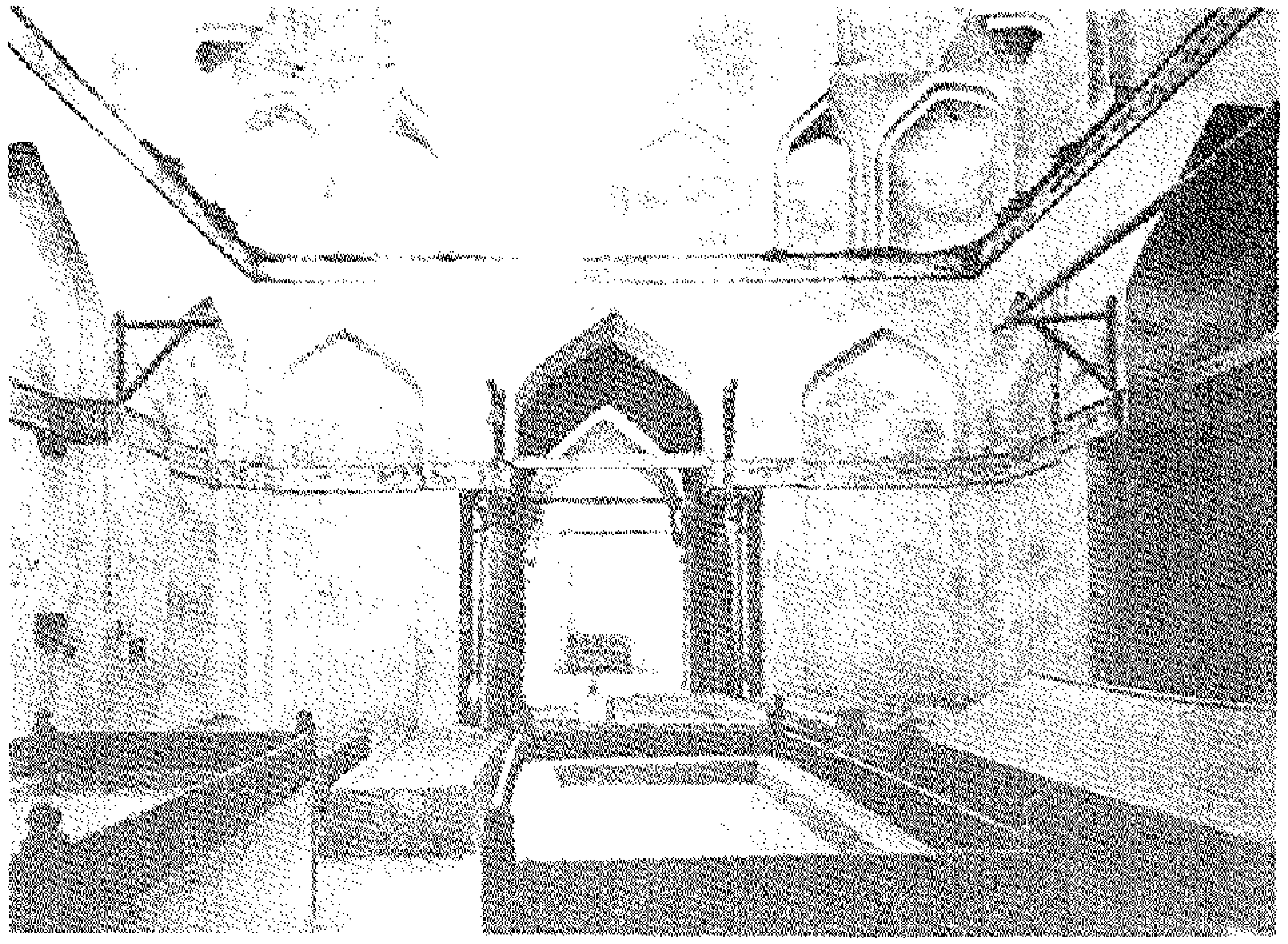

جـ - داخل الضريح تجاه الملحق .

ب - داخل الضريح ، تجاه الجنوب الشرقي .

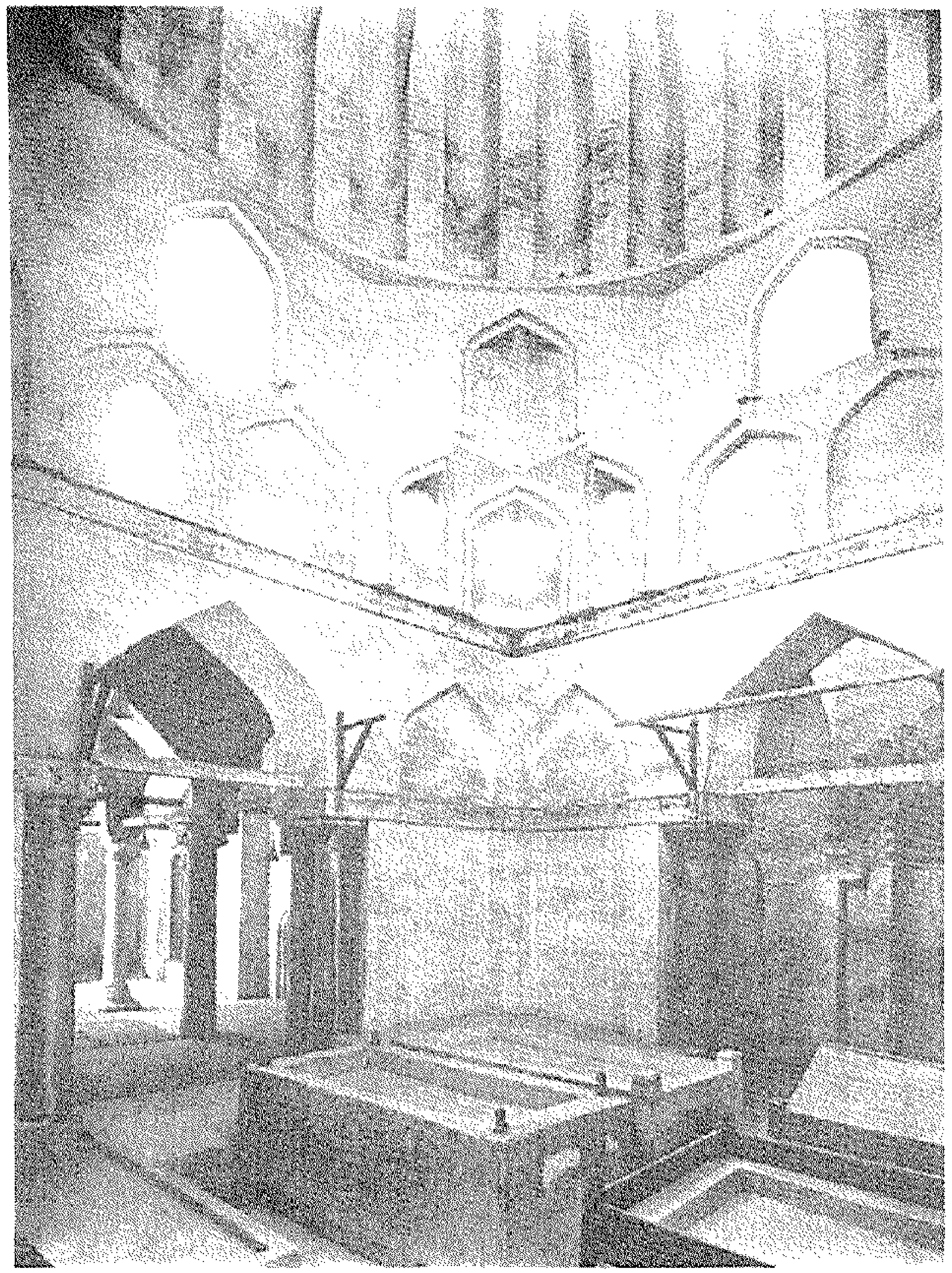

أ - داخل الضريح ، تجاه الشرق .

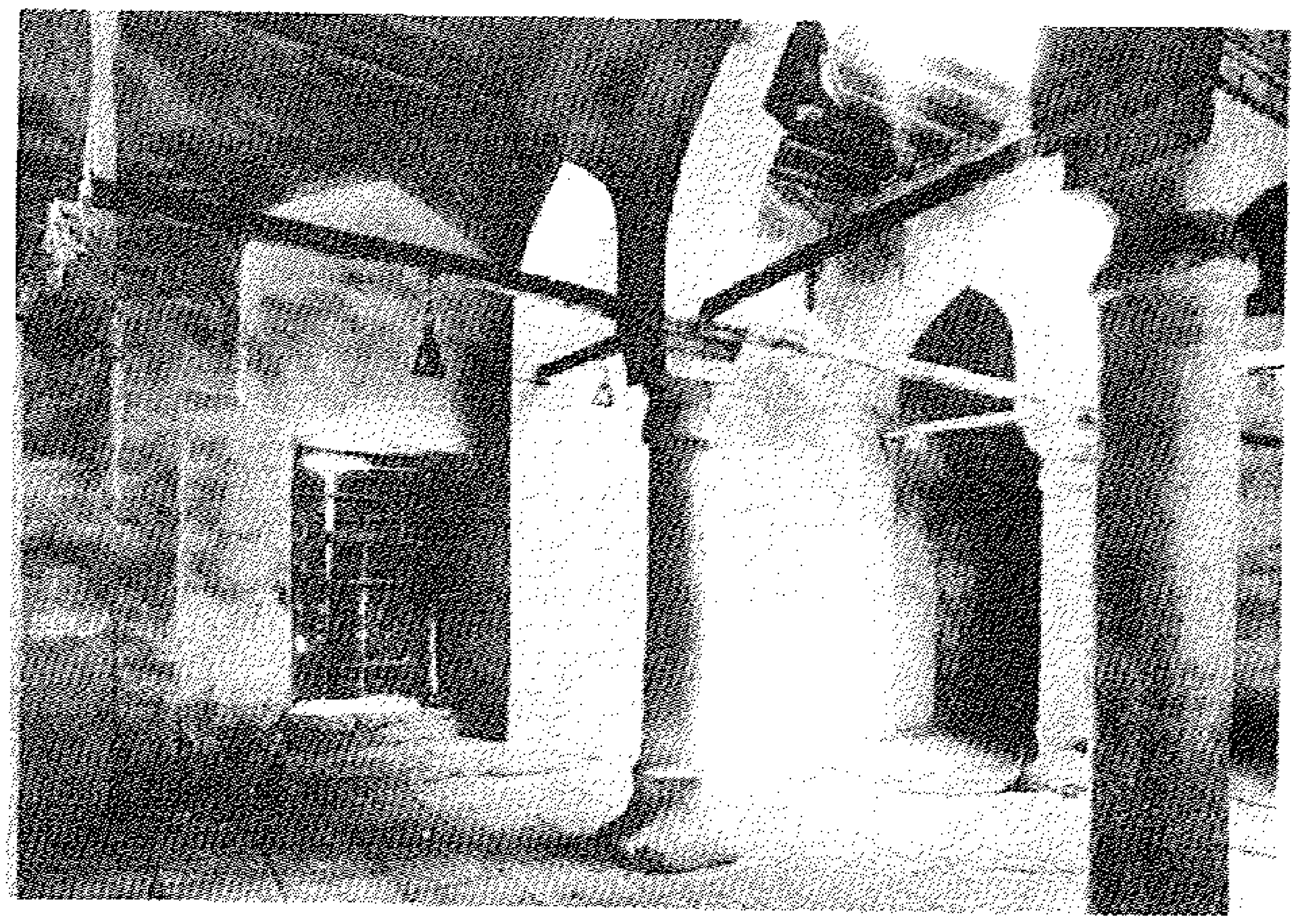

أ - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه : الملحق . (تجاه الشمال) .

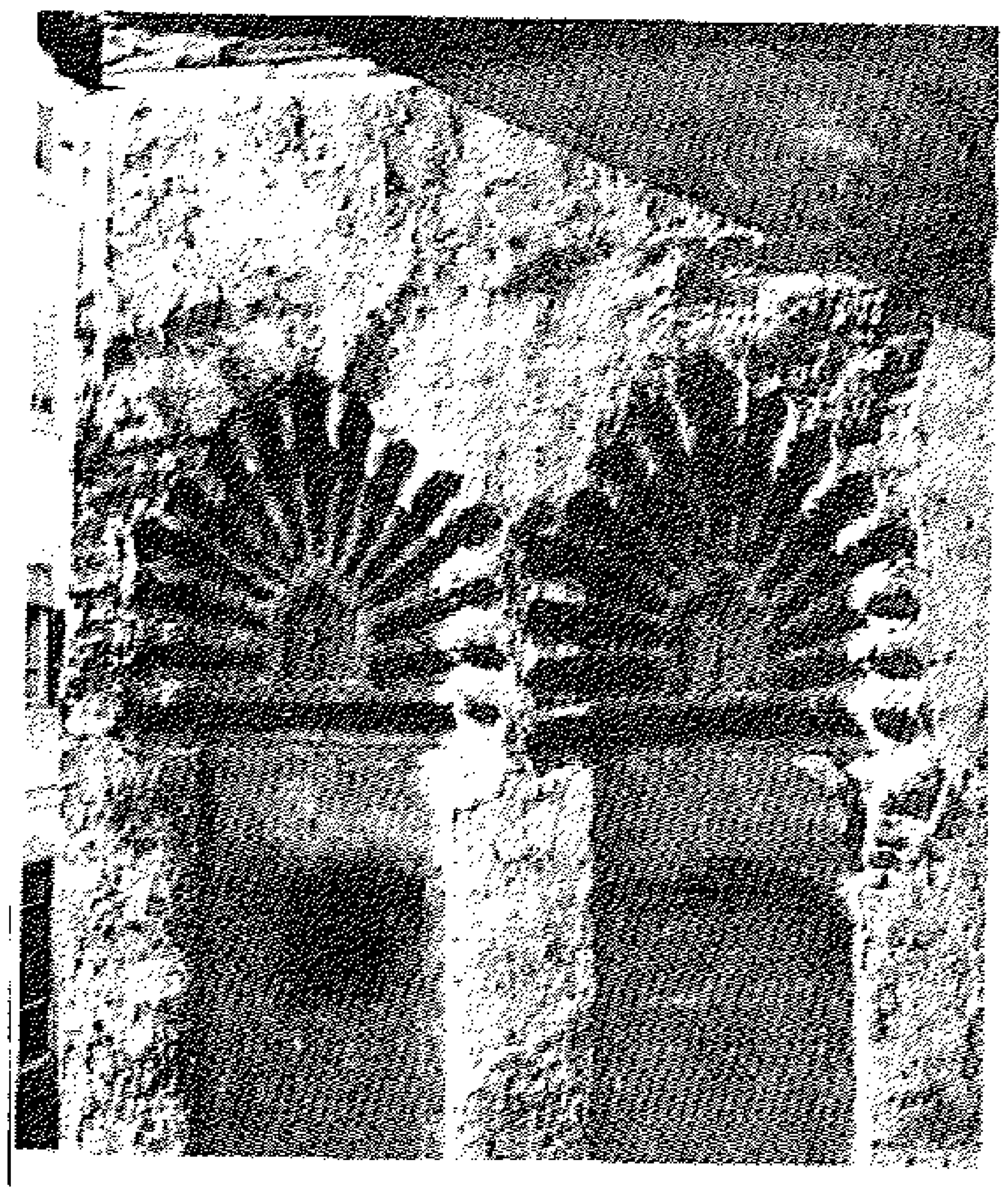

ب - مئذنة أبو الغضنفر، حشوات زخرفية في الجانب الشمالي الشرقي .

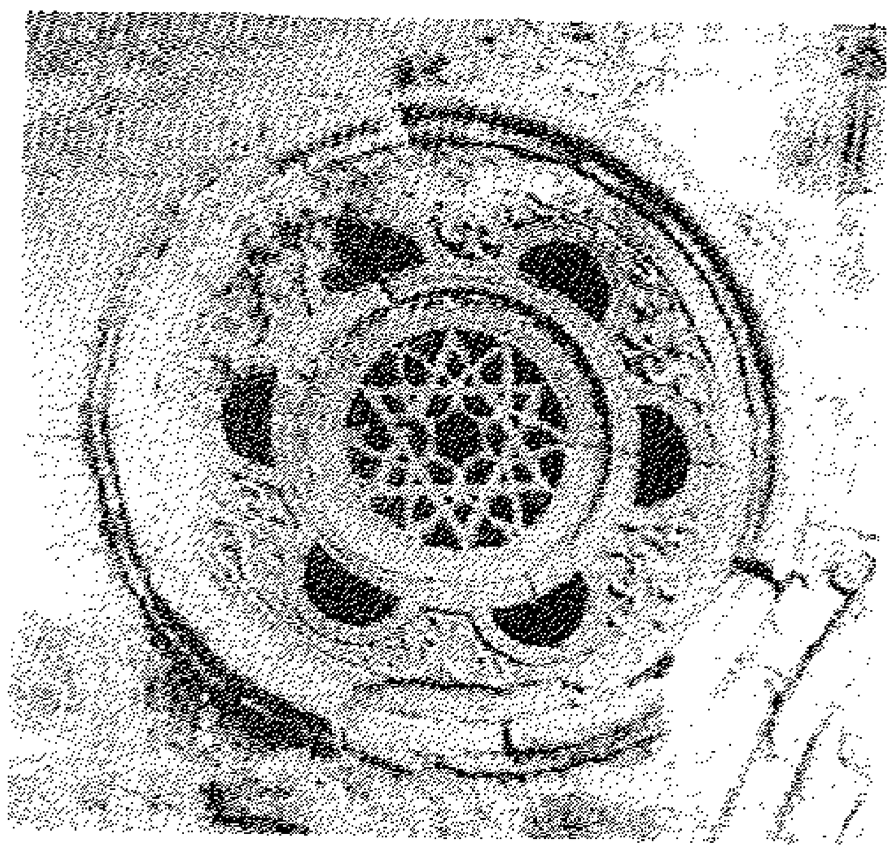

جـ - تفصيل للجامة في د .

د - الباب الأخضر (جزء من مشهد سيدنا الحسين) ٥٤٨هـ/١١٥٣م .

(لوحة رقم ٩٦) .

أ - حالة المسجد في عام ١٩١٧م
كما يشاهد من فوق باب زويلة .

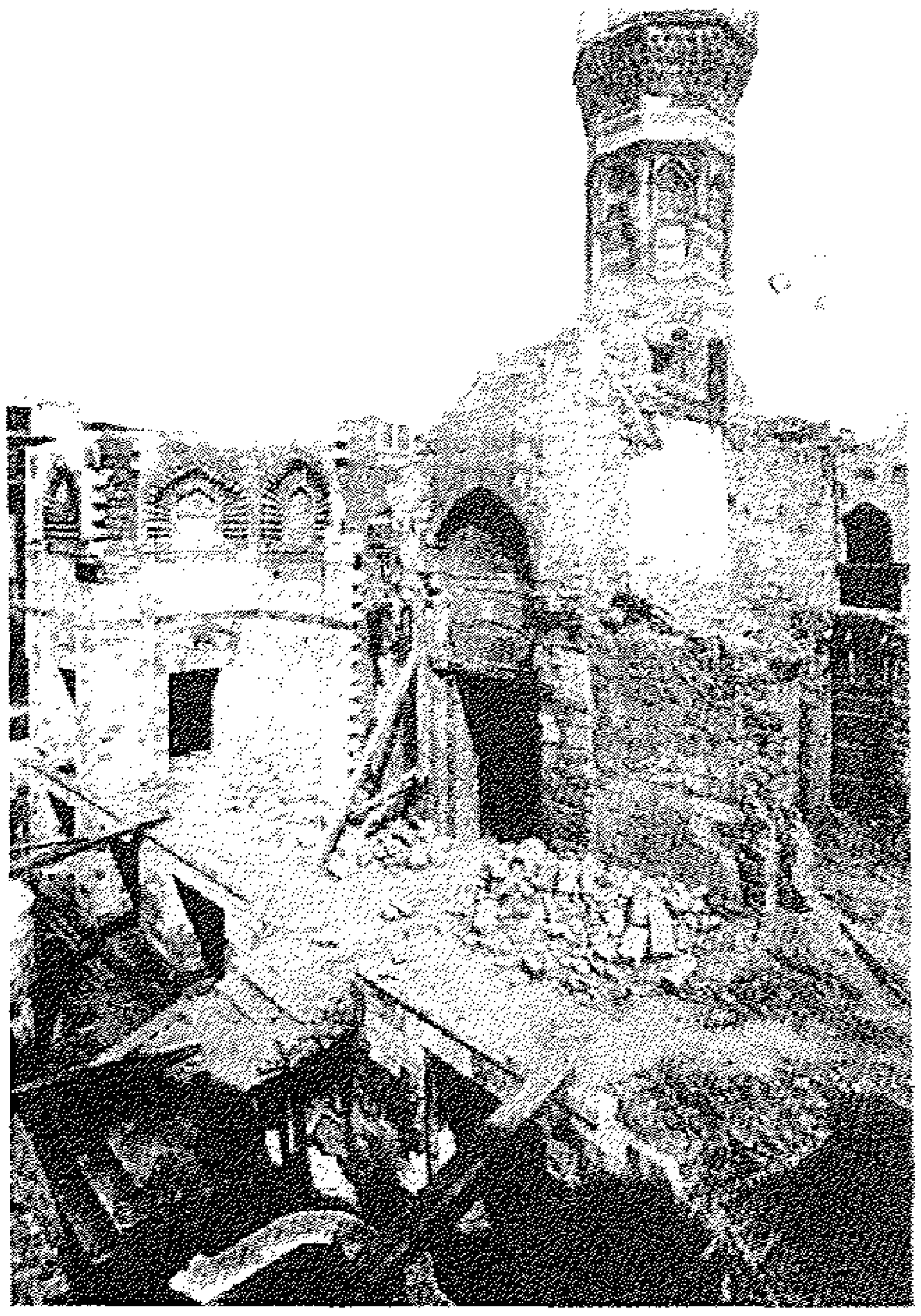

ب - الواجهة الشمالية الغربية
بعد إزالة المنازل وحفائر الطابق السفلي .

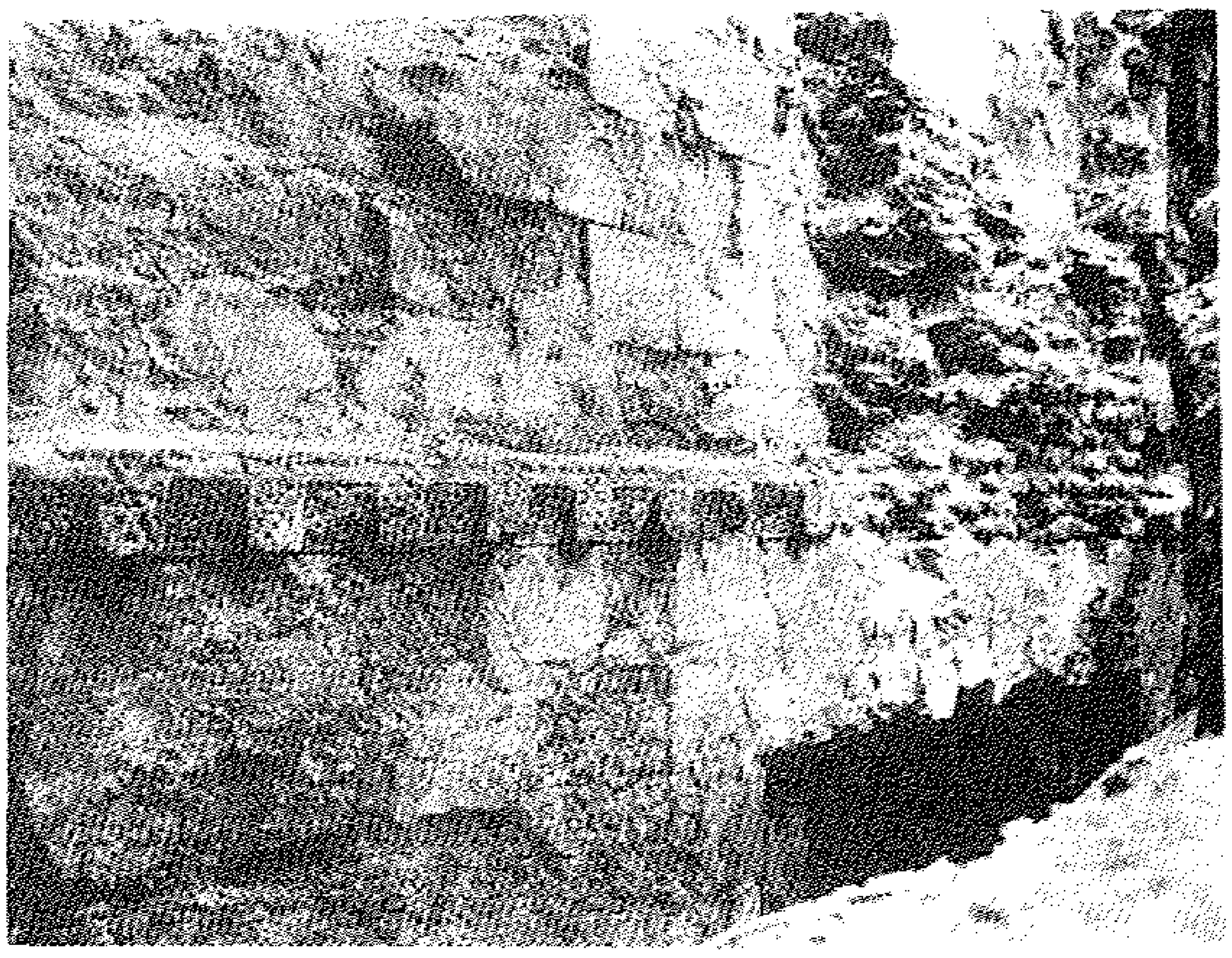

جـ - الجانب الشمالي الشرقي :
الطوق الحجري المزخرف
فوق الحوانيت في المستوى الأرضي للمسجد .

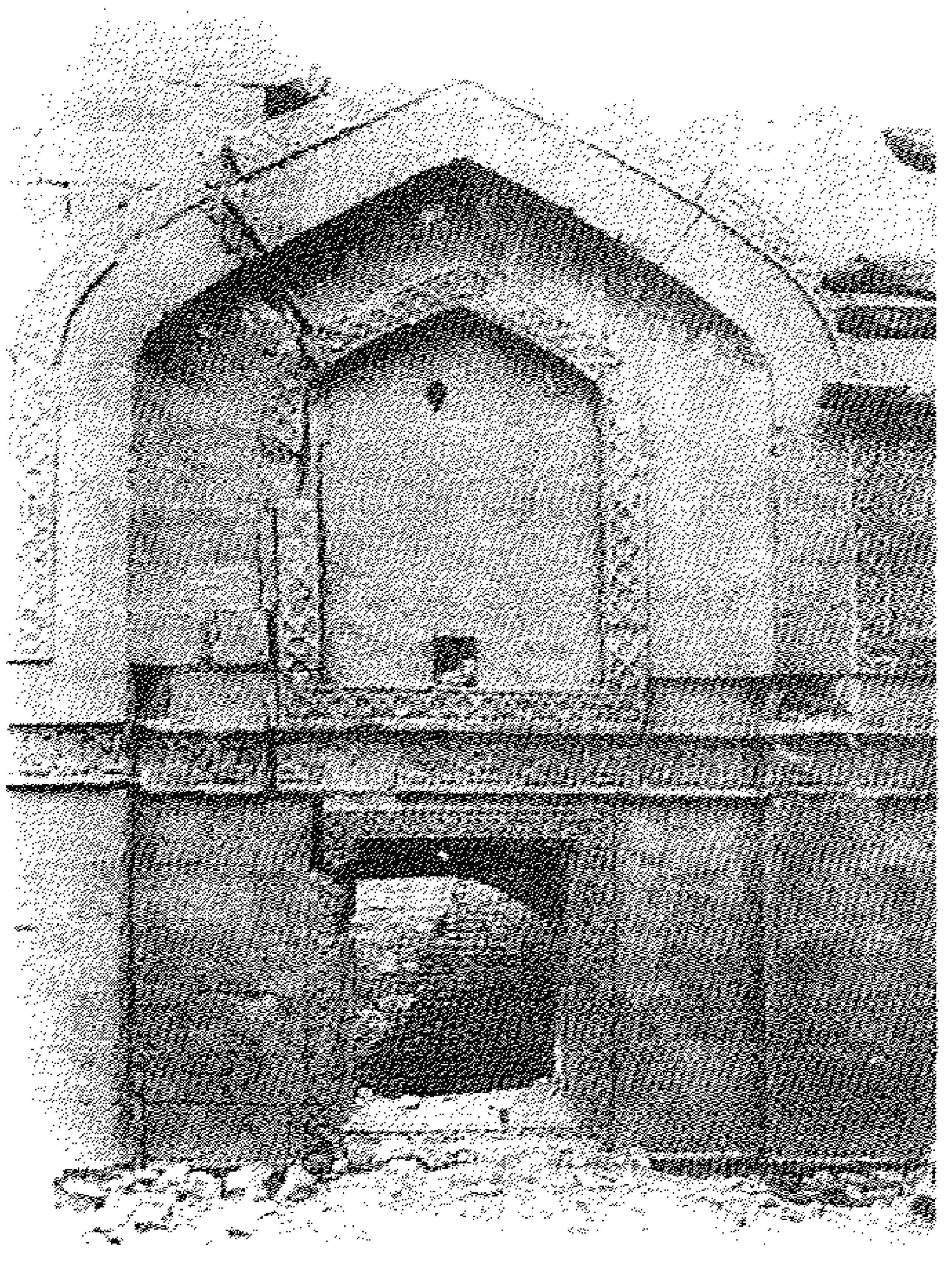

د - الواجهة الشمالية الشرقية ،
نافذة الدعامة الثانية من الركن الشمالي .

(لوحة رقم ٩٧) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

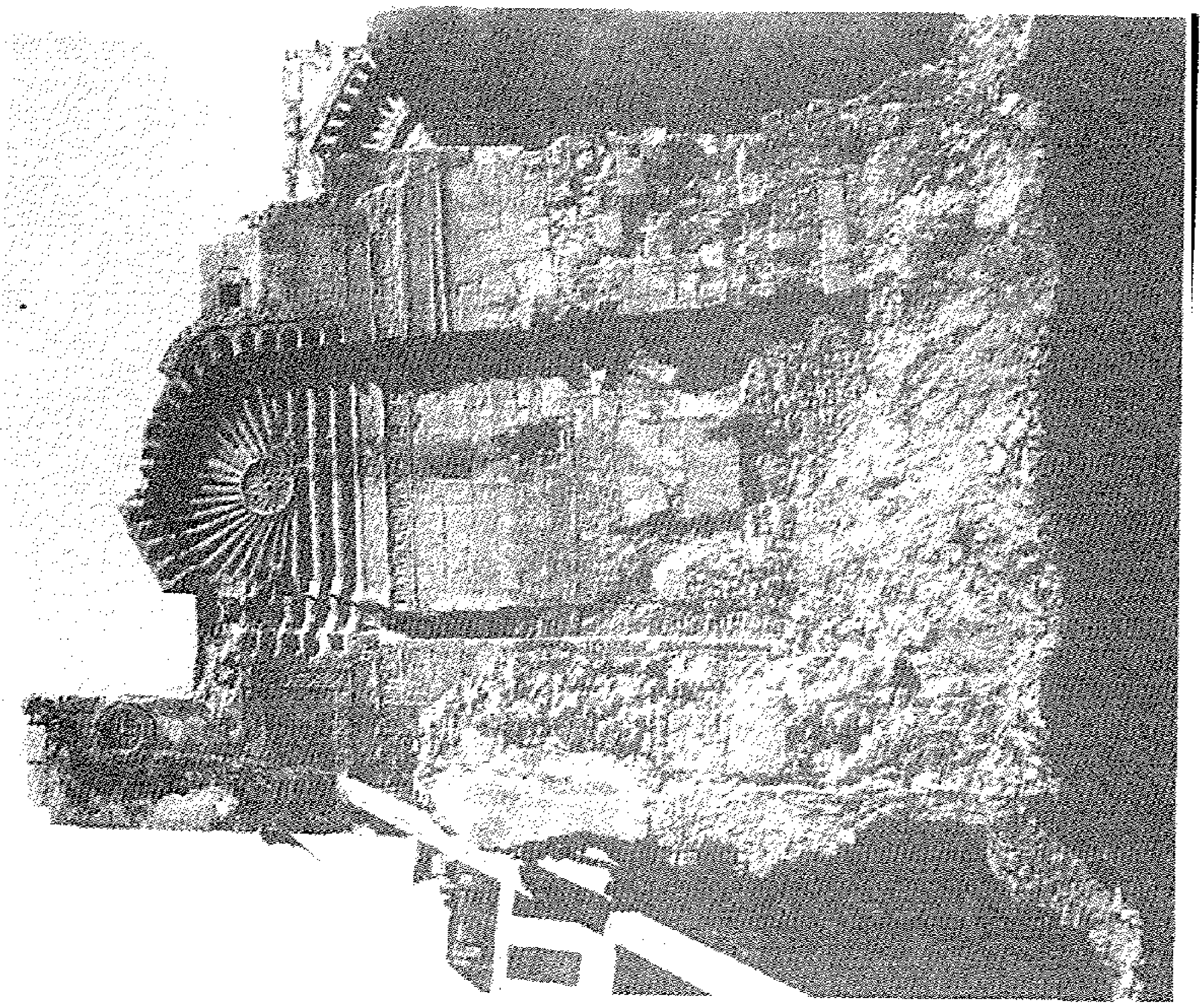

أ - الواجهة الشمالية الغربية . دعامة إلى يسار السقيفة
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

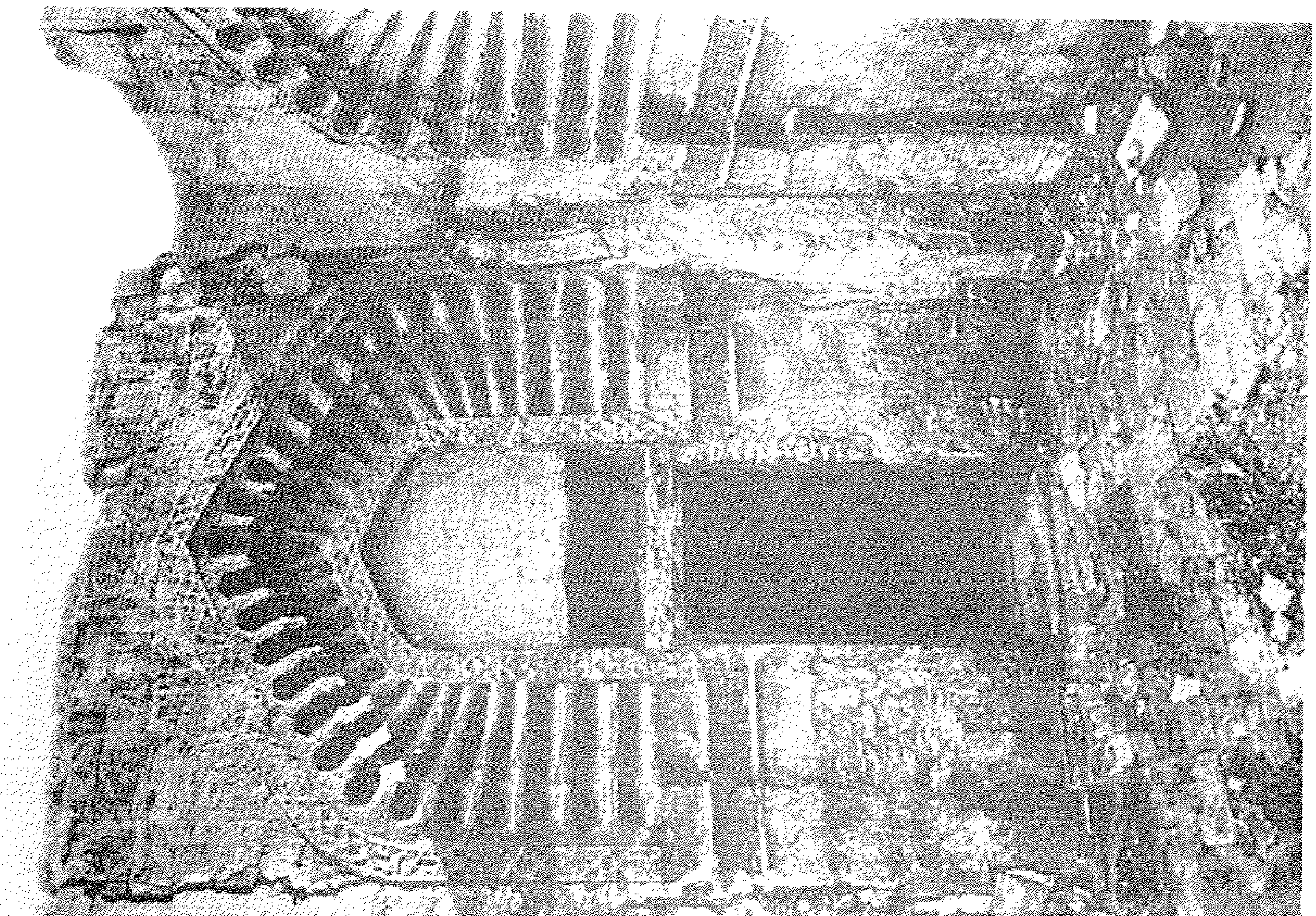

ب - الواجهة الشمالية الغربية . دعامات في نهاية السقيفة قبل إزالة أرضية المنزل
(عن : لجنة حفظ الآثار العربية) .

(لوحة رقم ٩٨) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

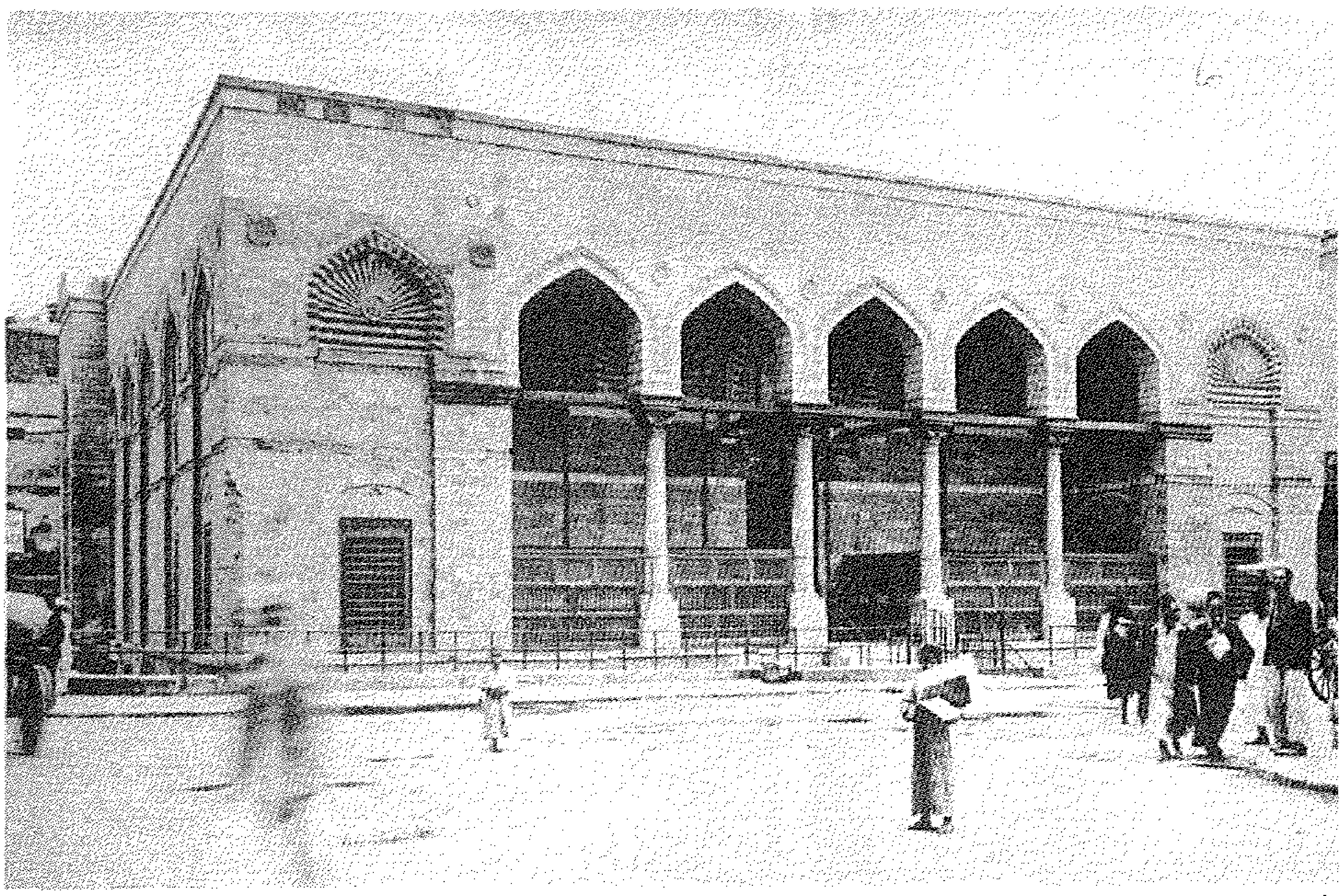

أ - الواجهة الشمالية الغربية بعد الترميم .

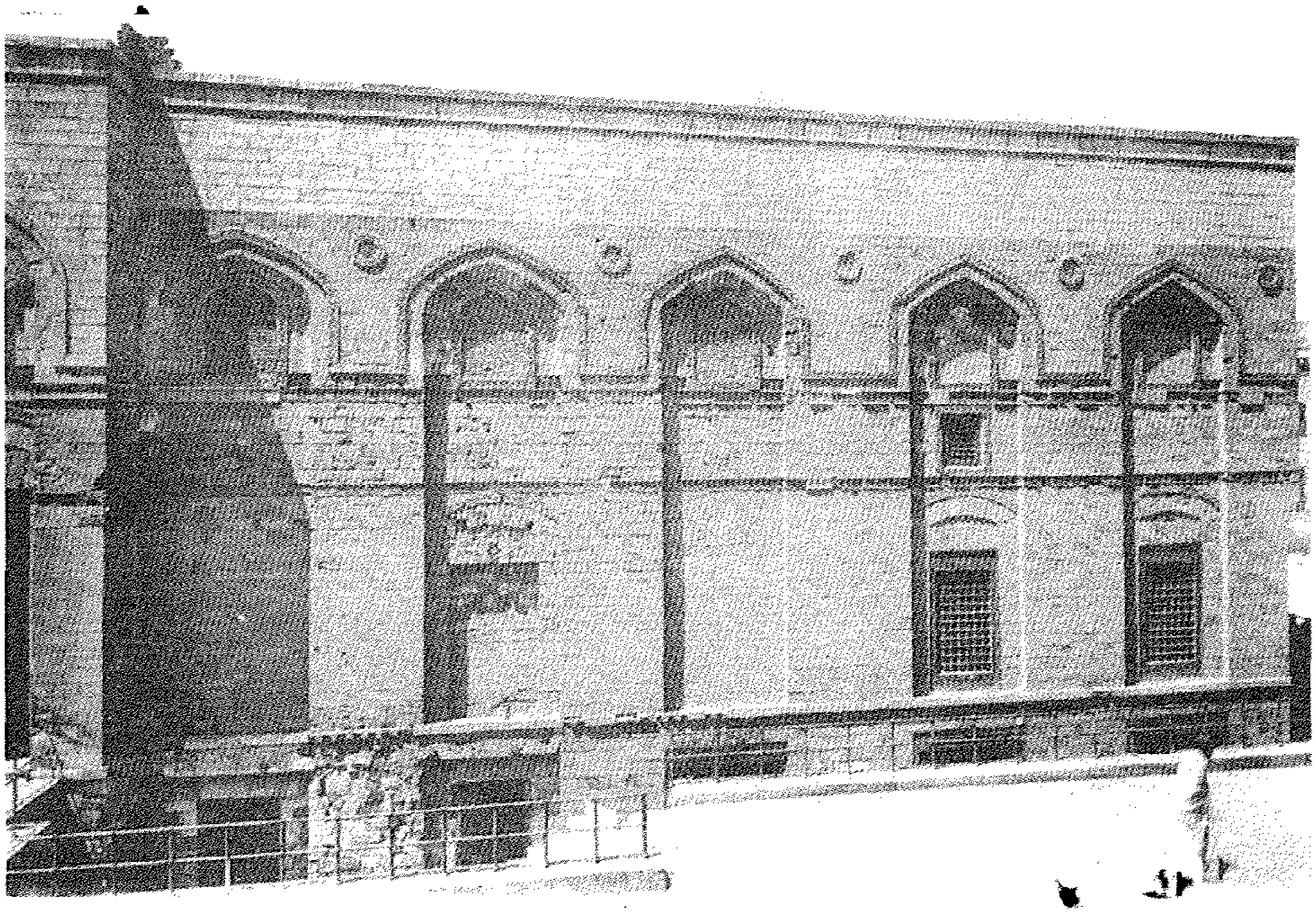

ب - الواجهة الشمالية الشرقية إلى اليمين من المدخل الجانبي بعد الترميم .

(لوحة رقم ٩٩) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

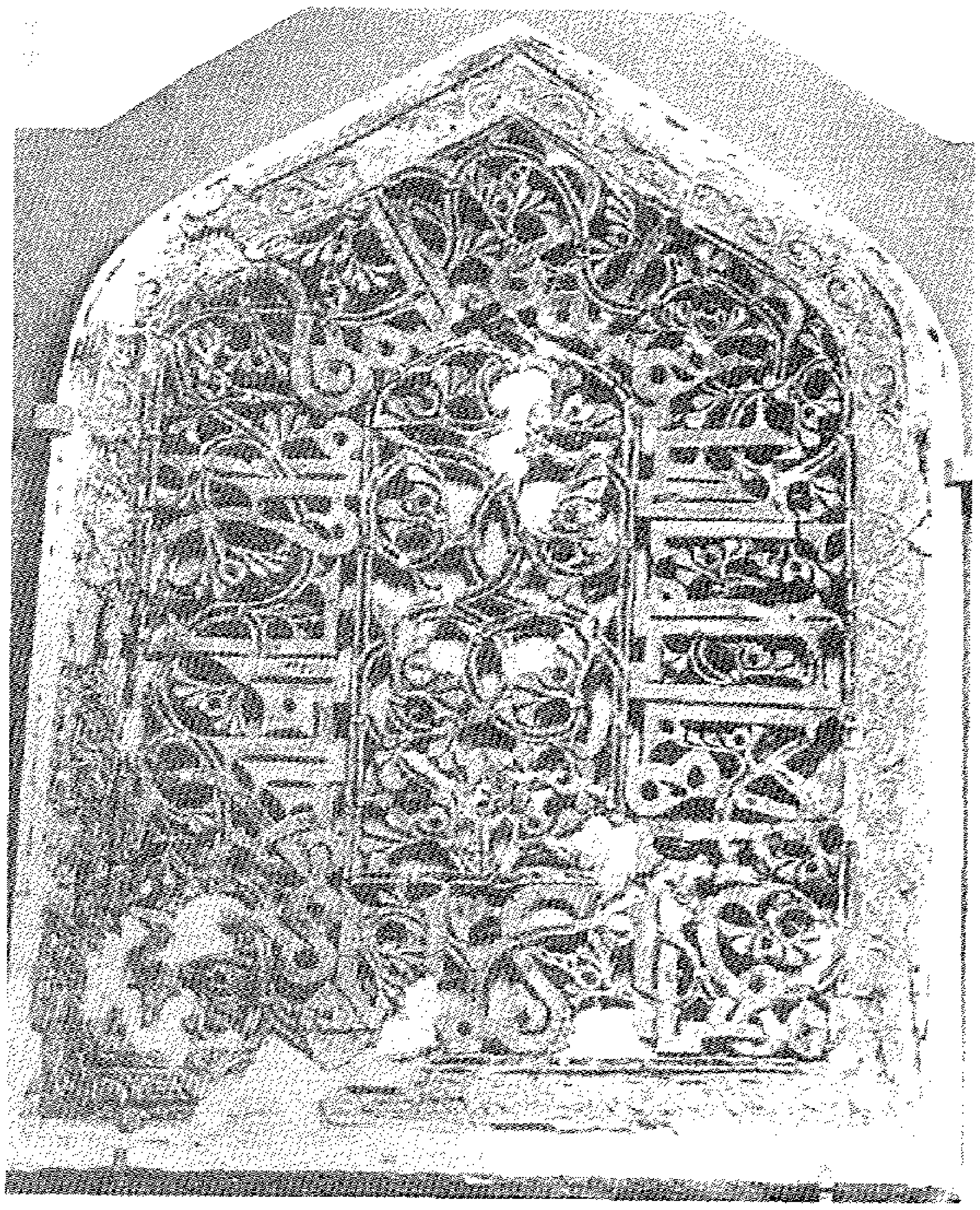

أ - نافذة ذات زخارف مفرغة
(محفوظة حالياً بمتحف الفن الإسلامي) .

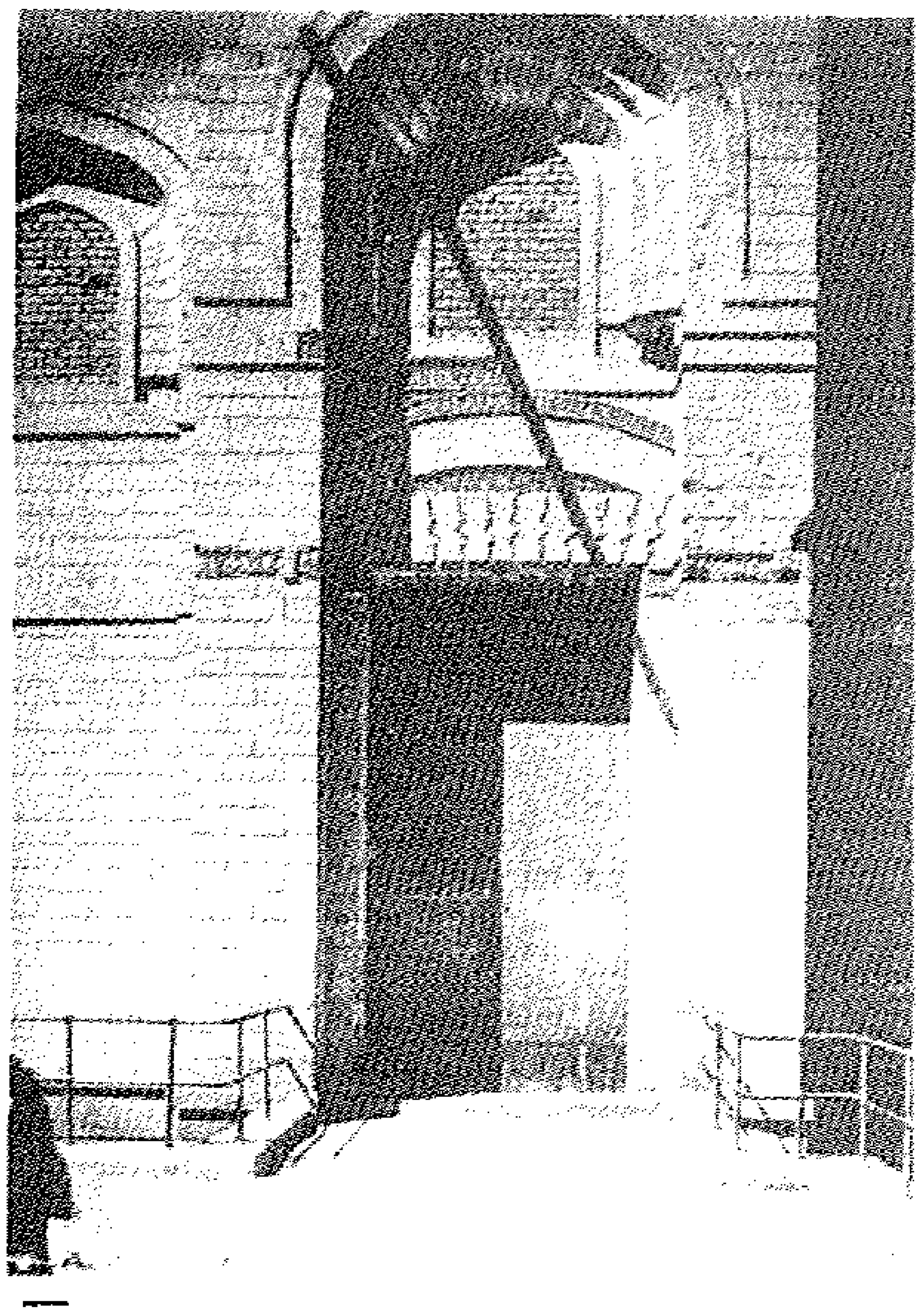

ب - المدخل الشمالي الشرقي .

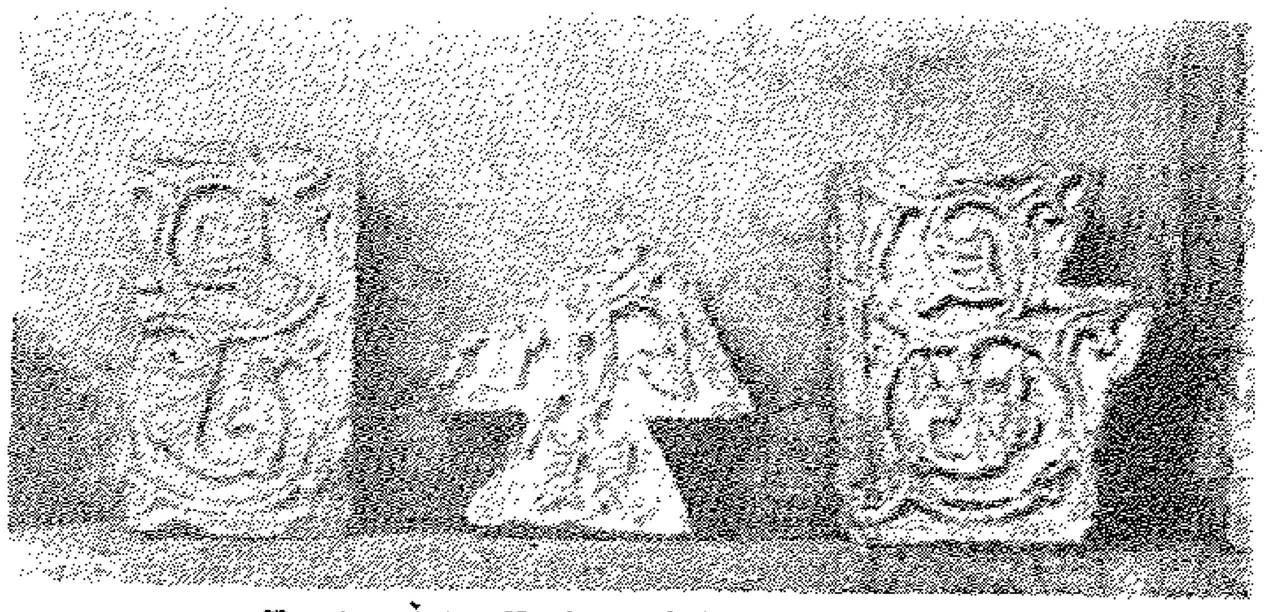

جـ - بقايا الشرافات الأصلية .

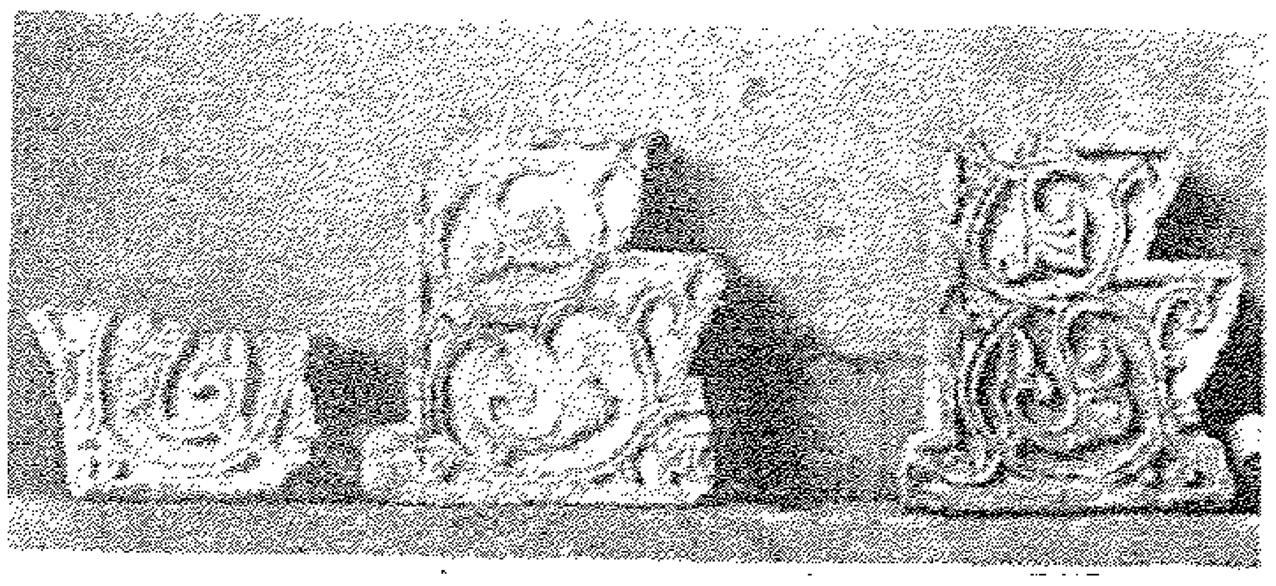

د - بقايا الشرافات الأصلية .

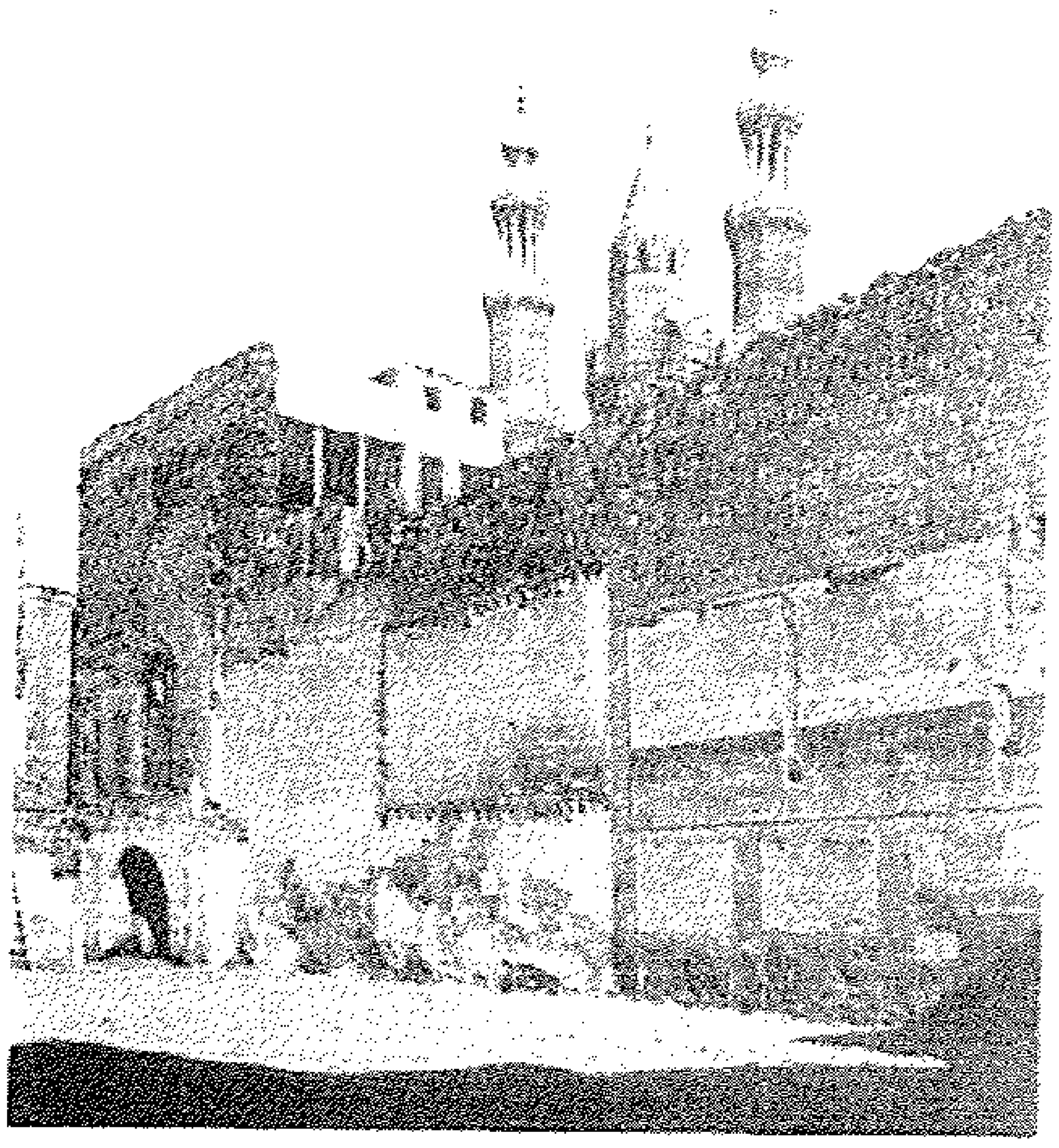

هـ - الواجهة الجنوبية الغربية
بعد إزالة الأتربة الملاصقة .

(لوحة رقم ١٠٠) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

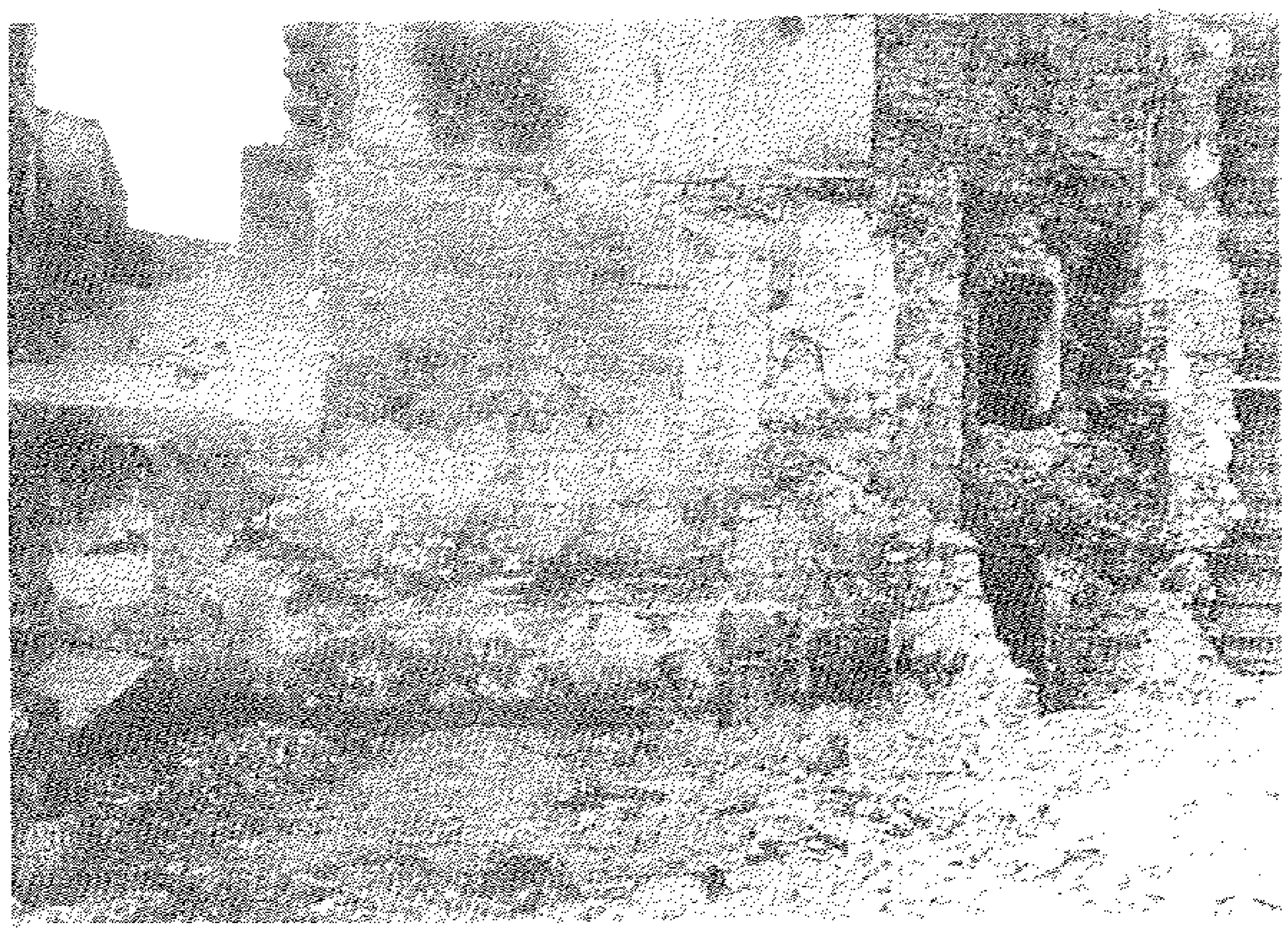

أ - الواجهة الشمالية الشرقية .
أقصى الشمال ، بعد الهدم .

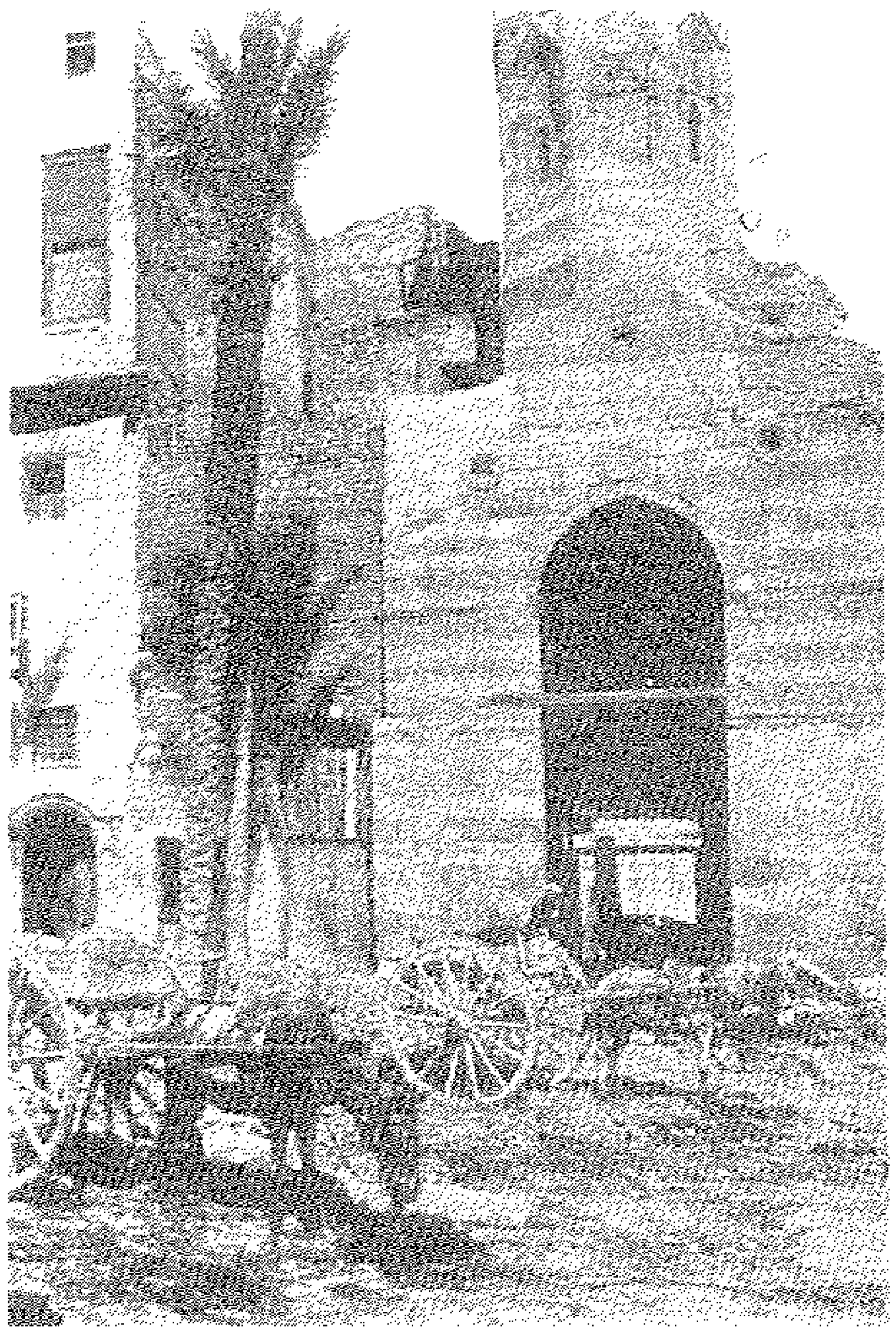

ب - المدخل الرئيسي
من الداخل قبل إعادة البناء .

جـ - المدخل الشمالي الغربي
(الرئيسي) من الخارج .

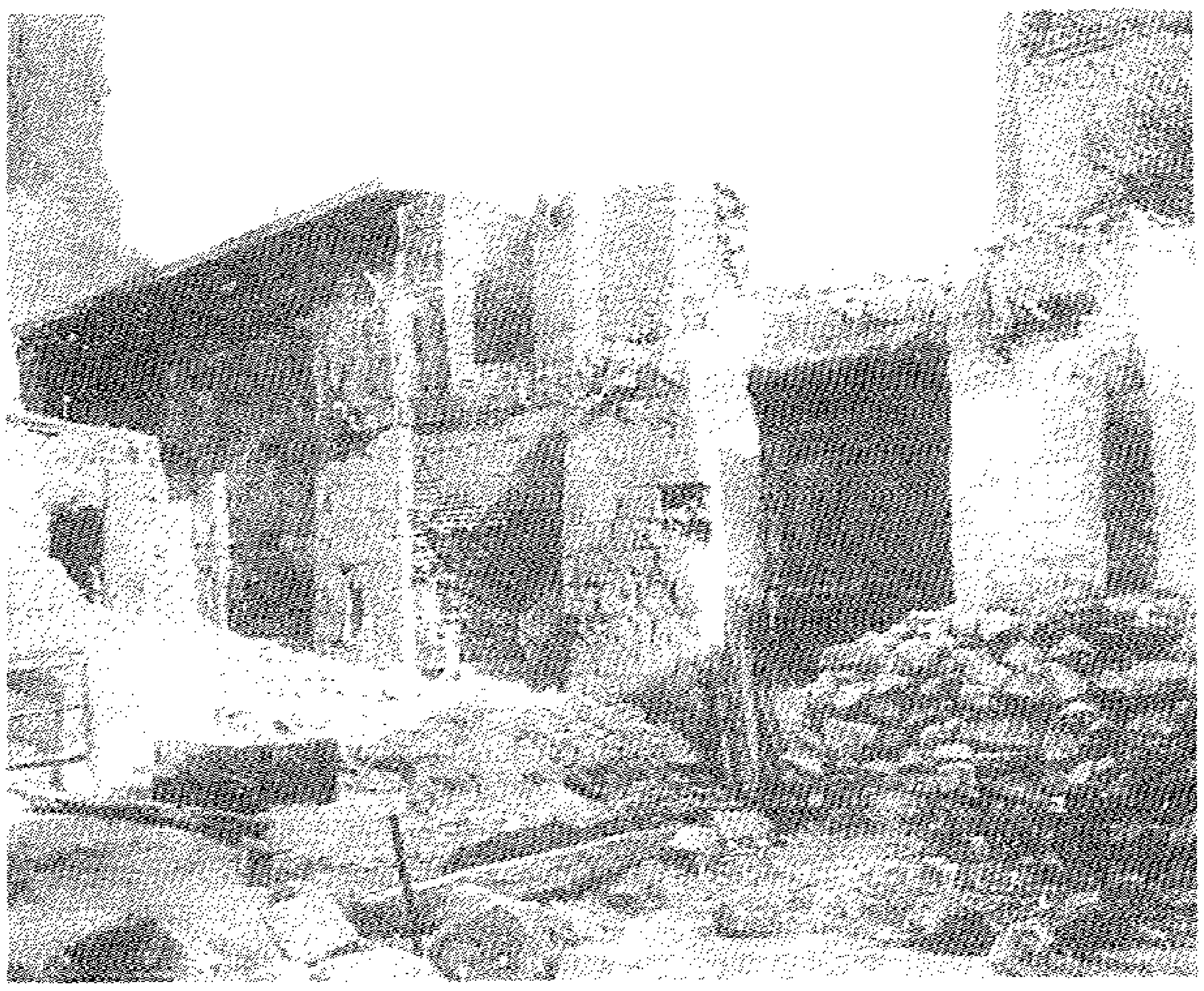

د - المدخل الشمالي الشرقي
من الداخل .

(لوحة رقم ١٠١) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

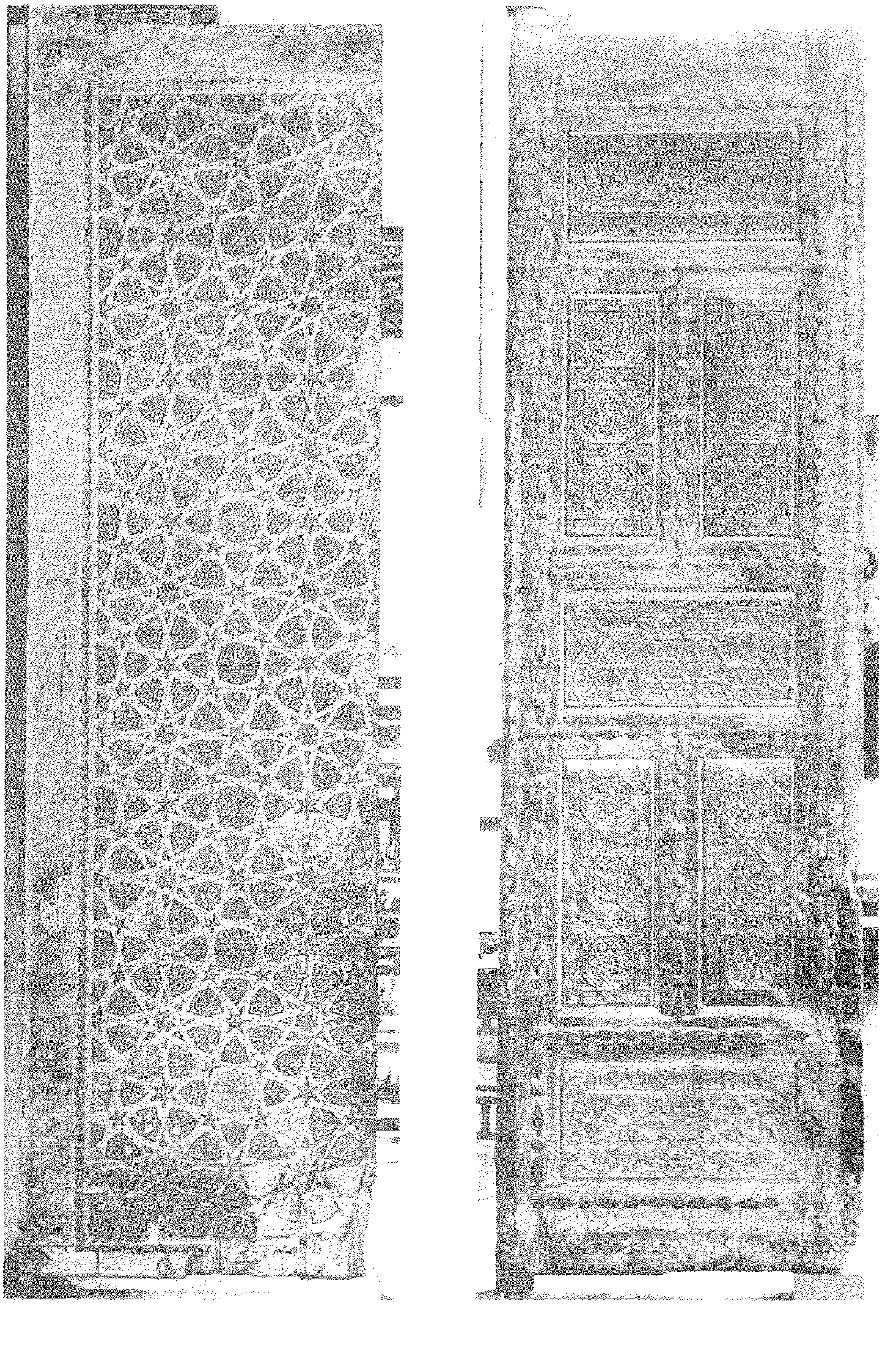

(لوحة رقم ١٠٢) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م . باب مصفح بالبرونز .

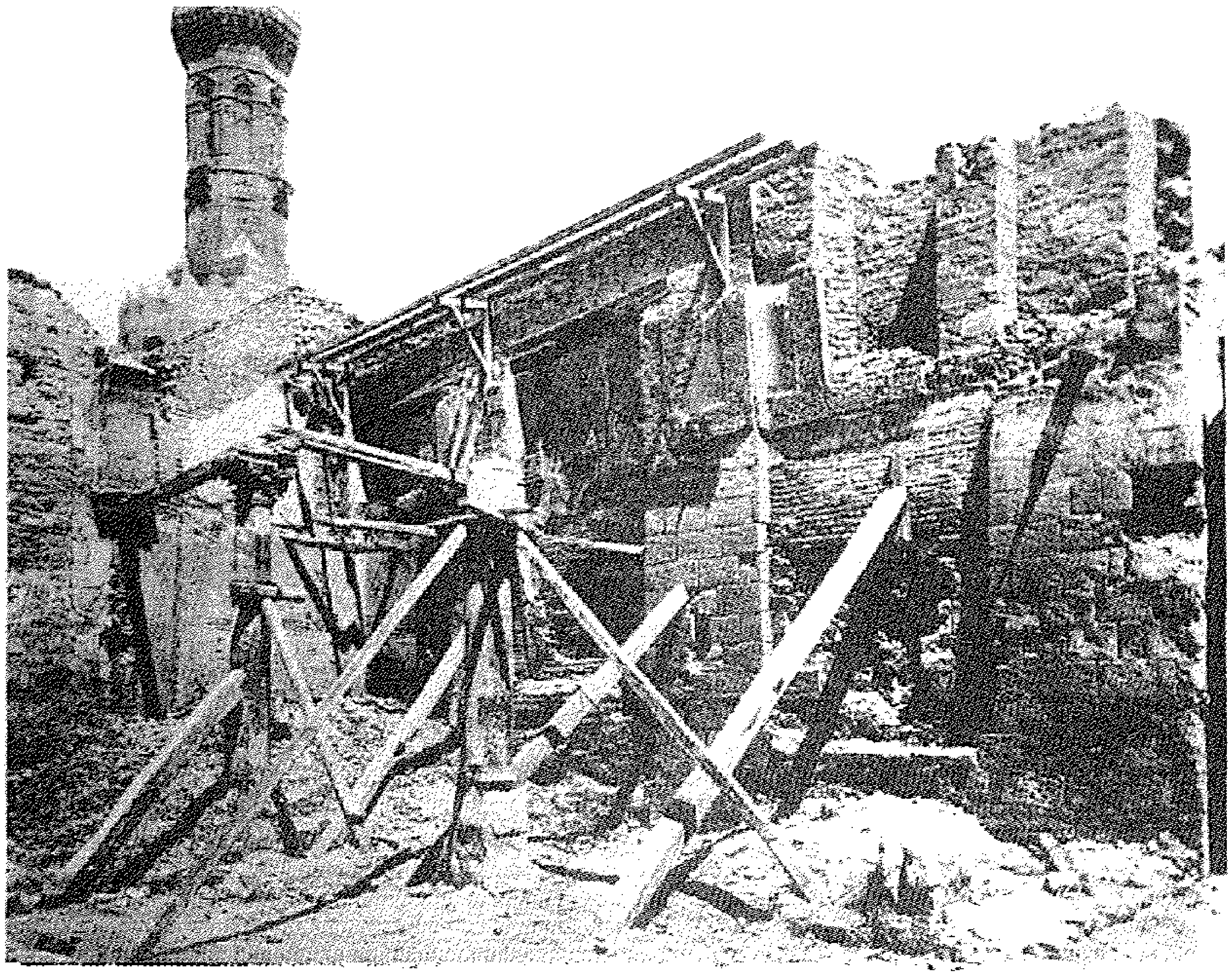

أ - الداخل : الركن الشمالي أثناء الترميم .

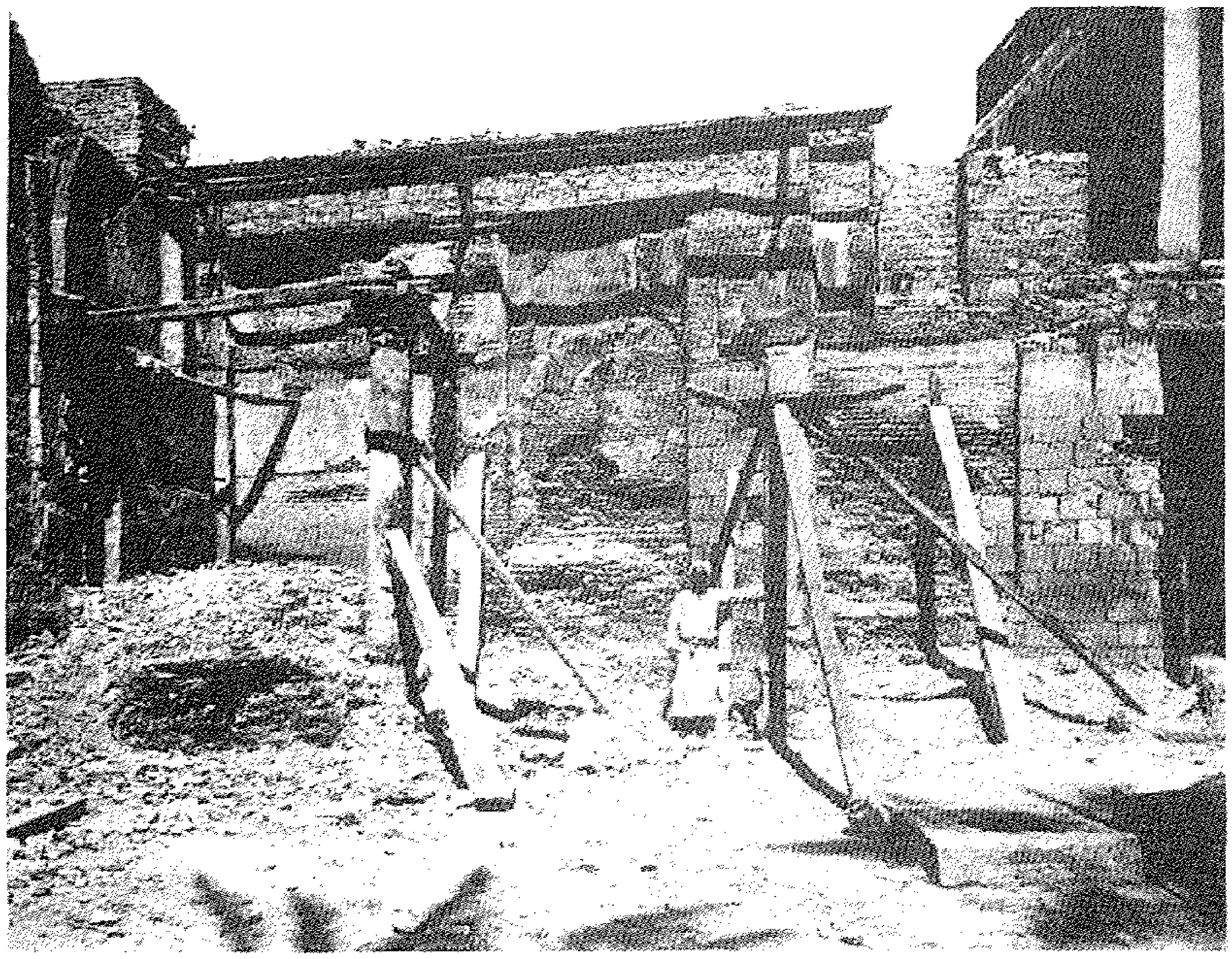

ب - الداخل : الجانب الشمالي الشرقي أثناء الترميم .
المدخل الشمالي الشرقي في أقصى اليمين .

(لوحة رقم ١٠٣) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م

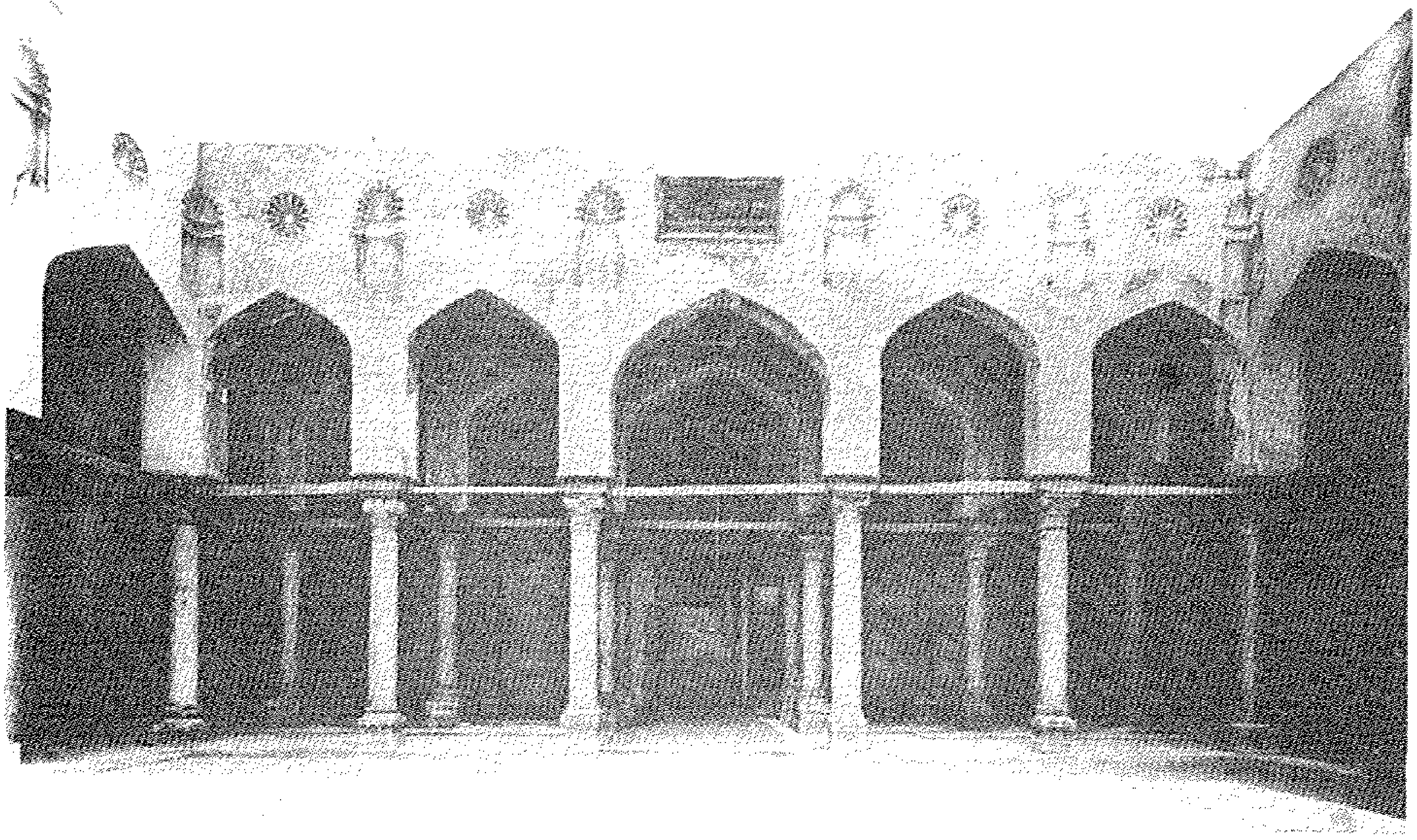

أ - واجهة الحرم (مقدم الجامع) .

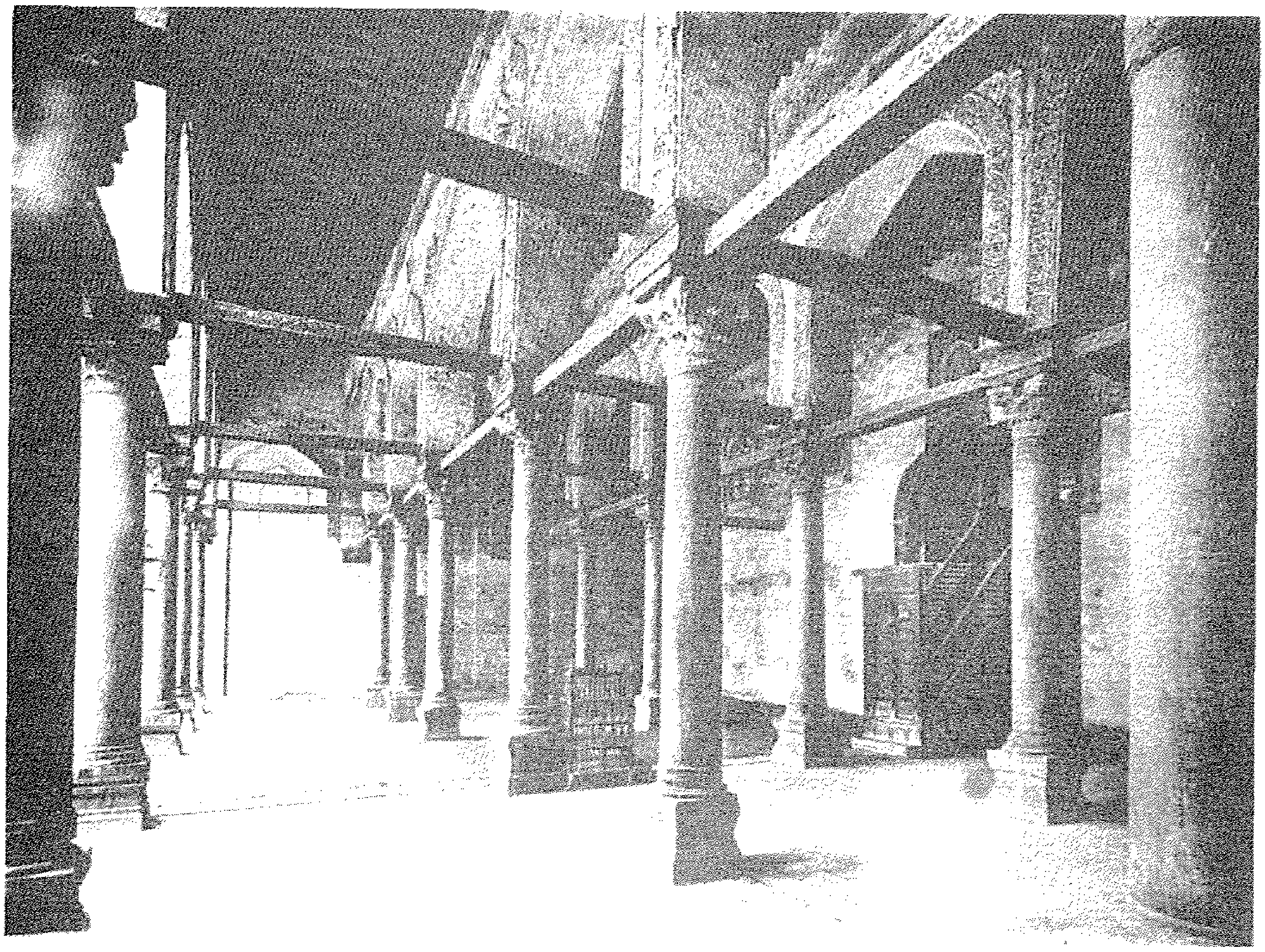

ب - داخل الحرم .

(لوحة رقم ١٠٤) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

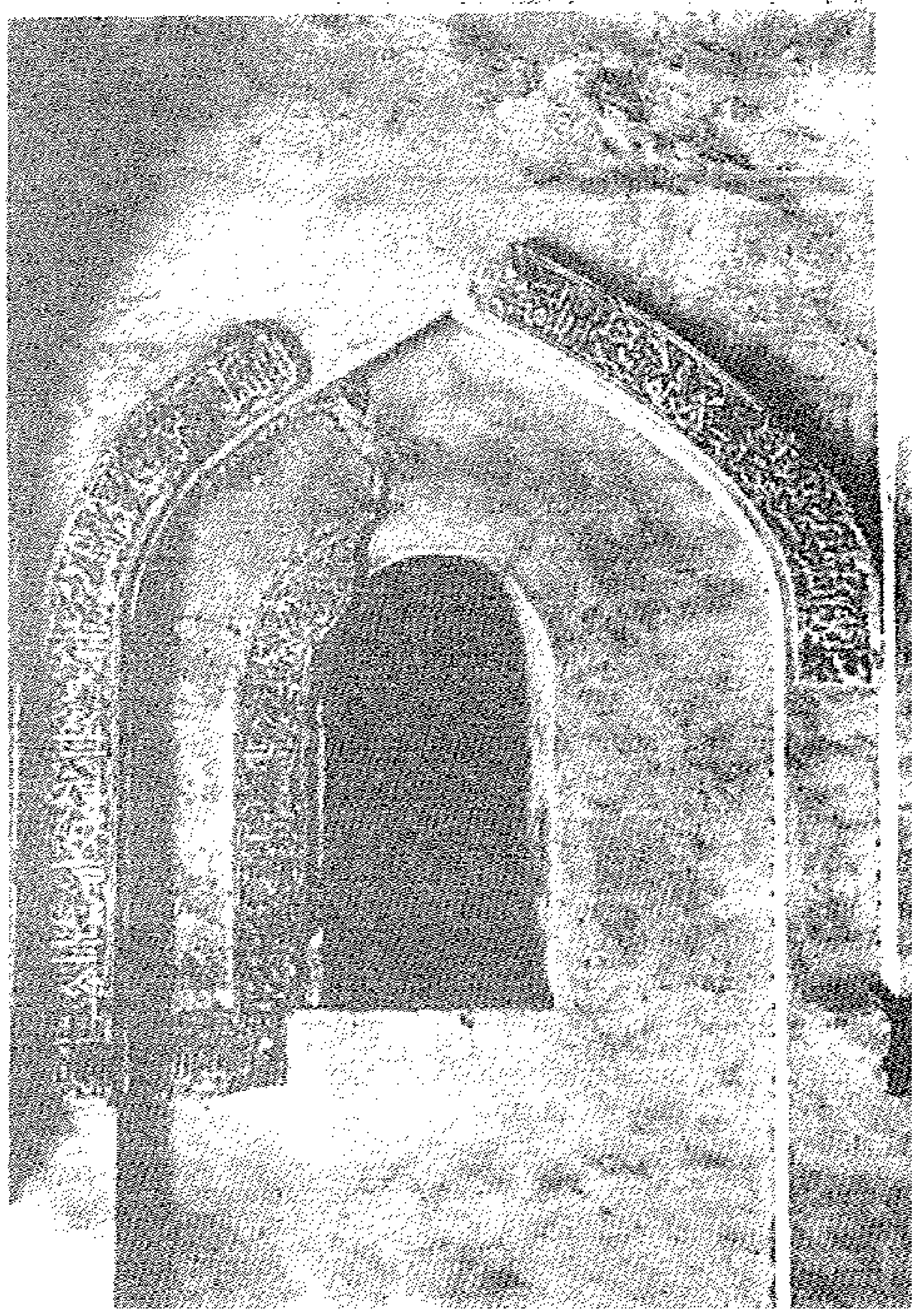

أ - نافذة في الرواق الثاني للحرم .

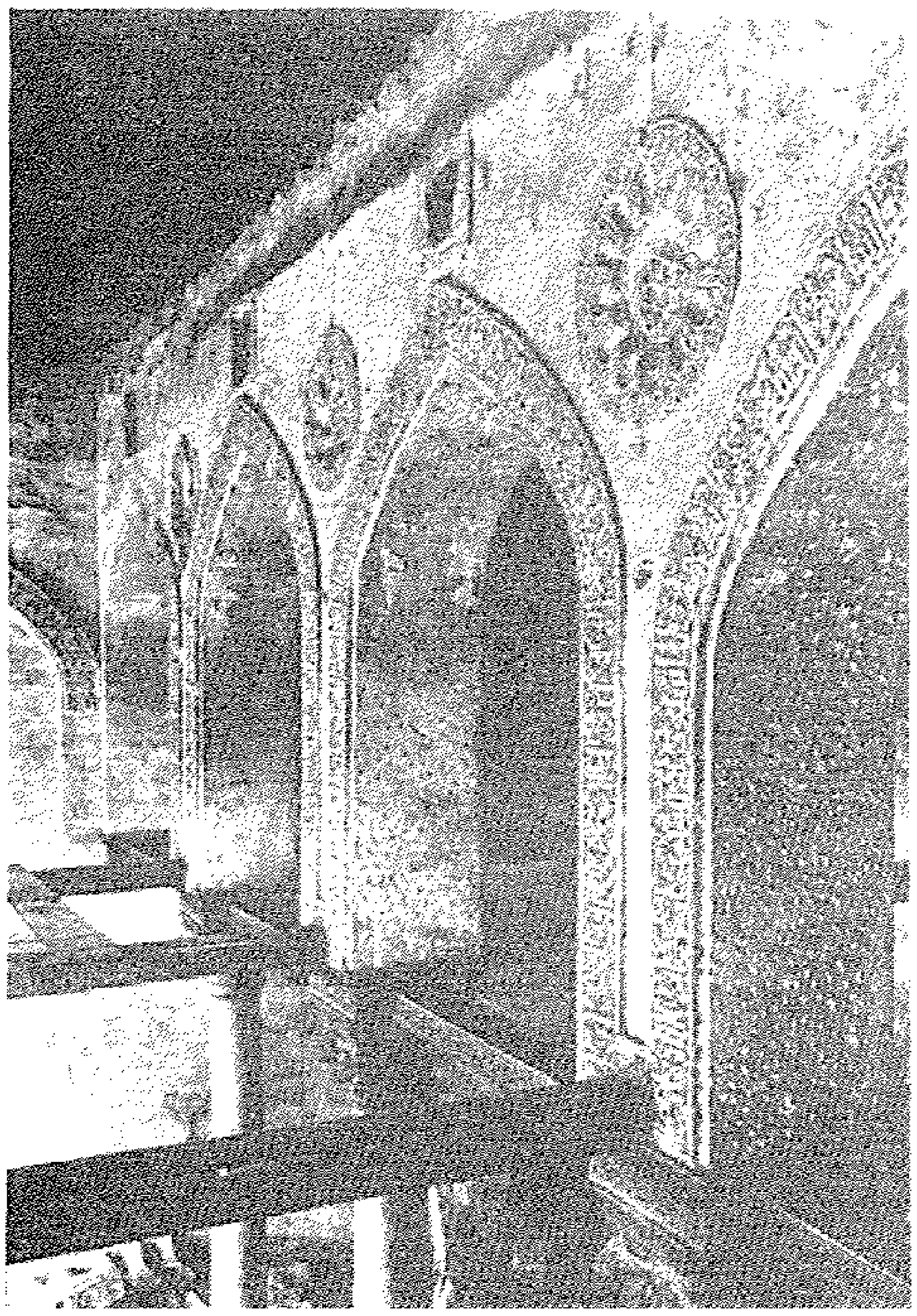

ب - زخرفة البائكة الثالثة في الحرم .

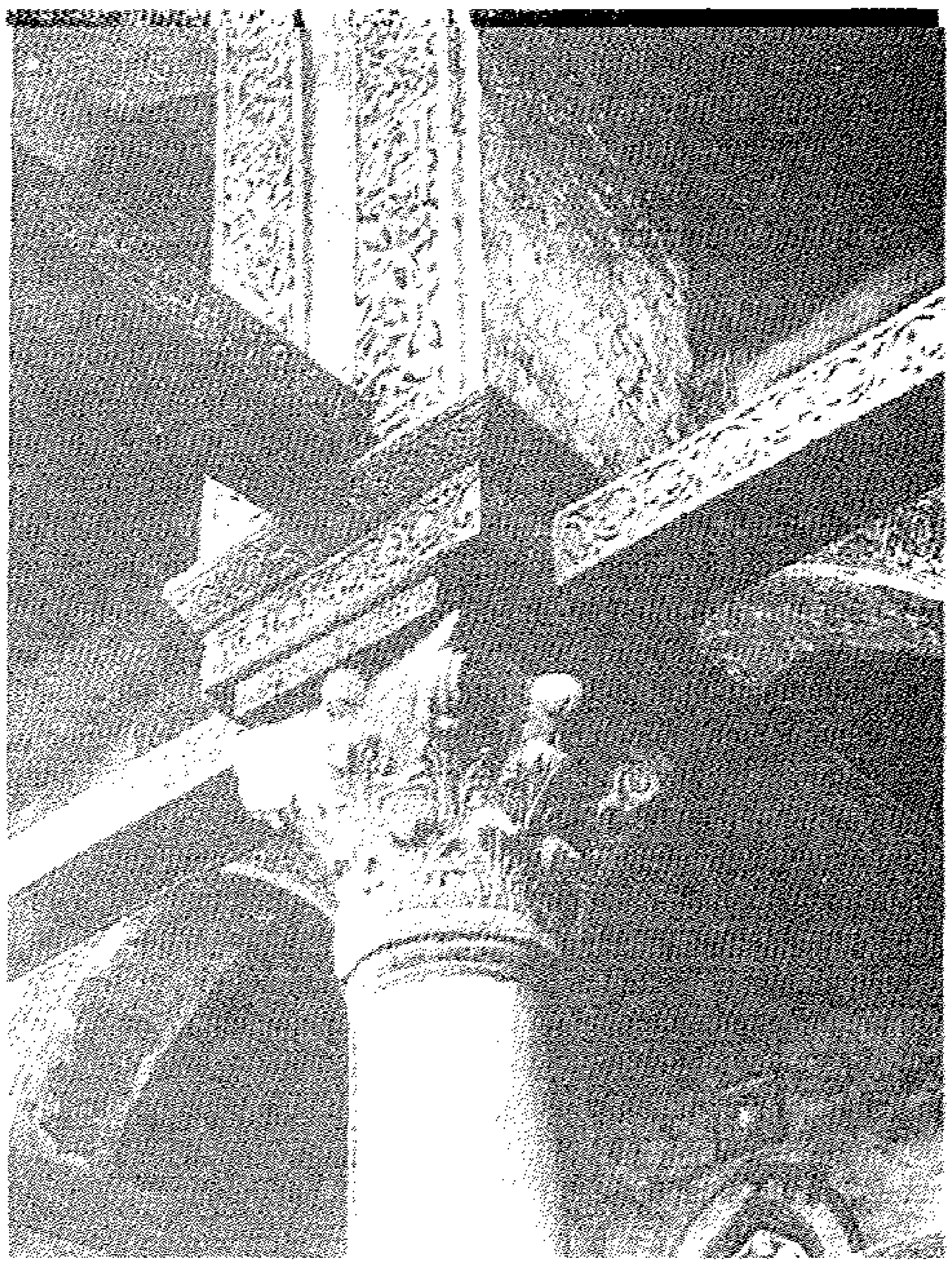

جـ - وضع العقود .
ويشاهد طبلية خشبية وأربطة خشبية .

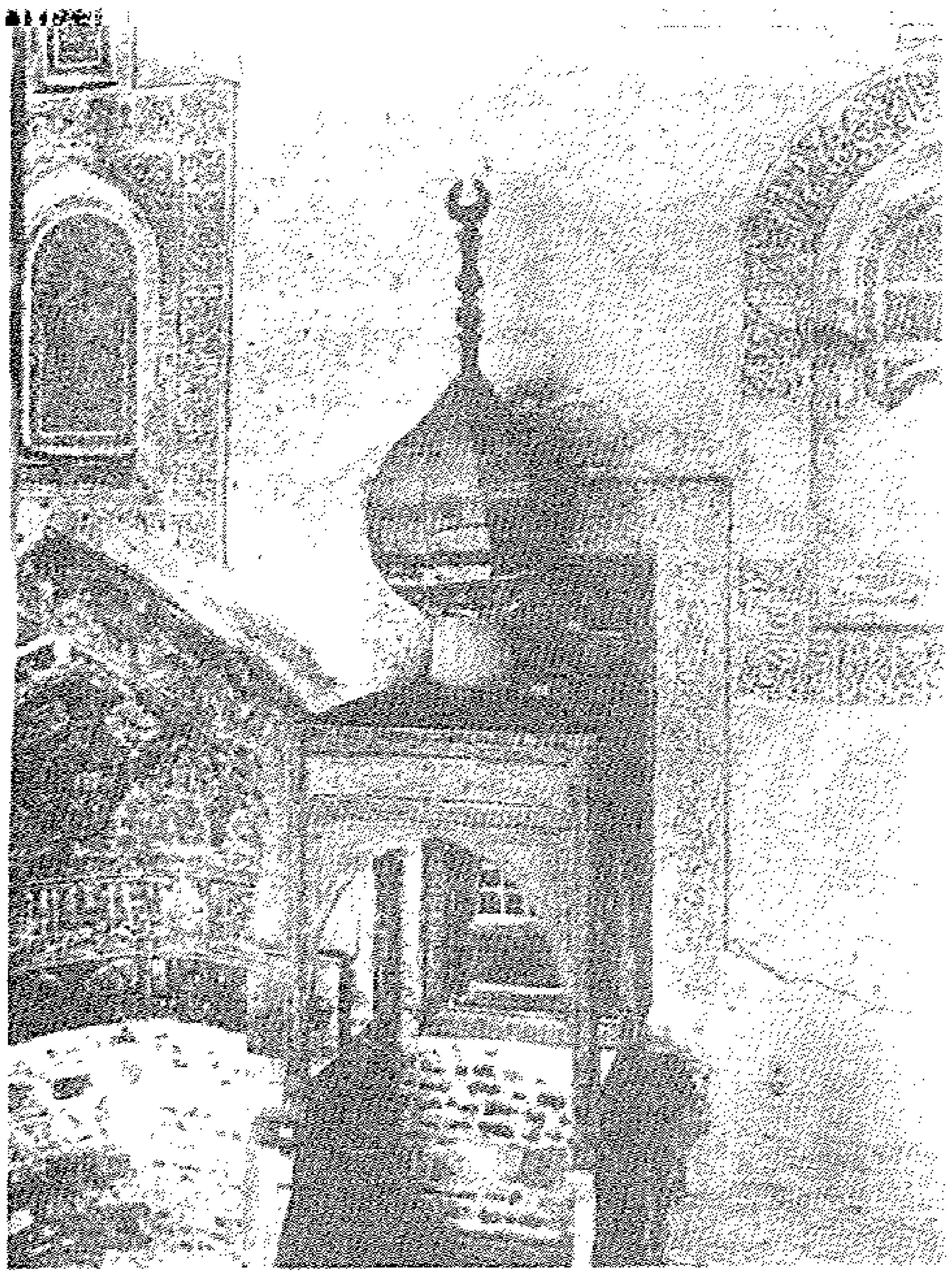

د - فتحة الملقف (الباذاهنج)
خلف المنبر .

(لوحة رقم ١٠٥) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

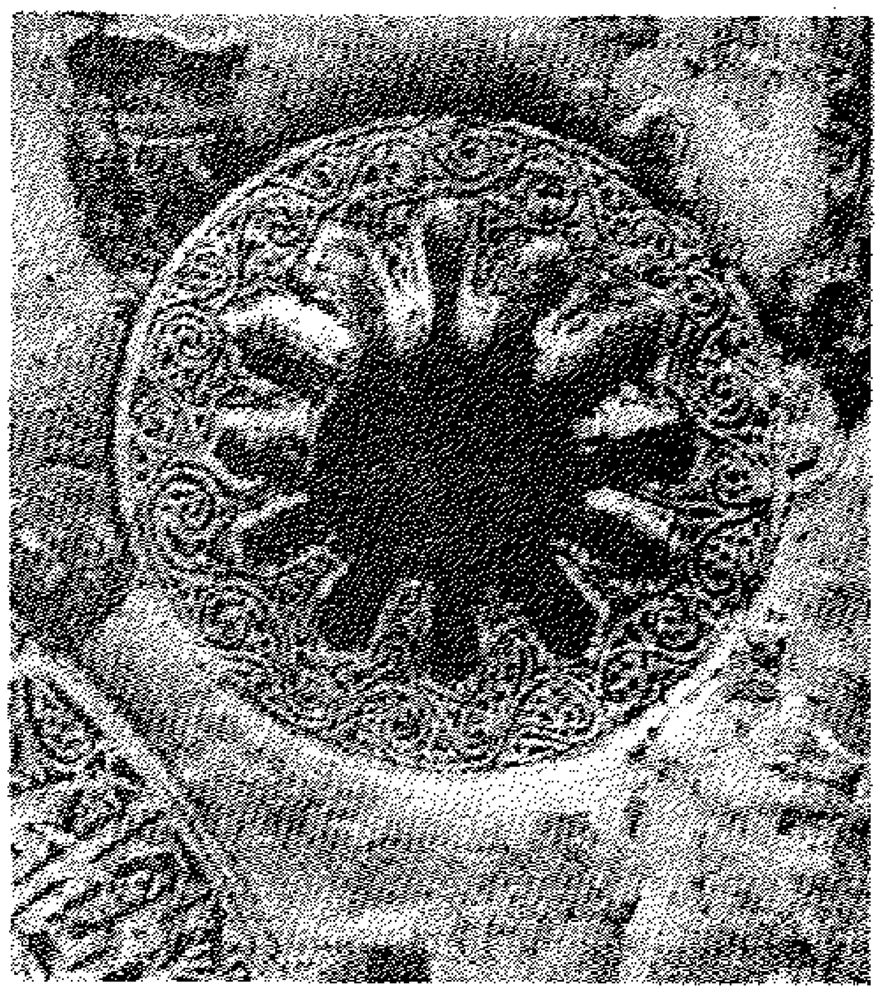

أ ١

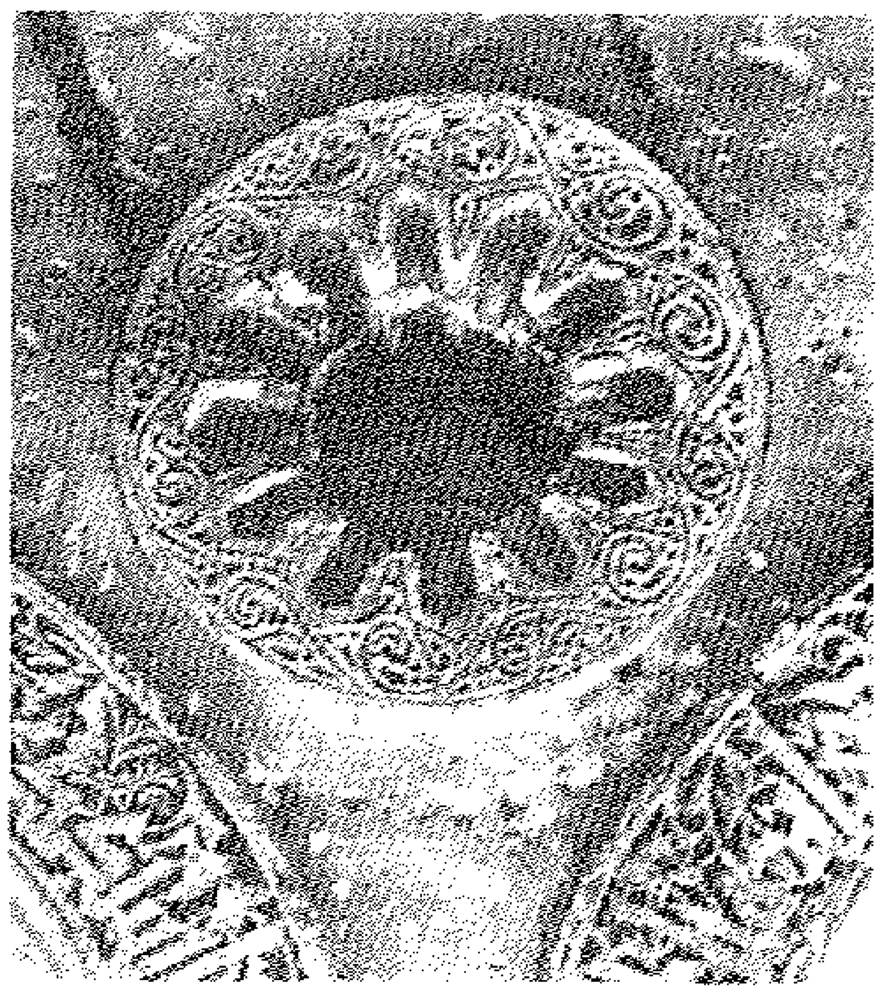

أ ٢

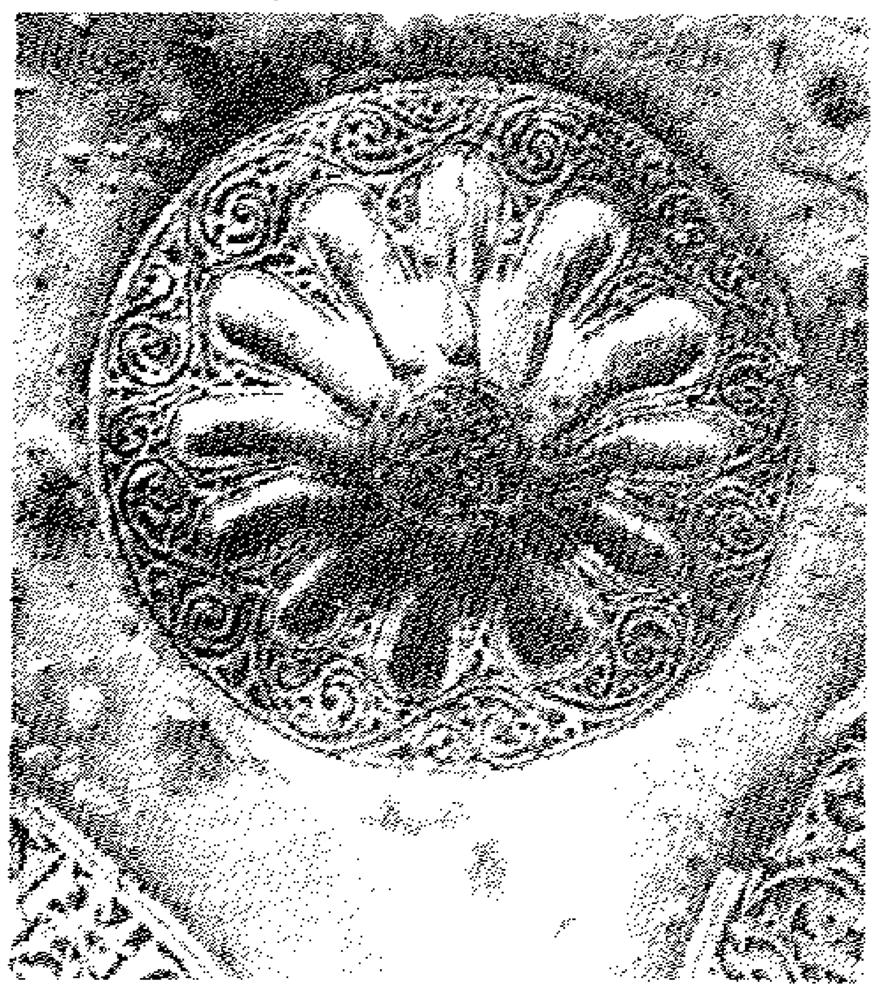

أ ٣

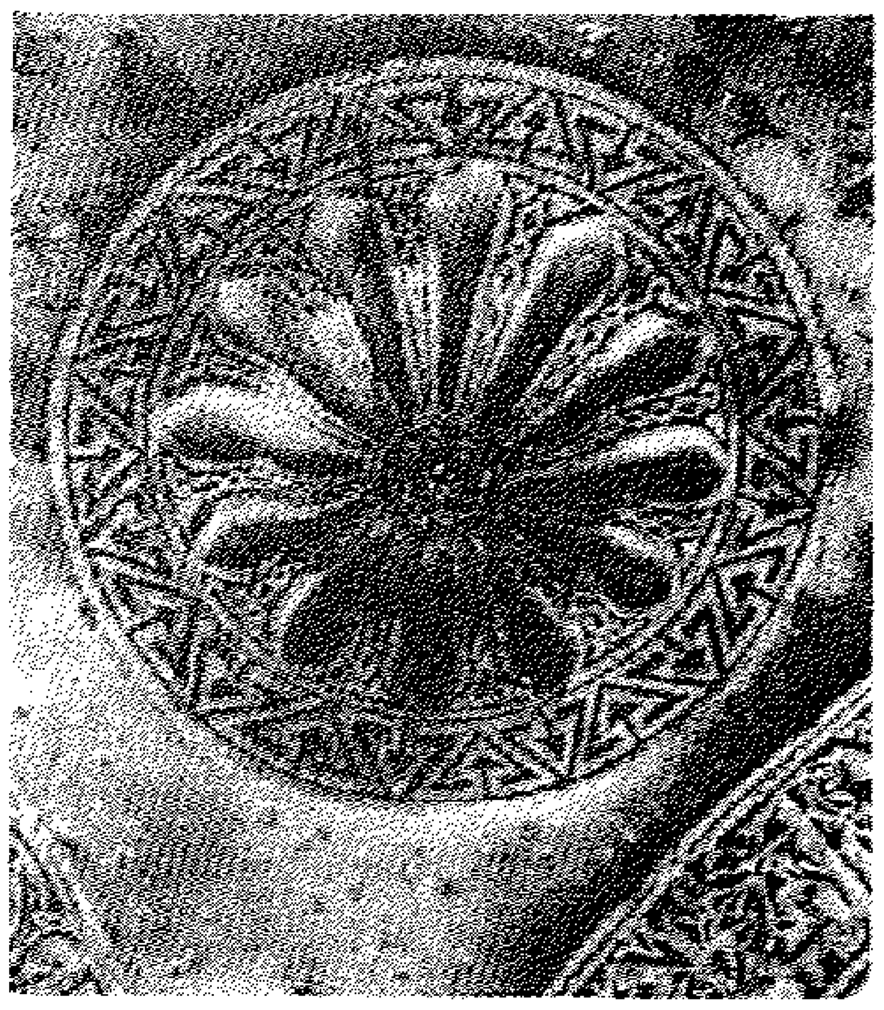

أ ٤

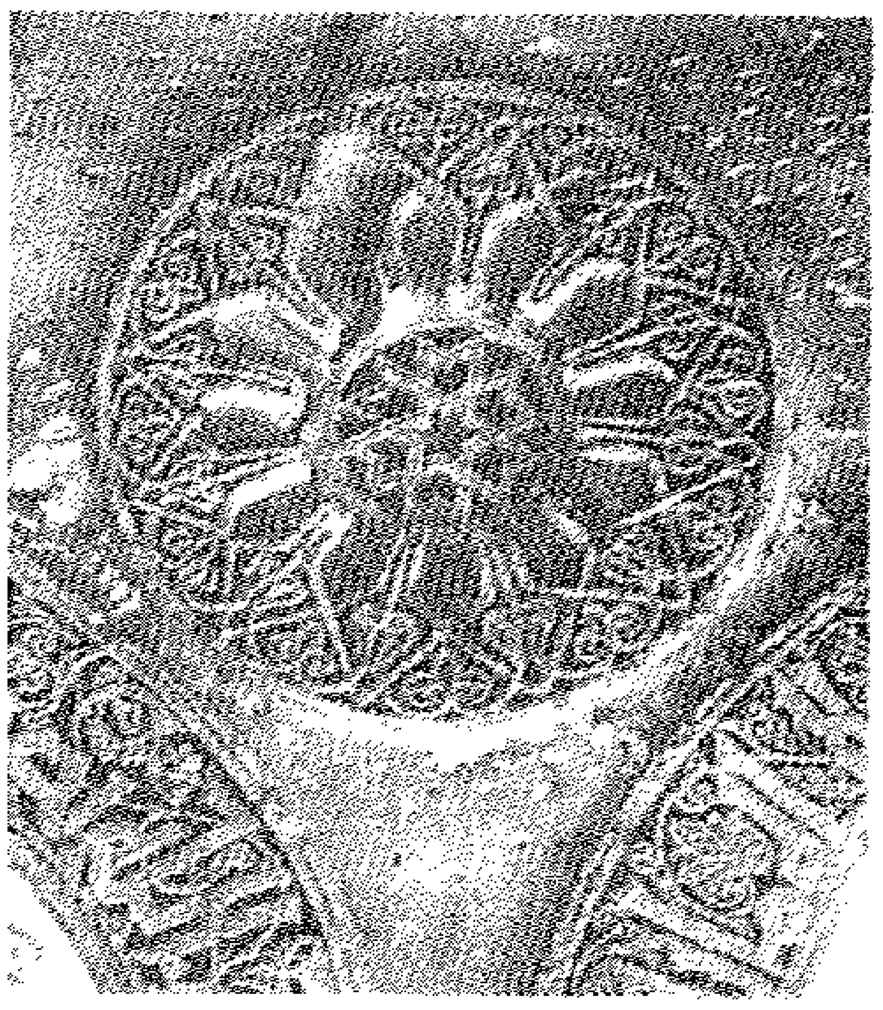

أ ٥

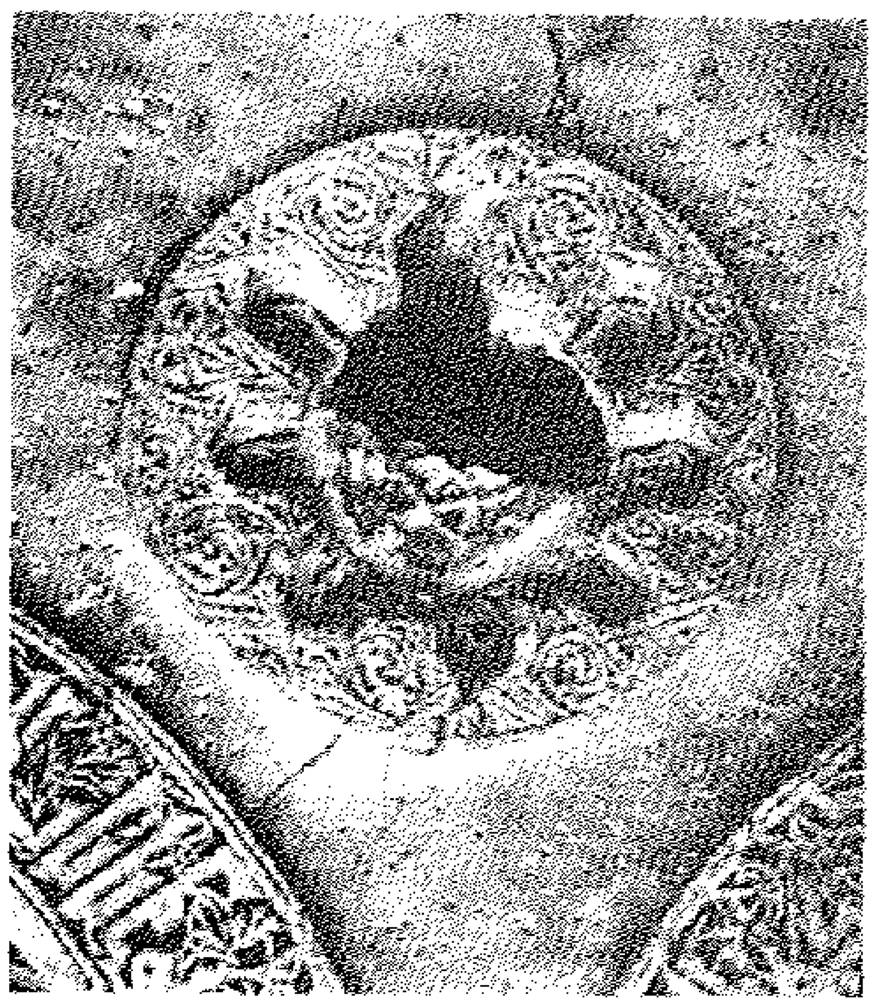

ب ٢

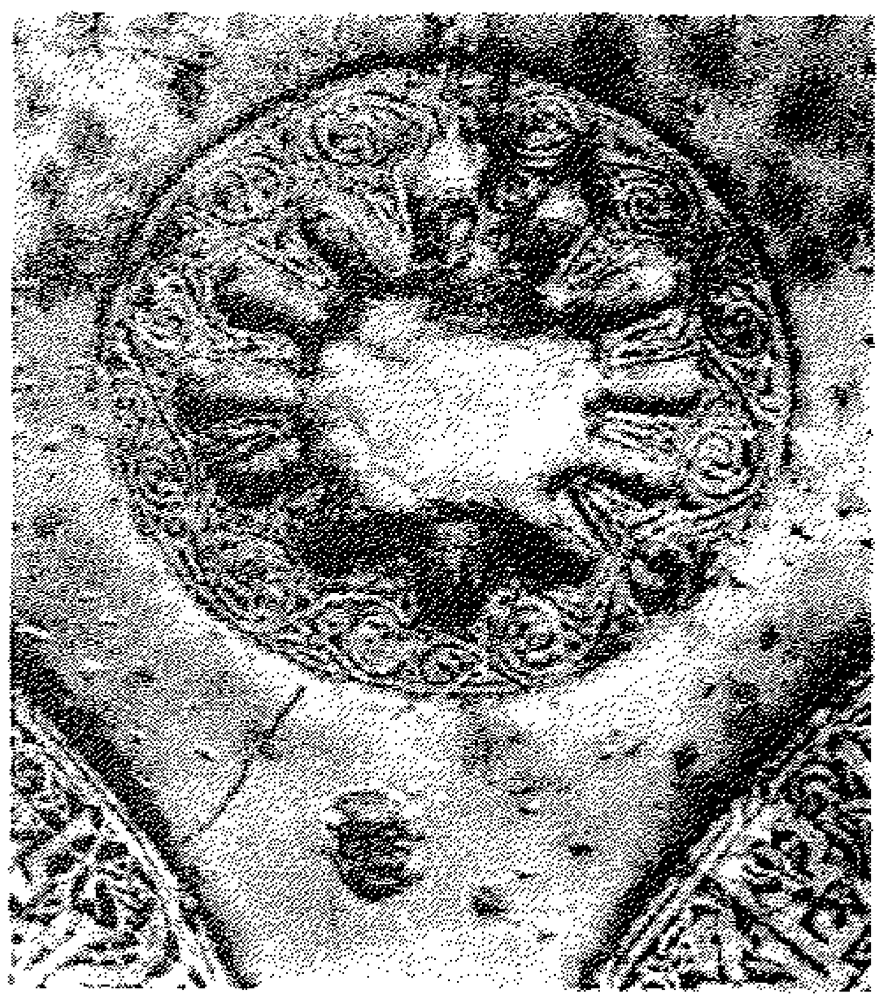

ب ٣

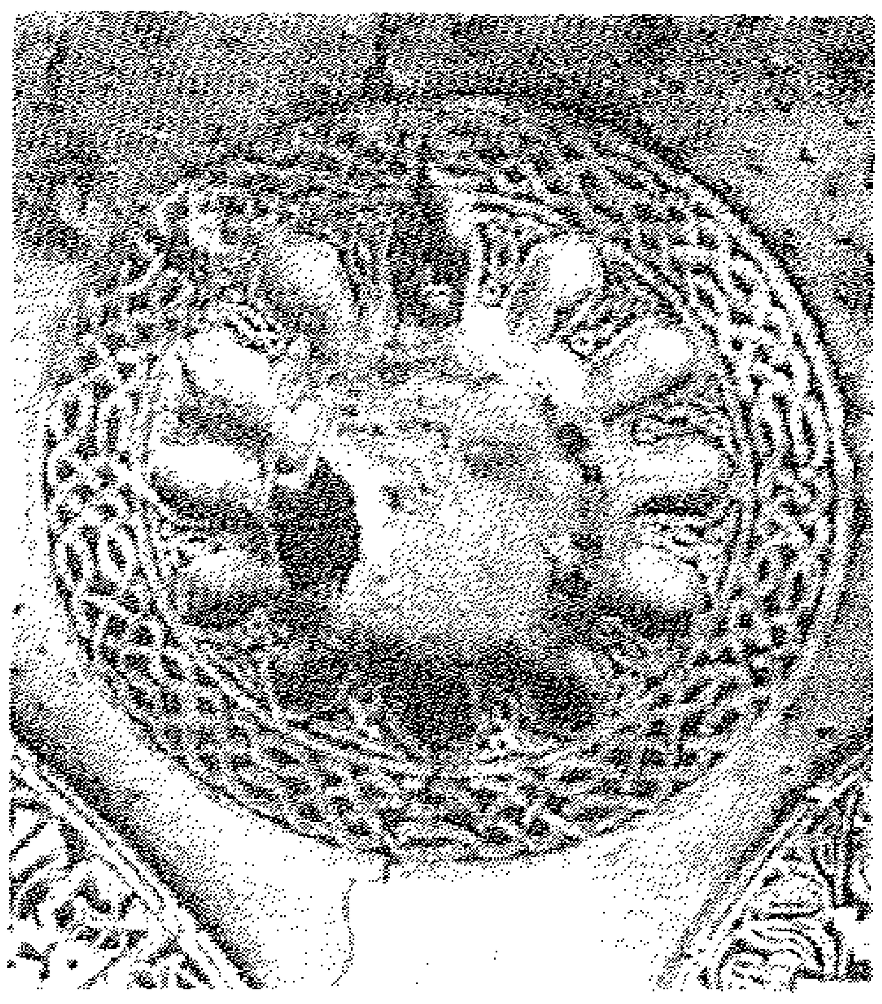

ب ٤

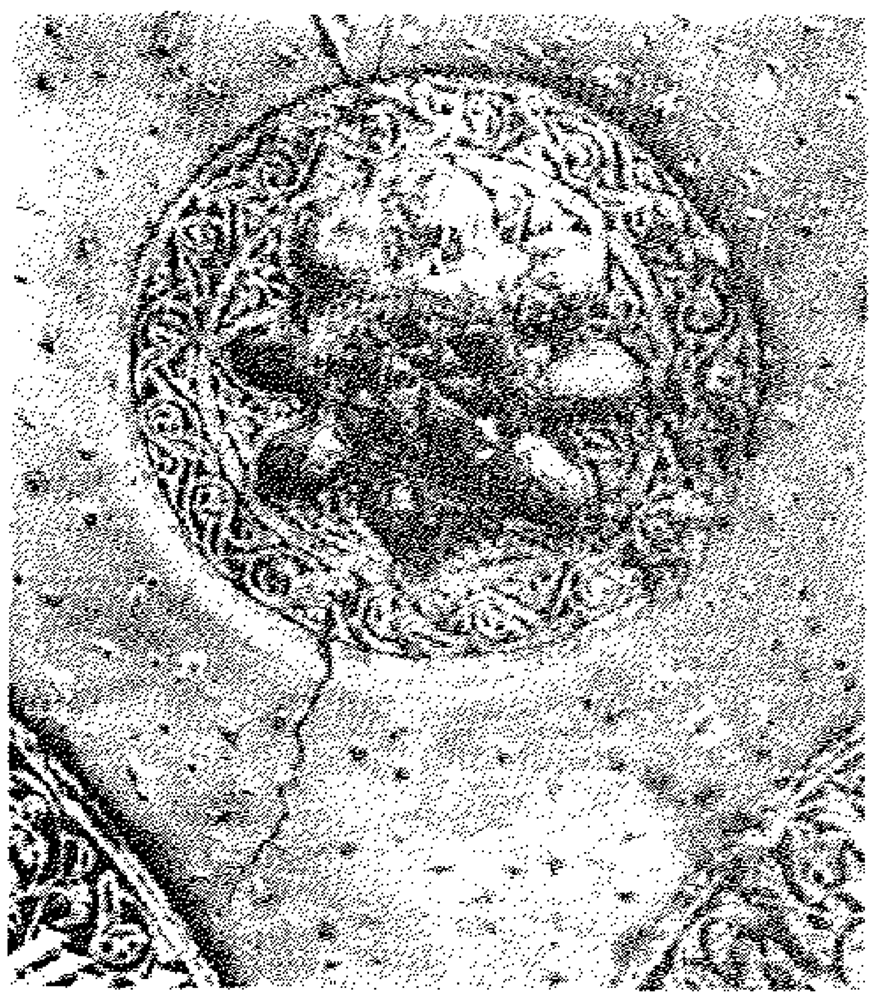

ب ٥

(لوحة رقم ١٠٦) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م زخرفة كوشات العقود في الحرم .
أ - ١ . ٢ . ٣ . ٤ . ٥ .
ب - ٢ . ٣ . ٤ . ٥ .

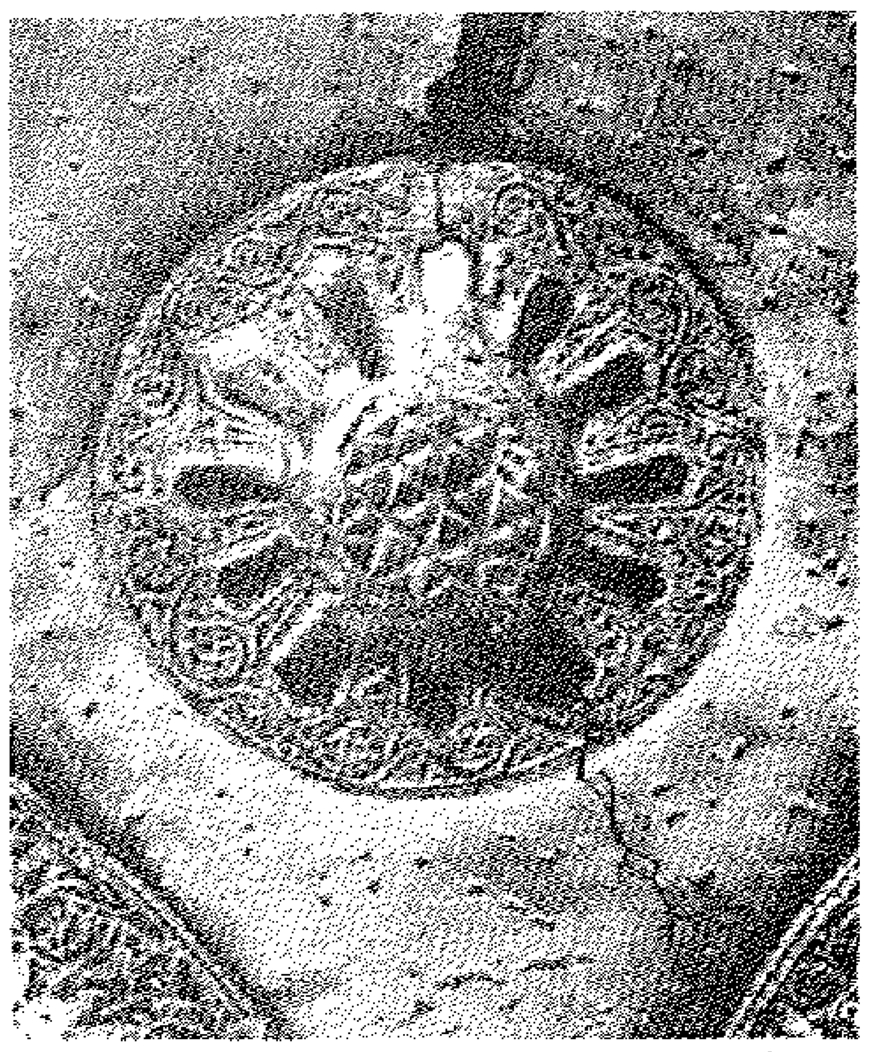

جـ ٢

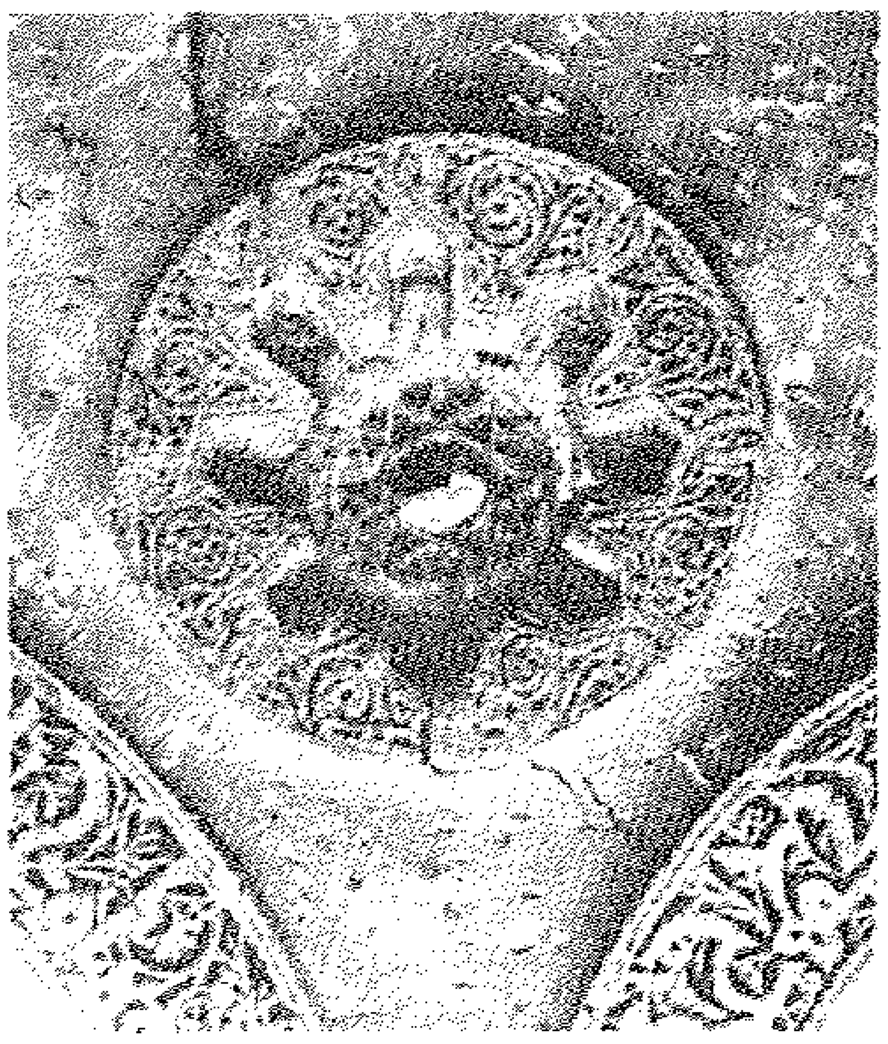

جـ ٣

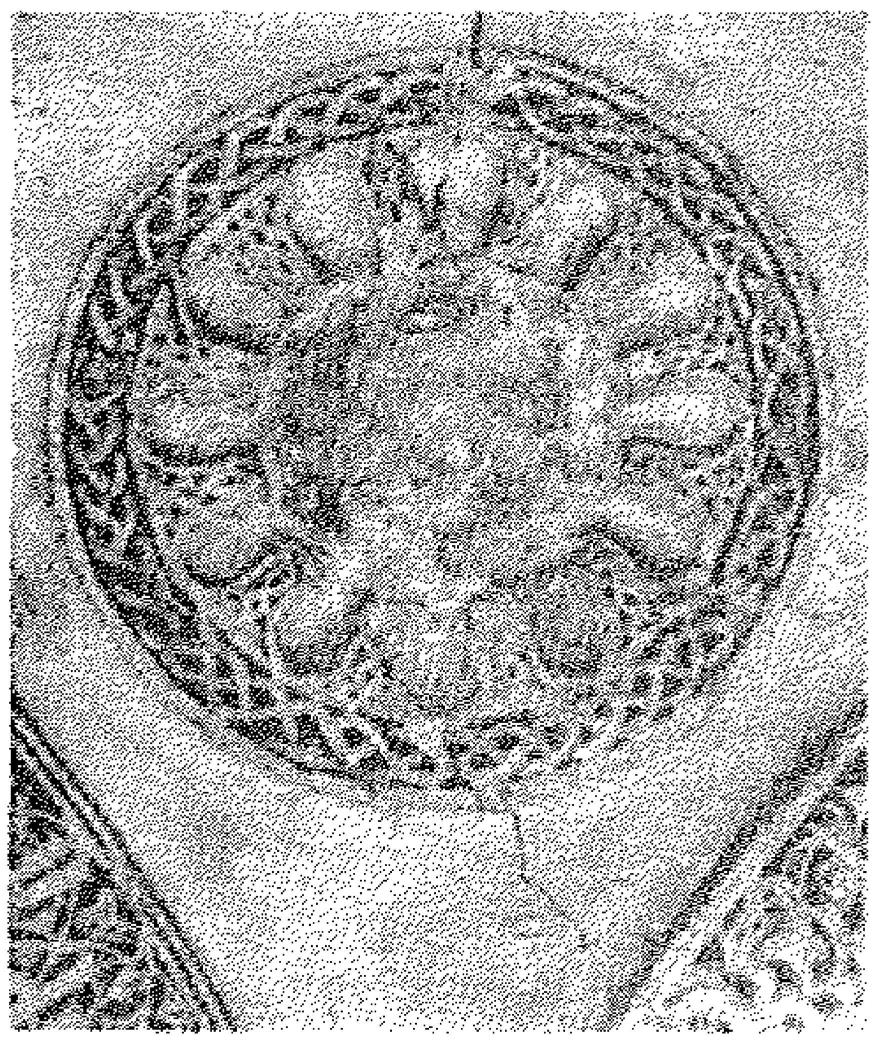

جـ ٤

جـ ٥

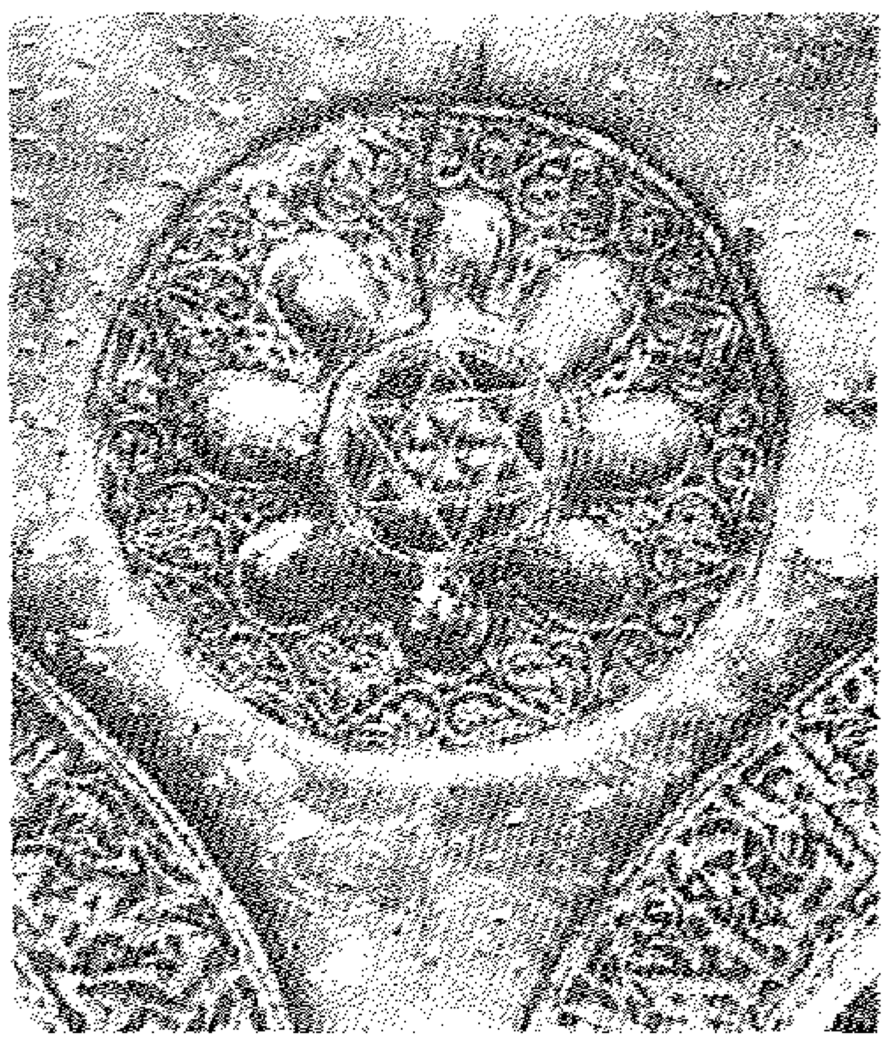

د ٢

د ٣

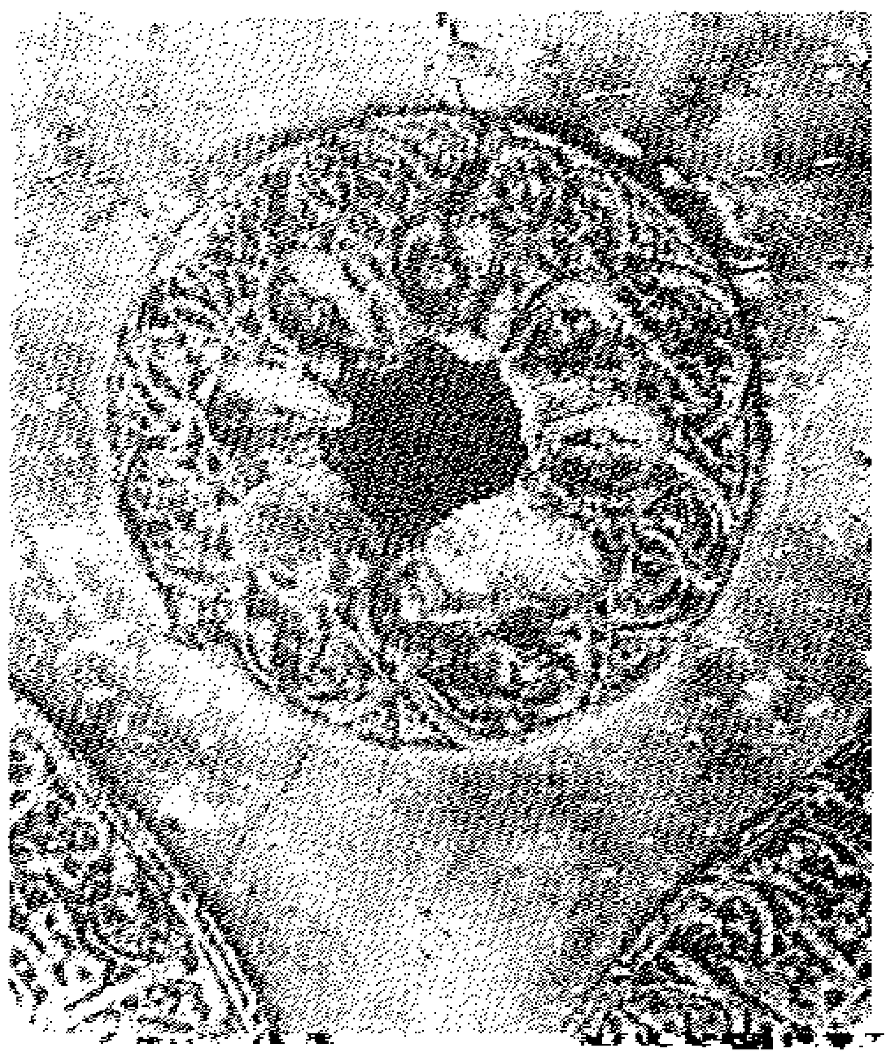

د ٥

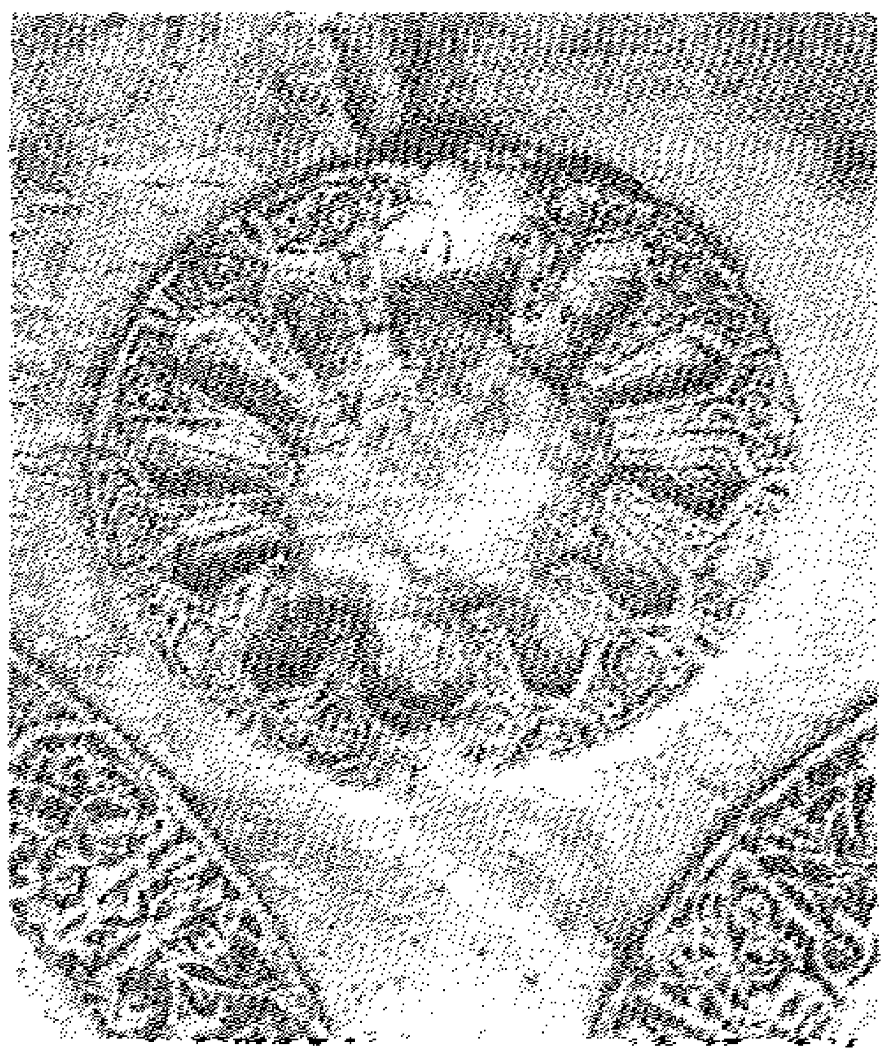

هـ ١

هـ ٢

(لوحة رقم ١٠٧) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م زخرفة كوشات العقود في الحرم .

جـ - ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

د - ٢ ، ٣ ، ٥ .

هـ - ١ ، ٢ .

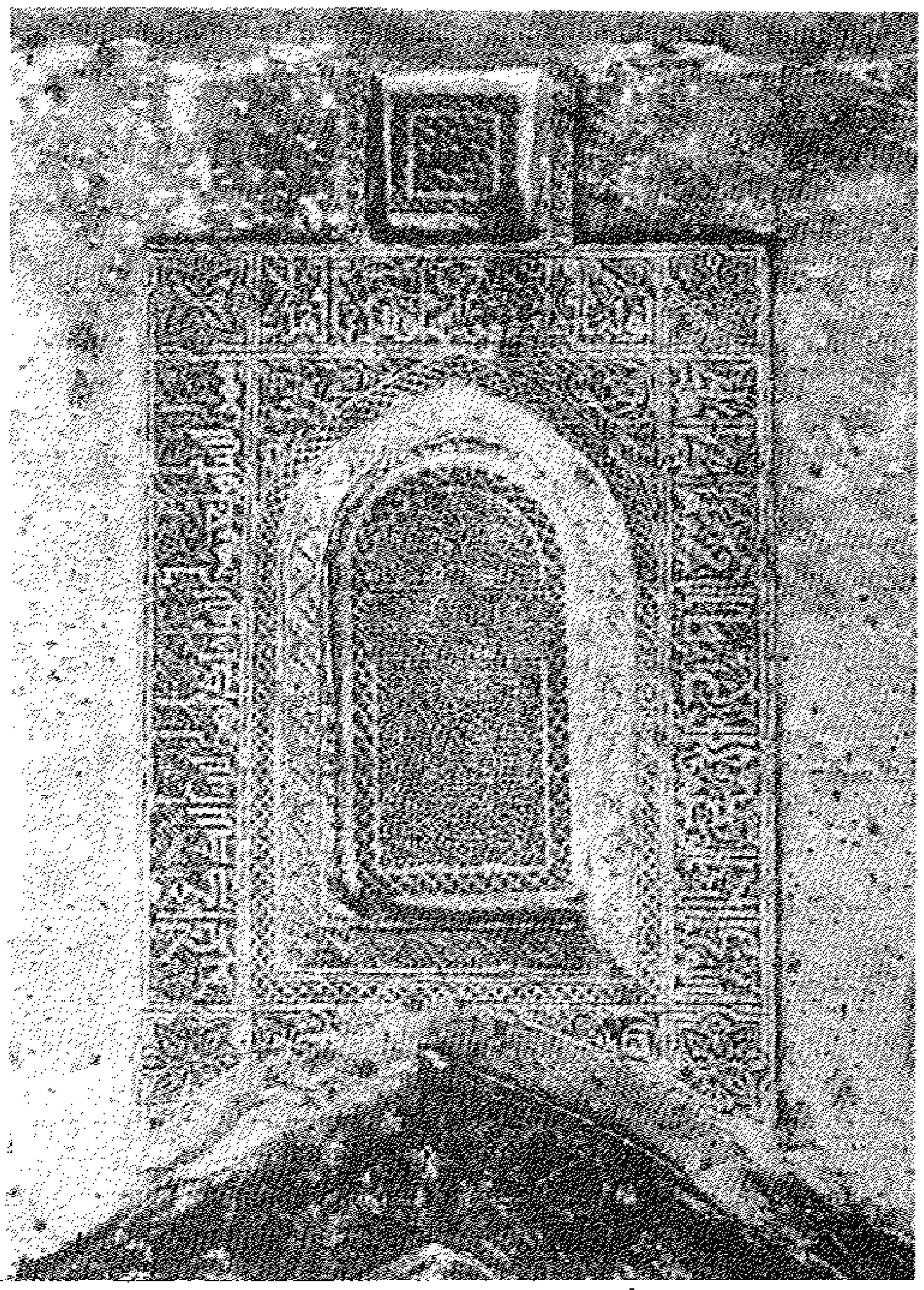

أ - نافذة فوق المحراب .

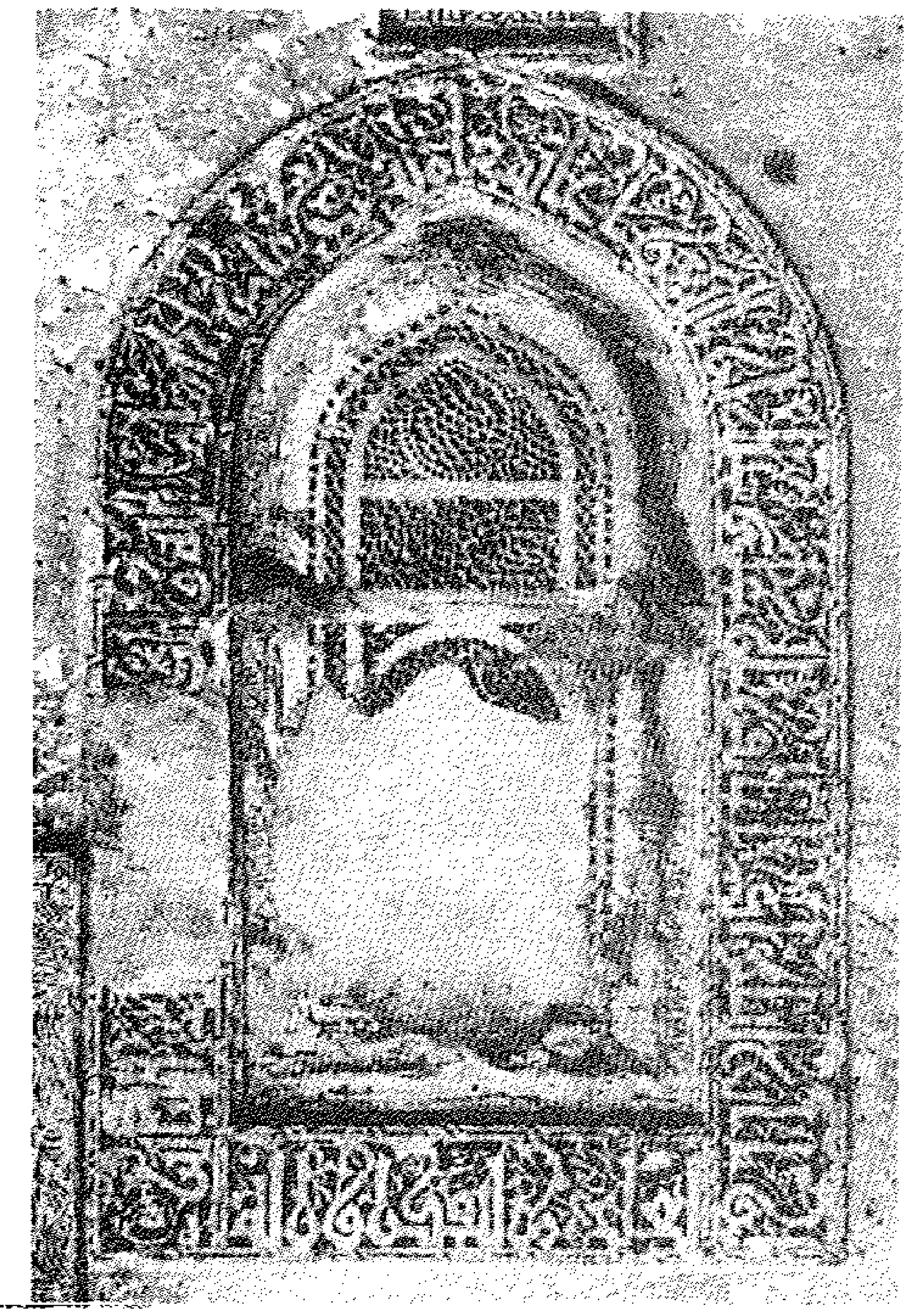

ب - النافذة الخامسة من اليسار .

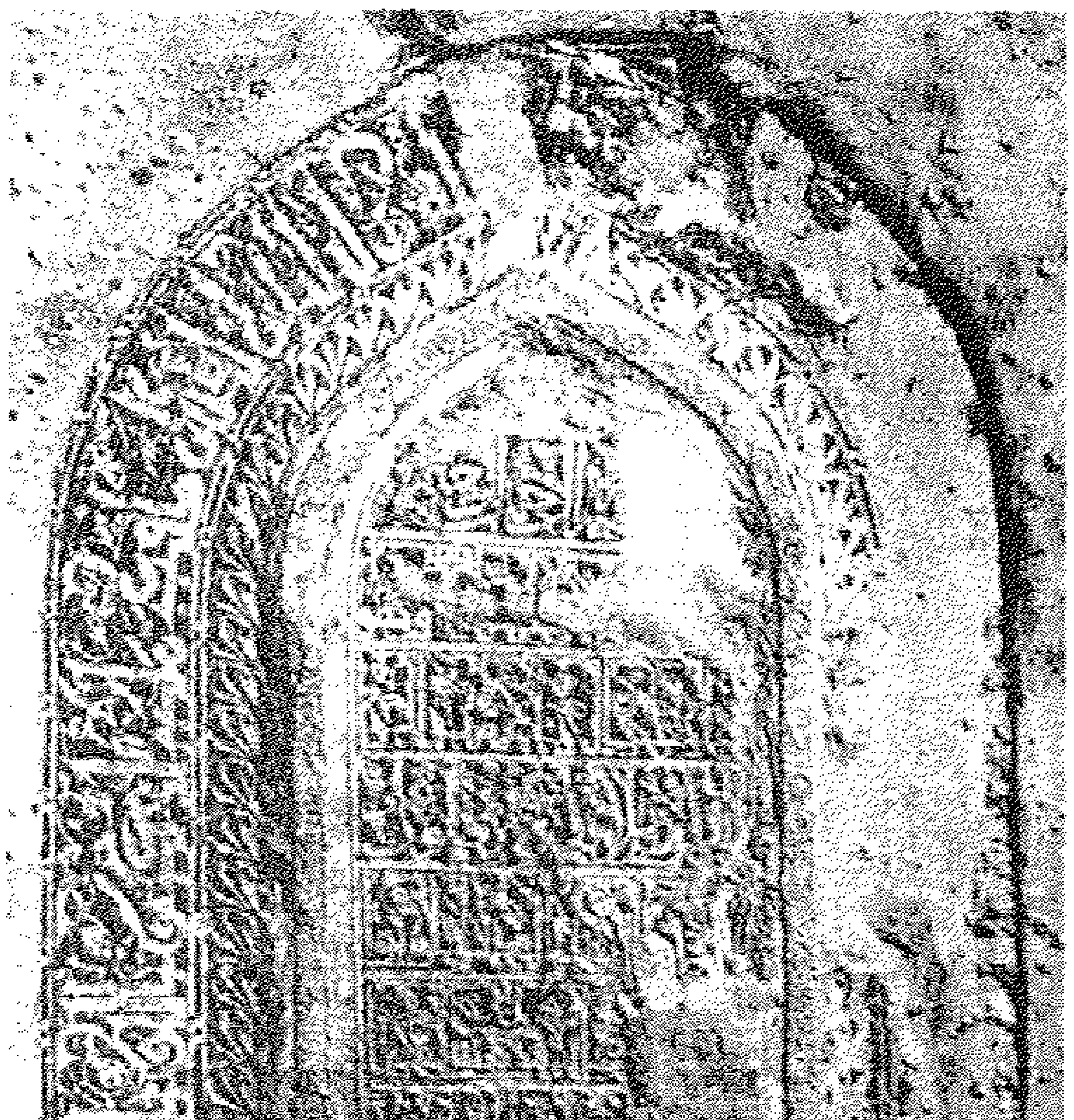

جـ - النافذة (الصماء) السابعة من اليسار .

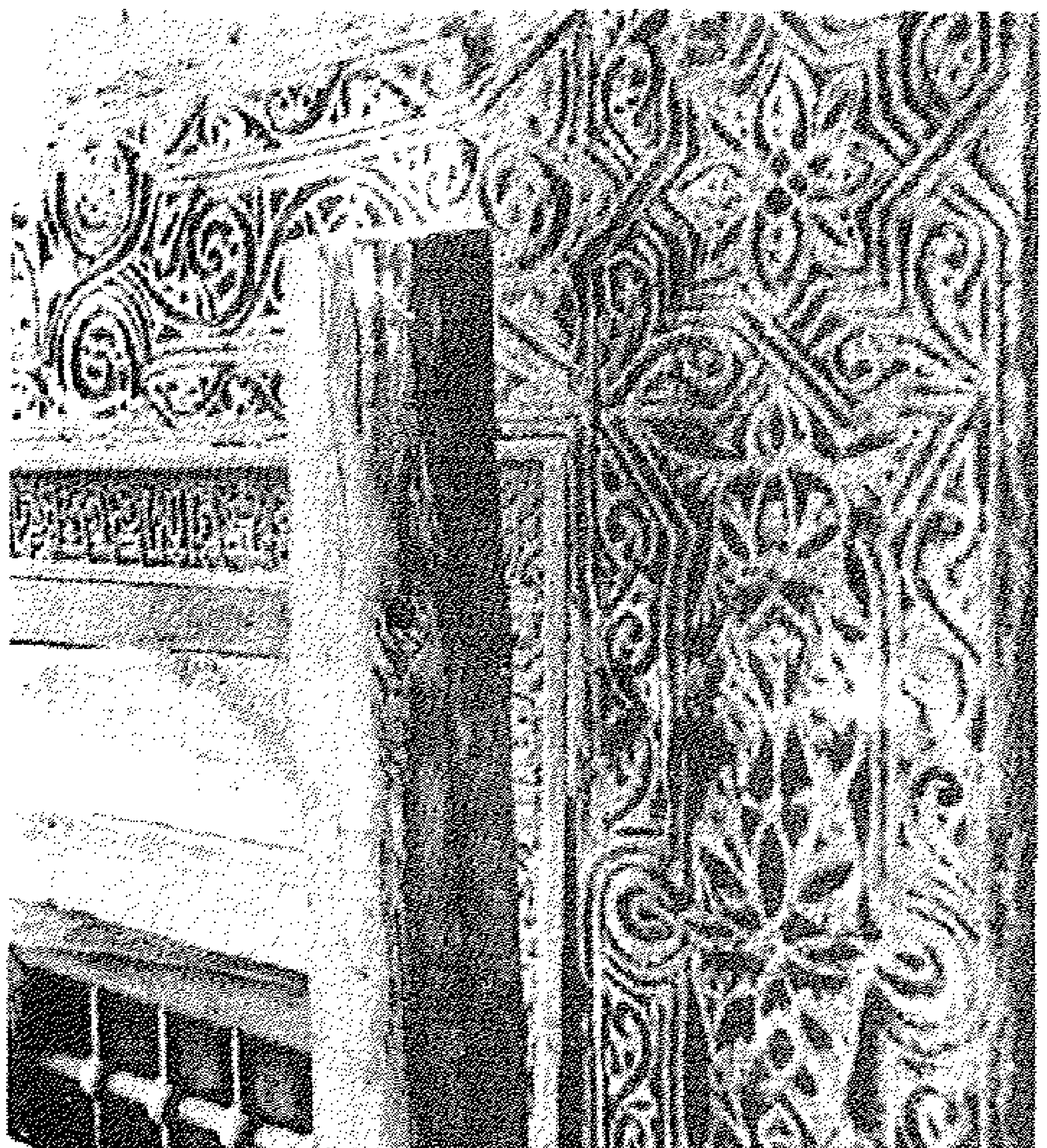

د - زخرفة فتحة الملقف (الباذاهنج)
خلف الجزء العلوي للمنبر .

(لوحة رقم ١٠٨) مسجد الصالح طلائع : ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

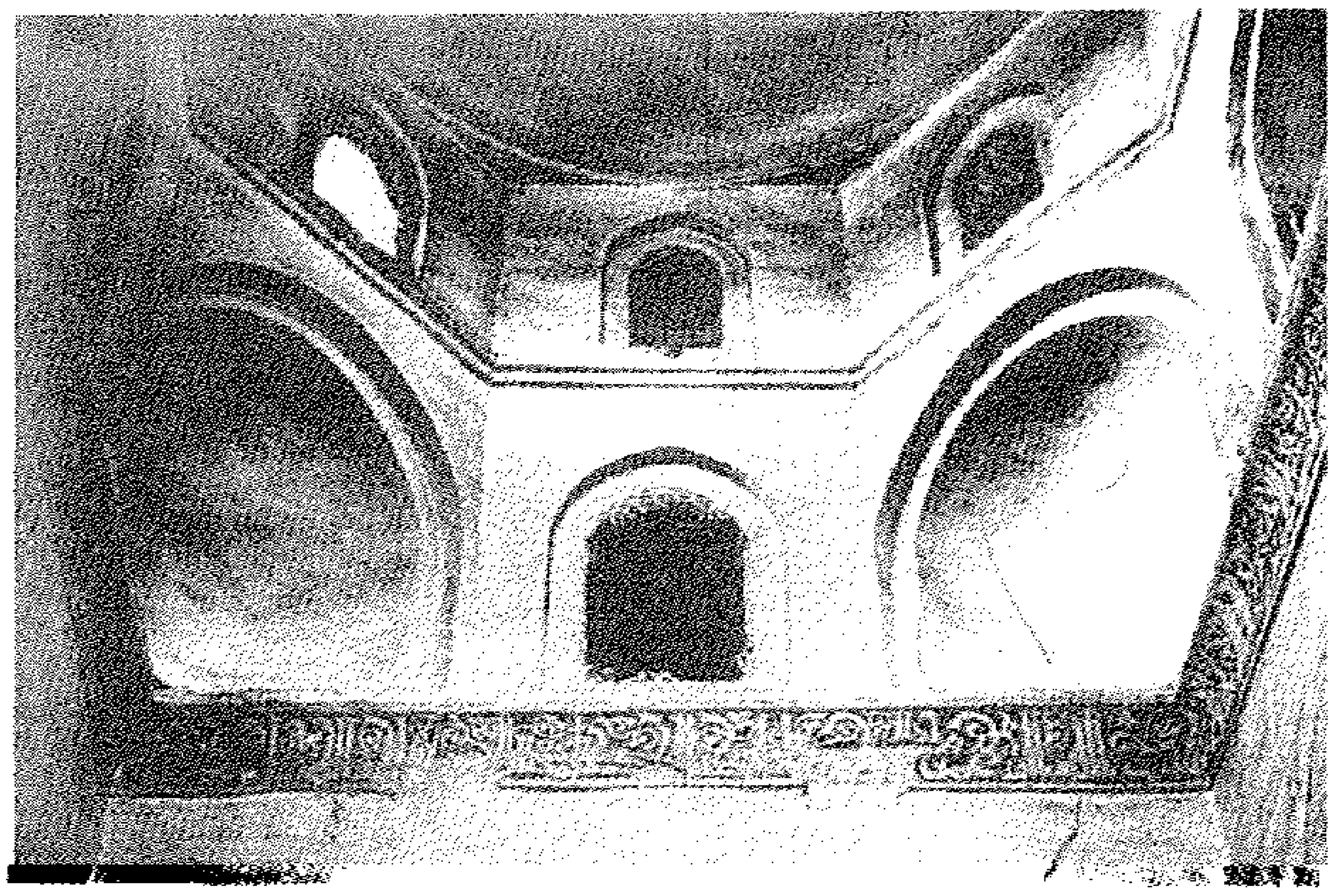

أ - مسجد الحاكم : القبة الوسطى (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) .

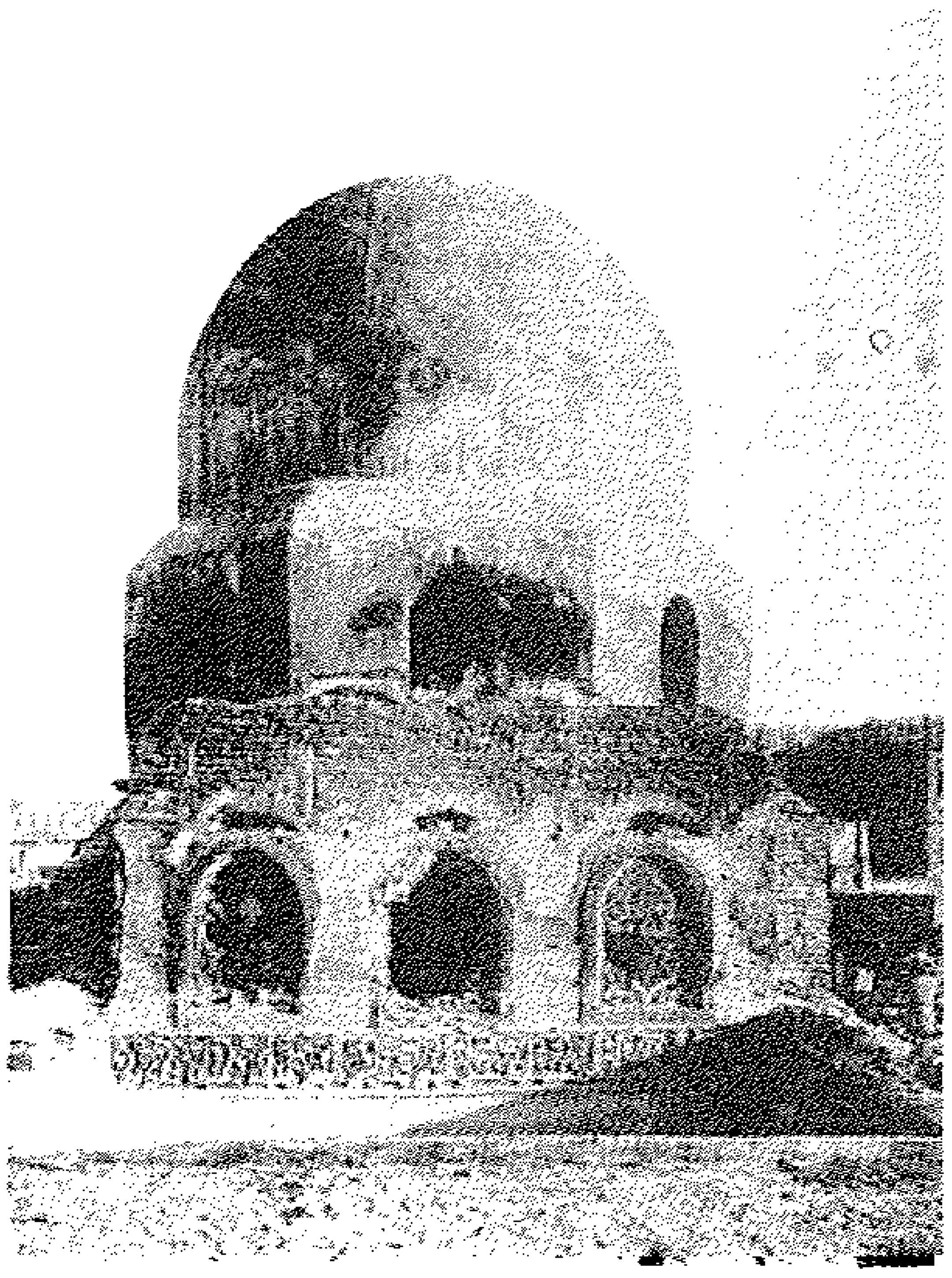

ب - مسجد الحاكم : القبة الوسطى .

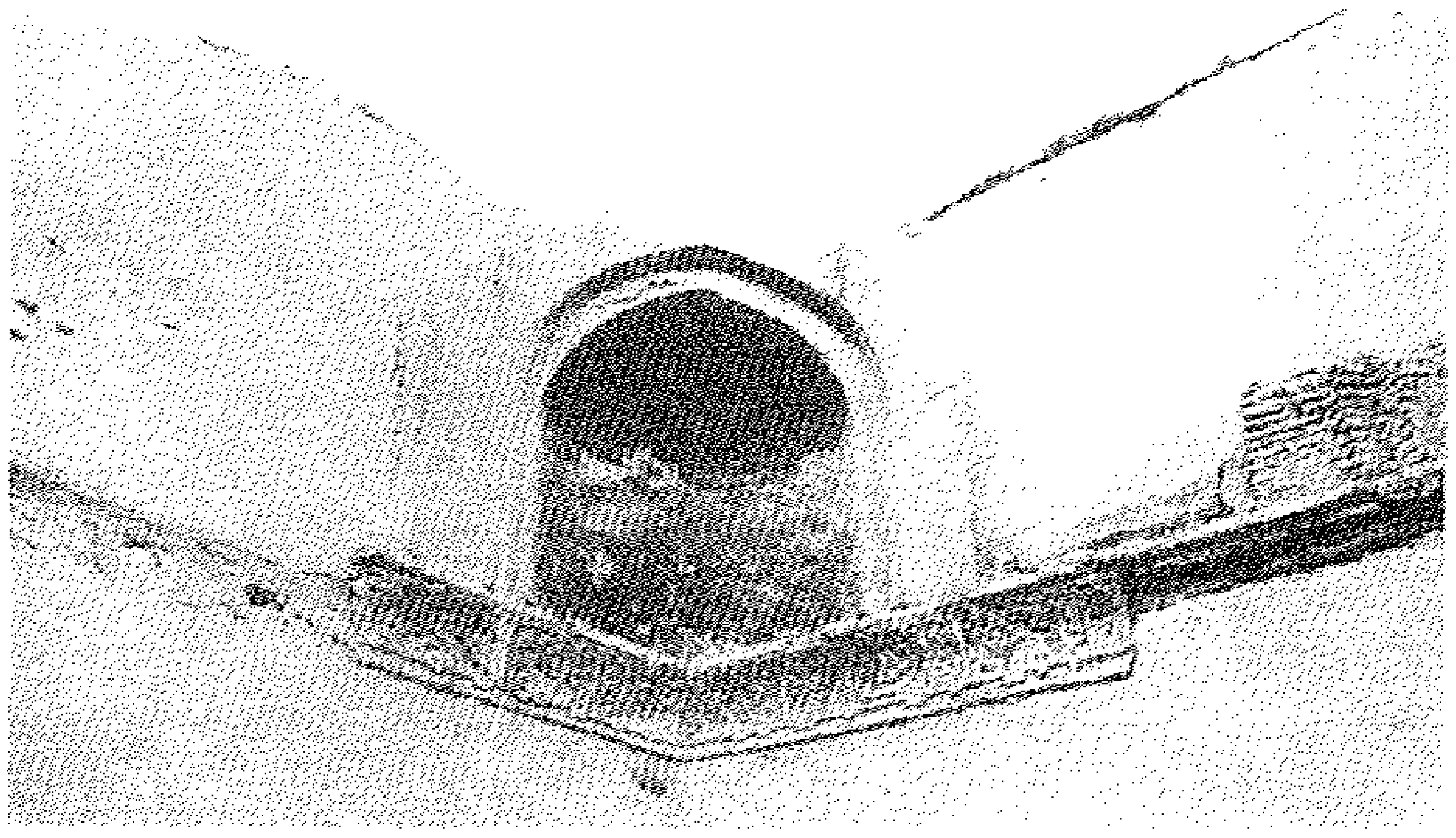

جـ - مسجد الحاكم : الحنية
في الركن الخلفي الأيمن للحرم .

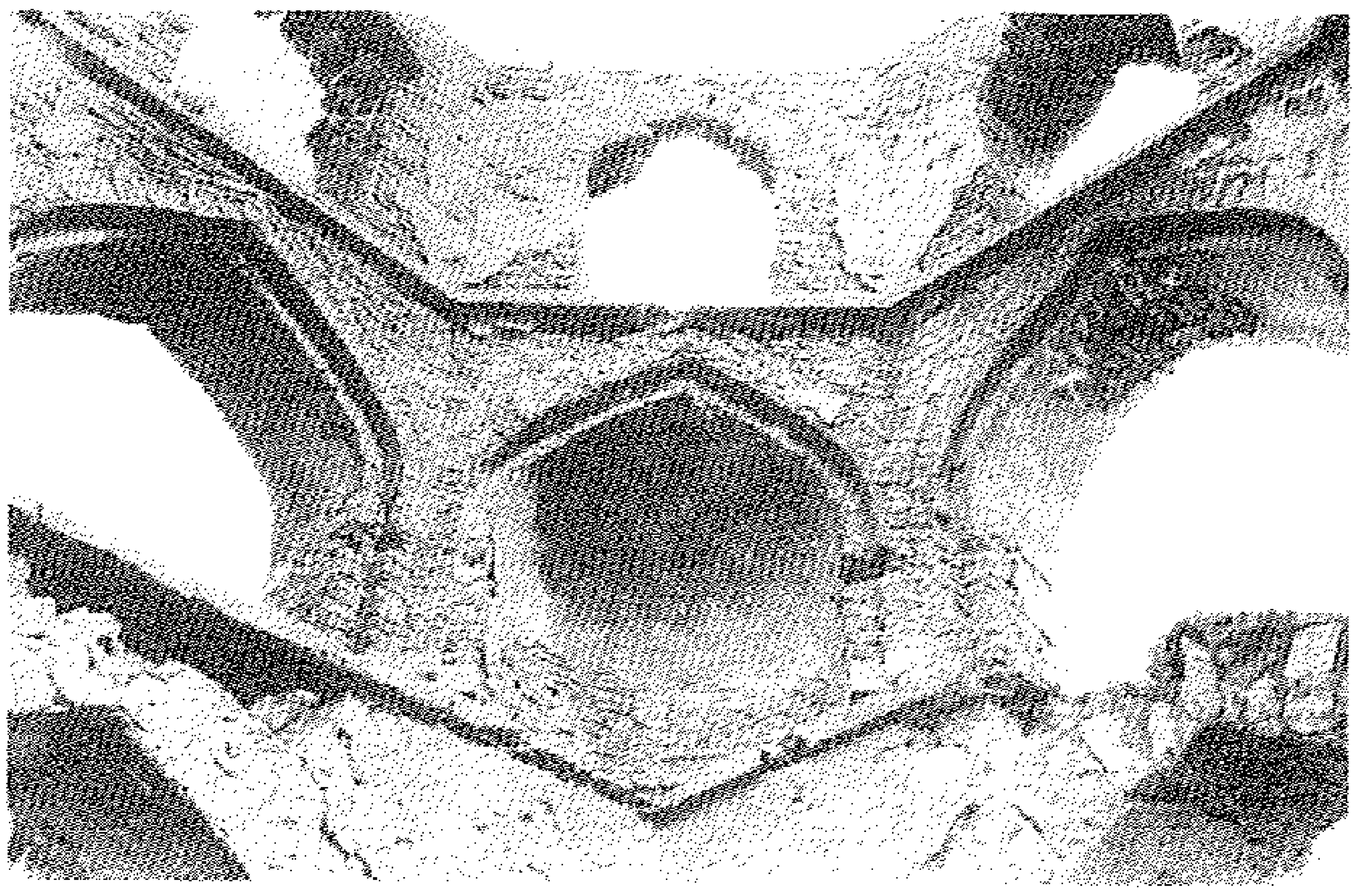

د - السبع بنات : الحنية والرقبة ٤٠٠هـ/١٠١٠م .

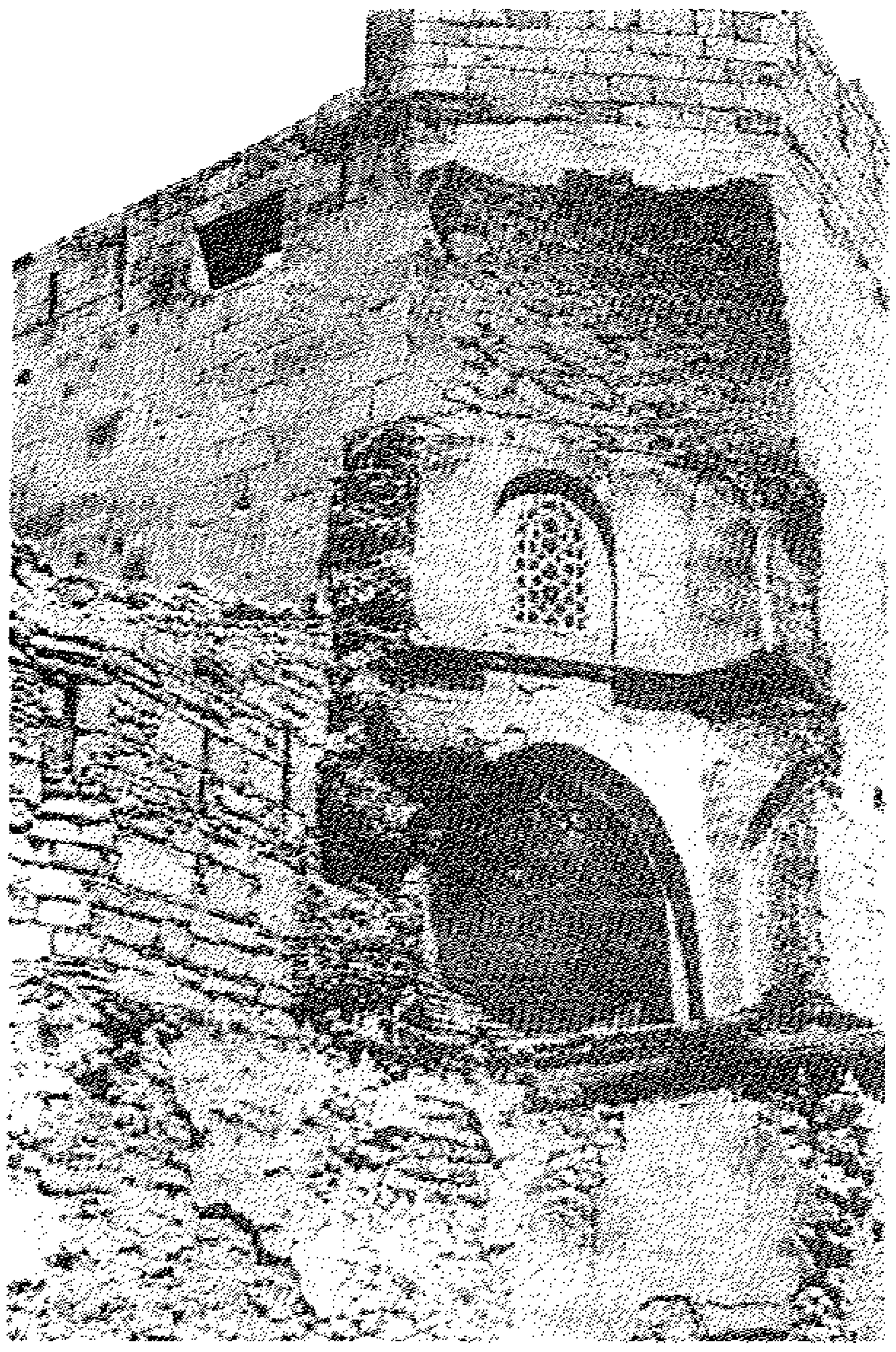

هـ - مسجد الحاكم : الحنية
وبقايا رقبة القبة في الركن
الخلفي الأيسر للحرم .

(لوحة رقم ١٠٩) تتبع القباب والدلايات (الحنايا والمقرنصات) .

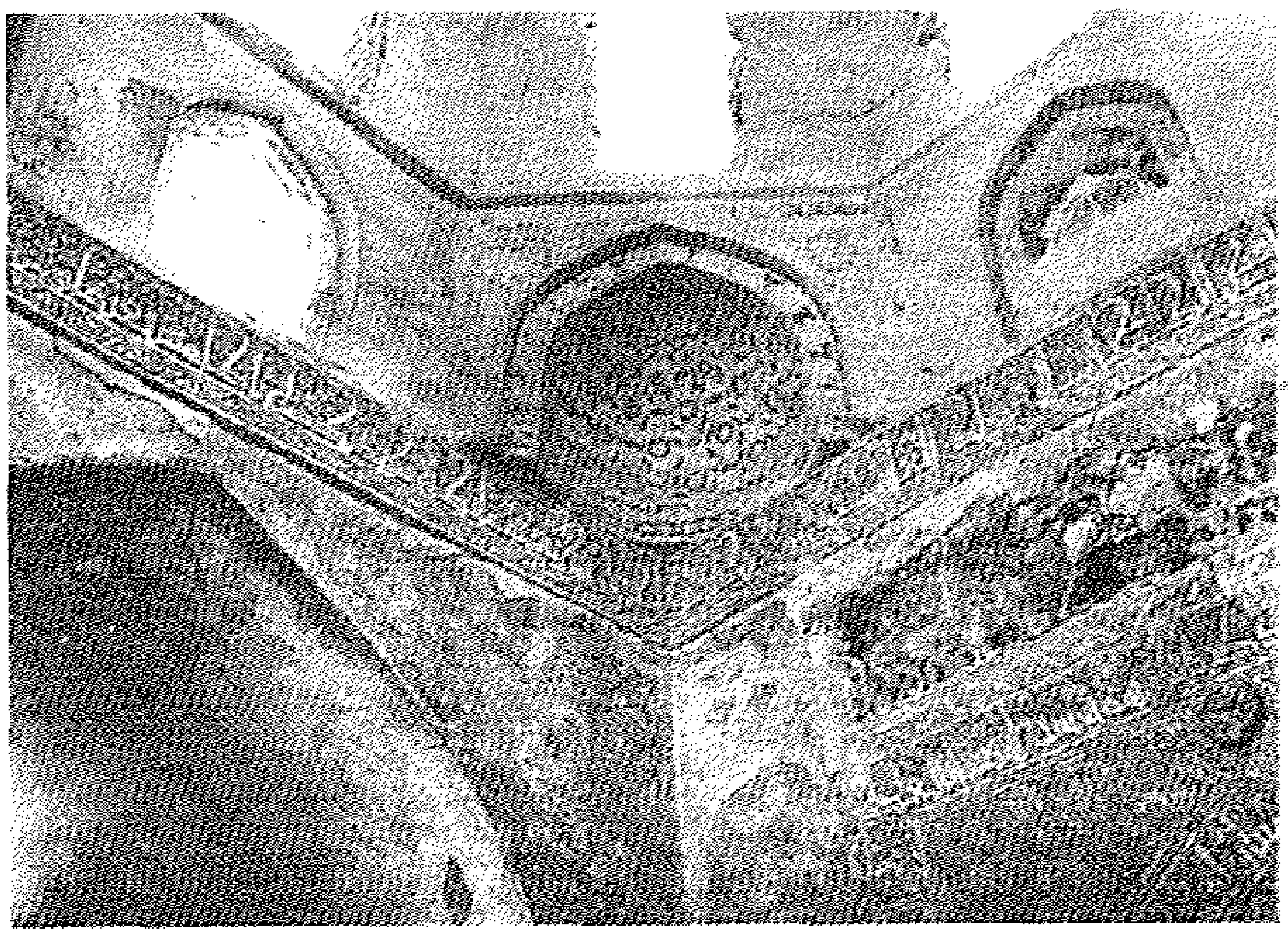

أ - مسجد (مشهد) الجيوشي : ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

ب - مسجد الجيوشي .

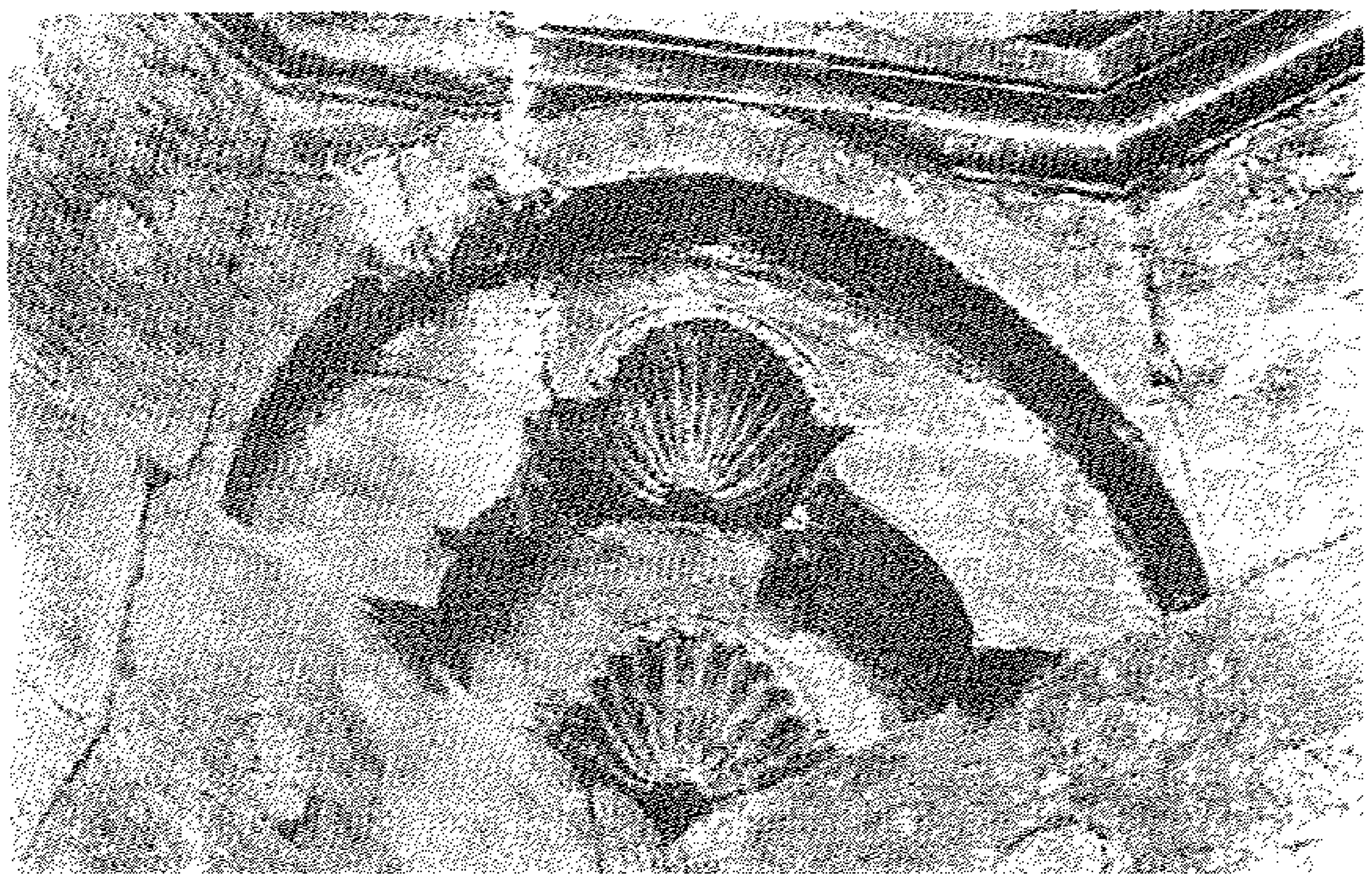

جـ - باب زويله : حنية في دخلة على هيئة نصف قبة في جانب ممر البوابة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .

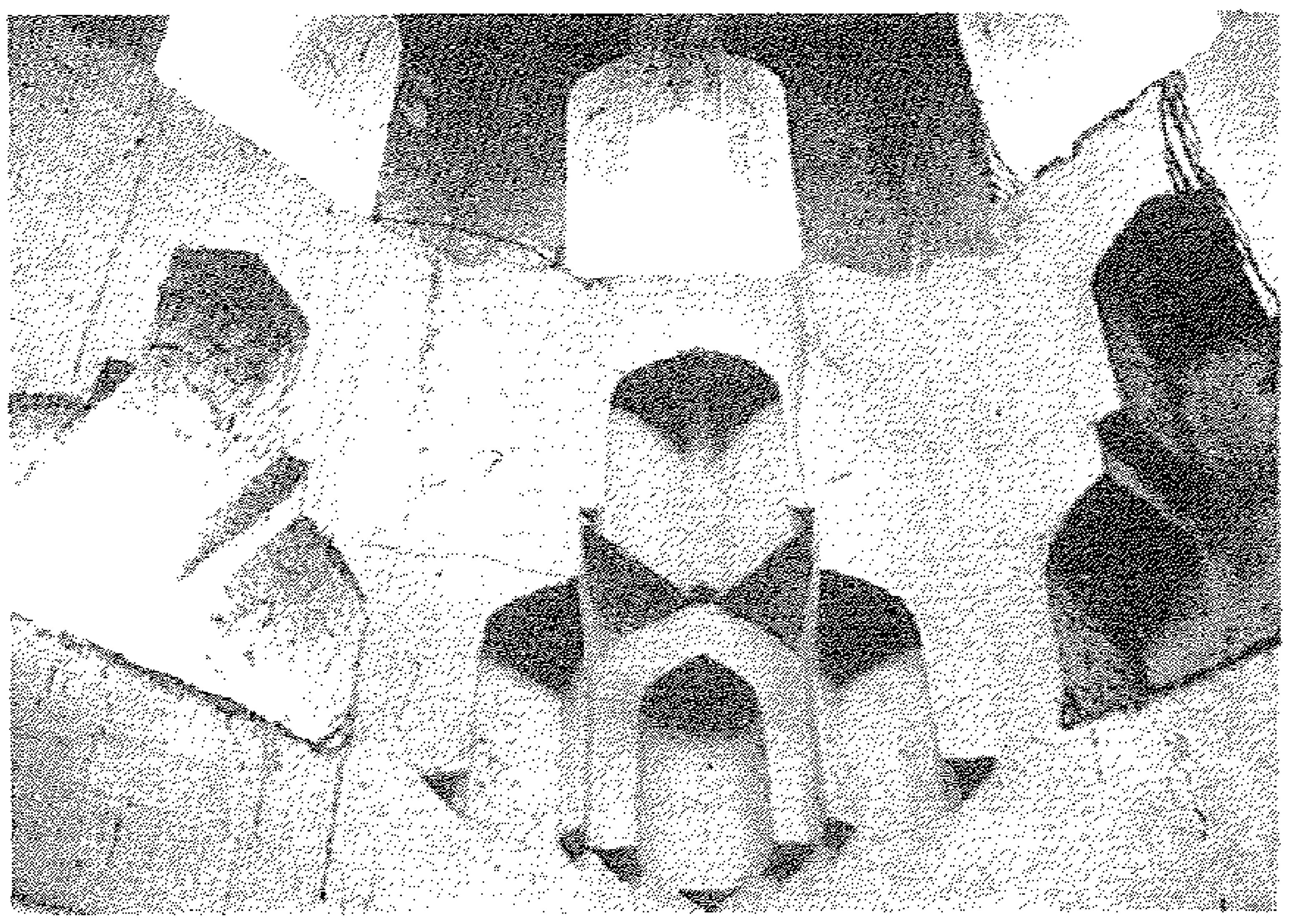

د - أسوان : المشهد حوالي ١١٠٠ - ١١١٠م .

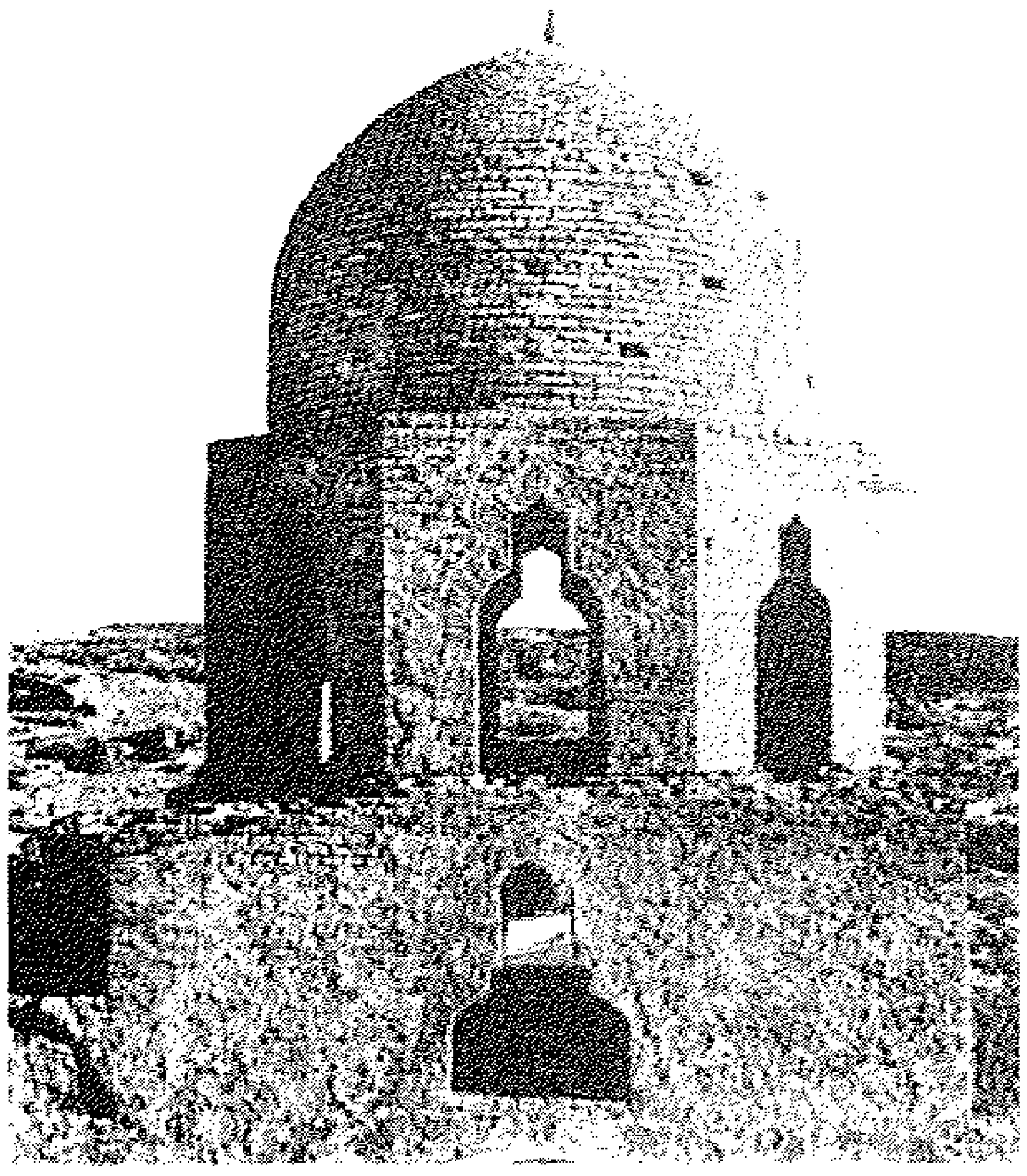

هـ - أسوان : المشهد .

(لوحة رقم ١١٠) تتبع القباب والدلايات .

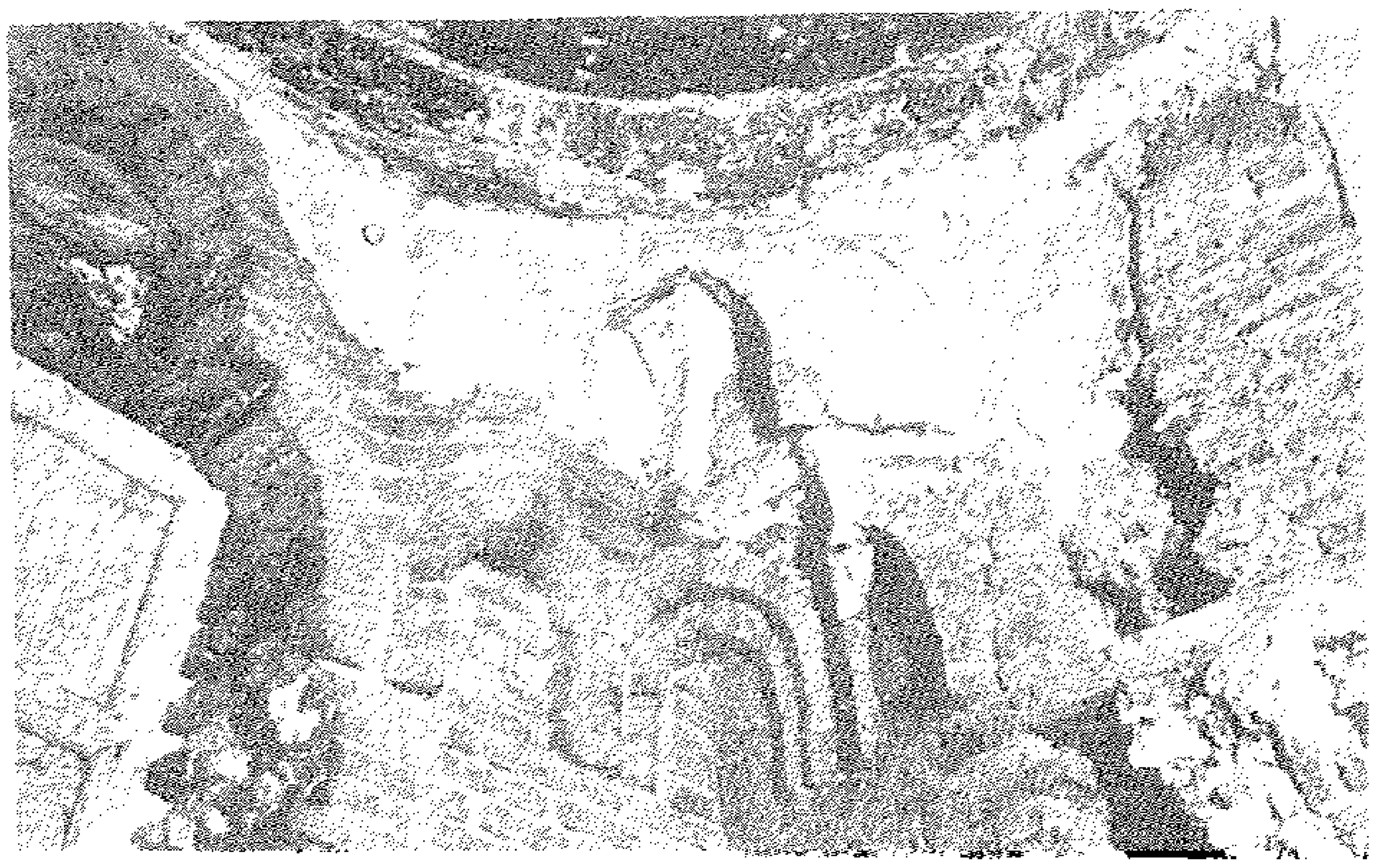

أ - ضريح قديم (القبة الفاطمية بالجمالية) تجاه خانقاة بيبرس الجاشنكير .

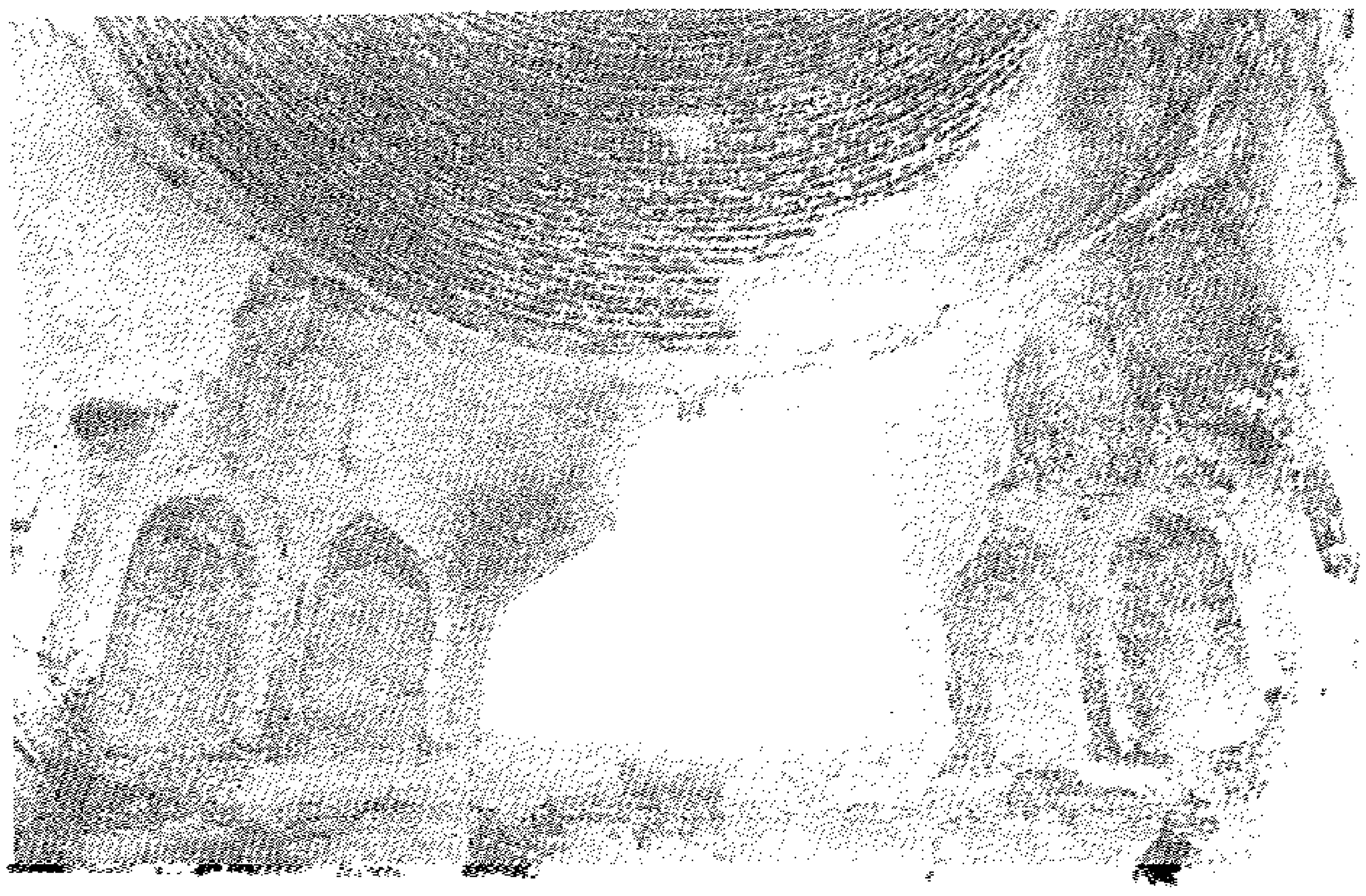

ب - ضريح محمد الجعفري .

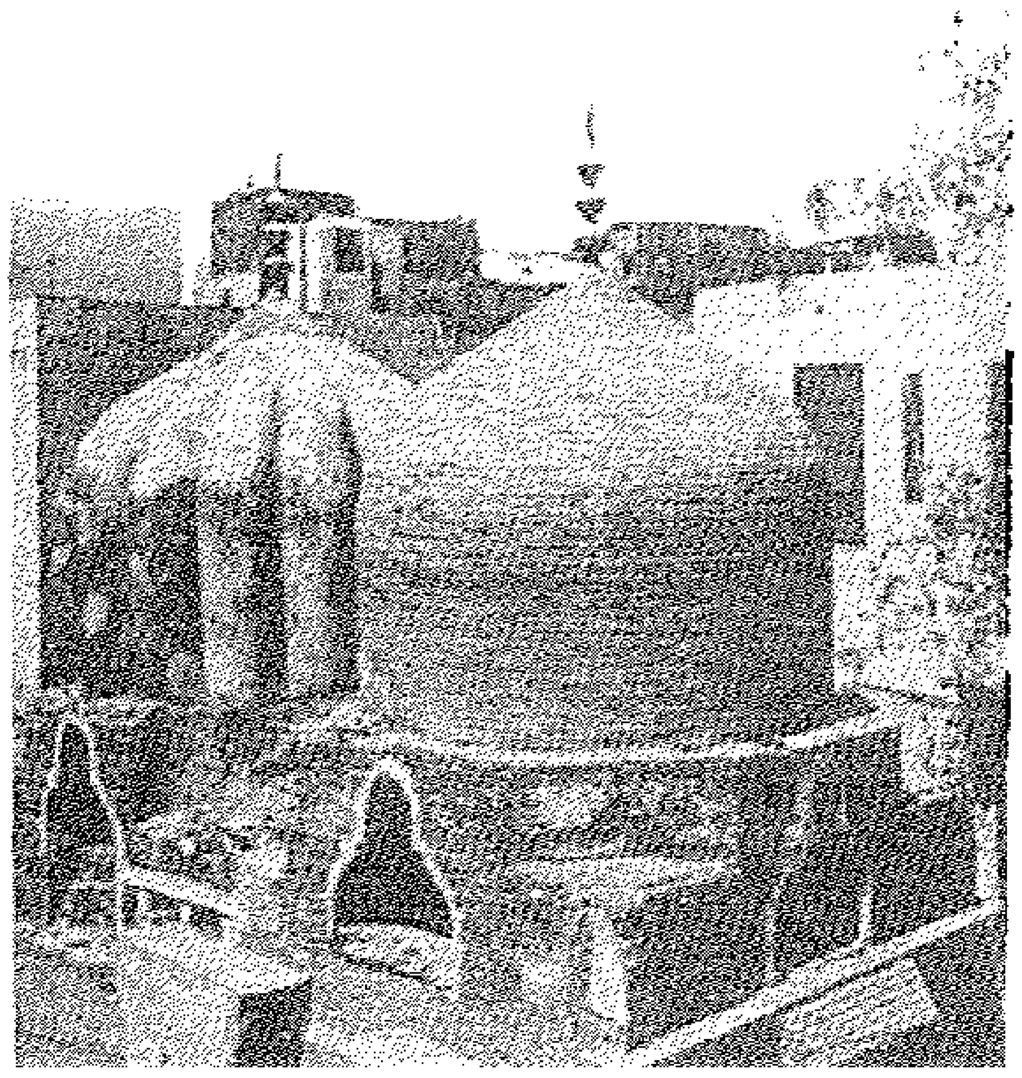

جـ - قبتا الجعفري وعاتكة .

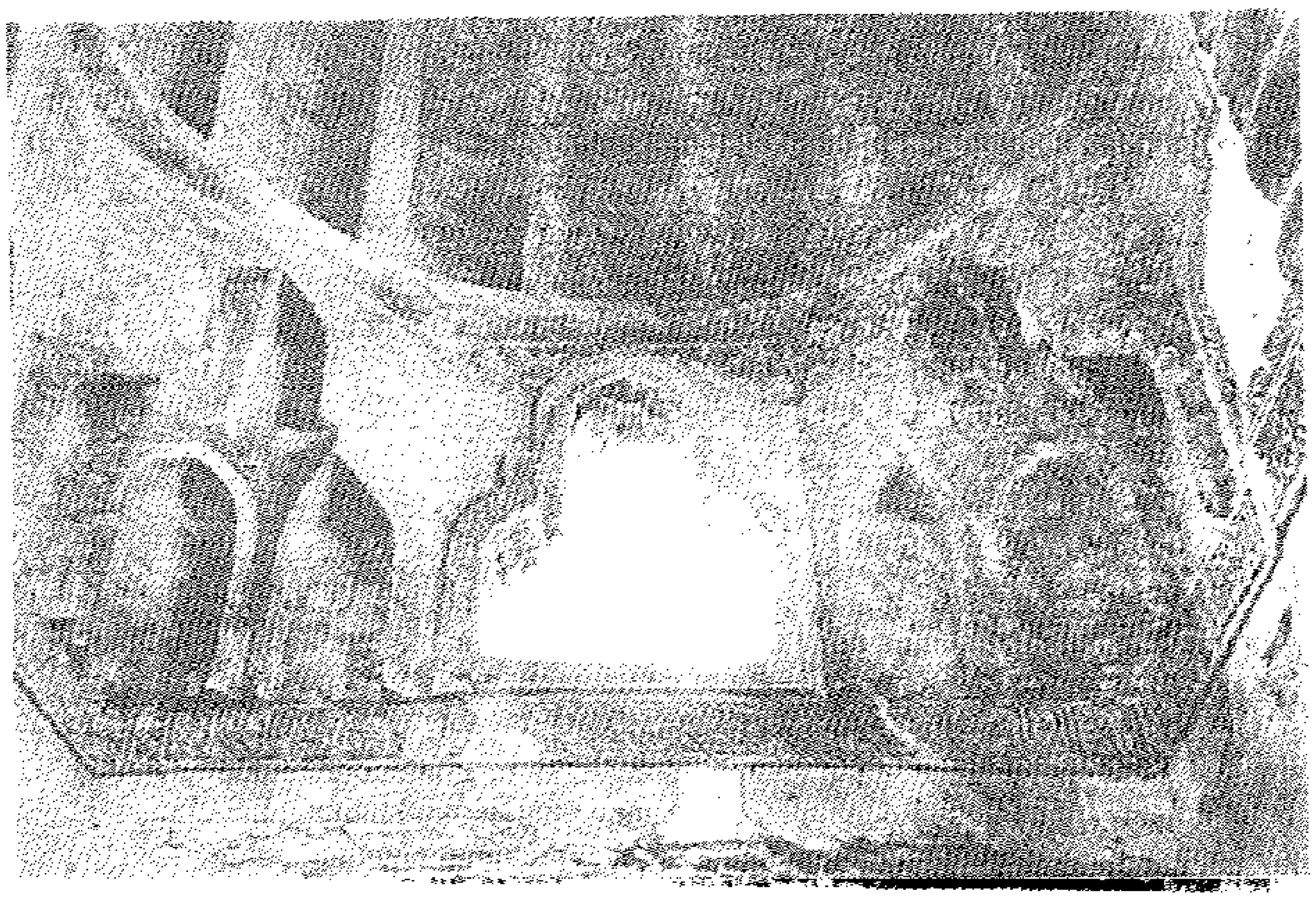

د - ضريح السيدة عاتكة .

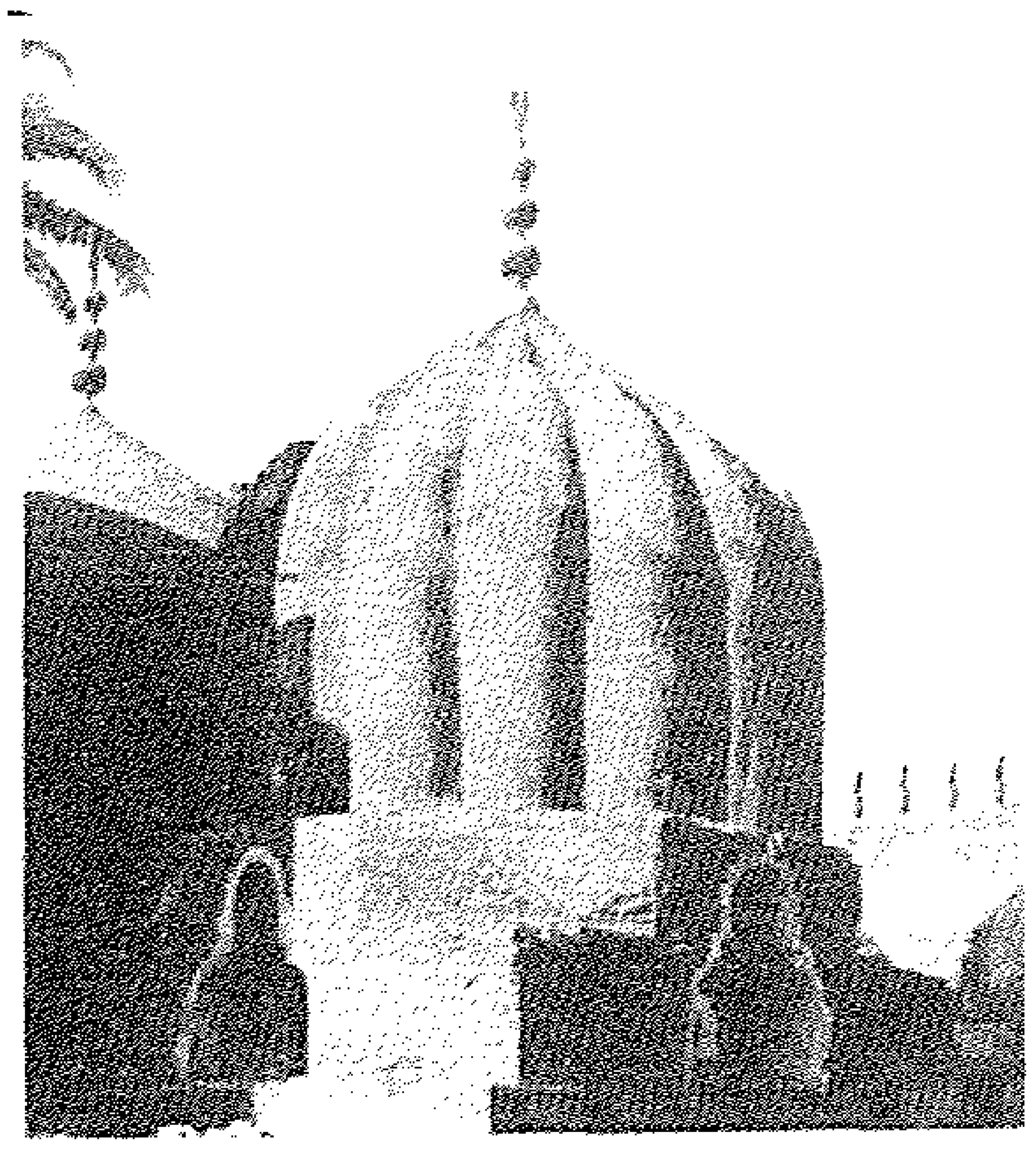

هـ - قبة عاتكة .

(لوحة رقم ١١١) تتبع القباب والدلايات .

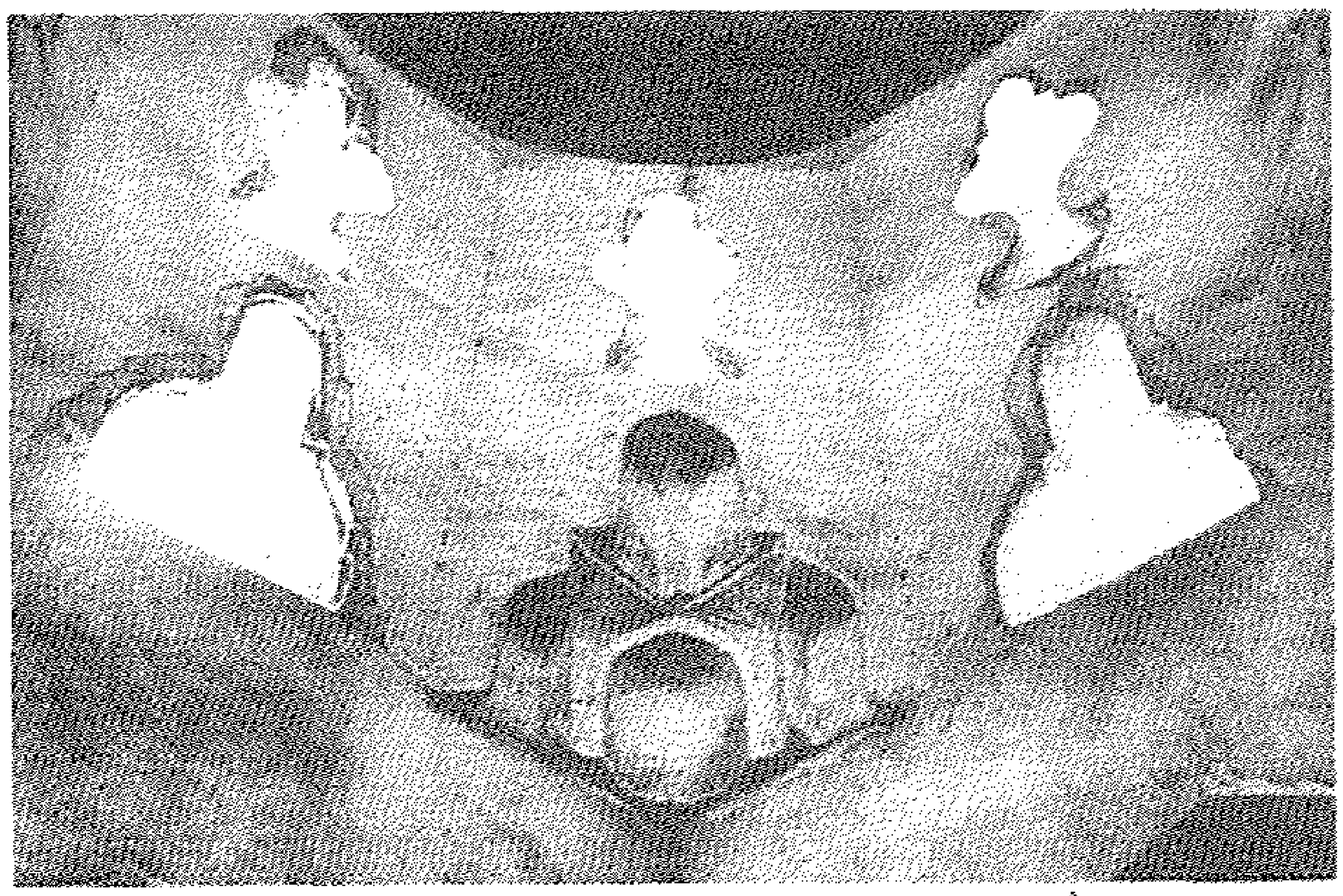

أ - ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .

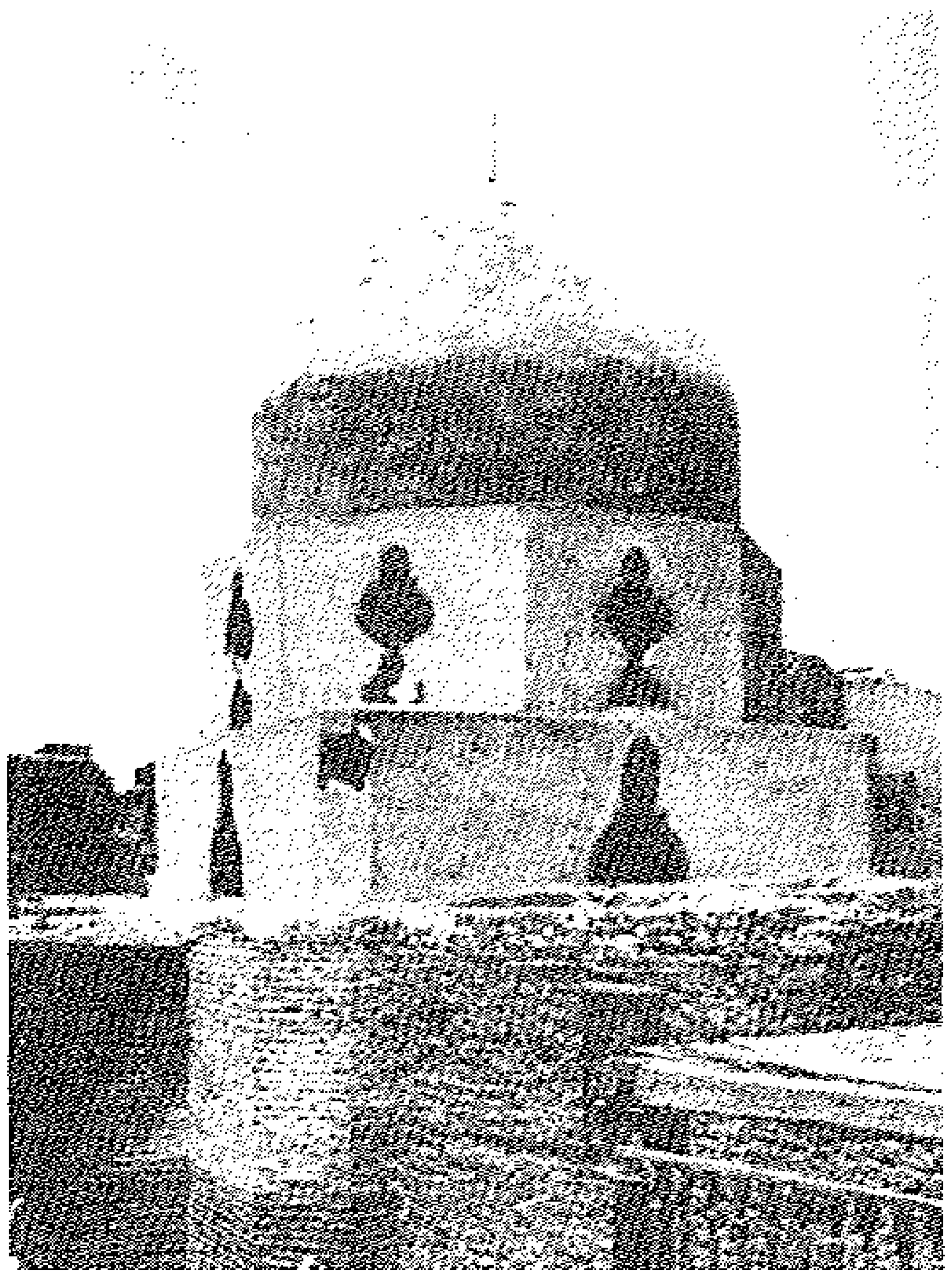

ب - ضريح الشيخ يونس .

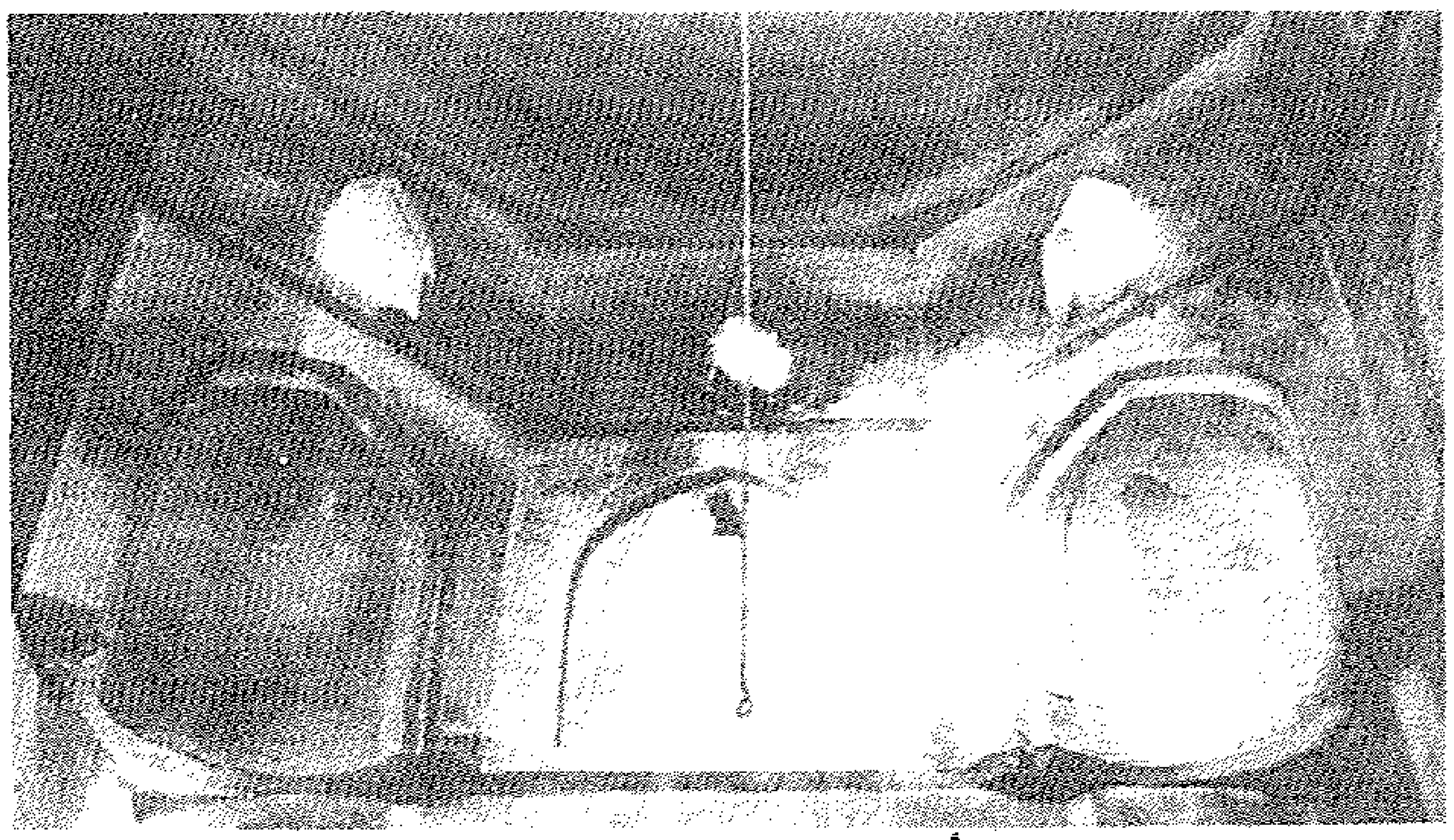

جـ - ضريح أخوة يوسف حوالي ١١٠٠ - ١١٢٥م .

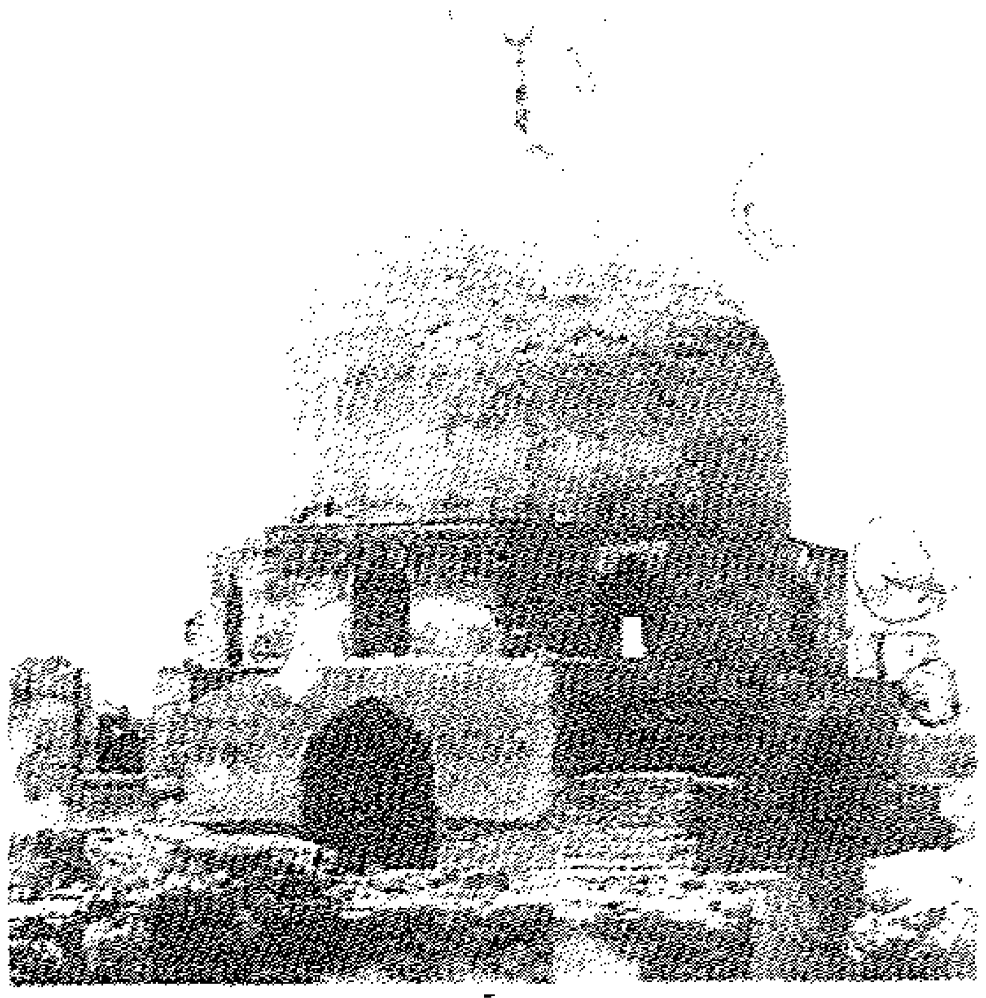

د - ضريح أخوة يوسف .

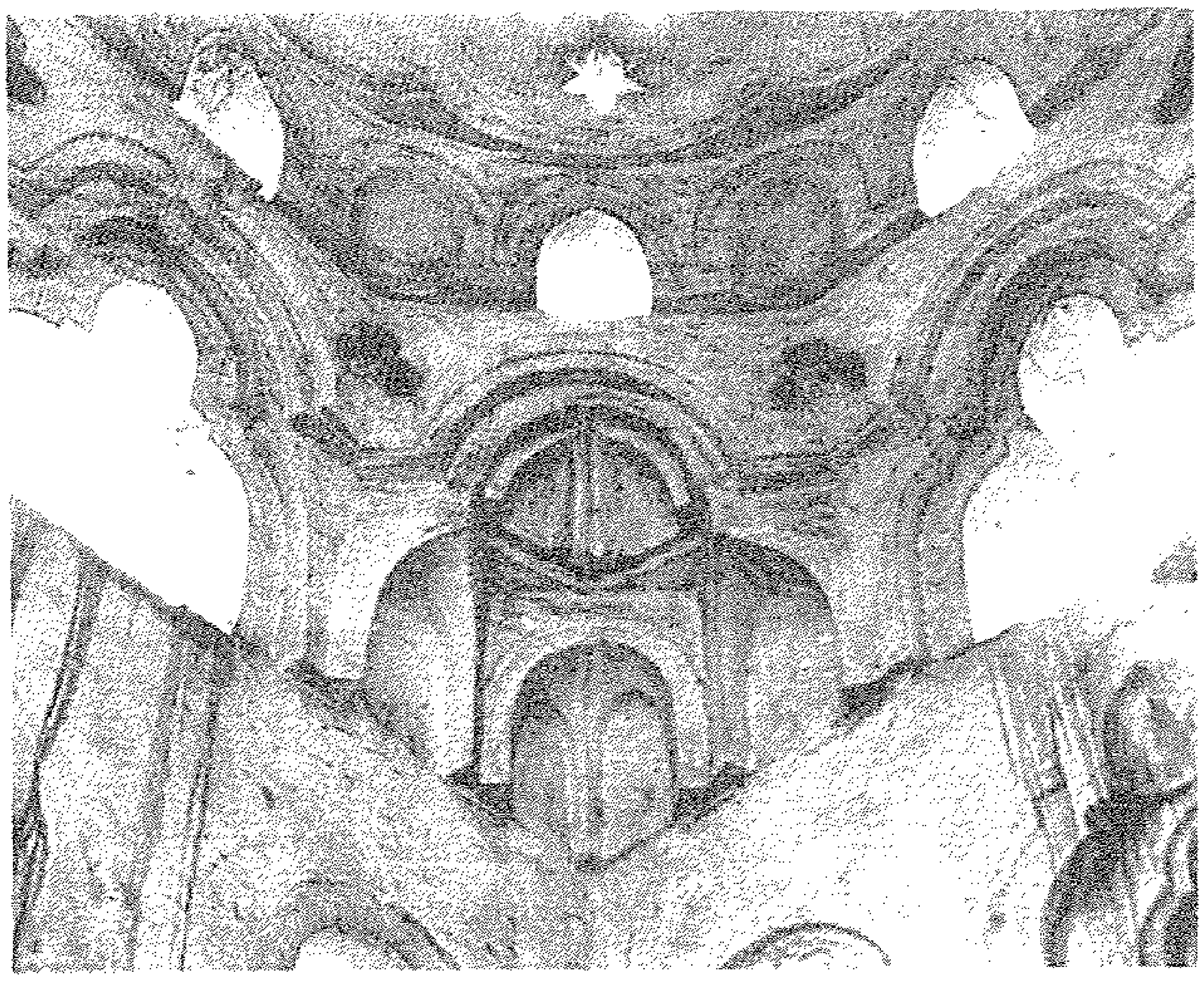

هـ - قوص : ضريح في الجانب الشرقي للجامع حوالي ١١٢٠ - ١١٣٠م .

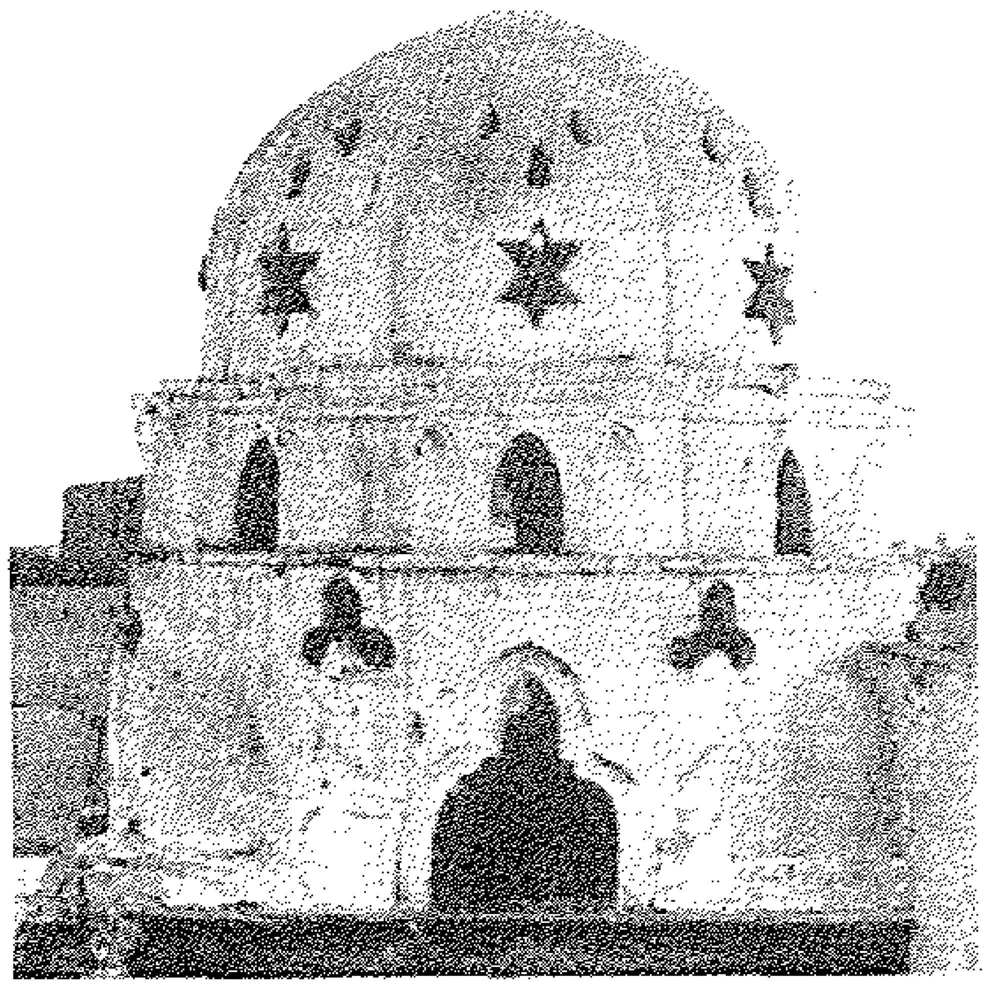

و - قوص : ضريح في الجانب الشرقي للجامع .

(لوحة رقم ١١٢) تتبع القباب والدلايات .

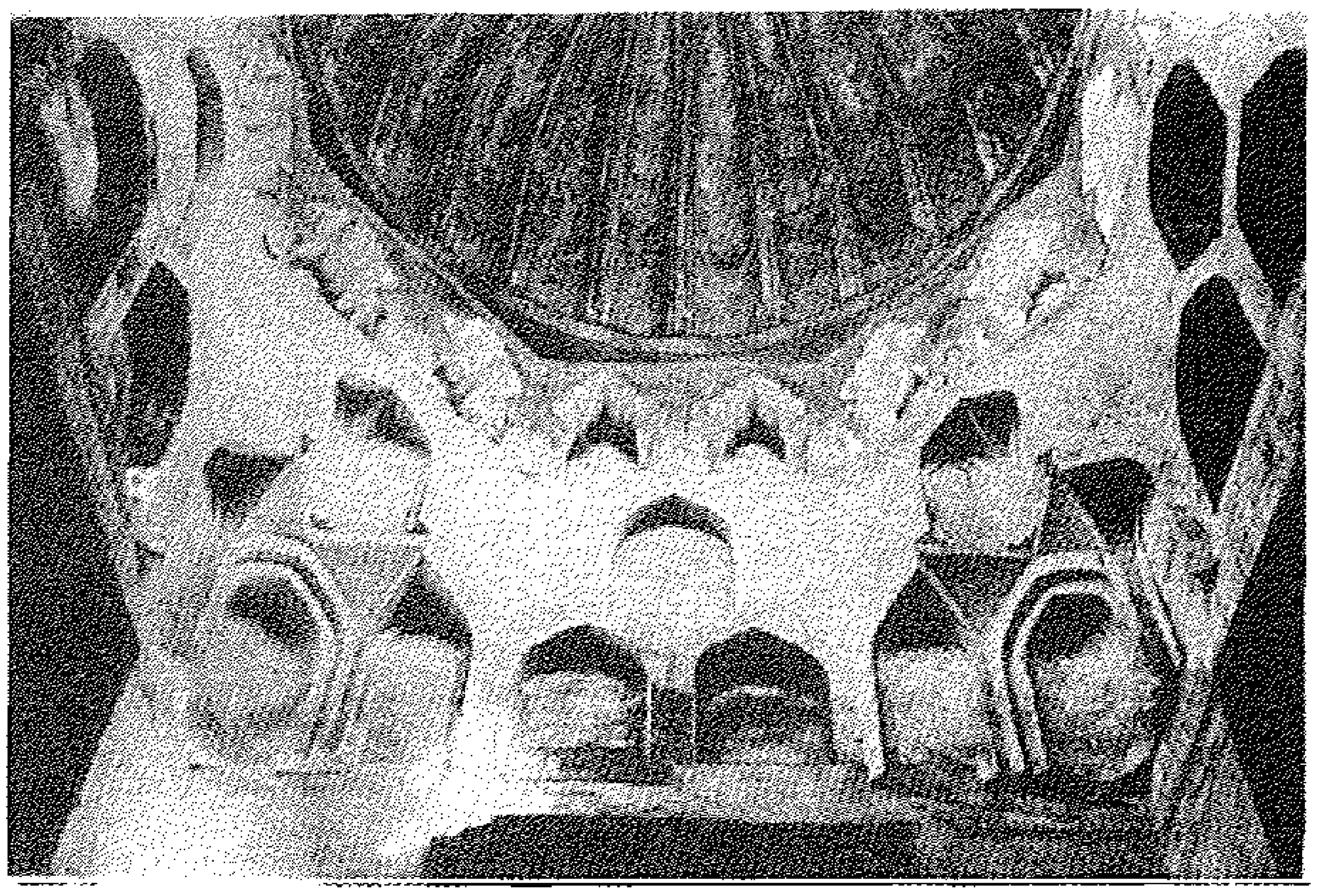

أ - ضريح (مشهد) السيدة رقية ٥٢٧هـ/١١٣٣م .

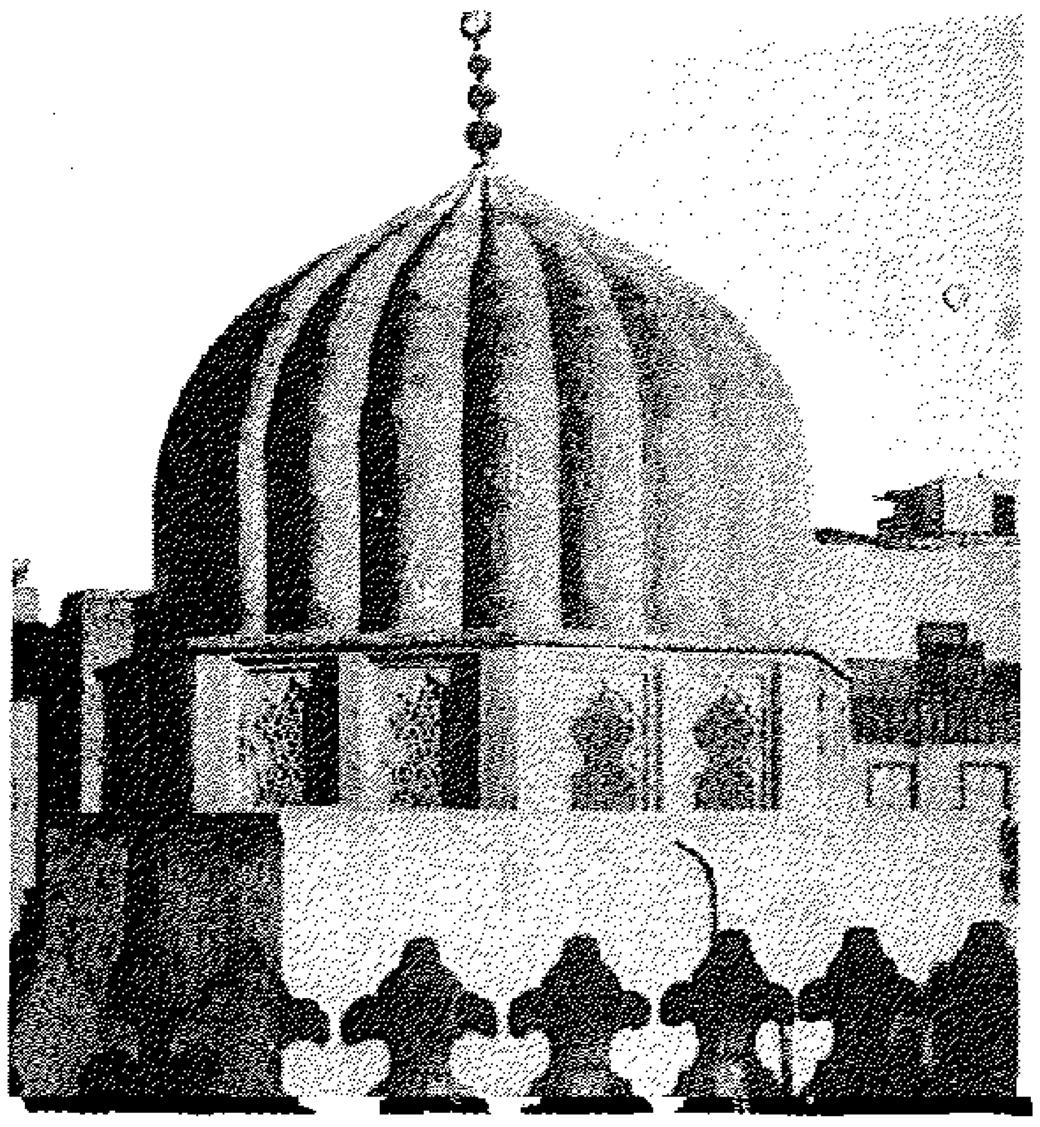

ب - ضريح (مشهد) السيدة رقية .

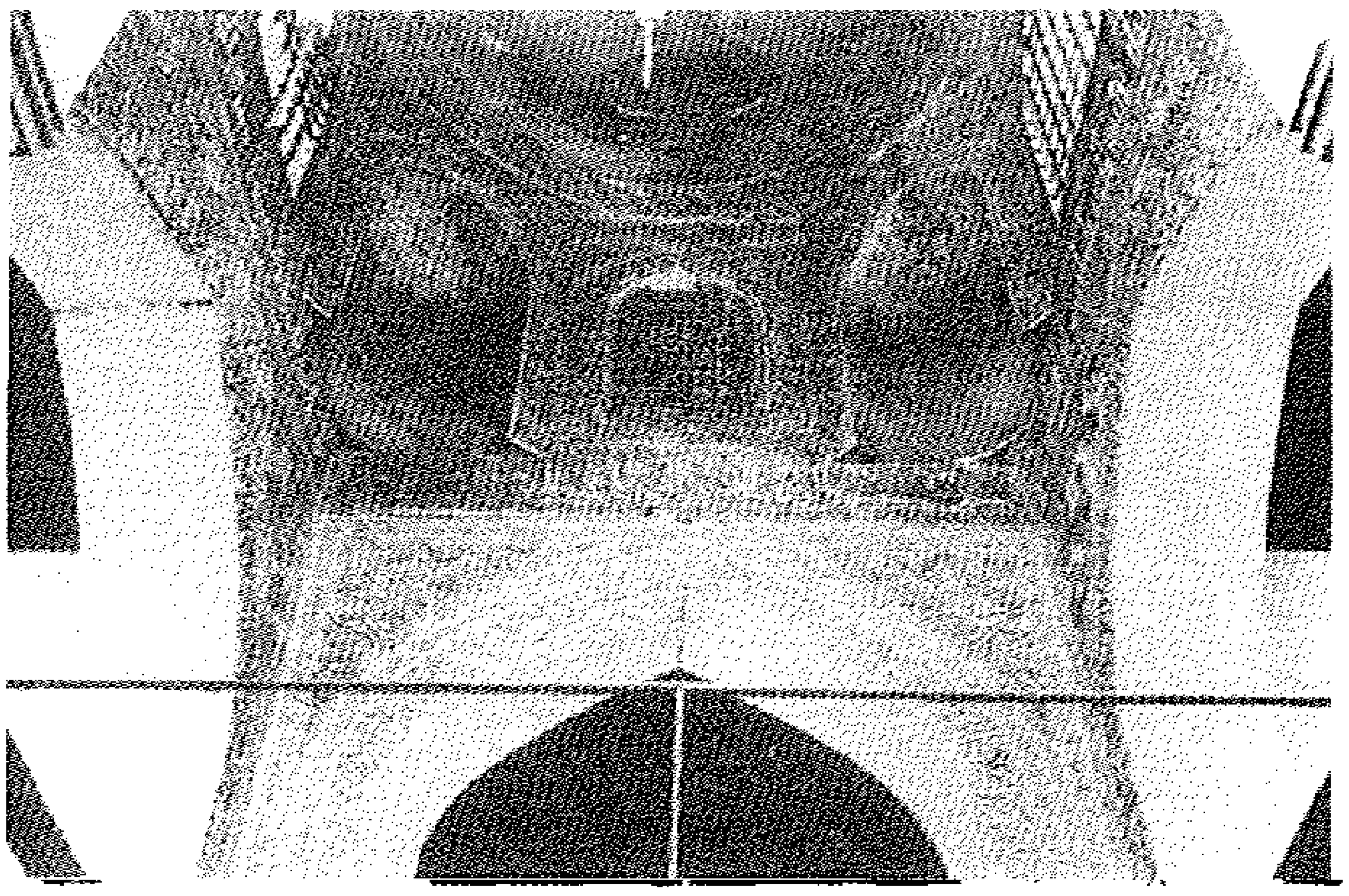

جـ - جامع الأزهر : القبة في مقدمة المجاز ٥٢٤ - ٥٤٤هـ/١١٣٠ - ١١٤٩م .

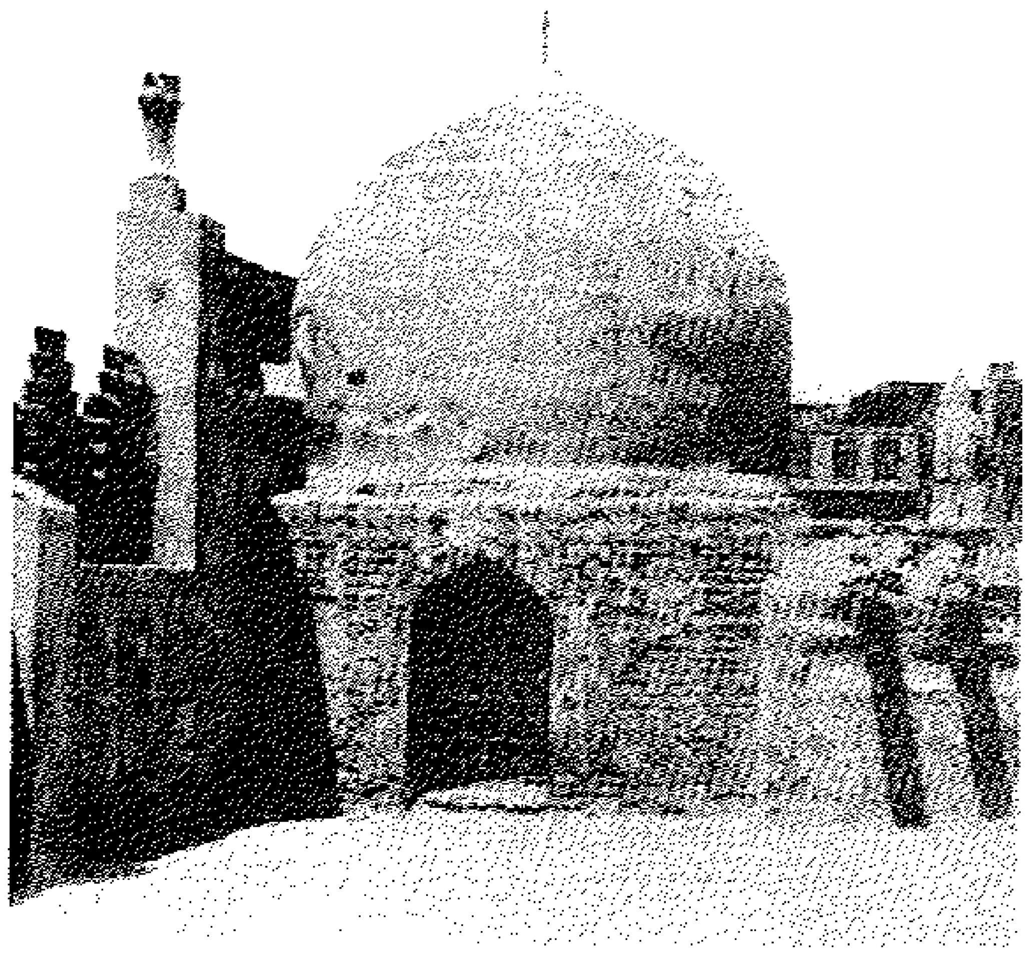

د - جامع الأزهر .

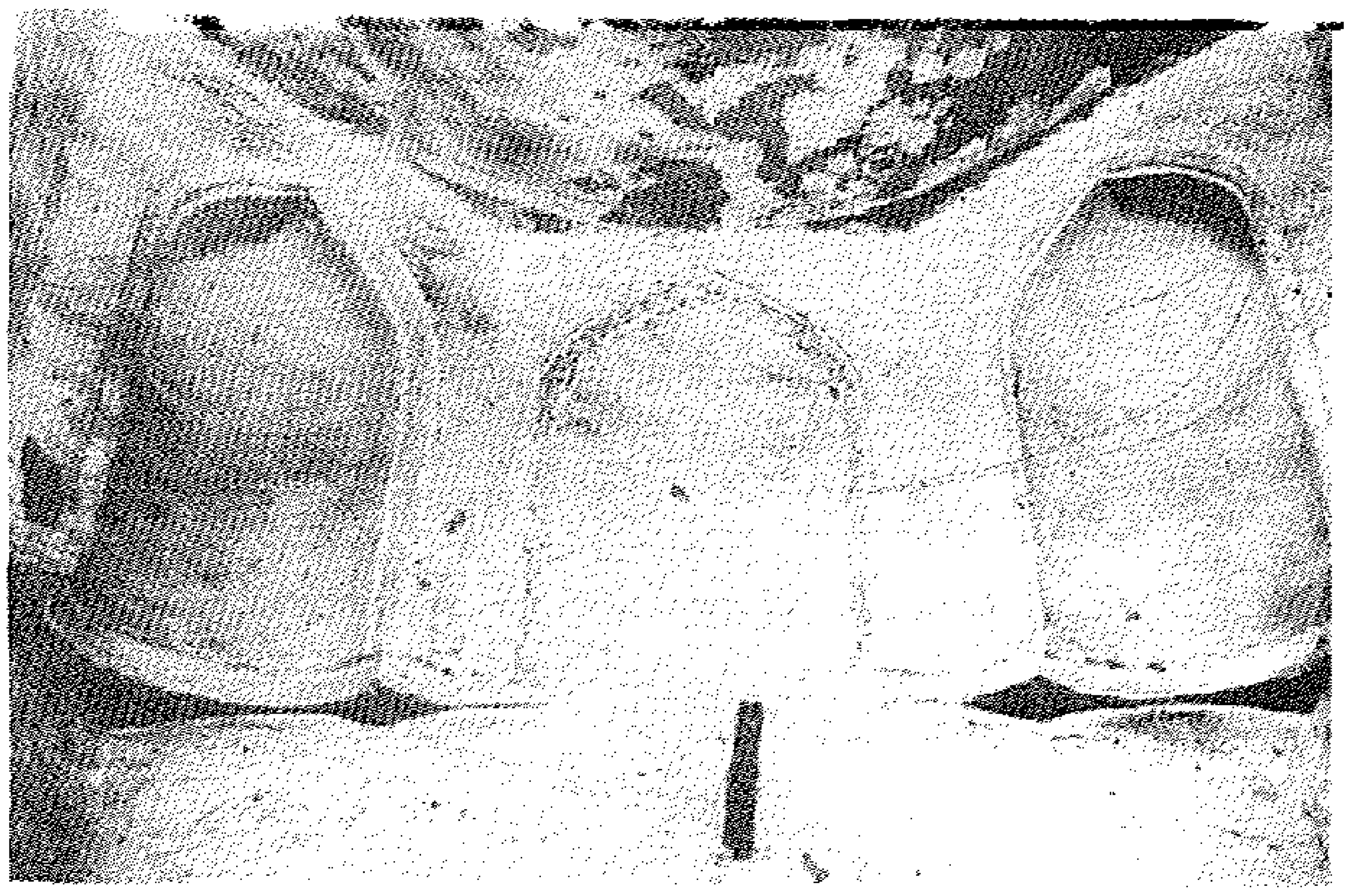

هـ - ضريح محمد الحصواني حوالي ١١٢٥ - ١١٥٠م .

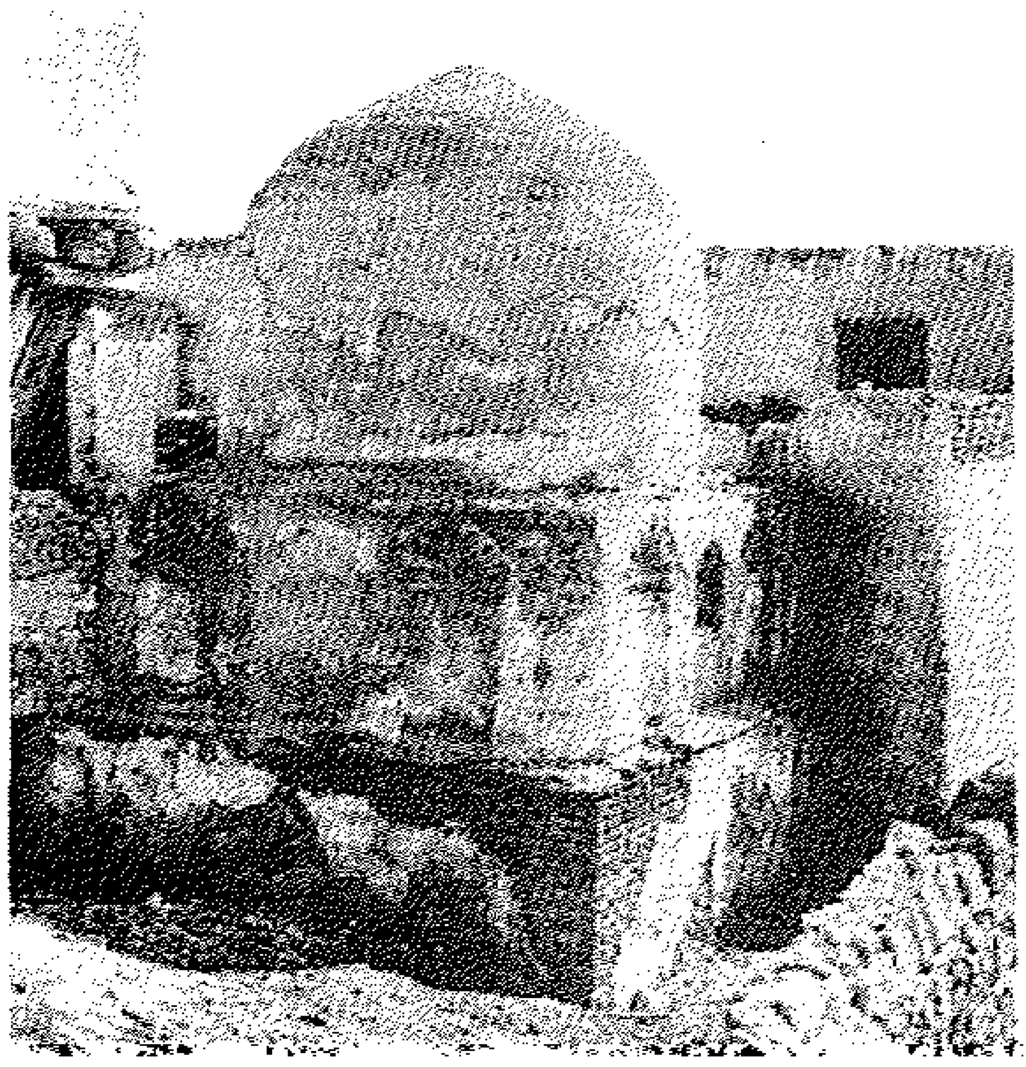

و - ضريح محمد الحصواني .

(لوحة رقم ١١٣) تتبع القباب والدلايات .

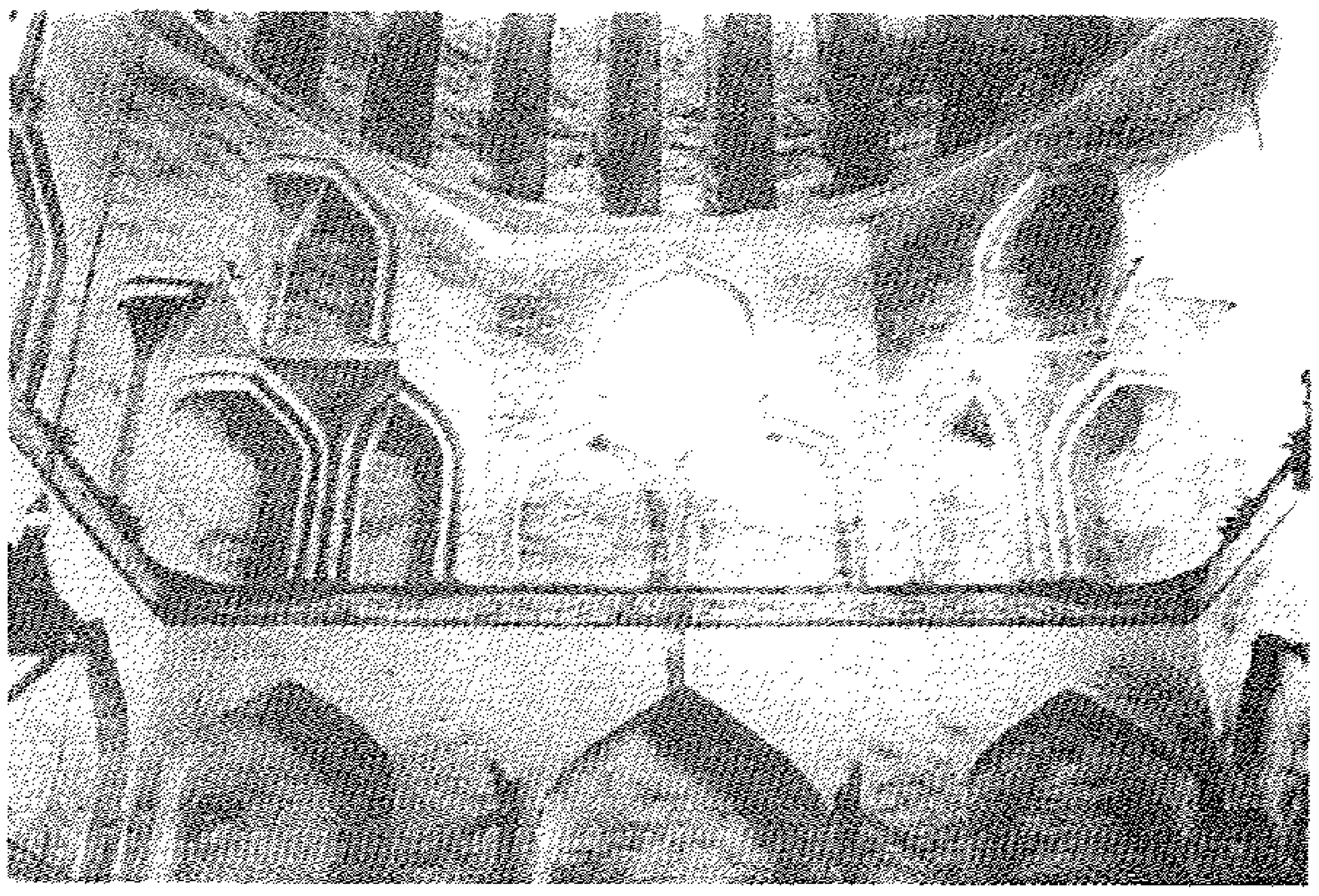

أ - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه حوالي ١١٥٠م .

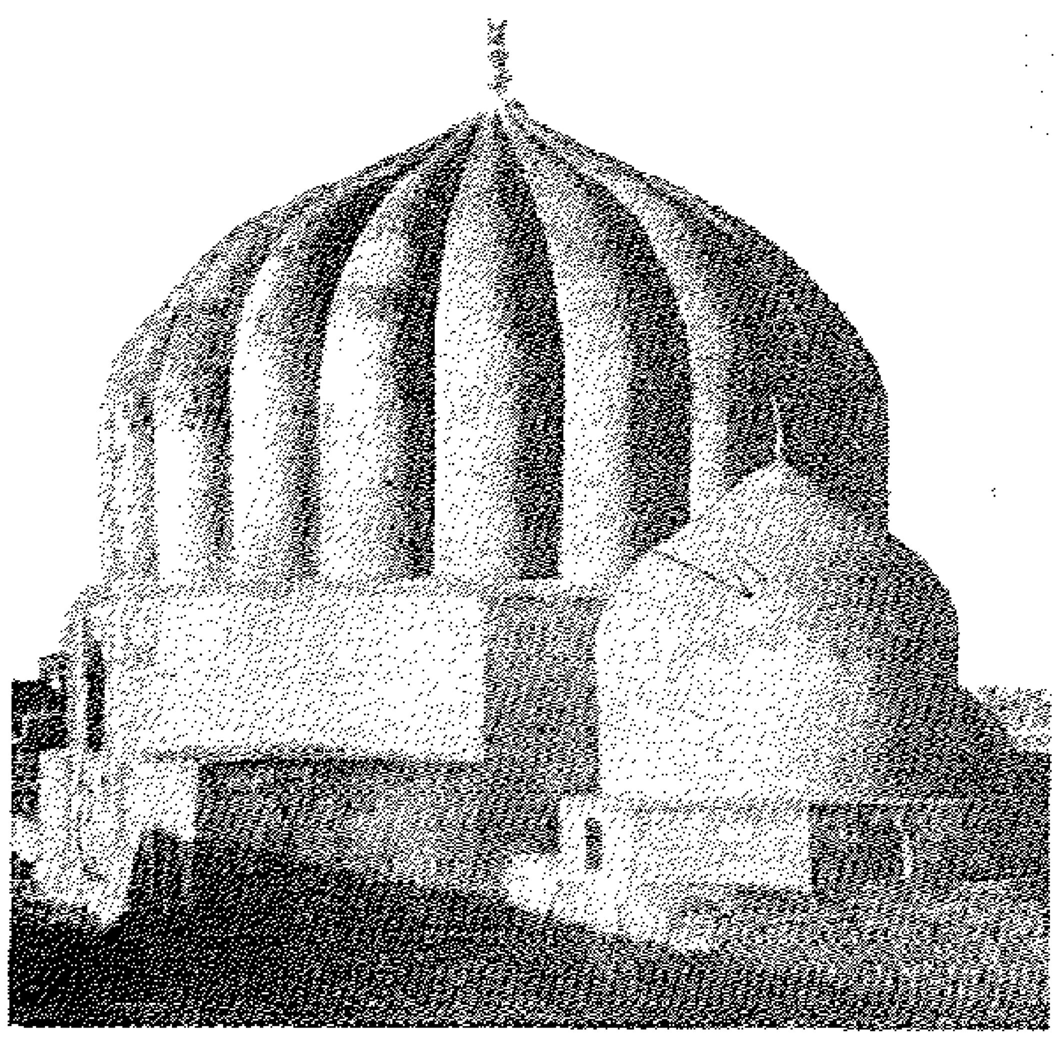

ب - ضريح يحيى الشبيه حوالي ١١٥٠م .

(لوحة رقم ١١٤) تتبع القباب والدلايات .

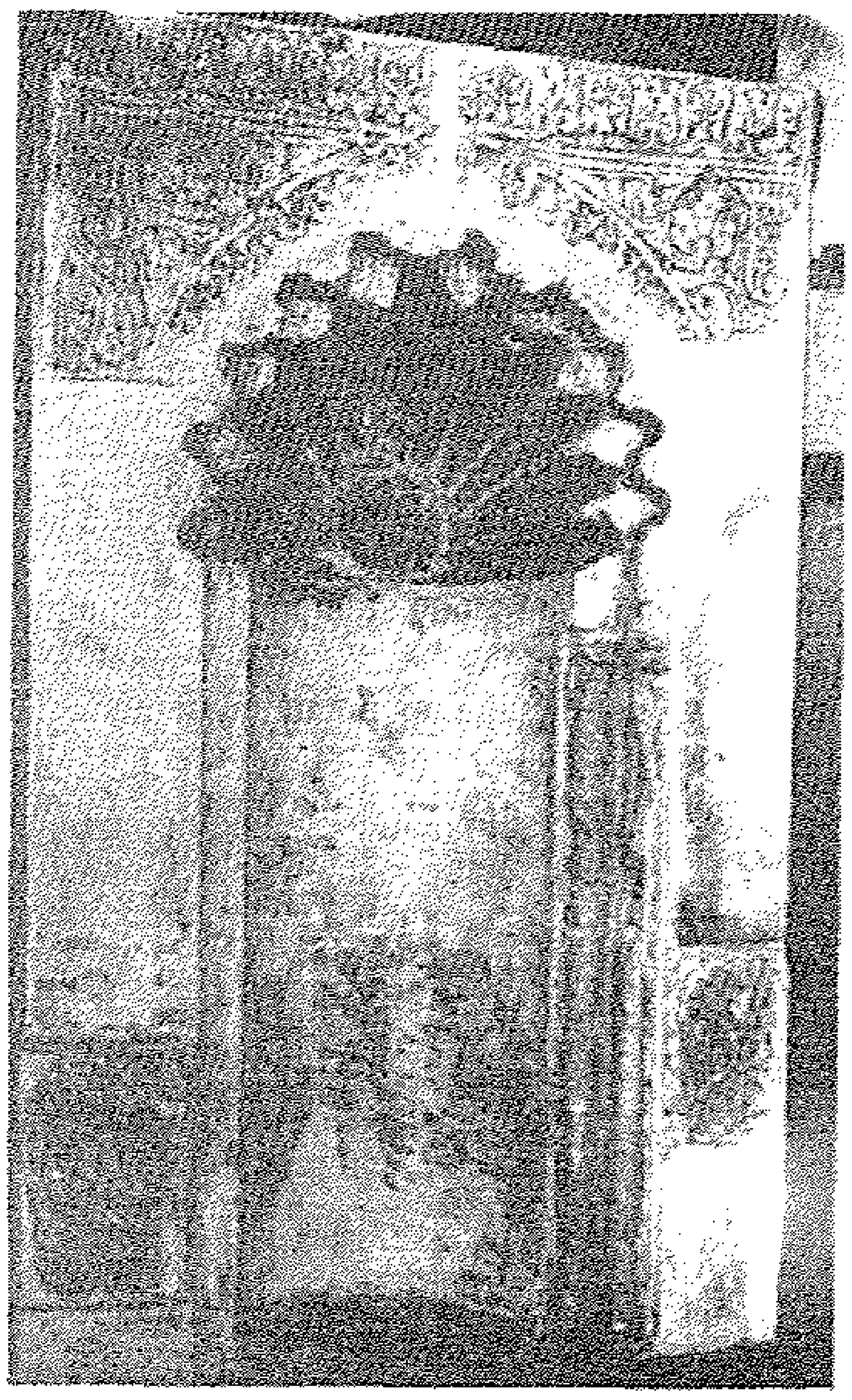

جـ - محراب قديم يتقدم
مشهد الشبيه من الشرق
في متحف الفن الإسلامي حوالي ٩٥٠م .

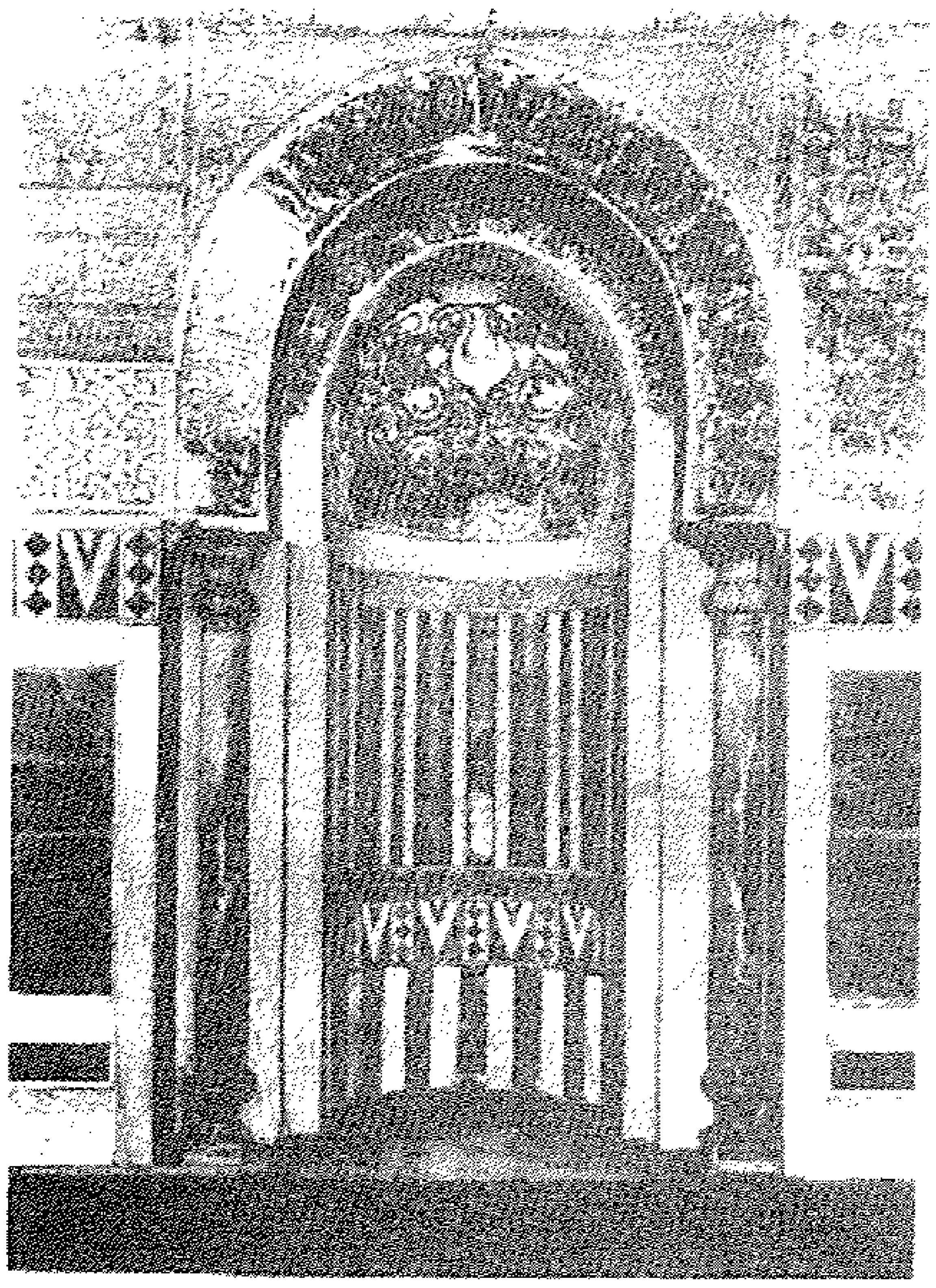

د - جامع الأزهر : (زخرفة العقد ونصف القبة
(الطاقية) فقط . والباقي متأخر) ٣٦١هـ/٩٧٢م .

(لوحة رقم ١١٤) تتبع المحاريب .

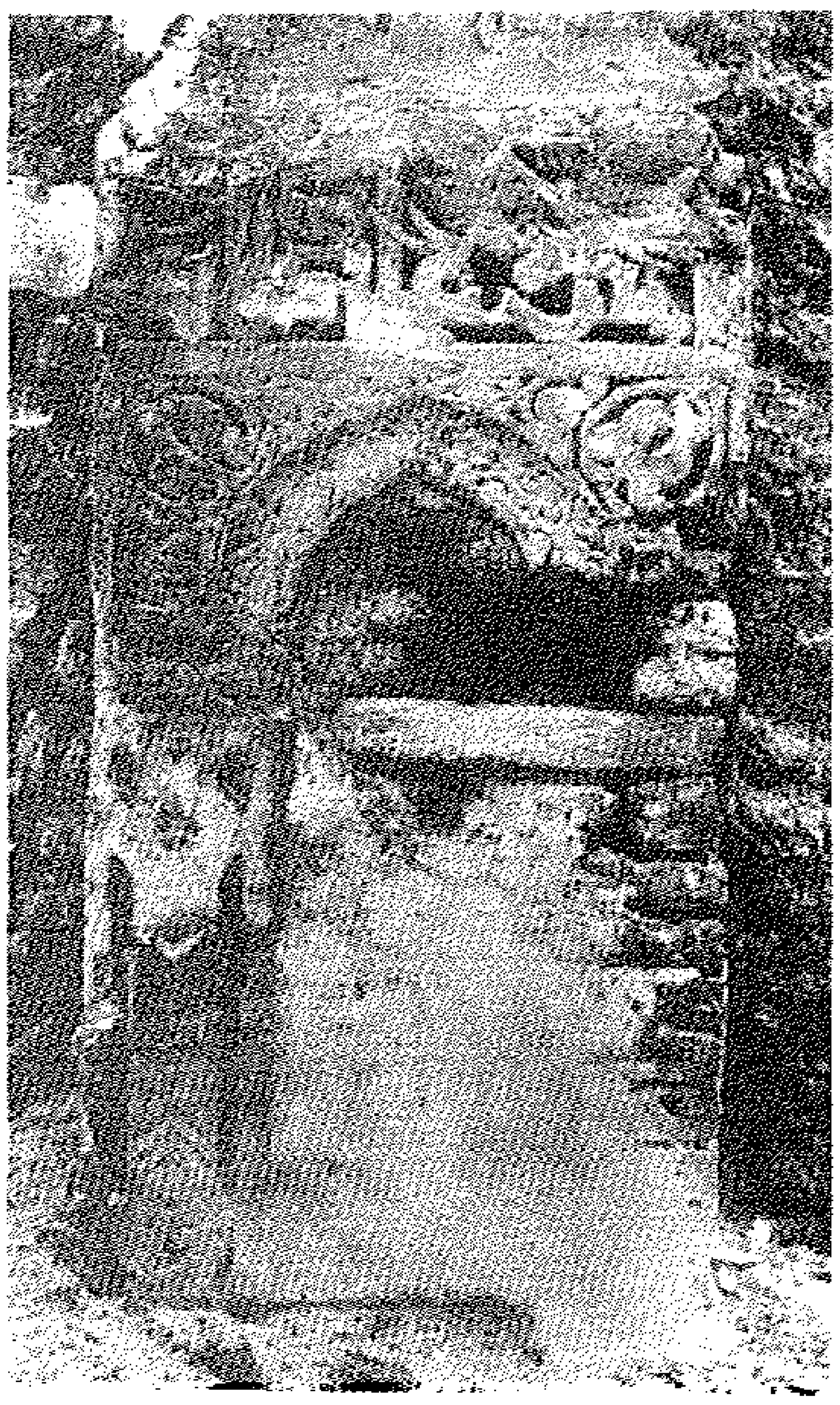

أ - مسجد الحاكم :
محراب في السطح ٣٩٣هـ/١٠٠٣م .

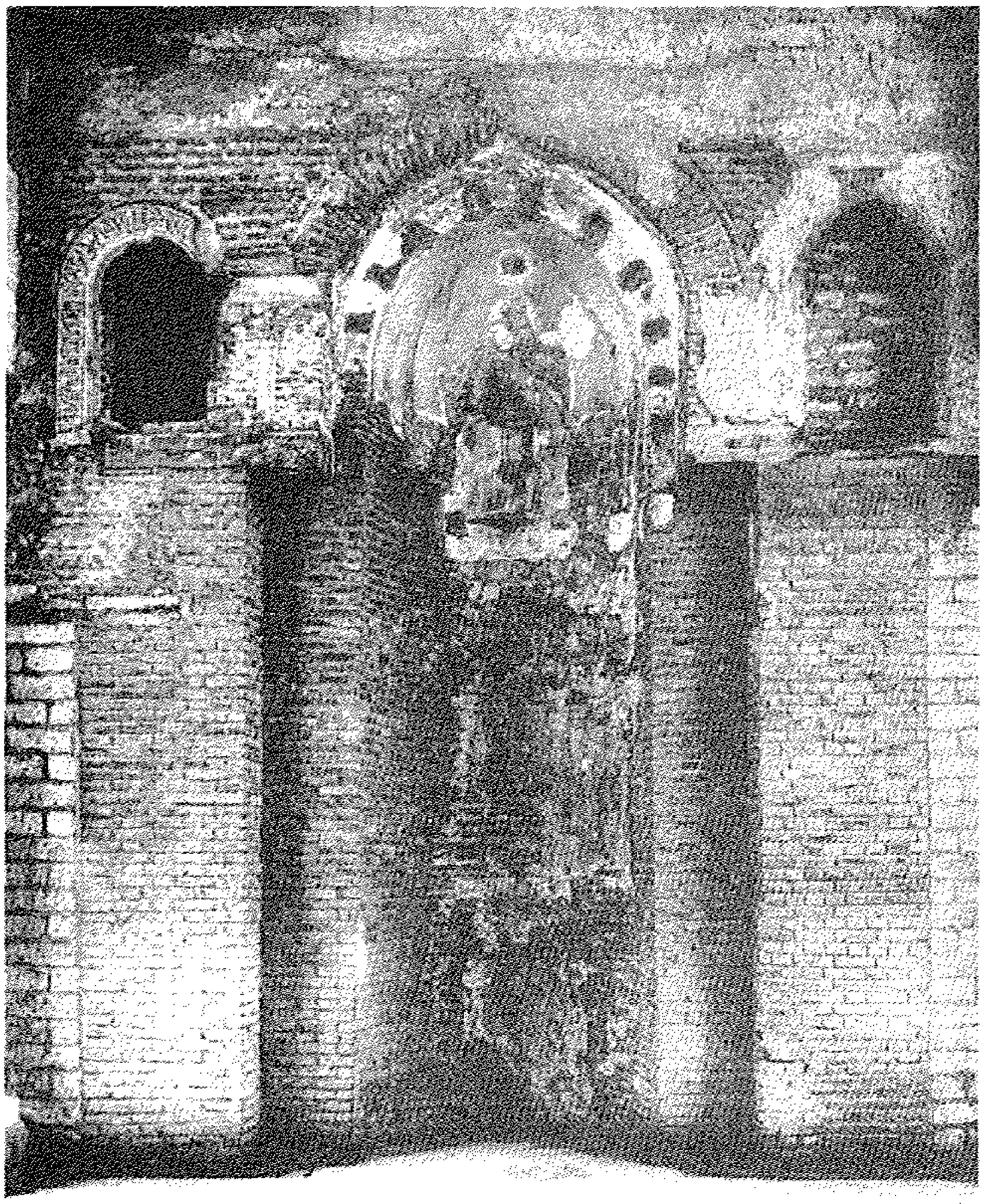

ب - مسجد الحاكم : المحراب الرئيسي .

جـ - مسجد لؤلؤة :
محراب في الحجرة السفلية
٤٠٦هـ/١٠١٥ - ١٠١٦م .

د - مسجد لؤلؤة :
محراب في الحجرة العلوية
٤٠٦هـ/١٠١٥ - ١٠١٦م .

(لوحة رقم ١١٥) تتبع المحاريب .

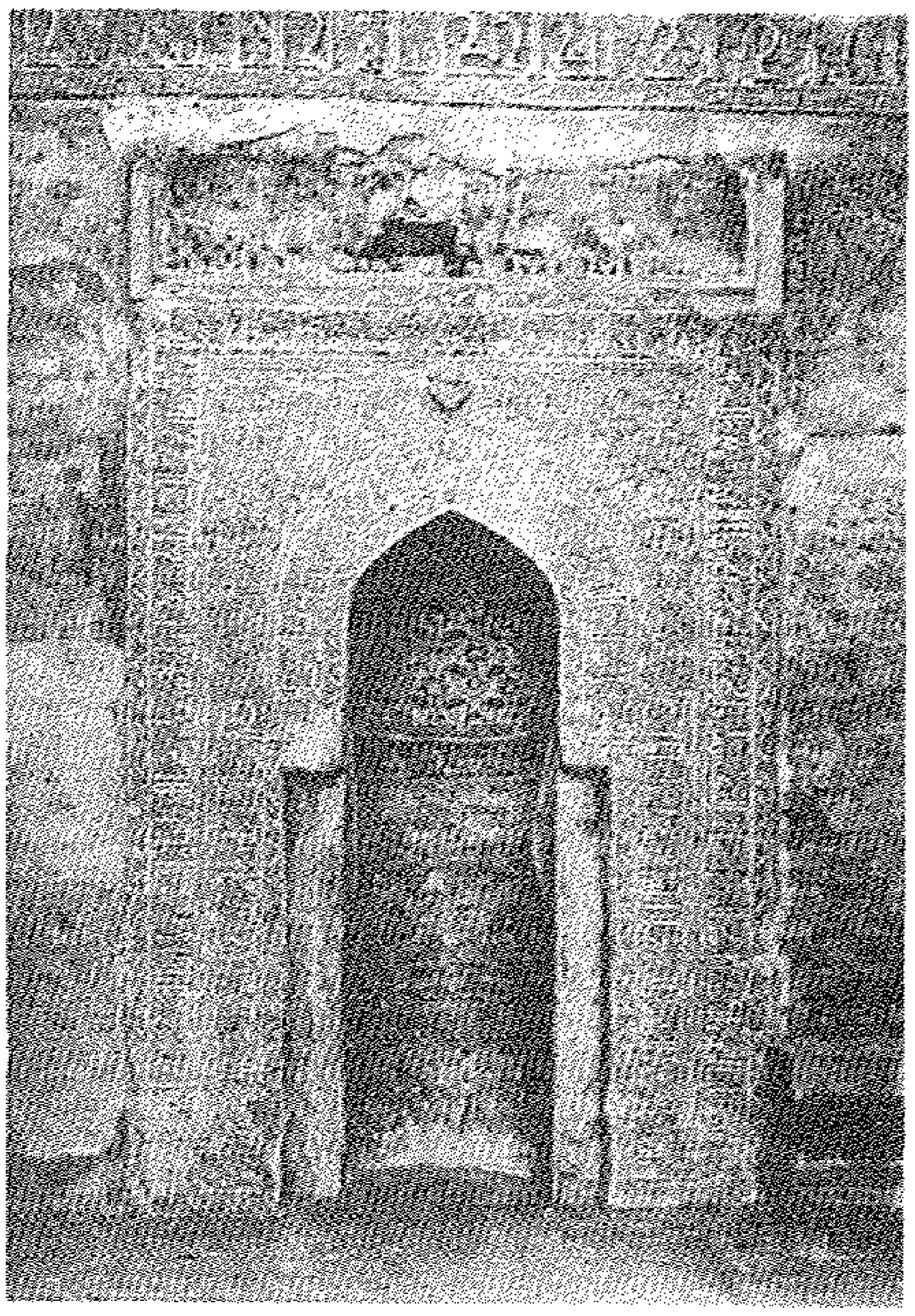

أ - مسجد : (مشهد)
الجيوشي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

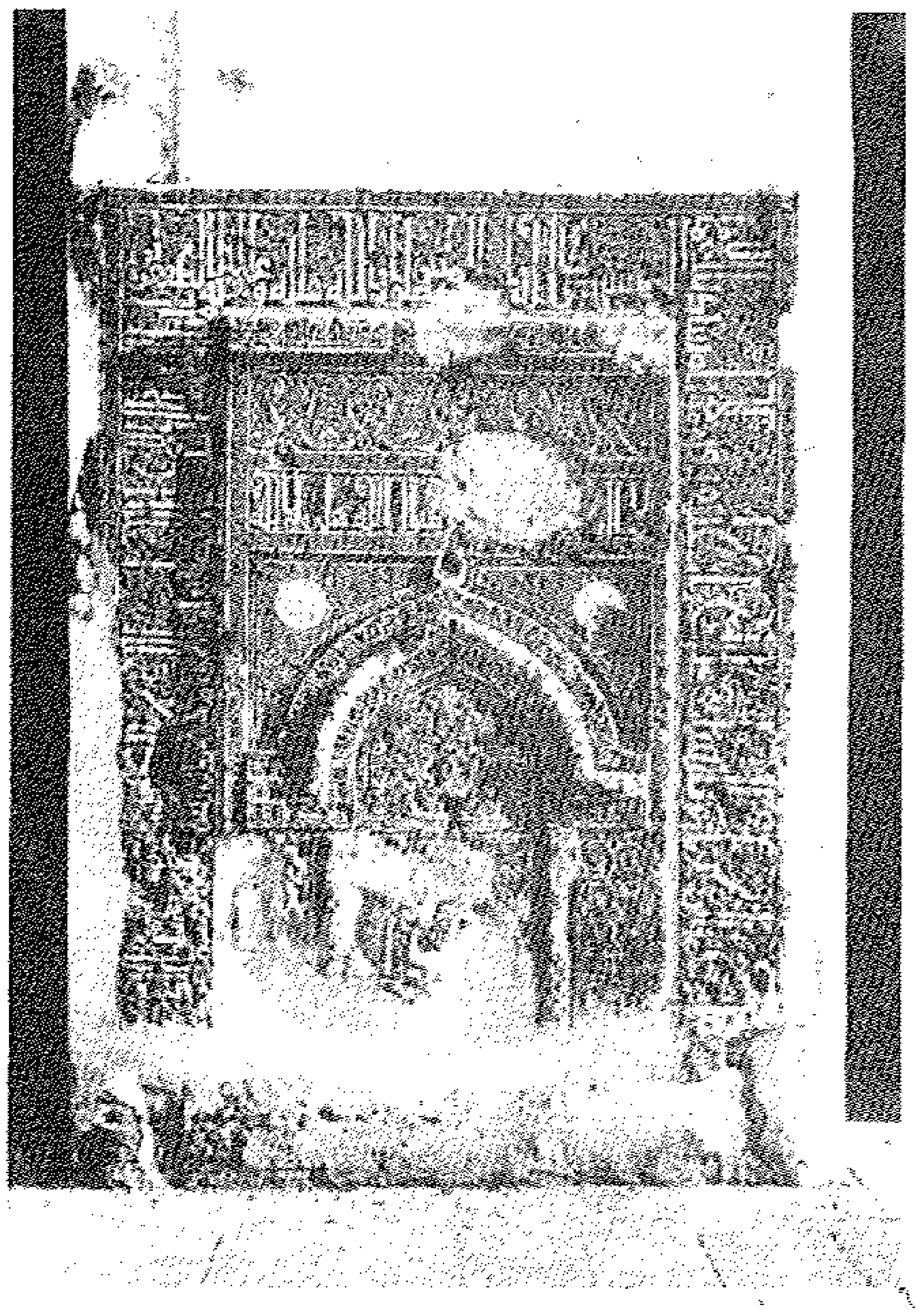

ب - محراب الأفضل
في جامع ابن طولون ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .

جـ - خضرة الشريفة :
المحراب الجانبي المكتشف
عن طريق الحفائر ٥٠١هـ/١١٠٧ - ١١٠٨م .

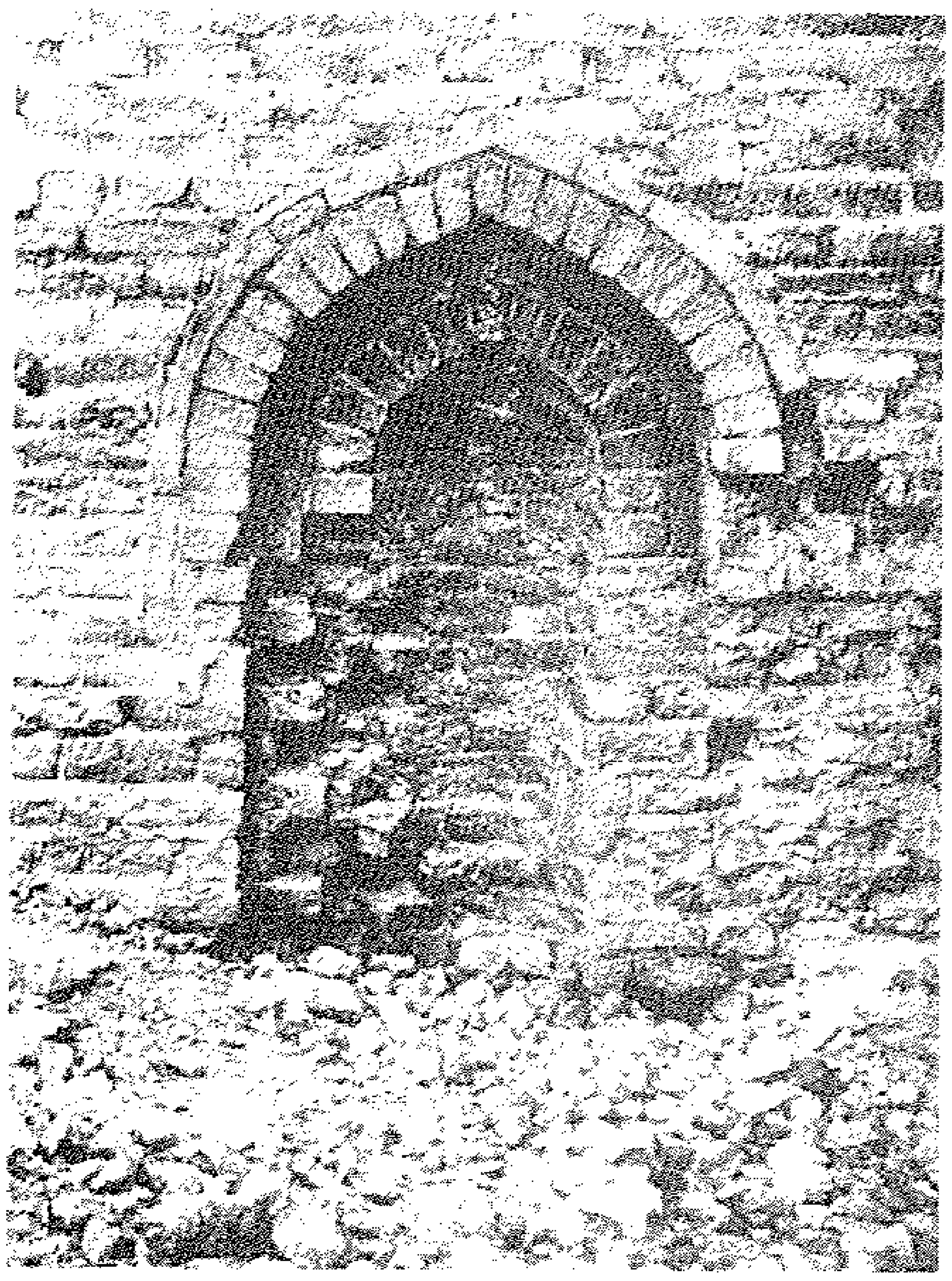

د - خضرة الشريفة : المحراب الرئيسي .

(لوحة رقم ١١٦) تتبع المحاريب .

أ - ضريح محمد الجعفري حوالي ١١١٠م .

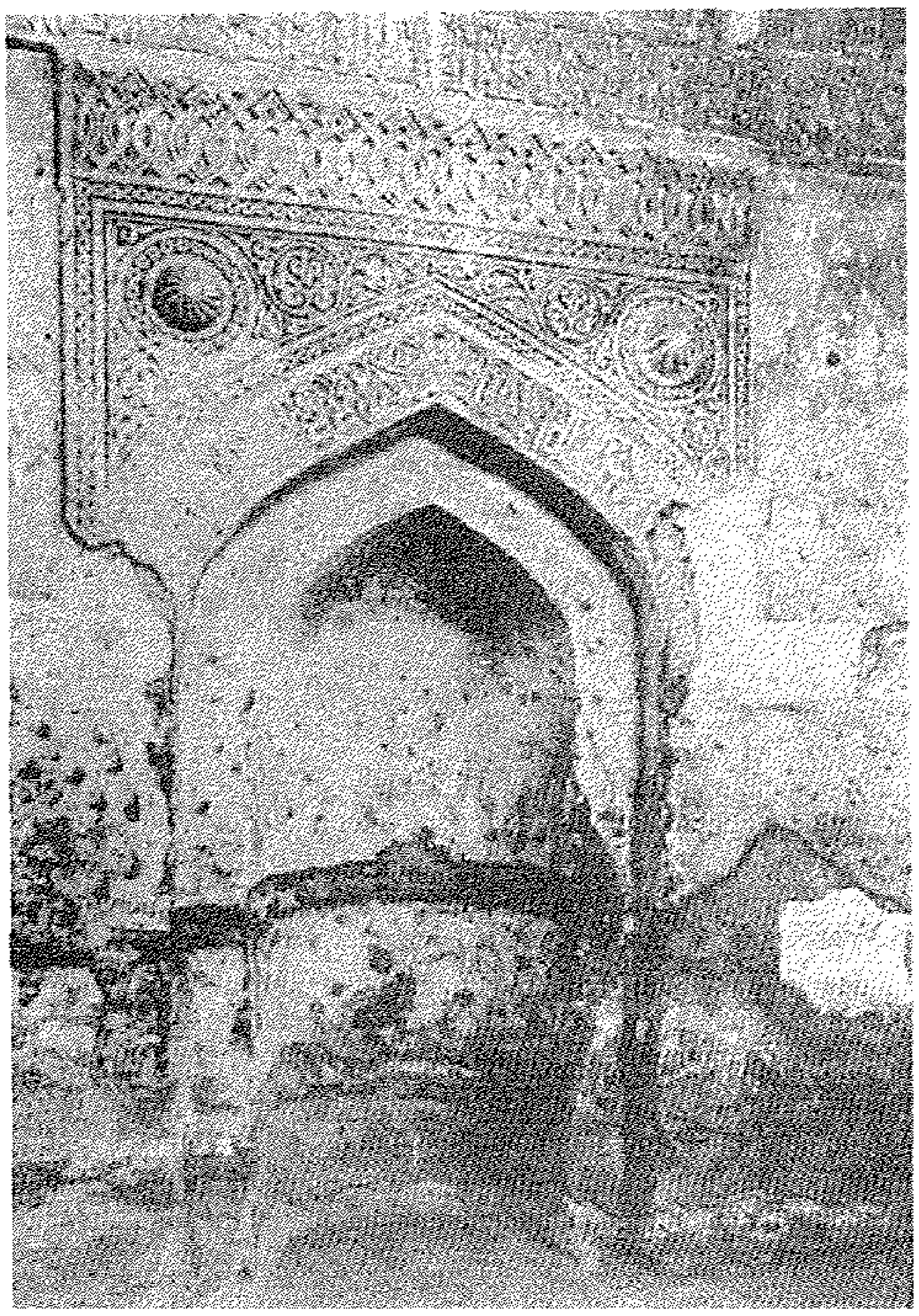

ب - ضريح السيدة عاتكة حوالي ١١٢٠م .

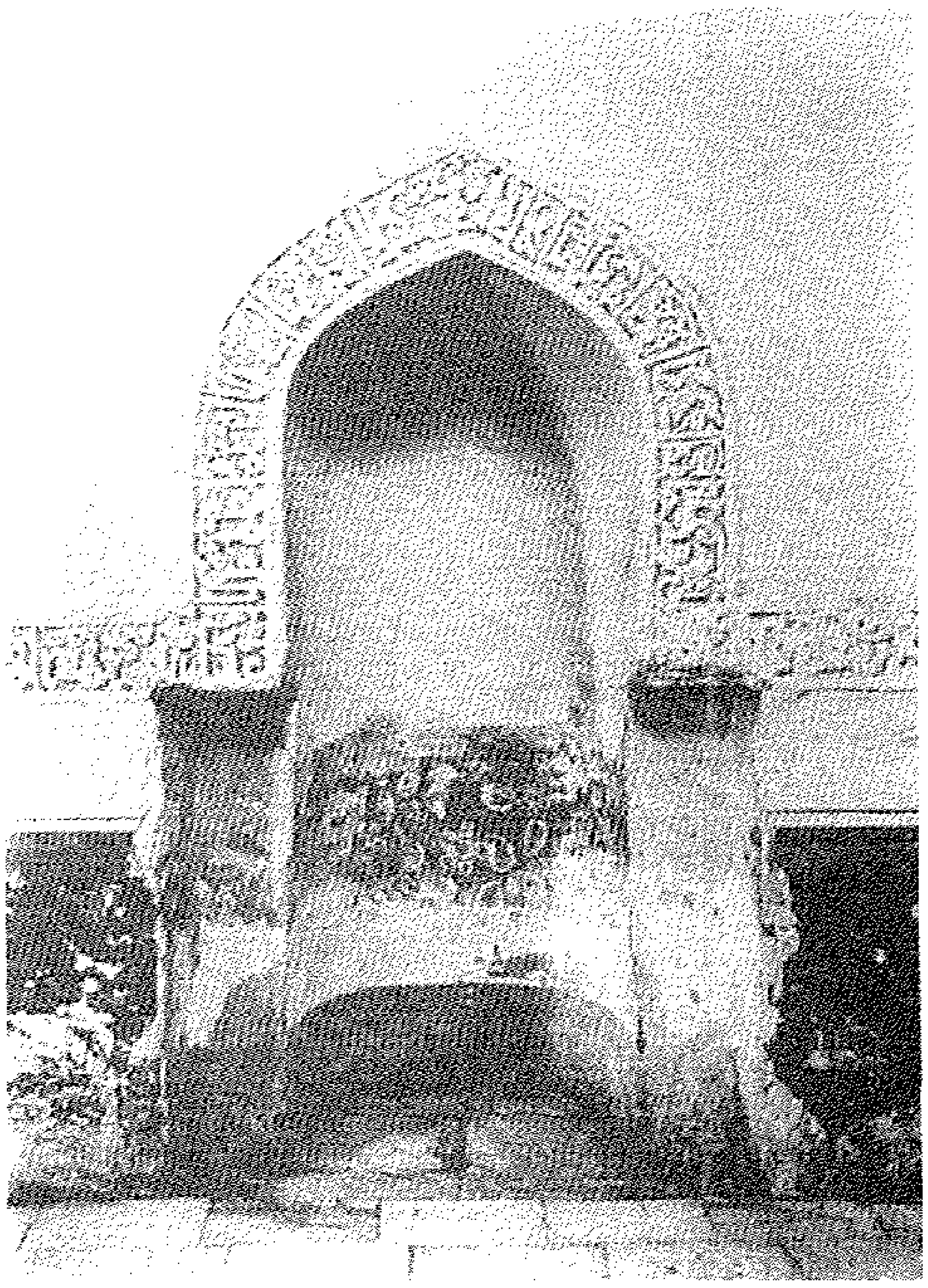

ج - ضريح الشيخ يونس بعد ٤٨٧هـ/١٠٩٤م .

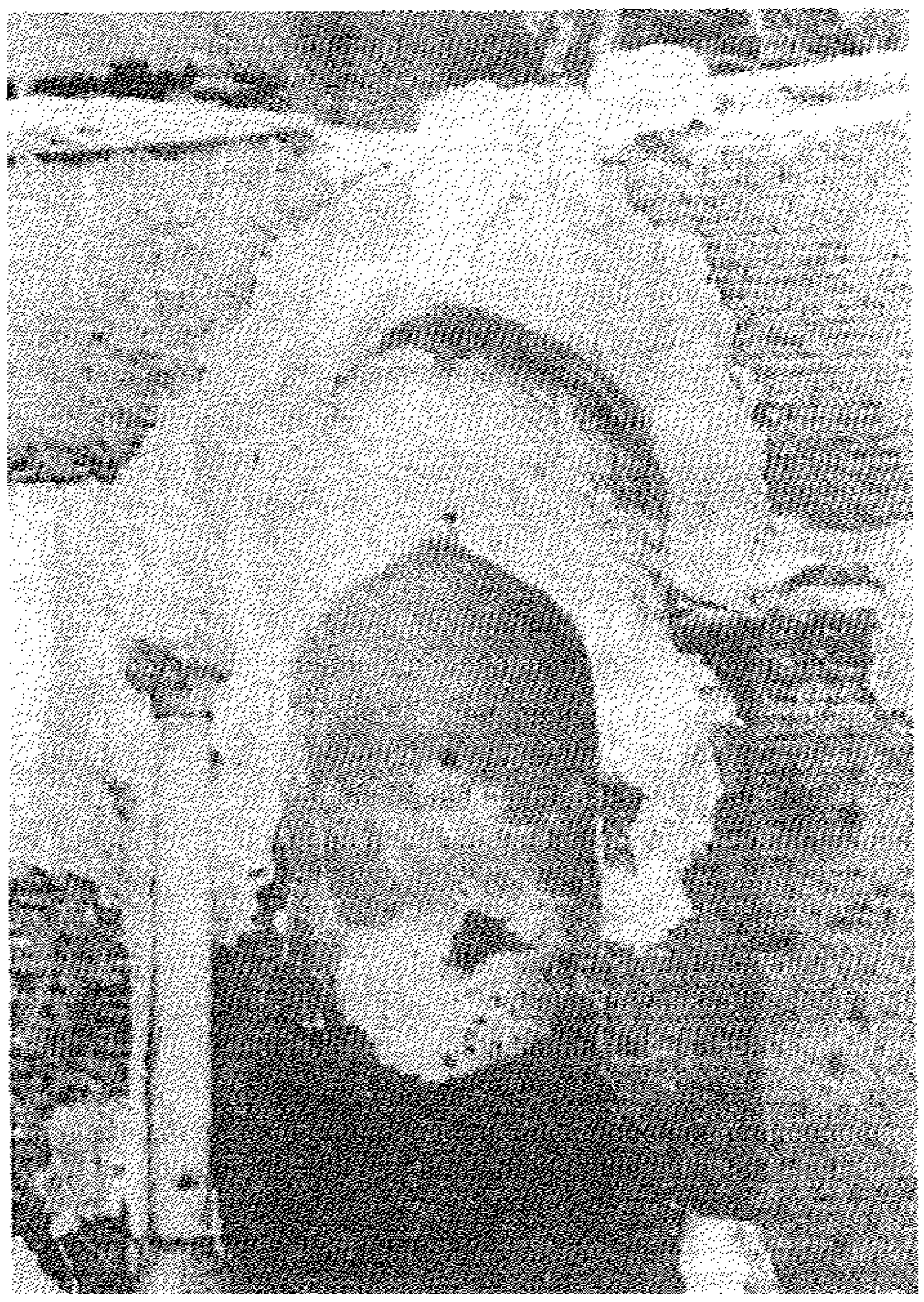

د - مسجد موسى في مسجد
الشيخ موسى قبل ٥١٣هـ/١١١٩م .

(لوحة رقم ١١٧) تتبع المحاريب .

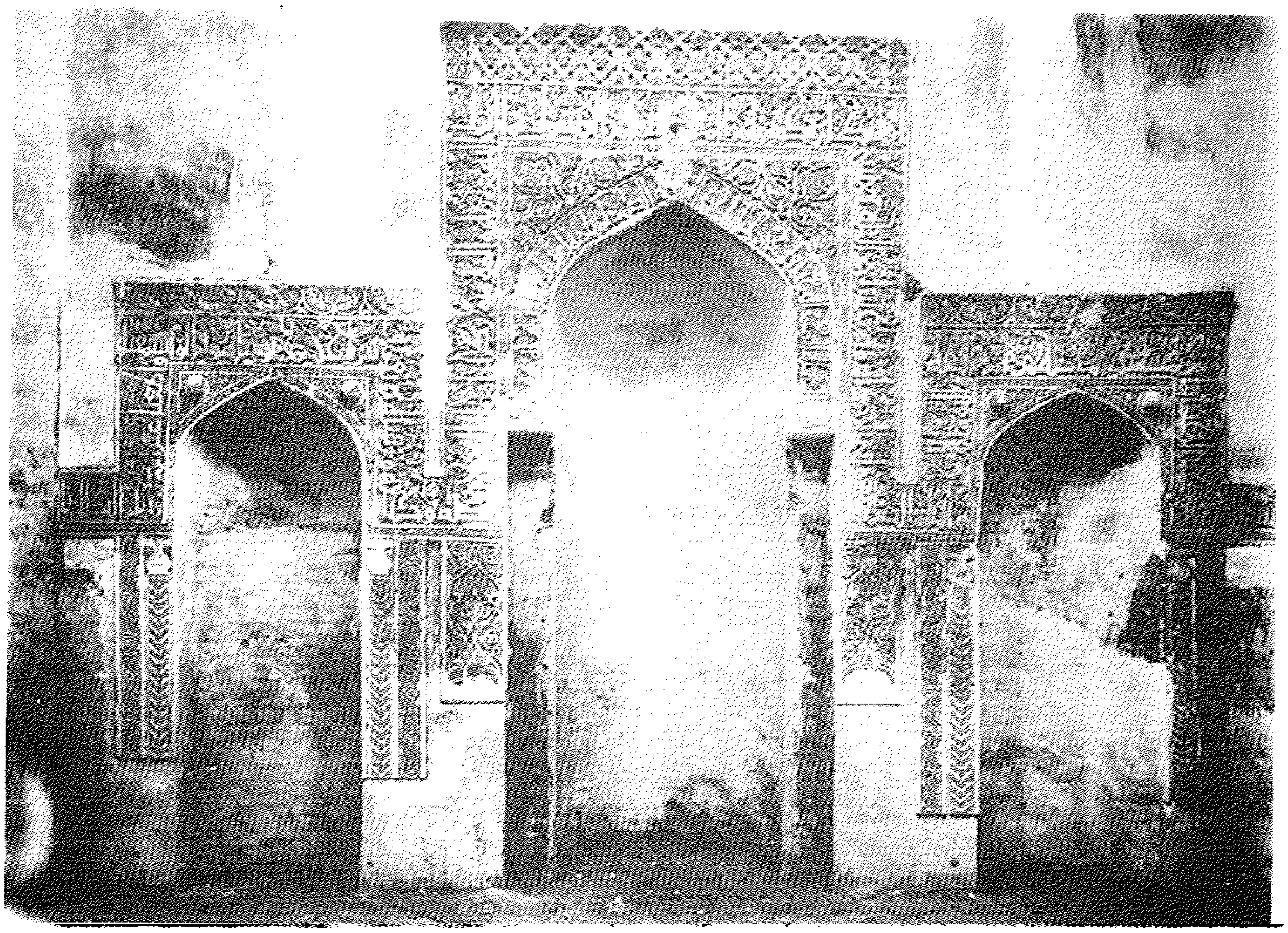

أ - أخوة يوسف : المحراب الثلاثي حوالي ١١٢٥م .

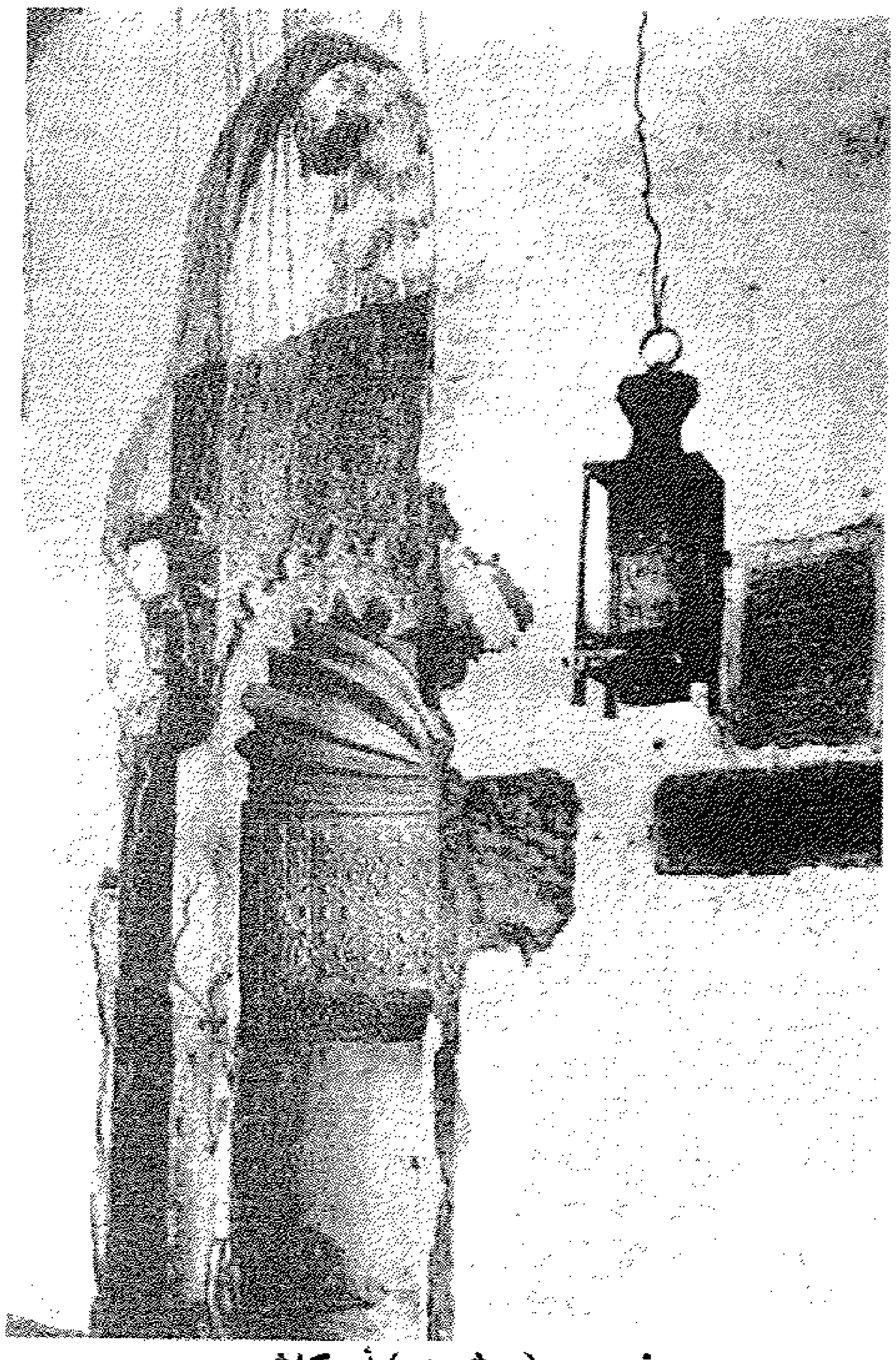

ب - ضريح (مشهد) أم كلثوم
٥١٦هـ/١١٢٢م

جـ - محراب الآمر للجامع الأزهر (بمتحف
الفن الإسلامي حالياً) ٥١٩هـ/١١٢٥ - ١١٢٦م .

(لوحة رقم ١١٨) تتبع المحاريب .

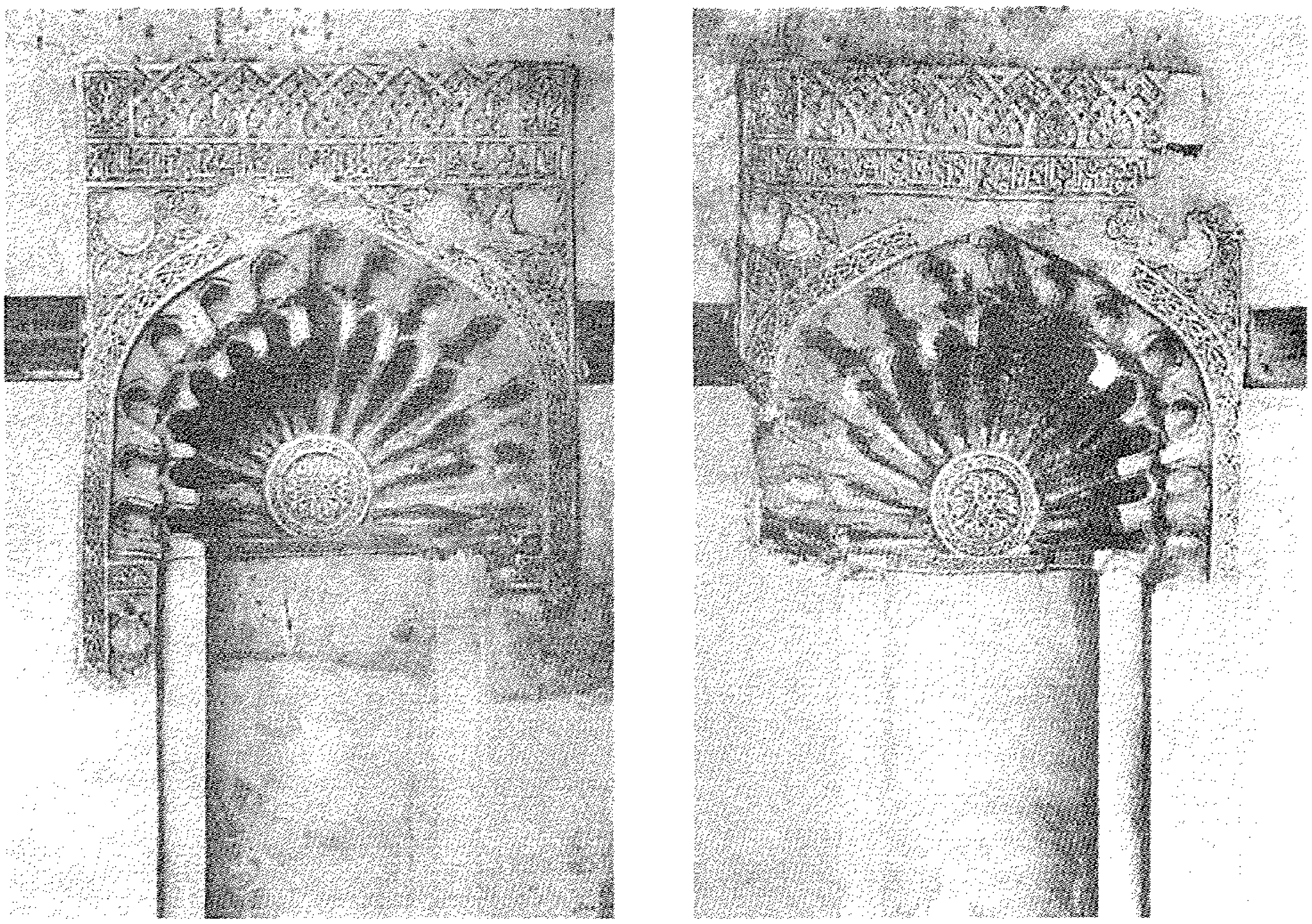

أ ، ب - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/١١٣٣م : المحرابان بالسقيفة عن يمين ويسار المدخل (٦٨ر٣×٧٢ر١م و ٦٨ر٣×٧٠ر١) .

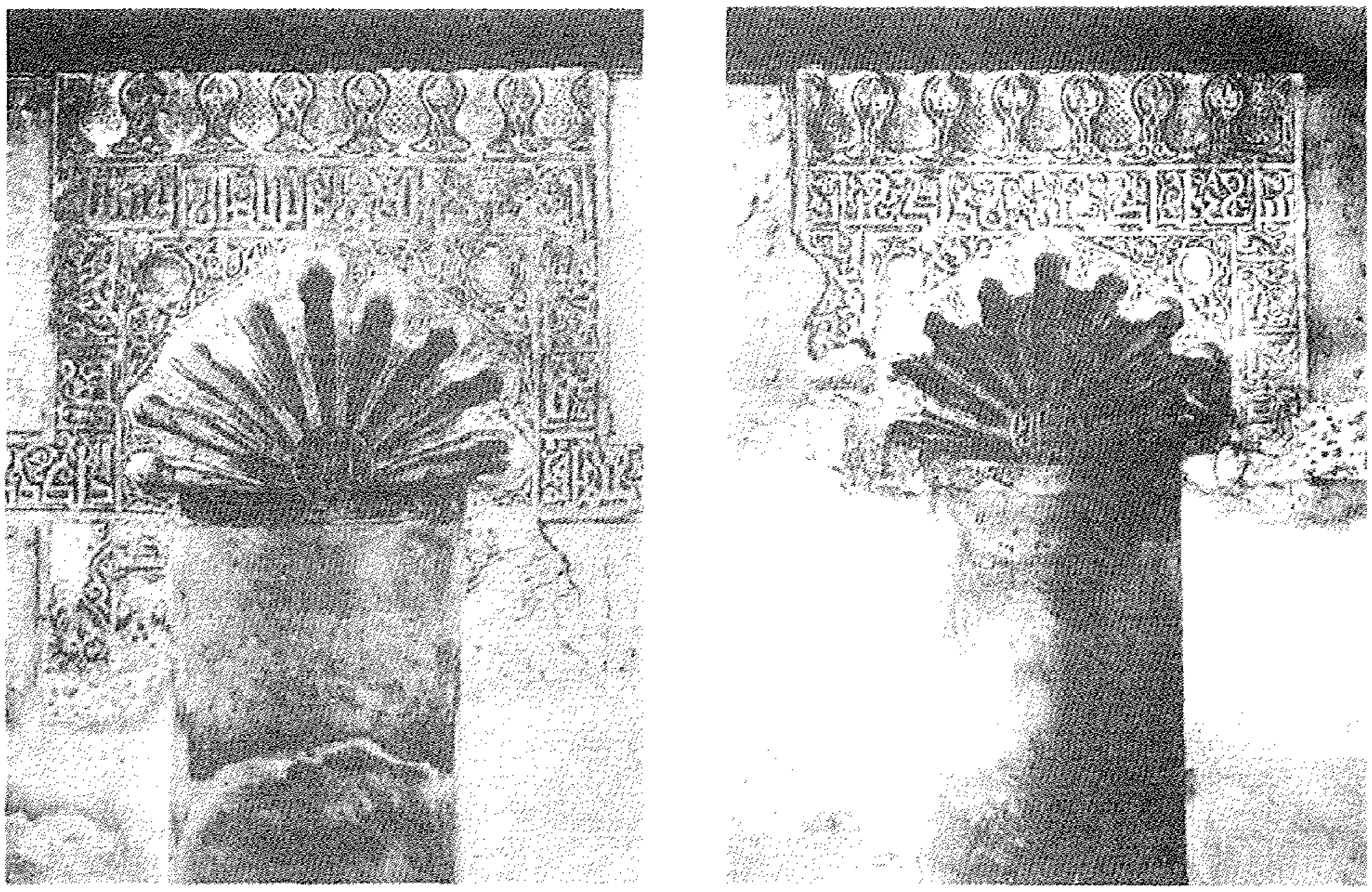

جـ ، د - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/١١٣٣م : المحرابان الداخليان عن يمين ويسار المحراب الرئيسي .

(لوحة رقم ١١٩) تتبع المحاريب .

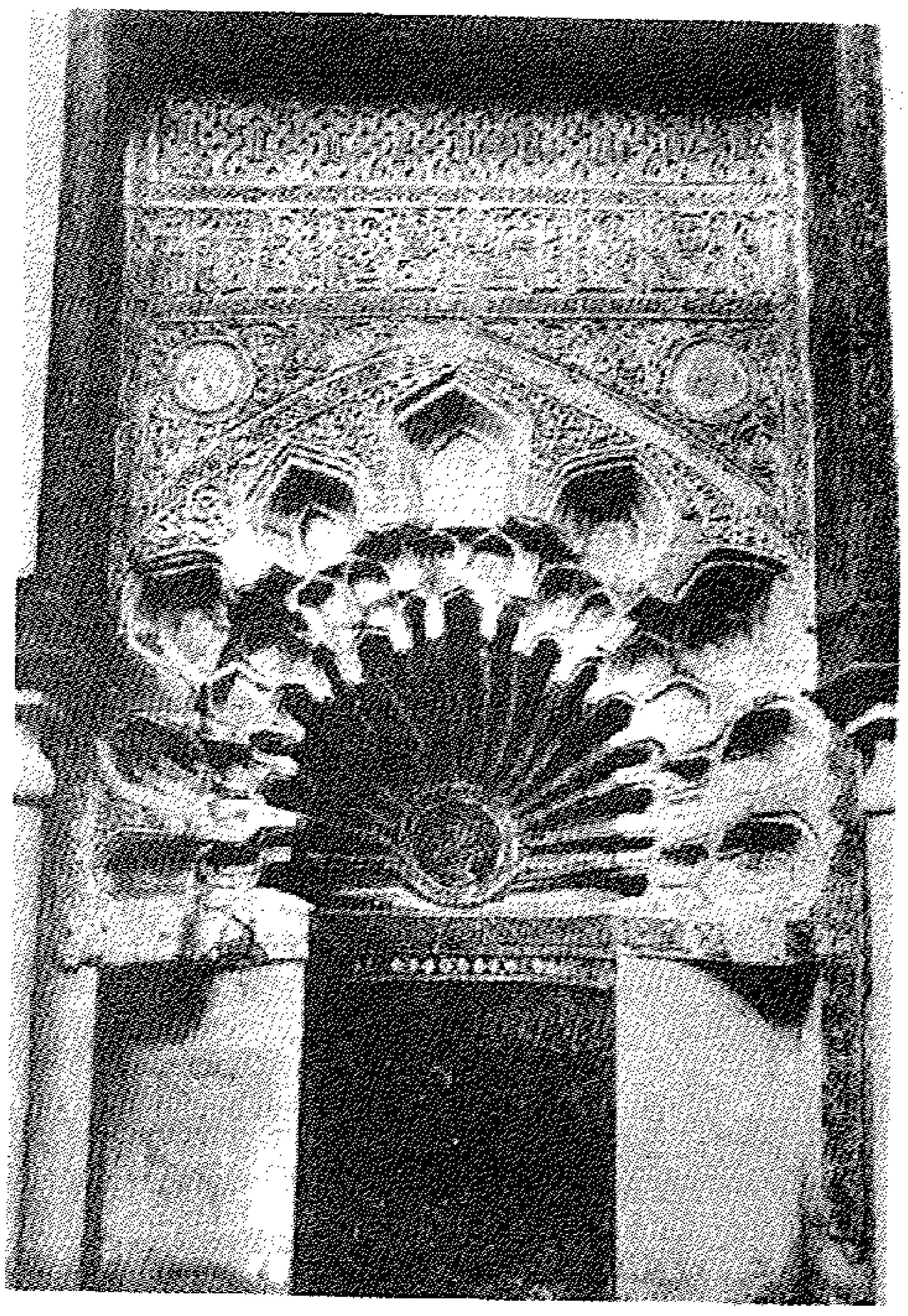

أ - مشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/١١٣٣م :
المحراب الرئيسي (٥٢ر٥ × ٩٥ر٢م) .

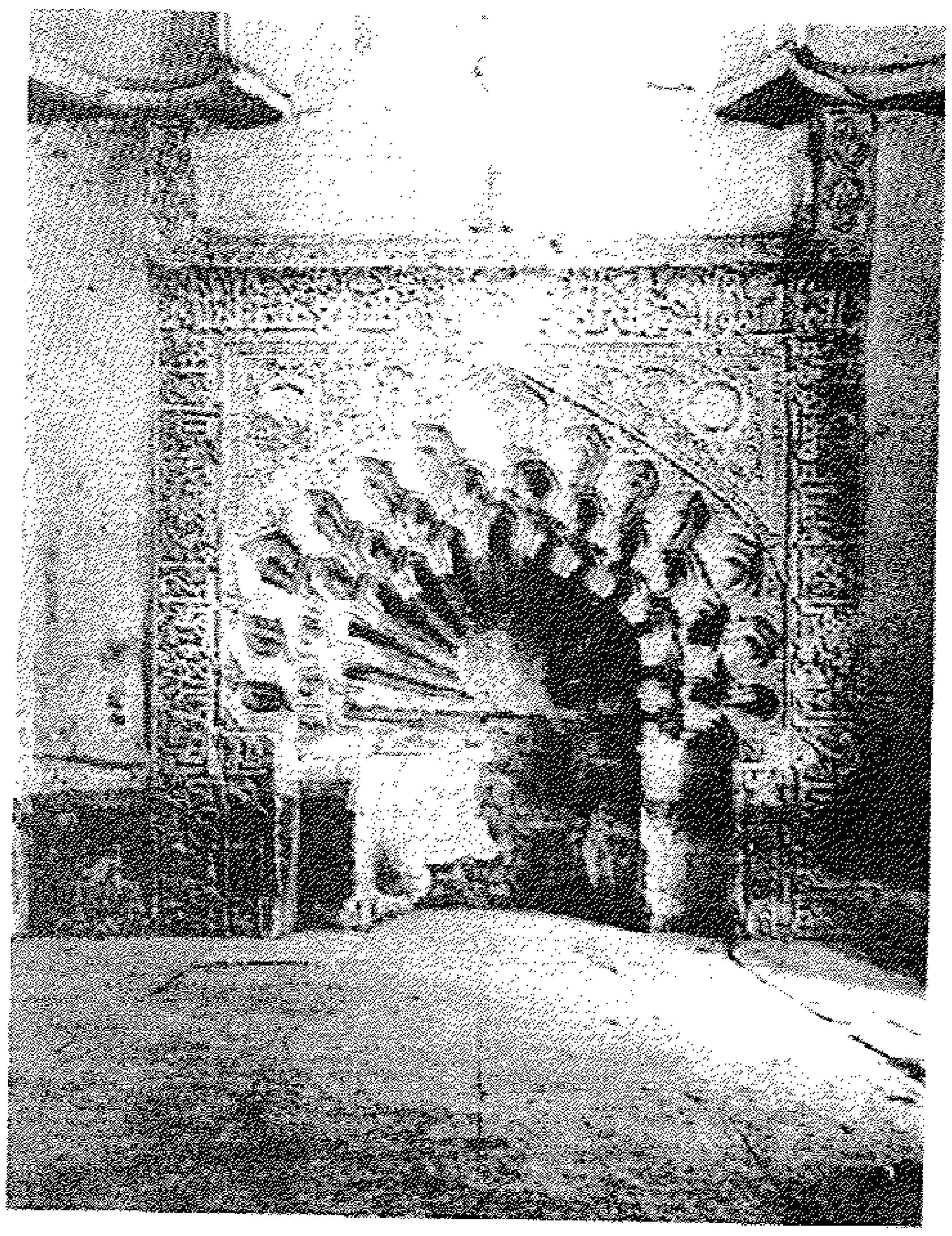

ب - ضريح محمد الحصواتي
حوالي ١١٢٥ - ١١٥٠م : (٧٧ر٢ × ٤٩ر٢م) .

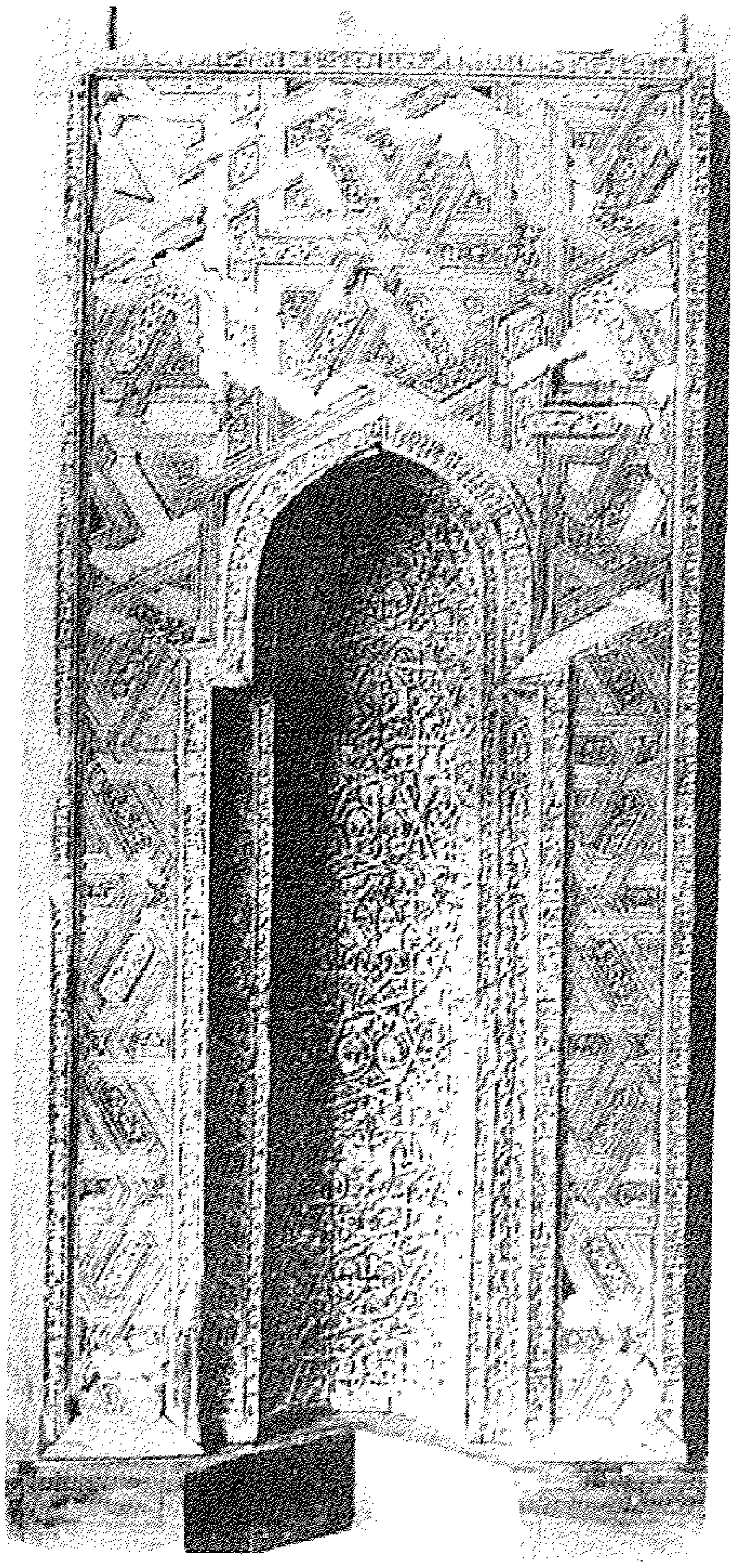

جـ - محراب السيدة نفيسة
حوالي ٥٣٢هـ/١١٣٨م .

(لوحة رقم ١٢٠) تتبع المحاريب .

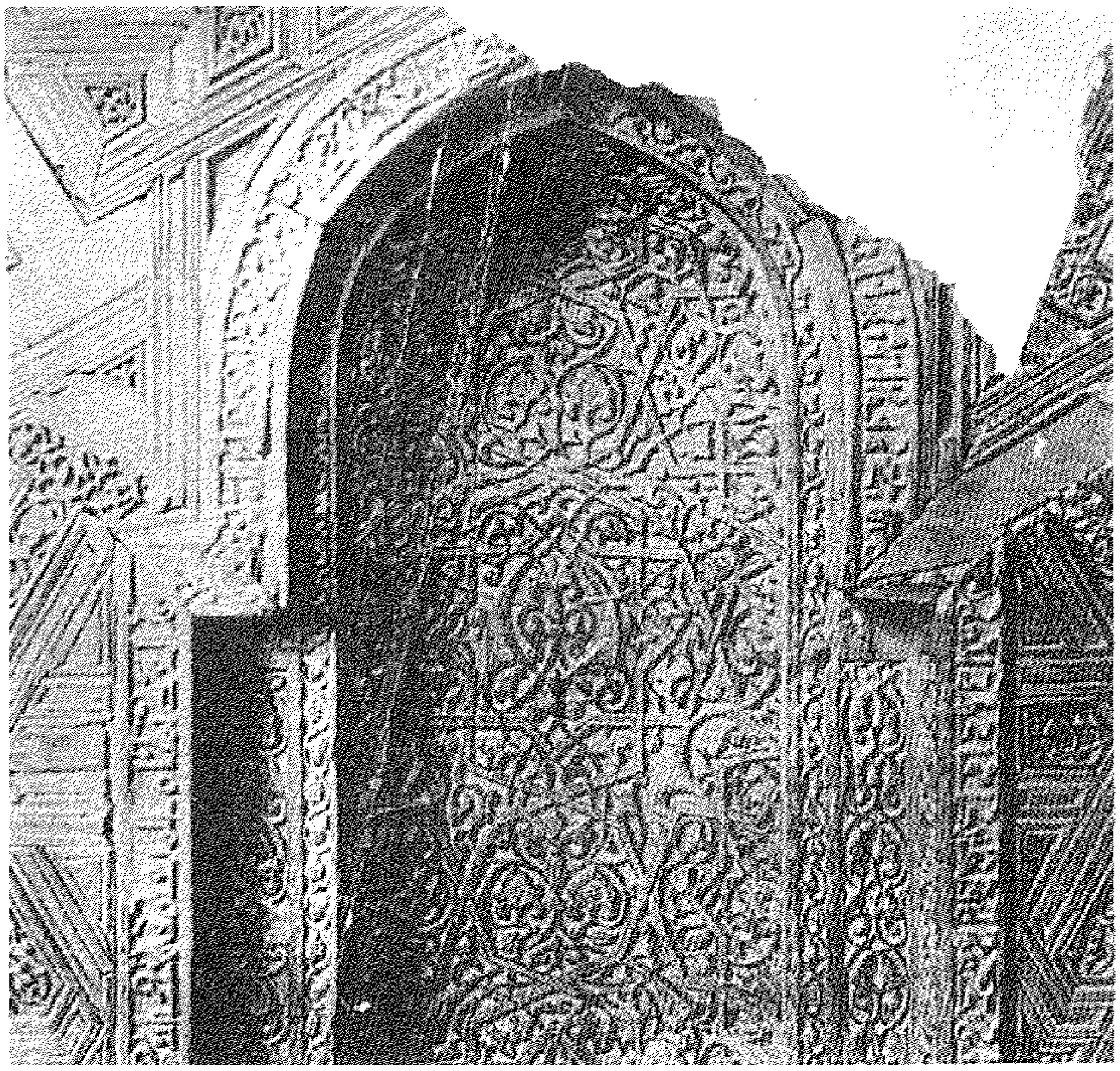

أ - محراب السيدة نفيسة : حوالي ٥٣٢هـ/١١٣٨م تفصيل .

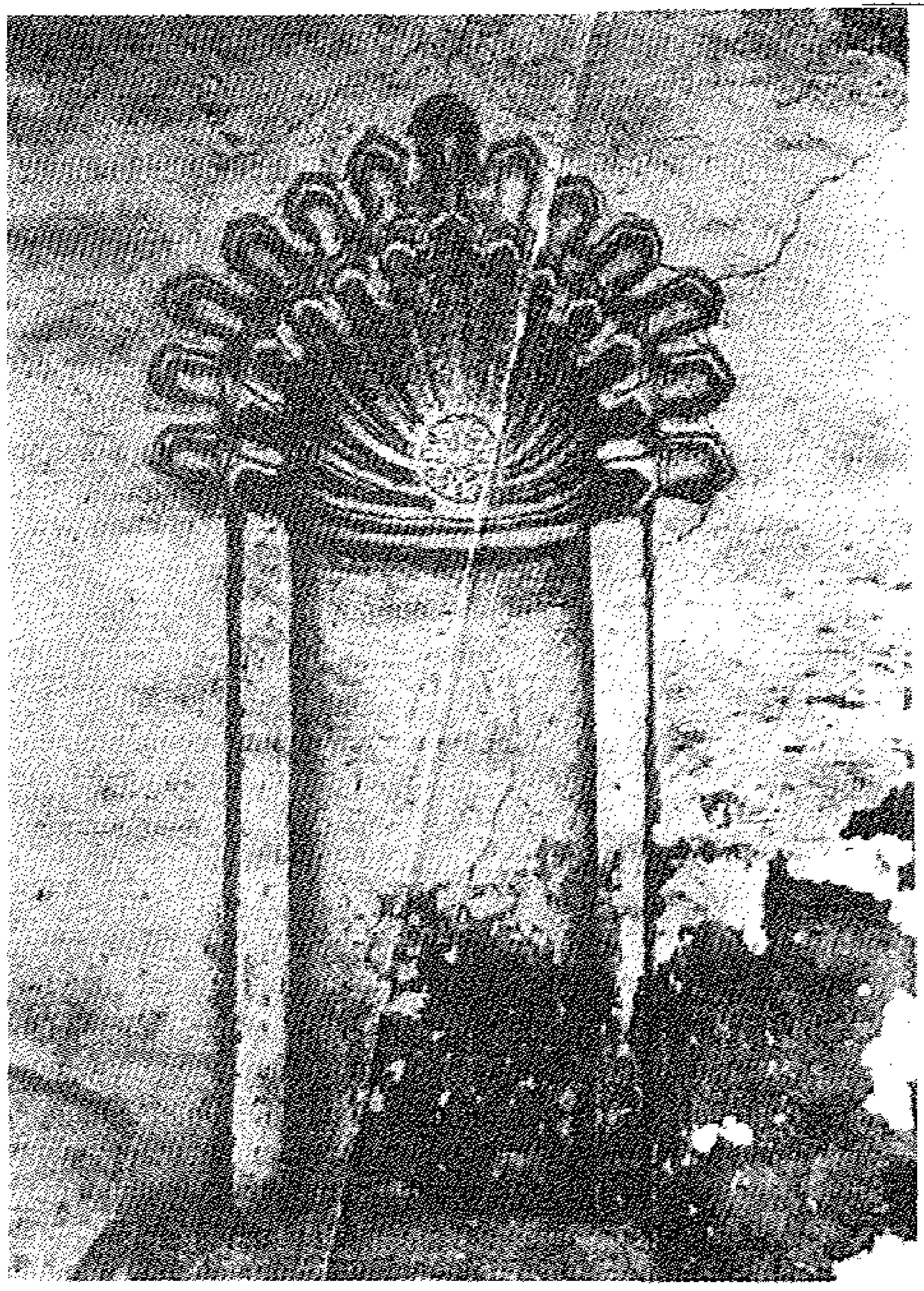

ب - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه
حوالي ١١٥٠م : المحراب الجانبي الأيسر .

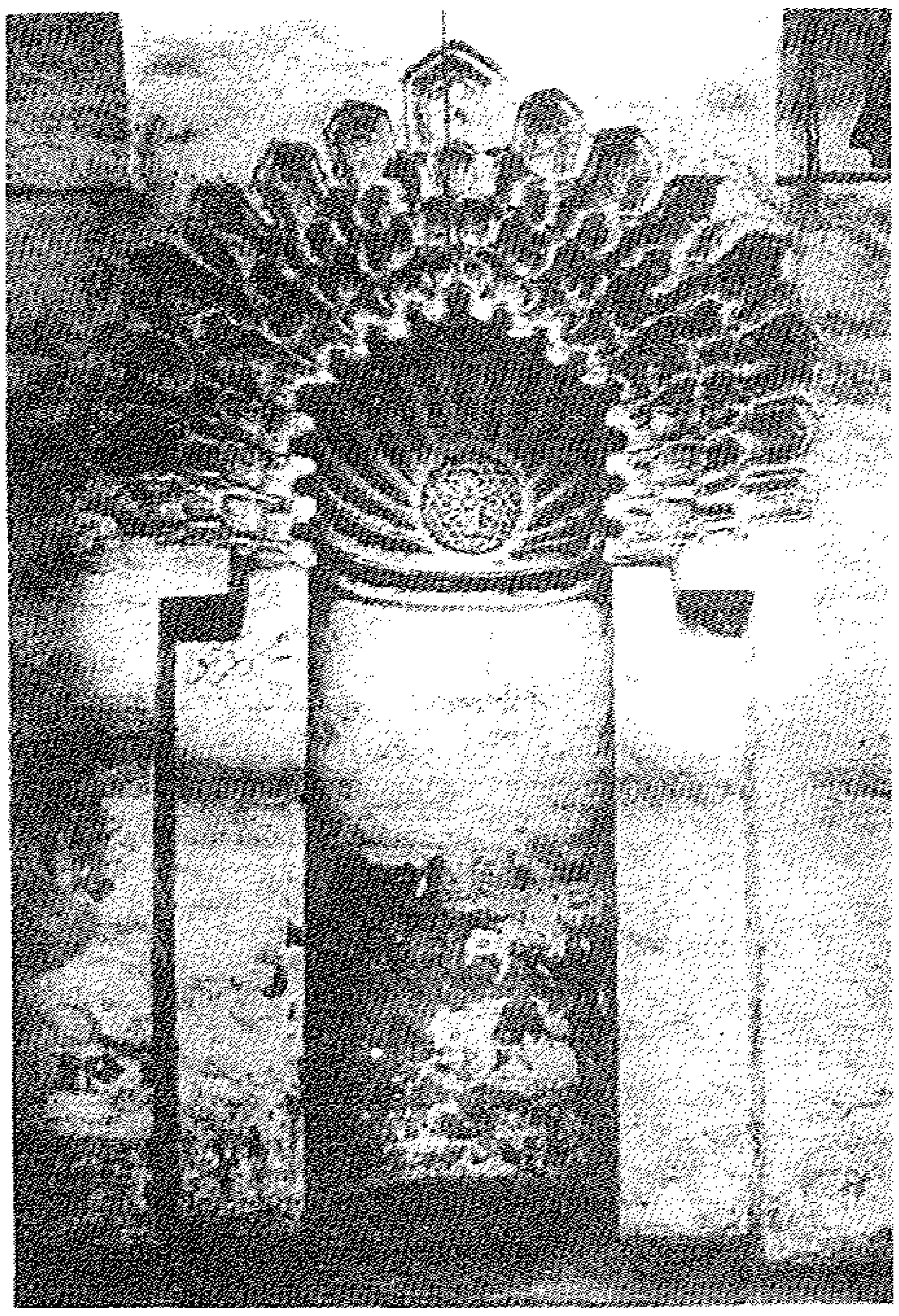

جـ - ضريح (مشهد) يحيى الشبيه
حوالي ١١٥٠م : المحراب الرئيسي .

(لوحة رقم ١٢١) تتبع المحاريب .

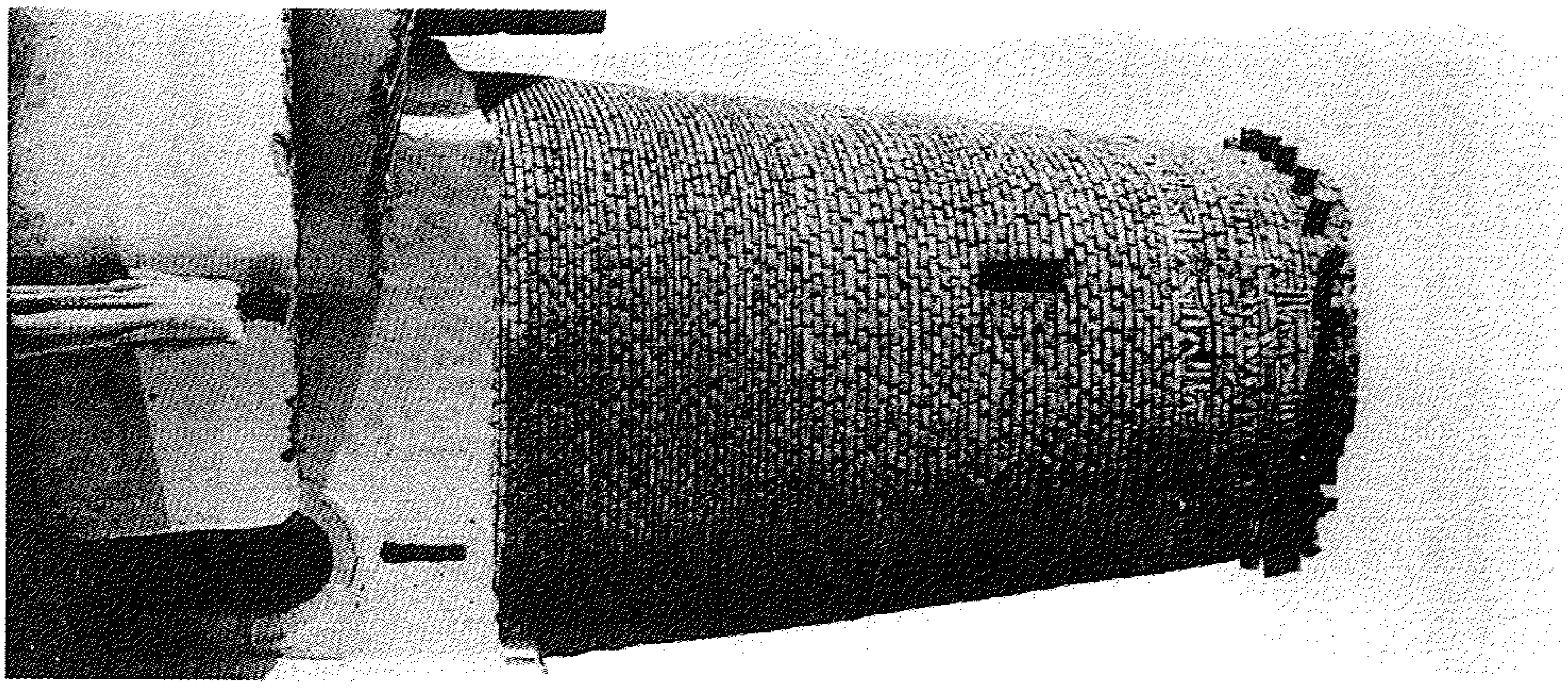

أ - أسوان : برج الطابية ٤٦٩ - ٤٧٤هـ/١٠٧٧ - ١٠٨١م .

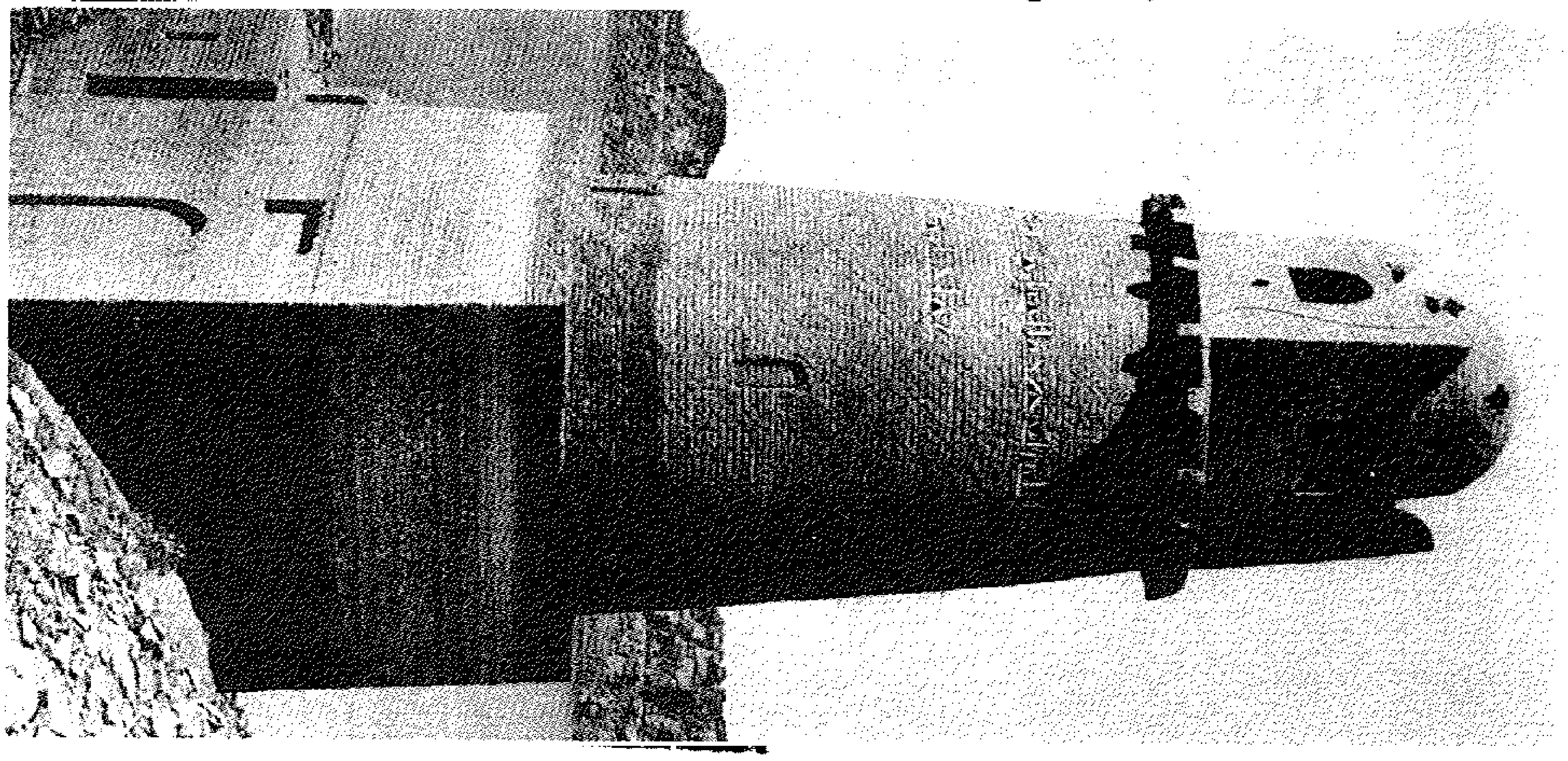

ب - المشهد البحري قرب الشلال ٤٦٩ - ٤٧٤هـ/١٠٧٧ - ١٠٨١م .

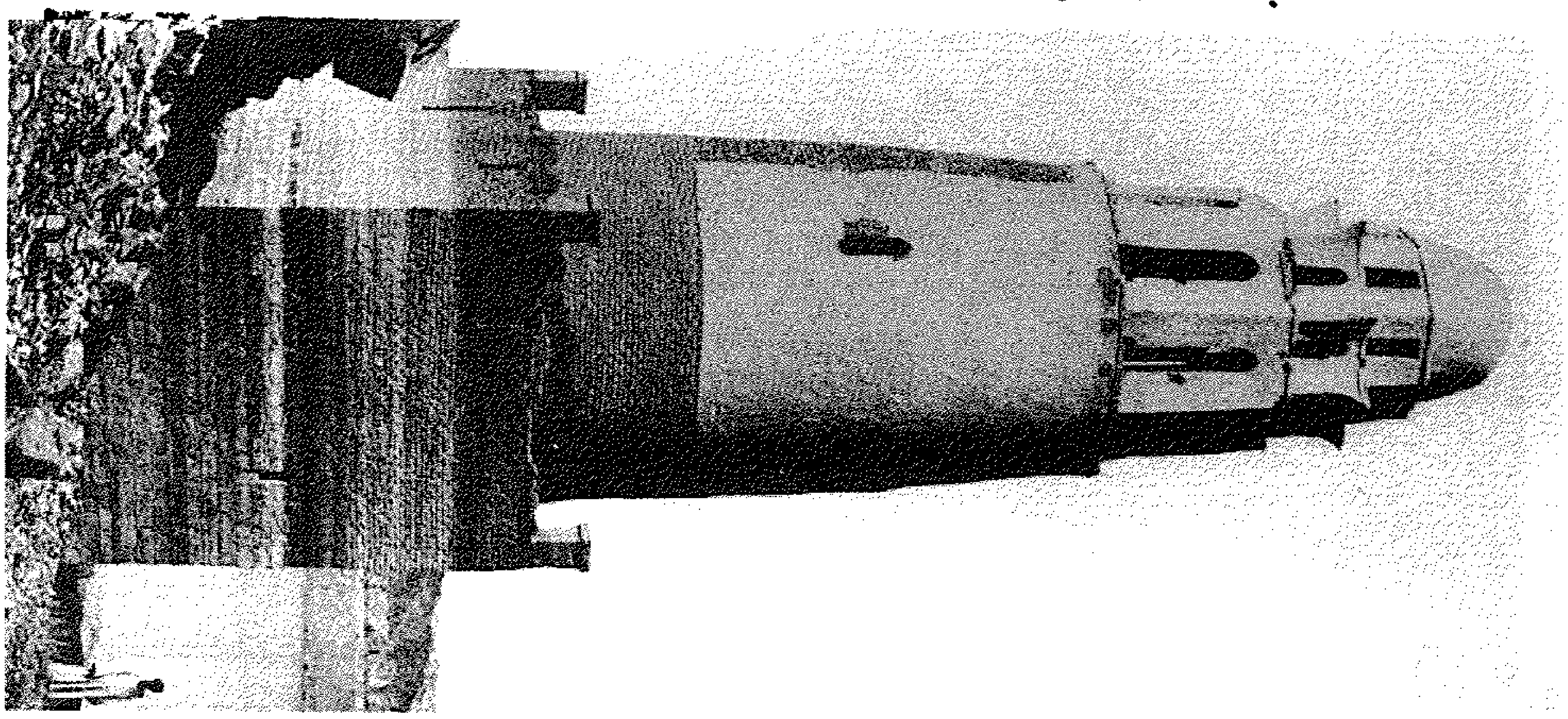

جـ - المشهد القبلي قرب الشلال ٤٦٩ - ٤٧٤هـ/١٠٧٧ - ١٠٨١م .

(لوحة رقم ١٢٢) تتبع المآذن .

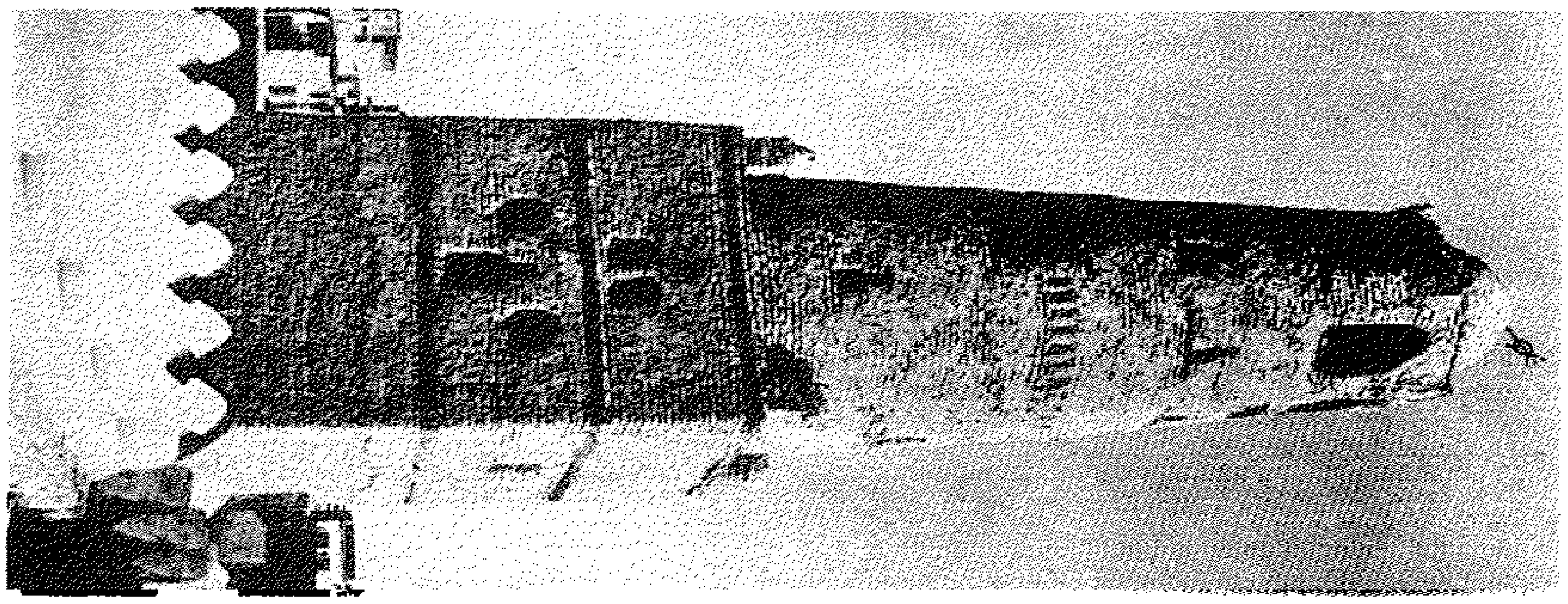

أ - الأقصر : مئذنة مسجد أبو الحجاج .

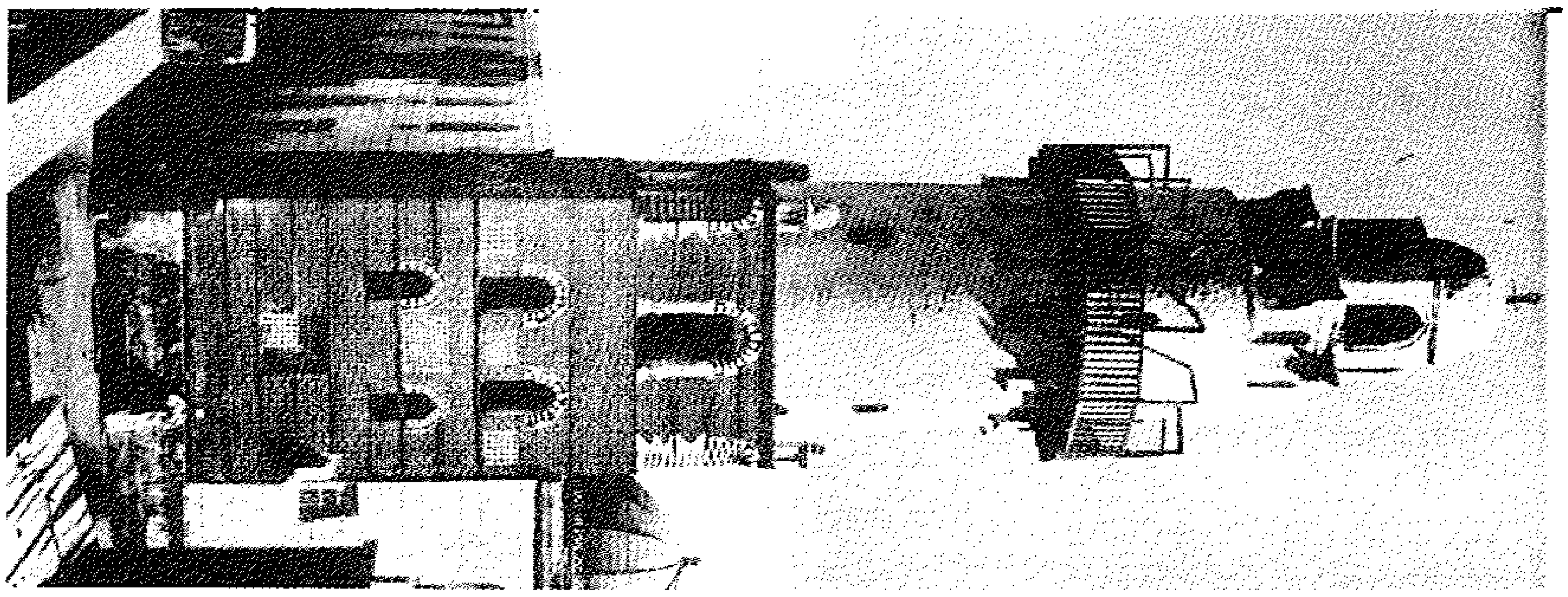

ب - اسنا : مئذنة الجامع الكبير ٤٧٤هـ/١٠٨١ - ١٠٨٢م .

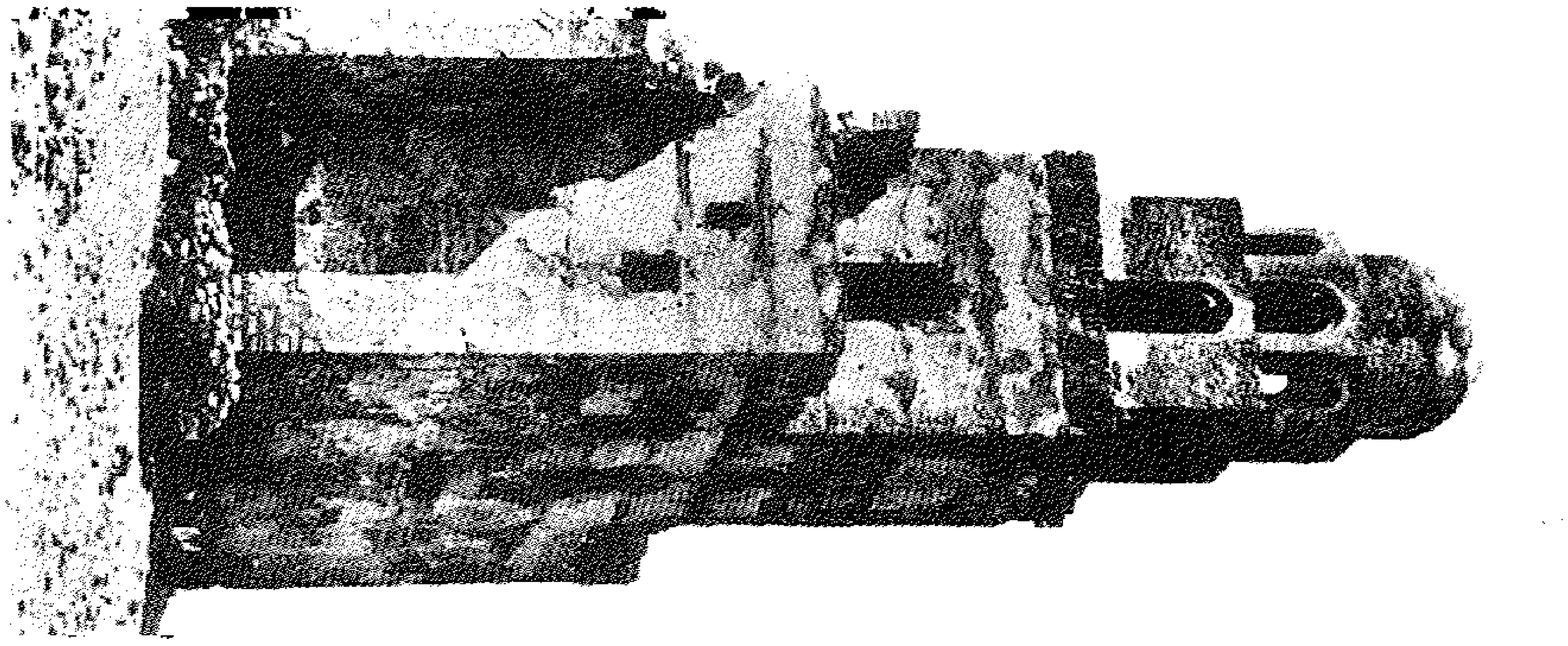

جـ - القاهرة : مئذنة الجيوشي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

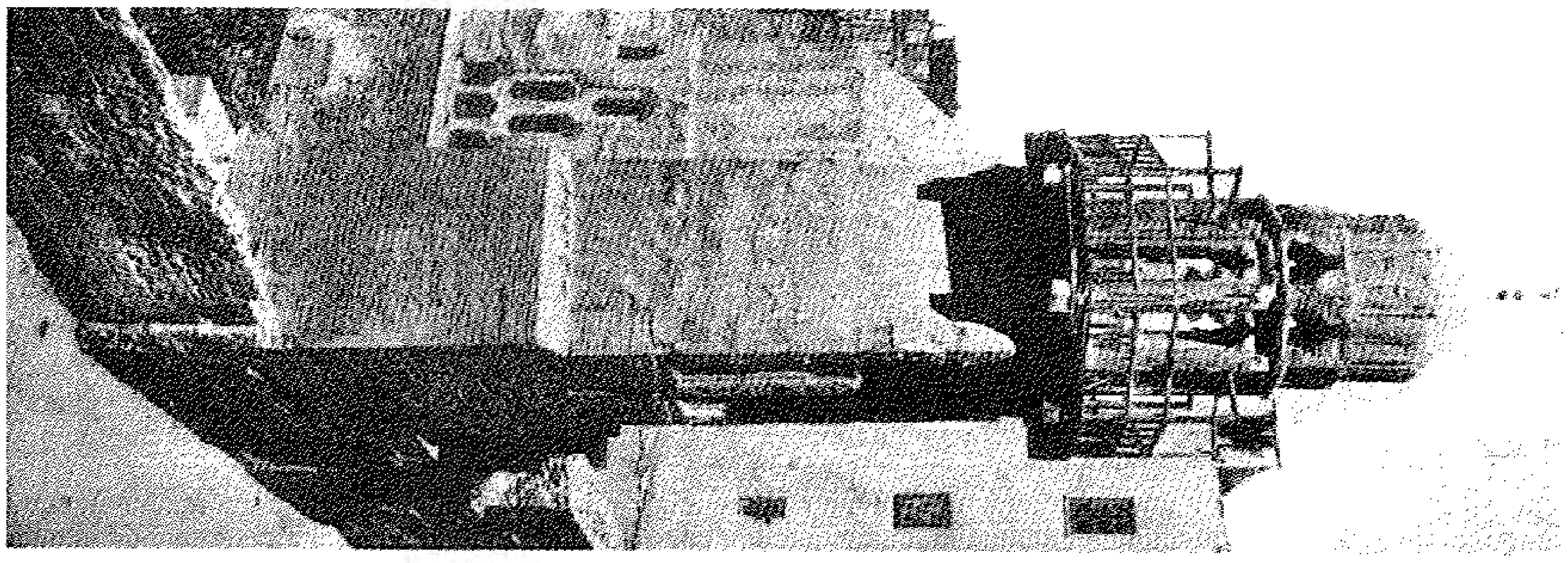

د - القاهرة : مئذنة أبو الغضنفر ٥٥٢هـ/١١٥٧م .

(لوحة رقم ١٢٣) تتبع المآذن .

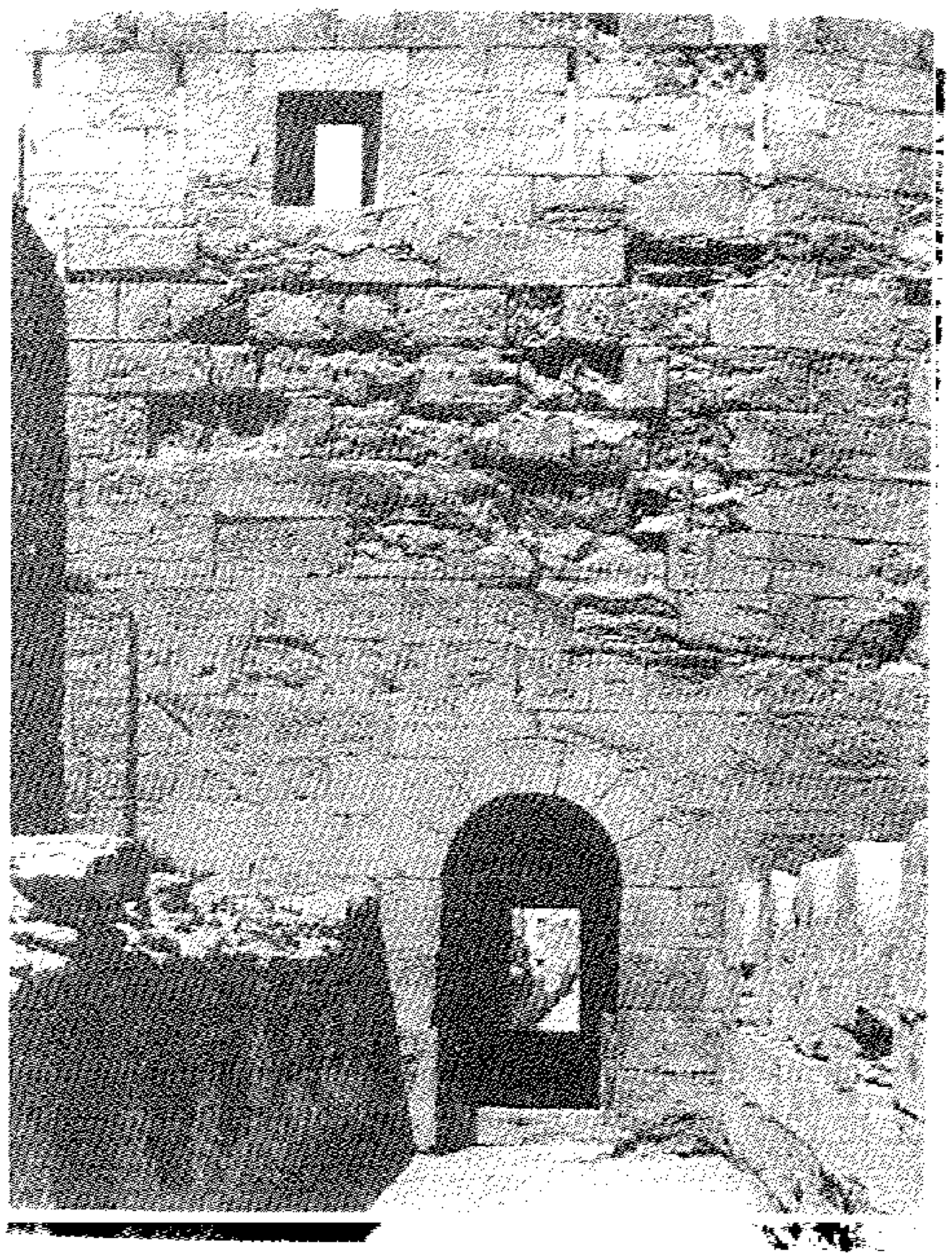

أ - مدخل البرج ذو الواجهة المستديرة
من ممشى السور الواقي .

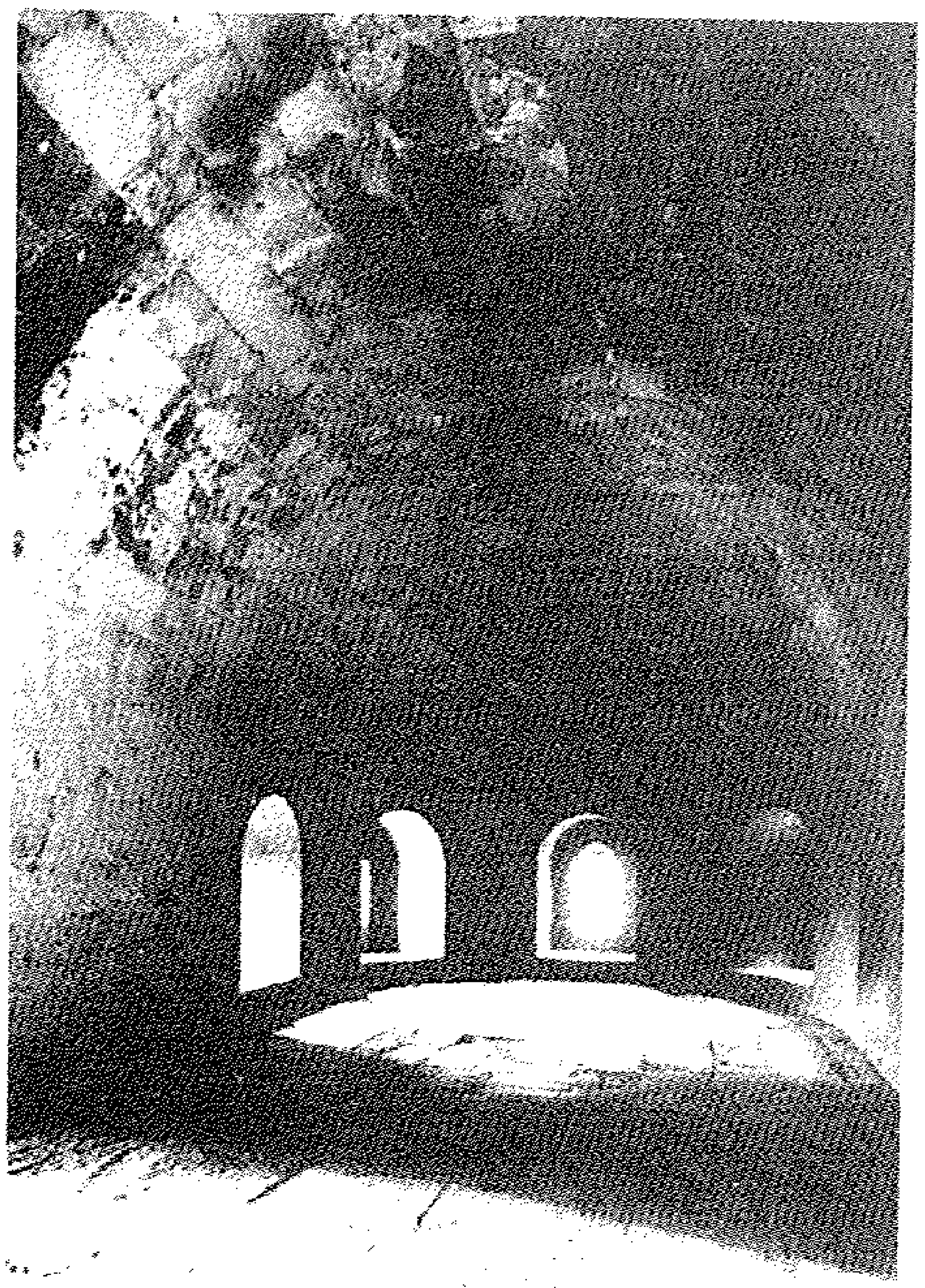

ب - داخل البرج ذو الواجهة المستديرة .

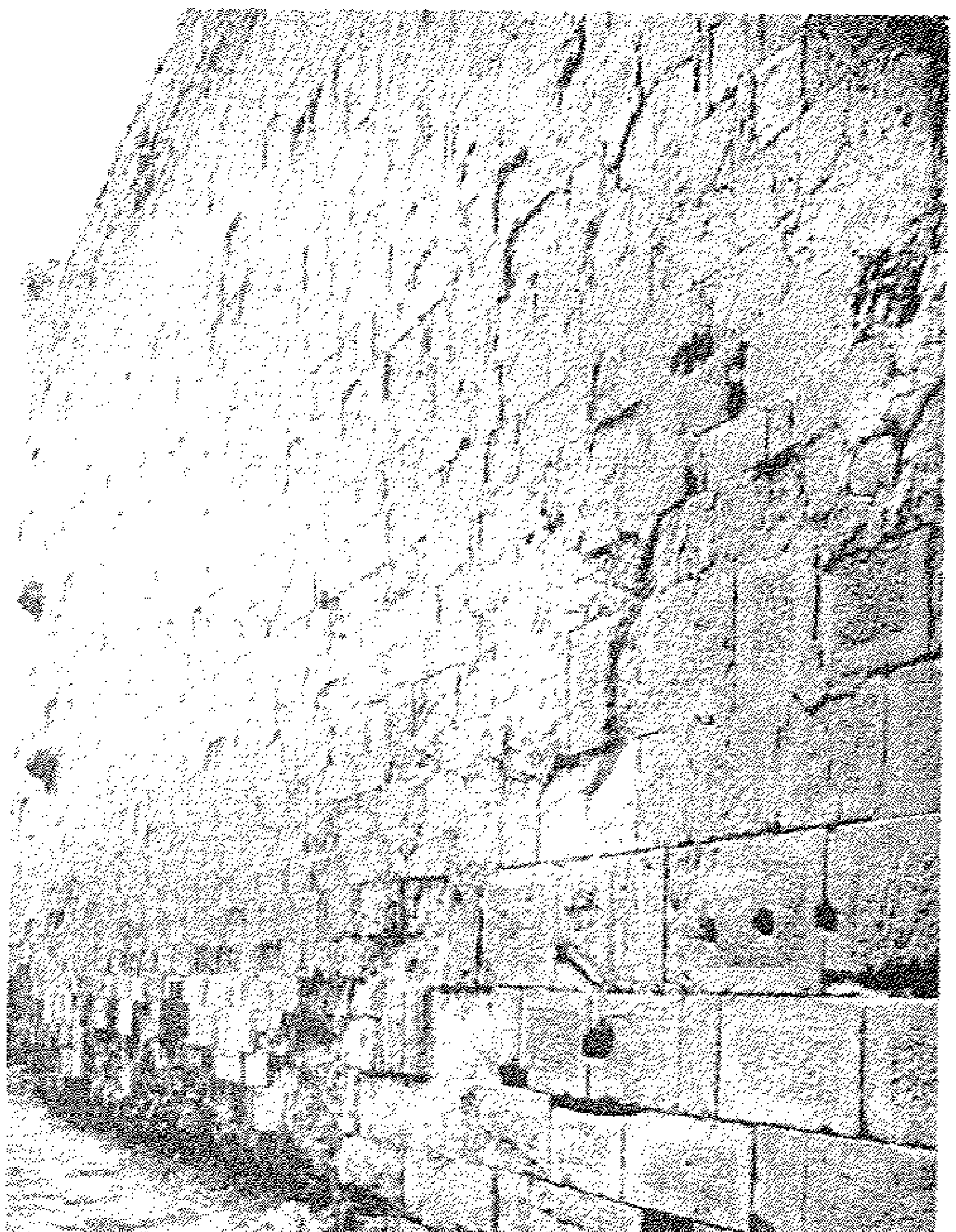

جـ - اتصال مادة بدر الجمالي (إلى اليمين)
وصلاح الدين (إلى اليسار) .

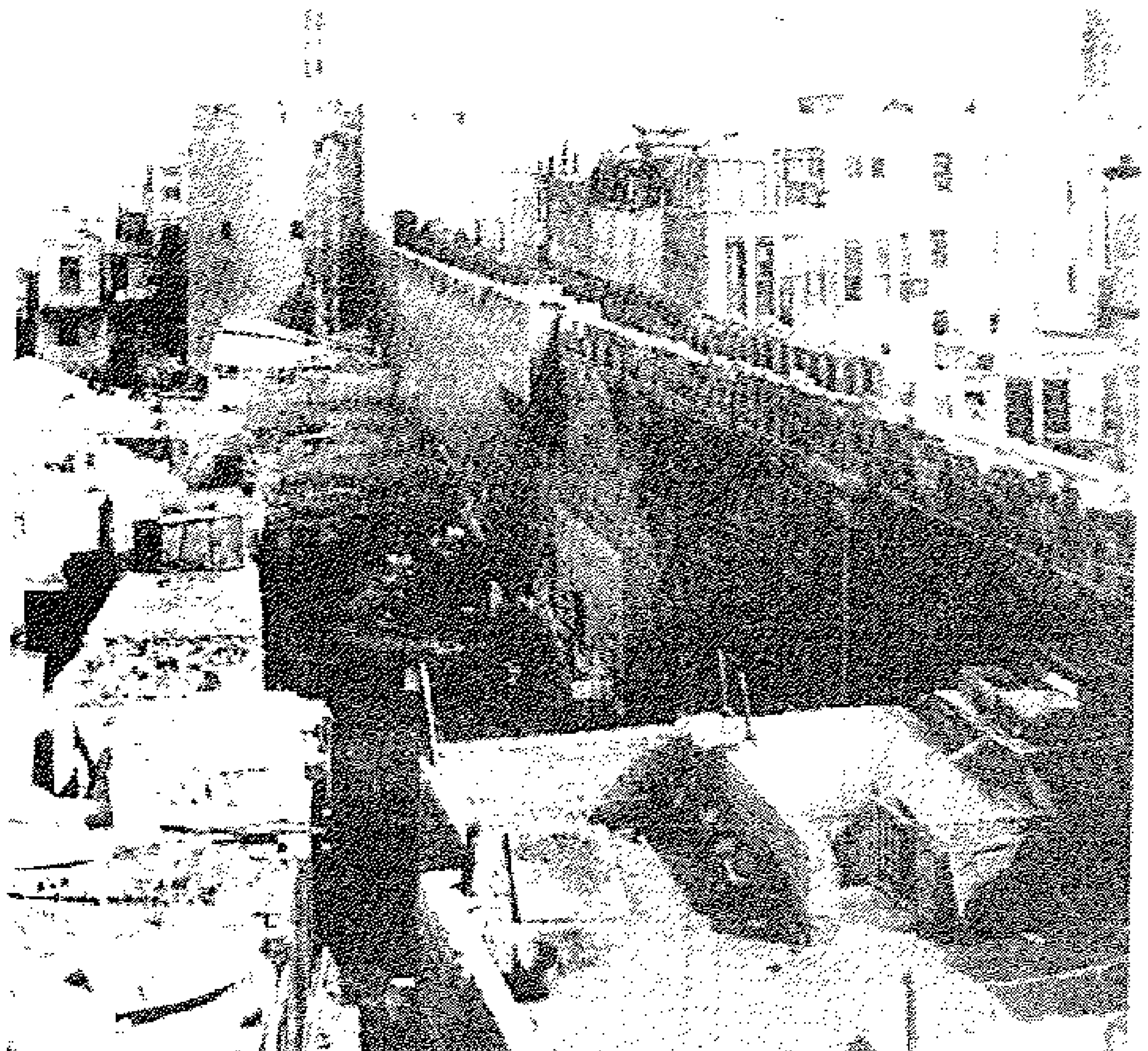

د - البرج ذو الواجهة المستديرة
والسور المغيب إلى الغرب .

(لوحة رقم ١٢٤) السور الشمالي .

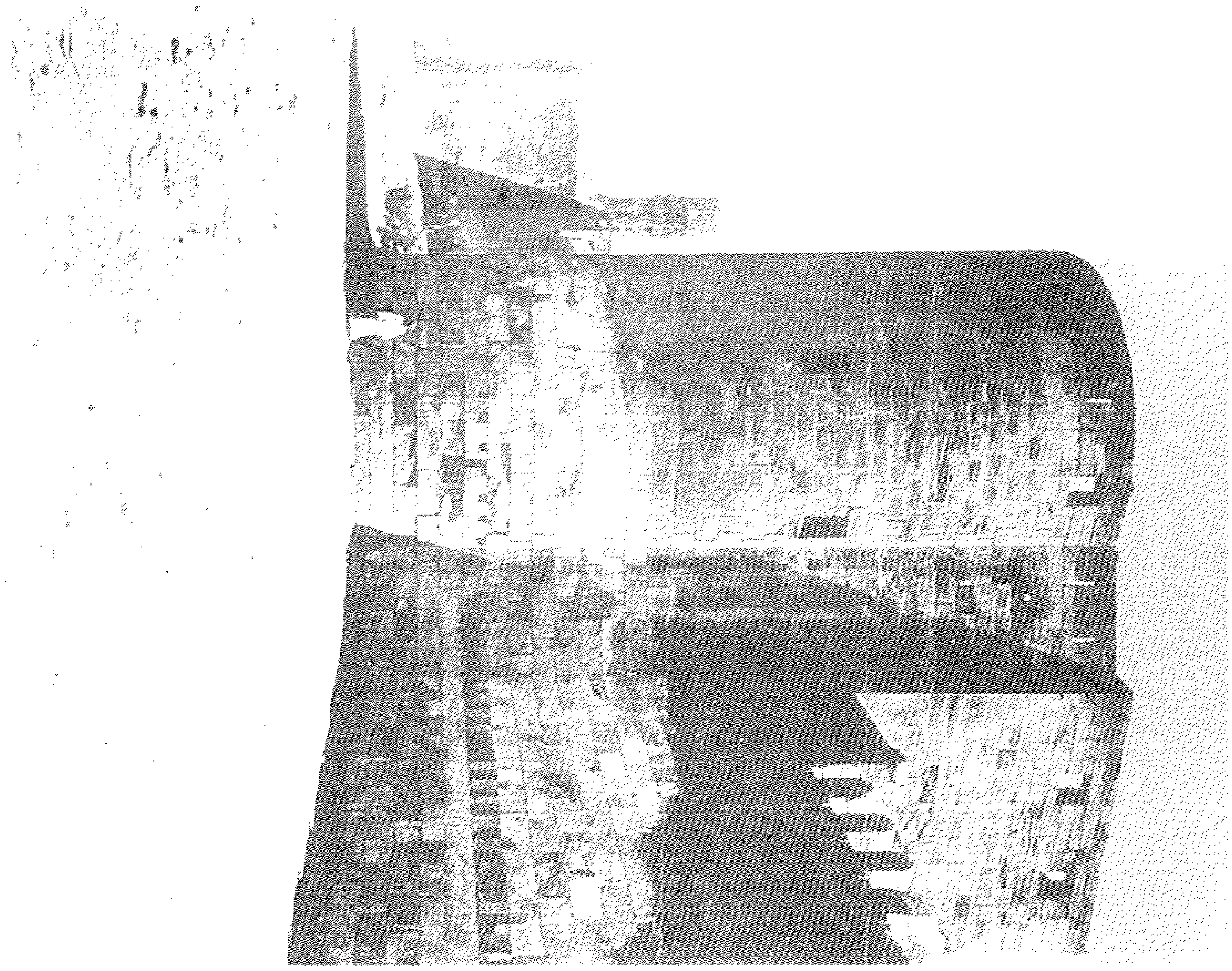

أ - برج السلم والبرج ذو الواجهة المستديرة .

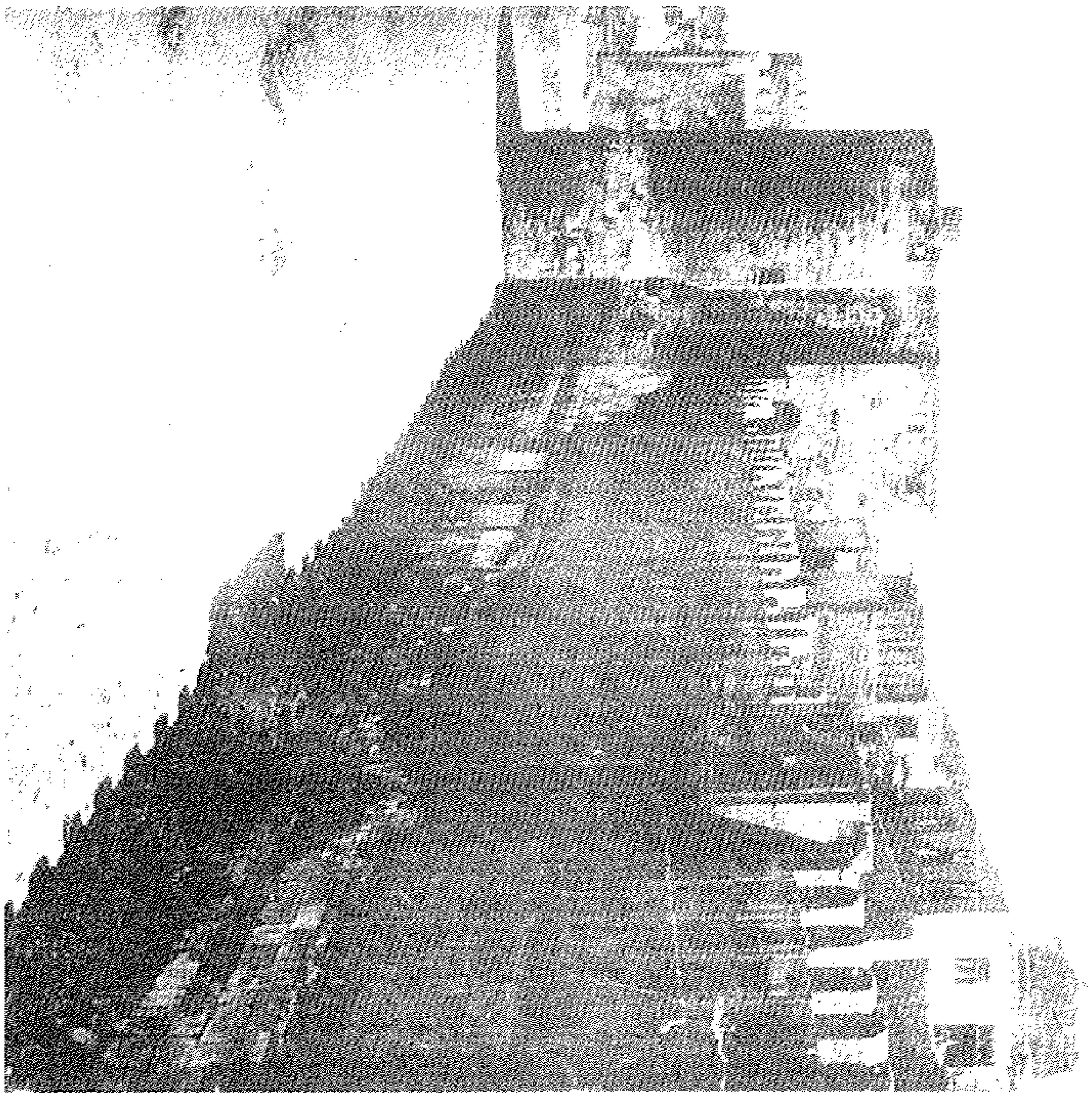

ب - البرج ذو الواجهة المستديرة والسور المغيب ذو السقاطة .

(لوحة رقم ١٢٥) السور الشمالي .

مَطبعَة العُمرانية للأوفسَت
٤ شارع يوسف عثمان الجيزة . ت : ٧٧٩٧٥٥٠
٣٢ شارع مصنع المكرونة . المنيب

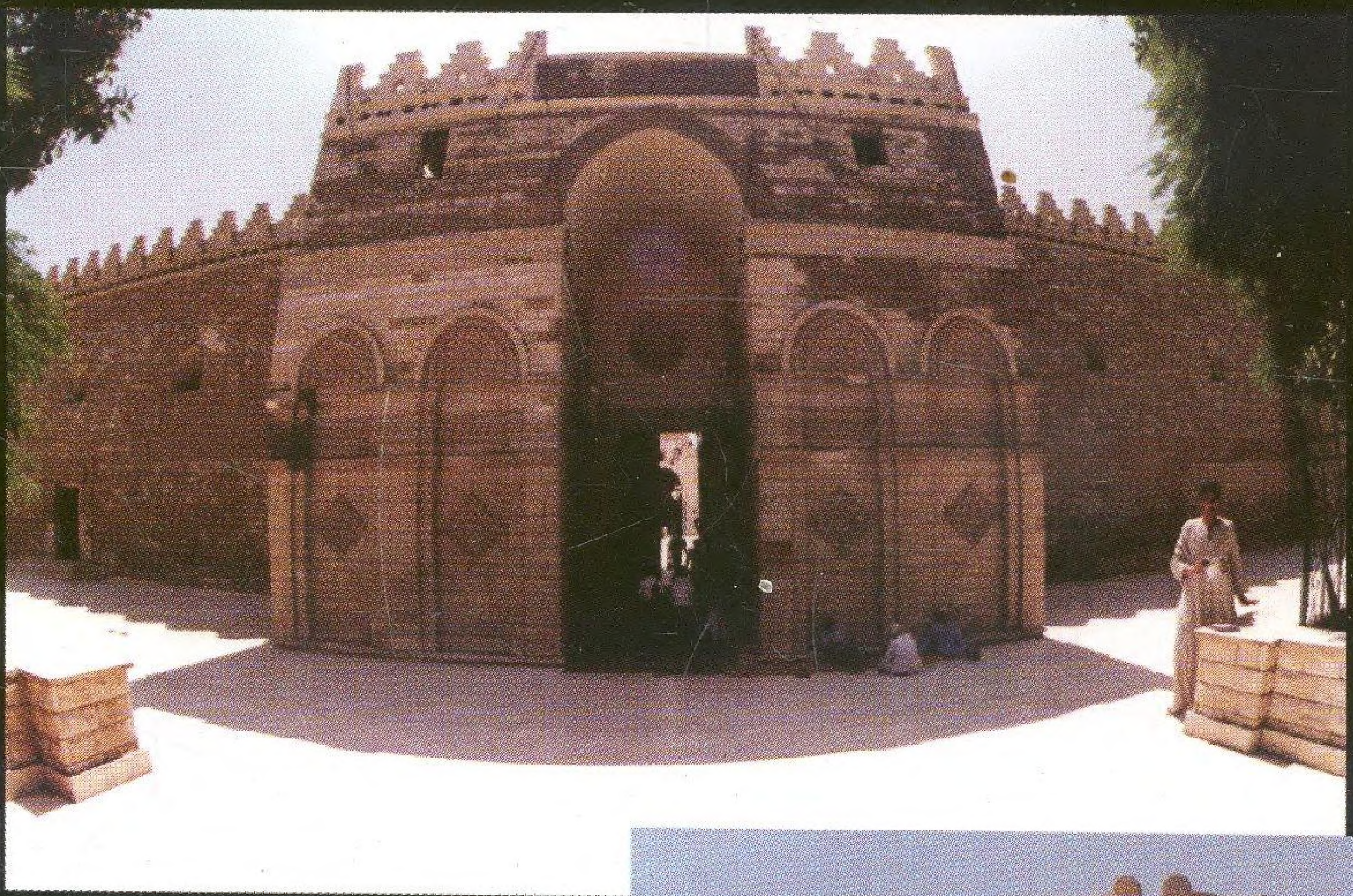

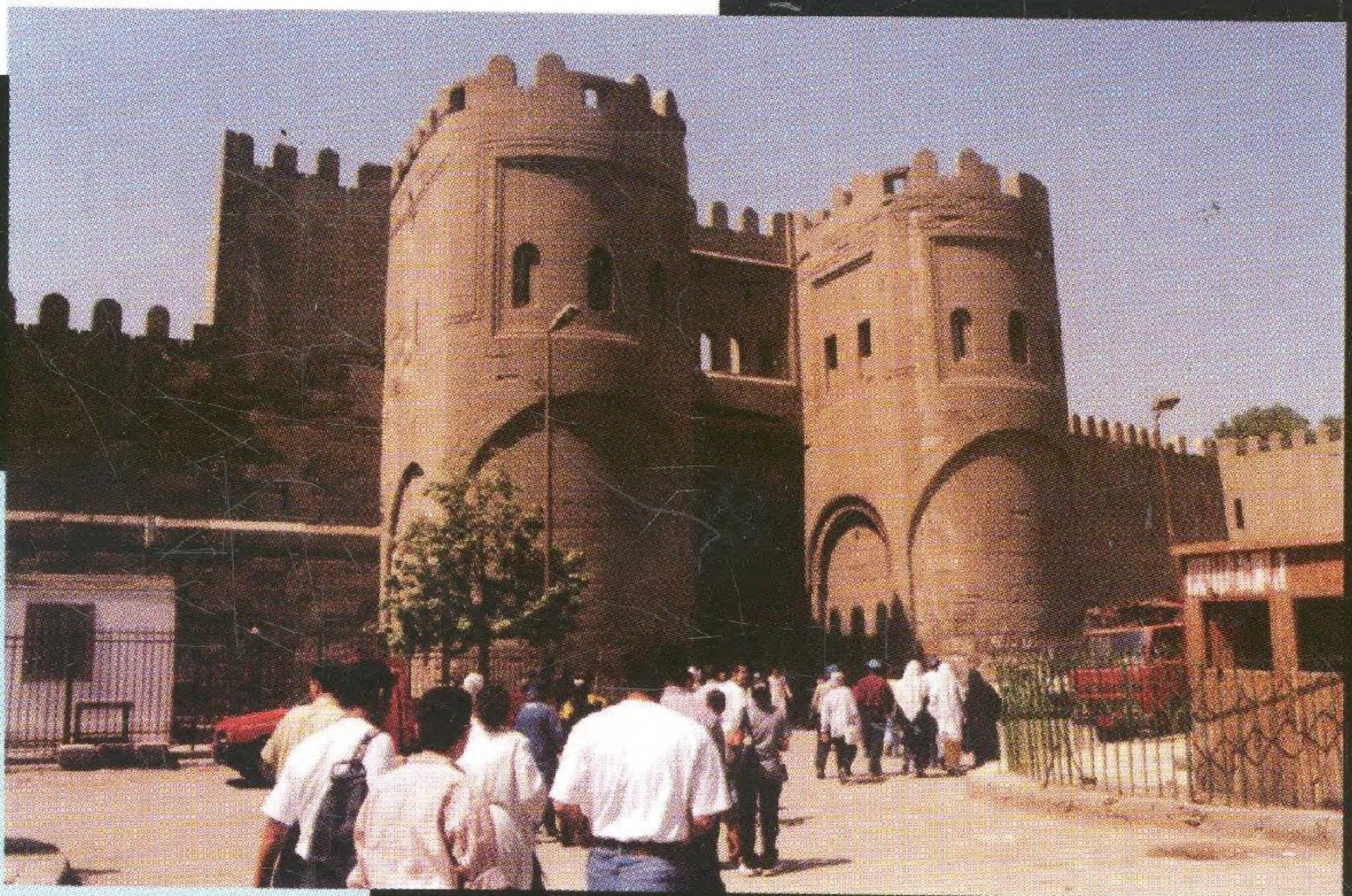

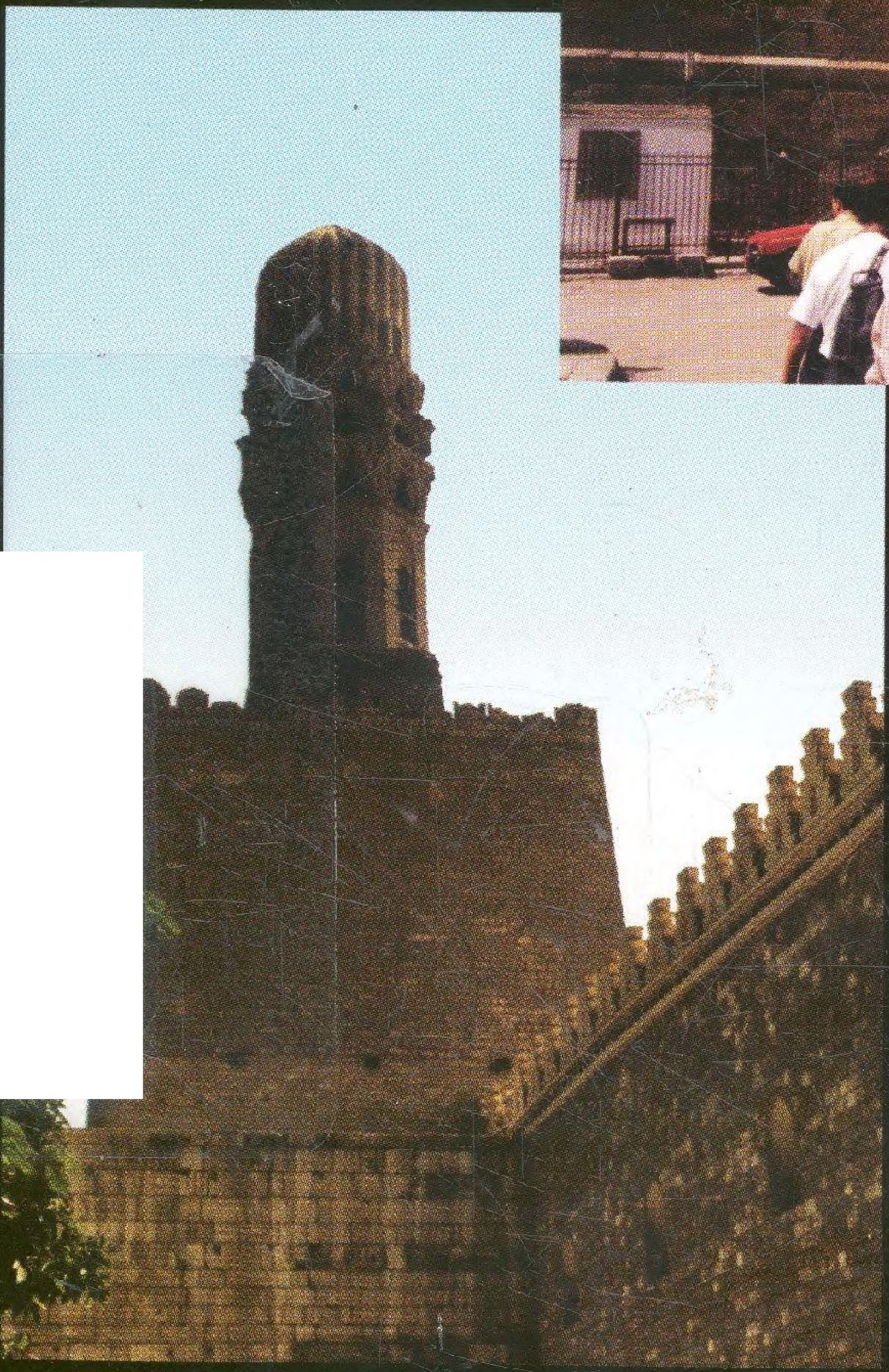

نقدم للقـارئ الجزء الأول

مـن هـذا العـمـل العظـيـم

من ترجمة كتاب كريـزويـل

وبإذن الله تعالى سوف نوالـى

نشر الجزء الثاني في وقت قريب

الناشر